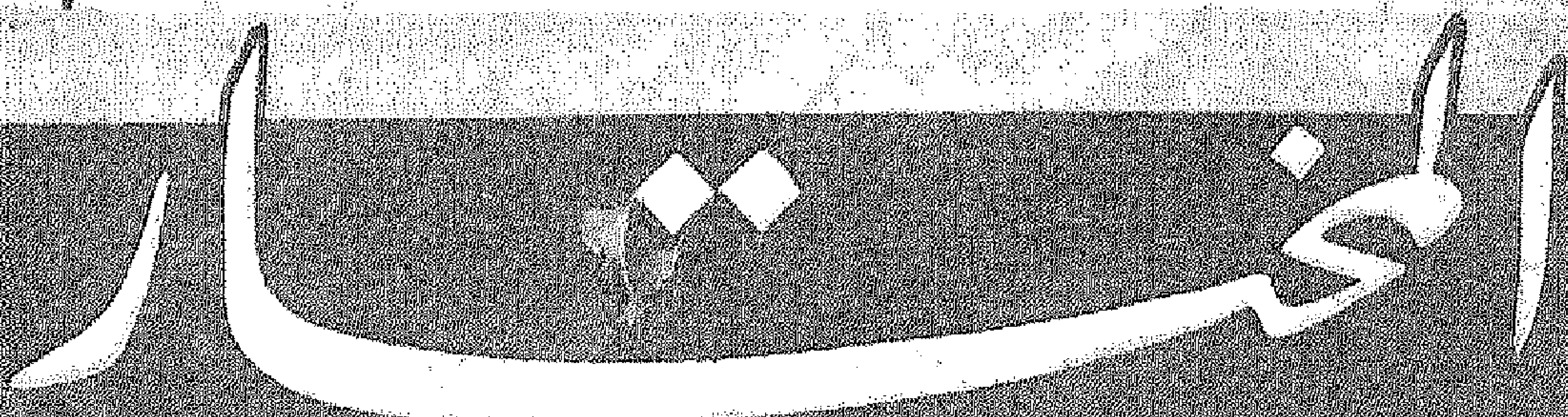
المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١٢ مليون نسخة — ٣ قروش



المختار من مجلة ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

يوليه ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الأنجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ ١١ من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات أنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : **فؤاد صروف**

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار

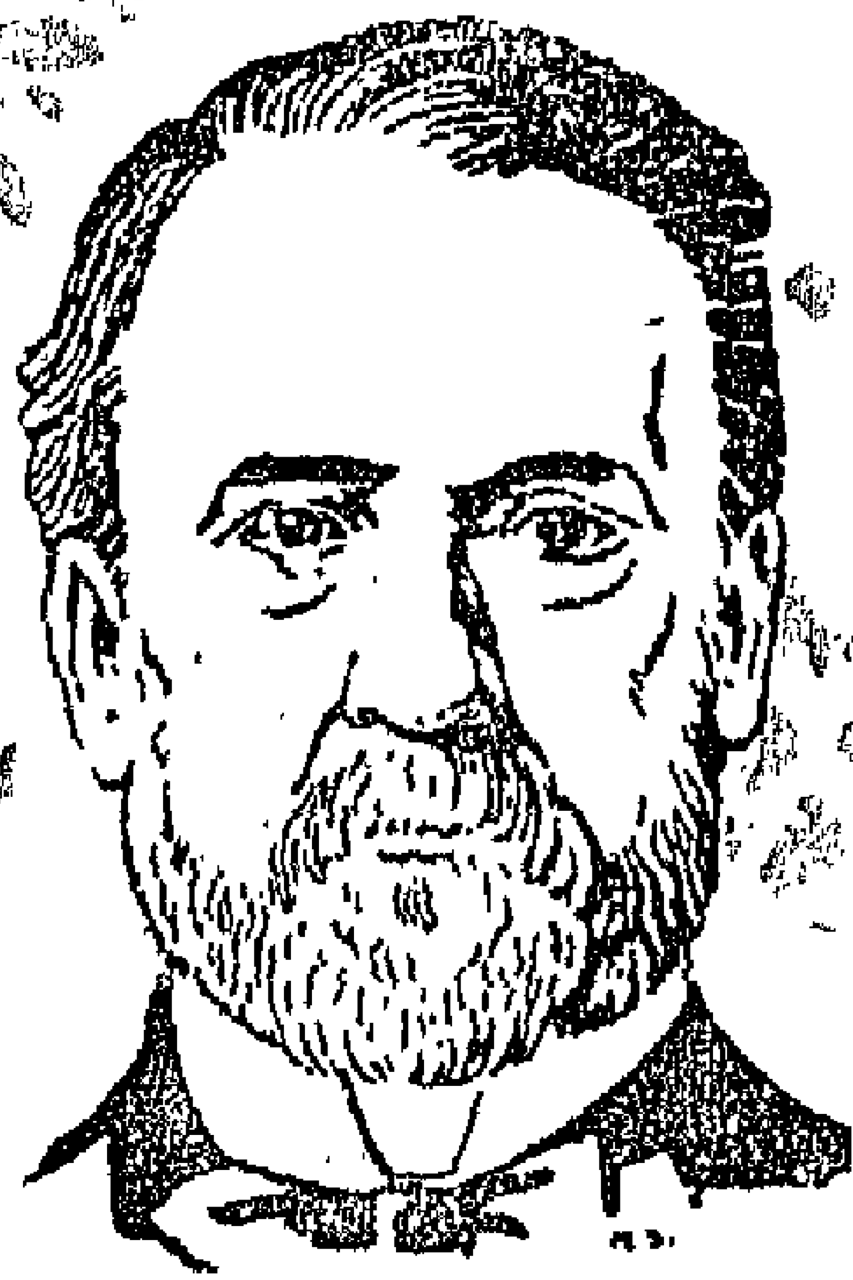
من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

السنة الاولى — المجلد ٢ — العدد ١١

« القصة الخالدة لبطل من أبطال الحرب التي شنها البشر على الميكروبات »

باستير، بادي شباب اليوم



مقتبسة من كتاب "صيادو الميكروبات" مع مراجعات من المؤلف

بول دي كروف

خلال كافة عصور التاريخ البشرى ، ذهب ملايين من الناس ضحايا ميكروبات ، لم تكن ترى ، بل ولم يكن وجودها نفسه يخطر على بال . ثم فجأة ، ومنذ حوالى مائة عام ، أخذت تتطامن شرة ذلك العدو الذى هو أقتل أعدائنا ، فتضاعف أمد الحياة البشرية فى الأجيال الثلاثة الماضية .

وإننا لنميل إلى قبول هذا الظفر الباهر كما لو كان قد تم من غير نضال . وإلى أن ننسى أن رجلا ، هو لويس باستير ، خاض المعركة وحده ، واقتحم بشجاعته تلك المخاطرة التى تعد ألمع المخاطرات البشرية ، رغم ما لقى من العالم المستريب من زراية واستهزاء .

قل فى هذا الرجل الفرنسى الأفطس المفلوج (المشلول النصف) ما شئت إلا أنه ساحر ، إذ لم يكن له من آيات الإعجاز إلا ذلك المس الذى جعل من بدنه الناحل ، رغم فورانه بالنشاط ، مثوى لعدة أنواع من الرجال عدا صياد الميكروب وحسب .

كان باستير أعظم عارض للميكروبات ، إذ وجه إليها أنظار الناس ، بتجارب هى

أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة ، أجراها في شوارع باريس ، وفي حقول فرنسا . وكان فوق ذلك واعظاً دينيا يدعو العالم إلى التكفير عن ذنوبه وخطاياه ، وكان مناضلا لا يفتأ بارحاً مكمنه ، شاهراً قبضتيه على فظائع الموت والآلام في الإنسان .

وكان لويس باستير نجل دبّاغ ، وكان جدّه الأعلى عبداً رقيقاً ، وفي العشرين الأولى من سني حياته لم يُظهر دليلا ما على أنه سيصير نحّاتة ، ولم يكن حينئذ أكثر من صبي يقظ كدود ، وكان يمضي وقت لعبه في تصوير النهر الذي يحاذي مدبغة أبيه في أربوا بشرق فرنسا . وفي سنة ١٨٤٢ (وكان عمره إذ ذاك عشرين عاماً) نال دبلوم الكلية الملكية في بيزانسون ، ولكن درجته في الكيمياء كانت « متوسط » .

على أنه لم يمض إلا عام حتى هيّجت شوقه الغامر إلى الكيمياء محاضرات ج . ب . دوماس في السوربون بباريس . وذات يوم خرج من محاضرة لدوماس العظيم مستطار اللب ، مخضلّ العين بالدموع ، متمتما : « ياللكيمياء من علم ! » . وقد أدرك منذ اليوم أنه سيصير كصاحبه كيميائيا عظيما ، وأن شوارع باريس الشهباء التي يغشاها الضباب ، سوف تلهم العالم المضطرب المستهتر أن الكيمياء وحدها هي سبيل النجاة . لقد أهمل التصوير

ولكنه ظل مفتّناً حينما بدأ يحبو في أول أبحاثه المستقلة بين القوارير ذوات الروائح النفاذة وصفوف الأنابيب المتلألئة بالسوائل البديعة الألوان . وقد كان إزاء آلام البشر مرهف الحس مستوفز الأعصاب . ويوم كان صبيا في التاسعة فر باكياً من زحام حاشد على باب حداد في أربوا ، إذ تردد في سمعه بصوت أعلى من همسات الذعر والانفعال الصاعدة من أفواه الناس ، نشيش الحديد المحمى على لحم فلاح عضه ذئب كلِب . ولم ينفع ذلك الكيّ على قسوته في علاج الداء ، كما ولا أنقذ ذلك الفلاح من عذاب الموت مكلوباً ، ولكنه طبع في نفس باستير بغضا للموت دام دوام الحياة .

ومن هـــذا البغض استمد القوة على مواجهة سخرية العالم الطبي ، حين أعلن (وهو كيميائي ليس إلا كما كان) نظريته التي بدت يومئـذ آية في السخف ، أن الميكروبات هي أشد ما يهدد البشرية . وفي منتصف القرن التاسع عشر ، وباستير في أول طريقه العلمي ، لم تكن الميكروبات غير نكتة مجهرية حية ترفه عن هواة علماء الحياة ، فأدهش باستير العالم العلمي بإقامة الدليل على أن تخمر النبيذ ينشأ من الميكروبات ، كما زلزل العالم الطبي بالتلميح المبهم إلى أن هذه الكائنات التي تعدِ بلا خطر قد اتهمت من

الضحايا أكثر مما فعلت جميع حروب التاريخ .

قال باستير : إن كل الميكروبات تنسلّ من الهواء إلى ضحاياها حية كانت أو ميتة .. وقد كان هذا أملا واضحاً فى رسالته العلمية ، لكن الأساتذة ناقضوه بالنظرية التى تقول إن الميكروبات لها القدرة على التولد الذاتى ، وقالوا إن آراء باستير لوقاية اللبن منها أو حماية الناس ليست سوى أوهام .

وتلت ذلك معركة أسلحتها التجارب العلمية والترامى بالمقذع من الكلام ، أقامت فرنسا وأقعدتها . وأخذ باستير يغلى الحساء فى قوارير ، ويحكم إغلاقها حتى لا يتسرب إليها الهواء ، فأثبت أن الميكروبات لم تتولد فى هذا الحساء المعقم الخالى من الهواء . ورد عليه الأساتذة أن الميكروبات يجب أن تظفر بنصيب من الهواء لكى تتولد من العدم . فأجابهم باستير بعنف : إن الغبار الذى فى الهواء ، لا الهواء نفسه ، هو الذى يلوث الحساء . .

وبرهن لساعته على ما قال ، وأفحم خصومه بتجربة بارعة أصبحت من معالم التحول فى تاريخ الإنسان . فقد صب الحساء فى قوارير عقمها بالغلى ، فلم تعد بها ميكروبات ، ثم أدنى عينيه القصيرتى النظر من زفير لهب المصباح ، وهو يذيب أعناق القوارير عليه ، ومط هذه الأعناق إلى أنابيب رفيعة طويلة ، ثم يعطفها حتى تصبح كرقاب البجع .

وترك أفواه هذه الأنابيب مفتوحة بحيث يدخل الهواء حراً إلى الحساء الخالى من الميكروبات ، ولكن الغبار المعلق بالهواء يلتصق بجدران الأنابيب ، فلم ينم ميكروب واحد فى قارة ما من القوارير .

التولد الذاتى ؟ إنه محض هذيان ، ولم يراع باستير أدب اللفظ فى مهاجمته ، وأخذ يحقر دعاة التولد الذاتى البغيض على رؤوس الأشهاد . وفى إحدى السهرات الفخمة حيث تدافعت كل رؤوس باريس الكبيرة وعبقرياتها بالمناكب على الدخول ، عرض باستير تلك القوارير الهامة التى لا أثر لحياة الميكروبات فيها ، ثم صاح : « إن التولد الذاتى لن يفيق أبداً من تلك الضربة القاتلة التى صرعته بها هذه التجربة البسيطة » .

وأضحك هذا الزعم بعض السفسطائيين ، ولكن ضحكهم لم يدم طويلا ، إذ جاءت أنباء صاعقة من الجراح الإنجليزى الذائع الصيت جوزيف ليستر ، ذلك الرجل العظيم الذى كتب إلى باستير يقول : « اسمح لى أن أشكر لك ما أبنت لى بأبحاثك الباهرة من صدق نظرية الجراثيم » ، ثم روى ليستر كيف أصبحت الجراحات تعمل للمرضى لأول مرة فى سجل البشرية — بأمان تكفله لهم المطهرات الواقية من تلك الميكروبات

القاتلة التى كانت تجهز على ثمانية مرضى من كل عشرة فى كثير من المستشفيات .

وعلى أن باستير كان يستطيع أن يحيا حياة المعلم الهادئة ، فإنه انساق فى طريقه قدماً ، كأنما كان يوحى إليه بإلهام مبهم أن هناك عالماً يجب أن يتبدل ، وأن الزمن الذى ينبغى أن يتبدل فيه زمن قصير ، وأن عليه هو نفسه تقع تبعة إقامة هذا البناء من جديد . وذلك ما جعله أبغض الناس فى فرنسا للمجون ، وأقلهم هياماً بالخيال ، وأشدهم إرهاقاً بالعمل .

وإنه لعجيب ، مع هذه النهوة الجامحة للبحث ، أن يجد باستير وقتاً للزواج . كتب إلى خطيبته يقول : « ليس بى شىء يفتن خيال صبية » . لكنها أدركت فيه طابع العبقرية ، وأصبحت إحدى الزوجات المشهورات فى التاريخ ، وأطولهن صبراً على العذاب ، أو كما قال أحد صحبها : « لقد أحبته إلى الحد الذى فهمت فيه عمله » . وتلك الليالى الطوال التى كان يقضيها متكاباً على العمل يحرق أصابعه فى معمله ، لم تكن مدام باستير تقضيها جالسة تستوحش له وتترقب ، وإنما كانت لاتلبث أن تفرغ من إنامة أولاد هذا الرجل المستطار الفؤاد حتى تجلس إلى مقعد قائم الظهر تكتب له أماليه العلمية .

كان باستير رائداً فى تطبيق العلم العويص تطبيقاً مباشراً على متاعب البشر . فحين كان مديراً للأبحاث العلمية فى مدرسة النورمال بباريس نمى إليه أن صناع الخمور فى فرنسا يخسرون ثروات طائلة من جراء التخمر الغامض الذى يصيب النبيذ ، وكانت هذه الصناعة كلها فى خطر . وما هو إلا أن تلقى باستير دعوة هؤلاء الصناع الملحة حتى اندفع إلى البحث فى آفات النبيذ . وأحس عن يقين أن هناك كائناً مجهريا دقيقاً يسبب فساده ، فتحقق حدسه . وتحت عدسته رأى النبيذ مائجاً بميكروبات غريبة صغيرة يتلاصق بعضها ببعض كأنها قلائد اللؤلؤ المنظوم .

وفى أثناء محاولته لإيجاد طريقة ما لإبعاد هذه الميكروبات عن النبيذ السليم ، وجد أن تسخين النبيذ بمجرد الفراغ من تخميره ، حتى ولو سخن فى رفق وإلى دون درجة الغليان ، يقتل الميكروبات غير المرغوب فى وجودها فلا يؤوف النبيذ . وهذه الحيلة «البسترة» ، حيلة تعقيم سائل ما تعقيما جزئياً تحت حرارة تتراوح بين ١٣٨ و ١٥١ درجة فهرنهيت ، طبقت بعد على اللبن ، وتعرف باسم « البسترة » الآن نسبة إليه .

وبينا هو مندفع للكشف عن عالم الميكروبات بجماح لا يعرف هوادة ، أصيب بنزيف مخى أشرف منه على الموت ، ولم يكن إلا فى الخامسة والأربعين ، ولكن ما إن

سمع أن العمل فى المعمل الذى أنشىء من أجله فى باريس قد أوقف ، اقتصاداً وتوقعاً لموته، حتى أخذته سورة من الغضب قررفيها أن يعيش ، ونهض يتهالك ويظلع إلى معمله الجديد ، وهو منذ اليوم مفلوج ولكنه مع ذلك شرع يثبت أن « فى طاقة الإنسان أن يوارى العلل الطفيلية من الوجود » .

وكان عليه أن يواجه الموقف الناشىء من أن اسمه «المسيو باستير » لا « الدكتور باستير» ،فاتصل بطبيبين شابين،هما تشارلس شامبرلان وإميل رو، اللذين أصبحا حوارييه المتعصبين ، وكذلك اخترع باستير شركة الكيميائى والطبيب التعاونية التى تحارب الموت الآن وتقهر آلام البشر .

ومع هذا فلم يدركه مركب النقص فى حضرة أطباء العلماء . فذات يوم اقتحم باستير جلسة للمعهد الطبى فى باريس (الأكاديمية الطبية) حيث كان طبيب مولد يشرح بألفاظ لاتينية ضخمة حمى النفاس (وفى بعض مستشفيات باريس كانت تموت واحدة من كل ١٩ والدة من هذا الوباء) فنهض باستير معترضاً : «إن مايقتل النفساء فى الواقع إنما هو الطبيب الذى يحمل الميكروبات من الريفات من النساء إلى السليمات » .

وتهادى ظالعاً إلى المنبر ، وأخذ يتكلم دانياً من وجه الطبيب المحاضر : « إنك تقول إنى لن أجد الميكروب . لقد وجدته فعلا أيها الطبيب . وتلك هى الصورة التى يتراءى فيها » ، وخط باستير بقطعة من الطباشير سلسلة من الدوائر على شكل سبحة قال للأطباء إنها القاتل الحقيقى ، وهو ما يعرف اليوم باسم الميكروب السُّبحى.

ولقد يكون الأطباء على صواب فى الضحك من آراء باستير المتهورة التى تقول بإمكان محو الميكروبات القاتلة جميعاً من الوجود ، ومع ذلك فقد هتف به هاتف أنه لا بد أن تكون هناك وسيلة لوقاية البشر من غوائلها.

لِمَ يكون الحيوان والإنسان بعد الإبلال من مرض ميكروبى بمنجاة من الإصابة بنفس المرض فى أغلب الأحيان ؟ ذلك ما دفع باستير إلى الإلحاح فى وجوب إدراك التحصين، فبدأ هو وزميلاه يحرقون أيديهم ، ويجرحون أصابعهم ، ويقومون بتجارب جنونية ، وكذلك ظلوا ثلاث سنوات يسلمهم فشل إلى فشل ، حتى أتيحت لهم تلك المصادفة السعيدة التى علمتهم أن يحولوا الميكروبات من قتلة إلى حراس .

كان على نضد المعمل مستنبت لميكروب كولرا الدجاج ظل مهملا أمداً طويلا ، وخطر لهم أن يحقنوا به فرخين من فراخ الدجاج ففعلوا ، فمرض الفرخان ولكن سرعان ما أبلا . وبعد زمن ما حقنوا سرباً

من الفراخ اشـتمل مصادفة على الفرخين الناقهين بجرع من ميكروب الكولرا لم يكن هنالك ريب فى أنها تميت .

فماذا صنع الله ؟ . . بينما تخطف الموت الفراخ الجـدد على عجل ، ظل الفرخان الناقهان فى منعة تامة من تلك القارعة التى كان ينبغى أن يكون فيها القضاء . وأخذ الذهول باسـتير فقال لحوارييه : « لقـد وجدنا كل شىء ، كل ما علينا أن نصنعه أن ندع الميكروبات الفتيّة الضارية ، تكبر قليلا فى قواريرها وتشيخ » . وكذلك استنبط باستير من هذه المصادفة حلم اللقاح الذى قد ينقذ البشر أنفسهم من عوادى الموت .

كان باستير يومئذ فى الثامنة والخمسين ، ولكنه باكتشافه مصادفة اللقاح الواقى من كولرا الدجاج ، بدأ فى حياته السنوات الست المحمومة من فرط النشاط . ففى سنة ١٨٨١ اكتشف طريقة لترويض ميكروبات الجمرة الخبيثة (حمى خبيثة تصيب البهائم وتقتلها وقد تنتقل منها إلى الإنسان) ، فبالاشتراك مع رو وشامبرلان أضعف عُصيّات الجمرة حتى أصبح بعضها يقتل الخنازير الغينية ولا يقتل الأرانب ، وبعضها يميت الجرذان ، ويضعف عن إيذاء تلك الخنازير. ثم أخذوا يحقنون الميكروبات الضعيفة فى الغنم ويتبعونها بميكروبات أقوى ، وطفقت الغنم تعتلّ قليلا ثم تنقه ، فأصبحت بعـد ذلك تقاوم جرعاً من الميكروب تكفى لقتل الأبقار .

وأذاع باسـتير اكتشافه الجديد بحماسة غيظ لها الأطباء البيطريون ، فدبر أحدهم ، واسمه روسينيول ، مكيدة للقضاء على باستير فى تجربة علنية . وقبل باســتير التحدى بسرور ، فقد كان شأنه أن لا يثبت حقيقة فى معمله حتى يتهيأ للنضال عنها فى العلن ، وإن كان فى ذلك ما يدنى اكتشافه من نفع البشر . وعندما سمع رو وشامبرلان ما اعتزمه أسـتاذهما أخذهما الهلع ، وانقلبت قوانين الحياة يومئذ، فالمساعدون الشبان يجزعون، وباستير يقامر ، ويهدر لأعوانه المحافظين قائلا : « إن ما نجح فى ١٤ شـاة بمعملنا يجب أن ينجح فى ٥٠ بحقول ميلون » .

وأمام ملأ عظيم من الفلاحين والعلماء والأعيان تم تلقيح ٢٤ شاة وماعزة واحدة وعدة أبقار فلم يمت منها شىء . وأعدّ عدد مماثل من الحيوان ترك بلا تطعيم ليكون أساساً للمقارنة . ثم كانت الخطوة الختامية وحقن الفريقان جميعاً ببلايين من ميكروبات الجمرة الخبيثة . وبعد يومين تجمع فى الحقل حشد كبير من العلماء وأعضاء البرلمان والأطبـاء بشريين وبيطريين ، وقد تهيأ كثير منهم للسـخرية من الخزى المتوقع لباستير . وكان على رأس الصحفيين دى بلووتز

مراسل جريدة التيمس اللندنية . وجاء إلى الحقل باستير وأعوانه فضاعت عندئذ فرصة السخرية على الساخرين حين أعلن القضاة دهشين نتيجة التجربة التي غيرت وجه التاريخ.

ما من بهيمة من البهائم المطعمة أصيبت بألطف مس من الحمى ، بينما البهائم التى لم تطعم ماتت جميعاً إلا اثنتان كانتا فى دور الاحتضار . وهتف المتشائمون أنفسهم مهللين ، حتى لكأنهم فى حفل دينى . وتوسل إليه الدكتور بيو أشد خصومه قائلا : « لقحنى ثم أعدنى بالميكروب القاتل إذ يجب أن يقتنع سائر البشر باكتشافك الباهر » .

وكانت أشجع معركة خاضها باستير هى معركته الأخيرة ، وكانت ضد مرض الكلب القاتل بلا استثناء ، ذلك المرض الذى فر منه مذعوراً يوم كان صبياً فى التاسعة من عمره . لقد أصبح الآن أنبه الرجال صيتاً فى فرنسا ، ومع ذلك فما خطر له أن يستريح تحت إكليل الغار . وقد بثت بطولته فى أنحاء العالم روحاً للبحث انجلت عن فوران فى عالم الكشف عن الميكروبات القاتلة . وكان طعمه الواقى من الجمرة الخبيثة بشيراً بغيره من الطعوم التى قدر عليها أن تقى الملايين من حمى التيفود والكولرا والطاعون الدملى . وقد مكنت نظريته فى الميكروبات الجراحين من إنقاذ عشرات الألوف من الأرواح ، وتلك الحيلة التى ابتدعها (البسترة) بتطبيقها على اللبن قد تمحو لعنة السل فى العظام وسواه من أوبئة الميكروبات . ومع كل هذا فقد كان يبدو لروحه المعذبة رجلا لم يعثر بعد على شىء له قيمة قط .

ومن أجل ذلك بدأ يدسُّ الأنابيب الزجاجية الصغيرة فى الأفواه الفاغرة المكممة لكلاب هاج بها جنون الكَلَب ، ولحيته تتدلى بجرأة على مسافة بوصات قلائل من تلك النيوب التى لا تنحسر عضتها عن غير الموت الزؤام .

ولم يستطع باستير ولا رو ولاشامبرلان أن يعثروا على ميكروب للكَلَب ، ولا استطاعوا أن ينقلوا المرض من حيوان إلى حيوان . وبعد لأى طاف بالأستاذ طائف من إلهامه المعجز ، أن هذا الميكروب الخفى إنما يهاجم الجهاز العصبى ، فلم لا يحقن هذا الميكروب رأساً فى مخ حيوان حى ؟ على أن ذلك كان معناه ثقب جمجمة الحيوان ، وكان باستير يحرّمه ، ولم يكن يعلم أن الجراح يستطيع أن يحدثه بلا ألم . ولكن رو خلد ذكراهم جميعاً إذ التمس فرصة من غياب باستير فعصاه وصنع بالكلب ما شاء . وفى أقل من أسبوعين مات الكلب مسعوراً .

وكذلك وقع فى الفخ ذلك الموت الذى

لم يكن فى إمكان أحد أن يراه . ومع ذلك فقد ظل المشروع أشهراً طوالا وكأنه طراد آخر فى سبيل هدف مستحيل . أين هو الطعم الواقى ؟ إن عصور التاريخ كلها ليس فيها ذكر لحالة شفاء واحدة من هــذا المرض الفظيع . ذلك شأن المجرم العنيـد الذى كان يلاعبه باستير .

وبعد سنتين ، قضوها فى تجارب شاقة محمومة ، روّضوا السفاح باقتلاذ مضغة من النخاع الشوكى لأرنب مكلوب ، ثم بتعليقها فى زجاجة ١٤ يوماً حتى تجف لإضعاف الميكروب إلى الحد الذى لا يقوى معه على قتل كلب إذا حقن فيه . وما إن يستتب الأمر لهم على هذه الصورة حتى يحقنوا الكلب نفسه بميكروبات مميتة جففت ١٣ يوماً ثم بأخرى جففت ١٢ ثم ١١ ثم ١٠ أيام ، وهكذا دواليك إلى أن يحتمل الكلب فى النهاية فيروس الكلَب المجفف يوماً واحداً فقط !

فهــل يصبح ذلك الكلب محصناً ضد فيروس الكلب الشــديد الضراوة ؟ لئن فشل باستير الآن — باحثاً سريع الانفعال كما كان — فليدونّ له عمل حياته كله عبثاً . كتبت قرينته فى سنة ١٨٨٤ إلى ابنتها فى عيد زواجها (الذى نسيه باستير) تقول : « إن أباك غريق فى تأملاته يتكلم قليلا ، وينام غراراً ، ويستيقظ فى الفجر . وبكلمة واحدة يحيا نفس الحياة التى بدأتها معه فى مثل هذا اليوم منذ ٣٥ عاماً » .

على أن الهيئة الطبية التى عهد إليها باستير فى التحقق من نتائج تجاربه ، طلعت على الدنيا يومئذ بنبأ أذهلها : « إن الكلب إذا حصّن بمادة النخاع الشوكى المأخوذة من أرانب ماتت مكلوبة ، والتى تزداد ضراوتها بالتــدريج ، فلن يستطيع شىء فى الوجود أن يعديه بالداء » . وعنــدئذ أخذ باستير يتلقى الرسائل والبرقيات من فرنسا ومن الخارج ومن إمبراطور البرازيل ، ومن الأطباء ، ومن آباء وأمهات عضت بنيهم كلاب مسعورة ، فراحوا يترقبون موتهم قانطين .

ولأول مرة فى حياته أحجم باستير أمام هــذه التبعة الرهيبة ، فلم يكن الأمر هنا ما كان فى موضوع الجمرة الخبيثة حيث لو استقوى الطعم قليلا فلن تكون النتيجة المحتملة إلا موت بضع شياه ، أما اليوم فالهفوة فيها ضياع لحياة أطفــال كائنات بشرية . وما من صياد ميكروب واجه قبل مثل هذا المشكل الرهيب .

وأخيراً قدمت من الإلزاس مسز مايستر يائسة ، فانتزعت من أيدى باستير حق تقرير المصير . جاءت باكية إلى معمله تقود طفلها جوزيف البالغ من العمر تسع سنوات ، والذى عضه كلب كلِب فى ١٤ موضعاً من

جسمه منذ يومين . وأخذت تتوسل إليه : « أنقذ ولدى ياسيد باستير» وتطوع طبيبان باريسيان فشاطرا باستير حمل التبعة .

تلقى الطفل چوزيف مايستر الحقن الأربع عشرة من غير أن تظهر عليه أية علامة من علامات الخطر ، وعاد إلى بلده بريئاً من كل أعراض المرض .

وأخذ يفد على رجل المعجزات ، بشارع أولم فى باريس ، أناس من شتى بقاع الأرض أمضهم عض الكلاب . ووفد عليه من سمولنسك فى روسيا ١٩ فلاحاً روسيا عدا عليهم ذئب مسعور منذ أكثر من أسبوعين كانت أشكالهم غريبة تحت قلانس الفرو ، ولأفواههم غمغمة لاتتغير: «باستير . باستير» وكانت هذه الكلمة كل ما يعرفونه من اللغة الفرنسية . ومس الرثاء لهؤلاء الفلاحين قلب باريس كلها ، وترددت فى طرقاتها همسة واحدة : « سيموتون جميعاً عن يقين » .

ثم تصاعدت صيحة زهو وفخار بباستير من جميع الباريسيين ، بل من كل فرنسا ، وغنت له الدنيا أنشودة شكر لأن الطعم الجديد أنقذ جميع الفلاحين إلا ثلاثة . وأنعم القيصر على باستير بصليب « سانت آن » الماسى ، وبمئة ألف فرنك ، تكون نواة لبناء ذلك البيت لصيادى الميكروب ، بيت الحياة الذى يطلق عليه اليوم معهد باستير ، وأخذ المال يتدفق لذلك الغرض من كل بقاع الأرض .

وعند ما تنتهى مأساة الحرب الحاضرة ليتذكر علماؤنا وأطباؤنا الشبان وصية باستير التى أوصى بها سنة ١٨٩٢ فى الذكرى السبعين لمولده ، حيث أنعم عليه بوسام من جامعة السوربون . كان لورد ليستر هناك واحتشد فى قاعة الاحتفال رجال نابهون فى كثير من الأمم وطلاب من المدارس العليا والجامعات . وساد الصمت عند ما ظلع البحاثة العجوز إلى المنبر متكئاً على ساعد رئيس الجمهورية ، فقد كان الصوت النفاذ لصياد الميكروب قد ضاع ، فقرأ عنه ولده الكلمات التى تركها ميراثاً لأجيال المستقبل :

« لا تدعوا أنفسكم يفسدها التشكك العقيم ، ولا تخذلكم أحزان تلك الساعات العابرة التى تمر بالأمم . عيشوا فى صفو السلام الذى تهيئه لكم الكتب والمعامل ، وليسأل كل منكم نفسه أولا : ماذا صنعت لأتثقف ؟ فإذا مضيتم قدماً فسلوها ماذا صنعت لبلادى ؟ حتى يحين الوقت الذى تحسون فيه طغيان السعادة ، سعادة التفكير فى أنكم ساهمتم بطريقة ما فى رقى الإنسانية وخيرها » .

إن باستير كان يوجه إلى شباب اليوم هذا النداء .

هــل يتمشى الذكاء مع الأخلاق؟

البرت إدوارد ويجام

لقد وجهت هذه الأسئلة الثلاثة إلى نيف وألف شخص :

« هل تعتقد أن معظم النوابغ يعيشون عيشة تبذل واستهتار لا تتفق مع الأخلاق ؟ وهل تعتقد أن جمهرة النابهين والنابهات من الرجال والنساء قلب لا يركن إليهم ، يسرفون فى الشراب ويغلب أن تكون لهم علاقات جنسية لا تتفق والعرف والتقاليد ؟ وهل تعتقد أن أغلب الموهوبين من الأطفال لا يلتئمون مع محيطهم ، وتصعب رعايتهم وتربيتهم ، ويغلب أن يشبوا شواذّ غير متزنين ؟ » .

وقد جاء تسعون فى المائة من الإجابات بالإيجاب ، وكانت لحسن الحظ جميعاً خاطئة . فقد أثبت العلم حقيقة مشجعة لها مغزاها العظيم ، وهى أنه كلما ارتقى ذكاء الإنسان ارتقت أخلاقه تبعاً لذلك .

وقد جعلت شغلى الشاغل أن أسأل أولئك الذين يعتقدون أن الذكاء المتوقد وضعة الأخلاق متلازمان ، أن يذكروا أسماء من كانت تلك صفاتهم بين ثلاثمائة من النوابغ خلال القرون الأربعة الأخيرة .

درست صلة الأخلاق بالذكاء فى أكثر من ٣٠٠ جماعة من الناس ، وعسى أن تكون النتائج التى أسفرت عنها المقارنة بين مئات من الألوف مما يدهشك .

فبعد أن أشاروا إلى نابليون وشوبان وجورج صاند ولورد بيرون وإدجار ألان بو وميكيافيللى ورابيليه ، وناقشوا عدة أسماء أخرى ، نفدت جعبتهم وتولتهم الدهشة لعجزهم عن تأييد ما تصوروه قبلا من التبذل بين العظماء .

وقد ثبت علمياً ، بعد إجراء نيف وثلاثمائة بحث ، أن الذكاء والأخلاق يميلان إلى التمشى معاً .

وقد شمل أحد هذه الأبحاث ستمائة طفل اختارهم الأستاذ لويس ترمان وزملاؤه بجامعة استانفورد بكاليفورنيا ، ولم يكن الباحثون يعلمون شيئاً عن أخلاقهم ، وكان الأطفال جميعاً ممن حازوا مئة وأربعين درجة أو أكثر فى اختبار الذكاء المعروف باسم استانفورد — بينيه (متوسط درجة الذكاء فى هذا الاختبار مئة) ووضع لهم

الأستاذ ترمان عدة اختبارات للكشف عن ميولهم الخلقية .

في أحد هذه الاختبارات رسمت خمس دوائر صغيرة حول حافة دائرة قطرها خمس بوصات ، وطلب إلى كل طفل أن يدير يده حول الدائرة الكبرى وهو مغمض عينيه ، ثم يؤشر بالقلم الرصاص بعلامة داخل كل دائرة من الدوائر الصغرى . وكانت التجارب التي أجريت فعلا قد دلت على أن احتمال إصابة الدوائر الخمس جميعاً ، دون استراق النظر ، لا يعدو مرة واحدة في كل بضعة آلاف مرة . وهذا اختبار موفق للأمانة الشخصية ، وقوة الإرادة ، وضبط النفس وهي صفات خلقية هامة .

وقد قورنت نتائج هذه الاختبارات بمثيلاتها مما حصل عليه خمسمئة طفل ، كانت نتيجة اختبار ذكائهم مئة فقط ، فكانت نسبة إصابة هؤلاء الأطفال لمواقع الدوائر الصغيرة أعلى كثيراً من نسبة الفريق الأول . وهذا يدل دلالة واضحة على أن أصحاب الذكاء المتوسط من هؤلاء الأطفال غشوا أكثر ممن يبزونهم نجابة وذكاء .

وفي اختبار آخر طلب إلى الأطفال أن يؤشروا بعلامة أمام أسماء الكتب التي قرأوها من قائمة دوّن فيها خمسون اسماً ، بينها عشرون اسماً مختلقاً لكتب لا وجود لها . وقد اتضح من هذا الاختبار أن عدد من كذب من النجباء أقل كثيراً من غيرهم .

ولعل السبب الأكبر في أن الذكاء والخلق الحميد يتمشيان معاً في أغلب الأحيان هو أن الأذكياء من الناس يعلمون أن الخلق الحميد هو الخلق الذي يدعو إليه العقل السليم وأنه يؤدي إلى خير النتائج . إن جميع القوانين الأخلاقية والدينية لا تعدو كونها بياناً لما وفق إليه الحكماء من حاول لمشاكل الحياة . وعلى قدر ما يعلو ذكاء الإنسان يزداد يقيناً بأنه يستطيع أن يبلغ ما يريد في الحياة بالأمانة والنزاهة لا بالغش والبهتان ، وبقيامه بواجباته نحو المجتمع لا بتنصله منها .

وقد أيدت التجارب التي أجراها الأستاذ ترمان صحة ذلك ، فقد حصل الستمئة طفل من الموهوبين على درجات أعلى من الخمسمئة طفل غير الموهوبين في جميع الاختبارات الخلقية . واتضح أيضاً أن كبار الأطفال في كل من المجموعتين حصلوا على درجات أعلى من درجات الذين دونهم سناً ، فمعظمهم الأطفال تصلح أخلاقهم وفقاً لتقدم سنهم ، إذ أن ازدياد الذكاء يفضي إلى بصر أدق وحكم أصوب في الأمور . ومن المكتشفات الموفقة التي أفضى إليها بحث ترمان وأعظمها فائدة من الوجهة العلمية ، ما اتضح من أنه يمكن

تبين الأولاد والبنات الذين يحتمل أن يشبوا شواذ قبل أن ينساقوا إلى الشر فعلا .

ويستطيع العالم النفسى الحصيف أن يبذل خير عون لآباء الشواذ من الأطفال ، فإن الطفل لم يصر إلى هذه الحال إلا لحاجته — وقد أشكل عليها الأمر واختلط — إلى ذكاء أعلى من ذكائه يبين له سواء السبيل يسير فيه . وقد أظهرت الاختبارات أنه كلما ازداد ذكاء الطفل سهل على والديه ومدرسيه أن يعلموه ما يجب أن يفعله .

وفى بحث علمى آخر لتبين علاقة الذكاء بالأخلاق وضع الباحثون اختبارين مثاليين للذكاء لمئة ألف ومئة وثلاثة وخمسين طالباً من طلبة السنة الخامسة بمدارس نيويورك الحكومية ، وقد حلل مستر ج . ب . مالر الأستاذ بكلية المعلمين بجامعة كولومبيا نتائج هذين الاختبارين ، فاستبان أنه يستطيع أن يتنبأ من درجات الذكاء التى حصلوا عليها ، بمعدل التخلف والإجرام بين الصغار فى كل قسم من المئتين وسبعين قسما فى المدينة ، كما يمكنه أن ينبئ بدرجات الذكاء من معدل التخلف والإجرام بين الصغار . فهل ثمة دليل أدل من ذلك على أن الذكاء والأخلاق متلازمان ؟

وفى تجربة ثالثة وضع الباحثون اختبارات لامتحان السلوك الخلقى السليم والذكاء فى عشرة آلاف وستمئة وخمسة وثمانين تلميذاً بنيويورك ، وقياس ميلهم إلى الكذب والغش والسرقة . وكانت هذه الاختبارات تتيح اثنتين وعشرين فرصة للغش ، وستاً وأربعين فرصة للكذب ، وفرصتين لسرقة نقود ، وفرصة واحدة لسرقة أشياء صغيرة . ففى إحدى هذه الاختبارات دوّن الأولاد إجاباتهم على الأسئلة دون أن يفطنوا إلى أن هناك صورة كربونية مستورة تحت ورقة الإجابة . وبعد أن استبعدت هذه الصورة دون علمهم أعطى كل منهم ورقة بها الأجوبة الصحيحة ، وطلب إليهم أن يدونوا الأخطاء التى وقعوا فيها ، وخرج الممتحن عند ذلك من الغرفة وكان من السهل بعدئذ كشف الذين محوا الإجابات الخاطئة وأثبتوا إجابات صحيحة بدلا منها .

كذلك أعطى الأطفال أحجية لحلها بواسطة ترتيب قطع من النقود فى صندوق من الورق القوى ، وإذ كانت الصناديق خلواً من أسماء الممتحنين ، فقد يحسب الطفل أن ليس ثمة ما يستدل به عليه إذا هو استحوذ على بعض قطع من تلك النقود . على أن كل صندوق كان موسوماً بطريقة خفية ، وكان من السهل اكتشاف من ليس أميناً من الأطفال .

وقد جاء فى تقرير الباحثين الذين خضعوا

نتائج هـذه الاختبارات أن الأمانة متصلة بالذكاء قطعاً ، وأن النجباء من الأطفال أقل غشاً بلا مراء .

وأيدت مئات من المباحث الخلقية الأخرى هذا الحكم ، وكان بينها اختبار وضع لطلبة ٢٨ كلية، فثبت أن الذكاء والأخلاق متصلان اتصالا وثيقاً فى الطبيعة البشرية .

ومع أننا لم نصل بعد إلى معرفة القواعد الصحيحة لبناء الأخلاق ، فإن ما جنيناه من علم من هذه الأبحاث يجب أن يكون حافزاً مشجعاً لنا على المضى فى هذا السبيل، فما من شئ يفضى إلى رفع مستوى الذكاء إلا وهو مفض دون شك إلى تحسين الأخـلاق .

وبالرغم من أن الذكاء والأخلاق يبدوان وراثيين إلى حد ما ، ويغلب أن تتصف بهما أسر معينة ، فإن فى مكنتنا أن نبسط للذكاء آفاقاً واسعة عن طريق التعليم ، وأن نحسن الأخلاق بالوعظ والمران والإرشاد .

إن أعظم مجهود يمكن أن يبذله الفكر الإنسانى هو العمل على ترقية فنون التعليم وتقدمها مما يجعل بناء الأخلاق علماً مكيناً ثابت الأركان كعلم صناعة الفولاذ .

الادخار للشيخوخة فى سن التسعين

لما بلغ أوليفروند هولمز التسعين من عمره — وكان قد أحيـل إلى المعاش من منصب عضو فى المحكمة العليا — قطع الكنجرس معاشه . فلما بلغه ذلك قال وهو يغمز بعينه : « لقد كنت دائماً رجلا حسن التدبير ، فلن يؤذينى قطع معاشى . ولـكنه يؤسفنى أن لا أستطيع أن أمضى فى ادخار مثل ما كنت أدخره لشيخوختى ! ! » . [دروبيرسون وروبرت اللن]

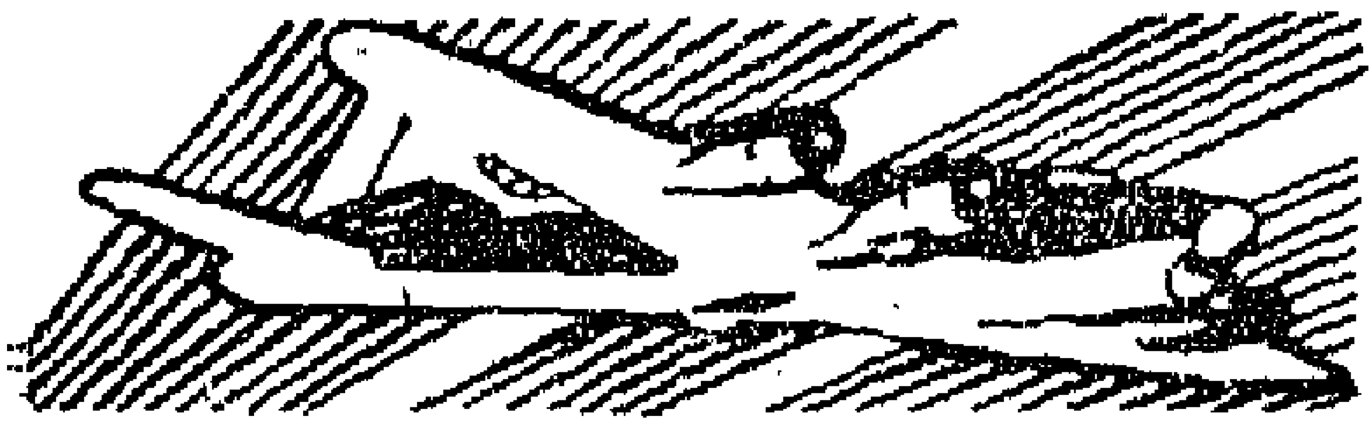
☆ ☆ ☆

خير ما ترد به على كلام سقيم ، أن تدعه يستمر . [سدنى سميث]

الرجل الحاذق يقول للمرأة إنه يفهمها ، والغبى يحاول أن يثبت ذلك .

إن تقلب النساء اللواتى أحبهن لا يضارعه إلا سعير وفاء اللواتى يحببنى [برنارد شو]

تجارب القتال فوق فلوريدا



فرنسيس فيفيان دريك • ملخصة عن مجلة « ذى اميريكان لجيون »

أول بيان عن مركز سرى للتجارب « التكتيكية » تحل بها القوات الجوية الأمريكية مشكلات ، فيها الحد بين الموت والحياة ، لرجال سلاح الطيارات وراء البحار :

أوغلت القوة القاذفة فى جو ألمانيا ، قوامها « قلاع طائرة » ضخمة وطائرات « ليبريتور » ، وكانت محلقة على ٢٤٫٠٠٠ قدم ، وعلى وجوه رجالها أقنعة الأكسجين ، وفوقها سقف نسجته آثار بخارية مفزعة ، خلفتها وراءها طائرات الحراسة من طراز « ثندربولت » و « لايتننج » . وها هى ذى كادت تصبح على مرأى من أهدافها — مصانع يجب على النازيين أن ينقذوها ، إن أرادوا الاحتفاظ بما يكفيهم من سلاح لمقاومة غزو الحلفاء .

وفجأة انطلق من السماء أمام المغيرات ، سلاح الطيران الألمانى ، فصدم أسرابها بمطاردات حشدت من أوربا جميعها . وهو يطالع المغيرين اليوم بحيلة جديدة مباغتة معقدة النظام . فتهجم موجة المطاردات الألمانية العليا على الطائرات التى تحرس القاذفات ، وتنقض الثانية على القاذفات من أمام ومن فوق ، وفى الوقت نفسه تقترب الموجة الثالثة — وهى طائرات من حاملات الشهب — كأنها كتائب المشاة ، ثم تنحرف فى اللحظة الأخيرة ، وتلتف وهى نصب الشهب متلاحقة على القاذفات .

وليست هذه الحركة جديدة فحسب ، بل إنها أيضاً سريعة شديدة الفتك ، فما أن انقضى الوقت اللازم لتدمير المصانع النازية حتى كان الحلفاء قد خسروا ٦٠ قاذفة ضخمة ورجالها الستمئة المدربين ، لأن تنظيم أسرابهم لم يكن قد أعدّ لمواجهة هذا الضرب الجديد من الهجوم .

فلا بد من تدبير خطة مضادة ، تلوذ بها القاذفات فى المستقبل . ولكن هذا التدبير لا يجب أن يقع على عاتق الجماعات المحاربة ، التى أنهكتها المعارك ، فهى أحوج إلى الراحة منها إلى التجارب فى وقت الفراغ .. فلما أقبل المساء كان طياران من قواد القلاع الطائرة فوق المحيط الأطلسى ، منطلقين إلى مركز الدراسات التكتيكية للسلاح الجوى الأمريكى فى ولاية فلوريدا .

هناك فى ذاك المكان العجيب ، احتشدت

زمرة من المقاتلين المحترفين ، ذوى الحيلة الواسعة ، ومهمتهم أن يبذوا العدو ، أينما كان ، فى التفكير ودقة الحدس ، وحسن تصميم الطائرات ، وإحكام أساليب القتال ، وتأتمر بأوامرهم قوة جوية كاملة مزودة بكل ما يخطر بالبال من وسائل القتال الجوى .

ولا تكاد تطرأ أزمة على أساليب القتال فى ميدان ما ، أين كان ، حتى يكون خبراء هذا المركز جادين فى البحث عن الحل الموفق مع شهود عيان نقلوا طائرين من مكان الحادث . والطريقة التى توصلوا بها إلى التغلب على الأساليب الألمانية الجديدة تصور ما لهذا المركز الدراسى من شأن عظيم فى ميادين الحرب المحرجة الحال .

فلم تكد تنقضى أربع وعشرون ساعة منذ أنفذ سلاح الطيران الألمانى خطته المفاجئة ، حتى هبط قائدا القلاع فى فلوريدا ، وأقبلا يشرحان شرحاً مفصلا دقيقاً المعركة التى دارت فوق ألمانيا فى اليوم السابق . نخطت أوامر العمليات فى نفس الليلة ، وتسلمت أسراب القذف التابعة للمركز الدراسى ، فى الصباح التالى ، نسخة دقيقة من الأوامر التى صدرت منذ ٤٨ ساعة إلى زملائهم فى إنجلترا .

وأنشأت أسراب من المطاردات ، الموزعة على الطريق المرسوم للقاذفات ، تتدرب على محاكاة هجوم الطائرات الألمانية فى كل صغيرة وكبيرة .

وتنطلق القاذفات ثم تهاجمها مطاردات « الأعداء » . فيعاد تمثيل جميع الأساليب التى لجأ إليها الطرفان فى المعركة فعلا ، بينما تسجل آلات التصوير السينمائى ، التابعة لسلاح الجو ، كل حركة . ويتتبع قائد مركز الدراسات التكتيكية جميع مراحل القتال ، خلال تطورها .

وحين تنتهى المعركة الصورية يبدأ بحثها فيقتل المشكل بحثاً وتجربة من كل ناحية ، حيناً فى غرف العرض السينمائى ، وأحياناً فى أعالى الجو الشاحبة ، حيث تنتقل القاذفات فى أناة وصبر من تشكيل إلى آخر ، كأنها فيلة تقوم بحركات شاذة غريبة ، فيها الحد بين النصر أو الهزيمة فى القتال الجوى .

وإنه لعمل سريع خطر ، إذ تفوق السرعة النسبية ، بين القاذفات وطائرات « الثندربولت » و « المستانج » المتدفقات عليها ، ٧٠٠ ميل فى الساعة . وأحياناً يقتحم صفوف القاذفات سرب من المطاردات فتمرق طائراته بين أطراف أجنحة القلاع المتقاربة ، فلا تنجو بنفسها إلا بالميل على أجنابها ميلا عموديا .

ثم يقعون أخيراً على الحل الموفق ،

إذ ينشئون تشكيلا جديدا لأسراب القاذفات ، فتستطيع التغلب على هجوم المطاردات المعادية بغلالة من النيران تسدّدها مدافع التمرين — « أجهزة التصوير » . فيبرق بذاك الحل إلى إنجلترا ، فيراجع ويفحص ويعاد فحصه قبل امتحانه فى المعركة الفعلية . فيباغت سلاح الطيران الألمانى فى اليوم التالى مباغتة باهظة التكاليف .

ويعد ما سبق نموذجاً لما يلجأ إليه هذا المركز الدراسى من أساليب للتغلب على المشاكل التى تحال عليه من جميع ميادين الحرب ، فقد شيّد المهندسون ، فى أقاصى ساحات القذف التابعة لذاك المركز ، نموذجاً كاملا لمصاطب اليابانيين فى « تراوا » ، وهى التى أنزلت بمشاة أمريكا البحريين أفدح خسارة نزلت بفيلق البحارة فى هذه الحرب . وأعاد الخبراء تمثيل كل حركة جرت أثناء ذلك الزحف الباسل ، حتى يتوصلوا إلى خفض الخسارة فى المعارك التالية . وتوالت على تلك الأهداف المستعصية ، يوما بعد يوم ، القاذفات الثقيلة والمتوسطة والمنقضة ، تمطرها أمزجة مختلفة من القنابل المتفجرة والمحرقة ، وقد نقل مدفعيو الطائرات وضباط الجيش البرى ، مباشرة من ميدان المحيط الهادى ، لإشعال هذا الجحيم تأهبا للغزوات المقبلة فى جزائر المحيط .

وقد أسفر هذا النظام عن نتائج باهرة . فقد بلغت خسارة الأمريكيين عند بدء النزول فى جزر جلبرت ٤٠٠٠ بين قتيل وجريح ، ولكنها لم تتعدّ ٢٨٦ قتيلا و١١٤٨ جريحاً فى غزو جزر مرشال جميعاً .

وقد أجريت التجارب الخاصة بغزو صقلية على شواطئ أعدت فى هذا المركز . وعلى مقربة منها ابتكرت أساليب القذف من ارتفاع منخفض ، وهى التى أنزلت باليابان كارثة بحر بسمرك ، حين خسرت ٢٢ سفينة و٥٥ طائرة و١٥٠٠٠ رجل ، مقابل ثلاث فقط من طائرات الحلفاء .

وحين قر رأى القيادة العليا فى وشنطن على ضرورة تدمير أحد مصانع الألمنيوم الحيوية فى ألمانيا ، انبرت أسراب القذف التابعة لذلك المركز لاستنباط الأسلوب الأوفق لهذا الهجوم ، واستخدمت مصانع الألمنيوم الأمريكية ، التى يقع بعضها على ١٠٠٠ ميل من هذا المركز ، أهدافاً لغارات شنتها قلاع طائرة وطائرات ليبريتور ، وكانت مزودة بأجهزة غاية فى البراعة ، فسجلت إصابات مباشرة على أماكن فى المصانع ، لو أصابتها القنابل الكبيرة الحقيقية ، لدمرت.

وكان موظفو شركات الألمنيوم المهاجمة يتقدمون ، بعد كل تجربة ، بمقترحات تعين

على إحكام التدمير ، فلما اكتملت الخطة وجربت ، نقل رؤساء المدفعين المتمرسين إلى انجلترا . وبعد شهر امحى أعظم مصانع الألمنيوم فى أوربا .

يشغل مركز الدراسات التكتيكية لسلاح الجو الأمريكى واثنان وعشرون مطاراً ملحقة به ، بقعة تكاد تعادل صقلية فى مساحتها . وهو يضطلع ببحث مشكلات القتال وتجربة الآراء الجديدة فى القتال الجوى . ويقوم هذا المركز ، خلال تجاربه جميعاً ، بتدريب جماعات متتالية من الطيارين يندمجون طيلة إقامتهم ، فى قوته الجوية التجريبية ، فجميع قواد الجماعات المحاربة فى الولايات المتحدة ، يرسلون مقدمى رجالهم إلى هذا المركز ، فيتولى صقلهم قبل سفرهم إلى الخارج ، فيوضح لهم ، فى أحوال مطابقة للواقع ، أحدث ما طرأ على أساليب استخدام المدافع الجوية ، وآخر وجه من وجوه الإتقان فى منظار تسديد القنابل ، وأبرع الخطط فى توجيه الطائرات إلى الأهداف . فالخبرة التى كانت حتى السنة الماضية ، تكلف أرواحاً ثمينة ولا تكسب إلا فى دقائق القتال الصاخبة ، صار الشبان يظفرون بها الآن بالعمل الشاق وحسب .

وتقوم جماعات القوة الجوية التجريبية برحلات طويلة عبر البحر الكاريبى ، إلى المكسيك أحيانا وإلى جنوب أمريكا أحياناً أخر . وقد تهبط فى شقة فضاء وسط الأدغال فتتزود بالوقود من براميل الصلب ، ثم ينام رجالها داخل الطائرات لينطلقوا بها فى الصباح التالى ، كأنهم فى جنوب غربى المحيط الهادى تماماً . أما مقامهم فى قواعدهم الأصلية ففى الخيام التى مُوِّهت معالمها ، أو فى جحور منتثرة فى غابات فلوريدا الوسطى ، فلا ترى من الجو .

وقوادهم لا يعبأون كثيراً بالتكلف الرسمى ، فإنك لا تجد هذا الشاب ، الذى وقف يخط رسماً بيانيا على الأرض لجماعة كلها آذان صاغية ، قد عقد رباطاً حول عنقه . إن قميصه مفتوح عند العنق ويلوح أنه نسى أن يحلق فى الصباح . ولو لم تره فى مقر القيادة ، وعلى صدره ثلاثة خطوط من شرط القتال يعلوها وسام الكونجرس للشرف ، لما عامت أنه أسقط عدداً وفيراً من طائرات « زيرو » ، وأغرق كثيراً من السفن الحربية ، واشترك فى معارك عديدة .

يقع ميدان القذف الجوى الرئيسى لمركز الدراسات التكتيكية الجوية على ٢٠ ميلا من أقرب قرية ، ويُثنى الراغبون عن زيارته ويعد كل محوم حوله ، يابانيا أو ألمانيا ، والحراس يطلقون النار قبل استطلاع بينة الأمر .

« تهاجم » مهابط القاذفات والمقاتلات التابعة لهذا المركز ، مهاجمة مستمرة من جماعات القاذفات التي في جنوب شبرقي الولايات المتحدة . فليس للراحة طعم هناك ، وقد سمع أحد المحنكين ، المتمرسين بالقتال الجوى في أوربا وهو يقول : إنه يود لو عاد إلى جبهة القتال فينعم بالهدوء قليلا .

ولما كان العمل الذى ينهض به هذا المركز مجدياً من الناحية العملية ، فقد أخذ نفوذه يتطرق إلى أعلى طبقات القيادة العسكرية ، فالتحق به عدد من ضباط هيئة أركان حرب الجيش والبحرية . وربما أصبح هـــذا الاختلاط أوفى أعمال هذا المركز فائدة ، إذ ما زالت إدارة السلاح الجوى الأمريكى فى قبضـــة ضباط « البسيطة » (من بريين وبحريين) . وإن تاريخ الحـــرب لينطوى على كثير من الفرص العظيمة التى أفلتت ، لأن هؤلاء الضباط عجزوا عن إدراك كنه القوة الجوية ، ولأن معارضهم لها نابعة من التفكير المحافظ الجامد .

وما من شك فى أن الحرب ستذهب بكثير من المؤسسات العسكرية مع غيرها من الذرائع التى اقتضتها ضرورات الحرب ، ولكن يغلب على الظن أن مركز الدراسات التكتيكية للســلاح الجوى لن يكون ذلك مصيره . فليس ثمـة ريب فى أنه سيصبح معهد أمريكا الحربى العظيم فى العصر المقبل ، والمركز المتحكم فى تنظيم الطيران وتطوره ، وهما عماد سلامة أمريكا فى عصر الطيران .



● « التحيـــة الرومانية » التى اخترعهـا دانتزيو وصارت الآن هى « التحية الألمانية » أيضاً ، مأخوذة من تمثال أو صورة . ولـكن دانتزيو نسى أن الرومانيين كانوا يتبادلون التحيـــة بالمصافحة ، وكان الأرقاء وحدهم هم الذين يرفعون اليد على نحو ما يفعل رعايا موسولينى وهتلر .

[الـكونت كارلو سفورزا فى كتابه : « كتب فى الخارج »]

● يستوى عنـــدى أن أحرق وأن لا أحرق جسورى من ورائى ، لأنى لا أتقهقر أبداً .

[لاجوارديا محافظ مدينة نيويورك]

لم يكن بوسكويه ، وقدماه مثبتتان فى أرضه ، أسير أحد

أسعد الناس

لويس بروفيلد



كان أسعد رجل عرفته عامل فرنسى فى منتصف العمر اسمه «بوسكويه» عشنا متجاورين ١٥ عاماً فى أطراف باريس حيث كان بوسكويه يملك بيتاً وفدانين من الأرض ، وكنت أملك مزرعة صغيرة .

كان بوسكويه صانعاً ميكانيكياً ماهراً يتقاضى من الأجر نصف ما يتقاضاه العامل الأمريكى ، وكان يركب فى غدوه ورواحه من عمله سيارة مضى عليها ثمانى سنين ، يتعهدها بالإصلاح ويعيد بناءها حيناً بعد حين . ولم يكن ثمة ما يغريه بالسكنى فى منازل العمال ، حتى فى النموذجى منها ، فى ضواحى باريس . فقد كان يقول إنها لا تصلح إلا لفاترى الهمة قصار الباع . فهو يريد قطعة من الأرض يملكها ، ويود أن «يثبت قدميه فى ترابها» .

وكان بوسكويه يزرع فى هذين الفدانين كل ما تحتاج إليه أسرته من الغذاء . كان عنده كل نوع من الخضر ، حتى الخرشوف الذى فى زراعته مضيعة ، لاحتياجه إلى متسع كبير من الأرض ، ولكن بوسكويه كان يحب الخرشوف ويود أن يكون له منه ما يريد حين يريد ، دون أن يبذل فى شرائه مالا جهد فى كسبه . وكان لديه من الفاكهة الكمثرى والبرقوق والتفاح يجنى أكثرها من شجر قصير يغل محصولا كبيراً . وكان نبات الفراولة تحف بمسالك المزرعة من الجانبين ، ونبات الهليون (الأسبرج) يملأ رقعة كبيرة من الأرض .

وكان لبوسكويه عشرون دجاجة بيوضاً وديكة للأكل ، واثنتا عشر بطة ، وعدد من الأرانب البلچيكية السمينة ، كما كان له خنزير يغتذى فى الغالب بأطراف النباتات والفضلات ، وعنزتان تقتاتان طوال السنة من الطريق .

ولم يكن بوسكويه يشترى وقوده ، فقد كان على ميل واحد من غابة للحكومة ، وفى فرنسا قانون قديم يتناهى فى القدم إلى عصر الإقطاع ، يجعل للأهالى حق جمع ما يتراكم على أرض الغابة من خشب . فكان بوسكويه يخرج مع زوجه وأولاده ثلاث

مرات فى العام لينعموا طوال اليوم بنزهة فى الغابة، ويعودون فى المساء وعربتهم ملأى بالحشب، وقد تلهى الصغار بمشاهدة الوعول والخنازير البرية وبتسلق الأشجار والاستحمام

وبنى بوسكويه فى نهاية حديقته بيتاً صيفياً جميـــلا مزخرفاً ، يغطيه الكرم ونبات الكليماتس المتسلق. فكان يجلس فى رفقة له فى أمسيات الصيف الطويلة يحتسون النبيذ ويتحدثون فى السياسة، وكنا نسمعهم أحياناً يغنون على ما يوقعه بوسكويه من أنغام على معزفه اليدوى .

ولقد نزلت بفرنسا ضائقتان طال أمدهما بعض الطول، فاجتاحت إحداهما كثرة الطبقة المتوسطة ، بيد أن التعطل لم يقلق بال بوسكويه كثيراً ، فقد بلغ من ضمان العيش أعلى مرتبة ما يستطيع أن يبلغها إنسان . فهـذان الفدانان من الأرض يدران عليه غذاء وفيراً ، وأسرته تنعم بالدفء من خشب الغابة دون مقابل ، فكان حقا صاحب كل شىء يملكه ، وكان قد خبّأ بضعة فرنكات تحت وسادته ، وكان يكسب إذا تعطل عن العمل شيئاً من المال بأدائه عملا ما لجيرانه .

ولم يكن بوسكويه ممن يذهبون إلى المطاعم الشعبية ، أو ممن يصطفون صفوفاً للحصول على ما يمسك الرمق من الخبز ، أو ممن يتقاضون إعانة الحكومة للمتعطلين من العمال ، بل كان رجلا مسـتقلا يقف منتصباً على قدميه ، ويعول نفسه وأسرته ، ولم يكن أسيراً لأى إنسان .

ولعلك تقول إن حالة بوسكويه حالة استثنائية لا شأن لها ، على أنك تخطىء إذا حسبت ذلك ، فليست حالته بالاستثنائية فى فرنسا بل هو القاعدة العامة ، وله منزلة عظيمة فى اقتصاد فرنسا لأن أضرابه كثر . ففى فرنسا ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ عضو فى جمعيـــة الصناع والزراع ، وإلى هذه الجمعية ينتمى بوسكويه ، وهنـاك عدد عديد من صـغار الناس والمزارعين وأصحاب المتاجر والكتبة ينعمون بهذا اللون من الطمأنينة والأمان .

ولقـد شاهدت إبان الضائقـة الكبرى فى أمريكا ، صفوفاً من العمال المتعطلين تنتظم خمسة آلاف منهم فى انتظار الخبز . ورأيت ملايين العمال يعملون فى مشاريع الحكومة تنضح جباههم بالخجل ، ويتخذهم من هم أسـعد منهم حظا هدفاً لنكاتهم ، بيد أننى لم أر من هذا شيئاً حين حل الضيق بفرنسا ، ولم أر أثنـاء الضائقة أكثر من مائة عامل ينتظمون الصفوف فى انتظار الخـبز فى المنطقة الصناعيـة من باريس . ولم تـكن ثمة إعانة للمتعطلين ، أو مشاريع حكومية لتشغيل العمال .

على أن الضائقـة كانت أدنى إلى النزول

بفرنسا منها إلى النزول بأمريكا . ففرنسا لم تكد تنتهى من حرب أنهكت قواها ، حتى كانت تنفق ملايين الملايين على الجيش وعلى خط ماجينو ، وكانت ضرائبها كثيراً من الضرائب فى أمريكا .

أما أمريكا فبلد فسيح الأرجاء ، عظيم الموارد ، وكانت ضرائبها خفيفة وليس بها تضخم نقدى . وسيظهر التاريخ أن ضائقة أمريكا السوداء ، كانت نتيجة للمقامرة وقلة التبصر فى العواقب ، والحمق الاقتصادى القائم على رجاء الظفر بشىء من لا شىء .

وما رأيته فى فرنسا حدا بى إلى مقارنة بوسكويه بالعامل الأمريكى ، ولنسمه «جو براون» . إنه رجل طيب يكب على عمله ويبذل خير ما فى وسعه لإسعاد أطفاله . ولكن سبيله لم يكن ميسَّراً . نعم كان جو يتقاضى من الأجر ضعفى ما يتقاضاه بوسكويه أو ثلاثة أضعافه ، ولكن مايدفعه من أثمان وأجور كان ضعفى ما يدفعه بوسكويه أو ثلاثة أضعافه .

كان جو قبل الضائقة يعيش فى بيت مؤجر ، ويشترى جميع ما يحتاج إليه هو وأسرته من طعام . وكان له سيارة وأثاث وجهاز للراديو ، وآخر لغسل الملابس ، ولكن لم يك فى الحقيقة يملك منها شيئاً ، بل كان يدفع ثمنها أقساطاً . وكان جو لا يعيش على أجره فى الشهر الذى هو فيه ، بل على ما لم يكسبه بعد . وكثيراً ما كان يستيقظ فى الليل يتصبب العرق البارد من جسمه . خشية ما قد يحدث لأسرته إذا حرم عمله .

وفى ذات يوم وقع ما كان يخشاه ، ولم يكن من السهل اكتشاف السبب ، فلعل السوق اكتظت بما يؤجر جو لصنعه ، أو لعلّ الكثير من المصنوعات يباع تقسيطاً لمن لم يستطع توفية الأقساط ، فاستغنى عن جو . وليس الاستغناء عن رجل أو مئة أو ألف مما يفضى إلى ضائقة ، بل من المحتمل أنه لم يكن ليفضى إلى ذلك لو كان لجو براون ، كما كان لبوسكويه ، بيته الخاص وأرضه .

فإن جو لم يكن لديه ، حين استغنىَ عنه ، إيجار بيته للشهر التالى ، وقد ردت السيارة وجهاز الراديو إلى صاحبيهما . وسرعان ما اضطر جو ، حزيناً محسوراً ، إلى التماس غوث الحكومة .

قد تقول إن حالة جو حالة استثنائية لا شأن لها ، ولكنك تخطىء مرة أخرى إذا أنت قلت ذلك ، فإن لجو منزلة عالية فى اقتصاد الولايات المتحدة ، فمن أمثاله خلق كثير . وتأخذ الأشياء التى يردها جو ، وأضرابه من العمال ، أو التى لا يشترونها ، تزحم السوق وتسد منافذه فتوصد مصانع أخرى ابوابها ، ويأخذ عدد العمال العاطلين

يتزايد بسرعة مخيفة يمهد كل منهم للانهيار الأخير . وسرعان ما يغمر طوفان الضائقة موظفى المكاتب ثم البائع الذى اشترى منه جو وزملاؤه أجهزة الراديو .

وسرعان ما يجد كثير من الزراع أنهم لا يستطيعون بيع أغنامهم ، إذ لا يملك أحد مالا لشرائها . وحالة الزراع من الوجهة الاقتصادية ليست على الغالب خيراً من حالة الذين عجزوا عن شراء أغنامه ، فإنه كان يعيش مثلهم سنة مقدماً على مال مقترض . وبذلك يصير الهبوط اليسير فى السوق « تراخياً » ثم « انهياراً » يستحيل فى النهاية إلى « ضائقة مستحكمة » من النوع الذى كاد يودى بهذه الأمة .

ولم يكن الخطأ كله خطأ جو براون ، فإن قلة تبصره فى العواقب كان فى الأكثر خطأ هؤلاء الذين شددوا عليه الضغط لشراء ما لم يكن يستطيع دفع ثمنه ، مسترشدين بالمبدأ القائل : « إن رخاءك يزداد وفقاً لازدياد ما تنفقه » . والواقع أنه لم يكن فى الولايات المتحدة رخاء حقيقى طوال نصف القرن الماضى ، ولم يكن هنالك سوى رواج وهمى وضائقات جائحة . وهذا التقلب بين اليسر والعسر يودى حتى ببلد غنى كأمريكا .

ولن تبلغ دولة دمقراطيـة من الأمان مرتبـة أعلى من مرتبـة الأمان التى ينعم به أفرادها . فإذا لم يكن هنالك أمان اقتصادى للفرد ، لم يكن ثمت رخاء حقيقى للأمة . فقوانين الاقتصاد كقوانين الرياضة ثابتـة لا تتغير ، وليس هنـاك سبيل البتة للظفر بشىء من لا شىء . وإن الاقتصاديين الذين يحثون على الأخذ بطريقة الشراء بالأقساط يجارون فى خطأهم وخطرهم اقتصاديى الحكومة الذين يجهدون فى أن ينشئوا نظاماً اقتصاديا للانفاق العام لا يمكن أن ينتهى إلا إلى غاية واحدة هى : أن يعول ثلث السكان الثلثين الآخرين . وقد حدث ذلك فى روما فلحقها البوار .

تلقيت آخر كتاب من بوسكويه قبل أن يجتاح الألمان فرنسا جميعها ، وكان لا يزال يعيش فى بيته الصغير ، ويعمل فى المصنع ، وكان لديه ما يحتاج إليه من غذاء ، وقد كان له أمنه وطمأنينته ، ولم يعبأ النازيون بحديقته الصغيرة لأن ما يتمتع به من ضمان العيش كان أمراً تافهاً فى نظرهم . بيد أننا إذا ضاعفنا ذلك ملايين المرات ، كان ما يتمتع به بوسكويه من طمأنينة وأمان أمراً ليس بالتافه . وسيظل بوسكويه حيث هو حين ينسحب الألمان من بلاده ، وهو على ما عهدناه من أمنـه وطمأنينته ، وسيكون على أهبة للعمل مع مواطنيه على إعادة بناء بلاده ، لا أن يعيش على إعانة الحكومة للمتعطلين .



أربعة وثلاثون رجلاً وأنا

اليزابث فاولر
ملخصة عن مجلة «الأتلانتيك الشهرية»

انفصلنا عن القافلة ذات ليلة بعد مغادرة « سيرا ليونى » بأيام قلائل ، وكنت قد أحضرت معى على ظهر الباخرة أشغال الحبك ، فمضيت أواصلها فى الظلام . وكان الجو بالرغم من طراوته مثقلا بسحابة من الكآبة والجمود ، ولم يكن ثم من صوت سوى دقات الآلات الرتيبة ، وحفيف المياه التى نشق طريقنا فى وسطها فى رفق وهدوء ، بغير أن نراها .

وكانت عيناى تلقيان النظر الرفيق على أطباق الظلام الدامس ، حين شق الظلام وميض يبهر العين ، فكشف عن كل ما هنالك فى وضوح مروع . ودوى صوت الانفجار فى أذنى إذ انبطحت على ظهر الباخرة .

وقطع صوت القبطان أفكارى الشاردة وهو يصيح : « إنها هى ! »

ثم : « غادروا السفينة ! »

وتلمست طريقى إلى قمرتى ، والأنوار مطفأة ، وتناولت حزام النجاة المخصص لى من مكانه فوق قبضة الباب ، ثم مددت يدى لأتناول حقيبتى التى كانت ملأى بالحوائج الضرورية المعدة بدقة ، فعثرت عليها وإلى جانبها معطف الفرو مطوياً فى عناية . وسار كل شىء على نظام دقيق كالساعة : الخروج من الباب ، الانعطاف إلى الشمال ، السير حول الكوة ، التوجه إلى اليمين ، عشر خطوات بعد الكوة ، أربع عشرة درجة فوق السلم إلى زورق النجاة الأول ... غير أنه لم يكن ثم زورق ، بل ثغرة كبيرة فاغرة من الفراغ .

وأخذت تبرز من خلال البخار ودخان الطربيد الحاد الرائحة أشباح سود .

وصاح أحدهم : هل من ضوء مع أحدكم؟

فصحت وأنا أنبش باضطراب فى حقيبتى باحثة عن مصباحى الكهربائى :

نعم !

وقال أحدهم والمصباح يخطف من يدى : شاطرة !

ثم صاحوا : « هيا ، تعالوا ! »

ومضينا نحث الخطى نحو الباب الأيسر ، ورأينا من خلال القضبان زورقاً واحداً تحتنا على مسافة بعيدة ، وكان قد امتلأ فعلا بوجوه ناظرة إلى أعلى .

هيا اهبطى !

هكذا دوى الأمر فى أذنى . وانتزعت منى حقيبتى وطوّح بها إلى الزورق ، وحثثت نفسى إلى جانب السفينة متلمسة طريقى على شبكة النزول .

فلما هبطنا الزورق قطع أحد الضباط جميع الحبال ، وأخذنا نتجه رويداً رويداً إلى عرض البحر المتلاطم الأمواج .

وصاح أحدهم :

إن هنالك رجلا ...

وتبين من ضوء ملقى على السفينة أن على حاجزها الحديدى شخصاً .

وصاح أحدهم :

إنه القبطان .

وقفز القبطان من مكانه ، وسرعان ما وصل إلى جانبى ، مبللا لامعاً رشيق الحركة . وقال وهو يلهث : « ما كنت أظن أننى أستطيع الوصول » .

ثم جاء الطربيد الثانى ، فانشقت السفينة شطرين ، وارتفع مقدمها ومؤخرها وتقاربا لحظة — كأنهما راقصان يؤديان رقصة صعبة — ثم غرقا معاً . وهدر الماء مزغياً مزبداً ، وشبت النار فى الزيت على سطح البحر .

وراح القبطان فى مؤخرة السفينة يستعرضنا ويحصينا ، فكنا نعلن أسماءنا على حين يتولى الضباط الإحصاء . وكنا خمسة وثلاثين مخلوقاً بشريا مكتظين فى قارب طوله ٢٦ قدماً ، كأنما حشرنا حشراً فى قطار من قطارات النفق . . . أربعة وثلاثون رجلا وأنا !

وقرر القبطان أن نقف بالزورق حيث نحن ، سواد الليل وننتظر . ففعلنا ، وراح الزورق يتأرجح بنا كالجوزة الفارغة . وقد أصيب اثنان وثلاثون منا بدوار البحر وقاومته أنا طويلا ، ولكنى استسلمت آخر الأمر وتملكنى الدوار والقئ طيلة الليل .

كنت أرتدى ثوباً من الكتان ، كما كنت حافية القدمين . ولم يكن لدى مايقينى شدة البرد سوى سترة قرمزية قصيرة كنت قد فرغت أخيراً من حبكها . وتذكرت فى حنين شديد معطفى الذى تركته على ظهر الباخرة ، بينما كنت أجذب كمى التصيرين لتغطية ذراعى .

كنت قد قرأت فى بعض ما طالعت أن الشيطان نفسه هو الذى وضع تصميم زوارق النجاة ، وقد تبينت فى تلك الليلة مبلغ ما فى تلك الكلمة من الصدق . كانت المقاعد عالية لا نملك معها إلا أن ندلى أقدامنا ، وكانت سعة الزورق — على ضيقه — كافية لتمنعنا من تثبيت أقدامنا على الجانب الآخر حتى ولو انفسح المجال لذلك . وقد عانت أعصاب نخذى آلاماً مبرحة من

آثار الجهد الذى بذلته للتشبث بالحافة الضيقة التى كنت أجلس عليها .

ولم يكد يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، حتى تبينا مبلغ ما صرنا إليه من قذارة ، فقد تلوثنا جميعاً بزيت النخيل الذى كانت تحمله السفينة . وكان لونه الأصفر المخضر كريها كرائحته .

وفى خلال تلك الساعات القليلة الأولى من النهار كاد كل منا يستحى أن ينظر إلى الآخر ، فجلسنا — ننتظر ، على حين أخذ القارب يتأرجح فى عرض البحر تأرجحاً يورث الدوار ، ويتوثب من وقت إلى آخر كالكلب الهائج المربوط فى سلسلة . وراح الرجال يتذمرون : « ماذا ، وحق جهنم ، نحن منتظرون ! » .

وبعد أن ارتفعت الشمس فوق الأفق نادانى أحد الرجال من مؤخرة الزورق وقد أمسك برداء أعرفه جيداً مصنوع من قماش ذى مربعات زرق وبيض ، وقال : أى مسز فاولر ، هل نستطيع استعمال هذا ؟

وكان هذا أحد « فساتينى » وقد سقط فى الزورق بمعجزة حين طوح بحقيبتى من الباخرة .

فأجبته : طبعاً !

وتساءلت عجباً ماذا عسى أن يريدوا منه ، ثم تبينت أن الطاهى الزنجى كان تحت « الدش » حين حدث الانفجار ، ولم يشغل نفسه عندئذ بالبحث عن ملابسه .

وسرت موجة من الضحك الخافت عندما استطاع الطاهى أن يرتدى « فستانى » وكان طويلا فارعاً ، قوى البنية ، وكان منظر ذراعيه الضخمتين البارزتين من خلال الكمين القصيرين الرقيقين ، وعنقه الغليظة فى وسط « الياقة » المكشوفة الواسعة — منظراً عجيباً مثيراً للضحك والسخرية .

وأصدر القبطان أخيراً أوامره بنشر الشراع ، فملأته الريح ، ومضى الزورق يشق الماء .

وكان كل منا يُعطى فى الساعة العاشرة صباحاً وفى الخامسة من مساء كل يوم قطعة صغيرة من « الشوكولاته » لا تزيد على ثلاثة أرباع البوصة المربعة ، وقطعتين من « البسكويت » ، ومعهما شىء أثمن وأعز من هذا كله ، وهو نصيبنا من الماء ، ومقداره أوقيتان توزعان علينا بمكيال .

وكنت ، رغم تلهفى على نصيبى من الماء ، أجد من العسير على نفسى أن أشرب من ذلك القدح الخزفى القذر ، المشوه الملوث ، وكانت خيبة أملى كبيرة حين ذقت طعم الماء الآسن الفاتر . وقد حاولت أن أتجاهل

ما يطفو على سطحه من الشعر الأسود وقطع الزغب القاتمة .

وقد ترفقت بنـا الطبيعة فى ناحيـة واحـدة — إذ وقفت إحدى الوظائف الطبيعية وقوفاً يكاد يكون مطلقاً . وتناقل الجميع حكمة خلاصتها أن جرعة من المـاء الملح يمكن أن تؤدى عمل الشربة فى أى وقت . فعمد بعض الخـائفين إلى التجربة وأدرك النتيجة المطلوبة ، ولـكن معظمنا قنع بالانتظار ، بل إننـا تعلمنا كيف نحتمل عنـاء الاحتباس الذى كان يمزق أجسادنا تمزيقاً .

ولـكن عملية التبول ظلت على حالهـا . ولم يكد الدلو يظهر أول مرة حتى ضغطت على أسـنانى ونهيت نفسى عن السخف ، بيـد أن صوت ذلك الدلو يستعمله أربع وثلاثون رجلا كل منهم فى دوره ، كان شيئاً يكاد يتجاوز حد ما أحتمل .

أترانى مضطرة إلى اسـتعمال ذلك الدلو أنا أيضاً !

مستحيل . هذا أمر لا يكون ولا يجوز . وهكذا انصرفت عن الفـكرة وعن الرغبة جميعاً . ومرت على هذا النحو ساعات .

وما زلت كذلك حتى بلغت الحاجة حدا يهون إزاءه كل شيء . فلما انقضت المحنـة قلت لنفسى : إن الأمر لم يكن على قدر ما توهمت من الحرج . ولـكن الصراع ظل يتجدد فى كل مرة حتى خيل إلىّ أننى مت مئة مرة من الخجل والتعاسة .

وبعد أربعة أيام أو نحوها لاحت فى الجو طائرة ، فأمر القبطان بعـلم الإشارة أن يرفع على « الصارى » ، وكان علماً كبيراً مختارا من اللون الأصفر الفاقع الذى تبين أنه يفوق سائر الألوان ظهوراً للعين فوق سـطح المـاء ، ولـكنه كان علماً بالياً ، لا يزيد على بضع شرائط مهلهلة يعبث بها الهواء .

ورنت العيون فى حسرة إلى الطائرة وهى ترحل رويداً ثم تختفى عن الأنظار .

وبدرت بوادر المشاغبة فى مقدم الزورق وأخذت المشاحنات تظهر كالبثور القبيحة . وكان الازدحام يحـول دون التنفيس عن ثورة الشعور ، كما أننا كنا على مسافة من مقعد القبطان عند المؤخرة ، فلم يكن ثم مجال لـكثير من النظام ، إن كان قد بقى شيء منه .

وبدأت أدرك أن دبيباً من الغـيرة قد دب من أجلى ، وكان هذا من الحماقة بمكان فهأنذا بينهم — ملطخة بالزيت ، ذات شعر أشعث ، يتـدلى فوق عينى كحشائش البحر المبللة .

تحسست شعرى فوجدته خشناً من أثر الزيت وماء البحر ، وحاولت جهـدى أن أنسى كيف أعجب به أحد الناس أول ليـلة

خرجنا فيها معا . وكانت أظافرى مغطاة بطبقة كثيفة من الزيت الأسود تكتنفها من تحتها ومن حولها ، وكانت قدماى فى مثل هذه الحالة التعسة ، وإن كانتا أنظف قليلا بسبب انغماسهما فى الماء الراكد فى قاع الزورق ، وكانتا إلى ذلك قد تورمتا بعض التورّم .

ولكن أحد الرجال قبلنى فى الليلة السابقة ، وكان مجرد التفكير فى ذلك يثيرنى حنقاً ، بيد أنى لم أستطع أن أصنع أو أقول شيئاً ، فقد منعنى من ذلك تخوفى من إثارة شغب جديد .

وتواترت الأيام إلى غير نهاية ظاهرة ، وكنا أحياناً نستغرق فى شبه غيبوبة من شدة الفتور والظمأ ، ثم نوقظ أنفسنا من حين إلى آخر لنرقب ما يجرى فى الزورق من علائم الحياة ، أو لنتناول نصيبنا من الغذاء . حتى إذا كانت الساعات الأولى من إحدى الأمسيات ، شاهدنا فى غير اكتراث إصبعاً باهتاً من النور يعبر الأفق ثم يختفى عن البصر فى انتظام لم نفطن إلى ما وراءه .

ومع ذلك لم نستطع أن نتحول بأعيننا عنه ، ولم يجرؤ أحد منا أن يذكر معنى ذلك الصعود والهبوط بغير اختلاف . حتى إذا جن الليل تجسم الإصبع عموداً واضحاً ذهبياً راح يقطع علينا حبل التراخى والفتور . دَعه وشأنه . أجل ، إننا نراه ولكننا بخير . دعونا وشأننا . إننا على ما يرام . وماذا يهمنا إن كانت هذه منارة ، إننا نصدق ذلك . ثم ماذا ؟

ولما أسفر الصبح رأينا على امتداد الأفق خطاً فى حجم قلم الرصاص ، وكانت هذه قطعة من الأرض — بربادوس . على أن نصيبنا من الماء عند الساعة العاشرة كان أجلّ فى نظرنا من جميع الآمال البعيدة .

وجرّر النهار أذياله فى بطء وتثاقل . ولكنى أخذت أنظر إلى الأرض بشىء من العناية ، لقد بدأت الأكواخ والجدران والأشجار تبدو الآن للعيان ، وأخذنا نرى الموج يتكسر أمامنا على أرض الشاطىء .

وهبت علينا مع المغيب ريح عاصفة ، فاحتشدنا لنحتملها تحت جنح الليل ، ونسينا عندئذ تباشير الوصول إلى اليابسة .

وسمعنا مع الفجر هديراً مكتوماً عن بعد ، ثم أخذ يعلو حتى أصبح يصم الآذان . وأقبل علينا أحد الزوارق ، فأحسست بالغثيان لفرط تأثرى ، فأغمضت عينى . فبعد عشر ليال لم أسمع فيها صوتاً سوى الريح والأمواج ، كان لهذا الصوت الجديد سلطانه المؤثر الغلاب .

فلما فتحت عينى لم أجد سوى هدير قوى منبعث من أعماق زورق الطربيد المحاذى

لنا ، المشرف من علٍ علينا ، ومدافعه الرشاشة مسدّدة نحونا .

وأقبل يحيينا ضابط من البحرية البريطانية وردى اللون ، ذو سترة بيضاء تبهر العين ، ثم صاح الصائح :

المرأة أولا . . .

لم أجد فى نفسى دافعاً للحركة ، فقد كان بقائى جالسة فى مكانى أسهل كثيراً ، ولكنهم كانوا ينتظرون . وتحركت فى حذر كأننى من زجاج ، وهبطت من مقعدى إلى قاع الزورق ، وجررت نفسى جرا إلى مكان الصعود إلى قارب الطربيد ، ووقفت . كان يبدو لى أن ركبتى قد انفصلتا عن سائر جسمى ، وأن عقبىّ من هلام ، وقدمىّ ليستا منى . ووقفت أتأمل طول السلم المصنوع من الحبال — ست درجات .

واستحثنى أحدهم صائحاً فى أذنى بصبر نافد : هيا ! .

كان صعود ذلك السلم أسهل على فرس البحر منه علىّ ، ثم مد أحدهم ذراعه من أعلى الزورق الكبير قائلا :

أتستطيعين ؟ .

فأجبت بكل ما أوتيت من ثبات :

أجل . إننى على ما يرام .

ولم أكن قد لاحظت قبل ذلك مبلغ ما أصاب صوتى من خشونة وغلظ ، وخرجت الكلمات كنقيق الضفدع قياساً إلى صوته الرقيق . فلما بلغنا أخيراً غرفة السفينة سألنى الضابط :

ما رأيك فى شىء من الشاى وسيجارة ؟ عدّى نفسك فى بيتك تماماً .

ثم ذهب وبقيت وحدى .

وحدى ! جلست على حافة السرير ، وقد تجمدت على جسمى الأوساخ ، وأمسكت جيداً بطرفيه . وكان فى ركن من الغرفة حوض للغسيل ، فوقعت عيناى وأنا لا أكاد أصدق على الصنبورين اللذين يحملان كلمتى « ساخن » و « بارد » ، وكأنما عجزت عن تصور دلالة هاتين الكلمتين .

ورفعت يدى إلى خدى ، فوجدته قد جف . ونهضت لأنظر فى المرآة ، وكنت أتوقع أن أجد نفسى كالبرقوقة اليابسة ، فلم يخطئنى الظن كثيراً . كانت عيناى غائرتين فى محجريهما ، وقد حملق فىّ بياضهما الذى كان وحده الشىء النظيف فى جسمى .

وبعد فترة وجيزة أنزلنا إلى الشاطىء ، وقالت لى سيدة :

سأحضر لك شراباً ساخناً .

حاولت أن أذكر كيف يكون طعم الساخن فلم أستطع ، فاستعضت من ذلك بالتشبث بحافة الرصيف الطافى الذى كان يهتز اهتزازاً عنيفاً . وكنت أحس بالبرد ،

فكان محور وجودى ومستقبلى يدور حول التفكير فى حمام ساخن !

وأخرجت سيدة أخرى علبة «بودرة» ، فضحكت وأنا أذكر أى قناع يضفيه لونه الرقيق على بشرتى . وقدمت لى إصبع «الأحمر» ، فهززت رأسى معتذرة ، فقد كانت شفتاى مشققتين متورمتين .

كذبت السيدة فى عطف ورقة :

إن منظرك يبدو على ما يرام .

ولما نقلت أخيراً إلى بيت سيدة تدعى مسز هربرت كان الحمام جماع أحلامى — بما فيه من أدوات لامعة مغرية ، وحوضه الأخضر المملوء إلى قرابة حافته ، ومائه الفائض بسيل فيوحى صوته بالوفرة والكثرة . وقد عاونتنى مسز هربرت وأنا أدخل أمنية قلبى!

ولكن الماء كان بارداً كالثلج — فتراجعت بقدمى كالهرة الملسوعة ، ولفتنى مسز هربرت فى منشفة وانصرفت . وبقيت أنتظر على على حافة الحوض ، وعادت هى بأسرع مما كنت أؤمل ، ومعهما قدر من الماء ، ومن ورائها خادم باسمة من أهل الجزيرة تحمل إبريقاً ينبعث منه البخار ، وأفرغتا ماءهما فى الحوض البارد قبل أن أستوقفهما . ولم أكن بعد ذلك فى حاجة إلى أن ألمس الماء حتى أدرك أنه دافىء .

وقلت فى نفسى وأنا أستسلم لأفكارى :

إن الحياة فى الزورق لم تبلغ مبلغاً عظيما من المشقة والتعقيد . فلما نزلت إلى الحوض وجدت الحمام دون أمانىّ ، ولكننا بدأنا حينئذ نمزح بشأنه ، وذهب ما بى من جمود بفضل حرارة الاهتمام الذى أبدته صديقتاى الجديدتان . فلم يعد الحمام عندى غاية الغايات ومنتهى الآمال .

ولكى أعوض ما فاتنى أخذت ثلاثة حمامات متوالية ، وأصررت كذلك على أن أغسل شعرى . وكان ماء الحمام الثانى كدراً أسود كماء الأول ، وبدأت بعد الحمام الثالث أحس أننى بلغت حداً ما من النظافة . على أن التعب قد أخذ منى مأخذه فعدت لا أطلب فى النظافة مرتبة الكمال .

فلما تأهبت أخيراً لمغادرة الحمام قالت مسز هربرت فى عطف ورقة : «بعد هذه الحمامات كلها يجب أن تتمددى بعض الوقت» .

وأحسست بالدوار لفرط سرورى ، وهما تتقدمانى فى الممر إلى غرفة مظلمة بها فراش وثير يفتح ذراعيه مرحباً أحسن ترحيب ، وتسللت شاكرة بين الأغطية ، وغطست بين الأعماق المتموجة من حولى . وكان يخيل إلىّ أن النوم على الأرض أسلم وأدعى للاطمئنان ، ولكنى استطعت أن أتشبث جيداً بحافة الفراش ، مستعينة بتلك الصفات التى كسبناها خلال الأيام العشرة الخالية .



سادة ليليبت وسادتها

روبرت و. ماركس

ملخصة عن مجلة "ثاريتي"



پول دل ريو ، وعمره ٢٤ سنة ، شخص كامل التكوين ولكنه يبدو كأنما ننظر إليه بمنظار من الناحية التي تصغر بدلا من الناحية التي تكبر . وذلك أن دل ريو قزم ضئيل الجسم جدا لا يزيد طوله على ٢٣ بوصة ، ولا يتجاوز وزنه عشرين رطلا. وهو يمثل ظاهرة بيولوجية تحدث مرة في كل مليون ولادة . وفى أوربا وأمريكا اليوم نحو ٢٠٠٠ من هؤلاء القوم ، وكثير منهم يبلغ كسبه نحو ١٠٠ دولار أو ١٥٠ دولاراً فى الأسبوع من العمل فى الملاهى .

والأقزام يغضبون ممن يخلط بينهم وبين القماء . فإن القزم مستوى الخلق متناسب الأعضاء ، أما القمىء فإن رأسه وجذعه فى الحجم الطبيعى ، ولكن أطرافه قصيرة جدا.

ويقال إن ضآلة جرم القزم ترجع إلى خلل فى الغدة النخامية . وليس هناك فرق بينه وبين أى طفل آخر حين الولادة .

وكثيراً ما يخطىء الناس فيحسبون القزم طفلا ، وهذا يسبب له غير قليل من الضيق. وقد روت الكاتبة المعروفة إلزا مكسويل أنها كانت ذات مرة راكبة فى عربة بولمان ، وأخطأت إذ قدمت إلى قزم قطعة من الحلوى ، وقرصته فى خده مداعبة ، فأفهمها حانقاً محتداً أنه يشتغل فى صناعة الطائرات . فقالت له إلزا : « وماذا تفعل ؟ »

فوقف الرجل الصغير بطوله الكامل البالغ ثلاث أقدام وقال : « إن صناعتى الاحامة ، وفى وسعى أن أتسلق إلى مواضع فى قاذفة القنابل ، لايستطيع الضخام أن يصلوا إليها . وليس هذا من عبث الأطفال ياسيدتى ! » .

وحدث مرة أن فتاة حسناء كانت راكبة فى سيارة ركاب مزدحمة . فرأت بالقرب منها أحد هؤلاء ، واقفاً بين المقاعد ، وكان كلما مالت السيارة طوحت به ذات اليمين وذات

« ليليبت » اسم بلاد يسكنها قوم صغار الأجسام ، لفقه الكاتب جوناثان سويفت لكتابه « رحلات جليفر » . وفى العربية ألفاظ كثيرة لوصف صغار الأجسام ، فاستعمل القزم للقصير السوى الخلق والقمىء للصغير المشوه الخلق .

الشمال ، فأجلسته على ركبتيها كما تفعل الأم الحنون ، وأخذت تداعب خديه . فلم تلبث أن صرخت مرعوبة حين أخـــذ الرجل الصغير المقدام يرد على مداعبتها بمثلها .

وتكره جماعة الأقزام أن تعامل معاملة خاصة ، وتود دائماً أن ترقص مع الكبار ، وأن تأكل بالأدوات وفي الأطباق التي يستخدمها الناس . وكثير منهم يسوقون سياراتهم بأنفسهم بعد أن تضاف إلى المقعد وسادة خاصة ، وتمد أدوات ضغط الفرامل والبنزين وتغيير السرعة . وهم في العادة يتخذون أسرّة وفرشاً كاملة الحجم، ولكنهم ربما أطلعوا بعض الفضوليين على أثاث ضئيل الحجم قد اقتنوه لهذا الغرض خاصة . وفي بنسلفانيا امرأة فرنسية من الأقزام أرادت أن تزيد دخلها فأخذت تعرض على الزوار أثاثاً صغير الحجم ، جعلته في جانب من منزلها، على حين كانت تعيش هي وزوجها السوى الخلق في ناحيــة أخرى من المنزل ، حيث الأثاث من الحجم العادى .

والحيـاة الغرامية لهؤلاء القوم ، ليست بالحياة الهادئة ، فإنهم يصادفون ما يصادفه جميع الناس من صلات الحب وخيبة الآمال وآلام الغيرة ، إلى جانب الصعوبات الناشئة عن زواجهم بأشخاص كبار الخلق ، كما يحدث في كثير من الأحيان ، فإن ٤٠ ٪ منهم يتزوجون بأشخاص كبار .

وثمار هذا الزواج أطفال ينمون نمواً طبيعيا في أكثر الأحيان ، كباراً أسوياء الخلق ، ولا يعرف أن قزمة ولدت قزماً ! والحمـل عنـد هؤلاء الأمهات لا يخلو من الخطر ، وكثيراً ما تقتضى إجراء العمليـة القيصرية . ومع ذلك فإن مسز يوديث سكنر — وهي قزمة أمريكية لا يزيد طولها على ثلاث أقدام — قد ولدت ١٤ طفلا .

وجماعة الأقزام تأكل وتشرب مثل سائر الناس أو أكثر، والأكلة العادية في الفندق لا تشبعهم . وهم يفرطون في الشراب ، وبعض الأطباء يعزو هــذا إلى أن درجة التمثيــل الغذائي في أجسامهم عاليـة جدا . وإليها يرجع الفضل فيما يمتازون به من المناعة ضد الأمراض . وقد لوحظ أيضاً أنهم جميعاً لا يصابون — لسبب ما — بالصلع .

وأكثرهم يزداد طوله بضع بوصات بعد الثلاثين . وقد يستمر نمو بعضهم حتى يخرج تماماً من عالم الأقزام ، وطولهم في تقـدير أصحاب الملاهي يجب أن لا يتجاوز أربع أقدام وخمس بوصات . وهناك مثل شاذ عجيب وهو «إدي ويلموث» فقد كان وهو في الثامنة عشرة من عمره نجماً لامعاً في فريق من اللاعبين . وبعـد أن أصيب بمرض شديد أخذ جسمه ينمو . وهو اليوم، وسنه ٢٨ سنة، يزيد

طوله على ست أقدام .

وكثيراً ما يمتاز القزم بمواهب أخرى ، خلاف الظهور فى المسارح . فقد نبغ منهم أندريا ريتوشوف فى رسم المناظر الطبيعية . وكتب ويلى رول عدة مؤلفات علمية فضلا عن نبوغه فى « السحر » . وكارل فاوريان وهو من فينا ، قد برع فى العزف على الكمان وإدارة الأركسترا . وميكائيل ديفز ، رئيس المشرفين على منشآت الوقاية الجوية بلندن ، وطوله لا يزيد على متر واحد ، خبير فى البصريات .

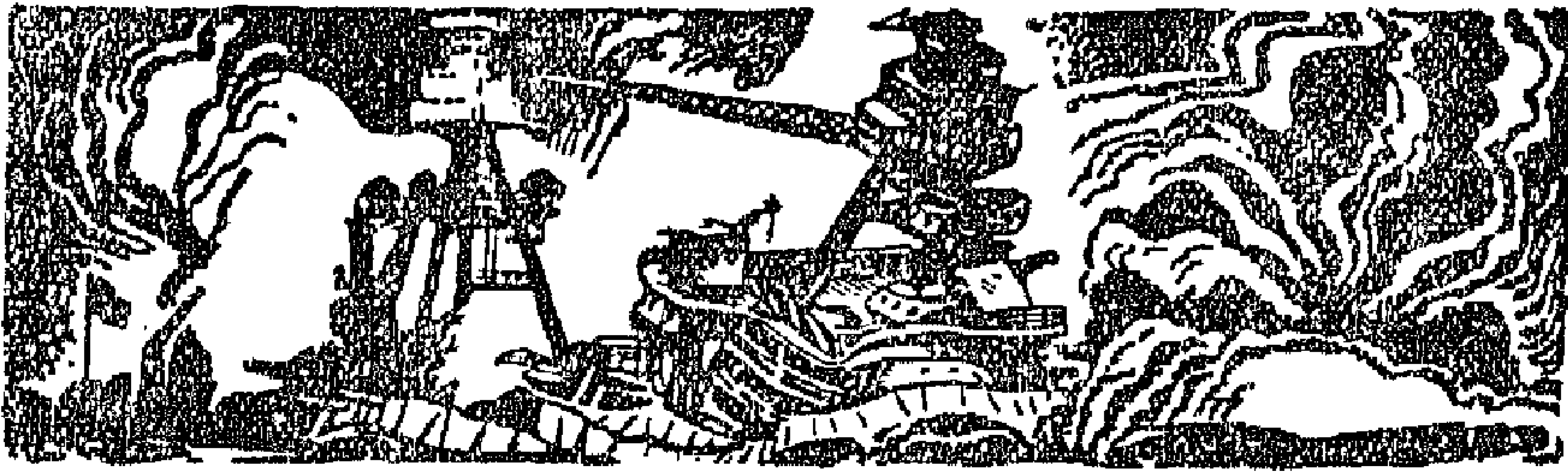
وأحب قزم إلى القلوب هو من غير شك تشارلز شروود ستراتون ، الذى أطلق عليه اسم « توم ثم » للتصغير ، وكان أبوه أمريكيا من المتطرفين فى التدين ، فعد مولد هذا الغلام دليلا على غضب الله . فأبقى الطفل المسكين محبوساً فى المنزل حتى أنقذه ب.ت. بارنوم ، وهو من أكبر أصحاب المعارض والمسارح . وقد رزق توم من الفكاهة والجاذبية ما مكنه من أسر القلوب فى أنحاء العالم . وكان يسرّ الملكة فكتوريا أن تتحدث إليه وهو جالس على كرسى صغير عند قدميها .

واشتهرت من هذه الطائفة جماعة تدعى باسم « أقزام سنجر » ، وكان السبب فى إنشائها ، جهود أب حنون أراد أن يدخل السرور على قلب ابنته المريضة . فقد أصيبت ابنة البارون ليوبولد فون سنجر ، من كبار أغنياء النمسا ، بشلل الأطفال فكان الوالد يروّح عنها وهى طريحة الفراش بأن يطالع لها كتاب « رحلات جليفر » . فقالت له مرة : « إن خير ما أشتهيه هو أن أرى شخصاً من طراز أهل ليليبت » .

فلم يلبث البارون أن استأجر قزمين ، وكلفهما أن يتجولا فى حدائق القصر . وكانت زوجته البارونة ممثلة قبل زواجها . فأخذت تدربهما على التمثيل . وكذلك تمكن البارون من أن يجمع أول فرقة تمثيلية فى التاريخ ، جميع أعضائها من الأقزام . ولم يلبث الأب والأم والبنت أن وجدوا أنفسهم يتولون إدارة عمل مسرحى عالمى الشهرة .

كان البارون يحب « صغاره » حبا صادقاً . فخصص لهم مرتبات سخية ، وتولى حمايتهم ضد عالم يسوده ضخام الأجسام . وأنشأ فى فينا مستعمرة للأقزام ، ذات حوانيت ودار للبريد ، ومجلس محلى ، وشرطة أفرادها من الأقزام . وحين شبت الحرب العالمية الأولى انتقلت الجماعة إلى لندن ، ومنها إلى الولايات المتحدة حيث مثلت فى كل ولاية . والأقزام فى أنحاء العالم يعترفون بالجميل للبارون سنجر ، الذى استطاع أن يقدمهم إلى الناس على أنهم أشخاص كرام ذوو مواهب ، بدلا من أن يعرضهم فى الملاعب والمعارض كأنهم كائنات شاذة مشوهة .

العسكريون الأمريكيون هم واضعو الخطة التي استخدمها اليابانيون في هجومهم الغادر .



خفايا قصة بيرل هاربور

ادوين مولر

هجوم اليابانيين على قاعدة «بيرل هاربور» — كما يعلم الجميع — على خطة رسمت بتفصيل ودهاء عظيمين، ولكن قلما يعلم أحد خارج بحرية الولايات المتحدة أن تلك الخطة لم توضع في طوكيو بل في وشنطون عاصمة الولايات المتحدة نفسها، وأن الذين وضعوها هم أعضاء مجلس الخطط الحربية لبحرية الولايات المتحدة

ترجع القصة إلى شهر يناير من عام ١٩٣٢ حين احتشد في مياه المحيط الهادي نحو مئتي سفينة حربية أمريكية — ولعله أكبر حشد بحري جرى في المحيط الهادي حتى ذلك العهد — للقيام بمناورات غرضها امتحان منشآت الدفاع عن بيرل هاربور ، وكان الأسطول قد قسم قسمين — أحدهما للهجوم والآخر للدفاع بمعونة الحامية البرية.

وأحدث القسم المهاجم من الأسطول يومئذ انقلاباً عظيما في خطط الحروب البحرية، فإن سفينتين من حاملات الطائرات «ساراتوجا» و «لكسنجتون» خلفتا وراءهما رفيقاتهما من البوارج والطرادات ، وانطلقتا تشقان شرق المحيط الهادي تحرسهما أربع مدمرات . وكان الأميرال «يارنل» نفسه على ظهر حاملة الطائرات ساراتوجا (بدلا من أن يكون على ظهر بارجة) يقود فصيلة جديدة من القوة البحرية تؤلف وتندب للقيام بمهمة خاصة . وكان الأميرال مشهوراً بأنه من الذين يؤمنون بقوة الطيران، وكثيراً ما طار بأسراب من الطائرات التابعة لقيادته — وهو أمر لم يكن مألوفاً في بحرية الولايات المتحدة في ذلك العهد ، فهو الآن يحاول تطبيق خطة الهجوم بطائرات مستندة إلى سفن ، على هدف كان يعرفه تمام المعرفة .

وكانت حصون بيرل هاربور قد أقيمت في الأصل لمواجهة هجوم من البحر ، وعهد يومئذ في الدفاع عن تلك الحصون إلى أسطول وقف يحمي المنافذ الموصلة إلى الجزائر ، وفصيلة من الغواصات في الميناء ،

وفرقة من الجنود على البر، وحشد كبير من المدافع الساحلية يسهل نقلها وتحويلها من جهة إلى جهة بقطرات وطرق أحكم إعدادها لذلك، وأقيم للميناء نظام من الدفاع الجوى يشمل مدافع مضادة للطائرات، ومئة طائرة من مقاتلات وقاذفات.

ووقع ما كان الأميرال يارنل يتمناه، إذ غامت السماء وتلبد الجو وهو على مسافة أربع وعشرين ساعة من جزيرة «أواهو»، مما جعل انكشاف أسطوله لأسطول الدفاع أمراً أقل احتمالا. وفى الواقع إن أسطولا مؤلفاً من حاملتى طائرات وأربع مدمرات هو أسطول صغير جدا تصعب رؤيته، ولا سيما إذا كان المدافعون يتوقعون هجوم أسطول عظيم. وفعلا لم ير أحد أسطول يارنل.

وفى فجر يوم السبت ٦ فبراير وصل أسطول الأميرال يارنل بعد جدّ السير إلى جزيرة أواهو، وكان ظن الأميرال أن الحماة سيكونون أقل تنبهاً فى صباح يوم الأحد مما يكونون عادة.

فلما أرخى الظلام سدوله انسل أسطوله مطفأ الأنوار، ممتنعاً عن إرسال الإشارات اللاسلكية، وتقدم بسرعة فى أمطار منهملة وسحب منخفضة ورياح تهب، وهى خير حالة جوية للاستتار عن أنظار المستكشفين. ولكن هل تستطيع الطائرات أن تطير؟ فالمدمرات كانت تغطس فى الماء حتى حواجزها، وحاملات الطائرات تمور موراً شديداً.

استبق الأميرال يارنل طائراته إلى ما قبل الفجر بنصف ساعة، وكان حينئذ على ستين ميلا من جزيرة أواهو، ثم انطلقت مئة واثنتان وخمسون طائرة فى الظلام الحالك، فكان انطلاقها من السفينتين المائرتين كأنه معجزة.

وقد وقع الهجوم الجوى الأول على بيرل هاربور من الشمال الشرقى، كما وقع الهجوم اليابانى الفتاك تماماً بعد ذلك بتسع سنوات. ففى أثناء معظم الشتاء تهب الرياح التجارية من الشمال الشرقى مثقلة بالماء، وتصطدم بسلسلة جبال «كولاو» التى يبلغ ارتفاعها ٢٨٠٠ قدم، فتسكب ماءها على سفوحها. وهذه الحالة تؤاتى الهجوم خير مؤاتاة، إذ تستطيع الطائرات أن تدنو محتجبة بالسحب الماطرة المتلبدة، ثم تبرز فجأة فى الجو الصافى فوق بيرل هاربور قبل أن تتمكن الطائرات المدافعة من التحليق فى الجو لمقابلتها.

وهذا ماوقع فى صباح يوم الأحد ٧ فبراير سنة ١٩٣٢، حين انطلقت المقاتلات وقاذفات القنابل والمنقضات وقاذفات الطربيد من سطح السفينتين ساراتوجا ولكسنجتون، ثم برزت من أطباق السحب فألفت أعظم قاعدة بحرية فى العالم منبسطة تحتها عاجزة

عن الدفاع . وكان لكل سرب من الطائرات مهمته ، فالمقاتلات أمطرت الطائرات الجاثمة على الأرض وابلا من مدافع سريعة وهمية ، ولم تستطع طائرة من طائرات الدفاع أن تحلق فى الجو أثناء الهجوم ، أما الأسراب الأخرى فقد ألقت قنابلها على المنشآت الحربيـة أو أغرقت جميع السفن التى كانت فى الميناء .

أحرز المهاجمون سيادة جوية تامة . ولو كانت جميع سفن الأسطول فى ذلك الميناء ، وكانت طائرات الأميرال يارنل تحمل قنابل حقيقية، لأغرقت أو أعطبت كل سفينة هنالك

ولا حاجة إلى القول إن بعض القوّاد الذين بحثوا نتائج الغارة لم يعلق شأناً كبيراً عليها ، بحجة أن نجاحها إنما يعود إلى عامل المفاجأة على الأكثر . نعم إن حماة بيرل هاربور كانوا فى يوم الأحد الذى وقعت فيه الغارة أقل يقظة من المعتاد — كما كان متوقعاً — ولكن من المحتمل أنهم لو كانوا أشد يقظة ، لما استطاعوا مقاومة الهجوم مقاومة فعالة .

وأراد بعض كبار القواد البحريين يومئذ أن يذهب شوطاً بعيـداً فى إعادة النظر فى جميع الأسس والمبادىء التى يقوم عليها الأسطول، فاقترحوا اقتراحاً يقلب الأوضاع القائمـة ، مؤداه أن الأسطول لا يجب أن يجعل جلّ اعتماده على البوارج تؤيدها القوة الجوية ، بل يجب أن يجعل جلّ اعتماده على القوة الجوية ، وأن تعد البوارج وغيرها من السفن التى تمخر سطح الماء عماداً ثانويا له . ومن دواعى الأسف أن هذا الاقتراح لم يؤبه له.

لم يؤبه له فى وشنطن ! على أن الاجتماع الذى عقد فى بيرل هاربور للمناقشة لم يكن الاجتماع الوحيد الخاص بتلك المناورات ، فالدوائر البحرية الأمريكية تعلم الآن أن اجتماعاً آخر عقد فى طوكيو بعيد ذلك .

فلما شنت الغارة الوهمية على بيرل هاربور كانت هيئة الجاسوسـية اليابانية المحكمة فى أواهو قد أوفدت مراقبين إلى جميع المواقع العالية فى الجزيرة ، وأعدت عذراً مقبولا لوجود كل منهم فى المكان الذى أوفد إليه . فكان فريق منهم يراقب الغارة فى غابة كثيفة مجاورة للميناء ، وكان فريق آخر فى زوارق صيد صغيرة على كثب من الساحل ، وكان فى « هنولولو » جواسيس يتسقطون الأخبار والأحاديث حيثما يجتمع رجال البحرية الأمريكية .

وبعد أن درست طوكيو المعلومات التى جمعتها دراسة دقيقة، جعلتها أساس سلسلة من « المناورات » السرية . وقد ثبت الآن أن الخبراء البحريين اليابانيين — كبعض قواد الأسطول الأمريكى — انتهوا إلى هـذه النتيجة : إن أهم سلاح للأسطول فى هذا

العصر هو القوة الجوية ، وإن جلّ اعتماد الأسطول يجب أن يكون على سلاح الطيران أكثر منه على السفن التي تمخر سطح الماء . فأعيد تنظيم الأسطول الياباني على أساس الدروس التي أبى قواد البوارج الأمريكية أن يستفيدوا منها . ثم إن اليابانيين أدركوا أنهم ظفروا بخطة بارعة عملية لتعطيل الجزء الأكبر من أسطول الولايات المتحدة . وقد نفذوا هذه الخطة في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١

وفي ٨ ديسمبر قرأ الضباط الأمريكيون الذين حلقوا بالطائرات في مناورات سنة ١٩٣٢ عن ظهر السفينتين ساراتوجا ولكسنجتون ، تفاصيل الغارة اليابانية على بيرل هاربور وفي نفوسهم حسرة ومرارة . إن اليابانيين فعلوا تماماً ما فعلوه هم قبل ذلك بتسع سنوات .

كانت مهمة اليابانيين في ٧ ديسمبر من بعض نواحيها أشق من المهمة التي قامت بها المغيرات الأمريكيات في أثناء «المناورات» ، فقد كان الدفاع أقوى من الوجهة النظرية ، والأجهزة الخاصة بتبين الطائرات المغيرة قبل وصولها ، قد ارتقت ارتقاء عظيما . ولكن ظهور الطائرات اليابانية كان مفاجأة عظيمة حين برزت من وراء السحب فوق جبال كولاو ، لأن الحماة كانوا غير يقظين . على أن مهمة اليابانيين كانت أسهل من نواح أخرى ، فقد كانت الطائرات الأمريكية محشودة في المطارات فسهل قذفها ، وكانت جميع بوارج الأسطول تقريباً في الميناء .

أما عدد الطائرات الذي استعمله اليابانيون فكان قريباً من عدد طائرات الأميرال يارنل ، وكانت خسارتهم معادلة تقريباً لخسارته (الوهمية) ، وكانت عاقبة غاراتهم مشابهة لعاقبة غارته .

إن مأساة « بيرل هاربور » قد قضت على جميع الخطط القديمة ، فقد اتفق أن جميع البوارج الأمريكية الكبرى كانت في ميناء بيرل هاربور في ٧ ديسمبر ، على حين لم يكن معها سفينة ما من حاملات الطائرات ، فقضت الضرورة بأن تحل حاملات الطائرات ، محل البوارج وأصبح أسطول « الحاملات » السلاح البحري الأساسي . وقد شرع الأمريكيون في استعمال هذا السلاح ، في الحال ، بمهارة أعظم من مهارة اليابانيين — في معارك بحر المرجان ومدواي ووادي الكنار ورابول وجزائر مرشال وتروك .

ويقال إن حاملات الطائرات اليابانية الأربع التي أغرقت على كثب من جزيرة مدواي ، هي الحاملات التي أغارت طائراتها على بيرل هاربور .

[هـذه إحدى القصص العظيمة فى الأدب الأمريكى ، كتبها ذلك العبقرى الشاذ الذى اشـترك بامتياز فى الحرب الأهلية الأمريكية بين ولايات الشمال وولايات الجنوب ، ثم اختفى فى المكسيك وهو فى الحادية والسبعين من عمره ، حيث يعتقـد أنه قتل فى حرب العصابات التى قامت فى سنة ١٩١٣ — ١٩١٤] .

حادثة عند جسر "أول كريك"

ملخصة عن قصة بقلم

امبرور بيرس

وقف رجل على جسر السكة الحديدية فى ولاية ألاباما (إحدى الولايات الأمريكية الجنوبيـة) يطل على ماء النهر السريع الذى يجرى تحته على مسافة عشرين قدماً . وكانت يداه موثقتين ، وعلى عنقه حبل يطوقه ، وتحت قدميه عوارض من الخشب مفككة ، يقف عليها ، وحوله جنـديان وشاويش من جيش الولايات الشمالية لتنفيذ حكم الإعدام فيه . وعلى مسافة قصيرة من هؤلاء يوزباشى وقف ساكناً يراقب عمل مرءوسيه . ووقف على كل من طرفى الجسر حارس .

ولم يكن ثم أحـد يُرى فيما وراء أحد الحارسين . وكان الخط الحديدى يجرى مستقيماً إلى غابة هناك ، مسافة مئتى ياردة ، ثم يتقوس ويغيب عن النظر ، أما شاطئ النهر الآخر فكان أرضاً مكشوفة — ربوة هينة منقادة حولها سور فيه ثقوب للبنادق ، وكوة واحدة تبرز منها فوهة مدفع . وعلى منتصف المنحدر بين الجسر والحصن وقف النظارة — سرية واحدة من المشاة فى وقفة راحة . ولم يكن أحد يتحرك فيما خلا الأربعة الذين كانوا عند منتصف الجسر .

وكان الرجل الذى سيشنق يبـدو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وهو مدنى إذا اعتـبرنا زيه الريفى ، وكانت معارف وجهه حسنة ، ولعينه نظرة رقيقة لا يتوقعها المرء من رجل لف على عنقه الحبـل . وكان من الجلى أن هذا الرجل ليس بالقاتل السوقى ، فإن القانون العسكرى الواسع ينص على إعـدام صنوف كثيرة من الناس ولا يستثنى السادة .

ولما تمت المعدات ، تنحى الجنديان عن موضعيهما ، وجر كل منهما العارضة التى كان واقفاً عليها ، والتفت الشاويش إلى اليوزباشى وحياه ثم وقف خلفه مباشرة ، فخطا هذا

خطوة ، فصار الشاويش والمحكوم عليه واقفين على طرفى عارضة واحدة . ومتى أومأ اليوزباشى ، تنحى الشاويش عن العارضة ، فمال طرفها الآخر وسقط المحكوم عليه بين وثاقين . وقد صوب عينه هنيهة إلى « موضع قدمه القلق » ثم أرسل عينه إلى التيار المتدفق تحته .

وأغمض عينيه ليكون آخر ما يفكر فيه زوجته وبنيه ، ثم فتحهما فرأى الماء الجارى مرة أخرى ، وخطر له « أن لو استطعت أن أفك يدى فقد يتيسر أن أخرج عنقى من الحبل وألقى بنفسى فى الماء . وأغطس فاتقى الرصاص ، وأبلغ الشاطئ ثم أرجع إلى بيتى » . وبينما كانت هذه الخواطر تخطف كالبرق برأسه ، هز الضابط رأسه للشاويش فارتد عن العارضة .

* * *

كان بيتون فاركوهار مزارعاً حسن الحال من أسرة قديمة فى ألاباما، وكان مخلصاً لقضية الولايات الجنوبية ، وحالت الأحوال بينه وبين الانتظام فى سلك الجيش ، فحز فى نفسه ما أقعده وسلبه مجد المشاركة . ولم يستنكف من عمل ما ، يؤديه ويساعد به ولايات الجنوب ، ولم يتهيب مغامرة مهما بلغ من خطرها فى هذه السبيل ، واتفق ذات مساء أن كان قاعداً مع زوجته على دكة قرب مدخل داره ، فأقبل جندى من أهل الجنوب وطلب شربة ماء . وبينما كانت الزوجة تجيئه بها سأله فاركوهار بلهفة عن أخبار الجبهة .

فقال الرجل : « إن العدو يصلح الطرق ويستعد لزحف جديد . وقد بلغ جسر « أول كريك » وأقام حصناً على الشاطئ الشرقى. وأصدر القائد أمراً بإعدام أى مدنى يقبض عليه وهو يعبث بالخط الحديدى » .

فسأله فاركوهار : « ما المسافة إلى جسر أول كريك ؟ » .

« نحو ثلاثين ميلا » .

« أليس هناك قوة على هذا الجانب من الجسر ؟ » .

« مركز حراسة ليس إلا ، على مسافة نصف ميل ، على الخط الحديدى ، وحارس واحد على طرف الجسر » .

فسأله فاركوهار مبتسما : « هب رجلا استطاع أن يتغفل القوة ، ويتغلب مثلا على الحارس فماذا يستطيع أن يصنع ؟ »

ففكر الجندى ثم قال : « لقد كنت هناك قبل شهر ، فلاحظت أن فيضان الشتاء الماضى قذف بمقدار من الأخشاب العائمة على العمود الخشبى عند هذا الطرف من الجسر . وهو الآن جاف ، ومن السهل اشتعال النار فيه » .

وشكر السيدة ، وانحنى لزوجها ، وركب ومضى . وبعد ساعة من دخول الليل عاد فمر بالضيعة مرة أخرى متجهاً إلى الشمال الذى كان قد جاء منه ، فما كان إلا جاسوساً للشمال .

* * *

وسقط بيتون فاركوهار من الفجوة التى فى الجسر ، ففقد وعيه . ونبهه — بعد أجيال فيما كان يشعر — ألم ضغط حاد على عنقه ، مصحوب بإحساس بالاختناق . وسرت آلام حادة من عنقه إلى أنسجة بدنه وأعضائه كلها ، ولم يكن يستطيع أكثر من أن يحس ، وكان الإحساس عذاباً . وكان فى مثل سحابة منيرة هو فيها قلبها المتقد ، ولا معين له ، وكان يهتز كأنه رقاص ضخم ، وإذا بالضوء الذى حوله ينطلق فجأة إلى فوق ، وتلت ذلك غطسة عالية الصوت ، ودوى مخيف فى أذنيه ، وصار كل شىء بارداً مظلماً . فعادت إليه القدرة على التفكير ، وأدرك أن الحبل قطع وأنه سقط فى الماء ، ليموت مشنوقاً فى قاع النهر — وبدا له هذا سخيفاً . فأبصر فوقه نوراً يخفت شيئاً فشيئاً ، ثم عاد يسطع فعرف أنه يرتفع إلى سطح الماء — عرف ذلك وهو كاره له فقد كان يشعر بارتياح ، وخطر له « ليس بالسىء جداً أن يشنق المرء ويغرق ، ولكنى لا أريد أن أضرب بالرصاص . كلا! لن أضرب بالرصاص ، فليس هذا من العدل فى شىء » .

ولم يشعر بأنه يبذل جهداً ما ، ولكن ألماً حاداً فى رسغه أشعره أنه يحاول أن يفك يديه ، فجعل باله إلى هذه المحاولة ، ولكن على نحو ما يراقب المتسكع عمل المشعوذ ، دون أن تعنيه النتيجة . وانفك الحبل ، وخلص ذراعاه وافترقتا ، وامتدتا تسبحان إلى فوق ، فجعل يراقبهما باهتمام جديد وهما تعملان واحدة بعد واحدة فى الحبل المشدود على عنقه ، فحلتاه ، وألقتا به بعنف ، وأحس برأسه يصعد فوق الماء ، وأزاغ بصره نور الشمس ، وتمددت رئتاه بعنف كأنهما متشنجتان ، ودخل فيهما هواء كثير كان لدخوله ألم شديد ، فسرعان ما طرده وهو يصرخ .

وكان قد طفا على الماء ووجهه إلى فوق ، فما لبثت الدنيا أن بدت كأنها تدور ببطء ، وكأنما هو مركز الدوران ، ورأى الجسر والحصن ، ومعدميه ، ومن ورائهم السماء الزرقاء ، وكانوا يصيحون ويشيرون . وأخرج اليوزباشى مسدسه ولكنه لم يطلقه ، وكانت حركاتهم غريبة فظيعة ، وأجسامهم مهولة .

وسمع فجأة صوتاً حاداً ، وأصاب الماء شىء بقوة على مسافة أشبار من رأسه ، فأثار

رشاشاً من المـاء على وجهــه ، وسمع طلقة أخرى ورأى سحابة رقيقة من الدخان الأزرق تخرج من بندقية أحـد الحراس ، وقلبته موجة مرتدة على جنبه ، فصار ينظر مرة أخرى إلى الغـابة على الشاطئ المواجه للحصن . ورن فى أذنيه صوت عال واضح يصيح : « التفـاتا ! ارفعوا السـلاح ! استعدوا ! . . اطلقوا ! »

فغطس فاركوهار — غطس إلى أعمق ما يستطيع ، وطن المـاء فى أذنيـه ، ومع ذلك سمع صـوت الطلقات الخافت ، وطفا مرة أخرى ، فأخذت عينه قطعاً لامعة من المعدن تصوب ببطء إلى تحت . وأدرك وهو يشهق ليتنفس أن التيار قد بعد به ، فصار أكثر أمناً . وراح يسبح بقوة مع التيار ، وكان ذهنـه نشيطاً كذراعيه ورجليـه ، وصار يفكر بمثل سرعة البرق .

وحدث نفسه : « إن الضابط لن يقع فى هذه الغلطة السخيفة مرة أخرى ، فإن اتقاء جملة طلقات مصوبة إلى نقطة معينـة سهل كاتقاء طلقة واحدة . ولعله أمر رجاله بأن يطلقوا النار على هواهم . والله المعين ، فما أستطيع أن أتقيهم جميعاً » .

ووقع فى المـاء شئ مروّع على مسـافة ياردتين منه تلاه صوت منـدفع عال كأنما يرتد فى الهواء إلى الحصن ، ثم كان انفجار حرك النهر إلى أعماقه ، وارتفعت موجة من المـاء فوقه وهوت عليــه ، وخنقته ! لقـد اشـترك المدفع فى مطاردته . ولما تخلص وهز رأسه سمع الطلقة المنحرفة وهى تعصف بالأغصان فى الغابة .

وقال لنفسه : « لن يكرروا هـذا . وسيستعملون فى المرة التاليـة عنقوداً من القذائف ، فلأجعل عينى على المدفع ، فإن الدخان سينبئنى ، أما الطلقات فتصــل بعد ذلك » .

وإذا به فجأة يشعر أنه يدور ويدور ، ويلف حول نفسه حتى أصابه دوار ، وجشأت نفســـه . واختلطت وغمضت الأشـجار والشاطئان ، والمـاء ، والجسر الذى صار بعيداً فقد صادف دوامة ، وما هى إلا لحظات حتى قذف به على حصى الشاطئ الغربى وراء نتوء حجبه عن أعدائه . فأعاد إليه الرشد السكون المفاجئ وتسلخ إحـدى يديه من حكهما للحجارة ، فبكى من الفرح ، وغرز أصابعه فى الرمل وجرف منه ، وألقى حفنات منه على بدنه ، وشكر الله على ذلك .

ونبهته أصوات طلقات بين الأغصان فوقه فنهض ، وصعد فى الشاطئ المنحدر ودخل فى الغابة .

وظل يمشى طول ذلك اليـوم ، وكان يهتدى فى طريقـه بالشمس ، وكانت الغابة

كأنما لا آخر لها ، ولم يعثر فى أى مكان منها على طريق للحطابين ، فخطر له أنه لم يكن يدرى أنه يعيش فى منطقة موحشة منقطعة كهذه . واستغرب هذا الذى تبينه وعرفه .

وأدركه التعب مع الليل ، وحفى قدماه ، وجاع . ولكن رغبته فى لقاء زوجته وبنيه قوّته واستحثت همته ، وأخيراً وجد طريقاً أفضى به إلى ما عرف أنه الاتجاه القويم ، وكان واسعاً مستقيما كأنه شارع فى مدينة ، ولكنه على ما بدا له،كان غير مطروق. فليس ثم حقول على جانبيه ، أو مساكن فى أى مكان ، ولا كانت هناك حتى ولا نبحة كلب توحى بأن هنا أناساً يقيمون ، وكانت الأشجار الحالكة كالسور القائم على الجانبين، وكانت النجوم الذهبية الرائعة خفاقة اللمعان فوق رأسه، وقد تألفت منها مجموعات غريبة، وكان على يقين من أن لترتيبها دلالة خفية سيئة . وكانت الغابة على الجانبين ملأى بأصوات عجيبة سمع منها — مرة ، مرتين وثالثة — همسات بلغة مجهولة .

وكانت رقبته تؤلمه ، فرفع يده إليها فألفاها وارمة جدا ، وكان لسانه وارماً أيضاً من الظمأ ، فكان يلطف حرارته بأن يخرجه من بين أسنانه فى الهواء البارد ، وما كان أرق بساط العشب فى هذا الطريق غير المطروق ! فما عاد يشعر بالأرض تحت قدميه .

ولا شك أنه على الرغم من أوجاعه قد أدركه النوم وهو يمشى . فقد بدا لعينه الآن منظر آخر . ذلك أنه واقف أمام بيته . وكان كل شىء على ما تركه ، وكل ما تأخذه العين جميل وضاء فى نور الصبح . ورأى وهو يقطع الممشى الواسع الأبيض ثوب امرأة ، وانحدرت زوجته إليه من الشرفة لملاقاته ، وكانت صبيحة جميلة ، ووقفت تنتظر وعلى ثغرها ابتسامة فرح ، وفى وقفتها رشاقة لا نظير لها ، وجلال نادر ، فقفز إليها وذراعاه ممدودتان ، وإنه ليهم بأن يضمها إذ شعر بضربة مدوّخة فى قفاه واندلع ضوء ساطع أبيض يعمى الأبصار ، حوله ، وسمع صوتاً كطلقة مدفع — ثم أظلمت الدنيا وساد السكون .

* * *

كان بيتون فاركوهار ميتاً . وجسمه الذى كسرت رقبته ، يتأرجح من ناحية إلى ناحية تحت أخشاب جسر أول كريك .



"إمرأة تأسر القلب"

ملخصة عن صحيفة "بلطيمور صنداى صن"

دوروثى والورث



رفعت مس هنجرفورد تلاميذها على أجنحة من حبها ، فثمة مثلا السر ستيف بيجوت . . .

بدأت هذه القصة فى بلدة كورنوول بولاية نيويورك منذ خمسين عاماً ، ولم تنته بعد . وقد سرد علىّ شيوخ المدينة أمرها حين زرتها فى الشتاء الماضى ، فألفيتهم إذا طافت بهم ذكرى تلك المرأة هزّتهم لواعج الإعجاب بها ، ووصفوها بأنها « امرأة تأسر القلب » .

« أما هو فـ . . . » .

وقد حدث فى سبتمبر ما ، حين بدأ العام الدراسى أن طلبة مدرسة كورنوول الثانوية وتلاميذ الفصل الثامن ، وعددهم جميعاً ٧٠ تلميذاً . جلسوا فى حجرة لا تتسع لأكثر من عشرين يرتقبون معلمة جديدة من أعالى الولاية هى « فرانسيس إيرين هنجرفورد » امرأة لم تتخط أعتاب الثلاثين من سنى الحياة .

وكان ستيف بيجوت أحد طلبة المدرسة الثانوية فتى فى السابعة عشرة من العمر ، فارع القد ضامره ، مجداً فى دروسه ، غير أن والده لم يكن يرى فى المدرسة نفعاً ترجى ، وكان كثيراً ما يحاوره : « إنك يابنى بلغت مبلغاً من العمر يمكنك من وضع حد لهذه الحماقة » . وكان بات بيجوت والد الفتى مهاجراً إيرلندياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب .

كان أتراب الفتى بأسرهم ظرفاء فى صلاتهم به ، غير أنه كان يحس فى قرارة نفسه باختلاف عظيم بينه وبينهم . وكانت تلك السنة هى السنة الثانية له فى المدرسة العليا ، فكان يخالها سنته الأخيرة بها . وكان لداته إذا ما تحدثوا عن أحلامهم وما يتطلعون إليه لزم ستيف الصمت ولم يقل شيئاً .

وكانت مس هنجرفورد قصيرة تكاد ، إذا بسط ستيف ذراعه، تقف تحت الذراع الممدودة، ولكنها كانت ممشوقة القوام كالرمح

اعتدالا ، ذات عينين زرقاوين عميقتين، إذا تفرست فيهما أدركت أن أحداث الحياة كلها لن تستطيع أن تلين قناتها أو تهز كيانها. وكان صوتها خفيضاً ، وابتسامتها مضيئة .

كان أول ما خطته أناملها على السبورة هذه الجملة: «أرأيت رجلا مثابراً في عمله؟ إنه ليقف بين يدى الملوك » . فتكتم الطلبة ضحكا ساخراً لتلك الجملة ، فلم يدخل فى روع أحد من سكان كورنوول أن يدنو يوماً ما من باب ملك .

ولم يمض أسبوع حتى كانت المدرسة الثانوية كلها طوع بنانها ، فإذا ما تعابث فتى من الفتيان ردته ابتسامتها المشرقة إلى صوابه .

وكان تلاميذ الفصل الثامن وطلبة المدرسة الثانوية يجتمعون كل صباح للانشاد ، وكان ستيف عذب الصوت رخيمه وكانت مس هنجرفورد لا تقصر عنه عذوبة ورخامة ، فغدا إنشاد المدرسة كل صباح نغماً غالباً يردده الاثنان ، وهزجاً خافتاً يهزجه الآخرون .

فإذا ما انتهى الاجتماع بدأت الدراسة ، ولم تكن المقاعد كافية للطلاب، فكانت مس هنجرفورد تتخلى عن مقعدها لأحدهم وتظل طيلة يومها واقفة على قدميها . وكانت تدرّس كل شيء ، فمن دروس الفرنسية والألمانية والجبر إلى دروس التاريخ والإنجليزية .

وكانت تشعر تلاميذها كأنها تتعلم معهم ، فكانت تسائل أحدهم قائلة : « ألا تحدثنى عن معركة بحيرة إرى ؟ إنى لتواقة إلى معرفتها » .

وأنشأت مس هنجرفورد ناديين أدبيين : أحدهما نادى هوثورن الروائى ، والثانى نادى هويتيير الشاعر ، فأتاحت للفتيان والفتيات فرصة الحديث عن الكتب والكتّاب ، فإذا انتهوا أدارت عليهم مشروباً مثلجاً ، وكانت خلال فترات الاستجمام تحدثهم عن «قواعد السلوك» ، فتسأل ستيف بيجوت: « هبك دعيت إلى عشاء رسمى فكيف تحيى مضيفتك ؟ »

وكان الناس إذا رأوها تروح وتغدو بين مسكنها والمدرسة فى زيها البسيط متأبطة دوماً كتباً عديدة تهامسوا قائلين : « إنها لمن طراز اللاتى أوقفن حياتهن للعمل »

وكانت منتظمة التردد على الكنيسة ، ولكنها لم تقل فى حياتها كلمة واحدة عن الدين ، إلا تلك الجملة التى خطتها أناملها على السبورة فى أول عهدها بالمدرسة ، فكانت كأنها تحيى فى معانيه .

أخذ الناس العجب العجاب من مس هنجرفورد فلا يدرون سر أمرها الذى ألهبت به نشاط تلاميذها ، فقد جعلتهم يؤمنون بأنهم يعيشون فى عالم جميل توشك

المعجزات أن تحل به فى طلعة كل صباح ، وأنهم مجدودون سعداء لحظتهم العناية بقدر من الذكاء غير يسير . فكان أهل المدينة يقولون : « إننا لم نظن خيراً بأنفسنا من قبل » . وتخرج على يديها فيمن تخرج شباب أصبحوا فيما بعد فى الطليعة من رجال البلد ونسائها النابهين والنابهات .

كانت مس هنجرفورد تعنى بكل طالب وطالبة ، ولكنها بذلت أقصى عنايتها للفتى ستيف، فواصل دراسته فى المدرسة الثانوية . وكانت تحدثه عن منزلة الكتب ومبلغ نفعها ، وأنها أبواب للنجاح فى الحياة، فجعل ستيف يسائل نفسه هل هناك باب له ينفذ منه إلى خضم الحياة . وكانوا فى ربيع سنته النهائية يقرأون كتاب « رؤيا السير لونفال » .

« الرؤيا حلم » ، قالتها مس هنجرفورد لستيف ذات مساء عقب انتهاء الدرس وهو ينفض غبار ممسحة السبورة ، ثم أضافت : « وقصارى حلمى أن أعيش بين تلاميذى الفتيان والفتيات ، وبين كتبى. فما هو حلمك ياستيف ؟ » فقال لها ما لم يقله لأحد من قبل، قال لها : « أريد أن أكون ... أن أكون مهندساً بحرياً » .

وحسبها ستسخر منه ، ولكنها بقيت فى مكانها تنظر إليه بعينيها العميقتين وهما تلمعان وميضاً . ثم أردفت قائلة : « فى حولك أن تكون مهندساً بحرياً ، وكل ما أنت فى حاجة إليه لتحقيق بغيتك هو الإرادة القوية » .

وأخذت بعد ذلك تدخل عليه رويداً رويداً الإيمان بنفسه ، فلما أقنعته أخيراً بأن يحدث والده عن رغبته فى مواصلة دراسته بالجامعة ، حسبه والده مصاباً بمس فى عقله ، ولكن مس هنجرفورد كانت عنيدة، فواصلت سعيها فى إقناع الأب فأفلحت فيما أرادت ، وذهب ستيف إلى جامعة كولومبيا ليدرس الهندسة الميكانيكية .

كان ستيف يكسب نفقته خلال الدراسة بالعمل فى أحد مخازن الترمواى تارة ، وبالإنشاد أخرى فى الكنيسة أيام الآحاد ، فيتقاضى على إنشاده خمسة دولارات ، وزاول غير هذه أعمالا أخرى متباينة ، وكان يعكف على الدرس أنى استطاع . وكان كلما تملكه اليأس وفكر فى أن ينفض يديه من أمر دراسته ، يرحل إلى كورنوول ويلاقى مس هنجرفورد ، فتنفث فيه من روحها وتملأه عزيمة وشجاعة .

جلى ستيف بيجوت على أقرانه ، فانتخب رئيساً لفرقته فى السنة الثالثة بجامعة كولومبيا وعهد إليه فى تحرير مجلة كلية الهندسة والغناء فى نادى الطرب بالجامعة ، وحين تخرج سنة ١٩٠٣ أبرقت مس هنجرفورد

إليه تقول : « لقد تنبأت لك بذلك » .

ذهب ستيف في سنة ١٩٠٨ إلى أسكتلندة ليساهم في تركيب آلة من صنع كرتيس لشركة جون براون ليمتد ، أكبر شركات بناء السفن ، وهي التي بنت السفينتين العظيمتين « موريتانيا » و « لوزيتانيا » ، وعقد العزم على أن يبقى زهاء أربعة أشهر ولكن الشركة أغرته بالبقاء .

وفي سنة ١٩٣٨ عين مديراً للشركة ، وكان قد وضع التصميمات الهندسية لآلات أكثر من ثلاثمائة سفينة ، بين سفن ركاب وطرادات وغواصات وبوارج ، منها طراد القتال « هود » والبارجة « دوق يورك » والسفينة « كوين ماري » .

وكانت أواصر الصداقة بين ستيف ومس هنجرفورد خلال هذه الثلاثين عاما متصلة ، فكانا يتبادلان الرسائل في كل أسبوع تقريبا .

ورجع ستيف إلى أمريكا في الرحلة الأولى التي قامت بها السفينة البريطانية « كوين ماري » ليقضي بين ذويه أياماً قلائل ، فتأهبت جامعة كولومبيا لتمنحه درجة فخرية ، كما قررت جمعية المهندسين الميكانيكيين الأمريكية منحه وساماً . فلما ذهب إلى مسقط رأسه في كورنوول سارع أهل المدينة بأسرهم إلى لقائه ، وألقى خطاباً في المدرسة الثانوية الجديدة ، وكان السامعون يتوقعون أن يحدثهم عن عمله ، أو عن الأشخاص النابهين الذين التقى بهم في الخارج ، ولكن حديثه كله كان عن مس هنجرفورد فقال فيما قاله :

« إن رجالا قلائل أتاحت لهم العناية صداقة كالصداقة التي أنعمت بها على مس هنجرفورد قرابة نصف قرن . وما هزني زهو في أي عمل من الأعمال التي قمت بها إلا كانت نصائحها الغالية تتجاوب في أعماق قلبي » .

كانت مس هنجرفورد في هذه الفترة تدرس في مدينة بأعالي ولاية نيويورك على كثب من شاطئ بحيرة أونتاريو ، فلما تحدث ستيف في التليفون ليقول إنه مقبل لزيارتها ، قيل له إنها تشكو داء عضالا ، ونصح بأن يكف عن الزيارة ، فركب البحر عائداً إلى إنجلترا دون أن يراها .

وأصبح ستيف يعرف بالسير ستيفن بيجوت ، بعد أن منح لقبه الرفيع في سنة ١٩٣٩ ، أي في ذلك الوقت الذي وضع فيه تصميم الآلات للسفينة البريطانية « كوين إليزابث » .

أما مس هنجرفورد فتبلغ الآن الخامسة والثمانين من العمر ، ولا تزال تسكن في تلك المدينة في أعالي الولاية ، حيث ظلت تواصل

التدريس حتى بلغت الثمانين . ومنذ سنوات قررت المدينـة أن تنشئ مكتبة عامة باسم فرانسيس إيرين هنجر فورد « تقـديراً لخلقها الكريم ، وتفانيها فى واجبها وما تركته من أثر باق » .

هذه هى القصة التى رواها لى الرّاوون فى كورنوول ، وعجبت فى نفسى متسائلا ما السر الذى جعل الناس يذكرونها بالخير والإعجاب طيـلة حياتهم ؟ فانتويت منذ أسابيع أن أذهب لأقضى يوماً معها ، فلما أقبلت عليها أسرعت إلى الباب للترحيب بى فى خفة حركة وخطوات كأنها ريشة طائر ، وكان شعرها أبيض حتى لتخاله الثلج الناصع ، ولكن عينيها بقيتا كعهدهما الأول زرقة وعمقاً . ولم أكن لأتصور — حتى بعد ما رواه عنها أهل كورنوول — صغر جسمها وعظيم مرحها .

ألفيت دارها تماثلها صغراً وبهجة ونظافة ، فدارت بى فى أرجائه كلها مسرعة الخطى ثابتة القدمين ، كأنها فتاة ناهد . فجلسنا فى غرفة مكتبها الزاخرة بالكتب ، واسترسلت تقص علىّ طرف الحديث عن السير ستيفن .

وقدمت إلىّ طائفة كبيرة من قصاصات صحف وصور وبطاقات معايدة بعيد الميلاد ، وهى ترجع جميعاً إلى خمسين عاماً ، مما كان يدور بينها وبينه من رسائل .

حاولت طيلة ذلك اليوم عبثاً أن أحملها على أن تحدثنى شيئاً عن نفسها ، فكانت راغبة فى الحديث عن تلامذتها القدماء فتذكر كلا باسمه . ثم تناولنا الشاى وبعض الطعام ، ودار بنا الحديث مرة أخرى حول السير ستيفن ، فحدثتنى عن وعده بزيارتها حين تضع الحرب أوزارها ، وعما كتبه إليها فى رسالته الأخيرة : « انتظرينى مس هنجرفورد » .

ثم قالت مس هنجرفورد : « آمل أن يمد فى أجلى حتى أرى ستيفن مرة أخرى » قلت : « لا عليك ، إنك ستخلدين » قالت فى شئ من الحزم : « أعلم ذلك، ولكن قد تنقطع صلتى بكم أمداً قصيراً » .

ثم جاءت سيارتى فسرنا معاً حتى منعطف الطريق ويدها فوق ذراعى ، وهنالك أخذت تحدثنى لأول مرة عن نفسها فقالت : « أتدرين . إنى أكاد أذوب خجلا من نفسى حينما ألمح هؤلاء المدرسات المدربات على القواعد الحديثة ، فإذا ما قارنت نفسى بهن ألفيتنى لم أكن مدربة تدريباً حسناً » . ثم وقفت هنيهة وشدت بكفها على ذراعى وقالت : « إن كل ما لدى من عدة هو الحب » .

* * * * * *

"تاكسى أيها البحار"



الكولونيل جاك ريدنج

ملخصة عن مجلة "نيوزويك"

أحد مؤلفى « طريق الجو الى برلين »

كان البحار يبكى ، وهو غلام لم يتجاوز ربيعه السابع عشر ، وقد تقلصت قسمات وجهه وهو يحاول أن يخفى تأثره . وقد وقف مشدوهاً على أفريز الطريق وراح يطوى راحتــه على رسالة برقية ، فى غير ما تنبه إلى ما حوله من خلق يتدافعون .

وعند منعطف الطريق كان جو ويزنفسكى يجلس مسترخياً عند عجلة القيادة فى سيارته (التاكسى) مشغولا بمطالعة صحيفة الصباح ، فلما رأى خيــال البحار فى المرآة العاكسة استدار ، وفتح باب السيارة ، ثم قال :

تاكسى ، أيها البحار ؟

فتردد الغلام قليــلا ، ثم أشاح بوجهه واستدار .

وغمغم جو قائلا :

لعل حادثاً ألمّ له . . .

ثم صاح :

هيا أيها البحار ! تعال ! ماذا بك ؟ مريض ؟ .

لا .

إذن ما ذا دهاك ؟ .

كانت هذه الكلمات غليظة ، حتى أوشك الغلام أن يجيب عليها غاضباً ، ولكن نظرة عميقة فى عينى سائق السيارة حالت دون ذلك ، فناوله البرقية فى صمت وسكون .

وتلا جو عباراتها فى عناية : « أمك مريضة فى حالة الخطر . هل تستطيع الحضور ؟ » .

ورفع السائق بصره إليه ثم قال :

ماذا تنتظر ؟ ألم تحصل على الاجازة ؟ .

أجل . منحت الاجازة فعلا ، ولكن لا بد من بعض النقود ، وقد نقلت إلى هنا أخيراً ، ولست أعرف من الأهلين أحداً .

فألقى السائق المرّس على الفتى نظرة فاحصة ثم قال :

إنك تريد نقوداً . أليس كذلك ! .

فأجاب البحار وهو يطوى البرقيــة ويفضها باحتراس :

إننى سأحصل عليها بطبيعة الحال ، فإن المختص فى الصليب الأحمر سيبحث الأمر . ولكن ذلك يستغرق بضع ساعات ، وفى خلال ذلك . . . .

فكرر جو عبارته قائلا :

أجل ، فى خلال ذلك . . . . اسمع ، كم أجر القطار إلى بلدك ؟

ستة ريالات إلى لين فى ماساشوستس . .

وأخذ البحار ينصرف .

ولسائق السيارات خبرة وحذر من صنوف المحتالين ، وهم لذلك يفرضون فى كل شخص أسوأ الفروض ، ولكن جو ويزنفسكى لم يدع البحار ينصرف ، وخاطبه قائلا :

تعال أيها البحار ، اقفز داخل السيارة ، إن قطاراً متجهاً إلى بوسطن يدخل المحطة الآن ، ولدى سبعة ريالات سأقرضك إياها .

فاجاب الفتى فى لهجة الاعتذار والرفض :

ولكنى لن آخذها . فأنت لا تعرفنى .

دعك من هذا ! ادخل وإلا فاتك القطار !

* * *

وكنت أنتظر سيارة أجرة فى محطة « جراند سنترال » عند ما وقف تاكسى ويزنفسكى ، فإذا مراقب شركة السيارات يعنف جو لأنه أركب أحد المسافرين دون أن يدير العداد .

ولم يلتفت جو إليه ، ودس بعض النقود فى يد البحار ودفعه قائلا :

اذهب يا بنى . إن هذا القطار يغادر المحطة بعد خمس دقائق .

والتفت البحار إلى المفتش قائلا :

اسمع يا سيدى . إنه أراد أن يساعدنى فلم يكن لدى من النقود شىء عند ما وصلت هذه (مشيراً إلى البرقية) ، ولهذا ركبت بلا أجر ، ثم أعطانى سبعة ريالات لأدفع منها ثمن التذكرة .

وتلا المفتش البرقية ثم نظر إلى جو نظرة المستريب وهو يسأله :

أصحيح أنك فعلت ما يقول ؟ .

نعم . ثم ماذا ؟ دع الصبى يذهب ليدرك قطاره ، ثم نسوى هذه المسألة فيما بعد .

وتنهد المفتش ونفخ فى صفارته ثم قال :

تعال أيها البحار ، سأصحبك حتى تجتاز الزحام . . . وأدار بصره نحو جو صائحاً :

إرحل من هنا حالا ، أغرب عن هذا المكان .

* * *

وكنت قد شهدت ختام هذه القصة ، وقص علىّ جو بدايتها وهو يجتاز بى المدينة . فلما وصلت إلى حيث أريد ناولته ورقة بعشرة ريالات قائلا :

خذ أجرك من هذه واخصم الريالات السبعة التى أقرضتها ذلك الغلام .

فقال : « ماذا جرى ياسيدى الضابط ؟ »

وألقى علىّ نظرة قاسية وهو يناولنى بقية الورقة ذات العشرة بعد أن احتجز منها أجر ركوبى فقط ، ثم قال :

أتراك لا تأمن البحار ، أما أنا فإنى أثق به !

من صميم الحياة

هيو كاهلر



في سنة ١٩١٩ أقبل طبيبان من الشمال على قرية جنوبية صغيرة ، اعتدت أن أقضى فيها الشتاء . وكان هناك كثيرون من الزوار من أبناء الشمال كالعادة ليلعبوا الجولف أو التنس فى الشمس الساطعة وهواء الجبل المنعش . غير أن هذين الطبيبين جاءا ليقضيا أيامهما الأخيرة هنا .

وكان أحدهما ، لما رأيته أول مرة ، يبدو كأنه قد مات وانتهى . واسمه الحقيقى مشهور ، فقد كان قرب الذروة فى صناعته وهى الطب النفسانى ، ولكنى سأسميه إدوارد بورتر . وكان مصاباً بالتدرن الرئوى .

وكان لما ذهبت إليه قد كف عن نشدان الصحة ، وأخبرتنى زوجته أنه يرفض العلاج ، وانه لا يكاد يأكل شيئاً ، وأنه لا يدعها تجر سريره وتخرجه ليضحى فى الشمس التى تصب حرارتها على الشرفة الأمامية لكوخهما . ووجدته فى غرفة صغيرة مظلمة مغلقة النوافذ وقد عقد دخان السجاير فيها سحاباً . وقال لى إنه يرى أن حالته ميئوس منها ، وأنه يتعمد أن يقضى نحبه بسرعة .

ثم اتفق أن ذكرت أنى أعرف طبيباً آخر يجود بأنفاسه فى كوخ قريب وأنه — ولنسمه لورنس جراى — كان جراحاً شابا مرجوّ المستقبل ، فأصابته عدوى أقعدته بداء النقرس . ولما جئ به إلى الجنوب كان لا يستطيع أن يحرك أكثر من أصابع يده اليسرى .

وما كدت أفضى إليه بخبر جراى هذا حتى زايل وجهه ما كان يبدو عليه من صفرة الموت ، وقال لى إنه ، كطبيب نفسانى ، كثيراً ما مرت به حالات من النقرس المستعصى كانت فيها الحالة الذهنية للمريض من الأسباب المضاعفة على الأقل للمرض . وكان أحياناً يستطيع أن يساعد أمثال هؤلاء المرضى .

وضرب مثلا فقال : « إذا آلمك جداً أن تثنى ذراعك فإنك خليق أن تؤثر الوضع الذى يعفيك من الألم فتتقى أن تثنى رسغك ، وهذا من شأنه أن يساعد على تصلب الرسغ . ثم تدأب على اتقاء الألم فلا تحرك أصابعك فلا تلبث هذه أيضاً أن تصلب . ولكن إذا أوتيت الشجاعة ورحت تحرك كل مفصل لا يؤلمك ، وتحاول أن تستعمل المفاصل التى

تؤلمك حركتها، فإنك على الأقل تجعل التصلب يبطىء بك . وقد عالجت مرضى استطاعوا أن يحركوا مفاصلهم إلى حد لا بأس به بعد أن كانوا يظنون أنهم لن يحركوها مرة أخرى، وذلك بأن يوطنوا أنفسهم على احتمال بعض الألم . ولو أن هناك وسيلة ما ، أنتقل بها إلى هذا الرجل جراى ...»

فقلت : «إن ممرضته تستطيع أن تجىء به إلى هنا على كرسيه ذى العجلات . فهل تسمح لى بان أذكر له ما قلت لى ؟ »

فقال بورتر : « إنه لن يقترب منى إذا فعلت . فقد سمع كل ذلك من قبل . بل قل له إن ههنا كسيحاً آخر يقعده المرض ، ويسره أن تتاح له فرصة للتحدث معه » .

فأبلغت جراى هذا . واغتنمت الفرصة فحدثته عن النوافذ المغلقة وسحب الدخان ، وغير ذلك مما يظهر أن بورتر يحاول أن يستعين به على الموت السريع . فكان جراى عظيم الشك فى أن حالة بورتر ميئوس منها ، كما كان بورتر عظيم الشك فى أن حالة جراى تدعو إلى القنوط .

وقال: «قد يكون بورتر مصيباً، ولكنى أراهن على أنه مخطىء ، وليس يسع طبيباً إلا أن يشخص حالته الخاصة ، ولكن المريض يكون تشخيصه لمرضه أميل إلى التشاؤم . وقد رأيت أطباء ييأسون فيموتون، على حين كانوا يستطيعون — لولا أنهم يعرفون كل ما يعرفون عن مرضهم — أن يجاهدوا ويظفروا ويخيل إلىّ أن هذه آفة بورتر . ولو كانت هناك وسيلة ما — » .

وأمسك . وخطر لى فجأة أنى لم أره مرة واحدة من قبل فى أحاديثى الكثيرة معه ، يبتسم ، ولكنه كان يبتسم الآن .

وقال : « سأطلب من ممرضتى أن تدفع الكرسى بى إليه غداً . وهى أضعف من أن يسعها أن تصعد بكرسى فى درجات السلم، فيحسن أن يخرج بورتر إلى الشرفة» وضحك : «وسينسى وهو يفعل ذلك أعراض مرضه لأنه سيكون مشغولا بالتفكير فى أعراض مرضى أنا » .

ولما مررت بسيارتى فى اليوم التالى رأيت بورتر على سرير فوق الشرفة قرب الدرجة العليا ، وجراى فى كرسيه قرب الدرجة السفلى . وكانا لا يزالان حيث رأيتهما بعد أن لعبت الجولف . ولما أتيح لى أن أتحدث مع بورتر مرة أخرى ، قال لى ، وفى وجهه وصوته بعض الحيوية ، إنه كان على صواب فى أمر جراى ، وعرض أن يراهننى على أن يجعل جراى يستغنى عن الكرسى قبل أن أعود إلى الشمال فى الربيع .

وحادثت جراى فرأيته يضحك لأنه استطاع أن يخرج بورتر إلى الهواء الطلق،

وقال إنه سيواصل العمل على إخراجه ، وأخبرني أيضاً أن هناك أملا في شفاء بورتر.

وكان الرجلان يلتقيان كل يوم تقريباً في ذلك الشتاء .

وعدت إلى الجنوب في الخريف ، فألفيت جراي لا يزال كسيحاً ، ولكنه كان يستطيع أن يظلع معتمداً على عصوين . وأخبرني أن بورتر أصيب بنكسة في الصيف ، وأبى أن يعوده طبيب غيره ، أي جراي ، وكان يندر أن يجد رجالا يصعدون به وبكرسيه في السلم حين يزور بورتر ، ولهذا اضطر ، على ما كان يقاسيه ، أن يصعد متكئاً على العصوين . وقال لي إن هذا كان خيراً ، فقد كان بورتر ، مرة أو مرتين ، في أشد الحاجة إلى طبيب يعوده بسرعة .

والتمعت عين جراي وهو يقول : « أعني أنه كان يظن أن به حاجة إلى طبيب ، أما الحقيقة فغير ذلك . وقد كنت مصيباً — فقد كانت أمامه دائماً فرصة لمقاومة المرض . وكل ما كان يحتاج إليه هو أن يبذل هذه المقاومة . وإنه ليفعل الآن . وإنه لمشغول بتطبيق طبه النفساني عليّ ، فليس عنده متسع من الوقت للموت » .

والواقع أن بورتر بدا لي أقل شحوباً لما زرته . وكان على الشرفة يقرأ كتاباً في داء النقرس . وأخبرني أنه تصنع النكسة وتكلف مظاهرها ، ليحمل جراي على السير معتمداً على العصي . قال : « وإذا استطعت أن أبقى حيا شتاء آخر ، فإني أستطيع أن أغني جراي عن الكرسي وأشفيه » .

وقد بقي بورتر حيا ذلك الشتاء — وثمانية عشر شتاء أخرى . ولما أقبل الشتاء الثالث كان جراي قد تماثل وصلح إلى درجة مدهشة ، بل بلغ من إقباله إلى الصحة أنه تزوج ممرضته . ولما ولدت له أول بنيه الأصحاء كان بورتر قد عاد إلى عيادته يشق طريقه إلى المحل الأول بين الأطباء النفسانيين في تلك الرقعة من الجنوب . وكان هو وجراي (الذي لم يبلغ من الصحة مبلغاً يسمح بالعودة إلى الجراحة) يديران معظم أعمال البر المنظم في البلدة . ولما مات بورتر وجراي — وبينهما بضعة شهور — فقدت المدينة اثنين من أحب أبنائها إليها .

وكان كل منهما ، يفخر بأنه أعان الآخر ومكنه من أن يحيي هذه الأعوام التسعة عشر النافعة . وكان كل منهما ، في السر والعلن ، يعترف بالفضل لصاحبه في شفائه . وما منهما من فطن ، حتى ولا بورتر الذي كان ينبغي له أن يفطن إلى ذلك لأنه طبيب نفساني ، إلى أنه بفضل المجهود الذي بذله ونسي فيه نفسه ، ليشفي صاحبه ، قد شفي نفسه فعلا .



" فى وسعنا تحسين كل شىء "

فرانسيس سيل ويكوير

ملخصة عن مجلة " سينتفيك أميريكان "



منذ حين من الزمن ، كان أحد المديرين لشركة تصنع أقلام الحبر ، يقوم برحلة جوية ، فلم يكد ينزل من الطائرة ، حتى وجد سترته ملطخة بالحبر ، المتسرب من قلم كان يحمله فى جيبه ، وكان قد أعلن أن هذا قلم بالغ حد الكمال. وبديهى أنه لم يكن من الكمال بحيث زعم ، فكيف السبيل لتلافى ذلك النقص ؟

الظاهر أنه لم يكن من الممكن إصلاح هذا العيب ، لأن جميع الأقلام يتسرّب منها الحبر فى طبقات الجو العليا ، بسبب انخفاض الضغط الجوى .

ثم خطر له أن أقلام الكتابة تصنع جميعها على وتيرة واحدة قديمة محترمة ، فعسى أن تكون هنالك طريقة أخرى أمثل وأقوم . وقصد من فوره إلى معهد « آرمر » للأبحاث فى شيكاجو ، ذلك المعهد الذى يفخر مديره هارولد فاجتبرج — وهو ابن ٣٨ عاما — فيقول : « إننا نستطيع أن نصنع أى شىء ، وفى وسعنا تحسين أى شىء ، ولنا القدرة — فى حدود المعقول — على اختراع أى شىء » .

تناول هذا المدير وزملاؤه مسألة القلم الذى يتسرب منه الحبر ، وأخذوا يبحثونها من أساسها ، ثم صنعوا قلماً مختلفاً كل الاختلاف عن الأنواع المعروفة ، ويمتاز بأن له خزانين متصلين للحبر ، ففى طبقات الجو السفلى يظل الحبر فى الخزان الرئيسى ، وفى الطبقات العليا يتسرب الحبر — ولكنه يتسرب إلى الخزان الثانى . وهذا التحسين وحده — وهناك تحسينات أخرى عديدة — قد أدى إلى ازدياد ما يباع من هذا القلم ازدياداً عوّض أصحابه فى بضعة أشهر مبلغ ٧٥٠٠ دولار كانوا أنفقوه فى هذه الأبحاث.

فى بحر سبع سنوات نما معهد « آرمر » وارتقى ، من « فكرة طيبة » إلى مؤسسة من أعظم المؤسسات التى من هذا النوع . وكانت « الفكرة الطيبة » التى دعت إلى إنشائه هى الرغبة فى القيام بأبحاث علمية صناعية لفائدة أصحاب المصانع الصغيرة ، ففى الولايات المتحدة ١٠٠٫٠٠٠ شركة صناعية ، منها ٢٠٠٠ شركة فقط لها معاهد للبحث خاصة بها .

وطريقة هذا المعهد فى حلّ مشكلة ما ، أن يستعين بعقول الباحثين فيه وتجاربهم ، وهم مئتان من العلماء المختصين بفنون الصناعة. فإن الكيميائى مثلا ، إذا استشير فى مسألة هندسية ، قد يكون له من الرأى الخاص فيها ما يفضى إلى حل المشكلة ، كذلك قد يكون المهندس قادراً على حل معضلة كيميائية . فخطتهم هى العلم المشترك والبحث المشترك .

وتختلف نفقات البحث فى معهد «آرمر» من خمسة دولارات (من أجل مشكلة يسيرة) إلى ١٠٠٠٠٠ دولار من أجل مشروع كبير يستغرق عدداً من السنين . وكثيراً ما يبلغ ارتياح أصحاب الأعمال إلى الخدمات التى أسداها المعهد إليهم مبلغاً يحملهم على التبرع له بالمال أو بالأجهزة التى يحتاج إليها . وقد تبرعت إحدى شركات سبك الحديد بمبلغ ٣٠٠٠٠ دولار من أجل أعمال الترفيه الملحقة بالمعهد ، وتبرعت إحدى شركات الفولاذ بمبلغ ٢٠٠٠٠ دولار من أجل إنشاء فرن للصهر . وقد بلغت قيمة المنشآت والأدوات المتبرع بها للمؤسسة مبلغ ٥٠٠٠٠٠ دولار .

وطائفة كبيرة من معامل البحث فى معهد « آرمر » هى فى الواقع منشآت صناعية صغيرة ، منها مطحن كامل للدقيق ، ومصنع للحلوى ، وآخر لصناعة الأسمنت ، ومصنع مصغر لصنع ألواح الفولاذ ، ومعدات كهربية ، وآلة لامتحان ضغط الاصطدام ، تستطيع أن تولد قوة ضاغطة قدرها ٢٠٠٠٠٠ رطل على كل قدم مربعة ، وكذلك معامل للتصوير الشمسى كاملة العدة والأجهزة .

وترصى مؤسسة آرمر أن تعالج كل مسألة من المسائل تقريباً : فقد أعد لرجالها حجرة خاصة لتكييف أحوال الجو فى أية صورة شاءوا . وفيها امتحنت أجهزة الطيران فى طبقات الجو العليا ، وكانت الحرارة ٦٧ درجة تحت الصفر ، وكانت الريح المفتعلة تهب بسرعة ٢٠٠ ميل فى الساعة . وفى تجربة أخرى أمكنهم فى وسط فصل الشتاء أن يكيفوا هواء الحجرة ليكون مشابهاً لجو المحيط الأطلسى الجنوبى . وذلك من أجل اختبار خزان بنزين للطائرات . كذلك قام المعهد بأبحاث مبتكرة ، لاختبار حالة زيوت التشحيم تحت ضغط إيدروليكى هائل قدره ١٥٠٠٠٠٠ رطل على كل بوصة مربعة .

وأعظم المبتكرات — وهى تعد بمثابة ثورة فى عالم الاختراع — التى أخرجها المعهد إلى اليوم ، طريقة جديدة لتسجيل الصوت تسمى التسجيل على السلك * .

* المختار فبراير سنة ١٩٤٤ صفحة ٥٤

وقد بلغ هذا الابتكار حد الإتقان على يدى أحد رجال المعهد واسمه «مارفن كامراس» وسنه ست وعشرون سنة ، وهو من المتخصصين فى علم الطبيعة. وقد أخذ كامراس يتساءل أليست هناك وسيلة أخرى لتسجيل الصوت أفضل من طريقة التدوين على الأسطوانات المعروفة بمفردها ؟ وكان يعلم أن عالماً دانمركياً اسمه « فالدمار بولسن » قد استطاع أن يسجل الصوت بواسطة التأثير المغناطيسى فى سلك غليظ أو شريط معدنى ، ولكن النتائج التى وصل إليها بولسن كانت معيبة . فلتلافى هذه العيوب نصب كامراس قوائم مغناطيسية يمر من بينها سلك دقيق من الفولاذ ، ثم تحوّل الموجات الصوتية إلى ذبذبات كهربائية تخترق لفائف المغنطيس، فإذا جرى السلك بين المغنطيسين تلقى سلسلة من الذبذبات المغنطيسية ، مطابقة تماماً للتموجات الصوتية الأصلية ، فإذا وصلت القوائم المغنطيسية بمضخمات الصوت وأدير السلك بينها مرة أخرى سمع الصوت الأصلى كما كان تماما .

وقد نتج عن هذا البحث اختراع آلة جديدة لتسجيل الصوت ، أصبحت معها جميع أجهزة الجرامُوفون عتيقة بالية . ومن الممكن بواسطة هذه الآلة أن يسجل الصوت خلال ثمانى ساعات كاملة على بكرة سلك قطرها خمس بوصات وارتفاعها بوصتان .

ولآلة التسجيل على السلك هذه منافع حربية كثيرة . ففى محطات الإنصات إلى الإذاعات اللاسلكية تسجل هذه الآلة ملايين الكلمات مما تذيعه المحطات الأجنبية . وفى ميادين الحرب تسجل الأصوات أثناء المعركة من أولها إلى آخرها . وفى الطائرات التى تحمل ميكروفونات تدوّن الآلة كل مايقال فى مراحل الرحلة جميعاً . وإذا وضع الجهاز داخل صندوق من حجر الفتيلة ، فإنه لا يتحطم بسقوط الطائرة . من أجل هذا يرسل إلى القوات المسلحة كل جهاز حين الفراغ من صنعه .

وهذا الجهاز ، الذى لا يزيد حجمه على حجم مذياع خفيف — سيكون له وقت السلم منافع عظيمة . ففى الوسع أن تسجل به حفلات موسيقية سمفونية بكاملها ، وأوبرات بتمامها ، وجميع ما يجرى فى المؤتمرات ، والمحاكمات الكبرى ، وجلسات المجالس النيابية .

وقد أسدى معهد آرمر إلى عدد وافر من الناس خدمات عديدة بفضل ما أدخله من التحسين على أشياء كثيرة مما يستخدمه الجميع فى كل آونة . فمن المشروعات التى عنيت بها شركة تصنع الآلات الحاسبة ،

مشروع يرمي إلى توفير الراحة والنشاط للمشتغلين في المكاتب والمصالح . فالآلات الحاسبة كثيرة الضوضاء ، والضجة التي تنبعث من مجموعة منها كافية لأن تطغى على الأذهان ، وتجهد الروح والجسد ، وتعطل النشاط . وقد أمكن لمعهد آرمر بإدارة وتوجيه الدكتور ١٠ . ليدى أن يزيل ٩٤ ٪ من الضوضاء الصادرة عن الآلات الحاسبة ، وذلك بإحداث تعديل كبير في هذه الآلات وصنعها على نمط جديد .

ومن المبتكرات التي تنطوي على فائدة كبيرة في المستقبل لأصحاب المنازل والسيارات ، نوع جديد من الوقود نصفه بترول ونصفه فحم ، وقد جاء نتيجة لمحاولة استنباط وجوه يستخدم فيها تراب الفحم ، وهو من نفايات المناجم ومجالب ضررها .

وقد اهتدى المعهد إلى أن مسحوق الفحم الناعم إذا أطلق في بترول من مرتبة واطية ، تألف من المزيج وقود يولد حرارة جيدة . فإذا عدّل جهاز الوقود في السيارة أمكن استخدام هذا المزيج في تسيير السيارات . وليس معنى ذلك أنه سيحل محل البنزين فوراً ، ولكن من الجائز أن يصبح بديلا منه ، إذا اشتدت أزمة بنزين السيارات .

ومن أهم الأمور التي تضطلع بها المؤسسة السجل القومي للمواد الكيميائية النادرة . وقد جاء هذا المشروع نتيجة لحالة طارئة في عام ١٩٤٢ ، إذ كان المعهد في حاجة شديدة إلى إحدى المواد الكيميائية ، فلم تستطع واحدة من الشركات الكيميائية الشهيرة أن تجد المادة المطلوبة . واضطر المعهد أن يبحث شهراً كاملا ، قبل الظفر بما يريد ، فاقتنع رجال المعهد بأن هنالك حاجة ماسة إلى إنشاء مركز قومي لتدبير الكيميائيات النادرة . والمعهد نفسه لا يختزن المواد الكيميائية ، ولكنه يحفظ أسماء طائفة منها تبلغ نحو ٦٠٠٠ مادة ، والإرشادات اللازمة للحصول على كل منها . وقد تلقى حتى الآن نحو ٢٥٠٠ طلب — كثيرمنها من بلاد أجنبية — فاستطاع أن يلبي ٧٥ ٪ منها في فترة لا تتجاوز عادة ساعتين اثنتين .

وقد وقفت مؤسسة آرمر جميع جهودها الآن على مقتضيات الحرب . وهنالك عجائب في عالم الصناعة تحجبها الأسرار العسكرية . وعلى ذلك فإن المدير فاجتبرج استطاع أن يكشف الستر قليلا عن بعض مخبآت المستقبل ، وأحد هذه المخبآت أنه سيتاح لنا طهي الطعام بالراديو ، كعمل تجاري مقبول . وقد تمكنت إحدى الشركات من إتقان جهاز يطبخ الطعام بحرارة يولدها

الراديو ، وما على الطالب إلا أن يضع قطعة من النقود فى الثقب ، فلا يلبث أن يتناول طعاماً مطبوخاً بالراديو .

وطريقة آرمر فى اختيار الموظفين هى أنه يفضل المبتدئين المجتهدين ، على الرجال الذين بلغوا الغاية ، فأسفرت عن أن المعهد يضم عصبة من نوابغ الشباب . فمساعد المدير لا يتجاوز ٣٣ عاما ، وهو الدكتور فرانسس جودوين ، الأشقر الشاربين النحيل الجسم ، حتى ليظنه من يراه طالباً فى إحدى الجامعات ، مع أنه اليوم مهندس كيميائى عالمى الشهرة . وهنالك غيره فى المناصب الرئيسية ولا تزيد سنهم على الثلاثين.

ومن عادة المدير فاجتبرج أن يذهب كل عام ، فى الصيف ، لقضاء عطلة فى الغابات الشمالية ، وفى صحبته الأعضاء المقدمون من رجال المعهد . وهناك يعيشون فى معزل عن الناس ، ويعقدون الاجتماعات لتقرير سياسة العمل ، ويقضون كل يوم أربع ساعات فى دراسة المشاكل العويصة ، أما سائر الوقت فيخصصونه لصيد السمك . ويقول فاجتبرج تعليقاً على هذا : « إن الصيد أمر ضرورى ، فإنه يؤلف بين الرجال ، ويساعد على مزج شخصياتهم وعقولهم بعضها ببعض » .



● التعبُّد هو ما يفعله المرء فى عزلتــه . . . فإن لم يستولِ عليك الشعور بالعزلة ، فلن تكون متعبِّداً . [الأسقف إنج]

إديسون يوم زواجه

مر أحد أصدقاء توماس إديسون فى ساعة متأخرة من الليل بمختبر المخترع الشهير ، فرأى فيه نوراً فصعد السلالم ، ودخل عليــه فوجده مكباً على بحث معضلة عويصة .

فقال : هالو توم : ألا تنوى أن تؤوب إلى دارك ؟

فقال إديسون وكأنه يفيق من غيبوبة : ما الساعة ؟

فقال صاحبه : تجاوزت منتصف الليل .

فقال إديسون : آه ، نعم لا بد من الأوبة ، فأنني تزوجت اليوم .

[ج . ب مكلور فى « إديسون ومخترعاته »]

● العبقرية واحد فى المئة إلهام ، وتسع وتسعون فى المئة عرق . [إديسون]





النساء فى مؤتمر الصلح

اليينور روزفلت

لسنا نواجه الآن مؤتمر صلح ، ولكن إذا عقد المؤتمر ومتى عقد ، فإنى واثقة بأننا سنشاهد نساء فى وفد الولايات المتحدة وفى وفود غيرها من الأمم. فمصالح النساء اللواتى يجاهدن فى هذه الحرب إلى جانب الرجال ، لا يمكن تجاهلها فى أى قرارات تتناول المستقبل .

وقد كانت الحروب على مر السنين من صنع الرجال ، فمن العدل أن تقترح أن النساء يستطعن المعاونة فى توطيد السلام الدائم . والنساء بحكم وظائفهن الطبيعية هن حفظة الحياة العظمات ، أما الرجال فشأنهم تبديدها ، وهم الآن ينزلون فى شىء من التلكؤ والتردد ، عن امتيازاتهم القديمة فى الاستئثار بالفصل فى مسائل السياسة العامة الكبرى بدون مساعدة النساء .

إن الملكة إليزابث ، ومسز ونستون تشرشل ، والليدى ريدنج ، وكثيرات غيرهن من النساء الإنجليزيات ، يبرزن الآن بما يتصفن به من إعداد أنفسهن خلال الحرب ، لمواجهة مشكلات العالم بعدها . وليس ثمة ريب فى أن الملكة ولهامينا والأميرة حوليانا قد صنعتا نفس هذا الصنيع ، وكل امرأة فى روسيا من مدام مولوتوف فنازلا قد قامت بنصيبها فى مساعدة الجيوش المحاربة ، ومدام شيانج كاى شيك لا تزايل مكانها إلى جانب زوجها ، وفى كل قطر من الأقطار نساء مستعدات ليفكرن فى شئون العالم بعد الحرب تفكيراً عالمى النطاق .

وكل مؤتمر يعقد فى المستقبل يجب أن يكون بين الوفود إليه نساء ، مهما كانت المسائل التى تبحث فيه . وليست المسألة هنا مسألة الاعتراف بالمرأة وحسب ، وإنما هى مسألة تربية للنهوض بأعباء الواجبات العامة. فالنساء إن لم يجلسن إلى جانب الرجال ، ويسمعن الحجج وهى تتوالى وتتطرد ، فإن القرارات النهائية ستتخذ دون أن تقوم على أساس قويم من المعرفة ، وهى قرارات لا يمكن تنفيذها إلا إذا عاونت كثرة النساء فى شتى الأمم على نجاحها . والأخبار تسرى بسرعة فى أندية النساء ، فهذه الهيئات

تسدى عوناً عظيما فى إذاعة الحقائق ، إذا شارك بعض أعضائها الرجال فى المؤتمرات الخطيرة .

من بواعث فخرى وسرورى أن نساء أمتنا حضرن مؤتمر الأغذية ، وأن وفدنا فى مؤتمر الأمم المتحدة للإغاثة والتعمير لم يشمل نساء بين أعضائه فحسب ، بل كان هناك نساء عديدات حضرنه لمراقبة ما يجرى فيه ، وهن من النساء المعنيات بنواح خاصة ، وقد استرعين النظر إلى مسائل ، لولاهن لما لقيت ما تستحقه من العناية . ورجائى معقود على ازدياد عدد النساء اللواتى يأخذن مكانهن فى كل مؤتمر تال إلى جانب الرجال .

جميع الأمم تسيطر عليها المصلحة الذاتية فى المقام الأول ، والنساء لا يختلفن فى ذلك عن الرجال ، ولكن الرجال فى الأغلب الأعم يخالون أن مصلحتنا تتحقق إذا عززنا سطوتنا عن طريق القوة ، أو عن طريق التجارة ، أفلا يحتمل أن ترى النساء أن مصلحتنا تتحقق إذا أتيح للعالم أجمع ، أن يرنو إلى شىء أحسن مما عرف قبل ؟ وليس أساس هذا الرأى أن المرأة أقل أثرة من الرجل ، وإنما أساسه أن المرأة تقيم للمحافظة على الحياة البشرية شأناً أعظم من الظفر بالسلطان . فالنساء سيحاولن كشف سبل للتعاون ، على حين أن الرجال لا يفكرون إلا فى السيطرة .

وسيقال إن إقامة الدليل على رأيى مستحيل — وأنا أوافق ، ومع ذلك فجميع مؤتمرات العظماء التى شاركت فيها النساء فى الماضى انطوت على أمثلة مشرفة ، فالملكة إليزابث والملكة فكتوريا أحسنتا قيادة أمتهما والملكة ولهلمينا تقوم بمثل ذلك اليوم .

وأستطيع أن أتذكر الزمن الذى بدأت فيه المرأة تصبح عاملا ذا شأن فى السياسة فى هذه البلاد ، إذ كان يقال بين الناس : « ليس للمرأة مكان فى حلبة السياسة » . كان الرجال يخلعون ستراتهم ويدخنون لفافات التبغ السود الكبيرة ، ويضعون أقدامهم على المناضد ، ويحتسون المشروبات الروحية ، ويصرون على أن اجتماعاتهم السياسية تسىء إلى السيدات (ولا يزال هؤلاء السيدات أحياء على أية حال !) .

ومن المحتمل أن النساء لم ينجزن فى ميدان السياسة كل ما فى وسعهن إنجازه ، ولكن التشريع الاجتماعى أوفر الآن مما كان قبل أن تنال المرأة حق التصويت . وحين تعرض مسألة من المسائل التى تثير اهتمام نساء هذه البلاد ، فالرجال يعلمون على التحقيق أن النساء غدون فى الوقت الحاضر عاملا ذا شأن فى السياسة .

ولست أطالب بحضور النساء مؤتمر الصلح فحسب ، بل أطالب بحضورهن كذلك كل اجتماع يعقد لتناول مشكلات ما بعد الحرب ، وبالإكثار من النساء المشرعات فى حكومات مدننا ، وفى الوظائف ذات التبعة . وهن لن يتقلدن هذه المهام لمقاومة الرجال ، وإنما ليعملن معهم وليكون لهن نصيب فى تشكيل العالم الجديد الذى سيواجهنا يوماً ما شئنا أو لم نشأ . ولا مفر من أن يعيش الرجال والنساء معاً فى هذا العالم، فيجب أن يبدأ الفريقان بناءه معاً منذ الآن .



من وحش إلى بطل

هذا ما نشرته جريدة « المونيتور » الفرنسية فى مارس سنة ١٨١٥ لما فر نابليون من جزيرة إلبا وشرع يزحف على باريس .

٩ مارس — فر الوحش من منفاه .

١٠ مارس — نزل الوحش الكورسيكى عند رأس جوان .

١١ مارس — ظهر النمر فى « جاب » ويتقدم الجنود من كل جانب لوقف سيره ، وسيختم مغامرته التعسة بالتشرد فى الجبال .

١٢ مارس — بلغ الوحش فى تقدمه فعلا جرينوبل .

١٣ مارس — صار الطاغية فى ليون ، وقد ذعر الناس لظهوره .

١٨ مارس — اجترأ الغاصب على الدنو إلى مسافة ٦٠ ساعة من العاصمة .

١٩ مارس — يزحف بونابارت بسرعة ولكن من المستحيل أن يصل إلى باريس .

٢٠ مارس — سيبلغ نابليون أسوار باريس غداً .

٢١ مارس — صار الإمبراطور نابليون فى فونتينبلو .

٢٢ مارس — دخل صاحب الجلالة الإمبراطور بموكب مساء أمس واستقر فى قصر التويلرى ولا شىء يفوق الفرح العام بذلك .

[فردريك هدسون فى كتابه « الصحافة فى الولايات المتحدة »]

لماذا يختلف الأمريكي عن غيره؟

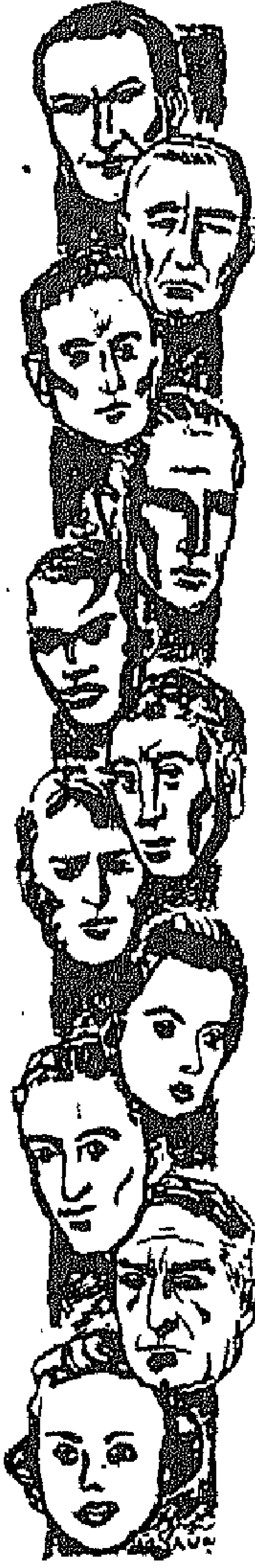
ملخصة عن كتاب « الأمريكي - تكوين إنسان جديد » لمؤلفه

جيمز ترسلو أدامز

لم أزل أحاول أن أهتدى إلى جواب لسؤال : « ما هو الامريكي؟ ولماذا يختلف عن غيره من أبناء أية أمة أخرى ؟ » فإنه لمختلف، وإنه لكما سماه الباحث الفرنسى كريفكور «ذلك الإنسان الجديد» .

وليس هو « بالجديد » فحسب - بل هو أيضاً عامل يزداد شأنه فى مستقبل العالم . فماذا يشبه الأمريكي، وماذا عساه يفعل ؟ — هذه الأسئلة اكتسبت فجأة أهمية للجميع .

والحقيقة الأولى عن الأمريكي هى أنه خليط . وهناك حوالى ١٣٥،٠٠٠،٠٠٠ منه ، وهم مزيج من الأصول واللغات لا يعيش مثله فى رقعة واحدة ذات حكومة واحدة فى أى مكان آخر ، إلا إذا كان ذلك فى الهند . وفى سنة ١٩٣٠ كان



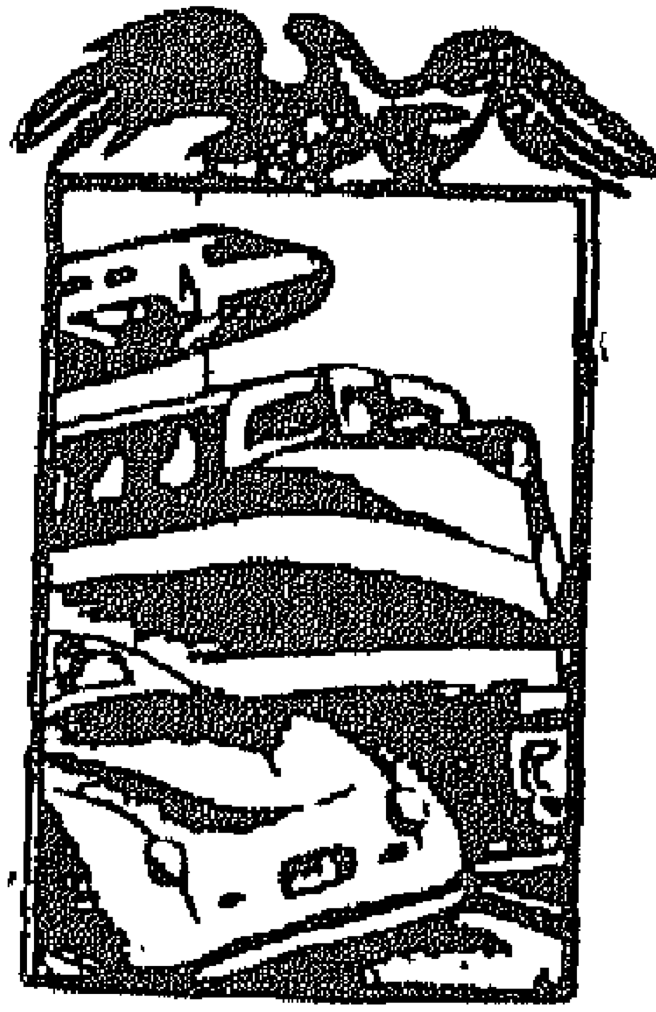
ما يقرب من ثلث السكان من المولودين فى الخارج أو من آباء ولدوا فى الخارج، وحتى أقدم الأسر الأمريكية لاتزال تصاهر الأمريكيين الحديثين . وفضلا عن ذلك فإن الأمريكي ، حتى بالمعنى الحقيقى ، قد لا يكون له هنا سوى اثنتى عشرة سنة ، فنحن جميعاً مزيج، وخصائصنا أيضاً مزيج .

غيرأن هناك على العموم خصائص هى فى الأمريكي أغلب وأبرز من سواه ، فهو مثلا شديد الثقة بنفسه ، وفى وسعه أن يكون أعظم استقلالا من غيره على ظهر هذه الأرض ، وأن لا يعبأ شيئاً بالتقاليد أو الطبقات الاجتماعية . ويرجع موقفه هذا إلى الوقت الذى تكونت فيه أمريكا ، ففى وشنطون ، على ما جاء فى رواية قديمة: « يجد السفراء الأجانب مشقة أليمة فما يتعلق بالخدم . فما من أمريكي يقبل أن يرتدى زى الخدم ، وليس ثم سبب يدعو اى امريكى إلى ذلك ، فالسفراء مضطرون

جيمز ترسلو أدامز اشتغل زمناً بالأعمال المالية ثم انتظم فى قسم المخابرات فى الحرب العالمية الأولى ، ثم حضر مؤتمر الصلح ، وهو الآن فى طليعة المؤرخين الأمريكيين المعاصرين .

أن يختاروا خدمهم من بين الأجانب الذين لا يلبثون أن يتخلوا عن العمل ويذهبوا متى وجدوا عملا لا يحتاجون فيه إلى ارتداء زى خاص » .

ونلمح فى الكتب التى صدرت فى القرن الثامن عشر خصائص كثيرة كهذه فى طريق التكون — نمو روح الديمقراطية ، وكراهة السلطة ، والرغبة فى أن يصير الإنسان شيئاً ، وأن يبلغ حيث يريد بطريقته هو ، وأن يدبر على الخصوص أمور حياته وفق مشيئته هو ، ومع أقل مقدار من التدخل من جانب إنسان آخر .



وما كان الأمريكى وهو فى دور التكون ، خليقاً أن يطيق التدابير المعدّة سلفاً للعمل ، أو البيروقراطية ، أو التعبئة والتنظيم ، وقد كان بعضهم طموحاً والبعض قليل الحيلة ، ولكنهم فى كل حال وجدوا عالماً يستطيعون فيه أن يكونوا كما شاءوا أو كما شاء لهم الحظ . وقد أخرجت مناطق الحدود سفهاء وعيّارين ، كما أخرجت أبطالا وفحولا ، ولكن أرض أمريكا كلها أخرجت شعباً يبغى أن يصنع ما يشاء كما يشاء ، والحكومة الوحيدة التى يريدها — إذا كان يريد حكومة ما — هى التى تدعه حرًّا يفعل ما يهوى أو تساعده على فعله .

وكل حكومة تنزع إلى تقييد الناس ، لا يكون نصيبها إلا العصف السريع بها .

ويلخص هذا الروح فى كلمة قالها واحد من أهل « إنجلترا الجديدة » لآخر كان يحدثه عن نفسه ويصف له روحه العام ، وكيف أنه فى قريته استصدر أوامر لحمل الأهالى على فعل هذا الشىء أو ذاك ، ولإيجاد جماعة نموذجية ، فقال له : « أراك قضيت وقتاً كبيراً فى حشر نفسك فى شئون الغير » .

وقد كان السواد الأعظم ممن جاءوا إلى هنا للإقامة الدائمة من الطبقتين الفقيرة والوسطى الدنيا . ولما كانت مشقات الحياة فى العالم الجديد قد أكسبتهم صلابة العود وجعلتهم أكثر اعتماداً على أنفسهم ، أوقصتهم عن أوربا حيث كل امرىء « يعرف مكانه » . فقد فقدوا كل اهتمام بالمركز الاجتماعى أو اكتراث له ، وهكذا استطاع احد فلاحى فرجينيا ، وهو فى تمام عقله ، أن يقول للورد بلتيمور فى وجهه إنه كذاب ، وأن يهدده بلكمة تصرعه ، ثم ب . ت بارنام المنظم المظيم لملاعب الحيوان ومعه « توم ثم » القزم المشهور ، أن يتحدثا إلى المليكة فكتوريا فى قصر بكنجهام بسهولة كأنما يحادثان أية سيدة فى أية بلدة أمريكية .

ومثل هذا السلوك من خصائص الامريكيين.

* * *

والماضى قليل القيمة فى رأى الأمريكى ، وقد اعتاد أن يحاول استخدام الحاضر على خير وجه وعينه أبداً على المستقبل . وصحيح أنه يؤسس جمعيات تاريخية عديدة ، ويقيم فى قراه ألواحا ، تذكارية ، ولكنه لا يحجم عن أن يعفى على كل أثاث أو مبنى أو غير ذلك فى أى وقت ، إذا اعتقد أنه وجد ما هو أحدث أو أصلح .

والأمريكى رجل يحب الاختراع والجديد من الأشياء ، وهو مولع باتخاذ ما يؤدى إلى الاقتصاد فى العمل ، فيعفيه أو يعفى زوجته من الجهد فى إحدى النواحى ، ثم يكدح لكسب المال اللازم لاتخاذ ذلك. وهو يحرص على أن تكون سيارته وكل ما حول بيته أو مكتبه من أحدث طراز وأحسنه .

وأعتقد أن فى الوسع رد هذا إلى تأثير الحياة على الحدود ، فقد كان فى أمريكا دائماً فى ثلاثة قرون جماعات حديثة جداً وأسر تنمو ، وفى وسعها أن تنفق على اتخاذ أحدث المعدات من غير أن تحتاج إلى التفكير فى تكاليف القديم المنبوذ ، وكان من جراء ذلك أنه كانت هناك دائماً نماذج لما هو أوفق وأحدث ينظر إليها الناس ويشتهونها. فى أوليات العقد الأخير من القرن الماضى عاد أحد أعمامى إلى نيويورك من مدينة شيين الصغيرة ، وهى على مسافة ألفى ميل غرباً ، وعيرنى بأن نيويورك ليس فيها إلا مصابيح غاز ومركبات خيل ، على حين تنعم شيين بمصابيح الكهرباء ومركبات تجرى على قضبان ، فهذه المدينة الصغيرة كانت تستطيع فى سنة ١٨٩٢ أن تسخر من نيويورك الكبيرة ، وقد اضطرتها أن تحذو حذوها بأى ثمن .

ومن أهم الحقائق الأساسية ، فيما يتعلق بأمريكا وتكييف نفوس أبنائها، أنه لم تكن لنا حدود واحدة نقرها ونستقر عليها ، وإنما كانت هناك حدود لا حصر لها تزحف وتمتد وتتقدم وتؤثر فى « الحلات القديمة » كأنها موجات متعاقبة . وهذا يختلف عما حدث — على الأقل فى مثل هذا النطاق الواسع — فى أى بلد آخر فى التاريخ كله ، وهذا يعلل ما ينزع إليه الأمريكى من حب الجديد فى سيارته وغيرها، وما وصل إليه التطور الهائل فى صناعة أمريكا ، وما تؤثره الزوجة الأمريكية من الاستعانة بأدوات التنظيف الآلية وغيرها مما يعفيها من المشقة ، وأثر ذلك فى نفسها .

* * *

وقد رفع الأمريكى المرأة إلى أعلى مقام ، « فصارت عجلا أمريكيا من ذهب » فما من

امرأة فى بلد آخر تستطيع أن تمضى لرأيها ويكون لها ما تريد ، كما تفعل فى أمريكا . وقد صار للرجل المحل الثانى فى البيت ، وفى الحياة الاجتماعية ، وفى الحياة الثقافية أيضاً إلى مدى بعيد . وقد وضع الرجل الأمريكى المرأة على منصة أول الأمر ، نزولا منه على قانون العرض والطلب . ذلك أنه فى تاريخنا كله ، من محلة إلى محلة ، وعلى حدود بعد حدود على طول الطريق من «جيمستون» إلى كاليفورنيا ، كان النساء قلة بالقياس إلى الرجال ، ومن هنا كان التنافس على الزواج بهن عظيما ، فارتفعت قيمة المرأة ، وكان الثمن الذى يؤديه الرجل هو أن يدلل السيدة ويبتغى مرضاتها .

ويرجع السبب فى أن الأمريكى وضع المرأة فوق منصة ، بل رفعها مقاماً أسمى من ذلك ، إلى أنها وقفت إلى جانبه وعملت معه فى جهود الارتياد وأخطاره ، وقد كانت فاتحة هذا الذى صار تقليداً فى حياة المرأة ، ما أثاره الهنود من المتاعب فى جيمستون — وهى من الأماكن الأولى التى استعمرها الأمريكيون — حيث وقف عدد من النساء وحدهن يدافعن عن دورهن ضد المتوحشين . ومنذ ذلك الحين صارت قائمة النساء الرائدات اللواتى أظهرن شجاعة ممتازة ، طويلة مجيدة .

غير أنه كانت هناك مظاهر أخرى للشجاعة استدعاها الأمر ، فضلا عن مقاتلة الهنود ، أهمها الكد المضنى فى أداء الواجبات المنزلية ، والحمل وتربية الأطفال فى أشق الأحوال ، وترك الدور القديمة ، والانتقال إلى أخرى جديدة ، حيث كان يجب قطع الأشجار وتمهيد الأرض قبل أن تتسنى الإقامة على صورة من الصور ، ثم كانت هناك الوحشة المطلقة فى الغابات الشاسعة والسهوب المتقاذفة .

ولا يزال باقياً أن توصف الوحشة التى عاناها الأمريكى وأثرها المتعدد الجوانب فى نفسه . ومن هذا الأثر ذلك السرور الذى يجده حين يرحب بالغرباء الطارئين ، وهو سرور لا يقدره أو يفهمه الناس فى الجماعات المستقرة فى العالم القديم . فقد كان قدوم غريب مدعاة للترحيب فى حياة منعزلة ودائرة مغلقة ، وكان ذلك حادثاً يقطع الصمت الذى لعله كان لا يقطعه شىء منذ أسابيع ، فهو يستحق الترحيب والحفاوة . ولهذا كانت الوحشة هى مصدر الكرم الأمريكى الذى يحس الأجانب حرارته ويشعرون أنه يغرقهم .

ومن هنا ظل الأمريكى أكثر الناس تودداً على الأرجح فى العالم ، فإنه يحب أن يحادث الأغراب ، ولا يخشى أن تحمّله فى المستقبل محادثة عارضة على ظهر باخرة أو فى قطار تبعة اجتماعية ، وهو يميل إلى

الإفاضة والتوسع فى حديثه ، ولا يحجم عن الكلام عن نفسه وشئونه الخاصة وبلاده التى يعدها خير ما فى الدنيا . وهو يحب الفكاهة ، وقد يعتقد أن فكاهته هو أطيب وأمتع . وكثيراً ما تقوم فكاهته على المبالغة ، على خلاف الإنجليزى الذى يعمد إلى التهوين والغض من شأن نفسه . ومن أمثلة هذه المبالغة قصة الرجل الذى قال إنه رأى كلبين فى أحد السهوب تقذف بهما عاصفة من الرمل إلى ارتفاع عشرين قدماً فى الهواء « وكانا يحفران بقوة ليعودا إلى الأرض».



ونكاته مظهر لحبه لما هو كبير وجسيم . ولا تزال تستولى على نفسه فكرة الذى هو « أكبر وأحسن » ، فهو يباهى بحجم فاكهته ، وبالخزانات التى بناها ، وبأن فى بلاده أكبر محطات للسكك الحديدية فى العالم ، وبناطحات السحاب ، وهو فى الوقت نفسه لا يزال مولعاً بالمزارع وحياتها وتقاليدها . وما انفكت البلدة الصغيرة أبرز خصائص الحياة فى أمريكا ، بشرفاتها الأمامية ، وبالمودة السهلة بين أهلها ، وبروح التعاطف والتآلف بينهم .

* * *

والقول أن الأمريكى لا يعبأ بالفن ، ولكن جانباً كبيراً من فن العالم القديم ، إنما أتيح له البقاء إلى المستقبل ، لأنه محفوظ فى دور أمريكا ، وقد صار الأمريكى الذى لم يطبع على روح الفن يخرج كفاء خير ما أنتجه أى شعب آخر فى الأدب والتصوير والنحت ، ويتفوق فى العمارة . والمقول أن الأمريكى فى العلوم ، عملى ليس إلا ، غير أن معامل الأبحاث التى بنتها « جماعات مادية غير ذات روح » فى طليعة أمثالها فى العالم . ومن غرائب النقائص أن الأمريكى يسبق الأمم الأخرى فى أخلى العلوم من الصبغة العملية ، وهو الفلك .

ويختلف موقف الأمريكى من المال عن موقف أى شعب آخر تقريباً . فقد كانت الفرص فى الماضى من الكثرة ، وثروة البلاد الطبيعية من العظم ، بحيث راح الأمريكى يفكر فى المال على نحو جديد ، وصار كسب المال أشبه بلعبة تزاول ، حتى إذا أفاده لم يخزنه ويكنزه ، بل أنفقه لقلة ما تكلف من العناء فى إفادته . وهو يعرف أنه ليس بالكز البخيل ، ويعرف أن كارنيجى وهب الجزر البريطانية ١٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال ، وأن الأمريكيين جددوا مكتبة لوفان التى كان الألمان قد دمروها ، وأن آل روكفلر تبرعوا بعشرات من الملايين لعدة بلدان ، وأننا بذلنا معونتنا

لبناء جامعة لندن ، وبنينا سقفاً جديداً لقصر فرساى ، وقدمنا عشرات من الملايين لبلاد أخرى معاونة لها فى أيام السلم .

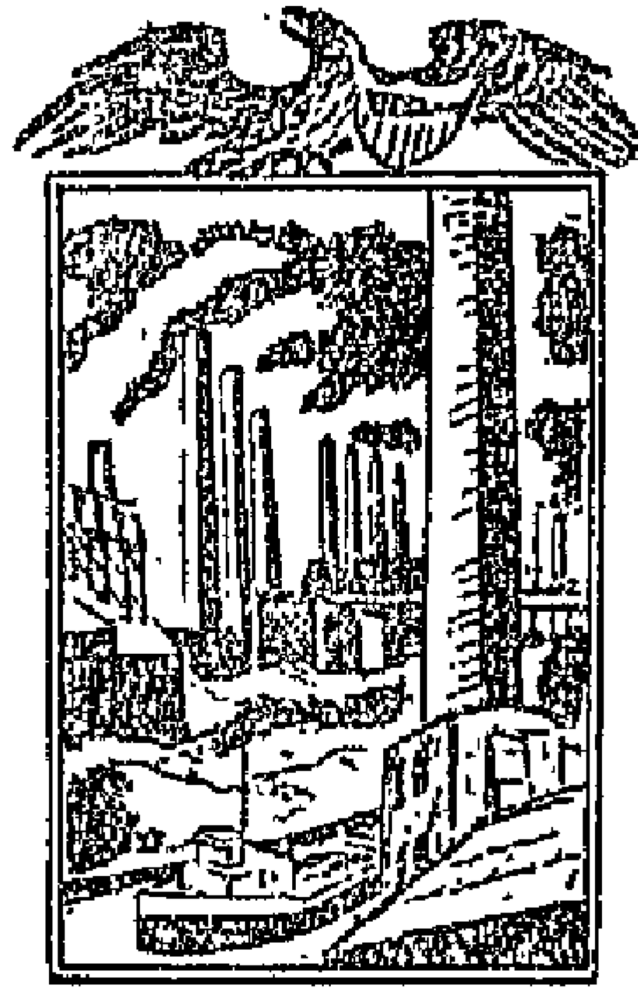
ويصدر الأمريكى عن هذه الروح الرضية التى يتناول بها شئون المال ، فى غيرها من الشئون ، فهو يعرف مثلا أن فى الحكومة إسرافاً عظيما ، وأن هناك فساداً كثيراً ، ولكنه مشغول ، واعتقاده أن كل شىء سيصلح على نحو ما ، وقد كان هو على كل حالة ، مسرفاً بدأً مبدداً دائماً فى أرضه وغاباته ، فى بلاده .

ومن أبرز خصائص الأمريكى استعداده للمغامرة وتجربة حظه ، وإذا كان كثيراً ما يعتقد أن الله يرعى الأطفال والسكيرين والأمريكيين ، فإن هذا اعتقاد قد ألحت به عليه الحوادث مرة بعد أخرى . مثال ذلك أنه فى سنة ١٨٤٨ حصلنا بمبلغ يسير من المكسيك على ولاية تكساس وعلى رقعة شاسعة من الأرض فى الغرب فيها كاليفورنيا . وقبل أن نوقع المعاهدة مع المكسيك بثمانية أيام ، اكتشف الذهب فى كاليفورنيا من غير أن تعلم الحكومة الأمريكية بذلك ، فأقبل الناس على هذه المنطقة إقبالا معدوم النظير فى التاريخ ، وانطلق الرجال من كل طبقة إلى كاليفورنيا ليجربوا حظهم ، وكان فيهم رجال الدين والأشراف ، والتجارة ، ورجال الأعمال ، والعمال اليوميون ، والفلاحون ، ولم يمض عام حتى كان فى كاليفورنيا ٩٢,٠٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٦٠ أربى العدد على ٣٨٠,٠٠٠ وكانت الأحوال عجيبة ، ففى أقل من أربعة أعوام ، بعد أن تألفت شركة بريد المحيط الهادى ، نقلت على بواخرها من سان فرنسسكو إلى نيويورك حول أمريكا الجنوبية ما يقرب من ١٢٣,٠٠٠,٠٠٠ ريال ذهباً . وفى كاليفورنيا نفسها لم يكن للمال قيمة ، فكانت أوراق اللعب تباع بخمسة ريالات ، والنسخة الواحدة من الجريدة بريال . والعامل يتقاضى فى اليوم عشرين ريالا أو ثلاثين ، ورجال التعدين السعداء الحظ يحصل الواحد منهم على مئة ريال أو ألف ريال فى اليوم جزاء له على إزالة الأخلاط عن الذهب .

وكثيرون ممن ذهبوا إلى كاليفورنيا لم يجدوا إلا قليلا من الذهب أو لم يجدوا شيئاً ، ولكن الحظ ظل يجتذبهم ويهيب بهم أن أسرعوا ، أسرعوا . وذهب كل واحد يغامر ويقامر فى سبيل الملايين ، وسحر المغامرة ، ويبذل فى ذلك من العزم والنشاط والجهد ما يبنى بمثله الدول والإمبراطوريات . وهذا هو الجو الذى كان ينشقه الأمريكى . ولم يكن هناك «أمن اجتماعى» ، وإنما الذى كان هناك هو المغامرة ، والحرية ، وإمكان

إفادة الغنى الواسع . وقد كان هذا من أكبر المؤثرات فى تكوين الشخصية الأمريكية .

وفى البــلاد التى هى أقدم من أمريكا ، حيث الفرص محدودة ، يحجم المرء ، إذا تقدم قليلا ، عن المخاطرة ، لأنه يخشى إذا هو هوى أن لا يستطيع أن ينهض مرة أخرى ، والإخفاق فى مثل هذه الأحوال ، يترك طابعه ، أما فى أمريكا فإن من الممكن أن تقول إنه لا أثر له على الإطلاق تقريباً . فالمرء يتعثر ، ويحاول أمراً جديداً ، ومن المرجح أن يعود فيظهر فى أمر جديد كل الجدة .



وتعجبنى حكاية أعرف أنهـــا حقيقية ، وهى تمثل الروح الأمريكى :

كان هناك زعيم اجتماعى فى بلد فى الغرب ، فبعث فى طلب سباك ، فلما جاء ، كان يتطوّح من السكر ، فاشتكت السيدة وطرد الرجل . فذهب إلى الجبال ، وأصاب مالا ، وبعد عشرة أعوام عاد ، وقد رشد وصارت له عدة ملايين ، فكانت السيدة التى طردته من بيتها هى التى افتتحت معه إحدى الرقصات الشائعة يومئذ ، فهذا شئ لا يحدث إلا فى أمريكا .

وهذا يفضى بنا إلى خصيصة أخرى — هى مرونة الأمريكى المدهشة ، فقل بين الأمريكيين الناجحين من لم يعالج أشـياء كثيرة ، وكثيرون منهم يبـدأون العمل وهم فى المدرسة . وضروب الأعمــال التى يعالجها الفتيان والفتيات ليشقوا طريقهم ، تشمل كل ما يخطر على البال تقريبـاً من الأعمال ، وليس لأى واحد منها أى أثر ، كائناً ما كان ، فى المركز الاجتماعى ، والأثر الوحيد هو أنه يرتفع مقام الطالب فى عيون الجميع . وعلى نقيض ذلك ما حدث فى إنجلترا فى أثناء فترة الهبوط فى العقد الثانى من هذا القرن ، فقد وجد الذين يقومون بالخدمة الاجتماعية أن من أشق الأمور أن يحملوا العاطلين على تغيير محل الإقامة أو نوع العمل ، ومعظم الأمريكيين ، لا يفهمون هذا .

* * *

ويدهشك أن تعرف كيف اســـتولى الأمريكى على « الإمبراطورية الأمريكية » — إذا شئت أن تسميها إمبراطورية — بوسيلة المساومة والبيع ، فما من أمة أخرى فعلت مثل ما فعل ، فقد اشترينا جانباً كبيراً من الغرب الأوسط من نهر المسيسبى إلى الجبال الصخرية (أرض لويزيانا القديمة) من نابليون بخمسة عشر مليوناً من الريالات ، ودفعنا إلى أسبانيا خمسة ملايين ريال ليكون حقنا فى فلوريدا خالصاً لنا . وحاربنا المكسيك ولكنا دفعنا إليهـا ١٥،٠٠٠،٠٠٠ ريال ثمناً لجانب كبير من المنطقة الغربيـة

وفى جملتها كاليفورنيا ، ودفعنا إليها ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال أخرى لتعطينا خير طريق من تكساس إلى كاليفورنيا . وحاربنا أسبانيا ولكنا منحنا كوبا حريتها ، ودفعنا إلى أسبانيا ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال فى مقابلة بورتوريكو، وجوام ، والفلبين . وأخيراً دفعنا إلى كولومبيا ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال فى مقابلة منطقة قناة بناما . فهل قامت دولة وإمبراطورية بمثل هذه الوسيلة ؟ وهذا بعض مايوصم به الأمريكى ، ولكنه يكشف عن طباعه .



وقد مد الأمريكى بلاده فوق القارة بالحرب والمال ، ولكنه سافئ خصما عنيداً للتوسع فيما وراء ، البحار ولنا أن نسميه استعمارياً لفتحه للقارة ، ولكنه فى التزامه السواحل من الجانبين ما فئ خصما للاستعمار .

وهو لا يحب الحرب ، وإن كان مستعداً أن يقاتل إذا اضطر إلى ذلك ، ولكنه بعد الحرب يجد من العسيرعليه أن يكره عدوه.

وقد أدى إلى هذا سعة المحيط وغنى أمريكا . ويجد الأمريكى صعوبة فى فهم مشاكل أوربا وضغط الحالات فيها . ولا يزال ينظر شزراً إلى كل طائفة جديدة من المهاجرين ، ولكنه حين يحتك بهم يواطنهم ويحسن معاشرتهم ، ولا يستطيع أن يفهم لماذا يعجزون عن حسن المعاشرة فى بلادهم . « طوائف الأقلية ؟ » كلام فارغ ! « أليس عندنا أكبر طوائف من الأقليات فى أى بلد فى العالم ومع ، ذلك لايأخذ بعضنا بتلابيب بعض طول الوقت؟ » وهذه يورثه شعوراً بأن الأجانب فى البلاد الأخرى لابد أن يكونوا سخفاء أولعل حصتهم من الخطيئة عظيمة.

وقد كان الأمريكى من دعاة العزلة فى الشئون الحربية والسياسية ، وهو يبغى أن يظل بمعزل عن الاشتباكات الدولية ، كما يبغى أن يكون حراً لتغيير نهجه الشخصى فى موطنه . ومع أنه من دعاة العزلة إلا أنه لا يوجد إنسان نصيبه من العقلية الدولية أجزل من نصيبه ، فإن مصالحه وهباته تذهب إلى أقصى الأرض ، وهو مستعد أن يمول التنقيب عن الآثار فى العراق ، كما يمولها فى أريزونا ، وأن يساعد مستشفى فى بيكين كما يساعده فى سنت لويس . وإذا أتيحت له الفرصة سافرت جماعات منه إلى البلاد الأخرى . ومن مبتغاه أن يتجر مع أقطار الأرض جميعاً ، على أنه قد يفعل هذا وذاك متعجلا . ومع الشعور بأن كل شىء فى أمريكا خير منه فى غيرها .

والأمريكى يحب الحرية . وقد جاء من أوربا لينعم بها ، وتنقل من رقعة إلى رقعة فيها لينالها مرة أخرى حين ظن أنه سيفقدها. وكان ولا يزال يود أن يكون سيد نفسه . ولم يزل منذ البداية يطلب أن يحس بالحكومة أقل إحساس ، ويكره أن تبين له الحكومة ماذا يجب عليه أن يفعل . على أنه يحب أن تثبت الحكومة وجودها إذا استطاع أن يحصل على شيء منها ، وقد يطالب بتعريفة جمركيـة ، وإعانات للشيوخ ، ومساعدة للفلاحين ، وهذا كله خليط لا يستبين فيه العقل ، وهو من خصائص الأمريكى .

* * *

ولا يزال الأمريكى شاباً ، ولا سبيل إلى التنبؤ بما سيصير إليـه ، وما عسى أن يفعل فى المستقبل ، ومهما يكن ما يفعل ، فإن تعداده ، وبراعته ، وذكاءه ، وموارده سيكون لها وزن عظيم فى العالم الجديد . ولكن الذى سيكون له أكبر قيمة للأجيال التى ستجىء بعد الأزمة الحاضرة ، هو أحلام الأمريكى .

ولا يوجد اليوم أعظم من حشد الثروة والقوة فى أمريكا التى كانت قارة فارغـة قبل ثلاثة قرون . وقد خلقتها الأحلام — أحلام الفرص ، وأحلام الجزاء والمكافأة ، وأحلام المساواة ، وأحلام الحرية ، ولعل للأحـلام قوة مجهولة . وقد كان أعظم ما حلمت به الإنسانية إلى الآن لحياتها اليومية هو الحلم الأمريكى الذى جلب الملايين من الناس إلى شواطئنا من جميع أمم العالم .

والخلاصة أن الأمريكى كان وما يزال هو الرجل العادى الذى رأى فى العالم الجديد عالماً جديداً « حقيقيا » طرح فيه عن نفسه قيود القديم، ووقف فيه إنسانا معتدل القامة. وقد تفاوت الحلم بتفاوت الذين حلموا به ، ولكنه فى نظرهم جميعاً كان معناه شيئاً جديداً رائعاً، تطلب شجاعة وتضحية ،ونبذ المعروف المألوف ، والاستعداد للمخاطرة بكل شىء مما كان لهم فى الحيـاة القديمة للفوز بحياة أطيب .

وقد نفض الأمريكى عن نفسه المـاضى إلى حد بعيد ، ويكاد لا يكون قـد عاش حتى فى الحاضر ، لأنه يتطلع إلى القمم ، وإلى المستقبل .



الموت فى هاليفاكس

إدمون جيليجان

فى صباح اليوم السادس من ديسمبر سنة ١٩١٧ سارت الحياة فى سبيلها ناعمة البال فى ميناء هاليفاكس (نوفاسكوشيا بكندا) مدة سبع عشرة دقيقة منذ أن أومض لهيب أزرق على ظهر سفينة الذخيرة « مون بلان » .

كانت الساعة التاسعة ، وقد بدأ العمل فى المكاتب والمخازن والمصانع ، وهى منهمكة جميعاً فى جرّ مغانم الحرب الوفيرة . وكانت بواخر الشحن فى مضيق الميناء تشد إلى الأرصفة ، والطرادات وسفن النقل تلق مراسيها ، والبحارة يكدحون فى شحن المواد الحربية .

وفجأة ، وسط زحمة البواخر ، ظهر قارب نجاة ، يتولاه بحارة فرنسيون ، يجدفون بعنف ، قاصدين الشاطئ الشمالى ، وتبعه قارب آخر ، مكتظ هو أيضاً بالرجال ، جميعهم يتلفتون وراء ظهورهم — فى يأس — إلى هذا اللسان الرقيق من اللهب الأزرق فى « مون بلان » .

وحين بلغ الزورق الأول الشاطئ قذف البحارة بأنفسهم إلى البر فى ذعر ، وهم يتمتمون بالفرنسية بلعنات ودعوات ، ويصرخون : « البارود . البارود ! » .

شاع لغط إنذارهم يتعالى من فم إلى فم ، وهم هاربون يجرون فى الشوارع . فأطلق بعض الناس سيقانهم فى أثرهم ، وسارع آخرون إلى حافة الماء يستنبئون البحارة الذين يقذفون من القارب الثانى .

وصرخ أحد البحارة الكنديين : « إنها تحترق ! لقد اصطدمت « مون بلان » بـ « إيجو » . وإنها مشحونة بالذخائر » . وانطلق يعدو .

وفى أثناء ذلك كانت الطرادة البريطانية « هاى فلاير » الراسية على مقربة ، تنزل قارباً ، وبين خفوت اللهيب واندلاعه ثانية ، استدار القارب وحاذى برشاقة « مون بلان » ، وشاهد الواقفون على الشاطئ الضباط والبحارة يتسلقون ظهر الباخرة ويجرون نحو النار .

وانقضت السبع عشرة دقيقة ، واندلع من ظهر الباخرة عمود من الضوء الأصفر

لا تزيد ثخانته عن سارية « مون بلان » وارتفع إلى علو ميل مخترقاً السماء المشمسة ، ودار لحظة دوراناً لولبيا ، ثم انتشرت قمته كرأس نبات الفطر ، فأضحى سحابة قرمزية هائلة .

لقد انفجرت أربعة آلاف طن من المادة المفرقعة ت . ن . ت . ودوى انفجارها أعظم دوى طرق الآذان فى هذه الدنيا ، وتلاشت « مون بلان » ، وطارت قطعة من مرساها تزن نصف طن مسافة ثلاثة أمثال وسط غلالات من اللهيب ، وتمزقت جوانب الباخرة ألواحاً تساقطت كالمطر المنهمر — وهى تئز — على البواخر والمنازل . وفى مكان « مون بلان » انبثق شلال أبيض هائل من ماء يغلى ، فإذا الطيور المحلقة فى السماء تتساقط نتفاً من رماد لحم وريش .

وأخذ الموت يزحف مزمجراً فوق الماء ، فقفزت البواخر مقتلعة مراسيها ، وسقطت مصروعة فوق موجة المد ، واصطدم ثمانية من البحارة ببرج طرادة فتطايرت أجسادهم أشلاء . وبلغ من قوة الرجة أنها سحقت على ظهر الباخرة « إيمو » ربانها وثلاثين من بحارتها ، ولم ينج من الغازات الملتهبة الزاحفة إلى البر سوى البحارة الذين كانوا فى بطون السفن . واقتلعت صخرة من قعر البحر فى الميناء ، واندفعت فى الجو ، ثم هوت فقتلت على أحد الأرصفة ٦٤ من العمال .

على الشاطىء الجنوبى لمضيق الميناء تثوى قرية رتشموند فى بطن واد كالحوض تحوطه التلال ، فاندفعت فى ذلك الحوض صدمة الضغط الهائل ، فلم يكد مئتان من الصبيان فى إحدى المدارس يهمون بالقيام من مقاعدهم حتى تداعت عليهم الجدران ، فلم ينج منهم إلا ثلاثة . وأدرك الموت المصلين فى كنيسة سان جوزيف وهم يتضرعون ، وارتجت مصانع ودور شوارع بأكملها وانهدمت ، واقتعلت الأشجار من الأرض وتطايرت كالأوراق ، ودفع بأناس فى الجو عالياً ، وحملوا بعيداً ، ثم لحقهم الموت حين سقطوا من علٍ مرتطمين بجدران أو بأعمدة التلغراف .

وشبت الحرائق فى آلاف من الأمكنة ، واتصل بعضها ببعض ، فأصبحت لهيباً واحداً مدمراً ، تنبعث منه رائحة كريهة — رائحة احتراق اللحم . ومن وسط هذا الجحيم أقبل العمى والمشوهون ، يجرون ويتعثرون ، وكلاب وقطط ، وجياد تعدو مذعورة .

واندفع ضغط الانفجار حتى وصل مدينة هاليفاكس ذاتها ، فحطم النوافذ وقوض

الجدران ، ونثر شآبيب من شظايا الزجاج ، فهرع كل من استطاع إلى الطريق ، فرأى اللهيب والدخان ، وسمع صراخ الموتى ، وتصايح الناس بأن أسطولا ألمانياً يضرب المدينة بالقنابل ، وذاعت الأقاويل بأنها إغارة جوية ، وأقسم قوم أيماناً مغلظة بأنهم رأوا الطائرات فى الجو بأعينهم ، ودفع الذعر الناس إلى الحقول فاكتظ مرج البلد بخمسة آلاف هارب .

ثم جاء الغزو من ناحية الميناء ، فأقبلت ، تسبقها صرخات الهلع ، جموع طارصوابها تتعثر وتدب وتتحسس طريقها إلى الشوارع الرئيسية فى المدينة ، والدم يقطر من الوجوه ، ومنهم من يعدو رافعاً أمامه ساعدين قد بترت منهما اليدان ، وأطفال مزقت جلودهم وسالت دماؤهم ، يقودون آباؤهم العمى ، وحملت امرأة ابنها وهو جثة بدون رأس . وسقط عشرات بين الأقدام فقضوا .

وانتهت الانفجارات فعادت مدينة هاليفاكس إلى صوابها ، فأوفد الرسل لنشر خبر ما حدث ، وكان بعض الناس قد حدس به . فقد شاهد قدم يتناولون إفطارهم فى مدينة البرنس إدوارد — وهى تبعد ٢٥ ميلا — أطباقهم ترقص على المائدة ، كما سمع الانفجار فى سفن تمخر البحار على بعد كبير .

بدأ عمل الإنقاذ ينتظم حين أقبل رجال المطافىء بمعاونة المتطوعين ، على مهمتهم الشاقة فى إخماد الحرائق . وضع الموتى على الأرصفة ، وقد تكدست الجثث كقطع الخشب بعضها فوق بعض ، وتوالت عربات النقل تجد فى السير من محيط النيران والدخان مكتظة بجثث فتيات المصانع — وهن نصف عراة — وصبية المدارس ، والبحارة الذين قذفتهم من الميناء موجة المد الهائلة التى ولدها الانفجار ، وبلغ عدد الموتى ألفين ، وعدد الجرحى عشرين ألفاً ، عدا ٥٠٠ لم يعثر لهم على أثر ، فقد زالوا من على وجه الأرض .

وأقبل الليل يلف مدينة لا ينيرها غير ضوء المشاعل والقناديل ، وأجرى الجراحون جراحاتهم وهم يتلمسون من مصابيح البترول ضوءاً خافتاً مضطرباً . ولم ينقطع طوال الليل خروج عربات النقل من محيط الدخان ، ووقوفها بأبواب المدارس وغيرها من الدور التى اتخذت معارض للجثث . ثم دها البلد المنكوب فزع آخر ، إذ اكتسحت المدينة عاصفة ثلجية هوجاء لم يعهد لها مثيل من قبل ، فخدر برد الرياح عمال الإنقاذ ، وعجل الالتهاب الرئوى موت المصابين .

وحين ذاك ، كان العالم الخارجى قد أخذ

يبذل معونته بهمة عظيمة ، فقامت من نيويورك قطارات محملة بالأطباء ومواد العلاج والغذاء ، وخفت الولايات الأمريكية الشمالية الشرقية إلى إرسال أمداد مماثلة ، وشحنت باخرة فى بوسطن فبلغ من ازدحام المتبرعين عندها مبلغاً اضطر أولى الأمر إلى استدعاء الاحتياطى من الشرطة لحفظ النظام . وأرسلت الحكومة الكندية مؤناً وعمالا ، ولكن رسل الإنقاذ ما وصلوا إلا وقد حان الحين لكى يشقوا القبور العامة الرحبة لمواراة الجثث .

كيف نشأ الانفجار فى مون بلان ؟ إليك الرواية المسلم بها :

حين دخلت « مون بلان » القادمة من نيويورك ، مضيق الميناء فى ذلك الصباح ، كانت « إيمو » ، وهى باخرة نرويجية مخصصة لشحن القمح ، سائرة تبغى الخروج من المضيق . وكانت بواخر أخرى كثيرة تسير فى مدخل الميناء ، فاختلطت الإشارات واتجهت الباخرة « إيمو » نحو باخرة الذخيرة . فلما تصادمت الباخرتان نفذ مقدم « إيمو » فى جوف « مون بلان » فانقلب برميل من البترول . ويعتقد بعضهم أن تصادم الصلب بالصلب فى الباخرتين ولد شرراً . ويصر آخرون على أن الباخرة الفرنسية كان بها قبل التصادم نار فى برجها الأمامى . وسواء أصحت هذه الرواية أم تلك فقد وثب اللهيب المحتدم .

وصلت الدعوى القضائية التى نتجت عن الكارثة إلى مجلس الملك الخاص ، وهو أعلى محكمة فى الإمبراطورية ، فقضى بأن الباخرتين مخطئتان على السواء . فكُفَّ بعض المسئولين عن عملهم . وفقد بعض الموظفين وظائفهم . ثم طويت الحادثة وأسدل عليها الستار .

على أن ضباط الطرادة « هاى فلاير » وبحارتها ضربوا مثلا فى شجاعة سيبقى ذكره طويلا فى التاريخ البحرى . فقد رأوا ما حدث ، وكانوا يعلمون ما تحمله « مون بلان » ، ومع ذلك فقد أقدم ثلاثة من الضباط وعشرون من البحارة على الصعود إليها لإطفاء الحريق . وليس يدرى إنسان مبلغ دنوهم من النجاح ، ذلك أنهم تلاشوا فى سعير الغاز الملتهب .



● النجاح هو أن تظفر بما تريد ، أما السعادة فأن تريد ما تظفر به .

[حكيم مجهول]

« ما هى الحقيقة وراء فورات الغضب والسياسة فى النزاع الدائر حول مد الهجرة إلى الوطن اليهودى ؟ » .

تقرير عن فلسطين

فردريك س . پاينتون

[عهد المحررون الأمريكيون لمجلة ريدرز دايجست إلى مكاتبهم فى ميدان الشرق الأدنى — فردريك س . پاينتون — فى السعى للحصول على الحقائق عن هذا الموقف فى فلسطين الذى تحجبه فورات الغضب والسياسة حجباً تاماً . وقد زار فلسطين مرة أخرى وحادث زعماء الفريقين واتصل بذوى النزاهة من المراقبين ، وزار المدن والمصانع والمزارع والبساتين . وهذا هو تقريره قال : (وقد تحريت فى كتابته أن يكون موضوعياً ونزيهاً جهد الطاقة) ثم قال إنه أراد به أن يكون مذكرة لمحررى المجلة فى أمريكا ليتسنى لهم أن يقدروا ما ينشر فى هذا الموضوع من مقالات ، ولكنه فيما يبدو لنا ، حافل بالمعلومات ، وعلى جانب عظيم من الأهمية ، وفى ذلك ما يسوغ نشره . وقد نشرنا هذا المقال فى الطبعات الأمريكية والبريطانية والسويدية والاسبانية والبرتغالية لمجلة ريدرز دايجست . فأربعون مليوناً من القراء فى جميع أنحاء العالم سيطلعون عليه . وهذه هى المرة الأولى التى يتاح فيها لمعظمهم الاطلاع على وجهة النظر العربية] .

إن لباب المسألة اليهودية العربية هو الهجرة طبعاً . فاليهود يبغون أن تكون هجرتهم غير مقيدة حتى يبلغ عددهم ٤,٠٠٠,٠٠٠ ، والعرب يقولون إنهم لن يحتملوا أية هجرة يهودية أخرى ، ولكنهم يوافقون على أن لا يقاوموا أو يعرقلوا اليهود الموجودين الآن فى فلسطين وعددهم ٥٥٠,٠٠٠ .

وينص الكتاب الأبيض الانجليزى النافذ فى الوقت الحاضر على (١) أن يكون ثلث سكان فلسطين من اليهود والثلثان من العرب و (٢) أن يقصر بيع الأراضى لليهود على مناطق معينة و (٣) أن تنقطع الهجرة اليهودية بعد ٣١ مارس سنة ١٩٤٤ ، ولكن هذا القيد لا يسرى على ٧٥,٠٠٠ يهودى مرخص لهم فى الدخول ، ولا يزال هناك حوالى ٣٣,٠٠٠ منهم لم يدخلوا بعد . و (٤) على أن تعيد الحكومة البريطانية النظر فى مسألة فلسطين بعد انقضاء عشر سنوات ، أى فى ٣١ مارس سنة ١٩٥٤ توطئة لمنحها الحكم الذاتى المحلى .

ويقبل العرب فى الوقت الحاضر على الأقل ، العمل بالكتاب الأبيض ، أما اليهود فيقاومونه بشدة بل بعنف ، ولكن بسبب

الحرب وجد نوع من الهدنة روعى مراعاة معقولة لولا المتطرفين .

ويتلفت العرب حولهم فيرون بلاداً عربية مستقلة ، ويود عرب فلسطين أن يظفروا بالاستقلال أيضاً ، ولكنهم لا يدرون كيف ينالونه . والعرب فى الوقت الحاضر يخشون اليهود لسببين : الأول أن اليهود أعلى لساناً ، ووراءهم صحافة عالمية وثروة طائلة ، والثانى أن اليهود لا يزالون يهربون الأسلحة بكثرة مدهشة وفى نطاق واسع جداً . والأمر لا يقتصر على البنادق بل يمتد إلى المدافع الرشاشة ومدافع الهاون ، وقد قيل لى إنهم يتقنون الآن صنع القنابل اليدوية . وحيال هذا يلفى العرب أنفسهم غير منظمين ، وليس لهم من ينطق بلسانهم ، ولا يملكون من السلاح إلا القليل .

وقد قيل لى إنه إذا وقعت الواقعة ، فإن اليهود على قلة عددهم يستطيعون أن ينازلوا العرب . ومن هنا كان اعتماد العرب على البريطانيين لحفظ السلام ، أما اليهود فلا يرون وسيلة يحملون بها البريطانيين على نقض الكتاب الأبيض ، ولهذا بدأوا حملة فى الولايات المتحدة ليحملوا حكومتنا على استخدام نفوذها أو ضغطها لتلغى بريطانيا على الأقل الأحكام الخاصة بالهجرة .

ويرى البريطانيون أنهم أنجزوا حرفيا وعد بلفور الذى لم يزد على أن قال إن الحكومة البريطانية تنظر بعين الارتياح إلى إنشاء وطن لليهود فى فلسطين . وهم يقولون إن الوطن أنشئ فعلا، وإن بريطانيا قد أبرأت ذمتها .

وينظر العربى إلى العقد الماضى ، ويتأمل خطواته هو فى سبيل المدنية ويبغى أن يستمر الموقف الحالى (القائم على الكتاب الأبيض) إلا إذا أريد تغييره بإدخال فلسطين فى جامعة عربية تضم العراق وسورية وشرقى الأردن الخ .

ويقول اليهود إنهم لن يرضوا قط بالحكم الذاتى لفلسطين ، والعرب فيها ٧٠٠,٠٠٠ واليهود ٥٥٠,٠٠٠ ، ويصرح هارى بيلين من أعضاء الوكالة اليهودية بقوله : « إننا نصبح مرة أخرى أقلية كما هو حالنا فى كل مكان آخر ، وتحبط الغايات التى كانت منشودة من الوطن القومى فى فلسطين » ويقول بيلين إن اليهود يقبلون أن تكون فلسطين مستعمرة يهودية تابعة للتاج (البريطانى) على أن يكون لليهود فيها الأغلبية بطبيعة الحال .

ما هى الحقائق فى القضية اليهودية ؟

ألقى اليهود بملايين من الدولارات فى فلسطين . والقدس الجديدة مدينة حديثة ، وغمر تدفق اليهود تل أبيب فصارت مدينة

تعداد أهلها ٢٠٠،٠٠٠ وأدخل اللاجئون عدة صناعات مثل صناعة الماس التي يزاولها يهود هولنديون من أمستردام ، وصناعة العقاقير الطبيــة المهمة . وتحسنت الأحوال الصحية بفلسطين تحسناً كبيراً ، ولم يعد الرمد الحبيبي ، مثلا ، وباء ونقمة ، وهناك مستشفى هداسا وفيه ٢٥٠ سريراً وقد كلف إنشاؤه مليون دولار ، ويعمل فيه جراحون يهود ذوو شهرة عالمية ، وأطباء ، وباحثون ، خرجوا جميعاً من بلادهم .

وقبـــل أن يجيء اليهود كان العرب يصـــدرون في العام حوالى ٥،٠٠٠،٠٠٠ صندوق من برتقال يافا المشهور . وقبل أن تمنع الحرب الحاضرة الصادرات كان يشحن في العام ٥،٠٠٠،٠٠٠ ٢صندوق من بساتين الموالح ، يملك العرب منها ٥٥ ٪ واليهود ٤٥ ٪ . ومن هـذا يتضح أن اليهود بما أوجدوا من المنافسة قد جعلوا تصدير الموالح مصدراً كبيراً لثروة فلسطين .

وقد أصلح اليهود عدة آلاف من الأفدنة في فلسطين وجعلوها خصبة منتجة . وقامت المستعمرات الجماعية « كفوتزوت » باستثمار التربة الصـــخرية ، وغرست الأشـجار ، واستنبطت الماء ، واستنبتت الأرض العمقة في الشمال . وكانت الملاريا تعيث فيها مندقرون وهم يقومون بأعمال الصرف في الأرض ، ويقضون على البعوض ، ويحيلون الأرض ممكنة للزرع والإنتاج .

وقد زرت في وادي الأردن مستعمرة تقوم بعمل رائع . والأرض هناك ذات ملح نســـبة ١٧ ٪ وهي قاحلة جرداء . وكان بعض الشـــبان اليهود من ذوي الأرومات الكريمة قد ذهبوا للعمل في مصانع البوتاس هناك ، وأنشأوا مستعمرة غير بعيـــدة من الأردن ، فجلبوا الماء بالأنابيب إلى الأرض وتركوا الأرض تمتصه فيحمل ملحها ويخرج به منها ، وقد فعلوا هذا ثمانين مرة في ثمانية شهور ، فأزالوا الملح عن الطبقة العليا للأرض واســـتنبتوا محصولا من الطماطم يبلغ ضعفي ما يؤتيه الفدان في أي مكان آخر .

والمستعمرة جماعيــــة بحت ، والرجال يتناوبون العمل في الغسل وفلاحة الأرض ومصانع البوتاس ، وهو جهد مضن لا يكاد يتصوره العقـــل ، وترتفع درجة الحرارة في الصيف إلى ١٦٠ ، ولكنهم لا يفترون ولا ينون .

ولم يسعني إلا الإعجاب بمثل هـــذا الجلد العظيم والشجاعة الصممة ، ولـــكن عقلي قال لي إن هذا بدع ، ولو أن أجور العمل كانت عادية لبلغت تكاليف إنتـــاج الطماطم ستين سنتاً للواحدة على الأرجح ، ولـــكن هـــذا يثبت أن الرغبـــة في امتلاك الأرض

واستثمارها فى وطن لهم ، قوة دافعة لكثير من اليهود .

وزرت مزرعة « جماعية » غير بعيدة من القدس كنت قد رأيتها قبل ذلك فى سنة ١٩٣٢ ولم تكن يومئذ شيئاً ، وكانت هنالك دساكر قليلة فقيرة لا تكاد تؤتى الكفاية . فالآن قامت فيها بنى جديدة ، وغرست فيها غابة من أشجار الصنوبر فطالت واخضرت والتفت أفنانها ، وفيها بعض الماء . وصارت المزرعة تكفى أهلها حاجاتهم ونما عدد أهلها من أربعين إلى أكثر من ثلاثمائة .

والناحية النفسانية لمسألة فلسطين على جانب عظيم من الأهمية لليهود ، وقد أجملها هارى بيلين فقال : « إنى هنا لا أشعر بمركب النقص ، فإن لى هنا شيئاً هو ملكى ، وأنا وقومى نمشى ورءوسنا مرفوعة . وهنا لا أرى قط لوحاً كتب عليه « الزبائن محدودون » أو « لا يسمح لليهود والكلاب بالدخول » . ولنا هنا أغانينا القومية ، ورقصنا القومى . وقد صارت العبرية لغة حية » .

ما هى قضية العرب ؟

من حجج اليهود الأصلية لإنشاء الوطن القومى اليهودى ، أن اليهودى ينبغى أن يرتد إلى الأرض ، وأن يهجر الحضر ويعمل فى الفلاحة . ولكن أرقام اليهود نفسها تدل اليوم على أن ١١٣٫٠٠٠ فقط ، أى ٢٣ ٪ من اليهود البالغ عددهم ٥٥٠٫٠٠٠ يعملون فى الأرض ، أما الباقون — ٧٧ ٪ — فيعيشون فى المدن .

وكان اليهود قد صرحوا فى سنة ١٩٢٣ بأن الوطن الفلسطينى سيكفى نفسه حاجاته على الأيام ، ولكنه بعد عشرين سنة لا يزال مشروعاً ضخماً معتمداً على الخير والإحسان . ويقول البريطانيون إن نسبة الاستكفاء ٤٠ ٪ ويقول اليهود إنها ٦٠ ٪ وتبعث الولايات المتحدة وحدها — بحسب الوثائق الرسمية — بخمسة ملايين ونصف مليون ريال إلى فلسطين كل عام (منها نصف مليون ريال من تبرعات المسيحيين) ومعظم هذا المال الكثير فى أيدى الوكالة اليهودية وهى الهيئة التى تهيمن على اليهود وتمول معظم المشروعات وتسد العجز . ويرد على هذه الدعوة إلى قبول مهاجرين آخرين من اليهود ، بأن البلاد لا تستطيع أن تعول الملايين الأربعة الذين يطالب اليهود بهجرتهم . فإن أرقام الوثائق الرسمية تدل على أنه ليس فى فلسطين سوى ٢٫٢٠٠٫٠٠٠ فدان من الأرض المنتجة أو القابلة للإنتاج . ولست تستطيع اليوم أن تحصل على ما يكفيك من الطعام فى فلسطين ، وقد كنت جائعاً طول الوقت فى فلسطين ، وإن

كان معى المال الذى أشترى به ما أريد .

وقد صار لكل ميل مربع فى فلسطين الآن ٥ر١٤٤ من الأهالى يقابل هذا ٣ر١١ فى أوريجون مثلا ، فإذا بلغ عدد اليهود ٥٠٠ر٠٠٠ر٤ بإضافة أربعة ملايين أخرى من اليهود ، فإن كثافة السكان تصبح أعظم منها فى بلجيكا ، وهى من أكثر الأمم اشتغالا بالصناعة .

واليهود يعترفون بهذه الحقائق حين تبينها لهم وتنبههم إلى أن الوطن القومى عجز عن الوصول إلى حد الاستكفاء . ويقولون إن المخرج الآن لا يكون بالاشتغال بالزراعة بل بتحويل البلاد إلى الصناعة . ويشيرون إلى كثرة الصادرات من مثل الماس والعقاقير والمنتجات الطبية ، وإلى مشروع زيت يشحن فى حيفا ، ومصانع البوتاس الكبيرة . ولكن هذا خليق أن يجعل من فلسطين دولة يهودية صغيرة صناعية قائمة فى قلب عالم عربى معاد لها يقاطع سلعها اليهودية (وقد قالت هنريتا زولد مؤسسة الهداسا — وهى سيدة جليلة — قالت مراراً إن الغلطة الوبيلة التى ارتكبها اليهود من مبدأ الحركة الصهيونية هى عجزهم عن فهم العرب ومصادقتهم) .

وقد زرت أخيراً معرض المنتجات الصناعية بتل أبيب ، فألفيته عظيم الوقع فى النفس إذا اعتبرنا عدد المنتجات ، ولكن كثيراً من مصنوعات الصلب والحديد وغير ذلك إنما تجد سوقاً لها لأن الحرب قيدت التجارة وضيقت نطاق التبادل ، وهى لا تستطيع فى زمن السلم أن تنافس المنتجات الأمريكية أو البريطانية .

يضاف إلى هذا — وهو مهم — أن رجال الوكالة اليهودية يخشون بعد الحرب أن يعود اللاجئون من العمال الحاذقين — وهم الذين يصنعون كثيراً من هذه المنتجات — إلى أوطانهم . فقد كان اليهود التشك يندمجون فى الأمة التشيكية إلى أن شبت الحرب ، ولم يكن يقع عليهم اضطهاد ، ولا كانت تعترض حياتهم عوائق ، وهم يعدون أنفسهم — كما أخبرونى — من التشك ، لا من اليهود ، ويتلهفون على العود إلى بلادهم . وينوى المشتغلون بصناعة الماس أن يعودوا إلى هولندا ، ومن الغريب أن عشرات من اليهود الألمان يريدون أن يعودوا إلى ألمانيا ، وهذا الفشل فى تقرير جذور اللاجئين وتعميقها فى ثرى فلسطين ، ينطبق على الأمريكيين أيضاً ، فما نزل عن جوازات السفر الأمريكية إلا أقل من مئة من اليهود الأمريكيين الذين تبلغ عدتهم ٥٣٠٠ ، واليهود فى فلسطين يعرفون هذا ويخافونه ، وهذا أحد الأسباب التى دفعت

المتطرفين إلى أعمال ستزداد عنفاً فى نهاية هـذا الشهر (كتب هذا فى أوائل مارس وقد جاءت الأنبـاء فى ٢/٥ مارس بالعنف الذى تنبأ المستر باينتون به). وقد أخبرنى كثير من زعماء اليهود أنهم يخشون أن نسقط حجتهم الكبرى عند نهاية الحرب بأن لا يكون هناك مهاجرون.

ويأسف زعمـاء اليهود لوقوع أعمـال العنف الحديثـة فى فلســطين، وهى التى ارتكبها المتطرفون منهم، وقد سمعت وأنا فى القدس انفجار تسع قنابل على مسافة غير بعيدة من فندقى، وقد نسف قلم المهاجرة للانتداب الفلسطينى بحيفا وبتل أبيب وقتل اثنان من البوليس الفلسطينى. وتتخذ الجماعتان المتطرفتان ـ أرجون زباى ليومى، وهجانا ـ المراسم الفاشـية والزى الفاشى، وقوامهما جنود العاصفة، وهنـاك أيضاً عصابات من الخوارج الحقيقيين. ويذهب هؤلاء المتطرفون إلى أن العرب ثاروا فى سنة ١٩٣٦ فأرهبوا الحكومة البريطانية وحملوها على إصـدار الـكتاب الأبيض، فالآن يرجو هؤلاء اليهود باتباع هذه الخطة نفسها أن يرهبوا البريطانيين ويحملوهم على إقرار الهجرة مرة أخرى.

ويذكر العرب الحقائق الآتيـة: إنهم يملكون معظم الأرض وفى جملتها ٩٥٪ من مزارع الزيتون، ويملـكون من الماشية ٢١٥,٠٠٠ رأس، ولا يملك اليهود سوى ٢٨,٠٠٠. وللعرب من الغنم ٢٢٥,٠٠٠ وليس لليهود سوى ٣٠,٠٠٠ من الغنم، وكل الخنازير والجمال ملك للعرب. وهذه أرقام تثبت حقوق العرب ومصالحهم فى بلادهم وتقررها وتنقض ما يقال من أن العربى بدوى.

وقد قال لى أهل شرقى الأردن بلهجة مُرة: «إن إخراج العرب من فلسطين لإدخال اليهود فيها يشبه أن يطالب أهل كنساس بأن يحملوا متاعهم ويخرجوا من الولاية ليتسنى لغيرهم أن يستوطنوها». وللعربى فى هذه البلاد ألف سنة وبضع مئات من السنين، وسيقاتل فى سبيلها إلى النهاية ليبقى فيها، ويبدو الآن أنه سينال التأييد والمعاضدة من الدول العربيـة المحيطة به. (انظر الاحتجاجات الشـديدة التى تلقتها وزارة خارجيتنا من مصر وسورية ولبنان والعراق وغيرها، لما قدم بعضهم اقتراحاً إلى الـكنجرس بتأييد ما يطلبه الصهيونيون من إلغـاء البند الخاص بالهجرة فى الـكتاب الأبيض).

ويقال للعربى إنه لا يتقدم، وإن فلسطين ارتقت مذ جاء اليهود إليها، فيرد على ذلك بقوله: «إن عند اليهود مالاً لا ينفد، وليس

عندنا إلا ما نأخذه من أفواه شعبنا وقلوبه».

وقال محدثى (وهو عربى كبير لا أستطيع أن أسمّيه) : «ليس لنا مال نُعان به من الخارج ، وعلينا أن نصنع ما نصنع بأنفسنا وبما عندنا ، ولهذا نحتاج إلى وقت . والذين يقولون إننا بقينا على حال واحدة مئات من السنين ينسون أننا لما كنا تحت الحكم التركى لم نكن نجد تأييداً وعطفاً ، وإنما كنا نحكم لنخضع» .

وقد بسط لى أرقاماً تدل على أن العربى يسعى حقاً فى سبيل التقدم ، وأنه ارتقى فى الأعوام الخمسة والعشرين الماضية من الانتداب . من ذلك أن مدينة نابلس العربية مثلا قد زاد تعدادها حتى بلغ ٤٠٫٠٠٠ بين عامى ١٩١٩ و ١٩٤٢ ، وقام فيها ألف بيت جديد ، و ٤٢٧ دكاناً ، وفندق ، ومصنع للورق ، ومطحنان جديدان حديثان ، ومصنع للكبريت . وذكر لى أن حوالى ٦٥٫٠٠٠ طفل يتعلمون فى المدارس العامة و ٣٥٫٠٠٠ تلميذ يتعلمون فى المدارس الخاصة أو المدارس الأجنبية . وقال إن عدد التلاميذ يزداد كل عام وبذلك يتسنى إيجاد المعلمين لتعليم غيرهم . وصرح بأن العربى قد أخذ يكتسب الوعى الاجتماعى ، وهو يتبرع بالمال لمدارس الأيتام والمستشفيات ومدارس التجارة .

ويزعم اليهود أن التحسينات التى قام بها العرب مستمدة من القوانين البريطانية فى ظل الانتداب ، وتدفق أموال اليهود ، وانبعاث الوطنية العربية من جراء الغيرة من اليهود ، وإن العربى يستمتع برخاء عظيم فى فلسطين ، ولكن إذا سحبت ملايين الدولارات التى تدخل البلاد كل سنة ، وهى الواردات الخفية من الاكتتابات اليهودية ، وصار مستوى المعيشة فى فلسطين قائماً على ما تستطيع أن تقدمه البلاد وحدها ، فإن هذا المستوى خليق أن يرجع إلى حيث كان تماماً . فإذا حدث هذا فهل يستمر تقدم العرب ، والارتقاء التدريجى فى الثقافة ؟

النتيجة :

إن هناك عدة إحصاءات تدعم الصورة العامة التى أسلفت عرضها ، ولكنى لا أرى داعياً لإيرادها لأنها قد تزيد ولكنها لا تحسن البيان الإجمالى ، وقد بعثت بها إليكم . ومهما يبلغ من حرص المرء على عرض الحجج المختلفة عرضاً واقعياً وبأمانة ، فلا مفر من إثارة البغضاء والاحتجاجات . واليهودى يؤمن إيماناً روحيا منطوياً على التعصب بفلسطين كبرى لليهود ، ولكن العربى يتناول الثرى بيديه ويقول إن هذه أرضه ، تاريخاً وفعلا ، وانه ما من قوة

ثالثة فى العالم تستطيع أن تسلبه إياها بغير قتال . والمراقبون هنا ومخبرو الصحف يعطفون عطفاً واضحاً على كلا الفريقين ، وهم فى حيرة تامة لا يدرون كيف يمكن الوصول إلى حل .

وليس ثم حل للمسألة الحالية العاجلة ، فإن العالم العربى تثور ثائرته إذا نقض البند الخاص بالهجرة فى الكتاب الأبيض . فإذا لم ينقض ، فإن اليهود سيجأرون بالشكوى فى صحف العالم ، وسيلجأ المتطرفون منهم إلى العنف ما دام يبدو لهم من الممكن أن يخدم العنف قضيتهم . ولن يقبل اليهود الحكم الذاتى لفلسطين وهم أقلية . وإذا استمرت الحالة الراهنة على قاعدة الكتاب الأبيض ، فإن العرب يظلون هادئين ، ولكن اليهود سيقولون للعالم إن الغاية الأصلية من تصريح بلفور للصهيونية قد أحبطت وأن المسألة اليهودية قد عادت فألقيت على كاهل العالم كما كانت دائماً .

ولا أمل فى نجاح فكرة التقسيم . فقد كانت فلسطين فى الأصل جزءاً من ولاية تركية كبيرة هى الشام ، ثم تجزأت بعد سنة ١٩١٩ فصارت شرقى الأردن وسورية وفلسطين الخ ، غير أن هذه كلها كانت وحدة اقتصادية كما كانت النمسا والمجر وحدة اقتصادية ، فلما فصلت النمسا عن المجر — وهى سلة الخبز — ماتت النمسا . وكذلك فلسطين خليقة أن تذوى لولا أموال اليهود ، لأن سورية وشرقى الأردن تقدمان القوت الذى يكسب الجميع الاستكفاء الذاتى . فإذا قامت دولة يهودية صغيرة تحيط بها العداوة والحواجز الجمركية فإنها خليقة أن تهلك .

ومما يتبوأ مكاناً بارزاً فى هذه المسألة العربية اليهودية ، ما قررته الولايات المتحدة من استثمار بترول الشرق الأوسط بمد خط من الأنابيب من أرض الدولة السعودية العربية وسيجرى خط الأنابيب مئات من الأميال فى أرض عربية ، ويتوقف عمله على صداقة العرب حتى لا يقذفوا محطة من محطاته ببعض القنابل . ومن أجل هذا — كما قال لى اليهود بأسى وحزن — لا يسع الولايات المتحدة فى سياستها الخارجية أن تفعل أى شىء يمكن أن يغضب زعماء العرب مثل الملك ابن السعود . ومؤدى ذلك أن مسألة العرب واليهود ستبقى كما هى الآن تماماً إلى ما بعد الصلح .

وعلى هذا فإذا كانت ملاحظاتى صحيحة ، فإن مسألة فلسطين ستموت لعدم وجود يهود مستعدين أن يخرجوا من أوطانهم ويغرسوا أنفسهم من جديد فى جبال أرض المعاد الجرداء .

حركة المقاومة السرية فى أوربا تجد فى الاذاعة البريطانية صوت الخلاص المقبل



إنجلترا وحربها الخاطفة بالراديو

وليم د . باسيلز • ملخصة عن صحيفة " ستردى نايت "

تدل التقارير الواردة من قلب أوربا أن إنجلترا تنشئ الآن فى عالم الأثير الغامض عبر قنال المانش جمعاً لا ينفك يتزايد من المستمعين سرّاً إلى إذاعتها ، ويقدر عددهم الآن بما يربى على ٢٠٠ مليون. ويتدفق صوت إنجلترا فوق القارة فى إذاعات يبلغ مجموعها ٤٤ ساعة إذاعة فى اليوم الواحد ، وهى تذاع فى ٢٤ لغة ، على ٣٦ موجة مختلفة الأطوال . وفى المقر الرئيسى لهيئة الإذاعة البريطانية فى لندن — وهو بناء حصين من القنابل ، يتناوب العمل على مدار الساعة ٦٠٠ شخص فى إنتاج الذخيرة اللازمة لهجوم الأثير — ويشترك فى البرامج ملوك وملكات ، وعدة من رؤساء الحكومات اللاجئة إلى لندن ، وقواد وساسة .

هذا الهجوم الخاطف بالراديو الذى تؤيده أعمال الاستطلاع السرى الجرىء ، يجرى فى الواقع تحت أنف الجستابو . فلندن تعلم — مثلا — حق العلم كيف تبلغ الإذاعة البريطانية مستمعيها فى الممالك التى يحتلها النازى . وهناك رقباء من ذوى الخبرة فى كل ناحية من نواحى أوربا يوالون إطلاع المقر الرئيسى فى لندن على درجة وضوح الإذاعة واستجابة المستمعين لها . وترسل إلى إنجلترا نماذج من أجهزة الراديو الشائعة فى القارة لفحصها ، وتذاع على المستمعين إرشادات لإحداث تعديلات هينة فى تلك الأجهزة لكى يتسع مدى قدرتها على التقاط الإذاعة . فيقال للألمان — مثلا — كيف يهيئون فى مساكنهم سلكا هوائياً يلف على إطار ليتخلصوا من (التشويش) وكيف يصلحون جهاز جوبلز الشعبى ذى الصمامين ليتسنى لهم التقاط إذاعة لندن بوضوح .

ولهزم هذه المجهودات أنشأ النازى إدارة خاصة للاذاعة الدفاعية رجالها من خبراء الراديو . ولما كانت هذه الإدارة تعترف بأن عقوبة الإعدام لم تحل بين الأوربيين وبين الاستماع إلى لندن ، فقد اقترحت الاستعانة (بالتشويش) على نطاق هائل . فالموجات اللاسلكية المنتشرة فوق

أوربا شحنت بقوقأة خليطة من أنغام أرغن يدوى ، وذبذبة مناشير موسيقية ، وشقشقة عصافير ، ولغط أصوات ، ورنين مطارق على السندان ، وصفارات بخارية ، وإشارات (مورس) البرقية الصاخبة .

فأخذت إنجلترا بثأرها مستعينة بأجهزة إضافية للارسال ، واذاعت البرامج ذاتها على موجات متعددة قد تصل إلى ١٢ موجة مختلفة الأطوال . فما كان من الألمان إلا ان عززوا محطات (التشويش) الكبرى بآلاف من محطات إضافية قوتها ١٠٠ واط تؤثر الواحدة منها فى محيط ميلين . وفى برلين مراقب عام (للتشويش) وهو الذى يختار البرامج التى يجب أن يعبث بها ، ويصدر أوامره إلى مراقبي المناطق وهؤلاء يسارعون بإنباء محطات التشويش الصغيرة التى تتخذ مقرها عادة فى مراكز الجستابو المحلية . فإذا بدأ البرنامج غير المرغوب فيه استوثق مراقبو المناطق من نجـاح التشويش ، أو استنهضوا مشوشين إضافيين إذا لزم الأمر. ولهؤلاء المراقبين وحدهم حق الاستماع .

وفى محـاولاتهم المحمومة لـكتم صوت إنجلترا ، خصص الألمان للتشويش من الوقت والنفقة والعدة مالم تظفر به الإذاعة ذاتها .

وعند اختيار المذيعين لأوربا يلجأ خبراء لندن إلى وسيلة جد عملية، ذلك أنهم يضيفون تشويشات على شريط اختبار صوت المذيع ثم يستمعون إلى النتيجـة . وقد أثبتت التجارب خـلال أشهر طويلة أن خـير الأصوات للتغلب على التشويش هو الصوت الذى يحافظ على نبرة موحدة النغمة ، تعلو طبقتها قليلا ، وينتظم إيقاعها ، ولا يجدى الاعتماد على جاذبية الصوت التى يهفو إليها مذيعو الأنباء فى أمريكا .

وأكثر ما يهتم به مستطلعو آثار الراديو فى إنجلترا ، هو التثبت من نوع البرامج التى تروق لمختلف الممالك . إن أناساً يعرضون أنفسهم للموت فى سبيل الاستماع ، لجديرون بأن يكون لهم حق اختيار برامجهم .

وهنـاك وجهـة نظر تجمع عليها كافة الشعوب الأوربية ، ألا وهى إبطال « الإذاعة المنمقة » . فقد صرّح أحد رجال المقاومة السرية فى بولندا قائلا : « نحن فى أوربا وسـط معركة شـاقة مرة مع النازى ، فلا تزودونا بخطب وقصائد عن جمال الحرية والاسـتقلال ، بل كل ما نطلبـه هو أن تزودونا بالأنباء القاطعـة حتى نعلم كيف يسير القتال » .

ولذلك فإن المستمعين الأوربيين يتلقون برامج تخصص ثلاثة أرباعها لنشرات الأخبار بدون تعليق ، وربعها الباقى لأحاديث من زعماء البلد وتعليقات ومتنوعات أخرى .

وعلى الضد من الأسلوب المطنطن الذى استنه جوبلز للاذاعة ، وتمهيده لنبأ لا يستغرق إلا دقيقتين بمؤثرات نفسية تدوم ربع ساعة لتشوّق السامعين وتزيد لهفتهم ، تتمسك لندن فى إذاعتها بأسباب الهدوء والصراحة ، وتميل — إن مالت — إلى القصد فى بياناتها .

وتضع لندن حماية المستمعين فى المحل الأول من اعتبارها ، إذ يجب أن تكون كفيلة بتحذير مستمعيها إذا استحدث الجستابو أصواتاً مشوشة يذيعونها على موجة مماثلة للموجة البريطانية ليتمكن عيونهم الذين يجوسون خلال الديار بآلات حساسة كاشفة من الاستدلال على المستمعين للندن . وتحاذر لندن فضح المستمع بإذاعة موسيقى رنانة عالية أو رفع طبقة الصوت .

ويقول أندريه فيليب الزعيم الاشتراكى الفرنسى الذى استطاع أن يروّج نشرته السرية فتبلغ ٥٠٠٠٠ نسخة ، إن الفضل كل الفضل فى وجود المقاومة السرية يعود إلى الإذاعة البريطانية وتشجيعها . فمئات من النشرات السرية ، تمد بانتظام بالأنباء ، يتلقاها مسجلون مختبئون فى أنحاء أوربا . وإذا لم يتوفر لمحررى هذه النشرات وسائل الاتصال المحلى بغيرهم ، أحيطوا علماً بما يجرى فى أنحاء بلادهم ، كما تذاع تحذيرات لاتقاء المبلغين الخونة .

وتتبع لندن فى دعايتها سياسة موحدة المبدأ : وهى عرض وجهة النظر البريطانية . فبينما تزعم ألمانيا والروسيا أن برامجهما تذاع من محطات « حرة » داخل بلاد العدو ، تعلن لندن بجلاء أنها صاحبة البرامج وتحرص على طبعها بالطابع الإنجليزى الصميم .

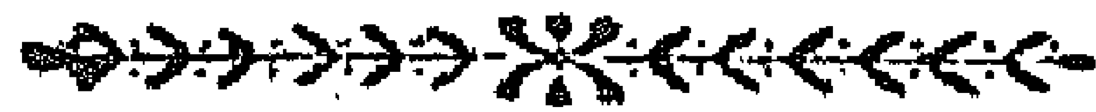
وقد دلت الأبحاث المستفيضة عن أمزجة المستمعين أن الأوربيين يفضلون الاستماع إلى أصوات إنجليزية أصيلة من لندن . فالألمان — حتى من كان منهم يمقت النازية — يعدون من الخونة ، كلّ ألمانى يعمل مع العدو خارج بلادهم ، ولكن الإنجليزى الأصيل وإن لم يحسن نطق اللغة الأجنبية ، يقف من الوجهة الأخلاقية موقفاً سليما يجعله جديراً بانتباه السامعين .

وقد فاق إقبال الأوربيين على اتباع تعليمات لندن كل ما كان يتوقع . فلما نصح التشاك بمقاطعة الجرائد التى يشرف عليها الألمان ، لم يمر يوم واحد حتى تضاءل توزيعها وتكدست فى محطات السكك الحديدية أعدادها الكاسدة . وأعدت حملة « لعرقلة الإنتاج » فى المصانع الحربية فى أنحاء أوربا ، فكانت وصيتها للعامل «ضاعف مرات تمخطك ، واعطس مراراً ، وضاعف مرات ذهابك إلى المرحاض ،

وضاعف وقت مكثك فيه » فاتبعها العمال فى أوربا كلها ، وسرعان ما صدرت إنذارات الألمان تهدد بعقوبات جسيمة جميع «هؤلاء الأغرار الذين يصيبهم الزكام والإسهال بعدوى من هيئة الإذاعة البريطانية » .

وحتى فى الدوائر الرسمية الألمانية تتمتع كلمة لندن بسلطان كبير ، مما يغتم له دعاتهم دائماً . فقد حدث أخيراً أن الملازم الأول (فين) وهو قائد غواصة ، أبلغ بأن طائرات السلاح الجوى البريطانى هاجمته وغواصتين أخريين ، وأن إحداها كفت عن إطلاق النار وحاولت أن تغطس فى الماء ، فتمكنت الطائرات من أن تطبق ، ففتكت بغواصتين ولم تنج إلا غواصته هو. فأزجيت إليه التهانى ، ونشرت الصحف قصة نجاته . ثم إذا بألمانيا تستمع لرواية لندن عن الحادثة فى إذاعتها . فقد كانت غواصة «فين» هى التى كفت عن إطلاق النار وغطست ، فقدم الملازم (فين) فوراً إلى المحاكمة العسكرية . والظاهر أن السلطات الألمانية كلها لم تجد عجباً ما فى ترجيح الرواية الإنجليزية على رواية ضابط ألمانى .

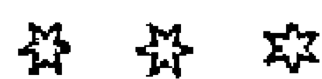
وقد يكون فى مقدور إنجلترا أن تحافظ على هذا الجيش العرمرم من المستمعين بعد الحرب، إذ أنها أسست لها — وسط الفوضى التى تعم أوربا — إمبراطورية قوية ، تقوم قواعدها على الإذاعة ، وتستقر مكانتها فى قلوب الملايين .



عمر الرجل !

يكون الرجل شاباً إذا استطاعت سيدة أن تسعده أو تشقيه ، ويكون كهلا إذا وسعها أن تسعده ولم يعد يسعها أن تشقيه ، وهو هرم مفروغ منه إذا عجزت عن إسعاده أو إشقائه .

[كتبه عازف البيانو موريس روزنتال فى الخامسة والسبعين فى مجلة « تايم »]



● القاص المجيد شخص له ذاكرة قوية يرجو أن لا يكون لغيره ذاكرة مثلها .

[إرفين س . كوب]

● الغيرة : هى الصداقة بين امرأتين .

هـــل لك فى اســـتعمال قشــر البيض
أو قرص من السـباغ أو قرص من البرسيم فى جفنة ؟

أغــذية جــديدة لمــائدتك

جورج پوينديكستر • ملخصة عن مجلة "ستردى ايفننج پوست"

فى جميع أرجاء أمريكا ، تتكشف الآن مواد جديدة للطعام ، فالعلماء ينقبون فى الزوايا المتوارية ، ويستخرجون نماذج من صناديق العلف ، ويحدّقون حتى فى جزاز العشب والتبن عسى أن يجدوا مواد جديدة للطعام . فالنفايات من قشر البيض إلى السمك الذى كان يستعمل فى التسميد تقع جميعاً تحت البحث الدقيق .

وأحد هذه الأطعمة سمك « المنهادن » وهو نوع من السمك لم يكن فى يوم ما أكله شائعاً لما يحويه من آلاف العظام ، رغم أن لحمه لذيذ الطعم ، يشبه من وجوه ، لحم السالمون . ففى العام المنصرم كشف الباحثون عن أنه يمكن إذابة هـذه العظام بطهى السمك ثم تعبئته ثم طهيه ثانية تحت ضغط عال . وهكذا أصبح هذا النوع من السمك — وهو يدعى الآن « بالرنجة الفضية » — من ألوان الطعام المفضلة فى بريطانيا بين أطعمة الإعارة والتأجير . ولعل علبة منه تزن رطلا تباع بعد الحرب بثمن بخس بين قرشين وثلاثة قروش .

وثمة طعام آخر ولدته الحرب وهو الخليط الشهى المؤلف من الموز المجفف ولب جوز الهند ، وقد يؤكل كما هو حين يستخرج من العلبة التى يحفظ فيها ، أو يلف كأنه قطعة من الحلوى . أما الموز المجفف فيغلب أن يكون مادة لزجة ، وتصبح كالثريد إن طبخت .

وقد صنع شاب يدعى جون فوركنر طريقة تهيئته ، وهو يستعمل أصابع الموز بقشورها ، إذ ثبت أن فى القشور مادة مغذية ، تضارع ما فى اللباب نفسه ، فالموز يجفف فى حقوله ثم يوسق مجففاً إلى مصنع فى كاليفورنيا حيث يطحن ويمزج بلباب جوز الهند والسكر ، ثم يخرج كتلا صغيرة سمراء داكنة طيبة المذاق .

ولقد قامت شركة تجارية بتهيئة مزيج من الحبوب واللحم وجعلته قطعاً ، تبلغ الواحدة حجم قطعة من « البقلاوة » وهى تقوم مقام وجبة كاملة من الطعام . وإن علماء الحكومة الأمريكية ، الذين يبحثون صنع أقراص غذائية ، يعالجون تحويل الخضر والفاكهة إلى مسحوق مستخلص من

عصارات الألياف التى لا تحوى فائدة غذائية كبيرة . فالبوشل من السبانخ يمكن تحويله إلى قرص صغير يحتفظ بكل ما فى البوشل من قيمة غذائية .

وجلّ الفضل فى هذا الفوز يرجع إلى « مات ستاكوم » ، فهو حين اخترع آلة تبين له أصلح أنواع الخشب لركائز أحواض السفن . . . لم يكن يفكر فى مسائل الطعام وكان يختبر أنواع الخشب بضغطها ضغطاً يستخلص به منها راتنجياتها وعصائرها ثم يحللها . وعلى غير قصد منه ، أهمل بعض هذا العصير فى زجاجة . وقد أخذ منه العجب بعد بضعة أسابيع حين كشف أن العصير لم يتخمر ولم يفُرْ من الزجاجة ، على حين لم يكن السائل قد عولج بشىء يحول بينه وبين التخمر والفوران . فجرب التجربة نفسها فى كل من قصب السكر والبرسيم والبرتقال ، فما حدث شىء .

فقرر ستاكوم أن الضغط العالى المستعمل فى استخلاص العصارات لا بد أن يكون قد حطم الخلية فخرجت منها بعض المواد الواقية من التخمر ، وهى توجد فى جميع أنواع النبات . فإذا صح هذا فعساه أن يكون قد حمل عوامل أخرى فى السائل، على الاستقرار . ولقد حلل عصير البرسيم وعصير البرتقال ليكشف ما فيهما من فيتامين ج فألفاهما محتفظين بجل ما فى المادة الطازجة من هذا الفيتامين . وإذ ذاك جفف ستاكوم هذه العصائر بالحرارة فحوّلها مسحوقاً ، فظلت فيتاميناتها كاملة غير منقوصة ، وظل مذاقها لذيذاً .

هذه الطريقة الحديثة تفتح مجالا واسعاً فلعل البرسيم يضحى مادة أكل ، فهو أغنى من البرتقال فى فيتامين ج وأرخص ثمناً ، ولعل عيدان الذرة تصبح مصدراً للغذاء يفوق حبوبها ، وعسى أن تكون عرائش البسلة غذاء أجدى من حبوب البسلة نفسها .

ولقد صنع فريد مولينز طريقة أخرى تتيح غذاء الحيوان للانسان . فقد قضى سنين يهيىء طعاماً من السمك المطحون يقدمه للثعالب والنموس . وكان هذا الطعام يبدو مغرياً فتذوقه مولينز ، وكان يحوى السمك كله لا بعض أجزائه ، وهو نوع من سمك السردين ، ومن الأسماك القليلة التى لا تتغذى إلا بالنباتات المائية الدقيقة يشبه فى ذلك المحار ، فالسمكة كلها تصلح للأكل .

ولقد أثبت التحليل أن هذا السمك المطحون يحتوى على فيتامينات وأملاح معدنية أكثر مما يحويه السمك العادى المحفوظ الذى تتركز هذه المواد فى أعضائه الداخلية . وثبت أن فيه من الريبو فلافين ،

وهو أندر الفيتامينات ، مقداراً يعادل ضعف ما يحتويه اللحم ، ثم فيه مقدار كبير من البروتين . وتشبه أقراصه فى منظرها وطعمها ، المعروض فى السوق من عجائن السمك الأخرى ، ولكنها لا تضاهيها فيما عولجت به من أنواع التوابل .

وقد صنع طعام جديد سينقذ مائة مليون رطل من أنواع شتى من السمك كالقد والرّماح الأزرق والبياض والبورى من البوار ، وهى تنبذ الآن لأن السماكين لا يقيمون لها وزنا تجاريا ما .

هذا الطعام الجديد هو السمك المطحون ، وبه تحول هذه النفايات إلى خدمة أغراض الحرب . فبعد أن يزال الرأس والذيل والأحشاء ، يطهى السمك ثم يطحن ويعبأ مضغوطاً فى علب ، ولك بعد ذلك أن تقطع منه شرائح فتقليها أو تنشرها على قطع من الخبز أو تصنع بها « يخنة » أو فطائر محشوة بلحم السمك . وهو الآن يعبأ ليشحن بحسب قانون الإعارة والتأجير . أما بعد الحرب ، فلا ريب فى أنه سيتخذ مكانه على رفوف البدّالين الأمريكيين .

وحين أرغم نقص القصدير أحد المصانع الأمريكية على خفض إنتاجه من الفاصوليا المطبوخة المحفوظة ، أخذ يجرب التجارب ثم شرع ينتج فى شكل مجفف ، فاصوليا مطبوخة بصلصتها . وهذا طعام يمكن أن يعدّ للأكل فى ١٥ دقيقة . ولقد نجح هذا الطعام نجاحاً باهراً فقرر الجيش الأمريكى ابتياع كل مايصنع منه ، وستكون الفاصوليا المجففة ، بعد الحرب ، إحدى مواد الطعام المألوفة فى دكاكين البدّالين .

وقد صنع نوع جديد من البروتين يشبه الخميرة فى رائحته فى مصانع الكحول ، فالبروتين والنشا يفصلان عن الدقيق الخشن للقمح ، ثم يخمر النشا فيصنع الكحول . وهذا البروتين يشبه جبن الريف الطرى ، وله طعم الخميرة المجففة ورائحتها . ويمكن أن يضاف إلى الأصناف التى تفتقر إلى البروتين ، أو يجفف ويطحن دقيقاً ، أو يدخل فى مواد طعام الإفطار والأغذية المحمصة .

وتعانى أمريكا نقصاً عظيم الخطر فى معدن الكلسيوم ، وهو نقص كان بادياً فى طعام الأمريكيين قبل الحرب . والآن صنعت آلة تسحق قشر البيض ، وهو غنى بالكلسيوم ، فيضاف المسحوق الناعم إلى البيض قبل تجفيفه . وكذلك عظام البقر والدجاج هى مصدر آخر من مصادر الكلسيوم وبعض المعادن الطبيعية الأخرى .

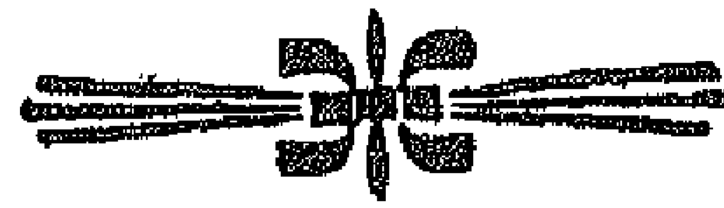
وثقل القهوة يحوى من البروتين والدهن مقداراً يعادل مايحويه لحم البقر ، ومن المواد

النشوية مقداراً يعادل ما في الفاصوليا الرومية.

ويمكن استخلاص زيت للأكل من قشور الأرز التي تستعمل الآن في علف الماشية ، ومن بذور العنب المتخلفة من صناعة النبيذ .

وأعظم شأناً من هذا احتمال استخراج زيت من القرع اليابس ، يقال إن مذاقه كمذاق زيت الزيتون . ويمكن إنتاج هذا القرع على نطاق واسع في وسط أمريكا وجنوبها . فيعصر من بذوره زيت يستطاع أن ينافس ثمنه ثمن زيت الطهي العادي.

ولا ريب في أن أطعمة الغد ستمد مائدة الطعام بعد الحرب بمقادير وافرة ، وعما قريب يحل اليوم الذي يستطيع فيه كل إنسان أن يجد نصيبه اليومي الوافي من الوحدات الحرارية والفيتامينات والأملاح المعدنية في أصناف متباينة ، وفي مذاق لم يرق إليه خيال من قبل .



● سبيلي في الفكاهة أن أقول الحق ، فإن هذه أطيب فكاهة في العالم .
[برنارد شو]

سؤال محرج

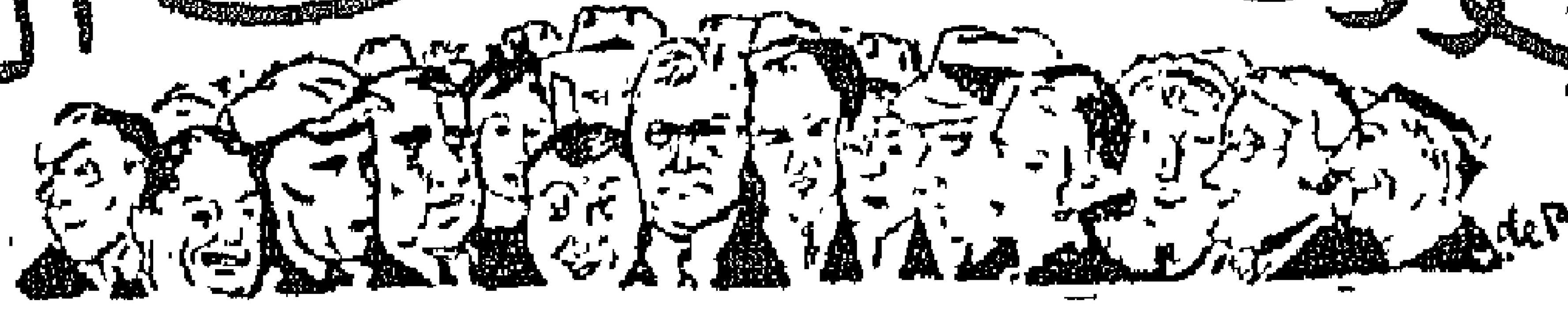
لما قام لاجوارديا بأول حملة انتخابية لمنصب محافظ نيويورك في سنة ١٩٢٩ ، اتهم جيمي ووكر المشهور بكل ضروب الفساد والرشوة ، ولم يرد ووكر على أية تهمة منها . وقال لي « لماذا أقوم أنا عنه بحملته الانتخابية ؟ كلا ، لن أبني له مجداً . ولكنه قد يكون من بواعث التسلية أن أوجه إليه سؤالا واحداً — ماذا كان يصنع في ووتر برى في يوم ١٦ يوليه سنة ١٩٢٨ ؟ » .

فسألته : « هل كان هناك في ذلك الوقت ؟ » .

فقال ووكر « لا أدري . ولكن إذا سألته هذا السؤال فإنه خليق أن يظل يصيح منكراً أنه كان هناك حتى يغدو وجهه أزرق من الجهد، وأخلق بعد ذلك بكثيرين من المغفلين أن يظلوا يعتقدون أن في الأمر شيئاً يحسن ستره » .

[وليم كونكين في كتابه : « رأينا ذلك يحدث »]

هوليوود تصغى إلى النظارة



وليم ا. ليدچيت . ملخصة عن مجلة «إدارة المبيع»

صاحب سينما روكسى بمدينة نيويورك يقول قبل وفاته : « إن الجمهور يعلم دائما ماذا يريد بعد مشاهدته » . وقد خصصت شركة راديو وشركة كولومبيا وغيرها أكثر من نصف مليون دولار لتعلم ما يريده الجمهور قبل أن يصنع الفيلم ، وأحياناً قبل أن تشترى القصة .

وللهيئة التى أخذت على عاتقها القيام بهذا البحث — وهى معهد الدكتور جورج جالوب لأبحاث النظارة — مراسلون يقيمون فى نحو ١٠٠ مدينة من مدن الولايات المتحدة كبيرها وصغيرها ، من نيويورك إلى ووكى بولاية أيووا (وسكانها ٤٧٣) ، وهؤلاء المراسلون مُزوّدون بموجز لقصة فيلم ما ، فيقابلون مئات من الناس ويسألونهم واحداً واحداً : هل تحب فيلماً قائماً على هذه القصة ؟ وما مبلغ حبك له ؟ ولماذا تحبه ؟ وتشمل هذه الأحاديث الشخصية طائفة من الناس تمثل جمهور رواد السينما .

وقد أصدر هواة السينما أحكامهم على أكثر من ١٠٠٠ قصة سينمائية عن طريق معهد أبحاث النظارة فرفضوا نصفها على أنه لا يصلح فى نظرهم لفيلم من الدرجة الأولى . وتكاد الأحكام التى تصدر على مقدار ما يصادفه الفيلم من نجاح مالى أن تكون صحيحة على الدوام . وقد تنبأ معهد الأبحاث بدقة عظيمة عن رواج فيلم «عودة الأسير» و « السيدة الماجنة » (سيدة برليسك) و «بلاد الشمس المشرقة» و «مسز منيفر» وكثير غيرها .

ويقابل هذا إخراج أفلام لم تصب نجاحاً مثل « الرجل الذى باع نفسه للشيطان » ، و « التضحية العظمى » برغم تحذير معهد الأبحاث ، فلما عرضت هذه الأفلام أيّد الاختبار رأى المعهد .

ومن الأمثلة الحسنة على المساعدة التى أسدها المعهد إلى هوليوود فيلم «مسترلكى» تمثيل كارى جرانت وإخراج شركة راديو . فقد كان الدور الرئيسى فى القصة دور يونانى مهاجر ، مقامر ، ساعد جمعية للسيدات على إقامة حفلة خيرية راقصة ، ثم اختلس الأموال . فلم يقبل الناس أن يكون المقامر

رجلا يونانياً ، ولم يقبلوا كذلك أن يختلس البطل الأموال التى جمعت لحفلة خيرية ، فاضطر الأستديو أن يغير شخصية البطل ، وجعله أمريكيا من أصل يونانى ، ثم جعل خصوم البطل يسرقون الأموال فى نادى القمار الذى يديره البطل ، فحاول هذا أن يحبط مكيدتهم، فجرح ، فاستطاع كذلك أن يسترد مكانته فى أعين الناس . فلما عدّلت القصة هذا التعديل تبين معهد الأبحاث أن فيلم « مستر لكى » قد يبلغ دخله ثلاثة أضعاف دخل فيلم عادى من أفلام الدرجة الأولى . وقد دلت نتيجة عرضه على أنه تجاوز الحد الذى توقعه المعهد له .

ويعبر المعهد عن نتيجة استفتاء الناس بنسب عددية يطلق عليه « دليل اهتمام النظارة » . فالفيلم العادى من أفلام الطبقة الأولى ١٠٠ درجة فإذا حاز الفيلم على مئة درجة من اهتمام الناس قدّر دخله بمليون دولار ، وإذا بلغت نسبة نجاحه ١٢٥ تجاوز دخله مليونى دولار قليلا . وقد كانت درجات فيلم « توندلايو المرأة الخطيرة » ١٢١ ودرجات فيلم « لى ولصديقى » ١٢٩ ، وقد بلغ دخل كل منهما على انفراد عدة ملايين .

ولا تساعد هذه الأبحاث على تقدير عناصر القصة فحسب ، كما حدث فى فيلم « مستر لكى » ، ولكنها تبين أيضاً مقدار ما يثيره فريق الممثلين من اهتمام الناس بالفيلم . وقد يسأل عن القصة أولا دون تعيين الممثلين ، ثم يسأل عنها بعد ترشيحهم لأدوارهم . فإذا ظهر بعد السؤال عن قصة عيّن ممثلوها ، أنها أقل من المستوى العادى لفيلم من الدرجة الأولى ، فإن هوليوود تعلم أنه يتعين عليها إما تغيير القصة وإما تدعيم فريق الممثلين أو كلاهما .

وإذا أريد الاستفهام عن قصة ما ، صيغ لبابها فى عبارة وجيزة جدا لا تزيد على جمل معدودة . ورجال معهد الأبحاث يستطيعون مع ذلك أن يتوصلوا بهذا العرض الموجز إلى نتيجة صحيحة عن اهتمام الناس ، لأن الرجل العادى لا يعلم سوى وقائع عامة يسيرة حين يعزم على مشاهدة فيلم ما . ويلوح أن هواة السينما يحققون دون وعى رأى أحد منتجى هوليوود الذى قال : « إذا كانت قصة جيدة ، ففى وسعك أن ترويها لى فى ثلاث جمل » .

والإعجاب بالأفلام أو عدم الإعجاب بها لا يختلفان كثيراً باختلاف المناطق الجغرافية ، ولا فرق بين الأرياف والمدن ، غير أن التفاوت فى ذلك يظهر أكثر ما يظهر بين الجماعات المختلفة فى السن وبين الجنسين . فالفتاة الصغيرة تميل إلى الملهاة الموسيقية وقصص الحب الغريبة ، وأخوها وأبوها

يميلان إلى المغامرة والحركة والضحك ، وتفضل أمها المآسي الغرامية وقصص الزواج .

ومما يدعو إلى الدهشة أن معظم نجوم السينما يميل إليهم من كان من جنسهم لا من كان من الجنس الآخر . فقد أثبت الاستقصاء أن ٧٨٪ من جميع الممثلات ظفرن بإعجاب النساء أكثر مما ظفرن بإعجاب الرجال . ولم يكن في ذلك العهد سوى سبع منهن فحسب أدنى إلى إقبال الرجال على أفلامهن من النساء ، وهن : هيدى لامار وبيتى جرابل ودوروثى لامور وپوليت جودارد وآن شريدان وآن سوذرن ولانا ترنر . وحين استفتى الرجال سنة ١٩٤١ في من يفضلون من النجوم ، كان في رأس القائمة ثلاثة عشر نجماً — من الذكور .

ويفسر معهد أبحاث النظارة هذه الظاهرة بنظرية « تحقيق الذات » ومؤداها أن اهتمام الكائن البشرى بموقف من المواقف مرتبط بمبلغ استعداده لوضع نفسه في هذا الموقف ، أو يعدّ نفسه هو وصاحب الدور سواء . ونظرية تحقيق الذات تنطبق على مواقف القصة انطباقها على الممثلين . فقد أحب النساء روزالند رسل مثلا في دور « روث » في فيلم « شقيقتى إلين » أكثر من حبهن لها في دور قائدة الطيارة في فيلم « الفرار إلى الحرية » . فإن طبيعتهن تأتلف مع الفتاة الطموحة التى تسعى وراء عمل في المدينة الكبيرة ولا تأتلف مع المرأة التى تقود طائرة . وهن في الواقع لا يعنين بالطيران كموضوع للسينما . فكلما كان الموقف في الفيلم أقرب إلى ما تصادفه المرأة العادية في الحياة كان إعجاب النساء به أشد .

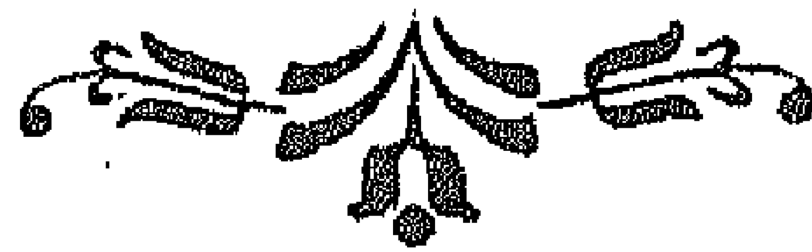
يقابل هذا أن الرجال لا يحفلون بالقصص التى تصور الحياة المألوفة فحسب ، بل وبتلك التى تصور الحياة التى يتمنونها . فهم يفضلون الدرامات الزاخرة التى تذكى خيالهم وتكشف لهن عن تجارب جديدة . وهم أقل من النساء احتفالا بالعواطف على الشاشة البيضاء . إنهم يرغبون في معرفة ماذا حدث ، لا فيما يحسه الناس إزاء ما يحدث .

ويتفق أحياناً أن تتوافر في قصة ما ، العناصر التى تصادف هوى في نفوس من يتفاوتون سناً ودخلا ، والذكور والإناث . ومن الأمثلة على ذلك الفيلم الذى حاز نجاحاً هائلا في اقتراع معهد الأبحاث ، وهو فيلم أرضى الجميع . كان بطله هامفرى بوجارت فأعجب الذكور والشباب به لأنه يفيض بالحياة والجرأة ، وأرضى الفتيات لأنه كان يزخر بالحب ، وأرضى العجائز لأنه كان درامة غرامية ، وكانت بطلة الفيلم أنجريد برجمان وهى أحب ممثلة إلى سيدات الطبقة الغنية ، أما الفيلم فهو « الدار البيضاء » .

وقد توقع له المعهد نجاحاً رائعاً لأنه جمع عناصر متباينة شتى . وقد كان دخله أربعة أضعاف المتوسط .

ويعترف معهد الأبحاث بأن النبوغ والابتكار فى صناعة السينما لا يمكن ردهما إلى قاعدة عامة . ويذهب المعهد إلى أن أعظم عبقرية مبدعة تستطيع أن تصنع فيلماً ناجحاً من فكرة لا تثير فى ذاتها إلا حماسة يسيرة . وقد أساء المعهد تقدير الإقبال على فيلم «خضرة الوادى» تمثيل والتر بيدجون ، لأن إخراج الفيلم أروع إخراج وإتقان تمثيله وحواره وتصويره، وجوه العام ، أمور لا يمكن أن تظهر فى الاستفهام عنه قبل عرضه .

وقد حاول الدكتور جالوب تذليل هذه العقبة بإجراء تجربة بنيويورك على عدد معين من رواد السينما المختارين ، بقياس ما يثيره فى نفوسهم أى فيلم أثناء مشاهدته ، مستعيناً بجهاز كهربائى . فيمسك كل شخص من الحاضرين — وهم ٣٠ أو ٤٠ شخصاً — جهازاً بيده، ثم يحرك إبرة صغيرة ذات اليسار أو ذات اليمين ، إذا راقه المنظر الذى أمامه أو لم يرقه . وتسجل كل حركة من حركات الإبرة على أسطوانة متحركة داخل الجهاز ، ثم تحول النتائج بعد الاختبار إلى رسم بيانى ، يعطى صورة بينة عن درجات التفاوت فى تقدير الفيلم . ويجرى هذا الاختبار قبل عرض الفيلم على الجمهور ، فيتسنى بذلك للمنتج أن يطلب تغييراً فى المناظر التى لم تصادف قبولا . وإنها لمساعدة أخرى يسديها معهد أبحاث النظارة لصناعة السينما بإقامة التقدير على أساس .



● العافية هى ما يشعرك بأن يومَك خير أيام السنة .

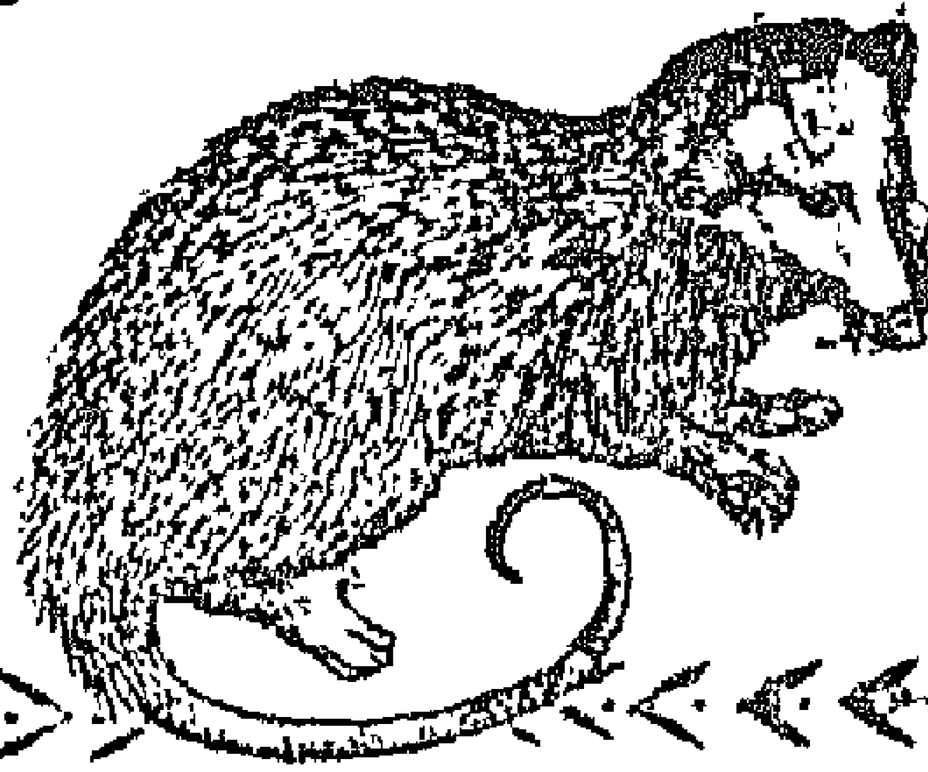
« النمر » يزأر

كان أحد دعاة السلام يحادث كليمنصو (النمر) مرة ، فسأله : هل بغضه للألمان قائم على معرفتهم ؟ قال : أذهبت إلى ألمانيا ؟

فردّ كليمنصو : كلا ، ياسيدى ، لم أذهب إلى ألمانيا ، ولكن الألمان أتوا إلى فرنسا مرتين خلال حياتى !

الدّالف البليد

الأبســوم



لويس نوردايك

ملخصة عن مجلة « سوث وست ريفيو »

يقول علماء الحيوان إن الأبسوم أبلد الحيوان ، وأبعده عن الاعتداء . بيد أنه ما يفتأ يدب فى الغابات كيف يشاء ، فيمد من انتشاره ويضاعف من تعداده .

والأبسوم حيوان أمريكى أصيل ، هو البقية الباقية هنالك من الحيوانات الجرابية القديمة التى خصت إناثها بجيوب أو أكياس . وقد عثر فى ولاية مونتانا على جماجم مستحجرة دلت على أن هذا الحيوان قد عاصر « الديناصير » فى العصر الطباشيرى من العصور الجولوجية ، وهى جبابرة مفترسة لم تستطع أن تتكيف وفقاً لتغاير الأحوال الطبيعية ، فبادت .

إذا انحدرت الشمس نحو المغيب ، وناء الظلام ، وخيم السكون على الحرجات والجداول فى الجزء الشرقى من القارتين الأمريكيتين ، من حدود كندا حتى الأرجنتين ، انتفض الأبسوم فى عشه المورق فى وقب شجرة .

وبفم فاغر يبين عن كشرة بلهاء ، يدفع فنطيسته الطويلة من خلال فوهة ذلك الوقب ، ويتطلع إلى الدنيا بعينين كأنهما حبتان لامعتان من حبات التوت . ومن ثمة يزحف على حافة ما بأرجل قصيرة يخيل إليك لقصرها ، أن كشحه يكنس الأرض ، والظهر مقنطر قليلا ، فى حين أن ذنبه الأملط الطويل يلتف من حول غصن من الأغصان . هو الآن متأهب لطوافه الليلى على ضفاف الجداول والبحيرات ، وربما انسلّ إلى حظيرة دجاج يطلب رزقا .

وللأبسوم صورة خنزير أصوف ، وهو فى حجم هرّ أهلى كبير الجثة ، وله فرو أشمط إلى غبرة ، وأذنان صغيرتان ملطاوان فإذا بلغ ، وزن تسعة أرطال .

وقد جاءت على الأبسوم الوليد فترة استقر خلالها فى كيس أمه الجرابى المؤثر بالفرو ، وهو جيب قابل للتمدد سعته أربع بوصات ، ويمتد بطول البطن فى الأمهات . وعند ما يبلغ شهراً من العمر لا يكون قد رأى شيئاً من الدنيا الحافة به خارج ذلك

الأبسوم : كلمة معربة من لغة الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية .

الجراب . أما كيف وصل إلى الجراب وعاش فيه ، فقصته من أغرب القصص التي تروى عن الحيوان .

إن زمن الحمل عند الأبسوم يتفاوت بين ١٤ و١٧ يوماً ، وهي فترة أقل من فترة الحمل عند غيره من الحيوان . وحين ميلاده ، يكون شيئاً قرنفلي اللون لا شكل له ، أقل من بوصة طولا . ولا يظهر النماء والتخلق في شيء منه سوى فكيه ورجليه الأماميتين ، وليس له عينان . فتساعد الأم ذلك الدانق الضعيف حتى يدلف إلى جيبها . على أن بقاءه لا يضمن حتى بعد دخوله الجيب ، فإن جراب الأم لا يحوي أكثر من ١٣ ضرعاً . والغالب أن يبلغ المولودون ١٦ عدًّا ، فمن ساء حظه منها مات جوعاً . ولا تناوب بينها في التقام الضروع ، فإذا تسلم مولود منها أحد الضروع تضخم في فمه ، حتى ليتعذر عليه التخلص منه .

وتمتد الرضاعة في الظلام شهراً ، حتى يشعر الأبسوم الصغير ذات ليلة أنه في مستطاعه الإفلات من ضرع الأم ، ويكون قد بلغ حجم الفأر ، وغطى جسمه زغب ناعم ، فيخرج رأسه في رفق من الجيب فيتبين أنه يبصر وبعد قليل يقدم على الزحف فوق فراء الأم .

فإذا خرجت الأم إلى تطواف الليل ، تسلق صغارها على ظهرها ، ولفت ذيولها الدقيقة على ذنب الأم الطويل ، وهي تمده لهم راضية من فوق ظهرها ، فكأنه سير يمسك به الركاب في حافلة .

وقبل زمن طويل ، يكون جراب الأم متأهباً لاستقبال جيل آخر . وثلاث بطون في جو الولايات الجنوبية المعتدل ، ليست شيئاً غير عادي . فإذا قدمت البطن الثانية استقر أفراد الأولى بقربة ، وغالباً في العش ، زهاء شهرين ، تنصرف بعدها ساعية . ولن تعرف الصغار أباها فإن « الأباسيم » لا تراعي حرمة زواج ، ولا يحمل الذكر أية مسئولية بعد الوضع .

وعلى طوال طريقه الذي يقطعه وئيداً غير متعجل ، يواجه الأبسوم أحياناً المخاطر والآفات ، فالنسور والبواشق وضخام السنانير المفترسة ، تطلب لحمه ، ويقتنصه الإنسان والكلاب . وقد خص غيره من الحيوان بوسائل للدفاع كالناب والمخلب والسرعة والحيلة والقرون والأشواك والدروع والمفرز الكريه والصوت المروع ، وليس للأبسوم شيء من هذا ، فإن سلاحه الأوحد عدا تسلق الشجر ، هو التظاهر بالموت .

تهاجمه فرقة من الكلاب ، فسرعان ما يتجعد حتى يرى كأنه كومة لا حياة فيها . أما أسنانه البارزة فتحمي نحره ، المكشوف للخطر ، فتنهشه الكلاب وتهزه ، فتتهاوى

أعضاؤه على الأرض مسترخية كأنه فى همود الموت ، ثم تنصرف الكلاب . وبعد فترة طويلة قد ينهض الأبسوم الجريح ، ثم يمشى . وهو الحيوان الوحيد الذى يظل متماوتاً ، بينما يصر عدوه أسنانه عند نحره ، أو يضربه بعصا غليظة . ولكنه قد يموت أحياناً إذ يتماوت .

ويرى كبار المواليديين أنه لا يتخذ قصداً هذه الوسيلة أداة دفاع عن النفس ، وإنما هم يظنون أن اقتراب الخطر منه أمر لا يحتمله جهازه العصبى ، وأن الخوف يشله إلى حين . وقد يكون ذلك صحيحاً ، غير أن كثيراً من القناصة قد أصابهم الأبسوم بجراح خطيرة ، إذ ينتفض فجأة .

وذات مرة أوسع كلب أبسوماً هزاً ونفضاً ، وظن كل من الصبى والكلب أنه ميت ، ولكن عندما قرب الصبى إبهام قدمه العارية من الشفتين المكشرتين ، أصابته قضمة أسالت دمه .

ويغلب أن يكون فى كل مملكة قليل من الأباسيم ، بالرغم من أن هذا الحيوان لا يستسيغ البرد ولا البرارى . وهو يأكل كل شئ يجده من فواكه وخضر وجذور طرية وطيور وبيض وقواضم وحشرات وسمك وضفادع . ولقد تعلم كيف يجد طريقه إلى حظائر الدجاج ليفوز بطعام طيب . وهو من البلادة بحيث يقدم على التهام فريسته فى الحظيرة وهى لا تزال دافئة ، حتى ولو ملأ بقية الفراريج الجو صياحاً وأثارت غضب الفلاح .

وقد أخذ الأبسوم اسمه هذا من هنود فرجينيا الحمر ، حيث رآه المستعمرون هناك أول مرة . وهو فى الواقع الحيوان الشائع فى جنوبى الولايات المتحدة ، وصيده هناك من الرياضات المحبوبة ، ومن أجله تدرب سلالات أصيلة من كلاب الصيد .

وقد يحصل الصبية على بعض الكسب من صيد الأبسوم وبيع جلده ، فيتفاوت ثمنه بين قرشين وعشرين قرشاً . وجلود الأباسيم من المحصولات ذوات الشأن فى أمريكا . وشواؤها أكلة شائعة فى الجنوب ، وبخاصة عند الزنوج . ومع هذا كله فإن الدالف البليد يمضى شاقا طريقه إلى البقاء فى الغابات ومجارى النهيرات الجافة ، كاداً عاملا ، شأنه خلال عصور طوال . والظاهر أن الأبسوم سيظل باقياً إلى ما شاء الله .



● لم تخسر أمريكا قط حرباً ، ولا كسبت مؤتمراً . [وليم روجرز]

تيدر – نائب قائد الغزو



نويل ف. بوش • ملخصة عن مجلة "لايف"

صورة للقائد الجوّى المبدع قائد سلاح الطيران البريطانى فى الشرق الأوسط سابقاً ، والساعد الأيمن للجنرال أيزنهاور الآن .

مارشال الجو السير آرثر وليم تيدر ، نائب الجنرال أيزنهاور ، والقائد الذى يلى القائد العام لغزو أوربا ، رجل يوصف بأنه يبدو كالمتعب ، وفيه دعابة وعبث يستغربهما من يظن أن قواد الجو لا بد أن يكونوا ذوى جهامة وصرامة.

وهو يحب أن يقضى لحظات الفراغ فى الرسم أو فى العزف على البيانو أو فى قراءة الشعر . ومن عادته فى اجتماعات هيئة أركان الحرب أن يقعد ورجلاه على ذراع الكرسى ، ويدخن الغليون راضياً ، وإذا أراد أن يقول شيئاً – وهذا نادر – قاله فى الأغلب بصوت خفيض وبلهجة تنطوى على تهكم خفيف ودعابة رقيقة.

وقد كان مراسلو الصحف ، فى مؤتمرات الشرق الأوسط ، يدهشهم أن يروا فى آخر الموكب الجليل المؤلف من السيارات الفخمة التى يستقلها المندوبون فى المدينة ، سيارة خرعة من سيارات « جيب » يقودها تيدر ، ويمضى بها كأنها مركبة (السبنسة) الملقحة بقطار البضاعة . ولم يكن هذا من القائد الجوى غير مألوف ، فقد حصل على سيارة من طراز « جيب » فى الجزائر منذ عام، ولم يزل بعد ذلك يقودها بنفسه ويذهب إلى حيث يشاء .

وهو ودود بغير تكلف . زار مرة مطاراً للسلاح الجوى الملكى فى الشرق الأوسط ، فى يوم قائظ ، وكان يرتدى قميصاً قصير الكمين ، ورأسه عار ، ولكنه كان يلبس ربطة الرقبة الذى يتخذ فى السلاح الجوى ، فلم يعرفه أحد الصناع فى المطار ، وسأله عن هذه الربطة لماذا يلبسها فقال تيدر: « إنى من ديوان القيادة، وأنت تعرف مبلغ جفوة الرئيس » .

ومع أن تيدر أنجح قائد جوّى فى هذه الحرب ، إلا أن الجمهور لا يعرف عنه إلا القليل .

وقد أفردته أعماله فى الحرب وجعلته طرازاً وحده ، فهو الذى اختار وحسّن ذلك النوع من الطائرات الذى مكن بلاده

من كسب معركة بريطانيا ، وهو الذى وضع الخطة ونفذها لانتصار السلاح الجوى البريطانى على السلاح الجوى الألمانى فى مصر ، وجعل من الممكن أن تغير معركة العلمين مجرى الحرب ، وهو الذى أدار المعارك الجوية التى كان لها الفضل الأكبر فى الاستيلاء على تونس وغزو صقلية وإيطاليا .

ومن المهمات الأخرى التى قام بها تنسيق الجهود البريطانية والأمريكية ، لما وصل الجنرال لويس بريرتون ليتولى قيادة القوة الجوية التاسعة التابعة للولايات المتحدة . وقد تحاب تيدر وبريرتون النشيط السريع الغضب ، من أول لحظة ، ولعل السبب الأكبر هو الدهشة المتبادلة . فكان تيدر يسمى صاحبه « ذا القدم الحامية » وصاحبه يدعوه « الرئيس » . ويحب تيدر أن يزعم أن الأمريكيين والإنجليز يختلفون فى وجهتى النظر اختلافاً لا أمل فيه ، وأنهم يتكلمون لغتين متباينتين . ويرى أن هذا أكفل بالتعاون من افتراض تشابه وجهات النظر .

وقد وصف جنرال أمريكى طريقة هذا القائد الجوى الذى يناهز الثالثة والخمسين فى حل المسائل النظامية بديوان الرياسة فقال : « أجىء إليه بمشكلة فنتحدث فيها ، وأخيراً نتفق على أن كيت وكيت خطأ فى خطأ . ثم يقول تيدر : « سأحاول أن أدبر الأمر » ويخرج من الغرفة ويعود بعد عشر دقائق أو نحوها فيقول : « قد دبرته » فيدبر الأمر فعلا » .

وكان أبو تيدر موظفاً فى أعمال الجباية يعيش فى ديفونشير . وبعد أن درس تيدر فى جامعة كمبريدج التحق بخدمة المستعمرات ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى كان ضابطاً فى كتيبة دورستشير ، ولكن ساقه أصيبت بأذى جعله غير صالح لأعمال المشاة . فقال : «إذا كنت لا أستطيع أن أمشى ، فسأطير» .

وقضى العامين التاليين فى الفيلق الجوى الملكى ، أولا كطيار فى قاذفة ثم قائد سرب استطلاع . وقد أسقطت طائرته مرة ، وذكر ثلاث مرات فى التقارير . ولفت نظر رؤسائه ببراعته فى التنظيم أكثر مما لفتهم ببراعة طيرانه . وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى كان يتولى عملا إداريا فى القاهرة .

وأدرك تيدر أن السلاح الجوى الملكى — وكان جديداً — لا بد أن ينمو ، فقرر أن يبذل معونته فى إنمائه . وفى خلال العقدين التاليين ، تولى مناصب عدة ، من معلم طيران إلى مدير التدريب فى وزارة الطيران ، فوضع النظريات الخاصة بكيفية إدارة الحرب التالية فى الجو .

ويذهب تيدر إلى أن الألمان لا يحسنون حرب الجو ، وأنهم وإن كانوا خبراء مهرة

فى الأعمال الفنية وكطيارين، إلا أنه ينقصهم الخيال الذى يستجيبون به لدواعى هـذا العنصر الجديد واحتمالاته ، وهذا لا يتيسر لشعب معبأ كالألمان . وقد أعد الألمان قوة جوية للحرب الحاضرة فحصروا همهم فى أنواع من الطائرات تصلح لضرب الأهداف الأرضـية . ومن رأيه أن السلاح الجوى الألمانى قد يحسن العمل فى أوربا ، حيث لا توجد أمة تملك مثل هذه القوة ، ولـكن إذا وجـدت قوة جوية متينة حيالها فإنها تستطيع أن تهزم الألمان .

وفى سنة ١٩٣٨ صار تيدر مدير الأبحاث للسلاح الجوى الملكى فدار البحث على هذه المسألة : هل تقلد إنجلترا قوة ألمانيا الجوية أو تسـتحدث نوعاً مختلفاً ، فأقنع تيـدر زملاؤه بالرأى الثانى ، وكانت النتيجة أن طائرات سبتفاير كانت حاضرة مهيأة لمـا نشأت الحاجة إليها ، وقد ساعدها على أداء مهمتها — « الرادار » الذى كان لتيدر فضل كبير فى ترقيته .

ولما عين تيـدر قائداً للسـلاح الجوى الملكى فى الشرق الأوسط شرع فى العمل ليثبت أن التأييد الجوى يجب أن يعاون القوات البرية، بالقضاء على قوة العدو الجوية. وبعد ذلك لا قبـله يتعقب السـلاح الجوى الدبابات والمدفعية ووسائل النقل التى للعدو وابتكر خططاً جديدة ، وقبـل أن تدور معركة العلمين بعام، بدأت قوته الجوية هجوماً جريئاً على السلاح الجوى الألمانى . وقد كان من جراء النجاح الذى أحرزه السلاح الجوى البريطانى فى تحطيم القوة الجوية الألمانية ، أولا، ثم فى العصف بخطوط التموين الطويلة لجيش روميل، أن صارت نتيجة معركة العلمين مفروغاً منها ، وكان فضل السلاح الجوى أعظم من فضل عامل آخر بمفرده .

وعلى مقتضى هذه المبادىء طردت قوات تيدر الجوية السـلاح الجوى الألمـانى من تونس قبـل أن تنتهى المعركة البرية بزمان طويل . ثم كان التطويق الجوى فحال بين ١٥٠٫٠٠٠ من جنود المحور وبين الفرار بحراً إلى صقلية . وكان هذا تمهيداً لغزو إيطاليا الذى كان عبـارة عن تجربة كاملة للمهمة التى يعالجها تيدر فى الوقت الحاضر .

وقد نبه تيدر ، فى مؤتمر الدار البيضاء إلى أنه كلما ضاق الخناق على الألمان فى أفريقية الشمالية ، فإن قوته الجوية ، والقوة الجوية التى تعمل تحت قيـادة أيزنهاور تتراكبان واقـترح إدماجها ، فاختـــاره تشرشل وأيزنهـاور لرياسة القوتين المنـدمجتين . وتشـمل القيادة الجوية للبحر المتوسط — وهى من أكبر المناطق التى يتولى القيـادة فيها رجل واحد ، فى هـذه الحرب أو أية

حرب أخرى — البحر الأبيض المتوسط وأفريقية كلها ، ورقعاً كبيرة من المحيط الأطلسى ، والمحيط الهندى ، ومعظم أوربا الجنوبية . وقد راوح تيدر بين الضباط الإنجليز والأمريكيين فى القيادة ، فوفق فى نهجه . وتيدر اليوم لا ينوب فحسب عن أيزنهاور ، إذا وقع له حادث أو أصابه مرض ، بل هو أيضاً مستشاره الأكبر . وقد يتقرر مصير الغزو — نجاحاً أو فشلا — بقرارات تيدر فيما يتعلق بالقوة الجوية .

ويعيش السير آرثر تيدر وزوجته قرب لندن ، وقد منح هذا اللقب غير الوراثى جزاءً له على « خدمته الممتازة » فى نوفمبر سنة ١٩٤٢ . وقد قضت زوجته الأولى نحبها فى حادثة طائرة منذ عام ، وقتل ابنه الأكبر فى غارة على ألمانيا فى سنة ١٩٤١

وقد كان الارتقاء المدهش الذى أحرزه السير آرثر فى العامين الأخيرين من ذلك النوع الذى يكون من أثره أن يشيع فى النفس الشعور الصادق بقيمتها ، ولكنه كان له على ما يبدو نقيض هذا الأثر . فإنه ينفر من مخاطبة الجماهير ، ولا يكاد يفعل ذلك أبداً ، وبدلا من أن يخطب هو ، يجلس من حين إلى حين فى حلقة من الطيارين ويطلب منهم أن يتحدثوا إليه . ويؤثر هذه الطريقة مع المراسلين الحربيين أيضاً ، فيحصل منهم على المعلومات بدلا من أن يحصلوا هم عليها منه .

وتنطوى نظريات تيدر عن الحرب الجوية ، على احتقار فلسفى للحرب على العموم . ونظريته الأساسية — باعتباره إدارياً حكيماً — عن الجو هى أن ما يتيحه فى الحقيقة هو أحسن وآخر فرصة لتنسيق العالم كله ، وجعله كلا رشيدا تدار أموره بحكمة .

تشبيهات جميلة

بدأ اليوم وضيئاً مصقول الحواشى كثمرة شُقّت لساعتها . . . [دونالد كالموس برتى] قطار يزحف زحف قطة على عرق من خشب . [دافيد لامبسون] . . يهمى المطر وفيه لجاجة أنثوية عذبة . . [هنرى ويليامسون] أصوات السكان الحادة النافذة وهى تتلمس اللحن . [جون ستاينبك] . . يتواثب الأطفال حولها كالسمك . . . [ازابللا هولت] سكون الأدغال ، كأنه عدو كامن علق أنفاسه . . . [إيرا ولفرت] الطائرات المقاتلة تقذف نارها كأنها النسوة السليطات . . . [مجلة تايم] وجه رقيق كضوء الشموع . . [رتشى كولدر]

الغراء السحرى

هارلند مانشستر . . ملخصة عن مجلة "سينس نيوز ليتر"

ما فتىء الإنسان منذ أن بدأ يخترع يبحث عن غراء يربط بين جميع أنواع المواد برباط لا تنفصم عروته ، غراء أشد قوة من مسامير البرشام والمسامير اللولبية . بل قد طاف بحلمه كذلك غراء يضم أجزاء دار أو طيارة أو سيارة بعضها إلى بعض ، فيوفر من الوقت والمادة ما لا يكاد يصدق . والآن كشف س . غوردون سوندرز ، أحد الباحثين فى شركة كريزلر عن غراء يعد بتحقيق الغرض.

وحين زرت معمله ، منذ عهد قريب ، ألفيت سوندرز رجلا فى الأربعين من عمره قليل التكلف ، رضىّ الطبع ، فقال لى إن عنده شيئاً يريدنى أن أراه . وجاء بعلبة تحوى مادة تشبه الغراء العادى ، ودهن بها لوحين كبيرين من الحديد ، وضغطهما معاً دقائق قليلة بعد أن سخن تسخيناً كهربائياً ، ثم دعا عاملا مفتول العضل فتناول إزميلا بارداً ومطرقة ، وجهد أن يفصل القطعتين غصباً ، وظل يعمل ، دون جدوى ، حتى تفصّد عرقاً .

ثم عرض علىّ سوندرز قدتين رقيقتين من سبائك الألومنيوم لصقتا بهذا الغراء من طرفيهما ، بوضع أحد الطرفين على الآخر ، ثم أدخل القدتين الملتصقتين فى آلة شد وأدار ذراعها ، فابتدأ عقرب يتحرك ببطء على ميناء ، مبيناً قوة الشد محسوبة بالأرطال . فما أرغمت القدتان على الانفصال إلا حين أشار العقرب إلى ٣١٠٠ رطل وهى قوة شد تربى على طن ونصف طن .

وليس هذا الغراء العجيب ألهية معمل ، فهو لا يستعمل فى ربط معدن بمعدن وحسب ، بل يربط — ربطاً سريعاً دائماً ، — معدناً بخشب أو صفائح من العجائن الكيميائية أو الزجاج أو ألواح من الألياف أو المطاط الطبيعى أو معظم المواد المركبة بالتأليف الكيميائى . وقد أطلق على هذا الغراء اسم « سيكل ولد » وقد استعمل فى خمسين شركة من شركات الإنتاج الحربى ، فوفر بمئات الطرق ، ساعات عمل كثيرة ومقادير وافرة من المواد . ففى صناعة الطائرات اقتصد هذا الغراء السحرى الآلاف من مسامير البرشام .

وإن مقاومة هذا الغراء للاهتزاز سمت

بقيمته فى بناء الطائرات، ولقد رأيت الألواح المعدنية المعدة لأجنحة المقاتلات من طراز ب — ٤٠ يلصق بعضها ببعض فى ١٨ دقيقة، فوفر بذلك عمل أربع ساعات فى البرشمة، وخفضت التكاليف إلى الثلث.

ولقد كان تثبيت ألواح الجناح فى أماكنها يحتاج — فى وقت ما — إلى ١٢٠٠ مسمار برشام، ولكنه الآن لا يحتاج إلا إلى ٣٠٠ مسمار، ومقدار من الغراء المتفوق يرش برشاشة، ثم تضغط الأجزاء جميعاً بمكبس محمى.

حدثنى مستر سوندرز قائلا: « انظر إلى جهاز التوازن فى هذه الطائرة، فمنذ أشهر كان ربط أجزائه بعضها ببعض يتطلب ٥٥٠٠ مسمار برشام، أما الآن فيكفيه ٣٠ مسماراً، والباقى يلصقه الغراء العجيب. وهذا الجناح يعدل الجناح القديم متانة أو هو أمتن، والعمل كله لا يكلف إلا عشر التكلفة لو كان الاعتماد على مسامير البرشام.

و « السيكل ولد » مادة راتنجية صناعية من فصيلة المركبات الكيميائية التى تشمل العجائن الكيميائية المستعملة فى صنع منافض السجائر وسماعات التليفون ورؤوس القذائف أما تركيبه فما برح سرا بحكم الطبع.

وسوندرز مهندس كيميائى تخرج فى جامعة كانساس، ثم انضم إلى شركة كريزلر إخصائياً فى الأدهنة والراتنجات الصناعية.

ولقد سأله أحدهم يوماً ما: ما يجعل الدهان يلصق بالمعادن؟ فبدا لسوندرز أن نزع دهان مساحته بوصة مربعة واحدة، عن سيارة يقتضى قوة عظيمة. فلماذا لا يبحث عن السبب، ثم يعتمد على علمه فى صنع غراء متفوق جديد؟

وفى خريف سنة ١٩٤٢ عرض « السيكل ولد » فى ديترويت امام مئتين من ممثلى صناعة الطائرات، فأعجبوا بما رأوا فراحوا يحبذون استعمال هذا الغراء فى طائرات الحرب. وجارتهم فى ذلك قيادة مخازن سلاح الطيران الأمريكى فى مطار رايت. ومكتب طيران الأسطول فى فلادلفيا.

وإذا كان الغراء السحرى قد أحدث انقلاباً فى صناعة الطائرات المعدنية. فإن مستقبله فى صناعة الطائرات المصنوعة من رقائق الخشب تخطف الأنفاس. ولقد تنبأ سوندرز بمقاتلات يربط هذا الغراء السحرى بين أجزائها. وتدخل فى تركيبها مقادير من رقائق الخشب لم يسبق لها نظير فيخفض وزن الطائرة — بالقياس إلى مثيلاتها المصنوعة من المعدن — إلى الثلث. وتكاليفها إلى الربع. وزمن إنتاجها إلى الربع كذلك.

هذا الغراء يفتح آفاقاً جديدة فى مواد البناء وصناعة الأثاث، لأنه يربط بين جميع

أنواع مواد البنـاء والأثاث ، فيجعل منها منتجات خفيفة ومتينة ورخيصة . وقد بدأت بعض المصانع فى إعداد أرضيات للبيوت المصنوعة أجزاءً قبل تشييدها . وهذه الأرضيات قوامها طبقة من الصاج المضلع تعلوها صفائح من الخشب ، ربطت بهذا الغراء . وعلى أن سمك هذه الأرضية يعدل سمك أرضية الخشب العادية تقريباً ، غير أنها أخف وزناً وأصلب ، وهى لمتانتها لا تتطلب أكثر من نصف قدر الخشب فى الأرضية العادية .

ومما عرضه سوندرز كتلة صنعت من طبقات عديدة من الخشب ، لصقت بعضها ببعض بغراء سيكل ولد المسخن بحرارة أمواج الراديو . وتجزيع الخشب فى هذه الطبقات متخالف . وإن دعامة للبناء، أو ركيزة هيئت على هذا النمط ، تكون فى صلابة الصلب .

كان أول عمل قام به الغراء السحرى ، بعد أن طلع من المعمل ، لصق مادة عازلة بسقف السيارة الحديدى ، ولكن نواحى استعماله فى السيارات كثيرة . والواقع أن الغراء الجديد قد يغير من مظهر السيارة فى المستقبل ، فسيقلل من كثافة أجزاء كثيرة فيها ، فيتيح صنع هيكل أخف وأصلب وأرشق .

وأخيراً قد يصنع سقف السيارة من العجائن الشفافة ، وقد كان صنعه حتى الآن مستحيلا ، لأن الاهتزاز يحطم المفاصل حيث يرتبط السقف بالركائز ، أما الآن فيمكن ربط السقف المعدنى بالركائز بوساطة حشوة من المطاط تربط بالسقف من فوق وبالركائز من تحت ، بغراء سيكل ولد .

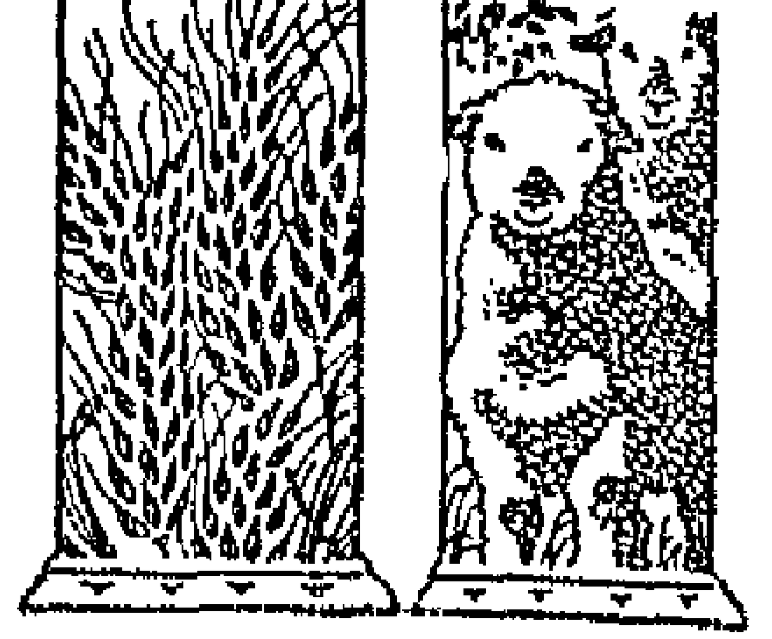
قال سوندرز : ولا نزال فى البداية . فحين تجد مادة تستطيع أن تلصق أى شىء بأى شىء آخر ، فليس لنفعها حد يعرف .



صراحة يابانية

كتب صحفى أمريكى فى اليابان إلى صديق : «لعلّ هذه الرسالة لن تصلك ، فالمراقب اليابانى قد يفتحها» . وانقضى أسبوع فتلقى مذكرة من إدارة البريد اليابانية : « إن قولك فى كتابك لا صحة له ، فنحن لا نفتح الرسائل »

[جون جنتر فى : « داخل آسيا »]



بل بايلي والعمد الأربعة



ف. ب. ماك ايفوى | ملخصة عن مجلة "بانكنج"

تسمع فى ولاية تنيسى حديثاً مستطاباً عن سعة حيلة بل بايلى مدير مصرف كلاركسفيل الأهلى ، ولعلك تقدر سبب ذلك ، فإنه مثل لما يمكن أن يسديه أصحاب المصارف فى الأرياف إلى مواطنيهم، إذا اتسعت حيلتهم وتوفرت لديهم الرغبة فى استخدام مواردهم .

وسيقص عليك بل بايلى كيف أن فلاحاً مسنا بدل وجهة نظره فى أعمال المصارف فى الأرياف ، وأحدث انقلاباً كبيراً فى الاقتصاد الزراعى فى تلك الجهة من ولاية تنيسى .

فقد مضى على حقول مقاطعة مونتجمرى الشاسعة أكثر من مئة عام وهى تزرع نوعاً من الطُّبّاق (التبغ) يجفف مدة أسابيع فى مخازن الغلال المظلمة على نار هامدة خابية . وقد أودى هذا النبات النهم بخصب التربة وأدى إلى إفقار المزارعين .

وكان بايلى وقد ارتقى من كاتب صغير إلى رياسة المصرف ، يرسل نشرات حافلة بالنصائح إلى عملائه من المزارعين، إلا أن

برنامج زراعى فذ لمدير مصرف ريفى أفضى إلى زيادة دخل المزارعين

الأحوال ساءت سوءاً مطرداً فى تلك الجهة فساءت حال المصرف معها .

وفى ذات يوم زار بايلى بيتاً فى مزرعة فدعاه صاحبها ، وكان فلاحاً مسنا ، إلى الجلوس برهة وقال له : « إنى أريد أن أتحدث معك لقد قرأت رسائلك طوال هذه السنين وأريدك الآن أن تصغى إلىّ .

« إن الفلاحين فى هذه الجهة قد نسوا كيف يفلحون الأرض ، فقد درجنا زمناً طويلا على زراعة هذا الطبّاق لأن هذه الجهة هى من الجهات القليلة التى تصلح لزراعته . وقد كسبنا من ورائه مالا كثيراً ، ولكن هذه الأيام قد انقضت، ومع ذلك فقد مضى الفلاحون لا يزرعون إلا هذا الطباق ومضيت أنت تقرضهم المال ليفعلوا ذلك على حين يجب عليك أن تخبرهم بأمر العمد الأربعة» .

ـــ العمد الأربعة ؟ ! وما هى تلك العمد؟

فأجاب الفلاح : « إن العمد الأربعة هى أربعة محاصيل لفصول السنة الأربعة . فالطبّاق

للبيع فى أواخر الشتاء ، والضأن للبيع فى الربيع ، والقمح للحصاد فى يوليه ، والماشية للخريف . هــذه هى الطريقة التى اتبعها آباؤنا فى فلاحة الأرض قبل أن شرعنا فى جر المغانم من زراعة الطباق ، فأنسانا الجشع كيف نفلح الأرض بالطريقة التى تدر علينا شيئاً نبيعه طوال السنة » .

وعاد بايلى تلك الليلة إلى بيته وأطال التفكير فيما سمع . وبعـد أيام قلائل تلقى عملاؤه الذين يراسلهم رسالة يبسط لهم فيها نظرية « عمد الإيراد الأربعة » .

هزىء الفـلاحون المحافظون بالفكرة وقالوا لبايلى إن الأغنام لا يمكن تربيتهـا فى تلك الجهة ، ولـكن بايلى كان يعلم أن فلاحى إحدى مقـاطعات كنتكى القريبــة التى لا تختلف تربتها وجوها عن جو مقاطعتهم وتربتها ، يربون ٥٨٫٠٠٠ رأس من الغنم تدر عليهم مليوناً من الريالات كل سنة ، من بيع لحم الضأن والصوف . وهذه المقـاطعة أصغر كثيراً من مقاطعة مونتجمرى .

ونظم بايلى قافلة من السيارات عبر بهـا ٦٣ فلاحاً حدود المقاطعة إلى ولاية كنتكى ، وأراهم ما يمكن أن يقوموا به فى بلدهم قياساً على ما رأوه . وعادوا إلى أهلهم وهم مقتنعون .

ولـكن من أين لهم المال لتربية الأغنام ؟

فوعـدهم بايلى بالمساعدة المـالية ووعدهم كذلك بتـدبير الإرشاد العمـلى ، وكان توجيه الخبراء لازماً فى المشروعات الجديدة ليضمن المصرف ماله من الضياع . فاستخدم بايلى بالمصرف عدداً ممن لهم دراية فى جميع فروع هـــذا البرنامج الزراعى المتشعب النواحى .

وبعث إلى الفـلاحين برسالة عنوانها « خمس وعشرون نعجة وكبش » يخبرهم فيها بأسلوب شعبى بنبأ هؤلاءِ الإخصائيين فأقنعهم بسداد الفكرة فأقبلوا عليها . وحين استقدم بايلى شحنــة قوامها ألفا رأس من النعاج الصغيرة السن ، تهافت عليه الفلاحون من كل ناحية لشرائهـا . ومن لم يستطع منهم الدفع نقـداً أقرضه بايلى المـال ، فبلغ ما أقرضــه نحو ٢٠٫٠٠٠ ريال فى الأيام الأولى . وقبل أن تنقضى خمس سنين كنت ترى ٣٠٫٠٠٠ رأس من الغنم ترعى فى مقاطعة مونتجمرى ، فتدرّ فى أواخر الربيع إيراداً من بيع اللحم والصوف .

وفى الوقت نفسه أنشأ بايلى مزارع نموذجية لتربية المـاشية ، واشترى المصرف لحسـابه خمسين ثوراً أصيلا من ثيران هريفورد ، أعارها للفلاحين دون مقابل ، على شريطة أن ينتفع بها جيرانهم دون مقابل أيضاً . وبعد سنتين كان الفلاحون يخيرون

بين شراء هذه الثيران وبين إعادتها للمصرف . ومعظمهم اشترى ، ولكن مراجع الحسابات أدركته الحيرة حين وجد خمسين ثوراً مقيدة تحت «ممتلكات جارية» نشك فى أمرها ، ولكن بايلى أزال شكه . وقد أشيع أن بايلى بما عرف عنه من روح الدعابة ، غيّر اسم هذا البند فى دفاتر الحساب إلى « ثيران للتحصيل » .

ولكل فلاح اليوم فى مقاطعة مونتجمرى قطيعه الصغير من الماشية يدر عليه اللبن والزبد لطعامه، والعجول لبيعها فى الخريف. وقد أصاب برنامج بايلى لزراعة القمح نجاحاً كبيراً ، فقد كانت غلة الفدان من القمح عشرة بوشلات قبل شروعه فى نشر مبادئ « العمد الأربعة » ، فارتفعت إلى أربعين بوشلا .

ثم يسّر بايلى للفلاحين بيع ماشيتهم ، فقد كان الفلاحون ينقلون الماشية فى المراكب أو فى السيارات الكبيرة مسافة ستة وعشرين ميلا إلى هوبكنزفيل بولاية كنتكى . فأعانهم بايلى على إقامة سوق للماشية يملكها الأهالى ، وقد بيع فيها فى الستة الأشهر الأولى من سنة ١٩٤٣ ما قيمته ٧٥٠٫٠٠٠ ريال من المواشى .

وجعل يوم الأربعاء يوم المزايدة فى كلاركسفيل ، فيهرع الفلاحون إليها ومع كثيرين منهم عجل أو بضعة خنازير ، فهم يجنون من بيعها فى بلدهم ما قد يجنونه فى ناشفيل عاصمة الولاية . ولا يكاد الفلاح يستوفى ثمن ماشيته حتى تأخذه زوجه إلى المتاجر المحلية لتسديد حسابات قديمة أو شراء حوائج جديدة ، وقد قال أحد التجار فى ذلك : « لقد أصبح لنا الآن يوما إقبال كل أسبوع بدلا من يوم واحد » .

وصنع بايلى شريطين سنمائيين لنشر دعوته . فأقبل على الأول ـ واسمه «الأغنام فى منطقة كلاركسفيل التجارية» ـ جماهير كبيرة من الناس لمشاهدته أينما عرض ، فى الكنائس والمدارس فى طول المقاطعة وعرضها . ثم جعل بايلى من قصة « العمد الأربعة » شريطاً سنمائيا ملوناً يستغرق عرضه ساعة ونصف ساعة . وقام موظفو المصرف أنفسهم بصنع هذا الشريط بالمصورات اليدوية وأظهروا فيه بعض الفلاحين المعروفين .

ويكشف هذا الشريط السنمائى الذى بلغت نفقته أقل من ١٥٠٠ ريال عن جمال الفصول الأربعة ، ويظهر خطوة خطوة كيف تنتج أفضل أصناف الطباق وتربى أحسن أنواع الماشية ، ويجنى أكبر محصول من القمح ، ويحافظ على خصب الأرض وقوتها . وقد شاهد هذا الشريط ١٥٫٠٠٠ من الفلاحين مع أسرهم .

لقـد أقام بايلى صرح المجتمع فى بلده بالسخاء فى إقراض المال للأهلين فى حكمة وبصر . وتعـد طريقته فى جمع المعلومات عمن يطلب العون المالى معجزة فى الدقة ، فلديه سجل كامل عن كل فرد من ٧٥٠٠ فلاح فى المنطقة ، وقد بلغ من الدقة مبلغاً يمكن المصرف من الفصل فى طلب أى فلاح بالرفض أو القبول فى خمس دقائق .

ويقول بايلى فى اجتماعات أصحـــاب المصارف : إن صاحب المصرف فى الأرياف ينبغى له أن يعرف ثلاثة أشياء : أولها أهل بلده ، وثانيها ما تستطيع الأرض إنتاجه ، وثالثهـا السوق اللازمة لتصريف هــذه المنتجات . ويقول إن كل صاحب مصرف فى الريف يستطيع أن يقوم بما قام هو به : يقيـد جميع أصحاب الأراضى فى بلده نقلا عن سجلات الضرائب ، ويقسم هذه القائمة إلى مناطق ، ثم يستشير رجلين على الأقل فى كل منطقة عن حالة جيرانهم ، ويقارن نتائج هــذه الاستشارات بعضهـا ببعض . ويقول بايلى إن التاجر والطبيب والمدرس والفلاح الكبير فى كل بلد، هم مراجع يعتمد عليها فى الحصول على المعلومات الخاصة بحالة طالب الاعتماد المالى .

ويجتمع بايلى بموظفيه فى السابعة والنصف من صباح كل يوم للنظر فى طلبات القروض والحسابات الجديدة والأعمال الرتيبة . ثم يتفرق هؤلاء الموظفون فى أرجاء الريف ، ويزورون عملاء المصرف من الفلاحين ليزودوهم بالمعـلومات ، وليبذلوا لهم النصح والإرشاد فيما يعرض لهم من مسائل . فإذا كان الفــلاح فى حاجة إلى قرض تفاوضوا معه فيه على الفور .

ويبلغ بل بايلى الآن الستين من عمره ، وهو طويل القامة بدين الجسم أشيب ، يتفجر نشاطاً وحيوية ، وله فى وطنه كرامة . هذا العبقرى الذى أنجبته بلدة لا يزيد عدد سكانها على ١٢٫٠٠٠ يجتـذب جمهوراً من المستمعين إذا ألقى خطبة حين تعقد مدرسة الدراسات المصرفيـة العليا فصولهـا الصيفية بجامعة روتجرز فى نيوجرزى . وقد وفد كثير من أصحاب البيوتات المالية فى ولايات كثيرة ، ليروا بأنفسهم ما فعـله بايلى و « عمده الأربعة » بمقاطعة مونتجمرى .

ويقول أحدهم فى ذلك : « فى الولايات الجنوبيـة جميع العناصر التى قامت عليهـا المدنيات العظيمة الغنية ـ فثمة الثروة المعدنية، والتربة الخصبة، والجو الملائم، وموسم طويل للزراعة . ومع هذا فإن الجنوب أفقر جزء من بلادنا . والظاهر أننا نحتاج إلى سياسيين اقتصاديين لهم بصر بل بايلى العملى ، وفهمه السليم، وإدراكه المستنير للمصلحة الشخصية » .

عندما يواجه الإنسان الموت لا يفكر في نفسه

ملخصة عن



طيار فرنسي تمتزج كتابته بروح الشعر والفلسفة

دهسنت إكسوبيرى

"اليوزباشي والملازم دوترتر : فليقدما نفسهما إلى الصاغ » .

كان معنى هذه الدعوة أننا سنؤمر بالخروج مرة أخرى عبثاً ، وكنا قد شارفنا ختام مايو سنة ١٩٤٠ ، وكان ذلك وقت تقهقر تام ونكبة شاملة . وكان كل شيء يتقوض حولنا ، وكانت طائفة في إثر طائفة من رجال الطيران يضحَّى بها . وكنا كأنما تقذف بأكواب من الماء في غابة تضطرم فيها النار رجاء أن تخمدها .

وكان كل ما للجيش الفرنسي أجمعه من طائرات الاستطلاع خمسون ، لكل منها ثلاثة من الرجال . من هذه الخمسين ثلاث وعشرون تتألف منها وحدتنا ، وقد زالت من الوجود في ثلاثة أسابيع سبع عشرة من الثلاث والعشرين . وذاب فريقنا كأنه كتلة من الشمع . وكنت أتحدث البارحة إلى الملازم جافوال فجرى لساني بهذه الكلمات : « على كل حال ، سنرى ما يكون من هذا الأمر بعد الحرب » فقال جافوال ، وقد صدمه كلامي : « أرجو ألا يكون معنى كلامك ياحضرة اليوزباشي أنك تتوقع أن تخرج من الحرب سالماً حيا ؟ »

ولما ذهبت أنا ودوترتر إلى الصاغ ألياس ألفيناه ساهماً وكأنما قد استنفد قوته وخذلته أعصابه .

ومضت هنيهة قبل أن يتكلم ، ثم قال أخيراً وهو يهز كتفيه : « إن هـذا حرج جدا . مهمة حرجة جدا . ولكن هيئـة أركان الحرب تطلب القيام بها. وقد جادلتها، ولكنها تصر عليها . . . فلا حيلة هناك » .

وكان يتكلم كأنه طبيب جالس إلى سرير مريض مشف على التلف . ويقول الطبيب وهو يهز رأسه : « همم ! هذا أمر ثقيل » وتدرك أنه يلمح إلى أن الأولى بك أن تكتب وصيتك . ولم يكن يخالجنى أنا أو دوترتر شك فى أن ألياس كان يتكلم عن التضحية بجماعة أخرى من رجال الطيران .

ولم يكن هذا ذنب أحد . ولم يكن ذنبنا أننا لم نكن نشعربالسرور والمرح ، ولاذنب الصاغ أنه لا يقبل علينا باشا هاشا ، ولا ذنب هيئـة أركان الحرب أنها تصدر الأوامر . والصاغ خارج عن طوره لأن الأوامر سخيفة . ونحن نعرف أنها كذلك ، وهيئة أركان الحرب تعرف هذا كما نعرفه ، وهى تصدر الأوامر لأنه لابد من إصدار أوامر ، وإصدار الأوامر حرفتها فى زمن الحرب .

وأقول جاداً إن هيئـات أركان الحرب تصدر أوامر لا تصل إلى أحد ، وهى تطلب معلومات من المستحيل تقديمها ، وحتى لو عدنا بها فإنها لا يمكن أن تنتفع بها لأنها لا تنقل إليها ، فإن الطرق تكون قد سدت من الزحام ، وخطوط التليفون تكون قد قطعت ، وتكون هيئـة أركان الحرب قد انتقلت من مكانهـا على وجه السرعة . أما الخبر المهم حقيقة — وهو مكان العدو — فإن العدو نفسه يكون قد أذاعه .

وقـد يخطر لك أنه فى حالة التقهـقر والنكبة ، ينبغى أن يكون هنـاك طوفان من المسائل الملحة لا يكاد يدرى المرء أيها أولى بالتقديم . ولكن الحقيقة أنه فى حالة جيش منهزم تختفى المسائل نفسها .

إن الاندفاع والضجة من علامات النصر لا الهزيمـة ، فإن النصر يدعو إلى الحركة والعمـل ، أما الهزيمـة فتورث الكلال ، والتفكك والملال ، وتترك كل شىء باطلا ومحالا ليس يجدى .

وقـد صارت هـذه المهمات التى نؤمر بالخروج فيها أشد عقماً وأقتل ، على الأيام ، ولكن الحرب ينبغى أن تتخذ صـورة الحـرب . وما كان قوادنا ليستطيعوا أن يدافعوا أمام هذا السيل الدافق الذى يغمرهم ويسحقهم ، إلا بما يملكون . وكان عليهم أن يلقوا بما فى أيديهم من ورقات . وكنت أنا ودوترتر — ونحن جالسان نصغى إلى الصاغ — بعض هذه الورقات .

وكان الصاغ يبسط لنا برنامج العصر . وقد أمرنا بالطيران للتصـوير على ارتفاع

٣٠٠٠٠ قدم ثم بالاستطلاع على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم فوق مرابض الدبابات الألمانية العشرة حول أرّاس .

وقلت لنفسي ، ونحن خارجان لنرتدي ثيابنا: «هذا فريق آخر يلقى به على التهلكة» . ولكني لم أكن أزن وأقدر فرص الإياب ، فقد كان الموت يبدو لي لا جليلا ، ولا مهيباً ، ولا صارماً ، ولا من البطولة في شيء . وإنما كان يبدو لي كأنه مجرد أمارة من أمارات الاضطراب ، ونتيجة للاضطراب ، وستفقدنا جماعتنا كما يفقد المتاع في الاضطراب الذي يحدث عند الانتقال من قطار إلى قطار .

وطرنا ، وصرنا على ارتفاع ٣٣٠٠٠ قدم « ياحضرة اليوزباشي . إني أرى ست مقاتلات ألمانية إلى يسار مقدمتنا وعلى مسافة ١٥٠٠ قدم تحتنا » .

فكان لهذه الكلمات وقع الرعد في أذني ، وكان من حسن حظنا أننا كنا نطير في عين الشمس ، وما كانوا ليستطيعوا أن يصعدوا إلى مثل ارتفاعنا من غير أن يتيحوا لنا أن نسبقهم ببضعة أميال ، وعسى أن ننجو منهم . على أن من المحتمل أن تدور معركة ، ولهذا تهيأت لها .

ولم يكن طبيعياً أن أتصبب عرقاً ودرجة الحرارة حولي ٦٠ تحت الصفر . وكنت مدركا تمام الإدراك لما يحيق بي ، فقد أنهكت قواي في إدارة الدفة وأنا على ارتفاع عظيم فأحسست بالدوار يدب ، خفيفاً خفيفاً .

فضغطت أنبوبة المطاط فردت إلى الحياة نسمة من الهواء ، إذن كان جهاز الأوكسيجين منتظماً ! وكان قد خيل إليّ لحظة أني لن أفيق وأننا سننقض برغمنا انقضاضاً وبيلا . ومع ذلك لم أشعر من ذات نفسي بذلك الخوف الحاد الذي يقول الناس إنه يشيب الرأس في لحظة . وبدأت أفكر في ساجون الذي أسقطت طائرته وراء خطوطنا منذ شهرين .

وإني لأراه الآن كما كان ، وهو راقد في المستشفى ، وقد أصيب وجهه ويداه بحروق بالغة وكسرت ساقه ، ولكن ساجون لم يشعر برجة نفسية ، فقص علينا قصته ببطء ، وبلهجة عادية ، كأنما يقدم تقريراً عن مهمة متعبة :

كانت الطائرة قد ظلت تحترق برهة قبل أن يلقي بنفسه منها ، وكانت المقاتلات لاتزال تطاردها وتمطرها وابلا من الرصاص ، ومع ذلك لم يشعر ساجون برغبة ما ، وهو يخرج من هيكل الطائرة ويزحف على جناحها . لم يشعر بشيء قط ، وكان في سراح من وقته ورواح ، وكان يسبح في فراغ لا نهاية له . وهنا فطنت إلى الشعور الغريب الذي يخالج المرء من حين إلى حين ، عند الإشراف

على الموت ، وهو شعور بفراغ غير متوقع ، على نقيض ما يؤخـذ من الـكتب ، من الإحساس بالسرعة التي تخطف الأنفـاس .

والذي يذكره ساجون من حادثته كلها ، من أولها إلى آخرها ، هو أنه كان في حالة انتظار — انتظار ارتفاع ألسنة النار ، ثم الانتظـار على جناح الطائرة لما لا يعلمـه إلا الله . وأخيراً سقوطه في الهواء ، وهو متحير ، وسأمان ، ونافذ الصـبر قليلا — ولـكنه مع ذلك يشعر بحالة الانتظار .

إن مجال الوعي ضـيق ، وهو لا يتقبل إلا مسألة واحـدة في وقت واحد . اشترك في ملاكمة ، واحصر خواطرك في خطة العمل ، فإنك خليق أن لا تشعر بلـكمات خصمك . وقد حدث لي مرة أن ظننت أني سأغرق في حادث طائرة مائية ، فخيل إلى أن المـاء المتجمد فاتر ، ولعل الأصح أن أقول إن وعيي كانت تسـتغرقه خواطر أخرى .

وبينما كانت ذكرى ساجون تدور في نفسي ، أفلتنا من القاتلات الألمانيـة ، ثم هبطنا إلى ارتفاع قليل ليتمكن المراقب من الرؤية ، وشرعنا نتعرج في طيراننا فوق منطقة انتثرت عليها البطاريات الأرضـية . وكانت الرصاصات القاصـة ترسل في الجو سهاماً من النـور بلون الحنطة ، وتنفجر القذائف فوقنا على هيئة أهرام من الدخان والشظايا . وقد أورثتني هـذه الدواخن والشظايا الصاعدة بمثل بطء جبال الثلج ، شعوراً بأني لا حركة لي ، فكأني واقف جامداً في قفص الاتهام أمام محكمة ، والقضاة يتداولون في مصيري ، وأنا لا دفاع لي .

وما قيمة حياة الإنسان في وحل هـذه السماء القذرة ؟ عشر ثوان على الأرجح ، أو عشرون . ورجت السماء أصـوات القذائف المنفجرة . وكانت القنبـلة إذا انفجرت قريباً من الطائرة ، ينتفض لها بدنها ، ويدب الصوت دبيب الصخرة سقطت فوق منحدر . وقد اخترقت الشظايا مستودعات الوقود ، وكان من السهل أن تنفذ ، بدلاً منها ، في بطوننا . ولـكن من ذا الذي يعبأ بما يصيب بدنه ؟ وغريب أن لا تـكون للبدن قيمة ! والمرء يحتاج ليعرف ذلك إلى مثل هذا الوابل من مطر الرصاص الصاعد ، ومثل هذه المحـكمة المنعقدة للقضاء الأخير !

وكثيراً ما كنت أتعجب للحظات الأخيرة في حيـاة الإنسان كيف تـكون . وكنت دائماً افترض أن الامتحان — حين يجيء — سيكون مداره على الجسم وحده . وكنت كغيري من الناس قد وهبت جسمي حصة جزيلة من الوقت ، فكسوته ، وغسلته ، وأطعمته ، وأطفأت ظمأه ، وذهبت به إلى

الحائك ، والجراح ، والحلاق ، وخلطت نفسى بهذا الحيوان المروض ، وقلت عنه : « إنه أنا » والآن ذهب عنى هذا الوهم فجأة . وماذا يعنينى من جسمى ؟ إنه خادم لى ، وما هو إلا أن يتلهب غضبى ، أو يسمو حبى ، أو يتجمع حقدى فى صدرى ، وإذا بالوحدة المزعومة لى ولبدنى معى قد زالت .

ويكون ابنك فى بيت يحترق ، فلا يقوى أحد على صدك . وقد تأكلك أنت النار ، فهل تراك تفكر فى هذا ؟ إنك إنما توجد فى عملك ، لا فى بدنك ، وعملك هو نفسك ، وليس لك ذات أخرى هى أنت . أتراك تهم بأن تضرب عدواً ؟ إنه ما من خوف من أذى بدنى يصيبك ، يستطيع أن يردك . إنك فى هذه اللحظة تبذل نفسك لتقتل عدوك ، أو تنقذ ولدك . وفى اللحظة التى تنزل فيها عن جسدك تتعلم وأنت فى دهشة — وكل الناس يتعلمون فيدهشون — قلة احتفالك بشأن هذا البدن .

وقد كنت خليقاً أن أتعلم هذا الدرس وأنا فى الخامسة عشرة ، فقد كان لى أخ أصغر منى فى سياق الموت ، فأيقظتنى ذات صباح — حوالى الساعة الرابعة — ممرضته وأخبرتنى أنه يطلبنى .

فسألتها : « أهو يتألم ؟ » .

فلم تقل شيئاً ، فارتديت ثيابى بأسرع ما أستطيع .

فلما دخلت عليه قال بلهجة عادية : « اشتهيت أن أراك قبل موتى . فإنى سأموت » وتخشب ، وبدا عليه الألم ، ولم يستطع أن يمضى فى الكلام . وكان وهو مُثبَتٌ وقد جهده الألم يلوح كأنما يقول : « كلا ! » . فلم أفهم . وخطر لى أنه إنما يرفض الموت ويأباه . وسُرّى عنه فعاد إلى الكلام .

وقال : « لا تبتئس فإنى بخير ، ولا حيلة لى فإنه جسمى ليس إلا » كأنما صار جسمه أرضاً أجنبية — شيئاً غير ذاته .

وهذا الأخ الأصغر الذى مات بعد عشرين دقيقة إنما دعانى إليه لأنه شعر بحاجة ملحة إلى أن يهبنى شيئاً من ذات نفسه ، فقد قال : « إنى أريد أن أوصى » واتقد وجهه من الزهو والارتباك إذ تكلم بكلام الذين دخلوا مداخل الرجال ، وما كان إلا صبياً ، وما كان الذى وهبنيه إلا قاطرة بخارية من لعب الصغار ، ودراجة ، وبندقية .

إن الإنسان لا يموت ، ولا موت هنالك حين تلاقى الموت ، ومتى هوى البدن فى حضيض الموت فإن جوهر الإنسان يتكشف ، وما الإنسان سوى شرك تعلق بها وترتبط العلاقات ، وهذه العلاقات هى التى لها قيمة . وما عرفت إنساناً قط فكر فى نفسه وهو يجود بأنفاسه . أبداً .

وكنت كلما أدرت الطائرة بعنف لأتفادى هذا الإكليل الحائل المعقود فوقى من الدخان والشظايا، تبعتنى طعنات الرصاصات، ورجت القذائف المنفجرة الطائرة من جديد. فهل ترانا سننجو؟ ولكن كيف نستطيع؟ وكيف اتفق أننا بقينا سالمين؟ وبدأت أؤمن بنفسى وبالطائرة وأقول لنفسى: « يظهر أننا أمنع من أن نصاب ».

وخيل إلىّ أنى رئيس فرقة مظفرة، ومنذ تلك اللحظة صار كل انفجار يبدو كأنما هو ليس تهديداً بل تقوية للقلب. وفى كل مرة — مسافة جزء من ثانية — كان يخيل إلىّ أن الطائرة قد تمزقت أشلاء، ولكنها فى كل مرة كانت تستجيب لى وأنا أدير آلاتها، وكنت معها كأنى سائق يشد بيديه على لجم الخيل، وبدأت أشعر بالسكينة والاسترخاء، وغمرتنى موجة من الجذل، ولم يكن يعرونى من الخوف إلا تقبض يحدث كلما حدثت ضجة عالية، ولكن بعد كل انفجار يعود الجذل فيسرى فى بدنى. وكان ينبغى أن أشعر بالرجة ثم بالخوف ثم أتنفس الصعداء، ولكنه لم يكن ثم وقت لذلك، فكان الذى أشعر به هو الرجة ثم التشهد فى إثرها، أما الخوف، وهو المرحلة الوسطى، فكان مفقوداً.

وتدفق فى شرايينى سيل من الابتهاج لم يكن متوقعاً. وكنت أشعر كلما مضت ثانية كأنما وهبت الحياة من جديد، وكأنما الحياة، كلما مرت ثانية، صارت أوضح وأزهى وأسنى، فأنا أحيا، وأنا حى، وتمشت فىّ نشوة الحياة، ومن العبارات المألوفة قولهم: « حمى وطيس المعركة » ولكن الحياة أحمى، وقلت لنفسى: « ترى أيعرف هؤلاء الألمان الذين يقذفوننا بنارهم من تحتنا أنهم يخلقون الحياة فينا؟ ».

وقال المراقب إنه أتم عمله، فرفعت مقدم الطائرة مرة أخرى إلى حمى السحب، وسرعان ما كنت أطير فى أول كِسْف من السحاب، ثم أطبقت علىّ السحب، وصرت كالزوجة التى فرغت من ابتياع ما تحتاج إليه لطعام بيتها، فراحت تفكر فى الغداء الشهى الذى ستسر به أسرتها، فشاعت فى نفسى البهجة، فقد انثنيت عائداً إلى قاعدتى.

ومتى عدت، فسيستجوبنى الصاغ ألياس، ويسألنى عما رأيت، ولكن الذى أعود به من هذه الرحلة لا يصلح أن يكون موضوعاً لتقرير، وسأبدو تعساً جداً، ولكنى لن أكون تعساً، فإن التعس ورائى، وقد ذهب فى اللحظة التى بدأت فيها انفجارات القذائف تحدث الانتفاض للطائرة، ولو أنى كنت قد تلفتُّ إلى الخلف قبل ذلك بثانية واحدة، لفاتنى أن أعرف نفسى.

قصّة جنين

تلخيص كتاب بهذا العنوان تأليف

مارجريت شيا جلبرت

ظفر هذا الكتاب بجائزة ألف دولار منحتها شركة وليامز وبلكنز ، وهي من كبريات دور نشر الكتب العلمية والطبية « لأفضل كتاب على المطالعة العامة » .



توطئة للدكتور الكسيس كاريل

« كان عملا جريئاً وصف ما يعترض تكوين أجسامنا من جسام الحوادث ، بغير لغة الفن . ومع ذلك فقد نجحت المؤلفة فى أن توضح بدقة ، وغالباً بجمال حقيقى فى التعبير ، كيف أن بيضة ضئيلة تتخلق طفلا ، بأفعال كأنها من عمل السحر . إن هذا الموجز الرائع ليقحم القارىء على دنيا معقدة لا عهد له بها ، فالأساليب التى تنتهجها الحياة لا تشبه الأساليب التى اخترعها الذكاء البشرى ، وطرق الطبيعة تبدو عجباً لمن منا غمرته البيئة المفتعلة التى برأتها العلوم والفنون الصناعية ، وإن مسز جلبرت بقصتها الخالبة للب لتقربنا إلى الحقيقة الغامضة فى حياتنا » .

تبدأ الحياة لكل منا فى لحظة لا تحس ولا تدرك ولا تدعو إلى الزهو ، تنساب فيها نطفة (حيوين منوى) دقيقة إلى أن تصطدم ببويضة كاملة النمو ، وتبلغ النطفة الواحدة من التناهى فى الصغر ، أنْ لو جمعت كل النطاف اللازمة لإنتاج الجيل المقبل بأمريكا الشمالية لوسعها رأس دبوس . ومع ذلك فإن البويضة الهادئة التى يكهربها دخول هذا المخلوق العجيب تستجيب له فى هياج عنيف ، وتطلق ما تختزنه بالفطرة من طاقة على خلق الإنسان . وفى لحظة هذا الامتزاج بين النطفة والبويضة (وهو ما يسمى بعملية الإخصاب) ينشأ شخص جديد يحوى من القوى الكامنة مدداً لأجيال من البشر لا عداد لها .

فإن اختلف هذا الموعد بين البويضة والنطفة فلم يلتقيا ، صارا كلاهما إلى الفناء . ويالطول الطريق الذى يجب على النطفة أن تقطعه خلال المجارى التناسلية للأنثى حتى تبلغ البويضة ، ويالعمرانه بالمخاطر ! إنه إن هدى إلى الهدف نطفة واحدة ، أضل عنه الملايين .

وفى لحظة هذا الإخصاب لا يتقرر وجود الكائن البشرى الجديد فحسب ، ولكن كذلك يتقرر نوعه (ذكر أو أنثى) وشخصيته ، إذ باتحاد النطفة والبويضة يرث هذا الكائن خليطاً من السمات البدنية للأبوين ، كما يأخذ عنهما تلك الصفات المتوارثة التى ينقلها بدوره إلى ذراريه .

الشهر الأول

من ثنايا المجهول

من ثنايا المجهول إلى صورة الإنسان ... ذلك هو التغير الخارق الذى يحدث خلال الشهر الأول من الحياة البشرية . إننا نكبر من بيضة لا تكاد لصغرها تبصرها العين المجردة ، إلى مضغة بشرية صغيرة تبلغ فى الطول ربع بوصة أو تكاد ، وبذلك يزداد حجمنا ٥٠ ضعفاً ووزننا ٨٠٠٠ ضعف ، ونستحيل من خلية بيضية ضئيلة مكوّرة إلى مخلوق له رأس وجسد وذنب ــ كما يجب أن نعترف ــ وله قلب يخفق ، ودم يجرى ، وبدايات أذرع وسيقان ، وعيون وآذان ، ومعدة ومخ . والواقع أنه فى خلال الثلاثين يوماً الأولى من حياتنا تكاد جميع الأعضاء التى نستعملها طوال ما كتب لنا من أعمارنا تكون قد بدأت فى التكوين (وكذلك ما قد ينقرض من هذه الأعضاء قبل الميلاد) .

وما هو إلا أن يحدث الإخصاب حتى

يؤدي النشاط الهائل الذي أحدثه دخول النطفة في البيضة إلى انقسام البيضة أو « انشقاقها » إلى خليتين ، فانقسامهما بدورهما إلى أربع ، وهكذا دواليك حتى تتكون ملايين من الخلايا التي يتألف منها جسم الإنسان .

وفوق هـــذا النمو واطّراد التطور العجيبين، يجب علينا كذلك أن نعانى أول جهادنا في سبيل الطعام . ومن أجل هذا الغرض تنشأ طبقة مغذية — تسمى بالغلاف الأكال « تروفو بلاست » — على المحيط الخارجي لتلك الكرة الصغيرة الممتلئة بالخلايا ، تأكل ما تصادف من أنسجة ، شاقة طريقها إلى الرحم . وبما أن هذه الأنسجة تذوب أمام الغلاف الأكال ، فإن الرحم يتخذ له درعاً واقية من المشيمة (الخلاص) التي تتعاون مع الغلاف الأكال على إطعام المضغة النامية . ويحمل دم الأم الطعام والأكسجين، وهو العنصر الأساسي في الهواء الذي نتنفسه ، كما يحمل الماء إلى المشيمة ، ومن ثم يمتصها الغـلاف الأكال ويرسلها إلى المضغة خلال الأوعية الدموية في الحبل السُّرّي . وبالتالي ترسل فضول المضغة إلى المشيمة حيث تنتقل منها إلى دم الأم الذي يحملها إلى كلاها ورئتيها تمهيدا لنفضها . فدم الأم لا يسري بذاته في الجنين قط ، رغم الاعتقاد الشائع على غير أساس .

وفي أثناء ذلك يكون المخلوق الجديد دائباً على السير ببطء في طريق التطور المرجوّ أن يجعل منه إنساناً . فبينا يبنى الغلاف الأكال عشاً للبيضة في جدار الرحم، تكون كتلة الخلايا الداخلية قد حالت من كرة صلبة من الخلايا إلى جسم صغير متكهف يشبه رقم 8 الأفرنجي، أي يحتوي على كهفين تفصلهما من الوسط صفحة مزدوجة تسمى « بالقرص المضغي » . وهذا القرص هو وحده الذي يستحيل بالنمو إلى كائن بشري. فأما النصف الأدنى من رقم 8 المتخيل فيصير حويصلة صغيرة فارغة تسمى بالكيس الصفاري ، وهذا الكيس ينفصل على الزمن (في الشهر الثاني) من المضغة . وأما النصف الأعلى فتنشأ منه قربة ممتلئة بالماء (تسمى بالسَّلَى) تحيط بالمضغة إحاطة تامة إلا حيث يتصل بها الحبل السُّرّي الغليظ ، وكذلك تسبح المضغة في غلاف مائي يقوم بعمل مانعة صدمات ، تقي عليها أية رجّات أو لكمات تصيب جسم الأم .

وإذ قد اطمأنت إلى سلامتها تستطيع المضغة الحقيقية في البيضة ، وهي القرص ذو الصفحتين ، أن تنشط للعمل المنوط بها ، وهو الصيرورة إلى مخلوق بشري ، لعل من أعجب العجب أن يكون قلبه ومخه في أبسط مظاهرهما هما باكورة التكوين فيه .

وتكاد تظهر على الفور (فى سن ١٧ يوماً على الأكثر) بواكير الخلايا الهامة التى يمكن التنبؤ بمستقبلها دون خطأ ، فهى خلايا دم طفلة تبدو كتلا مبعثرة تسمى بالجزر الدموية، ولكن سرعان ما يمتزج بعضها ببعض، لينشأ منها أنبوب واحـد هو أنبوب القلب ، فى البقعة التى ستصبح رأس القرص المضغى .

ويجب أن تتتابع على هذا الأنبوب البسيط تطـورات عديدة قبـل أن يتخذ المظهر المعروف لقلب الإنسان ، ولكنه عوضاً من أن ينتظر ذلك اليوم البعيد للبدء فى عمله ، يخفق من فوره ، فتسرى خلال الأنبوب هزة طفيفـة ، تعقبها أخرى ، وسرعان ما يتداوله الانقباض والانبساط ، فيدفع الدم إلى الجريان فى أوعية القرص المضغى ، وعليه أن يستمر على هذا الخفقان حتى نهاية الحياة .

وحوالى نفس الوقت ينشأ الجهاز العصبى كذلك ، إذ يتـكون فى القرص المضغى صفيحة سميكة بيضية الشكل تسمى الصفيحة العصبية، تنشأ حافتاها من سطحها المستوى، ويتقوس بعضهما على بعض حتى ينشأ منهما أنبوب ، فى وسـط ما سيصبح ظهر المضغة تماماً ، وهـذا الأنبوب هو الذى سيتطور مقـدمه بالنمو فيما بعـد إلى مخ ، ويتحول مؤخره إلى نخاع شوكى . وكذلك فى هذا الأسبوع الرابع من بدء الحياة ، يمثل هذا الأنبوب البسيط بداية الجهاز العصبى ، أو فجر المخ الذى سيكون أعز ما يمتلك الإنسان .

وعندئذ تولى المضغة اهتمامها شطر قناة الطعام ، وهذا الجهاز يدعوه الرجل الجائع معدته ، ولكن علماء الأجنة يسمونهُ قناة الهضم ، فيحدودب وسـط القرص المضغى المنبسط ، ومن هـذه الحدبة ينشأ كيس ذو ردبين (طرفين مسدودين) ولا يمضى غير قليل حتى تنفتح ثغرة فى الردب المقـدم من السطح الأسفل لما سيصبح الدماغ فى المستقبل ، وهذه الثغرة هى بداية الفم ، وإن كان المخرج المشابه من الردب المؤخر يظل مغلقاً إلى حين .

ففى خلال الخمسة والعشرين يوماً التالية لإخصاب البيضـة البسيطة بالنطفـة تكون المضغة مخلوقاً صغيراً يبلغ من الطول حوالى عشر بوصة ، وله طرف دماغى وطرف ذنبى وله ظهر وبطن ، ولكن ليس له أذرع ولا أرجل، وينقصه الوجه والعنق، وكذلك يتلاصق قلبه ومخه . وعلى أية حال ففى ثنايا هـذا المظهر غير البشرى تبدأ المضغـة فى تكوين رئتيهـا اللتين تظهران أول الأمر كأخدود قليـل الغور فى قعر مقدم القناة المضمية ، وتبدأ كبدها فى الظهور كتضخم فى جدار هـذا المقدم خلف القلب تماماً ، وتـكون المضغـة قد سلكت طريقاً طويلا

مضلا يؤدى بها فى النهاية إلى تكوين الكليتين .

إن نشوء الكلى البشرية يضرب لنا مثلا رائعاً لظاهرة يمكن تسميتها « بسلم الارتقاء » ، فعوضاً من أن تنشىء المضغة العضو على الطراز الذى يستعمله الرجل دفعة واحدة ، تنشئه على النمط الذى يوجد فى حيوان أدنى كثيرا من الإنسان كالسمك مثلا ، ثم تهمل هذا العضو « السمكى » وتنشىء عضواً آخر كالذى يستعمله حيوان أرقى كالضفدع ، ثم تعود فتهمله ، ومن ثم فلعلها تنشىء عضوها البشرى من أطلال هذه الأعضاء السابقة جميعاً . وإن ذلك ليبدو كما لو كان إنشاء كل قاطرة بخارية حديثة يتطلب من الصانع أن ينشئها أولا على أقدم وأبسط نمط صنع من القاطرات ، ثم ينحى هذا الطراز ، ومن أنقاضه وما يضيف إليها من أجزاء جديدة يبنى قاطرة أحدث ، ثم بعد محاولات مماثلة ينشىء فى النهاية أحدث طراز ، وقد يستغل فى صنعه بعض المعادن التى دخلت فى صلب قاطرته الأولى . ويعلل العلماء هذا التطور العجيب الشائع فى نماء كل مراتب الحيوان العليا بأنه تكرار سريع لتاريخ التطور العضوى الطويل .

وفى نهاية الشهر تكون المضغة قد أصبح طولها ربع بوصة ، ويلوى بعضها قد التف على بعض حتى لتكاد تؤلف دائرة ، ويكون لها ذنب قصير مدبب فى أسفل البطن وأزرار صغيرة على جانبي جسدها هى براعم الأذرع والسيقان ، وتظهر على ناحيتى عنقها القصير شقوق أربعة يمكن تشبيهها من حيث الوظيفة بخياشيم السمك ، وهذا مثل آخر من أمثلة سلم الارتقاء ، وتكاد كل أعضاء الجسم البشرى حينئذ تكون فى بدء التخلق ، ففى الرأس تظهر العينان نتوءين أجوفين بارزين من أنبوب المخ الصغير ، وتبدو فى جلد مقدم الرأس فجوتان من نسيج سميك تمثلان بداية الأنف ، وخلف كل من العينين على مسافة قصيرة تنشأ أذن — لا صوان الأذن الخارجية ، ولكن ذلك النسيج الحساس الذى سيعين الإنسان على السمع فى المستقبل . وفى ٣٠ يوماً يكون المخلوق الجديد قد قطع الطريق من البيضة المخصبة الغامضة فى بساطتها إلى عتبة البشرية .

الشهر الثانى

وجه الإنسان

من فرخ الضفدع إلى رجل . . . كذلك يستطيع المرء أن يمثل للتطور الحادث أثناء الشهر الثانى من الحياة . حقيقة إن المضغة

ليست فرخ ضفدع ، لكنها ليست بعيدة الشبه به ، فإن هذا المخلوق المذنب البصلي الشكل برأسه الضخم المطرق ، وفتحات خياشيمه المماثلة لخياشيم السمك ، وبراعم جوارحه (أطرافه) التي لم تتخلق ، قليل الشبه بمظهر الإنسان . ولكن في نهاية الشهر الثاني يتخذ الجنين سمات البشر المعروفة ، وإن بلغ الذنب أقصى نموه أثناء هذا الطور . وفي هذا الشهر يزداد طول المضغة ستة أضعاف (فيصبح بوصة ونصف بوصة تقريباً) ، كما يزداد وزنها ٥٠٠ ضعف ، وتساعد العظام والعضلات النامية بين الجلد والأحشاء على استدارة الجسد .

على أن الوجه والعنق الناميين هما أهم السمات التي تضفي عليها هيئة الإنسان بالغة ما بلغت من الغرابة ، فقد أخذ الفم الذي أصبح يحوطه فكان أعلى وأسفل ، يتناقص حجمه بالتدريج كلما امتزجت الأنسجة لتؤلف الأصداغ ، وقد اقتربت الفجوتان الأنفيتان إحداهما من الأخرى حتى تكون منهما أنف عريض ، والعينان اللتان كانتا في البداية على جانبي الرأس قد تحولتا إلى مقدمه ، وفي الأسبوع الأخير من الشهر ، تنشأ الجفون وتسبل على الأعين بعد أمد قصير .

أما الجبين فيكون بارزاً أفطح ، ويسبغ على المضغة مظهر الذكاء . وفي الواقع تكون المضغة كذلك من حيث أن المخ يحتل من الرأس أوفى نصيب ، وعلى الوجه أن يقضي أعواماً عديدة قبل أن يستطيع الانتصاف من حيف المخ المبكر عليه ، وبلوغ الحجم النسبي له في الإنسان البالغ .

وتخضع الجوارح لسلسلة مماثلة مدهشة من التطورات ، إذ تستطيل براعمها ، ويتفلطح الطرف المطلق لكل منها حتى يصبح في مثل صفحة المجداف ، ومن هذه الصفحات تتكون راحات الأيدي وأمشاط الأقدام ، وسرعان ما تظهر في كل منها خمسة خطوط تفصلها أخاديد قليلة الغور ، وبالتدريج تنشق هذه الأخاديد ، فتنحسر عن خمسة أصابع جلية في كل يد وقدم ، وفي نفس الوقت تتكون برازخ مستعرضة في هذه الجوارح تدل على المرفق والمعصم في الذراع والركبة والعقب في الساق .

ويبلغ ذنب الإنسان أقصى نموه أثناء الأسبوع الخامس ، وتكون له العضلات التي تحرك الذنب في الأنواع الدنيا من الحيوان ، على أنه ينكمش منذ هذا الأسبوع ولا يبدو في المولود حديثاً إلا شذوذاً . وإذ تنشأ العضلات تنشأ معها العظام ، وفي معظم أحوال النمو العظمي ينشأ أولا طراز من العظم يسمى الغضروف ، وهو مادة أشد من العظم رخاوة وأشف منه ، وفي

هذا القالب الغضروفى وحوله تترسب مادة العظم الصلب . وكما يصوغ المثال تمثاله أولا من الطين ، ثم إذا أعجبتـه الصياغة صب التمثال فى البرونز ، كذلك يبدو أن المضغة الناشـئة تفصل هيكلها من الغضاريف ثم تصوغه من العظام ، وتستمر هذه العملية طوال أشهر الحياة مثل الولادة وفى الطفولة والمراهقة ، ولا تتم صياغة الهيكل العظمى كله إلا عند تمام البلوغ .

ولعل أهم ظواهر الشهر الثانى للحياة هى نشوء الأعضاء التناسلية . ففى مستهل هـذا الشهر لا يوجد طريقة للتكهن بجنس المضغة، وفى نهاية الشهر ينجلى جنسها بوضوح من أعضائها التناسلية الداخلية التى تكون لها فى العادة دلالات خارجية . وأعجب ظاهرة فى النمو التناسلى أن بواكير هـذه الأعضاء تتشابه فى الذكر والأنثى ، حتى الغدد اللبنية (الثـدى) يبدأ نموها فى الجنسين كليهما حول نهاية الشهر الثانى ، وإنه ليـبدو أن الطبيعة تهب كل شخص أعضاء التـذكير والتأنيث البشرية جميعاً ، ثم بتدعيم بعض هـذه الأعضاء ، واضطرار سائرهـا إلى الضمور ، تحـول المضغة غير المتمـيزة إلى ذكر أو أنثى .

أكل كائن بشرى إذن فى منشئه خنثى توارى فيه الأعضاء والوظائف التناسـلية الغالبة والتى تقررت سـاعة الاخصاب ، خواصّ الجنس المضاد ؟ . . إن التجـارب العملية لقلب الخواص التناسلية فى الأنواع الدنيا من الحيوان تعلل هذا بأنه قد تكون هناك درجات مختلفة للنمو التناسلى حتى فى البشر ، وأنه بين الذكر الخالص والأنثى الخالصة قد تحدث مراتب متعددة لتداخل الخواص الجنسية بعضها فى بعض .

وكذلك ينتهى الشهر الثانى من أشهر الحياة بوسم المضغة بطابع الشبه للانسان ، وخلال الأشهر السبعة الباقية يدعى هـذا الكائن البشرى الصغير جنيناً ، ويكون أهم تغير طرأ عليه هو النمو ، والخلق المفصل .

الشهر الثالث

وضوح الجنس

والآن يبدأ الذكور فى سـبق الإناث وتأييد سيادتهم . وذلك أن الطفل الذكر أثناء الشهر الثالث يندفع للعمل على إنماء أعضائه التناسلية بينما تتهادى الأنثى قريبا من أرض الحياد حيث لا تتميز الأجناس . فإن تناسينا هذه الفوارق الجنسية فيمكن أن نسمى الشهر الثالث « بشهر الأسنان » ، إذ أنه فى بداية هذا الشهر تصبأ براعم الأسنان اللبنية العشرين فى الأطفال ، وتنشأ خدور هذه الأسنان فى عظام الفكين الآخذة فى التصلب.

ومع أنه يجب أن تنقضى ستة أشهر قبل أن نسمع صرخة الطفل الأولى، فإن الأوتار الصوتية التى تؤدى ذبذبتها إلى هذه الصرخات تظهر الآن ، وإن كانت فى الوقت الحاضر عاطلة عطل الأوتار المزقة فى قيثار ، ولن تتخذ هيئة الأوتار الصوتية البشرية العاملة إلا بعد ستة أشهر من الميلاد . ويجب أن نتذكر أنه فى أثناء الحياة داخل الرحم لا ينفذ الهواء من الحنجرة إلى الرئتين ، فإن الجنين يعيش فى بحر لا يؤدى التنفس فيه إلا إلى إغراق الرئتين فى النخط (السائل الأمنيوسى) ، وكذلك تظل الأوتار الصوتية سميكة ، لينة ، مسترخية .

وفى الجنين البالغ ثلاثة أشهر تبدأ آيات نشاط الجهاز الهضمى فى الظهور ، فإن الخلايا المبطنة للمعدة تأخذ فى إفراز المخاط وهو السائل الذى يندّى مجرى الطعام فى الجهاز الهضمى ، وتبدأ الكبد فى صب الصفراء فى الأمعاء ، وتنهض الكلى للقيام بوظيفتها فتفرز البول ، فيتسرب من مثانة الجنين إلى النخط ، على أن دم الأم يظل يتلقى عن طريق المشيمة معظم الفضول التى ينجاب عنها جسم الجنين .

وتدرع الأحشاء بالعظام والعضلات التى تقرر بنموها المطرد هيئة الجنين واستدارة جسمه وقواه . وفى الوجه تكون عظام الفكين النامية ، وعظام الأصداغ ، وكذلك العظام الأنفية التى تكوّن قصبة الأنف آخذة فى إضفاء السحنة البشرية والمحيا الإنسانى على وجه الجنين المتغضن الصغير ، كما أن بؤراً عظمية تكون قد ظهرت فى غضاريف الأيدى والأقدام ، وإن كانت المعاصم والكعوب لا تفتأ معتمدة كل الاعتماد على الغضاريف .

ولم يعد هنالك مجال للشك فى هل هذا الجنين كائن بشرى حى أو لا ، فإن كثيرا من الأحشاء قد بدأ يمارس وظائفه الدائمة ، وليس هذا فحسب ، بل العضلات التى بلغت مرتبة من النماء قادرة الآن من تلقاء نفسها على تحريك الأذرع والأرجل والأكتاف بل والأصابع .

الشهر الرابع

الارتقاض

يبسط الموت ظله على الإنسان قبل مولده، وذلك أن الحياة يجرى معينها أسرع ما يجرى خلال المضغة والجنين الصغير ، ثم لا يلبث أن يبطئ إبطاء محتما ، حتى فى الرحم . ويحدث أقصى النمو فى الشهرين الرحميين الثالث والرابع حيث ينمو الجنين إلى ست أو ثمانى بوصات تقريباً فى الطول ، ويكاد يبلغ حينئذ نصف طوله حين الميلاد ، ومنذ

اليوم يتضاءل معدل النماء تضاؤلا مطرداً .

وأياً كان الأمر فإن الجنين الصغير لا يكون حينئذ تمثالا مصغراً دقيقاً للانسان، ولكنه مخلوق كالمسخ، رأسه شديد الضخامة، ومنكباه عريضا الانساع، ورجلاه واضحتا القصر . إذ فى نهاية الشهرين الأولين يكاد الرأس يساوى نصف الجسد، وعند الولادة يساوى ربعه، فإذا بلغ المرء أشده كان طول الرأس عشر طول الجسد .

ومع ذلك فإن الجنين فى شهره الرابع لا يكون مخلوقاً دميما، فرأسه الذى كاد يرتفع، وظهره الذى أوشك أن يستقيم يضفيان عليه شبهاً حقيقيا بالرضيع العادى، ورغم اتساع وجهه فإنه يكون حسن التقاسيم، أبلج ما بين العينين، وها هى ذى أيديه وأقدامه حسنة التقويم، وإن كانت أصابعها أميل إلى العراضة، وأقرب عادة إلى الانثناء . وعلى أنملة كل أصبع تأخذ فى الظهور سلسلة من الدوائر مكونة من خطوط جلدية، تكون أساساً للبصمات العتيدة لأصابع اليدين والرجلين، وتختلف صورة هذه الخطوط — كما ينبغى أن نتوقع — فى كل جنين عنها فى الآخر، وفى نهاية الشهر الرابع يكون كل كائن بشرى قد اتسم حتى نهاية الحياة بطابع شخصى لا يتغير يميزه عن سواه .

وفى الجلد الذى يكون شديد التغضن فى ذلك الوقت تشيع حمرة داكنة، وآية هذه الحمرة أن الجلد يكون من الرقة بحيث يستمد لونه من لون الدم السارى فى العروق الدفينة فيه، ولا يختزن جسد الجنين قبل الشهر السادس من حياته داخل الرحم، إلا مقداراً تافهاً من الشحم، ولذلك يظل الجلد رخواً ومتغضناً حتى يتراكم الشحم تحته.

وفى ذلك الوقت ينشط الجنين ويسرع فى رحلته الهادئة الصامتة بين بداية الحمل والمخاض، فيضطرب أولا، ثم ينبسط، ثم يتمطى بقوة، ولقد تحس الأم أول ما تحس بهذه الحركات كخفيف الأجنحة، ولكن ما هو إلا قليل حتى تشعرها لكماته لجدار الرحم بأساوب لا مجال للخطأ فيه، أن الحياة على الأبواب . فهذا أوان « ارتكاض الجنين فى الرحم ».

الشهر الخامس

الشعر والأظافر والجلد

الإنسان لغز، لا يتجزأ ولو أنه مركب، وإنه ليتألف من مئات من الأجزاء المنفصلة يدركها الموت باستمرار فتتجدد، وهو مع ذلك محتفظ بشخصيته الغامضة . وفى الإمكان مقارنة الكائن البشرى بجماعة تعاون يتضافر أعضاؤها على تبادل المعونة والحماية، ليواجهوا

العالم الخارجي بجبهة متحدة ، ويتقاسموا بالتساوي مزايا دنياهم الداخلية وتبعاتها . فتقسيم العمل، والتخصص، وتبادل المحاصيل لها من الخطر في جماعة الخلايا والأعضاء نفس ما لها في جماعة التعاون . الجهاز الهضمى يحول مواد الطعام إلى مقوّمات الخلية الحية ، وسوائل الجسم السارية فيه تؤلف شبكة هائلة من وسائل النقل ، وتقوم الأعصاب بعبء المواصلات البرقية ، بينما يناط بالمخ عمل المكتب الرئيسى ، وتقرر الغدد الصم المسيطرة سرعة كثير من أنواع النشاط ودوامها ، ويحيط الجلد بجميع الأجهزة الهامة في الجسم ، كوقاء وحافظ وكشّاف لسائر الأعضاء .

فأما وقد تدعمت الأحشاء فإن الجلد والأنسجة المتفرعة منه ينشط كل منها إلى تكوين صورته النهائية ، فيتغطى سطح الجلد بخلايا صلبة جافة ميتة ، تقوم مقام الحاجز الواقى لأنسجة الجسم الرخوة من مخاطر البيئة ، ولا تزال هذه الخلايا الميتة تتحاتّ ، كعهدها بعد الولادة ، ليحل محلها سواها من الجلد الدائب على النمو ، وتنشأ الغدد العرقية والغدد الدهنية التى تفرز مادة زيتية حول كل جذر من جذور الشعر . وخلال الشهر الخامس تمجّ هذه الغدد إفرازاً دهنياً تتألف منه ، ومما لفظ الجلد من الخلايا الميتة، عجينة كالجبن تغطى البدن كله ، والمقول أن هذه المادة التى تسمى «الطلاء الدهنى» تقوم للجنين مقام الغشاء الواقى من النخط المحيط به . والذى يشتمل الآن على فضول قد تؤذى البشرة التى لا تزال رقيقة .

ويدرك مشتقات الجلد كذلك نموظاهر، فينبت الزغب على فروة الرأس فى هذه الآونة ويكسوها جميعاً ، وتظهر الأظافر على أصابع الأيدى والأقدام ، وفى البراعم النامية للأسنان اللبنية تتكون الميناء اللؤلؤية وما يليها من العاج الشبيه بالعظام .

على أن أهم ظاهرة من ظواهر النمو فى هذا الشهر هى استقامة محور الجسم . لقد كان الجنين فى بداية الشهر الثانى يكاد يلتفّ على نفسه حتى لا يبعد ذنبه كثيراً عن رأسه ، وفى الشهر الثالث يشمخ الرأس شموخاً ظاهراً ، ويؤلف الظهر قوساً قليلة الغور ، وفى الشهر الخامس يكون الرأس متزن الانتصاب على العنق الناشئ ، ويكون الظهر أقل انحناء . وعند الميلاد يكون الرأس تام الانتصاب ، والظهر مستقيما إلى حد لا يكاد يصدق . والواقع أنه يكون أقرب إلى الاستقامة منه فى أى طور آخر من أطوار الحياة ، لأن الطفل لا يكاد يتعلم كيف يجلس ويمشى حتى تنشأ تقوسات ثانوية فى الصلب (العمود الفقرى) يتخذها الجسم عَمَداً لاتزانه .

والجنين فى شهره الخامس كائن ضامر متغضن الإهاب ، طوله حوالى قدم ووزنه حوالى رطل، فإن ولد حينئذ (أو إن سقط بعبارة أصح) فقد يحيا بضع دقائق . وقد يتنفس بضع مرات ، وربما صاح ، ولكنه سرعان ما يتخلى عن النضال ويموت . وهو على قدرته أن يحرك ذراعيه وساقيه بنشاط ، يبدو عاجزاً عن الاستمرار فى أداء الحركات المعقدة الضرورية للتنفس المستمر .

الشهر السادس

«وأعين التى تتفتح على ظلام»

الآن وقد بلغ الجنين شهره السادس ، تعتاد الأبوين المشوقين حيرة بالغة من حيث الوليد المنتظر : أذكر هو أم أنثى ، ولا سيما حين يدركان أن جنس الجنين قد تجلت عليه آياته بالفعل ، وإن ظلت للعالم الخارجى سراً مكتوماً .

وخلال الشهر السادس تتفتح من جديد الأجفان التى ظلت مغلقة منذ الشهر الثالث ، وتبدو من بينها أعين كاملة الخلق لا تصبح قادرة على الإحساس بالضوء إلا فى الشهر السابع . وتنشأ الأهداب والحواجب عادة فى الشهر السادس أو السابع .

وفى هـذا الشهر تنبت براعم الذوق على مسطح اللسان كله ، وعلى سقف الحنك وجدرانه ، وفى الحلق ، وتكون فى الجنين أكثر منها عـدداً فى الرضيع أو البالغ . وإنه ليبدو عجباً أن الجنين الذى لا يتهيأ له التذوق توهب له حاسة الذوق بمثل هـذا السخاء . ويعتقد بعض علماء الحياة أن هذه الظاهرة ليست إلا آية أخرى على تكرار عملية الترقى أثناء التطور ، إذ تكون أعضاء الذوق فى الانواع الدنيا من الحيوان أوسع وأسخى منها انتشاراً فى الإنسان .

وإذا أتيح لهذا الجنين فى شهره السادس أن يولد ، فإنه يتنفس ويصرخ ويتلوى ، وقد يعيش عدة ساعات ، ولكن الأمل فى حياة هذا المولود الخديج (المولود قبل تمام أشهر الحمل) يكون أملا طفيفاً ما لم يُربَّ فى محضن (فرن درجة حرارته ثابتة عنـد درجة ٣٧ سنتجراد وهى الحرارة الطبيعية لجسم الإنسان) فإن الحيوية والقدرة على العيش شعلة ضئيلة اللهب ما أسرع ما تنطفئ لأول اصطدام بالعالم الخارجى .

الشهر السابع

المخ النائم

يعبر الجنين فى هـذا الوقت تلك الأرض المجهولة الكائنة بين الاستقلال وبين اعتماده على سواه ، ذلك أنه وإن كان يقضى عادة شهرين آخرين فى مستقره المكين بالرحم ،

فهو مع ذلك قادر على الحياة المستقلة ، فإذا دعت الظروف ، وكانت شروط الولادة ملائمة ، فإن الجنين ذا الأشهر السبعة كثيراً ما يكون أطول حياة من المولود الخديج . والمعتقد أن سبباً من أهم الأسـباب لعجز الأجنة الصغرى عن الحياة بعد مولدها هو النقص فى نشوء الجهاز العصبى ، وبالأخص أجزائه المختصـة بدوام حركات التنفس المنتظمة ، وبإجراء الانقباضات العضلية المتتابعة التى يستدعيها البلع ، وبوظيفة الجهاز المعقد الذى ينظم حرارة الجسم .

إن الجهـاز العصبى البشرى يتألف من شبكة معقدة من الأعصاب ، تصل بين كافة أعضـاء الجسم وبين المخ والنخاع الشوكى ــ المكتب الرئيسى لكل إشـعار عصبى ترسله الحواس أو تتلقاه العضـلات . ففى الشهر الثالث للحياة تنشأ مناطق وأنسجة هامة فى المخ ، كالمخيـخ وهو الجزء المتضخم منـه الذى يتلقى الأليـاف العصبية الوافد معظمها من الأذنـ ، ثم ذينك النتوءين الأجوفين الكبيرين ـ وهما الفصان المخيان ـ اللذين هما أبلج سمة للمخ البشرى ، واللذين كتب عليهما أن يصبحا أعقد الأنسجة فى الجهاز العصبى لأى حيوان ، وأشقها نماء ، واللذين هما الأداة الأولى ـ كما يقول البعض ـ لسيطرة الإنسان على سائر الحيوان .

ففى الشهر السابع يكاد هـذان الفصان يغطيان المخ كله ، ويكمل نماءهما . تغير مبهم وغير محدد يصيب الخلايا والألياف العصبية الدقيقة ، ومنذئذ يصبح الجهـاز العصبى للجنين قادراً على العمل الموفق .

والجنين ذو السبعة الأشهر أحمر الجلد ، مجعده ، تبدو عليه سحنة الطفل الشيخ ، ويبلغ طوله ١٦ بوصة ، ووزنه ثلاثة أرطال بالتقريب . وإذا ولد صرخ وتنفس واستطاع ان يبلع ، ولكنه على أية حال يكون شديد الاسـتهداف للعدوى ، ويتطلب المزيد من الوقاية ضـد الصدمات التى تفرضها هـذه الحيـاة الجديدة فى الدنيا الخارجيـة ، على جسده الرقيق . وهو يشعر باللمس الرفيق لراحته ، ولعله يستطيع التميز بين النـور والظلام ، وخير من هذا كله أن له أملا فى أن يعيش .

الشهران الثامن والتاسع

الجمال الأصيل

الآن يقضى الكائن البشرى الصغـير ــ وقد تهيأ للميلاد ، وتقوّمت أعضاؤه الهـامة جميعاً وأصبحت قادرة على أداء وظائفها ــ شهرين آخرين فى وضع الخطوط الأخـيرة لكيانه ، واستكمال ما لا يزال موضع النظر من جماله . ها هو ذا الشحم

يتراكم على عجل فى جسمه جميعاً فينضر جلده المجعد المسترخى ، وتتم استدارة قوامه ، وها هو ذا الجلد الأحمر الأدكن يذوى لونه بالتدريج حتى يصبح وله اللون الوردى للحم ، وكذلك يستبدل الجنين ملامح الطفل الرضيع من سحنة الرجل العجوز .

وتكون صبغة الجلد عادة من الضآلة بحيث أن ابناء الأجناس السمراء أنفسهم يكون لون جلدهم ساعة الميلاد أدنى إلى إلى الفاتح منها إلى الداكن . ويشترك لون قزحية العين فى هذه الظاهرة ، إذ يكون فى معظم الأطفال عند الميلاد أزرق سنجابيا (ويعنى هذا أن نصيبه من الصبغة ضئيل) ومن المستحيل فى حينئذ التكهن بلونه المستقبل .

ولا يكون الجنين وقتئذ هادئاً رزيناً بحيث يدخر نشاطه لما بعد الميلاد ، وإنما يضرب بساعديه وساقيه ، بل وقد يغير موضعه داخل الرحم المزدحم بعض الشىء ، ويبدو أنه تتداوله فترات من النشاط والهدوء ، وكأنه ينام برهة — ولعله يفعل — ثم يستيقظ ليقوم برياضة بسيطة .

الهجرة

إن الدافع الأساسى الحقيقى لعملية الوضع لا يزال مجهولا للآن ، وإنه لتحدث فى الرحم لعدة أسابيع وربما عدة أشهر قبل الوضع ، انقباضات عضلية بطيئة ومتوالية ومشابهة للطلق (آلام الوضع) ، وإن كانت أخف . فلمَ يندفع الرحم فجأة بعد هذا الصبر الطويل على تلك الانقباضات غير المثمرة ، إلى تلك الحركات العضلية العنيفة الفعالة التى تطرد الجنين الذى طال الصبر عليه فى بضع ساعات ؟ . . ذلك ما سيظل خاتمة الأحاجى لحياتنا قبل الولادة ، ومن المحتمل أن يكون الباعث على تطورات الوضع تفاعل معقد فى جسد الأم جميعا وبالأخص فى تلك الغدد الصمّ المسيطرة التى قد تصب فى الدم مواد كيميائية تثير لساعتها الانقباضات العنيفة فى عضلات الرحم .

وليست تلك التسعة الأشهر والعشرة الأيام ، الشائعة كمدة للحمل ، مدة حتمية ولكن ١٠ فى المئة من الأجنة يولدون بعد ٢٨٠ يوماً من بداية آخر حيض حقيقى ، بينما يولد ٧٥ فى المئة تقريباً خلال أسبوعين من هذا التاريخ .

وما هو إلا أن يولد الجنين حتى يتنفس فى العادة بقوة ، ويملأ رئتيه بالهواء ، ثم يصرخ صرخته الثاغية الأولى إما بفعل الصدمة التى يحدثها فى جسمه العالم الخارجى الذى لم يتعوده ، وإما بتأثير منبه ما يحدثه فيه الطبيب . وأيا كان الأمر فلا يزال المولود متصلا بالمشيمة المستقرة بجدار الرحم بواسطة

الحبـل السرى . فأما وقد أصبحا ـ الحبل السرى والمشيمة ـ بلا فائدة، فإنهما يفصلان من الوليد ، وسرعان ما تضوى أرومتهما، ولـكن الندبة التى تتركها ، وهى المنخفض الناشئ بجدار البطن فى موضع اتصاله بالحبل السرى تظل باقية — باسم السرة — طول الحياة ، كأنها طلل دائم لحياة عشـنا فيها يوماً ما عيش الطفيليات .

على أن هذا الوليد ليس مخلوقاً بشريا كاملا مفروغاً من خلقه بأية حال ، إذ أن هناك عدة تعديلات عاجلة يتطلبها الانتقال من حياة الرحم إلى الحياة المستقلة . فالرئتان تكونان عنـد الوضع صـغيرتين نسبيا ، وتتكونان من كتل متراكمة كأنها من نسيج سميك ، ولـكن الأنفاس القليـلة الأولى تنشرهما حتى لتملآ فراغ القفص الصـدرى كله . وفى الوقت الذى تمتلئ فيه كل جميع الحويصلات الهوائية بالهواء تخف الرئتان وتصبحان كالإسفنج ، ولـكنهما لا تكونان حتى الآن رئتين بشريتين كاملتى النماء ، وذلك أن حويصلات هوائية جديدة تتكون طول الطفولة ، وحتى الحويصلات التى تمت قبل الولادة لا تؤدى وظيفتها كاملة إلا بعد التنفس المنتظم عدة أيام .

والقلب الذى يكون أولا فى حجم قبضة يد الطفل بالتقريب ، يبطئ خفقانه بالتدريج ويقترب من المعدل الطبيعى لخفقان القلب البالغ . وبعـد الوضع بقليل يخرج العقى الذى تجمع فى الأمعاء أثناء الأشهر الستة الأخيرة من الحياة فى الرحم . ويمتاز الجنين المولود بأن أمعاءه ومحتوياتها تكون عقيمة تماما ، ولا يبدأ ظهور ذلك الخلق المتعدد الـكثيف من الميكروبات المتوطنة فى أمعاء جميع الـكائنات البشرية إلا بعد الميلاد .

والغدد الدمعية والغدد اللعابية لا يكون نموها قد اكتمل عند الميـلاد ، وكذلك يبكى الوليد بلا دموع ، ولعابه لا يستكمل كل قدرته على هضم المواد النشـوية إلا عند ما يوشك على الفطام . وعلى رغم حساسية العيون للضوء فليس فى إمكانهـا التحديق فى نقطة معينة ، ومن أجـل ذلك يكون المولود فى حالة حول مؤقت .

كذلك تنتهى التسـعة الأشهر الأولى لحياة ، فتؤلف التغيرات المتشعبة التى تحدث فى أثنائها، التاريخ الشخصى الأول لـكل فرد من أفراد الجنس البشرى . وهى الطور الوحيد من أطوار الحياة الذى نشترك فيه جميعا ، ويتشابه فيه كافة الناس .



لمثل هذا أنا هنا . .

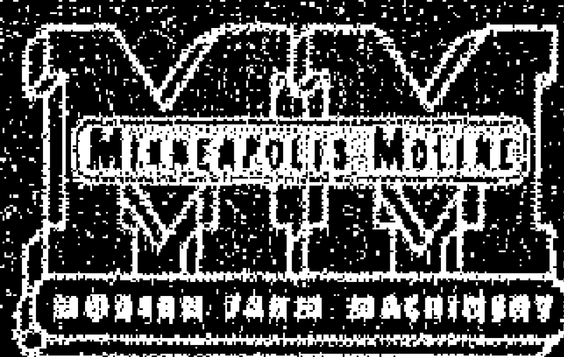


إنّ العالم اليوم فى مسيس الحاجة إلى الطعام ... وقد أدركنا الآن أنه لم يكن فى الدنيا طعام كاف فى يوم من الأيام ، فعلى كل مزارع مسئولية جديدة ... وهى إنتاج مقادير من الطعام تزيد على مر الايام.

ولكن إذا طلبنا من الأرض إعطاءنا أقصى حد من الإنتاج أصبح من الضرورى المحافظة على خصوبة التربة .. وعلى المزارع أن يخلف للأجيال القادمة أرضاً أكثر خصوبة وأوفر إنتاجاً وإلا نكون قد أجلنا فقط يوم الحساب.

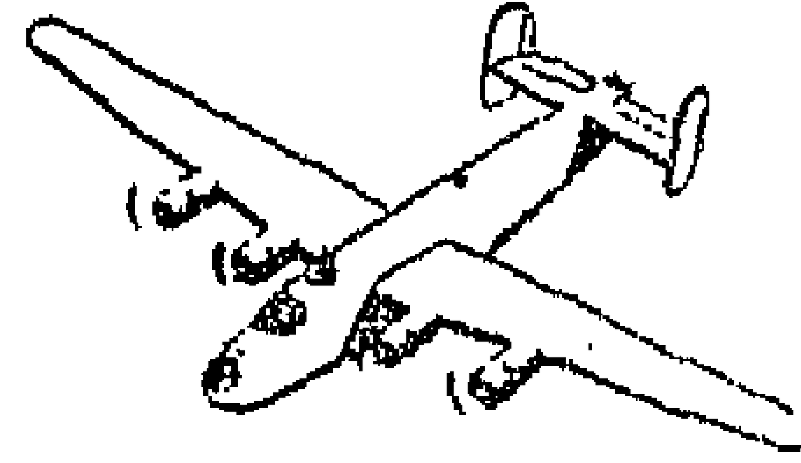
ولكى يبلغ المزارع هذه الأهداف ينبغى أن يعتمد على الآلات الزراعية الحديثة ، فالقوة الآلية هى التى تمكنه من القيام وحده بعمل جماعة من الرجال ، وإنجاز هذا العمل على وجه أتم . على أن الإنتاج الهائل المنشود يضع المزارع أمام مهمة ضخمة . . . بل أمام تحد لم يعرفه من قبل ! بيد أنه عندما يزن الأمور بميزانها الحق سيقول : « لمثل هذا أنا هنا » !

وسيواجه المزارع فى المستقبل شتى المشكلات وستكون شركة « مينيا بوليس ـ مولين » سعيدة بمعاونته على حلها ! فحين تضع الحرب أوزارها ستشرع فى صنع آلات زراعية جديدة من مختلف الأنواع خليقة بمساعدة مزارعى العالم على إنتاج مقادير أوفر من الطعام والألياف والزيوت ، بتكاليف أزهد ، وبهذه الطريقة تهيئ لجميع سكان العالم الإفادة من الإنتاج الزراعى الوافر ، وتساعد المزارعين فى كل مكان على بلوغ مستوى أعلى فى الحياة . . . نعم إن آلات « مينيا بوليس ـ مولين » الحديثة ستساهم مساهمة فعالة فى تدعيم أسس السلام عندما يكتب لنا النصر .

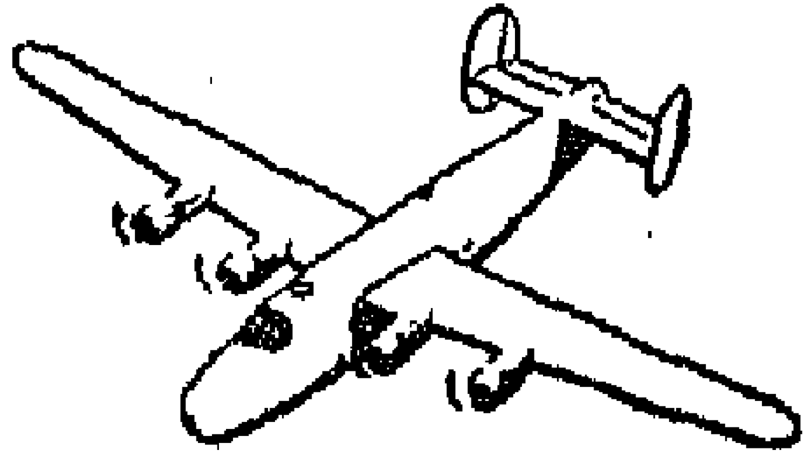


MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER IMPLEMENT COMPANY MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U.S.A.

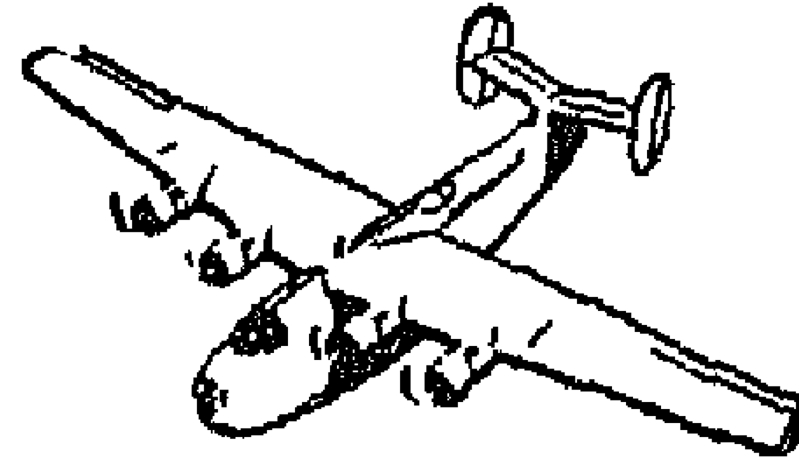
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



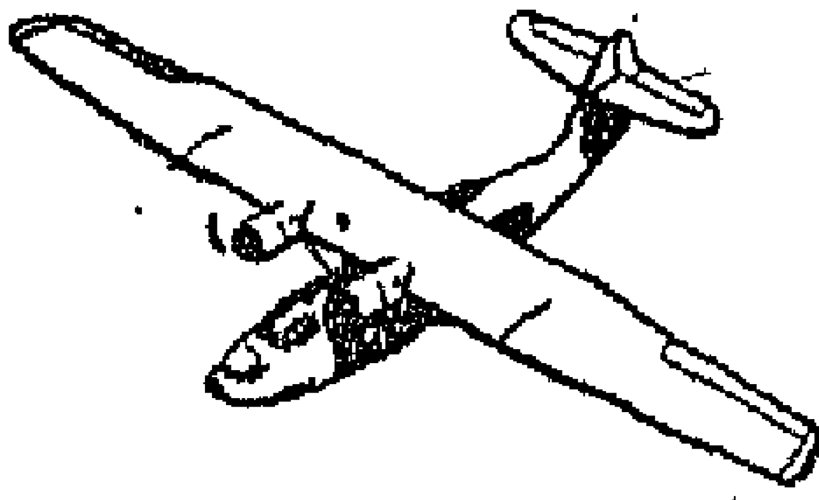
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



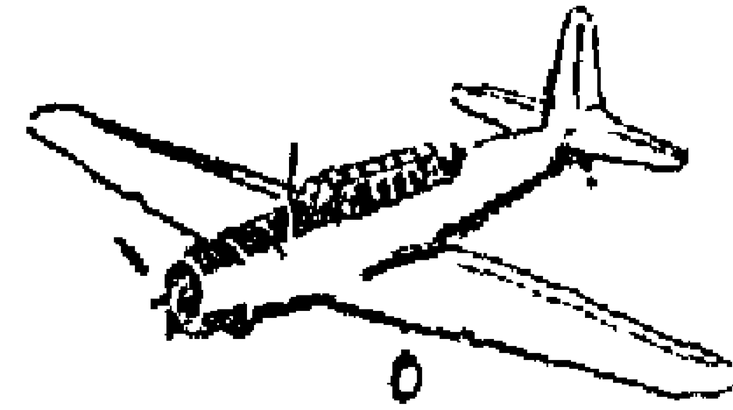
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



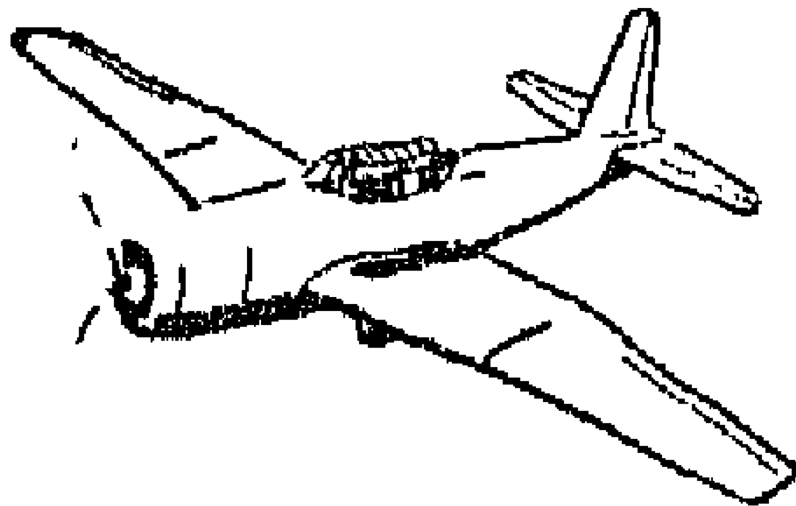
كورونادو — قاذفة داورية



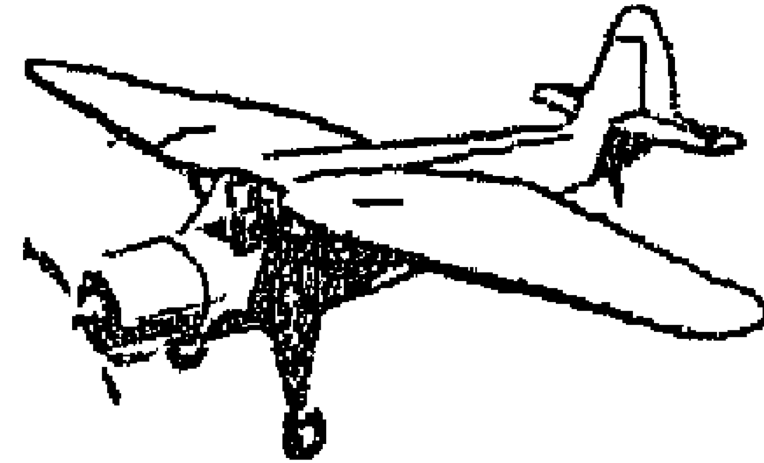
كاتالينا — قاذفة دورية



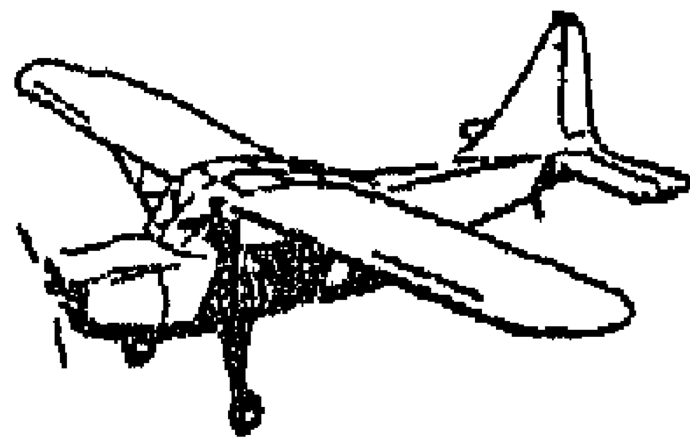
فاليانت — طائرة تدريب أساسية



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



سنتينل — « الجيب » الطائر

حين تحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتى للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

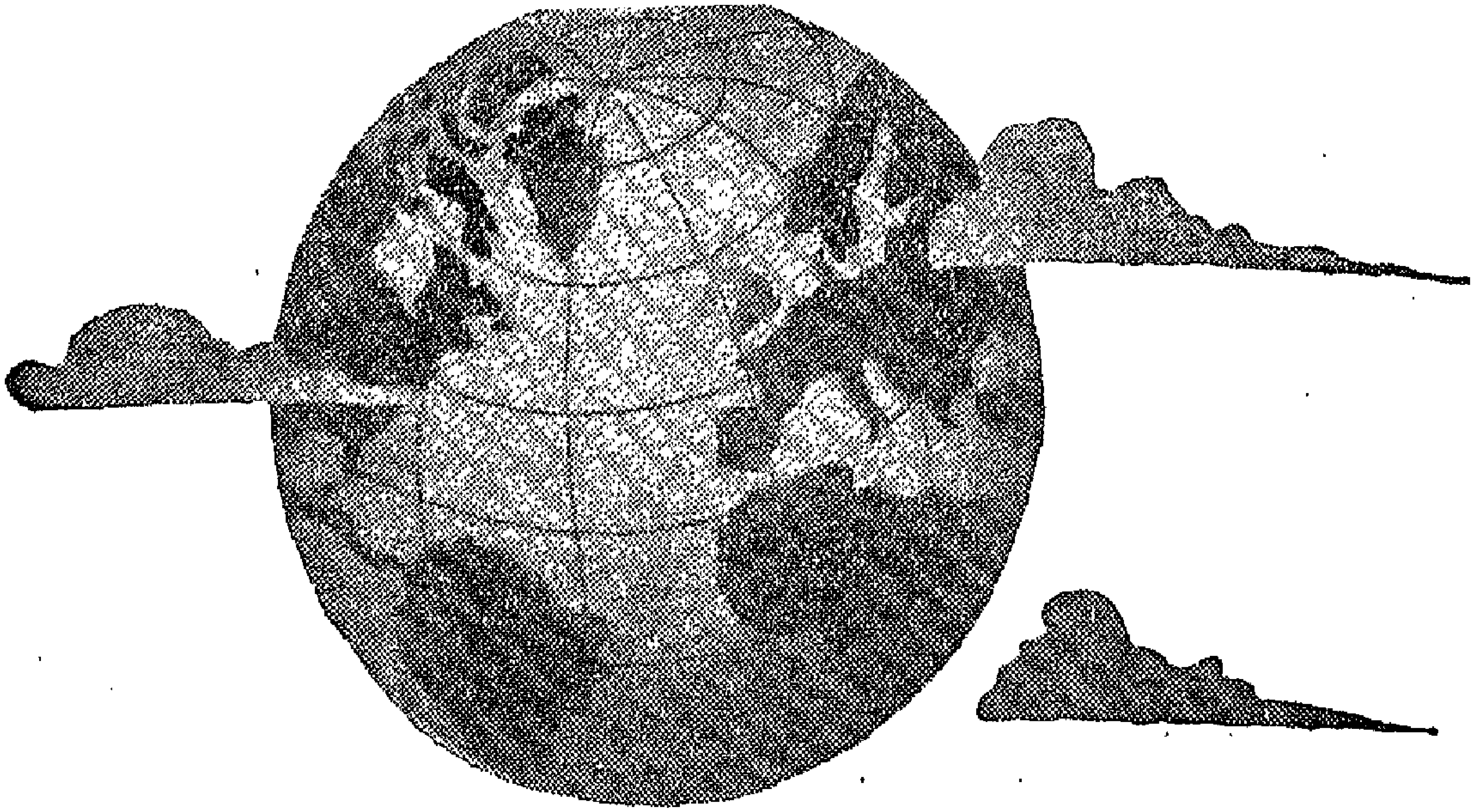
San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.

Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.

Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.

Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية



مؤسسة ذائعة الصيت تعرض خدماتها على من يودون الانتفاع بها .

ستظل الحاجة ماسة إلى كل ما يصنع من بعض مستحضرات مونسانتو الكيميائية والعجائن ، للمساهمة في التعجيل بالنصر ، حتى يسحق المحور . . على أن بعض هذه المستحضرات والعجائن معروض للبيع لكي يستعمل في الصناعات التي تخدم الأغراض المدنية . . وما دام الموقف الحربي آخذاً في التحسن يوماً بعد آخر ، فمن المستطاع إذن أن تقل طلبات حكومتنا . ولهذا فإننا نقترح أن تبادر

بإرسال بيان بما أنت بحاجة إليه

لكي تسد حاجتك من المواد الكيميائية . وإنه ليسعدنا أن نبذل كل جهد مستطاع لنشحن إليك جميع منتجاتنا فيما عدا الفوسفات لأننا ما زلنا نسلم جزءاً كبيراً منها إلى حكومتنا استجابة لمطالبها

لقد أنشئت شركة مونسانتو ، وهي إحدى كبريات الشركات الكيميائية في العالم ، عام ١٩٠١ . وكانت في البداية مصنعاً صغيراً واحداً في سانت لويس بولاية ميسوري بالولايات المتحدة . وكان إنتاجها قاصراً على السكارين ، أما اليوم فإن مؤسسة مونسانتو في جميع أرجاء العالم تنتج مئات من المستحضرات التي تقع تحت التقسيم العام التالي : —

أدوية ، كيميائيات ثقيلة ، كيميائيات متوسطة ، فوسفور وفوسفات . عجائن ومعجنات لاكيه ، مذيبات ، مبيدات الحشرات ، الراتنجات ، زوائد بترولية ، مركبات مطاط كيميائية ، مركبات للدباغة ، أنواع هباب المصابيح ، روائح الطعام

فإذا كنت بحاجة إلى مستحضرات كيميائية من مستوى عال فإننا نقترح عليك الاتصال بمؤسسة مونسانتو . وإنه ليسرنا أن نقدم لك خدماتنا إذا كان ذلك في طاقتنا .

MONSANTO CHEMICAL COMPANY,
St. Louis, Missouri. U. S. A.

MONSANTO CHEMICALS Ltd.
Victoria Station, London S.W. 1. England



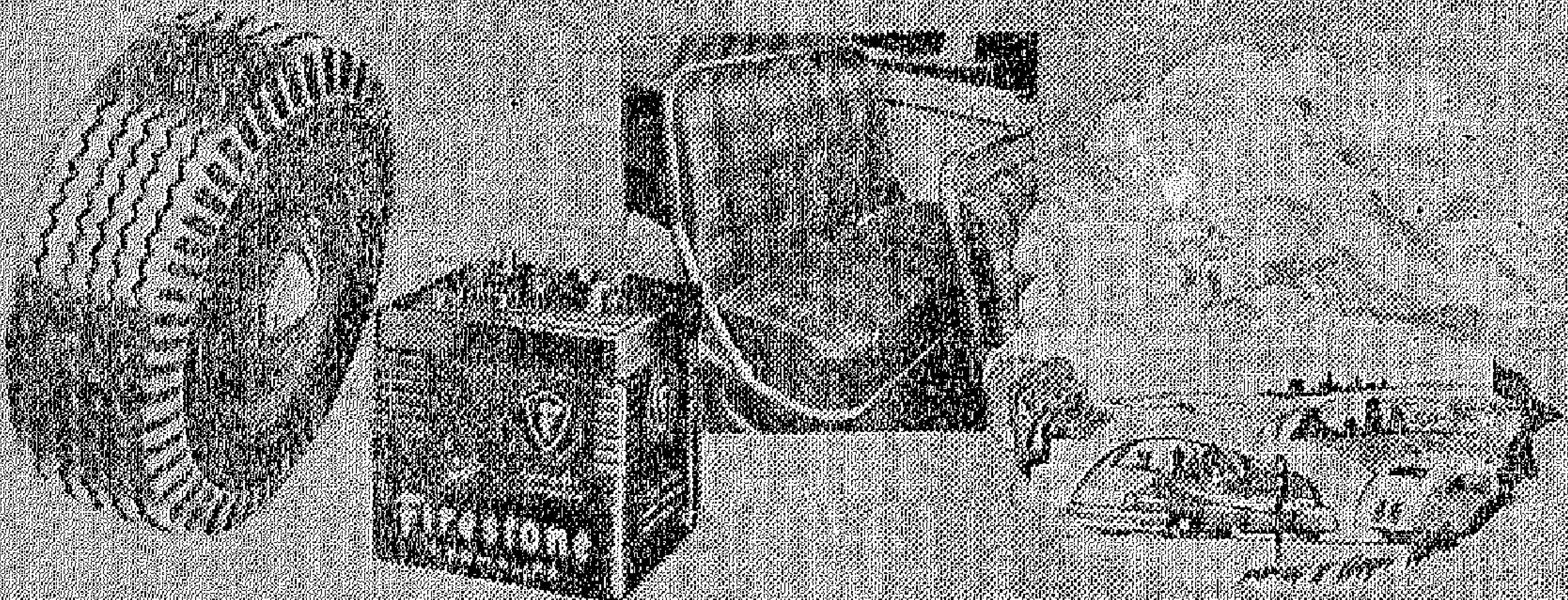


Firestone

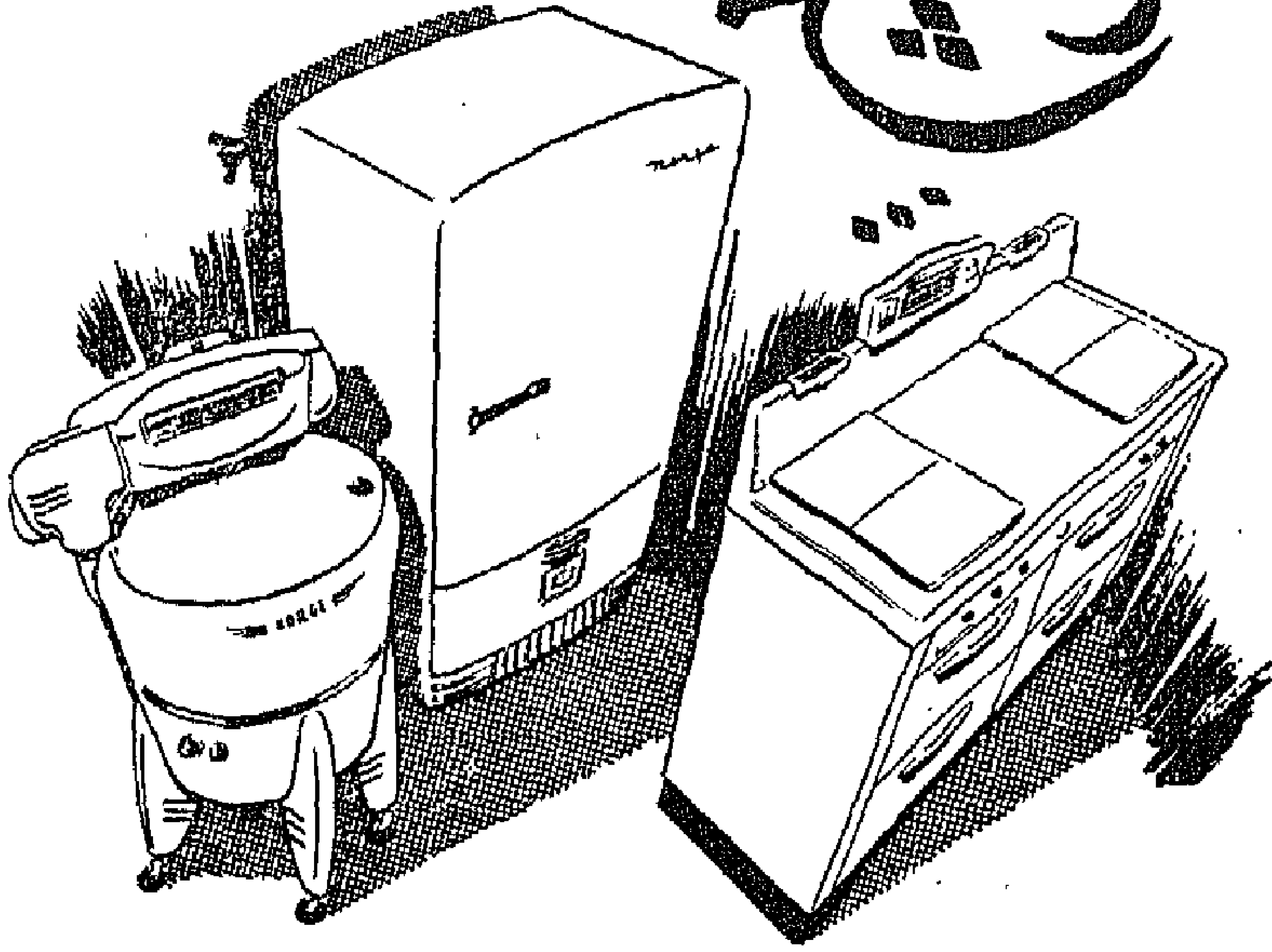
تنتج للحرب .. وتحضر للسلم

... ان مصانع فايرستون منقطعة اليوم كل الانقطاع لانتاج العتاد الحربى اللازم للأمم المتحدة . وبعد الحرب ستكون فايرستون على تمام الأهبة لتزويد الجمهور بألوان متعددة من منتجاتها المطبوعة بطابع الإمتياز والتفوق .

فايرستون



نورج احرص عليه جيدًا



إنّ أول وأهم غرض يرمى إليه نورج الآن هو المساعدة على كسب هذه الحرب.

ولن يصبح نورج فى متناول يدك حتى ينقشع دخان المعارك. فإذا كنت من الأشخاص المحظوظين الذين يملكون جهاز نورج فإننا نحثك على أن تبذل له من الرعاية ما هو أهل له. إن التحول من صناعة الأجهزة المنزلية الدقيقة إلى إنتاج أجزاء دقيقة بكميات متزايدة للوحدات الحربية والبحرية ليس ببعيد المدى كما قد يتبادر إلى الذهن. لأنه فى الحالين ينبغى المحافظة على المستوى العالى الممتاز الذى عرف عن نورج.

فعند ما يهل علينا السلام بطلعته سوف تتحول أنظارنا عن ساحة المعارك إلى المنزل وسنقصر جهودنا على خدمتك من جديد. وذلك بإمدادك بأفضل وأحدث الأدوات المنزلية المستطاعة.

إن قسم نورج فى شركة بورج وارنر يصنع أجهزة نورج والثلاجات التجارية، وهو يرحب بكل استفسار أو استعلام يصل إليه من رجال الأعمال الذين يمكن الاعتماد عليهم ويهمهم أن يعرفوا كيف يحصلون على امتياز نورج الفريد ويلمون بالمزايا التى تعود عليهم من مشروع نورج لما بعد الحرب.

NORGE DIVISION BORG-WARNER CORPORATION, DETROIT MICH., U. S. A.

NORGE للأدوات المنزلية والتبريد التجارى **نورج**

★ إحدى صناعات بورج - وارنر ★

إن قلم پاركر فاكوماتيك اللامع يمتاز بالجمال والدقة المعروفتين عن پاركر ليسبغ على الكتابة لذة جديدة . وريشته المصنوع طرفها من الأسميريديوم تهيء للكتابة يسراً منقطع النظير وهيكله الرقيق ذو الدوائر يزيد هذه القدرة وهذه اللذة كما أن خزانه الكبير يتيح لك باستمرار الوقوف على مستوى المداد فيه بحيث تستوثق دائماً من امتلائه .

فاطلب اليوم من عميلك معاينة قلم پاركر فاكوماتيك تجده فى ٥ ألوان جذابة تختار منها ما تشاء ولا تنسى الماسة الزرقاء على مشبكه فهى ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .

جميل المنظر ...
سهل الانقياد ...
ذائع الشهرة ...
فى جميع انحاء العالم !

پاركر

Parker

ابتسامة متألقة ...

{ على مدى الرؤية }



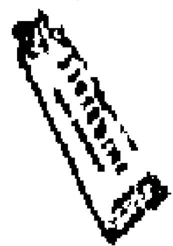
يحق لكل إنسان ولا شك أن يزهى إذا كانت أسنانه بيضاء ناصعة تتألق كلما ابتسم — ولكن ما رأيك فى الأسنان الخلفية التى لا يستطيع رؤيتها إلا الطبيب ؟ إنها هى أيضاً عظيمة الشأن . وهذا هو السبب في أن فرشة بروفيلاكتيك مزودة بتلك الخصلة الطويلة المروفة فى طرفها . بحيث تستطيع الوصول إلى جميع الأسنان وتنظيفها تنظيفاً كاملا ، وخصلاتها الخشنة تنفذ بين الأسنان وتصل إلى الفجوات الدقيقة التى تثير المتاعب ومتانة هذه الخصلات ومرونتها وخدمتها الطويلة . وهذا ما يجعل فرشة بروفيلاكتيك اقتصادية للغاية فضلا عن جودتها التى لا تضارع .

احرص على اقتناء فرشة أسنان

بـرو-فى-لاك-تيك

Pro-phy-lactic

معجون أسنان ليسترين



مطهر ليسترين





موسكيتو

ذات لسعة مهلكة !

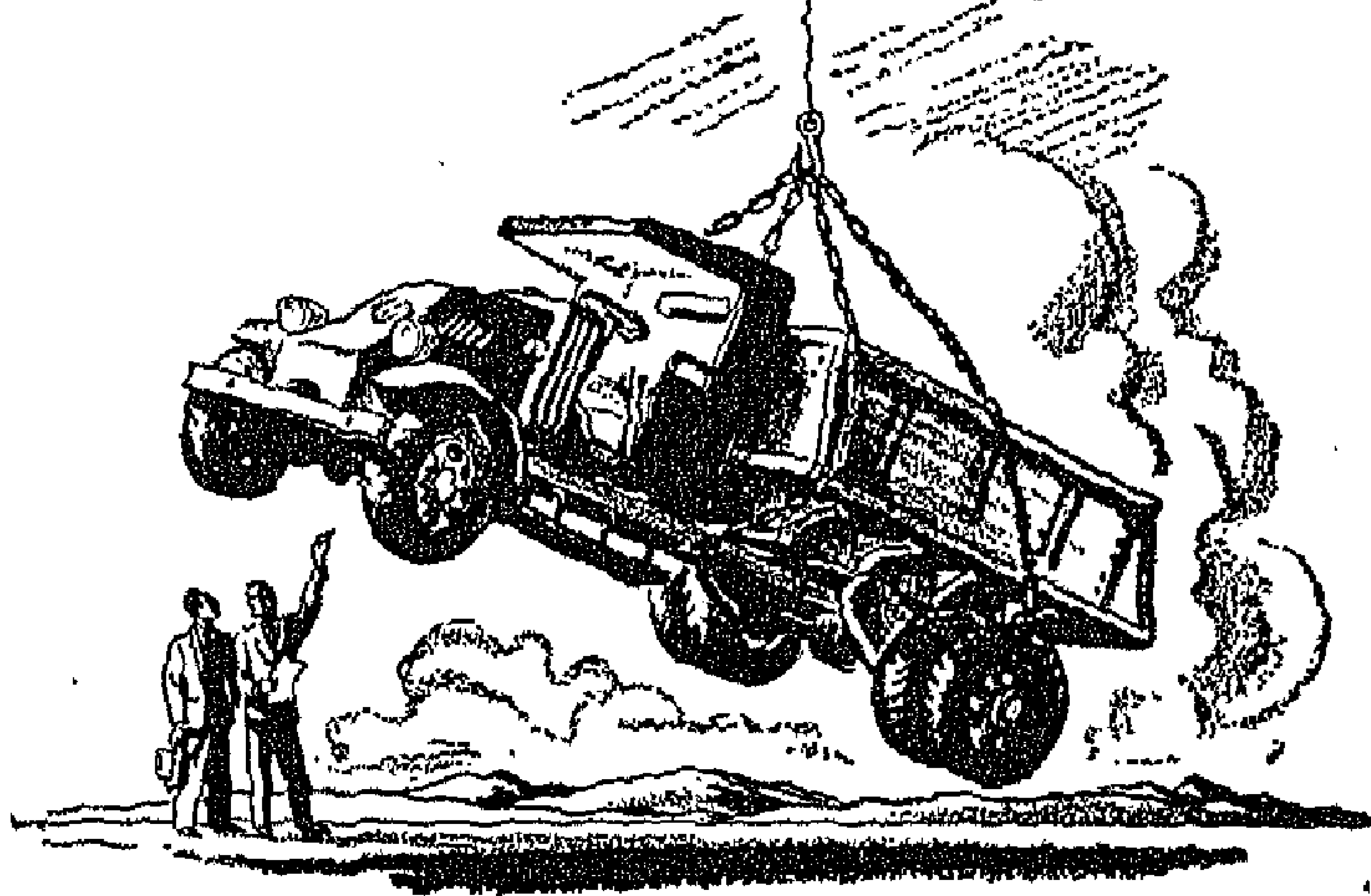
صحيح إن شكلها كالناموسة "موسكيتو" ولكن زوارق هيجنز PT لها لسعة مهلكة تكتب الآن التاريخ البحرى فى شتى ميادين الحرب . فإن مئات الالوف من الاطنان من بواخر العدو التى أغرقت أو أعطبت تشهد بصلابتها وقوتها فى المرة تلو الاخرى نوه بأفعالها العجيبة . وما من شك فى أن الإقدام على أعمال الهجوم والانقاذ والمراوغة تحت وابل من نيران العدو لم يكن مستطاعاً لو لم تتوفر السرعة وسهولة المناورة التى تمتاز بهما هذه الزوارق التى تبنى للأمم المتحدة .

إن تفاصيل التصميم والكفاءة التى تتيح لزوارق هيجنز تسجيل هذا النجاح المدوى ، هى حق مسجل لشركة صناعات هيجنز . وفى معامل الحرب تمتحن زوارق هيجنز الجديدة أدق امتحان يقتضيها التفوق الذى وسمت به



شركة صناعات هيجنز
نيوأورليانس الولايات المتحدة
محور القارتين الأمريكيتين أعظم بناة الزوارق فى العالم

أكبر بناة الزوارق فى العالم



إن هذا السلك الذى لا تزيد ثخانته على ثخانة خنصرك يستطيع أن يتحمل ثقل آلاف من الأرطال . وهو من إنتاج شركة يونيتد ستيتس ستيل التى تعد بحق اكبر شركات إنتاج الصلب فى العالم . . والتى وقفت جميع مواردها اليوم على ضرورات الحرب الحديثة . تلك الضرورات التى لاعهد بما يجاريها من قبل .

إن مئات من أنواع الصلب الحديثة المحسنة ومنتجات الصلب التى امتحنها الزمان مما تصنعه شركة يونيتد ستيتس ستيل ستعد حاجات السلام فى دنيا الغد وستكون هذه المصنوعات متاحة للجميع عن طريق شركة يونيتد ستيتس ستيل للإصدار ، التى ما فتئت تخدم أسواق العالم منذ أربعين سنة .



UNITED STATES STEEL EXPORT CO.

30 CHURCH STREET, NEW YORK, U. S. A.

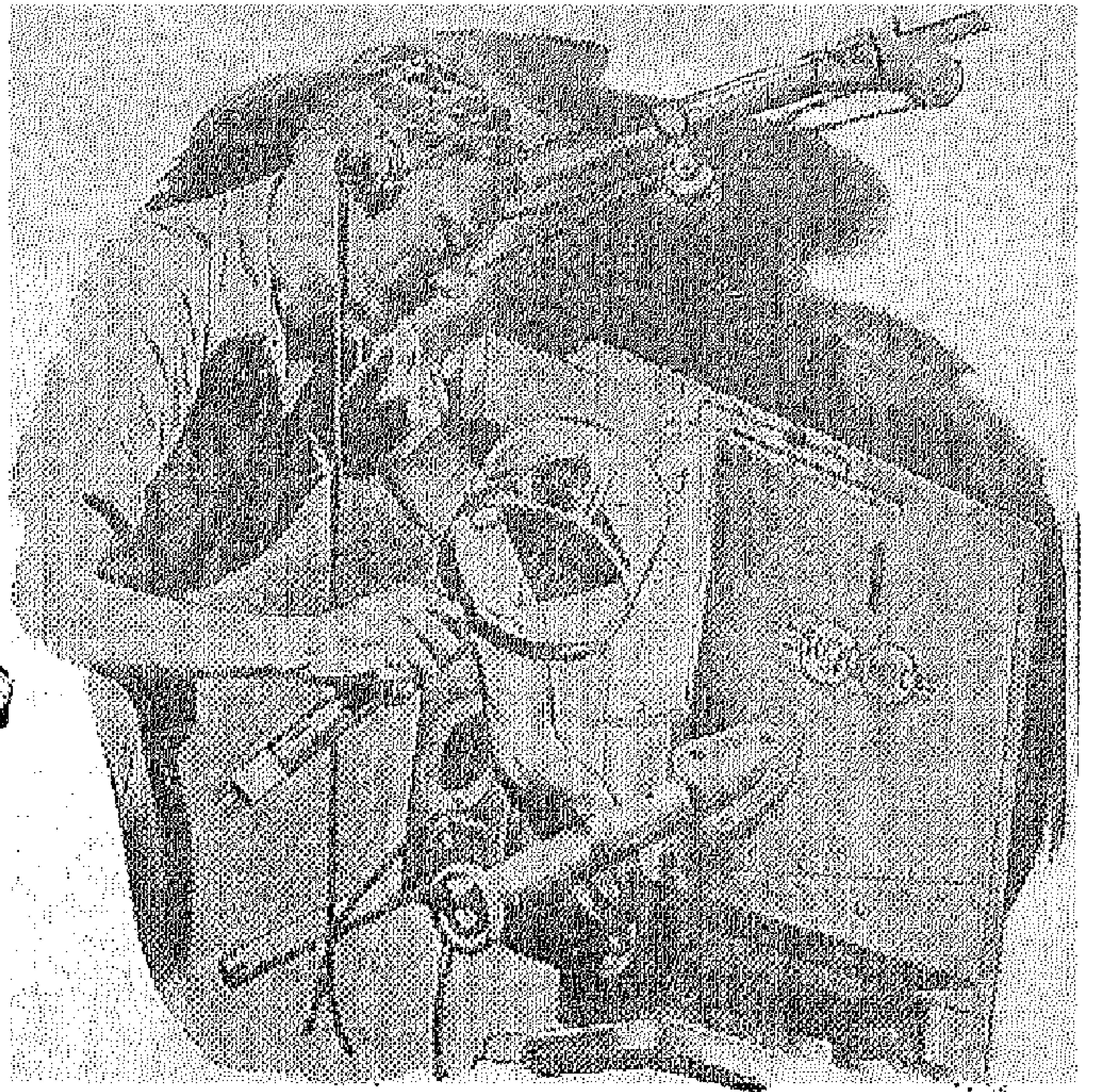
نحن فى خدمة العالم



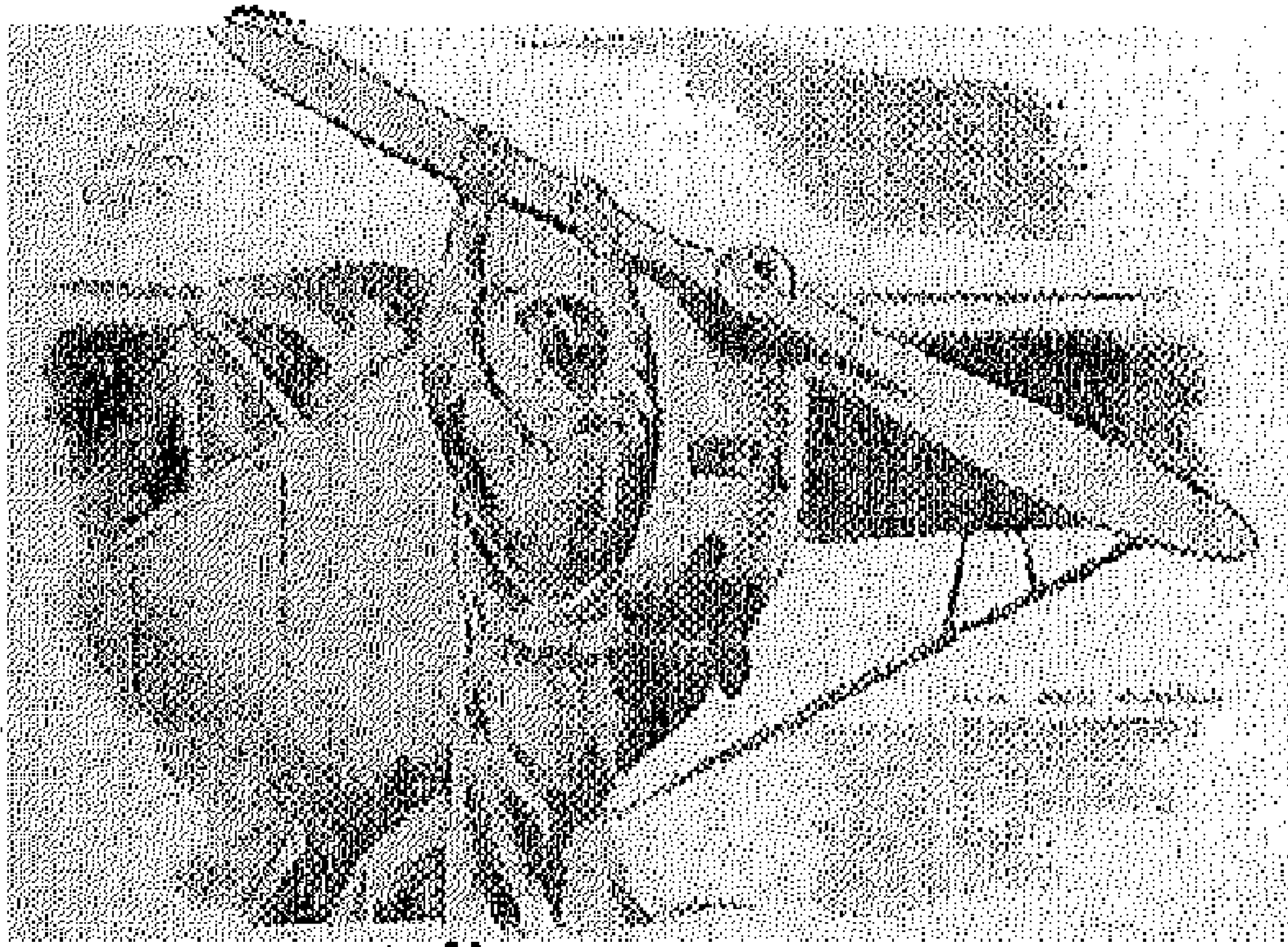
كالتكس لإنتاج البترول

تقدم RCA

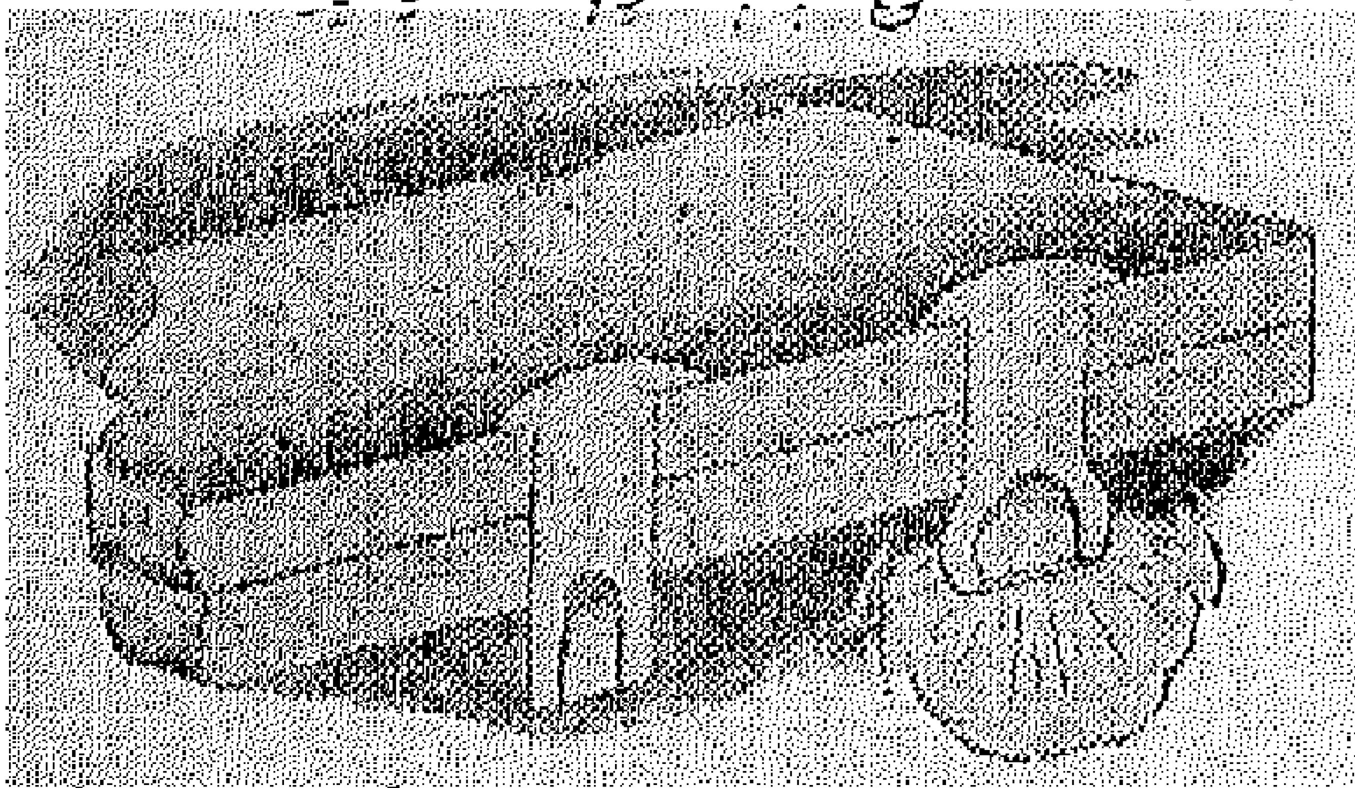
أحدث مبتكراتها



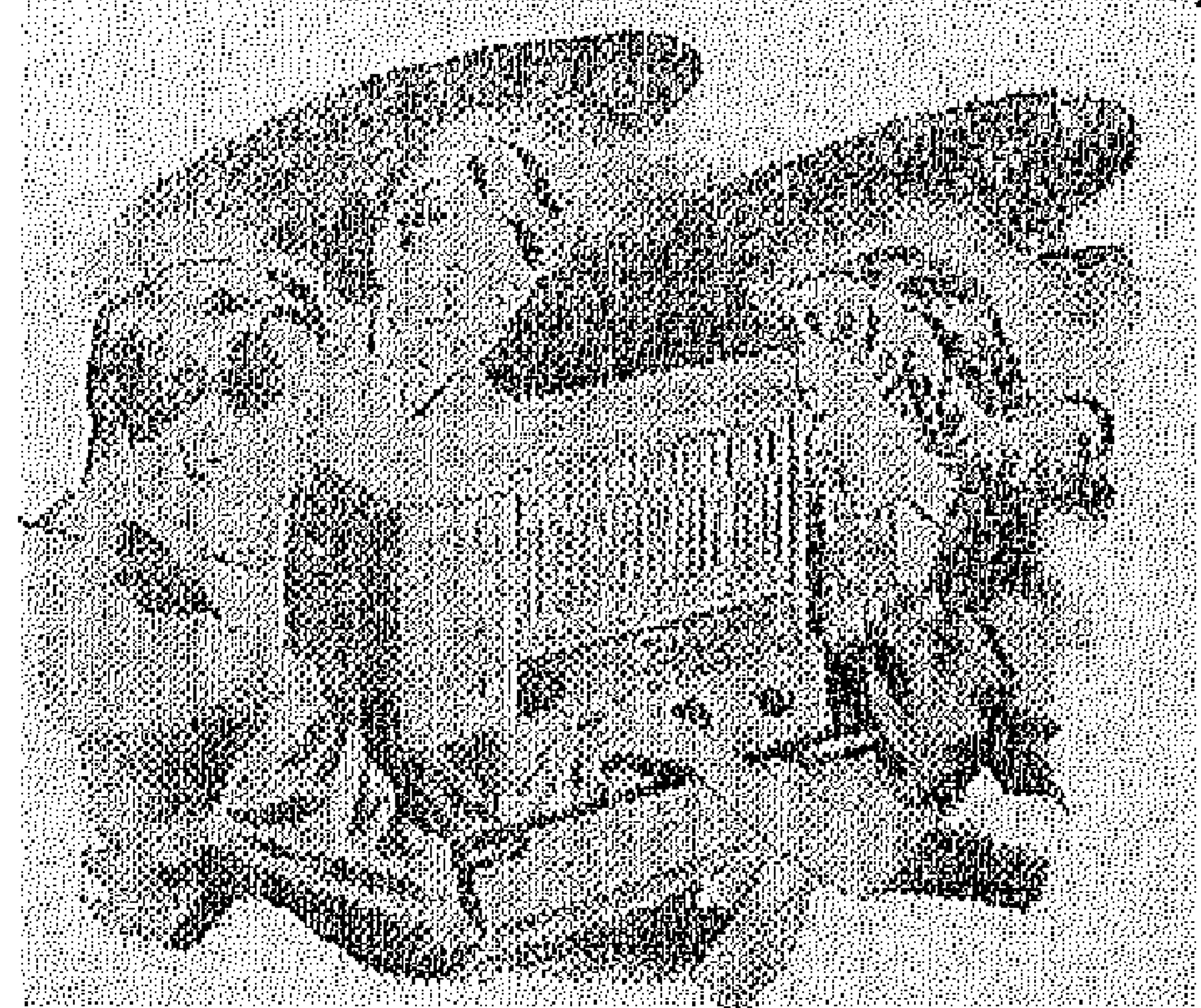
عين التلفزة السحرية : إن جهاز الأيكونوسكوب وهو اختراع RCA يجعل التلفزة الأليكترونية ممكنة . ويلتقط المرئيات بواسطة آلاف البصاصات الكهربائية ويرسلها على أمواج الراديو ، ومع أن RCA تقصر إنتاجها الآن على الأمم المتحدة ، فإن الخبرة التي تكتسبها وقت الحرب تبشر بمنتجات أفضل عندما يستتب السلام .



حرارة الراديو تصنع مراوح المحركات : إن الطرق القديمة البطيئة للتجفيف وإلصاق أجزاء المحركات المصنوعة من الخشب المصفح قد حلت محلها طريقة RCA القائمة على ذبذبة موجات الراديو



تفجير البرشام بالراديو : يفجر طرف البرشام المحتوى على مادة مفرقعة بواسطة طاقة أمواج الراديو . وهذه الطريقة الجديدة تسهل الإنتاج الصناعي وتعجله



ماهي أحدث الأنباء : سؤال يسأله كل ليلة ملايين من المستمعين إلى أجهزة RCA . وإن نفس المهارة الهندسية التي تبذل في أجهزة RCA للتلفزة ولاسلكي الطائرات ، قد أتقنت كذلك صمامات RCA اللازمة لجهازك المنزلي



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA Victor Division, Camden, N. J., U. S. A.



سيارات ستوديبيكر الحربية مثل رجالنا المحاربين تجوب العالم ولاشك

إن رجال أمريكا المحاربين قطعوا مراحل شاسعة على سطح الكرة الارضية إبان أسفارهم خلال هذه الحرب . ومع ذلك فإنهم قلما يذهبون إلى مكان ويضعون أمتعتهم دون أن يطالعهم عدد كبير من سيارات نقل ستوديبيكر المألوفة مرحبة بهم ومذكرة إياهم بالوطن .

فهم يرون صفوفاً طويلة من سيارات نقل ستوديبيكر الحربية تمر بعجها وعجيجها بالمدن الأثرية فى إيران . وتنقل العتاد الثقيل فى الهند والاسكا والجزر البريطانية وفى جميع ميادين نشاط الحلفاء الحربى .

وهذا ولاشك تقدير عظيم لصناعة ستوديبيكر التى بلغت اليوم ذروة التفوق وأصبحت أكبر مؤسسات العالم إنتاجاً لسيارات النقل الحربي الضخمة . ولعله من الاهمية بمكان أن نشير إلى أن عشرات الالوف من سيارات ستوديبيكر القوية قد حصلت فعلا على أوسمة الخدمة الممتازة كما أن كثيراً منها تقوم فى جميع ساحات الميدان الروسى بنقل العتاد من قطر التموين إلى الجيوش السوفيتية التى لا تقهر .

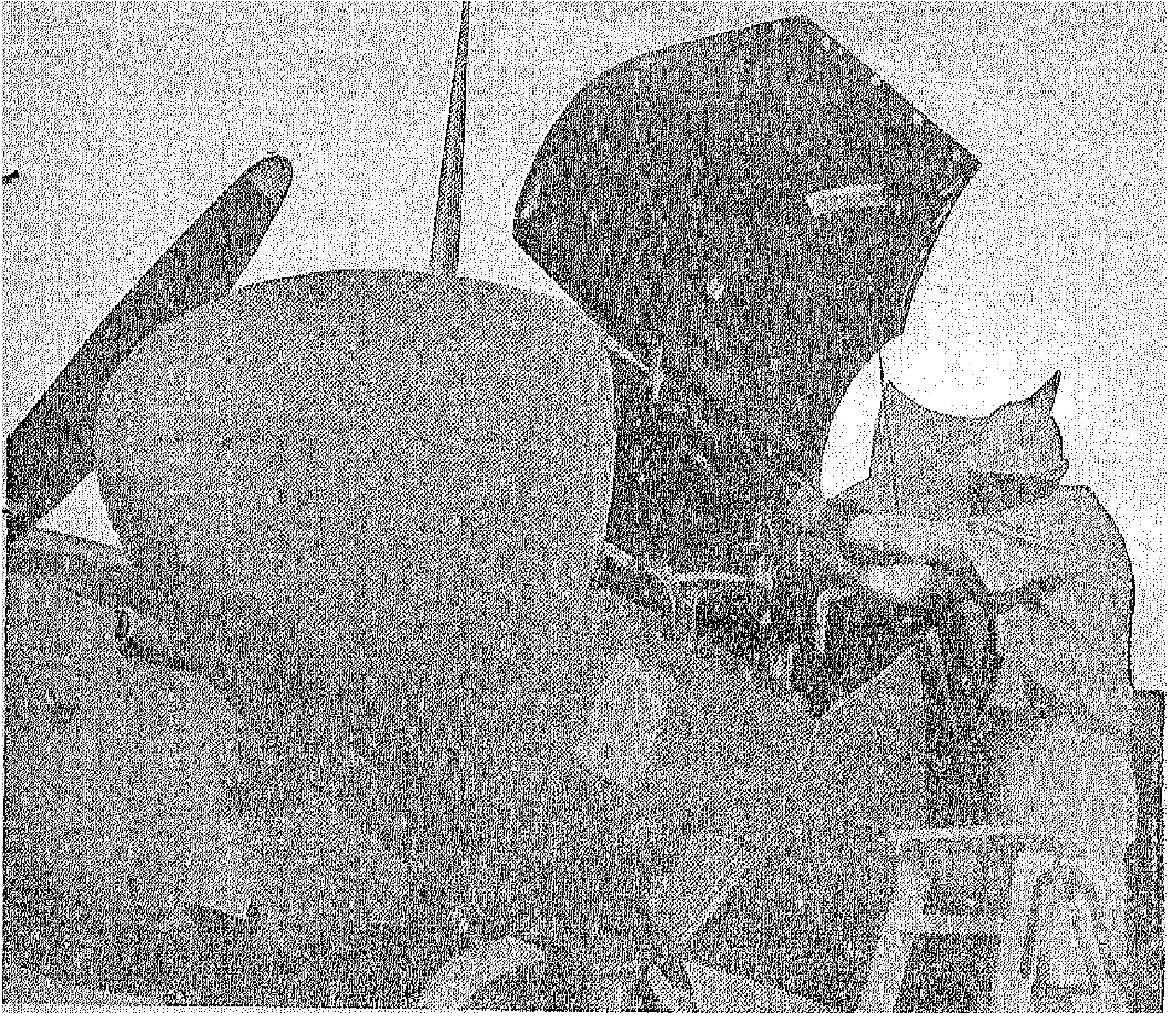
وستوديبيكر تنتج كذلك معدات حربية بالغة الحيوية بما فى ذلك سيلا مطرد الزيادة من محركات رايت سيكلون التى تحرك قلاع بوينج الطائرة فى إغاراتها .

THE STUDEBAKER EXPORT CORPORATION

SOUTH BEND, IND., U.S.A.

Cables: STUDEBAKER

ستوديبيكر تنتج محركات سيكلون لأجل القلاع الطائرة



عيونٌ لها أجنحة

إنَّ طائرات لوكهيد P-38 من طراز لايتننج المستعملة للتصوير هي عيون جيش الولايات المتحدة . فهي حين ترتفع إلى ٣٠٫٠٠٠ قدم ، لا تمكن رؤيتها لأنها طليت بحيث تتعذر التفرقة بينها وبين السماء .

ومن هذا الارتفاع ، وهي منطلقة بسرعة عظيمة تزيد على أربعمئة ميل في الساعة ، تستطيع طائرات التصوير P-38 أن ترسم خريطة لمنطقة تبلغ مساحتها ٢٠٫٠٠٠ ميل مربع في أقل من ثلاث ساعات ..

بل لقد استطاعت هذه الطائرات المدهشة أن ترسم خريطة قارات بأسرها في وقت لا يزيد على أسبوع إلا قليلا .

إن العمليات الحربية تدبر الآن وتنفذ وتكسب بالاعتماد على الصور التي تلتقطها طائرات الاستكشاف لايتننج P-38 .



قطع الغيار

شمعات الشرارة ومرشحات الزيت وطلمبات الوقود اى سى. بطاريات دلكو.
محققات الارتجاج دلكو. أسلاك الاشتعال باكارد. مصابيح جايد. المبردات
(رديتور) هريسون. الجمالات (بلى) الكروية والبكرية نيو ديبرتشر. الفرامل المدرولكية
أجهزة الاشتعال دلكو ريمى. كيلزى هيز وموتور ويل.
واهياط داى جى بى. منتوجات ... صمامات ومكابس (بسائم) تومبسون. حشوات الربط
دلكو. التروس ديترويت ... ريفر. زنبلكات القواعد ... وعجوه المشقات (دبرياج)
اكسات واعمدة الكردان ... (شمبر) بندكس. بطاقات الفرامل وسيور المراوح ووجوه المشقات (دبرياج)
اطواف المكابس ... بطاقات الفرامل وسيور المراوح ورفر.
(جوان) فيتزجرالد. خارصات التصريف وورنر.
وخراطيم المبردات كيسو.

المعدات

المحركات الكهربائية دلكو وسانلايت.
اجهزة تنظيف شمعات الشرارة اى سى. اجهزة فحص المحركات ومعدات التجربة الكهربائية الن.
المسنات سانلايت. اجهزة الرفع والصاعد الكهربائية ووكر.
معدات الدهان بالرش بنكس. اجهزة التشحيم بولكرانك.
العدد والمعدات صنع كنت مور وهنكل مايرز. معدات الورش جون بين.
مكاييل الزيت بروكنز.

لوازم السيارات

لوازم السيارات جى ام المعترف بها. اجهزة الراديو دلكو. ابواق دلكو ريمى.
وكلاكسون. مصابيح الضباب والقيادة جايد. مدفئات السيارات هريسون.

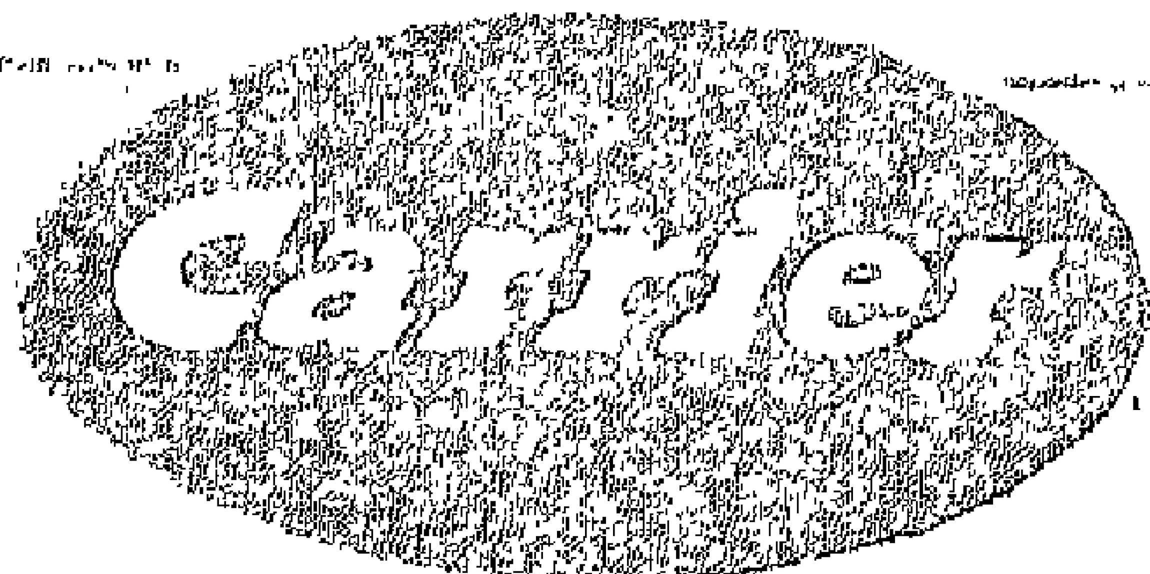
OVERSEAS PRODUCTS

الموزعون للشرق الاوسط
شركة جنرال موتورز للشرق الادنى المساهمة
الاسكندرية — القاهرة — القطر المصرى
عملاء في جميع بلدان الشرق الاوسط

لا تفكر فى مكيفات الهواء كاريير كعامل من عوامل الراحة والدعة فحسب — لأنها اليوم أداة قوية تساهم في تعجيل المجهود الحربي فهى تستعمل فى حظائر الطائرات لتحول دون تمدد المواد أو تقلصها عن طريق ضبطها للحرارة والرطوبة . وفى أفران الصهر تضمن الحصول على مقادير أوفر من الحديد بتجفيف التيار الهوائي ، وفى مصانع الذخيرة والطعام والمنسوجات والكيميائيات الطبية وسائر المنتجات الحربية الحيوية تساهم مكيفات كاريير فى إتاحة إنتاج أسرع وأدق وأفضل .

إن آلات كاريير للتبريد وأجهزة نشر البرودة ، ووحدات التبريد المتنقلة ، تقوم بمهمتها الآن فى جبهة القتال وميدان الإنتاج وفى البحار البعيدة ، فى حفظ الأطعمة الحيوية ونقلها وثلاجات كاريير ذات القوة الطاردة تحفظ الحرارة المنخفضة اللازمة لإنتاج بعض المواد الصناعية ، كما أنها تزيد سرعة الإنتاج وتقلل النفقات في تكرير الجازولين .

وفى هذه الأثناء ، إذا كنت فى حاجة إلى أجهزة التبريد لضرورة حربية أو مدنية حيوية فإن وكيل كاريير سيبذل لك المعونة الصادقة للحصول على الطراز الذى تحتاج إليه .



كاريير مصر ش.م.م
القاهرة مصر
بيجر و تل أبيب فلسطين . ا. بسه وشركاه
ا. وسي. عدس ليمتد - بغداد . العراق

الحوائل الدولية . ففي صفحاتها نحس فعلا نبض الحوادث العالمية ، التي تهم الإنسانية جمعاء ، لا البلاد الأمريكية وحسب .

٤ — **مسز لوسيا ماجلايس** ، « ساعة الشباب » ، في محطة راديو ناسيونال ريودي جانيرو ، البرازيل :

إن مجلة « سيلكويس » (الطبعة البرتغالية) تجمع خير ما في مجلات العالم ، وتختار الموضوعات التي تحرك عناية الناس ، ثم تنتخب منها الفصول التي تتسم بسمة «المغني الأدبي العالي » ، فالمجلة تسر القارئ وتوجه إلى الإنشاء . وشباب البرازيل يتأهب ليتبوأ مكانه في عالم معذب ، فهو يحتاج إلى هذه المطالعة « المنشئة » .

٥ — **تي سفدبرج السويدي** ، حائز جائزة نوبل :

« دت باستا » (الطبعة السويدية) خلاصة حوادث ومشاعر ، إنها مرآة تصف العالم ، فهي تفتح ، لشعب صغير كشعبنا ، كوة يدخل منها هواء ربيع جديد . وهي تعيننا ، في زمن كالح يبدو لا رجاء فيه ، على أن نتحقق من مدى نجاح الأمم الحرة في حفظ أعلامها عالية خفاقة .

٦ — **ج . و . روبرتسون سكوت**، الكاتب البريطاني ومحرر مجلة «ذي كنتري مان» :

كان يلح علىّ خلال حياتي كلها ، شعور قوي بأن مصائب هذا العالم ، كالحرب، وأعباء التسلح ، تنشأ على الأكثر من عدم التعارف بين أمة وأمة وسلالة وسلالة .

هذا الجهل الذي يسود الأمم يرجع معظمه إلى حائل اللغة . فواجب علينا أن نزيد نصيبنا من مطالعة الآداب الأخرى .

وإن نجاح « ريدرز دايجست » (الطبعة الإنجليزية) في بريطانيا أثلج صدري على وجه خاص ، لأنه يحمل ألوفاً من أبناء أمتنا — ولا سيما الشباب — على معرفة ما تفعله الأمم الأخرى وتفكر فيه . ويسرني أن أتصور كل نسخة منها تظل تتداولها الأيدي حتى ينزع غلافها — ثم بعد ذلك .

٧ — **كلارا أ . ناتنج** ، طبيبة أمريكية في تينتسين بالصين :

إنكم تساهمون حقاً ، في تعزيز الصداقة الدولية ، ولو ازداد عدد الناس الذين يعرفون الأفعال الجيدة التي تفعلها الأمم الأخرى — وهو ما يكثر وصفه في مجلتكم — لكان ذلك أعظم خدمة تسدى إلى التعاون « المنشئ » بين الأمم .

صلة صداقة بين الشعوب
في جميع أنحاء الأرض

تصدر مجلة « ريدرز دايجست » وطبعاتها الدولية فى خمس لغات وتقرأ فى كل قارة ، ومحرروها يتلقون من جميع أنحاء الأرض ألوفاً من الرسائل تبين ، برغم السلالة واللون والعقيدة ، وبرغم الحائل العظيم حائل اللغات المختلفة ، أن فى صدور الناس رجالا ونساء من مختلف الأمم ، تخفق آمال متماثلة ، ومخاوف متماثلة ، وأفكار متماثلة توثق الصلة فيما بينهم . وسواء كانت الصين أو مصر أو الولايات المتحدة مصدر المقالة ، فهى إن كانت وثيقة إنسانية حية ، تحلق فوق الحدود القومية ، وتتحدث إلى أذن الإنسانية المصغية .

وكل قول من الأقوال التالية ، الواردة من قراء فى البسيطة كلها ، يقول بطريقته الخاصة إن هذه « المجلة الدولية » لتسد فراغاً طالت الحاجة إلى سده ، فى حياة ملايين من الناس .

١ — **الأستاذ عباس محمود العقاد** ، المؤلف والناقد والشاعر المصرى :

ومن العلامات المبشرة بالخير أن تساهم اللغة العربية بنصيب واف من هذه المائدة العالمية المشتهاة . . . إن اشتراك الملايين فى نوع واحد من القراءة الطيبة هو نفسه قرابة ذهنية تساعد على التفاهم وتقارب الأفكار . . . كأنما هؤلاء الملايين يلتقون على موعد واحد كل شهر للمحادثة وتبادل الأفكار والآراء . . . فأرحب بالمختار على أنه رسول من رسل الثقافة العربية ، ووسيلة من وسائل الألفة بين بنى الإنسان ومصباح من مصابيح النور التى تبدد الظلام من زوايا الكرة الأرضية .

٢ — **إميل زيدان بك** ، أحد أصحاب دار الهلال :

إن النجاح المنقطع النظير الذى حازه « المختار » كشف أفاقاً كانت محجوبة . فهو بشير بتقدم المجلات الراقية . ولا شك فى أن المجلة التى تعوّد جمهوراً كبيراً من القراء القراءة الطيبة تمهد لزميلاتها سبيل الانتشار .

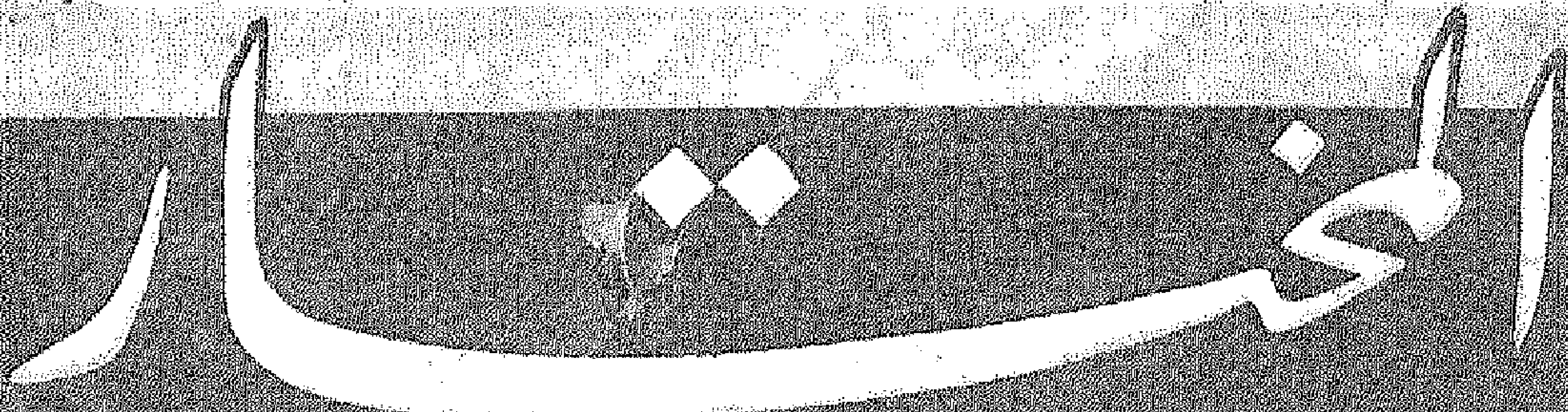
٣ — **چورج لويس كالڤيث** ، ٨٣٠ بارانا بونس إيرس الأرجنتين :

إننا ننتقل فى صفحات « سلكسيونس » (الطبعة الاسبانية) إلى جميع أقطار الأرض ، ونفيد علماً عن بلاد نائية ، وتحرك عنايتنا بموضوعات تهم الناس قاطبة فتتخطى

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١٢ مليون نسخة — ٣ قروش



من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

أغسطس ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الثانى عشر من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ - شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار
من مجلة ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
السنة الاولى — المجلد ٢ العدد ١٢

الطبيب يحتاج إلى مساعدتك

كيف تكون مريضاً حصيفاً

ف . س . فيرناس

ملخصة عن مجلة "يور لايف"

يحتاج حسن الانتفاع بالطب الحديث إلى رجلين — طبيب حاذق، ومريض أريب ، فإن أقدر الأطباء يصبح مغلول اليدين ما لم يساهم المريض فى حل مشكلة الشفاء .

وأول ما ينبغى أن يعنى به المريض هو أن يهتدى إلى طبيب عائلة نطاسى، ثم يستمر معه . فإن طبيبك لا يستطيع أن يبذل لك أقصى ما يدخل فى وسعه من المعونة إلا بعد الخبرة الطويلة بخصائصك الفردية والجسمية والعقلية . أما « المرضى الطارئون » فإنهم يحرمون أنفسهم مزية العناية الطبية المفيدة .

ويجب عليك أن تكون مستعداً أن تفضى « بكل شىء » إلى طبيبك حين تستشيره ، وليس فى وسعك أن تقدم له المعلومات اللازمة إلا إذا كنت دقيق الملاحظة لنفسك — موضع الألم على وجه الدقة ، ومبلغ تكرره وشدته ، وماذا يحدثه ، وماذا يبدو أنه يخففه . أكنت تأكل بغير حساب ؟ أخبر الطبيب . وأخبره أيضاً بالدواء الذى لعلك تعاطيته — فقد يكون هذا الدواء قد حجب حقيقة حالك . مثال ذلك أن التشخيص الدقيق للحرارة صعب إذا فاتك أن تذكر للطبيب أنك تعاطيت

أخيراً جرعة من دواء مسكن لعله ستر الألم الذى يبحث عنه الطبيب .

ولا تستر مرضك خجلا ، فكثيراً مايؤدى إخفاء المرضى لما سبق لهم أن أصيبوا به من الأمراض التناسلية إلى الهلاك . وليس طبيبك معنيا بالأحكام الأخلاقية ، وإنما همه كله أن يشفيك .

ومن الخطر التجاوز عن أمر مهم إذا كانت هناك جراحة يحتمل أن تجرى . هل من السهل رض جسمك ؟ إن هذا يدل على حالة فى الدم ينبغى أن يقف عليها الجراح . وهل ينشطك المورفين بدلا من أن يسكنك ؟ هل أعضاء أسرتك يصابون بالرعاف الشديد ؟ إن معظمنا ينحرف عن الطبيعى من ناحية ما ، وقد يخفى هذا حتى على أحذق الأطباء عند الفحص .

والأطباء يحمدون ما تشير به الحكمة من المبادرة إلى دعوتهم ، فإن مما لا يغتفر أن تنتظر إلى الساعة الثالثة صباحاً إذا كنت قد أصبت بتشنج عضلى منذ وقت العشاء . وليست المسألة مسألة إشفاق على الطبيب أن تزعجه من نومه ، فقد يكون التأخير وبيلا ، وخاصة إذا تبين أن ما تظنه اضطراباً فى المعدة إنما هى انفجار فى الزائدة الدودية . والعدوى بجرثومة ستربتوكوكاس — فى الحلق أو حتى على أثر « خدش هين » — يجب المبادرة إلى علاجها . وإذا أهمل الفتق فقد يكون وخيم العاقبة . وكثيراً ما يحول دون العلاج الناجع للسرطان أن تهمل استشارة الطبيب فى أورام فى الثدى أو الحالات غير الطبيعية فى المسالك التناسلية .

وكل ما يجدّ من المتاعب لك فى جسمك يتطلب العناية ، مثل النزف لأى سبب ، أو تتابع النفس وقصره ، أو طفح مجهول العلة ، أو جروح لا تلتئم ، أو أورام ملحوظة ، أو الاضطرابات المعدية المتكررة ، أو الإسهال أو الإمساك ، أو اضطراب وزن الجسد بين الزيادة والنقص فجأة ، أو الصداع الملح ، والوعكات ، واضطراب الأعصاب ، والإعياء . فإن هذه كلها أعراض منذرة بأمراض خطيرة . فاصنع شيئاً لعلاجها ولكن لا تصنعه بنفسك ، فإن الأدوية التى يتعاطاها المرء عرضاً من تلقاء نفسه — كالمرهم للطفح مثلا ، أو حبة للبرد أو الصداع — كثيراً ما تكون بمثابة إهمال إجرامى ، فإنك حين تتناول مسهلا من أجل ألم فى المعدة ، قد تتعرض لخطر التهاب البريتون وللموت .

ويستطيع أحياناً المصاب بمرض مزمن ، إذا كان يتتبع الأنباء الطبية فى مجلاتها الموثوق بها ، أن يعرض مقترحات نافعة له . وكل طبيب حاذق يعترف بأنه ما من إنسان

يسعه أن يساير ويتتبع أحدث التطورات الطبية جميعها . وقد حدث أخيراً أن اقترحت على طبيبي دواء للبثور المزمنة ، فكانت عجيبة الفعل . وأعرف رجلا لعله أنقذ أخته من الموت بالالتهاب الرئوى ، وذلك لأنه أطلع الطبيب على جريدة فيها وصف للتجارب الأولى الناجحة فى استعمال السلفابيريدين ، غير أنه ليس ثم شر من مريض يسمع بالاستحرار أو السلفانيلاميد ، فيطلب أن يستعمل ذلك لمناسبة ولغير مناسبة ، أو الذى يذهب بوصفات الدجاجلة إلى عيادة الطبيب ويسوءه أن ترفض .

وإذا كنت تشكو مرضاً يعاودك ، فإن فى مقدورك أن تساعد الطبيب بالاحتفاظ بنسخة من الوصفة التى أراحتك ، فقد تكون هى ذاتها ، أو بعد تعديل طفيف يراه ، هى التى تحتاج إليه لشفائك . ولكنه خطر أن تتعاطى وصفة قديمة دون أن تراجع طبيبك ، إذ لعل حالتك قد تغيرت ، وبعض العقاقير يكون تأثيرها المتجمع ضارا .

وإذا دعوت طبيباً ليعودك فعليك أن تعد العدة له ، مثل زجاجة ماء سخن ، أو كيس ثلج ، أو رشاشة ، أو حقنة شرجية . واعرف عنوان أقرب صيدلية ساهرة ورقم تليفونها ، فقد يحتاج الأمر إلى شىء منها فى ساعات الصباح الأولى .

وينبغى أن يتعلم كل تلميذ فى المدرسة كيف يصف أعراض الأمراض وصفاً مفهوماً بالتلفون ، فإن الطبيب الكثير الأعمال يسره أن يقف على بيانات مختصرة عن درجة الحرارة ، وحالة النبض ، أو الصداع ، أو الغثيان ، لأن هذا يساعده على معرفة مبلغ الحاجة إلى سيارة إسعاف تنقل المريض إلى المستشفى ، أو هل لا تدعو الضرورة إلى أكثر من المشورة الحسنة . فعليك قبل أن تدعو الطبيب بالتلفون أن تعد له البيانات اللازمة .

وليس أبعث على سخط الطبيب من أن يسمع من يقول له : « تعال حالا . فإنى أحس بحمى » . وأعون من ذلك على إقناع الطبيب بدواعى المبادرة أن تقول له مثلا « إن درجة حرارتى ٥ر٣٨ » . وإنه ليسر طبيبك أن يعلمك كيف تقيس درجة الحرارة .

ومن الغريب أن كثيرين من المرضى يعجزون عن تنفيذ أوامر الطبيب فى أمور هينة مثل مقدار الجرعة وأوقات تعاطيها . وقليل من التفكير يكفى ليتبين المريض أن لهذه الأوامر سبباً ، وأنها مهمة للمريض .

والطبيب الحاذق يقدر المريض الذى يعرف كيف يقترح بلباقة «استشارة» غيره وقد يتردد الطبيب نفسه فى أن يعرض على المريض أن يستشير سواه مخافة أن يزعجه ،

أو اجتناباً لتكليفه نفقات جديدة . وليس من التعريض بمهارته أن تقول له : « إني لا أخطو إلى الشـفاء كما تحب يا دكتور ، أفليس هناك من تثق به ليساعدنا قليلا ؟ » ذلك أن الصدق هو قوام العـلاقة الرشيدة بين الطبيب والمريض .

على أن اقتراح الاستشارة شيء ، والجرى إلى الإخصائيين من تلقاء نفسك شيء آخر . ولتقل مثلا أنك تعاني الصداع ، وأنت تظن أنه راجع إلى شيء في التجاويف العظمية ، ولـكن ذهابك إلى إخصائي في الأنف والحنجرة قبل أن تستشير طبيبك ، مؤداه أنك تغفل هذه الحقيقة ، وهي أن الصداع قد يكون ناشئاً عن الغدة النخمية ، أو ارتفاع ضغط الدم ، أو أي سبب من عشرين سبباً آخر . وعليك أن تدع لطبيبك اختيـار الإخصائي الذي يحسن أن تستشيره . وكثيراً ما يستطيع أن يعفيك من تـكاليف ذلك بأن يعالج هو الحالة بنفسه .

والمريض الحصيف يتفاهم سلفاً وبجلاء على تكاليف العلاج ، ولا سيما إذا كان الأمر يستدعي جراحة أو علاجاً خاصا . ومما يساعد على حسن تدبير الأمر أن تـكون العلاقة وثيقة بين المريض وطبيب العائلة ، فإنه يعرف حالتك المالية ، وفي وسـعه أن يتحدث عنك مع الجراح دون أن يعرضك للخجل أو الارتبـاك ، وقد يتفق لك على تقسيط التكاليف . وإذا كان الجراح الشهير لا يقبل الأجر الذي تستطيع أداءه له ، فقد يبعث بك طبيبك إلى جراح آخر أصـغر وأقل شهرة يعرف أنه يحسن أن يتولى الأمر ويكتفي بما في طاقتك .

وأكثرنا يعرف أن الفحص الدوري للأسنان لازم ، ولـكننا نغفل ما هو أكثر أهمية ، وهو الفحص الطبي السنوي المنتظم ، ولا سيما متى اقتربنا من السن التي تفتر فيها الحيوية . وقد تبدو تكاليف فحص القلب والرئتين والأعصاب وتحليـل الدم والبول وغير ذلك جسيمة ، ولـكنها تأمين رخيص ضد أمراض تكاليفها أبهظ . وليست أمراض القلب والرئة والسكر إلا بعض الأدواء الوبيـلة التي يمكن وقفهـا أو شفاؤها ، إذا اكتشفت في الوقت المناسب .

وليس في وسع الطبيب أن يرغمك على شيء ، وما من قانون يفرض عليك أن تـكون مريضاً أريباً ، فإذا كنت لا تريد أن تعنى بنفسك . . . فـكل ما أقوله هو أنها جنازتك أنت .



قوة النار السائلة

هولمان هارفى . . . ملخصة عن مجلة « ذى اميريكان ليجيون »

تتخذ الولايات المتحدة مدفعاً تنحرف قذيفته حول زاوية . وقد تولى الجيش صنعه، وانتفع به مشاة البحرية انتفاعاً رائعاً عند نزولهم إلى البر، فكان له ذكر لا ينسى على الشواطىء الملطخة بالدم فى نيوجورجيا وبوجانفيل وتراوا ورأس جلوستر وجزائر مارشال . وهو سلاح مخوف ـ هذا المدفع الأمريكى الجديد (م ١١) قاذف اللهب .

وقد حادثت رجلين من رجال التصوير من فيلق البحارة ، الذين نزلوا مع الفصائل الأولى على ساحل تراوا ، وشاهدوا هذا المدفع يطردُ اليابانيين وهم يصيحون رعباً ، من مواقعهم المنيعة المدفونة إلى نصفها فى الأرض . وكان السلاحَ الوحيدالذى يكفل إخراجهم من بعض هذه المواقع ، فقد جربت قنابل البحرية من عيار ١٦ بوصة ، وقنابل الطائرات ، والمادة المتفجرة ت . ن . ت ، فلم تجدِ فتيلا .

وقد وصف لى المصوران ماتمّ فى الهجوم على موقع يابانى محصن ، بعد أن فجرت على جدرانه مقادير من المواد المتفجرة بغير جدوى :

أخذ رجلان من مشاة البحرية يزحفان بحذر نحو هذا المعقل المنخفض ، يستخفون بما تيسر لهم . وكان أحدهما يحمل مدفعاً مستطيلا غريب الشكل معقوف القناة ، تصلها أنابيب مرنة بثلاث أسطوانات معدنية مشدودة على ظهره ، ومن ورائه مساعده ، وهو متأهب لفتح صمامات الأسطوانات التى لا تنالها يدُ المدفعى ، أو ليحمل المدفع إن طرأ طارىء .

وكان فريق من إخوانهما يحمونهما، وهما يزحفان، بإطلاق النار على كوى المعقل اليابانى.

وأخيراً وصل قاذفا اللهب إلى نقطة معينة حددت من قبل تحديداً دقيقاً ، وهى قريبة من الجدار بعض القرب ، على جانب من أحد مداخل الموقع وخارج نطاق المدافع اليابانية حين تميل بها إلى أقصى حد ، فصار فى وسعهما أن يجثوا أو يقفا ، وهما غير معرّضين للخطر إلى حدّ ما .

وفتحت الصمامات وأعدّ المدفع ثم انبثق من فوهته لهيب كأنه عصا ، فصدم جوف المدخل صدمة عنيفة ثم انحرف ودخل فى قلب المعقل نفسه . فهــذا المدفع انحرفت قذيفته حول زاوية ، وكانت زاوية قائمة تقريباً .

وانتهى الأمر فى بضع ثوان ، وآثر بعض اليابانيين أن ينسفوا رؤوسهم بأيديهم على أن يواجهوا لفحة أخرى من هذه النـار ، وفرّ غيرهم والنــار مشتعلة فى ملابسهم والرصاص يتفجر فى أحزمتهم كالصواريخ . أما القلائل المسلّحون منهم فقد قتلتهم طلقات سريعة من هــذا المدفع ، فاحترقوا كالفراش فى اللهب .

وهذا المدفع سلاح مزدوج ، فهو أول قاذف لهب فى العــالم يطلق وقوداً مكثفاً ، ثم يشعله ويقذفه بقوة عظيمة على الهدف ، ولكنه يستطيع كذلك أن يقــذف وقوداً سائلا كالمدفع م ١ الذى سبقه . ويختلف تأثير نوعى الوقود اختلافاً عظيما ، ولكل استعماله الحربى الخاص .

فالوقود السائل ينطلق من المدفع أمواجاً كثيفة متدافعة من اللهب والدخان ، فإذا ما قطعت ٥٠ قدماً أو ٦٠ ، انتشر الوقود وامتزج بالهواء ، فينفذ جميعه وتهمد ناره .

أما الوقود المكثف فينبعث من المدفع جدولا ثخيناً كالعمود ، وينقــذف فى خط مستقيم كالرصاص القصاص ، ويشتعل سطح الجدول عنــد فوهة المدفع ويلتهب التهاباً عنيفاً ، ولكن قلب الجدول لا يزال وقوداً غير مشتعل ، وهو يحــترق رويداً رويداً أثناء انطلاق الجدول نحو الهدف . وحين يكون الهدف فى نطاق تأثير المدفع ، يلطمه هــذا الجدول من الوقود الكثيف اللزج المشتعل سطحه دون قلبــه ، لطمة قوية ، وهو حين يرتد وينتثر ، يلصق كالغراء بكل ما يصيبه ، ويحترق إلى أن ينفد — وقد يستمر كذلك بضع دقائق . وفى الوسع توجيهه توجيهاً محكما إلى كوى صغيرة ، وإن كان هذا المدفع يطلق من الخاصرة ، وليس عليه ذبانة لتسديد الرماية .

ولم يزل هذا الوقود السائل بلهبه المنتشر الكثيف الدخان هو المفضّل فى تطهير مخابىء الأعداء وخنادقهم وأوكار رشاشاتهم ، فهو يلتف على مصاطب الدفاع ويهبــط وينتشر شديد الحرارة فى كل ناحيــة . وفى الوسع توجيهــه حتى يدخل من الأبواب والنوافذ والكوى ، أو استعماله ستاراً تتحرك من ورائه الفصائل التى همها تدمير المنشآت الحربية .

على أن للهب الوقود السائل حدوداً ظاهرة ، فهو : قصير المدى ، وهذا يقتضى أن يدنو المدفعى من العدو قبل إطلاق النار . وهو قصير الأمد ، والسيطرة عليه سطرة

محكمة حين تهب الرياح أمر شاق . ثم إن اللهب والدخان يشاهدان من مسافة أميال في الليل أو النهار فيرمى العدو مكانهما بناره .

ومشاة البحرية يفضلون فى الهجوم على المعاقل ، المدفع المحشو بالوقود المكثف فهم يرونه أسلم عاقبة ، لأن مرماه أربعة أضعاف مرمى الوقود السائل ، وهو أخفى منه مكاناً ، وأشد مقاومة للرياح .

ويحمل وقود هذا المدفع في خزانين مشدودين على متن المدفعى بين لوحى الظهر ، وبين الخزانين أسطوانة ثالثة فيها هواء مضغوط يرسل شيئاً فشيئاً فى خزانى الوقود من صنبور أوتوماتيكى ، فيقذف الوقود من المدفع قذفاً شديداً .

وعند فتحة القناة مشعل يأتيه غاز الإيدروجين من خزان رابع صغير مثبت على أسفل قناة المدفع ، ويشعل الإيدروجين بشرر كهربائى .

وليس فى الوسع ملء خزانى الوقود أثناء القتال ، فهو خطر عظيم ، فهما يملآن خلف خطوط القتال حيث تتخذ جميع وسائل الاحتياط . فإذا نفد الوقود، على قصر أمده ، فينبغي أن يستبدل به سواه . والمدفع يقذف ناره عادة فى سلسلة من الطلقات القصيرة لا يزيد أمد إحداها على ثانيتين ، فإذا أطلق إطلاقاً مستمرا نفد فى ١٥ ثانية وحسب .

يطلق المدفعى مدفعه بأن يضغط برسغه الأيسر لوح الكباس القائم فوق القناة فى وسطها ، على حين يقبض على قفا المدفع بيده اليمنى عند خاصرته . والقناة معقوفة قليلا إلى الأمام نحو فتحتها لتيسير التسديد .

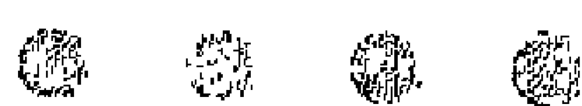
وينتخب رجال هذه المدافع أدق انتخاب ، وعليهم أن يكونوا مدربين تدريباً فنيا على استعمال سلاحهم المعقد وصيانته ، ويجب أن يكونوا من الأشداء ليسهل عليهم حمل سلاحهم الذى يزن ٦٨ رطلا ، ثم يجب أن يكونوا مقاديم كالفدائيين ، لأن مهمتهم من أخطر أعمال القتال .

وظلَّ الخزانات المحمولة على الظهور يشى بحاملها ، فيراه العدو خطراً ينبغى أن يرد بأى ثمن . وهو حين يدب إلى هدفه يتعرض لخطر عظيم ، وقد يتمكن الجنود الذين يؤيدونه من إسكات البنادق المسددة إليه من معاقل العدو ، ولكن قنابل اليد قد ترمى عليه من كوى المعقل ، حتى ولو كان الرصاص منهمراً عليها كالوابل .

وقد استعمل الألمان قاذف اللهب فى الحرب العالمية الأولى ، فرد الحلفاء عليهم بقاذف من صنعهم . ولم يكن لهذا السلاح بعد ذلك شأن ما ، ولم يستعمل منه فى القتال إلا القليل ، فمداه القصير جعله غير صالح لحرب الخنادق .

على أن أسلوب الدفاع الذى أنشأه الألمان يختلف عن أسلوب الخنادق ، فهو قائم على تحصين منطقة عريضة بإنشاء مواقع كثيرة منيعة . وعسى أن يكون هذا المدفع جواباً لسؤال من يسأل : كيف يكون التغلب على هذا اللون من الدفاع بأقل خسارة مستطاعة ؟ وقد استعمل الألمان قواذف اللهب، فى اكتساحهم السريع للحصن البلجيكى « إيبن إيميل » ، إذ تقدم حاملوها إلى كوى الحصون تحت ستار من دخان القنابل.

على أن سلاحنا يفوق كل سلاح من نوعه استعمل فى قتالنا ، أما أن يستعمل فى الهجوم المنتظر على أوربا أولا يستعمل ، فلن يعلم ذلك إلا حين يبدأ الغزو .



هذه هى سيماء الحرب

● آرت تشن صينى أمريكى المولد ، وهو الآن طيار فى سلاح الطيران الصينى ، وقد التقى يوماً بثلاث مطاردات يابانية فاسقط إحداها ثم نفدت ذخيرته ، فنطح الثانيــة وهبط من طائرته بمظلة فسقط سالماً قرب حطامها ، فأخرج المدفع الرشاش السليم الباقى فيها ، وحمله ثمانية أميال إلى قاعدته حيث قابل قائده الجنرال كلير شنولت ، فعرض عليه المدفع وقال : « أتسمح لى بطائرة أخرى لهذا المدفع ؟ »

[روبرت هوتز فى كتاب : « مع الجنرال شنولت »]

● فى أثناء معركة بونا بغينية الجديدة ، أصيب أحد الجنود الأمريكيين فى قدمه فلم يعن بإنباء أحد بإصابته ، وظلع بضعة أيام إلى أحـد مستشفيات الميدان والرصاصة التى اخترقت الحذاء والكعب مستقرة فى قدمه . فلما فحص الطبيب هذه المعجزة سأل الجندى : « ألم تألم لها ألماً شديداً ؟ » فقال : « لم يكن يشتد الألم إلا حين أقف ، فظللت أمشى » .

[ضابط الصف ى . ج . كان فى « انفنترى جورنال »]

● فى دار بإنجلترا حيث يستريح رجال القاذفات الأمريكية من «إعياء الأعصاب »، روى مدفعى إحدى القاذفات الرواية التالية : « فى المهمة الأولى التى خرجت فيها . انفجرت قنبلة ورائى تماماً ، فرفعت ذراعى فإذا الدم يسيل من قفازى ، فقطعت دورة التيار الكهربائى الذى يدفىء ملابس الطيران ، فهبطت الحرارة إلى ما دون الصــفر ، فوقف النزف ، وتمكنت من مواصلة إطلاق النار » . [كورى فورد وألاستير ماكبين في « مجلة كوليرز»]

علموا أولادكم الحياة

ليس بالخبز وحده

تركت يوماً ما وحدى ، وأنا فى الثانية عشرة من عمري ، لأعدّ طعام الغداء لأبى فصرفت وقتاً طويلا أعمل أشياء صغيرة كنت أعرف أنها تدخل السرور عليه ، مما اضطرنى إلى التعجل فى إعداد الطعام . كانت الزهور على المائدة منسقة بعناية فائقة ، أما المطبخ فكان أمره فوضى .

ووصل أبى وأنا ألقى مغبّة عجلتى حين وقعت صحفة السمك والبسلة من يدى وانتثر ما فيها على الأرض ، وكنت على شفا الجزع والبكاء ، فقد تحطمت كبريائى .

إلا أن أبى أدرك ما أنا فيه بنظرة واحدة وقال لى : « لا تراعى يا بنيتى ، سننظف هذا الخليط ونلتمس شيئاً آخر نأكله ، لقد فعلت ما هو أثمن من الطعام ، فإن زهرة (لا تنسنى) خير من الطعام » .

وأعددنا شطائر بسيطة أكلناها على المائدة المزدانة بالزهور . ولقد علمنى إطراؤه إيّاى فى الوقت المناسب ، أن فعل تلك اللطائف زيادة على ما ينتظر ، يستحق ما يلقاه المرء فى سبيلها من عناء بل قد يستحق ما يحدث من عثرات .

[دوروثي ماي أندرسون]

اسمعوا وعوا !

أراد زوجى ، وهو محام ناشىء ، أن يدرب أولاده على حسم ما ينشب بينهم من خلاف دون شجار ، وكانت طريقته ناجحة كل النجاح . فقد شرح لهم كيف تقدم القضايا إلى المحكمة : أن يكتب شخص الشكوى ويرد عليها آخر ، ثم يتلو ذلك مناقشة فى الموضوع . واقترح عليهم أن يسوّوا ما قد يشجر بينهم من خلاف بهذه الطريقة .

وراقت الفكرة الأولاد . ولطالما تلقوا والدهم حين يعود ليلا وهم يصيحون : يا أبتاه إن لنا قضية هذه الليلة ، فكان والدهم يتيح الفرصة لكل منهم أن يقرأ شكاته ، وأن يسمع الرد عليها ، ويسأل بضعة أسئلة ، ثم يحكم فى القضية . وكانت النتيجة موفقة حقاً ، فإن الاهتمام الشديد برفع القضية وإقامة الدعوى ، كان يحجب ما قد يتوهمونه من ظلم وقع عليهم . وفى ذلك تتبين الحكمة البالغة التى قصد إليها بتلك الطريقة ، فإن كل طفل حين يريد أن يحول غضبه إلى كلمات تخط على الورق ، يجد أن ليس ثمة شىء يمكن الكتابة عنه ، وإذا كان شىء من ذلك ، فهو من التفاهة بحيث يستحى أن ينبىء به والده .

[كاترين سيبرى]

إختبـار المـاء

كان أورفيـل فى الحادية عشرة فبينا جارة تزور أمه إذ أوقع أورفيـل زجاجة الحبر ، فأعول : « انظرى يا أماه ! ماذا أفعل ؟ ساعدينى ! أين أجد خرقة ؟ أليس من أحد يمسح الأرض ؟ انظرى إلى قميصى ! » .

واستمر فى شكاته حتى انصرفت الجارة ممتعضة فصبرت أمه على إصلاح ما أفسد ، ثم التفتت إليه قائلة فى سكون : « لقد عالجنا أمر الحبر إلا أن هناك أمراً أود أن أحدثك عنـه » وطفقت تبين له أن على المرء إذا ما ارتكب خطأ أن يصلحه بأقل ما يمكن من الضجيج ، وختمت حـديثها بقولها : « وسأتيح لك الفرصة قريبـاً أن تبرهن على أنك فهمت ما أعنى » .

وفى الأسبوع التالى كانوا يطلون غرفة المائدة ، وجلس أفراد الأسرة إلى مائدة فى الدور الأرضى ، وكانوا جميعاً يرتدون أفخر ملابسهم .

وجمد أورفيـل إذ جلس ، أيمكن أن يكون ما شعر به ماء على المتعد ؟ وخفض الجميع رؤوسهم يحمدون الله على نعمته ، ولما رفع أورفيل عينه نظر إلى أمه مبتسما وسألها فى أدب : « أيمكننى أن أترك المائدة ؟ » واستمروا فى غذائهم لا يعكر صفوهم شئ ، فقد جاز أورفيل الاختبار .

[مارجريت هولمز]

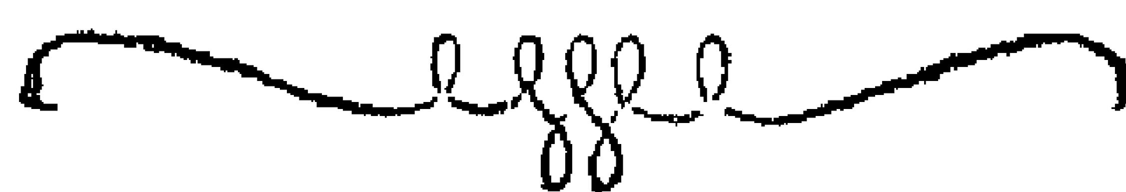
سجل هذه

كنا ثلاثة إخوة وبين كل منا وأخيه سنة واحـدة ، وكنا نكثر الشجار فقالت لنا أمنا يوماً : « لا تناموا على غضب يا بنىّ » . ووضعت سبورة صغيرة فى بهـو المنزل ، وشجعتنا على أن يخط أحدنا ما يمنعه التكبر أن يقوله لأخيه ، وحدث مرة أن تشاجر أندى ورايموند وأبى كلاهما كبراً أن يعتذر . ولـكن إذا أزف ميعاد النوم ذهب أحدهما إلى السبورة وكتب عليها : « إنى آسف » .

وقد كنا نشعر جميعاً بارتياح كبير بعد كتابة اعتذار أو مسح جملة على السبورة .

وكانت جملة: « إنى آسف ، فقد خرجت عن طورى » تعبر عن حب أحـدنا لأخيه واحترامه له ، وتشعرنا بصـلة القربى التى تربطنا جميعاً » .

[سرجنت رايموند فورر]





ملخصة عن مجلة « تريكولور » — حديث لاندريه جيرار نقله جورج كنت

إذا ما انقضّت الجنود الأمريكية والبريطانية مخترقة معاقل هتلر فى فرنسا فيومئذ يواجه جيش الاحتلال الألمانى هجوماً آخر تشنه عليه حركة المقاومة السرية بقواتها الجبارة. وهذه الحركة التى تتلفع اليوم بالصمت والتخفى تضم أكثر من مليون من الوطنيين الفرنسيين متأهبين جميعاً للجهاد.

ولقد عرفت حركة المقاومة السرية بما بلوت من تجارب رهيبة ، فقد كنت من بين منظميها وضباطها ولما يجفّ مداد هدنة سنة ١٩٤٠ . وهذه الحركة ، على نقيض الرأى السائد ، لا تتألف من مخربين فرادى ، ورماة ، وموزعى نشرات يعملون كيفما اتفق ، بل هى جيش ككل الجيوش ، يضم ذوى البراعة والبأس من جنود الجيش الفرنسى السابق وضباطه ، ويضم كذلك مدنيين نظموا فى وحدات هى : فرق الكوماندو ، والتخريب ، والإشارة ، والتجسس ، والأشغال الهندسية . وهؤلاء الجنود منبثون فى طول البلاد وعرضها ، ويدخل فى زمرتهم رجال من كافة الطبقات ومختلف العقائد السياسية .

بدأ تنظيم حركة المقاومة يوم كان آلاف من المدنيين وجنود الأمس يتعثرون سائرين فى السبل نحو الجنوب ، ومن ورائهم جيش الغزاة . لقد تشتت كثير من الأسر ، وخصصت الصحف أعمدة لإعلانات تنشد أنباء المفقودين ، وهاك مثلا منها : « مستعجل ! إذا كنت رأيت أخى شارل بتيني — وآخر أنبائه أنه كان يسير فى طريق شارتر — فأرجوك أن تكتب إلىّ بعنوان : صندوق رقم ٠٠٠٠ »

أخذ منظمو حركة المقاومة السرية يجيبون على هذه الإعلانات ، ويقولون فى ردودهم

« لبث أندريه جيرار سنتين يدير محطة الراديو الوطنى وهي محطة سرية فى فرنسا ، ثم عين بعد ذلك ضابط اتصال بين قوات حركة المقاومة السرية وقيادة الحلفاء العليا » .

من غير تورية : « لقد أصبحت محزوناً شديداً ، ولكن الحرب لم تزل ، فارفع يدك بتحية فرنسا ، وعليك أن ترسل صورة من هذا الخطاب إلى ثلاثة من أصدقائك ، وكن حلقة فى السلسلة التى ستحطم عنا سلاسلنا ... » .

نمت الفكرة وانتشرت ، واتصل منظمو الحركة بأصدقائهم جميعاً ينبئونهم بالخطة ويحذرونهم الأخطار ، ووجهوا إلى كل منهم السؤال التالى :

« هل لك صديق تثق به ؟ إذن فنبئه وأرشده » .

ومدّ كبار الضباط يدهم بالعون ، وكان المفروض — على الورق — أن العتاد الحربى الفرنسى قد سلم كله إلى الجيش الألمانى ، والحقيقة أن أطناناً من الذخيرة هربت وأودعت فى مخابئ ، ونهبت صرة بها عدة ملايين من الفرنكات ، وأخفيت ، ونهبت كذلك أشرطة مسجلة لأحاديث تلفونية ، ملؤها الزهو والخيلاء ، دارت بين الضباط الألمان وأعوانهم الفرنسيين أشباه كويسلنج ، وقد حفظت الأشرطة ليوم الحساب الذى سيعقب النصر .

وأنشأت حركة المقاومة حصوناً فى جبال فرنسا أسمتها « القلاع » ، وعززت الممرات والمسالك بأوكار الرشاشات والمدافع الكبيرة ، فأصبحت مواقعها منيعة بحيث يتيسر لرجل واحد يكمن فيها أن يصدّ عدواً مهولا ، وهذه هى فرنسا التى لم تقهر أبداً !

وفى مبدأ الأمر اتجه أهم جهد إلى تنظيم أعمال الانتقام من الألمان وتوحيدها ، إذ كان فاشياً قتل أوشاب من النازيين فى غير طائل . فقد حدث مثلا أن كانت فتاة من أسرة عريقة فقضى خطيبها نحبه برصاص الأعداء ، فاستدرجت إلى مخدعها ستة من الجنود الألمان واحداً بعد آخر ، تظل تطعنه بخنجرها حتى يموت . وهذا رجل تموت ابنته فى ربيعها الثامن وهى مشردة بين جموع الهاربين من العدو ، قد جعل دأبه أن يخرج كل ليلة فيصرع نازياً ، فقتل خمسة عشر حتى قبض عليه وأعدم . ودفن فلاح فى ناحية من حديقته ثمانية من الألمان ، خنقهم بثأر ابنة له قتلت ، وهكذا هلك مئات من الألمان ، ولكن اقتص لهم بقتل مئات من الفرنسيين .

وقد عبست حركة المقاومة السرية فى وجه هذا الانتقام الشخصى ، لأنه يعرقل تهيئة ضربات أجدى توجه إلى الأهداف العسكرية ، وقال ضابط فى هيئة أركان الحرب : « هذه عملية حسابية بسيطة : فإذا قتل الألمان واحداً أو أكثر من الفرنسيين مقابل كل ألمانى نقضى عليه ،

كنا نحن الخاسرين ، ونحن لا نجود أنفسنا بالخسارة ، إذ يجب أن نجعل كل عمل نعمله ربحاً » .

* * *

أقام منظمو الحركة فى مبدأ الأمر مركزهم الرئيسى فى قطرات النفق بباريس ، وأكبوا على العمل فى مركباتها وهى تجرى دورة فى إثر دورة ، ولما كشف الألمان حيلتهم اضطروا أن يدعوها ، وكثيراً ما كان المتآمرون يتنقلون من مكان إلى مكان ، ولهذا كانوا يحملون وثائقهم فى قصاصات صغيرة من الورق ، وتتضمن كل وثيقة اسم مجند ، وما يحمله ، وأسماء خلطائه ، وهل يملك دراجة ، وكم رجل يتأتى له أن يؤوى ويطعم ، وما العمل الذى تطوع له. ورتب هذه القوائم كتبة مصارف يسهرون عليها الليل .

وأعدت سجلات لكل ناحية فى فرنسا ، وقائمة بأنفاق السكة الحديدية ، وبكل موضع يضطر فيه القطار إلى خفض سرعته ، وكل مصنع ، وكل حظيرة للسيارات ، وكل حوض لبناء السفن . وكانت الصحف السرية تصدر بادئ الأمر فى وريقة بخط دقيق ، ثم تدرجت إلى أربع صفحات فى حجم الكف ، تعدّها مطابع صغيرة مختارة فى غرف السطوح أو فى أقباء المنازل ، وقد ساعدت هذه الصحف على تنمية الآراء ، وإرشاد السكان ، ووصل عددها اليوم إلى أربعين صحيفة يوزع منها نحو نصف مليون نسخة .

وأوفدت حركة المقاومة أعوانها إلى أنحاء فرنسا للانصات إلى ما يقوله الناس ، ولتفنيد الدعاية الألمانية ولتجنيد عمال جُدُد . وكان لا بد من تدريب آلاف من الأنصار الذين ينضمون إلى الحركة ، فبعث إليهم مدربون ، فيهم من كان بالأمس محامياً أو مدرساً أو جنديا ، وجعل هؤلاء الرجال سفرهم تحت الليل ، مبتعدين عن الطرق العامة ليتجنبوا الحرس الألمان .

ولا يلقى المدربون درسهم على أكثر من رجلين فى وقت واحد ، وهم يعلمون طلبتهم كيف تدس القنابل المحرقة ، وكيف يوضع اللغم على السكة الحديدية لإخراج القطار عن قضبانه ، وكيف يخرب الإنتاج فى المصانع التى تعمل للألمان ، وكيف يخنق الرجل فلا يصيح صيحة واحدة ، وكيف يكتم دوى المسدسات ، وكيف تجمّع أجزاء البندقية السريعة ، وكيف تطلق .

ويمتحن المدربون شجاعة المجند فيكلفونه حمل مدفع سريع ، قد لُف بالورق فيبدو حزمة بريئة المظهر ، إلى بلد يبعد عدة أميال. وهذه المهمة تقتضى الذهاب إلى محطة

السكة الحديدية ، وتقديم الحزمة للشحن بعربة البضائع ، ثم تسلمها عنـد وصول القطار ، وتأديتها لمن أرسلت إليه ، وكل ذلك يجرى تحت أعين الشرطة . وكذلك يكاف المجنـدون قطع أسـلاك التلفون ، ووضع لغم على السكة الحديدية ، ولا يحكم المدربون بصـلاح المجند للخدمة إلا بعد أن تجتاز شجاعته هذه الامتحانات الأولى .

* * *

ويختلف جيش حركة المقاومة عن أى جيش عهده العالم ، فالرياسة فيه للكفاية ، فترى قواداً سابقين يأتمرون بأمر ضـباط كانوا فى رتبة الملازم الثانى ؛ وتشرف رياسة الجيش على عشرين وحدة إقليمية على رأسها ضباط تتألف منهم مراكز القيادة . وتغير هذه المراكز أماكنها كل مدة تتراوح بين ثمانية أيام وعشرة ، ويسبقها عامل مهمته أن يلتمس فى إحدى القرى ما يقرب من عشرة مساكن تقيم فيهـا مراكز القيادة وهى مطمئنة . وقد أصـدر الألمان أمراً بإعدام كل من يؤوى عضواً فى حركة المقاومة السرية ، ومع ذلك قلما يأبى أصحاب المساكن أن يضيفوا اللاجئين .

وفى الجيش فرقة خاصة للهجوم المفاجىء تسمى « الفرقة الحرة » وهى على غرار فرقة الكوماندو ، وتعرف أيضـاً باسم « فرقة الغوريلا » وذلك لأن أفرادها إذا اختبأوا بعد قيامهم بأحد الأعمال ، أطلقوا لحاهم توفيراً للصابون وشـفرات الحلاقة . وهم رجال أشداء مخاطرون ، وأكثرهم دون الأربعين ، وإن عملهم ليتطلب الثبات والشجاعة والاستخفاف بالموت .

أما المخربون ، فأكثرهم من الشيوخ والنساء والأحداث ، وإن كان عملهم لا يقل فى خطره عن عمـل السابقين ، فالموت ملاقيهم إذا قبض عليهم ، فالمكر والتخفى فى عملهم أهم من قوة العضل .

وكل عمـل من أعمالهم توضع له خطة يحرص فيها على العناية كل العناية بالتفاصيل ، فإذا كان الهدف مثلا مخزناً به أسلحة يدوية يحتاج إليها جيش المقاومة استكملت دراسة دقيقة عن عدد الحراس ، وعن عاداتهم ، وعن سكان المبانى المجاورة ، وعن مداخل المخزن .

فإذا كان عدد الحراس ثمانية من الألمان مثلا ، اختار لهم ضابط القيادة ستة عشر من الفرقة الحرة ، وأعد سيارتى نقل لحمل الأسلحة ، أما تخريب المخزن فيختار له أربعة من المختصين فى أعمال الهدم ويعلمهم بدقة ما يجب عليهم أن يفعلوه ، أما الزمن فعشر دقائق لرجال فرقة الغوريلا ، وأربعون دقيقة لرجال سيارتى النقل ، وعشر دقائق لفرقة الهدم .

وفى ليلة قد غاب قمرها يصل رجال الفرقة الحرة إلى المخزن وينطلق الرصاص من بنادق مكتومة الصوت ، ثم ضربات وشهقات . . لقد تم القسم الأول من المهمة وينصرف رجال الغوريلا . وأشخاص هؤلاء يجهلها رجال سيارتى النقل الذين جاؤوا بهما حينئذ وأوقفوها على باب المخزن ، فإذا انتهوا من وسقهما انطلق أربعة رجال إلى داخل المخزن الفارغ ، ولا تمضى دقائق حتى تكون ألسنة اللهيب قد اندلعت من سقفه . وينصرف آخر من بقى من رجال حركة المقاومة على حين تكون ضجة سيارتى النقل تخف رويداً رويداً حتى تخفى على البعد .

وقد تنقضى ثلاثة أشهر على وضع خطة عمل ، مثل تحطيم محطة راديو باريس ، وهى أقوى محطات الإذاعة فى فرنسا . وقد سئلت لندن أن تحدد بالدقة مقدار ما يلزم لتحطيمها من المواد المتفجرة . وللإجابة على هذا السؤال أقام الإنجليز أنموذجاً مماثلا فى الحجم للمحطة ، ثم نسفوه . ووقع الاختيار على أربعة من فرقة الأحرار للقيام بتلك المهمة ، فبدأوا تحت إشراف مدربين من حركة المقاومة بتمثيل أدوارهم للتدرب عليها أكثر من مئة مرة . وفى اليوم الموعود تسلق الرجال الأسوار فى حذر وخفة ، وأشعلوا الألغام وفروا ، وبعد عشرين دقيقة انبعث دوى الانفجار ، ولم يقبض على هؤلاء الرجال أبداً .

وقد حدث مثل آخر من أمثلة دقة الخطة ونجاح التنفيذ بعد غزو الأمريكيين إفريقية ، إذ كان المظنون حينذاك أن جنوب فرنسا سيستهدف للغزو أيضاً ، فأصبح من المهم منع جنود المحور فى إيطاليا من دخول فرنسا ، وذلك بإتلاف السكك الحديدية التى تربط البلدين . فقامت جماعة تابعة لحركة المقاومة بوضع ألغام فى نفق متعرج تحطم منها قطار وتلوت عرباته فتعطل الخط عدة أيام . ونسفت جماعة أخرى صخرة على سفح جبل فانهال سيل من الحجارة هدم قنطرة مهمة للسكة الحديدية ، وقتلت جماعة ثالثة الحراس القائمين على قنطرة أخرى ثم نسفتها .

ولما بدأ النازى يرسلون قطارات مشحونة بالأغذية من فرنسا إلى ألمانيا ، عمل الكيميائيون التابعون لحركة المقاومة على استنباط وسائل لتسميم تلك الشحن ، وتسلل أعوانها إلى العربات وهى تعد فى أفنية محطة باريس ، وقاموا بتنفيذ الخطة ، وكان من أثرها أن مات مئات من الألمان ، فحاول النازيون إعداد العربات فى جهات أخرى من فرنسا ، ولكن كان لحركة المقاومة عيون فى كل محطة ، أغلبهم من موظفى السكة الحديدية ، واستمر تسميم الأغذية .

وقام المعمل الكيميائى الذى جهز السم باستنباط دهان أكال لاستعماله فى المصانع . وكان الألمان فى حرصهم على سلامة الإنتاج قد قسموه عدة أقسام ، فيقوم مصنع بإعداد هيكل السيارة ، ويتولى مصنع آخر إعداد المحرك وهكذا ، فإذا بالإنتاج يصل إلى غايته المرسومة فى كافة هـذه المصانع إلا مصنعاً واحداً ، ففى هذا المصنع يتولى أحد أفراد الجيش الخفى دهن بعض الأجزاء الرئيسية فى السيارة بهذا الدهان الأكال . ثم تخرج السيارة من المصنع فربما سارت ١٠٠ كيلومتر ثم إذا بها تقف لسبب خفى . وقد بلغ عدد السيارات التى اشتكت هـذه العلل الخفية ٩٠٪ مما صنعه مصنع واحد فى عشرة أشهر .

واتبع هذا العبث الرهيب فى عرقلة إنتاج الطائرات والبواخر ، وكل المحركات التى تصنع فى فرنسا ، بل بلغ الأمر بأحد المصانع أنه لم يوفق قط إلى إنجاز صنع باخرة واحدة .

* * *

حارب الألمان حركة المقاومة السرية وجهاً لوجه بالقبض على أفرادها وقتلهم وتعذيبهم ، كما ختلوها بالحيلة . والحيلة المحببة إلى الألمان أنهم إذا قبضوا على أحد أفراد جيش الحركة عذبوه حتى يشرف على الموت ، ثم تركوه ينزف دمه على إفريز الشارع ، رجاء أن يخفّ زملاؤه إلى مساعدته .

ومن أشق الأمور أن يغضى المرء عن زميل فى مثل هذه الحال ، ولكن لا بد مما ليس منه بد .

وقد دأب الألمان أيضاً على أن يستعينوا بجواسيس من النساء ، يرون أن الحب هو أول هم الفرنسى فى الحياة ، وأخذت فتيات فاتنات من الألمان يحسنّ الفرنسية ، يترددن على المقاهى والأندية الليلية ، ويسرن الهوينا فى الشوارع ، آملات أن يصدن رجالا يزلون فى الحديث فيفضون بمعلومات عن المؤامرات التى تدبر ضد النازى ، ولكنهن لم يفزن بطائل ، إذ سرعان مافطنت لهن حركة المقاومة ، بل كان مثار العجب أن كثرت الحوادث التى نجح فيها الفرنسيون فأوقعوا الفتيات فى شباك حبهم . والحب إذا تحكم فى الجاسوسة قضى على نفعها . وأيضاً فقد طلبت وزارة الداخلية أن يخضع هؤلاء النسوة للاجراءات الكريهة التى تطبق على البغايا ، فما لبث الألمان أن عدلوا عن تلك الوسيلة .

* * *

وأولى المشاكل الخطيرة التى تعانيها حركة المقاومة هى : كيف تظل دائمة الصلة بمختلف وحداتها ، وكيف تبادل لندن الأخبار ، وأغلب هذه الأغراض يتم بمحطات سرية للراديو .

فإذا ما استعمل الألمان سيارات تحمل أجهزة لاقطة للاذاعة ، فعندئذ ربما تيسر لهم أن يحددوا على وجه التقريب موضع المنزل الذى فيه جهاز الإرسال ، ثم يرسلون رجلا بجهاز صغير له سماعتان يضعهما على أذنيه ، فيسير فى الشارع ذهاباً وإياباً حتى يستدل على المكان المطلوب ، فإذا فعل أحاطت بالمنزل حلقة من الجند وحطمت جهاز الإرسال وقتلت أصحابه ، فكان رد حركة المقاومة أن تقيم كميناً لسيارات الراديو النازية وتقتل راكبيها .

وكثيراً ما يستعان بالمشافهة فى نقل الأخبار ، فلا يحمل الرسول رسالة مكتوبة بل يحفظها عن ظهر قلب ، إلا أن يكون موضوع الرسالة تسليم ذخيرة ، فلا بد إذن من التوقيع خطاً . وتكتب هذه الرسائل عادة على ورق أرز ليسهل على الرسول مضغها وبلعها إذا قبض عليه .

وقد ظلت خزانة الأمتعة الخلفية فى سيارة أحد كبار موظفى حكومة فيشى ، تستخدم زمناً فى تبادل الرسائل بين مركزين رئيسيين فى باريز ، فكانت الرسائل تودع فى الخزانة والسيارة واقفة فى منعطف ، فإذا بلغت نهاية الطريق استخرجها عامل ميكانيكى من أصدقاء الحركة . واستخدمت أيضاً حركة المقاومة القطارات السريعة التى تسير باطراد واتخذتها وسيلة لنقل الرسائل بانتظام مرْض ، وذلك بفضل عمال ميكانيكيين فى محطات نهاية الخطوط ، كما استخدمت سيارات النقل التابعة للجيش الألمانى .

وقد أصيب الشعب الفرنسى بانهيار جسمانى من جراء نقص الأغذية ، فإذا كسر عظم أحدهم صعب جبره وورم على فساد ، وطال أمده وعذابه . وقد تمضى أشهر طويلة حتى يلتئم جرح فى إصبع ، وقد تسودّ الأسنان وتلتوى ثم تسقط .
وكان من مكر الألمان أنهم إذا قبضوا على رجل فغروا فاه ، فإذا لمعت أسنانه بيضاً قوية علموا أنه رجل نزل فرنسا حديثاً ، فربما كان جاسوساً . وقد حدث أخيراً أن كان أحد أعوان حركة المقاومة يزور لندن ، فطلب من طبيبه أن يجعل أسنانه تبدو مشوهة ليضمن السلامة حين يعود إلى وطنه .

وقد برعت حركة المقاومة فى تنظيم سفر أعوانها ، فهى بصيرة بأن راكبي الدراجات هم لأمر ما أقل استثارة للريبة من الرَجْل ، كما أن الفتاة الحسناء تنجح حيث يخيب الرجل . واحتال أحد أعوان الحركة فقام بجولة واسعة فى أرجاء فرنسا مستقلا سيارة يملكها ويقودها صديق له من رجال الشرطة ، وكانت حيلتهما حيلة ساذجة ،

فقد كبل الشرطي معصمي صديقه بالأغلال ، وظن الحرس الألمان أنه سجين فلم يلقوا إليه بالا .

وكان كل وطني يتاح له السفر إلى ألمانيا يعود إلى فرنسا وفي جعبته بعض الأخبار : فهذه محطة ألمانيـة ينام الرجل فيها آمناً ، وهـذا منزل يقطنه ألمان موالون ، وتلك مزرعة لا تردّ من يستطعمها . وبفضل الاسترشاد بهذه الأخبار الهينة تمكن أعوان حركة المقاومة من اجتياز الأراضي الألمانية إلى الروسيا . وكذلك كان إذا فرّ في ألمانيا أسرى من الأمريكيين والبريطانيين أعانتهم تلك المعلومات على التسلل إلى فرنسا ، ومن ثم يوجهون سريعاً إلى أسبانيا ، أو يرسلون في قوارب إلى إنجلترا .

وقد انضم أحد أعوان حركة المقاومة مختاراً إلى ركب من العمال الذين يسترقهم الألمان ويجمعونهم من فرنسا ، وذلك لكي يكتشف مصنعاً للغواصات أحيط مكانه بالكتمان ، فما كاد يصل إلى ألمانيا حتى فرّ من معتقله ، وأخذ يتجول في أرجائها شهراً كاملا ، فكاد يهلك جوعاً حتى عثر على مكان المصنع . وكان هـذا المصنع يبني غواصاته برمتها تحت سطح الأرض ، فحفظ الرجل مكان المصنع وكرّ عائداً إلى فرنسا مندسًّا تحت عربة قطار ، وبعدئذ قصدت المصنع قاذفات قنابل عالمة بموضعه تمام العلم ، فعطلته زمناً طويلا .

* * *

وحركة المقاومة كانت متأهبة تمام التأهب لغزو الحلفاء : — قطع مواصلات الألمان ، وتخريب مراكز قيادتهم الحربية ، ومنع وصول المؤن .

وقد عهـد إلى كثير من الرجال والنساء أن يقوموا بعمل واحد سهل كقص سلك تلفون أو وضع بضعة ألغام على شريط السكة الحديدية ، أو إشعال فتيل تنفجر منه قنبلة مُعـدة من قبل تحت وكر مدافع ألمانية . ودرّب عمال المطارات وحظائرها ليخلعوا رداء الاستكانة المصطنعة ، ويستأسد كل منهم في القيام بالمهمة الوحيدة الموكولة إليه ، مساعدة منهم في عرقلة خطط السلاح الجوي الألماني . أما الأعمال الدقيقة التي يضرب لتنفيذها موعد محدد كتحطيم سكة حديدية قد تجري عليها قطارات الأمداد ، فقد عهد بتنفيذها إلى الفرقة الحرة وفرقة المخربين .

وقد دُبِّر الأمر حتى تنفذ هذه الأعمال تنفيذاً كاملا ، مهما كلفت من أرواح ، فإن جنود فرنسا الكامنين كانوا يتحرقون وهم ينتظرون ذلك اليوم الذي يتاح لهم فيه أن يشتركوا في إبادة عدوهم الألماني .

الخيال - أندر العقاقير

« وجهت مجلة ريدرز دايجست ، فى المجلات الطبية ، دعوة إلى الأطباء أن يوافوها بحوادث من تجاربهم توضح فائدة استعمال الخيال وفهم الطبائع البشرية فى التطبيب . وهذه نخبة من مئات الأجوبة التى تلقتها . وسينشر سواها فى المستقبل . والأسماء كلها مختلقة » .

أصيبت قرينة سيمور الحسناء بورم لحمى خبيث فتاك فى عنقها ووجهها بعد زواجها منه بعامين . فلم نخبرها ولكنا رأينا فى عينيها أنها أدركت بطريقة ما أنها مشرفة على الموت .

وكان زوجها يهواها هوى شديداً ، وكان يود بجدع الأنف أن يجد طريقة ما لإسعادها فى أيامها الأخيرة . وعاد إلى المنزل ذات ليلة يحمل إليها تذكرتى سفر إلى أوربا بعد بضعة أشهر إبان الربيع . وتراكمت على فراشها نشرات السياحة البهيجة تدعوها للاستمتاع بشمس البحر الأبيض المشرقة وجماله الفاتن .

ومنذ ذلك اليوم أخذ زوجها يحدثها عن مفاتن رحلتهما المقبلة ، ويتذاكران معاً تفاصيلها ، ويقدران معاً أى المشاهد هما إلى رؤيته أشوق . فأخذ يعود إلى عينيها ريقهما كلما تطامنت شكوكها لحديثه العذب عن المستقبل ، وطفق الخياطون وصناع القبعات يفدون عليها ، فتتكوم الثياب والقبعات وما إليها فى حجرتها . ونسيت علتها وهما يعيشان فى أحلام شهر عسل جديد . فلما قضت نحبها قبيل الربيع كان الشطر السليم من وجهها أشرق ما كان بالسعادة والجمال .

ولم أر قط حباً تمخض عن عمل أعظم من عمل هذا الرجل . لقد تعلمتُ من سيطرته على نفسه سيطرة تفوق طاقة البشر ما لم أتعلم مثله فى دراستى الطبية : علمنى أن الوعود المجملة المبهمة لا معنى لها ، وأن ما تراه العين وما تلمسه الأنامل هو وحده الذى يحمل اليقين إلى الروح ويؤجج فيها الشجاعة والأمل .

[روشستر — نيويورك]

كان بوبى الصغير فى الخامسة من عمره ولم يتكلم قط . وكان طبيعيا فى كل شئ إلا أنه كان يُرَى كالمولع بتمثيل دور الأبكم .

وقال الطبيب : « دعى بوبى معى أسبوعاً ، وسأرى ما أستطيع أن أصنع له » .

ووضع الطفل فى المستشفى وقيل له إنه قد أتيح له من الماء ما يشاء ، أما الطعام فمحبوس عنه حتى يطلبه ، فلم يزد بوبى على

أن تجهم ، ذلك بأنه تعود من قبل أن يعامل بالتملق والملاطفة والوعيد .

ففى اليوم الأول فتنه محيطه الجديد فلم يبال بما ناله من الجوع . وفى اليوم الثانى بدأ يشعر بقلق ولا سيما حين يرى صحاف الطعام الشهىّ محمولة إلى المرضى الآخرين . وفى صبح اليوم الثالث ضاق ذرعه ، فما إن فتحت المرضة بابه حتى سمعته يقول : «سحقاً لهذا .. طيب .. إيتنى بطعام ! » .

[اندیانو بوليس — إنديانا]

كثير من الناس يعانى من العلل ما يمكن رده إلى آفات عصبية يؤرثها الخيال النشيط ، فعندئذ يكون الإيحاء هو سبيل الشفاء .

ومن هؤلاء قسيس كنت أعالجه ، جاءنى يوماً قابضاً على عنقه ، فكتب على سنادة الورق فى مكتبي : « لقد انحبس صوتى ، فاصنع لى شيئاً من فضلك » وتبينت من فحصه أن حرارته ونبضه طبيعيان ، ولم أجد به أثراً لأية علة .

وكان يعتقد يقيناً أنه فقد صوته ، ولكنه كان يؤمن أنى قادر على الطب له ، فاعتزمت أن أستغل إيمانه هذا لأشفيه .

وأنذرته أنى قد أوذيه قليلا ، ثم أخذت أستعد لعمل « جراحة » له استعداداً هائلا ، وصففت أمامه صفاً من الآلات ذات المنظر المخوف . ثم أمرته أن يفتح فمه ، ففرقت بين فكيه بمكعم وتعمدت إيذاءه بأشد مما يطيق . ثم عمدت إلى هذه الآلات المزخرفة أتناولها مسرعاً بعضها تلو بعض ، فأجس لوزتيه تارة ، وأمس حنكه أخرى ، فتغثى نفسه . وتصبب العرق من وجهه ، فأزلت المكعم من فيه وقلت له : « الآن تستطيع أن تتكلم » فشكرنى بصوت طبيعى ، وعيناه مغرورقتان بدموع المكروب واتاه الفرج .

وكل ما صنعته أنى ألقيت فى روعه وحياً أقوى مما تسلط عليه ، فارتدّ إليه صوته .

[اكرون — أوهايو]

شكا مريض الفواق (الزغطة) إثر الانتهاء من جراحة فى بطنه . ودام الفواق أياماً ، وجرّب طبيبه كل الأدوية الشائعة لعلاج هذه الحالة فلم تنجع ، واستمر الفواق .

وتذكر الطبيب أن هذا المريض معروف بالتقتير ، فوصف له دواء أقل من الأدوية السابقة شيوعاً . وما إن شرب المريض أول جرعة منه حتى سأل عن مفردات الدواء . فقيل له إن أهمها المسك . فقال للطبيب : « أليس هو تلك المادة النفيسة الغالية التى يصنعون منها العطور ؟ » فأجابه الطبيب :

« نعم ! وإن الجرعة منها لتساوى ثلاثين ريالا ! » فكف الفواق فى الحال !
[سان فرنسسكو — كاليفورنيا]

أدى الخضوع لطائفة من العلل الخيالية بإحدى مريضاتى الغنيات إلى العزوف عن أن تستغل حياتها أو مالها فى أى عمل منتج ، وجعلت وكدها الجرى وراء كل جديد من الأدوية والأطباء ، ولكن ما من شىء وصف لها وبدا لها أنه مفيد .

فلما كانت بباريس فى إجازة عرضت نفسها على أستاذ فى الطب معروف ، وطفقت تعدد له ما ينتابها من شتى الأمراض . ففحصها بعناية ، ثم أمرها أن تذهب فى الأسبوع التالى إلى مكان معين تجد فيه « علاجها » المطلوب .

ولما وصلت السيدة المسنة إلى موعدها ، أدهشها أن وجدته مستشفى يديره الطبيب لعلاج الفقراء . ورغب إليها الطبيب أن تصحبه فى دورته بالمستشفى ، وأخذ ينتقل بها من حجرة إلى حجرة تكدس فى كل منها مرضى مدنفون ، كثير منهم أشرف على الموت ، بين رجال ونساء وأطفال فى أدوار مختلفة من الضنى والسقم الشديد . وقبل أن يوفى بها على نهاية دورته بين هذه الحجرات بوقت طويل ، غمر الخجل وجهها ، فلما خرجت من المستشفى خلفت فيه الأثرة التى استغرقت روحها ، ولم تعد إلى التداوى أبداً .
[تشارلستون — ساوث كارولينا]

كثيراً ما يقضى الطفل الحديث المولد معظم ليله باكيا ، وما به من سوء ، ولكن الأم يضيق صدرها بعد منتصف الليل فتدعو الطبيب بالتلفون أن يأتى فى الحال .

وقد سألت طبيباً مشهوراً من أطباء الأطفال عما يفعل فى مثل هذه الأحوال ، فقال :

« الأمر بسيط . أسأل أى نوع من الصابون يستعملونه فى المنزل . وأيما نوع أجده أسألهم أن يستعملوا سواه ، وذلك يستغرق وقتاً . ثم أسأل الأب أن ينحت من هذه القطعة قلماً طوله بوصتان وقطره ثمن بوصة . هل حاولت ذلك قط ؟ وينكسر القلم منه دائماً نصفين فى أوائل محاولاته . فإذا دان له الأمر فى النهاية ، طلبت منهم أن يضعوا القلم فى مكانه المناسب ، ثم ينتظروه حتى يخرج . وإنه لأمر مضحك كما ترى ، ولكن مثل هذه الأقلام من الصابون تستقر حيث هى ساعات . ثم أقول لهم : « إذا خرج القلم ولما ينم الطفل ، فأخطرونى بالتلفون لآتى فى الحال ! » .

ثم أضاف : « ومنذ استعملت هذه الطريقة لم أتلق هذا الطلب الثانى قط » .
[باركلى — كاليفورنيا]

كيف أغرقت "الشارنهورست"



أروع ما كان فى هذه الحرب من صراع الدهاء بين رجال البحر



س . س . فورستر . . . ملخصة عن « سترادى ايفننج بوست »

ربما كان النازى على علم بتلك القافلة التى تشق طريقها إلى مرمنسك حول أقصى نقطة فى شمال النرويج ، وربما كانوا قد أنفذوا البارجة شارنهورست فى جوف الليل إلى تلك المنطقة القطبية عساها تقع على شئ فيها ، ولكنها خرجت على كل حال من مرساها فى خليج نرويجى ، وقد عقد لواؤها للأميرال باى .

توفرت لهذه البارجة — وحمولتها ٢٦٫٠٠٠ طن — جميع المقومات المطلوبة للاغارة على قافلة . فقد وضع تصميمها لتكون لسرعتها ٢٩ عقدة ، فهى أسرع من أية بارجة بريطانية ، ومدافعها الكبيرة تسعة من عيار إحدى عشرة بوصة ، فهى تبذّ أى طراد بريطانى ، ومدافعها الثانوية تتيح لها إذا ما توسطت قافلة ما أن تمعن فى إغراق سفنها كما يمعن الثعلب فى قتل الفراخ إذا ما تسلل إلى حظيرة الدجاج .

خرجت شارنهورست مساء يوم عيد الميلاد فى الوقت الملائم تماماً ، وقد أخذ الفجر يرسل ضياء شاحباً على مياه البحر المظلمة فى تلك الأصقاع الشمالية ، فالتقت بالقافلة ، وكانت حمولة سفنها قرابة نصف مليون طن ، وكان فى مكنة الشارنهورست أن تنزل بها من الضرر فى الساعة التالية ما يستطيعه أسطول الغواصات كله فى مدى ستة أشهر .

كانت القافلة البريطانية متجهة شرقاً على ١٥٠ ميلا شمال الرأس الشمالى ، وكان يحرسها من خطر الغواصات حلقة من سفن الكورفيت والمدمرات والسفن الحربية الصغيرة ، وكان للأميرال بيرنت — قائد الأسطول الحارس — ثلاثة طرادات هى بلفاست ونورفوك وشفيلد ، فعين لها مكاناً إلى الجنوب الشرقى من القافلة ، ومن هذه الناحية أقبلت بارجة الأميرال باى .

وتراءت الدارعة والسفن الحربية

س . س . فورستر أحد عظماء الكتاب البحريين . ولد فى القاهرة ونشأ فى لندن ، ودرس الطب ثم زاول الكتابة ، وقد كتب نحو عشرين رواية تاريخية وبحرية ، وكان حيناً ما مراسلا للتايمز . وقد بنى مقاله عن الشارنهورست على سجلات الأميرالية البريطانية

البريطانية ، على مسافة ستة أميال . وكان فى السفن البريطانيـة تلك العين الساهرة التى تحملها كل سفينة من سفن الأمم المتحدة — وهى عين تخترق حجب الظلماء، فترى فى ليل الأصقاع المتجمدة ومن خلال الضباب وعواصف الثلج — فكانت تسهر على سلامتها ، فأنذرت أول نذير ، وأخذت تبين مكان ذلك الدخيل الذى لا يكاد يشك فى أنه عدو ، وتنبئ بوجهته . وكانت المدافع تسدد وفقاً لإرشادها ، وضباط المدفعية ينتظرون اللحظة المناسبة لقذف نارهم . واستدارت القافلة بناء على أوامر القائد ، على حين انطلقت الطرادات الثلاثة إلى ملاقاة العدو .

وكان فى وسع مدافع شارنهورست الجانبية أن تقذف من القنابل ما يزيد وزنه على ما تقذفه الطرادات الثلاثة مجتمعة ، وإن طراداً تصيبه قذيفة مدفع قطره ١١ بوصة ولا يدمر ، لطراد مجدود ، على حين تذود دروع شارنهورست السميكة قنابل الطرادات عن أحشائها ، إلا ما أصابها عن كثب . فالصراع المقبل لا تعادل فيه ، ومع ذلك فقد اندفعت الطرادات الثلاثة نحو شارنهورست .

وفى نور ذلك الصباح — والشمس لا ترتفع فى ليل القطب فوق الأفق طيلة النهار — كنت ترى زبد الماء الذى يشقه مقدم شارنهورست المسرعة ، وإن غابت عن ناظريك أجزاؤها العليا المربدّة . وأطلق مدفع من الجانب البريطانى ، فارتسمت فى السماء قوس ساطعة من الضوء الأبيض ، قبل أن تنفجر القنبلة المنيرة فوق البارجة ، فأضاءت البحر حولها فى دائرة قطرها ميل ، وحين كان هذا النور متهادياً فى الفضاء معلقاً بهابطته ، أطلقت الطرادات نيرانها .

وصفرت القنابل فى انطلاقها . ورأى ضابط المراقبة فى الطراد نورفوك بمنظاره وميضاً باهراً أخضر على هيكل شارنهورست ساعة وقعت القنابل عليها . وكانت مدافع نورفوك من عيار ٨ بوصات ، ومدافع الطرادات الأخرى من عيار ٦ بوصات ، فمن المحتمل أن تكون شارنهورست قد أصيبت .

واستدارت الدارعة مسرعة فأخطأتها القنابل التالية ، ثم مرقت من الدائرة المنيرة حولها واختفت فى سُدْفة الفجر . ولقد قضى الأميرال باى نحبه ، فلن تعرف الدوافع التى حدت به إلى الفرار ، وليس من المحتمل أن يبلغ هيّابٌ رعديدٌ مرتبة إمارة البحر فى الأسطول الألمانى . ولعل باى كان ينفذ خطة وضعها من قبل . فالقافلة هى هدفه ، وقد عرف الآن أين كانت القوة الرئيسية

التي تحرسها ، ففي وسعه أن يقدر في شيء من الدقة أين سفن القافلة ، فليبتعد متلفعاً بالظلام ثم ليسدد إليها ناره .

وكان على أمير البحر بيرنت — على الطراد بلفاست — أن يحزر ما ينويه باى ، وأين يهاجم القافلة ؟ ومتى ؟ ففى طاقة بارجة سرعتها ٣٠ عقدة أن تدور حول القافلة فى ساعة ، وقد تهجم عليها من أية ناحيـة ، وتغرق منها فى ١٠ دقائق سفناً كثيرة . فعلى بيرنت وهو واقف فى المربأ العالى المكشوف على ظهر البارجة بلفاست ، ورشاش الماء يتطاير من حواليه وهى تمخر عباب البحر الزاخر بأقصى سرعتها — أن يقدر ويحكم التقدير ، ففي الخطأ خطر عظيم .

وفى منتصف الساعة الواحدة ، أى بعد ثلاث ساعات من اللقاء الأول فى الجنوب الشرقى ، عادت شارنهورست إلى الظهور فى الشمال الشرقى ، فألفت بيرنت وطراداته أمامها . فبيرنت قد أحكم التقدير ، أما ماجال فى خاطر باى حين لاح له شبح هـــذه الطرادات الثـلاثة العتيدة ، على حين كانت جميع الاحتمالات تشير إلى وجودها على بعد عشرين ميلا ، فيمكن أن نستشفه من خلال ما فعـل فى تلك اللحظة . فقـد أطلقت شارنهورست على غرة عدة مدافع دفعـة واحـدة ، فانفجرت قنـابلها على مؤخرة الطراد نورفوك ، ثم أدبر باى مسرعاً إلى قاعدته .

لم يكن باى يشك فى أن بيرنت قد أرسل منذ ثلاث ساعات إشارات لاسلكية إلى الأميرالية البريطانية وإلى الأسطول البريطانى الرئيسى ينبئهما بخبره ، ولم يكن يشك فى أن البريطانيين لن يتوانوا عن إرسال السفن والطائرات للهجوم على بارجة عظيمة مثل شارنهورست .

بل إن الخطر كان أعظم مما يتصور ، فعلى نحو ١٥٠ ميلا فى الجنوب الغربى منـه كانت قوة بحرية تسير مسرعة لتقطع عليه خط الرجعة — وهى قوة تستطيع أن تجعل سفينته ركاماً من حديد — وكانت مؤلفة من البارجة ديوك أوف يورك والطراد جاميكا المرافق لهـا وأربع مدمرات لحراستها ، وكان لواؤها معقوداً للأميرال السير بروس فريزر قائد أسطول الجزر البريطانية .

وينـدر من يعلم كم مرة نصبت البحرية البريطانية مثل هذا الفخ ، وكم مرة خرجت قوة مؤلفة من بوارج وسفن أخرى تشق طريقها إلى روسيا فى خط مواز لخط سير القافلة وعلى مسافة غير يسيرة منها ، عسى أن تلتقي بقوة نازية بحرية تخرج من النرويج . وهذا أول جزاء جوزى به العزم والمثابرة .

كانت البارجة ديوك أوف يورك على نحو

عشى ميل حين تلقت إشارة بيرنت الأولى ، وكانت شارنهورست تفوقها سرعة بضع عقد فى الساعة ، فعلى فريزر أن يضمن قطع الطريق بينها وبين قاعدتها ، فإن تعقبها وحسب شىء مقضى عليه بالخيبة من أول الأمر ، فاتجه إلى أقرب نقطة إليه تقع على خط مستقيم بين آخر مكان ظهرت فيه شارنهورست وقاعدتها .

ولما أرسل بيرنت إشارته الثانية ، بعد أن عادت شارنهورست إلى الظهور . عرف فريزر مكانها بدقة ، فهى لم تزل على ١٥٠ ميلا .

وآن الأوان لبيرنت أن يأتى بفريدة أخرى . كانت شارنهورست بعد أن أصابت نورفولك قد اتجهت جنوباً ، فبادر بيرنت يقتفى أثرها ، إذ كان يجب أن يحاط فريزر علماً بمسيرها ، فعلى بيرنت أن يظل متصلا بها . بيد أن الاتصال بارجة مدافعها من عيار ١١ بوصة أمر يسهل طلبه ويشق تنفيذه ، فإن فى طاقة تلك المدافع أن تصيب هدفاً وراء الأفق ، ولا يحتاج الأمر إلا إلى عدة طلقات دفعة واحدة تقع على أحد طرادات بيرنت لتغرقه .

وبعد ظهر ذلك اليوم الذى ساده القلق والانتظار لم يأت فريزر شيئاً يكشف عن مكانه . فإن همسة واحدة من جهاز الراديو على سفينته تكفى لتدل شارنهورست على وجود قوة بريطانية أخرى فى جنوبها . على أن الشكوك تبددت فجأة فى منتصف الساعة الخامسة ، إذ قطعت ديوك أوف يورك صمتها اللاسلكى بأمر من فريزر إلى بيرنت أن : « أضئ مكان العدو بقنبلة منيرة » ، وإذ ذاك أيقنوا أن فريزر كان على رمية منهم ، وان ضباط الملاحة على بارجته أحكموا التوجيه إلى طريدتهم ، وقد حسبوا حساباً دقيقاً لسرعة بارجتهم ، وسرعة تيارات البحر والرياح ، واستدلوا على مكان شارنهورست من بيانات بيرنت .

لقد خيم الظلام ، وشارنهورست على يسار فريزر ، والطراد بلفاست على ثمانية أميال يجد فى أثرها ، وانطلقت من أحد مدافع بلفاست قنبلة من نار بيضاء تعالت فى الفضاء الأسود ، وانفجرت عالية فأضاءت الظلمات بنورها الوهاج .

فى وسط ذلك الفيض من النور لاحت شارنهورست ، ورأى المراقبون وضباط المدفعية فى أسطول فريزر أجزاءها العليا بارزة للعيان مرتسمة على صفحة الأفق البعيد وصبت خمسة مدافع من عيار ١٤ بوصة نيرانها فى دوى صاخب منقطع النظير ، وقذفت ثلاثة أطنان ونصف طن من حمم الصلب والمواد المتفجرة على هدفها ، وظلت

القنابل تهدر فى الجو عشرين ثانية ، ومرت فى مسيرها المقوّس فوق إحدى المدمرات المرافقة للبارجة ديوك أوف يورك ، فسمعها مَن على المدمرة ، كأنها قطُر سريعة تنهب الأرض نهباً .

ووقعت القنابل قاب قوسين أو أدنى من شارنهورست ، فاستطار الماء أعمدة ذهبت فى الجو مئتى قدم ، وسجلت الطلقة التالية بعد نصف دقيقة إصابة مباشرة .

فأدار باى دارعته نحو اليسار ، وانطلق بها إلى الشرق مسرعاً يبتغى الأمان فى الظلام المخيم ، فاندفعت فى أعقابها البارجة ديوك أوف يورك . وأصيبت شارنهورست مرة بعد مرة ، بيد أن إصابتها لم تكن من الخطر بحيث تخفض سرعتها من فورها . وقبيل منتصف الساعة السابعة كانت شارنهورست خارج مرمى المدافع ، محطمة مهشمة تضطرم فيها النيران ، ولكنها آمنة — إلى حين — مدافع ديوك أوف يورك .

ولم تكد مدافع ديوك أوف يورك تسكت عن دمدمتها حتى التمع فى الأفق البعيد ضوء نيران المدافع من جديد . كانت المدمرات الأربع المرافقة للبارجة ديوك أوف يورك قد أدركت بسرعتها المتفوقة البارجة شارنهورست فهجمت اثنتان من اليمين واثنتان من اليسار لتسد طريق النجاة على باى قبل فوات الوقت.

وأطلقت شارنهورست نيران مدافعها الثانوية عليها ، فكان دفاعها يستوقف النظر ، فها هى ذى شعلة من اللهب الأحمر البرتقالى الخارج من فوهات مدافعها ، ومن هذه النواة المتأججة ينطلق عدد عديد من خطوط الرصاص القصّاص . على أنه من الصعب وقف مدمرات مندفعة بسرعة ٤٠ عقدة . وكانت شارنهورست إلى ذلك قد أصيبت إصابات بالغة ، فقد لحقت بمدافعها ونظام مواصلاتها أضرار لا ريب فيها ، فكانت نيرانها غير محكمة ، فلم تصب من المدمرات المطاردة إلا واحدة . وأغذّت المدمرات فى هجومها فلم تطلق طرابيدها سدًى من عشرة آلاف ياردة ولا من ستة آلاف ياردة ، وهى أقل مسافة يجب أن تكون بين مدمرة وبارجة تقذف النار ، بل اقتربت إلى مسافة ألفى ياردة منها أو أقل ، وسدّدت طرابيدها إليها ، ثم انثنت مبتعدة عن البارجة التى حان حينها .

أصاب شارنهورست عدد من الطرابيد إصابات مباشرة ، ولكنها ظلت عائمة على الرغم منها ، وظلت مدافعها تصب ناراً قوية كانت تخطىء الهدف فى أكثر الأحيان ، ولكن كان لها فى النفس وقع مهيب .

ونقصت سرعة شارنهورست ، فدنت البارجة ديوك أوف يورك إلى المرمى مرة

أخرى، وشرعت مدافعها من عيار ١٤ بوصة تدكها دكا . وكذلك دنا الطراد جاميكا المرافق لديوك أوف يورك إلى مسافة قريبة جدا من شارنهورست ، وفى الوقت نفسه وصلت إلى ساحة المعركة طرادات بيرنت الثلاثة وأربع مدمرات من المراكب الحارسة للقافلة . وفى الظلام الدامس أطبق على شارنهورست ما لا يقل عن ثمانى مدمرات وأربعة طرادات وبارجة كبيرة . وحينئذ حان الوقت لليد العليا المدبرة أن تتولى الأمر ، فصدرت أوامر الأميرال فريزر بلغة واضحة : « أفسحوا ميدان الهدف إلا من سفن الطربيد ومدمرة واحدة بنور كشاف » .

فانحرفت جميع السفن ما عدا اثنتين ، ووجهت مدمرة أنوارها الكاشفة إلى حطام شارنهورست ، وكأنها رماح مشرعة من النور الأبيض الناصع تنفذ فى الظلماء ، واقترب الطراد جاميكا للقضاء عليها ، واستدار نحوها وقذف عدداً من الطرابيد دفعة واحدة ؛ فانفجرت انفجاراً مريعاً حين أصابت الهدف .

وحين انقشع الدخان بدت شارنهورست آخر مرة مائلة على جنبها ، ولم تزل نيران ذخيرتها تندلع من جوفها ، ثم أطبق عليها الدخان مرة أخرى وغابت فى قرار اليم ، على حين هرعت الطرادات البريطانية إلى التقاط الناجين . على أن تلك النيران كانت قد أحرقت أكثر من ألف رجل .

ومن الصعب نقد الخطة الفنية النازية ، على أن الحقيقة الثابتة ، هى أن الدارعة شارنهورست خرجت فحطمت . وسيذكر البحرى النازى خلال الشهور القادمة ، إذا ما صدرت إليه الأوامر بالخروج إلى عرض البحر، جرافسبي وبسمرك وشارنهورست فيخرج على كرهٍ لا يعزِّز كفايته فى الكفاح.

منطوم براميل البيرة

دخل أحدهم مشرب بيرة ، وحين انتهى مما يريد شربه التفت إلى مدير المشرب سائلا : — كم برميل من البيرة تبيع فى الأسبوع ؟ — خمسة وثلاثين برميلا — فقال : أستطيع أن أدلك على طريقة تمكنك من بيع سبعين برميلا .

فقال المدير دهشاً : وما هى ؟ فقال الرجل : إملأ الأكواب !

جاك ماينر صديق البط الحميم



جون بيرنت تيجرت . . . ملخصة عن مجلة « ستردى ايفنج بوست »

ذات مساء ومنذ عهد قريب ، كان قناص هندى قمىء يدعى يوستو مونتيرو يدفع زورقاً له من صنع يده فى نهر مجدالينا فى جمهورية كولمبيا ، وإذا خمس بطات من الشرشير ينهضن طائرات ، فبادر مونتيرو ورفع بندقيته وأطلقها ، فسقطت إحداهن ، وفى ساقها حلقة فضية نقش عليها : « اكتب إلى جاك ماينر ، كنجسفيل ، أونتاريو ، كندا . ولنراقب بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة وفعل الخيرات (عب) ، أى الرسالة إلى العبرانيين ، ١٠ : ٢٤ » .

ولم يكن مونتيرو يعرف اللغة الإنجليزية فسارع يستشير محامياً فى برّانكيلا ، فعرفه أن الحلقة قد وضعها رجل يعيش على ثلاثة آلاف ميل ، ويشتغل بأمرين معاً : دراسة هجرة الطير ، وإذاعة المتون الإنجيلية .

قال المحامى : « اتبعنى ، ولنكتب إلى جاك ماينر هذا » .

كان كتابهما كتاباً من ثلاثين ألف كتاب وصلته منذ سنة ١٩٠٩ يوم حفر لأول مرة عنوانه على قطعة صغيرة من المعدن ، وطوق بها ساق بطة سوداء اسمها « كاتى » . وفى سنة ١٩١٠ قتل « كاتى » قناص بالقرب من أندرسون بولاية كارولينا الجنوبية وكذلك صار ماينر « الرائد الأول » لتطويق الطيور فى أمريكا الشمالية .

وقد يكون ماينر ، وهو فى الثامنة بعد السبعين ، أوسع الناس معرفة بالطيور القواطع . فقد لاحظ وهو فى بيته المتواضع بمقربة من كنجسفيل ، أن جدول ضيوفه من ذوات الجناح قد جعل يزداد ، من بطة واحدة هائمة على وجهها ، إلى خمسين ألف ينتظر أن يجئن كل حول . وقد جازته الطير ، كفاء ما قدم إليها من قوت ورعاية ، فزودته بمعلومات عن عاداتهن جعلته محاضراً مبرزاً ، ومؤلف كتب عديدة ، ومن أشهر رجال كندا المعروفين . وفى العام الماضى أهدى إليه الملك جورج وسام الإمبراطورية البريطانية ، جزاء كتابه فى الدجاج القواطع (أى المهاجر) .

إن ماينر عاشر عشرة أبناء ولدوا لأبوين فقيرين ، وبدأ حياته قناصاً يبيع

لذائذ الطير البرى « لذوى الثراء على الضفة الأخرى من النهر فى ديترويت » . ولما مهر فى إغراء الإوز والبط على الاقتراب من مرمى البندقية ، حمله حب الاستطلاع على أن يعرف كيف تعيش من موسم إلى موسم ، وإلى أين تطير ، وكيف تتزاوج فى الغالب وما مدى عمرها . ولم يزل ماينر حتى اليوم ، وقد طوق أكثر من ٠٠٠ر١٠٠ طير ، مولعاً بهذا العمل .

يبكر جاك وأحد أبنائه سحراً إلى المصيدة حيث تصاد الطيور لتطويقها ، وتمتد هذه المصيدة بطول بحيرة ماينر الصغيرة ، وتتألف من إطار بسيط صنعه بنفسه من أنابيب الماء مكسوة بالسلك . وقد جعلت فى الأصل لصيد الإوز ، إذ كانوا قد طردوا البط شيئاً فشيئاً إلى أماكن أخرى من أرض ماينر . وقد صنع جانبا المصيدة متحركين على مفصلات فيرتفعان وينخفضان ، وتتم الحيلة بأن تحبس فى الشرك عندما يكون أكبر عدد من الطيور مشغولا بالغذاء تحت الإطار .

وأول ما صنع جاك هذه المصيدة ، اتخذ دمى على هيئة الطير ليغرر بالطيور البرية . أما الآن فقد كثر الإوز حتى غطى سطح البحيرة فلم يصبح التغرير معضلة ، ولكن أن تدأب كل صباح على جمع ثلاثمائة طائر كلها صائح صاخب لتوضع فى غرائر خشنة ، لتفحص ، ثم تطوق ، أمر يتطلب رجالاً لا تفتر همته .

يقول جاك : « ويأتى بعد ذلك ألطف عمل نزاوله . فأنحدر أنا وأمى إلى المستودع حيث نقص الأطواق ، ونضع عليها كلمات من الإنجيل » . فيضعان عليها كل يوم من أيام الموسم عبارات مختلفة ، هى عندهم تاريخ لكل صيد .

ثم يقول : « خطرت ببالى فكرة وضع عبارات من الإنجيل يوماً ما بعد الظهر ، وكانت أمى تقرأ تقويماً اشترته من عذراء تخدم جيش الخلاص . فمضيت أفكر فى بعثاتهم التبشيرية فى أنحاء الدنيا ، ثم فى طيورى وفى الأماكن الغريبة التى تطير إليها ، فاقتنعت بأنه من الممكن أن تصبح من المبشرين ، وأن تكون زاداً للجسم والروح معاً » .

عندما تعد الأطواق الألومينية ، وعرضها بوصة ، تفحص الطيور بعناية ، لما عسى أن يكون بها من جراح أو أطواق أخرى وضعها ماينر : وأكثر من عشرين فى المئة من زوار ماينر ضيوف عائدة . أما كيف تستطيع إوزة تطير من خليج هدسون فى شمالى كندا ثلاثة آلاف ميل إلى لويزيانا ، أن تهتدى سنة بعد سنة إلى بحيرة مساحتها فدانان ، فأمر لم يستطع أحد حتى ماينر

نفسه أن يقطع فيه بحكم . يقول : « كل ما أستطيع أن أقول هو أنى لم أقع على إنسان بارع براعة إوزّة كندية » .

إذا حمل طائر طوقاً من أطواق ماينر خمس سنوات ، استبدل الطوق ، وبهذا يستطيع جاك أن يحدد بالدقة عمر الطيور. وأسنّ بطة صيدت فى « غرب فرجينيا » بلغت من العمر ٢٣ سنة . وبلغت إوزة كندية من الكبرعتيا ، إذ عمرت ٢٩ سنة.

وبعد أن يتم تطويق الطيور ، تفض مسز ماينرالبريد اليومى ، إذ تصل أكداس من الرسائل كل يوم . فطبيب فى سوث دا كوتا ، وتاجر فراء فى لبرادور ، وفلاح فى تنيسى — قد يرسلون أطواق جاك ماينر، سائلين عما يعلم عن طيورهم ، فيكتب ابنه « مانلى » لكل منهم كتاباً شخصيا .

ويستطيع جاك ، من الثلاثين ألف طوق التى ردّت إليه ، ومن دراسة السنين الطوال ، أن يتتبع مسالك الهجرة بدقة . وعنده مصورة جغرافية كبيرة لأمريكا الشمالية ، تدل كل علامة وضعت فى بقعة منها ، على المكان الذى قتلت فيه إوزة أو بطة تحمل أحد أطواقه . وتشير هذه العلامات إلى طريقين واسعين محدودين للطيران فى المحيط الأطلسى تعبرهما الطيور عاماً بعد عام .

يقول جاك : « الإوز فى طيرانه أصدق من البط ، فإنه يطير من هنا : إما رأساً إلى شاطئ كارولينا الشمالية ، وإما إلى لويزيانا عن طريق إلينوى. وغالباً ما يتوقف رسم الطريق الذى تتبعه على من تلتقى به هنا . فقد بلوت بعض أسر يهبطن أربع سنوات أو خمساً متتالية ، فى طريقهن إلى لويزيانا ، فيتفق أن تعقد الأم الكبيرة صداقة مع بعض أسراب من كارولينا الشمالية ، وقبل أن تدرك أنت ذلك ، تأخذ الأب والأفراخ وينهضن جميعاً نحو ذلك الاتجاه . وأياً كان الطريق الذى تتبعه ، فإنها تلاحظ اتجاه الريح ، وتعدل طيرانها بحيث تضرب الريح ذيولها فتساعدها على الطيران . ولم أر قط إوزة مهاجرة تستقبل بوجهها الرياح الشديدة . وهى تجدّ فى طيرانها بمعدل ٥٠ ميلا فى الساعة ، ولها جلد عجيب . وقد تطير بعض الأسر من هنا إلى جزيرة «بافن» — وهى مسافة تربى على ١٦٠٠ ميل — بدون توقف » .

سل جاك كيف يعرف أنها تطير بغير توقف ، فيجيبك ابنه مانلى : « لدينا آلاف من الأطواق ردت إلينا من منطقة خليج هدسون . ثم لم يصلنا من المنطقة الواقعة بين هذه الرحاب وكنجسفيل غير ستة أطواق . وقد دلت الكتب المرسلة

معها على أن هـذه الطير قد قتلت بطلقة سددت إلى سرب كبير من الإوز وهو فى طيرانه » .

وبينما تجد أن بحيرته الصغيرة تكاد تغصّ بزوارها الآن ، فإن محلة جاك لم تكن دائماً مشهورة كل هذه الشهرة . فقد ظل ينزل بها البط سنوات عديدة ، حتى فكر فى سنة ١٩٠٤ ، أن يجتذب بعض الإوز ، فوضع فى البحيرة سبع إوزات أليفات ليكنّ بمثابة الدمى ، وأذاع فى جيرانه فخوراً أن الإوز سيهبط يوماً ما ، ولكن لم يهبط إوز ما . وترقبها أربع سنوات طوال ، حتى إذا جاء يوم من إبريل سنة ١٩٠٨ هبطت إحدى عشرة إوزة كندية مؤيدة قوله . فأطعمها ، وبعد ثلاث أسابيع تابعت طيرانها وعدن فى السنة التالية ومعهن خمس عشر إوزة أخريات . وفى السنة التالية هبط عليه أكثر من أربعمائة ، ومن يومئذ يزداد عددهن .

واليوم ، بمساعدة الحكومة الكندية وجماعة أصدقاء الصيادين ، يقف جاك الأربعمائة فدان التى جعلها حرماً للطير ، على إنتاج الحنطة التى يعون بها زائراته من ذوات الجناح . ولقد وقفت معه يوماً أرى الطيور تتناول طعامها فسألته : أيهما أحب إليك : البط أم الإوز ؟ فقال :

« عجباً ! أحبهما جميعاً ، ولكن البط مولع باللهو ، فإن ذكوره لا تكاد تنتهى من التقرب من فتاة حتى تنظر إلى أخرى . وذلك على عكس الإوز ، وبخاصة إوز كندا ، فإنه يلزم الوقار ، ويحتمل التبعات ، ولا يقاتل إلا والقتال ضربة لازب ، فإذا قسر على خوض المعركة ، فإن غضبه عنيف أليم . ولا يوجد رب أسرة أحق من إوز كندا . فإنه لا يتخذ أكثر من صاحبة واحدة طوال حياته ، ويستميت دفاعاً عنها وعن صغارها » .

قال جاك : « من أرقّ الشخصيات التى بلوتها إوزة كندى . فقد خرج بعض الصبيان يصطادون ذات يوم ، وأطلقوا النار على أسرة عدتها خمس إوزات ، فقتلوا ثلاثاً ، وكسروا جناح ذكر منها ، وفرت واحدة . فسألتهم أن يمنحونى ذلك الذكر المكسور الجناح ، وجهدت حتى ربطت الشرايين المتهتكة ، وبترت جزءا من جناحه . ولما وضعته فى الخارج ثانية ، رأيت إوزّة آخر يحوم حول البيت ، وهو يصيح كأن قلبه يكاد ينفطر . فلما اتجه المريض نحو البركة حيث كان بها ما لا يقل عن ألف من الإوز تصخب وتصيح ، رفع رأسه مرسلا صوتاً ضعيفاً ، فهبط إليه الإوزة الحائم ، ومنذ ذلك الحين لم يفارق ذلك الزائر أخاه الكسيح لحظة واحدة . نعم ، إنه لم يطر ثانية ونسى حرياته التى تغمره بها

هذه القارة الرحيبة،ليعيش مختاراًفي الأسر».

أما عمل جاك فى جبر العظام فقد نجح ، حتى إنه يدير الآن مستشفى للطير . ولقـد عمـد إلى لوح كان يستعمل لـكي الملابس وجعـله مائدة لإجراء العمليات ، فيضع الجبـائر على السوق المهشومة ، ويصلح الأجنحـة المهيضة ، ويسـتخرج رصاص البنـادق . وعنـده فى العـادة أربعون أو خمسون مريضاً تحت العلاج ، أوفى طور النقـاهة . ويلوح أن الطيور تدرك معنى « المستشفى » ، فمع كل صباح تقريباً يجد جاك ، خلال فصل الهجرة ،ثلاث إوزات أو أربعاً من حجيجه مصابات ، وهن يحاولن دخول فنـاء المستشفى . وهـذه ظاهرة تقنع بأن الإوز تحسن بعض الإحسان أن تتكلم وتتفاهم ، ذلك بأن قليـلا من هذا الإوز من دخل ذلك الفِنـاءَ من قبل .

ومنـذ قريب عود أحد أصـدقاء ماينر إوَزّة كبيراً على أن يتبعه ماشياً أكثر من خمسة أميـال إلى باب المستشفى وحدث مرتين أن طار إوزتان فىغيرموسم الهجرة طلباً للعلاج . وكان أحدهما مجروحاً جرحاً شديداً فى صدره ، فسقط من الجو ميتا على مقربة من الروشن الخلفى فى بيت ماينر ، ذلك بأنه وصل بعد فوات وقته .

وحين يطوف ماينر فى أرضه ، وجيوبه مفعمة بالحب لطيوره ، يرى أنه قدحقق حلم حيـاته . ولـكن لا يزال له أمل واحد ينشده ، هو أن يخصص لملجاءِ طيره فى كنجسفيل هبة، حتى تظل بعد موته البيت العالمى لذوات الجناح

لقد أسست وزارة الداخلية فى الولايات المتحـدة سلسلة من الملاجئ على غرار محلة ماينر،من حدودكندا إلى الخليج (مكسكر). ويقول ماينر : « إن الملاجئ أوفى بالوقاية من نظام حماية الصيد ، وينبغى أن يكون لنا مصدر غزير للصيد فى هـــذه القارة أعواماً طوالا » .

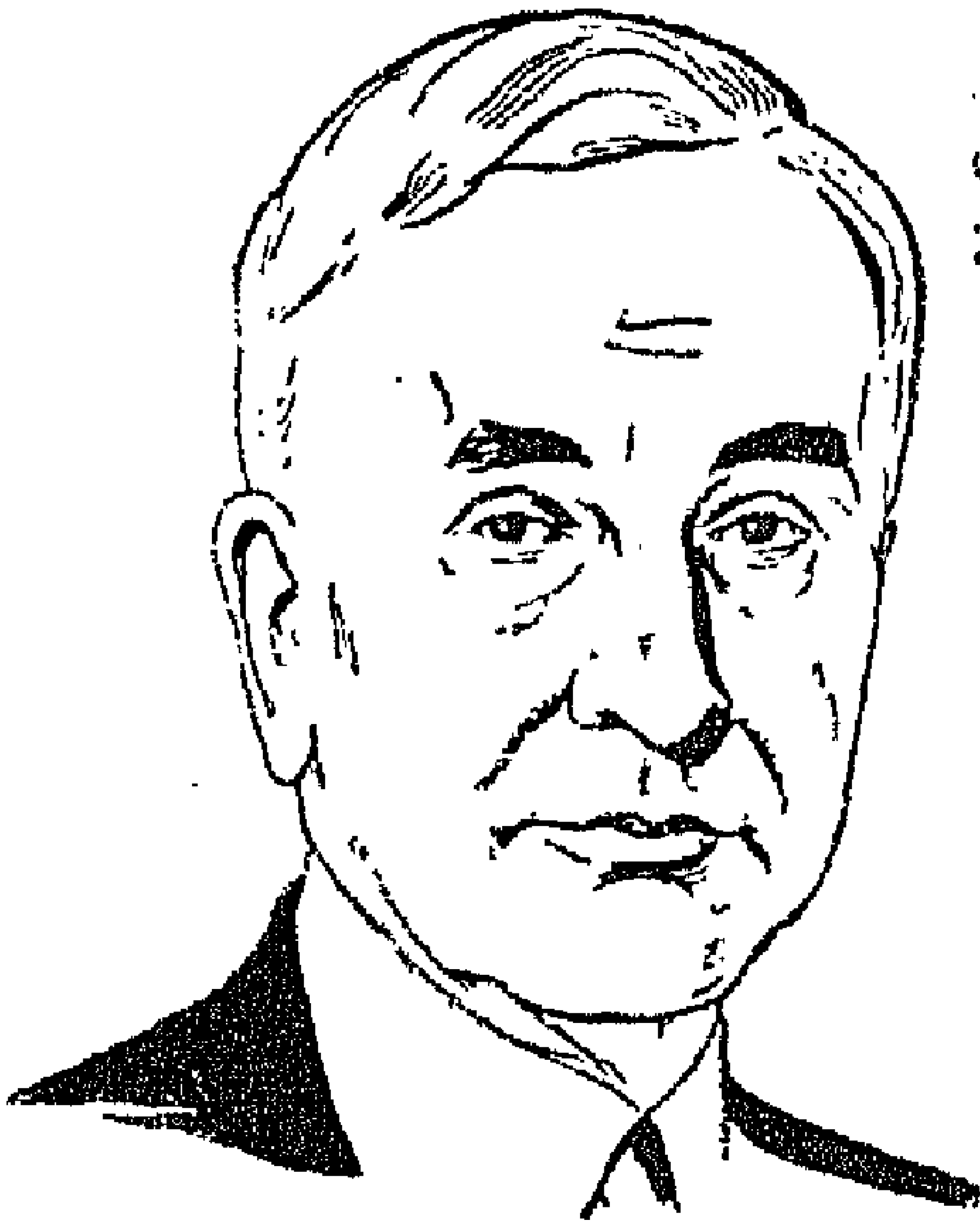


بعد الحرب

أما وقد استقرت الحال فى جزيرة وادى الـكنار ، فإن الوقت متسع للبحث فى أغراض الحرب . وقد قال لى نفر غير قليل من الجنود ، بلهجة اليقين ، إنهم يقاتلون لـكى يستوثقوا ، حين يعقـد الصلح ، من منح اليابانيين جزيرة وادى الـكنار ، وإرغامهم على سكناها .

[أيرا ولفرت في : « ذى أمريكان مركيورى »]

احتدم الجدال حول السياسة الخارجية الأمريكية. وهذه حقائق — بعضها ينشر للمرة الأولى — تساعد على تفهم تلك السياسة



ضوء على سياسة وزارة الخارجية الأمريكية

كنجز برى سميث

مراسل شركة الأنباء الدولية فى وشنطن

لم تزل وزارة الخارجية فى عهد رئاسة روزفلت موضوعاً لكثير من الجدال العنيف، فزعم النُّقاد أن إدارة الوزير كوردل هل للشئون الأمريكية الخارجية قد أفضت إلى إخفاق محزن، وقال المدافعون عنها: إن وزارة الخارجية ضحية لفئة من الكتاب المتحمسين، الذين يرون أنه ينبغى للولايات المتحدة أن تتولى إصلاح العالم.

ولقد يكون فى وسع المؤرخ المحايد، فى المستقبل، أن يدلى برأى واضح، بعد أن يكون مر الزمان قد لطف من حدة هذه السنين. أما اليوم فلا بد لنا من أن نحكم على وزارة الخارجية بالنتائج التى نبصرها بأنفسنا.

وأهم المسائل فى سياسة أمريكا الخارجية التى ثار حولها الجدال: سياسة أمريكا الخاصة بشئون أوربا قبل الحرب، والعلاقات مع اليابان، والسياسة الخاصة بالفرنسيين، وموقفها من الأسبان، والسياسة الخاصة بأمريكا اللاتينية، ووضع الخطط لما بعد الحرب.

اتهمت وزارة الخارجية بأنها لم تبذل إلا مجهوداً ضئيلا لمنع الحرب، التى قد دنا وقوعها فى أوربا. ومع ذلك فإن أول عمل قام به هل، حين عين وزيراً للخارجية سنة ١٩٣٣، أنه وضع برنامجاً واسع النطاق للتجارة الدولية، من شأنه أن يقضى على تلك الحرب الاقتصادية التى كانت دائرة يومئذ بين أمم العالم. بادر هل — وهو الذى ظل يدعو طول حياته للتجارة الحرة — فقام ينادى متحمساً بأن تتاح للجميع فرص متكافئة فى التجارة. وقد أنذر مراراً بأن الحرب واقعة لا محالة إذا لم تكف كل أمة عن إقامة الحواجز التجارية فى طريق أخواتها. فلما رفض أدولف هتلر أن يعاون فى الأمر، ألغت أمريكا اتفاقها التجارى مع ألمانيا، فكان هذا العمل خطوة من الخطوات التى انتهت بقطع كل صلة بالنازيين

وكذلك هوجمت وزارة الخارجية لأنها لم تقم بفرض العقوبات على إيطاليا ، يوم غزا موسوليني أرض الحبشة سنة ١٩٣٥ ، وما وقف هل موقفه هذا إلا لأن الشعب الأمريكي لم يكن يريد أن تتورط الولايات المتحدة في أمر الحرب الأوربية . ومضت وزارة الخارجية في سياسة الحياد الدقيق ، فأيدت الاتجاه إلى منع الأسلحة عن كل من إيطاليا وإثيوبيا ، واتبعت سياسة مماثلة لهذه في الحرب الأهلية الإسبانية .

أما أن يكون هذا الموقف خطأ أو صواباً فذلك أمر قابل للمناقشة . والمحاولة التي قامت بها دول المحور لفتح العالم ، كان من الجائز أن تقتل في مهدها ، لو أن الدول — التي أصبحت فيما بعد الأمم المتحدة — استطاعت أن تشترك في عمل حاسم للقضاء على العدوان . ولكن ماذا كان يكون موقف الكنجرس والشعب الأمريكي لو أن وزارة الدولة اجترأت فأقحمت الولايات المتحدة في سياسة ترمي إلى تحدى كل من ألمانيا وإيطاليا في أسبانيا سنة ١٩٣٦ ؟ لقد اتهم الرئيس روزفلت والوزير هل بأنهما من تجار الحرب ، يوم قاما يحذران الأمة من خطر الدكتاتوريات وحسب .

فإذا كان «هل» مخطئاً عند ما حاول أن يتجنب التورط في جرائر حرب إسبانيا الأهلية ، فكذلك كانت الكثرة العظمى من الشعب الأمريكي . وكانت المغالطة السائدة بين الناس في ذلك الوقت مؤداها أننا نستطيع أن نظل بعيدين عن الحرب إذا لزمنا خاصة شئوننا . ووظيفة وزارة الخارجية في إدارة الشئون الخارجية هي أن تعبر عن إرادة الشعب الأمريكي ، ولم يزد «هل» على أن قام بهذا الواجب .

واتهمت وزارة الخارجية بأنها لم تتخذ موقفاً قويا سنة ١٩٣٨ حيال اتفاق التهدئة الذي باعت فيه بريطانيا وفرنسا جمهورية تشكوسلوفاكيا بيعاً رخيصاً ، لكي تكسبا الوقت اللازم للتسلح لحرب ألمانيا . ولكن من نحن حتى نقول لبريطانيا وفرنسا — وهما في حالة ضعف محزن — أن تجازفا بشن الحرب على قوة ألمانيا الحربية العظيمة يومئذ ؟ وهل كان في وسع وزارة الخارجية عندئذ أن تؤكد لهما أن الولايات المتحدة ستشاركهما في الحرب لكبح جماح هتلر ؟ إن الشعب الأمريكي لم يكن معارضاً للحروب « الخارجية » فحسب ، بل إن الجيش الأمريكي نفسه كان يومئذ في حالة يرثى لها من قلة العدد والعدة .

وتهمة أخرى نسبت إلى وزارة الخارجية ، هي أنها عجزت عن أن تدرك أن الحرب آتية . والحقيقة أن وزارة الخارجية ، قبل

وقوع الحرب ببضع سنين ، كانت تأتيها من ممثلينا السياسيين ، النذر بخطر وقوع حرب كبيرة لا فى أوربا وحدها ، بل وفى الشرق الأقصى أيضاً . ففى سنة ١٩٣٢ — أى قبل مهاجمة اليابان لبيرل هاربور بتسع سنين — أبلغ يوسف جرو ، سفير الولايات المتحدة فى طوكيو أن « أداة الحرب اليابانية قد صنعت للحرب ، وأن شعورها متجه إلى الحرب ، وأنها ترحب بالحرب » .

وفى سنة ١٩٣٣ ذكر جورج مسرسميث — وهو يومئذ قنصل أمريكا العام فى برلين — أن الرجال الذين يسيرون دفة الحكومة الألمانية قوم : « ذوو نفوس مريضة ، وأن الأمة الألمانية قد ولت وجهها شطر أهداف لابد أن تخلق مواقف مخوفة على السلم العالمى » . وعاد السفير جرو مرة أخرى فأرسل من طوكيو ينذر بأن موقف اليابان خال تماما من التمويه والمخادعة ، فرجال الجيش والجمهور اليابانى ، كلاهما مستعد للقتال ، ويفضل الحرب على الخضوع لأى تأثير — أدبى أو غير أدبى — آت من قبل الدول الغربية .

وقد أحيط الشعب الأمريكى علماً بنذر الخطر هذه . فقد ألقى الوزير «هل» خطاباً فى وشنطن فى يوم ٥ مايو سنة ١٩٣٥ ، أنذر فيه بأن روحاً حربية قد أخذت تنمو فى الخارج ، وأنها قد تفضى بسهولة إلى الحرب . وأن « من الخطأ ومن الإجرام أن تظل الدول المتمدنة زمناً طويلا بعد اليوم دون أن تتنبه إلى هذه النزعات الخطرة الموجودة فى الوقت الحاضر » . وبعد ذلك بشهر قال فى خطبة ألقاها فى وليمسبرج بفرجينيا : « إن هنالك أسباباً تبعث على أشد القلق » .

وفى النصف الأول من سنة ١٩٣٥ ذكر مسرسميث فى تقاريره — وقد أصبح وزير أمريكا فى النمسا — أن هتلر مستول على أوكرانيا ولا بد ، وأن من الراجح أن هناك اتفاقاً ، إن لم يكن تحالفاً ، بين ألمانيا واليابان . وقبل أن يلم العالم بخبر هذا التحالف ، كان هل وأصحابه قد حزروا وجوده ، ورسموا خططهم طبقاً لذلك . وقد حدث مرة فى اجتماع خاص مع مندوبى الصحف أن سأله بعضهم ، هل كان هنالك تفاهم سرى بين ألمانيا وإيطاليا واليابان . فقال هل : « لست أعلم شيئاً على اليقين ، ولكنى كلما جذبت ذنب أحدهم ، عوى صاحباه » .

وبعد أن شبت الحرب فى أوربا ، كرر هل التنذير بالخطر الذى يهدد الولايات المتحدة ، ففى أغسطس سنة ١٩٤٠ قال : «ليس على أمتنا خطر أكبر من أن نفرض أن تيار الفتح والغزو لن يبلغ ، بحال من الأحوال ، أى جزء حيوى من شق

العالم الذى نعيش فيه » . وبعد ذلك بثمانية أشهر دعا الشعب الأمريكى أن ينهض بكل قوته « لكى يضطلع بالعبء الضخم فى تزويد الأمة بأكمل عدة تلزمها للدفاع عن نفسها » . أما تحذيره بعد ذلك لرجال وزاراتنا وللسفير البريطانى بأن اليابان « قد تتحرك فجأة ، وبكل ضرب من ضروب المباغتة » ، فهى من المعلومات التى يعرفها جميع الناس .

وقد قال هل حديثاً كلمة يفسر بها قلة اكتراث الشعب الأمريكى لأقواله : « لئن كانت هذه النذر المتتابعة لم تنجح فى التأثير فى طائفة من قومنا ، فإن هذا الإخفاق يرجع إلى أن عدداً كبيراً جداً من شعبنا كان يومئذ مؤمناً أشد الإيمان بأن هذه البلاد لا يتهددها ، ولا يمكن أن يتهددها ، خطر محقق من الحروب الخارجية ، وأن الأمة إذا أرادت أن تظل بعيدة عن الحرب فما عليها إلا أن تظل فى بلادها ، وأن تعنى بخاصة شئونها » .

غير أن وزارة الخارجية بوجه عام كانت مؤمنة بأن الحرب مع المحور آتية لا مفر منها ، وكان الهدف الأول الذى ترمى إليه الوزارة هو اكتساب الوقت ، حتى تتمكن الدولة من أن تتسلح ، وحتى ينتبه الشعب إلى الخطر الداهم . وكانت شحنات البترول والحديد المستعمل التى أرسلت إلى اليابان — وقد كانت موضوع نقد كثير — جزءاً من تلك السياسة . وقد حذرنا سفيرنا جرو بأن رجال الحرب فى اليابان قد هددوا بشن الحرب ، إذا نحن منعنا عنهم تلك الشحن ، وقد صدقت الحوادث قوله .

وقد تعرضت وزارة الخارجية للنقد اللاذع جهاراً على سياستها نحو الحكومة الفرنسية فى فيشى بعد انهيار فرنسا . ومع هذا فإن الوقائع تثبت الآن أن تلك السياسة كانت من أعظم الانتصارات ، التى أحرزتها أمريكا فى أثناء هذا النزاع الدولى .

ما حقيقة الموقف يوم سلمت فرنسا ؟ كانت بريطانيا واقفة وحدها تحول بين ألمانيا وبين السيطرة على المحيط الأطلسى والبحر المتوسط . وفى ساعة ذعر خشيت بريطانيا أن يقع الأسطول الفرنسى فى أيدى الألمان ، فبادرت تهاجمه فى وهران ، وبهذا العمل أثارت الكراهية فى نفوس الفرنسيين . فلم يكن بد من أن تأخذ أمريكا على عاتقها منع الأسطول الفرنسى ، والقواعد البحرية والجوية من الوقوع فى قبضة الألمان .

ولم يكن لدى الولايات المتحدة ما تقدمه لفرنسا المهزومة سوى الثقة بما بيننا من روابط الصداقة المتوارثة . فتقرر إرسال

الأميرال ليهى لكى يحرض المرشال هنرى بيتان على الثبات ، واتخاذ موقف حازم أمام مطالبة الألمان بالأسطول الفرنسى والقواعد الإفريقية . ونجح ليهى فى مهمته ، ولو قد أخفق لاستطاع هتلر أن يسيطر على طريق المحيط الأطلسى الجنوبى ، المؤدى إلى شق الكرة الغربى ، ولما كان من المستطاع إنزال الجنود الأمريكيين فى شمال إفريقية فى نوفمبر سنة ١٩٤٢

وفى أثناء هذه المدة الحرجة تعرضت وزارة الخارجية لضغط شديد ، لكى تقطع صلتها بحكومة بيتان ، والجنرال ديجول يطالب بالاعتراف بهيئة فرنسا المحاربة حكومة مؤقتة لفرنسا . ولم يكن فى وسع وزارة الخارجية أن تعترف بحكومتين فرنسيتين فى وقت واحد . والتمس رئيس الوزارة البريطانية ونستن تشرشل من الولايات المتحدة أن تمضى فى سياستها ، ففعلت .

ولقد أشيع عن وزارة الخارجية أنها ، هى وحدها ، التى أبت أن تعترف بنظام ديجول حكومة مؤقتة لفرنسا ، مع أن النص الكامل ، الذى لم ينشر إلى الآن ، للرسالة التى وجهتها الحكومة البريطانية إلى ديجول فى نوفمبر سنة ١٩٤٠ كان كما يأتى :

« إن حكومة صاحب الجلالة مستعدة لأن تعترف بأن اللجنة القومية لفرنسا الحرة تمثل جميع الفرنسيين الأحرار الذين انضموا إلى حركة فرنسا الحرة لتأييد قضية الحلفاء فى حيثما وجدوا ، وأن تتصل باللجنة فى جميع المسائل التى تتطلب التعاون مع حركة فرنسا الحرة ، ومع الأقطار التى انضوت تحت لواء فرنسا الحرة . ولابد لى (المستر إيدن) وأنا أبلغكم هذا أن أذكر أنه يجب أن يكون بيناً لكم أن حكومة صاحب الجلالة لم تتخذ أى وجهة نظر خاصة فى الشئون الدستورية والقانونية المختلفة المتعلقة بهذا الأمر . ومع أن حكومة صاحب الجلالة سعيدة بأن يكون لها ممثلوها لدى الفرنسيين الأحرار ، فإنها لا تستطيع أن يكون لها ممثل دبلوماسى لديكم ، أو أن تقبل ممثلا دبلوماسياً من قبلكم ، لأن هذا معناه الاعتراف بكم دولة ذات سيادة » .

وبرغم هذا الموقف الذى وقفته الحكومة البريطانية ، كان اللوم كله يوجه إلى وزارة الخارجية فى الولايات المتحدة ، بأنها هى العامل الأول فى عجز ديجول عن الحصول على الاعتراف بحكومته .

وحين كان تشرشل فى وشنطن فى شهر مايو من العام الماضى ، بحث موضوع العلاقات الأمريكية البريطانية مع الفرنسيين الأحرار بحثاً شاملا . وبعد عودته إلى لندن وزعت على الصحف مذكرة تشرح موقف

إنجلترا حيال الفرنسيين الأحرار. وجاء في هـذه المذكرة أن لديجول فيما يبدو نزعات دكتاتورية، وأنه يحاول أن يحدث الشقاق بين بريطانيا وأمريكا، وأنه حيثما ذهب ترك وراءه روح البغض للإنجليز، وأنه قد أثار الاضطراب على البريطانيين في سوريا، أي أنه يسعى لتزكية الوطنية الفرنسية على حساب الحلفاء وسمعتهم. وقـد أوصيت الصحافة البريطانية أن لا تسمح للفرنسيين المحاربين بأن ينقضوا الروابط التي تصـل بريطانيا والولايات المتحـدة، وكانت نتيجة هـذا الإجراء أن أصبح ديجول بالتـدريج أدنى إلى روح التعاون، أما اليوم فقـد تحسنت علاقاتنا به تحسناً كبيراً.

وحكومة وشنطن لا تود التخلص من ديجول، برغم كل دعاية تذيع خلاف هذا، فقـد أصبح اسمه في فرنسا رمزاً لمقاومة الألمـان. وإذا أراد الشعب الفرنسي أن يختار ديجول زعيما له بعد الحرب، فذلك من خاصة شئونه، ولـكن وزارة الخارجية لا تريد أن ترى الشعب الفرنسي يلقي التبعة على الولايات المتحدة، لأنها فرضت عليه ديجول أو أي شخص آخر، بل تريد أن يكون الشعب الفرنسي حراً يختار من يشاء.

وتعرضت وزارة الخارجية إلى نقد عنيف كل العنف، من أجل السياسة التي اتبعتها مع إسبانيا التي يتزعمها فرانكو، حتى ذهب بعض النقاد إلى أن في وزارة الخارجية عصبةً من الرجعيين الذين يميلون إلى الفاشية، وقد اجتهـدوا في تدعيم حكومة فرانكو المتداعية، باتباع سياسة الملاينة والمصانعة.

نعم إن وزارة الخارجية لم تحاول إكراه إسـبانيا على دخول الحرب مع الحلفاء، وصحيـح أيضاً أننا بذلنا المساعدة المادية لتلك الدولة. ولـكن لماذا؟.. لقد كانت سياسة وزارة الخارجية مبنية على إرشادات حربية صادرة من هيئة أركان الحرب، وهي تمثل السياسة الحربية المشتركة لكل من بريطانيا وأمريكا كما قررها رؤساء القيادة العسكرية المتحدة، وأقرها كل من الرئيس روزفلت ومسـتر ونستن تشرشل. فالقيادة العليـا أرادت أن تظل إسبانيا بعيدة عن الحرب، وأن لا تنضم إلى أحد المعسكرين.

فكان على وزارة الخارجية واجب مزدوج وهو أن تبقى إسبانيـا بعيدة عن الحرب، وأن تمنعها من مساعدة ألمانيا النازية. وقد استطاعت حتى اليوم أن تبلغ غرضها الأول، كما قطعت مرحلة كـبيرة في سبيل تحقيق الهدف الثاني.

ولو قد حاولت الولايات المتحدة إسقاط حكومة فرانكو، وإقامة حكومة جمهورية تميل إلى الحلفاء، لدخلها الألمان غازين،

والقيادة العليا الأمريكية والبريطانية ليست راغبة فى إقحام شبه جزيرة إيبريا فى دائرة الأعمال الحربية .

أما الغرض الذى ننشده من المتاجرة مع إسبانيا ، فهو أن نستبقى فى تلك الدولة روح الاعتماد على الولايات المتحدة وبريطانيا . واليوم أصبح معظم تجارة إسبانيا مع أمريكا وإنجلترا ، بعد أن كان مع ألمانيا وغيرها من دول أوربا . ولو قد منع الإسبان من المتاجرة معنا ومع البريطانيين لانصرفوا عنا إلى الألمان . ومع هذا فإننا لم نعط إسبانيا شيئاً من غير مقابل ؛ وقد استطعنا بإقدامنا على الشراء ، أن نمنع ألمانيا من إحراز مواد حربية ضرورية لها من إسبانيا .

وبعد ، فلنلق نظرة على بعض النتائج الملموسة المترتبة على سياسة المصانعة المزعومة التى اتبعتها وزارة الخارجية مع إسبانيا . ومع أن بعض الامتيازات العظيمة الخطر التى أمكن الحصول عليها من فرانكو لا يمكن إفشاء خبرها الآن لأسباب تتصل بالأمن ، فإن من الممكن الآن أن نذكر للمرة الأولى مثالا ينطوى على مساعدة حربية قيمة . فحين كانت معركة تونس تدور رحاها ، عاونت حكومة إسبانيا الولايات المتحدة بأن سمحت أن ينقل إلى شمال إفريقية ٢٠٫٠٠٠ فرنسى فى سن الجندية ، هربوا من فرنسا لاجئين إلى إسبانيا ، والقانون الإسبانى يعد دخول هؤلاء الفرنسيين مخالفا لأحكامه ، ويقضى باعتقالهم ، ولكن إسبانيا بادرت بتسليمهم إلى السلطات الأمريكية فانضم أكثرهم إلى صفوف الفرنسيين المحاربين .

وبتأثير الإنجليز والأمريكيين ، عزل فرانكو عن وزارة الخارجية صهره سرانو سونير ، زعيم الحزب الإسبانى الذى يميل إلى المحور . واستطاعت أمريكا — بمنع شحن البترول عن إسبانيا — أن تضطر فرانكو إلى أن يخفض ما كان يصدره إلى ألمانيا من معدن الولفرام ، وهو عنصر مهم فى صناعة الأصناف الجيدة من الفولاذ . كذلك سلم فرانكو إلى الحلفاء ست سفن إيطالية كانت محجوزة فى المياه الإسبانية ، وأمر بإقصاء رجال التمثيل السياسى فى طنجه فى مراكش الإسبانية ، وكانت من قبل مركزاً لنشاط التجسس النازى . ولم يعمل فرانكو هذه الأشياء كلها لأنه يعطف على الولايات المتحدة وبريطانيا ، بل عملها تحت ضغط السياسة الأمريكية البريطانية . وهى نتيجة مدهشة تأتى من قبل رجال المصانعة المزعومة فى وزارة الخارجية .

ولننظر الآن فى سياسة وزارة الدولة فى أمريكا اللاتينية : قبل نشوب هذه الحرب

كانت الخطوط الجوية التي يسيطر عليها الألمان والطليان تغطى قارة أمريكا الجنوبيـة ، وكان أكثر جيوشها قد دربه ضباط ألمان ، وفي كل من الأرجنتين والبرازيل وشـيلي جاليات كبيرة العدد من الألمان والطليان . فكانت أمريكا الجنوبيـة أرضاً طيبة لإنشاء « جبهة ثانية » ضد الولايات المتحدة .

وكان من الضرورى استمالة جمهوريات أمريكا اللاتينية ، وتطهير القارة الجنوبيـة من وكلاء المحـور . وقد تكلم عضو مجلس الشيوخ الأمريكي كنث ماك كلر حديثـاً ، مستشهداً بالمعلومات التي استقاها من وزارة الخارجية، فقال لزملائه أعضاء مجلس الشيوخ في الولايات المتحـدة : « إن اليابان كانت تتوقع أن تنزل جيوشها على السواحل الغربية على حين ينزل الألمان والطليان على السواحل الشرقيـة في أمريكا الجنوبية » . ثم قال : « إنهم لم يفعلوا ، ولن يفعلوا » ولكن لماذا ؟ لأن الحكومة الأمريكية استطاعت أن تحصل على مؤازرة أمريكا اللاتينية كلها ضد العدو ، وأن تحصل على قواعد حربية عظيمة الخطر في معظم أقطار أمريكا اللاتينية .

نعم ، قد وقعت أخطاء ، وكان إسراف وتبذير ، ولكن النتائج السياسية تبعث على الرضى التام .

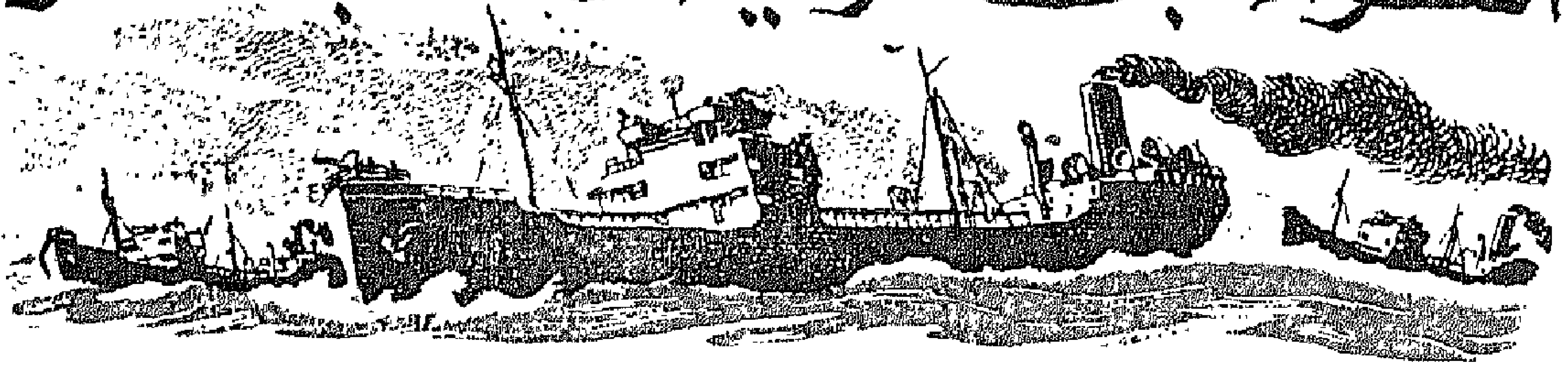
أما الخطط التي رسمتها وزارة الخارجية لإنشاء نظام عالمي جديد بعد هذه الحرب ، فقد قيل إن الوزارة أخفقت في الحصول على ما ينبغي من الاحترام للحريات الأربع . ولكن يجب أن نذكر بأن ليس الهدف الأول الذى يرمى إليه هل بعد الحرب هو الكمال العاجل في الشئون العالمية ، بل السلم الدائم المبني على التعاون الدولي .

وقد أدرك هـل أن اتحاد السوفيات من أعظم دول العالم اليوم ، وأن معاونتـه ضرورية للمحافظة على السلام . ولقد كانت المسألة ذات الخطر الأكبر قبل مؤتمر موسكو هي : هل تقبل روسـيا على التعاون ؟ أو ترى ستالين سيمضى في طريقه ، متبعاً سياسة الثورة العالمية ضد الرأسمالية ؟ وفي موسكو نجح هل في حمل ستالين على أن يعد بالتعاون وأمكنه أن يحمل بريطانيا وروسيا والصين على قبول تلك المبادىء الأمريكية التي تصلح — إذا طبقت بأمانة — أن تكون أساساً لنظام عالمي أجمل وأحسن .

إن العُقاب الأمريكي الحازم الهرم ، الذى يشرف على سير الأمور في وزارة الخارجية ، قد لا يمتـد به العمر حتى يرى مبادئه كلها تطبق بكل أمانة في هذا العالم ، ولكنه قد أدار دفة السياسة الخارجيـة الأمريكية ، ووجهها نحـو طريق سيذكره الخلف بالحمد والثناء .

خطر لمهندس بريطاني يوماً ما خاطر . . . فإذا —

الهواء جدار يصد البحر



كانت ناقلة الزيت الغبراء التى عخر البحر هدفاً ميسوراً ، فلم تنقض ثوان معدودات حتى شقت ثلاثة طرابيد جنبها المصنوع من الصلب .

وعلى مسافة أقل من مئة ذراع طفت غواصة ، فراقب قائدها السفينة المصابة ، وقد بدأت تفقد استواءها ، فجميع هذه الناقلات سواء ، يقضى عليها طربيد واحد ، وهذه قد أصابتها ثلاثة . وسمع ربان الناقلة قائد الغواصة الألمانية يأمر رجاله بالغوص .

على أن هذه الناقلة لم يقض عليها . ففى هيكلها ثلاث فجوات فاغرة ، تتسع لمرور سيارة نقل ، ولكنها تمكنت بقوة محركاتها من أن تعبر المحيط الأطلسى مجتازة ١١٠٠ ميل إلى ثغر أمريكى .

ومن سخرية الأقدار ، أن القوة التى أنقذت الناقلة هذا الإنقاذ العجيب ، كانت هى نفس القوة التى دفعت الطرابيد إليها . فالهواء المضغوط فى جهاز يدعى « جهاز نلسن » ، يتيح لناقلات الزيت المكشوفة للخطر ، وسيلة تدفع بها عن نفسها هجوم الغواصات ، بعد أن كانت أهدافاً ميسرة لها

وهذا الجهاز ، الذى يستعمل اليوم فى الناقلات البريطانية والأمريكية ، وليد فكر مهندس بريطانى ، فى الثالثة والخمسين يدعى وليم لن نلسن ، قضى عشرين سنة فى غرف المحركات فى ناقلات الزيت . وقد لقيتُ نلسن ، منذ عهد قريب فى لندن . فإذا هو رجل ربعة أحمر الوجه ، عيناه براقتان كعينى طائر ، يروعك منه نشاط لا يفتر . قال : « أول ما يهمنى أن تدركه أن هذا الجهاز ليس اختراعاً ، بل هو تطبيق ، وما أنا إلا مهندس » .

فلما تمّ ذلك ، وضع نموذجاً لناقلة زيت على مائدة بينى وبينه ، وما الناقلة إلا بضع صفائح ، لحمت إحداها بالأخرى من أطرافها ، فحين يملأ الزيت حجر الناقلة المحكمة الإقفال ، يغوص هيكلها فى الماء ، ولكنها تظل طافية ، لأن فى الحجرات ، كما فى سائر السفينة ، مقداراً من الهواء والزيت . فإذا أصابها طربيد ، اندفع الماء من الفجوة ، فيحل محل الهواء ، فيختل توازنها وتنقلب . وكذلك غرقت معظم ناقلات الزيت

وقد بدأ نلسن يصارع المشكلة منذ بدأت الغواصات الألمانية هجومها الشرس على الناقلات ، ثم دعى فى أحد الأيام للمشورة فى إنقاذ سفينة ، وكانت ناقلة قد صدمت لغما مغنطيسيا ، فغاصت إلى نصفها واستقرت على سيف البحر . وكان يحاذيها زورقان يشدّانها ، يتصاعد من دفتيهما نفث متقطع تخرجه محركاتها التى تضغط الهواء .

فما كاد نلسن يسمع هذا النفث الذى تحدثه ضاغطات الهواء ، حتى أدرك حل المشكلة . فلو كان ثمة وسيلة لدفع الهواء فى الحجرة المثقوبة من ناقلة أصابها طربيد ، والاحتفاظ بقدر واف من قوة ضغطه ، لصار فى الوسع أن يدفع الماء عن الحجرة ، ويصير الهواء المضغوط جداراً واقياً يصدّ البحر عنها .

واستقل نلسن أول قطار إلى لندن ، وأكبَّ على أوراقه ، فرسم فى حجرة المحرك ، فى الناقلة المرسومة على ورقه الأزرق ، ضاغطاً للهواء ، يشبه كل الشبه الجهاز الذى يستعمله بناة الطرق لتحريك المثقب الهوائى . ويستمد جهاز الناقلة قوته مما فيها من محركات ديزل . ولما كانت إصابة محركات الناقلة بما يشلها أمراً محتملا ، أقام على دكة السفينة فى مقدمها ضاغطاً آخر للهواء يحركه محرك صغير ذو أربع أسطوانات ، ومدّ أنبوباً من المعدن يدفع فيه الهواء من أى الضاغطين شاء . وعلى مسافات مختلفة من هذا الأنبوب ، أنشأ فتحات يسهل وصلها بأنابيب من المطاط ، ووصل هذا الأنبوب ، بكل حجرة من حجرات الزيت فى الناقلة . فإذا أصاب الناقلة طربيد ، تيسر للبحارة أن يبادروا فيصلوا بأنابيب المطاط بين الأنبوب المعدنى وحجرة الزيت المصابة ، وكذلك يقيم ضاغط الهواء جداراً يصدّ البحر عن جوفها .

وكذلك صار لناقلة نلسن المرسومة على الورق ، أمل فى مقاومة فعل الطربيد — ولكن كيف تواجه الأخطار الأخرى ، كخطر النار مثلا ؟ فالسفينة التى يصيبها طربيد ، كثيراً ما تتعطل خراطيمها التى تمتص الماء لاستخدامه فى مكافحة النار . وإذن فلماذا لا تستعمل أجهزة ضغط الهواء لتحريك مضخات هوائية متنقلة ؟ وعلى ذلك رسم نلسن ، تفاصيل تصميم لمضخات خفيفة تتحرك بالهواء المضغوط ، يطيق الرجل أن يحملها على كتفه ، فإذا قذف خرطوم المضخة إلى البحر ، امتصت الماء ، وصبته على النار بمعدل نصف طن فى الدقيقة .

على أن كفاح نار الزيت يحتاج غالباً إلى مواد كيميائية ، فصنع لمضخاته فتحات أخرى ترش منها رغوة « البيرين » على النار .

وقد استغرق إنجاز جهاز نلسن سبعة

أشهر من التصميم المحكم ، وتم أخيراً صنعه .

وفي أغسطس ١٩٤٢ نشرت الصحف قصة الناقلة أوهايو ، التي استطاعت ، بعد أن قذفت بالطربيد ، وقنابل الطائرات المنقضة، أن تصل إلى مالطة تحمل من الوقود كانت مالطة في أشد الحاجة إليه . وجاءت تقارير أخرى عن حوادث لا تكاد تصدق ، فقد أصيبت ناقلة بالطربيد في مقدمها ، فاندفق البنزين غزيراً من مستودعاتها ، حتى إن الغواصة حين طفت دانية منها لم تجرؤ على قذفها بالقنابل خشية التهاب البنزين . فلما دفع الهواء المضغوط في المستودعات ، ظلت السفينة طافية ، وظلعت إلى المرفأ .

وقد استعمل ربابين السفن جهاز نلسن لأغراض كثيرة أخرى لم تخطر ببال نلسن. فقد حدث مرة أن تعطلت عجلة تسيير السفينة لانقطاع القوة المحركة ، فعمد رئيس المهندسين إلى وصل أنابيب البخار بجهاز نلسن فحلت المشكلة ، وتمكن بحارة الناقلة نفسها من الظفر بطعام ساخن حين استعملوا الهواء المضغوط لدفع زيت الوقود في الفرن.

ولا يستغرق تركيب جهاز نلسن في معظم الناقلات أكثر من ٤٨ ساعة ، ولا يقتضي إلا نفقة يسيرة . وقد حسب خبراء الملاحة ، أن إنقاذ ناقلة واحدة ، عوّض نفقة تركيب أجهزة نلسن هذه في جميع الناقلات البريطانية علاوةً على إنقاذ الأرواح.

ولم يسجل نلسن جهازه هذا بل أباحه للأمم المتحدة ، ولم ينل من الجزاء إلا خمسين جنيهاً منحته إياها جمعية الفنون الملكية ، فوهبها لهيئة إعانة بحارة الأسطول التجاري.

قال نلسن : « لست رجلا تقوده عاطفته . ولكنني قضيت عشرين سنة في البحر مع رجال الناقلات ، وإنني لمعجب بهم إعجاباً لا يحدّ ، فإذا ما أنقذت حياة رجل واحد منهم ، رأيتني قد جوزيت الجزاء الأوفى » .

وحين نزلت من مكتبه ، تذكرت أن الشهور التي أكب خلالها على تصميم جهازه ، كانت شهور الفترة التي بلغت فيها الحرب الجوية الخاطفة على لندن ذروتها ، فسألت عامل المصعد عن هذا فقال : « لقد ظل مقيما في هذه البناية ليل نهار ، ينام على سرير صغير ، ولا يؤوب إلى بيته إلا في نهاية كل أسبوع ، ويومئذ يتأبط رسومه الثمينة ويأخذها معه . وقد ظل مكبا على عمله أثناء الحرب الجوية الخاطفة ، والمباني تنهار من حولنا ، والألمان يلقون قنابلهم أمام عتبة بابنا . إنه لرجل ممتاز في قدرته على حصر فكره — هذا هو مستر نلسن ياسيدي » .

وقد علمت بعد ذلك أمراً آخر ، فقد كان لنلسن ولد في ناقلة ، أغرقها طربيد في رحلتها الأولى .

هناك حركة ما يبعث على الاطمئنان في أفق العالم بعد الحرب

ماذا يرى رجال العمل في المستقبل

و . م . كبلنجر . . . ملخصة عن مجلة « كوزموبليتان »

كيف تكون الحياة بعد الحرب ؟ قد تقول ، إن استشفاف المستقبل ، والتفكير فيه ، والتدبير له ، عبث ، ولكن فريقاً كبيراً من الرجال العمليين ، يعنون الآن بوضع خطط عملية للمستقبل . وأنا أعرف هؤلاء الرجال ، فهم رجال أعمال ، وموظفو حكومة ، وزعماء عمال ، ومفكرون شأنهم التفكير والبحث ، وليسوا من أصحاب الرؤى والأحلام ، بل هم من أهل هذه الدنيا ، ويرون أن إعداد الخطط للمستقبل أمر عملي .

إن عملي يقتضيني أن أعرف ما يفكر به هؤلاء الرجال ، وأن أتبين القوى المعقدة ، وأقرر الاتجاهات العامة ، لإرشاد العمليين من الناس . وإنني لأتبين تبيناً واضحاً ما يبعث على الأمل والثقة في صورة الحياة بعد الحرب .

فالاتجاه منصرف إلى الأخذ بالأساليب المحافظة في التفكير والعمل ، أي إلى إقدام الفرد ، والعمل المستقل ، والاحتفاظ بما نسميه الرأسمالية . وهذا يعني أن الاتجاه في الولايات المتحدة ، منصرف عن تعزيز السيطرة الحكومية ، وعن إدارة الاقتصاد القومي إدارة سياسية من مكتب مركزي . كان الاتجاه خلال السنوات العشر الأخيرة ، إلى اليسار ، ولكننا نشارف الآن نهايته .

والرأي العام يجري في أساليب ، وهو في أسلوبه الجديد يقيم وزناً كبيراً للباعث الخاص على العمل ، فقد عاد الناس فكشفوا أن الكسب الخاص ليس خيراً في ذاته وحسب ، بل هو خير كذلك لأنه يغري الناس ببذل الجهد وبالافتنان والبراعة ، فيزداد إنتاجهم ، وذلك خير لهم وللآخرين .

وفي وسعك أن تتبين في الانتخابات هذا التحول في التفكير ، فتسمع « الأحرار » يبحثون فائدة تشجيع « الأعمال الخاصة » ، ويتذاكرون العبرة المستفادة من الإنتاج الحربي ، ومؤداها أنك إذا شئت أن تنجز أعمالا في سرعة وعلى نطاق واسع ، فاعهد بها إلى المنشآت الخاصة . وهم يشيرون في حديثهم إلى انهيار السيطرة الحكومية العالية على الاقتصاد ، ويعترفون بأنه ليس في وسع جماعة من كبار الموظفين ، أن تعنى بتفصيلات

أعمال تمتد إلى أساس الاقتصاد القومى ، وتشمل جميع أرجاء البلاد . وعامة الناس أنفسهم يتحدثون بمثل هذا ، فثمة ظاهرة متأصلة ، ولا بد أن تؤثر فى خطط كل حكومة تقوم بعد الحرب مهما يكن لونها الحزبى .

على أن هذا الاتجاه لن يفضى إلى رجعية متطرفة ، فطائفة كبيرة من إصلاحات « التوزيع الجديد » ، ستبقى ويدخلها التحسين . والروح التى تسود الفترة التى تعقب الحرب ، لن تميل إلى النكوص بل إلى التريث ، وستمهد لإصلاحات أخرى تحقق بسرعة معتدلة ، بدلا من الاندفاع المضطرب فى العهد الماضى .

وستمضى الحكومة فى تنظيم الأعمال الخاصة ، ولا ريب فى أنها ستمولها تمويلا واسع النطاق فى المراحل الأولى من الانتقال إلى السلام . على أن روح الحكومة فى التنظيم والتمويل ستختلف ، وسيكون نهجها وسطاً يعزّز من شأن الجهد الخاص والنشاط المحلى .

من المحتمل أن تنتهى الحرب سنة ١٩٤٥ . فهزيمة ألمانيا منتظرة فى سنة ١٩٤٤ ، ويعقبها قهر اليابان فى سنة ١٩٤٥ ، ولكن التحوُّل ، فى الاقتصاد وعادات العيش والعمل ، من شدائد الحرب إلى مطالب السلام المألوفة سيتم رويداً رويداً ، على خلاف ما حدث سنة ١٩١٨ . فالفجر سيسفر وئيداً ولن ينبلج فجأة .

وتسريح الجنود من القوات المسلحة ، بالتدريج ، سيستغرق سنة على الأقل ، بل أكثر من سنة . فالرجال الذين لهم أعمال تنتظر عودتهم هم أول من يسرح ، على أن الجيش والأسطول ، وقد أصبحا أكبر كثيراً مما كانا قبل الحرب ، سيحتفظان بالذين ليس لهم ما يدفعهم إلى ترك الخدمة . وسيعود كثيرون إلى أعمالهم القديمة ، على حين يكون آخرون قد انبعثت فيهم مطامع جديدة وأحلام جديدة ، أو كسبوا ألوانا جديدة من القدرة والبراعة . ولا ينتظر أن يتوفر العمل لكل فرد ، ولكن من المحتمل أن يكون معدل العمل عالياً .

ومن المتوقع حدوث هبوط عابر فى الأعمال ، ربما دام ستة أشهر بعد نهاية الحرب ، ويرجع ذلك إلى ما يقتضيه التحول من الحرب إلى السلم ، من ضرورات ملاءمة الحال الجديدة ، ولكنه لن يكون أصلا ولا خطيراً . وسيتعطل خلق كثير عن العمل فترة ما ، ولكنهم سيمنحون تعويضاً عن تعطلهم ، وستتفق الحكومة مع أصحاب الأعمال على المضى فى صرف المرتبات لعدد من الناس ، حتى يتم التحول . وستكون المنشآت الخاصة ، متأهبة للانتقال ، متى

عولجت ضرورات التحول من إنتاج الحرب إلى إنتاج السلام ، وهذا كفيل بعلاج الضائقة خلال السنة الأولى من السلام .

ثم تجتاز الولايات المتحدة ما بين خمس سنوات إلى عشر ، فترة تتسم بنشاط عظيم ، فيكثر طلب الأشياء التى حرمها الناس أثناء الحرب .

فقد يبلغ طلب المنازل الجديدة مبلغ مليون منزل كل سنة سنين كثيرة ، وكذلك السيارات ، والثلاجات ، والأدوات الكهربائية ، وأثاث المنازل ، وأحدث ما يصنع من معدات السكك الحديد ، والسلع المستهلكة من كل نوع .

وستنشط حركة البناء ، فيمتد العمران إلى المناطق المجاورة للمدن ، وتشق طرق جديدة ، وتتسع صناعة توليد الكهربائية لازدياد الحاجة إلى طاقتها المحركة .

وستسفر التطورات العلمية التى بعثتها الحرب عن معجزات تأتى تدريجاً لا دفعة واحدة ، كالعجائن الكيميائية ، واستعمال الزجاج فى وجوه جديدة ، والمطاط الصناعى وأجهزة الراديو المتقنة ، والتحكم فى ذبذباتها ، والبنزين الفائق القوة لتحريك محركات أصغر وأقوى من محركات اليوم ، وفلزات خفيفة تصنع منها سيارات وأدوات شتى أخرى أخف مما يماثلها اليوم ، ومنازل مجهزة للبناء . وسيخلق تجميد الطعام صناعة جديدة يمتد رواقها ، وتغدو الأطعمة المجففة تنافس الأطعمة المحفوظة ، والحرير الصناعى يبارى الحرير الطبيعى ، ويتسع نطاق النقل الجوى ، ويملك كثيرون طائراتهم الخاصة ، وستظل السيارات خلال سنتين أو ثلاث على ما هى عليه الآن ، ثم تدخل عليها وجوه من الإتقان العظيم . وستحسن حال الفلاحين لأنه يتعين على الولايات المتحدة أن تنهض بعبء إطعام العالم خلال سنتين بعد نهاية الحرب ، وسيزداد ما يستعمل من محصولات الحقول فى الصناعة . ولا ريب فى حدوث حركة تتجه بالناس إلى العودة إلى الزراعة .

وسيسفر الاتجاه العالمى فى نظام النقد عن ارتفاع جميع الأسعار ٤٠ أو ٥٠ فى المئة عن مستواها السابق لنشوب الحرب ، ولكن من المحتمل أن يضبط عنان التضخم فى أمريكا ، فلا يترك حبله على الغارب .

وستكون أجور العمال أعلى مما كانت ، ويكثر المنضمون إلى نقاباتهم . وستظل هذه النقابات عظيمة السطوة فى المسائل السياسية ، ولكن الإصلاح سيتناول كثيراً من أساليبها ، وسيكون بعض هذا الإصلاح اختياراً أو بعضه وفقاً لقواعد تضعها الحكومة ، وسيعظم شأن المساومة المشتركة ، وتطبقها صناعات كاملة .

وسوف يتسع نطاق الخدمات الصحية العامة، وتتوافر وسائل العلاج فى المستشفيات، ويزداد عدد الناس الذين يقفون أنفسهم على الخدمة الاجتماعية .

ولا بد أن تبقى الضرائب عالية سنين كثيرة ، بصرف النظر عن الحزب الذى يلى الحكم، لكى تحتمل الحكومة ديناً أهليا يزيد على ٢٥٠ ألف مليون من الدولارات، ولكن لا تكاد الحرب تنتهى حتى تخفض بعض الضرائب على الأعمال التجارية ، لتشجيع الانتعاش فى الأعمال الخاصة ، ولتهيئة أعمال لملايين من الناس ، وستخفض ضرائب الاستهلاك لتعزيز الأسواق الكبيرة المحلية .

وستقبض الحكومات على مقاليد جانب كبير من التجارة العالمية وتوجهها وتمولها ، زمناً طويلا بعد الحرب . وما حبس من أكداس المواد الخام فى بلاد شتى بتأثير الحرب، سيتسرب رويداً رويداً إلى الأسواق لتظل بمنجاة من أن يدب إليها التراخى . وسيزداد الطلب على الملاحة فى بحار الأرض .

وسيشعر الناس بحافز قوى إلى الإقدام على العمل قصد الإثراء ، والحافز إلى الإثراء يحفز بألف طريقة إلى صنع أشياء كثيرة تفيد الناس . فرجال الأعمال يوجهون أفكارهم منذ الآن إلى الإنتاج الوافر والربح اليسير على الوحدة الواحدة من منتجاتهم ، ونياتهم معقودة على أن يجنوا كسباً كبيراً عن طريق توسيع نطاق الإنتاج ، وإحكام التوزيع ، وتوفير المال فى أيدى الشعب ، وزيادة قدرته على الشراء ، ورفع مستوى معيشته .

وليس ثمة ريب فى أن العالم بعد الحرب سيكون ، من الناحية المادية ، أصلح للحياة منه قبلها ، وفى الوسع أن يكون أصلح كذلك ، من الناحية الروحية . . . إن حصرنا الفكر ووجهنا العمل ، ورسمنا الخطط لذلك .



إيجاز

فى مساء يوم صدر فى صباحه كتاب جديد لفكتور هوجو ، لم يسع المؤلف الشهير أن يتغلب على رغبته الشديدة فى السؤال عن سير البيع ، فرسم على بطاقة : « ؟ » وأرسلها إلى ناشر مؤلفاته .

فجاءه رد الناشر : « ! »

[و . أورتون توسان]

أول نظرة تلقى على ما يجرى وراء ستار فى مرفأ عظيم زمن الحرب

ألق نظرة على أعظم موانى العالم حركة

دون هوارتون . . . ملخصة عن صحيفة « وشنطن بوست »

قليل من الناس من يعلم شيئاً عن العمل الحربى الكبير الذى يتم فى ميناء نيويورك فى سكينة ، فإن نصيبها من السفن أعظم من نصيب أى ميناء آخر فى تاريخ العالم . ومن أحواض نيويورك يشحن أكبر مقدار من المواد التى تغادر أمريكا لمحاربة ألمانيا ، ومنها يخرج نحو ستين فى المئة من مجموع ما تنقله البواخر الأمريكية فى محيطات الأرض .

ومدير ميناء نيويورك هو الكومودور فريدريك رينيكه ، وهو مديد القامة طوله ست أقدام وثلاث بوصات . وقد كان قبل من أبطال الأكاديمية البحرية الأمريكية فى كرة القدم والملاكمة ، وكان فى الحرب الماضية قائد مدمرة . ولما قدم مدينة نيويورك فى سنة ١٩٣٩ كان مكتب مدير الميناء غرفة واحدة ، فكان هو الذى أنشأ هيئة قوامها ١١٠٠ رجل ، تدير أكبر أعمال النقل البحرى فى العالم .

وهذه « الهيئة » تفتش كل سفينة تدخل الميناء ، وتستنطق ربّان كل مركب لجمع الحقائق عن مركبه ، وتقرر أية السفن يجب أن تنتظم فى قافلة ، وأية السفن تستطيع أن تمخر البحر منفردة ، وتوجه القوافل البحرية كما توجه قطرات السكك الحديدية ، فتعين عدد ما يتجه منها إلى إنجلترا أو شمال إفريقية أو غيرها . ولم يقع انفجار ما فى ميناء نيويورك حتى الآن ، ولا وقع فيه تصادم خطير بين السفن . وفى خلال مدة تزيد على سنتين لم تتأخر عن ميعاد سفرها أكثر من ٢٤ ساعة ، سوى خمس قوافل .

وفى « قسم الحركة » فى مكتب مدير الميناء ، بيان مفصل عن كل سفينة وعن مكانها ومرساها ، ويعتمد فى ذلك على خريطة كبيرة منشورة على جدار ، ولو رسمت إحدى خرائط المحيط الهادئ بمقياسها لكان عرضها ميلين تقريباً .

وعلى جدران مكتب المدير أيضاً خرائط فيها رموز تدل على مركز كل قافلة فى المحيط الأطلسى ، وأخرى تدل على مواقع الغواصات

الألمانية ، فتبين مواقعها اليوم وأمس وأول من أمس ، بألوان مختلفة . وكثيراً ما يجب تحويل القوافل لا للنجاة من الغواصات وحسب ، بل لتجنيب سفن القوافل صدم غيرها من السفن كذلك . ولم تغرق غواصات الأعداء سوى تسع وخمسين سفينة فقط من مائة ألف سفينة خرجت من ميناء نيويورك فى السنة الماضية ، أما ناقلات الجنود فلم تغرق ولم تعطب منها سفينة واحدة قبل وصولها إلى مقصدها . وفيما بين أول يوليه وآخر نوفمبر من السنة الماضية ، لم تغرق الغواصات سفينة واحدة من جميع سفن القوافل التى برحت ميناء نيويورك .

كانت أكبر قافلة خرجت من نيويورك هى القافلة التى توجهت إلى شمال إفريقية ، وكانت مؤلفة من ثمانين سفينة وصلت جميعها سالمة إلى الموانئ التى تقصدها . وكانت أكبر قافلة توجهت إلى إنجلترا تشمل مثل هذا العدد من السفن تقريباً ، فوصلت جميعها سالمة ما عدا واحدة . وأكبر خسارة نكبت بها القوافل كانت اثنتى عشرة سفينة من ستين سفينة ، وذلك فى الربيع الماضى .

وتنظيم القافلة على الوجه الصحيح يقلل فرص مهاجمتها أو إنزال الخسارة بها . وفى إحدى غرف مكتب مدير الميناء مائدة من السنديان قد رسم عليها خط سير ألف قافلة تقريباً ، فهنا تحول السفن وحدات تتحرك جماعات جماعات وتشق عباب أشد البحار خطراً من غوائل الغواصات ، وأفتكها ضباباً وعواصف . وحول المائدة ثلاثة من ضباط البحرية يغيّرون ويبدلون مواقع بطاقات صغيرة تمثل كل منها سفينة من سفن قافلة كبيرة تنظم لتسييرها إلى إنجلترا . وساعة التنظيم ساعة خطيرة يرتبط بها مصير ألوف من الناس ، ومقادير كبيرة من العتاد الحربى . على أن علامات القلق لا تبدو على وجوه أولئك الضباط ، وهم ينقلون البطاقات التى ترمز إلى السفن من مكان إلى مكان — هذه سفينة يعيّن لها مكان أبعد عن الخطر ، وتلك تحتل مكاناً على الجناح المكشوف .

وتختلف سرعة السفن من عشر عقد فى الساعة إلى سبع عشرة عقدة ، وحمولتها من ١٥٠٠ طن إلى ١٦٠٠٠ طن ، ويحمل بعضها طائرات ، وبعضها يحمل سلعاً مشحونة ، وأخرى بنزين الأوكتين أو المفرقعات . ومن الربابين من عبر البحار بسفينته ثلاثين مرة أو أربعين ، فيغلب أن توضع سفينته فى مقدمة صفوف القافلة ، ويجعل غيرها على الجناحين . ولما كانت السفن لا تتجه جميعها إلى ميناء واحد كان لابد من تعيين موضع كل منها حتى تستطيع الانفصال عن القافلة دون أن تبطئ فى سيرها . أما ناقلات

الزيت فيكون موضعها بحيث تستطيع السفن التى تحرس القافلة أن تأخذ منها حاجتها من الوقود . وينبغى أن يتم تنظيم سفن القافلة على وجه يجعلها أقل ماتكون تعرضاً لخطر العدو .

وهنالك غرفة أخرى أخذت تمتلىء بربابين السفن ، نصفهم يرتدى الملابس المدنية والنصف الآخر يرتدى بزة السفن التجارية الإنجليزية أو الأمريكية ، وعلى وجوههم جميعاً سيماء رجال البحر ، فيعطى كل منهم عند الباب غلافاً برتقالى اللون فيجلس مواجهاً لوحاً قد رسمت عليه مواقع سفن القافلة . ثم يخرج من الغلاف بطاقة تبين له موقع سفينته فى القافلة ، فيقابل البطاقة على الرسم الذى على اللوح ، ثم يراجع جدول المواعيد ليعلم على وجه التحقيق الميعاد الذى يجب أن ترفع فيه سفينته المرساة ، وتجتاز مدخل الميناء إلى الممر الذى كسحت منه الألغام .

وإذ ذاك ينهض الكوماندر كلارك — ضابط حركة القوافل التابع لإدارة الميناء — ويقول فى إيجاز : « أسعد الله مساءكم أيها السادة . هذا اجتماع خاص بسير القوافل التى سرعتها عشر عقد فى الساعة . هل يستطيع كل منكم أن يجعل معدل سرعته عشر عقد ؟ وهل منكم من لم تسافر سفينته فى قافلة من قبل ؟ ومن منكم من لم يقلع قط من ميناء نيويورك ؟ » ثم يشرع بعد ذلك فى رسم خروج السفن من الميناء خطوة خطوة ، مبيناً أشكال الرايات التى يجب أن ترفعها السفينة ، وأين تنفصل عن الدليل ، وكيف تغير مواقعها فيما بعد حتى تنتظم قافلة.

ثم يحدثهم عن الغلاف الذى قد أعطى لكل منهم ، وفيه الإرشادات الخاصة بخط سيره ، وهى معلومات سرية لا يجوز له أن يطلع عليها إلا بعد أن تنفصل سفينته عن دليل الميناء . وهذه الإرشادات تفصل كل موقف يحتمل أن يطرأ عليهم فى البحر ، فتبين مواقع القافلة فى اليومين الأولين بعد مغادرة نيويورك ، وما تفعل إذا تأخرت عن سائر القافلة ، وفى أى خط تسير حتى تعود فتنضم إليها ، ومتى تخرج عن الصمت فتخاطب غيرها بالراديو ، وكيف تقدم تقاريرها بالراديو

ثم ينهض قائد القافلة ، وهو بريطانى أحمر الوجه ، على عينيه نظارة سوداء الإطار ، ذو شارب أبيض صغير ، فيخاطبهم بكل إيجاز ، ويذكرهم بأن سبق القافلة مضر كالتأخر عنها ، ويحدثهم عما يجب عمله عند الطوارىء ، وعن استعمال نفير الضباب ، وعن الإرشادات الخاصة بالغواصات ، وموضوعات أخرى كثيرة .

ويليه قائد السفن الحربيـة التى تتولى حراسـة القافلة فيقول بلهجة تشف عن الحزم : « يجب أن تظـلوا متقاربين إذ لا نستطيع حراسة السفن التى تتأخر عن القافلة ، ولتكن أنواركم مطفأة . وسأنذركم مرة واحـدة بوجوب إطفائهـا ، فإذا لم تطفئوها أطفأتها بإطلاق النار عليها » .

أما القافلة فعليهـا أن تخرج فى الساعة السابعة والدقيقة العاشرة من صباح اليوم التالى . ففى الساعة الثالثة والنصف صباحاً يشرع أحد الضباط فى استقصاء الحالة الجوية، فإذا كانت مما تتعذر معها الرؤية عن بعد ألف ذراع ، أو كانت سرعة الريح أكثر من أربعين عقدة فى الساعة ، خاطب القائد الكوماندر كلارك بالتلفون ليرى رأيه فى تأجيل سفر القافلة .

وكثيراً ما تطرأ الطوارئ فى الليـل ، فقد ترسـل إحدى السفن الكبيرة إشارة بالراديو أنها ستصل قبل ميعادها ، وفى هذه الحالة يتعين على ضابط النوبة أن يقرر هل تتقـدم القافلة أو تتأخر ، أو قد تتعطل سفينة شحن ، وهى على بعد ٢٥٠ ميلا من نيويورك ، فيجئ ضابط زورق قاطر فى الساعة الثانيـة والنصف ويسـتعلم : ما الأوامر « لقطر » تلك السفينة ؟ أو قد ترسل إحدى ناقلات الزيت إشارة تقول : إن بطانة أحد صهاريجها قد تلفت ، ولا تستطيع استبدالها ، فيبحث ضابط النوبة بين السفن المماثلة لها فى الميناء ، أو يرسل إشارة تلفونيـة إلى نورفوك أو فيلادلفيا فيجد البطانة فى مستودع بمكان ما ، فيستأجر طائرة لتجئ بها ويرسل سيارة ليؤتى بها من المطار . وقد حدث مرة أن أبى نوتية إحدى السفن البريطانية ، وكانوا من أهالى جزر الهند الشرقية ، مغادرة الميناء بغير عنزة حلوب ، فقضى مدير الميناء بعد ظهر اليوم وهزيعاً من الليل ، حتى عثر على ضالته .

فإذا جاءت ليلة وكان الجو صحواً ، وليس ثمة أثر لطوارئ تتوقع ، خرجت قافلة مجموع حمولة سفنها نصف مليون طن فى رحلة محفوفة بالأخطار . فيعتلى اللفتنانت كوماندر جون ولتون (وهو ربان الميناء ، وقد قضى ثلاثاً وأربعين سـنة فى البحر) زورقاً قاطراً ويسير به فى الظـلام نحو الخليج . ويتبين مصباحه الكشاف السفينة التى يجب أن تخرج من بوابة الميناء أولا ، فيربطها من مقدمها ويوجهها . وهى موسوقة بمواد متفجرة (ومثل هذه السفينة توصف « بالسفن الحامية ») . ثم يتجه الزورق القاطر إلى بواخر الشحن الكبيرة وناقلات الزيت، وقد غاص أكثرها فى الماء، وبواخر الشـحن مثقلة ظهورها بسيارات النقـل

وسيارات « جيب » والطائرات ، وزوارق النزول إلى البر . ومعظم هذه البواخر لا يحتاج إلى معونة ، ولكن « ولتون » متأهب لبذل كل عون إن مست الحاجة ، وهو يصيح بصوته الجهير في البوق المضخم : « أمستعد أنت يا ربان للإقلاع في الميعاد ؟ » فيجيبه : « مستعد ! » فيقول : « إذن فارفعوا علم القافلة ! » .

ثم يضع علامة أمام اسم كل سفينة في الكشف الذي بيده ، وتشرع القافلة في الاتجاه نحو الخليج عند الفجر ، ويتتبعها قسم الاستعلامات التابع لمدير الميناء بالراديو ، فيلاحظ الوقت الذي تمر فيه كل سفينة أمام منارة « أمبروز » . وأخيراً يرسل إشارة بالراديو إلى مدير القافلة قائلا : « أقلعت جميع السفن ، واجتازت آخر سفينة بوابة الميناء رقم ١١٠٣ » .

ومع هذا كله فقد تسمع ، وأنت في أحد ملاهي برودواي على مئات من الأمتار من مكتب مدير الميناء ، بعض زائري نيويورك وسكانها يقولون: « ليس لنيويورك شأن في الحرب » .





امتحن الأبطال



١ — ما أكبر حيوان يعيش على سطح الأرض الآن ؟
٢ — ما أكبر حيوان عاش على سطح الأرض إطلاقاً ؟
٣ — ما أكبر طائر في العالم ؟
٤ — ما أطول حية في العالم ؟
٥ — أي طائر يفوق جميع الطيور في مدى ما بين طرفي جناحيه ؟
٦ — أي الحيوانات أطولها عمراً ؟
٧ — أي الثدييات أطولها عمراً ؟
٨ — أي حيوان من ذوات الأربع أسرعها عدواً ؟
٩ — أي الحيوانات — بعد الإنسان — أذكاها ؟
١٠ — أي حيوان له أثمن فرو ؟
١١ — أي حيوان جزة صوفه أجود جزة صوف في العالم ؟
١٢ — أي حيوان أعظمها نفعاً للناس ؟

[الأجوبة الصحيحة على صفحة ٧٩]



بيرنت بالتشن وكورى فورد
ملخصة عن مجـلة « كوليرز »

هـذه قصـة الحـرب فى جرينلـند « جزيرة الأرض الخضراء » ، تلك الحرب القصية الخفيـة التى دارت فى غبش الظلام فى شمال الدائرة القطبية الشمالية. وكان أبطالها جنوداً متطوعين من رجال المطارات راحوا يعملون فى جو درجة حرارته خمسون تحت الصفر ، أو يقضون الشتاء كله فى محطات جوية نائيـة مدفونة تحت ثمانى عشرة قدماً من الجليد .

كانت حرباً فى سبيل أرصاد الجو. فمن تلك الجزيرة المتجمـدة فى دائرة القطب الشمالى تهب الرياح والتيارات التى تدفع العواصف إلى إنجلترا والقارة الأوربية . ولا غرو فإن جرينلند هى مفتاح جو الغد فى أوربا ، وكل غارة من غارات القنابل نشنها على ألمانيا تتوقف على إذاعاتنا البعيدة المدى من القطب الشمالى. وربما كان توقيت الغزو ، بل نجاحه نفسه، راجعاً إلى أننا نحن — لا النازيون — الذين نسيطر اليوم على جرينلند .

لقد كانت لأمريكا مصلحة حيوية فى تلك الجزيرة المغمورة فإن أقصر طريق جوى إلى أوربا يمر بطرفها الجنوبى . وجرينلند هى المحطة الطبيعية فى طريق نقل الطائرات إلى بريطانيا . وقد استطعنا هذه المرة أن نصل إليها قبل سوانا . ففى صيف سنة ١٩٤١ ، قبل الهجوم اليابانى على بيرل هاربور بشهور ، أبحرت تحت إمرتى بعثة من الولايات المتحدة

بيرنت بالتشن من طيارى العالم البارزين ، وهو أيضاً خبير ضليع في أساليب الحياة في المناطق القطبيـة . وقد ظل سنتين كبير الأدلاء في بعثة ولـكنز إلى القطب الجنوبي ، وقاد طائرة (بيرد) فوق القطب الجنوبي ، ورأس عدة بعثات للانقاذ في منطقـة القطب الشمالي ، وتولى نقل الذهب بالجو في كندا ، وأخيراً استقر به القرار مديراً لشركة الخطوط الجوية النرويجية فى أوربا . فلما غزا النازيون بلاد النرويج عاد إلى الخدمة العاملة مع سـلاح الطيران الملكى البريطانى أولا ثم كولونيلا في القوات الجـوية بالجيش الأمريكي .

قد أمرت بإنشاء قاعدة جوية على الساحل الغربى من جرينلند — وهى أبعد قاعدة جوية أمريكية فى العالم من قبل الشمال .

كان رجال البعثة جميعاً من المتطوعين ، وكانوا نخبة ممتازة من قوات الجيش الجوية النظاميين ، ومنهم كثيرون من ألاباما أو تنيسى أو تكساس ، لم يروا الجليد قط ، فكانت جبال الثلج تبعث الدهشة فى نفوسهم .

بل إن مساحة جرينلند كانت مفاجأة دهش لها معظمهم . وأذكر أن أحد المتطوعين المخلصين من أهل بروكلين راهن بمرتب شهر على أن مساحتها لا تزيد على مساحة لونج أيلند (قرب نيويورك) ! هذا على أن مساحة جرينلند تبلغ نحو نصف الولايات المتحدة . وشكلها كالحوض القليل الغور ، تمتد حول ساحلها كله سلسلة من الجبال ، تنحدر تدريجاً إلى داخلها . وفى جوف هذه الجبال المحدقة بها طبقة واسعة من الثلج ، تكسو الجزيرة بأكملها ، إلا خطة ضيقة على طول الشاطئ .

ولم تزل جرينلند مستعمرة دنمركية ، خاضعة فى إدارتها للمفوضية الدنمركية الحرة فى وشنطن ، وهى التى منحت الولايات المتحدة الإذن بإنشاء القواعد ، وتمهيد منازل الطائرات . ولا يزيد عدد سكان الجزيرة على ٢٠ ألفاً ، يعيش معظمهم على الساحل الجنوبى الغربى .

وقد كانت مهمة إنشاء القاعدة ، فى مثل هذه الأرض التى تكاد تكون غير مأهولة ، معضلة هائلة . فلم تكن ثم قرية واحدة ، ولا قرية من قرى الإسكيمو على مسافة مئة ميل من المنطقة التى كنا نقصد إليها ، ولم يكن مستطاعاً أن نحصل على معدات أو مؤن من مكان أقرب من الولايات المتحدة ، فكان علينا أن نحمل معنا كل شئ حتى خلال الأسنان ! ولهذا حملت سفينتنا ، مع الجرارات والمسالف والكراكات ، مكتبة كاملة ، ومجموعة منوعة من الألعاب والمعمَّيات ، وكرات القدم ، وقفازات الملاكمة ، بل حملت أيضاً مجموعة من أشجار عيد الميلاد الصناعية . ولا عجب فقد كنت أدرك معنى الظلام الشامل ٢٤ ساعة .

وصلت بنا الباخرة إلى منحنى طويل ضيق من الأرض ، فارسينا فى خليج ضحل ، ثم حدقت صامتاً فى المبانى المنشأة من الطين ، والشاطئ الذى تكسوه الحصباء ، والسفوح الجبلية الجرد . وقد كتب علينا أن نقضى السنتين التاليتين فى هذه البقعة الجرداء .

وقضينا الخريف كله فى إقامة معسكر وإنشاء مطار فى ذلك الفضاء المتجمد ، فلم يأت ديسمبر حتى كنا قد هيأنا مكاناً صالحاً لاستعمال أول طائرة .

ولا أظن رجالنا قد أدركوا تمام الإدراك عزلتنا المطلقة إلا بعد أن أبحرت آخر سفينة إلى الولايات المتحدة، ولم يعد منتظراً أن نرى سفينة أخرى حتى يحل الصيف التالى . وإذا هم فى وحدتهم ، ذرٌّ دقيق أسود على بساط الجمد الأبيض. لقد سمعوا للمرة الأولى صوت السكون ! وكانت ظلمة الشتاء تقترب رويداً رويداً، وميزان الحرارة يهبط يوماً بعد يوم، وراح الرجال يقاومون تيار الذعر المتصاعد . لم يكونوا يتصورون أن يزداد الجو برداً على برده، فهم سيموتون حتما إذا اشتدت وطأته. ومع ذلك ظل مقياس الحرارة ينخفض بضعة خطوط كل صباح ، وبدأت الظلال تمتد ، وأخذ السكون يخيم عليهم ويضيق عليهم الخناق .

ولهذا البرد الساكن القارس طبيعة مروعة ، فما هو إلا أن تخطو خارج الباب حتى يتجمد معطف الخنادق الذى تلبسه ، ويصبح صلباً كقطعة الخشب ، قبل أن تتمكن من إغلاق الباب . وإنك لتحس بوجهك يتولاه الذبول فى ثوان معدودات ؛ وكأنه قد اكتوى بلهيب النيران . وإن نقطة واحدة بيضاء على جبهتك تكفل لك أسبوعا كاملا من الآلام ، وإن نفساً واحداً عميقاً لتقشعر له رئتاك ، بل إن قليلا من الثلج يتسرب إلى مقدم حذائك من الداخل قد يفضى إلى بتر أصبعين من أصابع قدمك، بل ربما بترت قدمك كلها .

وقد أصدرت فيما يتعلق بالمظهر الشخصى أمراً واحداً : « احلقوا اللحى » ! فإنه وإن لم تكن ثم ضرورة للحلاقة كل يوم فى هذا الفضاء القطبى ، إلا أن إذابة الجليد المتجمد على لحية طويلة قد يكون أشد ألماً .

وقد تغيرت حاسة التذوق أو كادت ، فقد كان الرجال يلتهمون بشهية أنواعاً من الطعام لم يكونوا يحلمون بأكلها يوماً من الأيام ، ككبد الحوت والبطارخ ولحم عجل البحر ، والرنة ، والطيور البرية ، والأرنب القطبى . وتعلموا كيف يطبخون السمك على طريقة أهل الشمال ، بتقطيعه وسلقه فى ماء البحر . ووافقهم هذا الغذاء ، فزاد وزنهم بمتوسط عشرين رطلا فى العام الأول.

وأناخ علينا الشتاء بكلكله ، فلم تكن الشمس فى وقت الظهيرة إلا ضوءا أحمر . حتى إذا أقبل الظلام تفاقم خطر القنوط ، وكان ردّ ذلك بالرياضة ، حتى إذا ما أخذ منك التعب مأخذه استطعت أن تنام . وأنشأنا فصولا لتعليم الانزلاق على الثلج ، وكان الرجال فى بعض الأحيان يفسحون حلقة فى الثلج ، ثم يعرضون مباريات غريبة فى الملاكمة ، إذ يتناوش الملاكمون فى ارتباك بأحذيتهم الثقيلة وملابسهم . فإذا أرغمتنا

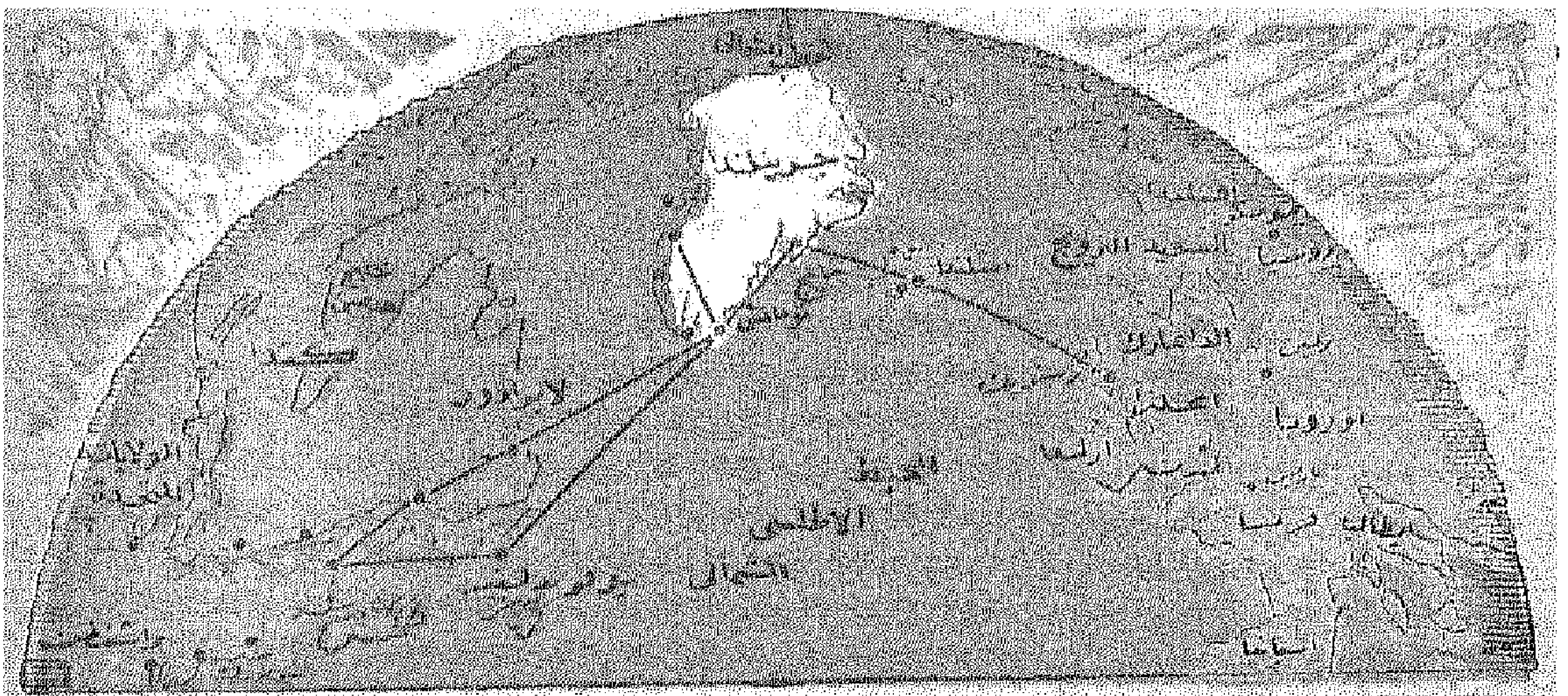
العواصف على الاستكنان ، أنشأنا استعراضات فكاهيـة موسـيقية خفيفة مرتجلة فى قاعة الاجتماع . وقد كانت النكات قديمـة ، والموسـيقى نشازاً ، ولـكنى أتمنى فى بعض الأحيان لو أن بعض المواطنين فى أمريكا كان بين الواقفين المتزاحمين حول البيان ، يرفعون أصواتهم عالية متسجمة لتطغى على الصقر ، المطر ووقع البرَد ، وصخب الرياح التى لا تـكاد تسكن أو تستريح ، فلربما تضاءلت فى أعينهم قيمـة الإضرابات أو الضرائب ، أو زيادة نصيبهم من الزبد ، أو انتخابات الخريف القادم — إذا هم واجهوا الوحدة والبرد والظلام .

* * *

وجاء الربيع ، فأخـذ الجو يطيب ، وأخـذت أسراب القاذفات الثقيـلة تزداد ويشتد هديرها فوق رءوسنا ، متجهـة إلى جبهات القتـال . وأخذت القـاذفات المتوسطة والطائرات المقاتلة تهبط إلى المطار لتستوفى حاجتهـا ، وكان علينا أن نواصل عملنا ليلا ونهاراً .

ولم يغب عنا طوال ذلك الصيف احتمال هجوم العـدو ، إذ كانت طائرات الحراسة النـازية الطويلة المدى دائمـة الرقابة على جرينلنـد ، وقد حلقت غير مرة فوق قاعدتنا ذاتها .

وخشينا أن يكون الألمان قد وطدوا أقدامهم فى أحـد الأماكن على السـاحل الشرقى ، فقـد حدث ذات يوم أن ضلت مجموعة مؤلفـة من طائرتين من طراز



تبين هذه الخريطة أحدث وأقصر الطرق الجوية من أمريكا إلى أوربا
وتظهر كيف صارت جرينلند حلقة حيوية فى سلسلة النصر

ب — ١٧ وأربع من طراز ب — ٣٨ فى وسط ضباب كثيف ، فأرسلت إشارة رمزية تطلب فيها تقريراً جويا عن أحد المطارات الثانوية ، فجاءها الرد ، بالرمز أيضاً ، بأن هذا المطار يعج بالماء ، والرؤية فيه متعذرة ، ولكن هناك مطاراً آخر قِبَلَ الشمال مستعد لاستقبالهم . فاتجهوا شمالا ، غير أن الحالة الجوية ازدادت سوءا ، فاضطروا أخيراً إلى الهبوط ، وسقطت الطائرات على طبقات الثلج المتراكمة فى الجزيرة .

ولما راجعنا تقاريرنا الجوية فيما بعد على التقارير التى تلقاها الطيارون ، تبين لنا أن التقارير عن المطارين الثانويين كانت معكوسة عمداً ، وأن الطائرات دفعت دفعاً إلى طريق الكارثة ، بسبب معلومات باطلة أذيعت من محطة سرية ألمانية .

* * *

ولعل أفتك الأسلحة جميعاً فى منطقة القطب الشمالى هو البريق ، فإن السماء والثلج الأبيض والجليد تمتزج حتى تصير بريقاً شاملا ، وعندئذ يختفى الأفق ويضيع تقدير المرء فى ذلك البياض الناصع الغريب . فإذا اعتدلت فى موقفك على حين غرة ترنحت وسقطت على ظهرك ، لأنك لا تستطيع أن تدرك متى تكون معتدلا فى وقفتك . وفى هذه الحال لا يستطيع الطيار أن يقدر المسافة بينه وبين الأرض ، وربما حاول أن يمس الأرض وهو على ارتفاع خمسين قدماً فى الجو ، وقد ينقض بطائرته باقصى سرعة فى قلب الجليد !

وقد كان هذا البريق المروع سبباً فى الكارثة التى نزلت بالقلعة الطائرة التى كان يقودها اللازم مونتفرد ، من كاليفورنيا ، فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، وجرت على أثرها أطول أعمال الإنقاذ وأخطرها فى تاريخ المناطق الشمالية . ولم يكن أحد الذين اشتركوا فى تلك الأعمال رائداً متمرساً من رواد المناطق القطبية ، بل كانوا فتية أمريكيين لم يروا تلك المناطق قط ، وقد كانوا منذ بضعة أشهر طلاباً أو عمالا أو موظفين فى بنوك المدن الصغيرة — أو بعبارة أخرى كانوا فتية ككل الفتية الأغرار ، ولكنهم خلقوا من طينة الأبطال !

اصطدمت القلعة الطائرة بالأرض القطبية صدمة مفاجئة هائلة ، وقد كان مونتفرد يقودها فى لحظة على ارتفاع منخفض ، وفى اللحظة التالية كانت الطائرة تبدو وكأنها جامدة لا تتحرك فى الهواء ، ثم انزلقت على بطنها مسافة مئتى ياردة ، ثم وقفها احتكاك شديد ، وانشق برج مدفعيتها شطرين . وكانت قطع الجليد الجافة تحتك بجوانب

الطائرة المعدنيـة محدثة صوتاً ظاهراً ، فمر بخاطر مونتفرد فى لحظة ذهوله أن الطائرة تحـترق ، وسرعان ما قفز من مكانه إلى الخارج ، فوجد أحد ملاحى الطائرة وهو الجاويش (سبينا) ملقى على الأرض مكسور الذراع ، ووجد آخر اسمه (بست) مصاباً فى الوجه بجراحات شديدة ، لأنه اختـرق أنف الطـائرة الزجاجى حين سـقوطها . وكذلك أصيب الآخرون بصنوف من الجراح والخدوش .

وبادر مونتفرد ، ومعـه ملاحه الجوى المـلازم أوهارا ، فحملا سـبينا إلى مؤخرة البرج المحطم ، فتسرب من جراء هذه العجلة بعض الجليد إلى حذاء أوهارا ، فلم يتلبث حتى يزيله ، فكان ذلك إهمالا كلفه ثمنـاً غالياً . وعمد بقية رجال الطائرة إلى إنقاذ ماستطاعوا من المؤونة والأغطية المتناثرة فى الجليد، وغطوا كسر البرج بقطعة من المشمع الكثيف ، ثم لبثوا ينتظرون تحسن الجو .

وانتهت العاصفة بعـد ثلاثة أيام ، فازداد تحرج مركزهم وضوحاً ، وتبينوا أنهم محوطون من كل جانب بهوّات عميقـة ، بحيث يتعـذر على أية طـائرة أن تهبط على مقربة منهم ، وربما كان عسيراً أن يصل إليهم أحد سيراً على الأقدام .

ورأى أوهـارا وزميله الطيار المـلازم سبنسر ، فى محاولة يائسـة ، أن يضربا فى عرض الجليـد لعلهما يصلان إلى الساحل ، ولم يسيرا إلا مسـافة قصيرة ، وأوهـارا فى المقدمة ، حتى سمع سبنسر يغمغم قائلا :

— لا أظن هذا الثلج شديد الـ . . . .

وانقطعت الجملة فجأة ، ولم يبق فى المكان الذى كان يقف فيـه سبنسر سوى فجوة فاغرة .

وراح أوهـارا ، فى حرص وحـذر ، يزحف على يديه وركبتيه إلى حافة الفجوة ، فلم يستطع أن يرى لأول وهلة سوى ظلمة مفزعة ، ثم تبين بالتـدريج جوانب الثلج الزرقاء المخضرة ، وعلى غور نحو منه بدم قطعة من الثلج مستعرضة فى حلق الفجوة، وقد حالت هذه القطعة بالمعجزة دون تردى سبنسر فى قعر الهوة ، فاسـتقر فوقها ملقى على بطنه ، محدّقاً إلى عالم الذهول ! .

وصاح أوهارا يطلب النجدة ، فهزول إليه ملاحو الطائرة المحطمة يعدون، وسرعان ما صنعوا حبلا من خيوط المظلات الواقية ، وأدلوا به إلى سبنسر ، فاستطاع فى أناة — لأن قطعـة الثلج المستعرضة كانت تهـدده بالانزلاق كلما تحرك — أن يربطـه حول وسطه، وراحوا يجذبونه إلى السطح بوصة بوصـة حتى أخرجوه ، ثم عدلوا عن كل محاولة فى ارتياد طبقات الجليد .

فلما عادوا إلى الطائرة ذكر أوهارا لأول مرة أن ساقيه قد فقدتا القدرة على الإحساس ، وأسفر الفحص العاجل عن تحقيق أسوأ مخاوفه ، فقد كلتا قدميه .

وكان رجال الطائرة ، منذ سقوطها ، يحاولون أبداً إصلاح آلة الراديو المحطمة ، واستطاع الكوربورال هاورث إذابة الثلج من حولها بنور الإشارات ، واستطاع آخر الأمر أن يذيع مكان وجودهم على وجه التقريب . وكان جهاز الاستقبال معطلا، فلم يكن لهم سبيل إلى معرفة مصير رسالتهم وهل تلقاها أحد أو لا ، ولم يكن لهم إلا الانتظار .

وفى ٢٤ نوفمبر عرفنا أن موقع القلعة المحطمة فى منطقة لا سبيل إلى بلوغها على بعد نحو ٤٠ ميلا من خليج كومانش ، فألقينا إليها بالمؤونة ، ولكن الرياح العاصفة جرفت المظلات ، فكانت تخرج عن متناول رجال الطائرة وتهبط خلف المهاوى السحيقة على نحو يثير الحنق ، ولم يظفروا إلا بالمؤونة التى ألقيناها إليهم بالمظلات .

وأصدرنا تعليماتنا إليهم بالبقاء حيث هم ، وأخبرنا سفينة خفر السواحل « نورثلاند » بمكانهم ، فاتجهت بأقصى سرعتها إلى خليج كومانش . وفى الوقت ذاته غادر محطتنا الإضافية للأرصاد الجوية فى كومانش ، الملازم ماكس ديمارست والسرجنت تيتلى ، ومعهما زلاجتان من ذوات المحركات ، وفرقتان من الكلاب . وكان عليهما أن يسلكا طرقاً متعرجة حول الفجوات العميقة ، فيتقدم الملازم ديمارست منزلقاً بالعصى ليختبر الأرض ، ومن ورائه السرجنت تيتلى يأتى بالزلاجتين واحدة إثر أخرى .

وقامت طائرة بريةمائية من طراز جرومان بقيادة الملازم بريتشارد ، واستطاعت أن تهبط موفقة فى واد ملىء بالجليد قرب الطائرة ب — ١٧ . ثم حلقنا نحن فوق الجرومان ، وألقينا إلى الملازم بريتشارد أحذية للجليد وبعض الحبال ، فوصل إلى الطيارين المحاصرين فى ٢٨ نوفمبر . ولما كان متعذراً على أوهارا وسبينا أن يعودا معه إلى الطائرة سيراً على الأقدام ، رؤى إمدادهما بالإسعافات الطبية ، وصحب بريتشارد معه رجلين آخرين من الجرحى الذين يستطيعون المشى ، ونقلهما بالطائرة إلى خليج كومانش .

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة ، استطاع ديمارست وتيتلى أن يجلبا الزلاجتين إلى حافة المنطقة ذات الفجوات ، حيث تجثم الطائرة ب — ١٧ ، وأتما بقية المسافة مستعينين بضوء البطاريات . وقد وجدا رجال الطائرة فى أحسن حالة معنوية ، وقد

خيل إليهم أن محنتهم قد انقضت . وأقبـل ديمارست على سـبينا فأبدل ضماد ذراعه المكسورة ، وعالج بقية الأعضاء التى أصابها الزمهرير فى أجسـام الطيارين ، ثم قفـل راجعاً هو وتيتلى ليجلبا الزلاجتين إلى الطـائرة .

وبينما كان الطيارون يلوحون لهما فى لهفة وهما يميان شـطر الفجوة الأخـيرة ، رأوا ديمارسـت وهو يدير زلاجته لتتجه الوجهة الصحيحة ، وإذا بالجليد ينهـار من تحته بلا إنذار ، وإذا الزلاجة وقائدها يهويان إلى أعماق الهوة ، وشاهد الطيارون الذين هزتهم الصدمة ذيل الزلاجة المحطمة فى قاع الهوة ، ولـكنهم لم يروا لديمـارست أثراً قط .

وعاد الملازم بريتشارد بعد ظهر ذلك اليوم فى طائرته الجرومان ، وقد أوشـك الجوّ أن يعود إلى رداءته ، فانقلب راجعاً من فوره ومعه عضوان آخران من رجال الطـائرة ب ــ ١٧ . ولـكنه اصطدم فى أطباق الضباب بأحد الجبـال فقتل الرجال الثلاثة .

وتلقى الملازم مونتفرد وبقيـة رجال الطائرة ذلك فى صمت وذهول . ثم هبت عاصفة أرغمتهم على أن يستكنوا سـبعة أيام أخر . ولما ثارت هـذه العاصفة اسـتقل الـكابتن تيرنر ، وهو أحـد رجال قيادة طائرات النقل ، طائرة من طراز ب ــ ١٧ وألقى إليهم مؤونتهم من الطعام والدواء .

وفى السابع من ديسمبر بلغت قدما أوهارا مبلغاً من السوء حتى رؤى أن يحاول تيتلى أن يخرجه من الطـائرة بالزلاجة ، ووضع أوهارا على راحته فى مضجعه بالزلاجة ، وتقدم الملازم سبنسر لابساً حـذاء الجليد ليختبر الأرض خوفاً من الفجوات ، وتبعه ويدل ، وهو مهنـدس مساعد ، سـيراً على قدميه .

وعلى مسيرة ميلين من الحطـام وقفوا يصلحون الزلاجة ، وجاء ويدل إلى جانب أوهارا يحادثه . وعلى حين غرة سمع أوهارا صيحة من ويدل ، وأحس بيدى ويدل فى قفازهما تتعلقان بسرير الزلاجة ثم تنحدران فوق قدميه وقد خارت قواه ، واندفع تيتلى إلى الزلاجة ، وأسرع فأزاحها عن الجليد المتفنت فى اللحظة الأخيرة ، وانحنوا ينظرون فى الهوة حيث غاص ويدل ، ولـكنهم لم يجدوا بها أثراً من آثار الحياة .

وبعد قليل أخـذت الزلاجة تتعطل ، فقد تجمد زيت المحرك وكسر أنبـوبة من أنابيب البنزين . وتراكم الجليد فى تلك الليلة عالياً حول خيمتهم ، فلما كان الصباح كانت الزلاجة قد دفنت بأكملها فى الجليد .

وعندئذ هيأوا لأوهارا غاية ما يستطيعون من أسباب الراحة ، وجثموا فى قعر جحرهم ينتظرون . وطال انتظارهم أسبوعاً بعد أسبوع ، وجاءت عواصف الشتاء فجعلت جهود الإنقاذ مستحيلة ، وإن كان الكابتن تيرنر قد ألقى إليهم بالطعام .

وفى أوائل فبراير بدأت حدة العواصف الدائمة تهدأ بعض الشىء ، واستطعت أن أهبط بإحدى طائرات الأسطول من طراز كاتالينا على فضاء الجليد قريباً من معسكر الزلاجة ، فوجدت وزن أوهارا قد نقص أكثر من مئة رطل ، ولكن كلا الرجلين الآخرين ، بفضل مؤونة الكابتن تيرنر ، قد زاد نحو عشرين رطلا .

ولم تنته متاعبنا حتى بعد أن نقلناها إلى ظهر الطائرة ، فقد أدرنا المحركات ولكن الطائرة ظلت فى مكانها جامدة لا تتحرك . وذلك أن قشرتها المعدنية لصقت بالثلج المتجمد ، من البرد القارس . فجعلنا رجلين على كلا جانبيها ، وأمرنا اثنين آخرين أن يجريا ذهاباً وإياباً فوق الجناحين حتى تتأرجح الطائرة إلى أن خلصناها من قبضة الثلج وأدرنا المحركات . ولكنها لم تلبث أن تجمدت مرة أخرى ، حين وقفناها لننقل عمالها إلى ظهرها .

عندئذ رأينا أن نتحرك بها متمهلين فى دائرة كبيرة وسط الجليد ، وكلما مررنا بالعمال قفز أحدهم تلو الآخر متعلقاً بسلم معدنى يتدلى من الباب المؤدى إلى برج المدفعية ، وراح من كان فى الطائرة من العمال يجذبون كل قادم جديد ، ويجرونه جراً إلى ظهرها . فلما أتمت الطائرة دورتها بلا توقف ، استجمعنا سرعتنا واعتلينا متن الجو عائدين إلى قاعدتنا سالمين .

واستغرقنا شهراً آخر فى إنقاذ الثلاثة الذين بقوا فى حطام طائرة ب — ١٧ ، مستعينين بالطائرة والزلاجة التى تجرها الكلاب ، بعد أن عاشوا فى عراء الجليد أربعة أشهر ونصف شهر تضنى بقسوتها .

ولما بلغنا محطة الأرصاد الجوية على الشاطىء كان الكولونيل ويمسات ، قائد قاعدة جرينلند ينتظرنا برسالة عاجلة، مؤداها أن العدو استطاع أن يثبت أقدامه على الشاطىء الشرقى عند جزيرة سابين ، وأن جماعة من الألمان هاجموا إسكيمونايس واستولوا عليها ، وهى محطة نائية تابعة لحرس الزلاجات فى جرينلند . وقد أمرنا بضربهم بالقنابل وإجلائهم .

وكان حرس الزلاجات الجرينلندية مؤلفاً من صيادين دنمركيين ونرويجيين يأجرهم الجيش الأمريكى ليكونوا حرساً حربياً نظامياً للشاطىء الشرقى من جرينلند .

وحدث فى شهر مارس أن التقت طائفة ألمانية من الحراس، يقودها ملازم يدعى ريتر، بثلاثة رجال من حرس الزلاجات ، ولم يسمع سائق الزلاجة الأولى إيلى كنودسن لأمر الألمان إياهم بالوقوف ، فأطلقوا عليه الرصاص وقتلوه ، وأخذوا الاثنين الآخرين أسيرين إلى سابين .

وهناك أصدر ريتر قراراً غريباً ، هو إطلاق سراح أحد الأسيرين الدنمركيين — وكم كانت دهشته ! — على أن يعود إلى داره ، وأن يكون الأسير الآخر دليله وقائده . ومضى ريتر بمفرده ليتفقد محطة أرصاد جوية وجدت فى خليج ما كنزى ، ولكنهما لم يكادا يختفيان عن الأنظار حتى نزع الدنمركى القوى سلاح الملازم الألمانى وأخذه أسيراً . ثم انطلقا معاً فى سفر عجيب مسافة ٣٥٠ ميلا نحو الجنوب إلى سكورزبى ساوند، حيث مركز قيادة حرس الزلاجات ، وهكذا عاشا معاً شهراً كاملا على قارعة الطريق ، يتناولان طعامهما جنباً إلى جنب ، وينامان الليل فى فراش واحد على الزلاجة . فلما بلغا سكورزبى ساوند سلم سائق الزلاجة أسيره الألمانى إلى السلطة المختصة .

وكنا فى خلال ذلك نعجل باستعدادنا للذهاب إلى العدو ومحاربته ، وعزمنا على أن نهاجمه من إسلندة ، فخرجنا فى الساعة الحادية عشرة ذات مساء فى الغسق الفضى العجيب فى ليلة من ليالى الربيع القطبى ، لنضرب إسكيمونايس بالقنابل . فلما وصلنا منطقة الهدف فى نحو الساعة الثالثة صباحا كانت الشمس ساطعة كالظهر ، وألقينا قنابلنا ، وحطمنا الأبنية الصغيرة ومحطة الإذاعة ، وتركنا المكان كله وهو يحترق .

فلما جاءتنا من الولايات المتحدة بعض قاذفات القنابل من طراز (ليبراتور) ذوات الخزانات البعيدة المدى ، جاء دور جزيرة سابين ، وكان ذلك أول أعمال ضرب الاستحكامات الألمانية فى هذا الجانب من المحيط الأطلسى بالقنابل . وقد استطعنا ونحن نحلق فوق الهدف على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم أن نتبين بناءين ظاهرين ، محطة للاذاعة ومخزناً للذخيرة ، وعلى مقربة من الشاطئ ، ووجدنا سفينة تموين ألمانية متجمدة فى الجليد ، وهى سفينة حمولتها ٣٠٠ طن جعلت سارياتها ومداخنها بحيث تخفى عن العيون إلى أقصى حد مستطاع ، وأحيط جانباها بالجليد لإخفائهما عن الأنظار .

وعلى الرغم من نيران المدافع الألمانية استطعنا أن نقذف المبانى بالقنابل وندمرها ، كما أطلقنا ١٣٠٠ قذيفة على سفينة التموين ، فلما عدنا بعد ذلك لنشاهد النتائج وجدنا

المحطة الألمانيــة قد أخليت ، والمبانى قد دمرت ، وتبين لنا أن السفينةالتى وجدناها بالخليج قد اندلعت فيها النيران من جراء ضربنا وأذابت الثلج وهى تحترق ، فلم يبق سوى دائرة سوداء من ماء البحرغرق فيها الهيكل المحترق.ووجد رجالنا فى حطام المبانى مسدسات لوجر،وشظايا من مدافع العشرين مليمتراً ، وأدوات محطمة من أدوات الأرصاد الجوية . ووجـدنا فى سفح أحد المرتفعات،عدة مظلات واقية حمرمن الطراز الذى يستعمله رجلان،ومعها ملابس عسكرية ألمانية كاملة،وملابس قطبيةوصناديق معدنية فيها الطعام،وبعضه زبد دنمركى لذيذ . ويظهر أن النازيين كانوا يمدون القاعدة بالمؤونة من الجو بانتظام . وفى الصباح التالى عثرت إحدى طوائف الحرس فجأة على ألمانى وحيد جاثم بين الصخور ، وإلى جانبه عدد من قنابل اليد ، ولـكنه سلم بلا مقاومة . وكان يرتدى الملابس القطبية التى كان يلبسها إيلى كنودسن ، سائق زلاجة الحرس الذى قتله النازيون .

وبعد بضعة أسابيع حادثت الملازم ريتر ، فعرفت منه أنه كان صاحب سفينة ألمانية لصيد الحوت ، ومدرساً ومؤلفاً عن المناطق القطبية ، وأنه التحق بالأسطول الألمانى فى سنة ١٩٤٢ ، وعهد إليه بقيادة بعثة إلى جرينلند لإقامة محطة للأرصاد الجوية ،وكان الغرض منها إمداد سلاح الطيران الألمانى بأنباء الأحوال الجوية القادمة إلى مدى طويل ، وكذلك توجيه الغواصات الألمانية فى حربها فى شمال المحيط الأطلسى . ثم إن جرينلند ، كما قال ريتر ،كانت تستعمل بانتظام لإرسال الأنباء عن التطورات الجوية إلى السفن التجارية النازية ، وبذلك تعينها على تفادى أساطيل الحلفاء ، وحمل المؤونة لحساب المحور بين النرويج واليابان . وقد هبط جرينلند فى أغسطس سنة ١٩٤٢ ، وظلت محطته تعمل نحو عام ، وتبعث التقارير الجوية مرتين فى كل يوم إلى القيادة العليا للأسطول الألمانى فى برلين .

وعلى أننا عجزنا عن معرفة ما جرى للألمانيين الذين هربوا من سابين بعد غارتنا، فالمفهوم أنهم اتجهوا شمالا على طول الشاطئ إلى مكان معين فى موعد مضروب حيث التقطتهم بعض الطائرات المائية الألمانية المرابطة فى النرويج . وقد أثبتت المراقبة المستمرة للساحل أنه لا يوجد أى أثر لمنشآت أخرى للعدو .



جرب كل شىء مرة

ولـيم مولتون مارستون

العالم النفسانى المشهور ، ومؤلف كتاب «جرب أن تعيش»

ملخصة عن مجلة «روتيريان»

« أسعد الناس هم أولئك الذين يواقعون الحياة فى أكبر عدد من المواضع ، وأما الذين يشقون فأولئك الذين ليس لهم إلا همّ واحد يسلبهم إياه القدر » .

لو أنك رأيت أعمى يستردّ بصره ، لأدركت من فورك ما تنطوى عليه هــذه العبارة التى قالها الكولونيل تيودور روزفلت ، من حق . وإنى لأذكر رجلا كان مصاباً بورم فى المخ أزيل له بعد خمسة عشر عاماً قضاها مكفوف البصر ، ولن أنسى أبداً ما نطق به وجهه حين رفعت عن عينيه الغشاوة السوداء ، وعاد يبصر شتى ألوان العالم المرئى . فقد بدأ حينئذ يواقع الحياة ويلمسها فى حفل من المواضع العديدة ، مترع الذهن بكل جديد .

ويجىء إلىّ مئات من الناس يستشيرونى ليجعلوا حياتهم أسعد ، وإنما مثلهم كمثل هــذا الأعمى ذى الورم ، فإنهم يحصرون همهم كله حصراً شديداً فى مصدر فرْد للسعادة . فهم يحتاجون إلى « جراحة » نفسانية تفتح لهم عيونهم الوجدانية والعقلية ليتسنى لهم أن يبصروا فى كل ناحية حولها وجوه نشاط تهيئ لهم بواعث جديدة للحياة .

وكثيرون جداً منا يكون معنى أن « يكبروا » هو أن « يضيق نطاق المآرب والمساعى » . والأطفال فى أول الأمر يعنون ويهتمون بكل شىء ، وكلما ازدادت قدرتهم على الحصر شرعوا ينبذون تلك النواحى من العالم التى لا تخدم أغراضهم المباشرة . فإذا لم يوجّهوا بعناية ، فإنهم سرعان ما يعتادون عادات سخيفة تغريهم بالإعراض عن هذا وذاك ، فتكون النتيجة أن يفقدوا متعهم فيشقوا . وقد يحصرون همهم فيما يسمى « اللعب » ويرفضون كل شىء يسمى « عملا » ، وبذلك تتكون لهم عادة عقلية تعميهم سنوات — وربما أعمتهم طول الحياة — عن متعة السعى المثمر .

والنضج معناه عادة تكوين عادات جديدة من الرفض . وقد صار الأعم والأغلب لا الاستثناء والشذوذ ، بين كثيرين ، أن يحصروا همهم فى كسب المال ، وأن يرفضوا الحب والضحك والحياة الاجتماعية . والقاعدة

بين نساء كثيرات أن يحصرن همهن فى واجباتهن المنزلية العادية ، ويهملن الحب والمباهج والمتع العقلية الرحيبة الآفاق .

وإذا المرء ضيق على نفسه دنياه منذ طفولته ، فإن الوسيلة الوحيدة لرجع ما فقد من حرية العيش ، هى أن يحرص على اتباع هذا المبدأ — جرّب كل شيء مرة ، وأعنى بكل شيء ما يكون معقولا أن يباشره إنسان . وعليه أن يكوّن لنفسه عادة جديدة إيجابية ، تبطل أثر الجمود الذى أورثته إياه العادة القديمة ، وتنهضه عن كرسيه المريح ، وتغريه بمعالجة المجهول من الأشياء .

ويشكو الناس من أنهم لا مال عندهم يمكنهم من رؤية الأهرام ، أو لا متسع من الوقت لدرس الموسيقى ، أو لقضاء الشتاء فى فلوريدا . والذى يعجزهؤلاء عن إدراكه وفهمه ، هو أن ما هو مألوف عند هذا هو مغامرة عند ذاك . ولو أنك دونت وجوه النشاط العادية لاثنى عشر من أصدقائك لاستغربت عدد الأشياء اليومية التى لم تجربها قط . مثال ذلك أن معالجة أمر اللصوص من البدو ، أو قراءة اللغة الهيروغليفية المصرية ، تكون على التحقيق حادثاً جديداً لا عهد لى به فى حياتى ، ولكنها أشياء مألوفة فى حياة رجل أعرفه يدير بعثة حفر وتنقيب عن الآثار . على أن هذا الرجل نفسه زار حديثاً حديقة الحيوان فى برونكس للمرة الأولى ، وقرأ رواية بوليسية للمرة الأولى ، وكلا الأمرين عمل عادى فى حياة الكثيرين ، ولكنهما فى حياة هذا الأثرى جديدان وأشبه بالمغامرات .

وإليكم بعض ما اقترحته حديثاً على زوجة على سبيل التجربة : جربى الإنزلاق على الثلج مع أطفالك ، جربى أشغال الإبرة — وثم مخازن تعطى دروساً بالمجان — جربى قراءة روايات ديكنز ، جربى الاستماع إلى موسيقى جيدة ، اشترى بعض أسطوانات جديدة ، جربى أن تقابلى زوجك ليلة الجمعة فى المدينة ، وأن تشهدا معاً رواية سينمائية — فقد سمعته يقترح ذلك — جربى أن تصنعى لوناً جديداً من الطعام تبتكرينه كل أسبوع ، وقد اقترحت عليها عشرة أشياء تستطيع أن تعالجها ، فراقتها سبعة منها جداً ، حتى لقد واظبت عليها . وخليق بمواقعة الحياة فى سبعة مواضع جديدة أن تجعل المرء أسعد وأرغد عيشاً .

وقد تقول معترضاً : « ليس عندى وقت لشىء غير عملى الذى أعمله الآن » فإذا كان هذا صحيحاً فإنك تكون فى مركز حرج . ذلك أنك تضع كل « بيضك » فى سلة واحدة . والأرجح فى الاحتمال أن تفقد سلتك ، أو أن تسرق منك ، أو أن يعرض

لهـا ما يتلفها . وماذا يكون مصيرك إذن ؟ تغرق ! تسلبك ضربة واحدة كل قوتك الدافعــة ، وتحرّم غايتك وهمك الحيوى . ونحن نرى الأمهات اللواتى تدور حياتهن كلها على بنيهن ، يلفين أنفسهن من الوجهة الوجدانية عاطلات طائعات حائرات حين يكون أطفالهن خارج البيت ، ونرى بعض الرجال حين يعتزلون العمل يذوون فعلا . ولست أعرف حالة واحدة كان فيها تركيز الوجدان فى هم واحد مجلبة للسعادة ، ولـكنى أستطيع أن أذكر مئة حالة أفضى فيها السير على درب واحد إلى التحطم فى النهاية .

إن ما اعتدناه من العجلة ومسابقة الزمن كثيراً ما يحرمنا التسلية واللهو بأشـياء وحوادث فى طريقنا ، كأنك قد عصبت عينيك وحجبت بصرها . ذلك أن المستعجل يجعل باله دائماً إلى ساعته ، ويحصر همه فى ترتيب أعماله وأوقاته ، وفيما قد يعوقه أو يؤخره . وأنا أعرف عشرات من الناس لا يحجمون عن شراء نشرة أخبار البورصة بربع ريال ، ولـكنهم يمرون ببنائها عشرات من المرات كل أسبوع ، مسرعين ، إلى غير غاية ، ولا يخطر لهم أن يطلبوا بطاقة تخولهم زيارتها . وأكبر الظن أنك ما دخلت قط مبنى له قيمة ، أو زرت الآثار الواقعة على طريقك وأنت تمر بهـا خطفاً كل يوم ، ومع ذلك لا يكلفك كثيراً أن تصعد بضع درجات وتفتح أبواباً ، أما الدقائق القليلة التى تفقدها فتلك استثمار جيد يزيد ذخيرتك من التجارب .

ومعالجة التنويع لا تحوجك إلى ترك همك الأول ومشغلتك الـكبرى — بل أخلق بذلك أن يوسع نطاق ما أنت معنى به ، فإن فى حدود ما تقف عليه همك ، تجارب جمة ومآرب إضافية كثيرة ، تفيدك صحة فى العقل والجسم ويطرد بها نموك . فركز خواطرك فيما تشاء ، ولـكن جدد قواك ونشاطك . فإن تجربة كل شيء مرة واحدة فيه وقود لآلتك.

وروح التسامح حيال الأشياء ، كروح التسامح حيال الناس ، إنما تكتسب بتجربتها . فإذا كنت قـد ألفت أن تسافر فى مركبة بولمان فجرب سيارات الأسفار أو الأمنيبوس ، فإنك خليق أن تلقى ذلك مسلياً ، وأن تجد أنه فتح لك أبواباً جديدة . وإذا كانت عادتك أن تركب سيارات الأسفار ، فادخر قليلا واستمتع بالسفر فى مركبة بولمان — فإن الأثر لا يختلف . وقد نصحت المسز روزفلت حديثاً لطائفــة من الفتيات الحريصات على التقاليد فقالت لهن : «اخرجن كمستكشفات فى بلادكن . وليكن منكن سائحات حقيقيات ولو فى منطقة محـدودة » . وهى نصيحة سديدة — وعلى المرء أن يجرب كل شيء

حتى الطيران فى عاصفة ثلجية (إذا سمحت لك الشركة بذلك) ، وحقيق به أن يدرك حينئذ أنه فاته أكثر مما كان يظن .

وتجربة كل شيء مرة ، إذا واصلتها بضع سنوات ، تكسبك مقداراً هائلا من المادة النافعة لمعيشتك اليومية ، وتفيدك جديداً من الاتصال القائم على العطف ، بإخوانك ومن تعرف من رجال العمل ، وتفتح لك أبواباً للحديث مع فلان وفلان .

ولست أدرى كيف يحجم شخص عاقل يعرف مزايا توسيع نطاق الحياة ومضار تضييقها ، عن نشدان التوسيع . ولكن مجرد إدراكك أنه ينبغى أن تجرب كل شيء مرة ، ليس معناه أنك ستفعل ذلك ، فإن هناك مع الأسف فجوة وبوناً — نفسانيا — بين التفكير فى فعل شيء ، وفعله .

وطريقة تخطى هذه الفجوة هى أن تعبرها وتجتازها من غير أن تقف لتفكر . عرفت معلمة شابة كانت تشتهى دائماً أن تذهب إلى برمودا ، ولكنها كانت ترجئ الشروع فى ذلك ، فتحريت أن أمشى معها ذات يوم ، فمررنا بمكتب سياحة ، وزعمت أنى أريد أن آخذ بعض البيانات الخاصة بباخرة ، ودخلت بها المكتب ، واحتلت حتى أدرت الحديث على برمودا والسفر إليها ، فسرعان ما حجزت مكاناً لها وهى لا تكاد تدرى أنها فعلت ، لأنها مضت إلى غايتها دون أن تفكر فى الوسيلة أى تفكير .

ومن الحكمة أن نتوخى حسن الاختيار لما نجرب ، لنتقى السير على غير هدى وبلا تمييز فى طلب المتعة ، وإن الحياة بدون مغامرة لعبء ثقيل ننزع إلى محاولة تخفيفه أحياناً ، أو كما قال ألدوس هكسلى : « إن الحياة العادية إيقاع مستو مطرد ، بين فقراته فواصل من اللهو » . فإذا أبقينا همنا ضيقاً محدوداً ، فإنه لا يسلينا إلا الإسراف فى القصف واللهو . وخير من ذلك أن نحرص على معالجة تجارب متخيرة بدلا من الاندفاع إلى أول ما يعرض لنا . وأخلق بمن يوقظ قلبه لمفاتن العالم المحيط به ، أن يكون بمأمن من الملل ، وأن لا يحتاج إلى الجهود المتقطعة لتفاديه أو الهرب منه .

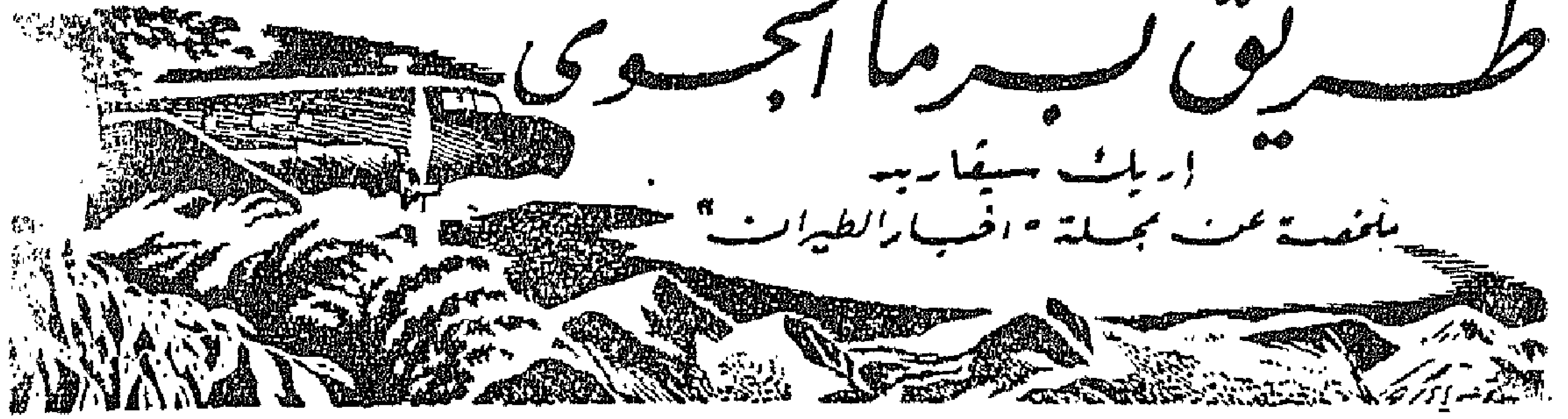


الزواج السعيد

● إن الزواج السعيد هو حديث طويل يبدو دائماً غاية فى الاقتضاب .

[اندريه موروا]

إن اجتياز طريق برما الجوى بطائرات قيادة النقل
فى سلاح الطيران الأمريكى ، صراع دائم مع الموت



كانت سموات برما الشمالية خالية من السحب ، وهذا أمر مكروه ، لأن اليابانيين يميلون إلى تصيّد طائرات النقل غير المسلحة ، كالتى تمتطيها وهى تعبر المرتفعات بين الصين والهند . وقد أخطرنا عامل اللاسلكى بأن أربعاً من طائرات « زيرو » فى مكان ما قريب منا .

كنت جالساً غير مستقر على صندوق خشبى فيه جرايات الطعام ، فى القبة الزجاجية فى أعلى الطائرة ، وهى من طراز (س — ٤٧) ، فرفعت رأسى تحدقاً فى الزرقة الخاطفة للأبصار . فنحن إذا لمحنا طائرات الزيرو أولا ففى النجاة أمل ، إذ يتمكن الطيار ، الملازم « جورج هنّا » ، من أن يسف بطائرته المنكرة إلى الأودية ليحاول أن يفلت خلسة . ولكنهم إذا أبصروا بنا أولا ، واتجهوا نحونا والشمس من خلفهم — فيغلب على الظن أن رقم طائرة أخرى سيمحى من اللوحة المنصوبة فى المطار بأسام فى الهند . وعندئذ يقول الرجال ، الذين يعبرون هذه المرتفعات بين الهند والصين ، ما سمعتهم يقولونه مراراً بلهجة مشوبة فى الظاهر بعدم المبالاة : « لقد أخذ هنّا نصيبه اليوم » .

وأخذ قائد الجماعة مكانى ، ووقفت خلف الطيارين . وكان الطيار المساعد متوتر الأعصاب قليلا ، إذ لم يتمرّس بهذه الرحلة ، فكان يتلطف فى تنبيه « هنّا » إلى احتمال عجزنا عن عبور المرتفع المقبل ، وهو على ربع ميل منا ، فلا ينبس « هنّا » بل غمز زميله حين اجتزناه ، وارتفاعنا عنه لا يكاد يتجاوز أربعين قدماً . وإنك لتسف بالطائرة فوق التلال فى الأيام الصافية حين تكثر طائرات الزيرو حواليك ، معرضاً نفسك لأن يدفعك فجأة تيار هابط من الهواء فيحطمك على التلال ، ولكنك فى الوقت نفسه تجعل الأمر عسيراً على طائرات الزيرو ، فيشق عليها أن تعثر عليك فى أرض محيرة ما بين دُكنة لونها وخضرتها .

وكان أمامنا خطر آخر ، إذ أشار هنّا

إلى مجموعة من الأبنيــة الخشبية المسقوفة بالسعف ، وهى ثكنات عسكرية يابانيــة تكاد تقع منا على مرمى المســدس . وإنه ليعجزنى أن أصــور ما أثار ذلك فى نفسى من شعور ، فأصبحت أدرك الآن معنى العبـارة : « بين الشيطان والبحر الأزرق العميق » . وحدقنا فى الدغل تحتنا ، مترقبين الطلقات الأولى من الرصاص القصّـاص ، فإن الرشاشات المخفاة أسقطت أكثر من طائرة من طائراتنا الناقلة ، ولكن لم تنطلق هذه المرة رصاصة ما .

ومضينا هادرين نحـو طريق ليـدو ، ذلك الشعب الضـيق الأبيض المتعرج بين التلال ، الذى ينشئه مهندسوا الجيش الأمريكى ليتصلوا بطريق برما القديم ، وأصبحنا هنا فى حماية مدافعنا المضادة للطائرات . ولم تلبث أن انتهت رحلتنا من الصين إلى أسام ، وهى تستـغرق ثلاث ساعات ، فلم أشـعر قط بالارتياح كما شعرت به عندئذ ، وحتى هـنّا نفسه ، كان يمسح العرق عن وجهه الأحمر ، وكان قد أتم فى هذا اليوم رحلته السادسة بعد التسعين فوق هذه المرتفعات .

وليس هـنّا إلا أحد مئات من الشبان الأمريكيين الذين جهدوا أن يعبروا هــذا الطريق فى السنتين الماضيتين ، ناقلين الوقود والقنابل والذخيرة للقوة الجوية الرابعة عشرة التى يقودها الجنرال شـنولت فى الصين ، وكذلك سيارات الجيب والمدافع والعقاقير وآلاف المواد الأخرى اللازمة لتعزيز المقاومة الصينية المترنحة .

وقد نقلت طائراتهم من الصين إلى مصانع أمريكا سبائك القصدير الخام ومعدن الولفرام ، ونقلت المصابين من الجنود الأمريكيين على نقالات ، ونقلت جنوداً صينيين إلى الهند لتدريبهم على الأسلحة الحديثة تحت إشراف ضباط أمريكيين .

إن الولايات المتحدة تسلم الصين عن طريق الجو مقادير من مواد الحرب تثير العجب . فالرحلات اليومية إلى الصين بضع عشرات ، وأظن أن قيادة النقل الجوى تنقل إليها من المؤونة ما يقارب خمسة عشر ألف طن كانت تنقل إليها بطريق برما البرى .

وقليل من الناس من يعلم خبر هذا الخط الجوى العظيم الذى يجتاز المرتفعات ، لأن وزارة الحربيــة الأمريكيــة كانت تلتزم الصمت ، أما اليوم فلنا أن نقص خبره لأن حماية الطريق أصبحت أتم .

إن هؤلاء الشبان الذين عبروا المرتفعات طائرين يوماً بعد يوم ، لمن أبطال الحرب المغمورين ، إذ لم يستطع أغلبهم أن يخطر حتى أهله الأدنين بما يفعل ، بل كان يقول : « إن هى إلا رحلات نقل عادية » وفى هذا

ما يوحى ببساطة العمــل وأمنه ، ولكنى سمعت قواد المقاتلات وجماعات القاذفات وهم يتكلمون عن « عابرى المرتفعات » هؤلاء . وإنى لأعلــم بأىّ إجلال عميــق كانوا يذكرونهم ، فأذكر ما قاله المــلازم تومى هرمون ، قائد إحدى المقاتلات من طراز ب — ٣٨ (لا يتننج) : « إنى لأوثر أن أقود طائرة مقاتلة ضد اليابانيين ثلاث مرات يومياً ، على أن أقود مرة واحدة طائرة نقل فوق هذه المرتفعات »

إنها مهمة تحتاج إلى ضرب خاص من الرجال . فعــلى القائد أن يكون بارعاً فى الملاحة ، إذ عليه أن يلتزم الصمت اللاسلكى خلال معظم ساعات الرحلة الثلاث ، وكذلك يسهل أن يضــل مكانه فوق تلك الأرض الوعرة ، ولا سيما بين القمم الشوامخ المكللة بالثلج التى تمتد شرقاً من جبــال الهملايا . وإذا برح الهند مزمعاً الطيران مسفّاً فوق تلال برما ، فقد تفاجئه عاصفة من رياح « الموسم » فتجبره على الارتفاع إلى ما فوق ١٨٫٠٠٠ قــدم ، حيث يحتمل أن يتراكم الثلج على أجنحته فى لحظات قليلة . ورباطة الجأش فى المقام الأول ، فالهجوم عليك وأنت مسلح بمدفع أمر محتمل ، أما أن تعلم أن طائرة زيرو تتعقبك وأنت أعزل ، ثم أن تحتفظ مع ذلك بسلامة تفكيرك حتى تجد لنفسك مخرجاً ، فأمر يختلف عنــه كل الاختلاف .

ويسمع المرء دائمــاً فى الثكنات ، عن رجال طائرات قفزوا بالمظلات ، وما زالوا يحاولون العثور وسط الأدغال على الطريق منها إلى الهند أو الصين . وقد زاد معدل من ينقذونهم ، ويرجع بعض ذلك إلى ازدياد عــدد الأهالى من قانصى الرؤوس الذين يعلمون أن من يعثر على الطيارين ويعيدهم سالمين يكافأ بالملح والثياب . ثم إن قيادة النقل الجوى نفسها تضم الآن عــدداً من الجماعات أكبر ، لا عمل لها إلا أن تمتطى طائرات من طراز س — ٤٧ ، للتنقيب والبحث عن أى قطعة من ثوب أبيض ترف فى أحد الأودية التى ليس لها عداد ، فيستدل بها على وجود طيار مفقود .

وقد قمت أخــيراً برحلة إلى الصين مع الميجور جنرال هارولد جورج قائد سلاح النقل الجوى ، فى طائرة ذات أربعة محركات من طراز س — ٨٧ ، يقودها اثنان من أقــدر قواد طائرات النقل ، هما اللفتنانت كولونيل كايت والماجور كلوز ، وهما اللذان طارا بويلكى حول العالم . وكان كل شئ على ما يرام — أو هكذا ظننت ، ولــكن حين دنونا من قاعدتنا فى الصين ، انعــدم مدى الرؤية ، وأسف الغيم وأطبق حتى كاد

يلامس الأرض . وظللنا نحوّم على ١٨٠٠٠ قدم ، فى دوائر تتوالى دون نهاية ، ولا نكاد نرى أطراف الأجنحة . وساورنى القلق حين جاوزنا ميعاد الوصول بساعة ونصف ساعة ، وبدأت أحسب ما يكفينى من الوقت حتى أشد المظلة علىّ .

ولم أكن أعلم عندئذ أنا كنا نحمل من الوقود ما يكفينا أن نعود إلى الهند إذا اقتضى الحال ذلك . كان كلوتز يريد العود ، أمّا كايت فقد خامره أن فى وسعه أن يهبط بنا . وعلمنا عندئذ بوجود ٢٢ طائرة أخرى من حولنا « مرصوفة » بعضها فوق بعض وقد احتواها الضباب ، وكل منها تحاول أن تهبط . وأنصت بالسماعات ، فاستطعت أن أسمع ضابطاً على الأرض يناديها بصوت هادئ لكى تدنو إلى الأرض رويداً رويداً . فكان يقول : « حسنا ، فلتهبط الطائرة رقم ٧٥٦ إلى ١٠٠٠٠ قدم » . ولم يكن يسمح قط بأن تظل طائرتان على ارتفاع واحد ، وكان يوجهها إلى الأرض واحدة بعد واحدة .

وكانت فوقنا طائرة نقل وفى جهازها اللاسلكى خلل ، فكان الطيار قادراً على إرسال الإشارات عاجزاً عن تسلمها . وسمعناه يطلب إرسال طائرة إلى مستواه حتى يستطيع أن يقتفى أثرها فى الضباب ، فلما أرسلت لم يعثر عليها . فقال : « لم يبق من الوقود سوى ما يكفى ٢٠ دقيقة » . ثم قال من بعد : « بقى عشر دقائق على ما أظن » . وكان صوته متزناً . وقال أخيراً : « لعمرى إنه ليحز فى نفسى أن أفقد هذه الطائرة ، ولكنا سنقفز بالمظلات . وإلى الملتقى على الأرض » .

وهبطنا بسلام بعد أكثر من ساعتين قضيناها فى التحويم والتدانى محاذرين ، وعلمت أن الذين قفزوا بالمظلات هبطوا على مسافة ٢٠ ميلا منا . وقد أتى بهم فى اليوم التالى جنود صينيون فى سيارة نقل إلى المطار . وكانت هذه أول قفزة قفزوها فى حياتهم جميعاً .

فلما كانوا يجتازون أرض المطار رأوا طائرة نقل ليس لها جماعة تقودها ، فساروا إلى حجرة العمليات ، يجرون من خلفهم مظلاتهم القذرة وقالوا : « ماذا ترون فى أن نعود بتلك الطائرة إلى الهند ؟ فثمة فريق من الشباب سيأتى الليلة ليلعب معنا الورق » .

● يستوى عندى أن أحرق وأن لا أحرق جسورى من ورائى ، لأنى لا أتقهقر أبداً . [لاجورديا محافظ مدينة نيويورك]

دى لى

يول دى كروف

« يجب أن لا تحدث وفيات من الوضع والنفاس » — هكذا يقول هذا الرائد المتحمس لعلم الولادة الحديث ، فإنه أبى إلا أن يدفع الموت عن الوالدات .



منقذ الوالدات

ظلت الأمومة ، حتى عشرة أعوام مضت ، أكثر وظائف البشر تعرضاً للأخطار.

ثم كان ذلك العلم الجبار، علم الولادة الآمنة ، فأنقص معدل وفيات الوالدات فى الولايات المتحدة إلى نصف ما كان عليه ، وخفض عدد الضحايا من الأطفال ، الذين يولدون موتى أو يموتون سراعاً بعد الميلاد .

ومنذ أكثر من خمسين سنة كان يعرف من هذا العلم جانب كبير ، ولكن قلما يطبق ، ويعود الفضل إلى جوزيف ب . دى لى — أكثر مما يعود إلى أى رجل آخر — فى تحريض الأطباء على دراسته ، وعلى النضال فى سبيل الإيمان بأن ليس الموت حتما على الوالدات .

لم يكن « دى لى » يعترف بأخطائه القاتلة فحسب ، بل كان يكب عليها مفكراً مهموماً ، وظل جيلين يبدىء للأطباء ويعيد أن عليه وعليهم تقع التبعة فى ضريبة الموت التى تدفعها أمريكا كل عام ، فتبلغ ٢٥٠٠٠ من الوالدات وأكثر من ١٥٠,٠٠٠ من المواليد . وكذلك أصبح هذا الرجل الفارع الأشيب ذو العينين النفاذتين السوداوين ، رقيباً عتيداً على فنّ الولادة فى أمريكا .

كان هذا الرجل غريب الأطوار ، شديد الغموض حتى على أفراد أسرته ، ومع ذلك فقد فاضت فى قلبه رحمة لا حدّ لها ، نخص بها الوالدات وهن فى محنة المخاض . ولهن وحدهن يمزق أستار عزلته ، فيجدن عنده المحبة والحنو والعطف بل البشاشة حتى أحببنه حبا جما .

وقد ربح دى لى وهو يمارس الطب أموالا طائلة ، فقد كان يولد أرقى النساء فى ثلاث قارات . ومع ذلك كان يقتر على نفسه ، كى يؤجج بالمال جذوة غرامه الوحيد : أن يغرس العلم وبغض الموت فى نفوس الأطباء الناشئين .

الغــزو

ثلاثة من كتاب « ريدرز دايجست » يشاهدون استهلال درامة الغزو العظيمة من المقر الخفى لقيادة أيزنهاور ، العقدة العصبية المركزية لعملية الغزو كلها — من سفينة الأميرال فى الأسطول الذى حقق معجزة الوصول إلى الشاطئ بغير أن يكشف — من الشاطئ الدامى ، كتفاً إلى كتف مع الجنود .

— ١ —

ساعة الفصل

مع أيزنهاور وراء الستار

ألن مكى

محرر « ريدرز دايجست » الطواف
الملحق الآن بقيادة الجنرال أيزنهاور

منذ أربع سنين ، وقبل أن يرحل آخر جندى بريطانى عن شاطئ دنكرك ، اختار تشرشل رئيس الوزارة طائفة صغيرة من الضباط ، وكلفهم مهمة مضنية هى أن يضعوا مشروع العودة إلى القارة . وقد كان هذا يبدو حينئذ ، وإلى زمان طويل بعد ذلك ، مجرد تدريب نظرى ، ولكنه لما عقد مؤتمر الدار البيضاء فى أوائل سنة ١٩٤٣ لم يعد المشروع يبدو خياليا ، وملأت تدابير يوم الغزو أربعة مجلدات ضخام كل واحد منها فى حجم دفتر تليفونات ضخم .

أما المكان الذى يبدأ منه الغزو فتقرر منذ أكثر من عام ، ووافق روزفلت

وتشرشل ، ورؤساء أركان الحرب المجتمعين على القرار فى أغسطس سنة ١٩٤٣ ، بمدينة كويبك .

وتقرر أن يبدأ الغزو بين آخر مايو ومنتصف يونيه سنة ١٩٤٤ ، قبل ثمانية شهور على الأقل ، وفى نوفمبر سنة ١٩٤٣ أبلغ الرئيس روزفلت المارشال ستالين هذا ، وترك اختيار اليوم لأيزنهاور ، فأعرب المارشال ستالين عن ارتياحه التام .

ولما وصل الجنرال أيزنهاور إلى لندن فى يناير سنة ١٩٤٤ راجع بيان الجنود والمعدات التى وعد بها ، ومواعيد وصولها . وبعد أن اطمأن ، اختار للغزو الأسبوع الذى يبدأ فى ٣ يونيه وينتهى فى ١٠ .

وبقى تعيين اليوم ذاته إلى اللحظة الأخيرة .

وقبل يوم الغزو بأربعة أسابيع أو خمسة انتقل ديوان القيادة العليا لقوات الأمة المتحالفة من لندن إلى مقر الميدان ، على مقربة من موانئ الشحن والشاطئ البريطانى الذى ألقيت عليه كتل تستطيع صنادل الإنزال أن تأتى إليها عندما يعلو المد .

وكان مركز أعمال الغزو كلها منزلا عتيقاً كبيراً مرت به أيام أسعد وأرغد ، يقوم فى وسط بستان خاص عظيم الدوح .

وإلى هذا المخبأ الكثيف الرُّبُض تدفقت الأنباء والمعلومات — صور شمسية أخذها ملاحون فدائيون على ساحل نورمندى لخمسة أنواع رئيسية من الألغام والعوائق التى دست تحت الماء للحيلولة دون النزول ، وصور للجسور الحيوية وأفنية السكك الحديدية ، ضربت بالقنابل من الجو حتى عادت ولا خير فيها . وبدأت الهجمات الجوية قبل يوم الغزو بثمانية أسابيع ، فما حل يوم ٦ يناير حتى كان ٨٢ مركزاً للسكك الحديدية وراء جدار الأطلسى قد ضربت ، ومعظم جسور السكة الحديدية والطرق المؤدية إلى شبه جزيرة شربورج قد حطم ، فاضطر الألمان إلى إرسال المؤن والنجدات بطرق طويلة متلوية .

وكانت الخطة الجوية تقضى بأن تلقى قنبلتان على غير موضع الغزو — مثل بادى كاليه — مقابل قنبلة واحدة على هدف الغزو الحقيقى ، وذلك للتضليل . وقبل يوم الغزو ببضعة أيام بدأ العمل فى تطهير بحر المانش ، فجاست المدمرات المتحالفة — والطائرات فوقها — ومعها كاسحات الألغام كل ياردة مربعة تقريباً من بحر المانش ، على حين تولت قوات أخرى

إغلاقه من الجانبين . وكانت الغواصات لا تستطيع أن تطفو على السطح مدة كافية فى هذه المنطقة لملء بطارياتها بدون أن ترى ، وطردت زوارق الطربيد الألمانية إلى قواعد بثت الألغام فى مداخلها كل ليلة بواسطة الطائرات ، ليكون من المستحيل عليها أن تخرج فجأة للتعرض لأسطول الغزو . وقامت وحدات ثقيلة من الأسطول الإنجليزى بحراسة مشارف بحر الشمال ، لتعترض طريق السفن الحربية الألمانية الكبيرة . وجاءت تقارير قسم الاستعلامات مؤيدة بالصور الشمسية ، منبئة بوجود مراكز للمدافع الضخمة على الشاطئ لم تظهر قبل ذلك .

وفى اللحظة الأخيرة خان جاويش ألمانى « الفورر » وأرغم بمسدسه طائفة من صيادى السمك الفرنسيين على العبور به إلى إنجلترا ، وقد حمل معه تفاصيل ثمينة عن استحكامات جدار الأطلسى ، وهكذا صار جدار الأطلسى لا يطوى عنا من الأسرار إلا أقل من القليل

وكان البريطانيون منذ زمن طويل قد ناشدوا الذين قاموا برحلات فى القارة أيام السلم ، أن يقدموا ما كانوا قد رسموه من الصور الشمسية ، وقد استخلصت تفاصيل قيمة من آلاف الصور التى وردت — فهذا زقاق ضيق لا يظهر على أية خريطة ، ينتهى إلى ربوة نصب الألمان عليها بطارية من المدافع الثقيلة ، وهذه سكة خلفية تلتوى وراء فندق لسياح ، جعل منها الألمان موقعاً حصيناً ، وهكذا .

ومنذ ٢٩ مارس بدأ الجنود يتحركون إلى مناطق تدنو تدريجاً من موانئ الإبحار ، ثم إلى مناطق الشحن ، وسير نحو ألفى قطار خاص إلى ثغور الشاطئ . وكانت فى حجرة المراقبة الكبيرة خريطة مضاءة تبين سير كل قافلة على الطرق إلى الموانى . وفى أثناء ذلك كان الجنود يتدربون بذخيرة حقيقية فى مناطق كبيرة فى بريطانيا أجلى عنها المدنيون ، ووضعت صور طبق الأصل من عوائق النزول التى أعدها روميل ، وتدربت الفرق على إزالتها أو تعطيلها .

وكان من ثمرات تجربة دييب أن أعدت صنادل خاصة للنزول ، وجهزت ببطاريات سهم نارية لمحو العوائق الساحلية ، وجهزت عشرات الألوف من السيارات بوسائل الوقاية من الماء للنزول على الشاطئ ، وجعلت لها أنابيب مرنة ، ومداخن من الصلب

ذاهبة فى الهواء فوق الآلات ، لامتصاص الهواء اللازم للمحركات حين تخوض الماء الذى يبلغ عنق السائق .

وواصل العمل نحو ٢٨٠ مصنعاً بريطانيا ليلا ونهاراً ، وأفرد إنتاج بريطانيا كله من الصلب لهذه المهمة الكبرى . واستغرقت المهمة المعقدة الخاصة بتنظيم شحن سفن الغزو عامين من العمل الإخصائى .

وقد غصت مخازن الذخيرة التى لا آخر لها والتى بنيت على الطرق الإنجليزية الساكنة ، بأكثر مما استخدم فى الحرب العالمية الأولى كلها . ووقفت الدبابات متلاصقة ، والطيارات متلامسة الأجنحة ، وقوافل طولها عدة أميال من سيارات النقل وآلات تمهيد الأرض والسيارات البرية المائية والمدافع الآلية ، فى الحقول وعلى جوانب الطرق ، حتى راح البريطانيون يتعجبون ويتساءلون : هل تحتمل جزيرتهم الصغيرة كل هذه الأثقال .

وقبل يوم الغزو بثلاثين يوماً تم التدريب الأخير على الغزو فى أوسع نطاق ، وقال المكدودون من الأمريكيين والإنجليز الذين اشتركوا فى ستة من هذه التداريب : إنهم حين يدعون مرة أخرى ، يؤثرون أن يذهبوا إلى القتال مباشرة . وقال مثل هذا بحارة صنادل الإنزال الذين خرجوا إلى البحر مراراً لمخادعة العدو وتضليله . وقد نالوا جميعاً ما تمنوا .

وقبل يوم الغزو بسبعة ايام ، وكان قد اختير له يوم الاثنين ٥ يونيه ، بدأ الشحن النهائى.

وكان كل يوم ينقضى يزيد التوتر فى ديوان القيادة العليا لقوات الحملة المتحالفة ، ولكن الجو كان جو سكينة فى المقر الشخصى للقواد ، وترك « مونتى » لمرءوسيه الأعمال التفصيلية التى يمقتها ، وعكف على مؤلفات أنطونى ترولوب ، وهو آثر كاتب عنده .

وأبى أيزنهاور أن ينتقل إلى البيت الكبير ، وضرب لنفسه خيمة فى الغابة ، وهو ينام فيما يسميه «مركبة الميدان» — وهى مقامة على حوامل سيارة من سيارات الجيش — وقد اقتبس الفكرة من «مونتى» ، وهى عبارة عن غرفة مفردة بعثرت فيها قصص الغرب والروايات البسيكولوجية .

وفى عصر يوم الجمعة ، الثانى من يونيه ، أقبل المستر تشرشل رئيس الوزارة والفيلد مارشال سمطس ، على معسكر أيزنهاور ، بعد أن طافا بالشاطئ ليراقبا أعمال الشحن . وراح الثلاثة يتحدثون ساعة ، وقال تشرشل إنه يود أن يرافق قوات الهجوم فى يوم الغزو .

فلم يعر الجنرال أيزنهاور قول رئيس الوزارة عناية جدية لظنه أنه يمزح ، ولكن المستر تشرشل كرّ إلى الموضوع ، فقال له أيزنهاور أخيراً بصراحة إنه لا يمكن أن يذهب ، وذكّر المستر تشرشل بأنه إذا قتل فإن الأمور تضطرب ، والعمل الحربى كله يتعرض للخطر ، واستطرد أيزنهاور فقال : « وفضلا عن ذلك فإن السفينة الحربية التى تركبها تحتاج إلى حماية أكبر مما نستطيع أن نمنحها » .

وإنه لفى هذا ، وإذا بقصر بكنجهام يطلبه تليفونيا، وكان المتكلم هو الملك ، وكان قد وقف على غرض رئيس الوزارة من زيارته لأيزنهاور .

وقال الملك : « لا يجوز للمستر تشرشل فى أى حال من الأحوال أن يفكر فى الذهاب إلى فرنسا يوم الغزو » .

فوافق المستر تشرشل وهو مكتئب .

وفى مساء السبت الثالث من يونيه عقد الجنرال أيزنهاور أول مؤتمر من أربعة لتعيين يوم الغزو وساعته ، وكان المجتمعون معه « مونتى » فى هندام أنيق للمرة الأولى ، وهو بذلة عسكرية جديدة تلقاها من الولايات المتحدة ، والإيرتشيف مارشال السير آرثر تيدر الساكن الرقيق الكلام والنائب الألمعى للقائد العام للحلفاء ، والأميرال السير برترام رامزى الذى ألهمته بديهته المتوقدة أن يرتجل التدبير الذى أنقذ الجنود من دنكرك .

وكان آخر من وصل الإيرتشيف مارشال السير ترافورد لى مالورى قائد القوات الجوية للحملة المتحالفة ، وقد جاء من لندن فى طيارته الخاصة .

وكان الجو فى الخارج يبدو فى هذا الضوء الخافت حسناً ، ولكن الخبراء من رجال القيادة العليا كانوا يعلمون من التقارير أن الجو غير مشجع . وكان هناك ثلاثة من هؤلاء الخبراء ، ضابطان بريطانيان وكولونيل من السلاح الجوى الأمريكى ، وقد قضوا أسابيع وهم يصدرون تكهنات وخرائط للحالة الجوية كل ساعة تقريباً . والآن جاء تقديرهم مثبطاً، وقالوا إن الجو فوق البحر وفرنسا سيزداد سوءاً باطراد، وتسف السحب فلا يتيسر النشاط الجوى ، وستكون الرياح عالية والأمواج مضطربة فتعرقل الإنزال .

وتأجل القرار النهائى إلى منتصف الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى (السبت

٤ يونيه) وتفرق القواد ليناموا بضع ساعات . فلما اجتمعوا صباح السبت أيد خبراء الجو تكهناتهم السابقة ، فتقرر إرجاء الغزو ٢٤ ساعة على الأقل ، فإذا ظل الجو سيئاً فقد يؤجل كل شيء أسابيع حتى يعود البحر والقمر عوناً على النزول ، فليس ثم سوى يوم واحد يصلح لهذا العمل ، إذ يجب أن يكون القمر بدراً ، وذلك لتمكين الجنود الذين تحملهم الطائرات من العمل بنجاح ، ولإتاحة الفرصة للطائرات المقاتلة وللمدافع المضادة للطائرات لطرد الطائرات الألمانية ، وليتعذر العمل على زوارق الطربيد الألمانية القوية الفعل ، لأنها تتقي النور وتخشاه . ويجب أن يكون هناك جزر قبل الفجر بثلاث ساعات ، لتظهر العوائق المدسوسة تحت الماء فتدمر ، ويصلح الساحل للنزول .

وفى مساء الأحد ٤ يونيه زار المستر تشرشل والمارشال سمطس الجنرال أيزنهاور ، وانضم إليهما بعد قليل الجنرال دى جول ، وظلوا وقتاً طويلا يبحثون وجوه القرار الخطير الذى كان من حق أيزنهاور وحده أن يتخذه . ثم انصرفوا . وفى الساعة التاسعة عقد أيزنهاور اجتماعاً آخر من أركان الحرب فى ديوان القيادة ، ودعى خبراء الجو واحداً واحداً ، فجاءت تقاريرهم الفردية متفقة وأبعث على الارتياح ، وقالوا إن الأمل كبير فى أن يطرد تحسن الجو فوق البحر وفرنسا فى الثمانى والأربعين ساعة التالية .

ووزن القواد وأركان حربهم الأمر الذى هم مقدمون عليه ، وبعد ٤٥ دقيقة اتفقوا على أن الغزو واقع لا محالة ، ولكنهم قرروا أن يعقدوا مؤتمراً أخيراً فى الساعة ٤٫٣٠ من صباح الاثنين ٥ يونيه ، ليقولوا كلمتهم الأخيرة .

وارتد الجنرال أيزنهاور إلى مركبته ونام بضع ساعات ، وفى الساعة الرابعة عاد إلى ديوان القيادة ، فجلس حول المائدة تيدر ، ومونتجمرى ، ولى مالورى ، والأميرال رامزى ، وأركان حربهم ، ودعى أول خبير جوى ، فأصر على تكهنه السابق ، وقال إن الجو الحسن منتظر ، وقد لا يجيء إلا بعد يوم أو يومين ، ولكنه من ناحية أخرى قد يجيء فى خلال اثنتى عشرة ساعة . ووافق الخبيران الآخران — كل على حدة .

ولخص الجنرال أيزنهاور الموقف لقواده : فكل شيء مهيأ ، فإذا طال الإرجاء فلا بد أن تعرف طائرات الاستكشاف الألمانية مدى حشد السفن وصنادل الإنزال

المتجمعة على مقربة من الموانى . وقد أبحرت قوة الهجوم الأمريكية وقوة المهمات البحرية التابعة للولايات المتحدة ، وكلما طال بقاؤها فى البحر ، ازدادت الصعوبة فى حراسة قوافل الصنادل ، وإذا بقينا بضعة أيام أخرى عرضة لمراقبة الألمان ، فإن الغزو خليق أن يفقد مزية المفاجأة .

واعترف الجنرال أيزنهاور بأن الاعتماد على الجو مقامرة ، ولكن عليه وعلى القواد أن يقدموا أو ينكصوا ، وهم جميعاً يعرفون مؤدى النكوص — التأخير عدة أسابيع على الأرجح ، والقيام بعملية الشحن المعقدة مرة أخرى ، والأثر السيء فى نفوس الجنود .

والتفت أيزنهاور إلى الأميرال رامزى وسأله : « ما رأيك ؟ » .

فقال رامزى : أود أن أسمع رأى « نسر الجو » .

فتكلم مارشال الجو بتؤدة ولكنه لم يدع شكا فى أن « نسر الجو » مستعد أن يغامر على ما يتوقعه خبراء الجو .

فقال الأميرال رامزى متكلفاً لهجة التحدى: « حسن إذن ! إذا كان نسر الجو يرى يستطيع العمل ، فإن الأسطول يستطيعه على التحقيق » .

فابتسم الجنرال أيزنهاور ، ولكنها كانت ابتسامة قصيرة العمر ، فهذه هى اللحظة التى جاهدت شعوب الأمم المتحدة وكدّت وتصببت عرقاً من أجلها . ونظر إلى قواده ، وفى وجهه من أمارات الجد ما لم يُر فيه من قبل ، ولا ينتظر أن يرى مرة أخرى ، وقال بهدوء : « حسن ! فلنبدأ » .

ونهض الجالسون بسرعة وخرجوا على عجل من الحجرة ليديروا الآلة ، فصاح بهم : « حظ سعيد » .

وكان هو آخر من خرج ، وكان يمشى مشياً وئيداً ، وقال الذين رأوه إن كل نجم من النجوم الثمانية على كتفيه كان كأنما يزن طناً . وركب سيارته وأسرع إلى مركبته ، ودخل دون أن يوقظ مرافقيه .

فأما وقد تحركت الآلة فإن القائد الأعلى صار أقل الجميع فائدة وغناء ، وكان الجنرال

أيزنهاور لا يجد له عملا طول النهار قبل يوم الغزو سوى زيارة الجنود . وفى الصباح استقل سيارة ومضى إلى ثغر قريب ، وتحدث إلى جنود بريطانيين يركبون صندلهم . وفى المساء قصد إلى المطارات حيث كانت الفرقة الأمريكية الـ ١٠١ المحمولة بالطائرات تستعد فى طائرات النقل والطائرات السابحة (الشراعية) السوداء .

وبينما كان يطوف بسيارته « الكاديلاك » بمطار بعد مطار ، كان الجنود يدهنون وجوههم بالكاكاو وزيت بذر الكتان ، فجعل يتنقل من جماعة إلى جماعة ويمازحهم ، ليخفف من توتر أعصابهم وأعصابه .

ولما دخل الجنود فى طائراتهم السود ، تمنى لهم الجنرال « حظا سعيداً » ، وكان بادى التأثر ، فإن إلقاء عدة فرق تحملها الطائرات ، وإنزال قوات بالمظلات ، على مسافة أميال عديدة وراء جدار الأطلسى قبل ساعة الهجوم على الشاطئ بوقت طويل ، مخاطرة عظيمة . وقد أشار كثيرون من أركان حربه البريطانيين والأمريكيين بالعدول عن ذلك ، لأنه إذا لم تتوطد أقدام الغزاة على الشاطئ ، فإن عدة فرق من أحسن الجنود تدريباً تفقد ، ولكن القائد خاطر ، وكان يعلم أنه بهذه المخاطرة يلقى بكثيرين منهم فى الهلاك . وكانوا هم أيضاً يعرفون ذلك .

وجاءت أول إشارة تليفونية فى يوم الغزو ٦ يونيه إلى مكتب أيزنهاور فى الساعة السابعة صباحاً ، فرد عليها الكومندر هرى بوتشر صديق أيزنهاور ومرافقه البحرى ، وكان المتكلم لى مالورى ، فقال : إن الجنود المحمولين بالطائرات والهابطين بالمظلات نزلوا بنجاح مدهش ، وإن الهجوم الأول على الشاطئ كان موفقاً . فقصد بوتشر إلى « مركبة الميدان » وهو يتوقع أن يجد أيزنهاور نائماً ، فألفاه راقداً وبين يديه قصة من قصص الغرب يقرؤها . فأبلغه الخبر فقال أيزنهاور : « ما أعظم سرورى ! » .

وقال الأميرال رامزى إن مهمة الأسطول كانت ناجحة ١٠٠ ٪ وبخسائر ضئيلة ، والواقع أن النزول كان مفاجأة تامة للألمان ، فقد مكر بهم رامزى وخدعهم بأن أرسل قافلة صعدت فى بحر المانش ليلة الغزو ، فسدد الألمان مدافعهم الساحلية كلها على قافلة التضليل المسكينة ، ثم أمسكوا طول الليل ، على حين كان أسطول الغزو الحقيقى يسير فى سلام وأمان إلى غايته .

وجلس الجنرال أيزنهاور يفطر فى صباح ذلك اليوم وهو سعيد مغتبط للمرة الأولى فى عدة شهور ، وحدث بوتشر عن الأيام الأولى لحملات أخرى تولاها — فى أفريقية الشمالية ، وقد أدارها من جبل طارق ، وبنتلاريا وصقلية ، وقد أدارهما من مالطة وسالرنو . وقال : إذا قورن غزو فرنسا بهذه فإنه أهدؤها جميعاً .

وبقى الجو أشد ما يقلقه ، وحتى قبل أن يناديه بوتشر ، خرج من مركبته وجعل يرقب السماء ويتأملها من خلال الأشجار ، ولم يرتح إلا بعد أن بدأت الشمس تبزغ أحياناً من خلال السحب .

وفى ديوان القيادة ، مرت بالقوم لحظة رهيبة فى ذلك الصباح ، حين وردت أول إشارة من الشاطئ . فحملوها إلى رؤساء أركان الحرب ، ففتحوا الرسالة فقرأوا أن أول فوج فى الهجوم غرق ، فامتقعت الوجوه ، فطلب أحدهم بسرعة أن تكرر الرسالة ، وانتظر القوم دقيقة أو اثنتين . فجاء النص مرة أخرى فإذا هناك خطأ ، وإذا الصواب أن الفوج الأول نزل .

وبعد ٤٨ ساعة توطد « رأس الحربة » فى فرنسا ، دون أن تنزل بالغزاة الخسارة المرعبة التى توقعها المتشائمون .

وبعد أسبوع من بداية الغزو احتلت الجيوش المتحالفة أكثر من ٥٠٠ ميل مربع من أرض أوربا . وستضيع أرواح كثيرين من خيرة جنودنا وأشجعهم ولكن رأس الجسر رسخ فى فرنسا .

فالذى عجز فيليب ملك أسبانيا عنه ، والذى حاوله نابليون وأخفق فيه ، والذى لم يؤته هتلر قط الشجاعة اللازمة لمحاولته ، اجترأت عليه جيوش الحلفاء تحت إمرة الجنرال أيزنهاور وأنجزته .

— ٢ —

الأسطول يعمل

عبور المانش على سفينة الأميرال

فردريك سوندرن

محرر ريدرز دايجست الطواف الذى
شهد الغزو من سفينة الأميرال كيرك

هو يوم الغزو — وساعته تقريباً — وعلى بضعة أميال إلى الأمام على شاطىء فرنسا الواطىء، قريباً من شربورج، كانت منارة تطرف فى سلام. ودق تلغراف برج القيادة، وكفت الآلات عن النبضان، وهوت السلاسل مصلصلة، وأطلقت صفاراتنا إشارة، فوقفت حولنا أشباح عشرات من السفن الأخرى، وكان كل شىء هادئاً فى ضوء القمر — بل كان أهدأ مما ينبغى أن يكون فى رأيى ونحن ننتظر أول طلقة تتحدانا من المدافع الألمانية على الساحل.

وكاد القوم لا يصدقون ذلك فى سفينة القيادة، وحوّل الضابط الملاح وجهه عن خريطة كبيرة على الحائط وضم طرفى برجله بقوة وقال: « وصلنا والله! » وحك ضابط المخابرات رأسه وقال: « ولا أثر لهم ولا رائحة على طول طريق العبور. ولو كانوا يعرفون أننا هنا لكانوا قد فتحوا علينا أفواه مدافعهم ». وتبسم رئيس أركان الحرب وقال: « لعلهم متريثون ليفاجئونا بعد أن يتبينونا! فما يمكن أن يكون حظنا حسناً إلى هذا الحد ». ولكنه كان مخطئاً، فقد ظلت بطاريات المدافع الساحلية الضخمة صامتة، وبينما كانت الدقائق المتلفة للأعصاب تمر، اتخذت البوارج والنقالات وصنادل الإنزال مراكزها التى عينت لها من قبل، دون أن يتعرض لها أحد.

وكنا إحدى قوتين للغزو — واحدة أمريكية تحت قيادة الرير أميرال ألن كيرك من أسطول الولايات المتحدة، والأخرى بريطانية تحت إمرة الأميرال السيرفيليب فيان من الأسطول البريطانى، وكانت خمسة آلاف سفينة تجتاز بحر المانش، وقد جمعت من عشرات

عديدة من الموانىء ورسمت لها مسالكها وفق برنامج دقيق بعد أن طهرتها كاسحات الألغام ووضعت على جوانبها العلامات قبل الإبحار بعدة ساعات . وكان قائدا القوتين على اتصال فيما بينهما ، وبالقيادة العليا على البر ، بأدق وأعقد نظام اتصال عسكرى ابتكر إلى الآن .

وكان الوقت حوالى منتصف الساعة الثانية من صباح ٦ يونيه حين صاح ضابط فى غرفة المخابرات : « مثنا طائرة آتية » ، فسأله ضابط شاب بصوت عال : « معادية ؟ » . فقال الكومندار : « كلا . أحسبها من حاملات الجنود » .

وكانت كذلك . واحدة . . . أخرى . . . وثالثة . . . ثم عشرات فى إثر عشرات من طائرات النقل الكبيرة تمر فوق رءوسنا وهى تجلجل . وبدأت المدافع الألمانية فى شبه الجزيرة تقرقع ، والأنوار الكشافة تطعن كبد السماء .

وبعد دقائق قليلة شرعت الفرق المحمولة بالطائرات تهبط ، وسبقها إلى الهبوط جنود المظلات ليطهروا الأرض وينزعوا العمد وغيرها من العوائق التى أقامها الألمان بالسابحات (الطائرات الشراعية) ، فقد تنبهوا إلى هذا بفضل الدعاية المهملة . وعمل جنود المظلات بسرعة بالقنابل اليدوية ، وآلات كشف الألغام ، ولكن رجال السابحات أصيبوا بخسارة مع ذلك .

وكان الفدائيون من الإنجليز والأمريكيين يعملون أيضاً على الشاطىء ويفاجئون بطاريات الساحل ، ويخربون مراكز المواصلات . وكانت بطارية من أقوى بطاريات الدفاع الساحلى مخبأة فى حصن ضخم من السمنت المسلح لا تكاد تؤثر فيه قذائف الطائرات أو المدافع ، وكانت أبوابه كتلا كثيفة من الصلب ، فسرق اثنان من الفدائيين سيارة ألمانية من سيارات أركان الحرب ، وأقبلا على الحراس يصيحان بأعلى صوت بالألمانية: « بدأ الغزو » وأفزعاهم ففتحوا الأبواب فقذفا قنابلهما ، وتعذر بعد ذلك إغلاق الأبواب ، وما هى إلا دقائق حتى خر صريعاً آخر رجل من رجال الحامية الألمانية تحت وابل من مدافع تومى التى كان يحملها الفدائيان .

وأخيراً ، فى الساعة الثالثة صباحاً انقطع السكون ، فقد أقبلت طائرات السلاح الجوى البريطانى ترتاد ، ومرت فوق رءوسنا تزأر ، وهبطت ثريات عظيمة حمراء وخضراء على الساحل ، ثم انفتحت أبواب الجحيم ، واستطارت شعل من النار يخالطها

رمل من قنابل القاذفات التى جاءت فى إثر الطائرات المرشدة ، وأطلقت المدافع الألمانية قذائفها من كل ناحية ، فرسمت أقواساً عجيبة من الشهب فى السماء ، وكانت رمايتها دقيقة محكمة ، فكانت تصيب من حين إلى حين طائرة فتهوى وهى مشتعلة كالنيزك ، حتى إذا ضربت الأرض صارت شواظاً متوثباً من النار .

وكانت زوارق النزول من حولنا تتجمع على شكل دائرة استعداداً لنقل الجنود من السفن إلى الشاطىء ، وكان المرء لا ينفك يسمع دعوة كهذه مرسلة من مضخمات الصوت : « على جماعة الزوارق رقم ٥ أن تصطف فى المركز رقم ٣ » .

وكان الموج عالياً وزوارق الإنزال تعلو وتهبط حولنا كأنها سدادات القوارير ، وكان الجنود وهم يهبطون مستعينين بالشباك يكابدون عناء شديداً .

وفى الساعة ٥٫٤٠ — كأنما كان ذلك بضغطة زر — بدأت السفن الحربية تجلجل ، فاصطكت أسناننا ، إذ تتابعت الومضات والقذائف من كل حجم منطلقة من مدافع البوارج والطرادات والمدمرات على الشاطىء ، وقد كانت حولنا ثمانون سفينة حربية ، فيها ستمائة مدفع ، قذفت منطقة الهجوم بألفى طن من القنابل فى عشر دقائق .

وكانت قذائف الطائرات وقنابل المدافع سياجاً من النار دبّر بأكبر عناية ، ونسق بأعظم إحكام فى هذه الحرب ، فقد كانت المراكز الألمانية ومواقع البطاريات معلمة على الخريطة فى حجرة العمليات ، حيث كان يسجل هجوم كل سرب من القاذفات ، وطلقات المدافع من كل سفينة . وقد جعل ترتيب ضرب الأهداف بحسب حجمها ، ومداها ، وقدرتها على عرقلة أعمالنا .

وجعلت طائرات الاستكشاف والإرشاد الصغيرة البطيئة تحلق على مهل فوق أهداف المنطقة ، ويتخاطب المراقبون فيها مع الضباط الموكلين بالضرب من السفن ، مباشرة ، ويصححون لهم مدى الرماية تبعاً لما يرون ، وكان الضرب بديعاً ، وعلى فترات منتظمة ، وكان القائد فى غرفة المخابرات يضع علامة على الدوائر الحمر على الخريطة معناها « دمرت » .

وخلف هذا الستار من النار اصطفت زوارق الإنزال الموقرة أفواجاً للكر على الشاطىء ، وتقدمتها كشافات بحرية لتدلها على المواقع المعينة للهجوم وحدودها على وجه

الدقة . وهو عمل ليس بالهين — إذا اعتبرنا التراب والدخان اللذين أثارتهما القنابل التي محت أثر كل شيء — في وجـه طلقات المدافع الرشاشـة ومدافع المورتر ، وقاد الكشافون رجال التدمير التابعين لكتيبة الساحل البحرية ، لينسفوا بالقنابل والطرابيد المنشآت الدفاعية والأسلاك الشائكة والألغام ، ويشقوا طريقاً للجنود .

وتلت هؤلاء بمثل دقة الساعة ، زوارق الجنود والسفن الناقلة للدبابات وهي تطلق نارها من فوقها ، وكانت زوارق أخرى خلفها تطلق من فوق رؤوسها قذائفها لتفجر الألغام على الشاطئ وتمزق الأسلاك الشائكة ، ودنت زوارق الشهب الصغيرة السريعة ، وزوارق الطربيد ، والمدمرات ، من الشاطئ ، وقذفت بطلقة أخيرة من نار مُحطِّمة ، ثم أمسكت ، بمثل دقة الساعة أيضاً ، واندفعت زوارق الإنزال إلى الشاطئ ، وغرزت مقدمتها في الرمل ، وطرحت الألواح ، فخرج صف بعد صف من الجنود المنحنين ، وهم يطلقون النار ، ومن الدبابات المزمجرة .

تلك كانت ساعة الهجوم وقد بدأ الغزو .

وكانت المفاجأة تامة ، إذا اعتبرنا كل شيء ، وقد تكرر ما شهدته على الرقع الأخرى من الشاطئ ، وحقق الأسطولان الأمريكي والبريطاني ما وعـد به الأميرال رامزي الجنرال أيزنهاور حين قال : « سننزلكم هناك في حيث تريدون » .

— ٣ —

مشاهد على الشاطئ

أيرا ولفرت

المراسل الحربي ، مؤلف « معركة جزر سليمان »
ومكاتب « اتحاد صحف أمريكا الشمالية »

أول ما رأينا من فرنسا ، ونحن على سفينة أمريكية لنقل الجنود تابعة لحراسة السواحل ، عبرت بنا بحر المانش ، هو ما أضاءته لنا قنابل المدافع المضادة للطائرات فوق نورمندي . وكانت الساعة قد جاوزت الأولى صباحاً بدقائق قليلة ، وجنود المظلات قد شرعوا يهبطون ، وطائراتهم تُقذف بوابل من القنابل المضطرمة . وهوت طائرة ثم

أخرى ثم ثالثة ، على مرأى منا فى السفينة ، على حين وقف رجالنا صامتين فى الظلام ، وعلى وجوههم سهوم وفى قلوبهم كمد .

ورست سفينة النقل على مسافة ١١ ميلا من الشاطئ . وعند الفجر ، بعد أن ضرب الشاطئ ضرباً شديداً من البحر والجو ، انتقلنا إلى زوارق صغيرة للنزول . وكانت تلقى من سفينة النقل مسافة خمس أقدام أو عشر فى الهواء فتهبط فى العواطب المطمئنة بين الأمواج ، وكان القفز من السلم الزلق إلى الباب الأملس يحتاج إلى توقيت محكم .

وكان المنظر واحداً — من الأمام ومن الخلف ، وإلى اليمين والشمال ، وإلى أبعد ما يمتد البصر — حشد متراكم من السفن تنتظر فى صبر وأناة أن تفرغ حمولتها ، وكل منها موسوقة موقرة بالرجال والمعدات ، وكان الماء بينها مغطى بالزوارق التى تروح وتجئ ، أو تتدلى من جوانب السفن الكبار كأنها الزينة المعدنية التى تتدلى من طوق الدف .

ومضينا تحت سماء غاصة بالطائرات طبقة فوق طبقة ، ومررنا بالسفن الحربية وهى تضرب العدو ، ورأينا قنابل العدو تسقط فى الماء دون السفن ، وكانت الجحيم مضطرمة على الشاطئ ، والدخان يتصاعد كثيفاً ، وانفجار القنابل يعمى الأبصار .

ثم مدت الحرب كفا هائلة وأهوت على ما أمامنا بالموت ، فحدث انفجار عظيم ، وثار الدخان الأسود والماء الأبيض من موضع الانفجار ، حيث أصيبت كاسحة ألغام فاضطربت وتدفق منها الزيت كأنما قطع شريان ، ثم اعتدلت وسكنت وخرج منها مثل فقاقيع الغاز على نحو ما يحدث حين تموت السفن !

وانتظرنا لننشل الناجين ، وذهبنا أولا إلى من قذف بهم الانفجار بعيداً ، وكانوا كلهم موتى ، فصاح الملازم جون تريبسون : « دعوا الموتى وخذوا الأحياء أولا » .

ثم ارتفعت حولنا أصوات كانت فى أسماعنا خافتة صبيانية فى عالم الموج الزاخر : « النجدة ! النجدة ! » وسكت أذننا صيحة شجية : « أدركونى من فضلكم ! » .

فانتشل جون تريبسون ستة من الماء ، اثنان منهم لم يصبهم أذى ، وكان يأخذ الأحياء ويترك القتلى كأنهم الحطام فى البحر الذاهل . وكان أحد الناجين عاريا ، وقد طار عنه كل ما كان يرتدى حتى الحذاءان والجوربان ، وكان بدنه كله مخططاً كأنما كان قد ضرب بسوط ذى تسع شعب .

وكان الألمان قد بثوا الألغام فى كل شبر من الأرض ، وبعد ٢٤ ساعة استطاع جالنا أن يطهروا طرقاً ضيقة ، وجرح منهم ١٧ وقتل واحد .

وكانوا يمشون ، وينامون ، ويأكلون ، ويعيشون ، ويعملون على هذه الطرق . وكانوا إذا مشوا يقدرون لأرجلهم مواضعها قبل الخطو ، وإذا انطرحوا على الطريق ليناموا وضعوا إلى جوانبهم حجارة غليظة حتى لا يتقلبوا .

ونزلنا إلى الشاطىء عند العصر ، وكان الهواء ساكناً والدخان يرتفع كالعمد فى حيثما يدير المرء عينه ، ويبقى معلقاً فى الهواء ، وكان الدخان ينبعث من الطائرات التى أسقطت ، ومن الألغام التى فجرها الباحثون عنها ، ومن المدافع الأمريكية والقنابل الألمانية ، وبدت « نورمندى » كأنها تحترق .

وكان الجنود لا ينفكون يجيئون من البحر ، ولا يكادون ينزلون حتى يشرعوا فى العمل — فيحفرون ، ويضربون بالمطارق ، ويمهدون الطريق ، ويشحنون السيارات ، ويرسمون ، ويصدرون الأوامر ، ويدرسون الأرض ، ويطلقون النار ، ويُطلق مثلها عليهم .

وكان الأسرى من الألمان يفدون من وراء الشاطىء على جانب من الطريق على حين يذهب مشاة الهجوم منا على الجانب الآخر ، ويظلون سائرين حتى تطلق عليهم النار فيبحثون عن مصدرها ، فإذا كانت قوتهم تكفى لحل المسألة — كما يقول الرجال العسكريون — حلوها ، وإلا تريثوا وطلبوا المدد اللازم من الجو أو النجدة البرية .

وكان أول من رأيت من الفرنسيين أسرة من فلاحى نورمندى — وهم طوال وعيونهم زرق ووجوههم حمر ، وفيهم قوة ومتانة . وقد ترك الجنود الأمريكيون ، وهم ذاهبون إلى الجبهة آثارهم على موائد الطعام — اللبان والحلواء الجافة ، وبعض السجاير . وقد تحدثت مع هؤلاء الفرنسيين عن ضرب الساحل بالقنابل ، وسألتهم كيف تسنى لهم أن يحيوا تحت هذا الوابل .

فقالوا : « مشيئة الله ! ولكن الألمان ! لقد كانوا شراً من هذا الضرب » .

ولما عدت إلى الشاطىء كان أسرى آخرون من الألمان يأتون وينتظرون أن ينقلوا إلى إنجلترا ، وكان البحر ممتداً أمامهم وقد تغطى سطحه بالسفن ، فرفع ضابط ألمانى

يده ، وهو ينظر إلى هذا الحشد الهائل من السفن ، ثم تركها تهوى إلى جانبه كاليائس ، كأنما يريد أن يقول : « كيف يمكن أن ننتصر على هذا ؟ » .

وبينما كنا نعود أدراجنا إلى إنجلترا ونجتاز البحر فى الظلام ، وصف لى الجرحى الذين حادثتهم ما لقوا فى يومهم فقال لى يوزباشى من رجال المظلات : « لما بلغت الأرض انكسرت رجلى . ولقد قضيت سنتين فى التدريب ، وبعد أربع ثوان من شروعى فى العمل ، أخرج من الميدان ! فقد سقطت وانقلبت فى حفرة ، وراح الألمان يسددون إلىّ نارهم ولكنهم لم يصيبونى ، فبقيت أنتظر فى الحفرة ، وحدثت نفسى أن جملة ما ساهمت به فى مجهود الحرب هو أنى أعفيت رجلا من عناء دفنى ، بأن وجدت لى قبراً . وأقبل ألمانى ، فتساءلت : ترى ما هو اللفظ الألمانى الذى يؤدى معنى الاستسلام ؟ ثم ثارت نفسى على هذا الخاطر وقلت : إنى لا بد أن أقتل على الأقل واحداً فى هذه الحرب . وهكذا قتلت ذلك الألمانى . فقد انتظرت حتى دنا ثم سددت إليه بندقيتى ، ثم أغمى على ، ولكنى قتلت واحداً . فلم يضع تدريبى كله هباء » .

وقال ضابط بحرى : « لقد نسفت المؤخرة كلها ، ومن غريب ما حدث أن فتى قذف به إلى أعلى من رأس الدوقل ، وقد رأيته وهو فى الجو وذراعاه تضطربان وساقاه تضربان ، وعرفت وجهه وهو فى الهواء . وقد التقط هذا الفتى فيما بعد ، وكان كل ما أصابه هو أن رجله انكسرت » .

وقد قال قائد طائرة سابحة أسقطت وراء الخطوط الألمانية : « مشيت طول الليل ، وقصدت إلى حيث كانت المدافع تطلق ، ولقيت فرنسيا فأعطيته جرايتى ، وأعطانى نبيذاً . ولشد ما سكرت ! لقد سرت مخترقاً الخطوط الألمانية كلها ، وخطوطنا أيضاً — وأنا سكران أغنى » .

ولا سبيل إلى تدوين كل الحوادث التى تقع فى يوم هجوم على ساحل ، ولا فى ساعة واحدة من ساعات الهجوم . فإن هناك مئات آلاف من الجنود على الساحل وحوله ، فلو أن كل واحد دوّن ما وقع له من الحوادث العنيفة المزعجة ، لجاءت مختلفة من مئات الآلاف من الوجوه .

انحدر دى لى من أسرة فقيرة ، وكان أبوه بائعاً جوالا ، ولكن الأسرة كلها — وكان له عشرة إخوة وأخوات — كانت كأنما ترى أنه سن الخالدين . فأدخلته كلية شيكاجو الطبية ، حيث أصبح طالباً ممتازاً ، يجلس فى الصف الأول أثناء المحاضرات ، منهوماً بالعلم ، مزدرياً مزاح الطلبة الثقيل .

وقد كان دى لى ، حتى قبل أن يتخرج فى الكلية سنة ١٨٩١ ، يشعر بالخزى من مأساة حمى النفاس التى كانت تقضى على أكثر من ١٠٫٠٠٠ أم كل عام . وكان يتلقى عن أستاذه و . و . جاجارد أن الموت يدب إلى أولئك النسوة آتياً من الخارج ، وأنه عدوى ينقلها إليهن شخص ما هو الملوم المسئول . وكان يغيظ دى لى أن هذا كله كلام يقال ، وأن الطلبة لا يكادون يحصلون على إجازة الطب حتى يمارسوا توليد الحوامل ، وما رأوا من قبل أمّا فى المخاض . فكيف يتهيأ لهم كفاح حمى النفاس ؟

ولما كان دى لى طبيباً مقيما فى مستشفى كوك الإقليمى بشيكاجو ، اكتوى بالنار التى اندلعت وباء مستطيراً من حمى النفاس فى غرف الولادة التى كانت يومئذ قذرة غاصة بالنزلاء . وفى تلك الأيام كان « صفوة » الأطباء يعزفون عن التوليد ، على حين كان أكثر من يتولاه جهلة مهملين . فأخذ دى لى يتساءل : « ترى لماذا تلقى الأمومة مثل هذا الاحتقار ، وهى تسلّ من أرواح البشر أكثر مما يفعل السرطان » .

وكان على دى لى أن يرحل إلى فيينا ليعثر على جواب لهذا السؤال . فعرف هناك أن الوقاية العملية من حمى النفاس قد اكتشفها النابغة المجرى « إنياز سيملوايز » منذ حوالى أربعين سنة ، يوم وجد نفسه يحمل العدوى من غرف التشريح إلى الوالدات ، ثم أثبت أنه يستطيع أن يغسل هذا الموت عن يديه بالغلو فى النظافة ، واستعمال المطهرات . وياله من أمر يسير !

عاد دى لى إلى شيكاجو يكظم غيظه ، فهنا مستشفيات مزودة أحسن زاد بالآلات ، وبأحدث الوسائل لكفاح الميكروبات ، وبقفازات المطاط للوقاية من العدوى . ومع ذلك فهنا أيضاً تلد الأمهات فى محيط قذر ، وعلى أيدى قابلات وأطباء جهلة ، وكأن لم يكن قط سيملوايز ولا باستير .

وفى سنة ١٨٩٧ عين دى لى ، وهو فى الثامنة والعشرين من عمره ، أستاذاً لعلم الولادة المحتقر ، فى كليته القديمة ، والتى أصبحت يومئذ كلية الطب فى جامعة نورث وسترن . فبدلا من أن يحاضر الطلاب فى الوضع ، أو يشرحه لهم على الدمى الخشبية ، عمد إلى حشدهم فى خنادق الجبهة حيث

يجثم الخطر على الأمهات ، في المستشفيات ، بيوت الفقر والقذارة .

لم يكن ثمة مال موقوف على التعليم في قسمه ، فجمع دى لى من كل طالب ثلاثة ريالات ونصفاً ، رشاها حاملا مُتمِما (شارفت الوضع) فأصبحت أول امرأة في شيكاجو تسمح لأولئك الأفراخ الزغب من طلاب الطب أن يشهدوا لغز المخاض قبل أن يصبحوا أطباء . ثم طفق يستجدى من حيثما اتفق له، ليطهر من البق والصراصير أربع غرف في ربع قذر في شارع مكسويل ، ويتخذها عيادة للوالدات ، فكان هو وحده هيئة الطب والتمريض ، ثم علق عليها لوحة كتب فيها : « مستوصف شيكاجو للوالدات » .

ولم يدرك الجيران معنى لهذا الاسم، فاضطر أن يعززه بلوحة أخرى يعلن فيها أن هذا المكان معدّ للحوامل اللواتي دنت ولادتهن، يفحصن فيه طبيا بالمجان . فلم يأته أحد ، فالطبيب محتال ولا بد ، حين يقدم خدماته بلا جزاء !

ولم يستحى دى لى أن يجعل من نفسه للمستوصف دسيساً يفتش عن اللواتى دنت ولادتهن ، فإذا عرفهن غزاهن في دورهن البائسة ، يوضح لهن المزايا الباهرة لرعاية الحامل ، ثم يولدهن بعد ذلك بمعونة تلاميذه .

ورأى أولئك التلاميذ كيف تتم الولادة آمنة طيعة ، وربما كان ذلك في ٩٠ ٪ من الولادات . ورأوا أيضاً كيف تشرف امرأة على هاوية الموت في مثل ومضة البرق .

وأدرك الأطباء الناشئون من أستاذهم المتحمس ، قدر علم الولادة ، ذلك العلم الوليد الذى ازدراه الأطباء . كان دى لى يلهبهم حين يرونه يعالج أزمات المخاض بأعصاب كأنما قدّت من حديد . كان يريهم كيف يستطيع الطبيب ، إن كان مطارداً للميكروبات مغالياً في النظافة ، أن يغلب الموت بحمى النفاس ، وأن يسيطر على تلك القوى الهائلة المنبعثة من تقلصات الرحم التى تستطيع أن تحيل الأجنة إلى مسوخ . وكان يهزهم هزاً إذ ينقذ تحت أعينهم أرواحاً كان الموت يهددها من الأكلسيا (تشنج قاتل يورثه التسمم ، يصيب الحامل المتمّ والنفساء) ومن فجاءات النزف .

وخير من هذا كله أنه كان يعلمهم نُذُر الخطر التى ينبغى أن يعرفها طبيب الأسرة ، كى يستدعى متخصصاً قبل فوات الأوان .

وشاع اسم هذا الطبيب الشاب في شيكاجو الغربية ، وتردد ذكر براعته ورحمته على كل لسان . يحمل دى لى حقيبته السوداء المعروفة في يده ، ويمشى بين « الفتوات » والقتلة واللصوص ، في هـذا الحى الوعـ

من المدينة غير هياب . وكانت الأسر الفقيرة تنظر إليه برهبة إذا ما مر بتلك الأكواخ الموحشة ، حيث أعان الأمهات على الوضع والنفاس .

فى أول حياته الطبية كان قليل الدخل فلم تزل تعوزه الآلات والضمادات والعقاقير ، وكذلك أصبح أكثر السائلين إلحافاً فى شيكاجو . ثم أخذ بعد ذلك يوضح للغنيات من نساء المدينة أنه يمكن إنقاذهن أيضاً من العدوى ومن الأكلمسيا والنزف ، وطفقت الأجور التى ينالها من الأزواج الشاكرين تزداد . فلما عرفوا كيف كان يجود بدخله على مستوصفه ليمده بعتاد يكافح به الموت ، أخذت تنهال عليه الهبات . وقصارى القول أن عمله بات فى المدينة مثابة حديثة للبر والجود

ولقد أغضب دى لى كثيراً من الأطباء فى الاجتماعات الطبية بإشارته إلى الهبوط المدهش فى معدل الوفيات بين الأمهات اللائى يلدن فى البيوت القذرة . فقيل عنه إنه مثالى يدعو إلى الكمال ، وكأن هذا ثناء ولكنه ينطوى على سخرية ، والقائلون هم أطباء مستهترون يرون أن الطبيعة لا تريدنا أن ننقذ جميع الأمهات والبنين . وذلك ما كان يثير حنق دى لى .

أصبحت المستشفيات ، كما كانت يومئذ ، هدفاً لمطاعنه . وأخذ يروى كيف قضت العدوى على أمين وطفل فى مستشفى عام معروف ، ويقول إنه هو قاتلهم ، وما ذلك إلا لأنه وثق بمستشفى عام فاسد الإدارة توهمه صالحاً للوضع والنفاس .

وذهب دى لى يصف كيف تدب الميكروبات من حجرات الطب والجراحة إلى حجرات الولادة ، إذ يراق الصديد والسوائل المعدية على الأرض ، فتجف وتستحيل إلى تراب يتطاير غباراً تنتشر معه الميكروبات القاتلة ، وتقتحم الغرف حتى من نوافذ التهوية . وكذلك يستقر أولئك القتلة الخفيون فى حجرات الولادة على جراح النفاس التى تحدثها المواليد فى جميع الأمهات . وراح يقول إن الطريقة الوحيدة لمكافحة حمى النفاس أن يفصل بين مستشفيات الولادة والمستشفيات العامة التى كثيراً ما تكون مستنقعات للميكروبات .

وبرم به من كان يسمع محاضراته ، إذ كانوا يعرفونه داعية لجوجا من دعاة الغلو فى النظافة ، وأن خدم منزله كانوا يؤمرون أن يلبسوا قفازات من المطاط وأقنعة ، حتى وهم يصنعون الطعام ، وأنه كان يعقم بنفسه قفازاته وضماداته فى كل مستشفى يدخله . وأجريت له هو نفسه جراحة يوماً ما فى مستشفى مشهور ، فأهان المستشفى

بأن اشترى لنفسه سريراً جديداً بحشاياه ، فلما ظهرت بثرة صغيرة على وجهه وهو فى النقه ، صاح صيحة المنتصر : « أنظروا لقد كان أولى بى أن أجرى الجراحة فى منزلى ! »

كانت دعوته إلى الجديد تجرى على هذا النمط : إذا كان لا بد من أن يولد الأطفال فى مستشفيات ، فيجب أن تكون هـذه المؤسسات للولادة وحدها . قال معارضوه : إن مثـل هذه المستشفيات الخاصة باهظة التكاليف . فرد عليهـم دى لى وأغلظ : « ما من شىء هو أغلى من أرواح البشر ».

وانتقلت عدوى بغض الموت من دى لى إلى الأثرياء من سكان شيكاجو ، فأعطوه بعض المال ليؤسس مستشفى لرعاية الأم فى منزل ذى ثلاث طبقات . فكان دى لى نفسه يساعد فى نقـل الحوامل إلى غرفة الولادة . وحرك نجاحـه الباهر فى رعاية الأمومة ، قلوب الآباء الشاكرين ، وازدهرت هذه البنية الأولى فصارت فى سنة ١٩٢٩ مستشفى شيكاجو للولادة الذى طبقت شهرته الآفاق ، والذى بلغت تكاليفـه حوالى ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .

على أن حمى النفاس لم تزل تقتـل فى أمريكا أمًّا من بين كل أربعمائة أم نفساء ، على حين لم تمت بالعدوى سوى والدة واحدة من ٢٥٫٠٠٠ امرأة ولدن فى المستشفيات الثلاثة التى أنشأها دى لى على التتابع .

وبلغ دى لى ذروة مجده فى الستين من عمره . هذا على أن خصومه من الأطباء كانوا يوقرونه ، وإن أبغضوه ، فتراهم قد حرصوا حرصاً شديداً فى تطبيق أسـاليب مكافحة الموت فى مستشفياتهم العامة ، ويكاد دى لى يكون هو وحده الذى أنشأ التخصص فى علم الولادة وكفله حتى اشتد .

ومع ذلك فلم ينصرف هوى دى لى إلى مستشفيات الولادة الفخمة ، بل إلى ذلك المستوصف القديم بشارع مكسويل فى حى الفقراء . فمن هنا انتشر ٦٠٠٠ طبيب فى أنحاء أمريكا يدرأون الموت عن الوالدات . ولـكن بدا له اليوم أن هذا المستوصف ، وهو أساس جهاده فى الحياة ، قد كتب عليه أن يتقوض .

فحين جاءت الأزمة المالية غاضت موارد المستشفى والمستوصف القديم . فقرر مجلس إدارتهما إلغاء المستوصف ، فثار بهم دى لى قائلا : « إن كان لا بد أن يطوى أحدهما فليطو المستشفى ، فليس المستشفى الضخم هو الذى يكفل الأمن للولادة ، بل المعرفة الكاملة ، والتقوى التى يستشعرها الطبيب الناشىء من ملازمة الأمهـات فى دورهن من بداية الوضع إلى منتهاه » .

وركب مجلس الإدارة رأسه عناداً ، فعاد

هذا الطبيب العجوز فى الثانية والستين من عمره يبدأ حياته من جديد ، فاستنفد كل ماله لينقذ بيت آماله ، ذلك البيت القذر فى شارع مكسويل ، والذى سماه يومئذ مركز شيكاجو لرعاية الأمهات .

كان نجم حياته قد دنا أفوله ، ولم يعد فى قدرته أن يجوب الطرق القذرة وحقيبته بيده ، كما كان يفعل فى سالف الأيام . فجند لهذا العمل اثنين من تلاميذه فى الولادة هما الدكتوران بياتريس ا . تاكر ، وهارى بنارون ، لا يثيبهما عليه مالا ، وإنما هو النصب والدم ، وقال لهما : «هنا — لا غير — تتعلمان فن الولادة بحق » .

وحمل تاكر وبنارون نبراس تعاليمه يلجان به تلك الأبواب العتيقة المتصدعة التى تتطوح خارجة وداخلة لا يمسكها قفل ولا رتاج ، وكذلك أراد دى لى لهذه الأبواب أن تكون ، حتى لا ترد أمًّا مستنجدة قد يمنعها التخاذل الشديد أن تنوى على شئ إلا أن تدفع الباب دفعاً هيناً .

وأخذ هذان الطبيبان الناشئان يناضلان فى سبيل الحياة فى تلك الأحياء القذرة التى أصبحت لها شهرة فائقة ، فأجحا ، فى اثنى عشر عاماً ، جذوة بغض الموت فى نفوس حوالى ٢٠٠٠ طالب طب وطبيب وممرضة وتلدوا فى شيكاجو ٣٠٠٠٠ مولود .

ولنضرب لتلك المعركة العنيفة التى خاضوها مثلاً امرأةً من السود هدها الفقر ، وهجرها زوجها أشد ما كانت حاجة إليه . وصلت سرية من المولدين إلى منزلها البائس ذى الغرفتين ، فألفوها تشكو الصداع ، ووجدوا ضغط دمها يرتفع ، وتلك نذر الإكلمسيا . فاستدعوا الدكتور بنارون بالتلفون ، فلما جاء ارتدى معطفه الأبيض النقى وهو فى مغسل جمد الماء فى أنابيبه من برد الشتاء . وبسطت الممرضة والطلبة صوانى الآلات على صحف غطوا بها لوحاً من الخشب .

وفى وسط هذا الجحيم القذر الذى كانت المرأة تسميه دارها ، اتخذوا حمى خالياً من الميكروبات . إن القذارة هنا كانت تتجسم لأولئك المولدين الناشئين ، فلا يعتريهم ذلك الشعور الزائف بالأمان الذى قد يحسون به وهم فى غرف الولادة البراقة فى المستشفيات . فإذا ما دنت قفازاتهم المعقمة أقل من قدم من شئ ما أو شخص ما ، توهموها قد صارت ملوثة خطرة ، وحشدوا هذه النظافة الهائلة حياطة لأيديهم وآلاتهم وللوالدة .

أخرج الجنين (بالجفت) على نضد بال فى المطبخ ، فصرخ — ويا لها من سخرية — ولما يفارق بطن أمه . ثم حدث النزف على غرة ، فظل بنارون ومساعدوه الصغار

يعملون دائبين بلا هوادة ١٥ دقيقـة بدت لهم كأنها أيام . وتركت المولودة الجديدة فى رعاية طالب فهى تبكى وتضرب بساعديها الهواء ، وأعيدت الأم السوداء إلى فراشها العارى ، فهى تحت الأغطية البالية كأنْ قد نجت من الخطر .

وطفق أعضاء السرية يحزمون متاعهم فى المطبخ مبتهجين ، ولكن بناورن أطل عليهم من باب غرفة النوم يأمرهم أن يعودوا سراعاً إلى المركز ليجيئوا منـه أدوات إسعاف النزف . لم يكن ما رآه شيئاً يذكر فما هو إلا بقعة صغيرة من الدم تنـدّى بها الفرام (ما يحشى به المهبل من الشاش) ولكن: «أسرعوا» هكذا قال لهم بناورن .

وأعيدت الأم ثانيـة إلى نضد المطبخ ، وأخذوا يجهدون مرة أخرى فى أن يمنعوا نزفاً لم يكن شيئاً مذكوراً . وقال بناورن لمساعديه المتعبين : « إنكم تتوهمونني شيخاً أخرق . لكنا لو تركناها كما كانت لعجزت عن أن أنام . إن الدم يكافح العدوى ، وستكون فى حاجة إلى كل قطرة من دمها إذا قدر لها أن تصاب بحمى النفاس » .

عادوا جميعاً إلى فراش الأم يودعونها ويتمنون لها الخير ، كما تقضى بذلك تعاليم دى لى . وكانت ترقد هادئة وقد بدا عليها الضنا تحت أغطيتها البالية ، لا تفعل سوى أن تمـد يدها لتلمس الطفلة النائمـة إلى جوارها . وربّت بناورن على كتفها ، وابتسم لها ، فلم تشكره وإنمـا قالت له : « وداعاً يا دكتور » . إلا أن ما فى قلبها جعل يتلألأ فى عينيها السوداوين وهى ترمقه خارجاً من دارها .

وهى إنما كانت تشكر دى لي ، فقد كانت رحمتـه البالغة بالوالدات والمواليـد تتدفق من قلبه فتنبث إلى قلوب أولئـك المولدين الناشئين .

وبهذا التزمُّت — الذى أوشك أن يكون سخفاً — فى مراقبة الصغائر لإنقاذ حياة الفقراء البائسين ، لم يفقد هؤلاء المولدون الناشئون سوى سبع أمهات من حمى النفاس من بين ٣٠,٠٠٠ ولادة أجروها . بل قد ولدوا ١٢,١٠٦ من الحوامل على التوالى فلم تمت منهن واحدة من هذه الحمى ، على حين كان معـدل الوفيات من حمى النفاس فى الولايات المتحدة كلها لم يزل يقارب وفاة واحدة فى كل ٥٠٠ نفاس .

إن تاكر وبنـاورن لا يشتركان إطلاقاً فى الابتهاج العام الشائع بين الأطباء اليوم بأن الولايات المتحدة لا يموت فيها إلا ٦٥٠٠ أم نفسـاء كل عام ، فى مقـابل حوالى ١٥,٠٠٠ فى بواكير العقد الرابع من القرن العشرين عنـد ما بدأا عملهما فى المركز ،

إذ يريان أن ليس الموت على أى واحدة من هؤلاء ضربة لازب! وإنه ليؤذيهما فى أنفسهما ذكر تسع وعشرين والدة متن على أيديهما بحمى النفاس فى المعركة التى خاضاها ١٢ عاماً . نعم إن بعض هذه الوفيات قد حدث قبل أن يتمخض الزمن عن عقار «السلفا» الساحر ، وأن بعضها الآخر حدث من غشية النزف قبل أن يتيسر علاج هذه الغشية بنقل مصل الدم إلى المصاب ، ثم يستدركان : « انظروا إلى سجلات دى لى ... انظروا إلى ما فعل بغير هذه الأسلحة الجديدة . إننا لو أحصينا ما كان ينبغي لنا أن نفعله ولم نفعله ، لتجلى لنا أنه ما كان يجب أن تموت أم واحدة من هذه الأمهات » .

إن لومهما أنفسهما ليعيد إلى الذهن تعاليم هذا الرجل المثالى العجوز التى استغرقت عمره ، وإنهما لا ينسيان ما قاله لهما قبيل موته فى سنة ١٩٤٢ : « لقد ارتكبت طوال خمسة وأربعين عاماً مارست فيها صناعة الطب ، كل خطأ يمكن ارتكابه فى الولادة . وفى رأيى أن الوضع يجب أن يكون أداء وظيفة طبيعية ، وأن لا ينجلى عن وفاة ، وأن لا يؤذى والدة ولا مولوداً » .

لقد مات دى لى . نعم ، ولكنه خالد فى نفوس آلاف الأطباء ، عامل — لا يزال — فى مركز رعاية الأمهات المبتلى بالفقر والفاقة ، والذى يسدد خطا أمريكا فى معركتها الظافرة ، وهى تكافح موت الوالدات .



أجوبة : انتخبوا الأبطال

(١) الحوت (البال) الأصفر البطن ، يقدر وزنه بمئة وخمسين طناً . (٢) الحوت (البال) الأصفر البطن . (٣) النعامة يزيد وزنها على ٣٠٠ رطل . (٤) الأصلة المشبّكة يزيد طولها على ٣٠ قدماً . (٥) القطرس الجوّال (الألبتروس : طائر عظيم فى البحار الجنوبية ملتحم الأصابع كالبط) يبلغ ما بين طرفى جناحيه ١١ قدماً و ٦ بوصات . (٦) السلحفاة — قد تعيش ١٥٢ سنة . (٧) الإنسان — قد يعيش ١١٤ سنة . (٨) الفهد تزيد سرعته على ٧٠ ميلا فى الساعة . (٩) الشمبانزى . (١٠) الشنشلة (حيوان صغير فى جنوب أمريكا) ثمن الجلد الواحد على صغره ١٥٠٠ دولاراً بالجملة . (١١) الفيكونا (حيوان برى أمريكى من ذوات الأربع) ثخانة وبره نصف ثخانة أنعم صوف الضأن . (١٢) الخراطين (دود الأرض) يقول علماء الزراعة إنها تقلب التربة فتزيد خصب الأرض .

[الأسئلة فى صفحة ٥٢]

[كاتب مشهور يتكلم بصراحة عن أساليب النملة المشهورة]

النملة الخداعة

مارك توين

ملخصة عن كتاب "رحلة إلى الخارج"

يخيل إلىّ أن هناك مبالغة عجيبة فى حظ النمـلة من العقل . وقد تحريت أن أرقبها صيفاً بعد صيف ، على حين كان أولى بى أن أعنى بما هو أجدى من ذلك ، فلم أصادف نملة حية واحدة يبدو أنها أعقل من نملة ميتة . وأنا أتكلم على النملة العادية فما لى خبرة بالنمل السويسرى أو الإفريقى المدهش الذى يحسن التصويت فى الانتخابات، ويتخذ الجيوش النظامية، والرقيق، ويتجادل فى الدين . وقد يكون هذا النمل كما يصفه علماء الطبيعة ، ولكنى مقتنع بأن النملة العادية ليست إلا خدعة وأكذوبة . وإنى لأعترف بأن هذا الضرب من النمل كدود نشيط ، فما فى الدنيا مخلوق أكثر منـه كداً ودؤوباً والعيون تلاحظه ، ولكن عقله السميك هو ما أنعاه عليه .

وهو يخرج ليمتار ، فيجد شيئاً يستولى عليه ، فماذا تراه يصنع ؟ يقصد إلى بيته ؟ كلا ! فإنه لا يعرف أين هذا البيت . وقد لا يكون على مسافة أطول من ثلاث أقدام ، ولكنه مع هذا لا يهتدى إليه . أما غنيمته فهى فى الأغلب شئ لا يمكن أن يكون ذا فائدة له أو لأى مخلوق آخر . وقلما يكون هذا الشئ إلا أكبر سبع مرات مما ينبغى أن يكون . ثم هو يبحث عن أسوأ ناحية يتناوله منها ، ويرفعها فى الهواء ، ويمضى ، لا إلى بيته بل فى اتجاه آخر ، ولا يسير فى هدوء وبحكمة ، بل متعجلا مضطرباً ، ويلتقى بحصاة ، فلا يدور حولها بل يصعد فوقها ماشياً القهقرى وجاراً غنيمته معه ، ويهوى من الجانب الآخر ، فينهض منفعلا ، وينفض التراب عنه ، ويبـل يديه ، ويقبض على غنيمته بعنف ، ويجرها إلى هنا ، وههنا ، ويدفعها أمامه هنيهة ، ويجرها وراءه تارة ، ويزداد هياجه ويستشرى جنونه ، ثم يرفعها ويمضى على وجهه فى اتجاه جديد كل الجدة

وبعد نصف ساعة من التطواف يرجع إلى نحو ست بوصات من حيث بدأ ، فيضع حمـله ، ويمسح العرق المتصبب ، ويدلك أطرافه ، ثم يمضى على غير هدى ، بأسرع ما يستطيع . ويقطع رقعة كبيرة من أرض متعرجة ، ثم يعثر بعد حين على نفس الغنيمة ، ولـكنه لا يتذكر أنه رآها قط ، ويتلفت ليتبين الطريق الذى لا يؤدى إلى البيت ، ثم يتناول غنيمته ويذهب بها فيه ، ويتجشم نفس ما تجشم من قبل .

وأخيراً تقف نملة لتستريح ، وتقبل صاحبة لها فتقول إن ساق صرصور ميت من العام الماضى يعد غنيمة جليلة ، وتتفق معها على مساعدتها على حمله إلى البيت ، فتأخذان بطرفى ساق الصرصور ، وتشرع كل منهما تشد من ناحيتها بكل ما أوتيت من قوة . ثم تستريحان وتتشاوران وتتفقان على أن هناك خطأ ما ، ولكنهما لا تهتديان إليه ، وتتهم كل منهما الأخرى بالتعويق وينتهى الحوار بالشجار ، فتشتبكان ويعلق فك كل منهما بفك الأخرى لحظة ، ثم تتدحرجان وتقعان على الأرض ، وتفقد إحداها قرناً أو ساقاً أو غير ذلك فتحتاج إلى «الترميم» ، ثم تعودان إلى الوفاق والعمل معاً على نفس الطريقة الجنونية السابقة . ولكن النملة المهيضة عاجزة ، فالأخرى تجر الغنيمة والنملة الثانية معها .

وبعد أن يطاف بساق الصرصور فى الرقعة نفسها مرة أخرى ، يلقى بها فى المكان عينه الذى كانت فيه أولا ، وتتأملها النملتان اللتان تتفصدان عرقاً ، ويستقر رأيهما على أن أرجل الصراصير الجافة لا تستحق كل هذا العناء ، فتذهب كل منهما فى ناحية عسى أن تجد شيئاً ثقيلا يسليها ، ومغرياً ، لفرط تفهه ، بالسعى للاستحواذ عليه .

وقد رأيت اليوم نملة تبذل كل هذا الجهد مع عنكبوت ميت أثقل منها عشر مرات ، ثم تركته فى وسط الطريق لتستولى عليه أية نملة حمقاء أخرى تشتهيه . وقد قست المسافة التى قطعتها هذه الخرقاء فانتهيت إلى أن ما قامت به فى ٢٠ دقيقة يشبه شيئاً كهذا : أن يشد رجل حصانين وزن كل منهما ٨٠٠ رطل ويربطهما ويحملهما مسافة ١٨٠٠ قدم فوق صخور ارتفاعها ست أقدام ، أو أن يصعد خلال هذه الرحلة فوق جرف نياجارا وثلاثة أبراج عالية ، ويثب من قمتها ثم يطرح الحصانين ويلقى بهما فى مكان مكشوف من غير أن يراه أحد .

وقد أظهر العلم أن النملة لا تدخر شيئاً للشتاء ، فإنها خداعة لا تعمل عملا إلا حين تكون عليها عيون الناس ، بل لا تعمل إلا إذا كان الذى يراقبها له نظرة علماء الطبيعة ، ويبدو عليه أنه يدون مذكرات . ولا تستطيع النملة أن تهتدى إلى بيتها إذا اعترض طريقها شئ . وهذه غباوة . وليس كدها إلا غروراً ، فإنها لا تصل إلى بيتها بشئ تحمله ، وهذا من شأنه أن يقضى على البقية الباقية من شهرتها وفائدتها كعامل أدبى .

ومن العجيب الذى لا يكاد يصدقه العقل ، أن نملة خداعة استطاعت أن تغش وتغالط فى حقيقتها كل هذه الأمم ، كل هذه العصور دون أن يفطن إلى الحقيقة أحد .

الجاسوسية الراقية

فرنسيس روفوس بلامى
ملخصة عن مجلة «ذى أميريكان ميركورى»

[كيف هزمت وزارة المالية الأمريكية أجرأ جاسوسية ابتليت بها الولايات المتحدة .]

فى شروق اليوم السابع عشر من شهر يونيو ١٩٤١ وصل ولبور كيجان إلى مكتبه فى نيويورك فصبّحته رسالتان أطارتا صوابه . وولبور كيجان هو القائد النابغ « للرابطة الألمانية الأمريكية » وصحيفتها « الأمريكى الحر » التى تعمل على نشر الدعاية النازية .

أما الرسالة الأولى فخطاب من مصرفه ينبئه أن الأموال المودعة لديه لحساب « الأمريكى الحر » قد جمدت تنفيذاً لقرار صادر من وزارة المالية ، وأما الرسالة الثانية فصورة من أمر لرئيس الحكومة يحظر فيه على جريدة « الأمريكي الحر » أن تقوم بأى تصرف مالى إلا بعد أن ترفع إلى وزارة المالية بياناً وافياً عن أعمالها كافة .

وأمسك كيجان تلفونه بلهفة ، فإذا أنباء سيئة أخرى تترى ، فقد صدرت أوامر مماثلة تجمد كل موارد النازى المالية ، وأن ما دهى الرابطة ذاتها قد دهى « اتحاد المهن الألمانى الأمريكى » و « الجمعية الأمريكية للاعانة الألمانية » وعشرات غيرها من الهيئات الصغيرة الملحقة بها .

وأخذ رئيس الرابطة يزمجر : « إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا هذا بنا ، إننا مواطنون أمريكيون ، وها نحن نضطهد على يد جستابو أمريكى ! » .

ولكن وزارة المالية نعتت عملها بأنه «مراقبة الاعتمادات الأجنبية» . وقد أنشئت هذه الإدارة قبل الهجوم على « بيرل هاربور » ، وتبين فيما بعد أن إنشاءها كان من أحكم القرارات التى اتخذت فى هذه الحرب . ومهمتها فى داخل البلاد — وهى منع العدو من إحداث الفتن — كافية وحدها فى تسويغ نفقاتها التى تبلغ ٣ ملايين دولار سنوياً .

وفى الحرب العالمية الأولى كانت جهود وكلاء الألمان فى الولايات المتحدة ظاهرة الأثر فى أعمال التخريب ، وأهمها الانفجار الذى حدث فى مدينة جرسى ويعرف باسم انفجار « بلاك توم » ، أما فى هذه الحرب الحاضرة فتكاد تنعدم حوادث التخريب ، وقلما نجحت أعمال التجسس ، وسبب

ذلك أن « إدارة مراقبة الاعتمادات الخارجية » سلبت وكلاء العدو نقودهم ، وقبضت على مموليهم ، وأوصدت الأبواب فى وجه المال الوارد من الخارج ، ولا تجسس بغير مال . وقد بلغ من إحكام تدابير وزارة المالية أن اضطر المخربون الذين نزلوا من غواصة بجزيرة « لونج أيلاند » ، أن يجلبوا معهم نقودهم ، وقد بلغت ١٧٧ ألف دولار ورقاً من فئة ٥٠ دولاراً .

وإلى سنة ١٩٤٠ ، كانت حملة وزارة المالية على وكلاء العدو قد أخذت تسير سيرها ، فلما اجتاح هتلر غرب أوربا تلقت المصارف ومكاتب السماسرة الأمريكية عدة برقيات من الممالك المحتلة ، بالتصرف فى الأوراق المالية والنقود المودعة بأمريكا ، فارتابت الحكومة فى أن تكون هذه البرقيات قد صدرت تحت ضغط وتهديد ، فحظرت إنفاذ هذه التصرفات ما لم يرخص بها ، وجعلت هى لا تصدر ترخيصاً إلا بعد أن تقف على جلية الأمر .

فلما كانت سنة ١٩٤١ بلغ نشاط النازى فى إحداث الفتن حداً مروعاً ، فلم يكن بد من مقاومته بسلاح أشد صرامة ، فأصدر رئيس الحكومة أمراً فى ١٤ يونيو يحرم على كل أوربى فى الولايات المتحدة ، فرداً كان أو مؤسسة ، أن يعقد أية صفقة مالية بغير ترخيص سابق من وزارة المالية . ولأسباب قوية شمل الحظر أيضاً كافة الأفراد والشركات اليابانية ، وسوى بهم الصينيين رغبة فى حمايتهم . وطبق الحظر أيضاً على كل الهيآت التجارية الأمريكية ، إذا كانت مدينة لأى فرد فى هذه الممالك ، أو إذا كان من الممكن أن تخضع لأية صورة من صور الإشراف أو التدخل الأجنبى .

فوجب على جميع هؤلاء أن يراجعوا وزارة المالية قبل التصرف فى أموالهم ، وإلا كانوا عرضة للحبس أو لغرامة قدرها ١٠ آلاف دولار . وتضمن أمر الرئيس مادة تقضى بسريان أحكامه أيضاً على كل مواطن أمريكى يتهم بأنه من وكلاء العدو ، إلى أن تثبت براءته . وهذه المادة هى التى طبقت على ولبور كيجان ، وعلى « الأمريكى الحر » الصحيفة النازية .

وهكذا أصبح لزاماً على أهل الريبة ، الذين لا يستطيعون سحب مبلغ من حسابهم فى المصارف ، أن يلجأوا إلى وزارة المالية حتى من أجل أن يأكلوا ، وكان حتما عليهم أن يفضوا بحقيقة أمورهم دون أن يعلموا مقدار ما تعلمه السلطات عنهم ، فإذا كذبوا وقعوا لساعتهم فى الشرك .

وقد كانت وزارة المالية تعلم أموراً كثيرة ، وتحت سلطانها مصادرها الخاصة تستقى

منها معلوماتها : « مكتب الاستخبارات السرية » و« خفر السواحل » و« مصلحة الضرائب » و « الجمارك » والمصارف الحكومية وما يتبعها من ١٥ ألف مصرف تجارى ، وزد على ذلك أنها تلقى العون من « قلم الاستخبارات الحربية » و « إدارة الرقابة البريطانيـة » ، ومن كل سفارات أمريكا وقنصلياتها .

ولم تغب شمس يوم ١٤ يونيو حتى بدأ ينهـال على « إدارة مراقبـة الاعتمادات الأجنبية » فى وشنطن ، سيل من طلبات الترخيص، وبيانات وإقرارات عن الملكية .

ثم حرم انتقال ملكية الأموال الأجنبية، وبلغ مقـدار ما شمله التحريم ٧ بلايين دولار . وشملت وزارة المالية برعايتها من لم تشك فى براءتهم ومنحتهم نحـواً من ٤٠٠ ألف ترخيص مؤقت .

وكان أكبر صيد وقع فى شركها هو : «الشركة العامة للانيلين والأفلام» وهى شركة كيميائية أمريكية لها مصابغ فى نيوجرسى ونيويورك ، وتبلغ أموالهـا ٦٦ مليون دولار ، ويدخل فى ملكيتها عـدة شركات أمريكية ملحقة بها ، أهمها شركة « أجفا أنسكو » بنيويورك . وقد قرر مـديرو الشركة أنها أمريكية الجنس، ولا تخضع لأية رقابة أجنبية . ومع ذلك فقد كانت هذه الشركة مدرجة فى قائمة أهل الريبة بعـد ١١ يونيو ١٩٤٠ ، حين طلب مصرف فى نيويورك ترخيصاً لكى يسلم بمقتضاه إلى مشتر جديد مقيم فى سويسرا ، قسما كبيراً من أسهم الشركة التى كان يحتفظ بها المصرف لحساب شركة هولاندية .

وذكر المصرف فى طلبه أن البيع قد تم فى شهر سبتمبر السابق ، ولما كانت هولندا قد سقطت بعد ذلك ، وجهت وزارة المالية الأسئلة التالية إلى الشركة : ما سبب هـذا التأخير العجيب فى نقل ملكية الأسهم ؟ ومن هم أصحاب الشركة الهولاندية ؟ ومن هو المشترى السويسرى ؟

لم يشق على الشركة أن تجيب أسئلة سهلة كهذه : فالمكاتبات السابقة الخاصة بنقل الملكية قد فقدت فى البريد ، وهى لا تعلم شيئاً عن الشركة الهولاندية ، وأن قوانين المصارف السويسرية تحول دون حصولها على بيانات عن المشترى السويسرى .

ومع ذلك ثبت من التحقيق الذى قام به المصرف ، أن الطلب الذى جاءه لم يحمله إليه البريد ، بل سلمه إليه شخص يسمى الدكتور دويسبرج ، وهو محام بنيويورك يقول إنه تلقى الطلب من مصرف سويسرى . وثبت أن الدكتور دويسبرج هو ابن الكيميائى الأول لأكبر مؤسسة كيميائية فى ألمانيا ، ألا

وهى « شركة ا . ج . فاربن » ، كما تبين أن رئيس شركة الإنيلين — مع أنه أمريكى الجنس — هو أخو الأستاذ الأكبر هرمان شمتز رئيس « شركة ا . ج . فاربن » .

واتضح من موالاة التحقيق أن شركة الأنيلين استمرت تدفع أرباح تلك الأسهم إلى الشركة الهولاندية برغم انتقال الأسهم بالبيع المزعوم . ثم دلت التقارير الواردة من « وال ستريت » الحىّ المالىّ فى نيويورك ، على أنه حين أدمجت الشركات المتفرقة بعضها فى بعض ، ووحدت فى شركة واحدة باسم « الشركة العامة للأنيلين والأفلام » ، قامت « شركة ا . ج . فاربن » بشراء أسهمها الموجودة فى الخارج على يد مصرف سويسرى .

ويلوح أن قرار وزارة المالية بوقف انتقال ملكية الأسهم أثار ثائرة مديرى شركة الأنيلين إثارة لم تعهد من قبل ، والظاهر أنهم كانوا يرون فض المسألة كلها بدون تأخير أمراً حيوياً ، فإن مديرى الشركة والمحامين أسرعوا إلى وشنطن ، وطلب المشترى من وزير سويسرا المفوض أن يتدخل فى الأمر ، ففعل . ويبدو أن حكومته أبلغته أن المشترى السويسرى خاضع لسلطان سويسرا . ولكن وزارة المالية ظلت مع ذلك تماطلهم .

وفى ليلة ١١ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، أى بعد الهجوم على « بيرل هاربور » بأربعة أيام ، استقلت نخبة من رجال وزارة المالية الطائرة الليلية من وشنطن إلى نيويورك . وخرج تلك الليلة مئات من موظفى « مراقبة الاعتمادات الخارجية » فى مهمات مشابهة فى طول البلاد وعرضها . وكانت المهمة الموكولة إلى ركاب هذه الطائرة أن يضعوا يدهم على الشركة العامة للأنيلين ، لأنها فى أكبر الظن ، هى العدو الأول .

وأدى التحقيق الذى دام عدة أشهر إلى الوقوف على معلومات مثيرة للدهشة ، فقد وردت من سويسرا تقارير سرية تفيد أن مديرى الشركة السويسرية التى اشترت الأسهم ، كانوا ستاراً يتدرأ خلفه النازيون ، وأن مديرى شركة الأنيلين كانوا على علم بذلك ، وأنهم هم أنفسهم من وكلاء الألمان . ووردت من لندن شهادة من الإنجليز ، أيدتها لجنة الهند الهولاندية ، بأن شركة ا . ج . فاربن أصبحت منذ سنة ١٩٣٦ أداة فى يد النازى ، وأنها أسست فى الخفاء دولة كيميائية يمتد سلطانها فى أرجاء العالم كله ، وذلك بشرائها فى بلاد أخرى كثرة الأسهم فى شركات تبدو عليها فى الظاهر سمة الاستقلال ، وأن هذه الشركات التوابع كانت تهيأ باستمرار للتجسس .

وفحص رجال وزارة المالية عقود استخدام موظفى شركة الأنيلين فى مركز إدارتها بنيويورك ، فوجدوا أنهم كانوا جميعاً يطلبون السفر إلى ألمانيا لقضاء إجازاتهم ، وأن مئات من المواطنين الألمان يعملون فى مصانع الشركة ، وأن عدداً من صغار المستخدمين وظفوا بتوصية من هيئات نازية فى نيويورك وبرلين ، وأن رئيس العمال فى مصنع الشركة بنيو جرسى عينته الرابطة زعيماً (جاوليتر) للمنطقة الشرقية كلها . ولم تخل الشركات التوابع كلها من ألمان مختصين فى الكيمياء والصناعة ، استقدمتهم الشركة بعد أن قررت للحكومة وأقسمت أنهم لازمون لها كل اللزوم .

ومما زاد فى الهلع أن أثبتت السجلات أن أعمال الشركة تضمنت قيامها بخدمات سرية فى أحواض البواخر الحربية والمطارات ، وأنها أدرجت بين الأعمال التى تتولاها استخراج صور من الأفلام والرسوم الهندسية المخططة على الورق الأزرق . وهذه المستندات تحتوى على قدر كاف من المعلومات السرية يدبر به العدو فجيعة أخرى كفجيعة بيرل هاربور .

وفى الأسبوع نفسه تمكن رجال وزارة المالية من اصطياد « شركة شمنيكو » وأوقعوها فى الحبالة ، وتبين من سجلاتها وجود لجنة فى شركة ا . ج . فاربن لجمع المعلومات السياسية والاقتصادية ، وهى على صلة بالحكومة النازية ، ولها مركز رئيسى فى برلين . كما أثبتت الملفات أن هذا المركز الرئيسى كان يتلقى منذ سنين طويلة بيانات كاملة عن الولايات المتحدة : مصانعها ، ومخترعاتها ، وإنتاجها ، وخاماتها . وكانت ترسل لألمانيا تقارير أسبوعية لا تستند إلى المعلومات المستقاة من تحريات الأفراد فحسب ، بل تستند أيضاً إلى تلخيص واف للمجلات العلمية الفنيّة ، ونشرات الأنباء ، وبلغت نفقات هذه التقارير ٢٤٠ ألف دولار .

وحال إعدام بعض السجلات دون تمكن رجال وزارة المالية من الإلمام بكل ما كان يحدث ، ولكن الأدلة التى تجمعت لديهم كانت كافية فى إظهار اتساع نطاق هذا التجسس الذى قطع عليه طريقه . وكان لا يزال باقياً فى إدارة الشركة خرائط عن السكك الحديدية ، والطرق العامة ، والصناعات المعدنية ، وصهاريج البترول وأنابيبه وطرق شحنه ، وشبكة الأسلاك الناقلة للقوى الكهربائية ، وكذلك خرائط طبوغرافية عن سواحل أمريكا وموانيها ، وخرائط عن جزائر الهند الغربية ، ومداخل قناة بناما .

وتبين أن شركة شمنيكو حائزة فى وسائل إنتاجها الكيمائى ، على حق استعمال ثلاثة آلاف امتياز مسجل باسم شركة ا . ج . فاربن . وكان من بين الذين نالوا حق الانتفاع بهذه الوسائل المسجلة مئات من أهم المصانع الأمريكية . وبفضل هذه العلاقات القائمة ، تمكنت شمنيكو من أن تحصل لكثيرين من رؤساء نازيين وكيميائيين وموظفين ، على إجازة بدخول أهم المصانع الأمريكية ، من مصانع الألمنيوم والمطاط إلى مصانع الغازولين وبناء الطائرات . وحتى يوم كان السلاح الجوّى الألمانى مسيطراً على بولندا ، اتبعت الحيلة نفسها فى إدخال كلود دورنيه — وهو ابن أبرع مهندسى الطيران فى ألمانيا — إلى مصانع طائرات شركة ساحل الباسفيك .

وكان من بين ما سقطت عليه شبكة رجال وزارة المالية ، مذكرات محام سابق لشركة شمنيكو ، فإذا بها تدون بأمانة كل ما جرى من مناقشات فى ألمانيا ، وتروى كيف أن حكومتها هى التى اقترحت أن تؤسس فى أمريكا شركة كالشركة العامة للأنيلين ، تسيطر عليها شركة ا . ج. فاربن بأن تشترى بواسطة مصرف سويسرى ما قيمته ١٠ ملايين دولار من أسهمها ، وأن الدكتور ا . شمتز مدير شركة الأنيلين ، إلى يوم أن بدأ تحقيق وزارة المالية ، كان من قبل مديراً لشركة شمنيكو .

وظلت « شركة ا . ج . فاربن » سنين طويلة وهى تحتفظ بملكية أسهم شركة الأنيلين وراء ستار من بيوتات مالية غامضة فى هولندا وسويسرا . وفى سنة ١٩٤٠ أراد ممثلو شركة ا . ج . فاربن المسيطرون على شركة الأنيلين ، أن يخلصوا أسهمهم الموجودة فى هولندا من قرار تجميد أموال البلاد المحتلة ، فزوروا عقداً بتاريخ سابق يتضمن بيع تلك الأسهم من ستارهم الهولندى إلى ستارهم السويسرى . وبذلك يمكن الاحتجاج بأن هذه الأسهم ملك أناس ينتمون إلى دولة محايدة ، ثم يعاد بيع تلك الأسهم — ويبلغ مقدارها ١٫٥٠٠٫٠٠٠ سهماً — إلى موظفى النازى المخلصين المقيمين فى أمريكا ، وحينئذ تصبح الأموال الأمريكية سلاحاً مسلولاً فى يد شركة ا . ج . فاربن . وتتراءى شركة الأنيلين كأنها شركة لا نزاع فى جنسيتها الأمريكية ، وفى الوقت نفسه تتمثل فيها دولة موطدة الدعائم ديدنها التجسس والتخريب .

وسرعان ما انهتك الستر ، إذ نطق بالحق موظف سابق فى شركة الأنيلين من الأمناء على أسرارها ، واعترف بأن الشركة كانت هى وتوابعها فى حيازة شركة ا . ج . فاربن

وأن صفقة بيع الأسهم كانت أهون عناصر المؤامرة ، وأن شركة الأنيلين لم تقتصر فى تجسسها على إرسال التقارير الأسبوعية إلى ألمانيا منذ ١٩٣٦ ، بل لم تزل ترسل إليها بأساليب خفية .

كانت هــذه التقارير تشـمل أفلاماً مأخوذة للعتاد الحربى السرى فى أمريكا ، ورسوماً هندسية، وأفلاماً مصغرة، ومعلومات عن بناء أحـدث المستودعات الحربيـة الأمريكية وإنتاجها . وكانت « شركة أجفا أنسكو » ، وهى من الشركات التوابع ، تبيع الهواة أفلام التصـوير السينمائى على شريطة أن تقوم هى بتحميضها .

ولما كان من بين عمـلائها رجال فى الجيش والأسطول ، وكانت تتسلم الأفلام لتحميضها قبل أن تعرض على الرقابة ، لم يبق هناك مانع يمنعها من إرسال صورهذه الأفلام إلى برلين .

ثم إن شركة أجفا كانت متصلة بما يقرب من ٣٥٠٠ مصنع ، وبالقواعد الجوية التابعة للأسطول الأمريكى ، عن طريق أسـلوب أنيلين المسـجل المستعمل فى طبع الرسوم الهندسية. وشبيه بذلك استعانة الشركة بامتياز مسجل آخر ، وهو « طريقـة أوزافان » التى تطبع بهـا الرسائل مصغرة على أفلام ليسهل نقلها بالـبريد ، فإنها بفضل هـذا الامتياز كانت على صلة بالإدارات التى تتولى شـئون المحاربين فى الجيش والأسـطول ، وكان يسيراً عليها أن تقف أول فأول على كافة تطورات الحـالة الحربية . وقد وجد تقرير كامل عن أحدث البوارج الحربيـة مصوراً على فلم عرضه ٣٥ ملليمتراً ، معداً للارسال من فوره . تلك هى الجاسوسـية الراقية ولا ريب !

لقـد تضخمت ملفات « إدارة مراقبـة الاعتمادات الأجنبيـة » بعدة قضايا ممـاثلة لا يكاد يصدقها العقل . وقد حققت وزارة المـالية منـذ شهر يونيو ١٩٤١ شئون ٣٧٠٠ شركة وآلاف من الأفراد، واستولى مكتب حراسة أموال الأجانب على ٤٠٠ شركة من بينها الشركة العـامة للأنيلين ، لتتولى الحكومة إدارتهـا ، وبقيت ٢١٠٠ شركة تحت إشراف دقيـق تبسطه عليهـا وزارة المالية . لا لأنها من شركات الأعداء ، فقد أثبتت أنهـا ليست منهم ، بل لأن أسهمها — كلها أو بعضها — ملك أجانب محايدين أو أشخاص مقيمين فى البلاد المحتلة ، فلربما استخدمت هـذه الشركات فى التجسس والتخريب .

واليوم هيهات للعدو أن ينجح فى التستر والتخفى ، وهـذا فوز يحق لوزارة المـالية الأمريكية أن تفخر به .

رجال العمل يتطوعون خدماً فى المستشفيات

سادة فى ثياب الخدم

ت . ا . مورفى . . . ملخصة عن مجلة « ذى روتيريان »

منذ بضعة أشهر مرضت سيدة عوان مرضاً مفاجئاً ، فاستدعيت على عجل نقالة المستشفى . فما إن وصلت حتى وثب منها كهل بدين فى ثياب خدم المستشفيات ، وتولى أمر المريضة . فلما ذهب يحملها إلى المحفة هو وسائق السيارة ، إذا أحد النظارة يلتفت إلى آخر ويقول : « أليس هذا فريد جريف نائب رئيس البنك الوطنى ؟ فربك ماذا يصنع فى نقالة ؟ » .

إن ركوب النقالة ليس إلا مهمة من مهمات كثيرة يقوم بها اليوم رجال الأعمال الذين يتطوعون خدماً للمستشفيات فى جميع أنحاء البلاد . والحادثة التى ذكرناها آنفا قد وقعت فى نيوهافن بولاية كونيكتكوت حيث يعمل منهم فى مستشفاها عدد كبير .

فمنذ عام قال جيمس هاملتون مدير هذا المستشفى لمجلس الإدارة إنه مضطر إلى إغلاق قسم من أقسامه لعجزه عن الحصول على عمال يديرونه . ذلك بأن نيوهافن تقع وسط إقليم كبير ينتج ذخائر الحرب ، فاستنفدت كل الأيدى العاملة ، ولم يعد ثمة خدم من الرجال فى أى مكان . وقد تقدم سكان المدينة بزعامة جريف لنجدة المستشفى وأقبلوا عليه فتولوا هم أنفسهم وظائف الخدم .

فإذا جبت اليوم ممراته فمن المحتمل أن ترى صيرفيا يحسن مسح الأرض ، أو محامياً يفرغ « قصرية » سرير ، أو أستاذاً فى جامعة ييل يحلق ذقن مريض مثبت فى فراشه . وما من عمل يرونه عسيراً أو وضيعاً . ويساعد أولئك المتطوعون المرضى على الاستحمام ، ويسجلون لهم الحرارة والنبض والتنفس ، ويقدمون لهم الطعام ، ويجمعون النماذج للتحليل ، ويحضرون المرضى للجراحات ، ويغسلون البلاط ، ويقومون بثمانية وأربعين عملا ، ما بين تمهيد الأسرة إلى غسل الرءوس وإبادة القمل .

ويجب على كل منهم قبل أن يقبل متطوعاً أن يوقع عهداً بعض ما فيه : « أن يشرف عمله بالكفاية والفهم ، وأن يضع نصب عينه أنه ما من عمل فى رعاية المرضى أو الدفاع عن الصحة يعد معيباً أو وضيعاً » .

ومن أجل هذا قد ترى كما رأيت سيداً

مترفاً أشيب ينظف نكرة من النكرات لا شأن له قبل الذهاب به إلى حجرة الجراحات ، ويقول لك وهو يجفف الماء عن جسد المريض : « منذ ستة أشهر كنت أرى أن ليس فى وسعى أن أعمل عملا كهذا ، ولكنى اليوم أنجزه بغير عناء » .

وقد ضمت إحدى قوائم المتطوعين ٩ صيارف ، و ١١ معلماً ، و ٥ محامين ، و ٢٤ من أصحاب المصانع ، و ٣ من رجال الدين ، و ٢٥ من موظفى المرافق العامة .

وهناك الآن قوة عاملة من هؤلاء المتطوعين قوامها ١٤٧ رجلا . ولم يستعف من الرعيل الأول منهم غير أربعة وجدوا العمل مرهقاً .

وعلى المتطوع أن يشترى مئزره الأزرق ، وعليه نفقات غسله وكيه ، وتدل كل نجمة على كم المئزر الأيسر على خدمة ثلاثة أشهر ، فإذا حال الحول وضع تحت النجوم شريط .

وعند ما يعهد بواجبات التدبير المنزلى إلى مثل هذه الطبقة اللامعة فى المجتمع ، فإن ذلك خليق أن يثير كثيراً من الفكاهات . وقد حدث أخيراً أن أبصرت ممرضة قاضياً ممتازاً ومدعياً عاما معروفاً يدفعان عربة مملوءة بالمماسح والأوعية فى أحد الممرات ، ثم رأتهما يقفان ويدخلان فى جدال عنيف ، وإذا القاضى يحتكم إليها بأدب وهو يكظم غيظه : « إن علينا أن نغسل هذه الجدران ، ويزعم هذا ، هـذا المحامى ، أنه ينبغى أن نستعمل الإسفنج ، وأنا أزعم أن الممسحة أفعل من الإسفنج ، فماذا رأيك أنت » .

ووقف سيد أكرش على قمة سلم متحرك ينظف المصابيح والعرق يتصبب من جبينه ورأى امرأته فجأة واقفة ، تنظر إليه وعيناها تبرقان وتقول : « وأنت ذلك الرجل الذى لا يستطيع أن يمد يده إلى عمل فى المنزل ! »

إن عمل أولئك الرجال فى المستشفى قد جعلهم أكثر مما كانوا استعداداً لأعمال المنزل ، وتقول امرأة أحدهم : « إن بلاط منزلنا لم يكن مصقولا قط كما هو الآن ! » .

وفى الصيف الماضى أصيب إقليم نيوهافن بوباء من شلل الأطفال ، ودخل المستشفى ٢٠٥ ممن مرض به ، ولما كان لكثير من المتطوعين أولاد فقد رؤى أن لا يعرضوا أنفسهم للعدوى . ولكنهم ما إن رأوا جماعة الموظفين النظاميين فى المستشفى يكادون يتداعون إعياء من كثرة العمل ، حتى لم يبق منهم أحد إلا عاد إلى عمله أثناء الوباء .

وقد أمدّ مجهود هؤلاء المتطوعين مستشفى نيوهافن بما يكافئ فى قيمته اثنتى عشرة وظيفة من وظائف الخدم الذين يعملون يوماً كاملا . ولا يمكن فى الواقع تقدير عملهم بالمال لأنهم أشخاص أذكياء ومفكرون ، وكثير منهم اقترح مقترحات

قيمة لتحسين الطرق المتبعة وتيسيرها . فآل وورثن الذى يعمل بشركة أحجار قد وضع مثلا تصميما لآلة يحرك بها وعاء الأكسجين الثقيل بسهولة وسرعة ، عندما رأى صعوبة نقله إلى المكان الذى يجب أن يوضع فيه أثناء الاستعمال .

ومنذ زمن غير بعيد نقِه من الالتهاب الرئوى عامل مكسيكى فأخذ يتفجع بالإسبانية كلما دخلت عليه الممرضة ، وكانت لا تعرف غير الإنجليزية ، وهو لا يعرف غير الإسبانية ، فبعثا فى طلب متطوع يحذق اللغات من جامعة ييل . فأصغى إلى ما يقوله الرجل ، وقال للمرضة : « إنه يشكو من الماء المثلوج ويظنه يؤذيه ، فأعطيه ماء فاتراً يهدأ » . ثم ألف بعد ذلك معجما إنجليزيا إسبانيا موجزاً للمرضى والممرضات .

وقد أفادت أعمال المستشفى أولئك الأشخاص المكدودين من رجال الأعمال ، ويصفها أحد الأطباء بأنها كانت لهم : « كالطب بالتسلية » ، ويقول : إن الأشخاص الذين يجهدون عقولهم طول النهار يفيدون من هذه الأعمال مثل ما ينفقون ، لأن اشتغالهم ليلا بمثل هذه الأعمال البدنية التى يرونها نافعة ، إنما هو رياضة وتجديد لقواهم » .

وكثيراً ما يمتد هذا العمل النافع إلى خارج المستشفى ، فمن هؤلاء المتطوعين رجل له مقام فى الصناعة ، كان يشرف على إيطالى عجوز بترت ذراعه اليسرى . وجاءت ليلة فوجد المريض يكاتم نفسه البكاء .

فسأله : « ماذا دهاك يا تونى ؟ » .

فأشار الرجل إلى ذراعه البتراء قائلا : « لن أصلح منذ الآن لعمل . فمن ذا الذى يستأجر رجلا أجذم ؟ » .

فأعطى للمريض بطاقته قائلا : « تعال إلىّ يوم تتماثل للشفاء ، وأنا أهيئ لك عملا » ومنذ ذلك اليوم عجل إليه الشفاء .

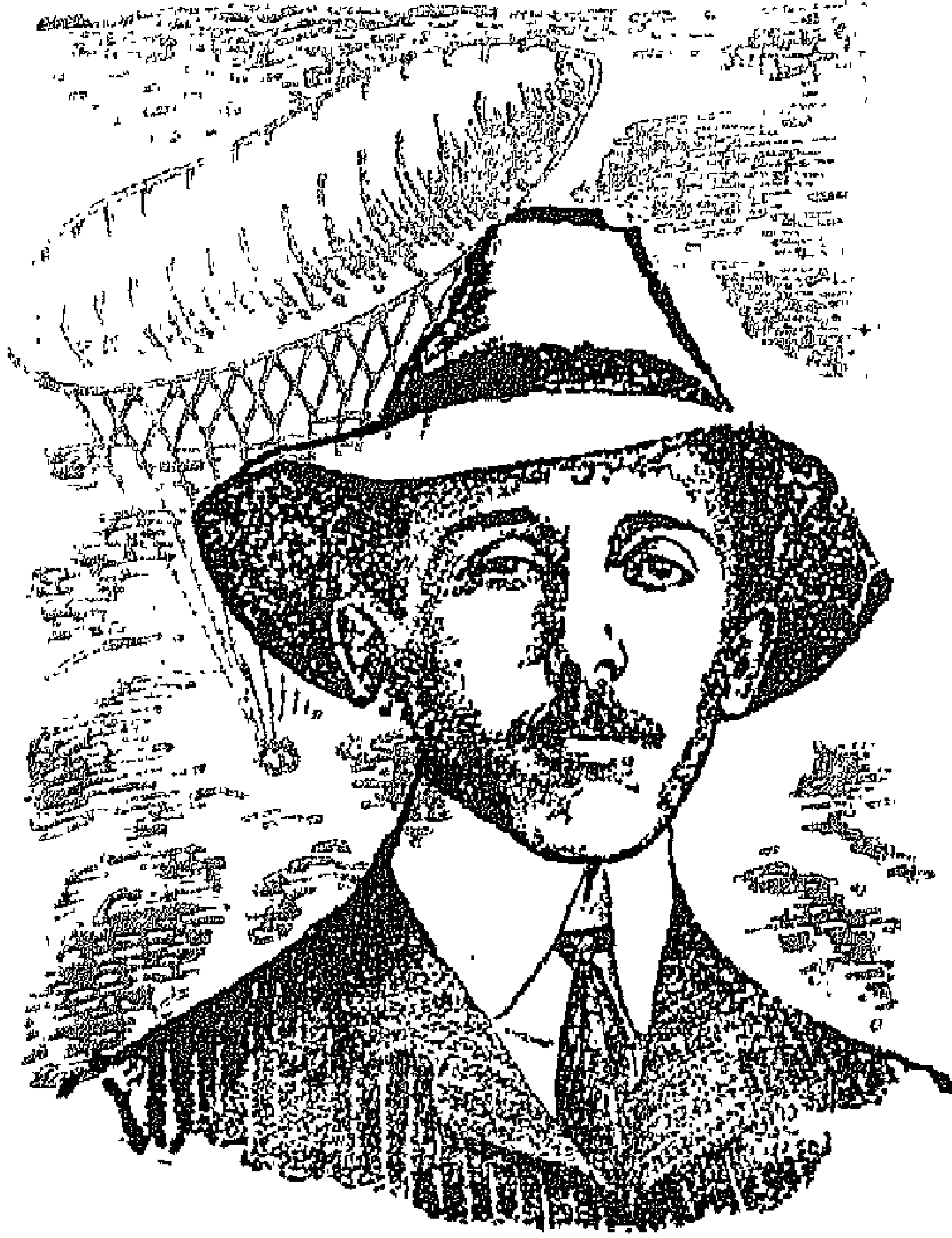
وكثيراً ما يحاول المرضى أن يجازوا أولئك المتطوعين بعطفهم . فقد حدث منذ زمن قريب أن عهد إلى رجل من رجال الأعمال لا يقل دخله عن خمسة أرقام ، أن يقوم بتجهيز زنجى يغادر المستشفى بعد برئه . وقد تولى له من قبل أمر استحمامه ، ودفع مقعده المتحرك إلى غرفة الأشعة ، وهيأه لعمل جراحة له ، فلما وقف الزنجى على باب المستشفى مضطرب الساقين وضع فى يد رجل الأعمال ورقة مالية بالية قيمتها ريال . ثم قال له : « لقد كنت شديد العطف علىّ يا سيدى ، وأريد أن تعلم أنى أقدره » .

وقد ردّ المال على صاحبه ، ولكن رجل الأعمال يقول : « إن هذا الريال كان أجمل ريال استحققته فى حياتى » .

سنتوس ديمون : رائد الطيران

ماريون لوندس

ملخصة عن مجلة « حقائق الطيران »



البرازيلى الذى أثبت لعالم مشدوه ، في جرأة بالغة وأسلوب للعرض مبين ، أن الإنسان قادر على الطيران .

كان يوماً ما كناً من أيام سبتمبر ١٨٩٨ ، يوم علمت باريس أن ألبرتو سنتوس ديمون ، الشاب البرازيلى الموسر ، المقيم بالعاصمة الفرنسية ، قد تأهب للطيران فوق المدينة فى « سفينة جوية » . وكان هذا الاختراع العجيب ، الذى كلف ٣٠٫٠٠٠ ريال ، كيساً مستطيلا من الحرير المطلى ، ممتلئاً بغاز الإيدروجين وقد بلغ طوله ٨٠ قدماً ، وجهز بمحرك منتزع من دراجة ذات عجلات ثلاث ، قوته ٣ ½ حصان .

كان خبراء راكبي البالونات قد أخطروا هذا الطيار المجازف أن استعمال المحرك الذى يدور بالبنزين ، وهو غير مرتكن على الأرض ، يحدث اهتزازاً يهد الأعصاب . ولكنه كان قد علق دراجته المثلثة العجلات بغصن شجرة ، فوجد أن عمل المحرك الدائر فى الهواء لا يختلف سواء أكان على الأرض أم فوقها . وقال الخبراء إن الإيدروجين داخل الكيس سيلتهب وينفجر ، أما سنتوس ديمون فقد كان له فى ذلك رأى آخر .

وأذاع أنه سيحلق فى الجو من حدائق الحيوانات ، وهى فى قلب باريس . فصعد ذلك الطيار الأنيق فى « سيارته الهوائية » أمام جمع مشدوه ، وقد لبس بذلة مخططة وقفازا من الجلد الناعم وقبعة . وبدت « السيارة الهوائية » كأنها سلة غسيل مصنوعة من عيدان الصفصاف المجدولة ، وقد ألحق بها محرك يدور بالبترول ، ومروحة ذات ريشتين . وقد شد كلُّ هذا بالحبال إلى بالون .

وصاح : « اتركوها جميعاً » فتراجع

العمال ، ودار المحرك وارتفع البالون « سنتوس ديمون رقم ١ » فى الجو مظفراً .

الإنسان يطير ! وهتف الجمع وبكى ، فهذه أول مرة رأى فيها أحدهم بشراً يتحكم فى توجيه نفسه فى الفضاء . وإذا فتاة تصيح : « لقد تحطمت ! » .

نعم تحطمت . أصابها الخلل ، فانثنى الغلاف الكبير من وسطها ولم يبق على ارتطامه بالأرض سوى لحظات . وكان البالون « سنتوس ديمون » ساعتئذ فو ان فيه صبية يلعبون بالمحلقات (طائرات الورق) .

فصاح حين لامست الحبال الأرض : « أمسكوا بالحبل الأمامى ودوروا به فى اتجاه معاكس للريح كأنه محلقة تلعبون بها » . ففعلوا ، فخفضت مقاومة الهواء شدة السقطة وقد قال بعد : « هكذا نجوت أول مرة » .

ولكنه استطاع أن يطير ، فقد ارتفع بقوة محركة ، لا بإلقاء الأثقال كما كان يفعل راكبو البالونات . وقد تمكن من توجيه سفينته كما أراد .

لم يكن وزن سنتوس ديمون ، وهو أول من استطاع أن يطير معتمداً على قوة البنزين المحركة ، يزيد على مئة رطل . ولكن هذا الأجنبى الصغير النحيف المتأنق فى ملبسه ، الكبير الرأس ، كان بطلا فى باريس حتى قبل طيرانه الأول .

فكانت الأمهات الطموحات تتمنى أن ترى بناتهن يتنزهن معه . وكان أعضاء جوكى كلوب من أرباب الرياضة وحملة الألقاب المتمرسين بالحياة ، يرحبون به لمهارته وجرأته فى تعريض حياته للخطر وهو محتفظ برباطة جأش المجازف العاتى . كان رجلا خبر الدنيا وجربها ، ولكنه لم يزل بسيطاً صريحاً كالطفل . وكان يعمل طيلة الصباح فى مصنعه الخاص وقد خلع سترته ، ثم لا يلبث أن يظهر فى أعظم المط أناقة لتناول الغداء مرتدياً على دأبه القبعه العالية والسترة الرسمية .

وحين أراد الوقوف على أثر التحليق فى بدنه لم يزد على أن يرتقى أعلى قنن الألب . وحين ارتفع أول مرة ببالون ، أخذ معه غداء من الدجاج واللحم البقرى البارد والشمبانيا والمثلجات والفطائر ، وظل يأكل وهو يطفوه إلى عالم أبيض غير شفاف ، ثم فسر للباريسيين الفرحين بما يرون ويسمعون ، أن لاشىء أعظم متعة من هذا .

وقد وضع تصميم أصغر بالون وأسماه « البرازيل » ، وكان إذا عاد من التحليق به ، يرجع إلى باريس فى سيارته القرمزية ، والبالون فى حقيبة على المقعد بجانبه .

كان يوم فاز أول فوز ، فى الخا والعشرين . وقد ولد بالبرازيل سنة ١٨٧٣ ،



وهو عاشر عشرة أبناء، أبوهم أحد ملوك البن في ساوباولو ، فأتيحت لعبقريته الميكانيكية فرصة الظهور في ضياع والده الفسيحة ، حيث تستعمل أحدث الآلات المعروفة حينئذ ويبلغ طول الخطوط الحديدية الخاصة بها ٦٠ ميلا . وكان ، وهو في الثانية عشرة ، يقود قاطرة أمريكية تنقـل شحنات البن الأخضر . وكان أحيانا يلتفت إلى السماء البرازيليـة حيث : « كانت الطيور تحلق متهادية بأجنحتها الكبيرة المنشورة ، وحيث ترتفع السحب بهيجة في ضوء النهار النقي ، فما عليك إلا أن ترفع عينيك حتى يستهويك الفضاء والحرية » ، كما كتب بعد سنين .

وقد أوحت إليه قصص جول فرن ببناء البالونات الصغيرة ، وجعلته يحلم بسفينة يمكنها أن تشق طريقها في الهواء .

وحصل على درجـة الشرف في العـلوم بجامعـة ريودي جانيرو ، فأقنع والده بأن يوفده إلى باريس ليدرس علوم الطيران . وكان الباريسيون قد أخذوا في العقد الأخير من القرن الماضي، بوسائل الانتقال الشاذة ــ العربات التي لا تجرها الجياد ، والدراجات الميكانيكية المثلثة العجلات ، والبالونات .

على أن دهشـته كانت بالغـة حين رأى بالونات كروية كثيرة في باريس ، ولـكن ليس منها ما يخضع لتوجيه قائده ، فقد حالف الشؤم المحاولات التي جرت من هذه الناحية إذ اتضح أن سفينة الهواء البخارية لجيفارد ، ومثيلتها الكهربائية لرينـار ، غير صالحتين من الوجهـة العملية ، أما سـفينة ولفرت فقد اضطرمت فيها النار وقتلته ، وكذلك انفجرت سفينة شوارتز ذات الهيكل الجامد.

ومع ذلك فقد بدأ سنتوس ديمون يجرب التجارب التي مهدت لفوزه سنة ١٨٩٨ في حدائق الحيوانات ، وشجعه النجاح على أن يصنع أربعاً أخرى من هـذه الآلات التي تكلف إحداها ٣٠٫٠٠٠ ريال . ومن ثم تأهب للفوز بجـائزة دويتش المرموقة التي كانت تبلغ ١٢٥٫٠٠٠ فرنك ، وكانت قد حصصت لمن ينجح في الطيران حول برج إيفل ثم يعـود إلى « سان كلو » في نصف ساعة .

وفي ٨ أغسطس ١٩٠١ ، أقلع سنتوس ديمون من مكان الابتـداء ، فبلغ البرج في تسع دقائق ، ولاح له أن الجـائزة أصبحت في قبضة يده . ولـكن ما إن وصل إلى البرج حتى اهتزت الحبال التي تحمل سلة الصفصاف المجـدول اهتزازاً عنيفاً ، فارتخت الحبـال الأمامية فأعملت فيهـا المروحة التقطيع ، ولن تنقضي ثوان حتى يقذف به في الفضاء . فأبطل سنتوس ديمون المحـرك في سرعة البرق ، فهدأت سرعة المروحة ثم وقفت ،

وانساقت الآلة الضخمة مع الريح ، وقد كاد جسمها ينهار ، حتى اصطدمت بسطح بناء ، وتلا ذلك انفجار قاصف ، فاختفى البالون وسنتوس ديمون ، عن الأنظار .

وأسرع عمال المطافىء الباريسيون إلى مكان الحادث ، فوجدوا الطيار متشبثاً بحافة نافذة ضيقة تعلو مئة قدم من سطح الأرض وهو ينتظر عمال الإنقاذ لتوجيههم ، وكان محور السفينة قد هبط مائلا واستقر طرفاه على سطحين ، فأنقذ الطيار من الموت

وفى نفس الليلة أمر ذلك المخترع الذى لم تهن عزيمته ، بصنع سفينة « سنتوس ديمون رقم ٦ » ، وفى أقل من شهر حلق بها متجهاً مرة أخرى نحو البرج . ووقف جمع حاشد يرقبه ، ولازمت سفينته اتجاهها فى ثبات كما حدث فى المرة السابقة ، ولكن محركها البدائى كاد يقف أثناء دورانها حول البرج ، فترك سنتوس ديمون آلات القيادة ، وأحكم توقيت الشرارة الكهربائية فى المحرك ، ثم عاد مظفراً بسفينته إلى نقطة البدء ، ليفوز هذه المرة بالجائزة التى قسمها من فوره بين رجال مطاره وفقراء باريس .

وكان الناس لا يزالون يذكرون نصره يوم شيد فى نوبى ، إحدى ضواحى باريس ، حظيرة للبالونات ، مخططة باللونين الأحمر والأبيض ، ووضع فيها ثلاث سفن أخرى .

وإنها لأسطول جوى كبير يملكه طيار يعمل لحسابه الخاص ولمتعته الشخصية ، وإن قيس بمقياس هذا الزمان .

ودأب سنتوس ديمون على أن يبقى الطيران بين سمع الجمهور وبصره ، ليثبت أن مآله أن يصبح جزءاً من الحياة اليومية ، فكان يطير بمحاذاة شارع الشانزيليزه ويهبط عند مقهاه المختار ليحتسى شراباً .

واعتاد أن يقلع إلى مسكنه فى الشانزيليزه إذا كان يعمل فى نوبى ، ليتناول الغذاء ، فيرقبه الخادم على الدرج ليمسك بالحبل الأمامى . ويذكر القوم ، الذين كانوا فى باريس يومئذ، أنهم تعودوا أن يروا مصابيح مركبته تتلألأ فى الفضاء فى الليالى الرائقة . وحين عرض رئيس جمهورية فرنسا فصائل الجيش يوم الباستيل ، كان سنتوس ديمون ، من فوق يطلق الخراطيش يحيى الجيش الذى وقف على الأرض يغبطه مكانه .

وكان عائداً مرة من حفلات السباق فى « أوتى » ، فنشبت النار فى المحرك ، فترك السفينة تتجه كيف تشاء وزحف إلى المقدمة ، فأخمد النيران وهو يلطمها بقبعته .

وقدساعد على ذيوع شهرته سقوطه مراراً ونجاته مراراً وهو على قيد شعرة من الموت .

وأرسل مرة فتاة شابة بمفردها فى الجو أثناء مباراة بولو بين الأمريكيين والإنجليز.

قال لهـا : « اتجهى نحو ميـدان البولو ، وسأمتطى دراجة وألقاك هناك . واجذبى هذا الحبل إذا فزعت ، فإذا أغمى عليك فإنك تهبطين فتصدمين الأرض صـدمة شديدة . ولـكنها لن تقتلك » .

ولم تكن الفتاة من صرعى الإغمـاء ، فارتفعت واثقـة تشق طريقها فى السماء . ولما حلق المنطاد فوق الميدان أجفلت الخيل وجمحت . فقـال أحدهم : « إنه سنتوس ديمون أيضاً » ، ثم ضجت المنصة ، فما كان هـذا سنتوس ، بل الآنسة الجميلة عايدة دى أكوستـا ، وعلى رأسها قبعة كبيرة ثبتت بخمار شفاف ، وهبطت آمنة ، ولبثت تشاهد مباراة البولو ، ثم عادت طائرة إلى نوبى ، على حين كانت باريس تحملق فاغرة فاها . فكانت المرأة الوحيـدة التى طارت أبداً وحدها فى منطاد مسيّر .

وقد ليم سنتوس ديمون ، إذ سمح لامرأة شابة أن تعرض نفسها لمثل هذه الأخطار . فاحتج قائلا : « ولـكن لا خطر ، إن الطيران من البساطة بحيث تقدر عليه صبية لم تزل بعد فى المدرسة » .

كان ألبرتو سنتوس ديمون سابقاً عصره بأربعين عاماً ، وكان يتصور أن سيكون عالم جـديد تربط الخطوط الجوية بعضه ببعض ، فتنقل الركاب والبريد والبضائع . وكان يريد أن يشرك العالم فى أحـلامه . ولـكن الرجال البارزين ضربوا صفحاً عن أفـكاره ، وأطلق عليه الصحافيون ، وهم يصفون سقطاته العديدة ، لقباً يزرى به . ولكن أمير موناكو عرض عليه سنة ١٩٠٢ أن يشيد لبالوناته حظيرة إن هو انتقل بها إلى مونت كارلو أثناء الشتاء ، فوافق على ذلك . ودعى هذا الشاب البرازيلى ، اللطيف المعشر المجازف المتهور ، إلى الغداء عند أمير موناكو ، وإلى العشاء عند أصحاب البنوك . فكان يثير الحماسة أبداً كلما ارتفع فى الجو ، وكانت اليخوت والمراكب الشراعية تخرج لاسـتقباله إكراماً له ، وكان مشاهـير المتسابقين بالسيارات ينطلقون بسرعة بلغت ٤٠ ميلا ليجاروه فى سيره .

ولـكن سفنه الجوية كانت لا تزال بعيدة عن الكمال ، فهى لا تطير إلا فى الجو الهادئ . وكانت الخطوة التالية أن تبنى آلة أثقل من الهواء ، فنجح بعد تجارب متعددة جربها بآلات تجمع بين الطائرة والمنطاد .

وفى سنة ١٩٠٦ ، عرض على العـالم ، لأول مرة طيران آلة أثقل من الهواء ، ثم أنشأ بعد ذلك أول طائرات صالحة من ذوات السطح المفرد ، وكانت مصنوعة من الخيزران والحرير اليابانى ، وكان وزنهـا لا يتعدى ٢٤٢ رطلاً ، منها وزن المحرك

ووزن صاحبها ، وأسماها « دراجن فلاى » (اليعسوب) . وفى عام ١٩٠٩ ، سجلت « دراجن فلاى » الثانية رقماً قياسياً للسرعة، إذ قطع بها خمسة أميال، مسفاً فوق الوشائع وأعالى الشجر بمعدل ½ ٥٩ ميلا فى الساعة.

وكان هذا فوزه الأخير ، إذ بدأ الطيران فى نفس هذا العام، ينتقل من أيدى المخترعين إلى المهندسين والميكانيكيين ، فأصبح يلتقى فى الحظائر رجالا يعلوهم القذر يتكلمون كلام السوقة ، وأضحى الطيران ألعاباً تعرض تسابقاً وتزاحماً على الجوائز ، فرأى ذلك الأرستقراطى البرازيلى الأنيق أن الأمر أصبح لا يطاق ، فانسحب من الميدان .

أيقن سنتوس ديمون أن مخترعاته ستجعل الحرب أمراً رهيباً حتى يعرض البشر عنها . فلما نشبت الحرب العالمية الأولى صدم صدمة قوية ، فانزوى فى داره بالقرب من باريس، حيث أصابته عوارض السوداء . وانتهى به الأمر أن أقنع نفسه المروعة العاجزة ، بأنه هو الذى يحمل تبعة الحرب .

وكانت كل كارثة طيران ، فى السنين التالية للهدنة ، تزيده شعوراً بأنه أنزل بالعالم لعنة . ولما عاد إلى البرازيل سنة ١٩٢٨ طارت طائرة من طراز « كندور » لاستقبال سفينته ، ولكنها سقطت فى ميناء ريو وقتل ركابها ، فحضر سنتوس ديمون الجنازة ثم أوصد على نفسه باب حجرة الفندق عدة أيام . ولما تحطم المنطاد (ر - ١٠١) حاول أن ينتحر . فبعد ذلك اشتدت عليه رقابة أقربائه وأصدقائه المخلصين .

ثم اندلعت فى ساوباولو سنة ١٩٣٢ ، ثورة قصيرة على الحكومة البرازيلية ، ورأى سنتوس ديمون فى سماء وطنه الزرقاء ، آلة التدمير الضخمة التى ولدت يوم سار بها حول برج إيفل ، فلما تركه ابن أخيه وحده لحظات، عاد فوجده قد اختنق . ثم عثروا عليه فى غرفة الحمام وقد شنق نفسه برباط عنقه .

إن أثر سنتوس ديمون لظاهر الآن فى كل مكان ، فقد تولد تشبع شعوب العالم بروح الطيران عن مهارته فى العرض. أما الطائرات التى جعلت الحرب قتالا فى الجو علاوة على البر والبحر ، فإنها تلتفت جميعها إلى سلف مشترك فى طائرتيه « سنتوس ديمون » و « دراجن فلاى » . ومما يبعث على الحسرة أن الذى تعهد الطيران وليداً لم يستطع الانتظار حتى يرى الستار يرتفع عن الفصل التالى ، يوم تبدأ طائرات الركاب الضخمة وناقلات البضائع التى تزحم السماء بأكتافها ، تعقد الأواصر بين البلاد والشعوب بطريقة تعجز عنها أى أداة أخرى . إن العالم الجديد الذى تراءى لسنتوس ديمون لتستشفه العيون منذ اليوم من خلال غيوم الحرب .



لحم بقرى لونستن تشرشل وسمك وطيور لفرانكلين د . روزفلت

مدبرة شئون البيت الابيض



هلن فرناس

ملخصة عن مجلة "كورونت"

في مارس سنة ١٩٣٣ قلدت المسز « هنريتا نزبت » عملا جديداً ، فأقبلت على مهمة تبعث على أشد التخوف . وكان هذا العمل الجديد — وهو تدبير شئون البيت الأبيض — معناه الاضطلاع بتبعة الإشراف على شئون أهم منزل فى الولايات المتحدة . وقد لقيت لحسن الحظ فى الأيام الأولى وهى جديدة العهد به ، عوناً وعزاء من رئيس الخدم الزنجى المديد القامة الكريم السمت ، والبالغ من الطول ست أقدام ومن الوزن ٢٥٠ رطلا ، فقد جاء البيت الأبيض مع الرئيس هوفر وحرمه فى سنة ١٩٢٨ ، وهو يعرف التقاليد المتبعة فيه معرفة دقيقة . وكثيرون من الخدم الآخرين ، من الذين قضوا مدة طويلة فى الخدمة هناك ، فأحد الطهاة قد مضى على خدمته أربعة عشر عاماً ، وأحد البوابين يجيد الحلاقة ، فكان يحلق للرئيس تافت منذ خمس وثلاثين سنة.

ويبلغ عدد هيئة الخدم فى البيت الأبيض خمسة وعشرين خادماً ، جميعهم من الزنوج ، وهم لا يلحقون بالخدمة إلا بعد أن يتحرى قلم المباحث السرية لحكومة الولايات المتحدة أحوالهم تحرياً دقيقاً . والمسز نزبت نفسها لا ترقى أحداً إلى الخدمة فى الطابق الثاني — وهو مطمح الأبصار — إلا بعد اختبار دقيق لأخلاق الخادم وشخصيته .

ففى ذلك الطابق يقيم الرئيس روزفلت وزوجه ، وله باب من الحديد يحرسه حارس .

والبيت الأبيض ، مثل سائر البيوت الأمريكية ، تتعبه مشكلة الخدم ، وقد استدعى مجلس التجنيد المحلى بعض مستخدميه ، والبعض الآخر استغواه ارتفاع الأجور فى أماكن أخرى .

ويبيت عدد قليل من هيئة الخدم فى مساكن الطابق الثالث الخاص بالخدم ، لكى يتيسر استدعاؤهم حين تقع أزمة دولية فى جنح الليل ، فيقتضى الأمر حضور زائرين من العلية مهرولين إلى البيت الأبيض ، ويحتمل أن يضجوا فى طلب القهوة . وسائر الخدم الذين يقيمون فى منازلهم مقسمون فرقتين ، تتناوب كل منهما العمل ثمانى ساعات ، وفى كل نوبة يحضر ثلاثة من الطهاة . ومسز نزبت تحضر فى الساعة السابعة والربع صباحاً إلى البيت الأبيض ، وتظل هناك حتى الساعة الخامسة ، إلا فى الليالى التى يكون فيها حفلات عشاء رسمية .

يطهى الطعام على موقد كهربائى ضخم حوله ألواح من الحديد ، وهناك منضدة يسهل حملها ونقلها ، وفى داخلها بخار لنقل الطعام الساخن إلى أية ناحية من نواحى الدار . وثمة خمس آلات ميكانيكية لغسل الصحاف والصحون ، وثلاجات عدة ، ووعاء يتسع لحفظ ثلاثين جالوناً من المثلجات ،

وجهاز كهربائى للطعام المجمد ، وإناء ضخم له صنبور يدار بالكهرباء لإعداد الحساء ، وساطور يتحرك بالكهرباء لتقطيع الطعام ، ومفرمة للحم ، وآلة لخفق مواد الطعام السائل ومزجها ، وكلها ضخمة .

ولا مفر من أن يكون كل عشاء بالبيت الأبيض فى زمن الحرب مؤتمراً لا يمكن معرفة عدد أعضائه على وجه التحديد ، إلا قبل العشاء بنصف ساعة ، والضيوف الذين يكثر حضورهم يراعى فيها يقدم لهم من غذاء ما يوافقهم وما لا يوافقهم من أصنافه .

ومسز نزبت تسجل في محفوظاتها جميع الأنواع التى تقدم فى مأدبة ما ، حتى ما يقدم بعد تناول العشاء من شراب النعناع ، لكى لا تتكرر ألوان الطعام . ولأسباب تاريخية تطبع كشوف ترتيب المقاعد حول المائدة وتحفظ .

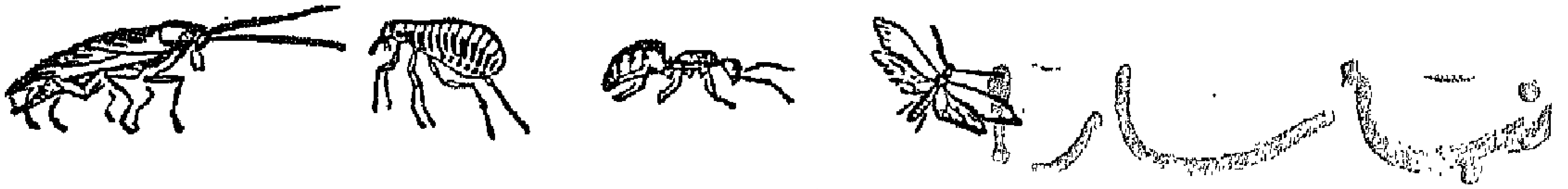
وكانت المائدة المقوسة فى البهو المخصص لولائم الدولة تعد قبل الحرب لمئة وعشرة أشخاص، وفى الحفلات الرسمية كانت تستعمل الآنية والأدوات الذهبية التى اشتراها الرئيس منرو من فرنسا . ولكن مآدب البيت الأبيض خفضت الآن إلى أدنى حد مراعاة للاقتصاد ، وطويت الآنية الذهبية . وأقصى عدد يحضر مأدبة ما هو خمسون أو ستون ، وهذا مع ذلك عدد ضخم في نظر المسز نزبت التى تدبر بعناية شئون الغذاء في حدود الجرايات المتاحة لها الآن .

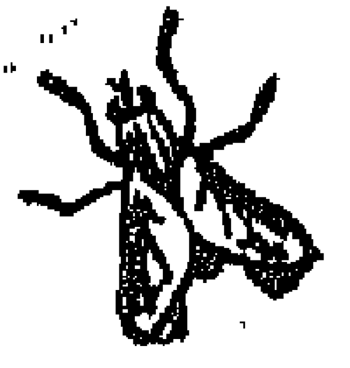
وإدارة التموين الحكومية ترسل إليها ما يكفى للاستهلاك في البيت الأبيض خلال شهرين ، فالمستر روزفلت وزوجه فى نظر لجنة التموين مجرد سكان بالبيت الأبيض الذي يعد من «المؤسسات» مثل الفنادق والمطاعم ، وقد قدرت لوازم البيت الأبيض من التموين على أساس عدد الذين تناولوا الطعام فيه خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ .

وقد أحسنت مسز نزبت التصرف فى معظم مواد الطعام الخاضعة لجراية دقيقة ، واختصرت ألوان الطعام التى تقدم إلى ثلاثة، واستعاضت ، حتى فى الولائم الرسمية ، من اللحوم المعتاد تقديمها بالطيور والسمك ، وهى غير خاضعة للجراية . وقد قدمت مسز نزبت اللحم البقرى لونستن تشرشل وجماعته لأنه « مناسب » ، ولكنها لما رأت مقدار ما استهلكه الإنجليز من اللحم التزمت خطتها الأولى ولم تشذ عنها ، وهى لا تعانى مشقة ما فى إعداد الطعام لآل روزفلت ، فالرئيس يفضل السمك والطيور .

و « السيدة الأولى » — مسز روزفلت — تراجع قائمة أصناف الطعام كل يوم ، ولكنها قلما تقترح تعديل ما فيها . وتلقى نظرة كذلك على ترتيب مقاعد الجلوس ، وقد تنقل السيدة س إلى جانب السيد ى على أن لا يكون ذلك مخالفاً للأصول المرعية (البروتوكول) فى الترتيب الذى تشرف وزارة الخارجية عليه . وإذا استثنينا ذلك ، وما اعتادت القيام به من إعداد طبق من البيض الممزوج بالزبد فى وعاء ساخن لعشاء يوم الأحد ، فإنها تترك جميع الشئون المنزلية فى يدى المسز نزبت القديرتين .





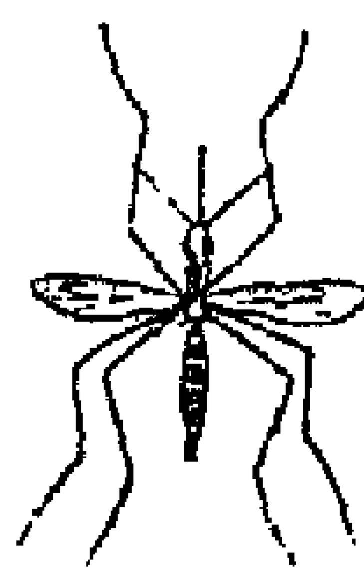


انتصار الحشرات أو نهاية الحشرات



ملخصة عن مجلة "بوبيولار سينس" الشهرية
مع إضافات من المؤلف ألفريد هـ . سنكس

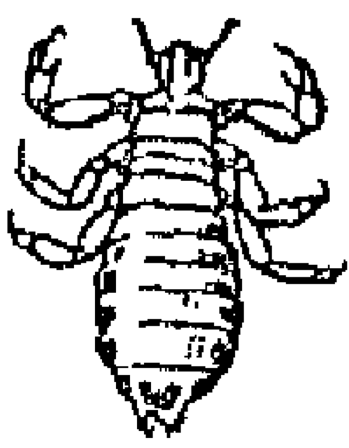
أخيراً عثر العلم على أسلحة تكفل له النصر الحاسم فى معركة الحشرات . ومغزى هذا النبأ أن السنين المقبلة ستجعل توفيقنا أتم فى كفاح كثير من الأمراض . إن ذبابة المنزل هى التى يعزى إليها إعداء خمس مرضى السل ، وكثير من مرضى الزُّحار (الدوسنطاريا) ، والنزلات المعوية ، وحمى التيفود . والتغلب على هذه الحشرة لن يمحو هذه الآفات ، ولكنه سيكف من غوائلها إلى حد بعيد.



وستكفل السيطرة القاهرة على الحشرات اللذاعة رفاهية فى الحياة من نوع جديد . ففى الصيف نستطيع أن ننسى حملاتنا الخائبة عليها بما فات أوانه من الرشاش ، ومزيج الأترج (السترونلا) والنفط الكريه الرائحة ، ومصايد الذباب الصمغية التى كانت تجعل البيت فوضى ، وتعيي عن إزعاج الذباب ، بل لقد ننسى كيف نحك أبداننا.



بعد اعتداء اليابانيين على بيرل هاربور فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ بوقت قصير ، بدأ الكيميائيون وعلماء الحشرات فى وزارة الزراعة بالولايات المتحدة يبحثون عن طرق لحماية الجنود الأمريكيين من غوائل الحشرات وما تنقل من الأمراض ، فعاد إليها أكبر الفضل فى أن أصبح الجيش الأمريكى اليوم أقل جيوش العالم مرضاً فى كل أدوار التاريخ . وفى الأشهر القلائل الماضية اكتملت أسلحة جديدة ثلاثة لكفاح أعداء البشر من الحشرات .



الأول : سم فاتك بالحشرات هو « داى — كلورو — داى — فينيل — تراى كلورايثين » ، أو كما يسمى اختصاراً د . د . ت . ففى الوسع صنع مقادير ضخمة منه بنفقات قليلة ، وهو يصنع مسحوقاً يرش به الشعار (ما يلى الجسد من اللباس) وبطانة أكمام القميص ، وأرجل السراويل ، فيقى من قمل الجسم ، ويدرأ القراد والبراغيث النفاذة فى الجسم ، فإذا استعمل رشاً ، استطاع ،

بعد رشة واحدة ، أن يجعل حدران غرفة كفيلة بسم الذباب ثلاثة أشهر ! ومع ذلك فإن هذا المركب الكيميائى لا يؤذى الإنسان ولا الحيوان أقل إيذاء .

الثانى : مركب كيميائى مستحدث يستعمل خارج المنازل فيجعلها حراماً على الحشرات ، وهذا الطارد الجديد المركب من ثلاث مواد شاع استعمالها فى الماضى ، يبلغ فعله من القوة ثلاثة أضعاف فعل الأترج ، ولكنه يكاد مع ذلك يكون لا رائحة له .

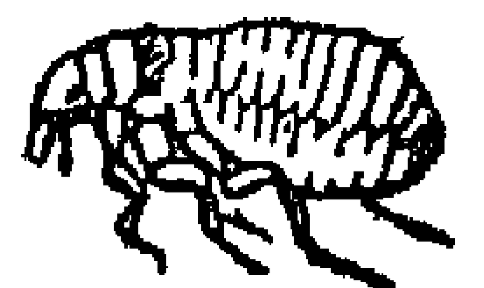
الثالث : طريقة جديدة لاستعمال ما تحت أيدينا اليوم من سموم الحشرات ، تضاعف قوتها عدة مرات .

منذ سبعين سنة وصل كيميائي ألماني إلى تحضير المادة د . د . ت ، ولكنه لم يدرك قط أى مركب نافع وقع عليه . نعم ، ولم يبد أن مصنع جيجى السويسرى الذى سجل هذا المركب على أنه قاتل للعث فى سنة ١٩٣٩ ، قد أدرك ، فإن هذا المصنع لم يستثمر منافعه قط .

وفى سنة ١٩٤٢ كان الطبيب الأول فى جيش الولايات المتحدة ، بالاشتراك مع وزارة الزراعة ، يعملان بهمة على إيجاد سموم للحشرات أقوى من السموم المعروفة ، فاختبر رطلا واحداً من قاتل العث الذى تنتجه مصانع جيجى . والذى نجح عمال الولايات المتحدة فى تهريبه من سويسرا . وفى مايو سنة ١٩٤٣ كانت مصانع دوبون تنتجه فى مصنع كلف نصف مليون ريال . ومنذ ذلك اليوم أخذ جيش الولايات المتحدة يرسله بالطائرات مباشرة إلى نابلى والقاهرة وبلاد المحيط الهادئ الجنوبى .

إن المساحيق القاتلة للقمل ، التى عثر عليها مع الأسرى الألمان ، أضعف من د . د . ت ، ولا ريب ، ومع ذلك فلا شك فى أن الجيش الألماني يعرف المادة د . د . ت الآن ، إذ من المحتمل أن يكون الألمان قد عثروا مع أسراهم من جنود الحلفاء على العلب التى فيها أوقيتان من مسحوق د . د . ت . ولكن لن يكاد الألمان يوفقون إلى التغلب على مصاعب إنتاجه حتى يكون أوان الانتفاع به فى الحرب قد فات .

فى سنة ١٩٣٥ عين بمكتب علم الحشرات للولايات المتحدة عدينة بلتسفيل فى ولاية ماريلند، كيميائى فى الثلاثين من عمره يدعى ليل د . جودهيو . فعرضت له ذات يوم فكرة دونها فى سجل مذكراته الزاخر : « لم لا يستعمل غاز كالفريون الذى يسيل تحت ضغط قليل ، ويغلى فى درجة ٢١ تحت الصفر ، مذيباً



وناشراً لسموم الحشرات ؟» وكذلك نشأت سموم الحشرات « الإيروزولية الجديدة » .

والإيروزول ذرات دقيقة معلقة فى هواء أو غاز . ولقد كانت سموم الحشرات الشائعة فى الوقت الحاضر مكونة من رش ثقيل سرعان ما يرسب على الأرض أو الجدران

أو الأثاث . أما فى الإيروزول فإن المادة السامة للحشرات تكون من اللطف بحيث تسبح ذراتها الدقيقة فى الهواء كأنها الدخان أو الضباب (مدة تطول إلى خمس ساعات إذا سكن الهواء)، وبذلك تنفذ فى كل شق وفرجة

وإذا نفث عود القرح (پايريترن) وهو أقتل سموم البعوض فى إيروزول ما ، أصبح أقوى أضعافاً منه مذوباً فى النفط ومرشوشاً من الرشاشة ، فتقتل خمسة المليجرامات منه — أى ما يساوى قطرة صغيرة — فى دقيقة واحدة ، كل بعوضة فى غرفة مساحتها ١٢ قدماً مربعة وارتفاعها سبع أقدام .

ولقد شاء الحظ السعيد أن يبدأ الدكتور جودهيو تجاربه على الإيروزولات قبل الحرب فى يناير سنة ١٩٤١ ، وذات يوم فى شهر أكتوبر كان يعبر سجل مذكراته فعثر على إشارته إلى « الفريون » .

وكان الفريون ، وهو مركب عضوى محضر يستعمل مبرداً منذ سنين ، سائلا لا لون له ولا طعم ما دام حبيساً فى الثلاجة ، فإذا خلى بينه وبين الهواء استحال لساعته غازاً بريئاً من الأذى ، غير سام وغير قابل للالتهاب . وعود القرح سهل الذوبان فيه ، وإذا أطلق مزيجهما من صمام أسطوانة ضاغطة من المعدن نشر الغاز المتمدد ذرات السم القاتل للبعوض ضباباً رقيقاً . وفى الفريون من طاقة الضغط ، ما يكفى لنفث المزيج فى الهواء ما بقيت منه قطرة فى الوعاء المعدنى ، فلا يضيع منه شىء .

والآن يدرع كل جندى أمريكى فى كل بلاد ينتشر فيها البعوض « بقذيفة إيروزول » ، وهى وعاء صنع خاصة ، فى ضعف حجم القذيفة اليدوية ، يحوى قدراً من إيروزول الفريون وعود القرح ، لتدخين خيمة صغيرة ٢٥٠ مرة ، أو جوف قاذفة قنابل كبيرة ٥٠ مرة .

وفى الإمكان إذابة السموم الأخر للحشرات فى الفريون ، وقد دأب الدكتور جودهيو مذ ذاك على تجربة إذابة قاتل الحشرات المستحدث العجيب (د . د . ت) فيه . وفى الصيف الماضى خلت استراحة العمال الضخمة فى معامل بلتسفيل من الحشرات تماماً بفضل تدخينها برش د.د.ت. وكان الجيران يحضرون حيواناتهم الأليفة للدكتور جودهيو لتطهيرها من البراغيث، وقلما اضطروا لإحضارها إليه مرة ثانية ، فأيما شىء أصابه د.د.ت يظل يسم الحشرات شهوراً ، وإذا رش د.د.ت على شبك ستائر النوافذ ، فكل حشرة تخر صريعة فى الثقب الذى اعتادت أن تمر فيه .

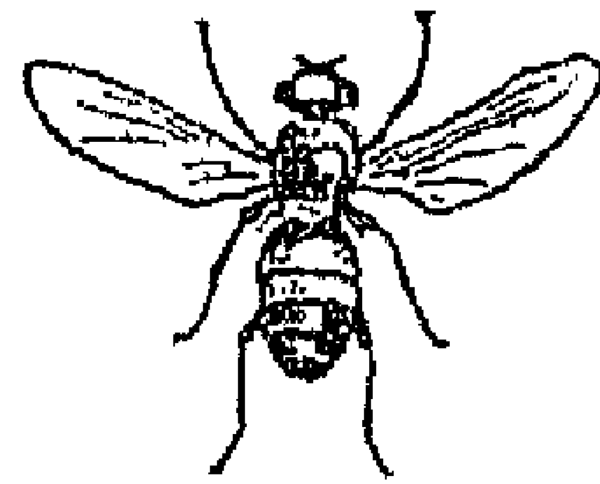
إن أصحاب زرائب المواشى الحلوب ، وأرباب كثير من الصناعات ، سيجدون فى

الإيروزولات نعمة من نعم الله ، فست رشات منه كافية أن تجعل زريبة ألبان حراماً على الحشرات موسماً كاملاً . وقد تخلص مصنع ضخم فى فيلادلفيا من الحشرات تماماً فى ٣٠ دقيقة حين رُش بالإيروزول « والبارا داى كلورو بنزين » ، أقتل ما عرف من سموم العث ، سريع الذوبان فى الفريون . ويوم تصبح الإيروزولات فى متناول المدنيين ، قد يشتد الطلب عليها لتكون قاتلة للعث والسوس . وقد استعمل خبراء وزارة الزراعة الإيروزولات ممزوجة بالنيكوتين ، رشاشاً للحدائق ، فنجحت .

ويحاول الصناع الآن أن يصنعوا وعاء رخيصاً مناسباً لاستعمال المدنيين . ولما كان لابد من حفظ الفريون تحت الضغط ، وجب أن يكون هذا الوعاء ثقيلا بعض الثقل ، ولهذا فمن غير المحتمل أن يكون من الرخص بمنزلة الرشاشة المعروفة . والفريون نفسه أغلى من رشاش النفط المعروفة ، فلما كان أوفى بالغرض من سواه ، مضافاً إليه قوة السموم الجديدة للحشرات مثل د . د . ت ، صار أرخص فى الاستعمال .

على أن مجال البحث لم يزل متسعاً ، فإن معظم سموم الحشرات لا يقتل غير حشرات بعينها ، فهذا د . د . ت مثلا أقتل للذباب ولقائمة طويلة من الحشرات ، ومع ذلك فلا حول له مع العناكب ، كما أن سموم الحشرات المستعملة فى الحدائق يجب أن تحتوى على مواد تقتل الحشرات المؤذية ، ولا تسيء إلى الحشرات المفيدة كالنحل . ولكى يختبر مكتب علم الحشرات هذه السموم المستحدثة ، أنشأ حديقة فسيحة للحشرات تربى فيها كل عام ملايين من كافة الأنواع .

لقد حدث فى العام الماضى من التقدم فى مهمة تحرير الإنسان من أخطار الحشرات ومتاعبها أكثر مما حدث فى نصف القرن الأخير كله، ولعل التقدم فى السنوات القلائل المقبلة نحو هذا الهدف سيكون أدعى للدهشة والإعجاب .



* * * * *

سر النسبية مبسطاً

كانت سكرتيرة أينشتين تتلقى طوفاً مرهقاً من الأسئلة عن معنى « النسبية » فأراد العلامة أن يعينها على الرد على هذه الأسئلة ، فقال لها أن ترد على كل سؤال من هذا القبيل بما يلى : إذا جلستَ مع فتاة حسناء ساعتين خلتهما دقيقة واحدة ، وإذا جلستَ على فرن ساخن دقيقة واحدة خلتها ساعتين . هذه هى النسبية .

يضطلع سلاح الخدمة فى جيش الولايات المتحدة بأعظم عمل من أعمال التموين فى التاريخ ، ولكن هذا لا يخرج عن أن يكون أحد أعماله المنوعة العجيبة



الرجال وراء الغزو

الجنرال بريهون سمرفيل
قائد سلاح الخدمة بالجيش الأمريكى

حين ينزل جيش بأوروبا ، أو حين يلقى سرب من الطائرات قنابله على إحدى الجزر اليابانية ، لا تجد جرائدكم مشقة فى رواية الخبر رواية تسترعى الأنظار ، ولكن أعمال سلاح خدمة الجيش الذى يمون الجيوش والطيارين فى جميع أنحاء العالم ، لا يتيسر أن تضمّن فى عبارة واحدة .

وجهودنا فى هذا الصدد معقدة ومنوعة وواسعة النطاق ، ونحن نعمل فى المؤخرة ، وقل أن تبرز الصحف أعمالنا ، فلنتجه هنا لأول مرة إلى مؤخرة المسرح لنرى عن كثب عمل سلاح الخدمة . .

جميع الأنظار فى الآونة الحاضرة متجهة إلى الاستعداد لغزو غرب أوروبا ، وقد شرع سلاح الخدمة يستعد لهذا اليوم العظيم منذ أوائل سنة ١٩٤٢ ، وقد بدأنا نحشد أكداس المؤن والذخائر فى بريطانيا — من ٦٠٠٫٠٠٠ إلى ١٫٢٠٠٫٠٠٠ طن فى الشهر عدا المؤن والذخائر الخاصة بقانون الإعارة والتأجير ، وغير ذلك من المهمات — وهذا أعظم عمل من أعمال التموين فى التاريخ .

وبعض معدات الغزو الأخرى الكثيرة سأذكرها فيما بعد ، فأكتفى هنا بشىء واحد منها ، فقد تولى المهندسون صنع خرائط لغرب أوروبا وجنوبها للجنرال أيزنهاور ، فصنعوا ٦٩٫٦٠٠٫٠٠٠ صورة لـ ٣١٣٢ خريطة مختلفة .

وسلاح الخدمة يمون جيوشنا فى جميع أنحاء العالم ، ففى العام الماضى أرسل رجال النقل البحرى ٢٨٫٥٠٠٫٠٠٠ طن من المؤن بطريق البحر ، يقابلها ٨٫٨٠٠٫٠٠٠ طن شحنت فى السفن خلال حربنا العالمية الأولى . وقد قام فيلق النقل بنقل ١٫٨٠٠٫٠٠٠ رجل بحراً و ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ رجل فى الولايات المتحدة . وفى إحدى حجرات وزارة الحربية فى وشنطن يتولى عدد من الضباط لا يتجاوز ستة رجال إرسال ٣٧٫٠٠٠ جندى كل يوم ، ويصدرون أمراً بنقل فصيلة من الجيش فى كل خمس دقائق من الليل والنهار .

وكثيراً ما تطرأ أعمال تقتضى السرعة والتكتم ، ففى الربيع الماضى طلب إلىّ مدير التموين أن نزود قوة معدة لغزو جزيرة آتو فى الشمال بما يلزمها من مناظير من طراز خاص وأجهزة راديو وملابس وخيم ، وما إلى ذلك من أربعة وثلاثين صنفاً مختلفة . وكان لابد من صنع بعض تلك المعدات ، ومن جمعها فى وشنطن ، ومن وسمها بالعلامة المميزة ونقلها إلى الساحل الغربى — وكل هذا فى ستة أيام . وقد صدرت الأوامر بالتلفون يوم الخميس ، واتصل العمل لإنجاز صنعها يوم الجمعة وصباح السبت .

وفى مساء السبت وليلة الأحد ، كانت المعدات تنقل إلى وشنطن ، بعضها بالطائرات وبعضها فى حقائب اشتريت من بوسطن ، وسجلت على أنها أمتعة . وصنع مقدار آخر منها فى أوهايو ثم نقل فى أحد قطارات بنسلفانيا السريعة التى لا تحمل أمتعة ، فكدست فى صالون التدخين ، وأحكم أحد المشرفين على القطار إغلاقه وحراسته طوال الليل . وفى وشنطن قضى فريق من رجال إدارة المهمات سحابة يوم الأحد يمحو العلامات المميزة ويسمها بالإشارات الحربية ، ثم شحنها فى عربة من عربات الطرود ملحقة بالقطار المسمى « ليبرتى ليمتد » .

وفى شيكاجو نقل الجنود المهمات فى ست سيارات كبيرة خلال المدينة ، حيث كان ينتظرهم قطار سنتا فى المعروف باسم « تشيف » . وشحنت بعد ذلك فى عربة من عربات البضاعة ألحقت خاصة بذلك القطار ، وأقفلت العربة وختمت بالشمع الأحمر ، وسافر بالقطار أحد ضباط التموين ، وكان ينزل فى كل محطة حتى لا تفرغ حمولتها خطأ . ولقد استدعى الأمر تريث القطار فى الشمال من إحدى المحطات ، ريثما أتصل تليفونياً بالجهة المختصة ليعلم القرار النهائى عن إبحار الحملة ، وهل يكون عن طريق لوس أنجلس أوسان دييجو . وقد وصل كل شىء فى الوقت المحدد .

وهذا عمل صغير ، ولكنه أنقذ حياة كثيرين من الأمريكيين فى آتو . وقد ورد طلب آخر مستعجل بطلب أغطية للوقاية من الماء تكفى ١٦٫٥٠٠ عربة و ٨٥٠ دبابة خفيفة ومتوسطة ، و ٤٧٥ عربة مدفع كانت لازمة للجنرال أيزنهاور فى غزو صقلية — على أن تسلم فى موانى الشحن فى مدى ثلاثة أسابيع . وعلى أثر هذا الأمر وردت برقية من الجنرال يطلب فيها ٣٠٥٫٠٠٠ رطل من شحم حجر الفتيلة و ٣٧٨٫٠٠٠ قدم من المواسير و ٢٧٠٫٠٠٠ قدم من أسلاك النحاس

وكانت الأسلاك مدخرة ، أما سائر الأشياء المطلوبة فكان لابد من استحضارها وإرسالها على وجه السرعة إلى الثغور . لم يكن هذا

كل بما في الأمر ، فالنوع الخاص المطلوب من شحم حجر الفتيلة لم يكن مما يصنع حينئذ ، وكانت مواصفاته قد جاءت من إنجلترا مع رسول ، فشرعنا نصنع مقادير كبيرة منه بين عشية وضحاها ، ولبينا الطلب في الميعاد المضروب بإرسال الـ ٥٠,٠٠٠ رطل الأخيرة بالطائرات من بتسبرج إلى نيويورك .

ولما طلب ٥٧٠٠ جهاز راديو لسلاح الإشارة قبل النزول في صقلية مباشرة ، اضطررنا إلى تحويلها من ميادين الحرب الأخرى . ووردت برقية تطلب ١٣٥٠ ميل من خطوط التلفون القائمة على أعمدة بجميع معداتها . وحين حاولنا جمع أكثر من مئة محطة راديو من المحطات المتنقلة وجرارات تزن السيارة منها ١٧,٠٠٠ رطل ، اضطررنا إلى أخذ أربع من شاطىء الذهب بإفريقية .

وتسمعون أن معركة الإنتاج قد انتهت ، وهذا لا يطابق الواقع ، فنحن نشترى في سنة ١٩٤٤ أكثر مما اشترينا في سنة ١٩٤٣ ، على حين ما سُلم إلينا فيها يفوق ما سلم في سنة ١٩٤٢ سبعة عشر ضعفاً . وقد خفضنا إنتاج الدبابات والمدافع الثقيلة المضادة للطائرات ، ولكننا زدنا زيادة كبيرة ما أوصينا به من عربات النقل والجرارات ومدافع الهاون والقنابل وغيرها .

وفي السنة الماضية وزعت إدارة المهمات على الجيوش ١٥٠ سلاحاً جديداً ، وستوزع في هذا العام أسلحة جديدة أكثر ، وبعض هذه الأسلحة سيثير دهشتكم كما سيثير دهشة العدو . وقد رأيت من عهد قريب في إدارة الجنرال جلاديون بارنز ، رئيس القسم الفني في إدارة المهمات ، كتاباً عدد صفحاته ١٠١٦ ، وبه تقارير ملخصة عن مشروعات أسلحة جديدة ، وربما كان في الصفحة الواحدة مشروعان أو ثلاثة . وقد عين الجنرال مارشال ، رئيس أركان حرب الولايات المتحدة ، فريقاً من الرجال في كل ميدان من ميادين الحرب ، ليوضح للجنود طريقة استعمال الأسلحة الجديدة .

وفي الوقت نفسه تدرب فرق أخرى هنا على استعمال الأسلحة الأخرى الجديدة التي ينتظر توزيعها قريباً . ومنذ سنتين خصصنا ضابطين فنيين في كل ميدان من ميادين القتال بجمع أسلحة العدو التي تقع في أيدينا ، ولم يكن عمل هؤلاء الضباط سهلا لكثرة المولعين من الجنود بجمع التذكارات ، ولكن عندنا اليوم في ساحات أبردين لامتحان أدوات القتال ٤٠٠٠ طن من الأسلحة التي استولينا عليها ، وهي تشمل كل طراز معروف من الأسلحة الألمانية وجميع الأسلحة اليابانية على وجه التقريب . وهي تفحص وتفكك ويعاد تركيبها ، وتطلق

نارها ، لموازنتها بأسلحتنا . ويقول الجنرال بارنز أن الألمان يسيرون معنا فى الأسلحة جنباً إلى جنب ، أما اليابانيون فهم متخلفون.

وهذا كله يتفق مع ما رأيناه فى رحلة إلى ميادين الحرب حول العالم ، قطعنا فيها ٤٩٫٠٠٠ ميل ، ومع ما رأيناه فى إيطاليا بعد سقوط نابلى بثلاثة أسابيع ، وفى لاى بغينيـة الجديدة بعد الاستيلاء عليها بعشرة أيام . وقد حادثنا الكثيرين من قادة الفرق وألقينا عليهم سؤالين : هل تصلكم المواد اللازمة ؟ وما وجه النقص فيها ؟ وفى رأى قواد الميدان أن المادة الوحيدة التى يتفوق اليابانيون علينا فيها ، هى نوع من الزيت يحول دون صدأ الأسلحة والعتاد . وعندنا مثل هذا الزيت ، ولكن زيتهم أفضل .

على أن الجمود ليس من ديننا ، ففيلق التموين قد صنع مثلا نوعاً من الصابون صالحاً لجميع أغراض الجندى : لاستحمامه وغسل ملابسه وآنيته ، وهو يستعمل فى الحر والبرد وفى الماء العسر والماء اليسر ، ورغوته صالحة للحلاقة ، ويمكن استعماله معجوناً للأسنان . وقد استطاع قسمنا الطبى أن يصنع تركيبين كيميائيين جديدين يساعدان على منع الملاريا ، أحدهما سائل عديم اللون والرائحة يدهن به الجندى جسمه فيطرد البعوض ، والآخر قنبلة تذر ضباباً خفيفاً يقتل فى أربع ثوان كل ما فى حيز مساحته عشر أقدام مربعة من البعوض.

وقد عاونتنا وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة وغيرها من الهيئات ، على صنع مسحوقين جديدين لإبادة القمل كان لهما تأثير بليغ فى ديسمبر الماضى ، حين أذيع حدوث ١٤٧٥ إصابة بالتيفوس فى نابولى ، وكان هذا الوباء يهدد خطوط التموين الأمريكية فى شمال إفريقية ، كما كان يهدد الجيوش والمدنيين فى إيطاليا ، وقد تغلبنا عليه بحقن ١٫٦٣٣٫٠٠٠ شخص .

وفى نفس الوقت تمكنا من السيطرة على الوباء سيطرة طويلة الأمد ، بحقن آلاف الإيطاليين بنوع جديد من اللقاح الواقى من التيفوس ، فلم تكد تنقضى ٢٠ ساعة على تلقى الأمر حتى كانت خمسة أطنان من هذا اللقاح مخزونة فى مدينة كانزاس ، قد رزمت ووسمت وأرسلت إلى إيطاليا بطريق الجو .

وسلاح خدمة الجيش لا يكتفى بتموين الجيش ، بل يتولى عمل مدبرة المنزل ، والنهوض بكل مهمة طارئة ، فنحن طبيب الجيش ومحاميه وتاجره وقسيسه وشرطيه ومصوره الفوتوغرافى ومحاسبه وصاحب مصرفه ومعلم مدرسته وساعى بريده وحارس سجنه . وفى السنة الماضية سلكنا فى الجيش ٢٫٤٣٠٫٠٠٠ جندى ، وصنعنا

الجـــنرال سمرفل يقول : « اشترى سلاح خـدمة الجيش فى السنة الماضية ما يساوى ٢٣ر٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار من المؤن والمهمات ، وهذا بيان بقليل من المواد التى سلمت للقوات المسلحة — وهى ٣٣ صنفاً من مئات الآلاف .

مصانع لصنع الثلج ...	٣ر٤٥٦	مـدافع دبابات عيــار	
مطـارق مسامير تعمـل		٧٥ مليمتراً	٢٠ر٠٠٠
بالهواء المضغوط	٣ر٤٦٥	عربات نقل	٢١ر٠٠٠
دبابات خفيفة ومتوسطة	٩ر٥٠٠	بازوكا (بندقية صاروخية)	٩١ر٠٠٠
أميال من أسلاك التلغراف		أجهزة تبين الطـائرات	١٠٣ر٠٠٠
المغطاة بالمطـاط	١٠ر٥٠٠	تلفـونات	٣٤٥ر٠٠٠
مدافع رشاشـة صـغيرة	٦٤٨ر٠٠٠	ميكروفات	١ر٢٧٠ر٠٠٠
قنابل يدوية (صنف واحد)	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠	بوصلات	١ر٧٠٠ر٠٠٠
بطانيات صوف	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠	طرود بلاسما	٢ر٥٠٠ر٠٠٠
علب للاسـعاف الأولى	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠	طرود شـاش معقم ...	٧ر٠٠٠ر٠٠٠
قنـابل عيار ٧٥ مليمتر	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠	أقنعة واقية من الغازات	٩ر٠٠٠ر٠٠٠
أربطة رقبة	١٧ر٠٠٠ر٠٠٠	ربطات من ضمادات الشاش	٩ر١٠٠ر٠٠٠ (دستة)
قنابل للبنـادق	٢١ر٠٠٠ر٠٠٠	رطل من الصابون ...	٥٢ر٠٠٠ر٠٠٠
أزواج من الأحذية ...	٢١ر٠٠٠ر٠٠٠	أزواج من الجوارب ...	٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠
أزواج من السراويل		أرطـــال من اللوازم	
القصيرة	٣٢ر٠٠٠ر٠٠٠	الكيميائيـة للدفاع ...	٩٨ر٠٠٠ر٠٠٠
أزواج من النظـارات		طلقات المـدافع المضادة	
لوقاية العيون	٣٦ر٠٠٠ر٠٠٠	للطائرات (صنف واحد)	١٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠
سماعات راديـو	٧٨٢ر٠٠٠	أقراص سلفاديازين ...	٦١٧ر٠٠٠ر٠٠٠
مدافع رشاشـة عيـار		طلقات مدافع من عيـار	
٠ر٣٠ و ٠ر٥٠ ...	٧٨٤ر٠٠٠	٣٠ و ٥٠	١٣ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠

٨٥٦ شريطاً سنمائيا ، وتلقينا ١ر٨٠٠ر٠٠٠ رسالة بالراديو من وراء البحار ، وكتبنا ووقعنا ٩٨٠ر٨٢٤ شيكا ، ونظرنا فى ٢١ر٠٠٠ قضية من القضايا العسكرية ، وفحصنا ٢٥ر٠٠٠ طلب ، وقدمنا المساعدة القانونية للجنود فى أكثر من مليون مسألة ، وتلقت معسكراتنا لرد الاعتبار أكثر من ١٠ر٠٠٠ جندى متهمين بالمخالفات فى الجيش ، ودربتهم تدريباً خاصا ، وأعادت أكثر من ٣٠٠٠ منهم إلى الخدمة العسكرية .

وفى سنة ١٩٤٣ سلكنا ١٢٫٠٠٠ طالب فى النهر فى سلك التعليم بالمراسلات ، ووزعنا ١٫٠٠٠٫٠٠٠ كتاب من الكتب المدرسية ، وعقدنا ١٫٣٥٠٫٠٠٠ اجتماع دينى ، وبعنا من البضائع فى دكاكين الجيش ما يعادل ٨١٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، وصرفنا مبلغ ١٫٤٧٦٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار لحساب ثلاثة ملايين أسرة ، وأنشأنا منشآت تكلف ٢٫٤٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، وتعهدنا ٣٣٠٠ ميل من الخطوط الحديدية الخاصة بالجيش ، و ١٧٫٠٠٠ ميل من الخطوط الكهربائية ، وعنينا بتمريض ٣٫٨٥٠٫٠٠٠ من المرضى بمستشفياتنا .

ونحن نتولى الآن حراسة ١٧٧٫٠٠٠ أسير من أسرى الحرب بينهم ١٢٣٫٠٠٠ من الألمان ، وهم موزعون فى ٩٤ معسكراً فى ٤٥ ولاية ، وفى نفس الوقت نقتفى أثر رجالنا الذين وقعوا فى قبضة الأعداء ، ونجمع عنهم كل شاردة وواردة ، ونناسقها ونبوبها فى فهرس عام رئيسى نحتفظ به فى حجرة خاصة . ويرد إلى هذه الحجرة كل يوم خمس رسائل تلغرافية طويلة من الألمان أو ست ، فتحول أسماء المفقودين إلى أسماء موتى أو أسرى ، وتدوّن أسماء الأسرى فى سجلات تمكننا من تقديم المعلومات عن كل أسير إلى أقاربه بالتلفون .

وقد أرسلنا فى العام الماضى إلى جيوشنا وراء البحار ٧٦٤٫٠٠٠٫٠٠٠ رسالة بريد و ٢٫٢٠٠٫٠٠٠ كيس طرود ، وشحنا ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طرد من طرود عيد الميلاد ، وقد وزعت جميعها قبل حلول العيد ما عدا ٥ ٪ منها . ومعدل رسائل البريد التى ترسل إلى الجنود الآن يبلغ ١٫٣٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ رسالة فى العام ، ويبلغ البريد العائد نحو ثلثها ، وهو يشمل مئات من حيوانات الغابات الإفريقية الحية ، وأطناناً من الحلى اليابانية الرخيصة . وإدارة بريد الجيش تستعمل ، فضلا عن السفن والطائرات والقطارات ، طرقاً للبريد منظمة تستعين فيها بالزوارق والعربات التى تجرها الكلاب والتى تجرها الوعول ، كما تستعمل الجمال والعدّائين . ولأول مرة فى التاريخ قد نظمت البريد فى الطائرة ووضعته فى أكياس وطرود أثناء الطيران ، وقد أنشأت نظاماً لقذف البريد بالمظلات فى جرينلاند ، وقد يحدث ذلك تغيراً كبيراً فى نظام توزيع البريد فى الأقاليم بعد الحرب دون أن تتخذ مطارات كبيرة .

وعلاوة على أعمال التموين والخدمة يأتى التدريب ، ففى العام الماضى أتم القائمون بخدمة الجيش تدريب أكثر من ٣٠٠٠ وحدة من وحدات الخدمة ، من فرق

مكوّنة من ثلاثة يشرفون على الأنوار الكاشفة ، إلى فرق مكونة من ٧٠٠٠ رجل من المهندسين الذين يشتركون فى أعمال الغزو المائية البرية . والغزو لا يحتاج إلى مقاتلين فى الأرض والسماء فحسب ، بل يحتاج كذلك إلى العمال ، من فرق للخبز ، وفرق لغسل الملابس ، ووحدات للإنشاء وبناء المطارات ، ووحدات من المهندسين لإصلاح الموانئ بعد أن خربها الألمان تخريباً منظما . وهو يشمل وحدات للسكة الحديدية لتصلح ما يستولى عليه الجيش ، وتشرف على عمل قطارات لنقل المؤن من الثغور إلى داخل البلاد . ووحدات لقطع الأخشاب ونشرها ، وفرق لاطفاء الحريق ، وجماعات لتسجيل المقابر ، وأخرى لترميم الدبابات .

أنشأنا من أجل الغزو مستودعات للرجال ، وفصائل متنقلة للتسجيل مزودة بآلات سريعة فى جرارات كبيرة . وهمّ رجال المستودعات لتصنيف الرجال المعدّين للطوارئ ، فحين تحتاج فرقة من فرق الجنرال أيزنهاور إلى عمال فى شق الطرق وتمهيد الأرض، أو خبراء فى أنابيب الزيت، فسرعان ما يجهزه رجال هذه المستودعات بما يلزم .

ولا يزعم إلا أحمق أن أعمال القوات التى تخدم الجيش سليمة من الأخطاء ، فنحن نعلم أننا وقعنا فى أخطاء كثيرة ، فرزم بعض المأكولات التى كنا نرسلها لم يكن على ما يرام ، وثمة أخطاء أخرى ، ولكن إذا اعتبرنا مدى عملنا الواسع اتضح لنا أن هذه الحالات قليلة ، والذين لا يرتكبون أخطاء لا يصنعون شيئاً .

ولقد قضينا شهرين فى العام الماضى فى زيارة ميادين القتال لكشف الأخطاء والبحث عن علاجها ، ثم جمعنا قائمة بالمشكلات الشائعة ، وقد بلغت الأعمال التى يلزم أن نعملها أو أن نتقنها أو أن نحصر فكرنا فيها ٣٥٩ عملا . وبرغم كل ما نرسم من الخطط ، فلن نستطيع أن نغير الطبيعة الإنسانية ، ولا أن نبدل طبيعة الحرب ، فالحرب كثيرة التقلّب حافلة بالمفاجآت ، والغزو يخلق الطوارئ . ولا شك فى أن الأشهر القليلة المقبلة ستأتى بأعمال تقتضى السرعة والكتمان ، لا عهد لنا قبل بضخامتها وإلحاحها ، وسنتغلب عليها بطريقة ما . وقد يقع الخطأ فى تفصيلات التموين ، ولكن التموين بوجه عام ، سواء فى الميدان الذى نحارب فيه هتلر أو فى الميادين التى نحارب فيها اليابانيين ، لا يمكن أن يقال فيه : إن « المقادير قليلة » أو « وصلت متأخرة » .



رياح ورمال ونجوم

خلاصة كتاب بقلم

أنطوان دي سنت إكسوپيري

مؤلف "الطيران ليلاً" و"الطيران إلى أراس"

رياح ورمال ونجوم

[هذه أكثر من قصة شخصية لطيار عظيم ، فإنها قصة عالمية لرجال يريدون أن يحيوا — وأن يموتوا أيضاً — في سبيل قضية ، ورواية أخطار في صور شتى ، من ثلوج الأنديز ، إلى خنادق إسبانيا ، وبيان لشيء في الإنسان يسمو فوق الخطر .

وينظر أنطوان ده سنت أكسوبيرى إلى تجاربه الواسعة نظرة الفيلسوف ، ولا يقتصر على نظرة الرجل الذى يكابدها . ويلقى على الحرب نظرة تنفذ إلى البواعث الإنسانية الكامنة وراء الحروب كلها] .

في سنة ١٩٢٦ اتخذتنى شركة لاتيكوير — التى خلفتها شركة « إيرفرانس » على الخط الجوى بين تولوز فى جنوبى فرنسا، وداكار فى إفريقية الغربية الفرنسية — تلميذاً طياراً . وكنت أتعلم هذه الصناعة ، وأتدرب على ما يتدرب عليه الطيارون الشبان قبل أن يسمح لهم بحمل البريد . فكنا نقوم بدورات فى الجو للتدريب ، وبرحلات صغيرة متواضعة بين تولوز ، وبربنيان ، ونتلقى دروساً جافة فى الظواهر الجوية فى حظيرة يجمد من بردها الدم ، ونعيش فى خوف من جبال إسبانيا التى سيكون علينا أن نجتازها ، ورهبة وإجلال لمن هم أقدم منا .

وكنا نرى هؤلاء الطيارين المحنكين فى مطعم المطار — وهم جفاة وليس من السهل أن يتبسطوا ويرسلوا النفس على السجية — فكنا ، بعد أن يهبطوا إلى الأرض وقد غمرهم الماء ، وجاءوا بعد الموعد من اليكانتى أو الدار البيضاء ، نسأل أحدهم فى أدب عن رحلته . وكانت أجوبته الوجيزة فى تلك الأيام العاصفة تصلح أن تكون مادة كافية يصاغ منها عالم خرافى غاص بالشراك والفخاخ، وبالجبال التى تبرز فجأة من الضباب ، وبتيارات الهواء التى يبلغ من قوتها أن تقتلع ضخام الأشجار . وكان يحدث أحياناً أن يتخلف عن العودة واحد من هؤلاء الطيارين الذين تنطوى لهم القلوب على الإجلال.

ثم كانت ليلة دعيت فيها بدورى إلى غرفة مدير المطار .

فقال : « عليك أن تسافر غداً » .

وما كدت أخرج من تلك الغرفة حتى ذهبت أعدو إلى صديقى جويوميه، فإنه يعرف الطريق وقد طار فوقه من قبل ، ويعرف كل الحيل والوسائل التى تضع فى يد الطيار مفاتيح إسبانيا .

فلما دخلت عليه صعد طرفه إلىّ وابتسم .

وقال : « إنى على علم بالأمر ، فلا تقلق فإن الأمر أهون مما تظن » .

وكان يشع بالثقة والاطمئنان كما يشع المصباح بالضوء ، وقد جاوز فيما بعد كل ما سبق من السرعة فى الطيران بالبريد فى الأند والمحيط الأطلسى الجنوبى . أما الآن فكان جالساً ، فى ضوء المصباح ، مرتدياً قميصه المطوى الكمّين ، وإحدى ذراعيه فوق الأخرى ، وعلى فمه ابتسامة ليس أشد منها تشجيعاً ، وقال لى ببساطة :

« ستضايقك العواصف والضباب والثلج ، من حين إلى حين ، فإذا أحسست بالضيق ففكر فيمن تغلبوا على هذه المصاعب قبلك ، وقل لنفسك إنى أستطيع أن أفعل ما فعلوه » .

فبسطت خرائطى وسألته متردداً هل يسمح بشرح الطريق لى . وهكذا انحنيت فى ضوء المصباح ، وكتفى إلى كتف هذا الطيار المحنك ، وشعرت بما يشعر به التلميذ السعيد المطمئن القلب .

وياله من درس تلقيته فى الجغرافية ! لم يتحدث جويوميه عن الأقاليم والمدن ، وإنما تحدث عن ثلاث أشجار برتقال على حافة مدينة: «احذر هذه الأشجار ، ويحسن أن تضع علامة لها على الخريطة » فصارت أشجار البرتقال هذه من الآن فصاعداً أعلى فيما أتوهم من جبال سييرا نيفادا .

وكانت التفاصيل التى نبرناها وأخرجناها من ظلمة الخفاء مما لم يعن جغرافى قط بارتيادها . فهناك مثلا نهر إبرو ، وهو يمر بمدن كبيرة، فلهذا يعنى به من يرسمون الخرائط، ولكننا تحدثنا عن جدول صغير يترقرق سرًّا بين أعشاب الماء إلى الغرب من موتريل :

« كن على حذر من هذا الجدول . فإنه يجتاز المهبط كله. ضع له علامة على الخريطة »

آه ، سأظل أذكر أبداً ذلك الأفعوان الذى ينساب بين الحشائش . فما كان يبدو كأنه موجود ، ولا كان خريره الخافت أعلى من نقيق طائفة من الضفادع ، ولكنه ينام وإحدى عينيه مفتوحة . وكان يجرى بين الحشائش فى ذلك المهبط الذى اتخذ للطوارئ، فكأنه متربص لى على مسافة ألف ميل منى حيث أنا جالس ، ولو أتيحت له فرصة لأحالنى إلى شمعدان موقد .

وهذه الشاء الجريئة الثلاثون المستعدة

للحمـلة علىّ ، على سـفح تل ! الآن وقد عرفت أنها رابضة هناك فسأتشدد للقائها !

« يبـدو لك وأنت فى الجو أن المرعى لا شئ به ، وإذا بثلاثين شاة فى إثرك » فلم أقدر على أكثر من ابتسام الدهشـة حين سمعت هذا النذير القاسى .

وصارت إسبانيا على خريطتى — شيئاً فشيئاً — كالأرض المسـحورة ، وصارت العـلامات التى وضـعتها للأماكن المأمونة والفخاخ ، معالم ومنائر للهداية . وسجلت أشجار البرتقـال ، والغنم ، والجـدول ، وشعرت أن جويوميه قد جعل من البـلاد صديقاً لى .

* * *

وكانت الساعة الثالثة صباحاً حين أيقظونى فارتديت ثيابى وقعدت أنتظر السيارة القديمة التى ستقلنى . فلمـا جاءت ، انحشرت بين حارس من حراس الجمارك ، يغالب النوم ، وموظف حكومة كالح الوجه . وكانت السيارة تفعم الخيشوم بمثل رائحة العفونة ، ورائحة تراب مكاتب الحكومة التى تهوى فيها حياة الإنسان كما تغيب الأرجل فى الرمل الوعس . وكانت السيارة تقف كل خمسمئة ياردة لتأخذ موظفاً آخر ، وحارساً آخر ، ومفتشاً آخر .

وسمعتهم يتكلمون همساً عن المرض ، والمال ، والمتاعب المنزلية التافهة . . . ألا يا أيها الموظف القـديم الجالس إلى جانبى ، إنك لـكالنمل ، تبنى سـعادتك بأن تسـد بالأسمنت كل كوة وفتحة يمكن أن ينفذ منها الضـوء ، وتطوى بعضـك على بعض حتى تصبح كالـكرة ، وتلف حولك اطمئنانك وتتـدثر بعملك الآلى الذى لا يختلف ، وتشتمل بالتقاليد الخانقة للحياة الإقليمية ، وترفع سوراً ضئيلا يحجب الرياح والأنواء والنجوم ، وقد آثرت أن تكون بمنجى من المسائل الكبرى ، وحسبك من المتاعب أن تنسى مصيرك كإنسان . أما أنا فقد فتح لى سحر الطيران عالماً سأواجه فيه ، قبل الفجر ، الأفاعىَ السود ، والقمم المتوّجة لسديم من البروق الزرقاء . ومتى جاء الليـل ، فإنى سأهتدى فى طريقى بالنجوم .

* * *

بعد هـذا « العماد » الفنى شرعت أنقل البريد الجوى بانتظام ، وكانت الرحلات فى الأغلب خاليـة من الحوادث ، وصرنا كالغواصـين الذين يهوون فى سكون إلى أغوار المحيط .

وكان الطيران يبدو لنا على العموم سهلا ، ومع ذلك مرت بنا رحـلات كنا نحس فى خـلالها فجأة أن على كل امرئ أن يعنى بنفسه ، ويبـدو لنا أننا اجتزنا تخوم عالم الحقيقة ، ونكون على مسافة ساعتين ليس إلا

من الميناء الجوى ، فنشعر أننا دخلنا عالماً محظوراً سيكون من العسير جدا علينا فيه أن نعود منه .

فمثلا لما عبر ميرموز جنوبى المحيط الأطلسى للمرة الأولى ، وقد مالت الشمس للمغيب ، وقع فى بلية من « منطقة الحجر الأسود » على مسافة من إفريقية فقد واجه إعصاراً يهيج بمثل العمد نحو السماء ويرتفع شيئاً فشيئاً كما يرتفع الجدار ، ثم جن الليل على هذه البوادر فطواها جنحه وغابت فيه ، فلما دخل بعد ساعة فى أطواء السحب كان كأنما خرج إلى عالم خيالى .

فقد كانت هناك أمثال عمد الهيكل فى ثباتها ، من الماء الفائر المندفع فى الهواء ، وتضخمت رءوسها فكأنها تحمل عقداً مسفا من العاصفة ، وكانت هناك فجوات فى هذا العقد تبدو منها « ألواح » من الضوء ، وكان القمر فى ليلة السواء يرسل أشعته الفضية اللألاء من بين العمدان ، على البحر الذى كأنما فرش بقرميد متجمد . فكان ميرموز يأخذ طريقه بين هذه الخرائب المهجورة وينزلق مائلا من مجرى ضوء إلى آخر ، ويدور حول هذه الأعمدة الضخمة التى لا بد أن يكون ما جاش واندفع من البحر يجلجل فيها ، وظل أربع ساعات يطير مجتازاً دهاليز ضوء القمر إلى المخرج من المعبد . وبلغ من روعة هذا المنظر وعمق وقعه فى النفس أنه ما أدرك أنه لم يكن خائفاً إلا بعد أن خلف « الحجر الأسود » وراءه .

والطائرة التى يخيل إلى الإنسان أنها أداة لعزل الإنسان عن الطبيعة ، تقذف به فى أعماقها ، فإن المسائل الجوهرية التى تواجه الطيار ، مدارها الجبال والبحر والريح . ومتى صار وحده أمام محكمة السماء العاصفة فإنه يدافع عن بريده ، وينازل هذه العناصر الثلاثة على قدم المساواة .

وأكياس البريد المحفوظة فى مستودعها هى دين حرفة الطيار ، وهى المشعل الذى يناوله ، فى هذا السباق الجوى ، عدّاء إلى عداء . وما قيمة أنه لعله لا يحمل فى بريده إلا ما تخطه أقلام التجار والعشاق ؟ وإذا حدث يوماً أن صاد أحد النجود رجال طائرة ، فإنهم لا يكونون قد قضوا نحبهم فى سبيل التجار أو غيرهم ، بل طوعاً لأوامر ترفع أكياس البريد مقاماً سامياً متى صارت فى الطائرة .

وحتى هذه الأوامر ليست هى التى تعنينا ، وإنما يعنينا الرجال الذين تصبهم فى قالبها .

* * *

وميرموز هذا هو طيار أحد الخطوط .

وجويوميه طيار آخر ، وسأتحدث عنه لتدرك بوضوح ما أعني حين أقول إن طرازاً جديداً من الرجال يصاغون فى قالب هذه الحرفة الجديدة .

كانت حفنة من الرجال ، ميرموز أحدهم ، يرتادون خط الدار البيضاء — دكار ، وكانت السيارات فى تلك الأيام غير ما تعلم ، فأسره رجال القبائل وبقى أسبوعين أسيرا عندهم ، ثم افتدى ، وظل بعد ذلك يطير فوق هذه المنطقة نفسها .

ولما أنشىء خط جنوب إفريقية ، اختير ميرموز — وهو فى طليعة الرواد أبداً — لارتياد القسم الواقع بين بونيوس إيريس وسانتياجو دى شيلى ، فقد كان هو الذى أقام جسراً فوق الصحراء الكبرى ، فالآن وُكل إليه أن يقيم جسراً فوق الأند . وأعطوه طائرة أقصى ماترتفع إليه ١٦٫٠٠٠ قدم وطلبوا منه أن يطير بها فوق سلسلة جبال ترتفع إلى أكثر من ٢٠٫٠٠٠ قدم . وكان عليه أن يبحث عن فجوات يمرق منها فى جبال كورديلليرا ، أى أن الرجل الذى درس وجه الصحراء ، كان عليه أن يدرس وجوه النجود التى تتلفع بالثلوج التى تثيرها الرياح ، وتهييج الهبوات فى دهاليزها الضيقة ذوات الجدران الصخرية ، وتكره الطيار على ما يشبه المبارزة .

وقد أقدم ميرموز على الدخول فى هذه الحرب مع العناصر الطبيعية وهو أتم مايكون جهلا بعدوه ، وبمبلغ إمكان الرجوع حيا . وكان عليه أن يقوم لنا جميعاً بهذه التجربة . وقد قام بها ذات يوم فألفى نفسه أسيراً فى الأند .

فقد اضطر ميرموز والميكانيكي الذى معه إلى الهبوط إلى ارتفاع ١٢٫٠٠٠ قدم فوق هضبة تنحدر جوانبها عمودية من كل ناحية ، فظلا يومين عصيبين يبحثان عن مخرج من هذه الهضبة ، ولكنهما كانا كأنهما فى فخ ، فقد كان المنحدر وعراً فى كل مكان ، فجازفا بآخر ما عندهما من حيلة .

وكانا لايزالان فى الطائرة ، فأطلقاها تدور وتقفز هابطة فوق منحدر حتى بلغا وهدة ، واستطاعت الطائرة أن تستجمع ، وهى تهوى من السرعة ، ما تستجيب به للآلات ، فوسع ميرموز أن يحول أنفها إلى نجد وأن يتخطاه ، وكان الماء ينبثق من جميع الأنابيب التى انفجرت بتأثير الصقيع فى الليل ، وأعطبت آلاتها بعد سبع دقائق فقط من الطيران ، ونظر ميرموز فإذا تحته سهل شيلى كأنه أرض الميعاد .

وفى اليوم التالى أعاد الكرة .

وعلى هذا النحو من الارتياد ، اضطر ميرموز غير مرة أن يهبط فى الصحراء ،

تارة ، وفوق الجبال طوراً ، وفى الليل وفى البحر أحياناً ، وكان فى كل مرة يعود سالماً ليستأنف الخروج كرة أخرى . وأخيراً ، بعد اثنتى عشرة سنة من الخدمة طار من دكار قاصداً إلى ناتال ، فبعث برسالة لاسلكية موجزة يقول إنه عطل محركه الأيمن . ثم ساد الصمت .

وانتظرنا ، وتعلقنا بالأمل . وطالعتنا الحقيقة شيئاً فشيئاً فأدركنا أن زميلنا لن يعود ، وأنه راقد فى المحيط الأطلسى الجنوبى الذى كثيراً ما جاب سماءه . لقد أدى عمله وانسلّ ليستريح كالحاصد ربط حزمته بعناية ، وانطرح فى الحقل لينام .

وفى أمثال هذه الحالة لا يستقر فى وعينا إلا تدريجاً أننا لن نسمع مرة أخرى ضحك صديقنا ، وأن هذه الحديقة الخاصة قد أوصد بابها فى وجوهنا إلى الأبد . وفى هذه اللحظة يبدأ حزننا الحقيقى ، فما من شىء يحل محل هذا الزميل ، فإن الأصدقاء القدماء لا يستفادون فجأة بالإرادة . ولا شىء يعدل كنز الذكريات المشتركة ، والمحن المجتازة معاً ، والشجار والخلاف والوفاق والوئام والعواطف الكريمة . ومن العبث أن تغرس بذرة فى الصباح وتتوقع أن تستظل بشجرتها عصراً .

وهكذا الحياة ، نظل سنوات نغرس البذرة ، ونشعر أننا أغنياء ، ثم تجىء سنوات أخرى يعمل فيها الزمن عمله ، فإذا مزرعتنا قليلة الشجر سليبته . ويذهب زملاؤنا واحداً بعد واحد ، فنحرم ما كنا نتفيأ من ظلهم .

***

وأنت يا جويوميه ، يا صديقى القديم ، سأقول فيك أنت أيضاً بضع كلمات ، ولتثق أنى لن أخجلك بالمباهاة السخيفة بشجاعتك وبسالتك فى عملك ، فإن لى غرضاً آخر مختلفاً جداً من التحدث عن أغرب مغامراتك .

كان الوقت شتاء ، وقد تهت فى الأند . وأقبلت من أقصى بتاجونيا لأنضم إلى ديلى فى مندوزا ، وقضينا نحن الاثنين — وكل فى طائرته — خمسة أيام نبحث فى الجبال بلا جدوى . طائرتان اثنتان ليس إلا ! لقد كان يخيل إلينا أن مئة سرب تطير مئة عام ليست بكافية للبحث فى هذه السلسلة التى لا آخر لها ، والتى تذهب قممها فى السحب وتغيب . وفقدنا كل أمل ، ونصح لنا موظفو حكومة شيلى بأن نكف ونيأس من العثور عليك ، وقالوا : « إن هذا قلب الشتاء ، فحتى لو نجا صديقكم عند هبوطه فإن الليل فى هذه الدروب يحيل الإنسان لوحاً من الثلج » .

وكان يخيل إلى وأنا أقوم بهذه

الأبحاث العتيمة ، أنى لم أعد أنشدك ، وإنما أنا جالس مع جثمانك فى سكون معبد الثلج . ومضى على غيابك أسبوع وإذا بنبأ يجيء فجأة : « لقد وجدوا جويوميه ! » .

وما هى إلا عشر دقائق حتى كنت فى الجو ومعى اثنان من الميكانيكيين ، وبعد أربعين دقيقة هبطت إلى جانب طريق ، فقد عرفت وأنا فى الجو ، السيارة التى حملوك فيها من سان رفاييل . وأتذكر أننا بكينا كالبلهاء ، وطوقنا جويوميه الحى — مؤلف آيته ومعجزته ! وفى تلك اللحظة نطقت بأول جملة مفهومة — فكانت كلمة بارعة بما انطوت عليه من الاعتداد بالإنسانية .

« أقسم أن ما احتملت لم يكن يستطيع حيوان أن يحتمله » .

ثم رويت لنا بعد ذلك قصتك ، فعلمنا أن عاصفة ألقت ما ارتفاعه ١٥ قدماً من الثلج فى ثمان وأربعين ساعة على الأرض ، فكان هذا فخاً وقعت فيه ، وتجاذبتك تيارات فظيعة ، فصارت الطائرة تتقلب كأنها قبعة فى الطريق ، وهبطت بها أخيراً على الثلج .

وقلت لى : « ولما خرجت منها وقفت ، فضربتنى الريح فألقتنى على الأرض ، ثم نهضت واقفاً مرة أخرى ، فصرعتنى الرياح ثانية ، فزحفت حتى صرت تحت مقدمة الطائرة ، وحفرت لنفسى مخبأ فى الثلج ، وأحطت نفسى بعدة أكياس بريد ، ورقدت هكذا يومين وليلتين ، ثم سكنت العاصفة ، فشرعت أسير ملتمساً لى مخرجاً ، وقد سرت خمسة أيام وأربع ليال » .

ولكن ما ذا كان قد بقى منك يا جويوميه؟ لقد وجدناك حقاً ، ولكنك كنت هزيلا معجوفاً ، كأنك امرأة عجوز ، وكان منظرك وأنت على سرير المستشفى ، فظيعاً ، وكنت شقيا لأنك فقدت أداة عملك الجميلة ، وكانت يداك قد خدرتا وهرأهما البرد وسلبهما الفائدة ، ولما جلست على حافة سريرك تدلت قدماك الجامدتان كأنهما كتلتان ميتتان ، ولم تكن قد فرغت من الرجعة إلى الحياة ، فقد كنت لا تزال تلهث وتكافح وتجاهد .

وكنت ، وأنت تقص علينا قصتك المروعة أراك بعين الخيال تجر رجليك بغير عصى ، أو حبال أو زاد ، وتتوقل نجوداً ترتفع إلى ١٥٫٠٠٠ قدم ، وتزحف فوق صخور عمودية ، وكفاك ، وقدماك ، وركبتاك ، تدمى فى جو تهبط فيه درجة الحرارة إلى عشرين تحت الصفر ، ونزف دمك شيئاً فشيئاً ، واسترقت قوتك ، وطار لبك ، فمضيت على وجهك بمثل عناد النملة ، تكر راجعاً لتدور حول عقبة معترضة ، وتنهض نفسك متحاملا عليها بعد كل عثرة ، وتصعد فى المراقى التى تفضى إلى مهاو ، ولا تكف

عن السير والحركة ، ولا تغمض لك عين ، لأنك لو كنت نمت لما قمت أبداً عن فراش الثلج .

وقاومت ما يغريك . وقلت لى : « إن الإنسان بين الثلوج : يفقد غريزته التى تدفعه إلى المحافظة على ذاته . فبعد يومين أو ثلاثة أو أربعة من المشى والسعى ، تعود وليس لك هم إلا النوم . وكانت نفسى تنازعنى أن أرقد ولكنى كنت أقول لنفسى : « إذا كانت زوجتى لا تزال تعتقد أنى على قيد الحياة ، فإنها ولا شك تعتقد أنى على قدمى . وكل زملائى يعتقدون أنى على قدمى لأنهم يثقون بى . فلا بد أن أستمر » .

على أنه حدث مرة أن زلت قدمك ، فألفيت نفسك منطرحاً على الثلج ، فنفضت يدك يائساً .

وقلت : « لقد بذلت غاية وسعى ، فأخفقت فلماذا أستمر ؟ » .

وشعرت أن كل ما عليك أن تفعله لتفوز بالراحة هو أن تغمض عينيك ، فما أقل ما كان الأمر يتطلب لتطوى صفحة هذا العالم المؤلف من الوعور والثلوج ! .

وبدأت تذوق الراحة المستفادة من هذا « المورفين » ، ولكن وخز الضمير أهاب بك من أعماق وعيك : « ففكرت فى زوجتى وكيف أنها ستصبح معدمة إذا لم تستطع أن تقبض مبلغ التأمين » .

ذلك أن الرجل حين يختفى ، يؤجل تقرير وفاته رسمياً أربع سنوات ، وقد كان هذا الخاطر الرهيب حسبك ، فمحى كل ما عداه ، وكنت راقداً واقعاً على بطنك ، ووجهك إلى الثلج الذى يكسو مرتقى وعراً . ومتى جاء الصيف وذاب الثلج هوى جسمك مع ما يسيل من الماء والتراب ، وغاب فى واحد من آلاف الشقوق فى الأند . وكنت تعرف هذا ، ولكنك كنت تعرف أيضاً أن على مسافة خمسين ياردة أو نحو ذلك صخرة نائتة من الثلج : « فخطر لى أنى إذا نهضت ، قد أستطيع أن أصل إليها ، وإذا استطعت أن أستند إلى هذه الصخرة ، فقد يجدوننى عندها فى الصيف القبل » .

وصرت على قدميك مرة أخرى ، فذهبت تجرهما وتمشى ليلتين وثلاثة أيام ، ولكنه لم يكن يدور بخلدك عندئذ أن فى وسعك أن تحتمل فوق ما احتملت .

« إن الذى ينقذ الإنسان هو أن يخطو خطوة ، ثم خطوة أخرى » .

وأخيراً ، فى تلك الغرفة ، نمت نوم المتكسر الذى أضمره الكلال ، فقلت لنفسى إن مكان جويوميه فوق الشجاعة وفوق تلك الفضيلة العادية التى تسمى التواضع : فإن عظمته الأدبية مرجعها إلى شعور

بالتبعة فقد كان يدرك أنه مسئول عن نفسه ، وعن البريد ، وعن تحقيق آمال زملائه ، وكان فى يديه حزنهم وسرورهم ، وهو مسئول عن ذلك العنصر الجديد الذى ينشئه الأحياء ، والذى يشترك فى إنشائه .

لقد كان جويوميه أحد أولئك الرجال ذوى الجرأة والأريحية الذين فرضوا على أنفسهم أن ينشروا ظلهم فوق آفاق شاسعة . ومعنى أن يكون المرء رجلا ، هو أن يكون مسئولا ، وأن يشعر بالزهو من جراء انتصار فاز به زملاؤه ، وأن يحس حين يضع لبِنَتَه أنه يساهم فى بناء العالم .

عرفت شاباً انتحر ، ولا أتذكر أية خيبة أمل له فى الحب أو غيره أغرته بأن يطلق رصاصة على قلبه ، ولا أدرى أى باعث أدبى صدر عنه حين وضع على يديه قفازين ناصعى البياض قبل أن يطلق الرصاصة . ولكنى أتذكر ، حين علمت بهذه الحادثة المؤسفة ، أنى لم أشعر بنبل فيه ، بل بنقص فى الكرامة . فوراء هذا المحيا الوسيم ، إذن ، وفى هذا الرأس الذى كان ينبغى أن يكون صندوق كنز ، لم يكن هناك شىء ما على الإطلاق .

ولما سمعت بهذا المصير العقيم التافه ، تذكرت رجلا آخر مات ، وكان بستانياً ، وكان يقول وهو على فراش الموت : « لعلكم تعلمون أنى كنت أحياناً أتصبب عرقا وأنا أعمل بالفأس ، وكان الروماتزم يأخذ فى ساقى فيجهدنى الوجع ، فأسخط على نفسى وأقول إنى عبد رق ، والآن أقول لكم إنى أشتهى أن أعمل بالفأس وأعمل ، فإنه لعمل جميل ، والإنسان يشعر أنه حر حين يعمل فأسه . ثم إنى أتساءل من ذا عسى أن يقلم أشجارى بعد موتى ؟ » .

وكان الرجل سيخلف وراءه أرضاً بورا ، وكانت فى قلبه علائق حب لكل أرض تزرع ولكل أشجار العالم . فهذا رجل كريم القلب ، رجل سخى النفس ، رجل نبيل ، رجل يصارع الموت باسم الخلق ، ويستحق ، مثل جو يوميه ، أن يوصف بأنه شجاع !

* * *

لقد كان ميرموز ، وجويوميه ، والبستانى المسكين — رجالا أحراراً حقاً . ويحضرنى الآن ذكر رجل آخر ، وضيع المنزلة، ولكنه فاز بالحرية من طريق آخر . وقد عرفته لما كنت أعمل فى إفريقية ، واسمه بارك ، وهو عبد مسترق .

« خبئنى فى طائرة مراكش ! » .

وكان يتقدم إلىّ بهذا التوسل ليلة بعد ليلة فى رأس « جوبى » . وكان اسمه ، قبل زمن طويل ، محمد بن الحسين وكان راعياً

فى تلك الأرض السوداء ذات البيوت القرمزية اللون ، ولكن بغاة الرقيق سطوا على الأرض وحملوه وأطلقوا عليه اسماً مسيحياً « بارك » ، وباعوه . وكانت زوجته وأبناؤه الثلاثة فى مراكش ، وكانوا لا يزالون ولا شك على قيد الحياة .

ولم يحقد علىّ من أجل أنى رفضت بالصمت أن أجيبه إلى طلبه ، وأنى أخرت رجعته إلى الحياة . ولم أكن فى نظره إنساناً ، بل قوة يدعوها ويتوسل إليها ، أو ريحاً طيبة ، قد تعيد إليه حسن الحظ وإشراق الحياة .

وكنت أنا لا يساورنى مثل هذا الوهم فما يتعلق بقوتى ، وهل أنا إلا طيار بسيط يتولى ، بضعة شهور ، رياسة المطار فى رأس جوبى ، ويعيش فى كوخ من الخشب كل أثاثى فيه : حوض ، وإناء للماء ، وسرير أقصر منى ؟

« سنرى يا بارك » .

فيبتسم بارك ويبين لى بصوت كالهمس كيف أستطيع أن أخبئه فى الطائرة ، ولكنى أخشى ما عسى أن يفعله رجال القبائل بنا على سبيل الانتقام وغسل الإهانة.

وقد حاولت فعلا أن أشتريه ، ولكنه لم يكن مما يحدث كل يوم أن يجد رجال القبائل أوربياً يريد أن يشترى عبداً ، فاغتنموا هذه الفرصة .

« عشرون ألف فرنك » .

« إن هذه سخافة » .

« ولكن انظر إلى ذراعيه القويتين.. »

ومضت شهور قبل أن يهبطوا إلى رقم أستطيع بمساعدة أصدقائى أن أجده .

ولما اشتريت بارك ، حبسته ستة أيام فى كوخى ، لأنه لو كان قد خرج قبل أن تصل الطائرة، لكان رجال القبائل قد خطفوه بلا شك . ورأى الميكانيكيون أن من العار أن يقذف بارك على الدنيا وهو خالى الوفاض، فجمعوا له مبلغاً من المال .

« وداعاً يا بارك ! وكن رجلا » .

وانتفضت الطائرة استعداداً للصعود ، وألقى بارك نظرة أخيرة على رأس جوبى وما حوله من محل ، ووقف حول الطائرة مئتان من رجال القبائل ليروا كيف يكون الرقيق حين يقف على عتبة الحياة ، وما كانوا ليحجموا عن خطفه واستعادته، لو أن الطائرة بعد ذلك بقليل اضطرت إلى الهبوط .

ووقفنا حول وليدنا الجديد الذى يبلغ من العمر خمسين عاما ، وقد ساورنا بعض القلق لأنا نلقى به فى تيار الحياة .

* * *

وآخر ما اتصل بنا من أخبار بارك ، هو ما رواه لنا عبد الله ، الذى رجونا منه

أن يعنى به فى أغادير ، فعلمنـا أن الطائرة وصـلت إلى أغادير فى الصباح ، ولـكن الطائرة الأخرى التى كان سيواصل رحلته عليها لم تسافر إلا فى المساء . فقضى بارك نهاره على النحو الآتى :

بدأ بالتجول فى المدينـة وهو صامت لايستقر ، فقد فاز بهذه الحرية فجأة ، وكان من الصعب أن يتكيف بسرعة ، ثم جلس فى مقهى عربى وطلب لنفسه ولعبـد الله شاياً ، وكان هذا أول عمل أتاه من أعمال السادة . وكان هذا خليقاً أن يبدو مستغرباً فى عيون الناس ، ولـكن الخادم صبّ له الشاى بلا استغراب ، ومن غير أن يدرى أنه بذلك يحتفى برجل حر .

وقال بارك : « تعال نذهب إلى مكان آخر » ، فذهبا إلى القصبة ، وهى حىّ فيه نسوة مرخص لهن ، فتناولت فتيات البربر يده ، وكان مشغولا برسالته فشرع يقص عليهن قصة بعثه ، فابتسمن ابتسامة العطف ، وأراد هو أن يزيد دهشتهن فقال: « اسمى محمد بن الحسين » .

ولـكن هذا لم يكن مما يدهشهن ، فإن لـكل رجل اسما ، وما أكثر الذين يعودون من بلاد بعيدة ، ولـكنهن مع ذلك أدركن أن هذا الرجل تعذب ، فحاولن أن يكن لطيفات مع هـذا المسكين . فشـكر لهن لطفهن ، ولـكن قلقه لم يكن قد سكن لأنه لم يكن قد استرد دولته .

فرجع ومعه عبد الله إلى المدينة ، ووقف ينظر إلى البحر ، ويقول ويكرر إنه يستطيع أن يذهب كما يشاء فى أى اتجاه ، وأنه حر . ولـكن هذه الحرية خالطها بعض المرارة ، وكان أقوى ماوقع فى نفسه منها أنه لا يربطه بالعالم شىء .

وأقبل فى تلك اللحظة طفل، فمسح له بارك خده الغض، فابتسم الطفل، فاستيقظت نفس بارك ، وشعر أنه صار أكبر شأناً فى هذه الأرض ، ونظر إلى طائفة من الصبيان يلعبون على مقربة منه ، ثم قصد إلى دكاكين اليهود ، فلما عاد مثقلا بالهدايا غضب عبد الله .

وقال : «يا أحمق ! أهكذا تبدد مالك ؟»

فلم يعبأ به بارك شيئاً ، ودعا إليه الصبية واحـداً بعد واحـد ، وارتفعت الأيدى الصـغيرة وامتدت إلى اللعب ، والدماج ، والخفاف المخيطة بخيوط الذهب ، وكان كل طفل بعد أن يأخذ هديته ، يذهب يعدو ، وعاد بارك إلى دكاكين اليهود .

وسمع صبيان آخرون فى أغادير بالأمر فتجمعوا عليه ، واحتشدوا وراء هذا الإله الأسود ، وتعلقوا بثوبه البالى ، وصاحوا مطالبين بنصيبهم ، فأنفق عليهم بارك ، فى فرحته ، آخر درهم .

وكان عبد الله لا يشك فى أنه جن ، وقال بعد ذلك : « جن من الفرح » . ولكنى أميل إلى الاعتقاد بأن بارك لم يكن بشاطر غيره فيضاً من السعادة ، فقد كان حراً ، ولكن ما خير هذا المال متى كان مطلبه الذى يلح على نفسه إلحاح الجوع هو أن يكون رجلا فى أسرة رجال تربطه وشائج متينة بغيره .

وكانت فتيات البربر قد أولينه عطفاً ورقة ، ولكنهن لا يحتجن إليه ، وقد احترم عاملُ المقهى ، والمارة فى الشارع ، وأصحاب الدكاكين ، هذا الرجل الحر الذى هو بارك ، ولكنه ما من أحد منهم بدا عليه أن به حاجة إليه .

لقد كان حراً ، ولكن حريته كانت بلا حد ، ولم يكن يدب على الأرض ، بل يسبح فوقها ، وأحس أنه تنقصه العلاقات الإنسانية التى تعوق خطوات الرجل ، ومع ذلك تربطه بغيره .

ولهذا ذهب بارك يخوض الحياة فى تيار من الطفولة المتجمعة حوله ، كما كان يفعل فى بحر من النعاج . وسيعود فى اليوم التالى إلى فقر أسرته ، وإلى التبعة عن حيوات كثيرة لعل ساعديه الهرمين لا يقويان على الكفية لها . على أنه شعر وهو بين هؤلاء الأطفال بجذب نفسه الحقيقية ، فرد نفسه إلى الحرية بفضل ألف طفل يحتاجون أشد الحاجة إلى الخفاف الذهبية .

* * *

ولما كان الإنسان ، لا الطيران ، هو الذى يعنينى أكثر مما يعنينى سواه ، فسأقص قصة رجل يتحسس طريقه إلى كمال نفسه ، كما شهدت ذلك فى الشهور الأولى من الحرب الأهلية فى إسبانيا ، حيث كنت أنشد جواب هذا السؤال : كيف يحدث أن نرى الرجال أحياناً راغبين فى الموت مستعدين له ؟

وكنت فى مدريد فشهدت ضربها بالقنابل ، فكأنما كان ينبغى أن تنفجر قوة هذا الرعد كله على الطريق الكبير لتزهق روحاً إنسانية واحدة ! روحاً واحدة ليس إلا ! وكان المارة قد نفضوا عن ثيابهم التراب وغيره ، وكان غيرهم قد تبعثروا وذهبوا يعدون ، ولما تقشع الدخان وجد الخطيب — الذى نجا بأعجوبة فلم يصبه خدش — عند قدميه خطيبته التى كانت ذراعها إلى ما قبل هنيهة ملتفة بذراعه ، قد صارت إسفنجة ممتلئة دما ، وكتلة هامدة من اللحم والخرق .

فركع ، وهو غير مدرك شيئاً ، وهز رأسه ببطء كأنما يقول لنفسه : « لقد حدث أمر غريب » .

وكان هـذا الشيء الغريب المنطرح على الرصيف ، لا يشبه فى شيء تلك التى كانت حبيبته وخطبه . وكان التعس أليم البطء فى احتوائه عليه ، فظل ثانية أخرى مذهولا ، يدير نظره وهو حائر باحثاً عن ذلك القد المشوق كأنما كان هو على الأقل ينبغى أن ينجو ، ولـكنه لم يكن ثم إلا هـذه الحزمة من خليط من الدم واللحم والتراب .

وانطفأت شرارة الإنسانيـة الضعيفة . وبينما كان الرجل تتلجلج فى حلقه تلك الصرخة التى لا أدرى ماذا منعها أن تنطلق، فكر فى أنه لم يكن يحب هاتين الشفتين بل زمتهما ، لا بل ابتسامتهما ، ولا عينيها بل نظرتهما ، ولا ثدييها ، بل رقة إشرافهما . وتسنى له أن يدرك أخيراً مصدر الألم الذى ادخره الحب له ، وأن يعرف أنه كان ينشد مالا ينال ، وأنه لم يكن يشتهى أن يعانق جسما بل روحاً وشرارة ، أو الملك الروحانى الذى يسكن البدن .

ولست أعبأ شيئاً بأصول الحرب وقانون الانتقام ، أما الفائدة الحربيـة التى تجنى من مثل هذا الضرب بالقنابل فشىء لا أستطيع أن أفهمه ، ولقد رأيت زوجات مبقورات البطون خارجات الأحشاء ، وأطفالا مشوهين ، وبائعة متجولة عجوزاً ، تطرح عن بضاعتها المخ الذى انتثر فوقها . ورأيت امرأة بواب تخرج من قبوها وتريق دلو ماء على الرصيف المتسخ . ولا أزال عاجزاً عن أن أفهم الفائدة التى تجنى فى الحرب من هذا المجازر .

أم ترى الغرض معنوى ؟ ولـكن الضرب بالقنابل يهيج النفوس على الضارب ! فإن كل قنبلة سقطت على مدريد حصنت شيئاً فى المدينة ، وأقنعت الذى كان واقفاً موقف الحياد والتردد بأن يخف إلى نجدة المدافعين ، والطفل المقتول يكون أثقل فى الميزان حين يكون طفلنا . وقد تبينت بجلاء أن ضرب مدريد لم يشتت أبناءها بل وحّدهم ، فإن الفظاعة تجعل النـاس يعضون على النواجذ وينضم بعضهم إلى بعض .

* * *

وفى مرة أخرى وقفت ذات ليـلة مع ثلاثة رجال أو أربعـة محتمياً بجـدار أمام خنادق الأنصار ، وكانت خطوط العدو على الناحيـة الأخرى من الوادى المظلم حيالنا ، فأوقدت عود ثقـاب لأشعل سـيجارة ، فدفعت يدان قويتان رأسى إلى تحت ، وانحنى كل امرىء وسمع صفير رصاص .

وقال أحدهم : « يظهر أن القوم هنـاك أيقاظ » .

« أتظن أنهم سيتـكلمون الليلة ؟ » .

« إن أحدهم ـ أنطونيو ـ يتكلم أحياناً » .

« ناده » .

فنهض ووضع كفيه على جانبي فمـــه ، وملأ صـــدره هواء ، ونادى بصوت عال « أنـ . . . طو . . . نيو . ! » .

فذهب الصوت يتموج وينتشر ، ويسبح فوق الوادى ويرتد إلينا صداه .

وقال جارى : « يحسن أن تطـأطىء رأسـك ، فإنهم يرمون بالرصاص أحياناً حين نناديهم » .

ووقفت أتخيلهم على جانبهم من الوادى إذ يسمعون هذا الصوت الآدمي الذى لم يستثر غضبهم لأنهم لم يطلقوا رصاصــة . وصحيح أنهم لم يجيبوا ، ولكن ما أشد يقظة هؤلاء القوم الصامتين الذين كان إشـعال عود كبريت واحد كافياً لتحريك أصابعهم على الزناد .

وملأ الرجل صدره بالهواء مرة أخرى وصاح :

« انطونيو ! إنى أنا ليو أناديك ! »

وذهب الصوت فى الوادى كأنه سـفينة تنزل إلى الماء — مسافة ثمانمئة ياردة ، إلى الشاطىء الآخر ، وارتد إلينا صداه مجتازاً ثمانمئة ياردة . فإذا أجابوا فستمضى خمس ثوان بين أسـئلتنا وأجوبتهم . خمس ثوان من الصمت ينقطع فيها كل قتال .

« ا و و و . . . . »

صوت بعيد كالموجة الضعيفة يقبل علينـا ليموت على شاطئنا ، وقد أقبـل مرة أخرى « وقت . . . النوم ! »

هؤلاء الرجال الذين أطلقـوا نارهم على ضـوء عود الكبريت ، قد ملأوا الآن صدورهم بالهواء ليبعثوا إلينا بنصيحة أبوية .

«اسكنوا ! ارقدوا ! جاء وقت النوم !»

فتتحرك نفوسنا لذلك . وقد تظن أيها القارىء أن هؤلاء الرجال إنما كانوا يلعبون لعبة ، وإنهم ليفعلون ذلك على معنى من المعانى ، ولكن الألعاب قد تستر شيئاً عميقاً قوياً . وههنا لعبة تركت قلوبنا تخفق بشدة .

واعتـدل الفلاح الذى أغرى أنطونيو بالكلام وجعل من نفسه سفيراً لنا ، وأخرج من صدره الكبير هذا السؤال الذى ينطوى على كل سؤال :

« ياأنطونيو ! لماذا تقاتل ؟ »

وينبغى أن أقول هنا إنه هو وأنطونيو يخجلهما أن تحمل كلامهما على محمل الجد ، وأنهما خليقان أن يؤكدا لك أنهما يمزحان ، ولكنى كنت هنـاك وهو واقف ينتظر ، ونفسه متلهفة على الجواب .

« فى سبيل إسبانيا . . . »

ثم سمعت :

« وأنت ؟ »

وتلقى جوابه ، وسمعته يقذف به فى الهواء .

« قوت إخوتنا ! »
ثم هذه التحية المدهشة :
« عم مساء ياصديقى ! »
ثم الجواب من الجانب الآخر من العالم :
« عم مساء ياصديقى ! »
ثم السكون .
لم تكن ألفاظهم واحدة ، ولكن الحقائق كانت متطابقة .

* * *

وجلست أتعشى ذات ليلة فى جبهة مدريد بغرفة تحت الأرض مع ضابط شاب ونفر من رجاله ، فدق التلفون وصدر الأمر إلى الضابط بالاستعداد للهجوم قبل طلوع الصبح ، وكانت خطوط العدو على بضع ياردات فقط ، وكان الهدف عبارة عن عشرين منزلا فى هذه الضاحية الصناعية ، وكان على المهاجمين أن لا ينتظروا تعزيزاً ، وأن ينسفوا المنازل واحداً بعد واحد بالقنابل اليدوية ويحتلوها .

وخالجنى شعور غامض وأنا ألقى نظرة أخيرة على هؤلاء الرجال الذين لا يلبثون أن يلقوا بأنفسهم فى التهلكة ، فتتناثر أشلاؤهم قبل أن يبلغوا الجانب الآخر من الطريق ، وكانوا يتناولون الأمور فى يسر ، ولكن الضابط عاد من التلفون وهو يهز كتفيه ، فدفع بيده قدحين وزجاجة براندى وقال للشاويش :

« ستقود الصف معى ، فاشرب قدحاً ونم قليلا » .

فشرب الشاويش ونام . وكنا اثنى عشر جالسين حول المائدة وقد سدت جميع الثقوب والنافذ، فما من خيط من الضوء يمكن أن يتسرب ، وكان البراندى حلواً ، ينعش النفس ، وطعمه غير سائغ كالمطر فى مطلع الصبح . وكان بعضهم إلى يمينى يقص قصة مضحكة ، وكان يتكلم بسرعة فلم أفهم أكثر من كلمة واحدة من كل ثلاث كلمات .

ودخل رجل يترنح قليلا من السكر ، ووقف يحك ذقنه وينظر إلينا بعينين ناطقتين بالمودة ، وأخذت عينه الزجاجة ، فالتفت إلى الضابط وألقى إليه نظرة رجاء وتوسل .

فضحك الضابط فى فتور ، فعظم رجاء الرجل فضحك مثله ، وسرت نفحة خفيفة من الضحك فى الغرفة الغاصة بالرجال ، ومد الضابط يده ودفع الزجاجة إلى حيث لا تصل إليها اليد ، فنمت نظرة الرجل على اليأس ، وبدأت لعبة صبيانية ، أو رقصة صامتة فى ضباب من دخان السجاير وضجر السهر وما سيتلوه من الهجوم ، فكان ذلك كله كأنه حلم . وجلست مسحوراً بجو السهر الذى ينتهى ببطء ، على حين كانت أصوات القنابل فى الخارج تزداد شدة وعنفاً .

وبعد قليل سيذهب هؤلاء الرجال ويطهرون أنفسهم من العرق والبراندى وأقذار السهر ، بمياه الحرب ! فشعرت أن فيهم شيئاً يكاد يكون صفاء لا تشوبه شائبة ، أما الآن فإنهم يرقصون رقصة السكير والزجاجة ، وقد آلوا أن يستغرقهم هذا أتم استغراق ، وكانوا يطيلون الحياة إلى أقصى ما يتيسر ، ولكن هناك على رف ساعة منبهة ، وقد ضبطت لتدق الوقت المعين للهجوم ، ساعة الصفر — ولم يكن أحد يرفع طرفه إليها ، ولكنهم جميعاً سيسمعونها على التحقيق !

وستدق الساعة ، وسينهض الرجال ويتمطون على نحو غريزى فى كل رجل يوشك أن يعالج مسألة البقاء ، ثم يرتدون أشياءهم ويحملون سلاحهم ، ويسحب الضابط مسدسه من كيسه ، ويفيق السكران ، ويخرجون جميعاً واحداً وراء واحد إلى الدهليز ، ثم يقذفون بأنفسهم تحت النجوم .

* * *

وما كاد الأمر بالهجوم يلغى بالتلفون ، وما كاد هؤلاء الرجال يدركون أنهم منحوا يوماً آخر يدبون فيه على هذا الكوكب الجميل بأحذيتهم الخشنة ، حتى بدأوا معاً يندبون حظهم .

« أتراهم يحسبوننا جماعة من النساء ؟ »
« أهذه حرب أم ليست بحرب ؟ »
« ما أبدعها من هيئة أركان حرب ! »
« لا تستطيع أن تستقر على رأى ! »
وهكذا جعلوا يشكون ساخرين .

وكان من الجلى أنه قد لا يعود منهم أحد بعد أن يهجموا فى ضوء القمر ، وأنه كان ينبغى أن يسرهم أنهم بقوا أحياء ، وأن فى وسعهم أن يتذمروا من القيادة العامة . على أن قدرة سخطهم لم تكن عن حماقة ولا عن زهو ، فقد كانوا جميعاً مستعدين أن يموتوا ببساطة .

لقد ارتفع هؤلاء الرجال حقاً من الأعماق ، وبدأوا فى الواقع حياة جديدة . وقد حدقت فيهم وفى الشاويش ر . على الخصوص ، وكنت معهم حين أيقظوه ، وكان يعلم حق العلم أنه سيكون أول رجل يبرز إلى خط النار المقذوفة من أوكار المدافع الرشاشة ، فكان استيقاظه كاستيقاظ السجين فى غرفة الموت .

« قم يا شاويش » .

فزفر زفرة قوية كالموجة ، وكأنه التلميذ المعاقب نسخ الناقوس الملح حلمه بعالم لا مدارس فيه ، فشرع يحس ببرد اليقظة .

ومد يديه ، ثم رجليه ، واحدة واحدة ، وكانت عليه ثيابه وأدوات حرفته : الأحزمة

والبندقية، وحزام الطلقات، والقنابل اليدوية الثلاث وهى تتدلى من حزامه وتعوق الضربات الأخيرة التى يضربها هذا السابح فى بحر النوم. وأخيراً فتح عينيه وجلس على الفراش وهو يتمتم: «هوه! هل مضى؟».

ومد يده وهو يتكلم، إلى البندقية.

فقال الضابط: «كلا. فقد ألغى الأمر بالهجوم».

ودعنى أقل لك أيها الشاويش أننا قدمنا إليك حياتك هدية، كأنما كنت واقفاً أمام الكرسى الكهربائى. والله يعلم أن حبراً كثيراً يراق فى وصف أثر العفو عن المحكوم عليه بالقعود على الكرسى الكهربائى. وقد جئناك بالعفو عنك فى اللحظة الأخيرة، ما فى هذا شك، فاغفر لى فضولى، فقد حدقت فى وجهك، ولن أنساه أبداً. كيف يتلقى المرء ياترى هبة الحياة؟ الجواب عندى: يجلس ساكناً، ويخرج شيئاً من الدخان، ويهز رأسه ببطء، ويصعد عينيه إلى السقف ويقول: «هذا يوافقنى».

والآن أيها الشاويش المطمئن، أراك تغمس خبزك فى قهوتك، وأنت كالصبى الذى قيل له إنه لن يعاقب. وإنك لمستعد أن تخرج الليلة مرة أخرى. ويدور فى رأسى، مرة بعد مرة، ذلك السؤال الذى اشتهيت أن ألقيه عليك منذ الليلة البارحة: «ماذا يجعلك أيها الشاويش مستعداً أن تموت؟»

ولكنى أعرف أن من المستحيل توجيه مثل هذا السؤال، فإنه خليق أن يسىء إلى حيائك وخجلك فلا تعفو أبداً عنى، ومن أجل هذا سأحاول أن أهتدى إلى الجواب بأن ألقى عليك أسئلة تبدو كالعبث:

«قل لى، لماذا تطوعت؟».

وإذا كنت قد فهمت ما قلت فإنك أنت لا تكاد تدرى، فقد كنت كاتب حسابات فى برشلونة، ولم تكن تعنى كثيراً بالحرب، ثم تطوع صديق لك، ثم ثان، فأقلقك أنك تعانى تطوراً غريباً، وبدت لك أعمدة أرقامك فى دفاتر حساباتك عقيمة، وكأنما مسراتك، وعملك، وأحلامك كلها من مخلفات عصر آخر.

وحتى هذا لم يكن ذا قيمة، حتى كان يوم قتل فيه صديق لك على جبهة ملقة، ولم يكن صديقاً تفديه بحياتك، ومع ذلك هب عليك الخبر كأنه ريح من البحر. وفى ذلك الصباح نظر إليك صديق وسأل: «أتتطوع أم لا تتطوع؟» فقلت: «نتطوع».

ولم تفكر قط تفكيراً حقيقياً فى هذا الهاتف الذى أهاب بك، فلم يسعك إلا أن تستجيب له، وإنما تقبلت حقيقة لا تستطيع أن تعبر عنها، ولكن بداهتها استولت عليك

وقهرتك ، وبينما كنت أصغى إلى قصتك ، تمثلت لذهنى صورة ففهمت .

فحين يرحل البط البرى أو الإوز البرى فى موسم هجرته يرتفع مدٌّ غريب فى المناطق التى تجتازها ، فترى الدواجن تثب فى الهواء قدماً أو قدمين وتحاول أن تطير كأنما سحرها السرب العظيم ، وكأنما يدعوها صوت البرية ويحزها بمثل سن الحربة ، وتسرع دماؤها فى عروقها من بقية وحشية كامنة فيها. وكذلك الإنسان ، يستحوذ عليه شعور خفى بالحقيقة الأصيلة ، فيفطن إلى باطن حياته الآمنة الوادعة .

وهذا الذى أهاب بك فحرك نفسك يعذب الناس جميعاً ، وسواء أسميناه التضحية أم الشعر أم المغامرة، فإنه هو الصوت بعينه . وقد أجبت نداءه أيها الشاويش دون أن تعنى نفسك بمحاولة فهمه ، ودقت الساعة التى لا بد أن ترتفع فيها إلى السماء ، وشعرت ، كما شعرت دواجن المزرعة ، أنك قد جرفتك تلك الهجرة الباطنية التى لم ينبس أحد قط بكلمة عنها لك .

وماذا كنت تبغى ؟ ماذا كانت أيها الشاويش الأحلام والصور التى تراءت لك ، وسوغت عندك المخاطرة بحياتك فى تلك المغامرة ؟ بحياتك التى هى كل ما تملك !

لقد ثارت بك الريح هوجاء ، واستولدتك الأمير النائم الذى تكنه — الرجل الذى تنطوى عليه . وإنك لند للموسيقى الذى يصوغ لحنه ، وللعالم الطبيعى الذى يوسع نطاق المعرفة ، ولكل هؤلاء الذين يمهدون الطريق التى نجتازها إلى النجاة والخلاص ، وأنت الآن حر ولك أن تقامر مع الموت ، وماذا معك الآن مما تخشى عليه الخسارة ؟

* * *

ما من إنسان يستطيع أن يتنفس نفساً حراً إذا كان لا يشاطر غيره من الناس مثلا أعلى نزيهاً مشتركا . وقد علمتنا الحياة أن الحب ليس أن ينظر بعضنا إلى بعض ، بل أن نمد بصرنا معاً فى اتجاه واحد . وليس ثم زمالة إلا إذا كان هناك اتحاد فى جهد سام واحد . وهذا لا بد أن يكون كذلك حتى فى عصر رخائنا المادى ، وإلا فكيف نفسر السعادة التى نشعر بها حين نقتسم آخر كسرة من الخبز مع غيرنا فى الصحراء ؟ وما من عالم اجتماعى يستطيع أن ينقض هذه الحقيقة . وكل طيار خف إلى نجدة زميل له منكوب يعرف أن كل المسرات عبث بالقياس إلى هذا .

ولعل هذا هو السبب فى أن العالم اليوم يتداعى وينقض حولنا ، وهذه الغاية التى تعدنا بها أدياننا هى التى تلهب نفوس الناس اليوم . وكلنا يعرب بألفاظ ينقض بعضها بعضاً

عن هـذا الباعث السامى بعينه . وليست غاياتنا هى التى تثير الخصومة بيننا — فإنها كلها تستوى وتتماثل فى النهـاية — بل أساليبنا التى هى ثمرة التفاوت والاختلاف فى تفكيرنا .

وإذا كانت غايتنا أن نفهم الإنسان ونوازعه ، فإنه ينبغى أن لا نضع حقيقة إنسان ضـد حقيقة إنسان آخر . وإذا أردنا أن ننجح فى فهم ما هو جوهرى فى الإنسان ، فإن علينا أن ننحى الأهواء والشهوات التى تفرقنا . وليس أسهل من أن نقسم الناس إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وإلى حُدب ومستقيمى الظهور ، وإلى فاشيين وديمقراطيين — وهـذه تعبيرات صحيحة كلها ، ولكنا نعرف أن الحقيقة تؤدى إلى الجلاء والبيان لا إلى الإختلاط والغموض . والحقيقة هى اللغة المعبرة عن الروح العالمى .

ولهذا لا فائدة من البحث فى المذاهب . والذى نحتاج إليه جميعاً هو أن نتحرر ، والرجـل الذى يضرب بفأسه الأرض ، يطلب أن تكون لضربته ثمرة ومؤدّى . وثم فرق بين ضربة فأس من يد سـجين وضربة فأس من يد باحث منقب ، لأن ضربة السجين ليست بذات معنى . وليس السجن مجرد قيد فظيع ، وإنما استعمال الفأس لغير غاية هو السجن .

وكلنا تنازعنا نفوسـنا أن نهرب من السجن ، ويشعر الناس جميعاً ، على تفاوت بينهم فى الإدراك ، بالحاجة إلى أن يكونوا أحياء ، ولـكن معظم الوسائل إلى ذلك ليست سـوى شراك وأوهام . وفى الوسع ابتعاث الحيـاة فى النـاس بإلباسهم أزياء عسكرية، ودهوزة أناشيد الحرب فى أشداقهم، وهذه إحـدى الوسـائل لمؤاكلة الزملاء ولمعرفة ما يبتغون ، وهو الشعور بشىء عام عالمى . ولـكن للموت جنوداً من هذا الخبز

ومن السهل التنقيب والـكشف عن أصنام خشبية ، ونشر أساطير عتيقة مثل الجامعة الجرمانية أو الأمبراطورية الرومانية .

ولـكن هذه الأصنام من أكلة اللحوم . وإن الرجل الذى يلقى حتفه فى سبيل تقدم العلم أو ليشفى المرضى ، ليحيى فى موته ، أما الحرب الحديثة فتهدم ما تزعم أنها تغـذيه وتربيه . ولم تعـد الحرب التى اتخذت من الغازات والقنابل سلاحاً ، حرباً بل صارت نوعاً من الجراحة الدموية ، فإن كل فريق يحتمى بجدار من الأسمنت المسلح ولا يعرف عملا أولى به وأخلق من أن يرسل ليـلة بعـد ليلة ، أسراباً من الطائرات تضرب الفـريق الآخر وتمزق أحشاءه ، وتنسف مصانعه ، وتشل إنتاجه ، وتعصف بتجارته .

وهـذه حرب يكسبها من يكون آخر

من يبلى — ولكن الفريقين فى النهاية يصيبهما البلى :

ونحن نحنّ إلى الزمالة والإخاء فى عالم صار صحراء ، وإن مذاق الخبز الذى نأكله مع الزملاء والرفقاء لهو الذى يجعلنا نتقبل قيم الحرب ، ولكن هناك وسائل أخرى غير الحرب تكسبنا دفء السباق ، كتفاً إلى كتف ، إلى غاية واحدة . ولكن الحرب أوقعتنا فى شركها ، وليس بصحيح أن البغضاء تضيف شيئاً إلى مجد الجنس .

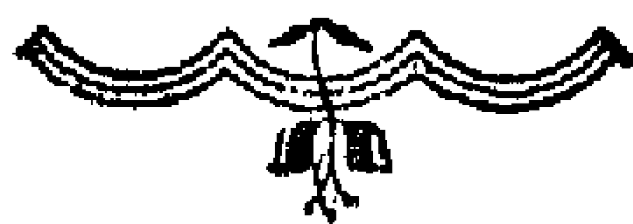
لماذا يبغض بعضنا بعضاً ؟ إننا جميعاً نحيا لغرض واحد ، وقد ولدنا على كوكب واحد ، ونحن جميعاً نواتىّ ، سفينة مفردة . ويكفى لتحرير الإنسان أن يساعد بعضنا بعضاً لندرك أن هناك غاية يسعى لها البشر جميعاً ، فلماذا لا نسعى لها معاً ما دامت هى التى توحد صفوفنا جميعاً ؟ إن الجراح لا يجعل باله إلى توجع مريضه ، لأنه ينظر من وراء هذا الألم إلى الرجل الذى يحاول أن يشفيه ، وهذا الجراح يتكلم لغة عامة ، وكذلك العالم الطبيعى حين يتدبر تلك المعادلات التى تشمل الكون كله من الذرة إلى السديم . حتى الراعى البسيط الذى يجعل غنمه قيد عينه تحت النجوم قد يهتدى ، متى فهم الدور الذى يؤديه ، إلى أنه أكبر من خادم ، وأنه حارس ، وكل حارس من الرجال مسئول عن الدولة كلها .

ولن نشعر بالسعادة إلا متى عرفنا دورنا فى الحياة مهما بلغ من هوان شأنه ، ولن نحيا فى سلام ونموت فى سلام إلا بهذا الإدراك ، لأنه هو الذى يكسب الحياة والموت معناها .

* * *

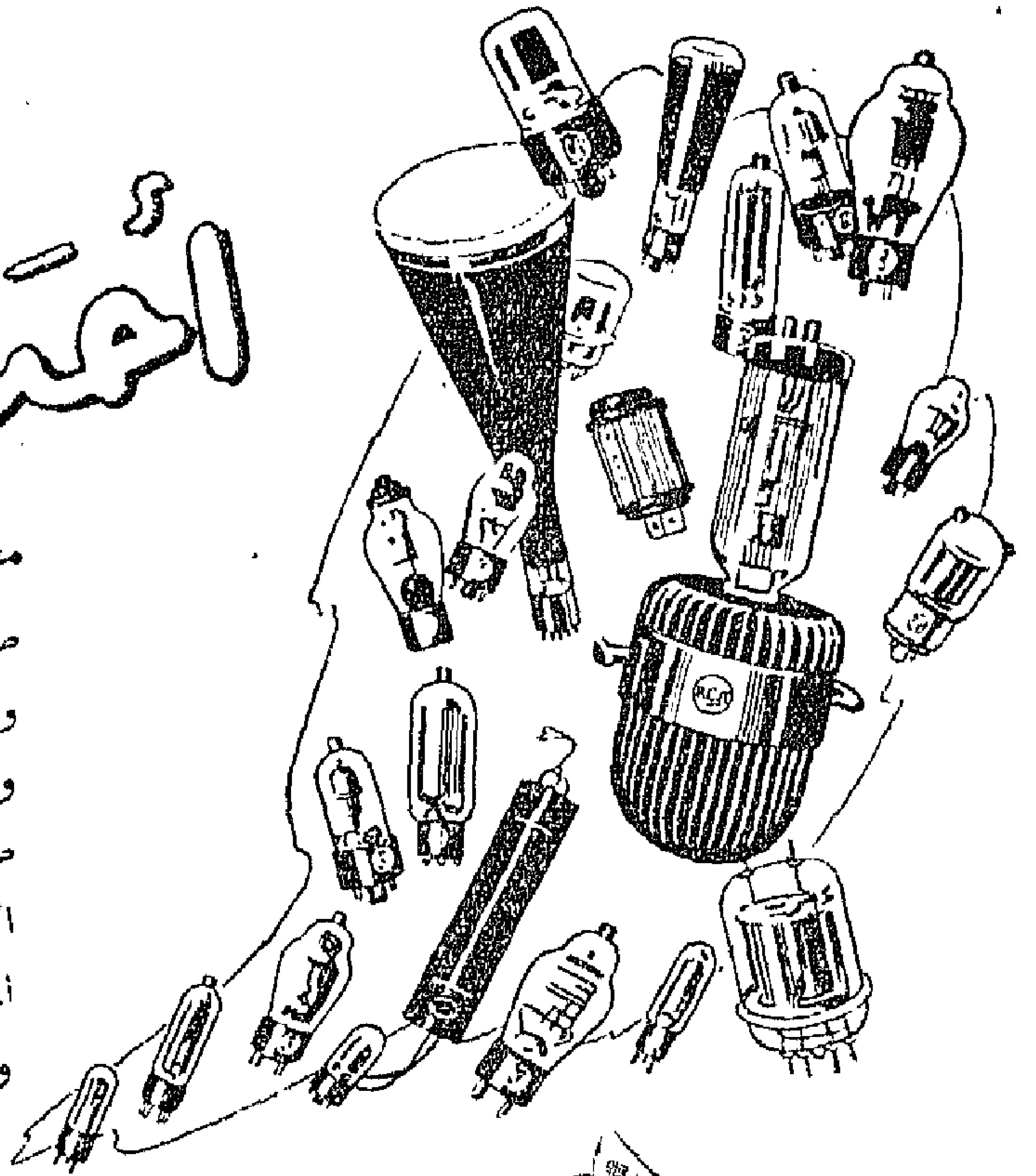
وليس من الضرورى — لكى يبلغ الإنسان رشده ويستوفى حظه من النضج — أن يقتل حول مدريد ، أو أن يقود طائرة بريد ، أو أن يجاهد وهو كليل مجهود فى الثلج ، احتراماً لمقام الحياة وكرامتها . فإن الرجل الذى يستطيع أن يرى الإعجاز فى قصيدة ، ويستصفي السرور من الموسيقى ، ويؤاكل الزملاء ، ويفهم — مثل بارك العبد — حاجة الأطفال إلى الخفاف الذهبية ، هذا الرجل يفتح نوافذه لنفس الريح المنعشة من البحر ، ويتعلم هو أيضاً لغة الرجال .

ولكن ما أكثر الذين لا يوقظون ! فما يخلق الرجل إلا الروح متى جرى نفسها على الطين !

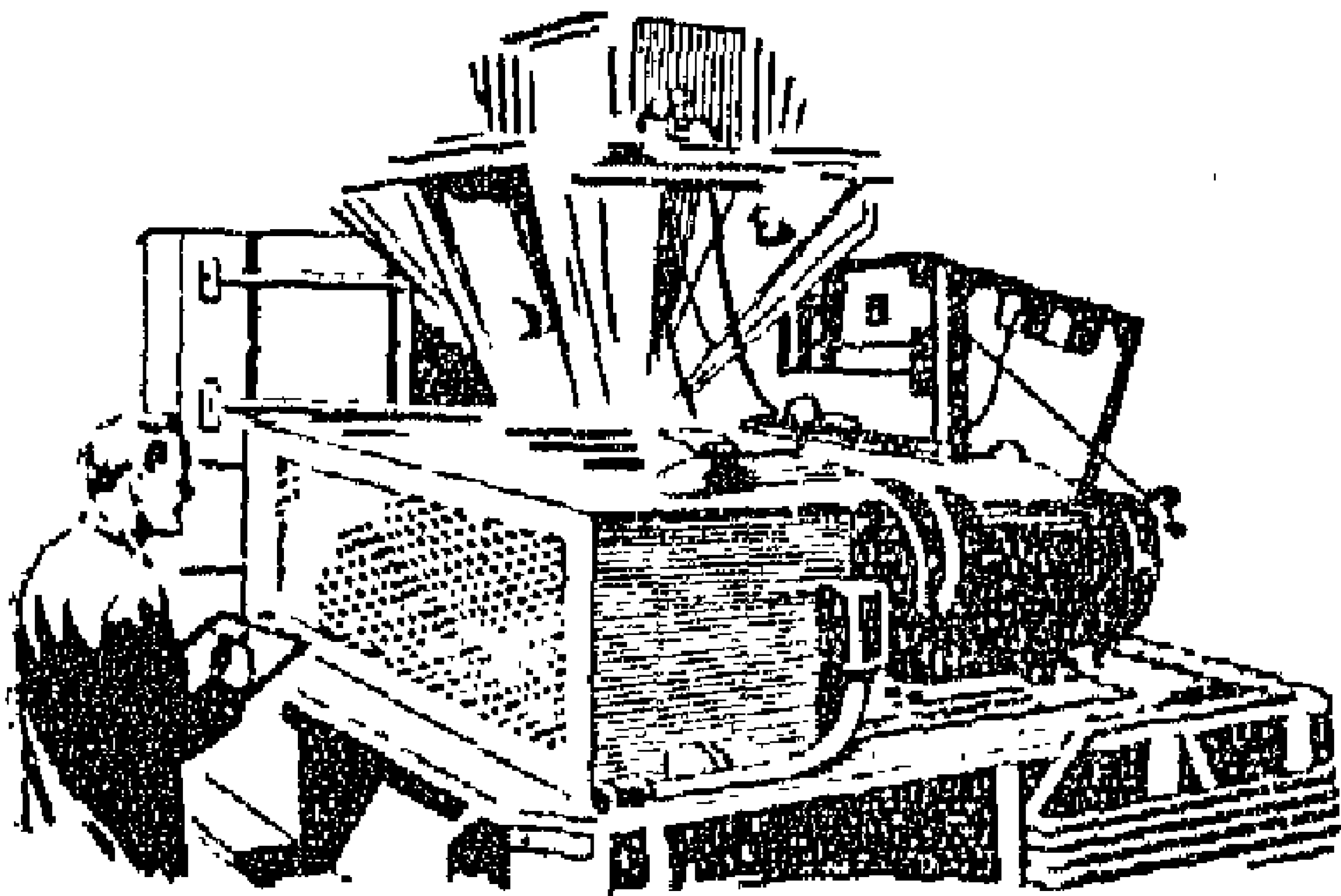


RCA تقـــدم

أحدث مبتكراتها



مصباح علاء الدين فى المستقبل القريب : تقوم صمامات RCA الاليكترونية بمعجزات فى الصناعة والعلم ... إنها ترى ، وتشعر ، وتشم ، وتذوق ، وتعد ، وتسمع ، وتتذكر ، وتتكلم . وهناك صمام RCA اليكترونى خاص لكل غرض . وهذه الأدوات تستعمل الآن لتأييد قضية الأمم المتحدة ولكنها ستشارك فى تأييد السلام وإنشاء عالم أفضل فى الغد القريب .





يمكنها أن تهز منزلك : صنعت RCA أجهزة تهتز اهتزازاً قوياً ، لتبين مواطن الضعف فى الأجهزة اللاسلكية للطائرات وتوقيها . فكذلك تستطيع شركة RCA أن تتقى الأجهزة اللاسلكية للطائرات قبل استعمالها . وهذه الأجهزة لها أعظم شأن في توسيع آفاق المواصلات والمخاطبات .

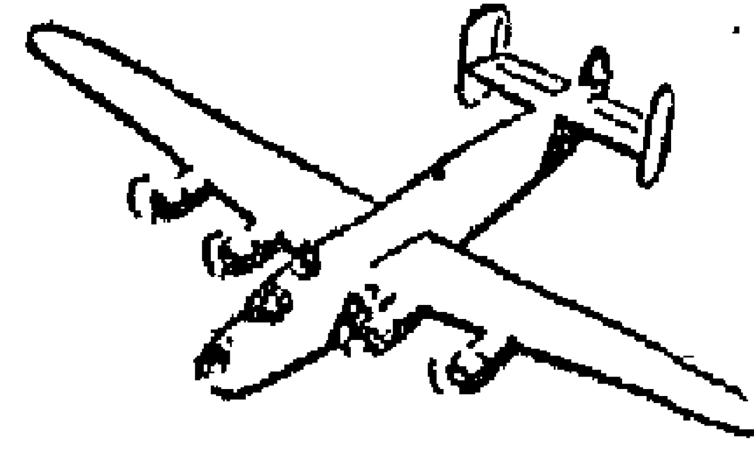
الفتنة دائماً جديدة : فتنة ديانا دوربن نجمة شركة وارنر السينمائية وكذلك الشخصيات المحبوبة الأخرى تسجل فى هوليود ثم تعرض فى مسرحك المفضل باستعمال أجهزة RCA فوتوفون . إن المهارة الهندسية التى أتقنت صمامات RCA الاليكترونية وسائر أجهزة الراديو الحديثة تطبق فى أساليب RCA لتسجيل الفيلم والصوت بالمسرح .



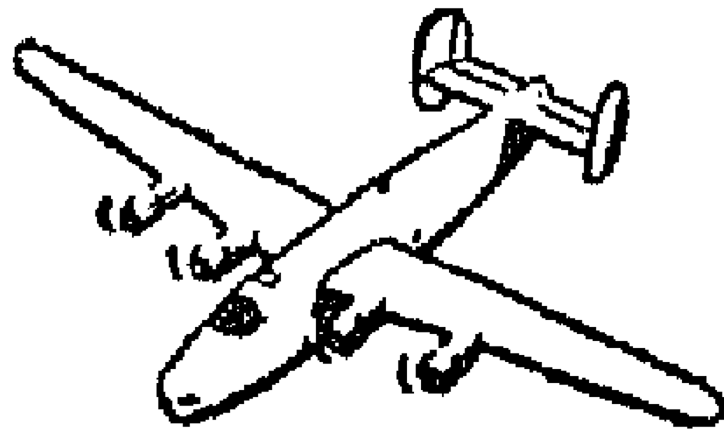
RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA Victor Division, Camden, N. J., U. S. A.

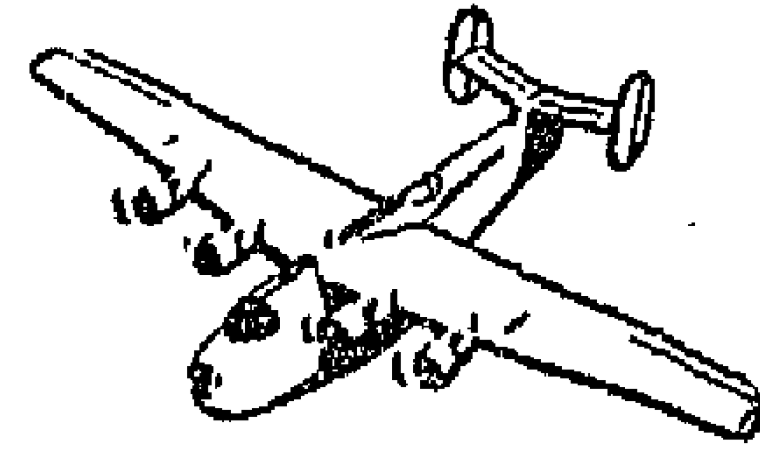
من " الجيب " الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



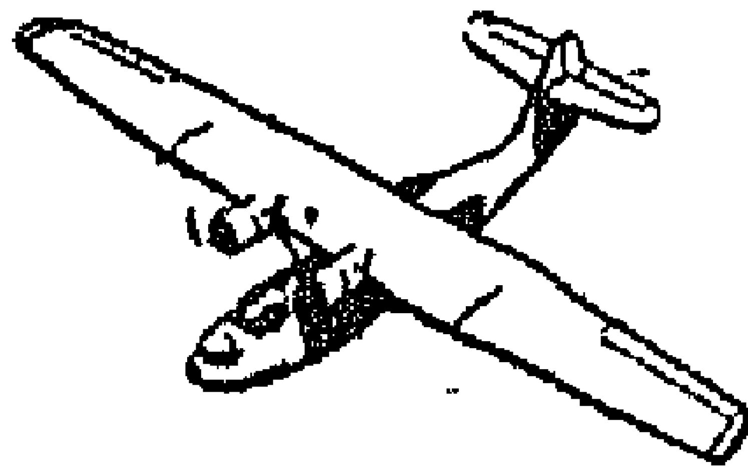
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



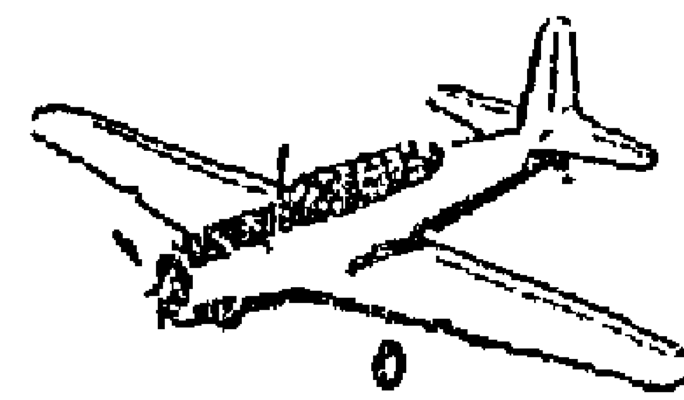
ليبريتور أكسبرس — طائرة نقـــل



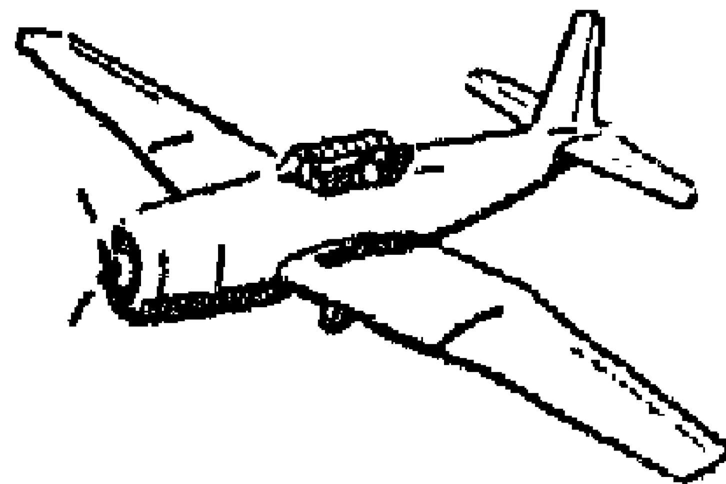
كورونادو — قاذفـــة داورية



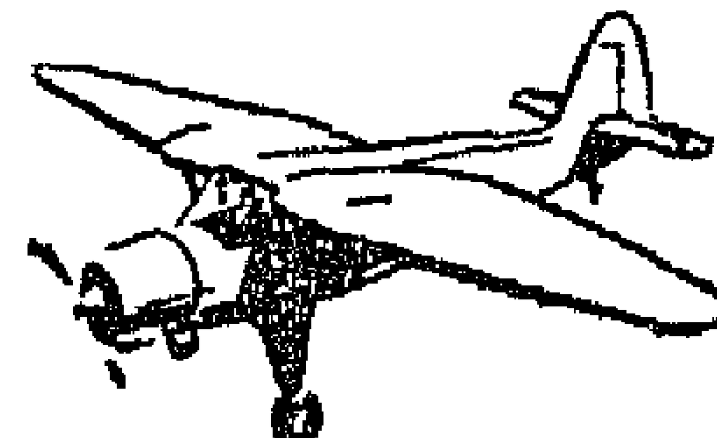
كاتالينا — قاذفـــة دورية



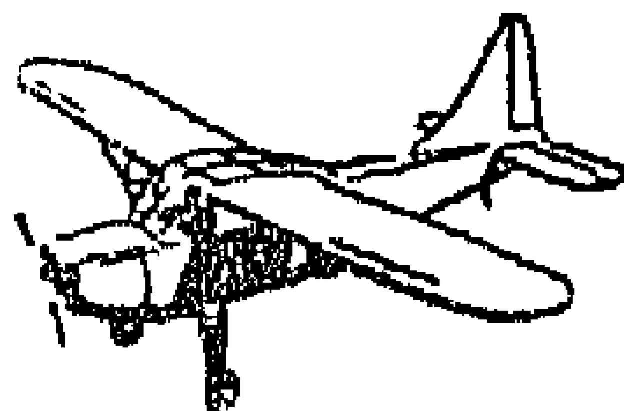
ڤاليانت — طائرة تدريب أسـاسية



ڤنجنس — قاذفة انقضـاض



ريليانت — طـائرة تدريب للملاحة



سـتينل — « الجيب » الطائر

حين تحرز النصر ، ســتكون شركة كونسوليديتيد فولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif. | Fort Worth, Texas | Wayne, Mich. | Nashville, Tenn.
Vultee Field, Calif. | New Orleans, La. | Dearborn, Mich. | Elizabeth City, N. C.
Tucson, Ariz. | Louisville, Ky. | Allentown, Pa. | Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية

القطن المصرى

ذو الشهرة العالمية
فخر شركة مصر للغزل والنسج

فإن مصانعها العظيمة بالمحلة الكبري تستهلك حوالى نصف مليون قنطار من القطن المصرى وهى تعمل ليلا ونهاراً لسد حاجة المدنيين فتقدم لهم أفخر الأقمشة وأمتن الملابس الداخلية والجوارب والقطن الطبي والبطاطين وبكر الحياكة ، خلاف منسوجات الصوف والكتان الفاخرة .

وهى مصانع ضخمة مشيدة على أكثر من ٧٠٠ر٠٠٠ متر مربع ويعمل بها ٢٦ر٠٠٠ عامل مصرى باشراف مهندسين مصريين .

وعندما يعم السلام ستعمل شركة مصر للغزل والنسج على توفية جميع الطلبات المتزايدة على منتجاتها فى مصر والأقطار العربية الشقيقة .



شركة مصر للغزل والنسج

أكبر مؤسسة للغزل والنسج فى الشرق



س.ت ١٠

تقدم
جنرال موتورز
في جميع أرجاء الشرق الاوسط
الى ذوى السيارات من صنعها
وقاية قطع التغيير الاصلية
والخدمة الفنية الصحيحة

GM
جنرال
موتورز

شفروليه
بويك
اولدزموبيل
بونتياك - كديلاك
فوكسهول - نقالات
جي ام سي وبدفورد

يعلم مالكو سيارات جنرال موتورز اننا حتى فى هذا الظرف الذى كرسنا فيه كل مجهوداتنا للانتاج الحربى لم ننس زبائننا من المدنيين وتبذل جنرال موتورز كل ما فى وسعها للاحتفاظ بسيارتك عاملة - إلى ان يحين اليوم الذي تستطيع فيه أن تقدم اليك مجموعة من السيارات أحدث وأفضل من سابقاتها .

شركة جنرال موتورز للشرق الأدنى المساهمة
القاهرة — القطر المصري — الاسكندرية



إنّ تصميم وبناء الجرار الحربى "4 - M" بالاشتراك مع قسم المهمات بالجيش الأمريكى لمثل واحد على ما أتيح لنا من ضروب المساهمة فى سبيل النصر .

وإن المهارة الفنيـة والموارد التى مكنتنا من تلبية طلبات الجيش الدقيقة فى أقصر مدة ، لتتجلى فى زحاف ديزل «أليس شالمرز» ذى الدورتين الذى يعمل دون توقف حيثما وجدت طرق جديدة للتمهيد والرصف . وتتبين أيضاً هذه المهارة فى آلاف من جراراتنا الزراعية وآلات الحصاد وغيرها ، التى تعمل الآن فى إنتاج الأغذية التى تمس إليها الحاجة فى كثير من أنحاء العالم .

وقد تعلمنا من بناء الآلات للحرب أشياء كثيرة مما سيساعدنا على بناء آلات أجود للسلم . وسوف يتمكن «أليس شالمرز» عن طريق استخدام أساليب جديدة فى الصناعة، وطرق مستحدثة، وسبائك معدنية طريفة ، من إنتاج جرارات وآلات تضرب أرقاماً قياسية أخرى فى الكفاية والمتانة وطول البقاء .

إن بيع وتوزيع آلات « أليس شالمرز » التى تبنى الطرق ، وآلات الزراعة ، هى فرص عظيمة فى وقت السلم للمتعهدين الممتازين الذين يرغبون فى تمثيلنا ، ونحن نرحب بكافة الاستعلامات .

ALLIS - CHALMERS

[illegible] TRACTOR DIVISION, MILWAUKEE, U.S.A.

أليس شالمرز

منتجو آلات [illegible]

٨٠ جنيهاً

لتشجيع طلاب الصحافة العربية

تقدمها مجلة "المختار"

معهد الصحافة

كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول بالقاهرة

تمنح مجلة « المختار » جائزتين ماليتين قيمة كل منهما عشرون جنيهاً ، بالشروط التالية :

١ — يعين الدكتور محمود عزمى مدير المعهد وفؤاد صروف رئيس تحرير المختار ، موضوعين لبحثين ، يتبارى فى الكتابة فيهما خريجو المعهد .

٢ — يذاع موضوع البحث الأول فى ١٥ أكتوبر ١٩٤٤ وتقدم الرسائل فيه قبل ١٥ ديسمبر ١٩٤٤ . يذاع موضوع البحث الثانى فى ١٥ فبراير ١٩٤٥ وتقدم الرسائل فيه قبل ١٥ أبريل ١٩٤٥

٣ — تكون لجنة المحكمين من الأساتذة خليل ثابت بك ، وأنطون الجميل بك ، وإبراهيم عبد القادر المازنى .

٤ — يمنح صاحب الرسالة الأولى فى الحالين مبلغ ٢٠ جنيهاً مصرياً .

قسم الصحافة

كلية الآداب والعلوم ، الجامعة الأمريكية بالقاهرة

تمنح مجلة « المختار » جائزتين ماليتين قيمة كل منهما عشرون جنيهاً لطالبين من طلاب الصحافة العربيـة فى قسم الصحافة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بالشروط التالية :

١ — على كل طالب (أو طالبة) يرغب فى الالتحاق بالسنة الأولى من قسم الصحافة ، أن يكون حائزاً على التوجيهية المصرية أو « ماتريكوليشن » جامعة لندن أو ما يعادلهما .

٢ — إذا كان حائزاً على شهادة « ماتريكوليشن » أو ما يعادلها فيجب أن يثبت لإدارة الجامعة أنه يجيد اللغة العربية .

٣ — تقدم الطلبات إلى مكتب التسجيل فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة قبل منتصف شهر سبتمبر ١٩٤٤ فتختار إدارة الجامعة أولى الطلاب بهاتين الجائزتين وتخصم قيمتهما من المصروفات المدرسية .

أشياء لا تتغير أبدًا

خلال ٣٠ عامًا

كانت إطارات "چنرال" دائما

جديدة بما في ثمنها من زيادة



شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت

اكرون . أوهايو . الولايات المتحدة

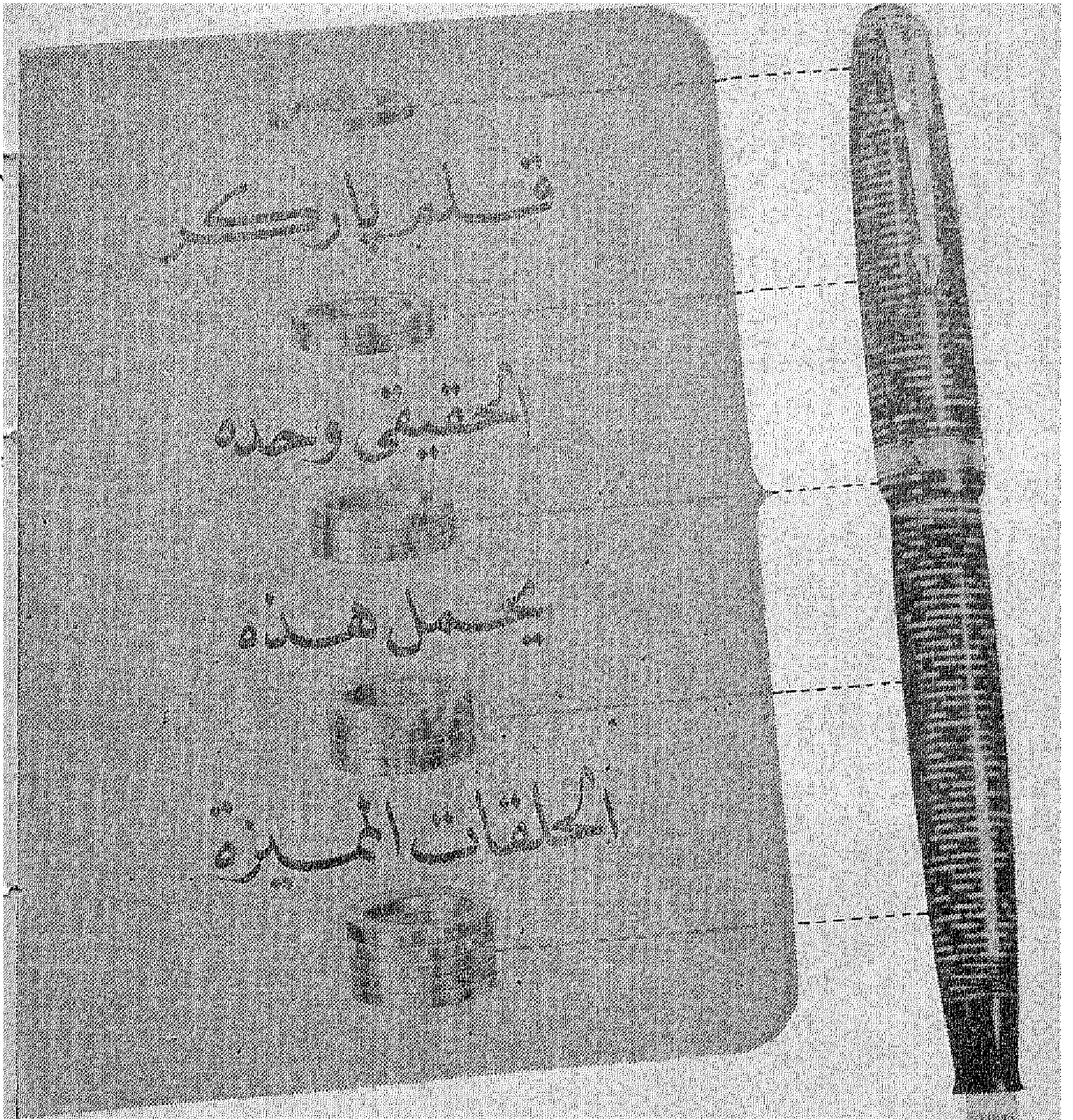
تلغرافيا : جنتيروكو أكرونوهايو

مصانع في الولايات المتحدة

وكندا . ومكسيكو . وڤنزويلا . وشيلي . والبرتغال







لا يمكنك أن تخطئه! ذلك أن قلم « باركر » ڤاكوماتيك هو الوحيد ذو الحلقات المميزة التى تحيط بخزانه اللامع نصف الشفاف فيمكنك أن ترى دائماً كمية الحبر الكبيرة التى يحتوى عليها . هـذا القلم لا يلزم أن يجف أبداً .

وطرف ريشة قلم « باركر » ڤاكوماتيك مصنوعة من الأسميريديوم الثمين فهى ناعمة كالحرير ، متحفزة للكتابة فى اللحظة التى تلامس فيها الورق وهذا يعنى حرية مجيدة جديدة وسهولة فى جميع كتاباتك .

واليوم دع موردك يريك هذا القلم المشهور شهرة عالمية . ولك أن تختار بين خمسة ألوان جميلة ، وتذكر أن الماسة الزرقاء على مشبكه معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .

PARKER

THE PARKER PEN COMPANY
JANESVILLE, WIS., U. S. A.



طائرة ، وطيار ، ورجال القوة الارضيّة
يجب أن يتعاونوا لكسب المعركة

لا شك أنك سمعت الكثير عن طائرات P - 38 والطيارين الذين يقودونها ، ولكن تحت تأثير الظروف القاسية الناشئة عن الحرب الحديثة ، لا يمكنهم الاستمرار فى ذلك دون مساعدة الفريق الثالث ـ وهم رجال القوة الأرضية ـ الرجال الاخصائيون الذين يجددون قدرة الطائرات على القتال ، فقد تدربوا فى المصانع ليس على إصلاح طائرات وحسب بل على إصلاح طائرات لا ينتج .

إن شركة لوكهيد هى أول شركة للطائرات تولت إنشاء مدرسة لتدريب أفراد القوات الأرضية . وهناك أكثر من ١٤٫٠٠٠ رجل دربتهم شركة لوكهيد ، وهم متفرقون فى أنحاء الأرض لإصلاح طائرات P - 38 . ورسائل الأنباء أبلغ مثال فى بيان العمل المتقن الذى يؤدونه .

تذكر أن Lockheed رمز للسبق والتفوق

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U. S. A.

الصنوبر التي تدلى منها الجاويش سكوت إلى الصبح . . . وثم الخور الذى أغمى فيه على الملازم واطسون وقضى ساعات فى الماء البارد .

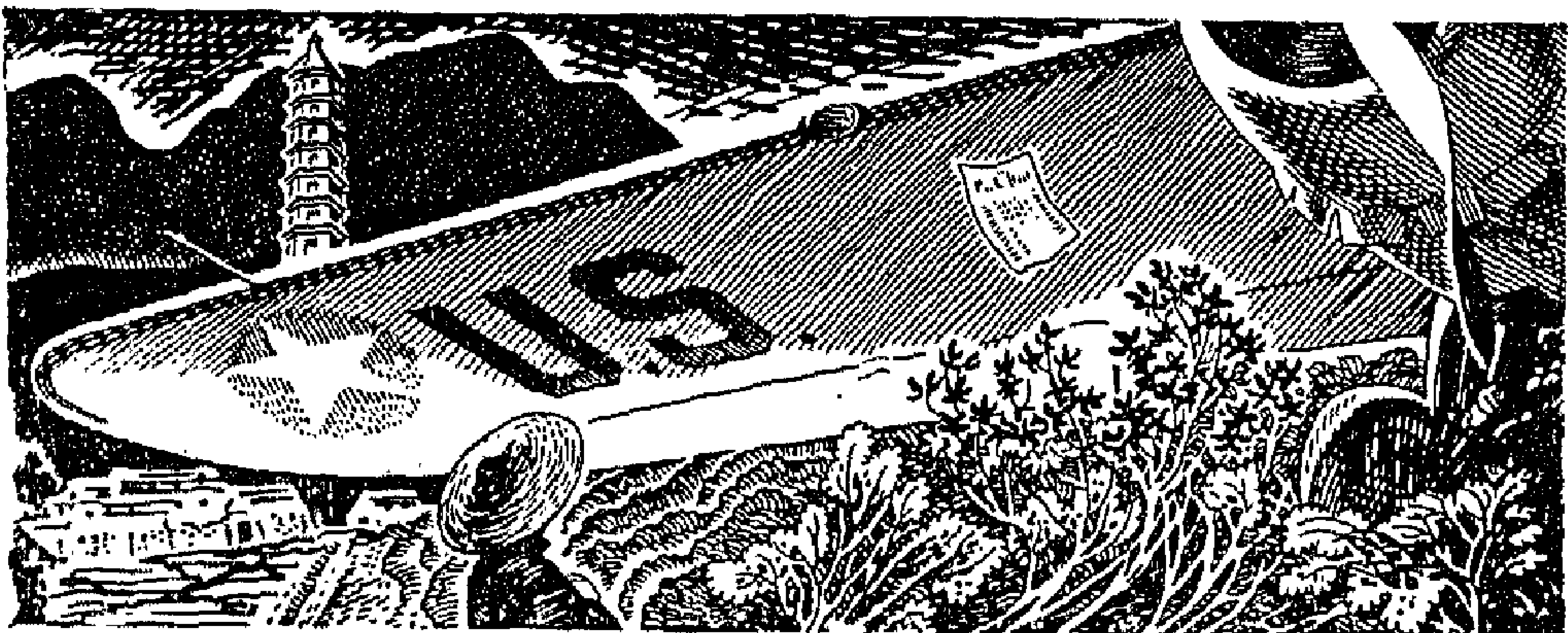
وقال المعلم : « لقد أطعمنا الأمريكيين ونقلناهم إلى حيث يكونون فى مأمن ، ليتسنى لهم أن يقذفوا طوكيو بالقنابل مرة أخرى ، ثم جاء الغزاة الأقزام ، وقتلوا أبنائى الثلاثة ، وقتلوا زوجتى ، وأضرموا النار فى مدرستى ، وأحرقوا كتبى ، وأغرقوا أحفادى فى البئر » . وزمهرت عيناه وهو يقول « وزحفت خارجاً من البئر فى الليل ، حين سكروا ، وقتلتهم بيديّ هاتين — قتلت واحداً منهم بكل واحد من أسرتى ذبحوه » .

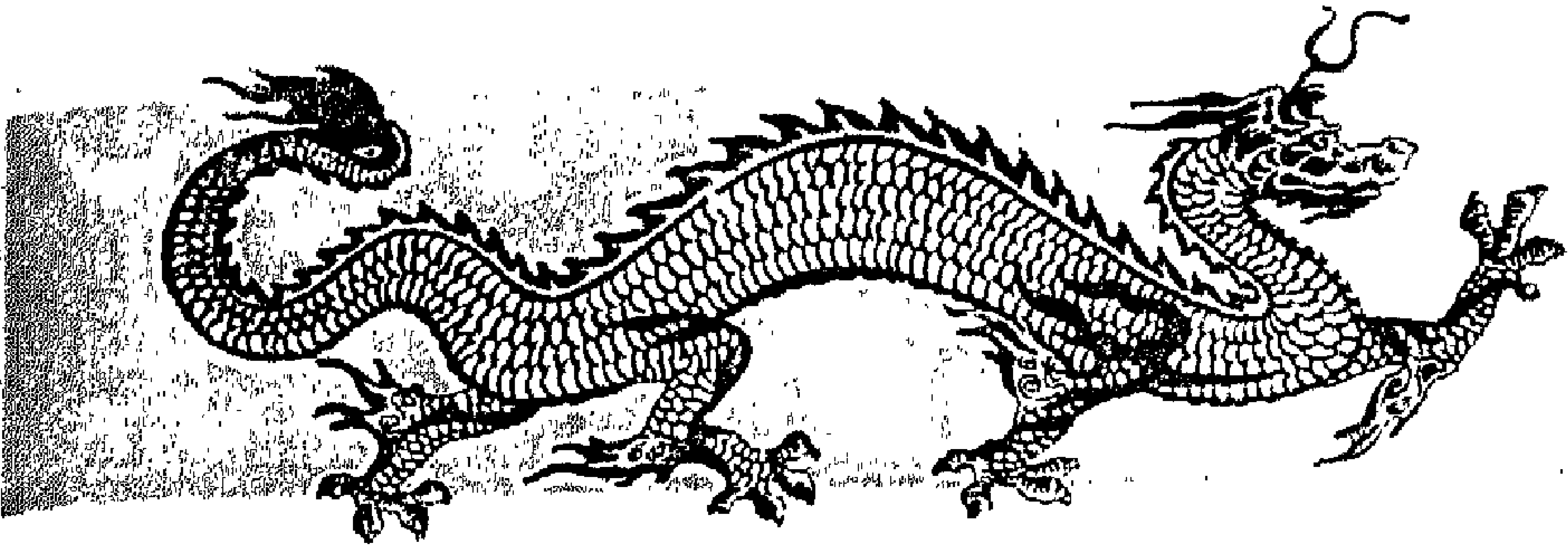
وقعد على جناح الطائرة ، وقال وهو يربت بكفه على الحروف السود الغليظة التى ترمز إلى الولايات المتحدة (U.S) « إن هذا رمز — جسر بين شعبينا — وعنوان لآمال الشعوب فى العالم كله » .

وخفقت قصاصة ورق على جناح النسيم ذلك المساء ، فالتقطتها . وإذا بموجة سرور تسرى فى بدنى ، فقد كان رمزاً آخر — صفحة من غلاف مجلة ريدرز دايجست الصادرة فى أبريل سنة ١٩٤٢ . وقد طارت من إحدى طائرات النقل الأمريكية الآتية إلى الصين ، عن طريق طوكيو فى ١٨ أبريل سنة ١٩٤٢ — ذلك اليوم التاريخى . وقرأت فى فهرسها هذه العناوين : « بابا الصغير لتفينوف » ، « يثمرون ثمارهم — ويحيون حياة أطيب » ، « صورة أمريكى » ، « اسمه المستعار أندى هاردى » . . . هذا إذن ينبوع « ذاكرة » صاحبنا معلم إهوانج العتيق !

وابتسم وقال : « نعم . لقد وقعت على سرى . فإن هذه الطائرة التى غرست بذور الموت فى طوكيو ، قد غرست أيضاً بذور المعرفة هنا فى إهوانج » .

وقد احتفظت بغلاف المجلة وعدت به إلى الولايات المتحدة . ولكن المجلة نفسها لا تزال فى الصين ، فى كوخ معلم هرم ، ولا تزال بضاعتها من الفهم والأمل تنتشر بين الناس فى تلك الجبال الموحشة .





جسر بين الأمم الحشرة

[قسيس بلجيكي المولد ، زاول التعليم فى الصين فى السنوات السبع الماضية وأكتسب الجنسية الصينية]

في خريف سنة ١٩٤٢ قمت برحلة إلى إهوانج ، وهى قرية جبلية موحشة فى إقليم كيانجسى الشمالى بالصين ، وقد دعانى صديقى وانج بوفانج الحلاق ، بلطف إلى القعود على كرسيه الجديد الذى اتخذه بديلا مما لا سبيل إليه ، وهو عبارة عن مقعد قاذف القنابل فى طائرة من طراز ب ٢٥ ، وبينما كان يقص لى شعرى ويسويه ، سمعت أعجب حوار عالمى ، بين القرويين الذين لم يذهب منهم أحد قط إلى ما وراء أقرب تل .

وكان أحدهم يتكلم عن لتفينوف السياسى الروسى ، وآخر يبدى رأيه فى برنامج زراعى أمريكى ، وثالث يتحدث عن ناثان هيل وأسفه لأنه ليس له سوى حياة واحدة يفتدى بها وطنه ، ورابع يلهج وهو يضحك بسيرة ميكي رونى الغريبة فى السينما — وينطق اسمه « مى شى لونى » .

ولما أعربت عن دهشتى لاتساع نطاق معارفهم اعترف لى معلم التربية — وهو فى الثمانين من عمره ، أبيض اللحية ، ويتكلم الإنجليزية — أنه هو الذى عرّفهم بكل هذا « من الذاكرة — من الذاكرة ليس إلا » وضحك وقال : « ولكن تعال معى ، إلى قمة رأس الفينكس لترى هناك المركبة الطائرة الأمريكية » .

وكان طريق الجبل الذى سلكناه متلوياً كالأفعى ، تكسو نجوده أشجار الصنوبر والأعشاب ، وتشرف على أودية سحيقة تتدفق فيها مياه الشلالات . وأشار المعلم العتيق فجأة وقال : « هذه هى ! » فنظرت فإذا أجنحة القاذفة الفضية تلتمع تحت أشعة الشمس الغاربة ، وقد جثمت الطائرة على وسادة من الخضرة اليانعة . نعم . هناك شجرة

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر

٣ قروش

المختار
من ريدرز دايجست

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الثالث عشر (الأول من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المــدير العــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار من ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز، باقية الأثر
السنة الثانيه المجلد ٣ العدد ١٣

القصة التي يرددونها عن قهر الحمى الصفراء، ينقصها أمتع فصولها



باستير أمريكا المنسي

لويس ماتوكس ميلر – ملخصة عن مجلة "ذى كاثوليك ورلد"

الحمى الصفراء إحدى لعنات الدهر في العالم الجديد. كانت في سنة ١٩٠٠ لغزاً عظيما وسفّاحاً فتاكا، على عهدها منذ قرون، أيام كان الإسبانيون الأوائل يصابون «بالقيء الأسود». وقد حال خوف هذه الحمي دون تعمير أمريكا الاستوائية، حتى روّعت بوبائها مدن الشمال إلي كويبك بكندا. وفي صيف سنة ١٩٠٠، كانت هافانا عاصمة كوبا تعاني أشد وباء نزل بها منذ عشرين عاما.

يبيت الرجل سليما معافى، ثم يصبح محموماً. شاحب اللون، تبرّح به الآلام، ثم يعتريه الغثيان الرهيب فيقيء دماً أسود. وأخذ الموت في الناس أخذاً وبيلا، والأطباء ينظرون عاجزين.

وعجز مهرة الأطباء أيضاً، ففي يونيو سنة ١٩٠٠ أرسل جيش الولايات المتحدة لجنة طبية برياسة الصاغ «ولتر ريد» لبحث أسباب الحمى الصفراء، فقضت أشهراً تعمل بغير جدوى، فعزمت أن لاتترك سبيلا إلا سلكته إلى غايتها، فذهبت تزور طبيباً في جزيرة كوبا. لم تكن له عيادة تذكر، وكان يقضي أكثر وقته منهمكا، في كوخ صغير أقامه في فناء داره. وكان شيخاً كث

العارضين ، فى لسانه حبسة شديدة ، وكان مضحكة بين العلماء أنْ كانت له نظرية خاصة.

تلقى الطبيب الشيخ الماجور ريد المشهور وزملاءه فرحب بهم وأكرمهم ، ثم ناول ريد طبقاً فيه قليل من خليط من بقع سود.

ثم قال لهم — وكان اسمه الدكتور كرلوس فنلى: « هذا بيض البعوض العادى، ضعوا فى هذا الطبق ماء ينفلق البيض عن بعوض حىّ، ثم دعوا البعوض يلسع مصابين بالحمى الصفراء ، ثم دعوه يلسع آخرين من الأصحاء الأقوياء . وهــذا هو حــل لغز الحمى الصفراء » .

فكان ذلك تاريخاً يؤرخ ، فلم يمض شهران حتى أثبت ريد بتجاربه الجريئة صدق ما قال فنلى ، ولم تمض خمسة أشهر حتى محت مقترحات فنلى هذه الحمى الصفراء من هافانا باستئصال البعوض . وكذلك وضعت خطة العمل الذى أنقذ أمريكا من هذا الخطر الوبيل .

ولد كرلوس فنلى فى جزيرة كوبا سنة ١٨٣٣ ، لأب إنجليزى طبيب شاب ، من أم فرنسية جميلة . وفى طفولته عانى صنوفاً من الأمراض ، منها اضطراب فى الأعصاب خلف له عُقلة دائمة فى لسانه. وفى الثامنة عشرة من عمره دخل كلية «جفرسن» الطبية بفيلادلفيا ، وتتلمذ للطبيبين الكبيرين والمدرسين النابهين ، الدكتور « جون كرسلى متشل » وابنه الدكتور « س . وير متشل » ، وتعلم منهما فلسفة البحث عن الحقائق فى عناد وفى غير كلال .

فلما نال درجته الطبية فى سنة ١٨٥٥ ، مارس التطبيب فى هافانا ، ودرس فى ليما وفى باريس ، وتزوج « أديلا شاين » ، وهى فتاة إرلندية جميلة شاعرة شديدة التدين . وفى سنة ١٨٦٥ صرف معظم جهده عن التطبيب إلى عمله الحقيقى — البحث الطبى .

وكان فى هافانا مشكلات طبية عدّة تتحدّى مواهبه : فالكوليرا ، والتيفود فى ماء الشرب الملوّث ، وكزاز الأطفال (تيتنوس) ، الذى أطفأ جمرته بتحذير الأمهات أن يضعن نسيج العناكب على سرّة المولود ، ومرض السقاوة أو «الجلاندرز» الذى استأصل شأفته بإغراء الناس أن يمتنعوا عن إيواء خيلهم وأبقارهم فى مساكنهم . أمّا أشدّها وأخطرها فالحمى الصفراء ، إذ كان يموت بها نصف من تصيبهم على الأقل .

فترك فنلى جميع النظريات الشائعة — وهى أدنى إلى الخرافات — وبدأ بدءاً جديداً . فلاحظ أن هذا المرض يكثر فى وهاد الأرض ، وفى موانئ كوبا والمكسيك

والبرازيل ، فعسى أن تكون هذه اللاحظة مفتاح اللغز . ولكن الوباء يظهر أحياناً شديد الوطأة ، في مدن بعيدة عن المنطقة الاستوائية شمالا أو جنوباً . فنيويورك عانت ٢٣ وباء شديداً ، وفيلادلفيا خمسة وعشرين.

وكانت حكومة الولايات المتحدة قد أوفدت أول بعثة طبية إلى هافانا لبحث الحمى الصفراء في سنة ١٨٧٩ ، فانتدب الحاكم الإسباني الدكتور فنلى كي يعاونها . ولم تخرج البعثة من بحثها بشيء يذكر ، فلما رحلت ، ترك أطباؤها عند الدكتور فنلى مجموعة قيمة من صور فوتوغرافية مكرسكوبية لدماء ضحايا الحمى الصفراء ، فكانت نقطة التحول في جهاده .

أكب فنلى على هذه الصور ، فخرج من دراستها بأن الحمى الصفراء ربما كانت تنتقل بالتلقيح — بدم يؤخذ من أوردة مصاب يحقن في أوردة سليم . فأية أداة تبلغ في دقتها حتى تصنع هذا ! وتعمى عنها عيون المرضى والأطباء جميعاً !

وعندئذ ارتاب فنلى في البعوض ، فالبعوضة تنتقل من رجل إلى رجل ، وقلما يعنى أحد بلسع بعوضة . فهنا إبرة مجنحة خاتلة أدق من أية إبرة يصنعها الإنسان . أفهى المجرمة ؟

وبنى فنلى في فناء بيته معملا ، وأخذ يجمع البعوض ويصنفه . ولم يزل دائباً لا يكل يراقب ويستنتج ، حتى خرج بمجموعة عظيمة من الأدلة على إدانة البعوض المنزلى العادى .

ودرس ما كان سبق من أوبئة هذه الحمى ، فوجد أنها كانت تستعر في هافانا وحرارة الجو بين ٢٥° و ٣٠ درجة — حرارة يكون فيها البعوض أنشط ما يكون ، وأنها وقفت بغتة بلا سبب ظاهر ، في ريو دى جانيرو ، حين هبطت الحرارة تحت ١٨ درجة ، وهى حرارة يفقد البعوض معها نشاطه وينعدم ضرره . ووجد أن الحمى نادرة أو هى لا توجد أصلا فوق ارتفاع ٤٠٠٠ قدم ، ولاحظ أن البعوض يندر وجوده على هذا الارتفاع .

وأعلن فنلى نظريته في المؤتمر الصحى الدولى في وشنطن ، في ١٨ فبراير سنة ١٨٨١ . فشغل العلماء ، ثم صار أضحوكة العالم العلمى . فأسموه « طبيب البعوض » و « الملحوس » . فرجع إلى كوبا حزينا ولكن غير فاتر الهمة ، وتابع أبحاثه لا يلوى على شيء .

لم يسد الناس فما تعلمه عن البعوض وحسب ، بل اختط الخطط لاستئصال البعوض من مساحات واسعة . ولما كان يعلم أن المرضى إذا ما برئوا اكتسبوا حصانة ، تولى صنع مصل تجريبى . وفى

سنة ١٨٩٣ حقن بهـذا المصل ١٣ جنـديا إسبانيا من حامية هافانا . ومع أن الوباء انفجر بعد ذلك غير مرة فى هذه المنطقة ، فقد ظل هؤلاء الجند الثلاثة عشر فى مأمن من الداء حتى سنة ١٨٩٥ ، حين وضعت الثورة فى كوبا حدا لتجاربه .

ووقعت الحرب الأمريكية الإسبانية ، فاستعرت الحمى الصـفراء فى هـافانا ، وتهافت فيها الجنود الأمريكيون كما يتهافت الذباب . وفى قيادة الجنرال «ليونارد وود» وضع الجنود على مكاتبهم شموعاً من الكبريت دائمة الاشتعال ، ولـكن فى غير طائل . وفى مطعم الضباط كان الضباط يرفعون كؤوسهم ويقولون : « هذه كأس لذكرى من قضوا نحبهم ، وهذه كأس لذكرى من يلحق بهم» .

وعندئذ أسرعت قيادة الجيش الأمريكى فأوفدت البعثة الطبية ، بعثة « ولتر ريد » وأعوانه الدكاترة « جيمس كارول » ، و« أراستيد أجرامونتى» و«جسى لازيار»

فبعد عشرين سـنة تهيأ لنظرية فنلى أن تمتحن امتحاناً لم يكن يتيسر له . فالبعوض الذى ارتوى من دم المصابين بالحمى الصفراء، سيؤذن له أن يلسع متطوعين أصحاء رضوا أن يغامروا بحياتهم فى احتمال جرعـة قاتلة من المرض ! وحين كان « ولتر ريد » فى وشنطن بدعوة من الحكومة ، سمح سبعة جنود متطوعين لبعوض مفروض أنه ملوث أن يلسعهم ، وكان بينهم الدكتور « جسى لازيار » وطبيب آخر هو « بنتو» ، ومضت أيام فلم تعتر الحمى أحداً منهم .

وألح الدكتور لازيار على أن يستمر البحث ، وأصر الدكتور كارول على أن يلسعه البعوض، فلم تمض عليه أيام حتى أصيب بالحمى وكاد يموت ، ثم أصيب أحد الجنود . ووقعت بعوضـة شاردة على يد الدكتور لازيار وهو فى المعمـل ، فهم بطردها ، ولـكن شيئاً حبسه فأنفذت إبرتها فى جلده . ومات الدكتور لازيار بالحمى الصـفراء فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٠٠

وعاد ريد من وشنطن فبعث فى البحث ورجاله حميَّة جـديدة . وتساءل : كيف تعرَّض تسـعة رجال لاسع البعوض الملوث فلم يصب منهم إلا اثنان وبقى السبعة لم يمسهم سوء ؟ ولماذا نجا لازيار من الإصابة أثناء التجربة ، ثم تصرعه بعوضة شاردة ؟

وجد ريد جواب سؤاله فى جيب قميص كان يلبسه لازيار قبل موته — فى مذكرة كتب فيها الطبيب البطل ملاحظات غاية فى الدقة عن كل حالة وجدها . وقد بيَّن لازيار فى هذه المذكرة : (١) أن البعوض لا يحمل العدوى إلا إذا هو مصّ دم مريض فى الأيام الثـلاثة أو الأربعة الأولى من إصابته .

(٢) أن البعوض لا ينقل الداء إلا بعد أن يحتضنه فى جسمه ما بين سبعة أيام إلى عشرة.

ثم جاء أوان التجارب البارعة التى كانت خاتمة الكفاح .

ففى « معسكر لازيار » الذى أقيم بجوار هافانا تكريماً لذكرى لازيار شهيد الحمى ، انشئت حجرة أقيم فى وسطها فاصل من شباك رقيق ، وعلى جانبى الفاصل اتخذ الجنود المتطوعون مقامهم طوال التجربة . وفى أحد القسمين أطلق الأطباء بعوضاً ملوثاً فلسع المقيمين ، ولم يلبثوا أن أصيبوا بالحمى . أما النفر المعزول عن البعوض على الجانب الآخر فكانوا يتنفسون الهواء نفسه ولكن لم يمسسهم سوء .

وأخذ الأطباء يعيدون التجربة فيعدون من شاءوا بالحمى ، وفى كل تجربة يتضح لهم صدق كل ما قاله الدكتور كرلوس فنلى : إن الحمى الصفراء لا تنتقل من إنسان إلى إنسان إلا بلسع البعوض .

وعندئذ بدأوا يطبقون البرنامج الوقائى الذى رسمه فنلى بحذافيره فى هافانا ، وعينوا فنلى رئيساً لبعثة كوبا الصحية ، وعضواً فى اللجنة القومية للصحة ، ثم بعد ذلك مديراً للصحة فى جزيرة كوبا . واقتدى به كل رجال الصحة فى العالم ، ولا سيما فى أمريكا الاستوائية . وانتفى خطر الحمى الصفراء وطردت من معاقلها القديمة .

وبهذا اختتم فنلى عمل حياته . ففى سنة ١٩٠٩ استقال من منصبه واعتزل العمل وأخذ يضعف ، واشتدت حبسة لسانه حتى صارت فأفأة لا تطاق . وبعد ست سنوات قضاها ضعيفاً منهوكا جاءه الموت فى أغسطس سنة ١٩١٥

قُضى على الحمى الصفراء فهلل الناس . ومجدوا ذكر ولتر ريد ووليم جرجاس وجسى لازيار ، بما استحقوه . أما الدكتور كرلوس فنلى فقد أغفلوا ، وياللعار ، ذكره — ذكر باستير أمريكا المنسى .



● لست أرى الحياة شمعة مضيئة وحسب ، بل مشعلا متوهجاً ، أمسكت به الساعة ، وأريد أن يشتد توهجه ، قبل أن أسلمه للأجيال المقبلة .

[جورج برنارد شو]

علموا أولادكم الحياة

جمال الظلام

عند ما قلت لوالدتي إنني أرهب الظلام أجابتني : « إنك لا تدرين ما في الظلام من روعة وجمال ! »

وألفيتها في تلك الليلة جالسة في غرفتها وقد أطفأت الأنوار فقالت لي : « لا تجلسي معي إلا إذا راق لك ذلك ، إنك لترين في الظلام أشياء كثيرة تفوتك في النهار إذا ما ألفته عيناك » . فجلست معها ، وطفقت تحدثني عن تغير منظر الغرفة في الظلام ، فإن كل الأشياء المألوفة تتخذ شكلا جديداً ، فلا يُرى السرير إلا مكاناً وثيراً تشتهي أن تنام فيه ، ولا يلفتك عنه جمال غطائه الذي يسترعي انتباهك في النهار . ولا يفرق المرء بين مقعد وآخر ، إذ يحيط بكل شيء جوٌّ من الهدوء والراحة .

وفي الليلة التالية جلسنا إلى النافذة ننصت إلى صوت الغناء البعيد المنبعث من الكنيسة ، ونمتع الطرف بأشجار حديقتنا ، وقد لبست غلائل من الثلج تحت ضوء الكواكب الكابي . وكنا كثيراً ما نطفئ الأنوار بعد ذلك لنستمتع بجمال الظلام الساجي الأمين .

قالت لي والدتي تحدثني : « لا يهولنك شيء أبداً ، بل التمسي فيما ترهبين شيئاً عساك تستمتعين به » . ومرت السنون وصارت لي أسرة وأولاد ، وجلسنا ذات مساء نتحدث في بعض ما انتابنا من الخسائر المالية ، وكنا قد أطفأنا الأنوار على دأبنا إذا أردنا أن نصغي إلى الموسيقي أو نفكر في مسألة من المسائل . فتذكرت حديث والدتي ، فقد كنا نخشى الضيق الداهم ، ولكنا حزمنا أمرنا جميعاً على أن نصبر له وأن نستمتع بما عسى أن يأتي به من خير . وصحت التجربة فإن اكتشاف اليسير من المسرات ، والسعادة التي كنا نشعر بها في تكاتفنا جميعاً على أعباء الحياة ، ملأت حياتنا نشاطاً وقوة . نعم ! فإن الدرس الذي تلقيته في طفولتي — وهو أن ألتمس الجمال فيما أرهبه — لم يعلمني أن أواجه المحن في شجاعة وحسب ، بل أن أقدر لها قدرها في الحياة .

[روث . ف . سرجل]

شيء من النظام

أذكر بعد أن جاء جدي وجدتي للإقامة معنا ، أن عرفنا إلى « برميل جدتنا » . كنا كلما سأل أحدنا : « أين ردائي » أو « أين وضعت لعبتي » أجابت جدتنا في بساطة : « هل علقته ؟ ألم تضعها في محلها ؟ إذا كنت لم تفعل فهي في البرميل » .

فكنا نهرع إلى سقيفة الخشب نستعيد أحسن ملابسنا أو كتبنا أو أعز متاع لدينا من ذلك البرميل المشئوم الذى سمرته إلى الأرض حتى لا نستطيع قلبه. فكان أحدنا إما أن يتدلى إلى جوفه، أو يدخل فيه رأسه كى يسترجع متاعه. ولم يمض طويل وقت حتى صرنا نضع كل شىء فى موضعه.

وأرانى اليوم إذا أردت أن أؤجل تعليق شىء من متاعى، أتخيله ملقى فى قعر البرميل. ويعرف أولادى إذا ما تركوا متاعهم فى غير موضعه ما أعنى حين أتهددهم بشراء «برميل». [مسز م. هـ. ثورب]

ربح خمسة بنسات

كنت قد بلغت السادسة من عمرى حين سألت والدىّ، وكانا من مهاجرى رومانيا، عما إذا كان سنى يسمح لى أن أبيع الصحف كأخوىّ الكبيرين. فوافقت والدتى، وهرعت إلى أقرب مكتب لتوزيع الصحف وفى يدى عشرة سنتات، وهى رأس مالى ابتعت به أول بضاعة.

وما إن حل ميعاد العشاء حتى خشخشت فى جيبى خمسة بنسات ربحتها زيادة على رأس مالى، وعدت بها إلى المنزل مختالا فخوراً. واجتمع أفراد الأسرة حولى ونثرت البنسات الخمسة على المائدة، وانتظرت ثناءهم.

وقهقهت إحدى أخواتى بما طبع عليه الصغار من القسوة وقالت: «منذ الظهيرة ولا تكسب سوى خمسة بنسات».

فانكسرت نفسى، ولم يعد لخشخشة النقود ذلك الوقع الجميل عندما جمعتها والدتى صامتة ووضعتها فى جيبها. ثم ذهبت، ولم تزل صامتة، إلى بقال قريب وعادت ومعها رغيف كبير (وكان ثمنه خمس سنتات قبل الحرب العالمية الأولى) وقطعته قطعاً ووزعتها على الجميع ثم التفتت إلى قائلة: «إن بنساتك قد اشترت لنا هذا الرغيف الكبير ولقد ساهمت اليوم فى تغذية الأسرة جميعها».

ولم ينبس أحد بكلمة، وعادت إلىّ خيلائى بما فعلت. ولا أذكر أنى مضغت فى حياتى مضغة أطيب من تلك القطعة من الخبز. [أرفنج جرين]

المختار تقترح

على قرائها، أن يوافوها بنوادر لباب «علموا أولادكم الحياة». فكل نادرة تنشرها، تدفع لصاحبها جنيهين مصريين. ويجب أن تكون مما يبين عن عبرة خاصة، ومما لم ينشر من قبل، وأن يراعى فيها الإيجاز والوضوح. وجميع النوادر التى تنشر تصبح ملكا لمجلة المختار.
العنوان قسم «علموا أولادكم الحياة» المختار ١٦ شارع شامبليون — القاهرة.

هل تمتد الحياة باليونان إلى أن ترى النصر؟



چين م . والسر

ملخصة عن صحيفة " بالتيمور سنداى صن "

تكابد اليونان فى هذا الحرب شقاء لم ترزأ بمثله دولة أخرى ، وإن كان العالم اليوم حافلا بضروب مفزعة من الشقاء . بل قلما شهد تاريخ المجاعات محنة مثل محنتها .

لما دخلت الجنود الألمانية مدينة أثينا فى أبريل سنة ١٩٤١ كان على رأسها قائد نازىّ قد أحنقه ذلك الدفاع المجيد الذى استمات فيه الجيش اليونانى الصغير المهيض الجناح ، فأصدر للشعب مرسوماً يقول : « من كان ثرياً فسيصبح فقيراً ، ومن كان فقيراً فسيهلك جوعاً ! » .

ثم بدأ ينهب كل ما فى البلد من طعام مختزن ، فلم تمض ستة أشهر حتى قضى الجوع على أكثر من مليون شخص من الشعب اليونانى البالغ عدده ٧ ملايين ، ومات كثيرون غيرهم من أمراض يورثها الجوع . وبلغت وفيات الأطفال فى ربيع سنة ١٩٤٢ مبلغاً مخيفاً .

ويقول من يوثق بعلمهم إن مواليد فبراير لم يعمر منهم لشهره الثانى سوى طفل واحد من كل عشرة أطفال . ولم ينزل بدولة قط خطب أفدح من هذا الخطب فى مثل تلك الفترة الوجيزة .

ولعل الأمة اليونانية كلها كانت على وشك الفناء لولا تلك الإمدادات اليسيرة من الطعام والعلاج التى أرسلتها « جمعية إعانة الحرب اليونانية » على بواخر سويدية من الولايات المتحدة وكندا .

وكانت هذه البواخر تحمل مؤونة تكفى ثلاثة ملايين فرد من أفراد الشعب اليونانى الجائع ، فيصيب أحدهم فى يومه ملء جفنة من الحساء ، وخمس قطع من الخبز ، وكان هذا هو غذاؤه ثلاث سنين طوالا .

وحتى المميزون — كالأطفال والنساء الحوامل — كان طعامهم لا يولد إلا

١١٠٠ سعر (كالورى) فى اليوم، على حين أن الحدّ الأدنى لسلامة الصحة هو ٢٥٠٠ سعر فى اليوم. وفى مراكز تغذية الأطفال فى أثينا وثغر بيريه، تعطى ثلاث وجبات فى اليوم للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاثة أشهر وستة، لا تزيد فى مجموعها عن نصف حق من اللبن المجفف، أما الذين تتراوح أعمارهم بين ستة أشهر وأربعة وعشرين شهراً، فيظفرون بوجبة واحدة من اللبن ووجبتين من ثريد رقيق. أما من يكبرهم من الأطفال فينالون هذا الثريد ومعه حصة من الفاصوليا، وهو مقدار من الطعام حسبه أن يقيم الأود.

ووصف مصدر سويسرى صورة هؤلاء الأطفال الجياع الذين يأتون إلى مطابخ الحساء بقوله:

« يدخل الأطفال الصامتون فى هدوء، أغلبهم فى أسمال، وكلهم حفاة، يحملون أطباقاً متثلمة، أو أوعية من الصفيح القديم لينالوا نصيبهم من الحساء. هؤلاء الأطفال لا يجرون ولا يتدافعون، بل يتساندون ويسيرون إلى أماكنهم ويقفون منتظرين، يحدقون فى الجدران بنظرة حائرة. فإذا فرغوا من حمد الله على ما أنعم، أفرغوا ما فى أوعيتهم صامتين، ثم تتبعوا صبابتها لعقاً بألسنتهم، ثم ينصرفون صفاً واحداً، وهم لا يزالون صامتين، ليفسحوا المكان لغيرهم. ولن تقع العين على بؤس شديد أعظم لجيعة من بؤس أطفال أثينا! ».

وفى مبدأ الأمر اشتركت « جمعية إعانة الحرب اليونانية » والحكومة اليونانية فى تحمل نفقات شحن الأغذية، أما اليوم فإن الحكومة الأمريكية تدفع معظم هذه النفقات بفضل قانون الإعارة والتأجير، وتدفع أيضاً أثمان الخضر المجففة واللبن، كما قدمت كندا قمحاً بغير مقابل. أما الأدوية فتصرفها جمعيات الصليب الأحمر فى الولايات المتحدة وكندا.

ومن العسير أن تتصور بأية عاطفة يحيّ الناس تلك البواخر التى تتمثل لهم فيها حياتهم. فترى اليونانيين يخرجون حمولتها بهمة اليائس، فإذا أفرغوا القمح المهيل فى جوفها، قدم أناس فى أيديهم المكانس والمجارف يلتمسون ما تناثر منه، حتى إنهم ليلتقطون حُصَالة الحب بأصابعهم.

والحكومتان الأمريكية والبريطانية مطمئنتان كل الإطمئنان إلى أن هذه الأمداد لا تتسرب إلى العدو، فقد وضع للتوزيع نظام دقيق تقوم به لجنة مشتركة محايدة تحت إشراف جمعية الصليب الأحمر الدولية، تتألف من ١٥ سويسرياً و ١٥ سويدياً. وتتولى ٦٠٠ لجنة من

المتطوعين توزيع الطعام على البلاد الداخلية. ويفحص عن أمر المتطوعين فلا يختار منهم إلا من حسنت سمعته بين عشيرته ، وأغلبهم من القسيسين . وللجنة ٥٠٠ مفتش يزورون كل ناحية توزع فيها الإعانات للإشراف على العمل .

ولما كان الألمان قد صادروا كل وسائل النقل فى اليونان فقد جيء بسيارات أمريكية لحمل الأطعمة إلى المخازن الرئيسية ، ومن ثم توزع بوسائل بسيطة ، فتنقل على ظهور الحمير ، أو فى عربات اليد ، أو على الأكتاف وتحمل بجهد ومشقة صُعُداً فى جبال اليونان المشرفة على أغوار سحيقة .

ونشأت صعوبة أخرى من جراء عدم وجود أجهزة الطبخ ، فاتخذوا مواقد من الصفائح التى تشحن فيها الخضر المجففة واللبن .

ومراكز تغذية الأطفال فى أثينا موكولة إدارتها إلى متطوعات ، عليهن أن يسرن على أقدامهن أكثر من ساعة حتى يصلن إلى مقر عملهن . ويبدأ العمل صيفاً فى الساعة السادسة صباحاً ، إذ لا سبيل إلى حفظ اللبن بارداً فى حر النهار ، ولأن الوعاء إذا ما فتح وجب الإسراع إلى شرب ما فيه من اللبن . وتعود المتطوعات إلى دورهن ليلا فلا يجدن إلا وجبة دون الكفاف .

وما بدأت شحنات الإعانة حتى هبطت نسبة الوفيات فى أثينا من ٢٤٣ إلى ٩٧ فى الألف ، ولكن معاناة ثلاث سنين من سوء التغذية أضعفت من بقى بعدها من السكان فعادت نسبة الوفيات إلى الإرتفاع مرة أخرى . والمعروف أن السواد الأعظم من الأطفال الذين هم دون الثانية عشرة مرضى بالكساح وما إليه من علل سوء التغذية ، وأن الملاريا انتابت ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ شخص ، كما أن للسل ضحايا يتفاقم عددهم .

وثياب جميع السكان أسمال بالية . ونصفهم حفاة وبلا سترة . وقد اضطر حديثاً نائب رئيس المحكمة العليا فى أثينا إلى تفصيل بذلة من آخر بطانية بقيت له .

إن اليونان لتجتاز السنة الرابعة من محنتها ، وقد أعلن أخيراً أن نصيبها من الطعام سيزاد ، ولكن إذا لم يتم تحريرها قريباً فلا مفرَّ من مضاعفة الجهد حتى يظل حياً من بقى من أبنائها .



● الخبير هو من لا يبالى بالهفوات وهو فى طريقه إلى الخطأ الكبير .

[بنيامين ستولبرج]

« ليس ما تقوله ، بل كيف تقوله ، هو الذى له الأثر فى العلاقات الإنسانية »

اضبط صوتك - وشخصيتك !

هيوز ميرنز • • ملخصة عن مجلة « ذى روتيريان »

أعرف نابغة بين الكتاب لا يحصل قط إلا على خدمة سيئة من النُّدُل ، ولا يزال هذا يورثه حيرة ساذجة . وألفاظه مهذبة جدا ، ولكن غلظ صوته وهو يطلب الطعام ، فيه تجبّر مهين ، فيقع فى روع الخادم أنه يقول له : « انظر إلى رفعة محلى وضعة محلك ، وعجل أيها المخلوق العاجز » . وهو على الرغم من اقتداره الغنى فى استعمال اللفظ المكتوب ، لا يدرى شيئاً عن تلك اللغة الأخرى — لغة الصوت.

وقد دلتنى عشرون سنة من البحث فى مسائل العلاقات الإنسانية أن من الأسباب الأولى فى عجز الناس عن حسن المعاشرة ، هذه الحقيقة المجهولة على ما يظهر ، وهى أن لهجة الصوت كثيراً ما تنقل معنى يناقض المعنى الذى تؤديه الألفاظ التى نقولها .

ويقال إن اللغة الصينية تنفرد بمزية هى أن الألفاظ تؤدى معانى مختلفة بحسب حالة الصوت ، من العلو ، أو الاعتدال ، أو الخفوت. واللغة الإنجليزية أيضاً غنية بالمعانى المستفادة من الصوت . بل الواقع أن الناس يمتعضون مما تنطوى عليه اللهجة من المعنى ، أكثر مما يمتعضون من المدلول الحرفى للألفاظ ، فنقول على سبيل الإيضاح « إنى لم أعن هذا » ويسوءنا أن يساء فهم ما نقول .

وأكثر ما يكون سوء استعمال الصوت ، فى العبارات الظريفة التى تشف عن الملل أو الكراهية — مثال ذلك أن تقول سيدة بغير إخلاص : « لشد ما أعجبت بحفلتك ياعزيزتى ! » أو حين تقول بسرعة تخطف الأنفاس : « لقد كان جميلا منك أن تدعينا للتعرف بضيفك الظريف . وقد استمتعنا

[تقوم شهرة هيوز ميرنز على الاعتراف الدولى بوصفه مربياً وعالماً نفسانيا ، وهو عضو سابق فى هيئة التدريس بمدرسة لنكولن الشهيرة ، وظل زمناً يوزباشيا ورئيساً للعلماء النفسانيين فى القسم الطبي التابع لجيش الولايات المتحدة . وهو مؤلف « الشباب المبدع » و « القوة المبدعة » ، وأحدث مؤلفاته « المراهق المبدع » . وقد قالت فيه لجنة من رجال التربية ومديرى المكتبات الأمريكيين إنه خير كتاب فى التربية نشر فى السنوات الخمس والعشرين السابقة . وهو الآن أستاذ التربية بجامعة نيويورك] .

بكل دقيقة . أليس كذلك ياشارل ؟ » . وقد نفدت بيتريس ليللى إلى الصميم من خلال هذه الأستار بما زعموا أنها قالته للدوقة : « لا تتوهمى أن حفلتك لم تكن ظريفة ، فما كانت إلا كذلك ! »

ومن الأمثلة الأخرى لسـوء استعمال الصوت وإفساد العلاقات الإنسانية من جراء ذلك ، صوت المرض الذى يبقى بعد الرجوع إلى حالة الصحة ، ويظل أحياناً إلى الأبد . وصوت الفتيات الذى يحتفظ به بعضهن إلى الكهولة ، فينبو فى السمع . وصوت الاستسلام والصبر الذى هو فيما يحس الأطفال شر من التقريع الصريح . ثم إن هناك صـوت « مشـاغل اليوم » الذى ينقل عمل اليوم إلى مائدة العشاء ، ويجىء بمكتب العمـل إلى البيت .

ولا بد من الإدراك التام لحقيقة اللغـة الصوتية قبل أن يتسنى أى إصلاح شخصى . ويحسن بنا أن نترجم الألفاظ التى نسمعها لنعرف المعانى الصحيحة التى يكشف عنها الصوت . فإن عبارة « كيف حالك ؟ » قد يكون وقعها كقولك « ما ألطفك ! » وقد تقول « كيف حالك ؟ » فيكون معناها فى النفس « اذهب إلى جهنم ! » . وتسأل « هل تتوقع أن يطول غيابك ؟ » فيكون مؤداها « لا رد الله غيبتك ! » . أو تقول « بودى لو نلتقى كثيراً » فتترجم هكذا « لن أراك إذا وسعنى أن أتحاشاك » .

وبعد التفطن إلى هـذه اللغة المزدوجة ينبغى توخى التـدرب على استعمال اللهجـة المنشودة ، وليس هـذا مما يتيسر تكلفه واتخاذه كالإيماءات أو الأصباغ ، فإن الإحساس الصادق يكون عميقاً ، ولا بد من جهـد لإظهاره ، وعرض نفوسـنا على خير نحو فى ألفاظ عادية . على أن هذا الجهد يستحق التعب ، إذا كان يعنينا أن نحتفظ بحسن العلاقات مع من نحبهم .

وخير ما يُؤدى به الإخلاص فى الشئون الاجتماعيـــة التقليدية هو خفض الصوت وتحرى البطء فى الكلام ، ويجب أن تهمل عبارات المجاملة كل الإهمال إذا لم تكن صادرة عن شعور صادق . ومن حسن الحظ أن معظم حوارنا يجب أن يجرى بلهجـة معتدلة كلهجة التقرير ، فلا يشعر أحد أن هناك معانى خفية ، أو غمزات . وشبيه بذلك أن تسأل غريباً « أىّ طريق يؤدى إلى أقرب خط للأوتوبيس ؟ » بنبرات صوت فيه استواء . وكذلك حين يسأل أحد أفراد الأسرة « أين الـبزال (البريمة) ؟ » فإن الجواب ينبغى أن لا ينطوى على تحميل أحد تبعـة عن عدم العـلم بذلك ، أو أن ينبى بالاستياء من السؤال ، أو أن ينطق بالاهتمام

بالغرض الذى يراد استخدام هذه الآلة من أجله ، وإنما ينبغى أن يكون تقريراً للحقيقة فى هدوء .

وليس أجدى من تعرض هــذه اللهجة المستوية فى تخفيف التوتر الذى يحــدث فى حياتنا اليومية ويبدو أثره فى أصواتنا ، فإن هنــاك أوقاتاً تنقل فيها أصواتنا سخطنا على شخص إلى شخص آخر بغير عمد ، فيحتار أصدقاؤنا ويضطربون . أما الصوت المستوى فإنه يلطف حالة توترنا نحن ، كما يلطف أيضاً حالة توتر الغير ، وخليق بحسن استعمال اللهجة المســتوية فى ردودك ، أن يكون له تأثير سحرى فى شخص يتحدث إليك بلهجة عاطفية ، فيها صياح أو أسى .

والخطوة التــالية هى أن تتــدرب على « لهجة الغرباء » . ذلك أنه يحدث فى كثير من الأسر أن يخاطب الضيوف ، بل الغرباء ، بصوت أرق وأتم على المودة ممــا يظفر به أفراد الأسرة أنفسهم . وتصور أن الزوج أو الزوجة أو الطفل ، شخص تلقاه للمرة الأولى فتتخيل الأم مثلا أن ابنها صبى جديد جاء حديثاً إلى هــذا الحى ، وهذا التخيل خليق أن يساعدها على ترك لهجة التقريع الحادة التى صارت عادة لها ، وعلى إفادة لهجة ودية تشيع فى كل كلمة تقولها . وهذا التخيل وســيلة ناجحة ، فترى الطفــل يستجيب بسرعة ، ويبذل طاعتــه فى بشاشة وبشر ، وينضو عنــه الــكلاحة وينسى المقــاومة . أما الزوج فإنه حين يسمع هذه اللهجة من زوجتــه يتذكر ذلك الصوت الرقيق الذى كان ينطق بالاهتمام به ، وتلك النــبرة الضاحكة ، وتلك اللهجة المطمئنة التى تعصف بالهموم ، وما كان منها وما سيكون — وتجعله قانعاً بحاضره السعيد .

إن الذين يحسنون معاملة العمال والخدم والأطفال هم الذين يخلون كلامهم من لهجة التعالى والشــموخ . ولنمثــل لذلك بهيرفى هوايت الذى ظل ثلاثين سنة فى مستعمرته الجبلية بوود ستوك — بنيويورك — يتيح للفنانين والكتاب والموسيقيين فرصاً للإبداع .

وقد سألت هيرفى هوايت عن سر نجاحه العظيم مع الذين حفروا له أخاديده وقطعوا الحجارة لطرقه ، إذ بنوا مسرحه فى الغابات ، فقــال : « إن أى رجل يعمل لى ، يؤدى إلىّ خدمة شخصية ، فأنا لهــذا شكور . ثم إنى أنظر إليه نظرتى إلى خبــير — أى إلى رجل يستطيع أن يحسن عملا لم تهيئنى له تربيتى » ومن أجل هــذا كان الشعور الذى بدا فى صــوته هو الاحترام الصادق لمن يعملون معه .

ولهجة الاحترام والفطنة إلى أن الشخص الآخر يعرف فوق ما تعرف عن شئ ما «

مما يفيدنا أن نتخذ فى صلاتنا اليوميـة مع كثير من الناس .

وقد كانت اللغة الصوتيـة مستعملة قبل أن يخترع الإنسان الألفاظ بألف ألف سنة. ومن الممكن إيجاد صلات حسنة حتى حين تسد الطريق عوائق اللغة . وقد سمعت رجالا لطافاً من الجنس الأبيض يتحدثون بلغتنا مع الهنود الحمر، وكانوا يجيبون بلغتهم ، فإن حسن النية يجد وسيلة للإعراب عنه بغير حاجة إلى فهم مدلول الألفـاظ ، والذين يعملون فى الخدمة الاجتماعية يقولون لى : إن المهاجرين تكفيهم ابتسامة وإيماءة وكلمات مترعة بالترحيب والتحنى والأمل ، لإزالة مخاوفهم أو بواعث قلقهم ، وحملهم على الثقة والاطمئنان وإظهار المودة ، وإن كانوا لا يفهمون كلمة مما يقال لهم .

وخليق بالاستعمال الواعى للغة الصـوت أن يجعل العلاقات الإنسانية أحفل بالخير ، ولهذا أدعوك إلى العنـاية بلغتك الصوتيـة فإنها ميراث قديم للإنسان . واستعرف إلى هذه التى تصيح بأسرارنا وتذيعها على العالم، وعدّل حديثك ، واتخذ لك صوتاً جديداً ، واستعن على رياضـة نفسك بهذه الحقيقـة الكبيرة ، وهى : أنك تفقد شيئاً ثميناً كلما أخفقت فى الإعراب عن شعورك الحقيقي .



مثاوشة

وقف الأميرال يرقب فتى بحاراً كان حديث عهـد بخدمة الأسـطول ، وكان يجهد نفسه فى إنجاز عمله على متن السفينة . فسأله الأميرال :

— ما مدة خدمتك فى الأسطول يا بنى ؟ فقال الفتى :

— شهران . وما مدة خدمتك ؟

فدهش الأميرال ولكنه قال متلطفاً :

— ثلاثون سنة

فقال الفتى وفى لهجته نغمة عطف شديد :

— أليس هذا جحيما ؟ [ت . ا . جنكنز]

● السيّد الكريم هو من يفكر فى شعور الآخرين قبل التفكير فى حقوقه ، وفى حقوقهم قبل التفكير فى شعوره [ماثيو هنرى بكهام]

من صميم الحياة

كاتلين نورنيس

بدأت هذه القصة منذ أمد طويل يوم كنت في الرابعة عشرة من عمري فصحبت أنا وأمي إخوتي الصغار إلى شاطئ البحر لقضاء أيام العطلة . فلقينا ذات صباح على سيف البحر سيدة حسناء معها طفلان : أحدهما « نيد » في العاشرة ، ساكن الطبع ، وقد أخذ يتماثل من سقم ألمّ به ، فكان يقضي معظم وقته لصق أمه التي كانت تقرأ له الساعات الطوال . وثانيهما « توني » طفل وسيم لا تنساه ماعشت . أصغر من أخيه قليلا ، رشيق كالشبل الوليد المرح وله ناصية شقراء متموجة الشعر ، وعينان زرقاوان كزرقة البحر ، لا يدانيه طفل من الأطفال في العدو والغوص والقفز ، فكان الغرباء يقفون ليحادثوه ويقدموا له اللعب والهدايا .

وفي يوم من الأيام قال أخي الأصغر لجماعتنا ونحن على الشاطئ إن توني طفل متبنى . فلما تبادلنا نظرات الدهش والاستغراب لمحت وضاءة رضى وارتياح تشرق على وجه توني الصغير الذي لوحته الشمس .

فقال توني مختالا : « هو الحق يا أماه ، أليس كذلك ؟ لقد أراد أبواي طفلا آخر فذهبا إلى دار كبيرة وتفرسا الأطفال جميعا . ثم قالا : هبونا ذلك الطفل ، فكنته » .

فقالت مسز ويبستر وهي تبتسم ابتسامة راضية « نعم لقد زرنا دوراً كبيرة ، فرأينا في النهاية طفلا جميلا لم نستطع أن ندفع سلطان جماله » .

فقال توني وكان كأنما يروي قصة مألوفة « ولكنهم لم يهبوكما إياه في ذلك اليوم ، فمضيت ترددين وأنت في طريقك إلى الدار : « آمل أن أظفر به — آمل أن أظفر به » .

قالت مسز ويبستر : « نعم . وقد ظفرنا به بعد عدة أسابيع » .

وبسط توني يده لنيد وقال له : « هلم بنا إلى البحر مرة أخرى » واندفع الأطفال اندفاع طيور الماء في الماء .

ثم قالت أمي : « إن المرء ليعجب ، فمن كان يستطيع أن يتخلى عن طفل كهذا » . واستطردت بعد قليل قائلة : « وحين عرف أنه طفل متبنى لم يرعه ذلك » .

فأجابت مسز ويبستر : « بل هو العكس . سره سروراً بالغاً أننا تخيرناه وقد قال لي : « لقد كان حتما عليك أن تحتفظي بولدك نيد وإن كان بنتاً صغيرة سائلة الأنف ،

ولكنك كنت تريدينني أنا ، وقد كنا نتخوف أن نحيطه بالأمر علماً ، ولكنه يحدث اليوم كل إنسان عن نفسه ، لأنه يشعر بأن ذلك يرفع من قدره » .

فقالت أمي : « لقد كانت مكاشفته بالحقيقة أمراً شاقاً ولا شك ! » .

فأجابتها مسز ويبستر : « كلا ! لم نكاشفه على الحقيقة ، فقد كان زوجي ضابطاً مهندساً فكثر تنقلنا وكان كل إنسان يحسب أن تونى ونيد كلاهما ولدانا . ولكن حدث منذ ستة أشهر ، عقب موت زوجي ، أن لقيت أنا والولدان صديقة لم أرها منذ سنين فهشت لهما وبشت وقالت أيهما الطفل المتبنى يا ماري ؟

« فغمزت قدمها بقدمي ، فغيرت لساعتها مجرى الحديث ولكن الطفلين سمعاها ، فلما تركناها ألحاعلىّ مستفسرين واضطررت أن أخبرهما جلية الأمر ، بعد أن أحطته من الخيال بما قدرت عليه ، وها أنت ترين عقبى ذلك » .

فقلت لها : « إن تونى لا يروّعه شيء » .

فقالت أمه مبتسمة : « نعم لا شيء ، وقد عمل جهد طاقته على أن لا يدع نيد يشعر بأي ألم من آلام الغيرة ، لأنه ، وهو الأصغر ، كان أقوى بنية » .

فقالت أمي ، وهي التي خصت بتدليلها أحد أبنائها الأربعة : « إن نيد هو مدلل أمه » فقالت الأخرى : « نعم ، ولكنه كان مدلل أبيه أيضاً ، لأن حسرته على موت أبيه هو الذي جرّ عليه مرضه الطويل » .

وجلست أنا وأمي في اليوم السابق لرحيل آل ويبستر مع مسز ويبستر على شاطئ البحر منفردين . فقالت أمي انها لم تر في حياتها مثل ما رأته في نيد النحيل الرقيق من حب وتعلق ووله بأمه .

فقالت مسز ويبستر : « إنك إذن تثبتين لي أنني نجحت » .

ثم استطردت في حديثها كمن يجيب على نظرات أمي الحائرة قائلة : « إنك من الأمهات اللاتي يدركن حقائق الأمور ، وإني لأود أن تفهمي جلية الأمر . إن تونى هو ابني أنا ، أما نيد فهو الغلام المتبنى » .

فعلقت أمي أنفاسها دهشاً .

ثم قالت مسز ويبستر : « إنني لو ذكرت لنيد أنه هو الطفل المتبنى لقضى ذلك عليه . فكان حتما علىّ أن أفعل ما فعلت ، ففي ذلك حياته وعزة نفسه وطمأنينته . أما تونى فقد كان طفلا قويا معتمداً على نفسه لا يزلزله شيء » .

* * *

أجل ، كان ذلك منذ زمن طويل ، ثم كان الصيف الماضي ففي أحد فنادق

سان فرانسسكو جلس يتغذى على كثب منى رجل مديد القامة قد وخزه الشيب فى ثياب ضباط البحرية الأمريكية برتبة كابتن . فجعلت أتفرس قسماته الجميلة ووجهه المتألق بالذكاء ، ثم قصدت مائدته وسألته : « ألست انتونى ويبستر ؟ » نعم ، لقد كان هو ، وتذكر ضيفنا ذلك على شاطئ البحر يوم كنا صغاراً . ثم زارنى أنا وزوجى بعد ذلك فى مزرعتنا فى الجبال وقص علىّ أمر نيد فى حياته القصيرة ، وتألق نجمه فى عالم الكيمياء ، وغروب شمسه فى الثامنة والعشرين .

وقال لى : « كانت دنيا نيد هى أمه ومعمله . وقد ذهبتْ به إلى نيو مكسيكو للسهر على صحته ، ولكنه لم يبال بذلك ، بل آثر العكوف على عمله ، فكان قبل أن يموت بنصف ساعة مكبا على أنابيب اختباره ، وكانت ذراعاها تطوقانه فى ساعته الأخيرة » .

قلت : « ومتى أفضت إليك بالسر يا تونى ؟ » .

قال : « أعلمت إذن به ؟ » .

قلت : « نعم ، لقد أخبرتنى أنا وأمى ، ولكنه ظل سرا دفيناً » .

وأعقب ذلك صمت طويل ، ثم تندّت عيناه بالدموع وقال : « ما كنت أحسب أن شيئاً يزيد حبى لأمى كما أحببتها ، غير أنى حين أنجبت طفلا من دمى وقطعة من نفسى ، أدركت ما كابدته خلال تلك السنوات الطوال ، إذ فضلت أن تمنح الطفل المتبنى مكانة فلذة كبدها فى قلبها ، على أن تمزق بالحزن شغاف قلبه ونفسه » .



العناية تنقذهم

وقفت ونحن فى وادى الكنار على مقربة من خمسين جنديا من الفرقة البحرية متألبين حول رفيق لهم جريح ، وإذ ذاك انطلقت مدافع الهاون اليابانية فسقطت ثلاث من قنابلها فى وسط هذا الجمع . ثم سمعت أزيز القنابل التى تزن كل واحدة منها خمسة عشر رطلا ، فأغمضت عينىّ لكى لا أرى المنظر المفجع . ولما فتحتهما أبصرت سحب الدخان تتصاعد من ثلاث حفر ، ونظرت فشاهدت ما حسبته جثثاً مبعثرة ، ثم إذا هم ينهضون واحداً بعد واحد ، وإذا الرجال الذين كان يجب أن يكونوا أمواتاً ، واقفون على أقدامهم ولم يصب إلا واحد . وعجز البحارة عن تعليل ما حدث فلم يزيدوا على قولهم : « لم يكن حين أحدنا قد حان بعد » .

[أيرا ولفرت]

« لن يعود وباء التيفوس المخيف فيجتاح أوربا بعد الحرب ، والفضل للدروس التي تعلمناها من وباء الشتاء الماضي »

معركة نابلي الشائنة لمحاربة القمل

فردريك س . باينتون

كانت مدينة نابلي في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ حصاداً لمنجل الموت ، فقد غصت باللاجئين حتى ازداد سكانها من ٨٠٠٫٠٠٠ إلى مليون أو أكثر ، وقد حرق الألمان في انسحابهم كل ما ادخرت من أكوام الفحم للشتاء ، ونسفوا مستودعات الماء ، وخربوا مصانع الكهرباء ، فحرمت المدينة الدفء والماء والنور ، واكتظت المخابئ بالألوف من الناس ، فتيسر للقمل الرائع في معظمهم أن ينتقل من مأوى إلى مأوى كلما أراد . وما عرف التيفوس — لعنة الحرب — في تاريخه قط ظروفاً يستشرى فيها ويستطير أشد ملاءمة من هذه الظروف .

إن التيفوس يولد حيث تكون الأقذار ، وينتقل من شخص إلى شخص بالقمل الحامل لعدواه ، ومن أجل ذلك يترعرع حيث لا دفء ولا صابون ولا نظافة . وإذا انتشر في الشتاء — وهو وباء معتاد في الأجواء الباردة — فهيهات أن يحول شيء مما في أيدينا بينه وبين بلوغ أقصى مداه ، وإنما تهلكه عودة الدفء مع الربيع .

في هذا الشهر المشؤوم — أكتوبر سنة ١٩٤٣ — تلقى مستشفى نابلي ٢٥ مريضاً بالتيفوس ، وكان العدد على ما يبدو قليلا ، ولكن معظم النار من مستصغر الشرر ، والتيفوس كالنار ، ففي نهاية العام أخذ المستشفى يتلقى كل يوم ٤٠ مصاباً ، ثم ٦٠ في شهر يناير ، وأخذت النار تتضرم ، وأرهق العمل حفاري القبور ، وطفقت توابيت الموتى تكثر في شوارع نابلي ، وراح ضحايا الوباء يموتون في الطريق .

ولو قيس الحاضر بالماضي لخيف على نابلي أن تفقد ربع مليون من سكانها قبل أن يخمد الوباء .

ولكن البريجادير جنرال ليون فوكس مدير لجنة مقاومة التيفوس الأمريكية في القاهرة ، استدعى إلى نابلي على عجل ، فذهب إليها بطائرة . والجنرال فوكس طبيب مغامر جرىء من أطباء الجيش حارب الموت

٢٥ عاما متعقباً إياه من ليبريا إلى الصين ، ومن جرينلند إلى البحر الكاريبى .

ولقد قال : « إنه وباء عريق الأصول ، وما عرفت فى كل أدوار التاريخ الطبى وباء كهذا أمكنت السيطرة عليه قبل أن يصل إلى أقصى مداه . ومن التوقع أن يصل معدل الإصابات فى اليوم إلى ٥٠٠ إصابة فى فبراير، ولن نطمع فى السيطرة على الوباء بالطرق المعتادة إلا حوالى مارس أو أبريل» .

وبأى سلاح اقتحم الجنرال فوكس المعركة ؟ . لقد كانت هناك حقيقة معروفة : أن الجندى الأمريكى المحصن بلقاح التيفوس قليلا ما يعديه المرض ، فإن أعداه فعدوى ملطفة لا تؤدى مطلقاً إلى الوفاة ، ولكن تطعيم سكان نابلى أجمعين كان فى حكم المستحيل . إذن فليعتمد فوكس على المسحوق المدهش الجديد المبيد للقمل ، والمعروف باسم د . د . ت ، اختصاراً للداى كلورو — داى فينيل — تراى كلورايثين (١) .

كان رجال الصحة حتى اليوم فى مكافحتهم للتيفوس يستعملون الحرارة فى إبادة القمل والصئبان (بيض القمل) — إما بالتسخين وإما بالتبخير . فلم تكن هذه الوسيلة تقى من تكرار الإصابة بالقمل بعدها مباشرة ، ولكن تأثير د . د . ت كان من الناحية الأخرى تأثيراً خارقاً ، فإذا ذر هذا المسحوق على شخص ما فهو لا يتخلص من القمل فحسب ، وإنما يصبح بدنه وملابسه كذلك مصونين من تكرار الإصابة عدة أسابيع ، حتى وإن غسلت الملابس . وقصارى القول أن إبادة القمل من سكان نابلى أصبحت مستطاعة من الوجهة النظرية .

وأول ما صنع الجنرال فوكس ومعاونوه أن أخذوا يتعقبون كل حالة من حالات التيفوس ، وحمل عبء هذا العمل الماجور جون س . سيندر على رأس ثمانى فرق . فما هو إلا أن يفرغوا من تعقب الحالة إلى موطنها حتى يتبعهم الماجور تشارلس هويلر ورجاله على الأثر لكى يبيدوا القمل فى جميع مخالطى المريض ، وينثروا ذرور المسحوق فى كل غرفة من كل بناء موبوء . وتلا ذلك إبادة القمل فى ٤٠٠ر٠٠٠ إيطالى كانوا يأوون إلى المخابئ ، ثم جاءت بعد ذلك بعثة من مؤسسة روكفلر فتولت إبادة القمل الشاملة للسكان أجمعين .

يقول الجنرال فوكس : « لقد أنشأنا ٣٤ محطة إبادة للقمل ، فلم يفلت منا أحد . واستراح سكان نابولى إلى هذا فتسابقوا إلى التعفير بالمسحوق . حتى كان حتما علينا أن نقيم حرساً من الجند للمحافظة على

---

(١) المختار أغسطس سنة ١٩٤٤ مقال « التحرر من أوبئة الحشرات »

النظام . وقام رجال مؤسسة روكفلر بقسط عظيم من العمـل . ففي يناير عفّرنا ١٫٣٠٠٫٠٠٠ شخص بالمسحوق ، وكان رجالنا على استعداد لأن يتعقبوهم ، ولـكن الأمر لم يستدع ذلك ، فإن التعفير بالمسحوق كاد يكون شاملا لسكان نابلى أجمعين .

« ومع ذلك فما زال المرضى يظهرون ، وما كان هناك من سـبيل لمنع اللاجئـين اليوجوسلافيين الذين تدفقوا على نابلى عن طريق الإدرياتيك ، أو أولئك الأشقياء المساكين القادمين من ميـادين القتال . فقد كان الألمان كثيراً ما يدفعون إلى المعركة بإيطاليين تراكمت عليهم الأوساخ ،وأضناهم الإعياء ، وكان علينا أن نبحث عنهم ونعفرهم بالذرور . ومن أجل ذلك استخدمنا الصحف الإيطاليـة ، ولوحات الإعلان والإذاعـة اللاسلكية والخطبـاء والدعاة المتجولين ، وأمدنا الـكاردينال إسكاليزى كاردينال نابلى بمعونة عظيمة ، فوفقنا إلى إبادة القمل من كل القادمين إلى المدينة والخارجين منها » .

وللجنرال فوكس خبرة عظيمة فى عمل الرسوم البيانية ، فكان يتأمل الخط البيانى الدالّ على سير الوباء وهو يثب وثباً عنيفاً فى أواخر ديسمبر وأوائل ينـاير ، ويرى أنه لم يزل حتما على رجاله أن يلزموا مواقفهم حتى مارس أو أبريل . ولـكن لشد ما كان ابتهاجه حين رأى هـذا الخط يهبط بنفس السرعة التى ارتفع بهـا ، بحيث لم يجىء منتصف فبراير إلا وقد دان له الوباء .

يقول الجنرال فوكس : « إنه لم يحدث قط أن صـدّ وباء من أوبئة التيفوس فى قلب الشـتاء ، وإنى لا أتساءل اليوم وأقول : ما أسرع ما سيطرنا عليه ! وإنما أتساءل عما هو أهم من ذلك ، وهو : كيف أتيحت لنا هذه السيطرة ؟

« إن لهذا مدلولا هائلا ، هو أن د . د . ت سيعيننا فى المستقبل على التحكم فى القمل ، ومعنى هذا أن نتحكم فى التيفوس ، فلن يستطيع بعد هذا الحرب أن يعيث فى الأرض فساداً كما عاث بعد الحرب الماضية بين سـكان أوربا المجهدين . وهـذا هو الدرس الذى تعلمناه من النصر الذى حزناه فى معركة نابلى الثانية » .



- ليست الغفلة سبب إخفاق الرجال بل الفتور [ستر ذرزبرت]
- القاعدة الأولى فى المجادلة هى : الامتناع عن الرد خير من إرجائه .

القيادة العلمية العليا الأمريكية

ملخصة عن مجلة "تايم"



في أثناء الصيف والخريف من عام ١٩٤٢ سمع رجال الصناعة في بلاد الحلفاء أنباء مقلقة عن خطر الغواصات المتفاقم ، فقد كانت الأجهزة والأساليب الألمانية تعزز تعزيزاً مطرداً مقدرة الغواصات على الفتك ، وكان رجال العلم في الولايات المتحدة يشتغلون أيضاً بأجهزة جديدة ، ولكن لم يكن في وسع أحد أن يتكهن متى يستطيعون أن يصلوا إلى نتيجة . وفي الشتاء التالي اجتازت القيادة العليا للحلفاء فترة من الزمن — لعلها أسوأ فترات الحرب كلها — وهي تتوقع أن تقوم الغواصات بحملة قد تؤدي إلى قطع المواصلات بين أوربا وأمريكا .

ولكن في الأيام العشرة الأخيرة من مارس سنة ١٩٤٣ نقص ما أغرقته الغواصات من سفن الحلفاء بمقدار الثلثين . وفي نهاية عام ١٩٤٣ اعترف أدولف هتلر علانية : « أن ثمة اختراعاً واحداً ابتكره أعداؤنا » قد عوّق حرب الغواصات . ولكن ذلك لم يكن يرجع إلى جهاز واحد ، بل إلى مجموعة من الأساليب الجديدة تولاها جيش خفي من العلماء الأمريكيين .

وقائد هذا الجيش السرى هو العالم الطبيعي الداهية القوى الخيال ، الدكتور فانيفر بوش ، وهو في زمن السلم يتولى رياسة معهد كارنيجي وملكه العلمي الواسع . وقد أتاح له منصبه ، رئيساً للجنة الحربية والبحرية المشتركة للأسلحة والمعدات الجديدة ، أن يكون أول رجل مدني يتبوأ مقعده في مجالس الحرب الأمريكية العليا . وإدارة الأبحاث والابتكارات العلمية ، التي يتولى قيادتها ، هي في الحقيقة الفرع الخامس لهيئة أركان الحرب . وفي هذه الإدارة تتركز جميع نواحي النشاط في الأبحاث العلمية العسكرية ، إذ كان لها الحق في استخدام جميع المعامل التابعة للجيش والبحرية .

يتألف جيش بوش من ٦٠٠٠ من كبار أهل العلم ، وهم يزاولون الأعمال التي أسندت إليهم ، في نحو ٣٠٠ معمل ملحق بالجامعات أو المصانع ، ولا يقبضون من المرتبات سوى ما يمنح عادة لرجال المعامل ، ولا ينالون على مخترعاتهم مكافآت، ولا نياشين،

وليس لهم أن يحتفظوا بحقوق الاختراع ، ويحاط عملهم بالكتمان الشديد . وحين يجتمعون لتبادل الرأى ، يفتش مكان الاجتماع من أعلاه إلى أسفله خشية استراق السمع . أما المشروعات الخطيرة الشأن فتتم فى قرى معزولة مسوّرة ، ولا يسمح لأحد أن يدخلها أو يبرحها إلا بإذن ، ومبالغة فى الحيطة لا يكاف عالم ما أكثر من جزء واحد من مشروع ما .

وقد تعاقدت إدارة الأبحاث على معالجة أكثر من ٢٠٠٠ بحث ، فأتمت منها ٥٦٤ بحثاً ، وابتكرت ما يزيد على ٢٠٠ جهاز جديد . وليس هناك دليل على الأعمال التى تقوم بها سوى الأسماء والعنوانات التى تطلق على أقسامها الثمانية عشر مثل : رادار ، والقتال تحت سطح الماء ، الراديو ، المفرقعات ، النفّاثات(*) تسديد الرماية . وأهم أبحاثها رادار ، ثم القتال تحت سطح الماء .

ويمكن استعمال رادار لتبين مواقع الأجسام على سطح الأرض ، أو فوق سطح الأرض ، (كالسفن والطائرات) وهى على بعد ١٣٠ ميلا . أما مطاردة الغواصات السارية ، فلا يكفى فيه رادار ، بل تستخدم أمواج الصوت . وذلك أن أمواج الصوت المألوفة تنتشر فى جميع الاتجاهات ، كما تتداح الدوائر على وجه بركة الماء حين يلقى فيها بحجر . ولكن المطلوب إيجاد شعاع من أمواج الصوت يندفع فى خط مستقيم ، ثم يرتد إذا ما صدم بعض الأجسام . وقد استطاع العالم الطبيعى الفرنسى بول لانجفين ، فى أثناء الحرب العالمية الأولى أن يكشف مثل هذا الشعاع ، فى الذبذبات الصوتية غير المسموعة . ولكن جهاز هذا الشعاع لم يبلغ درجة من الإتقان تجعله أداة يمكن الاعتماد عليها إلا فى أثناء الحرب العالمية الثانية . وهذا الجهاز يختلف عن جهاز الصوت الذى يهتدى إلى الغواصة بصوت محركاتها . لأنه ، كرادار ، يعتمد على الشعاع وصداه .

ولقد أخرجت إدارة الأبحاث مبتكرات أخرى هى على بساطتها عظيمة الخطر . ومقدار ما ينتجه علماؤها وعلماء الحلفاء فى كل أسبوع يبعث على الدهشة . مثال ذلك أنها أخرجت فى أسبوع واحد : قنبلة محرقة لا يمكن إطفاؤها مصنوعة من المغنسيوم والزيت زنتها ٥٠٠ رطل ، آلة كهربائية لتنظيم ضغط الهواء فى محركات الطائرات ، نوعان جديدان من السيارات المدرعة قوية الرماية ، عليها مدافع وتستطيع أن تقاتل الدبابات ، ضرب من «المعجون» تسد به الشقوق والنقر فى أجنحة الطائرات ، حتى

(*) انظر هذا العدد ص ٢٦ — ٢٨

تقلل مقاومة الرياح ، فتوفر طاقة تعادل ١٨٠ حصاناً .

ومما يدل على اتساع أثر العلم وضخامته في الحرب الحديثة هذه المبتكرات التي أنتجتها الولايات المتحدة خلال هذه الحرب :

طرابيد تسيّر نفسها ، وتستطيع أن تقطع خمسة أميال بسرعة ٥٠ ميلا في الساعة — وسائل لمعالجة ملابس الطيارين ، وسائر الملابس ، والفراش والأثاث فتقيها الاحتراق — واقيات من رجة الارتداد أمكن بها تجهيز الطائرات بمدافع من عيار ٧٥ ملليمتراً — أبراج لمدافع الطائرات تدار بالآلات — منظار أوتوماتيكي لتسديد الرماية — الصواريخ وبنات عمها النفّاثات ، وهي إما أن تستخدم في سلاح خفيف كالبازوكا وإما في مدافع الميدان ، أو المدافع المضادة للطائرات ، أو لمساعدة الطائرات الثقيلة في انهاضها عن الأرض — مواد تتألق تمكن الجنود والطيارين من رؤية الأهداف في الظلام — وسائل لزيادة إنتاج البنسلين .

هذه أمثلة من العجائب التي ابتكرها علماء الولايات المتحدة ، وهي في أكثر الأحيان تختزل في ستة أشهر ، ما يحتاج عادة إلى نحو خمس سنين من البحث . ولعل أحسن مثال للطريقة التي يمارس بها الدكتور بوش وأعوانه عملهم ، هو ابتكارهم الشهير لسيارة النقل التي تسير في البر والبحر ، وهي التي أطلقوا عليها اسم «البطة» . كانت المشكلة : هي أن تصنع سيارة وزنها ٢½ طن تستطيع أن تجرى على الأرض وفي الماء ، وأن تقوم بأعمال حربية عنيفة على الشواطئ . وقد أخفقت جهود كثيرة في إدراك هذا الهدف ، لأن معظم المحاولات السابقة كانت تدور حول وضع مركبة عادية فوق عوامات ، فثبط الإخفاق العزائم . أما إدارة الأبحاث فإنها لم تعهد بهذا العمل إلى صانعي السيارات بل إلى شركة سباركمان وستيفنز التي تصنع زوارق السباق . وقد طلب من الشركة أن تصنع هيكلا لا يتسرب إليه الماء ، ثم طلب من شركة جنرال موترز أن تصنع القاعدة والجسم . وبعد ذلك بشهرين استطاعت إدارة الأبحاث أن تشرع في إنتاج «البطة» بمقادير عظيمة . ولقد كانت هذه البطة عظيمة النفع في إنزال الجنود إلى الشواطئ في المحيط الهادى . وكل منها تحمل من ٣٥ رجلا إلى ٥٠ ، وتشق بهم الموج المتلاطم ، ثم تندفع إلى البر مجتازة الحفر العميقة التي حفرتها القنابل .

ولا شك في أن كثيراً من الفضل في نجاح إدارة الأبحاث يرجع إلى مديرها القدير المتواضع فانيفر بوش . وهو أمريكي قحّ ، نحيل الجسم ، حديد النفس ، حديد اللسان ،

فى الرابعة والخمسين من عمــره . وكسائر الصبيان ، كان العبث بالأوانى والآلات أول عهــده بحب العلم . وبفضل شغفه العظيم بالاســتطلاع ، وذاكرته الهائلة ، أضاف كثيراً إلى المبتكرات التى تستخدم فيها القوة الكهربائية والكهيربات .

وقد تخرج فى قسم الهنــدسة فى المعهد التكنولوجى بولاية ماساتشوستس ومن جامعة هارفرد ، والتحق بالبحرية حيث اشتغل بالبحث عن وسائل مكافحة الغواصات فى الحرب العالمية الأولى . ثم اشتغل بالهندسة الكهربائية فى معهــد ماساتشوستس حيث أمكنه أن يصــل إلى اختراع آلة للتحليل الحسابى ، وهى بمثابة مخ آلى ، يمكن بها إجراء عمليات حسابية معقدة . ويرى علماء الرياضة أن هــذه الآلة التى تستخدم الآن فى أبحاث المدفعيــة بالجيش . هى من أهم المبتكرات الفنية الحديثة .

كان إنشاء إدارة الأبحاث وليد أفكار بوش قبــل دخول أمريكا الحرب ، فقــد راعه مارآه من قلة استعداد الولايات المتحدة فى ميدان الأبحاث الحربية ، فجمع عدداً من أصدقائه العلماء فى عام ١٩٤٠ ، ورسم على عجل خطة لتنظيم البحث العلمى إذا نشبت الحرب ، وبادر الرئيس روزفلت فوافق على تلك الخطة .

فيوم هاجت الحرب أصبحت تلك الجماعة هى القيادة العلمية العليـا للولايات المتحدة ، وكان أمامهـا عبء ثقيــل تضطلع به ، ومشاكل كثيرة تواجهها ، منها :

العدو : طالماحذر بوش زملاءه الحربيين مراراً أن لا يستخفوا بعــدوهم ، وقال : « إن عدونا واسع البراعة والحيلة فى العلوم الحربية .

السرعة : وضع معهد الأبحاث حداً دقيقاً لعمله ، إذ قدر أن أواخر مبتكراته يجب أن تكون معدة للاســتخدام فى موعــد لا يتجاوز صيف عام ١٩٤٥

الفخر العلمى : إن ثواب الأبحاث العلمية ، إن أتت بثواب ، هو التقدير والمكانة بين رجال العلم . لكن بوش جند أكبر علماء الأمة ، وليس لديه ما يثيبهم به ، سوى حب الوطن وخفاء الذكر . ومن المشكوك فيه أن يظفر بعضهم ، ما عاش ، بأى تقدير عام لما كشف واخترع .

الرجال : كان لابد لبوش من أن يناضل العسكريين فى طلب العلمــاء الباحثين من الشباب المجند . فإن البحث العلمي المبدع من خصائص الشباب ، ويكاد يكون مقصوراً عليهم فى بعض الميادين مثل الأبحاث الكهيربية .

تعاون الحلفاء : ومن أكبر بواعث فخره أنه وفق إلى تنظيم التعاون فى ميدان البحث

العامى بين الولايات المتحدة وبريطانيا ، كتبادل المعلومات بانتظام بين الفريقين ، فلمعهد الأبحاث فرع فى لندن ، كما لمصلحة المباحث البريطانية فرع فى وشنطن .

ويعد بوش نفسه رجلا من رجال السلم ، اضطر أن يضطلع بعمل بغيض ولكن لابد منه . وهو يأبى أن يتحدث عن مبتكرات معهد الأبحاث فى زمن السلم ، ويرى أن واجب المعهد الوحيد هو تقصير أمد الحرب ، ولكنه يود أن يرى معهداً مثله فى عهد السلام المقبل . وله اليوم ولدان فى الخدمة العسكرية . وتراه يضرب مكتبه بقبضة يده ويقول : « لو أننا نهضنا للعمل فى ميدان الابتكار الحربى منذ عشر سنين ، لاستطعنا على الأرجح أن نتقى هذه الحرب الكريهة » .



امتحن معارفك

١ — رأس الحذاء فى شبه الجزيرة الإيطالية ، أهو على الجانب الغربى أم على الجانب الشرقى من شبه الجزيرة ؟ (٢) أى الأربعة أصغر سنًّا : روزفلت ، تشرشل ، ستالين ، شانج كاى شك ؟ (٣) يقول الخبراء إنه يجب ، حين يقطع الورد ليوضع فى الزهريات ، أن تقطع أغصانه قطعاً مائلا . لماذا ؟ (٤) لعلّك سمعت من يهدد بقوله : « سأكسر كلَّ عظم فى جسمك » فكم عظم عليه أن يكسر لينفذ تهديده : ٢٠٠ عظمة أو ٢٠٠٠ أو ٢٠٠٠٠ على وجه التقريب ؟ (٥) أيهما أقلُّ نفقة : أن تدعو صديقاً إلى السينما مرتين أو أن تدعو صديقين معاً مرة واحدة ؟ (٧) أيها أدق إحساساً باللمس : طرف إصبعك (بنانك) أو طرف لسانك ، أو أخمص قدمك ؟ (٧) لو أعطاك الطبيب ثلاث حبّات لتأخذ حبة كل نصف ساعة ، فما الوقت الذى يستغرقه أخذها جميعا ؟

[الأجوبة صفحة ٩٦]

هذا كل ما سمحت بنشره السلطات الحربية عن :

الطائرة النفاثة

طائرة المستقبل

روبرت دى فور • ملخصة عن مجلة «كوليير»

يوم في يوليه الماضي ، ارتدى جاك وولامز ، كبير الطيارين المختبرين في «شركة بل للطيران» ، رداء شتوياً للطيران مبطناً بالصوف ، ولاح ذلك أمراً غريباً في صحراء كاليفورنيا حيث كانت الحرارة تبلغ ٤٦ درجة . ثم ارتقى طائرة ذات مقعد واحد ، لاحت هي أيضاً غريبة عجيبة ، إذ لم تكن لها مراوح .

ومع ذلك فما إن مضت دقائق حتى شعر ولامز ببرد لم يشعر بمثله قط ، إذ بلغت سفينته الخالية من المراوح ارتفاعاً يفوق أقصى ارتفاع تستطيع الطائرات الحربية الأمريكية أن تقاتل وهي فيه .

كان ولامز أول أمريكي اختبر قدرة هذه القاتلة الغريبة على الارتفاع — هذه الطائرة النفاثة . فقد أحيط بالكتمان كثير من تفاصيل قدرتها على العمل ، غير أنه يسع المرء ، استناداً على ما أذيع ، أن يتنبأ واثقاً بشيئين : من الممكن أن تزيد سرعة هذه الطائرة مئة ميل على سرعة المقاتلات التي تسيرها قوة المراوح ، دون أن يدخل عليها تعديل جوهري . والثاني هو أن تطبيق المبادئ التي بنيت عليها هذه السفينة ، سيؤدي يوماً ما إلى بناء طائرات تنطلق بسرعة لم تخطر ببال أحد حتى اليوم — ربما بلغت ١٢٠٠ ميل في الساعة فيما يقدر — ويفوق ارتفاعها أقصى حد بلغته طائرة ولامز .

زودت الطائرة التي امتطاها ولامز ذلك اليوم ، والتي أطلقوا عليها اسم «سكويرت» (النافورة) تدليلا ، بمحركين يخضعان لمبدأ من مبادئ القوة الدافعة ، يماثل من عدة وجوه مبدأ إطلاق الصواريخ .

فمن قصبة مجوّفة تنطلق الغازات المتمددة نفثاً متتابعاً كالنار في حرارتها وكالإعصار في سرعتها ، فتدفع الطائرة بسرعة تناسب قوة انطلاق الغازات إلى الخلف . فهذا تطبيق المبدأ المعروف في علم الطبيعة : «لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة ومضادّ له في الاتجاه» .

وجد ولامز أن هذه الطائرة يسهل عليها أن تحلق حيث يرقّ الهواء ، وأن تدور

دورة ضيقة ، وأن تغير من حركاتها ، وهو ما يشق مثله على بعض طائرات القتال وهى على ارتفاع أقل بكثير . وأهم من ذلك أنها اختبرت لتكون طائرة حربية ، فحملت ما يعادل ثقل المدافع والذخيرة كاملا .

إن الارتفاع العظيم هو خير مجال لمحرك النفاثات ، فكلما زاد ارتفاع الطائرة زادت سرعتها ، بيد أن لهذه الزيادة حداً أقصى لا تتجاوزه . وكلما زادت سرعة طيرانها زادت قوة محركاتها فتزداد سرعتها .

ولولا خلو النفاثات من المراوح لشابهت بعض الطائرات الحربية المعروفة . فمحركاتها مركبة فى الأجنحة بالقرب من جسم الطائرة وعلى كلا جانبيه . أما « القصبة » أو أنبوبة الذيل فهى بارزة من الحافة الخلفية فى الجناح .

والطائرة النفاثة وليدة الحرب ، فلم تكن ثمة حاجة فى زمن السلم ، إلى المحرك النفاث فى حالته الراهنة ، فهو يستهلك من الوقود ما يفوق استهلاك المحركات العادية عدة مرات ، حتى يبلغ سرعة ٤٠٠ ميل فى الساعة وارتفاع ٣٠ ألف قدم ، وبعدئذ يقل استهلاكه للوقود . ولكن الاقتصاد لم يكن قط أمراً جوهرياً زمن الحرب ، بل الغرض المطلوب أن توجد طائرة تفوق غيرها سرعة وارتفاعا .

وربما أصبحت تكاليف الطائرة النفاثة يوماً ما تعادل تكاليف سائر الطائرات . فقد أذاع البريطانيون أن طراز طائراتهم النفاثة يستهلك الكيروسين (الجاز) وهو وقود بخس الثمن . هذا ومن الممكن تسيير النفاثات بكل أنواع الوقود تقريباً ، بل إن مسحوق الفحم ليفى بحاجتها ، لو تيسر لها أن تحمل منه ما يكفيها .

ومنذ زمن غير بعيد ، كان المطلوب أن تصنع محركات الطائرات بحيث تولد حصاناً من القوة الدافعة فى مقابل كل رطل من وزنها . أما محركات النفاثات فربما وصلت إلى ما يعادل أربعة أحصنة لكل رطل ، وذلك على سرعة أقل قليلا من سرعة المقاتلات العادية ، ثم تزداد النسبة بازدياد السرعة .

وقد لا يزيد وزن هذا المحرك على ألف رطل ، فى حين يبلغ وزن المحرك العادى ، المعادل له فى القوة ، ثلاثة آلاف رطل . وما من طيار يجهل قدر الخفة فى الطائرات المقاتلة ، بل قلما نعثر على أحد منهم لم يلق بالعدادات من طائرته ، ليظفر بزيادة قدر ضئيل من القدرة على الحركة ، قد يكون هو الفاصل بين الموت والحياة .

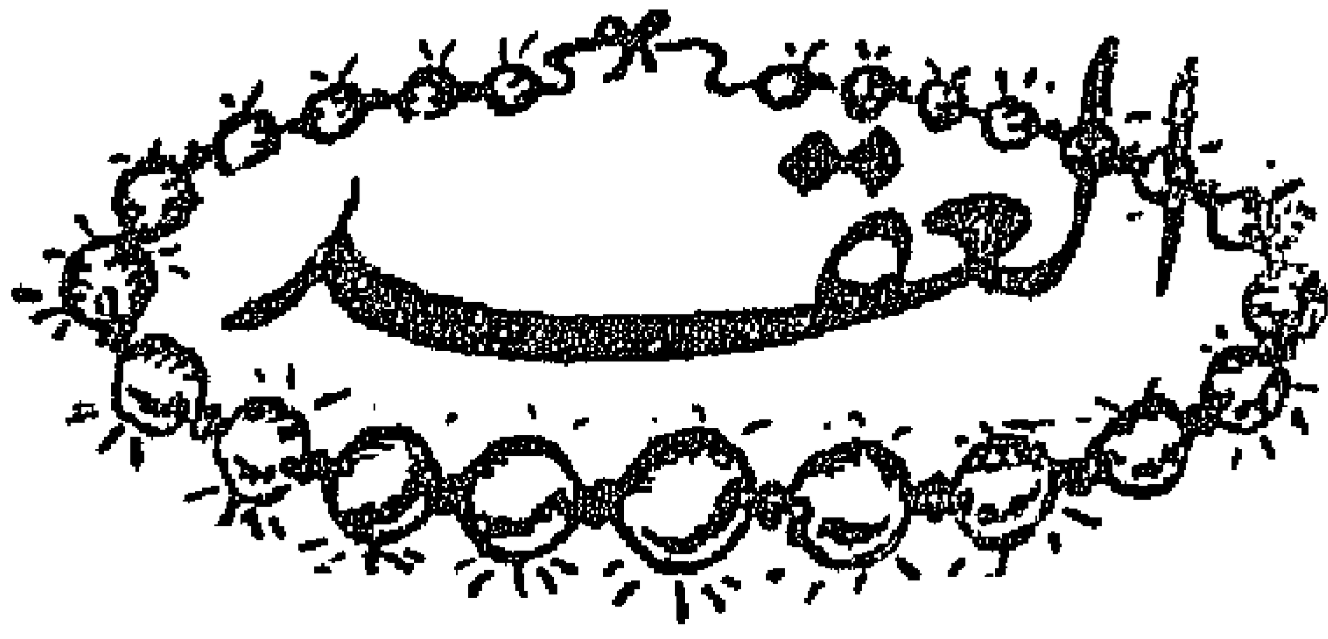
ومن الممكن أن يصنع المحرك النفاث من جزءين متحركين لاغير ، فى حين يقتضى المحرك الذى يدار بالبنزين آلافاً من الأجزاء المتحركة ، وكثرة الأجزاء المتحركة تفضى

إلى زيادة وزنه وزيادة ما يتلف منه وما ينبغي ترميمه . هذا ، وكلما قلت الأجزاء قلت الأجهزة الضابطة والعدادات ، فتصبح لوحة الأجهزة بسيطة كلوحة القيادة في السيارات إذا قورنت بما يماثلها في الطائرة العادية . وقد استطاع جنرالان أمريكيان أن يقودا الطائرة النفاثة بعد تدريب لم يستغرق أكثر من دقائق ، على حين أنهما انقطعا عن الطيران زمناً يجعله عسيراً عليهما أن يقودا طائرة عادية .

تطير الطائرة النفاثة وكأنها سابحة (طائرة شراعية) فليس لها هدير ولا اهتزاز كالذى يكون من المحرك العادى والمروحة ، فلا يسمع لها من الأرض سوى حمحمة عميقة تنبعث من أنابيبها حين تكون الطائرة فوق الرأس تماماً . وبهذا تستطيع النفاثة أن تقذف العدو بالرصاص والقنابل دون أن يسمع صوتها وهى مقبلة .

والمحرك النفاث في أبسط صوره شبيه بأسطوانة كبيرة يضيق مؤخرها تدريجاً ، حتى ينتهى بعنق به تربين . أما مقدمها ففيه مضخة ضاغطة ، وكلاهما مثبت على محور واحد . فإذا دار المحور ، سحبت المضخة الضاغطة الهواء وكبسته حتى يزيد ضغطه أضعافاً مضاعفة ، ثم تدفعه من بعد في غرف الاحتراق حيث يخلط بالوقود ، ثم يشعل ، فيهب منه عاصف من الغاز الساخن المتمدد ، ويدير التربين جزء من هذه القوة ، وبذلك تظل المضخة دائرة . أما الجزء الآخر من هذه القوة فيتدفق من العنق نفثاً متتابعاً ، فيدفع الطائرة . ويدار المحرك النفاث بنفس الأسلوب الذى يدار به محرك السيارة ، لذلك ينبغى إشعال الوقود . ولكن المحرك لا يتطلب الإمهال حتى يسخن ، بل يمكنك أن تنطلق بعد إدارته بثوان . ويسيطر المرء على السرعة بإدارة صمام يضبط معدل الوقود الذى يغذى به المحرك .

وقد بدأ قائد الأسراب (قائمقام طيار) فرانك ويتل من سلاح الطيران البريطانى تجاربه على المحرك النفاث سنة ١٩٣٣ ، وفى مايو سنة ١٩٤١ وقفت أول طائرة نفاثة فى طيرانها ، وكانت طائرة بريطانية . وفى شهر سبتمبر من السنة نفسها أرسل أحد محركات هذه الطائرة إلى شركة « جنرال إلكتريك » . وفى أقل من ستة أشهر أتقن مهندسو هذه الشركة صنع محركات تماثله ، معدة لتجربة طيرانها . ثم طارت أول طائرة من طراز النفاثات الامريكية بعد تمام سنة من تكليف شركة بل للطيران صنعها ، ولقد طارت ولم تكد تجرب قبل تحليقها فى الجو . فتصور ما قد يصل إليه أمرها بعد سنوات قليلة !



جى دى موباسان

كانت من أولئك الفتيات الجميلات الفاتنات اللائي يولدن ، — ولم ؟ لا ندرى — فى أسرة من صغار الموظفين . لم يكن لها مال مرصد لخطبتها ، ولا أمل باسم ، وليس لها سبيل إلى صيت ذائع يكفله لها رجل ثرىّ أو رجل نابه الذكر .

كانت شقية ، إذ كانت تؤمن بأنها إنما ولدت للترف والنعيم ، وتشعر بأنها زوّجت ممن هو دونها . ولشد ما كان يؤلمها مسكنها الوضيع ، وجدرانه البالية ، ومقاعده الرثة . لم تزل تحلم بتلك الدور اللطيفة المحببة الأنيقة المعطرة كأنما أعدت لتجاذب أطراف الحديث الرقيق فى صحبة رجال يتألق نجمهم وتتعلق بهم الأبصار ، إذا صبَوْا إلى أنثى أثاروا لهفة النساء وغيرتهن .

لم يكن لها ثياب زاهية ولا حلى غالية ، مع أن هذا هو كل ما تهواه من دنياها . إنها تشعر أنها خلقت لمثل تلك الزينة ، تحن حنيناً إلى أن تكون فاتنة بارعة ، تهفو إليها القلوب ، وتطرى جمالها الألسنة .

وكانت لها صديقة ثرية زاملتها فى الدراسة. ولكنها تكره لقاءها ، إذ كانت تفترسها الآلام إذا ما تركتها ، فتبكي أياماً طوالا من الحسرة واليأس .

* * *

وذات مساء عاد إليها زوجها يحمل فى يده ظرفاً كبيراً وقال لها :

« خذى ، هذا لك . . لكِ أنت » .

فضت الظرف عجلة وأخرجت منه بطاقة مطبوعة جاء فيها :

« يتشرف جورج رامبونو ، وزير المعارف وحرمه ، بدعوة حضرة السير لوازيل وزوجه إلى السهرة التى ستقام بوزارة المعارف يوم ١٨ يناير الساعة ٩ مساء » .

وبدلا من أن يتهلل محياها بشراً كما كان زوجها يرجو ، ألقت البطاقة على المائدة مغيظة وتنحنحت :

« وما حاجتى إليها فيما تظن ؟ »

« ولكن ، ياعزيزتى ، خيل إلىّ أنها تسعدك ، فأنت قلما تخرجين ، وإنها لفرصة! ولقد جاهدت طويلا حتى ظفرت بهذه الدعوة ، فهى طلبة الجميع ، مقصورة على

نخبة منتقاة ، ولم يخصص منها للموظفين إلا عـدد قليـل . وستلاقين فى السهرة كبار الموظفين » .

فنظرت إليـه ساخطة وقالت وقد عيل صبرها :

« وأى ثوب تظننى أرتديه لمثـل تلك السهرة ؟ »

لم يخطر أمر الثوب على باله فقال متلعثما :

« لا عليك ! فلديك الثوب الذى ترتدين فى ذهابنا إلى المسرح ، فهو – فيما أرى – جميل »

وصمت حائراً قنطاً وهو يرى زوجـه تبكى ، وبعد لأى ما قالت له :

« لا أجد ما أرتديه ، فلا أستطيع الذهاب إلى تلك السهرة . أعط بطاقتك زميلا تكون زوجه أحسن منى ملبساً » .

فابتأس ولـكنه أجابها :

« تعالى نتدبر الأمر يا ماتيلد . كم يساوى الثوب اللائق ، بحيث ينفعك فى مناسـبات أخرى ، وليكن ثوباً بسيطا ؟ »

مرت لحظات وهى تؤامر نفسها ، تفكر فى مبلغ تستطيع أن تطلبـه دون أن تثير ضجة استنكار من الموظف الممسك .

وأخيراً قالت فى صـوت يغالبه التردد :

« لا أستطيع أن أحـدد الثمن بالدقة ، ولـكن يخيل إلىّ أن ٤٠٠ فرنكا تكفى » .

امتقع لونه قليـلا ، إذ كان قد وفر هذا المبلغ عينه ليصرفه فى رحلة يقضى بها إجازة الصيف التالى . ولـكنه أجابها : « فليكن ، سأعطيك ٤٠٠ فرنكا » .

اقترب موعد السهرة الراقصة فإذا زوجة لوازيل تبدو حزينـة ، قلقة ، مضطربة ، وإن كان ثوبها قد قارب أن يكمل . قال لها زوجها ذات مساء : « ماذا بك ؟ لقد تغير أمرك منذ يومين أو ثلاثة ؟ »

فأجابته : « ليس عندى حلىّ حق ولا جوهرة واحدة . سيشيء مظهرى عن الفاقة وإنى لأفضل أن لا أشهد تلك الحفـلة » .

« لماذا لا تجعلى زينتك من الزهور ؟ إنهـا تونق العيون فى مثل هـذا الوقت . فبعشرة فرنكات تستطيعين أن تظفرى بوردتين بالغتين أو ثلاث » .

لم يقنعها قوله : « لا . لا شيء أشد إزراء بالمرء من رثاثة الهيئة بين نساء غنيات » .

فصاح زوجها :

« ما أغبانا ! اذهبى إلى صديقتك زوجة فروستى واسأليهـا أن تعيرك بعض حليهـا . وإن ما بينـك وبينها من الود كاف فى أن يسقط عنك كلفة هذا السؤال » .

فصاحت صيحة سرور وقالت : « هذا حق ! لم أفكر فى ذلك » .

وفى اليوم التـالى قصدت دار صديقتها ، وروت لها ما هى فيـه من ضيق ، فقامت

زوج فروستى إلى خزانتها وجاءتها بحقيبة حلى كبيرة وقالت : « تخـيرى ياعزيزتى ما تشائين » .

وقع نظرها على بعض الأساور ، ثم على عقد من اللؤلؤ ، ثم على صليب من الذهب بندقى الطراز رائع الصنع مرصع بالجواهر الكريمة .

أخذت تجرّب الحلى وهى أمام المرآة ، وترددت لا تدرى أتأخـذها أم تدعهـا ، ثم سألتها :

« أليس لديك سواها ؟ »

« نعم نعم ، تخـيرى ما تشائين ، فلست أدرى ماذا يروقك ؟ »

وفجأة عثرت فى علبة سوداء مبطنة بالخز ، على عقد رائع من المـاس ، خفق قلبها تلهفاً عليه . تناولت العقد بيدين مرتعشتين وقلدت به جيدها ، فاستطارتها نشوة من السرور ثم سألت بصوت متردد ملؤه الجزع :

« أتعيريننى هذا ؟ هذا ليس إلا ؟ »

« نعم ! بلا شك » .

عانقت صـــديقتها فرحة ، وانصرفت ومعها كنزها .

* * *

وجاءت الليلة الراقصة ، وظهرت زوج وازيل ظهوراً عظيما . كانت أجمل النساء ، أنيقـة فاتنة بشاشة الثغر ميادة الأعطاف . تعلقت بها أنظار الرجال جميعاً ، فسألوا عن اسمها ، وسعوا إلى التعرف بهـا ، وود كل الشبان أن يراقصوها — بل خصها وزير المعارف ببعض عنايته .

رقصت مستهامة نشوى من الطرب ، فى غمرة من السعادة بكل هـذا الخشـوع والإعجاب ، وكل هذه الصبوات المستيقظة ، وبهذا الظفر الحلو الحبيب إلى قلوب الغانيات .

آبت إلى دارها فى الساعة الرابعة صباحاً . أما زوجها فكان قد لجأ عند منتصف الليل إلى غرفة صغيرة ، وجلس يغالبه النعاس مع ثلاثة من المدعوين تركوا زوجاتهم يهتبلن من السرور ما وسعهن .

ألقى على كتفيها الشال الذى حملاه لتلبسه وهى عائدة إلى دارها ، وهو شال مبتذل ، تناوئ بذاذته أناقة ثوب السهرة . أحست بذلك ، فأرادت أن تسرع مبتعدة حتى لا تأخـذها عيون سائر النســاء اللاتى قد تلفعن بفاخر الفراء .

استوقفها زوجها قائلا :

« تريثى ، لو خرجت الآن لنالك البرد . سأبحث لك عن مركبة » .

ولكنها لم تعبأ به ، ونزلت الدرج مسرعة . فلما احتواهما الطريق لم يجدا به مركبة . فمشيا فى طريقهما إلى الدار يائسين مقرورين يرتجفان ، وأخيراً وجـدا عند شاطئ النهر

مركبة من تلك المركبات العتيقة التى لا تخرج إلى الطرق إلا بعد أن ينتصف الليـل ، كأنما يخجل بؤسها من ضوء النهار المُبْصر.

بلغتهما المركبة الدار، وصعدا إلى مسكنهما يجرّان أرجلهما جرًّا ، أما هى فتفكر فى المتعة كيف انقضت ، وأما هو فقد تنبه إلى أنه سيضطر إلى التبكير إلى عمله صباحاً كعادته .

خلعت الشال أمام المرآة لتتملى من بهائها بآخر نظرة. وفجأة انطلقت منها صيحة عالية، لم تجد العقد على جيدها . سألها زوجها وكان قد نضا بعض ثيابه .

« ماذا جرى ؟ »

فاستدارت إليه وقد ركبها الذعر :

« إننى . . إننى . . إننى فقدت عقد زوج فروستى » .

فهب من مقعده محنقاً :

« ماذا تقولين ؟ كيف حدث ذلك ؟ هذا مستحيل ! »

فحصا طيات الثياب، والمعطف ، والجيوب وكل موضع . فلم يعثرا عليه .

سألها : « أأنت متأكدة أنه كان على جيدك وأنت خارجة من الوزارة ؟ »

« نعم ، فقد أحسست به وأنا فى البهو » .

« إذن لو كان قد سقط منك فى الطريق لسمعنا رنينه . لابد أنه وقع فى المركبة » .

« أعتقد ذلك . فهل انتبهت إلى رقمها ؟ »

« لا » .

أخذ ينظر إليها وتنظر إليه وقد هدها اليأس . وأخيراً ارتدى لوازيل ثيابه مرة أخرى وقال :

« إننى خارج أتقصّى خطانا لعلى أجده » .

وظلت فى ثوب السهرة لا تجد فى نفسها قدرة على النوم فى فراشها . وكانت الساعة تدق السابعة حينما عاد زوجها . إنه لم يجد شيئاً

ذهب إلى مركز الشرطة ، وإلى نقابة الحوذية ، ونشر إعلاناً فى الصحف عرض فيه جائزة .

ظلت طول النهار مترقبة ، قد أذهلتها هذه المصيبة المخيفة .

وفى المساء عاد زوجها منهوكا شاحب اللون ، إنه لم يوفق إلى شىء . وقال لها :

« لا مفر من أن تكتبي لصديقتك أنك كسرت مشبك العقد ، وأنك فى سبيل إصلاحه ، فهذا يتيح لنا مهلة للبحث » .

* * *

وفى نهاية الأسبوع تبدد كل أمل . وقال لوازيل ، وقد بدا كأنْ قد دارت عليه خمس سنوات :

« علينا أن نتدبر فى أن نجد للعقد بديلا » .

وفى اليوم التالى أخذا العلبة إلى الصائغ صاحب الاسم المنقوش فى باطن غطائها ، فراجع دفاتره وقال :

« لست أنا بائع هذا العقد ، بل أنا صانع العلبة وحسب » .

ومر ّ على تجار الحلى ّ واحداً بعد واحد ، وقد أضناها الغم والحيرة ، وأخيراً عثرا فى متجر فاخر على عقد من الماس يكاد يطابق العقد الضائع ، وقد رضى صاحبه أن يبيعه لهما بـ ٣٦ ألف فرنك ، وإن كان ثمنه أربعين ألفاً .

ناشد صاحب المتجر أن لا يبيع العقد ثلاثة أيام أخرى ، وأخذ عليه عهداً بقبوله أن يسترجع العقد نظير ٣٤ ألف فرنك ، إذا ما وجدا العقد الضائع قبل شهر مارس .

وكان لوازيل يملك ١٨ ألف فرنك خلفها له أبوه ، فاقترض ما بقى من الثمن . يسأل هذا أن يعيره ألف ، وذاك خمسمائة ، وآخر خمسة جنيهات ، وغيره ثلاثة .

وقع صكوكا ، وارتبط بوعود فيها الخراب ، واقترض من أكلة الر ّبا ، ومن كل من لف ّ لفهم . خاطر بحياته كلها ، ووقع بإمضائه وهو لا يبالى ، بل ولا يدرى أيقوى على السداد أم يعجز . وذهب ليحصل على العقد من المتجر ، يتناوشه القلق على مستقبله ، ويضنيه البؤس الأسود المخيم على حاضره ، ووضع أمام التاجر ٣٦ ألف فرنك .

ولما ذهبت زوجه بالحلية إلى السيدة فروستى قالت لها فى لهجة باردة :

« كان يجب عليك أن تعيديه إلى ّ من قبل ، فلعلى كنت فى حاجة إليه » .

وماذا عساها تظن لو علمت أن العقد قد بُدِّل ؟ أتسلكها مع اللصوص ؟

وجاء اليوم الذى كابدت فيه زوج لوازيل عيش الفاقة ، ولكنها تحملت نصيبها من العبء فى شجاعة ، فلا مفر من دفع الدين ، وستدفعه .

تعلمت أن تقوم بشؤون دارها ومطبخها ، فأخذت تغسل الأطباق ، وتبلى أظافرها الوردية فى حك كدادة الدهن من قعر القدور والقلايات ، وتغسل ما اتسخ من الثياب ، وتنزل كل صباح بالقمامة إلى الطريق ، وتعود بجرتها ملآى بالماء وهى تلهث وتتريث عند كل طابق ، كى تسترد أنفاسها . وتذهب فى ثياب الفقيرات من نساء العامة إلى البدال والقصاب والفاكهى ، تحمل سلتها على ذراعها ، وتشترى ما يلزمها ، وتماكس من أجل مليم تستنزله .

وكان لا مفر فى كل شهر من تجديد صك من صكوك الدين ليتسع الوقت ، وليسدد غيره من الديون .

وتولى الزوج عملا بالليل فى تنظيم دفاتر بعض التجار ، وكثيراً ما مرت عليه ليال وهو ينسخ لقاء قرش واحد للصفحة .

واستمرت هذه المعيشة عشر سنوات .

فلما انقضت كانا قد سددا الدين كله ، جميعه ، وعليه الربا .

لقد كبرت اليوم زوج لوازيل وانقلبت امرأة خشنة جافية ، امرأة ساذجة من نساء العامة . شعرها مهمل ، وثيابها رثة ، ويداها محمرتان ، وكلامها صراخ . وقد تجلس إلى النافذة أحياناً ، وزوجها فى عمله، وتفكر فى تلك السهرة ، وفى ذلك اليوم الذى شهد جمالها وفتنتها وصبابة الناس بها .

فياترى ماذا عساها كانت تكون لو أنها لم تضع العقد ؟ من يدرى ؟ ما أعجب الحياة ! وما أحفلها بالتغير والتحول . وكم من أمر هين يسعد المرء أو يشقيه ! !

وذات يوم من أيام الأحد وهى تسير فى الشانزلزيه لتروّح عن نفسها ، لمحت فجأة سيدة تسير ومعها طفل . إنها السيدة فورستى ، لم تزل شابة فاتنة . فثارت نفسها لرؤيتها . أتكلمها ؟ نعم . ولم لا . إنها الآن قد سددت دينها فستخبرها بكل ما حدث .

اقتربت منها وقالت: «صباح الخير ياجان» .

لم تعرفها صديقتها ، ودهشت أنْ تناديها بتلك الألفة امرأة من العامة فقالت متلعثمة :

« عفواً يا سيدتى . إننى لا أعرفك ، لعلك مخطئة » .

« كلا . أنا ماتيلد لوازيل » .

فانبعثت من صديقتها صيحة تعجب :

« وَىْ ياعزيزتى ماتيلد ! كم تغيرت؟ » .

« نعم . لقد مرت علىَّ أيام عصيبة منذ رأيتك آخر مرة . أيام سود . وكل هذا من جرّاك أنت » .

« من جَرّاى أنا ؟ كيف هذا ؟ » .

« هل تذكرين عقد الماس الذى أعرتينيه لأزّين به فى سهرة الوزير » .

« نعم . أذكره جيداً » .

« إذن فاعلمى أننى أضعته » .

« كيف هذا ، وقد أعدته إلىَّ ! ؟ » .

« لقد أعدت إليك عقداً يشبهه كل الشبه . ولقد لبثنا عشر سنين نسدد ثمنه . ولعلك تدركين كم كان هذا شاقاً علينا نحن الذين لا نملك شيئاً . ولكن قد وفينا ديننا ، وإنى لراضية » .

بهتت السيدة فورستى وسألتها :

« أتقولين إنك اشتريت عقداً من الماس بدلا من عقدى ؟ » .

« نعم . ألم تفطنى إليه إذن . إنهما كانا جد متشابهين » . وابتسمت ابتسامة ملؤها الكبرياء والسرور .

نطق وجه السيدة فورستى بالتأثر الشديد ، وتناولت يدى محدثتها وهى تجيبها :

« وَىْ ياماتيلد . أيتها المسكينة ! لقد كان عقداً من زجاج برّاق لا يساوى أكثر من خمسمائة فرنك » .



ملح مختارة من الباب الذى يحرره "بنيت كيرف" في مجلة "سترداى ريفيو"

أرغم قائد طائرة من سلاح الطيران البريطانى على النزول فى بلجيكا ، فأنقذته راهبة وآوته فى ديرها ، وأعطته ثياباً كاملة من ثياب الراهبات ، ونصحته : أن « استكن ، والزم الصمت ، واطمس أمرك ما استطعت ، حتى نستطيع — طال الأمد أو قصر — أن نعيدك إلى إنجلترا » .

وبقى الطيار ثمانية أسابيع لا يحادث أحداً ، يحلق لحيته ثمانى مرات فى اليوم ، ويعيش كأحسن ما يكون ساكنو الدير . وفى عشية يوم رأى راهبة جميلة منفردة فى « الكرار » ، فدفعه نحوها دافع لا يرد ، وطوقها بذراعيه . وبعد برهة وجد نفسه يترنح من لكمة قوية فى فكه ، وسمع صوت رجل يقول له : « ألا تستطيع أن تملك زمام نفسك ؟ إنى هنا منذ دنكرك » .

***

حدث فى « كليفلاند » أن رئيس فرقة موسيقية كاد يجن فى إحدى فترات التمرين على العزف ، إذ كان يتغيب فى كل مرة أحد أفراد الفرقة . وفى التمرين الأخير وقف رئيس الفرقة وقرع بعصاه ليستمع إليه الآخرون فقال لهم : « أود أن أشكر على رؤوس الأشهاد عازف الكمان الأول ، لأنه الرجل الوحيد من الفرقة كلها الذى يحمله ظرفه وشعوره بالواجب على حضور التمرينات » .

فرفع عازف الكمان الأول رأسه وقال بصوت مؤدب : « إن هذا أقل ما استطعت أن أفعل ، غير أنى لست مستعداً للظهور فى الحفلة هذه الليلة » .

***

تسلم رجل انخرط فى سلك الجيش الأمريكى برقية من القسم الطبى بعد عدة أيام من تجنيده جاء فيها : « نأسف إذ نحيطكم علماً بأنك مصاب بذات الرئة ، وضعف القلب » .

وبعد ساعة جاءته برقية أخرى فيها : « نرجو غض النظر عن البرقية الأخيرة ، لأن نتيجة فحصك الطبى اختلطت بفحص مجند آخر » .

فرد الجندى ببرقية قال فيها : « آسف ، لأن تصحيحكم للخطأ جاء متأخراً . وقد انتحرت منذ أربعين دقيقة مضت » .

***

اعتاد كولين ميلر أن يفطر متأخراً ، فأراد مرة أن يحل مسألة الإفطار فى الساعة ١١ صباحاً فى فراشه ، فى فندق كان يمنع تقديم الأكل فى غرف النوم بعد التاسعة صباحاً .

ففى الساعة ٨ : ٥٨ طلب ميلر وجبة كاملة ، ثم أضاف قائلا : « وأريد أيضاً بيضتين تسلقان فى الماء مئة وعشرين دقيقة » ثم تمطى بعد ذلك فى فراشه ونام قريراً .

***

قص المستر سيسل براون المراسل الحربى قصة مزارع من أهل « أيووا » حين سئل عن السبب الذى من أجله يربط ثوره دائماً إلى المحراث فقال : « لم تزل الحرب تدور حوالى سنتين ، وفى كل يوم تزداد الأوراق الواردة من مكتب التسعير كى أملأ خاناتها ، وقد أردته بعملى هذا أن أفهم هذا الثور اللعين أن الزراعة ليست كلها لهواً وتسلية » .

« زعمه معاصروه دجالا — هـــذا الذى قهر الملاريا فى وادى نهــــر المسيسبى »

الطبيب الذى فتح غرب أمريكا



ألدن كالكنز و وب والدرن

ملخصة عن مجلة "سبريرى سكوتر"

عندما اشترى توماس جيفرسون إقليم لويزيانا فى سنة ١٨٠٣، رماه الناس بأنه اشترى « مستنقعاً لا يصلح لسكنى البشر » . ولقد كان من الممكن أن يصدق هذا القول أكبر الصدق لولا جون سابنجتون الطبيب الريفى راكب الجواد، الذى كان له من الأثر فى مصير أمريكا أكبر مما كان لأى طبيب أمريكى آخر .

أخضع الدكتور وليم جورجاس الملاريا والحمى الصفراء فى بناما وجعل إنشاء قناتها فى حيز الإمكان ، فأثيب بمجد ذاع فى الآفاق، وقبرا فى مدفن الأبطال الأمريكيين بأرلنجتون . أما سابنجتون ، الذى قهر الملاريا فى وادى المسيسبى فى معركة مجيدة كان هو بطلها الوحيد، والذى مكن لإنشاء اثنتى عشرة ولاية يسكنها الآن ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ أمريكى ، فكان نصيبه خمول الذكر ، وقبر فى قرية منسية على ضفاف نهر المسورى .

ظل سابنجتون أكثر من ثلاثين عاماً يجوب الريف على ظهر جواد . وكان طويلا ممشوقاً ضامراً ، أقنى الأنف، نافذ النظرات ، شديد الشبه بصديقه أندرو جاكسون الذى أصبح فيما بعد رئيساً للولايات المتحدة . وكان إذا ركب تمنطق بنطاق من « الغدارات » ومعه خُرج ثقيل فيه زاد من العقاقير الطبية والآلات الجراحية ، ويحمل كذلك سكيناً طويلة ذات غمد يقدّر على طرفها جرعات لحاء السنكونا ، ثم الكينين الذى استخلص بعد من هذا اللحاء .

كان حبيباً إلى من داواهم ، بغيضاً إلى زملائه الأطباء الذين هاجم علاجهم الملاريا « بالمقيئات والمسهلات والفصد » ، وندّد بأنه علاج قتال . ولما نجح المقلدون فى الحيلولة بينه وبين هدفه ، وهو التغلب على مرض الملاريا ، لجأ إلى خدعة جريئة كانت سبباً فى وسمه بميسم الشعوذة . وفى النهاية نزل عن ظفره لمنافسيه الذين انتفعوا بالزرع وحقروا زارعه .

ولد جون سابنجتون فى ماريلاند سنة ١٧٧٦ ، ونشأ فى تخوم ولاية تنسى ،

وكانت أسرته، ولم تزل، أسرة أطباء، حتى كاد يحترف الطب كل رجل فيها مدى خمسة أجيال. وتلقى جون وإخوته تدريبهم على أبيهم، كما جرت العادة فى تلك الأيام. وتزوج من جين بريثيت ابنة جون بريثيت أحد الحكام فى ولاية كنتكي، ثم بدأ بعد ذلك يمارس المهنة فى مدينة صغيرة بقرب ناشفيل. وكان يقرأ بنهم كل ما تقع عليه يده من كتب الطب، ولا سيما ما يعالج منها مرض الملاريا بلاء الريف. وألفى فى إحدى الرسائل وصفاً لعلاج الملاريا بلحاء شجر طبي يستورد من بيرو (شجر السنكونا)، تناقضت فى شأنه آراء الأطباء تناقضاً شديداً، فحصل جون على شيء من هذا اللحاء، فاستعمله، فحالفه التوفيق.

كانت الملاريا شديدة الوطأة على تنسى، ولكن الأقاصيص التى كانت تروى عن فعلها فى وهاد أودية أنهار المسيسبي وأوهيو والميسورى وأركاناس، كانت أقاصيص مفزعة. فمن يونيه إلى أكتوبر، وهو موسم انتشار المرض، كان نصف أهل القرى يصابون به فى بعض الأحيان، فيفرون مذعورين من أراضيهم الخصبة مولين وجوههم شطر الشرق، وانقطعت موجة الهجرة من الشرق إلى الغرب.

ولم يكن الموت هو عاقبة المرض دائماً، وإنما كان يعقبه نافض متردد (رعشة)، وضعف عام يسل قوى المريض إبان الحاجة الشديدة إليها فى الأشهر التى يزرع فيها الزرع، ويعمر الخراب بالأبنية والدور.

كان العرف الطبي يومئذ يصف للملاريا علاجاً أقسى من المرض نفسه، يتلخص فى قسر المريض على المقيئات والمسهلات والفصد، يراد بها طرد سموم الحمى من البدن. وكثيراً ما أدى هذا العلاج إلى قتل المريض، أو تركه فى حال من الضعف حتى لا يقوى على دفع ما يطرأ عليه من الأمراض.

وقد كان الرأى فى أيام سابنجتون أن حمى الملاريا — حمى الهواء الفاسد، كالترجمة الحرفية للكلمة — إنما تنشأ من الأبخرة الكريهة الرائحة التى تنبعث من الوهاد والماء الآسن. وما كان يخطر له أو لسواه على بال، أن المجرم الفتاك إنما هو بعوضة الأنوفيل، التى تتوالد فى المستنقعات التى لا يحصيها العد فى أودية الأنهار الكبرى.

وأراد جون سابنجتون أن يزداد معرفة بالملاريا، فودع أسرته فى سنة ١٨١٤ وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره، وقطع ٧٠٠ ميل على سفوح جبال الأبالاكيان فوق ظهر جواد، قاصداً كلية الطب بجامعة بنسلفانيا فى فيلادلفيا، وظل عاماً منكبا على دروسها بإخلاص، ولكن هذه الكلية

التي كانت أشهر كليات الطب في أمريكا ، لم يكن لديها ما تمنحه لعلاج الملاريا إلا تلك الطريقة القاتلة التي تمارس في الريف .

ووجد سابنجتون في هذه الجامعة نفوراً شديداً من علاجه المحبوب للملاريا بلحاء السنكونا . ولم يكن في هذا ما يدعو إلى العجب ، فقد كان اللحاء يطحن ثم يبتلع ، وكثيراً ما أدت أقذاؤه الخشنة غير النافعة إلى تعب المعدة ، وفوق ذلك فإن نسبة الكينين الصافي فيه كانت تختلف باختلاف موارد اللحاء ، مما جعل تحديد الجرعة الواجبة عسيراً . يضاف إلى ذلك الاعتقاد الملح الشائع يومئذ أن مسحوق اللحاء يجب أن لا يعطى للمريض أثناء الحمى وإلا زادها استعاراً ، وكان هذا ضلالا في رأى سابنجتون ، فإذا كان الكينين يطفىء الحمى ، فلِمَ يحرم العليل منه حتى تزول عنه ، ويشرف على الموت قبل أن يتعاطى الدواء ؟

عاد سابنجتون إلى تنسى على ظهر جواده ، وعاد إلى عمله بضع سنوات ، ولكنه لم يزل قلقاً ، فاعتزم أن يرى بلاد القشعريرة والحمى وراء نهر المسيسبي ، وعبر السورى هو وزوجه وأولاده (وكان لهما الآن تسعة أولاد) فاستقروا على ضفاف هذا النهر على مقربة من آرو روك في مقاطعة سالين ، التي ما لبثت أن أصبحت ملتقى مهماً للمواصلات على طريق سانتافي . وهناك أصبح في قلب أرض الملاريا ، ولقد قُدِّر له عمله هناك فمضى فيه بعزم ونشاط .

وفي العام التالي — سنة ١٨٢٠ — قرأ سابنجتون أن فرنسيين يدعيان بليتيه وكافنتو استطاعا أن يستخلصا الكينين من لحاء السنكونا . ومن المعقول أن يكون الكينين ثابت القوة ، يسير التقدير ، فساءل نفسه : متى يستطيع الحصول على شيء منه ؟ وظل ينتظر نافد الصبر ثلاثة أعوام حتى سمع أن كيميائيا في فيلادلفيا قد أقام أول مصنع للكينين في أمريكا ، فعجل بطلب مدد منه ، وبعد شهور تلقى مقداراً صغيراً من هذا المسحوق النفيس .

وراح سابنجتون أولا يحدد بالتجربة المقدار اللازم من الكينين للعلاج ، فوجده أشد ما يكون سيطرة على الحمى إذا أعطيت منه حبة كل ساعتين ، أى ١٢ حبة في اليوم ، وهو ما يقارب نفس المقدار الذي يستعمله الأطباء الآن .

وكان قد بعث ابنه الأكبر إلى الشرق في طلب العلم ، وأوصاه أن يحضر معه ١٠٠ أوقية من الكينين الحر عند عودته من المدرسة آخر العام . فحدث خطأ ما نشأ عنه أن جلب الابن ١٠٠ رطل ، وكاد هذا المقدار يستنفد ما كان موجوداً يومئذ منه في السوق .

وبدلا من أن يثور سابنجتون غضباً قرر أن يستعمل هــذا المقدار الضخم فى توسيع نطاق عمله ، ولكنه ما بدأ يفعل حتى اشتدت معارضة الأطباء الذين قدسوا علاج الحمى القديم المأثور ، وأنذروا الناس أن الكينين محفوف بالخطر . وزاد فى متاعب سابنجتون مذاق الكينين البغيض .

وحيال هذه المعارضة لجأ الطبيب المقدام إلى الحيلة ، فصنع فى بيته بأرو روك ما سماه بالحبوب المضادة للحمى ، ولم يذكر شيئاً عن مفردات هذه الحبوب ، ولم يكن بكل منها سوى قمحة من الكينين نكّـر طعمها بعرق السوس ، والمرّ ، وزيت الغار .

وألقى بهــذه الحبوب إلى الســوق فى ســنة ١٨٣٢ كأنها اختراع جديد ، ومضى يعلن عنها بجرأة ، وبالطريقة المثيرة التى يعلن بها عن سائر المستحضرات الطبية ، وكذلك ألجأته المعارضة إلى خيلاء الدعاية ، فصاح منافسوه : « إنه دجال ! » . ولكن حبوب سابنجتون كانت ناجعة وراجت رواجاً عظيما .

وسرعان ما اندفعت أسرة سابنجتون كلها، سادة وعبيداً ، إلى صناعة الحبوب ، ووضع الطبيب فرقة من الباعة قوامها ٢٥ رجــلا على الطريق . وأمر كلا منهم أن يتعاطى ثلاثاً من هذه الحبوب كل يوم للوقاية من الملاريا ، وكانت هذه فكرة لم يسبق إليها ، فلم تصب الحمى أحداً منهم ، على تجوالهم فى أحفل المناطق بالوباء .

وكان على سطح كوخ أرو روك ناقوس مشدوخ قديم كان يستعمل فى الماضى نذيراً بغارات الهنــود ، فلما نجحت فكرة سابنجتون لتوقى الملاريا ، تساءل : «لم لا ندق هذا الجرس كل مساء فنذكر الناس بتعاطى الحبوب ؟ » ونجحت هذه الخطة ، ولا تزال النواقيس تقرع فى مدن الريف إلى الآن عند الغسق إيذاناً بتعاطى حبوب الدكتور سابنجتون المضادة للحمى !

وباع سابنجتون خلال العشرة الأعوام التالية أكثر من مليون صندوق من حبوبه فى الولايات الجنوبية والغربية وفى جمهورية المكسيك ، وكانت هــذه الحبوب من أهم ما تحمله عربات البضائع من وادى المسورى إلى سانتافى وأوريجون .

وفى سنة ١٨٤٤ قرر سابنجتون أن يذيع سره ، فكتب رسالة سماها « منشأ الحميات وعلاجها »، وعرض فيها كل معارفه عن الحمى وعلاجها بالكينين ، ونصح قراءه أن يبتاعوا الكينين ويصنعوا منه فى منازلهم حاجتهم من الحــب .

وكان المؤلف يومئذ فى الثامنة والستين من عمره ، وفى ذروة حياته الزاخرة بمعارك

النضال ، فلم يتمالك أن يسدد آخر سهم إلى زملائه عبيـد التقليد ، فأهدى كتابه إلى سكان الولايات المتحدة ، « وإلى تلك الطائفة من الأطباء الذين يستطيعون أن يحرروا أنفسهم من فساد التعليم وأغلاله ! » ويا للحنق الذى أثاره هذا الإهداء !

وكان ثمن النسخة من هذه الرسالة ٢٥ سنتاً ، وهو أقل مما تكلفته ، فمحت تجارة حبـوب سابنجتون من الوجود ، ولـكن سابنجتون قال : « لقد ربحت من المال ما يكفينى » .

وعاش سابنجتون حتى بلغ الثمانين ، وظل يمارس الطب حتى آخر سنة فى حياته ، ولم يركب مركبة قط ، فإما جواده وإلا فلا . وظل آخر العمر محتقراً من زملائه أو مهملا ، وإن عمدوا هم أنفسهم إلى وصف الـكينين بأنه دواء ناجع فى علاج الملاريا .

وقد اقتطع الدكتور سابنجتون قبيـل وفاته نصف ما لديه من المال فجعله نواة لوقف سابنجتون على تعليم من يستحق المعونة من الشبان ، ولا يزال هذا الوقف — ولعـله الأول من نوعه فى غرب المسيسبى — باقياً إلى اليـوم ، وقد أنفق منه منذ إنشائه ٢٠٥ر٠٠٠ ريال لمساعدة المستحقين من طلاب الكليات .

وكان سابنجتون يؤمن بخرافة واحدة ، وهى الفزع من دفن الموتى فى الأرض ، فلما مات فى سـنة ١٨٥٦ وضـع جثمانه فى تابوت من الرصاص صنع بإرشاده ، وحفظ تحت سريره ، وظل هذا التابوت بعد أن ضم عظامه موضوعاً فوق سـطح الأرض على قاعدة من الصخر فى مقبرة أرو روك الصغـيرة ، حتى حطمه الجنـود فى الحرب الأهليـة الأمريكية حوالى سـنة ١٨٦٠ ، ليصنعوا من فتات معدنه رصاصاً للبنادق ، ولـكن جانباً منه لم يزل قائماً وعليه هـذه الكلمات : « إنه يرقد كأنه محارب يستريح » .



شكوى مألوفة

دخل « جون » مقرَّ عمله ذات صباحٍ ، عينه سوداء ، وشفته وارمة ، وعليه آثار كدمات أخَر ، فسأله رئيسه :

— جون ! ماذا حدث لك ؟ ماذا أصابك ! فقال :

— كنت ، يا سيدى ، أتكلم على حين كان يجب علىَّ أن أصغى .

[رجل شهد مؤتمر فرساى ١٩١٩ يبين أخطاء معاهدة الصلح ، ويطبق العبر المستفادة على الصلح المقبل]



لنتدبر الآن مأساة فرساى

وليم بوليت + + + ملخصة عن مجلة "لايف"

إن معاهدة فرساى التى أبرمت فى ختام الحرب العالمية الماضية أوجدت هدنة مضطربة لا سلاماً ، فهل نستطيع أن نتعلم من أخطاء أولئك الذين وضعوا تلك المعاهدة درساً يعيننا على أن نقيم فى ختام الحرب الحاضرة سلاماً يمكن أن يدوم ؟

لقد لاح يومئذ أن مؤتمر باريس قد ينشئ سلاماً وطيد الدعائم . كانت أحوال العالم مواتية إلى حد غير عادى . إذ نزلت الهزيمة بألمانيا والنمسا والمجر وروسيا فأصبحت ولا حول لها ولا طول ، وكانت إيطاليا واليابان من الدول الثانوية ، فكانت القوة التى فى أيدى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا ، قوة هائلة . فكلها ديمقراطية المذهب . وزعماؤها — وودرو ولسون ولويد جورج وكليمنصو — كانوا على ما يبدو يستطيعون ، بما فى أيديهم من قوة ، أن يفرغوا العالم من جديد فى قالب يحقق رغبة جميع العقلاء فى العدالة والحرية والسلام . .

فلماذا أخفقوا ؟

فى سنة ١٩١٧ عين وليم بوليت مساعداً فى وزارة الخارجية الأمريكية ، وكان قد تخرج فى جامعة ييل منذ خمس سنوات ، وعمل محرراً للشئون الخارجية فى صحيفة « بيالك لدجر » التى تصدر فى فيلادلفيا . وفى سنة ١٩١٩ ذهب إلى مؤتمر الصلح ليعمل تحت إدارة الكولونيل هاوس رئيساً لقسم المخابرات السرية ، وهنالك شاهد الأقطاب الأربعة يعملون ، ورأى المعارك ، والاتفاقات ، والفرص الضائعة . وقد رأس مستر بوليت ، فى فترة انعقاد المؤتمر ، بعثة خاصة إلى الاتحاد السوفييتى ، وكان أول سفير للولايات المتحدة فى الاتحاد السوفييتى من سنة ١٩٣٣ إلى ١٩٣٦ ، ثم كان سفيراً فى فرنسا من سنة ١٩٣٦ حتى الغزو النازى .

كان كليمنصو شيخاً مناضلا جليلا ، نهضت شجاعته بفرنسا من ظلمة اليأس إلى النصر . وكان على ذكائه ، وعلى صراحته وصرامته فى الحب والبغضاء على السواء ، متشبعاً بشهوة سيطرت عليه ، هى أن يجعل فرنسا فى مأمن من أى هجوم ألمانى . فقد كان يعلم أن فرنسا أفلتت من الهزيمة

بمعجزة ، وأن فرنسا قد احتاجت فى سبيل النصر إلى جهود بريطانيا وروسيا وإيطاليا والولايات المتحدة وعدداً عديداً آخر من صغار الحلفاء . وكان يشك فى أن فرنسا تستطيع أن تحشد من حولها مرة أخرى مثل هذه الجماعة من الحلفاء . وكانت تتمثل دائماً فى ذهنه

« إن اختلال النسبة بين منازعات الشعوب ، وبين العذاب الذى يجره عليها حسم تلك المنازعات بالحروب ، والجوائز الضئيلة العقيمة التى تنال لقاء الجهود الرفيعة فى ميادين القتال ، ولحظات النصر فى الحروب حين تمر خاطفة كالبرق ، وذلك الجهد الطويل البطىء فى تعمير ما تخرب ، والمخاطر الفظيعة التى تدفع إليها الجرأة ، والهلاك الذى نفلت منها على قيد شعرة ، كل ذلك خليق أن يجعل الحيلولة دون وقوع حرب ثانية شغل البشرية الشاغل »

قالها ونستن تشرتشل سنة ١٩٢٩ وقد جعلها مستر بوليت مقدمة لهذا المقال

تلك الحقيقة المروعة ، وهى أن النصر قد كلف الفرنسيين ١٫٣٦١٫٠٠٠ نسمة ، فى حين أن الإمبراطورية البريطانية كلها فقدت ٣٫١٩٠٫٠٠٠ نفس ، ولم تفقد الولايات المتحدة سوى ٣٥٠٫٠٠٠ . وبهذا قضى على فرنسا أن تكابد فقراً فى الزعماء ، كفقرها فى الجنود ، جيلا كاملا على الأقل .

ولم يكن يؤمن بأن عصبة الأمم المقترحة خليقة أن تغير شيئاً من قلوب البشر ، وكان يشك فى قيمة مثل هذه المؤسسة حتى لوح له الكولونيل هاوس — أصدق أصدقاء وودرو ولسون — بأن تشكيل العصبة ربما كفل معونة أمريكا لفرنسا إذا ما حدث أى هجوم ألمانى . ويومئذ أصبح كليمنصو داعية إلى عصبة أقوى مما كان يريد ولسون أو لويد جورج . ومضى يكافح يوماً بعد يوم فى سبيل إنشاء بوليس دولى دائم لتوطيد السلام .

أما رئيس الوزراء لويد جورج ، بمهارته ، وظرفه ، وبراعته فى استغلال مواطن الغرور والضعف فى معارضيه ، فقد كان محامياً لبقاً فى خدمة موكل عظيم — هو بريطانيا . وكانت قرون أربعة من السياسة البريطانية المطردة فى نهج لا تحيد عنه ، كفيلة بأن ترسم له الطريق الذى لا بد أن يسلكه . وترجع تلك السياسة ، المعروفة بسياسة « توازن القوى » إلى اعتقاد راسخ بأنه إذا استطاعت أية دولة بمفردها أن تسيطر على أوربا ، فإن بريطانيا لن تجد من القوة ما يمكنها من صد عدوان تلك الدولة . فلما تم النصر لم ترد بريطانيا قط أن ترى حليفها الأكبر متناهياً فى البأس ، ولا صريعها

متناهياً فى القوة — لأنها فى الجولة الثانية قد تحتاج إلى عدوها المنهزم لتتخذه حليفاً ضد صديقها الحاضر .

وكان لويد جورج يمثل سياسة أخرى ، هى أن يضيف إلى الإمبراطورية البريطانية قطعاً من الأرض فى مختلف أرجاء العالم . وكانت المستعمرات الألمانيـة فى إفريقية ، والجزر الألمانية فى المحيط الهادى ، والممتلكات التركية (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق وبلاد العرب) غنائم وافرة .

وقد أتاحت فكرة عصبة الأمم للويد جورج آفاقاً واسعة لتحقيق كلتا السياستين ، لأن فكرة الضم إذا كانت تلقى تجهماً من الرأى العالمى ، فإن ما يعادلها تقريباً من السيطرة يمكن أن يتحقق بقبول «انتداب» من عصبة الأمم . ثم إن عصبة الأمم قد تصبح أداة نافعة لتعبئة الأمم الضعيفة لقتال أقوى أمة فى أوربا . هذا إلى أن العصبة قد تكفل لبريطانيا فى حالة الحرب معونة عاجلة من الولايات المتحدة . كان البريطانيون إذن يريدون عصبة للأمم ، ولكنهم لم يريدوها عصبة قوية ذات جيش ، كما كان يريدها الفرنسيون ، ثم إنهم لم يريدوا أن يلزموا بعهد وثيق أن يخوضوا غمار الحرب فى حالة العدوان على عضو من أعضاء العصبة ، وإنما أرادوا أن تترك لهم ، على نحو ما ، حرية التسامح فى حوادث العدوان الصغيرة — كما حدث فيما بعد فى منشوريا والحبشة — مادامت لا تمس من قريب سلامة بريطانيا ، ولا تهدد بخلق سيطرة دولة بمفردها على أوربا .

كانت النهوة المستحكمة فى نفس كليمنصو هى تأمين فرنسا ، وكان همّ لويد جورج أن يحافظ على توازن القوى وأن يستولى على مزيد من الممتلكات للإمبراطورية البريطانية ، وكان حلم الرئيس ولسون أن يقيم سلاماً دائماً على الأرض .

وفى هذا اليوم الحافل بالبغضاء والحرب والموت لا يسخرن أحد من حلم ولسون ، فإن العالم لا يشقى الآن لأنه أخطأ هدفه ، بل لأنه لم يدر كيف يناله .

لقد كانت لولسون ، كسائر البشر ، عيوبه ومواطن ضعفه . من ذلك أنه تعلم كيف يصوغ العبارات التى تهز قلوب الناس ، ولكنه أسرف فى الإيمان بالألفاظ ، حتى كان فى بعض الأحيان يعتبر الكلمة عملا ، والعبارة تصرفاً وفعلا . وأهمل تعبيد الطريق لدعوته ، متخيلا رجال السياسة وقد سمت بهم صيحاته حتى أصبحوا «سكارى بروح التضحية» ، ويضعون على هدى تلك الروح صلحاً عادلا يكتب له الدوام .

وقد أتيحت له فرصته الأولى الكبرى للخلاص من المعاهدات السرية ودعوة الحلفاء

إلى صلح منصف ، عندما زار أمريكا مستر بلفور وزير الخارجية البريطانية بعد دخول الولايات المتحدة فى الحرب بقليل. وإنه لمن العسير أن يبالغ أحد فى قدر تلك الفرصة، لأن بلفور كان مضطرا إلى أن يخطر ولسون بأن الحلفاء فى موقف اليأس ، وأنهم يعتمدون كل الاعتماد فى إنقاذ حياتهم ، على رجال أمريكا ، وذخيرتها ، وطعامها .


وودرو ولسون

ولكن ولسون لم يستغل هذه الفرصة ، ورئى أن لا يطلب استئصال شأفة المعاهدات السرية ، بل لم يطلب حتى أن يطلع عليها .

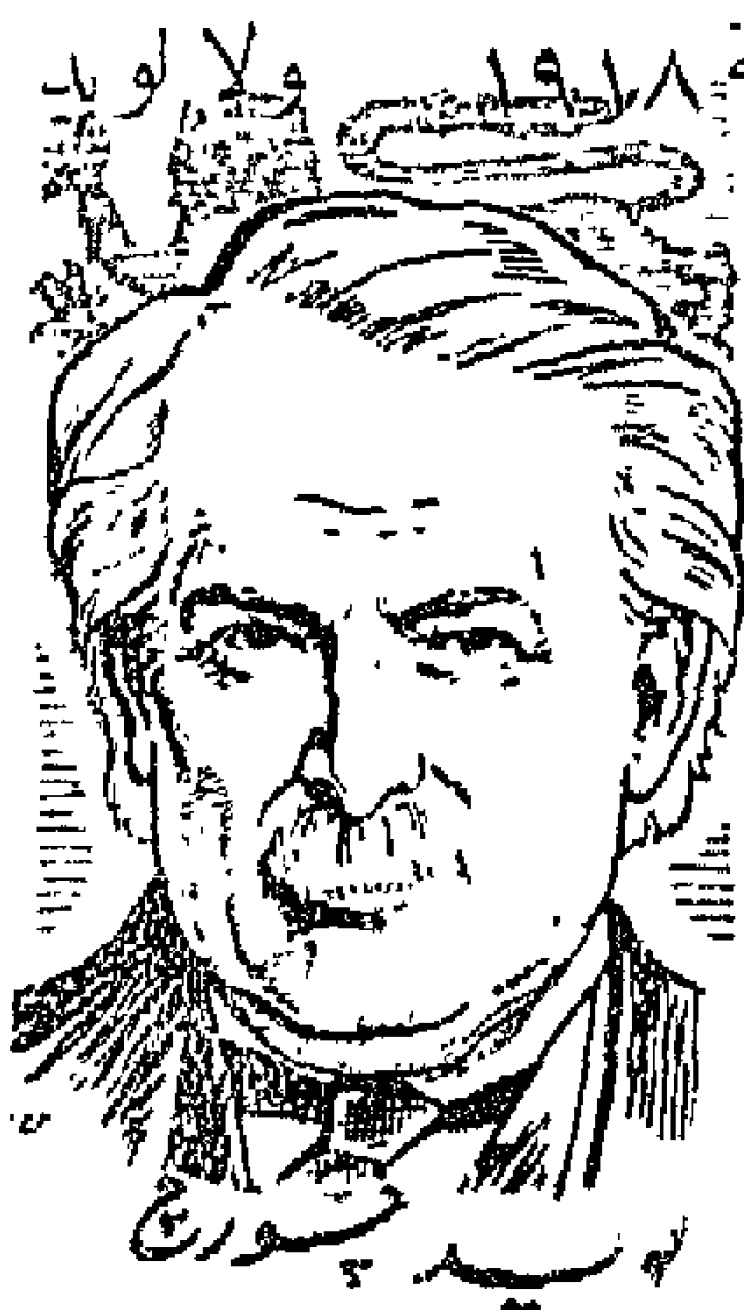
وكانت إحداها ، تلك المعاهدة السرية بين اليابان وبريطانيا ، وبمقتضاها حصلت الإمبراطورية البريطانية على الجزر الألمانية فى المحيط الهادئ فى جنوب خط الاستواء ، وحصلت اليابان على الجزر الألمانية فى شمال خط الاستواء — وهى التى يضحى جنود الحلفاء وبحارتهم وطياروهم بحياتهم فى سبيل الاستيلاء عليها الآن .

ولاحت فرص أخرى كثيرة خلال الأشهر السبعة عشر التالية ، وظل الحلفاء يعتمدون على الولايات المتحدة حتى انهار الجيش الألمانى فى أكتوبر سنة ١٩١٨ . وكان فى استطاعة ولسون فى أى وقت خلال تلك المدة الطويلة أن يستغل قوته لإلزام الحلفاء بوضع الصلح الذى يريده . فلم يحاول شيئاً من ذلك ، وأعلن أهداف أمريكا من الحرب فى خطاب الشروط الأربعة عشر ، وفى خطب أخرى بليغة كثيرة ، ولكنه لم يحاول أن يحزم مع الحلفاء أمراً حتى جاء الانهيار الألمانى .

وعلى هذا النمط نفسه أهمل اتخاذ الاحتياطات الأولى لضمان موافقة مجلس الشيوخ الأمريكى على معاهدة الصلح . ودعا إلى انتخاب مجلس نيابى أغلبيته من الحزب الديمقراطى فى نوفمبر سنة ١٩١٨ ، ولكن الناخبين منحوا الجمهوريين أغلبية الأصوات فى مجلسى النواب والشيوخ . وأعلن عدد كبير من الجمهوريين ، بينهم الرئيس السابق تافت ووزير الخارجية السابق إليهو روت ، تأييدهم لفكرة إنشاء عصبة تضمن السلام بالقوة ، واقترحوا على ولسون أن يضم إلى وفده لمؤتمر الصلح عضوين من الجمهوريين الأقوياء ، فيكفلون له أن يبذلوا كل ما فى استطاعتهم من جهد للظفر بموافقة مجلس الشيوخ على المعاهدة ، ولكنه تجاهل ما عرضوه .

وهكذا استقل ولسن ظهر الباخرة «جورج وشنطن» فى ٤ ديسمبر سنة ١٩١٨ وأمامه المعاهدات السرية ، ومن خلفه أغلبية غاضبة من الجمهوريين . ولكنه كان على أتم ثقة من قدرته على أن يقدم للعالم الصلح الذى وعده به . وزاده إيماناً بقوة كلماته ورسالته ذلك الترحيب العظيم الذى حف بمقدمه فى باريس وفى لندن وفى إيطاليا ، حيث كان الفلاحون يوقدون الشموع أمام صورته . نعم ، لقد كان زعيما من زعماء البشر ، إلى أقصى ما يستطيع أن يبلغ فى هذا الشأو إنسان ، وكان يعتقد أن شعوب أوربا ستنهض نهضتها وتسير من ورائه حتى ضد حكوماتها .

ولم يكن الاتفاق قد تم حينئذ على أى برنامج للمؤتمر . وكان كليمنصو قد اقترح أن توضع شروط الصلح أولا ثم يليها عهد عصبة الأمم ، وأصر ولسون على أن تنشأ العصبة قبل مناقشة شروط الصلح . وكانت نظريته أن ذلك يجعل «الأمان طليعة السلام» وبهذا تسهل عليه مهمة إقناع الساسة المجتمعين فى باريس بأن يجعلوا رائدهم روح الإنصاف الصحيح .



وكان لولسون ما شاء ، ولم يكن كليمنصو ولا لويد جورج أعضاء فى اللجنة التى عهد إليها بتحضير عهد العصبة ، ولكن ولسون كان عضواً فيها ، وراح يعمل فى حماسة وإتقان . ولم يكن لديه متسع من الوقت يصرفه فى دراسة مشاكل المؤتمر الحربية والاقتصادية ومشاكل الحدود ، بيد أن «مجلس العشرة» بحث فى ٢٤ يناير ، مسألة الانتداب . وتقدم البريطانيون باقتراح ينص على أنه «لا يجوز فى أية حال من الأحوال أن تعاد إلى ألمانيا أية مستعمرة من مستعمراتها» . وكان لهذه اللحظة خطرها الخارق ، لأن المسألة لا تنطوى على مصير جماعات كاملة من الشعوب وحسب ، بل يترتب عليها أن تمنح ألمانيا أو لا تمنح صلحاً مبنيا على التراضى الصحيح ، على نحو ما وعد به ولسون .

وكان قد أعلن مراراً معارضته فى فكرة ضم الممتلكات . وكان ذلك واضحاً فى الشرط الخامس من الشروط الأربعة عشر التى قبلها البريطانيون وسائر الحلفاء أساساً للصلح ، ولكنه وافق لويد جورج على طلب تجريد ألمانيا من جميع مستعمراتها ، إذ كان مقتنعاً بأن ألمانيا لا تستحق أن تملك أية مستعمرات ،

وبهـذا خطا أول خطوة من الخطوات الكثيرة التي جعلت من العسير على أي ألماني أن يعـدّ معاهدة فرسـاي تطبيقاً منصفاً للشروط الأربعة عشر ، أو نوعاً من أنواع الصلح القائم على التراضي .

* * *

وقبل رحيـله إلى أمريكا بيوم واحد ، في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ تلا ولسون في الجلسة الأخيرة لمؤتمر الصلح عهـد عصبة الأمم . وقد كان يومئـذ منهوك القوى ، ولـكنه كان سـعيداً كل السـعادة . « إن أولئك الذين كانوا يرتابون ويتشككون بعضهم في بعض ، يستطيعون الآن أن يعيشوا كما يعيش الأصدقاء والرفاق في أسرة واحدة ، فقد أزيلت مباءات الشك والدسائس » . هكذا قال ، وهكذا كانت عقيدته !

وقبل أن يبحر ولسون إلى أمريكا أصدر أوامره إلى الـكولونيل هاوس أن يعاون قادة الحلفـاء في وضع النصوص المتعلقـة بالمسائل الحربيـــة ، ومشاكل الحدود ، والتعويضات ، والشئون الاقتصادية ، في المعاهدة . وشرع هاوس في العمل مشبعاً بالأمل ، فلما أطلعوه على مطالب الحلفاء كتب إلى ولسون في لهجة اليائس : « لقد أصبح من الواضح الآن أن الصلح لن يجيء على نحو ما كنت آمل ، ولا على نحو ما كان ينبغي أن يتمخض عنه هــــذا الانقلاب الهائل » .

وعاد ولسون إلى فرنسا في ١٤ مارس ممتلئاً بروح النضال ، وكاشف هاوس بأن إنشاء العصبة لم ينهنه من مطالب الحلفاء ، ونصح له بقبول تلك المطالب على وجه السرعة . وكان الأخذ بنصيحة هاوس يعني تنكره لما يعتقد في رسالته فرفضها .

وفي عصر اليوم الذي وصل فيـه إلى باريس اجتمع بكليمنصو ولويد جورج ، وقد صمم على أن لا يقبل تسوية ، ولـكنه بدأ المعركة بتسليم مدهش ، إذ وافق « في لحظة حماسـة » على إبرام معـاهدة تضمن دخول الولايات المتحدة في الحرب إلى جانب فرنسا على الفور إذا هاجمتها ألمـانيا . وقد قبـل ذلك لـكي يجعل « الأمان مقـدمة السـلام » ، ولـكي يتخلص كذلك من احتجاج الفرنسيين بأن فرنسـا لن تكون آمنة إلا إذا احتل الجيش الفرنسي شاطئ الرين الغربي احتلالا دائماً .

وقد كان جل الأمريكيين في مؤتمر باريس على ثقة من أن مجلس الشيوخ لن يقبل معاهدة التحالف هذه ، وكانوا يعتقدون أن كليمنصو قد خدع بوعد لا سبيل إلى الوفاء به ، ومع ذلك قبل كليمنصو ذلك الضمان الوهمي .

وفى ٢٧ مارس طلب كليمنصو احتلال منطقة الرين ثلاثين سنة وضم إقليم السار ، فلما كان اليوم التالى ردَّ ولسون ، وقد تملكته سورة الغضب ، بأن الفرنسيين يقحمون مسائل إقليمية لاشأن لها بأغراض الحرب عند أحد من الناس ، وأن أحداً لم يسمع بعزمهم على ضم وادى السار إلا بعد إعلان الهدنة .

فأجاب كليمنصو غاضباً :

« إنكم تعملون على هدم فرنسا » .

فقال ولسون :

« هذا غير صحيح ، وأنت تعلم أنه غير صحيح ! »

فكان جواب كليمنصو إنه إذا لم تحصل فرنسا على السار فإنه لن يوقع معاهدة الصلح .

فأجاب ولسون :

« معنى هذا أنه إذا لم تحصل فرنسا على ما تريد فإنها ترفض أن تعمل معنا . وفى هذه الحالة أتريدنى أن أعود إلى بلادى ؟ »

فقال كليمنصو :

« إننى لا أريدك أن تذهب ، ولكنى أنا الذى أذهب إلى بيتى » .

ثم غادر القاعة .

وعندئذ وقع ولسون فى براثن ورطة هائلة ، فقدكان يحس أنه إذا أمضى معاهدة تنافى « العدل والحق » كان هو الذى يبذر بذور حروب جديدة ، ويخيب آمال العالم ، ولكنه كان يعلم أنه إذا فض المؤتمر فقد أثار حرباً سياسية هائلة المدى فى أوربا وأمريكا ، وخرج بقلة من الأصدقاء . فجعل يتطلع فى حسرة إلى النفوذ الذى كان له على الحلفاء قبل انهيار الألمان ، ويتمنى ، بعد فوات الفرصة ، لو أنه استغل ذلك النفوذ حين كان يملكه .

وفى ٣ أبريل خارت قواه العصبية والجثمانية ، « فكانت تنتابه نوبات حادة من السعال ، تعرقل تنفسه لشدتها وكثرتها . وأصيب بحمى بلغت حرارتها ٤٠ درجة ، وبلغت حالته مبلغاً كبيراً من الخطر » .

ولم يكن بد من مضى المؤتمر فى أعماله ، فاجتمع بعد يومين اثنين لويد جورج ، وكليمنصو ، وأورلندو رئيس الوزارة الإيطالية ، والكولونيل هاوس ، فى مكتب ولسون . وراح الكولونيل هاوس يغدو ويروح بين غرفة النوم والمكتب لكى يتابع سير المفاوضات .

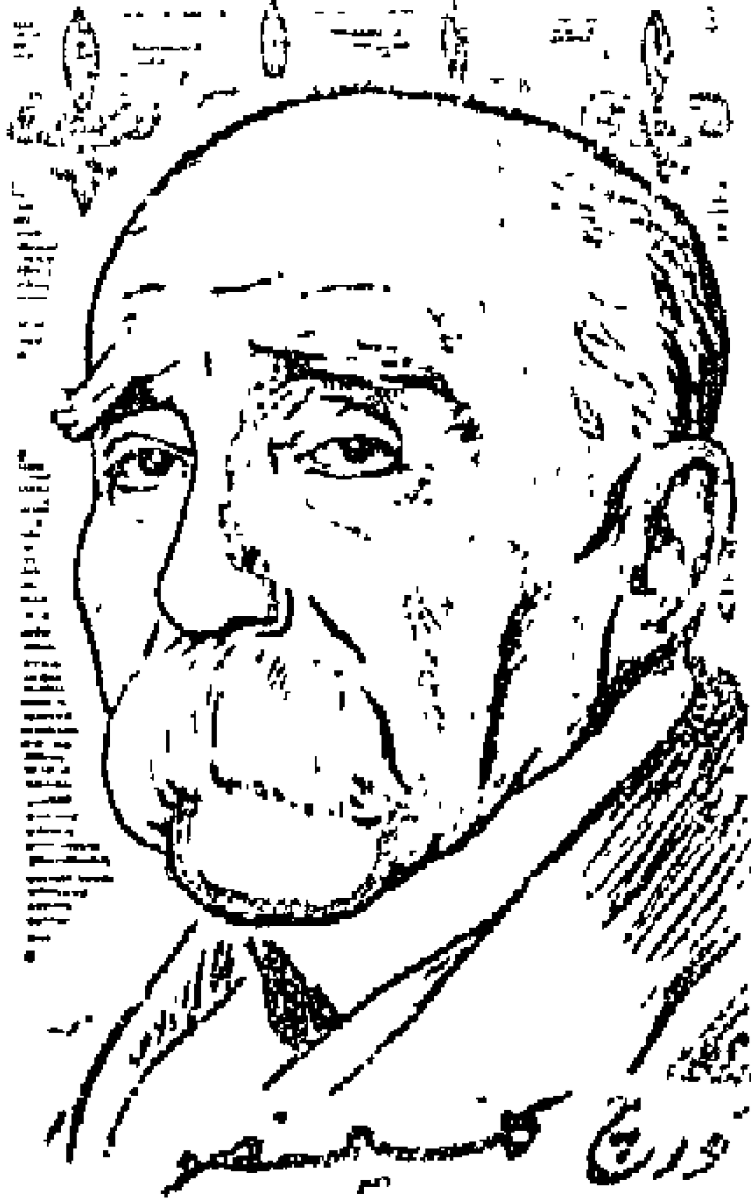
وجاءت المناقشة فى مسألة التعويضات . وكان ولسون قد أصدر أمره إلى الخبراء الأمريكيين بالكف عن نضالهم فى سبيل فكرته الأصيلة بالنص فى المعاهدة على مبلغ معين تدفعه ألمانيا ، ولكنه كان لا يزال يتوهم أن لويد جورج سيؤيده فى

الإصرار على أن يحـدد مجموع التعويضات بالمبلغ الذى تستطيع ألمانيا أن تدفعه فى مدة ثلاثين سنة . وكم كان نفور ولسون حين جاءه الكولونيل ينبئه بأن لويد جورج يعارض أى تحديد : سواء فى عدد السنين أو فى المبلغ الذى ينبغى أن يدفع .

وفى اليوم التالى أصدر ولسون أوامره بوقف جميع المساعدات المالية التي كانت أمريكا ترسلها إلى بريطانيا وفرنسا ، ظنا منه أن الحلفاء ما زالوا فى حاجة إلى المال ، وأن سلاحه المالى لم يزل قويا كما كان . وكذلك أصدر أمره إلى الباخرة « جورج وشنطن » أن تعود إلى برست ليستطيع الرحيل إلى أمريكا . إذا لم يستطع أن يظفر بصلح من النوع الذى يريده للعالم .

ولما قال كليمنصو للأميرال جريسون ، طبيب ولسون وصديقه الحميم : « إنها خدعة . أليس كذلك ؟ » أجابه جريسون بإخلاص كامل : « ليس فى دمه ذرة خداعة واحدة » !

على أنه إذا كانت قد بقيت فى ولسون بقية من روح النضال ، فقد زالت هذه البقية ببرقيتين : إحداهما من سكرتيره فى البيت الأبيض جوزيف تيومالتى يقول فيها : « إن إصدار الأمر إلى (جورج وشنطن) بالعودة إلى فرنسا يبدو هنا عملا من أعمال التسرع والمشاكسة ، والانسحاب فى هذا الوقت يعد فراراً من الميدان » . والبرقية الثانية من وزير المالية يقول فيها إن الترتيبات المالية التى تمت مع بريطانيا تفى بحاجاتها إلى أول يوليو ، وأن الالتزامات التى سامت إلى فرنسا تغطى مطالب فرنسا فى المستقبل تماماً .



وهكذا كان السلاح المالي الذى عول عليه ولسون قد أفلت من يده دون أن يحس ضياعه ، وكان عليه أن يقبل « تسوية » فى مسألة التعويضات .

ورأى ولسون على أثر ذلك أن يستبعد الأمريكيين جميعاً من اجتماعات الأربعة ، فكان لويد جورج وكليمنصو يستعينان بالمستشارين ، أما هو فلم يصحب منهم أحداً ، بل وافق وحده على تحويل شروطه الأربعة عشر إلى معاهدة فرساى .

وراح ولسون يهدئ ضميره الحي القوى بإقناع نفسه بأن عصبة الأمم ستصبح على مر الزمن قوية ، حتى تستطيع أن تبدل جميع الشروط الجائرة فى المعاهدة . وكان يقول

لأصدقائه مرة بعد أخرى : « ما كنت لأفعل ذلك لو لم أكن على يقين من أن عصبة الأمم ستعيد النظر فى هذا القرار » .

وسلمت معاهدة فرساى إلى المندوبين الألمانيين فى ٧ مايو ، وبمقتضى بنودها خسرت ألمانيا فيما خسرت :

١ — الألزاس واللورين لفرنسا .

٢ — وادى السار ، على أن يصبح تحت إدارة لجنة دولية إلى أن يجرى فيه استفتاء عام بعد ١٥ سنة ، وضمت مناجم الفحم فى السار إلى فرنسا .

٣ — شلزويج العليا ، للدنمرك .

٤ — النصف الجنوبى من سيلزيا العليا ، وشطراً كبيراً من مناطق بوزن وبرومبرج ، وممراً إلى البحر — يفصل بروسيا الشرقية عن جسم ألمانيا ، وقد أعطيت كلها لبولندة .

٥ — مدينة دانزج ، وتتولى شئونها العصبة .

٦ — جميع مستعمراتها .

٧ — جميع سفن الأسطول الألمانى التجارى التى تزيد حمولتها على ١٦٠٠ طن ، ونصف السفن التى تتراوح حمولتها بين ١٠٠٠ طن و ١٦٠٠ طن ، وقد أعطى معظمها لبريطانيا بمقتضى نص يحتم تعويض كل طن من السفن خسره الحلفاء أثناء الحرب .

٨ — أى عدد من البليونات ترى لجنة التعويضات فرضه أو تستطيع أخذه منها .

٩ — يخفض تعداد الجيش الألمانى إلى ١٠٠,٠٠٠ مزودين بالمدافع والذخيرة التى تناسب هذا العدد ، ويحطم الباقى . وتدمر جميع التحصينات ، وينزع السلاح نزعاً تاما فى جميع الأراضى الألمانية الواقعة على طول نهر الرين .

١٠ — يسلم الأسطول الألمانى ، ثم يحدد عدده بست بوارج صغيرة ، وستة طرادات خفيفة ، و ١٢ مدمرة ، و ١٢ زورقاً من زوارق الطربيد .

١١ — تدمر جميع طائرات الجيش والأسطول ، وغيرها من العتاد الجوى ، ويحرم إنشاء قوات جوية للأسطول أو للجيش تحريماً باتا .

* * *

كانت الفكرة العامة التى تمخضت عنها معاهدة فرساى هى فكرة القسوة الحاقدة ، ولكنها لم تكن بحال ما قاسية إلى الحد الذى يمكن أن تبلغه ، فلم تدمر ألمانيا ولم تمزق إرباً إربا ، بل جردت من قوتها ولكنها لم تصب بالعجز إلى الأبد .

ولم يكن الصلح من ناحية أخرى صلحاً مرضيا يتيح للديمقراطية الألمانية الوليدة فرصة حقيقية تكافح فيها العنجهية العسكرية

البروسـية وتغلبها وتجتثها من جذورها ، بل كانت المعاهدة تنطوى على أمور كثيرة تصلح لأن يلغط بها المتخصصون فى البغض — من أمثال هتلر .

وكانت أفظع شروطهـا تلك التى تتعلق بالتعويضات ، وقد كانت تنذر بأن الجنس الألمانى كله سيظل طوال المسـتقبل الذى لا يعرف له نهاية عاملا فى خدمة الحلفاء . ولـكنها كانت فى حقيقتها غير صـالحة للتطبيق ، بحيث تمخضت عن حالة من الفوضى الاقتصادية فى ألمانيا . ولم يكن بدٌّ من إعادة النظر فيها — ثم اقتصرت ألمانيا فى النهاية ، على سـداد المبالغ التى كانت قد اقترضتها من أغرار الممولين الأمريكيين .

وكانت روسـيا ، بعد أن مزقتها الحرب الأهلية ، هى الدولة الـكبرى التى لم تمثل فى مؤتمر باريس . وقد عرضت الحـكومة السوفياتية على الحـكومات المتحالفة والمتحدة اقتراحاً فى ١٤ مارس سـنة ١٩١٩ ، يرمى إلى دعوة مؤتمر للبحث فى أمر الصلح على أسـاس احتفاظ الحـكومات التى قامت فى أراضى الإمبراطورية الروسية السابقة وفى فنلندة ، بالسيطرة التامة على الأراضى التى تحتلها . وكانت الحـكومة الروسية إذ ذاك تسيطر على شطر صغير من الأرض بالقياس إلى ما يعرف الآن باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . وكان معنى اقتراحات لنـين أن الحـكومة السوفياتية تبـدى اسـتعدادها للتخلى مؤقتاً ، على الأقل ، عن جميع سـيبريا ، ومنـاطق الأورال ، والقوقاز ، وفنلنـدة ، ودول البلطيق ، ومعظم أوكرانيا . وقبـل لنين ، فضلا عن ذلك ، الاعتراف بالديون القيصرية .

وكانت الأمراض والأعبـاء قد أثقلت كاهـل ولسون حتى أقعـدته عن بحث الاقتراح ، فـكانت العواقب وخيمة . وربما كان قرار ولسون بأن لا يجهـد بالعبء الروسى ذهنه ، أهم قرار اتخذه فى باريس .

وسيطرت اليابان بمقتضى معاهدة فرساى على إقليم شـانتونج الصينى . وقد أحس ولسون بتأنيب ضميره فى شأن هذه المادة من مواد المعاهدة ، ولم يغمض له جفن فى الليلة السابقة لإدراجها ، لـكثرة ما فـكر فيها ، فقد كان يعلم أنه سيتهم بالتنكر لمبادئه هو نفسه . ورفضت الحـكومة الصينية أن توقع المعاهدة ، وظفر المعارضون فى مجلس الشيوخ الأمريكى بحجة من أقوى حججهم ضد إبرام المعاهدة .

وفى ٢٨ يونيو سـنة ١٩١٩ أمضيت معاهدة فرساى ، وامتدحها ولسون قائلا : « إنهـا تقضى قضاء مبرماً على نظام عتيق لا يطاق . فهنا يتسع المجال للرضى التام ،

والثقة العامة ، والأمل الوثيق » وكان قد تخلص من شعوره بالإثم ، حين تشبث بأهداب الاعتقاد بأن عصبة الأمم ستصبح « برلمان البشر » الذى يعدل شروط المعاهدة المعيبة .

وقد اعترضت أغلبية الجمهوريين فى مجلس الشيوخ على بعض مواد عهد العصبة ، وأصرت على إضافة بعض التحفظات إلى نصوصها ، فلم يقبل ولسون تلك التحفظات. وكان من جراء ذلك أنه عند ما عرضت معاهدة فرساى على مجلس الشيوخ للاقتراع فى نوفمبر سنة ١٩١٩ ، ومعها التحفظات ، طلب ولسون إلى الشيوخ الديمقراطيين أن يصوتوا ضدها ، فرفضت وكان ٣٩ شيخاً معها و ٥٥ ضدها .

لم توافق الولايات المتحدة قط على المعاهدة ، ولم تعرض ، حتى للتصويت ، معاهدة التحالف مع فرنسا ، ذلك التحالف الذى ارتضاه كليمنصو بديلا من احتلال ضفة الرين الغربية احتلالا عسكريا .

وهكذا أخفق كليمنصو فى تحقيق الأمان لفرنسا ، وأخفق ولسون فى إقامة سلام دائم . وظفر لويد جورج بنجاح خلّب برّاق ، إذ احتفظ بتوازن القوى فى أوربا وحصل على بعض الغنائم للامبراطورية البريطانية ، ولكنه أخفق أيضاً ، فإن أعظم مصلحة لبريطانيا هى السلم ، وها هى ذى بريطانيا بعد انتصاره بعشرين سنة قد خاضت غمرة الحرب وأشرفت فى وقت ما على الهلاك.

لم يكن ثم فائز فى مأساة فرساى ، وإنما كانت البشرية كلها خاسرة .

***

ومن هذه القصة المحزنة عن النيات الخالصة التى لم تؤد إلا لحرب عالمية جديدة يمكن أن تستخلص بعض العبر :

١ — فى نهاية كل حرب عظمى تأتى فترة يصبح العالم فيها غضًّا طريًّا يمكن أن يصب على أيدى قادة الدول الظافرة فى قالب يكون خيراً أو شراً مما كان . وهذه اللحظة تمر مسرعة بما تحمل من فرصة ، ثم يجمد العالم فى القالب الجديد الذى تصوغه تسويات السلم . فإذا كانت هذه التسويات حكيمة ، تمتع العالم بفترة من السلام ، وإذا كانت طائشة ، تصدع العالم عاجلا ومزقته الحرب .

٢ — إن الاتجاه السياسى والاقتصادى والحربى والمعنوى نحو شروط الصلح الحكيمة يجب أن يبدأ قبل هزيمة العدو بزمن طويل . ويجب استبعاد شروط الصلح الطائشة باتفاقات دولية تقيد حلفاءنا ويرتبطون بها ، على حين يعتمدون علينا للاحتفاظ بكيانهم نفسه ، إذ ينبغى أن

نستعمل قوتنا ونحن نملكها ، وذلك ما لم يفعله ولسون .

٣ — إن تنظيم السلم معضلة أشق بكثير من تنظيم الحرب . فيجب أن نعرف ما نريد ، وأن نضع الخطة للحصول على ما نريد ، ثم نعمل فى الوقت المناسب . وإن وجود هيئة لتنظيم السلم ، تعمل باتصال وثيق مع رئيس الجمهورية أمر لا يقل ضرورة عن وجود هيئة لتنظيم الحرب .

٤ — بمقتضى الدستور الأمريكى يملك مجلس الشيوخ سلطة العمل إلى جانب سلطة رئيس الجمهورية فيما يتعلق بالمعاهدات . ولذلك كان تنسيق الآراء والمقاصد والنيات تنسيقاً وثيقاً من الأمور الأساسية ، حتى لا يفاوض الرئيس فى معاهدات ثم يرفضها مجلس الشيوخ .



٥ — إننا نحن الأمريكيين لا نستطيع النجاة من عواقب أية تسويات طائشة فى أوربا أو آسيا ، تجر حروباً جديدة . فإننا سنجر جرًّا إلى تلك الحروب .

٦ — إن السلم فى أوربا — حيث يحتشد ٣٥٠ مليونا من أقدر شعوب الأرض — هى المشكلة الرئيسية فى سلام العالم . وهى مشكلة تبلغ من الصعوبة فى بعض الأحيان مبلغاً يحمل على اليأس من إمكان إدماج ألمانيا فى مجتمع محترم قوامه القانون الدولى ، وتنظيم أوربا على أساس اتحاد سلمى للدول الديمقراطية .

وربما جنحنا فى ساعات الإعياء إلى أن نحاول أن ننفض أيدينا من المشكلة ، ولكننا لا نستطيع أن ننفض أيدينا ، لأننا لا نستطيع أن نخرج من هذا العالم .



أينا يسبق صاحبه ؟

ساعتى متأخرة عشر دقائق ، وأظنها متقدمة خمس دقائق . وساعتك متقدمة خمس دقائق ، وتظنها متأخرة عشر دقائق . ونتفق على أن نلحق قطاراً واحداً يبرح المحطة فى الساعة الرابعة . فأينا يسبق أخاه إلى المحطة ؟.. حل المسألة بغير قلم وورق ، ثم راجع الجواب الصحيح صفحة ٦٤ .

« أكانت حورية البحر ، التى ظن قدامى الملاحين أنهم رأوها ، سموراً يلهو ؟ »

سمور البحر وأساليبه الناجحة



ألن ديفو

ملخصة عن مجلة « فرونتيرز »

على حفافى شاطىء ألاسكا الصخرى ، يعيش حيوان ثديى برمائى ، ناعم الفرو ، يدعوه الأسكيمو أميكوك هو سمور البحر الشمالى — من أندر الحيوان فى الدنيا وأعظمه فتنة .

ولما كان الأميكوك عضواً فى تلك الفصيلة التى تتضمن الغريرات والسمامير البرية والمنك فيلوح كأنه هجين مولد من فقمة وسمور كبير الحجم . ويبلغ طوله أربع أقدام أو خمساً ، ويزن خمسة وأربعين رطلا إلى سبعين . وله لحية أنيقة مسرحة ، ووجه كأنه وجه آدمى ، تعبر تقاسيمه عن بشاشة الرضى . وفروه اللامع أسمر أدكن يضرب إلى سواد فاحم ، تتخلله شعرات فضية ، وهو يحيط بدنه قضفاضاً متموج الطيات . أما براثنه الأمامية فى أصابعها الخمس ، فهى له بمنزلة يدين رشيقتين ، فى حين أن قدميه الخلفيتين الكبيرتين المكفوفتين (ملصقة الأصابع) فهما مع ذنبه القوى ، يمكنانه فى الماء من الإتيان بحركات تدعو إلى العجب .

ويعيش الأميكوك أكثر مايعيش فى الماء ، إلا فترات قليلة يقضيها وهو يتشمس فوق الصخور ، وهو يحب أن يسبح طافياً على ظهره واضعاً يديه متقاطعتين بوداعة على صدره ، مترفعاً فى تقلبه مع الأمواج ، متناعساً أو مفتوح العينين ، وادعاً متطلعاً إلى السماء . وتراه بين الفينة والفينة ، وقد التقط شيئاً من حشائش البحر العابرة فيكورها ، ثم يقذفها لاعباً أعلى فأعلى ، حتى يفقدها فى النهاية . ثم يضع براثنه مرة أخرى متقاطعة من فوق صدره ، ويغمض عينيه ، ويدع الماء يسبح به وهو فى أحلامه . وله عادة فذة ، إذ يقف منتصباً فى الماء متطلعاً فيما حوله ، رافعاً إحدى يديه أمام عينيه ليقيهما وهج الشمس ، وقد تكون هذه الحركة العجيبة هى السبب فى ذيوع تلك الأساطير عن حوريات الماء .

وسمامير البحر لا تتقاتل كما تفعل الفقمات بل يؤلف بينها حب عميق للجماعة . فإذا تجمعت فى مياهها الأقليمية ، تتلفف ببعض أعشاب البحر لكى لايفترق بعضها عن بعض أثناء النوم .

وألعاب أسرابها لا ينتهى تنوعها ،

وتأتيها السمامير لاعبــة متحمسة ، فى مياه لاغبة صاخبة . وهى تستبق وتثب كما تفعل خنازير البحر ، أو تتنافس فى أعمال بهلوانية فتتقلب أو تدور مسرعة ، حتى ترى كأنها خيالات لها زفيف . وكثيراً ما يمسك سمور عشباً بحريا يلتقطه من الماء ، فيرميــه إلى آخر ، فيرميه إلى ثالث ، وهكذا حتى يدور على كل أفراد السرب .

ولكل سرب فى العادة مرعى فى ضحضاح ، ويمتــد نطاقه ستين ميــلا . وأساس غذاء السمور هو محـار الدلاع (بلح البحر) وقنافذ الماء (التوتيا ، الرتسا) والسراطين والسبــادج والأعشاب البحرية ، وقاما يستمرىء السمك . ولما كان طعامه المفضل يأتيه من قعر البحر ، فهو غواص ماهر ، فيضم ذراعيــه إلى صدره ، ويعوّج جسمه وينــدفع إلى أسفل بصلابة وشدة مستعيناً برجليه اللتين كأنهما زعنفتان . ويستطيع أن يظل تحت الماء ست دقائق ، وقد يغوص بعض الأحيان ٢٤٠ قدماً .

فإذا طفا الأميكوك ومعه محارتان استلقى على ظهره ، وضرب إحداهما بالأخرى حتى تتكسر . فإذا خرج بواحدة بحث عن قطعة من الحجر مناسبة الحجم وضرب بها المحارة حتى يفتحها . فإذا ما أعد طعامه على هذه الصورة ، سبح طافياً على ظهره ونثر الآراب على صدره ، ومضى يأكلها مستريحاً . فإذا فرغ من وجبة غسل براثنه غسلا جيداً ، ومسح على وجهه برشاش من ماء البحر .

وقد يلد الأميكوك فى أى فصل من الفصول . ومنه لأليفته الوحيدة كل الرحمة وكل الحب ، فهو يربت عليها براثنه مبدياً كل عطف وحنان ، ويمسح خدها بخده ، ويضم جسمها النحيل بين ذراعيه ، ويحك أنفها بأنفه مرة بعد مرة ، ثم يقبل كلاهما صاحبه .

ويولد جرو السمور تام النماء ، مفتوح العينين ، وله ٣٢ سنا كاملة ، غير أنه يحتاج إلى الرضاعة ، وإلى العناية به قرابة حول ، إذ يكون عاجزاً عن العوم ، وإن كان يولد على السيــف (شاطىء البحر حيث تمتــد الأمواج وتنحسر) . فتطفو الأم مستلقية على ظهرها ، ضامة جروها إلى صــدرها ، حيث يرضع ويغفو فى ذلك المهاد المستحدث من جسدها . وقد تقذف به فى الهواء أو تداعبه بشىء من أعشاب البحر أو الأصداف وتناغيــه ثم تمطره بالقبــلات . فإذا نامت فبراثن يديها كأنها غلق من حوله .

فإذا بلغ الجرو مبلغ القدرة على إطعام نفسه ، استطاعت الأم أن تغوص غوصة سريعة فى طلب الطعام ، وعندئذ لا بد لها من أن تتركه وحده سابحاً على سطح الماء فإن غابت عنه أكثر من بضع دقائق بعد

ذلك أوشك على الغرق ، فإذا عادت إلى سطح الماء ، عوى الجرو المفزع المتخبط عواء الآمن من بعد خوف . فإذا كان ثمة خطر انتهرته حتى يكف عن عوائه . ويعلم العوم بأن يترك فى الغمر فترات تطول شيئاً بعد شىء ، ويعود الأكل بأن يلقم جزلا من طعام بحرى طرى .

وكان الإنسان هو وحده ألد أعداء السمامير ، فطاردها حتى أصبحت من أندر ذوات الفراء فى الأرض . ومن النادر أن ترى الأميكوك حتى فى مياه الجزيرتين (واسماها من أسرار الحكومة) اللتين يكثر فيهما . وكل اتجار بفراء السمور غير مشروع الآن . ولكن عندما كان بيع فرائه مشروعاً فى سنة ١٩١١ ، فقد كان ثمن الجلد الواحد ١٩٩٠ دولاراً . والفراء أثيث غزير الشعر ، حتى إنه ليصعب على إصبع الإنسان أن تنفذ من خلاله إلى الجلد ، وكساء منه أثقل من شملة ملك مصنوعة من جلد القاقم (الأرمين) .

ومنذ زمان لا تعيه الذكريات ، اصطاد الأسكيمو السمور مترفقين به ، فلم يوقعوا ضرراً يذكر بأسرابه العديدة . ولكن حدث فى سنة ١٧٤١ أن عاد بحارة سفينة فيتوس بيرنج ، بعد ما حطمت على جزيرة بيرنج ، إلى كامشاتكا ومعهم ٧٠٠ فرو من فراء سمور البحر . ومن يومئذ راجت تجارة الفراء ، وكانت تجارة لا رحمة فيها ولا شفقة . وأجّر للصيد رجال من سكان جزر ألوشيان لكى يحكموا رمى الفرائس بالحراب . وخرجت إلى البحر عشرات ثم عشرات من سفن عرفت بسفن السمور متطلعة من أماكن قصية مثل بوسطن ومكسيكو . واستعرت المجزرة ، حتى كاد عام ١٨٤٠ يشهد انقراض سمور البحر . وقلما تحتوى دار من دور التحف على مثال محنط منه ، أو على هيكل عظمى .

ومنذ تسع سنوات عثرت « لجنة حيوان الصيد » فى ألاسكا على عدد قليل من سمامير البحر باقية فى خليج من خلجان جزر ألوشيان ، وقد أخذت تتكاثر الآن بفضل ما صرف نحوها من العناية ، وبخاصة بعد أن عجز اليابانيون عن أن يتسللوا إلى الشاطىء فيضربوها ضرب الموت .

وقد أسست روسيا السوفيتية محطة للتجارب على سمور البحر بجزيرة غربى جزر ألوشيان ، ويدرس الآن علماء الأحياء الروسيون كيف يستولدونها فى الأسر . والظاهر أن الأميكوك سيعود ، بعد طول الاضطهاد ، إلى سيرته الأولى .

على أن روح المرح التى اختصت بها سمامير البحر ، كانت السبب فيما أصابهم من

التلف على يد قناصة الفراء ، فإن أسرابه تتساق الصخور المشمسة حيث تباشر الزينة والنظافة . فيغسلون وجوههم ، ويمشطون شواربهم ولحاهم، ويعنون بفرائهم يلمعونها وينعمونها . فإذا أقبل صياد ، بادر قليل من السمامير إلى البحر ، لأن فى مستطاع السمور أن يعدو بسرعة الإنسان ، ولكن أكثرهم يظل حيث هو . وقد يقبل بعضهم فيجيء القناصة ، مقترباً منه بخطمه كما يفعل الكلب ، فإذا ضرب القناص أحدهم بهراوته أخلد إلى الأرض وغطى عينيه ببراثنه ، كأنه حائر يتوجع ، ويظل كذلك حتى يقتل. على أن الأميكوك لا يدرك بديًّا أىّ فتك قاتل هو، إنه يأخذ الأمر على أنه ضرب من اللهو والمرح.



تفاهم تام

روى راديو برلين ، فى شىء من البرم ، حديثاً زعم أنه دار بين الطيارين الأمريكيين ورجال المدافع المضادة السويسرية ، خلال مرور طائرات أمريكية فوق بلاد سويسرا المحايدة .

السويسرى : احذر ، إنك فوق سويسرا .

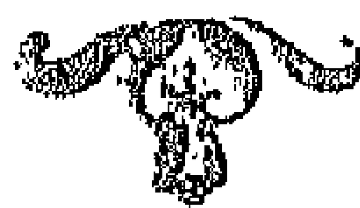
الطيـــار : نعلم ذلك .

السويسرى : إن لم ترجع أطلقنا مدافعنا .

ثم بعد هنيهة أطلق السويسريون مدافعهم .

الطيـــار : إن قذائفكم مقصرة عن طائراتنا نحو ألف قدم .

السويسرى : نعلم ذلك . [يونيتد برس]



إنك تبلغ مرتبة النموّ الكامل ، حين تضحك ضحكتك الأولى ـــ ساخراً من نفسك .

[إثيل باريمور]

لا تنتظر إذا أردت أن تحيى

للدكتور بيران وولف

ملخصة عن كتاب « كيف تكون سعيداً وإن كنت إنساناً »

نصحنا مرة لرجل ناجح وأنانى جداً من رجال الأعمال لا يجد وقتاً للعناية بشئون الناس زملائه وآلامهم فى أيام عمله ، أن يذهب إلى محطة السكة الحديدية بنيويورك وأن ينظر لعله يجد فى الجمهور المكدود من يستطيع أن يبذل له عوناً ، ففعل ما أشرنا به عليه وكان فى ذلك صادراً ، على الأكثر ، عن روح التلطف المتكلف المبطن بالزهو .

وكانت هناك امرأة مسكينة جاءت من بلدة فى الأقاليم إلى نيويورك لترى ابنتها ، ففقدت الرقعة التى فيها عنوانها وجلست تبكي فى صمت فى أحد الأركان ، فاستطاع صاحبنا أن يهتدى إلى عنوانها فى دفتر التلفون ، وحمل المرأة العجوز وحقائبها فى سيارة ، وصحبها إلى شارع خفى ، وابتاع لها فى الطريق زهرات ، فبكت سروراً على كتفه ، ثم أنزلها وهو يبتسم عند بيت ابنتها ، وأسرع إلى التلفون ليحدثنا .

وقال وهو يقص علينا القصة : « إيه يا دكتور ، إنى أحس أخيراً أنى إنسان ! » وقد صار بعد ذلك أحد المشرفين على إدارة ناد للصبيان فى الحي الشرقى الفقير من نيويورك ، وعضواً فى هيئات شتى مدنية ، منها ما هو لرعاية الطفولة .

ما هى السعادة ؟ إنها صفة للحياة الطيبة ومزية من مزاياها ، ولكنها سريعة الزوال ، فإذا أردنا أن نعرف السعادة ما هى فإن علينا أن ننشدها ، لا كأنما هى كيس من الذهب فى ذيل قوس الغمام ، بل بين الآدميين الذين يحيون حياة طيبة حافلة غنية . ولو أنك جعلت بالك إلى رجل سعيد حقاً لألفيته يبنى سفينة ، أو يلحن سمفونية ، أو يربى ابنه ، أو يستنبت أزهار الداليا المزدوجة فى حديقته . ولن تراه يبحث عن السعادة كأنما هى زرار سقط منه واختفى تحت جهاز التدفئة . وخليق به أن يكون قد أدرك أنه سعيد وهو يعيش ساعات يومه الأربع والعشرين الحافلة .

وعلينا إذا أردنا أن نجد السعادة أن نلتمسها خارج أنفسنا ، لأنك إذا عشت لنفسك وحدها فإنك تكون دائماً فى خطر من الملل القاتل الذى يورثك إياه تكرر آرائك ومصالحك . ويستوى من الوجهة

النفسانية ، أن تشغل نفسك بجعل بلدتك أنظف ، أو أن تساهم في حملة لتطهيرها من المخدرات ، أو أن تعنى بأندية الأحداث . وحسبك أن تختار مسعى ترى فيه اتجاهاً واضحاً إلى زيادة السعادة الإنسانية ، وتمضى فيه ، فما من أحد تعلم معنى الحياة إلا بعد أن جعل ذاته في خدمة زملائه من الناس .

وهناك مقدار معين من النشاط الإنشائى في كل إنسان لا يستنفده العمل اليومى ، وهو الخير الجوهرى المكنون في الإنسان . وما من أحد يمكن أن يسعد إلا إذا وجد مُتسرّباً لهذا النشاط الإنشائى . والحكيم من جعل لنفسه مشاغل شتى — في خارج البيت وداخله ، وللصيف وللشتاء ، وألواناً مختلفة ، ما بين اجتماعية ، وخاصة — لتسلية نفسه في أوقات الفراغ . وخليق بمن له مشغلة حسنة أن لا يشعر بالوحشة طويلا .

فلا تنتظر إذا شئت أن تحيَ ! اغتنم فرصة — الآن . اشتر صورة جديدة لغرفتك ، واقدم على نهج جديد ، فإن ثمرة الإسراف في الحذر والتوقى هى السآمة والأفَن والغرور . والخير لك أن تكون جازفت في حياتك ، ووقعت في أخطاء ، من أن تتحجر ويخمد عقلك وجسمك ، ويكون أفقك محدوداً بجدران مكتبك ، ومقصوراً على جريدتك اليومية وغرف بيتك . فما يعرف الأمن التام سوى الموتى .

والنفس ، على خلاف البدن ، لا تهرم على الأيام ومع ارتفاع السن ، وكثيرون من أسعد الناس — رجالا ونساءاً — في العالم يناهزون الستين ، والسبعين والثمانين ، وقد أسدوا إلى العالم خيراً جزيلا في شيخوختهم الناضجة ، وحرصوا في الوقت عينه على أن تكون لهم الكفاية من الوعى والعناية بوجوه النشاط الثقافى الذى لا يفنى حتى صار فراغهم لذة ومتعة . والدلوف إلى الكِبَر ، بحكمة ، ينبغى أن يبدأ مع الشباب ، وعلى من يحب أن يكون سعيداً في شيخوخته أن لا يهمل القراءة والموسيقى والرقص وغير ذلك من الفنون ، فضلا عن فن الاتصال الاجتماعى على الخصوص .

والفنان في العيش لا ينبغى له أن يكف عن التعلم ، فما تستطيع أن تخوض الحياة مكتفياً بما زودتك به المدرسة العالية أو حتى الجامعة ، والحياة تعلمنا كثيراً ، ولكن علينا أن نواصل التعلم ، أما التوقف ولو لحظة ، في تحصيل المعرفة فإن مؤداه إدناء الموت العقلى منا .

ولم تكن الحياة قط أجدر بأن تُحيَ مما هي الآن ، ولا كانت من قبل حافلة إلى هذا الحد بما يحرك النفس . فالجريدة والمجلة مصادر حقيقية لابتعاث الهمم وتنشيط

التناوب ، وما كثرتها اليوم القضايا المهمة التي تهيب بنا داعية إلى التعاون الاجتماعي الحصيف.

وما من ميدان للنشاط الاجتماعي — سواء أكان موضوعه النقل أو السلام الدولي ، والتجارة أو الطب ، والسياسة أو الفلسفة — لا ترتفع فيه الأصوات طلباً للزعماء . ولابد للجنس الإنساني من أن يعمل على نجاح المدنية ، وما من أحد يمكن أن يشقى إذا هو تبين هذه المهمة بجلاء .

* * * * * *

« تسليم بدون قيد أو شرط »

في الحفلة الأولى التي أقيمت لتمثيل موسيقية جورج آنتي التي عنوانها «باليه ميكانيك » ، كانت الأوركستر تشمل فيما تشمله عشرة بيانات أفقية الأوتار ، وستة زيلوفونات (آلة يحدث فيها الصوت بمطارق تطرق على قضبان معلقة من الخشب) وصفارة إنذار بحريق ، ومروحة طائرة ، وبضعة أبواق سيارات. فلما أخذ العزف يزداد قوة ويرتفع ، أخذ الحاضرون يتململون في مقاعدهم ، ثم ألح عليهم الاضطراب والهياج . وأخيراً ، وبعد انقضاء ثماني دقائق على هذا الضرب من الموسيقى ، عمد رجل جالس في المقاعد الأمامية ، إلى رفع منديله الأبيض على رأس عصاه ، فانفجر الحاضرون جميعاً بالضحك .

أُتيحت لها كل فرصة

دعى طبيب في وادى سيكاتشى بولاية تنيسي الأمريكية ليفحص الزوجة الشابة لجبلى شيخ ثقيل السمع ، فقال الطبيب بعد الفحص : زوجك حامل

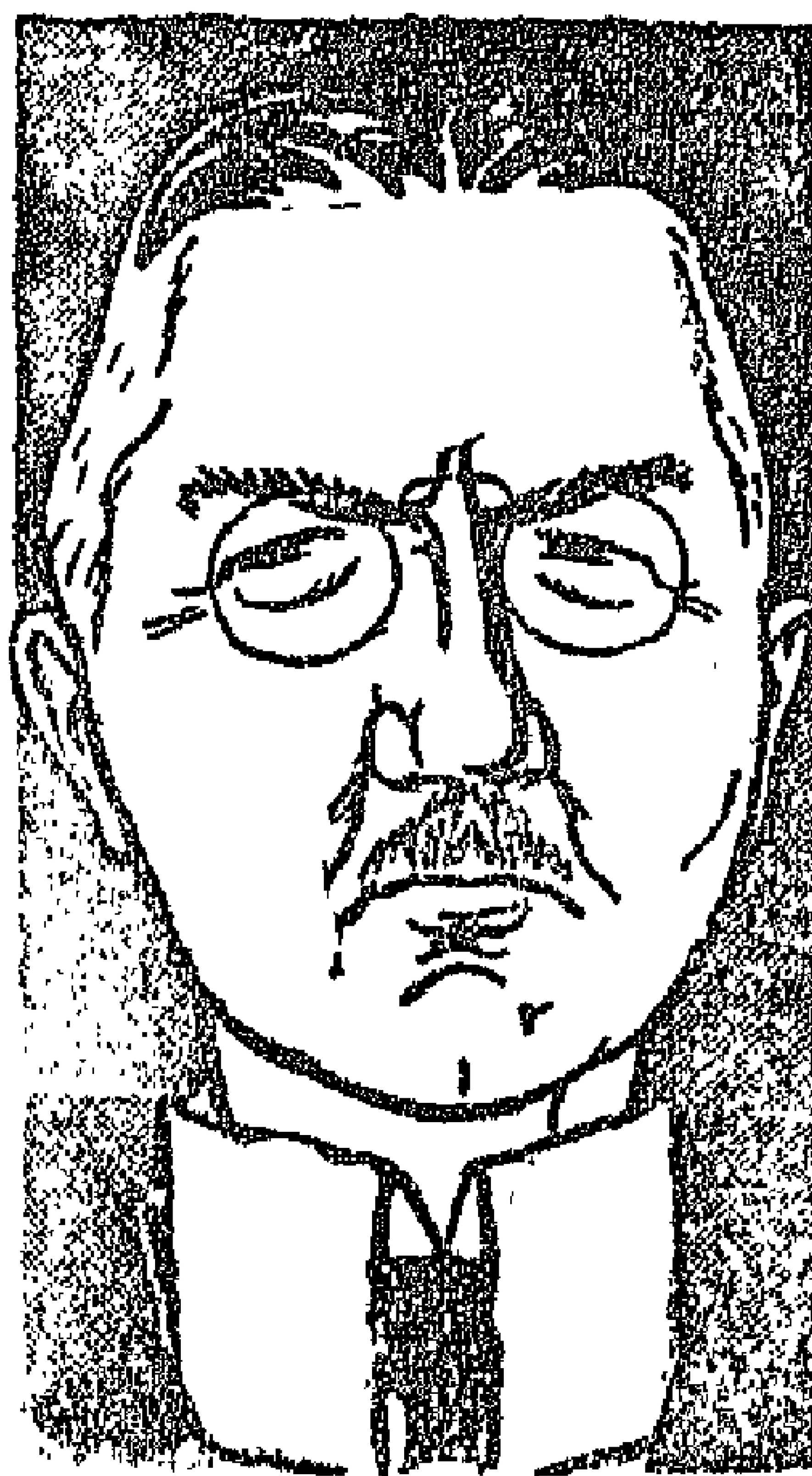
فوضع الجبلى كفه وراء اذنه وسأل : إيه ؟ فرفع الطبيب صوته : قلت إن زوجك حامل .

— إيه

فصاح الطبيب : سيولد لزوجك طفل .

فمشى الشيخ إلى حافة الشرفة وبصق عصير طباق كان يمضغه ، وقال متمهلا : إن ذلك لا يدهشني ، فقد أتيحت لها كل فرصة [دولس أوجدن]

حذار من "شخت" !



الألماني الذي يجب علينا أن نحذره

عندما تضع الحرب أوزارها هو خبير مالي مديد القامة، محيطٌ بضروب السياسة المختلفة، ويسمى الدكتور هيلمار هوراس جريلي شخت.

ولن يتريث الحلفاء في البت في أمر هتلر والقيادة العليا، ولكنهم قد يتغاضون عن شخت — وإن كان أخلقهم جميعاً بعدم الاطمئنان إليه والثقة به.

لما تقلد هتلر زمام الحكم في سنة ١٩٣٣ استقال كاتب هذا المقال من بنك الريخ وصار مستشاراً اقتصاديا للشركات الأمريكية التي تحاول أن تثمر أموالها في ألمانيا، وقد حذرها من الحرب القادمة، وحذرها من تثمير معظم ما أرادت تثميره في ألمانيا فوفر لها مبالغ طائلة. وقد ذهب إلى أمريكا سنة ١٩٣٨، ولما نشبت الحرب وضع خبرته بأساليب التجارة الألمانية تحت تصرف حكومة الولايات المتحدة، وكان أخيراً رئيساً للمستشارين في مجلس الحرب الاقتصادية. وقد تجنس بالجنسية الأمريكية في هذه السنة، وهو الآن يضع كتاباً عن حياة شخت.

ملخصة عن مجلة "ليبرتي"

وألمانيا تعد منذ الآن باهتمام محموم هجوماً اقتصاديا وسياسيا لتشنه في اللحظة التي تقف فيها رحى الحرب، وسيكون ذلك محاولة قوية للإبقاء على الغنائم والأسلاب المأخوذة من أوربا المغلوبة، وللإفلات من العقوبة، والفوز بالمال اللازم للإنشاء والتعمير — وقصارى القول أنها ستحاول الظفر بالشروط الجوهرية التي تمكنها من الاستعداد لحرب عالمية ثالثة، والدكتور شخت متصل اتصالا وثيقاً بكل ما يبذل في هذا الشأن.

وقد أخذ الراديو الألماني يذيع أخيراً أن شخت غير مرضي عنه من النازي، وهذا هو بدء تنشئة شخت لكي يكون مفاوضاً بعد الحرب، وسيمكنه ذلك من أن يبدو في مظهر الرجل الذي قاوم النازي طوال الوقت، فهو من ثم جدير بأن يضطلع بعبء بناء ألمانيا على الأسس الدمقراطية.

وأنا أعرف أساليب شخت، وما يضمره

فى أعماق نفسه ، وقد عاشرته عشر سنين ، يوم كان رئيساً لبنك الريخ ، وكنا نتلاقى كل يوم ، ومن كلماته المأثورة التى طالما حاول أن يزين لى الأخذ بها قوله: « أعرض عن مثلك العليا ، واطلب الثروة ، ثم التمس النفوذ السياسى ، ولا تدع شيئا يقف فى طريقك » .

وإذا خدعنا مظهر شخت فإنه سيغرر بنا فى النهاية ، ويفسد على الحلفاء مايتوخونه ويعدونه لما بعد الحرب . ومن أهم الأسباب التى تجعله خطراً كبيراً أنه يعرف الولايات المتحدة ، وقد طارت له فيها شهرة حسنة ، فقد أحضره والده إلى أمريكا فى طفولته ، فتمضى فى بروكلين أيام حداثته . وكان شخت الأكبر من المعجبين بالولايات المتحدة ، فأضاف إلى اسم نجله « هوراس جريلى » وهو اسم صحفى أمريكى عظيم .

وعادت الأسرة إلى ألمانيا وشخت فى الثانية عشرة من عمره ، ولكنه لم يزل بعد ذلك يكثر من زيارة الولايات المتحدة . وهو يتكلم الإنجليزية بطلاقة، ويرصع حديثه ببعض الألفاظ الدارجة . وفى سنة ١٩٣١-١٩٣٢ قام برحلة طويلة فى الولايات المتحدة نائباً عن هتلر الذى كان يهم بأن يستولى على مقاليد الحكم . وكان يخطب فى المدن الكبيرة ويقول لمستمعيه إن هتلر من أشد الناس استمساكا بالنظام الرأسمالى ، وأنه يدين بمذهب الأحرار ، وأنه بوجه عام رجل صالح لا غبار عليه . وقد قال لأصدقائه فى نيويورك : « يظهر فى ألمانيا اليوم أمر رجل أعظم من نابليون، ونظير للمسيح فى عظمته » . ووعد الجمهور فى إحدى محاضراته بقيام حكومة فى ألمانيا تكون أكثر الحكومات التى عرفها التاريخ ميلا إلى السلام .

وشخت رجل جم الظرف ، يبلغ دهاؤه حد العبقرية ، وقد وثق عرى صداقته بكثيرين فى أمريكا ، ولا سيما فى دوائر المال والأعمال الكبيرة ، ويؤسفنى أن أقول إن كثيرين منهم لا يزالون يثقون به .

وقد أكثر أخيراً من الذهاب إلى سويسرة (والسماح له بحرية التنقل دليل على حسن صلته بالحزب النازى) . وقد تحدث منذ زمن قريب إلى أحد كبار الماليين الأمريكيين ، فى مدينة بال . وأدار أعوانه مباحثات فى لشبونة ومدريد وبوينس إيرس .

وقد اقترح قريباً أن تضع لجنة من أصحاب المصانع البريطانيين والأمريكيين والألمان يدها على الصناعة الألمانية ، على أن يسمح لألمانيا بأن تختار حكومتها الخاصة ، وأن تحتفظ بمنشآتها الصناعية .

ولكن هذا العرض لم يلق قبولا ،

ولذلك أتبعه شخت بعرض آخر ، وقد تلقيت هــذا بالبرق من مصدر فى لنــدن لا يشك فيــه ، وهو يعد بتخفيف المقاومة الألمانية فى الغرب حتى يتسنى للجيوش البريطانيــة والأمريكية أن تصل برلين قبل الروسيين .

وهناك أكثر من سبب واحد وجيــه لتصديق هذا الخبر ، فالروس غير مخدوعين فى الدكتور شخت ، وربما بادروا فى الحال إلى تصفية حسابهم معه .

على أن هجوم السلم الحقيقى سيبدأ يوم تنتهى الحرب ، وسيكون زعماء النازيين فى السجون أو مختبئين ، وسيكون القواد مسلوبى القوة ، وحينئذ سينزع صديقى القديم عن ملابسه شارة النازية ، ويقبل ببشاشته المعهودة ليضطلع بمهمة تفويت ثمرة النصر على الحلفاء .

فى أعقاب التضخم المالى الذى حدث بعد الحرب الماضية أسرع أصحاب المصارف فى كل مكان يقرضون ألمانيا من أموالهم ، لثقتهم الراسخة بهمة الشعب الألمانى ، وتدفقت على الريخ القروض بالملايين من أصحاب رؤوس الأموال الصغيرة من الأمريكيين والبريطانيين ومن الأمريكيين اللاتينيين ، وهذه الأموال التى لم يردّ منها سوى النزر اليسير ، هى التى مكنت الألمان من بناء الطرق وتشييد أعظم المصانع فى أوربا .

وقد رفض شخت بعد ذلك رفضاً صريحاً أن يدفع فوائد السندات التى اشتراها الأجانب ، فهبطت قيمة السندات ، فاشتراها شخت بجزء يسير من ثمنها الأول .

واصطنع شخت حيــله ومخاتلاته حتى أبطل مشروعى داوز ويونج لدفع التعويضات الألمانية ، فأدى ذلك إلى إعلان موراتوريوم هوفر (وقف دفع القروض) ووقف دفع التعويضات جميعا ثم لم يسدد منها شىء قط ، واحتــال شخت كل حيـــلة حتى شمل الموراتوريوم القروض الخاصــة ، على حين كان الريخ يستطيع توفيتها ، وبهــذا صار الطريق ممهداً لقيام هتلر ، ونشوب حرب أخرى .

وقد نهض شخت بجميع هذه الأعمال وهو رئيس لبنك الريخ فى عهــد جمهورية فيمار ، واستقال من هذا المنصب يوم استيقن أن هتلر أوشك أن يتقلد الحــكم ، فتنكر لزملائه القدماء وحمل عليهم حملات شعواء . ولما تولى النازيون الأمر ولى رجال الجمهورية الأدبار ، وقبض على بعضهم وسجن بعضهم أو قتل ، وقد كان هؤلاء الرجال من أصدقاء شخت القدماء ، وقد ساعدوه يوم كان فى حاجة إلى المساعدة ، ولـكنه الآن لم يفكر فيهم ، بل انقلب وانضم إلى الحـكومة الجديدة .

وكان هتلر فى حاجة ماسة إلى رجل يتخذه دريئة ، رجل له مكانة معروفة فى الشؤون المالية الدولية ودوائر الأعمال الكبرى ، فجعل شخت الحاكم بأمره فى اقتصاد الريخ الثالث ، وقد أحاط وجوده النازيين بهالة من الإجلال ، فساعد ذلك على توطيد أمر الحكومة الجديدة .

وشخت اليوم فى السابعة والستين من عمره ، وهو شخص موطأ الأكناف ، فيه ما قد يثير الضحك والفكاهة ، يبلغ طوله ست أقدام وثلاث بوصات ، وله أذنان كأذنى كلارك جابل ، وشعر قصير ، وهو يرتدى ملابس فضفاضة مرقشة ، ويلبس بنيقة بيضاء لامعة يبلغ ارتفاعها أربع بوصات ، وهذه البنيقة هى طابعه المميز . وقد كان جوستاف شتريزمان وزير الخارجية السابق يقول : إنها الشىء الوحيد النظيف مما فيه .

ومعاملة شخت للناس تختلف باختلاف من يحتك بهم ، فهو مع مرؤوسيه خشن لا يعرف التسامح ، وهو مع خصومه شديد الوطأة ، ولكنه يستطيع أن يكون رقيق الحاشية مع الذين يحتاج إليهم . وهو يبدو فى الشريط السينمائى « بعثة موسكو » رجلا مستقيم الأخلاق ، دؤوباً فى العمل ، يبذل جهده كله لكى ييسر لك أسباب الراحة .

وقد زار فرنسا وبريطانيا فى صيف سنة ١٩٣٩ فحذر الوزارات من قرب وقوع الحرب ، وهمس فى آذانهم مسرا تفاصيل قوة ألمانيا الحربية ، وقد كان هذا هو نصيبه من المشاركة فى حرب الأعصاب التى رجا هتلر أن تكفى لصدّ هاتين الدولتين عن الحرب .

والعجيب فى حياة شخت أنه ظل يتقلد المناصب العالية ، وهو الذى يعرفه كثير من الناس بالخيانة والغدر . وقد أحسن المارشال جورنج فأوجز وقال : « هو رجل بغيض كريه لا غنى عنه » . وأعضاء حزب النازى يمقتونه ولا يثقون به ، ولا سيما جوبلز وهملر ، ولم ينتخب قط عضواً فى الحزب ، مع أن هتلر منحه فى النهاية عضوية شرف . ومن عادته فى مجالسه الخاصة أن يشير إلى شارة الحزب على أنها شارة إنقاذ الحياة .

وقد اشتغل شخت فى أول أمره كاتب تسجيل فى أحد مصارف برلين الكبيرة ، ووثب وثبات حثيثة حتى عين فى أوائل الحرب الماضية مساعداً للحاكم المدنى لبلجيكا المحتلة ، وقد أحسن فى عمله حتى كشف رؤساؤه أنه كان يختص المصرف الذى كان موظفاً فيه ، بصفقات كان يجب توزيعها بالتساوى بين المصارف الألمانية .

وقد استغل شخت منصبه الرفيع ، رئيساً لبنك الريخ ، لكى يجمع ثروة بالمضاربة فى

فى الأسهم المالية ببورصة سويسرة ، ولعب دور الظهير الخفى لطائفــة من المشروعات الصناعيــة ، واستخدم ســلطانه فى بيع منتجاتها للحكومة

وسرد أفانين شخت الاقتصادية ، التى يسرت إنشاء الأداة الألمانية الحربية ، من التعقيــد بحيث لا يمكن وصف تفصيلاتها . ونكتفى هنا بالإشارة إلى أن شخت هو الذى ركز التصدير جميعه ، وشجع طريقة المقايضة التى مكنت ألمانيا من الحصول على المعــادن والزيوت الجوهرية للحرب ، لقاء اللعب الرخيصة وآلات التصوير .

وهو الذى دبر خديعــة المارك الذى لا يصرف فى غير ألمانيا ، وما إلى ذلك من ضروب التــلاعب فى النقد والعملة . وقد وجدت البلاد التى تتسلم هــذه العملة أنها لا تستطيع تصريفها إلا فى ألمانيا ، أو فى شراء البضائع الألمانية ، إذ لم يكن لها قيمة خارج ألمانيا .

وقد قدم شخت مرة بياناً بإحصــاء كل ما يمكن الاستيلاء عليه فى البلقان من إنتاج أو ثروة مالية ، وقد راع هذا التقدير الناس، حتى النازيين القساة ، فأوضحوا له أنه لم يترك ما يعادل طنا واحــداً من المؤن لحاجات السكان فأجاب شخت متعجباً : «يالله أو يجب أن يأكلوا » !

وفى ســنة ١٩٣٧ كان الجيش الألمانى حقيقة ينذر بالشر ، وكان عمل شخت قد تم، فاعتزل فى الظاهر ليفرغ لتربية الخنــازير .

وجميع المصادر التى يوثق بها ، مجمعة على أن من يحكم ألمانيا بعد انتهاء الحرب سيجد شخت متأهباً لمعاونته أو توّاقاً إلى ذلك .

وكما هوّن أمر الهزيمــــة بعد الحرب السالفة ، ثم جعــل ظهور هتلر ميسوراً ، فسوف تراه يحتال حيله نفسها مرة أخرى . وهو لشــدة طموحه وفرط ثقتــه بنفسه ، يرى فى نهاية هــذه الحرب فرصــة جديدة لإشباع رغبتــه فى أن يصبح صاحب الحول والطول فى دولة الريخ .



الجواب [أنظر السؤال صفحة ٥٢]

أنت تسبقنى وأنا يفوتنى القطار . فأنا أحاول أن أصل قبيل الساعة ٥٠ر٤ بحسب ساعتى : فالوقت الصحيح المقابل لـ ٥٠ر٤ بساعتى هو ١٥ر٤ . وأنت تحاول أن تصل فى الساعة ٥٠ر٣ بساعتك وهو يقابل ٤٥ر٣

لم يكن له عن الموت محيد ، ولكنه تجلد وعزم على أن يعيش .

الطيار الذى ظل يكافح

پول جاليكو

ملخصة عن مجلة « اسكواير »

ضروب تتعدد بتعدد الأبطال ، أما بسالة سام لوجان فقد كانت في احتفاظه برباطة الجأش في مأزق خرج عن نطاق المعقول .

البطولة

هو قائد طائرة قتال ، وضابط برتبة كابتن في الفيلق البحرى ، بلغ الثانية والعشرين من عمره . وكان يقود طائرة من طراز « فوت كورسير » ، في يونية سنة ١٩٤٣ ، في سرب حلق ليقطع الطريق على ٥٠ طائرة يابانية ، قاذفة ومقاتلة (زيرو) ، فوق جزر رسل . وكان هذا خروجه الثاني إلى القتال ، وكان قد أسقط في خروجه الأول طائرة يابانية فوق بوجنفيل . أما في هذه ، فقد أسقطه طيار ياباني .

كانا يتطاردان على ارتفاع ٢٠٫٠٠٠ قدم ، عندما فوجيء لوجان بطائرته المتينة تضطرب اضطراباً شديداً . ونظر خلفه فرأى سطوح الذيل قد مزقتها الإصابات إرباً إرباً . فخرج من حجرة المقعد وقفز ، ثم جذب رباط المظلة . ولما انفتحت هبط متهاديا في سماء تعج بطائرات تنطلق صعداً ، وبرصاص يئز .

ومن ثم بدأت مغامرته ، إذ انقضت عليه هادرة مدمدمة طائرة الزيرو التي أسقطته ، وقد تأججت مدافعها الرشاشة . وعالج سام حبال المظلة ودار بجسمه يتأرجح حتى لا يكون لعدوه هدفاً ثابتاً . وطاش رصاص الياباني ، الذى دار ثم ارتفع ليعيد الكرة .

كان سام محتفظاً بصفاء ذهنه ، وفي وسعه أن يرى كل شيء ، وأن يقدر أحكم تقدير سرعة العدو ، ومهارته في الطيران ، وكان يرى الدائرة الشفافة التي كانت ترسمها المروحة الدوارة ، وأن يتبين كف الياباني عن إطلاق الرصاص . فاطمأن ، فقد نفدت ذخيرة الياباني . ولكن قاتله الله ! أى شيء يريد بهجومه ؟

وانقضت عليه طائرة الزيرو وهي تهدر ففهم سام ما أراد ، وانتظر وقد قبض على حبال المظلة وقدّر المسافة ودنا الهدير . فرفع رجله عندما مرت به الطائرة وأخطأته ريشة المروحة المعدنية التي أرادها الياباني أن تكون سيف الجلاد . ولقد كان يسعه

لقربها أن يركل مكان القيادة بقدمه .

وعادت الزيرو فجأة ومضت تحلق استعداداً للفتك مرة أخرى ، وأخذ سام يجاهد فى جذب الحبال حتى يزيد من سرعة هبوطه . ودوى الهدير فجأة مرة أخرى فى أذنيه، وإذا الزيرو أمامه تماماً . وأحس برجة ووخز شديدين . فلما صوب نظره رأى قدمه اليمنى قد طاحت، ودماءه تسيل غزيرة من الشرايين والأوردة الممزقة .

وعادت الزيرو مرة رابعة ، وسام لم يزل يكافح . لقد طارت قدمه ، ولكن لم يطر صوابه ولا جلده ، فرفع ما بقى له من رجليه فأخطأته الزيرو أيضاً . ثم هبطت طائرة أمريكية من طراز (ب — ٤٠) ، تثأر له وقد تأججت أفواه مدافعها ففرت الزيرو . وتهادى سام لوجان ، بعد أن انقطع عنه التهديد ، إلى حيث يلقى حتفه . فما من رجل تقطع قدمه ، وهو فى الجو ، مروحة دوارة ، إلا ويغشى عليه من جراء الصدمة أو الفزع أو نزف الدم ، فإذا هبط على الماء مات منزوفاً أو غرقاً ، حاشا سام فقد امتلأ قلبه نضالا وغضباً وحرصاً على الحياة، حتى تتاح له منازلة العدو . لم يكن همه أن يبقى حياً ، ولا تضعضعت أركانه فزعاً ، بل لم يزل كما كان جليداً رابط الجأش .

وهبط على الماء الأزرق ، فاصطبغ ما حوله فصار أحمر قانياً ، ولكنه لم يذعر لذلك أيضاً . كانت هناك أشياء قد درب على القيام بها فأنفذها . خلع عن نفسه نطاق المظلة ، وأدار صمام ربطة الزورق المطاط ، فانفتح الزورق ، وتعلق به سام لحظة ليستجمع قواه ، ثم تحامل حتى ركب هذا الطوف الصغير .

كانت نفسه تسيل مع دفعات الدم المتدفقة من ساقه المبتورة ، وابتعدت المعركة الجوية فصار وحيداً منفرداً على الماء تحت أشعة الشمس . وعثر سام على ربطة الطوارىء فصنع رباطاً ضاغطاً وهو يتأنى حتى لا ينقلب مركب المطاط . ثم ربط به رجله اليمنى فوق الركبة وأحكم شده فكف النزف ، فسره ما فعل . ثم عثر على أقراص « السلفا » و « المورفين » فى حقيبته فابتلعها ، واضطجع على ظهره وانتظر .

إلى ماذا تتجه أفكار المرء فى مثل هذه المحن ؟ أإلى النجاة ، أم إلى بلاده ، أم إلى أمه ؟ لم يفكر سام فى شىء من هذا ، بل فى رجل اسمه الماجور ألكسندر دى سفرسكى ، إذ فقد سفرسكى إحدى رجليه عندما كان فى سلاح الطيران الروسى فى الحرب الماضية ، ومع ذلك استمر يطير حتى أصبح من خيرة طيارى العالم . فلم لا يكون هو أيضاً قادراً على الطيران مرة أخرى ، بعد أن يتخذ رجلا

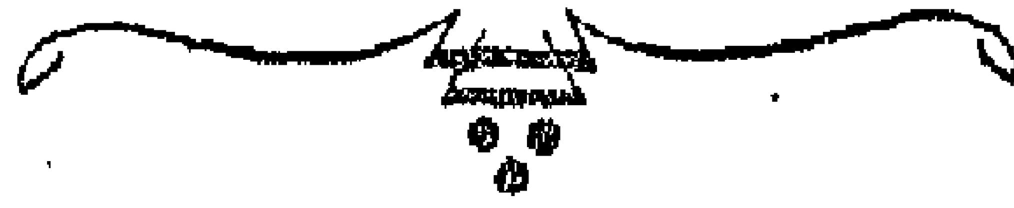
مصنوعة ، ويومئذ فلتمر زيرو أخرى أمام أجهزة التسديد فى طائرته . . . !

وظهرت طائرة وحيدة فى زرقة السماء ، وحومت تبحث ، أتراها صديقاً أم عدواً ؟

وتمكن سام من حل هذا المشكل أيضاً بأن أرسل إشارة التعارف المصطلح عليها بالبريق المعكوس عن مرآة معدنية فى حقيبة الطوارئ . انخفضت الطائرة ، وكان بها عوامات ، وكانت تحمل النجم الأبيض شارة السلاح الجوى الأمريكى ، وهبطت على الماء .

وبعد ساعة كان سام قد نقل آمناً إلى المستشفى ، أما الآن فهو قد زوّد برجل مصنوعة ، بل لعله قد جربها بحذر فى طائرته الجديدة المقاتلة .

تلك قصة رجل عاش ليقاتل مرة أخرى ، لأنه أراد أن يعيش



ذوو المراوغة

كانت إحدى الممثلات تؤدى الشهادة أمام محكمة بنيويورك فاحتال المحامى لإسقاط شهادتها ، وذلك بأن يثبت أنها تكذب دائماً فى ذكر سنها . وكانت فى الثانية والخمسين ، ولكنها كانت تتظاهر بأنها فى الأربعين .

فسألها المحامى : « ما سنك ؟ » قالت بلا تردد : « لا أعلم » !

« ماذا ؟ ألا تعلمين ؟ » .

« كلا ! لم يكن لى قط شهادة ميلاد ، ولم أراجع قط تاريخ ميلادى فى سجله » .

فاعترض بلطف : « ولكن يا آنسة ، لا بد أن والديك أخبراك بسنك . فمتى ولدت على قولهما ؟ » فقالت بثبات : « هذه روايات سماعية ، وأنا واثقة أنك لا يمكن أن تطالبنى بهذا » .

فتلعثم المحامى وهو يقول « ولكن ... ولكن ... »

فالتفتت الممثلة إلى القاضى وسألته : « هل أنا مخطئة ياسيدى أو على صواب ؟ »

فابتسم القاضى وقال : « بل أنت على صواب »

[ج . ب . جريزولد : من مجلة « أميريكان مجازين »]

« اختبار الخصائص البشرية » قد يعينك على توجيه مواهبك إلى العمل الملائم

أي عمل يلائم مواهبك ؟

ادوين مولر

ملخصة عن مجلة « نيشنز بيزنس »

منذ عشرين سنة خطر لمهندس شاب في الشركة الكهربائية العامة ، أن كثيرين يزاولون أعمالا لا تلائم مواهبهم كل الملاءمة ، فراعه هذا التبذير العظيم في « المادة البشرية » . فتساءل ألا يمكن اختبار الناس — كما تختبر المواد — بأساليب المعامل ؟ فأقبل على دراسة موظفي الشركة الكهربائية العامة ، فوصل أخيراً إلى وضع أساليب لاختبار المواهب .

ثم أنشأ معهده الخاص : معمل اختبار الخصائص البشرية . فاختبرت بإشراف هذا المهندس ، جون أوكونور ، مواهب ٧٠ ألفاً في معامل أنشئت في نيويورك وبوسطن وشيكاجو وفلادلفيا . ولا يزال موظفو معهده يزورون المدارس وبيوت الأعمال ، ويتقاضون عشرة ريالات لكل اختبار ، تضاف إليها النفقات .

تجلس عند الاختبار ، فتاة عليها سيمياء الكفاية ، وفي يدها ساعة عدادة . فتعطيك مكعباً من الخشب مؤلفاً من قطع مختلفة الأشكال والحجوم متداخل بعضها في بعض ، وتدعك تنظر إلى المكعب كاملا بضع دقائق ، ثم تبعثر القطع وتطلب منك أن تؤلف بينها بأسرع ما تستطيع .

فلا تلبث أن تكون في عداد أحد صنفين من الناس : فإما أن تمد يديك إلى القطع فتضع كلا منها بسرعة في مكانها الصحيح في ٣٠ ثانية أو أكثر قليلا ، وإما أن تبدأ تتعثر وأنت تحاول أن تحشرها في مكانها حشراً فتقضي في ذلك نحو نصف ساعة .

ويطلق أوكونور على هذه الموهبة التي يمتحنها مكعب الخشب موهبة « تصور الشكل » . وهي صفة لا غنى عنها للمهندسين والمعماريين وجميع من يستخدم الآلات . وقد أسفر اختبار المهندسين الناجحين عن نتائج تفوق المتوسط كثيراً ، وقد امتحن فصل من طلبة الهندسة في « معهد ستيفنز التكنولوجي » ، ثم استطلع أمرهم بعد عشر سنوات ، فظهر أن جميع الذين نجحوا في امتحان « مكعب الخشب » ظفروا ، بغير استثناء تقريباً ، بمراتب عالية في عالم الهندسة . أما من كانوا أقل منهم درجة في امتحان

المكعب ، فلم يصب أحدهم نجاحاً إلا بعد ترك الهندسة والإقبال على أعمال أخرى .

وتعطيك الفتاة ورقة وقلماً لاختبار الموهبة الثانية : « التصور المبدع » ، وتقول لك فى رزانة : افرض أن الأرض وقفت فجأة عن الدوران على محورها ، فما الأفكار التى يوحيها إليك هذا الفرض ؟ دوّنها بأسرع ما تستطيع .

فإما أن تكبّ على الكتابة من فورك ، وإما أن تحملق تارة فى الورقة ، وتارة فى الساعة ، ولا تنقضى خمس دقائق حتى تسجل درجتك .

و « التصور المبدع » — على ما يقول أوكونور — ليس ضروريا للكتاب وحسب ، بل وللتجار والمعلمين ومديرى المخازن ، ورجال البحث العلمى ، وكثيرين غيرهم . وهو ليس ضروريا لملاحظى العمال وكتاب المحاسبات ، بل قد يؤذيهم .

وثمة اختبارات أخرى تبين استعدادك لأعمال المحاسبة — كالسرعة والدقة فى حساب الأرقام . وتقاس خفة الأصابع بالتقاط مسامير خشب صغيرة ، ثلاثة ثلاثة ، ثم تدس أسرع دس ، فى ثقوب على قدّها تماماً . واختبار القدرة والمرونة فى استعمال الملقط يجرى على هذا النمط . ومن الغريب أن ارتباط القدرة الأولى بالقدرة الثانية ليس أمراً محتوماً .

وتفرغ الفتاة من أمرك بعد ثلاث ساعات ، ثم تختبرك فى اليوم التالى ثلاث ساعات أخر ، وعندئذ يكون قد تمّ اختبار ثلاث عشرة موهبة من مواهبك .

وهذه المواهب طبع لا اكتساب ، فقد تتدرب ثلاثة أشهر على وضع مسامير الخشب ، فتزداد درجة كفايتك عشرة فى المئة ، ولكن إذا امتحنت امتحاناً آخر لاختبار مرونة الأصابع ، عدت إلى درجتك الأولى . وإذا كانت تعوزك المواهب الموسيقية — « تذكر النغم » و « تمييز الطبقة » — فلن تظفر بهما مهما يطل تدريبك الموسيقى .

وأهم ما ينبغى لك ، أن تعلم ماهى مواهبك وما تصلح له . وجميع الأعمال ، إذا استثنيت بسائط الأعمال اليدوية ، تحتاج إلى أكثر من موهبة واحدة ، على أن تعددها ليس مزية ، فمواهب تسعة أعشار الناس ، أربع على الأقل ، وهى أكثر من الكفاية للظفر إن أحسن استعمالها . وقد ثبت لمعهد أوكونور أن الأعمال التى لا تجيدها النساء كما يجيدها الرجال ، قليلة .

ويرى أوكونور أن الموهبة المهملة قد تؤذى ، فالذى يزاول عملا عنده مواهبه ، قد يحس ببرم يضنيه لأن هذا العمل لا يقتضى استعمال موهبة أخرى من مواهبه .

ولهذه الحقيقة شأن عظيم فى هذا العهد ، إذ يفقد رجال الأعمال كثيراً من رجالهم . وخير حلّ للمشكلة يكون على الغالب بتغيير أعمال الرجال ، لاستكشاف الرجال الذين يتصفون بألوان من القدرة غير بينة . وقد أرسل أحد أصحاب المصانع كاتب حساباته إلى المعهد بدلا من أن يفصله ، لأنه أصبح مهملا فى عمله ، فحاز الرجل درجة عالية فى موهبة المحاسبة ، ولكنه حاز كذلك درجة عالية فى موهبة « تصور الشكل » وهذه الموهبة غير المستثمرة أوغرت صدره ، فأشار المعهد بنقله إلى قسم حسابات المشتريات فاتصل عمله اتصالا مباشراً بآلات المصنع ، فنجح فى عمله الجديد .

وأوكونور لا يسدى نصحاً خاصا بالعمل إلا إذا كانت الحالة واضحة ، ويغلب أن يطلع المرء على ما كشف من مواهبه ، ثم يصدر حكمه . وربما أجاد المرء عمله إذا عرف حقيقة مواهبه وأحسن استعمالها .

ويقول أوكونور : إن رجالا كثيرين أقبلوا على عمل حربى لا يوافقهم كل الموافقة . ومنذ عهد قريب ، عرض على رئيس هيئة تجارية أن يختار بين عملين حربيين ، أحدهما عمل مدير فى إنتاج الطائرات ، والآخر عمل موظف اتصال فى وشنطن ، ففضل الثانى ، ولكنه شعر أن إنتاج الطائرات أهمّ شأناً ، وأشد اتصالا بالعون على كسب الحرب . وكان يوشك أن يختار عمل الإنتاج حين تقدم للاختبار ، فأثبت له المعهد أنه يكون خير عشرة فى مصنع الطائرات .

ويتقدم كثيرون للاختبار حين يدنو وقت تجنيدهم ، فيعلمون أين مكانهم الصحيح فى ألف عمل من أعمال الاختصاص التى فى الجيش . ويغلب أن يقدموا تقاريرهم إلى ضباطهم ، فيشكرون لهم كل معونة تمكنهم من وضع كل رجل فى الفرع الذى يصلح له ، إذ العلم بما كان المرء يصنعه قبل التحاقه بالجيش لا يكفى ، فربما كان مبتوت الصلة بما يحسنه فى الحرب .

والمعهد يحض الوالدين على اختبار أولادهم . ويرى أوكونور أن الآباء يخطئون حين يشيرون على أولادهم بإرجاء التفكير فى عملهم فى المستقبل حتى يكبروا . وقد اختبر ابنه حين كان فى الحادية عشرة ، فحاز درجة عالية جدا فى موهبة « تصور الشكل » ، فمضى أوكونور يشجعه ويحثه بكل وسيلة مستطاعة على دراسة الهندسة ، وزوّده بمكتبة جيدة ، أعلى كثيراً من مستواه الذهنى حينئذ . وأوكونور الصغير ، رئيس قسم رسم الآلات فى شركة طائرات كبيرة ، تحت إدارته ٦٠٠ رجل .

وليس ثمة ريب فى أن النجاح فى أى ميدان، يقتضى ما هو أكثر من المواهب، وقد يبلغ عزم رجل ما مبلغاً يمكنه من التغلب على نقائص بينة. ويخطىء كل من يفرض أن المواهب وحدها تكفى، بل عليه أن لا يبالغ فى منزلتها، حتى يهمل المعرفة والبراعة، وهى الصفات التى يمكن أن تكتسب، على عكس المواهب التى لا يمكن أن تكتسب. وقد يتصف شاب مقبل على دراسة الطب بمرونة الأصابع وتصور الشكل والتأمل، وهى ألزم ما يلزم للجراح، ولكن إن لم يحس بدافع داخلى يدفعه إلى تعلم ما تجمع من حقائق الجراحة ونظرياتها، وتحويل مرونة أصابعه إلى مهارة خاصة فى استعمال اليدين، فإنه لن يتقدم فى صناعته.

وقاعدة أوكونور للنجاح هى: تبين، فى باكورة عمرك، مواهبك، والعمل الذى يلائمك، ثم جد بغير انقطاع لتستفيد الحقائق الخاصة والبراعة التى تناسب مواهبك.



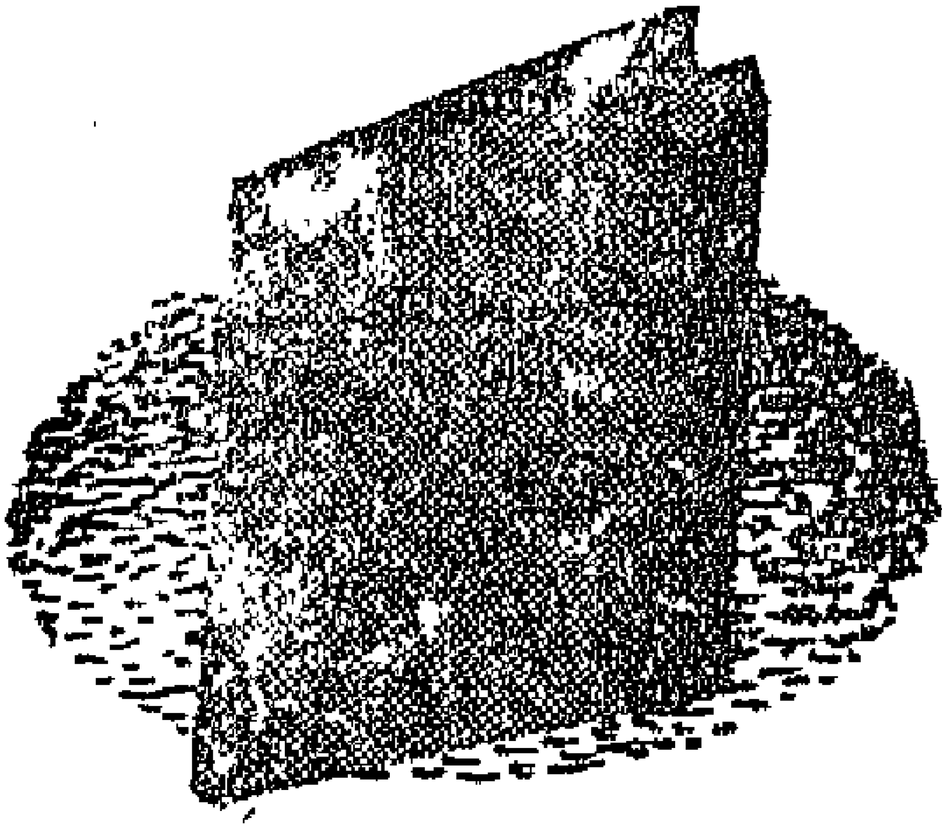
من حكمة الحيوان . .



للسيد صدقى أحمد

كنت جالساً إلى جانب مصطلى المخيم في «كولمبيا البريطانية» بمقربة من طريق ترتاده حيوانات الصيد، عند ما قدمت أنثى من «الموس» ووراءها ولدها (الموس: من حيوانات أمريكا الشمالية من نوع الأيايل)، وكان ولدها فى المقدمة. وسرعان ما رأى نارى، فوقف مكانه. ورفعت الأم رأسها. وأخذت تتنسم الريح، فمشت تاركة ولدها وراءها، ثم وقفت، ومضت تتنسم الهواء مرتابة. حينما كانت واقفة تتردد، جرى ولدها حتى صار أمامها، والتف قاطعاً الطريق ماراً بحيث لامس جنبه صدرها، وبيطء ثم بيطء أخذت تدور، على حين كان صغيرها يدفعها ويحملها على ذلك.

وكان ذلك شيئاً عجيباً، وأخذت أتأمل أنثى الموس عن كثب، فقد كان رأسها ولبدها وكتفاها إلى الغبرة، وبقية جسمها أسمر إلى سواد. ولقد أخذتنى هزة الفرح لأن ولدها كان معها، وأنه كان حيواناً ملهماً. ذلك بأنى استطعت أن أرى عينى الأم وقد غشيهما البياض. لقد كانت عمياء. [رتشارد لاندرى]



لغز الورقة الزرقاء

البرت بايسون ترهيون

ملخصة عن مجلة "مستر ذاى ريثيو" الادبية

جون تين شاب أمريكي ناجح في عمله أرسلته شركته في رحلة إلى فرنسا ، وهو لم يغترب عن بلاده قط ، كما أنه لا يعرف اللغة الفرنسية .

ولما وصل إلى باريس في ساعة متأخرة بعد الظهر حجز غرفة في نزل ، ثم دلف إلى مقهى على رصيف . وعلى مائدة قريبة منه رأى غادة فرنسية شابة ظلت تبتسم له ، ولم تبدر منه أية بادرة رداً على ابتسامها ، وبعد لحظات أخرجت ورقة زرقاء من حقيبتها ، وكتبت عليها شيئاً ثم تركتها تسقط تحت أقدامها ، ثم نهضت وهي ترنو إليه بنظرة ذات مغزى ، وغابت من فورها في زحمة الطريق .

فدفعته لهفته — وقد أسف لإخفاقه في التعرف بمثل هذه الغادة الفاتنة — إلى تناول الورقة . كانت عليها بضع كلمات فرنسية ، فتوقع أن تكون قد كتبت له رسالة ، فطلب إلى رئيس الندل أن يترجمها له ، فلما ألقى الرجل على الكلمات نظرة ملؤها الفزع ، أمر تين أن يغادر المقهى .

ولما عاد إلى النزل ، أخبر تين المدير بحادثه الغريب ثم أطلعه على الورقة ، فنظر إليه المدير نظرة ملؤها الاشمئزاز ، وأمره أن يخرج من النزل في الحال ، وأبى أن يفسر له هذا المسلك .

وضع تين الورقة الزرقاء في جيبه ، ذاهلا مبتئساً ، وقد عزم على أن لايطلع عليها أحداً في هذه المدينة الغريبة .

فلما عاد إلى أمريكا روى قصته لرئيس شركته — وهو فرنسي الأصل — وكان صديقاً لوالده وصديقاً له ، فلما قدم إليه الورقة الزرقاء ، حدق فيها وقد قلص شفتيه ، ثم ألقاها في وجهه وأمره أن يخرج من مكتبه ، ومن وظيفته في الشركة .

انصرف تين بلا عمل منهكا محطماً ، وسار في الطريق يتعثر في خطاه . فهو لم يفقد هدوء باله فحسب بل لقد فقد الآن وظيفته أيضاً ، وهذا كله من أجل كلمات معدودات على قطعة صغيرة من الورق !

ثم بدا له في النهاية أن يذهب إلى مربيته العجوز التي تحبه حباً جما ، وهي فرنسية ، فقصد دارها وروى لها قصته البغيضة ومركزه الحرج ، فأقسمت جادة أن تترجم له هذه الكلمات الغامضة. فلما جلس أخرج مسدساً ووضعه على المنضدة بينه وبينها ، وقال لها : « أريد ترجمة بسيطة صحيحة ، وإلا فلن أبرح هذه الغرفة حيا » فهزت رأسها ، ومدت يدها تأخذ الورقة .

وأخذ تين يبحث عن الورقة في جيبه حيث كان يحفظها على الدوام ، ثم جعل ينقل يده بجنون من جيب إلى جيب ، ولكن الورقة ضاعت ، ولم تقع عينه عليها مرة أخرى .

كانوا يؤمنون بأن
"التيتانيك" لا يمكن أن تغرق

هانسون بولدوين

مقتبسة عن مجلة «هاربر»

في العاشر من شهر أبريل سنة ١٩١٢ أبحرت الباخرة تيتانك، أكبر باخرة كانت في العالم، في رحلتها الأولى من سوثمبتن إلى نيويورك. وكان المعتقد أنها آمن باخرة تمخر عباب البحر، فقد كان لها قعران مزدوجان، وكان أسفلها مقسما إلى ١٦ قسما لا ينفذ فيها الماء، حتى ظنها الناس سفينة لا يمكن أن تغرق. وقد بنيت، كما وصفوها، لتكون زورقاً ضخما من زوارق النجاة. وقد أقلعت وعلى ظهرها ٢٢٠١ شخصاً.

وكان في غرفها وأجنحتها الفخمة بالدرجة الأولى كثير من مشاهير الرجال والنساء: منهم الكولونيل جون جاكوب آستور وعروسه الشابة، والمصور النقاش فرانسس و. مليت، والمدير المسرحي هـ. ب. هاريس وزوجه، ومستر ومسز إيزيدور ستراوس، وج. بروس إسماى مدير شركة النجم الأبيض للملاحة، على حين كان في غرف مؤخرة الباخرة ٧٠٦ من المهاجرين إلى أرض الميعاد (أمريكا).

أشرق فجر يوم الأحد في وسط الأطلسي صافياً جميلا، وأقام صلاة الصبح في الصالون خازن الباخرة. وفي الساعة التاسعة صباحاً وردت رسالة لاسلكية من الباخرة كارونيا هذا نصها: «ربان الباخرة تيتانك — أبلغت البواخر المتجهة غرباً، أن عند درجة ٤٢ شمال المنطقة من درجة ٤٩ إلى درجة ٥١ غرباً، جبالا من الثلج وحقل ثلج».

مع تحياتنا — بار

وبعد ظهر ذلك اليوم كان عامل اللاسلكي برايد يكتب وعلى رأسه السماعات، فلم يجب عندما سمع الباخرة كاليفورنيان، وكانت على مقربة منه، تنادى «تيتانك». وكان لدى كاليفورنيان رسالة عن ثلاثة جبال من الثلج، ولكنه لم يحفل بأن يتلقاها. وحوالى الساعة ١:٤٢ بعد الظهر اهتز الأثير برسالة من الباخرة «بالتك» تحذر تيتانك من الثلج في طريق البواخر. وبعث بها برايد إلى غرفة القيادة، فقرأها ا. س. سميث ربان التيتانك بغير تعليق.

كان العشاء تلك الليلة، يسوده المرح، وكان البرد قارساً على ظهر الباخرة، بيد أن الليلة كانت هادئة صافية.

وفى تلك الساعة حـل الضابط الأول مردوخ محل الضابط الثانى ليتولى فى غرفة القيادة ، وكانت الباخرة قد تلقت إلى ذلك الوقت ما لا يقل عن خمسة إنذارات لاسلكية تحذرها الثلج فى طريقها ، فأمر المراقبون بأن يتيقظوا ، وتوقع الضباط أن يصلوا إلى حقل الثلج فى أى وقت بعد الساعة ٩:٣٠ .

ومضت التيتانك تشق الليـل بسرعة ٢٢ عقدة فى الساعة ، ولم تخفض من سرعتها . وظل الرقيب فليت وزميله لى فى وكر المراقبة ، يحدقان ببصرهما فى الماء الساكن الساجى تحت ليل قاتم تضىء نجومه .

وفى غرفة اللاسلكى حل فيليبس عامل اللاسلكى الأول محل برايد ، وأرسل جهاز الباخرة كاليفورنيان يقول :

« حبسنا الثلج وأحيط بنا » .

فردت التيتـانك « اصمت ! . اصمت ! ولا تتـدخل . إنى أخاطب كاب ريس ، وأنت تفسد على رسالتى » .

وبعـد دقائق معدودة حوالى الساعة ١١ : ٤٠ انشقت الظلماء عن جبار مريد أبيض فى طريق التيتـانك ، وخامر فليت الشك لحظة فى حقيقة ما يرى ، ولـكنها كانت حقيقة واقعـة ، فصاح مذعوراً فى بوق التلفون يبلغ غرفة القيادة : « جبل الثلج أمامنا مباشرة ! »

وقرعت الأجراس أول إنذار فى غرفة الآلات . خطر داهم ! وتحرك المشـير على لوحة الأوامر : « قف » ثم : « إلى الوراء بأقصى سرعة » .

وحدثت هزة طفيفة ، واحتكاك لم يطل أمده ، ومالت الباخرة بعض الميل إلى جانبها الأيسر ، وتسـاقط الثلج قطعاً وكتلا على مقدمها ، ووقفت التيتانك فى بطء ، وهرع الربان سميث من غرفته يقول : « ما الذى اصطدمت به الباخرة ؟ »

فأجابه مردوخ : « جبل من الثلج ياسيدى ! وقد أوصدت الأبواب التى لا ينفذمنها الماء » .

وأضيئت بعض أنوار غرف الدرجـة الأولى والثـانية ، وتطلع النوّام من زجاج نوافذهم ، وسأل بعضهم خدم المركب : « لماذا وقفنا ؟ »

فـكان الجواب : « لا أدرى يا سيدى ! ولـكن لا أظنه أمراً خطيراً » .

على أن عمـال المستودعات الأماميـة فى جوف البـاخرة وفى غرف المراجل ، كانوا يرون رأى العين أن إصـابة التيتانك إصابة قاتلة ، فقد تدفقت مياه البحر إلى ستة أقسام من أقسام البـاخرة الأمامية ، ومزقت مخالب ذلك الجبل الهائل ، فى عشر ثوان ، ما طوله ثلاثمائة قدم من قعر التيتانك العظيمة .

واصطخبت الحياة من جديد فى الممرات

والصالونات على السطح ، إذ فزع الركاب رجالا ونساء وأطفالا يتساءلون ، وصدرت الأوامر بإعداد زوارق النجاة ، وغمرت المياه أماكن الوقادين ، فتدافعوا عراة إلى السطح ، ولكن أغلب الركاب لم يدركوا أن التيتانك أخذت تغرق ، فإن رجة الصدمة كانت من الخفة بحيث لم يفق بعضهم من سُباتهم . هى التيتانك التى لا يمكن أن تغرق ! وهذه ليلة ينفى صفاؤها وجمالها ذكر الموت أن يخطر ببال !

وانطلقت تراقص على موج الأثير إشارة الاستغاثة زرقاء تستصرخ : « أغيثونا أدركونا ! أغيثونا أدركونا ! » .

وتدفق دُفّاع اليم فى مستودع التيتانك . وفى الساعة ٢٠ : ١٢ انقضّ الماء على أماكن البحارة ، وجهدت المضخات فى نزح المياه من غرفة الآلات ، وتضافرت قوى الإنسان والآلات تصارع البحر سدًى ، وظل الماء يعلو .

وأدليت زوارق النجاة وئيداً ، ولم يصل البحارة المكلفون إلى مراكزهم إلا بعد لأى ، إذ لم يمرنوا على إنزالها ، بل لم يعرف أكثرهم ما خصص له من زوارق النجاة .

وفى الساعة ٣٠ : ١٢ صباحاً صدرت الكلمة : إنزال النساء والأطفال إلى زوارق النجاة . وفرغ الخدم من إيقاظ من لم يستيقظ ، وتمنطق الركاب بأحزمة النجاة ، وسخر نفر من الرجال بهذا الاحتياط ، فإن « التيتانك لا يمكن أن تغرق » .

وهبت الباخرة مونت تمبل إلى نجدة التيتانك ، وأبرقت الباخرة كارباتيا بأنها آتية تسعى ، وغير كثير من البواخر اتجاهه على إثر الاستغاثة ، إلا الباخرة كاليفورنيان ، وكانت على مسافة ١٢ ميلا ، لم تجب النداء ، فقد خلع عامل اللاسلكى السماعات عن أذنيه وأسلم نفسه للنوم .

وفى الساعة ٤٥ : ١٢ صباحاً وقف الضابط مردوخ يبدو الأسى فى عينيه ولكنه هادئ ثبت الجنان ، وأمر بإنزال الزورق رقم ٧ ، فنكص النساء رهبة ، فقد كن لا يردن ركوب زورق فى بحر غاص بالثلوج ، هذا و « التيتانيك لا يمكن أن تغرق » . وكان الرجال يشجعوهن ، ويقولون لهن إنْ هذا إلا احتياط ، وسنرا كن على مائدة الإفطار . لم تسد الفوضى ، وظل الركاب يتقاطرون إلى حيث زوارق النجاة . أما ركاب الدرجة الثالثة من المهاجرين فقد علت ثرثرتهم .

وإذا هسيس يسمع ، وتشق الظلماء شعلة ذات شعب ثم ينفجر صاروخ ، وتتهادى منه كواكب بيض تنير البحر ذى بالثلوج . عونك اللهم ! إنها الصواريخ . وعزفت

الموسيقى ألحاناً مرحة ، وأدلى الزورق رقم ٦ ثم يحمل زورق النجاة المعد لخمسة وستين راكباً سوى ٣٨

وينزل زورق « أصحاب الملايين » — الزورق رقم ١ — يتسع لأربعين شخصاً وليس به إلا السير كوزمو والليدى دف جوردون وعشرة آخرون . وفى المؤخرة يتزاحم المهاجرون بالمناكب وقد تملكهم الفزع ، ويندفعون إلى الزوارق، فتستقبلهم قبضة أحد الضباط ، وتنطلق ثلاث رصاصات فى الهواء ، فيقضى على الذعر وليداً . . . وينسلّ أربعة من الصينيين إلى أحد الزوارق ويختبئون فى قعره لا يراهم أحد .

ويتناثر سنا الصواريخ فى أجواز الفضاء ، وهذه الزوارق قد أوقرت بحملها من الركاب ، وقد عرفوا أن التيتانك أخذت تغرق . وتتشبث النساء بما يجدن مَعْولات ، وترتفع محركات الباخرة العظيمة فوق الماء ، وتؤمر الزوارق التى لم تتمّ حمولتها بأن تقف عند أسفل الباخرة وتحمل منهم ما تطيق ، ولكن الأبواب ظلت موصدة ، وظلت الزوارق غير محملة ، فقد طغا الماء ، ولم تزل فرقة الموسيقى تعزف ألحانها .

الساعة ٣٠ : ١ بينما كان أحد الزوارق ينزل إلى البحر أطلق ضابط رصاصة على جانب الباخرة ليحول دون تدافع الركاب فى الممرات السفلى . وهذه امرأة تحاول أن تصطحب كلبها الدنمركى الضخم ، فلا يؤذن لها ، فتترك الزورق لتلقى الموت مع كلبها .

ويبتسم بنجامين جوجنهايم ، وهو فى ملابس السهرة ، ويقول مداعباً : « لقد ارتدينا أفخر ثيابنا ، ونحن على أهبة لأن نغرق كما يغرق كرام الرجال » . ويعين الماجور « بت » النساء على ركوب آخر زورق ثم يلوّح لهن مودعاً . وتضع مسز ستراوس قدمها على حافة زورق ، ولكنها تنكص وتعود إلى زوجها قائلة : « لقد عشنا معاً أعواماً طوالا ، فحيثما تذهب أذهب معك » . ويحمل الكولونيل جون جاكوب أستور زوجه الشابة إلى أحد الزوارق ثم ينقلب راجعاً ، وينفض لفافة على طرف إصبعه ويقول لها : « رافقتك السلامة ياحبيبتى ، سألحق بك فيما بعد » .

الساعة ٤٥ : ١ غمر الماء مقدم الباخرة ، وارتفعت مؤخرتها المائلة إلى السماء ، وظل العمال فى جوفها يتصبب العرق من أبدانهم ، وهم يكفلون البخار لإرسال صواريخ الاستغاثة وإشارات الاستنجاد ، والوقادون لا تكف أيديهم عن تأريث نيران المراجل والماء يغمر أقدامهم ، وأخذت صمامات الأمان تنفجر ، فتراجعوا إلى المؤخرة ، وأوصدت خلفهم الأبواب التى لا ينفذ فيها الماء كان

فى زوارق النجاة نحو ٦٦٠ شخصاً ، ولم يزل ١٥٠٠ شخص على ظهر التيتانك الغارقة . وعلى سطح غرف الضباط حيث كان زورقان من المطاط ، كان نفر من العمال يجهدون فى إنزالهما إلى جانب الباخرة ، ولكنه جهد مضاع . وفى غرفة اللاسلكى تقدم برايد إلى فيليبس عامل اللاسلكى الأول ، وألبسه منطقة النجاة وهو مكب على جهازه يرسل إشارات الاستنجاد . ويتسلل أحد الوقادين ، وقد سوّد الفحم وجهه وأضاع الفزع رشاده ، فيهوى إلى منطقة النجاة على ظهر فيليبس ، فيستدير إليه برايد ويهوى على أم رأسه بقضيب من حديد .

وتظل الموسيقى تعزف ولكن غير ألحان المرح :

« إليك يارب أقرب فأقرب »

فيردد النشيد نفر ، ويركع آخرون على الباخرة وقد مالت ، يبتهلون إلى الله ، ويتدافع الناس على سطح الباخرة يلقون بأنفسهم فى الماء البارد ، وتسمع صيحة امرأة : « أنقذونى ! أنقذونى ! » فيجيبها رجل : « أنقذى نفسك أيتها السيدة ، لا منقذ الآن إلا الله » .

ويرتفع الماء إلى غرفة القيادة حيث يقف الربان فيتقدم متثاقلا ليستقبله . . .

الساعة ١٧ : ٢ صباحاً تنبعث إشارة : « أسرعوا لنجدتنا » ، وتلتقطها الباخرة فرجينيان مشوهة غير واضحة ، ويعقبها سكوت مفاجئ ، وتنقطع الإشارات الزرق وتخبو أنوار الباخرة .

الساعة ١٨ : ٢ صباحاً يتراكض الناس على ظهر الباخرة المظلم ، ويقفزون فى الظلام الدامس ، فتحملهم الموجة العاتية التى طغت على طول التيتانك إلى خضم مجهول ، ويرتفع مؤخرة التيتانك الهائل كمارد أعمى فى الظلام ، وتتحطم المدخنة الأمامية وتهوى فى البحر ، فيدق حديدها هامَ من يصطرعون فيه من السابحين . وتقف التيتانك على مقدمها برهة وجيزة ، تأخذ أهبتها للغواصة الأخيرة ، ثم تنزلق رويداً رويداً ثم تهوى مسرعة حثيثة .

الساعة ٢٠ : ٢ ، لقد غيَّب اليم أكبر بواخر العالم ، وتصاعد من الماء الساكن المعتم ، حيث تسير زوارق النجاة ، عويل طويل لا ينقطع ، كأنه ينعى مغيبها فى أكفان من زبد ناصع البياض .

وابتعدت الزوارق خشية أن تجذبها شهقات الباخرة الغارقة ، ولم يكن بينها سوى عدد قليل غاصّ بالناجين ، ولم يبذل البعض الآخر ، ولم يكن مليئاً ، إلا جهداً مصطنعاً فى التقاط الغارقين ، فقد كان ضباط هذه الزوارق وبحارتها يخشون إذا هم

عادوا لإنقاذ الملكى ، أن يعرضوا أرواح الأحياء للتلف. وجعلت بعض هذه الزوارق تذود الضحايا الذين أضرّ بهم البرد والجليد. كان الرجال والنساء ، ممن أضاع الفزع رشادهم ، يهوون بالمجاديف على رؤوس أولئك الأشقياء ، بل لقد أهوت امرأة بقبضة يدها على وجه رجل بين الحياة والموت ، أراد أن يتعلق بحافة الزورق ، إلا أن امرأتين أخريين أعانتاه على ركوب الزورق ، وجففتا سيل الدم من الجروح التى حفرها خاتم تلك المرأة.

وكانت الساعة ٤٠ : ٣ حين لمحت الباخرة كارباتيا لأول مرة النور الأخضر المنبعث من الزورق رقم ٢

وكانت الساعة ١٠ : ٤ حين علمت بغرق التيتانك ، عندما التقطت الناجين من الزورق الأول ، وقد أخذ صراخ المعولين يخفت رويداً رويداً . وعلمت الباخرة كاليفورنيان بالكارثة بعد ذلك بقليل ، وهى الباخرة التى كانت على رأى العين من التيتانك وقت محنتها .

وعند انبثاق الفجر شاهد الناجون من التيتانك جبل الثلج فى روعته ، وقد وشّت حواشيه أشعة الصباح ، طافياً يسبح على صدر اليمّ اللازَوَرْدىّ .

وفى مساء الخميس عندما ألقت الباخرة كارباتيا مراسيها فى نيويورك ، تجمع فى الطرق ثلاثون ألفاً من الناس ، ووقفت عربات الإسعاف والنقالات تنتظر ، ووقف المحققون والأطباء وأهل الناجين وأقارب المفقودين يحدوهم أمل اليائس . وقف الناس كأن على رؤوسهم الطير ، حين رأوا أول من نجا — امرأة نزلت تترنح ، فتردد عويل خافت جعل يشتدّ ، ثم خفت من جديد .

كان التحقيق الذى قامت به وزارة التجارة البريطانية يقضى بالإدانة ، فقد كانت التيتانك تحمل من زوارق النجاة ما يكفي ١١٧٨ شخصاً وهو ثلث حمولتها من الركاب ، وقد أنقذت زوارقها الستة عشر مع أربعة زوارق من المطاط ٧٠١ شخصاً فقط ، وكذلك هلك ٤٠٠ شخص بلا مسوّغ . وكذلك أدينت الباخرة كاليفورنيان ، فقد رأت صواريخ التيتانك ، ولم تصلها رسالة طلب النجدة لأن عامل اللاسلكي بها كان فى سبات عميق !

وجاء فى التقرير : « كان فى وسع الباخرة كاليفورنيان ، عندما رأت الصواريخ ، أن تقتحم الثلج إلى نجدة التيتانك دون أن يلحقها أذى خطير ، ولو فعلت لأنقذت كثيراً منهم ، إن لم تنقذ جميع من هلك » .

★ ★ ★ ★ ★ ★

"وداعاً ، يابنى"

في يناير من سنة ١٩٤٢ كتب هوارد فنسنت أوبرين — المحرر بجريدة شيكاغو ديلى نيوز — هذه القصة البسيطة يصف فيها شعور الأب إذ يودع ابنه الجندى .

لم تكن هناك موسيقى ، ولا احتفال ، ولم يكن التوديع مسرحياً ، بل نفخت سيارة في الخارج في بوقها ، فقال : «أحسب أن هذا لى » وتناول حقيبته ، وقالت أمه : « لعلك لم تنس قفازيك ؟ »

فقبلها ، ومدّ يده إلىّ ، وقال : «وداعا» فصافحته وكان كل ما استطعت أن أقوله هو : « أتمنى لك حظاً حسناً » .

وارتد الباب ، وانتهى الأمر — وذهب ولد آخر لنا إلى الحرب .

وكنت قد أشرت بالانتظار حتى يبلغ من التجنيد ، أو على الأقل إلى أن يبلغ السن التى يجوز له فيها أن يسجل اسمه ، ولكنه ابتسم لهذا وأكد لى أن عزمه صح ، وأنه ينشد السلام ، وبغير السلام ماذا تكون جدوى الحياة ؟

وكانت لهجته وهو يقول ذلك حاسمة ، وكانت لهجة الحسم صارمة ورقيقة فى آن معاً ، فلم أقل شيئاً بعد ذلك عن الانتظار .

وبعد أن أغلق الباب وراءه صعدت إلى الغرفة التى كانت له ، وكان اضطرابها فوق المألوف ، فقد كانت الثياب مبعثرة ، وأحذية الرقص ، ومضرب التنس ، وأسطوانات ، ورسائل ، ودعوات إلى سهرات لن يتسنى له الآن أن يشهدها .

ثم قصدت إلى غرفتى ، وكان على الحائط صورة طفل صغير يفتر ثغره الأدرد ، وتتلوى خصل شعره — هو نفس الصبى الذى صافحنى منذ برهة وقال : «وداعاً» . وخطر ببالى أنه لم يمض وقت طويل بين رسم هذه الصورة وإغلاق الباب .

وإذا بشىء غريب يحدث — فقد اكتسبت الأشياء الحياة ، وصارت تهمس فى أذنى ، وامتلأ البيت بالأصوات الرقيقة ، واجتذبتنى إلى غرفة عليا — إلى صندوق من الجنود الخشبية ، وخوذة كرة ، وقيثارة

[إن المقال اليومى الذى يكتبه هوارد فنسنت تحت عنوان « إذا اعتبرنا كل شىء » لا نزال يظهر منذ نحو عشر سنوات فى جريدة شيكاغو ديلى نيوز وغيرها من الصحف . وهو يتناول فيه كل شىء وكل موضوع باستقلال يدل عليه انه أيد انتخاب الرئيس روزفلت فى سنة ١٩٣٦ مرشح الدمقراطيين مع أن المرشح الجمهورى لوكالة الرياسة كان هو فرانك نوكس صاحب الشيكاغو ديلى نيوز ورئيس فنسنت]

مصنوعة فى البيت ، وصور مدرسية ، ودفتر لطوابع البريد ، وصندوق ادخار ذهب غطاؤه ..

وقادتنى الأصوات إلى ملف للأوراق — تقارير ورسائل ، بينها رسالة صارخة من معلم ضاق صدره « إنه وإن كان يبدو كالملائكة . . » وشهادة تعميد ، وشريط فاز به ، وصور باهتة ، رسمت إحداها فى اليوم الأول المذكور الذى لبس فيه البنطلون الطويل . فقعدت وذهبت أفكر فى الزمن كيف يمر خطفاً . لقد كنت أضمه بين ذراعى الأمس فقط فيما أحس . وأذكر فى هذا ما كنت أقرعه به ، وأعظه وأحثه على الفضيلة والحكمة اللتين لا أتحلى بهما أنا .

وفكرت أيضاً فى قولى له : « أتمنى لك حظاً حسناً » بصوت لا يكاد يسمع ، وتمنيت لو أنى استطعت أن أبين له مبلغ حبى . أفتراه تبين ذلك على الرغم من تحفظى ، أو فطن إلى ما يجن قلبى ؟

ثم قلت لنفسى : ما أعمقنا مع بنينا ! لانزال ندبر أمر مصيرهم ، ونضع المشروعات لمستقبل لا يجىء أبدا ، ويستغرقنا التفكير فيما عسى أن يكونوا فى غدهم ولا نتقبلهم أبداً كما هم .

والآن ياذا الخصل الملتوية ، قد صرت رجلا . ولقد شق علىّ أن أراك تمضى ، ولكنى ما كنت لأثنيك عن الذهاب لو أنى قدرت . ولست أزعم أنى غير حزين ، ولكنى فخور أيضاً . فوداعاً يا بنى !

وفى يوم ميلاده الثالث والعشرين جاء نبأ بأن الملازم دونل أوبرين الملاح فى قوات الجيش الجوية « فقد فى أثناء العمل » بعد غارة على ألمانيا . « مجلة تايم »

فكتب الأب مرة أخرى ...

لوالت ويتمان بيت من الشعر ، عن الحياة ، وأنها عبارة عن توقل جبل يجد المرء بعده أن أمامه جبلا آخر يعترض طريقه . وقد وجدت أن هذا صحيح . ولكنى وجدت أيضاً أن المرء كلما توقل جبلا رأى منظراً جديداً ، وأفقاً أرحب

والذى يتلقى هذه البرقية ذات النجم الأحمر « إن وزير الحربية يود أن يعرب عن أسفه العميق لأن ابنك مفقود . . » يلقى به فى وادى الأشباح .

وفى وسعك أن تتشدد لتلقى هذه البرقية ، وتستطيع على نحو ما أن تتهيأ لها ، ولكنها مع ذلك ترحك ، وتدفع قدميك عن الأرض ، غير أن هناك عملا يعمل ، ولا بد من الاستمرار . وخليق بالفتى الذى لحق بالسحب أن يحقرك إذا غيرت نهجك أو أدرت ظهرك ، فما فعل هو ذلك .

ومن أجل هذا تواصل السير فى طريقك، وتسرع فى ارتقاء الجبل التالى ، فتجد شيئاً لم تكن مستعداً له ، فيسكن ألمك ، وترى سناء غريباً فى السماء ، ويدب الدفء إلى قلبك المقرور ، فتدرك فجأة ما حدث .

ـ إنها الرسائل : وهى تجىء من أصدقاء قريبين ، ومن أصدقاء قدماء ، ولكنهم بعيدون ، ومن الذين كان ظنك بهم أنهم لا يعبأون شيئاً ، أو أنهم خصوم ، ومن الأغراب ، ومن كبار وصغار ، فيكون من أثر هـذه النفحة العطرة من نفحات العطف أن تشيع فى نفسك الرهبة .

وفى إحـدى الرسائل عبارة تستحق التذكر : « إن الله لا يعرف مصـادفات » ومن الصعب علينـا نحن أهل الأرض أن ندرك هذا إدراكه ، فنعول ونهيب بالسماء أن تجود علينا بجواب السؤال الذى نرثى فيه لأنفسنا : « لماذا ؟ » .

وليس فى وسعنا أن نحيط علماً بمذهب الأشياء وغايتها ، ولا فى طاقتنا أن نكيل ما يقسم لنـا ، بدمائنا ودموعنا ، ولا أن نضع الحلو والمر فى كفتى ميزان ، غير أن هذه الأيدى الممتدة بالعطف دليل على أن هناك «ميزاناً». وإذا كانت الحرب تكشف عن الوحش الـكامن فى الإنسان ، فإنها أيضاً تبدى الملك . والمرء فى أعماق الوادى يستطيع أن يرى الشمس فى أروع تجلى على ذروة التل . وعلى الرغم من الوحشية والفوضى ، يلقى المرء حناناً وحباً .

وتذهب البرقيـات أيضاً إلى البيـوت الألمـانية ـــ والرسائل فيما بعد ، ويذوب الفتيان الألمـان فى الضباب ، ويتطلع الذين يحبونهم إلى أجواز السماء الملتهبة يلتمسون جواباً للغز .

فهل ثم جواب ؟ إن هناك على كل حال الإيمان والأمل ، وربما عرفت القرون التى لم تولد بعد ، الرحمة والمحبة . وهناك هذا الفيض من العطف الرقيق ، وهو إيذان بشرى بأن الإنسان يرتقى ببطء إلى النجوم .

وسيكبر صبيان آخرون ويزدادون قوة وجمالا لتخمد حياتهم كالشرارة فى الليـل البهيم ، وتذكارهم هو معين الخير الدفين العميق الذى يكشف عنه ذهابهم .



كل ما تفعله التربية الآن ، هو تعزيز الذاكرة على حساب الخيال .

[أوين جنسن]

الشخصيات التي لاتنسى :

فتاة من الاسكيمو

فتاة خفرة من نساء ألاسكا فى الخامسة عشرة ، وهى ربة أسرة ، وتاجرة من أذكي التجار الدهاة ، وصديق معين للمهندسين فى جيش الولايات المتحدة



وليم كروسى
الاومباشى بالجيش الامريكى

كما وصفها فى حديث مع
وليم ف . فرنش

فى عصر يوم من أيام يوليه سنة ١٩٤٢ ، كانت قاطرة من قواطر المراكب تشد وراءها السفينة القديمة المتداعية « جون ا » إلى مرفأ صغير على مقربة من خليج برستول فى ألاسكا . وكنت على ظهر السفينة ، أحد ٤٥ مهندساً قد وكل إليهم أن يبدأوا العمل فى مطار عند ميناء هايدن . وكان « الميناء » شقة من الأرض رملية موحشة ، منبسطة من فعل الرياح ، تعلوها حشائش البرارى .

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة مساء حين كففنا عن العمل ، فحملنا متاعنا إلى الشاطىء ، ودخلنا منهوكى القوى فى المنامات ونحن نسأل أثمة كائن حى على مدى أميال من هذا الخلاء القفر ؟

واستيقظت وأنا أشعر كأنى بلغت من العمر ألف سنة . وكنت جوعان ، ولكن التفكير فى قديد لحم البقر المقلى والبطاطا المحفوظة ذهب بشهوتى للأكل . ثم شممت دخان وقود من الخشب . عجيب ! إننا نستعمل أفراناً وقودها الفحم الحجرى . ولكنى أشم دخان خشب — ثم هناك شىء آخر : سمك يطهى .

وقلت لنفسى : يالله — لقد شممت الآن شيئاً يشتهى .

ثم قدرت مكان النار — فى حضن سِيف البحر ، وكان ثمة ثلاثة صغار ومعهم طباخنا يأكلون حول النار .

وكانوا ولدين ، يبلغ أحدهما السادسة ، والآخر الثانية عشرة ، والثالث فتاة هى « إمى » ، لا يزيد عمرها عن الخامسة عشرة ، ومع هذا فلن تلبث عاماً حتى يتسامع بخبرها كل طيار وكل مقاتل فى شمال المحيط الهادى ويعجب بكفاياتها . وكانت إمى تلبس سراويل واسعة وقميصاً من الصوف — ولكنها كانت أحلى وأرشق

من أن يخالها الناظر ولداً ، وكانت كسائر الإسكيمو سمراء الإهاب ، سوداء العينين ، ولكن وجهها كان أدق ملامح ، وأرق شمائل ، من أية فتاة رأيتها من أهل تلك البلاد ، فإذا ابتسمت أشرقت طلعتها جميعاً .

وبينما كانت الفتاة ترمقنا ولا تنبس بحرف ، أشار الولد الأكبر إلى نفسه وقال : « أنا شارلى » ، وزقا الصغير : « وأنا هرمن » .

ثم قال شارلى متضاحكا : « إمى أحضرت سمكا » . ومضى يقول إنهم حين أبصرونا فى المرفأ الصغير منذ ساعتين ، عزمت إمى على أن تجىء بالخشب والسمك لفطورنا . وسرعان ما تبين لنا أن إمى إذا عزمت على أمر فقد كان .

وأخرج طباخنا آنيته لقلى السمك ، ولكن إمى قالت أنْ لا بد من طرحها على الخشب ، فإذا بنا نرى ست سمكات حسان تزن كل واحدة عشرة أرطال ، يحمرُّ لونها أمام عيوننا ، وهى مشدودة بسلك إلى الناحية المسطحة من أرومة الخشب المحترقة .

وكانت إمى تتفرّس وجوهنا صامتة ، ونحن نلتهم السمك التهاماً ، وكأنما يساورها شىء من الخوف — ولكن الفضول كان يقيدها فى مكانها .

فلما هممنا أن نؤدى لها عن السمك ثمناً لم تقل إمى غير كلمة واحدة : « فحم » فلم يفتها شىء مما كان معنا ، إذ كان الفحم فى القرار من كومة زادنا ومؤونتنا .

وكانت هذه الصفقة الأولى من صفقات عديدة عجيبة بيننا وبينها . ولم تزل إمى تستحى منا وتحتشم ، ولكنها كانت تبادر إلى معاونتنا عند كل ضرورة . وكان شارلى وهرمن بين ظهرانينا كل يوم تقريباً ، وأما إمى فكانت لا تظهر إلا لكى تدعوهم أن يعودوا إلى البيت . وقد حدثت إحدى هذه الزيارات على إثر شروعنا فى بناء رصيف فى الميناء داخل فى البحر .

ظلت إمى ترقب ما نعمل دقائق ، ثم أشارت إلى الأخشاب من قياس ٢ × ٦ التى نتخذ منها الدعائم الكبرى ، وقالت : « إمى عندها خير من هذا » .

والظاهر أنه خيل إليها أنه حسبنا من نبأ — فقد أدارت ظهرها وانطلقت إلى البيت . فنظرت إلى زميل لى ، ونظر إلىّ ، وابتسمنا ، ثم تبعناها .

ولما التفتت كان بينها وبيننا مئة قدم . ومع أنها فيما يبدو لم تغير من خطوتها ، فقد وجدنا فجأة أننا قد تخلفنا عنها . فأسرعنا الخطى ، وكنا معدودين فى الجيش من المشائين ذوى الجلد الذين تدربوا على السير الطويل ، ولكن إمى بمشيتها المتهادية

ما زالت هى السابقة . وإذا بزميـلى يهتف بها هتافاً عالياً ليشعرها بأن الأمر كله مزاح، ثم بدأ يعدو مسرعاً .

وكان ما كان . فقد انطلقت إمى كالأرنب المذعور .

وبعد مسيرة نصف ميـل ألفيت زميلى جالساً على سيف البحر متعباً . فقال لى وهو يلهث : « لعمر الله ، لا عجب إذا لم نفهم لغتها حق الفهم ، فهى بالظباء أشبه » .

وكان الولدان يدرجان معنا فى الطريق ، فأخذانا إلى بيت الأسرة . وكان بيتاً صغيراً من بيوت الصـيادين غير مدهون ، وقد لوحه تغير الرياح ، وهو على مسافة أميـال ثلاثة من معسكرنا .

ولما بلغنا البيت كانت والدة إمى الإسكيمية واقفة إلى جوارها ، امرأة قصيرة جسيمة ، ووجهها أشبه بالجلد المتغضن ، تختلف اختلافاً عجيباً عن ابنتها الغـادة الهيفاء ، التى وقفت على سجيتها وقفة الغزال الرشيق .

حيتنا إمى فلم تزد تحيتها على أن أشارت إلى منحدر مبنى معظمه من ألواح خشب طول أحدها عشر أقدام وقياسه ١٢ × ١٢ بوصة ، يصل ما بين حافة الماء إلى مخزن كبير من مخازن الغلال وراء البيت . وكانت هذه الألواح هى بعينها ما نحتاج إليه ، ولـكن كيف وأين حصلت الفتاة عليها فى هـذه الفلاة المقفرة ؟ ولقد ترددت إمى حين سألناها هذا السؤال ، ثم قالت : « أبى كان يعطى الرجل صاحب المركب الـكبير جلود الثعالب » .

وعلمنا بعد ذلك أنهم كانوا يتجرون مع كل من كان يرسو طلباً للمـاء العذب فى هذا المرفأ الصغير ، الذى يبعد ٨٥ ميلا عن أقرب قرية صغيرة للصيد . فـكانت ناقلات البضائع الصغار ، والمراكب المشحونة بعلب المحفوظات ، وطوافات الحفارة فى مصايد السمك — كل واحدة من هـذه كانت تضيف شيئاً إلى مقتنيات هذه الأسرة ، لقاء ما كانوا يقدمونه من السمك وأنيـاب بقر البحر والفراء .

وجلست إمى إلى مائدة طويلة ، وأخذت تنظف السمك ، ولم ترفع بصرها إلينـا ونحن نجوس خلال المـكان ، ولـكن أمهـا كانت على أثرنا حيثما سرنا ، ولعل ذلك كان حرصاً على فتاتها الصغيرة أن يصيبها منا مكروه . وما كان أحراها أن تعفى نفسها من هذا العناء بعد أن رأينا الفتاة وفى يدها سكين طولها قدم .

ألقت إمى على المائدة سمكة تزن عشرين رطلا ، فأطارت رأسها بضربة واحـدة ، وشقت بطنها من خياشيمها إلى ذيلها بضربة أخرى ، وفعلت ذلك فى سرعة انتفض لها بدنى .

وذكرت إمى الفحم والسكر ومحفوظات العلب والمسامير ثمناً للأخشاب قياس ١٣ فى ١٢ بوصة ، ثم دعتنا إلى المخزن ، فإذا هو خليط من الأشياء ، فقد كان عندهم شيء من كل شيء — من صندوق البحارة المصنوع من خشب الساج المحفور باليد ، إلى طوف المطاط من حطام طائرة مائية .

وقال شارلى : « بابا سويسرى » . نعم ولا ريب ، سويسرى بارع قذفت به النوى إلى هذا الركن البعيد من العالم ! ومضى شارلى يقول : « إنه يبنى أى شيء » .

وقاطعه هرمن الصغير : « لم يكن عوّاماً ماهراً » . ثم علمنا أنه غرق فى العام الماضى ، إذ هبت عليه عاصفة فى البحر ، فقلبت زورقه البخارى الذى كان من صنع يده .

وصاح شارلى فخوراً : « سأريكم مصنع أبى » . فتبعناه إلى حيث رأينا ركاماً من الحبال والقلوع والخطاطيف الكبار وكتل الخشب وشباك الصيد . وجحظت عيوننا حين كشف الغلام مزهوا غطاء عن آلة تدار بالبترول لتسيير مخرطة ومنشار ومثقب ذى كبّاس . .

وإذا إمى تصيح : « سمك ! سمك ! » . فانتهت جولة المشاهدة ، وأسرع الولدان إلى شباكهما . وذلك أن إمى قد أخذت على نفسها ، منذ تولت شئون الأسرة بعد وفاة والدها ، أن لا تدع أحداً بغير عمل .

وأتممنا الصفقة مع إمى ، وأصبحت هى التى تزودنا بجميع ما يلزمنا على اختلاف أنواعه . ولم يمض إلا يسير حتى كان الاهتمام بإمى قد تعدى الخمسة والأربعين رجلا إلى غيرهم ممن قدموا على إثرنا إلى هذه البقعة . وأخذ قسّنا الماجور جوزيف . ابلبجات — وهو الآن رئيس قساوسة ألاسكا — يعلم الصبية الهجاء والقراءة والجغرافية والحساب . وكانت الأم فى أثناء هذه الجلسات تقعد القرفصاء فى الركن ، وتغمغم بجدول الضرب مع الآخرين .

ومع أن إمى ما برحت تستحى منا ، فقد بدأت شيئاً فشيئاً تطرفنا بما ينبغى أن يكون عليه سلوكنا فى ألاسكا . وكانت تقطع على الزلاجة التى تجرها الكلاب أربعين ميلا بين الجبال لتتعهد فخاخها ، ومع ذلك كانت تجد متسعاً من الوقت لتعيننا فى تجهيز بكرات صيد السمك ، وفى صنع النعال للسير على الجليد ، وفى نصب الفخاخ ، ثم كانت فوق ذلك تلقى علينا دروساً فى صيد وعول شمال أمريكا ، حتى نستطيع أن نظفر بلحم طرى غض .

ولقد ألقت علينا إمى ذات يوم درساً فى صيد سمك السلمون المرقط ، أدهش زميلا كان كثير الفخر بمهارته فى صيده . ثم قطعت

إمى الكلام فجأة ، وفى عينها بريق وقالت : « هات مجرفة » . ومضت إلى ما وراء البرية المعشبة وتبعها عشرون منا ، ووقفت عند غدير صغير فى بقعة لا ماء فيها ، ولكن أرضها نزّة ندية . وقلبت الفتاة طرفها فى المكان كما يفعل المساحون ، ثم خطت بأصبع قدمها مربعاً ، وقالت لصاحبنا الخبير بصيد السمك المرقط : « هنا تصيد . احفر أنت ! » . فلما أن صار عمق الحفرة قدمين ، نحت إمى حامل المجرفة جانباً ، وجلست القرفصاء إلى جوارها ، وجعلت ترقبها وهى تمتلئ ماء ، وعلى حين فجأة غمست فيها يدها وأخرجت سمكة تتلوى .

ثم قالت : « هناك كثير غيرها » .

وصح ما قالته ، فقد ملأنا بالسمك نصف غرارة . ولقد دلنا ما رأيناه من فيض الماء فى الحفرة أن إمى وقعت على مجرى من مسارب الماء تحت الأرض .

ولما وضعنا النظام لتجهيز معسكرنا بالماء احتجنا إلى الأنابيب ، وقصدنا إمى نسألها ما نريد . وما إن شرعنا نؤدى إليها الثمن مما لدينا من مؤن وزاد ، حتى خطر لها رأى آخر فطلبت أن يقوم بعض رجالنا الميكانيكيين بتعليم شارلى تسيير الآلة التى تدار بالبترول والمخرطة الموجودتين فى مصنع والدها .

ولما جلب القس من المرفأ الكبير آلة لعرض الصور المتحركة وشريط « فرسان القديس لويس » (وكانت هذه أول صور شاهدناها منذ ثمانية شهور) ، دعونا إمى وأخويها فكانوا ضيوف الشرف . ثم سألناها بعد العرض هل تحب المعيشة فى مدينة مثل هذه المدن ، وأن يكون لها فاخر الثياب وأن تكون كوكباً من كواكب السينما .

فتنتها الموسيقى كل الفتنة ، وأما كواكب السينما فقالت عنهن : « أنهن جميلات — بديعات . ولكنكم تقولون إن أفعالهن ليست من حياتهن فى شئ . ولكن كل ما أفعله جزء من حياتى . ونحن هنا أحرار ، ونعيش فى الخلاء » .

ولقد تلقى المعسكر عددين من مجلات الصور المتحركة ، فأعطيناها إمى ولا ريب . ولم ترقها الأزياء وأفانين الثياب فى نفسها بل راقتها صور الممثلات فى معاطف الفرو .

وكان عند إمى أجمل سترة رأيتها من فرو الثعلب ، وكانت فى إبان الزمهرير الشديد تلبس تحت ثوب الإسكيمو المتخذ من الجلد صداراً واقياً من البرد ناعم الملمس كالشمواة . ولا غرو ، فقد ظلت والدة إمى نصف الشتاء تعرك جلد الوعل الأمريكى حتى لان كما نرى . ولقد عرض عليها أحد رفاقنا ٢,٥٠ ريالا فرفضت أن تبيعه .

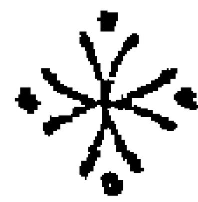
وبعد أسبوعين رأيت أحد الرفاق يلبس الصدار ، وكان قد أصيب بالتهاب الرئة ، وعلمت أن إمي وهبته له ولم تقبل منه شيئاً . وقد ساءها أن يقول لها إنه سوف يرده إليها فيما بعد .

ولقد كان ثمة شيء يهيج غضبها . فلا يقع ناظرها مرة على كرة زجاج من كرات شباك الصيد اليابانية طافية فى تلك المياه إلا حطمتها ، فلما سألناها عن ذلك أبرقت عيناها ، ولكنها لم تزد على أن بصقت على الأرض .

فسألنا شارلى ، وعرفنا أن إمي كانت أوّل من أطلق رصاصة أمريكية على اليابانيين . وذلك أن بعض اليابانيين فيما يظهر أغاروا ذات مرة على شباكها قبيل هجومهم على بيرل هاربور ، ونزلوا إلى البر على الجانب الغربى من منزلها ، فامتحتهم وقد أخذوا يضربون خيامهم ، فأطلقت النار عليهم ، ففروا إلى قواربهم — ثم لم يعودوا قط .

وأزف عيد الميلاد ، وكنا نعدّ الهدايا لإمي وأخويها ، فإذا الأوامر قد جاءت بالرحيل . وكنا يومئذ ننجز صنع عربة صغيرة من الخشب للصغير هرمن — كان والده قد شرع فى صنعها — وكنا نصنع له أيضاً عربة يد .

ولما كان الرفأ فى ذلك الحين قد تجمد ماؤه وصار جليداً ، فقد جاءت طائرة لكى تحملنا . وكانت درجة البرد ٢٥ تحت الصفر يوم فارقناهم ، ومع ذلك فقد وقفت إمي خارج البيت ، عارية الرأس ، تلوّح لنا بيدها ، وأمال قائد الطائرة جناحها تحيّة لصديق جريء معين على الأزمات .



الأمور نسبية

حين ألقى وليم ج . بريان (وقد صار فيما بعد من مفوهى خطباء أمريكا) إحدى خطبه الأولى ، كانت والدته حاضرة ، فأفاض من فصاحته ، وما كاد ينتهى حتى أقبل على والدته وسألها : مارأيك ؟

فقالت فى رفق : وليم ، لقد بدا لى أنك لم تغتنم خير الفرص التى أتيحت لك خلال الخطبة .

فقال : ماتعنين ؟

فقالت : عرضت لك فرص كثيرة لتكف وتقعد فلم تفعل !

[صحيفة : كرستيان سينس مونيتور]

كيف نجا ؟

ايرا ولفرت

المراسل الحربي المعروف
ملخصة من مجلة « ترو مجازين »

كثيراً ما ينجو الجنود من موت يكاد يكون محققاً ، فتبدو نجاتهم أدنى إلى الخيال منها إلى الحقيقة . ويعزو بعضهم هذه النجاة إلى قوة إلهية تحرسهم فى وادى ظلال الموت ، إلا أن الجندى إذا نجا على ذلك الوجه قال مقتضباً : إن أجله لم يحِن بعد . والقصة التالية واحدة من حوادث كان لى نصيب فيها ، أو أخذت أنباءها من الذين وقعت لهم .

***

لما كنا فى غينيا الجديدة دخل الضابط الأسترالى الكابتن جيمس تريب مضربنا ذات صباح وطلب سيجارة ، لأن سجائره قد تلفت (قال ذلك وأرانا علبة السجائر) . وكانت رصاصة قد اخترقت العلبة ونفذت من أسفلها فأتلفت السجائر .

كانت دورية تريب قد وقعت فى كمين مساء اليوم السابق ، فدار قتال دامٍ ألفى الضابط نفسه فى نهايته وحيداً فى غابة يرين عليها الظلام رويداً رويداً . فمضى على درب وهو يرجو أن يبلغ أحد معسكراتنا قبل الليل ، وإذا جندى يابانى يثب ويطلق عليه بندقية من مسافة قصيرة . وأحس الضابط بصدمة الرصاصة فى صدره ، واستبان لساناً من النار ينقضّ من أعلى جسمه إلى أسفله . إلا أن علبة السجائر زاغت بالرصاصة فنجا الضابط ، وأطلق على اليابانى عياراً نارياً فقتله ، وسار فى سبيله مسرعاً .

وإذ كان يبحث عن مضرب حليف يأوى إليه ، عثر بجسم رجل منبطح على الأرض ، فلما همّ يقول : « معذرة ياشيخ » دمدم الرجل باليابانية . فأدرك الكابتن تريب أنه فى وسط مضرب يابانى ، وأن أمله الوحيد فى النجاة هو مواصلة السير خلال المضرب عسى أن يظن اليابانيون أن رجلا من أعدائهم لن يجرؤ على السير فى وسطهم .

ونجحت حيلته . وكان كلما وطئت قدماه أحد اليابانيين يسمع الدمدمة . وقد صاح به بعضهم مرتين كأنهم يوجهون إليه الأوامر . فأجاب منحنحاً بأصوات رجا أن يحسبها اليابانيون تمتمة يابانية . وحين استوثق أنه خرج من منطقتهم اضطجع وراء جذع شجرة ، فلما طلع الفجر رأى إلى جانبه جنديا يابانيا ، كان فى تلك اللحظة ، وياللخطأ ، نائماً !

عودة الجنود إلى أدانو



چون هيرسى

ملخصة عن رواية "الناقوس يعاد إلى أدانو"

كان صباح اليوم الذى أطلق فيه سراح الأسرى صباحاً مشرقاً . وقد تجلت أدانو فى أبهى جلاها . كان يوماً جميلا ملائماً لعودة الجنود إلى ديارهم .

أقبلوا جماعة واحدة من طريق أمبرتو الأول وكانوا لا يزالون فى ملابسهم العسكرية غير أنها كانت قذرة من افتراشهم الغبراء . وكثير منهم كان طويل الشعر غير حليق الذقن .

وقفوا وهم فى طريقهم على مخبز زابولا ، ولما قاربوا الميدان كان كل منهم يحمل فى يده نصف رغيف من الخبز الأبيض الجيد ، وكانوا فى مسيرهم ينشدون الأغانى ويصيحون : « عدنا إلى الوطن ! عدنا إلى الوطن ! » .

وكانوا لا يسيرون فى نظام عسكرى ، فقد ضاقوا ذرعاً بالسير صفوفاً للتفتيش وبالسير صفوفاً للطعام، وبالسير صفوفاً ليقتلوا أو يُقتلوا . كانوا شرذمة من الصغار يعودون إلى ديارهم ، بعضهم مرح يكاتم ضحكه ، وبعضهم باك يعول .

وكانت عيونهم تحملق كأعين أطفال صغار يتطلعون إلى كل شىء . فرأوا كلمات موسولينى المتعجرف التى كانت منقوشة على الحيطان قد غطيت بالطلاء ، ورأوا الشوارع نظيفة . ولم يكن الخبز قط أحلى فى أفواههم مذاقاً مما هو اليوم . وما كادوا ينحرفون فى طريق أمبرتو حتى سمعوا سيدة تغنى .

لم يكن ثمة إنذار بالإفراج عن الأسرى ، غير أن نبأ اقترابهم من المدينة ذاع وانتشر كما تنذر هبات الرياح بقدوم السحب .

سمعت النسوة فى المدينة ضوضاء دنوهم ، فأدركن بغرائزهن مغزاها . لم يتدفقن فى الطريق إليهم ، بل وضعن أيديهن على قلوبهن وانطلقن يبلغن صديقاتهن هذا النبأ العجيب : إن رجال أدانو قد عادوا إلى وطنهم ! فانطلقت النسوة اللائى سمعن الضجة والنسوة اللائى أنبئنها ، وعدن إلى الطريق أمام « البلاتزو » ولبثن مترقبات .

ألا إن الحرب لبغيضة إلى نفوس الرجال وهى شىء لا ترضى عنه النساء رضى كثيراً . وكم قاسى أولئك النسوة من أجل رجالهن ، فقد مضت أيام ولم يصل إلى بعضهن رسالة ،

فإذا حادثن صديقاتهن علمن أن غيرهن قد وصلت إليهن الرسـائل . ولقد مرت على أولئك النساء أيام سود ، وكان من بينهن من بلغ صغارهن سن الكلام ، فكانوا يدرجون إليهن على وجل وفى عيونهم لمح من الذعر ويقولون : «ماما — أين أبى» ، فلا يجدون جواباً اللهم إلا رجفة فى أعماق القلوب .

كانت النسوة الواقفات على جانب الطريق أمام البلاتزو يعشن أبداً فى خوف مقيم على رجالهن أن يصيبهم سوء أو ما هو شر من ذلك . وأما النساء اللواتى كن يشاجرن أزواجهن وقد ضقن بهم ذرعاً حين كانوا معاً فى أمن ، فقد نسين المنازعات ، ولم يخطر ببالهن إلا الذكريات الجميلة ، ذكريات هـذا الرجل الذى يوقظهن فى منتصف الليـل حين يدب إلى فراشه متهالكا ، والضحكة العالية التى ترن وهو يلقى برأسه إلى الوراء ، ونكهة الدخان فى فمه ، وصوت النبيذ وهو يصبه من الزجاجة .

وهكذا وقفت النساء هنـاك على جانب الطريق أمام البلاتزو وأيديهن على قلوبهن ، أو يمسسن ذاهلات شعورهن الشعث المرسلة .

رأى الرجال السائرون فى الطريق أولئك النسوة الواقفات هنـاك ، ولم يسعوا إليهن فقد كانت سعادتهم سعادة متهيبة ، فساروا الهوينا نحو نسائهم .

ولما بلغ الرجال مكاناً يبعد ٥٠٠ ياردة من النساء ، بدأ جمع النساء يتحرك إليهم مقبلا بطيئاً فى أول الأمر ، وهن يتعثرن فى خطاهن ، ثم تقـدمن وقد اشرأبت أعناقهن وجحظت عيونهن ، وسرن يردن الدنوّ منهم ، ثم اندفعن فى النهاية يجرين وهن يرسلن صيحات ولا يفهن بكلمة .

لم يعْدُ الرجال نحو النساء ، بل جرت النساء نحو الرجال . كانت السعادة متعادلة فى الكفتين ، وكان معظم الرجال يعلمون أن سوف يلقون نساءهم هناك ، على حين أن بعض النسوة لم يكن على يقين من لقاء رجالهن ، هذا هو الفرق ، وهذا هو السبب فى اندفاع النساء إليهم .

وكان بعض النساء يعلم أن رجالهن قد فارقوا الحيـاة ، بيد أنهن انطلقن يجرين ليشاركن سائر النساء هذه السعادة الخارقة .

كانت تينا إحداهن ، وقد لبست أجمل ثيابهـا ، وهو ثوب أزرق بهيج ، وقد سرحت شعرها حتى لمع وتألق ، جرت مع الأخريات تسأل عن جورجيو : أهو بينهم . وفحصت الرجال بعين تناصفها الحب والفزع ، ثم دفعت المرأة التى أمامهـا وكافحت لكى ترى الجمع المقبـل من موقف خـير من موقفها هذا .

كان الماجور جوبولو — وهو حاكم المدينة بعد أن احتلها الجيش الأمريكي — يحث خطاه فى الطريق نحو الرجال . وما كاد الأسرى يبصرونه حتى أقبلوا عليه يصيحون : « أمريكى ! أمريكى ! » فعانقوه وقبله بعضهم ، وتركوا آثاراً من فتات الخبز على وجهه حينما ابتعدوا عنه .

وكان هذا المنظر أقصى ما يبلغه جنون الحرب . فهؤلاء الرجال الذين دُرّبوا شهوراً وأمروا بارتكاب أشنع الجرائم وهى القتل ، يغمرون الآن بحبهم نفس الرجل الذى خرجوا ليقتلوه .

اقتربت النساء وعرف بعضهن أزواجهن فصحن بأسمائهم بأصوات معولة مرتعشة . وعندئذ اندفع الرجال إليهن بعد لأى ، ولم يبق بينهم وبينهن إلا عشر خطوات .

اختلط الحابل بالنابل ، وكان منظراً يدل على الجنون ، كان كل زوجين عثر أحدهما على صاحبه يتعانقان ، وكان بعضهم يضحك وبعضهم يبكى ، وبعضهم يهمس وبعضهم يصيح وبعضهم يضم زوجته وبعضهم يداعبها

وكان بعض النسوة اللواتى مات أزواجهن يعانقن أول رجل يلقينه ، ليتذوقن تلك اللذة التى طالما اشتهينها وحرمنها ، غير أن الرجال نبذوهن ، وذهبوا يبحثون عن ذويهم . إنك لترى الآن النسوة اللائى قضى عليهن أن لا يرين أزواجهن إلى الأبد ، لا تستقر أبصارهن على زوجين إلا لتنتقل إلى آخرين وهن يرددن أسماء أزواجهن ، ويسألن ويتفرسن الوجوه التى يرينها رأى العين مرتين أو ثلاثاً ، وما ذلك إلا لتطمئن قلوبهن ، وكان الشحوب يغشى وجوههن شيئاً فشيئاً ثم يأخذن فى العويل . وكان معظمهن لا يصرخ بل يئن ، والدموع تسيل على وجناتهن الذابلة .

ولم تنقل تينا طرفها من زوجين إلى زوجين ، وترك شاب زوجه واتجه إلى تينا ، ثم وقف أمامها وهز رأسه . وكان هذا كل ما فعله ، وأدركت تينا ما يريد . غير أنها صاحت بالشاب قائلة : « ماذا حدث ؟ » فأجابها : « سأخبرك يا تينا فيما بعد لا الآن » . ثم قبّل خدها ، فجعلتها القبلة تبكى ، ثم وارت محياها بيديها وارتعدت صامتة .

لم ينفض الجمع سريعاً ، بل جلس الرجال على قارعة الطريق ، وأخذوا يقصون كثيراً مما مر بهم . وكان الآباء يحملون أبناءهم على سواعدهم للمرة الأولى . وأخذ بعض الرجال نساءهم وانطلقوا مسرعين . وتقدم الكسالى والفضوليون الذين تلكأوا فاختلطوا بالجمع . ثم اجتمعوا زوجين بزوجين ، وصاروا زرافات ثم جماعات يغمرها البشر والمرح . وأما النسوة اللائى لم يجدن أزواجهن فقد غادرن المكان فرادى وحيدات .

حكمة الحيوان

٢
مختارات من رسائل القراء
إختارها للنشر آلن ديفو

إن السنين التي قضيتها في العراء أقنعتني بأن الحيوان ، وإن كان لا يفكر على غرار الإنسان ، فإنه قد وهب القدرة على الإحساس بعمق قوة بالإلهام ، وأنه يتصرف تبعاً لذلك . وكما قال جون بوروز : « إنه يعرف بغير أن يعرف كيف عرف » .

وفي الصيف الماضي ، يوم نفقت الأفراخ محبسها في بيض « الكلدير » على مقربة من جسري القديم ، أرسلت الشمس الحامية أشعتها غير مشفقة ، ولقد راقبت إذ ذاك حدثاً عجيباً . رأيت الأم تتخذ طريقها إلى الغدير مرة بعد أخرى ، وتستنقع في الماء ، وتدب راجعة إلى صغارها ، ثم تنفض عليها رذاذاً بارداً ينعشهم .

ولقد ذكرت أمثلة من حكمة الحيوان في مقالي الذي نشر في المختار ، أبريل سنة ١٩٤٤ ، وهذه إضافة أخرى إلى ما ذكرت ، اختيرت من آلاف الرسائل التي تلقيتها .



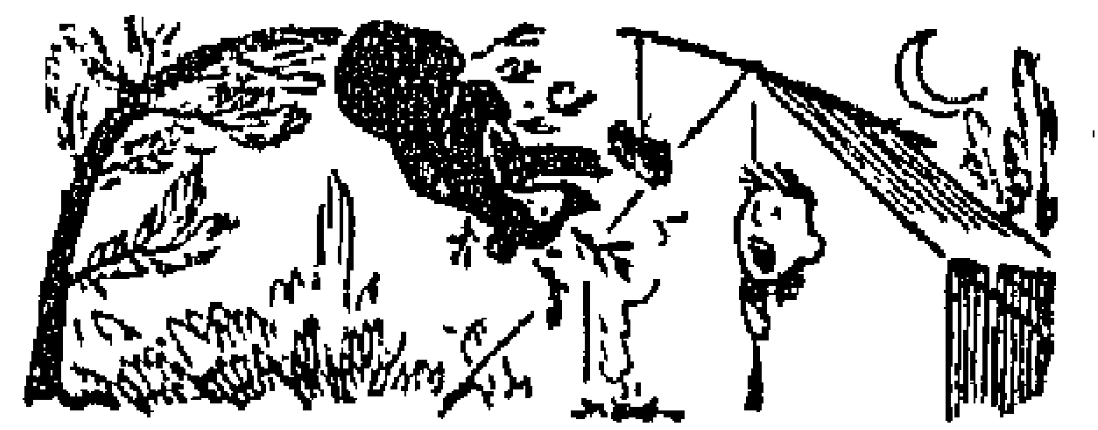
الظربان والبيض

ماتت أنثى الظربان بحادث أليم ، ومضى صغارها الأربعة يهيمون على وجوههم حول مرجنا في ضوء القمر . وقد كانوا صغاراً محببين بأعينهم اللامعة البريئة ، وأذنابهم الفخمة ذوات الريش ، حتى رضينا أن نجازف بإدخالهم البيت . ولقد تبين لنا أن ذلك لم يكن قط مجازفة منا ، فقد كانوا كرام الشمائل ، لا تضيق موداتهم .

وأهديت إلى أحدهم بيضة فشمها ، وظهر أنه اقتنع بأنها طعام يستساغ . ولكن كيف يصل إلى الوجبة الشهية المخبوءة في جوف القشرة ؟ بدأ فدحرج البيضة حتى صارت على أقدام قليلة من الجدار ، ثم شد قبضة مخالبه الأمامية عليها ، ونكس رأسه حتى ساوت أرض الحجرة ، وباعد بين رجليه الخلفيين المشعرتين . وأرسل البيضة تئز من بين خلفيتيه نحو الحائط ، وانكسرت البيضة ، وبدأ الظربان الصغير طعامه .

ولقد أعطينا الثلاثة الآخرين بيضاً ، فحلوا المعضلة بنفس هذه الطريقة العجيبة .

[دوريس شاپان كنج]



الدب اللبق

بدأت أفتقد بعض الأطعمة في مخيمي بجبال أديروندك من المستودع ، ولا سيما لحم الباكون . وحاولت أن أعجز كل حيوان يمكن أن يقتحم مكاني ، فعمدت إلى حبل وربطته في مؤخر عصاً ، وعلقت لحم الباكون في طرفه ، ورفعته فوق موقد المخيم . وظننت أنه أصبح بذلك بعيد المنال .

ولكنه سرق مرة أخرى . فعلقت شيئاً من اللحم واختبأت لأرى ، ففي الليلة الثالثة أقبل المغير وأخذت ألاحظه ، فذهلت !

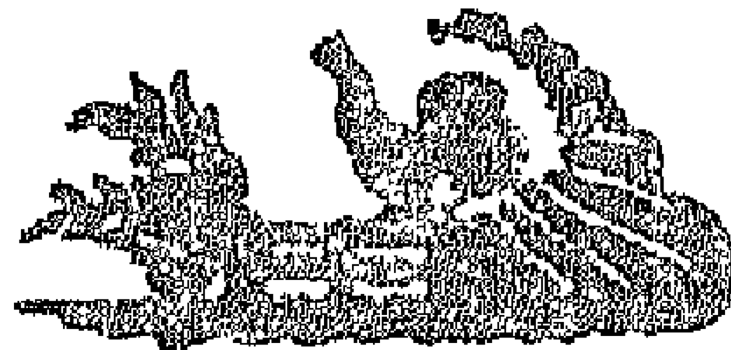
فمن خلال خميلة من الأعشاب تسلل ، بكل حذر ، دب صغير لا يتجاوز الثانية من عمره ، وأخذ يتلفت متوجساً عندما أصبح مكشوفاً للنظر . ثم عمد مبطئاً إلى شجيرة ومضى يتسلقها ، فلما شارف القمة ، بدأت الشجيرة تميل ولكن في اتجاه بعيد عن مكان اللحم . وبكل حذر ولباقة ، وبقبض شديد على الفروع ، أدار ثقل جسمه إلى الجهة الأخرى من الشجيرة ، فأخذت تميل في الاتجاه المطلوب شيئاً فشيئاً ، ثم أبرز الدب مخلبه واختطف اللحم بسرعة ، وقطع الحبل المعلق به . وانزلق اللص إلى الأرض ، ولم يترك من ورائه أي أثر ينم عنه بجوار مصطلى المخيم . لم يترك شيئاً اللهم إلا شجيرة تهتز على حافة الأرض المكشوفة ، لم تلبث بضع ثوان حتى انتصبت وعادت ساكنة كما كانت أبداً . [لويس جينز]



البجع صائد السمك

كثيراً ما رأيت في بحيرات جنوبي أوريجون الشرقي ، حوالي خمسين بجعة أو أكثر يجتمعن كي يختلن السمك البورة والنصاص الذي يفتتن به . فعلى بعد ما من الشاطئ تقف الطيور صفا مواجهة البر ، ثم تعوم متباطئة نحو الضفة في شبه دائرة ، جاعلة أطراف أجنحتها تحت سطح الماء ، وتحركها على التوالي مرة نحو الجسم وأخرى بعيداً عنه . وتبدأ الحركة بسرعة معتدلة ثم تزداد كلما اقتربت من الشاطئ ، ثم تصبح الحركة دقا مفزعاً وضرباً في الماء ، إذا ما اقتربت ساعة النهاية . ويصل جناحا الصف إلى الشاطئ أولا ، ويطبق القلب كأنما أمروا بذلك ، وتتقدم الطيور وأطراف أجنحتها متلاصقة كأنما هي شبكة محكمة .

هنالك يتخبط السمك المحاصر بقنوط في الفخاخ ، باحثاً عن منفذ من خلال حلقة الطيور المطبقة عليه . وأخيراً يحاول السمك أن يتنكب أجنحة البجع الطاحنة ، فيجهد نفسه في الغوص تحت أجسام الطيور . وفي هذه اللحظة يمتد النصف المقدم من مناقير البجع الهائلة فاغرة تحت الماء ، وعندئذ تجد السمكة أنها لم تغص إلى الحرية ، ولكن إلى بلعوم واسع الجوانب . [رايموند كوبي]



حياتك الزوجية هل كادت تخفق ؟

* بين ڤان بلت ولسون * ملخصة عن مجلة " جود هاوس كيبنج "

يحدث من حين إلى حين في كل زواج أن يجيء يوم أغبر ، فتروح تتساءل عما صار إليه حماسك . والنساء ، خاصة ، أميل إلى الأسى والسهوم لفتور العنصر العاطفي ، فيقلن جزعات « إننا نتناءى شيئاً فشيئاً » أو « لعله لم لم يعد يحبني » . فإذا كان قد حيرك وأذهلك أن حياتك الزوجية تبدو كأنها أصبحت تافهة ومبعث ضجر ، فإن عليك أن تتدبرى موقفك أنت قبل أن تنحى على موقف زوجك .

١ — فهل أنت تأخذين الأمور معه مأخذ التسليم ؟ هل تصغين حقاً حين يتحدث ، أو لا يعدو الأمر أنك تنتظرين لتصححي له خطأً ، أو لتقولى كلمتك ؟ وهل أنت شريكة له فيما يوفق إليه أو تغضين من شأن أعماله ؟ وهل تدخلين في حسابك أنه يتكفل ببيتك ؟

٢ — هل تحولين دون أخذه الأمور معك مأخذ التسليم ؟ قبل أن تتزوجا كنتما لا تعدمان موضوعات ممتعة تتحدثان فيها ، ولم يكن للخياطة والأطفال وتكاليف المعيشة دخل فيها ، فإذا آثرت لنفسك أن تتحطى حتى تصبحى مديرة بيت ليس إلا ، فإن زوجك خليق أن لا يرى فيك أكثر من ذلك . وكنت قبل الزواج تفضلين الموت على أن تظهرى له في ثياب رثة . ولم يزل أمراً مهماً أن تكونى فاتنة ، فإن وثيقة الزواج ليست بوثيقة تجيز الرثاثة .

٣ — هل يسرت لزوجك أن يحتفظ بموقف الشهامة الذى كان يتخذه أيام الخطبة؟ تقول إحدى الزوجات في شكوى لها : «إن جورج لا يكاد يحمل كرسياً في بيتنا أو يصنع شيئاً ، وهو يكتفي بأن يقعد وينظر إلى وأنا أعمل» ولكن الحقيقة أنها خفيفة نشيطة ، وأنه هو ذو اناة ، وقد اقتنع منذ سنوات أنه لا يستطيع أن يسبقها إلي الكرسى ، فنفض يديه من الأمر . وإذا كانت المرأة تأبى إلا أن تكون قوية ، فإنها لن تعامل كأنها ضعيفة . والزوجة الصالحة التى يبدو عجزها في أمور صغيرة ، تكون عادة محل إعزاز .

٤ — كيف أدبك فى البيت ؟ يندر أن يكون المرء مؤدباً مع الأسرة كأدبه مع الأغراب . وما أكثر النساء البارعات فى رياسة اللجان ، ومع ذلك يفقدن اتزانهن فى البيت وهو أهم ، ويسمعن أزواجهن ألفاظاً حادة ، ويعرضن عليه أعصاباً تالفة.

٥ — هل يطيب لك أن تكونى عليلة ؟ إن موكباً من الأمراض الهينة ينهك الرجال ، وهم محدودو العطف على المريضة بعد أن يزول عنهم ما ساورهم من القلق فى البداية . فإذا مرضت فاصنعى كل ما يدخل فى الطاقة لتعودى إلى الصحة ، وأطلعى طبيبك على كل الأعراض والمتاعب التى تشكين منها فى عيادته ، فإنك تنقدينه أجره على هذا الإصغاء .

٦ — هل حاولت جادة أن تفهمى زوجك ؟ هل تحرصين على الإغضاء عن « نقائص فضائله » ؟ إن الاقتصاد الذى يكاد ينقلب شحاً قد يمر بسلام حين يضمن دخل واف ، وإذا كان زوجك سخياً مرحاً فقد تضطرين إلى الصبر على العسر فى أداء الديون، فهل موقفك الحقيقى من زوجك موقف الاحتمال والتسامى أو التقدير ؟

٧ — هل استطعت بذكائك ان تجدى وسائل إلى تدبير أمورك على الرغم من المصاعب ؟ إن كل زوجين يحتاجان إلى الحلم والتشدد . وقد قالت زوجة قضت مع بعلها عشرين عاما ومازالت سعيدة : « إنى أشتهى قبل أن أموت أن يحدث مرة أن أنهض من النوم شكسة سيئة الخلق ، لو لا أن هذا يكون نكبة . فإن « مارك » يظل جانياً حتى يحتسى الفنجان الثانى من القهوة ، ولا يحول دون النقار الذى يفسد اليوم كله ، سوى الصمت التام من جانبى » .

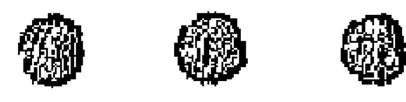
٨ — هل أنت مولعة بالشجار والنقار؟ إن السعادة الزوجية تقوم على الأمور المهمة ، ولكن الأمر من الدقة بحيث يسهل أن تقلبه التوافه . فإذا أنت حصرت همك فى التوافه فإن من السهل أن تنقلبى سليطة ، فاتقى النقار ، فإن الحلم وحسن الخلق والفكاهة ، وسيلة إلى التغلب على المتاعب الصغيرة ، واتقاء الخلافات . وتوخى الحكمة فى شئون المال خاصة، فإن هذه علة لأكثر الخلافات بين الأزواج .

٩ — هل ساعدت زوجك على الاحتفاظ باحترامه لذاته أمام الغير ، وتوخيت اللباقة والعطف فى نقدك له فيما بينك وبينه ؟ إن الزوجة تحتاج إلى لباقة واتزان أعصاب ليتسنى لزوجها أن يبدو على السجية أمام الناس ، ولتدعه يبالغ فى أعماله ، ولتسمح له أن يروى حادثة شهدتها معه ، على غير وجهها . والمرأة التى تجعل شعور الرجل

بذاته يضعف ترتكب خطأ خطراً ، فإن حسن رأيه في نفسه مهم لنجاحه في الحياة — ولنجاحها أيضاً .

ولا مسوغ إلا للنقد النافع وفي خلوة ، ولا فائدة من تعيير رجل حي بأنه غير رشيق أو ظريف في غرفة الاستقبال ، ولكن إذا كان زوجك يحول كل حديث إلى جدل ، ويغشى المجتمع بروح الرئيس المسيطر ، فإن من الخير له أن تبيني له خطأه. وقد يزعم أنك مبالغة في الأمر ، ولكن هـذا الضرب من النقد النافع ، مما يقبله الرجل عادة .

١٠ — وأخيراً هل فقدت القدرة على اللمسة الخفيفة ؟ كثيراً ما يشق عليك أن تتغلبي على ما يضيق به صدرك وأن تتناولي الأمور برفق ، ولكن الثمرة تستحق العناء ، وقليل من المصانعة ، أو معالجة الأمر بالفكاهة ، يساعد على تزييت الآلة المنزلية . والمرأة التي تحـافظ على ابتسامتها ، وخفوت صوتها تستطيع أن تعالج كل حالة تقريباً .

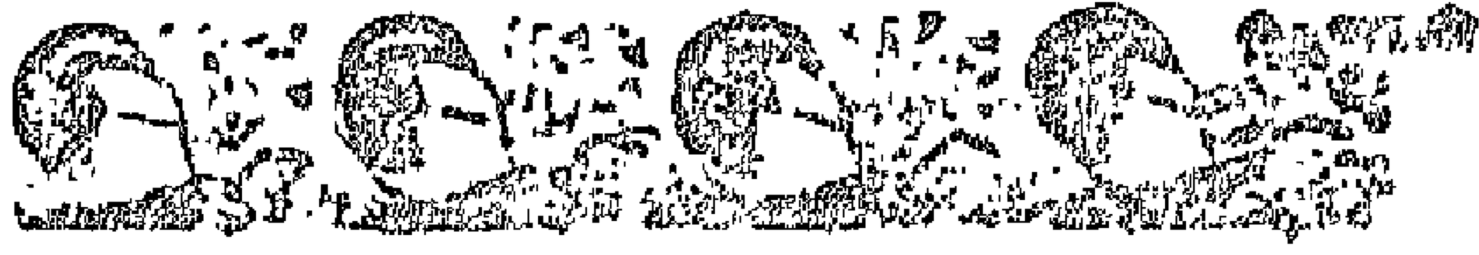


أجوبة الأسئلة (صفحة ٢٥)

١ — الجانب الغربي . ٢ — شانج كاي شاك . ٣ — لتعريض أكبر مساحة ممكنة من غصن الوردة ، للماء فيكون ما تمتصه من الماء أكثر ما يمكن . ٤ — ٢٠٠ عظمة. ٥ — دعوة صديقين مرة واحدة فتدفع ثمن ثلاث تذاكر وحسب . أما دعوة صديق واحـــد مرتين فيكلفك شراء أربعة تذاكر . ٦ — طرف اللسان ٧٠ — ساعة واحدة .

الخمارة محبوبة

سُئل شيخ من عامة لندن : ألم تروّعه الحرب الجوية الخاطفة حين اشتدّت وطأتها على لندن ؟ فقال : لا ولم أروّع ، فقد حسبت أملي في النجاة على الوجه التالي : على الطائرات الألمانية أن تعبر بحر المانش ، وليس هـذا يسيراً ، ثم عليها أن تجتاز الساحل ، ثم تعبر مصب التاميز ، ثم تدخل منطقة لنـدن — وليس يسيراً أن تخطيء لندن ، ثم عليها أن تجد حي هامرسميث . فشارع أكاشيا ، ورقم ٨٧ في ذلك الشارع ، وعندئذ فمن المحتمل أن لا أكون هناك — بل في الخمّارة !



رجال من حديد في مصنع "هندى"

ف . كامبل بروس
مع إضافات من المؤلف

ملخصة عن صحيفة
«سان فرانسيسكو كرونيكل»

في الساعة الرابعة من مساء خميس ما ، دق جرس التلفون في مكتب « جين إلكوس » المشرف على مصانع حديد « يوشيا هندى » ببلدة سنى فايل بكاليفورنيا ، فمد يده إلى السماعة ولم يعد إلى بيته إلا بعد ثمانية أيام .

كان الصوت في التلفون صوت ضابط بحرى كبير في وشنطن على ثلاثة آلاف ميل ، يدوّى في لهجة متوترة : « إلكوس ، عندى مهمة لتوماك . نريد على وجه السرعة ٢٥٢ قاذفة صواريخ متنقلة . نحن في حاجة إلى اثنتين يوم الأربعاء القادم لامتحانهما ، والبقية يوم الخميس عند انتصاف الليل . إن حاجتنا إليها أشد من حاجتنا إلى أى شئ طلبناه قبل » .

ويومئذ كانت قاذفات الصواريخ المتنقلة من الأسلحة السرية ، ولها من قوة التدمير ما يجعلها في منزلة المدافع الثقيلة . وهى تتحرك بالكهرباء ويمكن أن تلائم جميع المعدات الحربية المتنقلة ، فتصلح للاستعمال في زوارق النزول إلى البر ، فتكون لكل موجة من أمواج الهجوم بمثابة مدفعية الخطوط الأمامية . وقد قال الضابط البحرى لإلكوس : إن هذه الأسلحة سنستعمل بعد إنجازها بساعات — فيوم الهجوم قد عين . وكرر توسله ثلاثاً قائلا : « إن حاجتنا إليها أشد من حاجتنا إلى أى شئ طلبناه قبل » .

فراجع إلكوس الموقف في ذهنه مراجعة سريعة : ٢٥٢ قاذفة يجب أن تصنع في ١٧٢ ساعة . أين رسوم التصميم ؟ على مئات من الأميال . أين مواد البناء ؟ ليس ثمة رطل واحد منها في المصنع ، ونحن في حاجة إلى خمسين طنا . والعمال ؟ إن صنعها يقتضى عمل ٣١٠ من العمال المتفنين ، وليس منهم في مصنع هندى إلا نصفهم أو أقل . وأدهى من هذا أن المصنع لم يقم بمثل هذه المهمة من قبل ، فعمله منصب على صنع تربينات بخارية ومحركات لسفن النقل « ليبرتى » .

فدعا إلكوس رؤساء أقسام المصنع وصارحهم بما كان .

كيف الحصول على الترخيصات للمواد اللازمة ؟ إن اقتحام الدوائر الحكومية لهذا

الغرض يستغرق أربعة أيام . فسحقاً للترخيصات . هاتوا المواد أين كانت . فتولى قسم المشتريات ذلك — وقد جمع خمسين طنا منها من شتى مصانع الحرب المتفرقة فى منطقة خليج سان فرنسيسكو وكذلك انتزع العمال المقتدرون من دور الصنعة وطوائف اللحامين ومصانع السيمنت والمغنسيوم المجاورة

وفى فجر الجمعة انطلقت طائرة من طائرات الأسطول تحمل أحد مهندسى هندى ومفتشاً بحريا ، وعادا فى الساعة العاشرة يتأبطان الرسوم والأسس الفنية، وفى الساعة الثامنة من صباح السبت وصلت سيارة نقل تحمل نموذجاً، وفى الساعة الثالثة بعد الظهر كانت المواد اللازمة مكوّمة .

وظلت طائرة متأهبة للطيران إلى أى مكان فى البلاد لنقل أداة تشتد الحاجة إليها . وكان ركاب «الموتوسيكل» متأهبين كذلك لإنجاز مهمات أخرى قريبة .

وفى الساعة السابعة من مساء السبت ، كان العمال يقطعون الفلزّات يهيئونها للصناعة، وفى الساعة الحادية عشرة من مساء السبت تم صنع نموذجين .

فى الساعة السادسة من صباح الثلاثاء كانت رحى العمل دائرة فى «تجميع» القطع التى يتألف منها كل جهاز ، بوساطة السير المتحرك ، وكانت شعل اللهب الأزرق تنطلق حيث يتم اللحام ، وعلى أشعتها الشعث ينحنى رجال مقنّعون يرتدون معاطف من الجلد .

وكانت أذرع الروافع « الونشات » تتحرك كأنما جنّت ، ناقلة أحمالها فوق الرؤوس . وكان الرجال القائمون على جهاز «التجميع» يصيحون مطالبين بأجزاء أخرى، وأخرى، ثم أخرى .

نزعوا الساعة عن الجدار وأحلوا مكانها تقويماً . ونسى العمال نوباتهم ، فليس ثمة ميعاد للبدء فى العمل ولا ميعاد للتوقف عنه . فالعامل منهم يمضى فى عمله إلى أن يكل ، ثم يدخل رأسه فى ماء بارد ثم يعود يعمل زمناً ما

فى صباح اليوم التالى ، خطر لعامل متحذلق خاطر بديع ، فقال لزميله اللحام إنه سيمتنع عن العمل فى النوبة التالية ، فيذهب إلى بيته وينام ، ثم يعود للعمل فى النوبتين التاليتين ، فيصيب بذلك زيادة فى أجره من العمل الإضافى .

فرد عليه زميله : « اسمع ياصاحبى ! أتريدنى أن أصفعك فألصق أذنيك برأسك، نحن لا نعمل هذا من أجل المال » .

فمضى العامل فى عمله .

ولم يكن للأعمال المختلفة حدود ، فكبار رجال الإنتاج وموظفو المكتب يشتركون فى العمل حين فراغهم . « يا أخى ، ساعدنى قليلا » ، يقولها لحام فيهب موظفو المكتب

إلى معونته . وهؤلاء الموظفون لا ينالون مليما واحداً زيادة فى مرتباتهم الشهرية جزاءً لهم على العمل الإضافى . حتى مفتشو الأسطول لبسوا ثياب العمال .

خذ مثلا « بوب بلايبلر » المشرف على نوبة تمتد من نصف الليل إلى الساعة الثامنة صباحاً ، فى قسم المهمات البحرية ؛ وكان قبل ذلك لحاماً . سمع بهـذه المهمة الطارئة فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، فخاطب زوجه بالتلفون لتجيئه بملابس اللحّام وأدواته ، فلما انتهت نوبته ارتدى ملابس الالحام ، وظل يعمل طول النهار ، ثم نام ساعتين وعاد إلى العمل .

ثم هناك المشرف الأعلى ، فما كاد ينتهى من مهمتـه المألوفة حتى ذهب للإشراف فى العنبر ، فوقف على أرضه الحجرية ٣٨ ساعة فتورمت قدماه حتى اضطر إلى شق حذائه .

على أن ساعات العمل والسهر الطويل بدأت تؤثر فى الرجال ، فاحمّرّت العيون ، ونبتت اللحى ، وعلت الوجوه أطباق من العرق والقذر ، ولـكنهم لم يتوقفوا .

وتهامسوا القول فى المصنع عن « أشياء متفوقة » تصنع فيه ، فتلهف كل عامل إلى بذل العون . فأقبلت الفتيات ، بعد ساعات المكتب ، يحملن القهوة إلى الرجال . وظلت الممرضات ملازمات عملهن إلى منتصف الليل بدلا من الساعة الرابعة بعد الظهر . وكانت هـذه المهمة أخطر مهمة أنجزها مصنع «هندى» ، ولـكن لم يصَب أحد العمال بأذى أقعده .

وجاءت النساء بأجهزة الحلاقة والملابس النظيفة لأزواجهن . وبضعُ دقائق يقضيها الرجل فى الحلاقة كانت تعدل نوم ساعة . ومسحُ الجسم بإسـفنجة مبلولة وتبـديل « الشعار » (الملابس التى تلى الجسم) يحلان محلّ نوم ليلة . وحين يحلّ الإعياء بأحدهم حتى لا يرى أمامه إلا شبحاً غامضاً ، يستلقى على سرير صغير فى مكتب أحـد المديرين ، أو يستريح ساعة فى سيارة واقفـــة فى فناء المصنع .

على أن العمال وجدوا الراحة شاقة عليهم بعد هـذا التوفز ، فالإدمان على العمل قد بدأ يؤثر فيهم .

فما هى الشعلة التى دفعتهم دفعاً ؟

رفع أحد اللحّامين قناعه عن وجهـه القذر وقال : هـذه هى الفرصة المتاحة لى حتى أشارك فى الحرب . وأفرغ واحد لم يقبل فى الجيش ، هذا المعنى نفسه فى قالب آخر ، قال : حمـداً لله ، الآن أستطيع أن أقول لصغارى إننى فعلت شيئاً ، وإن لم أكن قد لبست الثوب العسكرىّ .

فى الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء

تحرّكت سيارة نقل إلى حيث يتحن رجال الأسطول أجهزتهم ، وكانت تقلّ الجهازين الأولين الكاملين . فهتف الرجال ، ولكن قبل أن تختفي السيّارة عن النظر ، انقطع الهتاف وعاد هدير العمل المحموم.

وجاء يوم الخميس ، يوم الميعاد ، وقد كانت الساعة الأخيرة كالثواني التي تسبق السدّس المؤذن ببدء مباراة الكرة ، فقد تم صنع ٢٥١ من هذه « الأجهزة المتفوقة » ، ولا بد من إنجاز الجهاز الأخير للوفاء بطلب الأسطول . وشرعت ثلاث طوائف من العمال تتسابق ، كل منها تعمل في إنجاز جهاز لترى أيها تكون السابقة . واحتشد العمال من سائر أقسام المصنع يحثونها ويستنجزونها.

وقبل انتصاف الليل بدقيقة واحدة ، ارتفع هتاف عظيم . فقد أُنجز الجهاز الأخير . وقذف اللحامون بأقنعتهم ، ونفخ سائقو سيارات النقل في أبواقها ، ودق عمال الآلات حديداً على حديد ، وتعانق المديرون والعمال ، وعيونهم مغرورقة بالدموع .

وقد توقع إلكوس أن يكون ما حدث خلال الأسبوع ، قد خفض إنتاج هندى العادى ، لأن العناية في طول المصنع وعرضه كانت محصورة في هذه المهمة الخاصة ، فوجد أن الانتاج قد تأثر حقا ، فإنتاج محركات سفن « ليبرتى » زاد في ذلك الشهر من ٣٢ محركا إلى ٣٥ محركا .

وقبل فجر الجمعة ، دخل إلكوس مكتبه ليفرغ من كتابة تقريره ، فابتسم ابتسامة عريضة إذ رأى الشعار المعلق على الجدار : « الأشياء الصعبة نصنعها حالا ، أما المستحيلة فتستغرق وقتاً أطول قليلا » .

فرجال هندى ، صنعوا المستحيل — في الميعاد المضروب .

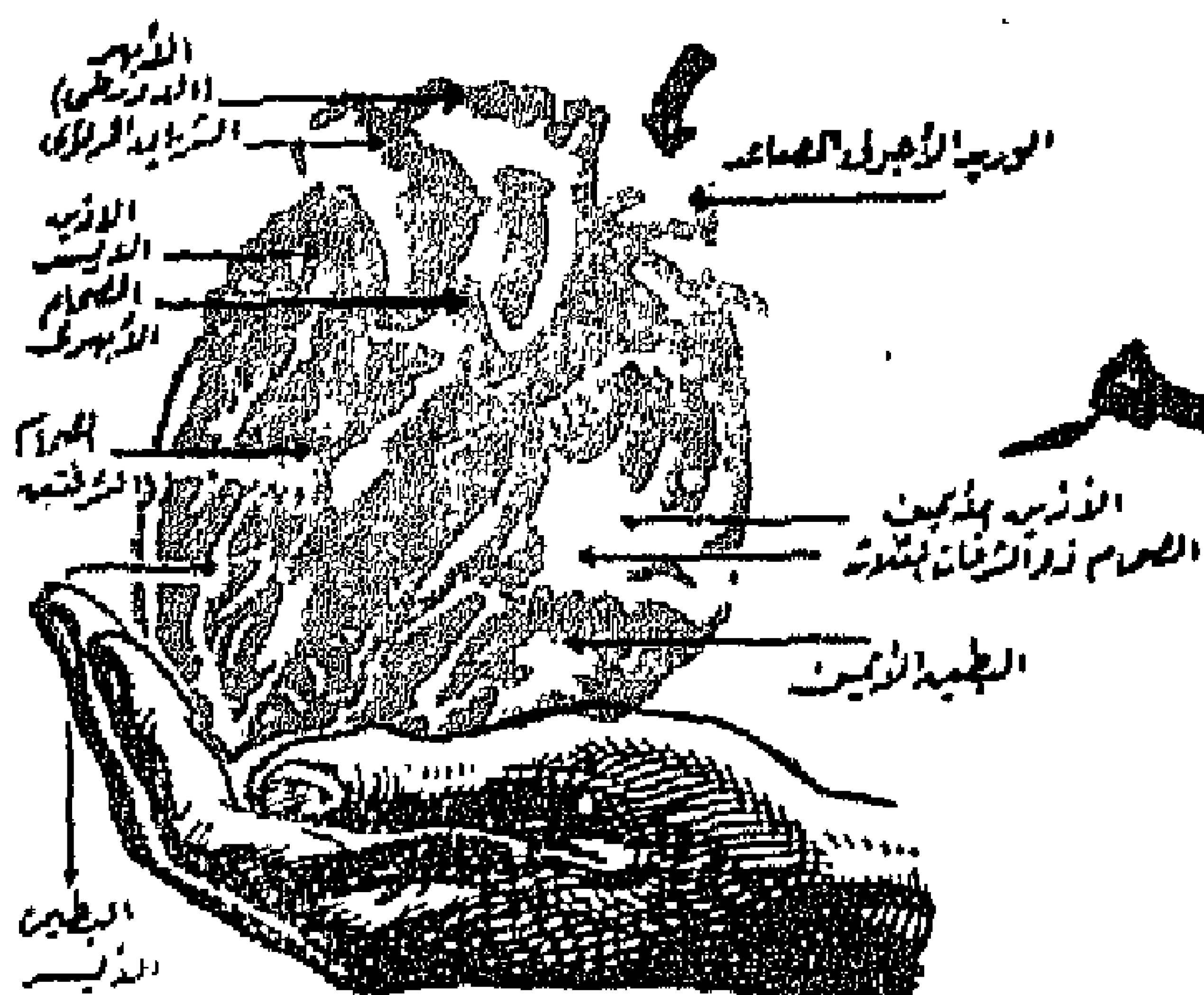


« وصفة » النجاح في الحياة

رأيت أينشتين يوماً واقفاً بالباب فسألته : ما خير وصفة للنجاح في الحياة ؟ فابتسم وفكر قليلا ثم قال : إذا رمزنا للنجاح في الحياة بحرف « ا » فلعل خير وصفة تكون ا = س + و + ز ، على أن يمثل حرف « س » العمل ، وحرف « و » اللهو . فقلت : وما يمثل حرف « ز » ؟ فقال : آه ، إنه يمثل التزام الصمت !

[س . ج . ولف في : « منتزعة من الحياة »

قلوبكم في أيديكم



ملخصة عن مجلة "هايجيا"

للدكتور بيتر ف. ستينكرون

أخصائي الطب الباطني وأمراض القلب والزميل بكلية الأطباء الأمريكية والجمعية الطبية الأمريكية . ومؤلف كتاب « مرض القلب قابل للشفاء »

القلاب

(مرض القلب) أفتك أعداء الإنسان ، ومن يموت به أكثر ممن يموت بالسرطان أو السل ، أو الالتهاب الرئوي أو أي مرض آخر . ومع ذلك ففي الإمكان تجريده من أذاه وقهره ، إذا أدّى المريض ما يجب عليه .

هب أن جون ك . سميث انكسرت ساقه وقال له الطبيب : « يجب أن تلزم الفراش ستة أسابيع يا جون » . فيبتسم جون ، ويبعث إلى أهله من يجلب له ما يحب من السجائر والحلوى والمجلات ، ويتمنى أن يكب على قراءة ما فاتته قراءته من الكتب . ذلك بأنه يؤمن أن العظم المصدوع إذا أتيح له الزمن انجبر ، وأصبح كأنه عظم جديد .

فهب الآن أن سميث أصيب بانسداد الوتين (الشريان التاجي الذي يغذي القلب) من جمود الدم فيه . فيعاني ألماً في الصدر بضع ساعات أو بضعة أيام ، ثم يتعافى حتى كأنْ لم يمسسه سوء ، ولكن تصوير القلب بالرسام الكهربائي يثبت عن يقين أن القلب ليس أقل رضًا ولا تصدعاً من عظمة الساق .

ويقول الطبيب لجون : « يجب أن تستريح على الأقل ستة أسابيع ، فإن لم تفعل أصابك الضر ، ولئن فعلت أتحت لقلبك أن يلتئم ، ولعضلاته أن تبرأ ، ولنفسك العودة إلى العمل » .

لكن جون لا يؤمن برأي الطبيب ، ويتوهم أنه مبالغ ، فلا يخلد لما ينبغي له من الراحة ، وقد لا يمضي غير قليل حتى نقرأ عنه في الصحف في باب الوفيات .

ولو كان مثل هذا الرجل محظوظاً يوم أصيب قلبه ، فكسرت له ساق لكان من المحتمل أن يفقد علة قلبه ، فإن قسره على الراحة لخليق إذ ذاك أن يتيح لقلبه فرصة الشفاء . على أن هذا ليس كل ما هنالك ، فإن الطب للقلب طبا وافياً ليس يتوقف على ما تصنع له في الأسابيع القلائل الأولى التي تلي الإصابة ، بل على أساليبك بعد ذلك في الحياة .

إن القلاب قابل للشفاء ما أعان المريض على تحصيل هذه الغاية ، شأنه في ذلك شأن السكر والدرن .

يعيش مريض السكر بمأمن من مضاعفات المرض ما احتمى وتعاطى الأنسولين، ويعيش المسلول ما اتبع نظاماً معقولا فى الحياة .

ومثلهما فى القـدرة على العيش مريض القلاب ، وهذا ما لا يفقهه أكثر النـاس ، فكثير من مرضى القلب الذين كانوا يخشون أن يتخطفهم المـوت فى أيام ، عاشوا ٢٠ أو ٣٠ أو ٤٠ عاماً فوق ما كانوا يقدرون .

وكم من علل وآلام لا داعى لها كان من الممكن تجنبها ، لو أدرك المريض الهدف الذى يحتال له الطبيب . ومن أجل ذلك يجب أن تعلم شيئاً عن قلبك ، فإنه عضو مهم .

إن وزن القلب عشر أواق ليس إلا ، فهو لا يزيد على نصف رطل غير قليـل ، ومع ذلك فإن هـذه المضغة الدقيقـة التى يساوى حجمها قبضة اليد ، تقذف حوالى ست أواق من الدم فى كل انقباض ، فيكون مجموع ما تلفظه فى كل ٢٤ ساعة ٥٠٠٠ جالون (٢٢٥٠٠ لتر) أو عشرين طنا ، فإن أجهد القلب فقد يمجّ فى هذا الزمن ما بين ٥٠ طنا و ١٠٠ طن . فإذا كان قلبك وسطاً بين القلوب كان عليه أن يخفق ٣٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ مرة على الأقل فى العمر الذى كتب عليك أن تحياه ، بل لربما خفق بليون خفقة أخرى عند الجهد والإرهاق .

وأشبه ما يشبه القلب من الآلات ، آلة تعمل من تلقاء نفسها ولا تكلّ ، وكل من أعضائك الأخرى يستطيع أن يبطىء حتى يكف عن عمله . صم عشرة أيام ، أو أغمض عينيك عشر دقائق ، أو أمسك عن التنفس عشر ثوان ، فتستطيع أمعاؤك وعيناك ورئتاك أن تعود إلى عملها من حيث انتهت ، إلا القلب فهو إذا كفّ عن نبضه عشر ثوان فهيهات أن يعود إليـه أبداً ، اللهم إلا أن تحدث المعجزة التى نسمع عنها بين الحين والحين .

وليس كل مرض فى القلب خطيراً ، فإن ثلاثة من كل أربعة أشخاص يفزعون إلى الطبيب هم من أصحاء القلوب ، فبعضهم يشكو من ألم عابر فى الجانب الأيسر من صدره (يزعم أنه فوق القلب تماماً) ، وبعضهم فقـد قريباً له أو صديقاً فيقول : (كيف هـذا ؟ وقد رأيته بالأمس فبـدا لى أصح ما يكون) ، وبعضهم يريد أن يطمئن على سـلامة قلبه فيقول للطبيب : (إنى لأرى القلاب حيثما أتلفت) . . . وهذا قليل من كثير مما يبعث الذعر فى نفوس الأصحاء .

هذا إلى مصابين بالقلاب حقا لا يختلفون إلى الأطباء . فجون جونس يفرّ خشية أن يسمع خبراً يسوءه عن قلبه . وجون براون يلتمس لعلتـه المعـاذير قائلا : « ما هى إلا

خمول الشيخوخة » أو أنها « عسر هضم ليس إلا » ، ومع هذا فإن من عسر الهضم الباغت المعروف من قديم ، ما يكون مبعثه فى الغالب علة فى القلب .

وهنالك أنواع عديدة من القلاب : منها الموروث ، ومنها الروماتزمى ، ومنها ما ينشأ من الزهرى أو تصلب الشرايين ، ومنها الميكروبى إلى غير ذلك . وكلها تتشابه من عدة وجوه ، ولكنها تتباين من وجوه أكثر ، ولكل منها فى الطب دواء يناسبه . ولكن هناك علاجاً أساسيا تشترك فيه جميعاً يمكن تسميته بأسلوب الحياة ، وبغير هذا العلاج يصبح عبثاً كل شىء سواه .

وإليك وصفة بسيطة تصلح للأصحاء كما تصلح للمرضى ، وتمهد السبيل للعمر الطويل :

أولا — دع طبيبك يفحصك إذا شكوت من أى عرض من الأعراض التالية : السعال المزمن ، بصق الدم ، الإغماء ، الربو ، ورم الكعبين ، انتفاخ البطن ، الكلال ، عسر الهضم ، الخفقان ، سرعة النبض ، ضيق التنفس ، وجع الصدر ، الدوار ، العجز عن التمدد فى الفراش أثناء الرقاد .

ثانياً — لا تصغ إلا لما يقول الطبيب دون سواه ، فإن النصيحة المثمرة لا يتلقاها المرء من الأصدقاء الذين تنقصهم التجربة ، كلا ولا من الصحف ولا الكتب ولا المجلات .

ثالثاً — إذا اتضح أنك مصاب بأية علة فى القلب فخذ حظا عظيما من الراحة — الراحة ، الراحة وأكثر من الراحة ، فإنها الوصفة الممتازة لعلاج القلب العليل .

ما أكثر ما رأيت مرضى يتعاطون الدواء بإخلاص ، ويصبونه قطرة قطرة بميزان معلوم ، ولكنهم يهملون شأن الراحة . فاجلس ولا تقف ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، وامش ولا تركض ، وأبغض صعود السلم ، واكبح جماح غضبك . تعلم هذا كله ، والزمه تصب أساس العلاج الناجع لعلة قلبك أياً كانت ، فإنه لا يوجد مرض آخر يصدق فيه أن : « من عرف كيف يستريح كان عمره أطول » .

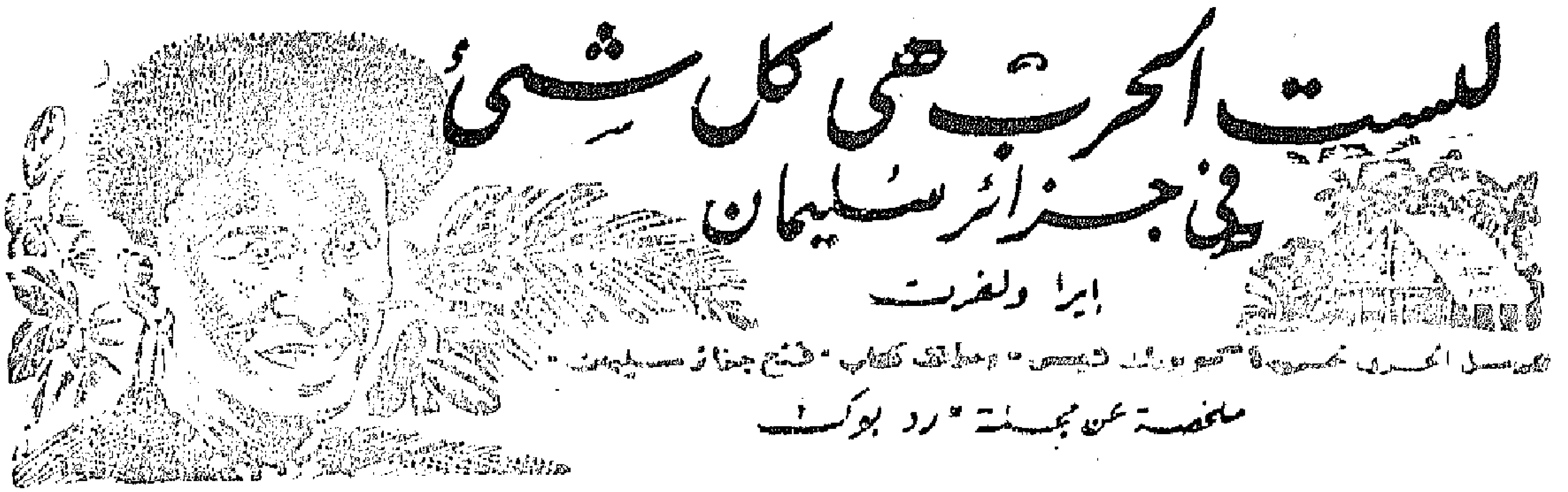
أوصاف

● إن ذاكرته ليست أقوى من ذاكرة المرآة [بريفن داير]

● طعن البرق صدر الأرض بنصل لامع [بيفرلى نيكولز]

● هى الحبكة فى قصة حياته [لويس أورفيس هارفى]

• يجد الجنود الأمريكيون كثيراً من التسلية فى اتصالهم بسكان البحار الجنوبية « المتوحشين » الذين يسلكون فى أنوفهم قطعاً من العظم » .



ليست الحرب هى كل شئ فى جزائر سليمان

إيرا ولفرت

ملخصة عن مجلة « رد بوك »

سكان جزر سليمان ، قوم جفاة المنظر ، فأكثر رجالهم يسلك قطعة من العظم فى وتيرة أنفه ، أما النساء فلا يلبسن من الثياب سوى إزار خفيف من الأعشاب . والرجال والنساء كلاهما يزين جلده الأسود بوشوم زرق مشبكة . والجنود الأمريكيون تجذبهم النساء اللائى يصبغن وجوههن بالأحمر والأبيض ، وبالأخضر تحت العينين ، ولكن يؤذيهم منظر الأصباغ الزرق .

كنت ذات يوم أمشى وسط الغابة فألفيت نفسى وجهاً لوجه أمام أول رجل منهم ، وكان قوىّ البنية وفى يده رمح . فقلت له : « هالو ! » فرد علىّ بصوت حزين : « هالو . » . عند ذلك رفعت يدى عن قبضة المسدس إذ لم يكن فى مظهره ما ينبئ عن القسوة أو التوحش ، بل كان يبدو كأنه ينتظر أو يتوقع أمراً . وكأنه كلب صغير يريد منك أن تلاطفه وتلاعبه .

ذهبنا بعد ذلك معاً لنتغذى ، فشاركنى فى التهام جرايتى ، وأرسلت أنا أيضاً يدى فى القدر التى قدمها إلىّ ، واستخرجت منها قطعاً غريبة الشكل فى لون البنفسج الباهت ، تتخللها خطوط من البنفسج التام . فلم أتمالك عندئذ أن أسائل نفسى ، لعل تلك الخطوط هى خطوط الوشم فى أجسام سكان الجزيرة ، وأنها تتخذ هذا اللون بعد الطبخ ! ذلك أن جنودنا على حبهم للسكان يكثرون من سرد أكاذيب تقشعر لها الأبدان عن صيدهم للآدميين ، وأكل لحومهم ، وهم لايقصدون بهذا شرا ، وإنما يريدون أن يعلموا زملاءهم . أما القطع التى كانت فى القدر فلم تكن سوى قطع من نبات اليام ، الذى ينمو فى جزر سليمان .

واليام يشبه البطاطا فى تركيبه وقوامه ، فكان ينبغى أن يكون له طعم البطاطا أيضاً . ولكن عند ما تناولتها لم أجد طعمها يشبه شيئاً ما ، بل إن المرء إذا وضعها فى فمه ، لم يحس أن فى فمه شيئا . وكثيراً ما رأيت

الجنود الأمريكيين ، عند ما يقدم إليهم هذا الطعام للمرة الأولى ، ملأوا به أفواههم ، ثم ينظر بعضهم إلى بعض مرتاباً ، كأنهم يريدون أن يتبينوا السارق الذى انتزعه منهم.

وهذا الإحساس بشىء غير موجود ، هو ما تحسه أيضاً عند ما تشاهد بيوت الأهالى للمرة الأولى . فليس للبيوت جدران مطلقاً ، وقد بنيت متلاصقة جدا ، حتى إن الرجل الذى يتقلب فى نومه ربما أزاح جاره عن فراشه . ومع ذلك تراهم رجالاً ونساء حين يستيقظون ، بعد أن قضوا الليل يتسامعون غطيطهم ، يحيى بعضهم بعضاً بمنتهى التحفظ ، كأنهم قضوا الليل وراء جدران سميكة وستور مسدلة .

ويجب عليك أن تقرع قبل أن تدخل أى كوخ من الأكواخ ، وليس هنالك باب تقرعه ، بل ليس هنالك شىء يشبه الباب لتدخل منه عند ما تلج الدار ، ومع ذلك يجب أن تقرع أحد الأعمدة التى تحمل السقف ، عند ذلك يرد رب الدار بكرم وترحيب : « دعهم يتفضلوا ويدخلوا بسرعة ! » فيدخل الجنود الأمريكيون ، وينزعون قبعاتهم فى شىء من التردد ، وهم لا يعلمون أيهما أسخف عقلا ! .

وإذا أراد الأهالى إغلاق دورهم التى ليس لها جدران علقوا قرعة أو جوزة هند جافة ، بحيث تتدلى من طرف السقف ، وكل من مر تحتها فى غياب رب الدار لازمه النحس . ولما وصلت الحرب إلى وادى الكنار علق الأهالى القرع على دورهم واعتصموا بالأدغال ، فلما عادوا إليها بعد مضى ثمانية أشهر ، رأوا منازلهم قد نسفت برغم القرع ، وقد تعب رجال السحر فى إفهامهم حقيقة ما حدث .

وتقع جزيرة سافو الصغيرة فى ملتقى الطرق ، حيث كان أسطولان عظيمان يحاول كل منهما أن يسحق الآخر ، ما بين مايو وديسمبر سنة ١٩٤٢ . وقد غرق فى المعركة ما لا يقل عن مائة سفينة ، وقد استطاع جونستن سورا زعيم جزيرة سافو أن يحصل على جهاز النجاة من الغرق من إحدى السفن اليابانية ، وأن يجعله وسادة يضعها فوق عرشه ، وتاجه قلنسوة زرقاء من الصوف مما يلبسه بحارة البارجة نورثامبتن . ولم يكن من الممكن أن يجد جونستن سورا طريقة أبرع من هذه لكى يثبت أنه هو الرابح دائماً سواء أخسر المعركة هذا الفريق أم ذاك .

ولقد ذهبت مرة أصطاد السمك مع أحد الأهالى الرياضيين يسمى فندى . وقد جاء ومعه فى الزورق ست من نسائه ، ولم يحدث بينهم ذلك الهرج والمرج بسبب الطعم الذى يستخدم فى الصيد ، ولم يشتبك

حبـل الصيد بشعورهن ، أو الصـنارة بثيابهن ، وسبب ذلك : أننـا اسـتخدمنا بدل الطعم القنابل اليـدوية ؟ وأن النساء شعرهن قليل ، وأن ثيابهن أقل من الشعر.

وقد تولى النساء التجديف ، وجلست أنا وفندى فى وقار واحتشام ، وأذرعنـا على صدورنا . وأحياناً كان النساء يغنين لنا بصوت عال حزين ، ولـكن لا بأس به . وكان للأغانى نغم محزن موحش ، كأنه أنغام ريح منفردة تصفر بين الحشائش العالية .

ولما وقعنا على فوج عظيم من سمـك المرجان ، رمى فندى من الزورق قنبلة يد ، ثم عاد فضم ذراعيه إلى صدره ، وانقض النســاء من جوانب الزورق إلى الماء ، وأخـذن يجمعن السمك ، ويلقينـه فى الزورق ، فلما قرر فندى أن تد أخـذنا كفايتنـا ، أخـذ النساء يدفعن الزورق بالمجاديف ، وعدن بنا ، فجلست أنا وفندى لـكى نستريح ، وأخذ النساء فى تنظيـف السمك وطهيه . وأكلت أنا وفنـدى أولا ؛ ثم جاء دور النساء فجعلن يقرعنه أشد التقريع لأنه أكل أكثر ممـا ينبغى .

ومن الأشياء التى تدهش الجنود أشـد الدهشة ذلك التقريع الشديد الذى يوجهه النساء إلى رجالهن ، بلا وجل ولأتفه الأسـباب أحياناً ، كما يفعل نساؤنا تماما . والرجال يتلقون التوبيخ كما نتلقاه نحن ، فإذا كانوا مستحقين للوم ، بدا عليهم كأنهم يريدون أن يغيروا موضوع الحديث ، وإلا بدا عليهم كأنهم فريسة لعدوان صارخ .

ويقوم النساء بمعظم الأعمال ، وربما انضم إليهن الرجال أحيـاناً إذا طاب لهم ذلك ، فى البحث عن البيض ، وفى الطبخ ، وفى حمل الطفل الصغير وملاعبته ، بعد أن يشد إلى حبل متـين معلق بالـكتفين . وكون العمل من نصيب المرأة لا يجعلها تشعر بالضعة ، بل هى تمارس جميع حقوقها بصوت جهورى ، وتتطاير الألفاظ من فمها كما تتطاير الشظايا من رأس الفأس .

وقد أثر فى نفسى أبلغ التأثير أنى رأيت امرأة ضئيلة الجسم تكيل الألفاظ كيلاً لبا كا وهو من نبلاء المتوحشين ، فلم يفعل أكثر من أن مدّ شفتيه ، وأخذ يعبث بالعظمة التى فى أنفه .

وليس فى جزيرة سافو شهور أو أسابيع وليس فى اليوم سـاعات ودقائق ، وكل ما لديهم من قياس الزمن شىء واحد وهو : بعد قليل ، أو شيئاً فشيئاً ، فالزمن اختراع لم يجد نجاحاً بين هؤلاء السكان . فإذا أراد المهندسون من رجال الجيش أو فرق العمال أن يضربوا لهم موعداً ، قالوا لهم : بعد قليل ؟ ثم جلسوا ينتظرون حضورهم .

ومع ذلك فقد سمع القوم الجنود يذكرون أيام الأسبوع ، فالتقطوا هذه المعلومات بلهفة ، ولكنها في الحقيقة لم تجد عليهم سوى الارتباك . فيوم فارقت سافو لكي أعود إلى وادي الكنار ، صاحبني لبو — لبا إلى الزورق ، وقال لي إنه سيراني يوم « الثلاميس » ، فسيكون في وادي الكنار يومئذ (كاي كاي) عظيم ، أي حفل كبير.

وقد اجتهدت عبثاً أن أعرف ماذا عنى يوم « الثلاميس » فقصدت كابتن نيلس ، وهو ممن قضوا ثلاثين عاماً في جزر سليمان . فقال لي : « إن يوم الثلاميس ربما كان الثلاثاء أو الخميس . ولكنه أيضاً قد يكون يوم الأحد أو الاثنين أو الأربعاء . ولست أظن أنه يوم الجمعة ، وأنا واثق أنه ليس يوم السبت . ولكن أيا كان المعنى ، فإن هذا ليس بأمر ذي خطر ، لأنه سيحضر يوم يحلو له أن يحضر » .

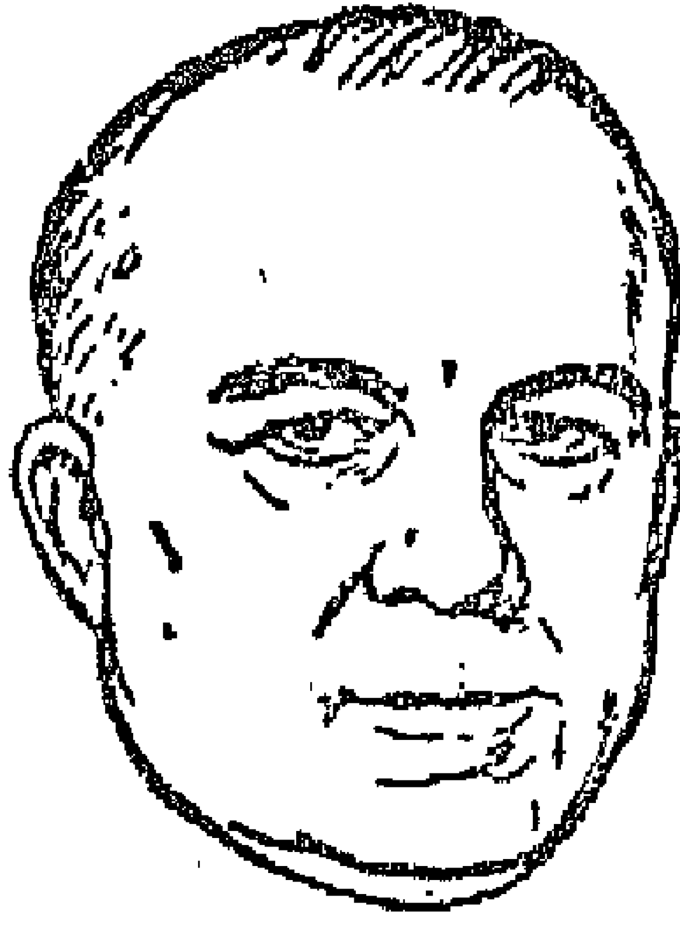
أما الكاي كاي الذي أشار إليه فهو حفلة لأكل اللحم ، ولكي تكون الحفلة ناجحة ، لا بد لها من معاونة اليابانيين ، أو على الأقل هذه هي الإشاعة المتداولة ، فهنالك عدد من البقر يتجول في وادي الكنار حزيناً كئيباً ، وهي من الدواب التي مارست هذه الحرب ، ولها دراية خاصة باتقاء القنابل ، وليس من المنتظر أن يطالب أحد بثمن بقرة يقتلها اليابانيون ، أو على الأقل هذا هو المعنى في أذهان كثير من الناس ، فمن شاء أن يعقد حفلة ، فعليه أن ينتظر غارة يابانية ، ثم يقود إحدى البقر بحبل تحت قنبلة مناسبة .

وإذا أصابت القنبلة إحدى الدواب تطاير اللحم في مساحة واسعة ، والقاعدة العامة هي أن كل ما يسقط في جحر أي إنسان يصبح ملكا له . ولكن هناك دائماً كثير من الطفيليين يجورون على أرض غيرهم ، ويلتقطون اللحم حيثما وجدوه ، فإذا أمكنك أن تجمع أكبر مقدار ممكن، فذلك خير لك.

وبعد الكاي كاي يدعى الأهالي للذهاب إلى السينما ، وهم يجدون فيها متعة عظيمة ، غير أن أبصارهم تزيغ إذا رأوا أمراً يروعهم — كأن يبصروا مثلا رجلا يمشي إلى جانب فتاة . وإذا أخذ البطل يقبل البطلة ، حولوا عنه أنظارهم في حياء مصطنع، وهم ينظرون من مؤخر عيونهم .

وجنود الولايات المتحدة في المحيط الجنوبي قد أحبوا سكان هذه الجزر وأولعوا بهم ، حتى إن بعضهم، فيما بلغني، يحاول أن يجد سبيلا إلى نقلهم بعد الحرب إلى الولايات المتحدة .

ملك الألومنيوم





إدوين ديمل و فرنون بوب

ملخصة عن

مجلة "كيوانيس"

بدأت ألمانيا تكثر من إنتاج الألومنيوم قبل الحرب بزمن طويل، فما جاءت سنة ١٩٣٩ حتى صار إنتاجها وإنتاج إيطاليا معاً ثلاثة أضعاف إنتاج الولايات المتحدة

والأمريكي الوحيد الذي أقلقته هذه الحالة هو المستر ر. س. رينولدز، وهو من رجال الأعمال الناجحين، وقد كان في أول أمره يشتغل بصناعة رقائق الألومنيوم التي تستعمل في رزم السلع وفي أغراض صناعية أخرى. وكان يرى ان الحرب إذا نشبت ستكون حرباً جوية تستعمل فيها الفلزات الخفيفة. ولذلك أخذ يحرّض قومه على الإكثار من إنتاج الألومنيوم، فلم يكترث له أحد لا من رجال الأعمال، ولا من رجال الحكومة بوشنطن. وكانوا يهدئون روعه ويقولون له: مهما يحدث فسيكون الألومنيوم موفوراً.

ولما سقطت فرنسا لم تقتصر خسارة الدول المعادية لهتلر على فقدان مقادير الألومنيوم المخزونة في فرنسا، بل شر من ذلك أنها فقدت المعامل الكبيرة التي كانت تنتجه.

فعزم رينولدز على أن يسد الثغرة، وأن يكون وحده أعظم من ينتج الألومنيوم. وكان إنتاج الولايات المتحدة منذ خمسين سنة وقفاً على «شركة الألومنيوم الأمريكية». وكان هنري فورد وجون ديوك قد عزما على منافسة تلك الشركة، ثم ما عتما أن أحجما. وقال أصدقاء رينولدز من رجال الأعمال والمصارف: إنه لن ينجح، ولن يلبث أن يفقد كل ما يملكه. ولكنه ينتج الآن من الألومنيوم أكثر مما كانت الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا تنتجه معاً في سنة ١٩٣٩. أجل، وإن شركته لتنتج اليوم خمس الألومنيوم الأمريكي أو ربعه.

تُرى من هو هذا الرجل الذي اقتحم أسوار مملكة الألومنيوم؟

ولد رتشرد صموئيل رينولدز منذ ٦٢ سنة بمدينة بريستول بولاية تنيسى، وتلقى العلم في جامعة فرجينيا، ودرس القانون في جامعة كولومبيا، ولكنه تحول من المحاماة إلى تجارة الطباق (الدخان) مع عمه. ويومئذ عرف أول مرة ما هو الاحتكار. وأمر نضاله المستر ديوك، الذي كان مسيطراً

على صناعة الطباق ، من أغرب ما يروى فى تاريخ الأعمال بالولايات المتحدة .

بدأ فى الثانية والعشرين من عمره وأجره ٥٠ دولاراً فى الشهر، فلم يقض أربعة أعوام حتى ضاعف دخل عمه باختراعه حُقاً من الصفيح يحفظ طراوة الطباق الذى يستعمل فى الغليون، ليحل محل الكيس المشمع الذى كان يستعمل فى ذلك العهد . ومزج مقداراً من الطباق اللطيف بمقدار من الطباق اللاذع، فإذا المزيج لفافة لذيذة المذاق ، فزاد ما يباع زيادة عظيمة . فعرض عليه عمه أن يعينه نائب رئيس الشركة بمرتب قدره مئة ألف دولار سنويا ، إلا أن رينولدز كان قد تزوج وله أربعة أولاد ، وعمه أيضاً رب أسرة ، ففضل أن يستقل وحده بعمل .

فلما كانت سنة ١٩١٩ شرع فى صناعة الرقائق، فكان يصنعها أولا من الرصاص ، ثم تركه إلى الألومينيوم. وابتدع استعمال الرقائق للف السجائر واللبان والزجاجات والحلوى ، فما لبث حتى غدا يملك طائفة من المصانع على محاذاة السواحل الأمريكية الشرقية .

وحين عزم فى سنة ١٩٤٠ على أن يقتحم صناعة الألومينيوم ، انطلق إلى وشنطون وذهب إلى « إدارة تمويل المنشآت » وعلى رأسها المستر جسى جونز ، واقترض أربعين مليون دولار برهن أسهم شركته ومصانعها الثمانية والعشرين . وتلك هى طريقته فى جميع أعماله — السرعة المتناهية . وكانت شركة الألومينيوم الأمريكية تملك جميع مناجم البوكسيت الذى يصنع منه الألومينيوم واستنبط رينولدز مناجمه الخاصة فى ولاية أركنساس .

ثم طلب الرئيس روزفلت صنع خمسين ألف طائرة ، فصار ما تحتاج إليه البلاد ثمانمئة مليون رطل من الألومينيوم . ولم يكن فى وسع شركة الألومينيوم الأمريكية أن تنتج أكثر من نصف ذلك المقدار ، فاستيقظت وشنطن من غفلتها وهى تتساءل : أين نجد النصف الآخر ؟

ولم تنقض ستة أشهر حتى كان مهندسو رينولدز قد أقاموا مصانع على أرض مساحتها نحو ميل مربع، كانت من قبل حقولا مزروعة قطناً وشجيرات من الصنوبر بضواحى شفيلد بولاية آلاباما . فكان معدن البوكسيت يدخل من أحد طرفى تلك المصانع ويخرج من الطرف الآخر ألواحاً من الألومينيوم .

ولما سمع رينولدز أنباء « بيرل هاربور » خاطب بالتلفون وحدة نقل للجيش بمطار « رايت » فى دايتون بولايه أوهايو قائلا : « انتظروا خمسمائة ألف لوح أخرى من الألومينيوم فى شهر يناير سنة ١٩٤٢ » .

فصاح الضابط الذى يخاطبه : « ماتقول ! أهذه شركة رينولدز الصغيرة ؟ »

فأجابه رينولدز : « لا . بل شركة رينولدز الكبيرة » .

وبعد ذلك بأسبوعين ذهب رينولدز إلى وشنطن ، وقال إنه تمكن من إنشاء مصنع في ستة أشهر ، وفي إمكانه أن ينشئ مصنعاً آخر في أقل من ذلك ، فلم يصدقوه . فإن إنشاء المصانع بمثل هذه السرعة مستحيل . فأجابهم رينولدز : «لسنا في حاجة إلى المباني بل إلى الألومنيوم ، وفي وسع العمال أن يشتغلوا في الخيم إذا اقتضى الأمر ذلك » .

وقد عني رينولدز ما قاله ، فمنذ بضعة أشهر كنت إذا ما زرت مصنعه بمدينة لويسفيل ، ترى الآلات الضاغطة الضخمة تخرج كميات كبيرة من الأنابيب والقضبان والكتل من معدن الألومنيوم ، وكانت الأرض حول الآلات تراباً غير مرصوف ، وعلى الطرف الآخر من المصنع الذي لم يتم غطاء من المشمع ترفعه الريح وتخفضه . والآلات تعمل أربعاً وعشرين ساعة على أيدي ثلاث طوائف من العمال تعمل بالتناوب .

أما اليوم فيملك رينولدز أربعين مصنعاً للألومنيوم ، وهي موزعة على أربع عشرة ولاية ويبلغ عدد عمالها ثلاثين ألفاً ، وتقدر قيمتها بنحو ثمانين مليون دولار . وهذه المصانع لا تنتج الألومنيوم فحسب بل أيضاً رقائق ذلك المعدن تلف بها مواد لا حصر لها من المدافع الرشاشة إلى جرايات الجند .

ورينولدز نفسه ضئيل الجسم لا يزيد طوله على خمس أقدام وأربع بوصات ، إلا أنه مملوء همة ونشاطاً ، وهو دائماً على عجل ، يستيقظ في الساعة الخامسة فيرسم ليومه خطة أعماله . وإذا لم تره مسافراً رأيته ممسكا بالتلفون . ومما يعرف عنه أنه يستأجر الرجال على إثر محادثتهم بالتلفون . ومعه ثلاثة مساعدين يعملون باستمرار ، وليس لهم أن يحولوا بينه وبين زواره ، فإنه مولع باستطلاع آراء الناس . وهو يسمي أسلوبه في العمل «أسلوب تقشير البطاطس» ويقول : « إن المتفوق في تقشير البطاطس هو من يقشره واحدة واحدة » . وهذا يشرح لك كيف يسيّر مشروعاته الكثيرة .

ولرينولدز ثقة كبيرة بالشبان ، ولعل مديري أعماله أصغر طائفة من المديرين سناً في البلاد ، وعدد وافر منهم دون الثلاثين . وهو يثق أيضاً باستئجار الخبراء . فحين شرع في منافسة شركة الألومنيوم الامريكية استأجر « والتر رايس » ، وهو من كبار الخبراء في الحكومة في مسائل الاحتكار . ولكي يطمئن إلى طريقة إنفاق المال الذي أخذه من الحكومة ، أقنع خمسة عشر رجلا من رجال الحكومة بالانضمام إلى إدارته . واستخدم رئيس إحدى نقابات المعادن المحلية

للعناية بمشكلات العمال ، وقبل أن يفعل ذلك استشار وليم جرين رئيس اتحاد العمال الأمريكي ، فدهش وقال له : « أتعنى أنك تريد أن تأخذ « رجلى » ليكون « رجلك » .

فقال رينولدز : « نعم » . ثم رفع كفه جاعلا راحتها إلى وجهه ، وقال : « إنك ترى يدى من مكانك مغطاة بالشعر ، وأما من حيث أرى فلا شعر . فأريد رجلا يرى الجانب الذى لا أراه من يدى . ففى تسع وعشرين سنة لم يحدث عندى إضراب ما ، ولا أريده الآن أن يحدث » .

ولأبناء رينولدز نصيب مهم فى الشركة ، ولم يكن سبيلهم إلى ما بلغوه يسيراً ، فقد بدأ اثنان منهم بسكب الفلز المصهور فى العمل .

وابن رينولدز الأكبر ، وعمره ٣٥ سنة ، هو نائب مدير الشركة وأمين صندوقها ، ثم هو مدير شركة أخرى لوالده لها مصنعان للتجربة ، وفيهما ثمانية آلاف عامل . ولما كان هو الرجل الوحيد المتحفظ من رجال الأسرة فقد سلمه أبوه زمام الحسابات .

أما ابنه الثانى ، وعمره ٣٢ سنة ، فهو أيضاً نائب المدير ، ويشرف على قسم صنع الرقائق . وبفضل همته زادت صادرات الشركة مما قيمته ٢٥ ألف دولار إلى ما قيمته ٧ ملايين دولار ، وكان عمره يومئذ ٢٤ سنة .

أما الثالث واسمه « بيلى » وعمره ثلاثون سنة ، فهو أكبر أفراد الأسرة جسما وأطولهم قامة ، وهو وأخوه دافيد ، وعمره ٢٨ سنة ، يشغلان منصب نائب مدير أيضاً ، ويشرف « بيلى » على قسم أجزاء الطائرات .

وأبوه هو الذى اخترع طريقة تحويل البوكسيت إلى الألومينيوم المهيأ ، فأتمها هو ليضمن إنتاج الأجزاء الكاملة للطائرات .

وقد بدئ بهذا العمل لأن « بيلى » و « دافيد » كانا يتذمران من أن نحو ٣٠ فى المئة على الأقل من الألواح المعدنية فى أى مصنع من مصانع الطائرات يصبح نفاية (خردة) بعد أن تسوّى أطراف جناح الطائرة أو ضلع من أضلاعها . وأن نقل النفايات المتجمعة فى مصنع أجزاء الطائرة إلى مصنع الألومينيوم ، حيث تصهر ويعاد صبها ، يستغرق تسعة أشهر ، ويتطلب مئات من مركبات الشحن . أما فى معامل رينولدز فإن النفايات تعاد إلى حيث يعاد صهرها فى اليوم نفسه . وبيلى ودافيد ينتجان معاً سبعين ألفاً من الأجزاء المختلفة التى يحتاج إليها ستة عشر مصنعاً من مصانع الطائرات

ويعتقد رينولدز اعتقاداً راسخاً أن للألومينيوم مستقبلا باهراً ، فلكى يضمن أن يستبقى جميع عماله بعد الحرب ، وأن يفسح المجال لستة آلاف منهم انضموا إلى الجيش ، عين المستر كين جونسون حاكم

ولاية كنتكى السابق ليرأس هيئة تنظيم الخطط لما بعد الحرب .

ويعتقد رينولدز أيضاً أنه ليس ثمة شئ يسمى « ألومينيوم يزيد على الحاجة » . سأله جمى جونز حديثاً : « ماذا نصنع بثلاثة آلاف مليون رطل بعد الحرب بسنة ؟ » فأجاب رينولدز من فوره : « إذا قسمت ثلاثة ملايين رطل على ٢٠٠٠ (وهو عدد الأرطال فى كل طن) كان لك منه مليون ونصف مليون طن ، وهذا المقدار ليس كبيراً إذا قيس بما ننتجه من الصلب ، وهو مائة مليون طن . وفى الإمكان أن يباع الجانب الأكبر من الألومينيوم ليكون غشاء للصلب ، بمعدل رطل ونصف رطل من الألومينيوم لكل مائة رطل من الصلب . فأين المقدار الزائد على الحاجة ؟ »

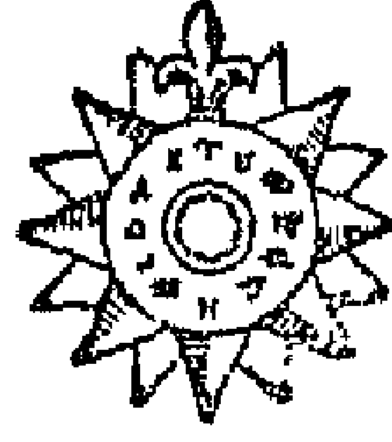
ويعتقد أن صناعة السيارات ومركبات السكك الحديدية ستستهلك مقادير كبيرة من الألومينيوم . وقد كان الصلب هو المسيطر عليها حتى الآن بفضل ثمنه ومتانته ، ولكن منذ نشبت الحرب الحاضرة ، ومنذ نزل رينولدز إلى الميدان ، هبط سعر الرطل من الألومينيوم من خمسة قروش إلى أربعة . وتصنع اليوم أخلاط جديدة منه بعضها استنبط فى مصانع رينولدز ، ومن خواصها ازدياد قبولها للمط عشرين فى المئة على الأقل ، وهذا يوسع نطاق استعمال هذا المعدن .

يقول رينولدز : « وجدت أنا ومدير إحدى شركات السكك الحديدية أخيراً أن فى وسعه ، إذا استعمل الألومينيوم فى صنع مركبات الشحن ، أن يزيد خمس عشرة مركبة على كل قطار ، فيقتصد بذلك عشرة ملايين دولار فى السنة ، ولو شئنا أن نصنع طرازاً واحداً من السيارات من الألومينيوم لاستنفدنا كل ما تنتجه شركتنا وحدها .

وينوى رينولدز أن يغزو صناعة المنسوجات، فقد أثبت الباحثون أنه يمكن تحويل رطل من الألومينيوم إلى خيط يبلغ طوله ١١٫٣٠٠ ياردة . وقد نسج هذا الخيط مع خيوط القطن وصنعت منه قبعات وثياب للاستحمام وستر وغيرها من الملبوسات فكانت رخيصة رخصاً يدعو إلى الدهشة . ويعتقد رينولدز أن من الممكن أن يصنع من الألومينيوم كل شئ ، من قدور الطبخ إلى حلى الزينة .

وهو يفتخر بأنه كان على استعداد يوم نشبت الحرب ، ويفتخر أيضاً بأنه يتأهب الآن لمواجهة السلام . ويؤمن بأن الإكثار من إنتاج الألومينيوم هو الذى يحل مشاكل صناعية كثيرة . وكثيراً ما يقول : « إن فيض الإنتاج هو الذى سيضمن النصر ، وأن فيضه فى المصانع الحرة ، لا مصانع الاحتكار ، هو الذى سيضمن السلم » .

(باب الكتب)



فاتح البحار

قصة ماجلان

تلخيص لكتاب وضعه

ستيفان زفيج

صاحب التراجم المشهورة

لقد أخسّ الزمن حظ الملاح البرتغالى الذى كان أوّل من أثبت أن الأرض دائرة بأن طاف حولها بحراً . وفاز كولمب ، وكورتز ، وفرانسيس دريك بصفحات لا عداد لها ، كتبت لتخليد ذكرهم . أما ماجلان الذى بذهم جميعاً بعمله ، فقد ظل اسما ليس إلا فى كتب التاريخ . وقد أراد ستيفان زفيج أن ينصفه من هذا الظلم ، واستعان قلمه الحى فبرز ماجلان من هذا الكتاب بطلا ورجلا بسيطاً أقدم على الأهوال ، وقاتل مستيئساً ، ونجح نجاحاً باهراً .

فاتح البحار

كان طلب الأفاويه هو البداية . فمنذ تلك الأيام التى استطاب فيها الرومان تلك التوابل الحرّيفة من أبزار الشرق ، استحال على العالم الغربى أن يستغنى عنها ، وكان طعام أوربا فى القرون الوسطى غثاً ماسخاً ، ولم تكن الفاكهة التى تعد الآن عادية ، معروفة ، فلم يكن هناك ليمون أو طماطم ، أو حنطة ، ولا سكر أو شاى أو قهوة ، حتى موائد الأغنياء لم يكن عليها ما يجعل الطعام الواحد سائغاً إلا إذا أمكن الحصول على الأفاويه .

وكانت هذه تجلب من جزر الهند وحدها ، وكانت الطرق التجارية إليها ومنها طويلة وخطرة — تغشاها عصابات اللصوص وشيوخ القبائل الذين يعيشون على النهب والسلب — فكانت أثمان الأفاويه حين تصل إلى أوربا ترتفع إلى حد باهظ ، مثال ذلك أن الزنجبيل والقرفة كانا يوزنان بميزان الصيادلة ، وأن الفلفل كان يعد حبة حبة وكان ثمنه يعدل وزنه فضة .

وكانت الجرأة التى أوحت برحلات كولمب ، ودياز ، وجون كابوت ، وغيرهم من عظماء الرواد فى عصرهم ، ثمرة الرغبة فى الاهتداء إلى طرق تجارية جديدة مأمونة إلى جزر البهار الشرقية .

وبعد أن طاف فاسكو دى جاما بطرف إفريقية الجنوبى فى سنة ١٤٩٨ وبلغ الهند بحراً ، احتدم التنافس على التجارة والدولة فى الشرق ، وفى سنة ١٥٠٥ أوفدت البرتغال أسطولا لإقامة مراكز تجارية فى جزر الهند ، فذهب معه فردنند ماجلان ، وهو جندى برتغالى شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ، وقد عاد من هذه الرحلة والرحلات التالية التى امتدت إلى ملقا (قرب سنغافورة الحالية والباب إلى جزر البهار) بساق عرجاء من أثر جرح ، وبتجربة عظيمة ، وبعبد من الملايو اشتراه فى ملقا . وقد قُسم لهذا العبد الذى سماه إنريك أن يقوم بدور مدهش فى حياة ماجلان بعد ذلك .

* * *

تفتح ذهن ماجلان وتطلع إلى آفاق بعيدة ، وصار يحلم بالوصول إلى جزر البهار بأن يبحر غرباً ، كما حلم كولمب من قبله . وكان أمريجو فسبوتشى ، وكورتز ، وكابوت قد التمسو على ساحل أمريكا منفذاً إلى جزر الهند . ويبدو من المحتمل أن يكون ماجلان قد استوحى خريطة سرية رسمت وفاقاً لملاحظات فسبوتشى (وانخدع بها كما أثبتت الحوادث ، وهى خريطة فيها بوغاز خفى

وراء كابو سانتا ماريا فى البرازيل .

ومهما كان من أمر ، فقدكان غيره من الرواد يقول فى تواضع : « إنى أرجو أن أجد بوغازاً » ، أما ماجلان فصرح بلهجة اليقين الجازم : « إنى أعرف أين أجده » وطلب — اعتماداً على هذا اليقين — من عمانويل ملك البرتغال ، أسطولا يرتاد به هذا الطريق الجديد إلى الشرق .

ولما أبى الملك عمانويل أن يساعده فى هذه المغامرة الخطرة ، عرض ماجلان خدمته على إسبانيا — أكبر منافس للبرتغال فى تجارة الأفاويه . وكان لتوكيده الجرئ أنه هو وحده الذى يعرف هذا المجاز السرى ، وقع عميق فى البلاط الإسبانى . ونازعت الملك شارل نفسه أن يسبق منافسه البرتغالى ، فمنحه ما أراد ، وتكفل كبار رجال المصارف الإسبانيين بتزويده بأسطول من خمس سفن .

وسمع الملك عمانويل بهذا فكلف سفيره فى إسبانيا أن يقضى على المشروع بأى ثمن ، فاستعان على إحباطه قنصل البرتغال — سباستيان الفارز (الفارس) ، فجعل هذا يجوب بين السفن وينفث الشك والشقاق ، وصادق الربابين الإسبانيين ، وأضرم ما كانوا ينطوون عليه من الغيظ الدفين : وذلك أن هؤلاء الأشراف من قشتالة سيكونون تبعاً لمغامر برتغالى أبت بلاده أن تقيم له وزناً .

وتظاهر سباستيان الفارس بصداقة ماجلان أيضاً ، وحذره مما دبر له الملك شارل ، وزعم له أنه أمر الربابين أن يتولوا هم الأمر متى وقفوا على سر ماجلان . فصار الشجار ، والتسويف ، بل الفتن أيضاً ، تعطل أعمال ماجلان من كل ناحية ، وما استطاع أخيراً أن يرقع السفن الخمس القديمة ويزودها للرحلة الطويلة إلا بفضل مثابرته التى جاوزت طاقة البشر .

وبلغ من نجاح سباستيان الفارس فى دسائسه أن ماجلان ما استطاع أن يجىء بالنواتى إلا بجهد جاهد ومشقة بالغة . وكان بين هذا الخليط من المغامرين والأوشاب شاب إيطالى حيي يدعى أنطونيو بيجافيتا ، وهو غصن من دوحة شريفة ، التحق بالأسطول لأنه أراد أن يشاهد « أهوال المحيط وبدائعه » ، والعالم مدين له لأنه واظب على تدوين مذكرات يومية عن هذه الرحلة التاريخية .

* * *

أبحر أسطول ماجلان من سان لوكار بإسبانيا فى ٢٠ من سبتمبر سنة ١٥١٩ ، وكان فيه ٢٦٥ رجلاً ودع معظمهم وطنه وداعاً أبديا .

وكانت أشق مهمة يعانيها قائد هذه

الأسطول هى أن يجعل من خمس سفن متفاوتة السرعة وحدة ، ومن أجل هذا أمر ماجلان قبل السفر بأن تسير السفن الأربع كل مساء قريباً من سفن القيادة — ترينداد — وأن تحيي أمير البحر بهذه العبارة : « حفظك الله أيها الربان» ثم تتلقى الأوامر لليل ، وكان غرضه من هذا الاتصال اليومى الاحتفاظ بالنظام .

وكان ربابين السفن يتوقعون أن يدعوا إلى سفينة القيادة ، فتبسط أمامهم الخرائط ويستشاروا فى المسلك ، غير أنهم ألفوا ماجلان فاتراً عنهم ، لا يبلغون منه حيث يريدون ، ولا يستطيع رأيهم فى شيء ، وكان عليهم أن يتبعوا رايته بالنهار ، وضوءه بالليل ، وأن يطيعوه فى صمت كالكلاب . فلما لم يسلك بهم البحر جنوباً بغرب إلى البرازيل كما كانوا يتوقعون، واتجه جنوباً على شاطئ إفريقية تقدم إليه جوان دى قرطجنة — ربان السفينة سان أنطونيو — وسأله بصراحة لماذا غير الاتجاه .

وعسى أن يكون ماجلان قد عدل عن الطريق، وفى مرجوه أن تسعفه ريح تجارية موافقة ، ولكنه اقتصر فى الجواب على قوله: « ليس من حق أحد أن يسأل إيضاحاً » . فزاد هذا فى عداء قرطجنة المكنون حتى إنه ذات مساء لم يقترب من سفينة القيادة لتلق الأوامر وكان من الجلى أن جوان دى قرطجنة لا يقر للقائد البرتغالى برياسة مطلقة .

وقضى ماجلان عدة أيام لا يقول شيئاً ، ثم كأنما لان وأذعن ، فدعا الربابين الأربعة إلى الاجتماع فى سفينته ، فجاء جوان قرطجنة مع الآخرين ، وأغضبه أن ماجلان أبى أن يبين له طريقه الجديد فجاهر بالعصيان ؛ فما كان من ماجلان إلا أن أمر رئيس حرسه بالقبض على المتمرد .

فذهل الربابين الأسبانيون الآخرون ، وكانوا قبل دقائق فى صف جوان قرطجنة ولكن سرعة ماجلان وحزمه تركاهم عاجزين مبهوتين . ولم يجرؤ أحد منهم على الكلام إلا حين هم رئيس الحرس باقتياد جوان ، فتوسل بعضهم إلى ماجلان أن يُعفى جوان من القيد ، لأنه من أشراف إسبانيا ، فقبل ماجلان مشترطاً أن يحلف حارسه الموكل به — لويز دى مندوزا — أن يحتفظ بالسجين ويضعه رهن مشيئة أمير البحر .

* * *

وصار مسكيتا - ابن عم ماجلان - ربان السفينة سان أنطونيو ، ومضى الأسطول فى طريقه دون أن يقع حادث ما . وفى ١٣ ديسمبر ، بعد أحد عشر أسبوعاً دخل خليج ريو دى جانيرو .

ولا بد أن هــذا الخليج كان كالجنــة لهؤلاء النواتيّ المكدودين ، وخرج الأهالى من أكواخهم على حافة الغابة للتحفى بالجنود المسلحين ، متطلعين غير مستريبين ، وكانوا لطافاً وعلى السجيــة . ويقول بيجافيتا فى مذكراته إنهم باعوا محاصيلهم بأبخس الأثمان ، « فقايضونا بسلة ضخمة من البطاطس على ناقوس صغير » ، وكانت الفتيات أرخص جداً ، ويقول بيجافيتا : فيهن : « إن شعورهن هى كل ما كان عليهن من ثياب » .

وبعد الاستراحة ثلاثة عشر يوماً تزود فيها الأسطول ، استأنف ماجلان رحلتــه جنوباً على شاطىء البرازيل ، وفى ١٠ يناير سنة ١٥٢٠ بلغ كابو سانتا ماريا ، ورأى البحارة فيما يليها تلا صغيراً يذهب فى الجو من سهل واسع فسموه مونتفيدى — وهو اليوم يسمى مونتفيديو . وكان الخليج الكبير الذى دخلوا فيه هو مصب نهر الريو دى لابلاتا ، ولكن ماجلان لم يكن يدرى هذا ، فقضى أسبوعاً يرتاده ، ولشد ما خاب أمله لما وجد أنه ليس إلا مصب نهر عظيم !

وعلى الرغم من هذه الصدمة حرص ماجلان على كتمان الأمر حتى لا يفطن أحد من الربابين إلى أن أمله خاب ، فواصل السير على محاذاة شاطىء كان يزداد إمحالا . وغاب ساحل البرازيل الخصيب المونق ، واختفت أشجاره الوارفة ، وأهلوه الكرماء السمر الوجوه ، ولم يعد يرى سوى سباع البحر وطيور البطريق ، وراح ماجلان يفحص كل خليج ، بعناد ولجاجة ، والآمال فى صدره تكبر لتنتسخ مرة بعد أخرى . ومضى الأسطول جنوباً ، وساء المصير فما تحس القلوب ، وقصر النهار ، وطالت الليالى ، وكسا الثلج الأشرعة ، وحطمت العواصف الصوارى ، ومضى نصف عام ، ودنا الشتاء القطبى الجنوبى ، دون أن يدنو ماجلان من غايته .

وبدأ النواتيّ يظهرون القلق ، فقد قبلوا السفر إلى جزر البهار المشمسة ، فإلى أين يقودهم هذا الرجل الصموت المشئوم ؟ وكانت العواصف والثلوج والشتاء تهدد الأسطول الذى يمضى إلى حيث لا يدرى أحد ، ويجاهد فى سبيل الحياة العزيزة ، ويغالب بحاراً كالجبال .

وفى ٣١ مارس سنة ١٥٢٠ ظهر شرم آخر ممعن فى البر، فخفق قلب ماجلان بالأمل وهو يفحصه . أتراه مفتوحاً ؟ كلا ! إنما هو خليج آخر موصد ، على أن ماجلان دخل فيه، فقد كان مَعاذاً من العواصف وكان ماؤه غاصا بالسمك ، فأمر بالرسو ، وقرر أن

يقضى الشتاء فى هــذا الميناء — ميناء سان جوليان — الذى لا يعرفه أحد ولا يسكنه أحد

☆ ☆ ☆

وشـعر النواتى أنهم محبوسون هنــا ، وثقل عليهم نظام الجراية فتذمروا ، وزاد الجفــاء والتوتر بين ماجلان والربابين الإسبانيين حتى تمردوا علانية ، واستتر الثائر قرطجنة بالظلام ومعــه اثنان آخران من الربابين الإسبانيين وثلاثون رجلا مسلحاً ، وصـعدوا إلى السـفينة سان أنطونيو ، واستولوا عليهـا ، وقتــلوا ضابطاً وسجنوا مسكيتا ابن عم ماجلان .

فقرر ماجلان على الفور أن يتخذ تدابير جريئة ، وبعث برئيس حرسه الموثوق به — اسبينوزا ، ومعه خمســة رجال إلى السفينة فكتوريا ، وحمّله رسالة إلى ربانهـا المتمرد لويز دى مندوزا .

ولم يخالج الثوار فى هذه السفينة الحسنة التسلح أى شك حين رأوا الزورق الصغير يدنو منهم . وكيف يستطيع ستة من الرجال أن يهاجموا سفينة فيهاستون؟ وصعد اسبينوزا على مهل ، ودفع برسالة ماجلان إلى الربان مندوزا وفيها يدعوه إلى سفينة القيادة .

فتلا مندوزا الرسالة وضحك ساخراً من هذا الفخ الذى لا شك فيه ، ولـكن ضحكته انقلبت شهقة فظيعة ، فقــد أغمــد رئيس الحرس خنجره فى حلقه .

ونظر بحارة السفينة المتمردة إلى جثــة ربانهم ، ولم يحاولوا المقاومة ، وعادت السفينة فكتوريا تحت سلطان ماجلان . ولم يبــد الثوار الباقون رغبــة فى القتــال ، فلم يجد ماجلان عنــاء فى القبض على الربابين الثائرين الآخرين — جوان دى قرطجنة ، وجاسبار كويسادا .

وكان كويسادا هو الذى قتــل ضابط السفينــة سان أنطونيو ، ولما كان ماجلان يدرك أنه لا يستطيع أن يعاقب المتمردين جميعاً — وهم خمسة رجال — فقد رأى أن يجعــل من كويسادا عــبرة لغيره ، فحاكمه رسمياً ، وأدى الشهود الشهــادة ، ودوّن الكتاب محضراً، ثم أصدر ماجلان الحكم — وهو الإعدام .

ولـكن من الذى ينفذ الحكم ؟ لقد اشترك خادم كويسادا — لويس دى مولينو — فى الهجوم الدموى ، فعرض ماجلان على مولينو العفو إذا هو نفذ فى سـيده حكم الإعدام . وكان الخيار فظيعاً ولـكن مولينو قبل أخيراً فأطار عنق كويسادا بضربة سيف واحدة .

وبقى حكم آخر ينبغي أن يصدره ماجلان، ذلك أن جــوان دى قرطجنة هو الزعيم الحقيقى للتمرد ، وكان هنـاك أيضاً قسيس حاول أن يحدث فتنة ثانية ، ولم يكن هذان

أقل إجراماً من كويسادا ، فرأى ماجلان أن يتخلى عنهما ويتركهما على البر ، فلما نشر الأسطول قلوعه مرة أخرى وتهيأ للرحيل ، تركهما على البر وزودهما بشيء من الطعام والنبيذ ، ووكل أمر حياتهما أو موتهما إلى الله .

وقد كان هذا الحكم الدموى الذى أصدره ماجلان سابقة احتذاها فرانسيس دريك أبرع خلفائه . وبيان ذلك أن هذا البطل البريطانى قام بمثل هذه الرحلة الخطرة بعد ٥٧ سنة ، ولقى من التمرد ما لقى ماجلان ، ورسا مثله فى ميناء سان جوليان فخير دريك ربانه الثائر بين الموت الشريف بضربة سيف كما مات كويسادا ، أو تركه على البر مثل قرطجنة ، وكان دوتى الثائر قد قرأ تاريخ ماجلان ورحلته ، وعرف أن أحداً لم يعثر على أثر لقرطجنة أو القسيس ، فآثر أن يموت كالشجعان بالسيف ، فكان رأسه ثانى رأس طار عن كتفيه على رمال سان جوليان .

* * *

وقضى الأسطول أربعة شهور أو خمسة عاجزاً عن الحركة بسبب الشتاء فاغتنم ماجلان الفرصة للعمل على ترميم السفن وإصلاحها ، وكانت الأرض فى هذه الفترة الشتوية تبدو خالية من كل أثر لإنسان أو حيوان ، ولكن فى صباح يوم من أيام الربيع ظهر رجل مديد القامة على تل قريب ، ويقول بيجافيتا : « إنه كان من الطول بحيث كنا لانكاد نبلغ خصره ، وكان يلبس جلداً مخيطاً بمهارة » .

وقد دهش الإسبانيون لقدميه الكبيرتين على الخصوص ، ولكبر القدم (بتاجاوّوا) سميت الأرض « بتاجونيا » . وأقبل هذا العملاق وهو يبتسم ويرقص ويغنى ، فأمر ماجلان أحد النواتىّ أن يرقص مثله ، فعد المتوحش هذا التقليد تحية وترحيباً ، ودنا ، فقدم له البحارة طعاماً ، وجعلوا ينظرون إليه دهشين وهو يدس فى فمه نصف سلة من البسكويت ، وقدموا له فأرين فأكلهما حيّين .

وأهدى إليه ماجلان بعض النواقيس الصغيرة ، فذهب يعدو ليجيء بغيره من العمالقة رجالا ونساءاً . وكان اطمئنان أطفال الطبيعة هؤلاء نكبة عليهم ، فقد كان ماجلان — مثل كولمب وغيره — قد تلقى أمراً بأن يجمع نماذج من كل أنواع الإنسان الجديدة . وأراد البحارة أن يأسروا اثنين من هؤلاء العمالقة فأثقلوهما بالهدايا وملأوا بها أيديهما ، ثم قدموا لهما سلسلتين من الحديد ، ولما كانت أيديهما ملأى فقد أروهما كيف توضعان على القدمين ، وضربا

الحلقات بالمطرقة فإذا السلسلتان قيدان . وسر العملاقان أول الأمر بهذين الطوقين الجميلين على سيقانهما . وصار من اليسير سطحهما ، فإنهما وهما مقيدان لا يسعهما شيء ، ولما كان الأمبراطور يطلب أمثالهما من « التحف » ، فقد حملا كالثيران إلى السفن .

ولم يلق الإسبانيون في ميناء سان جوليان سوى الكوارث . فبعد أن تقضى الشتاء بعواصفه ، أمر ماجلان السفينة الصغيرة «سانتياجو» بأن ترتاد الخليج ، وكان على ربانها أن يعود بعد أيام معدودة ، فتأخر . وجعل ماجلان ينظر إلى البحر وهو قلق ، فجاء النبأ الأول من البر ، فقد رؤى اثنان عشيان متطوحين على التلال ، وكانا من بحارة سانتياجو، وكان ما جاءا به من الأنباء سوءاً كله فقد تحطمت السفينة في عاصفة ، ولكن النواتي نجو وبعث إليهم ماجلان بزورق يجيء بهم ، غير أن السفينة سانتياجو ، وكانت أسرع الجميع ، ضاعت .

وأخيراً ، وفي ٢٤ أغسطس سنة ١٥٢٠ أمر ماجلان بالرحيل من هذا الميناء المشئوم — سان جوليان — وألقي نظرة أخيرة على الشقيين اللذين تركهما على البر ، وقد غرقت له سفينة ، وقتل اثنان من ربابينه ، ومضى حول مذ بدأت الرحلة — حول لم يفز فيه بشيء ، ولم يستكشف شيئاً ، ولم يصنع شيئاً .

* * *

ولا شك أن تلك كانت أحلك ما مر بماجلان في حياته من أيام ، وقد حاول أن يمضي قدماً ولكن العواصف ثارت به ونأت بسفنه عن الساحل شهرين آخرين ، على أنه دنا من غايته وهو لا يدري . ففي ٢١ أكتوبر سنة ١٥٢٠ رأى نجوداً بيضاً تذهب في الهواء فوق شاطئ متعرج ، وما لبث أن دخل خليجاً عميقاً أسود الماء ، وكان المنظر غريباً مروعاً ، والأرض جرداء لا حياة فيها ولا نبات ، ولا شيء إلا عواء الرياح . ونظر الرجال إلى هذا الخليج الحالك الذي تحف به الجبال ، وأجمع الربابين على أن هذا لا يمكن أن يكون إلا خوراً شوهدت أمثاله على شاطئ النرويج .

غير أن ماجلان كانت تخامره فكرة البوغاز الخفي ، فأبى إلا أن يرتاد هذا الخليج العجيب ، وأطاعت السفينتان سان أنطونيو وكونسبسيون أوامره على كره منهما ، بأن تسيرا غرباً وتتوغلا ما استطاعتا ، على أن ترجعا بعد خمسة أيام .

وما كاد الأسطول ينقسم حتى ثارت عاصفة جلدت مياه الخليج ، وكادت تحطم سفينة ماجلان على الصخور ، ولكنه كان

أشد قلقاً على السفينتين الأخريين اللتين خرجتا ترتادان، وخشى أن تكون العاصفة قد أدركتهما فى المضايق، فإذا لم تحدث معجزة فقد هلكتا لا محالة .

وفى اليوم الرابع من هذا الانتظار الأليم شوهد شراع . فالحمد لله ! نجت سفينة ! لا بل نجتا جميعاً فقد عادتا سالمتين . وما كاد ماجلان يلمحهما حتى رأى ومضات تصدر عن جوانبهما، تتبعها أصوات طلقات. فماذا حدث يا ترى ؟ لماذا يبدد مرءوسوه البارود فى طلقة بعد طلقة ؟

نعم، جاءت السفينتان بالأنباء المنشودة، فقد دفعتا غرباً وكادتا تتحطمان على الصخور، وفى آخر لحظة انفتح أمامهما بوغاز، ولم تريا مخرجه الغربى ولكنهما واثقتان أنه بوغاز .

وكان هذا النبأ خير ما يمكن أن يتلقاه ماجلان الذى امتحن أقسى امتحان . ولا محل للتردد الآن ! طلقة أخرى للامبراطور شارل، ودعاء آخر ترتفع به الأصوات إلى السماء، ثم فلتندفع السفن بشجاعة رزينة فى هذا التيه الذى سماه « تودوس لوس سانتوس »، وسمته الأجيال التالية « بوغاز ماجلان » .

وتالله ما كان أغرب منظر هذه السفن الأربع وهى تنساب بلا ضوضاء فى ذلك الخليج الأسود ! وكانت قمم الجبال المجللة بالثلج تلمح من بعيد، وتحمل الريح أنفاسها المقرورة إلى من فى السفن، ولم يشاهد مخلوق حى على هذا الشاطىء المتجمد المجدب غير أنه فى الليل كانت ترى نيران تضطرب، ولهذا سموا الأرض « تييرا ديل فويجو » — أى أرض النار — (وقد ظلت هذه النيران تشاهد عدة قرون بعد ذلك، وكان الأهالى لا يعرفون كيف يوقدون ناراً جديدة فحرصوا على إبقائها متقدة دائماً فى أكواخهم).

وكان اجتياز هذا المضيق يحتاج إلى براعة عظيمة، لأن مجراه كثيراً ما يتفرع وفيه مواضع قريبة الغور يجب اجتنابها، وصخور لا مفر من اللف حولها . ثم إن الرياح تثور به فيزخر الماء ويجيش، وليس أدل على براعة ماجلان النادرة من أنه وهو أول من اجتاز البوغاز الذى أطلق عليه اسمه، ظل سنوات وهو آخر من مرّ به بلا حادث . وقضى شهراً يرتاد الساحل ثم فاز، بفضل ما أوتى من مزية المثابرة والعناد . ولما انفرج البوغاز أخيراً عن المحيط العظيم، انحدرت دموع الفرح — على ما قيل — على لحيته السوداء .

* * *

وجمع ماجلان ربابينه لينظر فى أمر المؤونة، فقد بلغ أولى غاياته . فهل هم مستعدون أن يواصلوا السير حتى يبلغوا

جزر البهار ؟ ولم يسعه أن يكابر بخلاف فى أن قلة المؤونة خطر عظيم، ولكنه هو لم يُرَع . وارتفع صوت بالاعتراض هو صوت جوميز ربان السفينة سان أنطونيو ، فقال : إن كل رجال الأسطول خليقون أن يهلكوا جوعاً إذا هم واصلوا السير .

وكان ما قاله جوميز معقولا ، ولكن ماجلان كان أشد اهتماماً بعمله الخالد منه بحياته الفانية ، فقرر المضى ، ولكنه أمر الربابين أن يكتموا عن النواتىّ أن المؤونة غير كافية .

وبعث بالسفينة سان أنطونيو لترتاد شعبة طويلة ، فلم تعد فى الوقت المعين . وقضى ماجلان عدة أيام يبحث عنها بلا جدوى ، ثم دعا بالمنجم فتذكر هذا ما كان قاله جوميز، وأخبرهم بما زعم أنه استطلعه . واتفق أن كان هذا — فى هذه المرة — هو الحقيقة . ذلك أن السفينة سان أنطونيو تخلت عن رفاقها وكرت راجعة إلى إسبانيا.

فواجه ماجلان للمرة الثانية موقفاً حرجاً ، فقد كان معظم المؤونة مع السفينة سان أنطونيو ، فالمضى فى الرحلة الآن انتحار ، ومع ذلك كان قراره المضى ! وفى ٢٧ نوفمبر رفعت السفن الثلاث الباقية أشرعتها واتجهت شمالا بغرب ، ودخلت فى محيط مجهول ، إذ لا بد أن تكون جزر البهار، جزر الثراء ، وراء الأفق فى مكان ما ، ومن ورائها أرض الصين والهند ، ومن وراء هاتين على مسافة شاسعة أرض إسبانيا . فأطلقت السفن الثلاث الصغار المستفردة طلقة من مدافعها تحية للبحار المجهولة .

* * *

وهذا العبور الأول لمحيط لا اسم له ، من أخلد أعمال الإنسان . ولقد عدت رحلة كولمب مظهر شجاعة باهرة ، ولكن كولمب كانت معه ثلاث سفن جديدة خارجة من دور الصنعة ، ولم تدم رحلته أكثر من ٣٣ يوماً ، وكانت مؤونته من الكفاية والوفاء بحيث كان يسعه ، إذا جرت الأمور على غير ما يشتهى ، أن يرجع إلى بلاده بسلام.

أما ماجلان فكان يقتحم مجهولا وخلاء ، وقد أضمر رجاله الكلالُ ، وما كان يستدبر إلا الجوع والحرمان ، ولا كان يستقبل سواهما . وكانت ثياب رجاله قد صارت خرقاً ، والأشرعة رثة ، والحبال ضعيفة . ولا شك أن كثيرين قد حسدوا زملاءهم الذين عادوا ، ومع ذلك ظلوا يسيرون ٤٠ يوماً ، و ٦٠ ، و ١٠٠ ، ولا أرض تبدو لهم ، حتى لقد حدث ماجلان نفسه أنه لا بد أن يكون قد جاوز اليابان . ولكنه لم يكن قد قطع إلا ثلث هذا المحيط الهائل الذى كان هادئاً فسماه الهادىء .

ولكنه كان قاسياً على الرغم من هدوئه ، فقد ظل المحيط مرآة زرقاء لا تتغير ، والسماء قبة صافية شديدة اللظى ، وكانت رائحة التعفن لا تنفك تتصاعد من جوف السفن ، وغارت العيون ، وتهضمت الوجوه ، وصار الرجال أشباحاً ، وكل سفينة داراً لذوى القروح .

وكان الذى يقدمه الموكل بالطعام أقرب إلى الوضَر ، وصار الماء من وقدة الشمس غير سائغ ، وتحلل البسكويت فصار دقيقاً أسمر قذراً يعيث فيه السوس بعد أن لوثته الجرذان ، بل لقد صارت هذه المخلوقات الكريهة أطايب تشتهى ويطاردها البحارة فى أركان السفن ليظفروا بها . وكانوا يمضغون نشارة الخشب والجلد ليسكنوا جوعهم .

ومات ١٩ من العذاب فى هذه الرحلة الفظيعة ، أى عشر من بقوا . وكان من أول من ماتوا الأسيران اللذان خطفا من بتاجونيا .

وأخيراً فى ٦ مارس سنة ١٥٢١ سمعت صيحة من قمة الدوقل « الأرض ! » وقد جاءت الصيحة فى أوانها ! فلو أن ظهور الأرض تأخر يومين أو ثلاثة فى هذا الفضاء ، لكان الأرجح أن لا يبقى خبر عن هذه الرحلة التاريخية . ولكن جزيرة بدت ، وما كاد الأسطول يدخل الخليج حتى خرجت زوارق صغيرة مدهونة أشرعتها مصنوعة من أوراق النخيل ، وقد خيط بعضها إلى بعض . وصعد الأطفال العراة كالقرود إلى ظهر السفن ، وشرعوا لجهلهم بتقاليد الحياة المتحضرة يستحوذون على كل شىء غير ثابت ، حتى زورق السفينة تريندداد أخذه الأطفال وجدّفوا به إلى الشاطىء فرحين .

فرأى ماجلان أن يلقن هؤلاء اللصوص درساً ، وأنزل أربعين رجلا مسلحاً أحرقوا أكواخ الأهالى ، وحملوا كل ما وجدوا — من دجاج وسمك وفاكهة — ثم عاقب الأهالى بأن وصم أرضهم باسم « جزيرة اللصوص » — لادرونز .

وقد أنقذت هذه الغارة الإسبانيين من الهلاك ، وأعادتهم إلى الصحة ثلاثة أيام من الراحة والفاكهة الطازجة واللحم والماء ، واستؤنفت الرحلة إلى الغرب بعدد جديد من الشجاعة . ولما شوهدت بعد أسبوع جزيرة ثم أخرى علم ماجلان أنهم نجوا . وكان تقديره أن هذه جزائر مولوكا أى جزر البهار ، وخيل إليه أنه بلغ غايته .

ولكنه أخطأ مرة أخرى ، فقد وجد طائفة من الجزر مجهولة كل الجهل هى الفلبين ، وبذلك حصل للإمبراطور شارل على إقليم جديد ، قسم له أن يبقى تحت حكم التاج الإسبانى زمناً أطول مما بقي أى إقليم كشف عنه كولمب أو كورتز أو بيزارو .

* * *

وفى ٢٨ مارس وصل الأسطول إلى مازافا ، وهى من جزر الفليبين الصغيرة ، فصادفت ماجلان حادثة من أعجب ما وقع له فى حياته . ذلك أنه لما دنت السفن الأجنبية الثلاث من الشاطئ احتشد الأهالى ، فبعث ماجلان بعبده أنريك رسولاً ، وقد خطر له — وكان على صواب — انهم خليقون أن يكونوا أكثر اطمئناناً إلى رجل أسمر منهم إلى البيض ذوى اللحى .

وهنا حدثت الأعجوبة ! فقد ذهل العبد حين سمع لفظ الأهالى وهم حافّون به ، لأنه فهم كثيراً مما يقولون ، وكانت قد مضت سنوات طويلات لم يسمع فيها كلمة من لغته ، فعرف ماجلان من هذه المصادفة المدهشة أنه بلغ غايته ، وأدرك أنه وصل إلى الملايو . فالذى حلم به العلماء أصبح الآن حقيقة ثابتة ، والأرض كروية ، فقد دار حولها رجل .

وقضى ماجلان أسبوعاً فى مازافا كان أسعد ما مر به فى رحلته ، فقد استقبله كلامبو ملك الجزيرة أكرم استقبال وزوده بالطعام والشراب ، فلم يبق إلا أن يمضى إلى جزر البهار ، ويؤدى المهمة التى وكلت إليه ، غير أنه لم يشأ أن يغادر أرخبيل الفليبين قبل أن يجعل منها مستعمرة دائمة لإسبانيا ، وليس يكفى فى هذا أن يزور ويضم جزيرة صغيرة .

فسأل كلامبو عن أكبر الجزر فقيل له أنها زيبو (سيبو) وإليها أقلع ماجلان ، وهنا يقول بيجا فيتا الأمين : « وهذا ما شاء سوء حظه أن يكون » .

ودله أول ما رأى من جزيرة سيبو أنه هنا حيال رقعة من الأرض لها قيمة عظيمة ، فقد كانت فى الميناء سفن قديمة من بلاد أجنبية إلى جانب الزوارق المحلية ، فأراد أن يظهر كسيد البرق والرعد ، فأمر الأسطول بأن يطلق مدافعه على سبيل التحية ، ففر أهالى الجزيرة فى كل ناحية ، فبادر فأرسل أنريك إلى الشاطئ ليتولى الترجمة والتفاهم ، وليقول لحاكم الجزيرة أن هذا الرعد ليس عملا عدائيا ، وإنما هو إعراب عن الاحترام لراجا سيبو العظيم . وقال إنريك إن أمير البحر مستعد أن يعرض على جلالته بضائع شتى نفيسة وأن يتجر معه .

ولم يكن هومابون — راجا سيبو — ساذجاً أو على الفطرة ، فقال لإنريك بفتور إن رسوم الميناء لابد أن تؤدى قبل أى تجارة . وكان خليقاً أن يصر على هذا الطلب لولا أن تاجراً مسلماً قدم حديثاً من سيام أسرّ إليه كلاماً على سبيل التحذير ، فقد رأى هؤلاء التجار الشنيعين الذين يجيئون بمدافعهم ، وقال للراجا أن عليه أن يجتنب النزاع بأى ثمن ، فإن هؤلاء هم الشياطين البيض الذين فتحوا كلكتا وهندستان وملقا .

واقتنع الراجا بما قاله التاجر ، فنزل عما طلب من رسوم الميناء ، ودعا رسل ماجلان إلى مأدبة ، وأعلن أنه مستعد أن يعقد معاهدة سلام دائم مع القادمين . وفعل ماجلان ، من جانبه ، كل ما هو حقيق أن يوثق عرى الصداقة والمودة ، فصارت العلاقات بين الأهالى وهؤلاء الأغراب الأقوياء من الود والصفاء حتى أن الراجا ومعظم أتباعه أعربوا عن رغبتهم ، من تلقاء أنفسهم ، فى التنصر .

وفى يوم الأحد ١٤ أبريل سنة ١٥٢١ احتفل الإسبانيون بأعظم نصر أحرزوه ، فرفع فى السوق صليب كبير ركع أمامه الراجا وخمسون آخرون ، وعمدوا جميعاً باحتفال عظيم ، وانتشر الخبر ، وفى اليوم التالى أقبل من الجزر المجاورة شيوخ قبائل آخرون ليدخلوا فيما دخل فيه الراجا ، وما هى إلا أيام قلائل حتى كان الرؤساء جميعاً على التقريب قد حالفوا إسبانيا ، ونثر عليهم ماء التعميد .

* * *

ونجح ماجلان فى كل ما عالج ، كأنما كانت الملائكة تنير طريقه . ولكن مأساة وقعت . ذلك أنه كان فى جزيرة تدعى ماكتان — على مقربة من سيبو — راجا اسمه سيلا بولابو ، وكان عدوا لراجا سيبو . وقد بذل كل ما دخل فى وسعه منذ جاء الإسبانيون ، ليمنع الرؤساء الآخرين من تزويد الأجانب بالطعام . ويظهر أن كراهة سيلا بولابو للإسبانيين كان لها ما يسوغها ، فقد حدث شغب فى جزيرته ، وأحرق عدد قليل من الأكواخ فيها (والأرجح أن بحارة الأسطول لطول ترهبهم فى هذه الرحلة أسرفوا فى نشدان النساء الوطنيات) .

واتخذ ماجلان من رفض تزويده بالزاد مسوغاً لمظاهرة ، وأراد أن يظهر لراجا سيبو بأس سيد الرعد والبرق .

وللمرة الأولى فى سيرة ماجلان نجده قصير النظر ، فقد عرض راجا سيبو أن يسيّر ألف محارب لقتال ماكتان ، فأبى ماجلان ، فقد كان همه أن يظهر قوة إسبانيا وبأسها ، وأن الأهالى المسلحين بالرماح لا يستطيعون أن يجرحوا جنديا إسبانيا متلئّماً ، فأخذ ستين رجلا ليس إلا ، وطلب من الراجا أن يراقب المعركة من زورق .

وكان من سوء حظ ماجلان أن أمير ماكتان الصغير كان له عون من طبيعة الشاطئ ، فقد عجزت الزوارق عن السير بين جزر المرجان ، فاضطر أربعون رجلا بقيادة ماجلان نفسه أن يخوضوا الماء إلى الشاطئ وقد حرموا تأييد المدافع والسهام من السفن ، وكان كثيرون من الأهالى ينتظرونهم على الشاطئ وهم يصيحون صيحات التحدى .

وكان بيجافيتا أحد المهاجمين ، وقد أصيب بجرح من سهم ، وهو يصف المعركة فيما يلى :

« لما أدرك أهل الجزيرة أن نيران السفن لا تصيبهم ، هجموا علينا ورمونا بالسهام ، وطعنونا بالحراب والرماح حتى كدنا لا نقوى على الدفاع عن أنفسنا .

« ولما عرفوا أن أجسامنا تحميها الدروع ولكن سيقاننا عارية ، جعلوا أرجلنا هدفاً لهم ، وقد أصيبت رجل القائد اليمنى بسهم مسنون فأمر بالتراجع ببطء ، ولكن رجالنا — أو معظمهم — لاذوا بالفرار حتى لم يبق معه إلا ستة أو ثمانية منا ، إذ كان لعرجه لا يستطيع أن يتقهقر بسرعة . وعرف أهل الجزيرة القائد فانهالوا عليه يرمونه بالسهام ، فطارت الخوذة عن رأسه مرتين ، وظل يقاتل ويناضل حتى أصيب بضربة قوية فى ساقه اليسرى ، فانكب على وجهه فى الماء ، فألقى أهل الجزيرة بأنفسهم عليه وأثخنوا فيه بالسيوف والرماح حتى قتلوه » .

وهكذا قتل ماجلان فى مناوشة صغيرة مع أهل جزيرة عراة ، وقد كاد أن يتم عمله الخالد . وعجز رجاله حتى عن الاهتداء إلى جثة زعيمهم .

ولم يفقد الإسبانيون أكثر من ثمانية رجال فى هذه المناوشة التافهة ، ولكن مصرع قائدهم جعلها كارثة ، وامحت أسطورة الرجل الأبيض الذى لا يقهر . ألم يكن راجاسيبو مشاهداً للأمر . وقد رأى سيلابولابو وهو من أقل الأمراء شأناً يقهر الإله الأبيض ؟

ولكن الكارثة النهائية جاءت ثمرة إهانة حمقاء وجهت إلى إنريك عبد ماجلان . وكان إنريك الوفى قد ظل يقاتل إلى جانب سيده إلى اللحظة الأخيرة ، ثم حمل وهو جريح إلى السفينة ، فرقد بغير حراك ولفت عليه حصيرته .

وانتخب للقيادة اثنان معاً — دوارتى بربوسا وجواءو سرّاءو ، فبلغ من حماقة أولهما أن قال للعبد المسكين إنه ليس له أن يتوهم أن الكلب من حقه أن يقعد وينفض يده من كل عمل بعد موت سيده ، فإذا لم يبادر إلى الشاطئ ليقوم بالترجمة ، ويساعد على تبادل البضائع ، فإنه سيضرب حتى يخضر من الضرب . فلم يقل إنريك شيئاً ، ولكن نفسه ثارت على هذه الإهانة ، وأظهر الطاعة ، وتحامل على نفسه إلى السوق ولكنه هناك تآمر مع راجا سيبو .

وبعد أربعة أيام من موت ماجلان ، جاء إنريك يحمل أنباء سارة إلى الربابين ، وقال إن الراجا جمع جواهر ليرسلها إلى إسبانيا ، فهل للربابين بربوسا ، وسراءو أن ينزلا إلى البر ليتلقيا الهدايا ؟

فمضى سراءو ، وبربوسا بلا تفكير

إلى الفخ . وكان عدد الإسبانيين الذين نزلوا ٢٩ وبينهم أمهر الملاحين وأكثرهم خبرة ، (ومن حسن الحظ أن بيجافيتا كان لا يزال جريحاً فبقى فى السفينة) ، فاستقبلوا بحفاوة ، ثم مضوا بهم إلى كوخ من أوراق النخيل حيث أعدت مأدبة . وإذا بمن بقوا فى السفن يسمعون فجأة صيحات وصرخات فقد نكّل راجا سيبو بضيوفه !

وخلف على القيادة كارفالهو فأمر بأن تسدّد المدافع إلى المدينة ، فانطلقت تجلجل واحداً بعد واحد . ثم حدث شىء فظيع ، فقد استطاع سراءو — ولما يكد — أن ينجو من أيدى القتلة ويهرب إلى الشاطىء ، فتبعوه ونزعوا سلاحه ، فوقف أعزل يصيح وينادى كارفالهو أن يرسل زورقاً موقراً بالبضائع لافتدائه .

وبدا كأن الأمر سيتم ، وقدر الفداء بمدفعين ، وسبيكتين من النحاس وبعض المنسوجات ، ولكن الأهالى أصروا على أن يتسلموا ذلك أولا ، وخشى كارفالهو على الأرجح أن يستولوا على البضائع ، وعلى الزوارق أيضاً ، ومهما يكن من ذلك فقد أقلعت السفن فجأة ومضت مسرعة ، ورأى من فيها سراءو يذبح على الشاطىء .

وفى الوقت نفسه كان فريق آخر من الأهالى يحطمون الصليب الضخم الذى كان ماجلان قد رفعه ، فالذى بناه فى أسابيع من الكد والصبر انهار فى ساعة .

* * *

وصارت حالة الناجين مما لا يحسدون عليه ، فقد التحق بالسفن فى أشبيلية ٢٦٥ لم يبق منهم سوى ١١٥ ، وهم دون العدد اللازم للسفن الثلاث ، فيحسن إذن أن يضحى بإحدى الثلاث . وكانت السفينة كونسبسيون ذات خروق ، فأفرغت حمولتها وأضرمت فيها النار ، وسارت السفينتان الباقيتان معاً — ترينداد وفكتوريا .

وظهر الأثر الذى أحدثه فقد القائد الحقيقى لهذا الأسطول فى اضطراب السير ، فبدلا من المضى إلى جزر ملقا ، وكانت قريبة ، ظلت السفينتان ضالتين ستة شهور ، ونسى الشرف ، وصار كارفالهو قرصاناً لا يخجل ولا يحجم عن شىء ، حتى أنف رجاله وكرهوا أن يكون قائدهم ، وما لبثوا أن ولوا عليهم سباستيان ديل كانو .

وأخيراً ، وصلوا إلى ملقا — الجزر السعيدة — مصادفة . وفى ٨ نوفمبر سنة ١٥٢١ نزلوا فى تيدور ، وكان الأهالى لطافاً ظرافاً فأعطوا الإسبانيين كل ما طلبوا وزيادة ، فأقبل هؤلاء على الأفاويه يشترونها ببنادقهم وأرديتهم وأحزمتهم ، فإنهم عائدون إلى وطنهم وإلى الغنى من أثمان هذه الكنوز

التي ظفروا بها . وأوقرت السفينتان ، ولكن لما نشرت الأشرعة صرّت جوانب السفينة ترينداد وانشقت ، ولم تستطع فكتوريا الانتظار ، فتقرر أن يبقى ٥١ من الملاحين في الجزر السعيدة حتى ترمم ترينداد . (وقد حاولت فيما بعد أن تقوم برحلة الإياب فغرقت بمن فيها) .

* * *

وكانت رحلة السفينة فكتوريا حول النصف الثاني من الكرة ، بعد أن قضت ثلاثين شهراً في النصف الأول ، من أمجد الأعمال في تاريخ الملاحة وأحفلها بمظاهر البطولة ، وكانت قد زودت بما يكفيها خمسة شهور ، ولكنها لم تستطع أن تحصل على شيء من الملح ، ففسد لحم الخنزير المخلل تحت هذه الشمس المحرقة ، فألقى الملاحون بمخزونهم منه في البحر اتقاءً لما قد يصيبهم منه .

وهكذا رافقتهم المجاعة مرة أخرى وهم يجتازون البحر ، وكانت موقرة بمئات من قناطير البهار ، ولكن من الذي يستطيع وقد عصب ريقه ، وجف لسانه ، والتوت أمعاؤه من الجوع ، أن يمضغ الفلفل أو يحتمل لسعة القرفة ، أو يزدرد جوزة الطيب بدلا من الخبز ؟ فكانت الجثث المبرية تلقى في اليم واحدة في إثر واحدة كل يوم ، ومات أكثر من عشرين من الملاحين ، قبل أن تصل في ٩ يوليه سنة ١٥٢٢ ، بعد خمسة شهور في البحر ، إلى سانتياجو في جزر الرأس الأخضر .

وكان هذا ميناء برتغالياً في مستعمرة برتغالية ، فإذا نزل القوم إلى البر كان مؤدى ذلك أن يسلموا أنفسهم إلى العدو ، ولكن الجوع لم يترك لهم خياراً ، فبعث ديل كانو بعض رجاله إلى البر ، وأمرهم أن يزعموا أن السفينة جاءت من أمريكا ، وعاد الزورق مثقلا بالزاد ، فرده ديل كانو ليجيء بحمولة أخرى ، وإذا به يلمح بعض الزوارق في الميناء يستعد للخروج ، فأدرك أن حيلته انكشفت ، وترك ملاحيه لمصيرهم على الشاطىء ، وأسرع فرفع المرساة ونشر القلوع .

ومع قصر المقام عند جزر الرأس الأخضر ، شاهد بيجافيتا — ذلك المؤرخ المجد — أعجوبة أخرى كان هو أول رجل في العالم لاحظها . ذلك أن الملاحين الذين ذهبوا إلى البر ليموّنوا السفينة عادوا يقولون إن اليوم هو يوم الخميس على البر ، وإن كان يوم الأربعاء على السفينة ، وكان بيجافيتا قد واظب على تدوين مذكراته بدقة تامة ثلاث سنوات ، فهل من الممكن أن يكون قد نسي يوماً ؟ فسأل الملاح «ألفوا» وكان هذا قد أثبت الأيام في سجلات السفينة ، فقال ألفوا إنه واثق أن هذا يوم الأربعاء . فلا بد إذن أن يكون هؤلاء الذين طافوا

حول الأرض مغرّبين دائماً ، قد فاتهم يوم . وقد أذهل بيجافيتا العالم الأوربى بهذه الظاهرة العجيبة التى لم يعرف لها أحد تعليلا ، لأنه لم يكن أحد يتوهم أنه يكسب يوماً وهو يطوف حول الأرض .

* * *

على أن السفينة فكتوريا لم تكن قد وصلت بعد إلى وطنها ، فواصلت السير ، ببطء وكلال ، وبذلت آخر ما يدخل فى طاقتها فى هذه المرحلة الأخيرة ، ولم يكن قد بقى سوى حفنة من الستة والستين الذين ركبوها حين أبحرت من جزر البهار ، وكان على هؤلاء القلة أن يعملوا جاهدين فى الطلمبات ، ولما لمحوا رأس سنت فنسنت فى فى ٤ سبتمبر ١٥٢٢ فى الركن الجنوبى الغربى من البرتغال « كانوا أضعف وأشد خوراً مما كان أى إنسان فيما مضى » .

وبعد يومين رست السفينة عند مصب النهر الكبير الذى أقلعت منه قبل ثلاث سنوات ، فجثا الباقون وكانوا ١٨ ، وقبلوا أرض وطنهم الطيبة .

وفى صباح اليوم التالى صعدت السفينة فى النهر إلى أشبيلية . أشبيلية ! فصاح ديل كانو : « أطلقوا المدافع » فدوى الصوت ، تحية . وبهذه المدافع منذ ثلاث سنوات ودعوا إسبانيا ، وبها حيوا بوغاز ماجلان ، والمحيط الهادى المجهول ، وبهذه المدافع أيضاً حيوا ارخبيل الفلبين الذى استكشفوه ، ولكن صوتها الحديدى لم يكن قط أعلى وأشد ولا أبعث على الجذل منه اليوم حين أعلنت : « إننا عدنا ، وفعلنا ما لم يفعله أحد من قبل ، وكنا أول من طاف حول العالم » .

* * *

واحتشدت جماهير غفيرة على سيف النهر ليشاهدوا هذه السفينة الشهيرة — على ما جاء فيما كتبه أوفيدو — التى كانت رحلتها أروع وأعظم ما حدث فى الدنيا مذ خلقها الله » . وجعل الناس ينظرون ، وقلوبهم تفيض عطفاً وإعجاباً ، إلى هؤلاء الثمانية عشر وهم ينزلون من السفينة ، وكيف كانوا يتعثرون من الضعف ، وكيف نحل وذوى هؤلاء الأبطال ، وكيف هرموا وشيّخوا ، وارتفعت سن كل منهم عشر سنوات فى ثلاث فقط . وقدم لهم الطعام ، ولكنهم أرادوا أولا الوفاء بنذر نذروه فى أحلك الساعات ، فمشوا حفاة إلى الكنيسة ، وشكروا الله القدير المتعال على نجاتهم وحركوا شفاههم الذابلة بالصلاة على روح قائدهم الذى سقط — ما كتان — وعلى أرواح أكثر من مائتين من رفقائهم .

وانتشر خبر عودتهم كالنار فى الهشيم اليابس فى أوربا فما تحركت نفوس العالم إلى هذا الحد العميق منذ رحلة كولمب ، وزالت

الشكوك الجغرافية إلى الأبد ، إذ ما دام أن سفينة أقلعت من ميناء أشبيلية وأبحرت غرباً دائماً ثم عادت إلى الميناء نفسه فقد ثبت على وجه لا ينقض أن الأرض كرة يحيط بها محيط متصل ، وقد بدأ كولمب تحت راية إسبانيا ، الاستعمار الحديث ، وأتمه ماجلان تحت الراية نفسها . وتعلم الناس فى ثلاثين سنة عن الأرض التى يسكنونها أكثر مما تعلموا فى آلاف من السنين الماضية ، حتى رجال المال الذين جهزوا الأسطول وجدوا ما يسرهم ، فإن حمولة السفينة فكتوريا من البهار (وهى حوالى ٢٦ طنا) تركت لهم ربحاً صافياً مقداره ١٥٠٠ بندقية من الذهب . فحمولة هذه السفينة بمفردها قد عوضت خسارة الأربع الأخرى وزيادة ، أما خسارة الرجال وهم حوالى مائتين فلم تدخل فى الحساب !

ولم يفزع ويجزع سوى حوالى اثنى عشر رجلا فى العالم كله ، حين علموا أن إحدى سفن ماجلان عادت سالمة ، وهؤلاء هم الضباط الذين تخلوا عنه وكروا بالسفينة سان أنطونيو إلى أشبيلية قبل أكثر من عام . وكانوا قد وصفوا تمردهم بأنه عمل وطنى ، ولم يذكروا شيئاً ما عن البوغاز ، وإنما ذكروا «خليجاً» ، وزعموا أن ماجلان كان ينوى أن يسلم الأسطول للبرتغاليين . ولكن من حسن حظهم أن ديل كانو كان شريكهم فى التمرد الذى وقع فى ميناء سان جوليان ، فساعدهم فنجوا من العقاب ، ونسيهم الناس من فرط ماهم فيه من السرور .

* * *

ونال ديل كانو من الثناء ما كان ماجلان جديراً به . والواقع أن ما حققه ماجلان وضحى فى سبيله بحياته لم يكن ذا نفع يذكر لأحد ، فإن كثيراً من السفن التى حاولت أن تجتاز بوغاز ماجلان بعد ذلك هلكت . فظل الملاحون عشرات من السنين يتقون هذا المجاز الخطر ، وآثروا أن يذهبوا ببضائعهم إلى المحيط الهادى ، أو أن يجيئوا بها منه ، بالطريق البرى الشاق مجتازين برزخ بناما .

وما مضى جيل حتى كاد البوغاز ينسى ، وبعد ثمان وخمسين عاماً من الاهتداء إليه استطاع دريك أن يستعمله لمفاجأة المستعمرات الإسبانية على الشاطئ الغربى لأمريكا الجنوبية ، ولكن بعد ذلك لم تجتزه سوى سفن قليلة ، وإن كان ماجلان قد اعتقد أنه سيكون المجاز الرئيسى بين أوروبا والبحار الجنوبية .

ولكن التاريخ لا يستطيع أن ينسى أول ملاح اجتاز هذا البوغاز — ذلك الرجل الذى استكشف الأبعاد الصحيحة للكرة . وكشف أيضاً عن الذرى الرائعة التى تستطيع الشجاعة الإنسانية أن ترقى إليها .

فى خدمتك

لانتاج انقى المواد البترولية

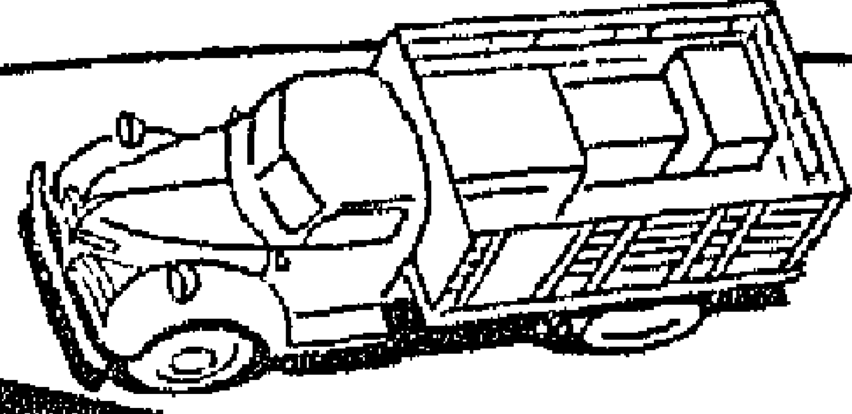
تشـــتغل معامل كالتكس الكبيرة الواسعة الانتشار ، ليلا ونهاراً ، بتوزيع أنقى الجازولين ، والكيروسين ، والشحومات ، وزيت الديزل ، وزيت الوقود لتضمن لك خدمـــة فعالة اقتصادية وثيقة المواعيــد .

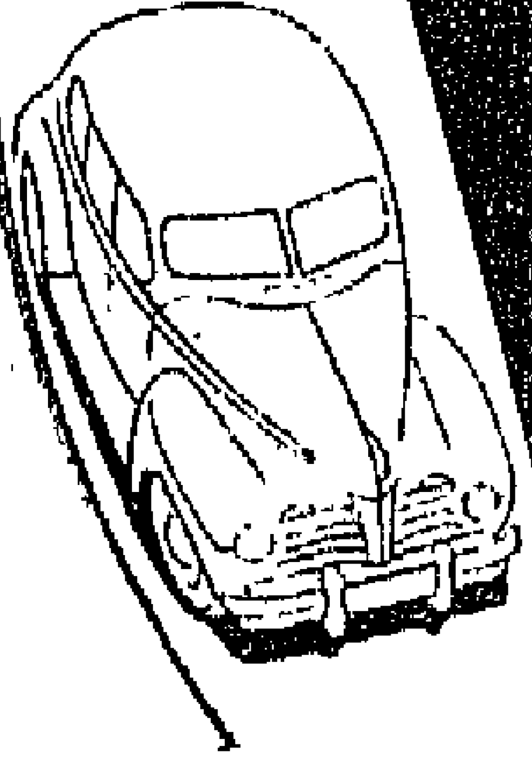
CALIFORNIA TEXAS OIL COMPANY Ltd.

and its distributors

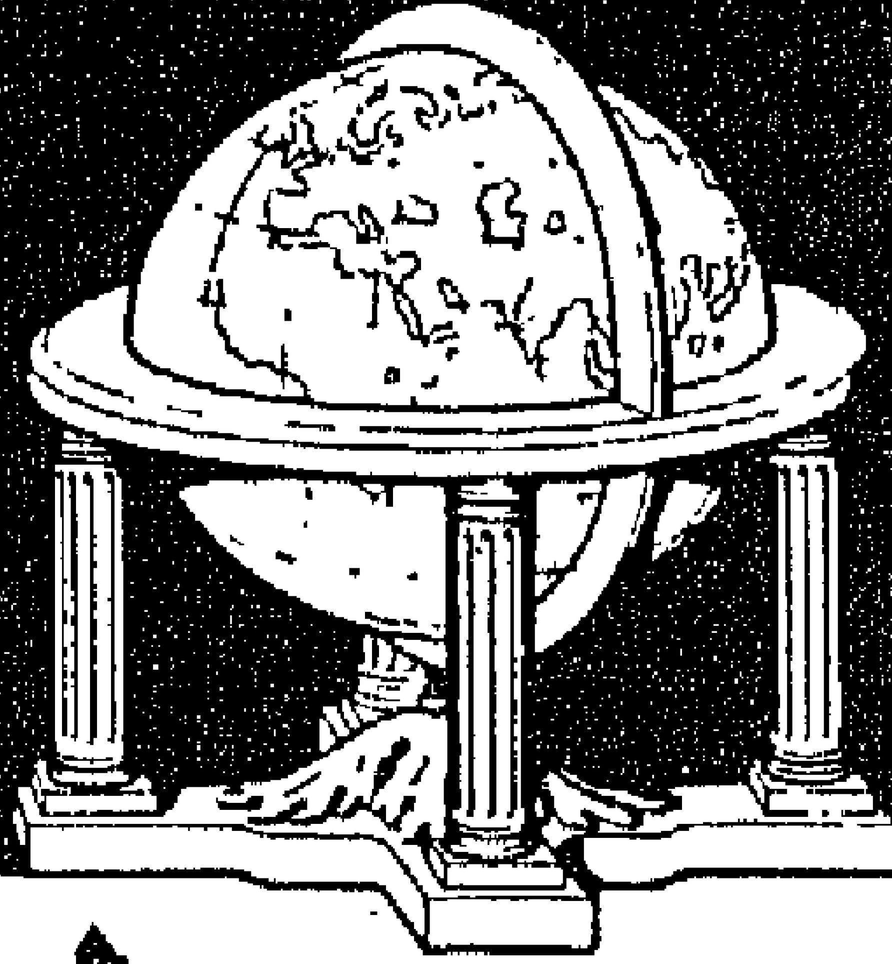


كالتكس لانتاج البترول





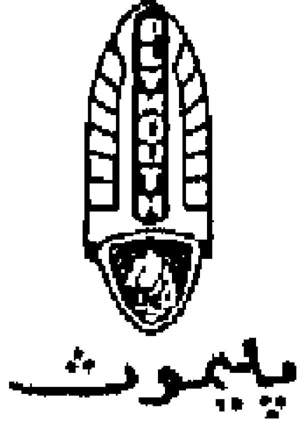
chrysler



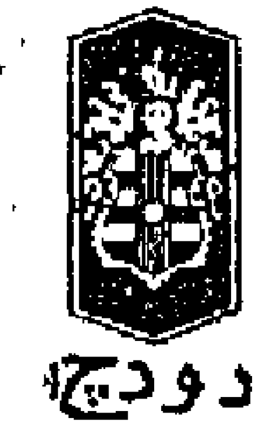
كريزلر

تفيض عربات الحرب من مصانع شركة كريزلر بمعدل عدة مئات فى اليوم . وكان إنتاج لوريات للقوات المسلحة ـ من طراز دودج ـ هو أول مهمة حربية نهضت بها شركة كريزلر . وهو من أكبر واهم ما فى قائمة أعمال كريزلر الحربية الكثيرة . ويحتاج إلى أرض مساحتها ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ من الأقدام المربعة ، وحوالى ١٣٫٠٠٠ عامل ـ أى أنه يلى أعمال مصانع كريزلر الضخمة فى إنتاج الدبابات .

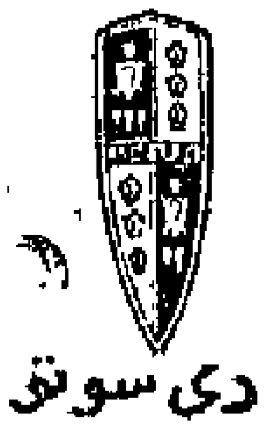
CHRYSLER CORPORATION, EXPORT DIVISION, DETROIT, MICHIGAN, U.S.A.



پليموث



دودج



دى سوتو

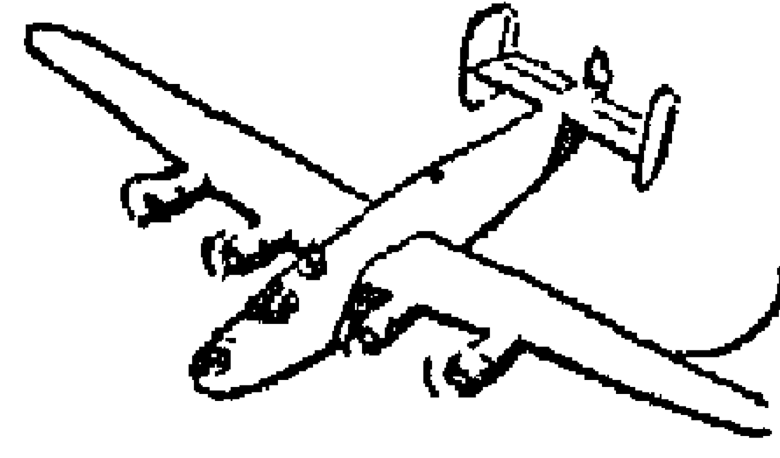


كريزلر



فارجو

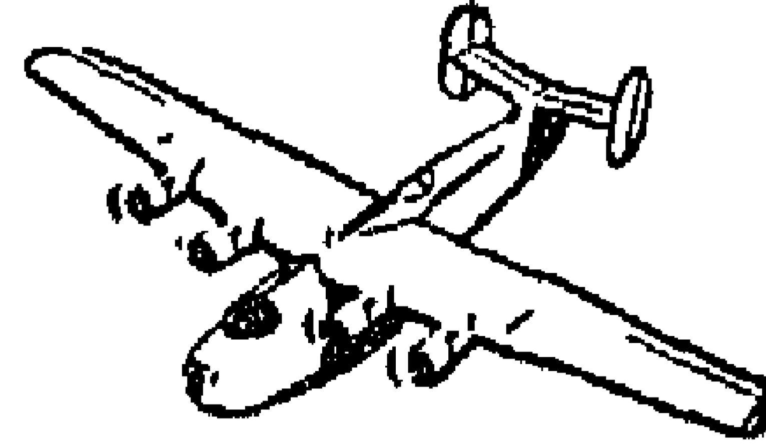
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



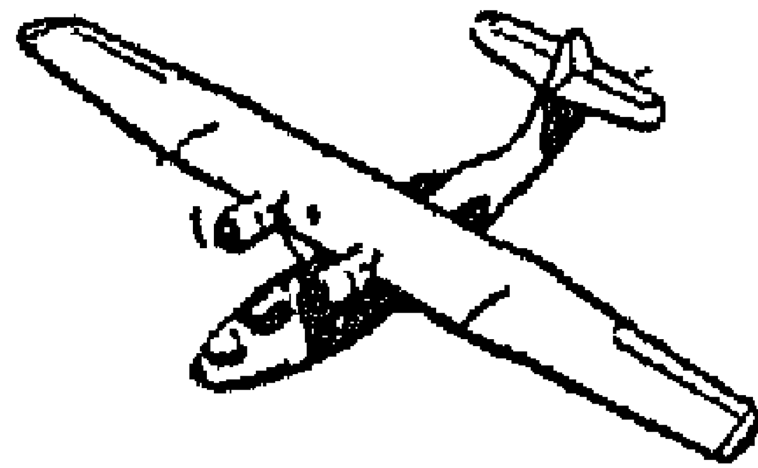
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



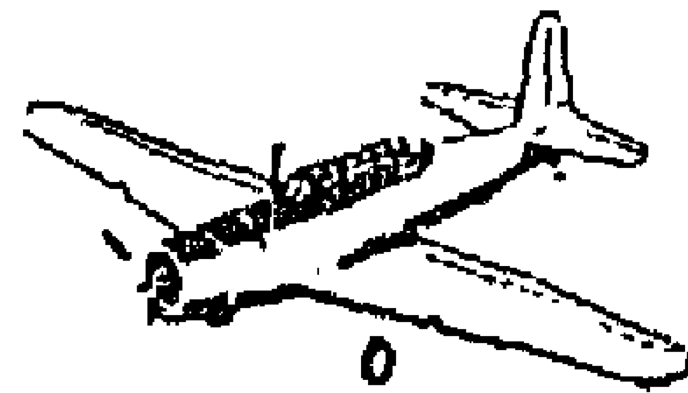
ليبريتور أكسبرس — طائرة نقل



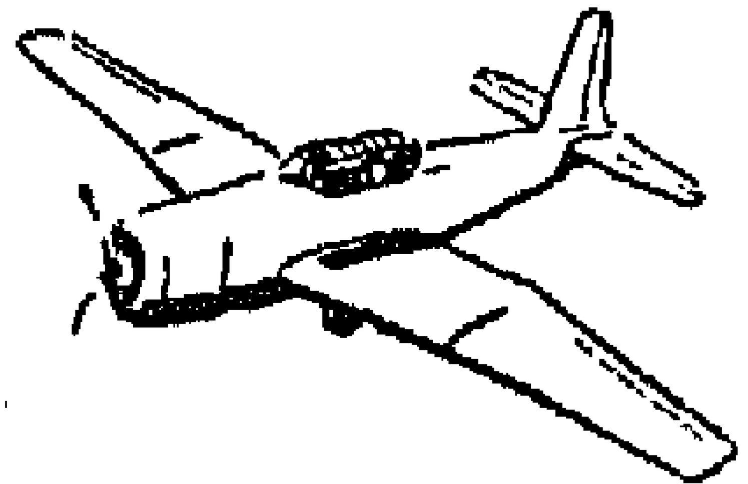
كورونادو — قاذفة داورية



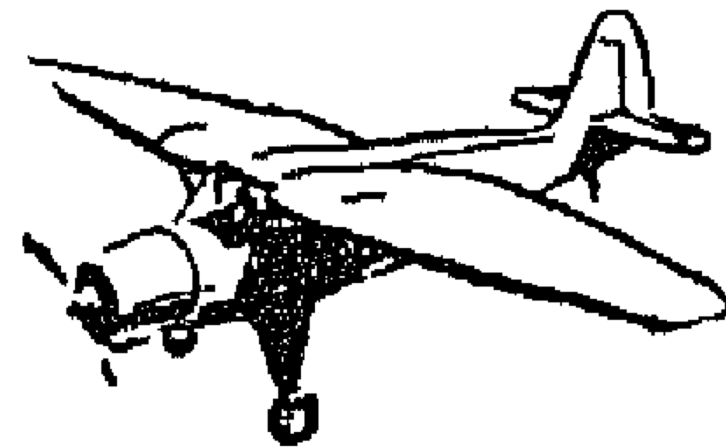
كاتالينا — قاذفة دورية



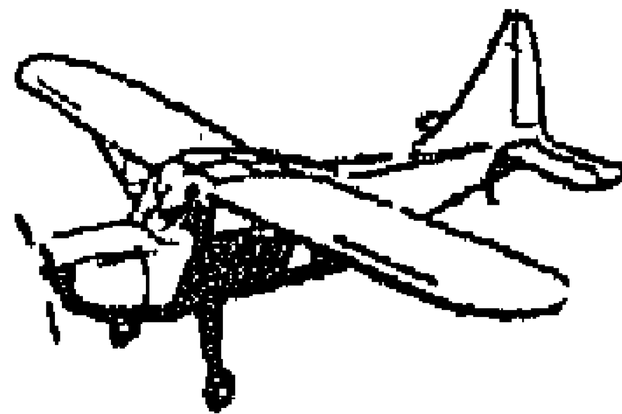
فاليانت — طائرة تدريب أساسية



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



سنتينل — « الجيب » الطائر

حين تحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.
Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.
Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.
Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

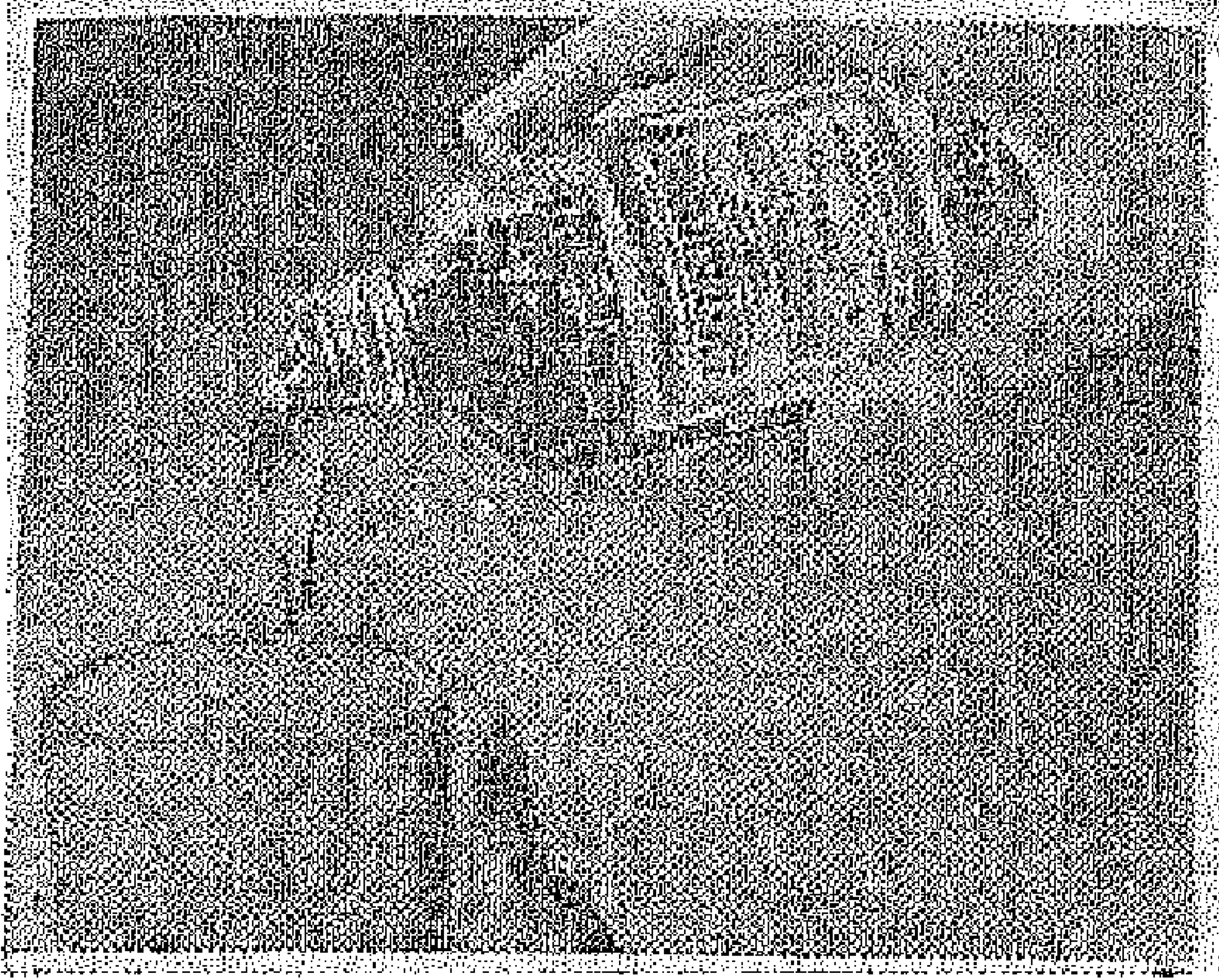
عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية

البحة ؟ التهاب الحلق؟



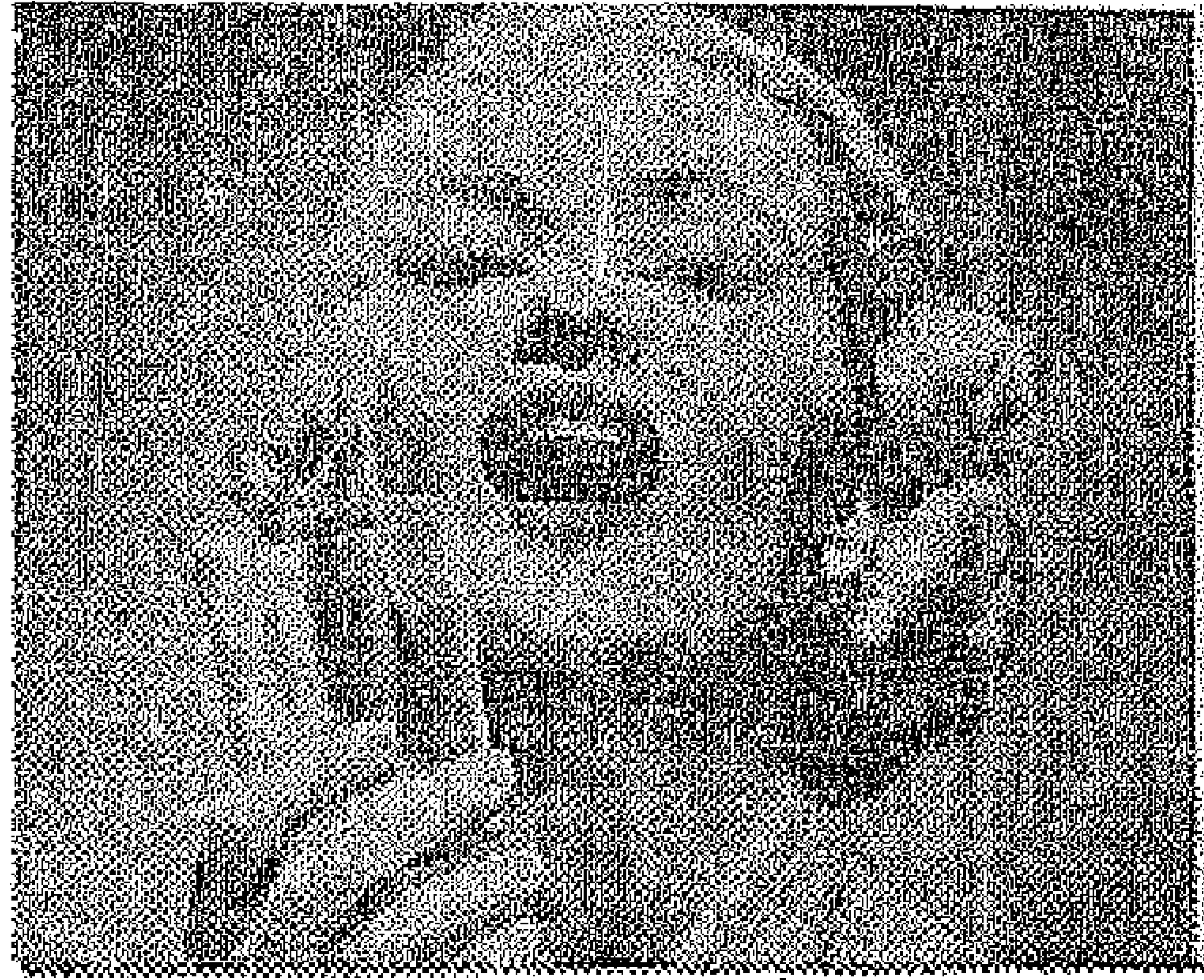
في حالة الشعور بأول أعراض البرد

لاتتوان !



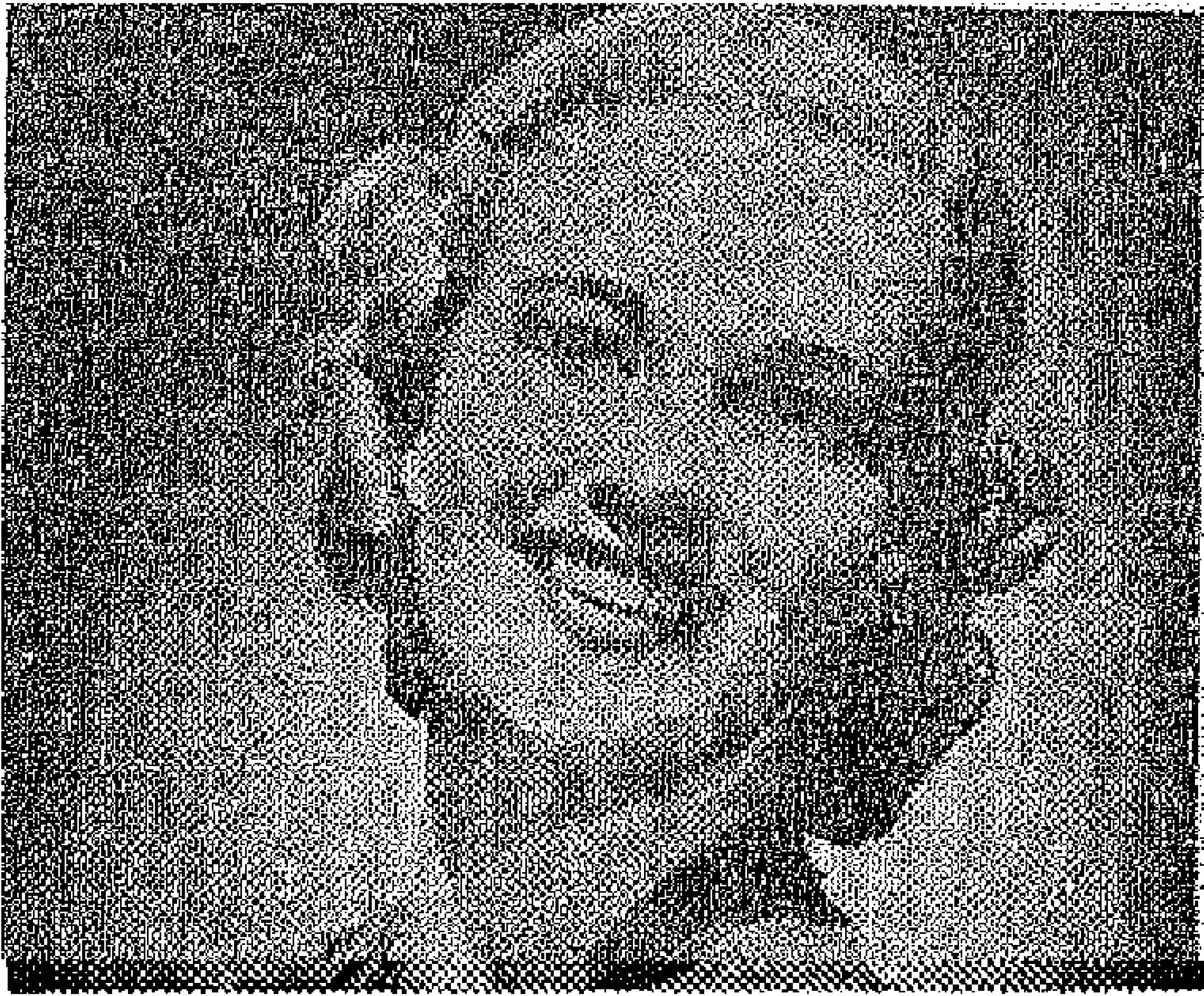
إبدأ بالغرغرة بليسترين

فطارد الجراثيم !



فليسترين يصل حتى قرارة الحلق

أحس راحة !

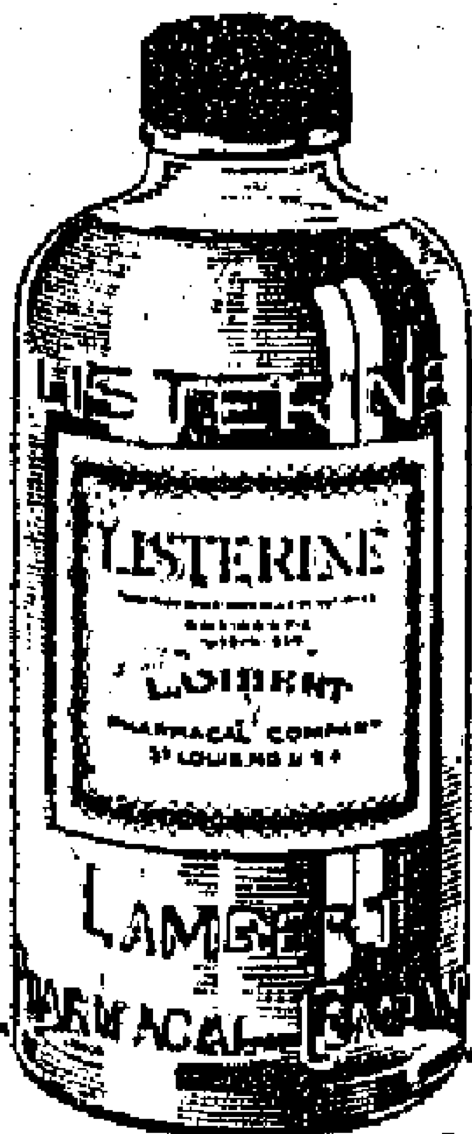


فيساعدك ليسترين على الاحتفاظ بالعافية

التجارب تثبت ان نزلات البرد تقل بتعاطي ليسترين

اثبتت التجارب التى أجريت خلال ١٠ سنوات من البحث ، أن جماعات الناس التى استعملت غرغرة مطهر ليسترين مرتين يوميا ، كانت إصابتهم بنزلات البرد أقل من الذين لم يتعاطوه .

إنك تنتفع حقا إذ تستعمل غرغرة مطهر ليسترين بانتظام كوقاية من نزلات البرد — إذ هو قد ينقذك من أخطار جسيمة — وذلك لأنه مطهر غير ضار .



مطهر ليسترين



فرشة الاسنان برو - فيلا - كتيك : مصنوعة بطريقة علمية تجعلها تصل الى جميع الاسنان وتنظفها . ذات شعر مرن يعيش مدة طويلة ..



معجون الاسنان ليسترين : مركب من اربعة عشرة عنصراً منتخباً ، اذ يحدث فعالتيج تنظيفاً فعالا دون أى خطر على ميناء الاسنان



إنّ حياة طائرة P.38 تبدأ فى النهاية — فى نهاية خط الإنتاج !

فإذا قال الجيش : « تحولوا إلى كيسكا » — فإن طائرة P.38 تطير إلى أحد مراكز لوكهيد للتحويل حيث تبدأ عملية إعدادها لجو الشتاء . فتضاف مشاعل من البروبين ليمكن إدارة المحركات بالسرعة المطلوبة . وكذلك المواد العازلة للأنابيب . أو توضع المسخنات فى مقعد القيادة لراحة الطيارين . فإذا قال الجيش : « تحولوا إلى موندا » أو إلى أى مكان فى المنطقة الحارة فإن طائرة P.38 تجرى عليها تغييرات أخرى . فقد تكون الحاجة إلى تسليح آخر أو نوع خاص من معدات الراديو . ولكن مهما يكن الأمر أو حيثما تذهب طائرات لوكهيد لايتننج فإن التحويل الصحيح يضمن العمل الصحيح . وهذا هو السبب فى أنه حيثما تصل طائرة لوكهيد P.38 إلى أى ميدان قتال تكون مستعدة للطيران فى لمح البصر ! فإن هناك ضماناً وقوة مبنية فى كل عارضة ومسمار وجزء — وهذه التغييرات يجريها مهندسو لوكهيد . وهذا هو مثال آخر لزعامة لوكهيد فى ميدان العمل .

تذكر أن Lockheed رمز للسبق والتفوق

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U. S. A



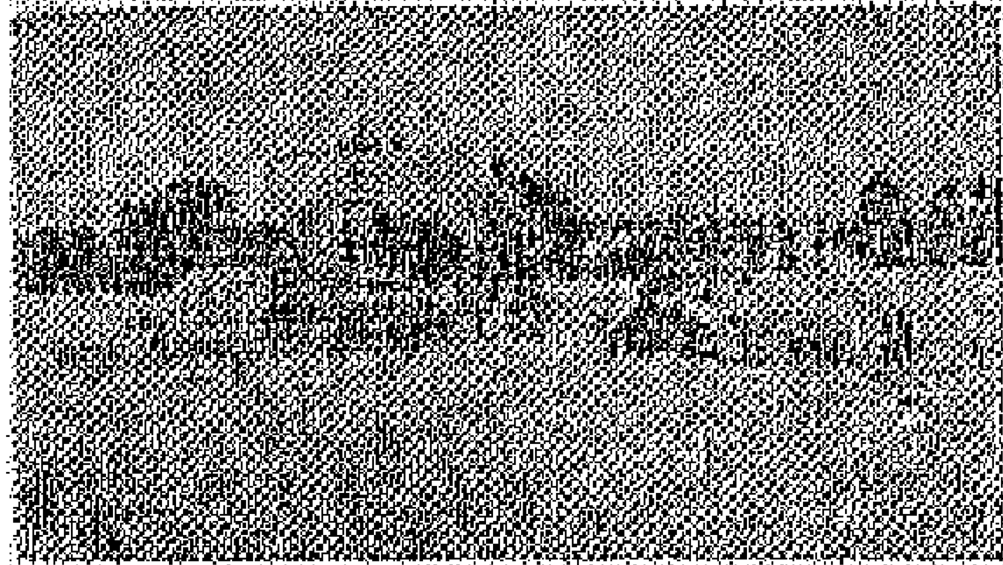
إنّ ملاح العالم يعمل يوماً عظيما طويلا شاقاً . وكذلك جزء من الليل ، فى وقت الحرب الآن . وعليه أن ينفق ساعات أكثر فى الحقل ليعوض نقص المعاونين والآلات ، إذا كان يريد أن يبلغ أهدافه فى إنتاج الطعام للحرية . وعلى ذلك فنى كثير من الفصول ، نجد الهدوء الذى يعم الأراضى الزراعية ليلا ، يطير شعاعاً من جراء جلبة الجرارات التى فى العمل . ويخترق الظلام فى كل مكان أزواج من أشعة الضوء ، على حين يقوم الفلاح بأكبر عمل ألقى إليه .

هده الجرارات التى لا تهبط درجة حرارتها من جراء العمل ليل نهار والتى تجمع سنوات عديدة من الخدمة فى سنة واحدة ، كثير منها من صنع مينيا بوليس مولين وذلك لأن شركة مينيا بوليس هى الأولى التى وضعت المصابيح الأمامية على الجرارات وبذلك جعلت العمل الليلى فى حيز المستطاع . وهــذا التحسين الذى ينظر إلىّ المستقبل ، نتج من تقدير مهنـدسى شركة ميبابوليس مولين ، أن الجرار يجب أن يستخدم عدداً معيناً من الساعات كل سنة لكى يستغل استغلالا مجدياً . ثم نظرت إلى زيادة نفعه فكانت مينيابوليس مولين هى الأولى أيضاً التى جهزت الجرار بعربة مقفلة حتى يمكن استعماله فى كل حالة جوية .

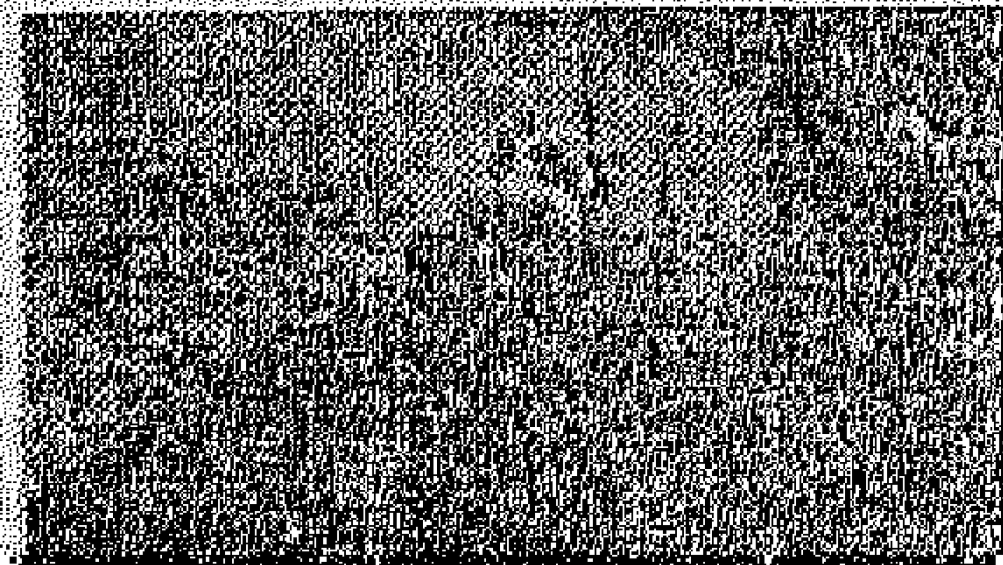
وهذان هما إثنان فقط من التحسينات الحديثة العديدة التى مكنت مينيابوليس مولين من أن تقدم أعظم خدمة لإنتاج الطعام خلال الأزمة الحالية



١ — يحارب الطعام أيضاً من أجل الحرية فى أرض الوطن وكذلك فى ساحات القتال .



٢ — فى ساحة الحقل يكون المحصول هو النصر الذى يتوج جميع أعمالنا



٣ — إن آلات مينيابوليس تتركز فيها المتانة وجدة التصميم فتؤدى العمل النافع مدة طويلة .

لم يصنع أبداً من قبل مثل هذا القلم پاركر "٥١"!

جدة منقطعة النظير ... يختلف عما سواه اختلافاً يسترعى النظر : ذلك هو پاركر "٥١" حتى أن جميع الأقلام الأخرى لتبدو من طراز عتيق بالقياس إليه.

زنه بين أصابعك « إنه لعجيب » ذو اتزان بديع ، لامع ، رشيق . إن طرفه الفريد الذى يشبه الطربيد يبدأ الكتابة فى أقل من ثانية ويستجيب حتى لألطف لمساتك

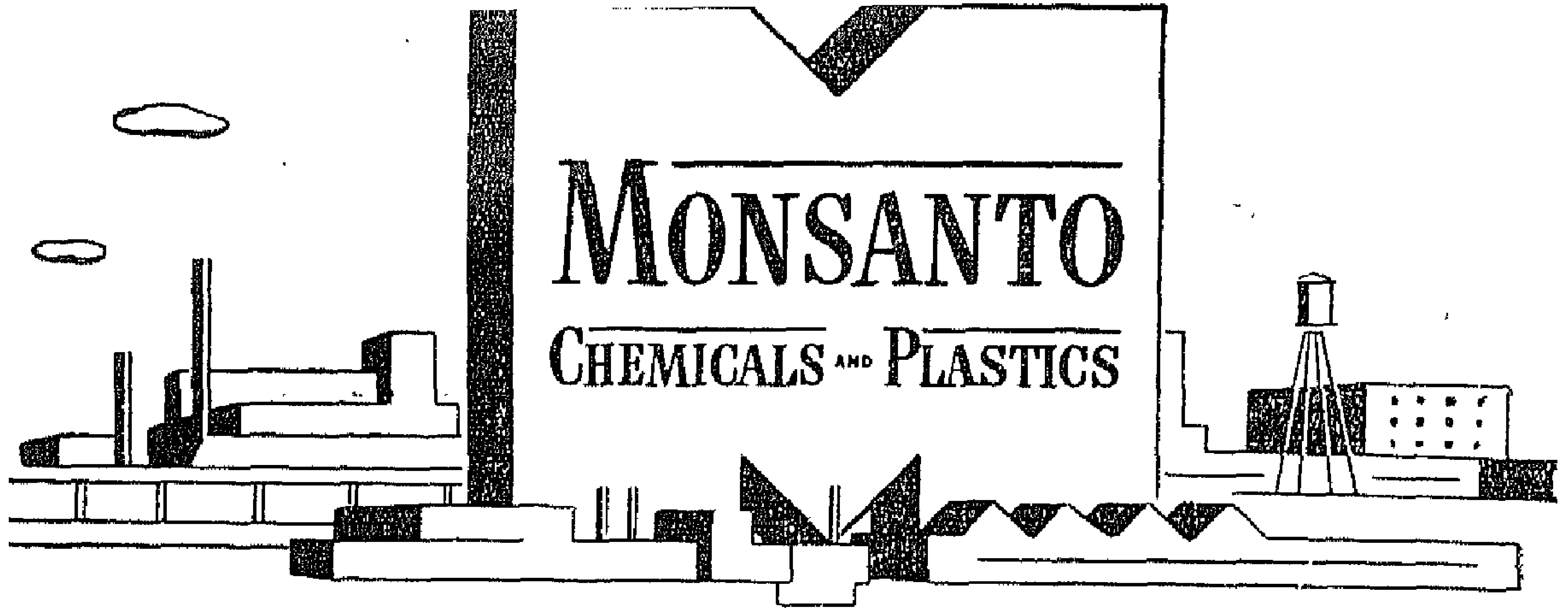
ثم زد على ذلك مزية عجيبة أخرى – وهى الكتابة الجافة . لأن هذا القلم – وهذا القلم وحده – يستعمل حبر "٥١" الجديد . وهو حبر يجف وأنت تكتب ... فلا يلزمك النشاف ومع ذلك فإن قلم پاركر "٥١" يصلح لاستعمال أى نوع آخر من المداد.

الألوان : اسود ، أزرق قاتم ، رمادى ، بنى . والماسة الزرقاء على مشبكه معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة.

The Parker Pen Company,
Janesville, Wis., U. S. A.

PARKER "51"

پاركر "٥١" تجف كتابته باستعمال الحبر السائل!



لخدمة الصناعات ... التي تخدم الجنس البشري

على الرغم من أن الطلبات على منتجاتنا، وموارد نا الواسعة، تفوق المعتاد كثيراً لوفرة ما تشتد إليه حاجة الأمم المتحدة السائرة إلى النصر، فإننا لم نضح بمزية ما من مزايا منتجاتنا المتفوقة من العجائن والكيميائيات. إن كل مادة ننتجها وليدة البحث الدقيق — كل منها قد صيغت من أجود العناصر وبأدق الوسائل الخاضعة لسيطرة محكمة. **وتشمل منتجات مونسانتو.**

لخدمة صناعة الصيدلة :

أسيتانيليد، أسبرين، حامض البنزويك — كلورامين — جليسروفوسفات — سليسلات المثيل — فينولفثالين — سليسلات — سالول — بنزوات الصوديوم — سلفانيلاميد وغيرها.

لخدمة صناعة المطاط :

عناصر مساعدة — مواد مضادة للأكسدة — مواد ملينة — مواد مذيبة.

لخدمة معالجة الماء :

سلفات الألومنيوم — سلفات الحديد — هيبو كلوريد الصوديوم — فوسفات — سانتوبريت لمنع الحموضة والطحالب من الماء المستعمل في الصناعة.

لخدمة صناعة الورق :

سلفات الألومنيوم — أمونيا — أحماض — مواد نفاذة — فوسفات وغيرها.

لخدمة للمنتجات الغذائية :

جواهر لمعطي مواد الطعام الطعم والرائحة — فوسفات

لخدمة صناعة الحزم :

مادة «الفيوباك» الشفافة

لخدمة صناعة العجائن :

عجائن — اسيتات السليولوز — نترات السليولوز — راتنجات الفينول. مواد أولية : مثل أحماض — فينول — مركبات الراتنج — مواد معجنة — مركبة الفثاليت.

لخدمة الصناعات الكيميائية :

مواد أولية متنوعة ومركبات متوسطة.

لخدمة صناعات الروائح العطرية ومواد الزينة :

طلاء المانيكور والمادة المزيلة له — مواد مرطبة — مواد مثبتة ومواد مذيبة للروائح.

لخدمة صناعة دبغ الجلود:

أحماض — شب الأمونيوم — الفينول — مواد نفاذة — «ميركلور» «ميرتانول» فوسفات.

لخدمة صناعة الحبر والطلاء:

ورنيش — مواد مذيبة — مواد معجنة — راتنج — مواد مذيبة للروائح — مواد واقية من الفساد — مواد مضادة للأكسدة.

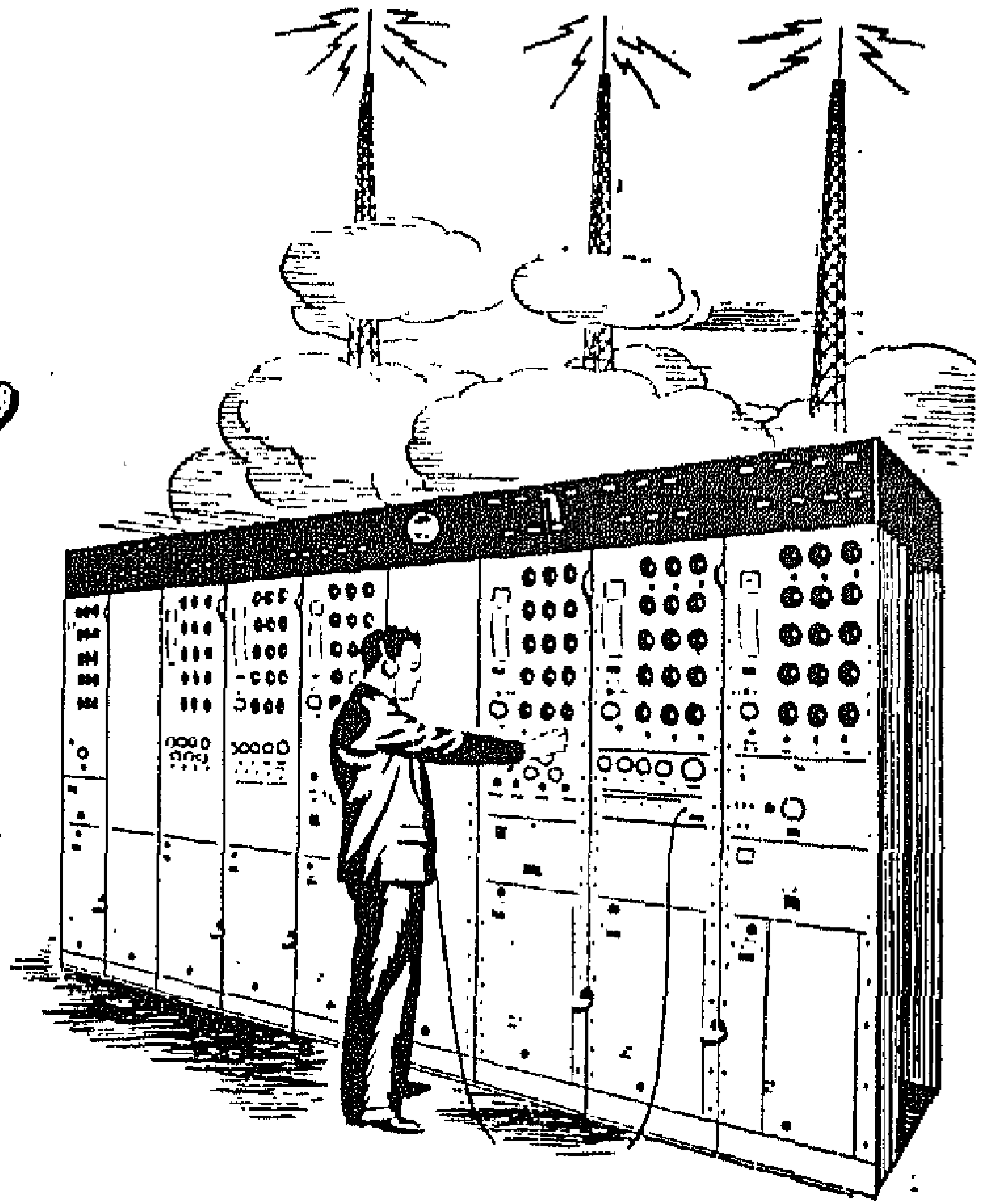
ومن أجل حاجات الجيوش المتحالفة الملحة فإن كثيراً من المواد الكيميائية والعجائن غير متاحة اليوم. وبعض المواد متاح ولكن بمقادير محدودة، وقليل من المواد موجود بكثرة. وحيث أن الظروف دائماً تتغير بين عشية وضحاها فنحن نقترح عليك أن تتصل بمونسانتو حينما تحتاج إلى هذه المواد. وثق بأن مونسانتو سيلبي طلبك متى وجد إلى ذلك سبيلا.

MONSANTO CHEMICAL COMPANY,
1700, South Second Street,
St. Louis 4, Missouri, U.S.A.

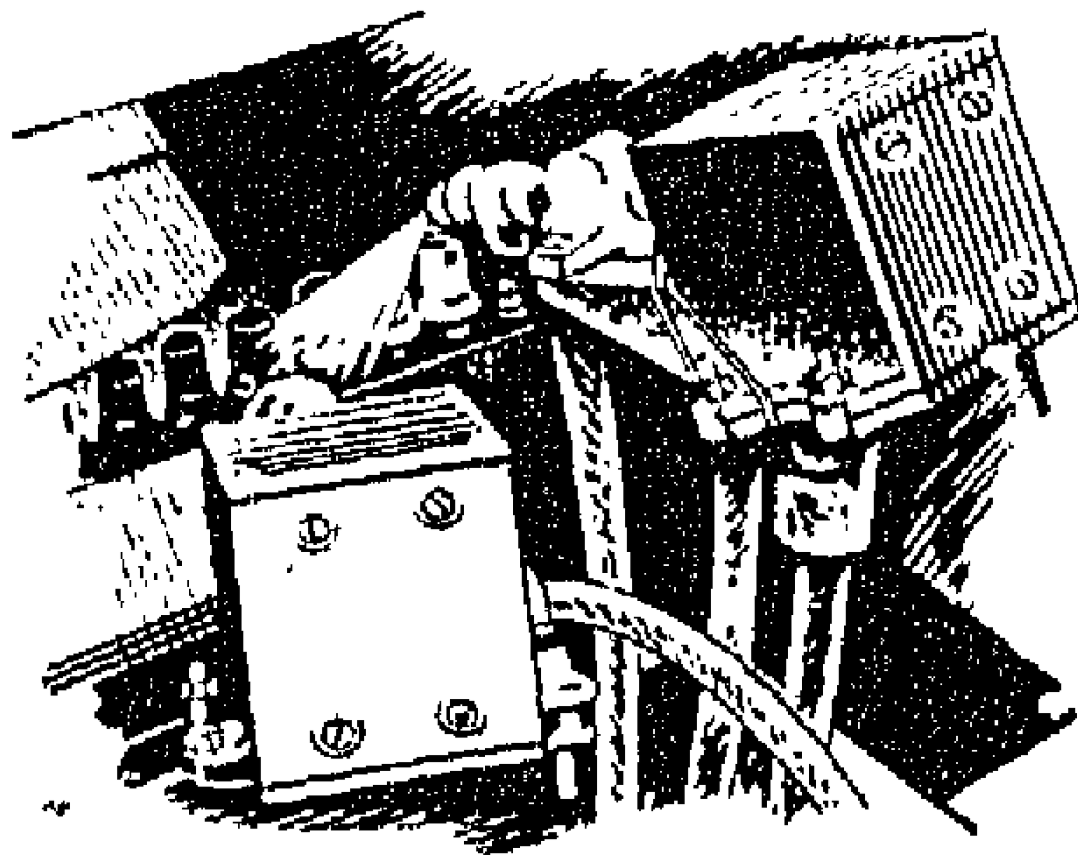
MONSANTO CHEMICALS Ltd,
Victoria Station House,
London S.W.1, England.

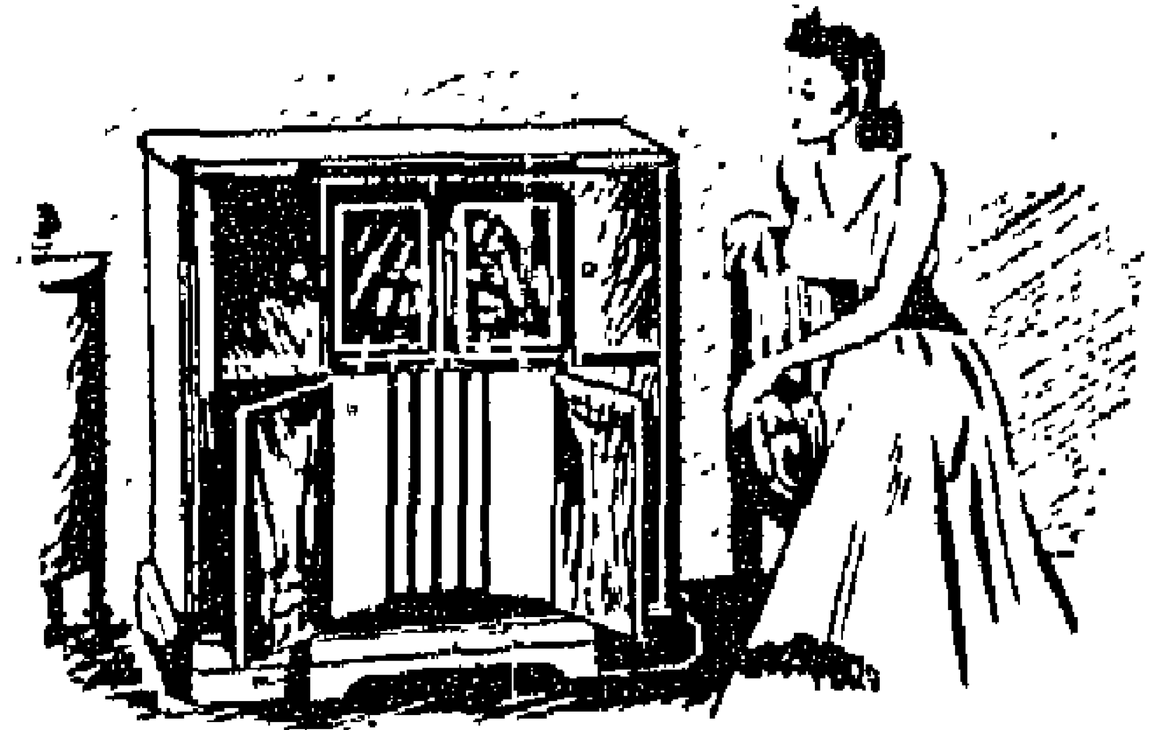
RCA تقــــــدم

أحدث مبتكراتها



حلم خبراء الراديو : إن جهاز الاستقبال RCA ذا الموجة القصيرة المتعدد نواحي الفائدة ، هو أتم أجهزة الاستقبال إتقاناً — إذ يمدنا بثلاث صور للإذاعة الواحدة على ثلاثة أسلاك هوائية مختلفة ثم يختار من تلقاء ذاته أجود الثلاث . وبحوث RCA المتطلعة الآن لخدمة قضية الأمم المتحدة ، تعدنا براديو أجود ومنتجات أخرى لعالم أفضل . حينما يأتى السلام .





أعظم أجهزة الاستقبال إتقاناً : هو جهاز RCA QUB . وهو يقدم أقصى ما يمكن تقديمه فى عالم الراديو بوساطة صماماته الأربعة والعشرين ومناطقه الموجية التسع ، كما يقدم أجود نوع من إذاعة الاسطوانات بوساطة جهازه الذى يغير عشرين قرص جراموفون تغييراً أوتوماتيكيا بدون أدنى ضعف فى الإخراج . وهو يقوم بتسجيل برامج الراديو أو الأحاديث ، ويمكن استخدامه كجهاز فعال للخطب العامة — منظره رائع وصوته رخيم ، وهو ذلك النوع من راديو RCA الذى سيتاح لك استخدامه مرة أخرى حين يأتى السلام .

أنبوبة تساعد على طلاء أخرى : فى رش الطلاء على أنابيب RCA المعدنية ، يتولى صمام RCA الالكترونى الاقتصاد فى الطلاء برشه رشا أوتوماتيكيا حينما تكون الأنابيب تماماً أمام صنبور الطلاء . وتصنع مئات من صمامات RCA العجائب فى الصناعة الحديثة . وهناك صمام RCA خاص لكل غرض !



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

تتقدم القافلة فى الراديو .. تليفزيون .. انابيب .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات

إنتصار من أعظم الإنتصارات الحربيّة

فى هذه الحرب الطاحنة بالقياس إلى غيرها من الحروب . . . أنقصت الخسائر فى الأرواح بين أفراد القوات المسلحة التابعة للأمم المتحدة إلى الحد الأدنى فى التاريخ الحربى .

إن عقاقير السلفا التى تفعل الأعاجيب، والأدوية الطبية الحديثة، والتوسع فى استعمال بلاسما الدم . . . والجراحة البارعة والتحسن فى وسائل النقل إلى المستشفيات والتمريض ، قد ربحت المعركة ضد إصابات الحرب .

وأهم حليف لكل هؤلاء المنقذين للحياة هو معدات كارير للتكييف والتبريد .

وتلعب معدات كارير للتبريد دوراً رئيسياً فى عملية نقل الدم وحفظه .

وفى حجرات العمليات بالمستشفيات ، يهيؤ مكيف كارير درجة الحرارة المطلوبة طول العام . وفى حجرات الأشعة وحجرات العلاج بالكهربا، يتيح للعلاج أن يعطى فى الأحوال الجوية الملائمة ، وفى عنابر المرضى يزيد من سرعة شفائهم وذلك بامدادهم بفيض مستمر من الهواء النظيف الذى ضبطته درجة الحرارة المكيفة .

وإنتاج كارير اليوم محصور فى المعدات اللازمة النافعة للمجهود الحربى ، وكذلك حاجات المدنيين الحيوية اللازمة للخير العام . فإذا واجهت مشكلة تحتاج إلى معدات جديدة أو إلى المحافظة على المعدات الحالية للانتاج الحربى أو لأى غرض مدنى حيوى فإن مورد كارير يكون على استعداد للتعاون معك

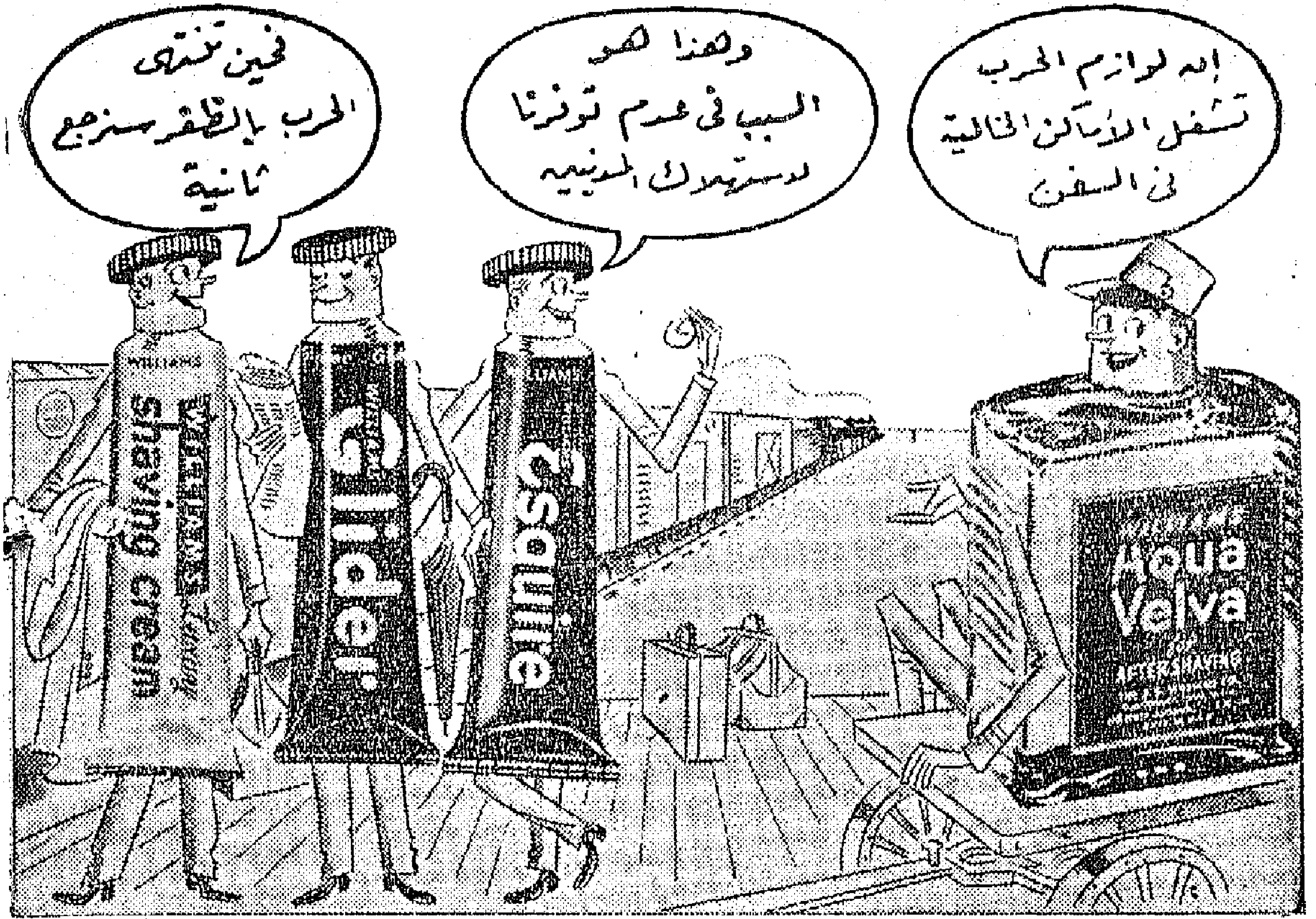
Carrier

كارير مصر

القاهرة مصر

ب . ت . بيتجرو تل ابيب فلسطين ، ا . بيس وشركاه عدن

ا . وس . عدس ليمتد - بغداد . العراق



كريم حلاقة جليدر واسكواير

صنعا خصيصاً للرجال الذين
عليهم أن يحلقوا كل يوم

اكوافلفا وليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة في العالم،
نقي، لطيف، منشط، منعش الرائحة

كريم حلاقة وليامز الفاخر

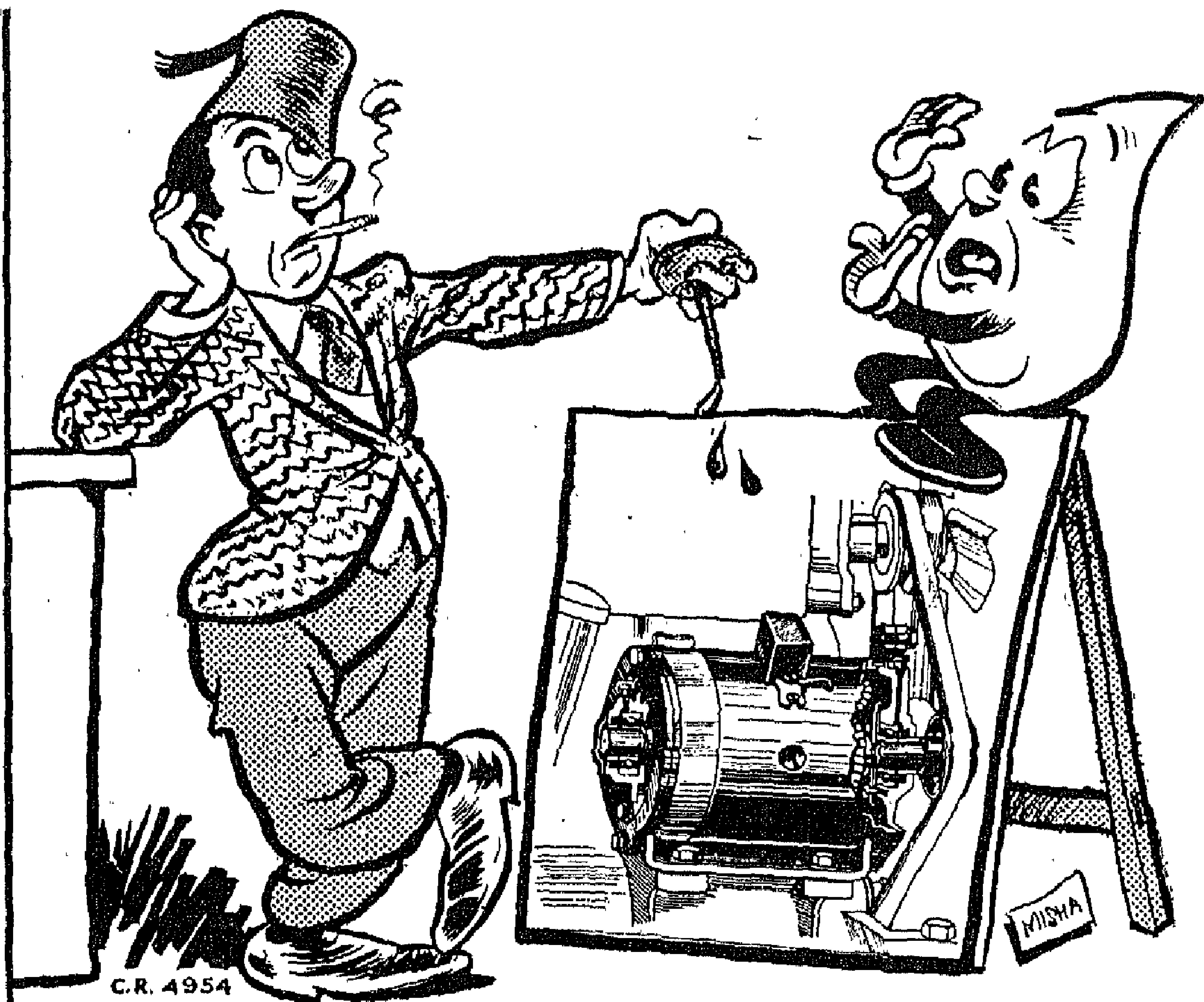
يحتوي على مادة لانولين الملطفة التي تهب لك
حلاقة تامة دون أن يسبب للشرة اي تهيج

WILLIAMS

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من مائة سنة

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبري ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

يجب مراعاة منتهى العناية عند تزييت المولد الكهربائى الموضح فى الرسم اذ عليه تتوقف حياة بطاريتك . وكما أن الأفراط فى التزييت يتلف المادة العازلة الموجودة بين ملفات المولد فان نقص الزيت قد يسبب أيضاً تآكلاً سريعاً للحوامل ويخلق مصاعب خطيرة . ولهذه الاعتبارات يتحتم تزييت المولد الكهربائى ببعض النقط من زيت جارجويل موبيلويل « اركتيك » فى فترات كيلومترية مناسبة
تأكد من أن سيارتك تشحم دائماً على طريقة « موبيلويل » وهى الخدمة الممتازة التى تقدم فى جميع محطات بنزين شركة سوكونى - فاكوم اويل!



تفوق تشحيم «موبيل» على غيره

سوكونى فاكوم

مدرسة سيّارة

— ١ —

الدكتور حسني سبح

[عميد الجامعة السورية ، دمشق]

لقد سبق لي أن اطلعت على الدعاوة الواسعة التى تقدمت صدور مجلة المختار ، وكذلك التى تلته ، فلم أحفل بذلك كله لانصراف إلى مطالعة الشؤون العلمية ، والطبية منها خاصة ، غير أنه حدث ما جعلنى أبدل نظرى فى هذه المجلة ، وذلك بينما كنت فى أحد الدروس السريرية (الكلينيك) أناقش أحد الطلاب فى معالجة مريض قدمه إلىّ ،وأستدرجه إلى طرق المعالجة أن ذكر لى ذلك الطالب طريقة حديثة فى المداواة اطلعت عليها فى إحدى المجلات الأمريكية التى وصلت إلىّ عرضاً ، وكنت إخالنى أنا وحدى أعرفها ، وما أن انتهى الدرس وسألته ، أين اطلع على هذه الطريقة حتى أجابنى فى مجلة المختار . فمن ذاك الحين أصبحت من أنصار هذه المجلة ، أحرص على مطالعة أعدادها بشوق لكي لا أكون مسبوقاً فى الاطلاع على ما كل يجد فى العالم الجديد .

— ٢ —

الأستاذ أحمد سامح الخالدى

[عميد الكلية العربية ، القدس]

أدرك المختار فى أشهر مالم تدركه المنشورات الدورية العربية فى نصف قرن . وما أدركه حتى الآن ليس نهاية ، بل بداية . وسبب نجاحه واضح . إن فى العالم العربى ليقظة ، وان فى المختار لمتعة وفائدة للقراء مهما تختلف آراؤهم وأعمارهم . وقد شاهدت فتياناً فى الحادية عشرة،وسيدات فى الثمانين يقرأونه ويعجبون بمحتوياته . وإنه لمن بواعث الاغتباط أن تتاح لنا المتعة بخير الأدب الأمريكي مرسلاً فى لغة القرآن .

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

العزلة الفكرية والنظرة العالمية

فخامة السيد شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية

التعارف أفضل وسائل التفاهم بين الشعوب ، وأفضل وسائل التعارف ما كان الفكر رائده والعلم سبيله ، ويسرنا أن تكون مجلة المختار التي تنشر في مصر بلغة عربية مبينة وتحمل إلى سائر الأقطار العربية صفحات مختارة تبحث في جميع نواحي الحياة من رسل التعارف والتفاهم بين أبناء هذه الأقطار بل بينهم وبين تلك الأقطار النائية التي طوت الحضارة مراحلها البعيدة ومسافاتها العظيمة فجعلتها قريبة دانية .

ولا شك أنه في هذه الحالة التي وصلت إليها طبيعة العمران ، لا يستطيع شعب أن يعيش بعزلة فكرية عما سواه وأن يحيا وحده في آرائه وأساليبه ونحن الذين نريد أن نأخذ بنصيبنا من مناهج الأمم وأطوارها وحقائقها نتقبل بقبول حسن تلك الآراء الناضجة من ثمرات الفكر الغربي التي يحملها إلينا المختار وحبذا لو أن المجلة الأمريكية الكبرى التي تمده وتتعهده تعنى بتعريف الغرب ولا سيما الشعب الأمريكي بنواح من حياة الأمة العربية العريقة في قدمها وعجدها والتي تريد أن تنشأ نشأة جديدة فيسمو ذكرها وتأخذ مرة ثانية مكانها في ديوان الإنسانية .

[توقيع]

فخامة الشيخ بشارة الخوري

رئيس الجمهورية اللبنانية

نحن الشعب اللبناني تربطنا بالشعب الأمريكي روابط قديمة وثيقة عن طريق أبنائنا وإخواننا المهاجرين وهم شطر عزيز من لبنان يحن إليهم الوطن اللبناني كما يحنون إليه وكثيرون منهم يقاتلون الآن في القوات الأمريكية المحاربة للكفاح في سبيل الديموقراطية وعالم جديد . ولا ننسى الخدمات الثقافية الجلى التي أسدتها المعاهد الأمريكية العظيمة في بلادنا . فيسرنا أن نجدد هذه الروابط ونعززها عن طريق « المختار » . على أننا نرحب به كذلك وسيلة فعالة للتربية الشعبية لمقالاته توسع أفق اهتمامنا بمسائل تهم العالم أجمع . وفي هذه المسائل لا غنى لإنسان اليوم عن النظرة العالمية للتفاهم الدولي وللانتصار على ما بين المدنيات المعاصرة من تفاوت .

[توقيع]

٣ قروش

المختار
من
ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

أكتوبر ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الرابع عشر (الثانى من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزِّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار من ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز، باقية الأثر
السنة الثانية — أكتوبر ١٩٤٤ — المجلد ٣ العدد ١٤

أغنى رجل على ظهر الأرض

تبلغ ثروة نظام حيدر اباد نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال وينفق عشرين ريالا في الشهر، ويركب سيارة فورد قديمة وهو على العموم رجل لطيف وإن كان يحيا في وحشته

ملخصة عن مجلة "ستر داي ايفننج بوست"

أرنست و. هاوزر
مراسلها الآن في الهند

صاحب العظمة عثمان، نظام حيدرباد، يعد أقوى أمراء الهند، وهو يحكم إقليما في سعة إنجلترا وإسكتلندة. والمشهور أنه أغنى رجل في العالم، ولكنه ينفق في الأسبوع خمسة ريالات، ويقضي وقته على شرفة قديمة يشاطره إياها ماعز أثير عنده.

وحيدر باد هي كبرى ولايات الهند وأولاها. وحاكمها — رستم الدوران، وأرسطو الزمان، ومظفر الملك والممالك، فاتح ينج، نظام الدولة، نظام الملك، أصاف شاه، سلطان العلوم، سباه سالار الجنرال نواب السير مير عثمان علي خان بهادور، الحليف الوفي للحكومة البريطانية — هو صاحب المقام الأول بين أمراء الهند الذين تبلغ عدتهم ٥٦٢

وبينه وبين التاج البريطاني معاهدات قديمة وثيقة تضمن له حقوق السيادة فيما عدا الشئون الخارجية، وهو يعد نفسه صديقاً لا تابعاً للملك الإمبراطور، وعيناه الحادتان اللامعتان ساهرتان أبداً على حقوق السيادة التي لا تعد سيادة وهمية في أي حال.

وسلطته مطلقة على رعاياه الذين يبلغون ١٧,٠٠٠,٠٠٠، وإن كان في ٣٣ سنة من حكمه لم يصدق إلا على حكمين بالإعدام.

ويحتفظ بإدارته الجمركية الخاصة، ويتقاضى ٥ في المئة رسوماً على الواردات من الهند

البريطانية ، وله جيشه الخاص ، وطوابع بريده ، وسككه الحديدية وخطه الجوى . وأوراق النقد التى يصدرها هى الوحيدة التى يتداولها الناس إلى جانب الروبية التى تصدر أوراقها حكومة الهند البريطانية .

وقد تتوقع أن يبدو « النظام » فى عمامة مرصعة بالجواهر ، وحلة من الحرير ، ذات أزرار من لؤلؤ ، ولكنه رجل حيي جم التواضع فى الثامنة والخمسين من عمره ، وشعره متهدل وحاجته شديدة إلى الحلاق ، والاقتصاد أبرز مزاياه ، ويلبس فى العادة ثوباً هنديا من نسج بلاده ، وحذاءين عتيقين ، وعمامة لو كانت لخادمك الهندى لاطرحها منذ سنوات . ووراء جبهته الجلواء ذهن من أشد الأذهان اتقاداً ولوذعية ، لا ينقطع عن العمل . وهو حسن الاطلاع على الشئون الهندية والعالمية ، وإذا لقيته أمطرك وابلا من الأسئلة بسرعة عظيمة .

وهو سابع نظام تولى الإمارة ، وهو مسلم صادق الإيمان كأسلافه ، وأسرته من أصل تركمانى، ويقال إنها تنتمى إلى أبى بكر الصديق صهر النبي عليه السلام وخليفته . وكان أبوه « نواباً » يركب الفيلة وسيارات الرولز رويس ، ويحمل جواهره ولا يخبئها ، أما الجواهر التى هى أثقل من أن يحملها فكانت تخاط إلى أكياس ، تتخذ منها متاريس للأبواب فى قصوره المتألقة . وقد ظل سنين عديدة لا يُرزق ابناً ، ثم ولدت له راقصة هندية كانت حظية عنده ، ولداً — هو عثمان — فكان هو وارثه .

وقد نشأ عثمان فى بلاط أبيه، وتلقى دروساً خاصة فى مواد كالتاريخ والأدب واللغات ، وهو متمكن من العربية والفارسية والأردية والإنجليزية ، ولكن تربيته المنزلية كانت أضيق نطاقاً من أن تتيح له فرصة للظهور فى أى ميدان خاص . على أن من الإنصاف أن نقول إنه لم يسئ حكم إمارته فى السنوات الثلاث والثلاثين ، ولم يسئ تدبير أموره الخاصة أيضاً .

ولما مات أبوه ، أوصد عثمان قصر « فلك نوما » — ومعناه « مثل السماء » — وانتقل إلى مسكنه الحالى المتواضع فى ضاحية من ضواحى مدينة حيدر باد . وهو عبارة عن اثنى عشر مبنى واطئاً غير فخم يحيط به سور عال ، وله سيارة رولز رويس صفراء ذات أجراس وزينة اشتريت له فى بداية حكمه ، وهى مهملة فى الجراج . ولم تستخدم الفيلة الملكية مذ تولى الإمارة ، وإذا أراد عثمان أن يخرج استقل سيارة فورد عتيقة من عهد ما قبل التاريخ .

ولا يقيم الولائم إلا إذا لم يكن عنها معدى ، وهو كمعظمنا يتعلق بأشياء ألفها

منذ سنين ، فهو يكره أن يغيرها . ويرتدى ثيابه حتى تبلى وتنشق عنه . وقد أصيبت عصاه ذات مرة بشق فبعث إليه تاجر كبير بمجموعة من العصى ردها جميعاً وأبى إلا أن يستعمل عصاه التى ظلت قطعة واحدة وإن كانت مشقوقة . ولما زاره اللورد لنلثجو والى الهند السابق ، وقف عثمان ينتظره على رصيف المحطة وهو متوكئ على عصاه القديمة ، التى انثنت تحته انثناء خطراً .

فقال له الوالى : « هذا خطر جدا ياصاحب العظمة » .

فقال عثمان : « نعم ، ويحسن أن أضع حول الشق طوقاً » . وقد فعل .

وتبلغ موارد دخله المعروفة فى السنة ٣٦٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية ، أو مايعادل ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال . ويدخل فى هذا ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية من تقليد غريب للقصر ، إذ يأتى أحد الرعايا فيستقبله النظام فى قاعة العرش فيقدم إلى عظمته «أشرفية» من ذهب قيمتها نحو مئة روبية ، مضافاً إليها أربع روبيات من فضة . وكانت عادة أبى عثمان أن يلمس هذه النقود ويردها، فتصبح مباركة ، أما عثمان فيحتفظ بالنقود . وفى المهرجانات الأربعة السنوية ، وفيها تمد الموائد المثقلة بألوان الطعام لآلاف من الضيوف، على حساب الإمارة ، يطوى عثمان كميه ويواجه الصف ، ويلقط قطع النقود الخمس بسرعة من يد كل واحد ويلقى بها فى كيسين ، الفضة فى كيس ، والذهب فى كيس . وثم هدايا أخرى يتلقاها ممن يتطلعون إلى ألطاف خاصة منه تقدر تقديراً معتدلا بنحو ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال فى العام .

ويؤخذ من أقوال النظام نفسه أنه ينفق ٢٠ ريالا فى الشهر ، أما موظفو القصر ، وحتى المطبخ ، فعلى حساب الخزانة العامة . وقد طالما أعرب عثمان عن إيثاره للصناعات المحلية ، فكانت النتيجة المحمودة أن ثيابه وأدوات زينته وسجايره يقدمها إليه الصناع المحليون ، فجملة ما ادخره النظام فى ٣٣ سنة من الحكم لا بد أن تكون نحو ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .

على أن معظم ثروته جواهر ، وقد قوّم جوهرى سمح له ذات مرة بأن يرى هذه المجموعة لإصلاح بعضها — قوّم « ما رأى منها » بألف وخمسمائة مليون ريال . وتشتمل المجموعة على ماسة « يعقوب » وهى التى كان يستعملها النظام السابق مثقلة للورق ، وهى ماسة كبيرة على هيئة الجمل ، وثلاثة حجارة كريمة فى حجم البيضة ، وعدد من فصوص نادرة من الزمرد . أما لآلئ النظام فقد أمر مرة بإخراجها لغسلها فى محلول خاص ليبقى لها بريقها ، ولترتب وتقوَّم

بحسب أحجامها، وقد صارت اللآلئ حين نشرت عبارة عن بساط لماع يغطي سقف كل بناء في قصره ، واحتاج الخدم إلى ثلاثة أيام لنشرها ، أما الترتيب والتقويم فرؤى أنه يستغرق من الوقت أكثر مما ينبغي فعدل عنه . وعلى ذكر ذلك ، تقول إن عثمان يملك أكبر مجموعة من الذهب لأدوات المائدة ، وهي أطباق وصحاف وسكاكين وملاعق وشوكات ، ومنافض للسجاير ، ومواعين للملح ، وكلها من الذهب الإبريز ، وتكفي ١٥٠ نفساً . وأخبرني أحد خدمه أنه « ليس في قصر بكنجهام إلا أدوات تكفي ٢٤ نفسا فقط » — قالها بلهجة العطف والرثية !

وليس للنظام بيت خاص يصون فيه هذه الكنوز ، ومعظم ثروته هذه التي لا يحميها سوى جرس كهربائي يفضح نية السارق ، مكدسة في المبنيين الرئيسين اللذين يعيش فيهما . فالذهب ، من نقد وسبائك وكتل ، مكدس إلى جانب الجدران في غرف الجلوس والنوم السابقة ، وهو يملأ الردهة والجراج ، وقد وضع بعضه في أركان منسية . وقد حدث منذ عشرين عاما أن أقبلت سيارة تقل فيها سبائك من الذهب فدخلت أرض القصر ، ولم يكن ثم مكان لهذه السبائك ، فاتخذ عثمان تدبيراً وقتياً وأمر حارساً بملاحظة هذه البضاعة النفيسة ، ولا تزال السيارة في مكانها إلى الآن ، وقد غاصت عجلاتها في الثرى ، وغطت الحشائش جوانبها ولا يزال الذهب فيها ، وكذلك الحارس .

وإذا أسقطنا من الحساب مزارعه الخاصة — ومساحتها نحو ٨٣٠٠ ميل مربع يسكنها نحو ١٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة — فإن ثروة النظام تبلغ على الأرجح ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال وهو لا يستفيد منها إلا لذة الاقتناء ، ولم يظهر ارتياحاً إلى استثمار شيء منها في الصناعات ، لأن ذلك يؤدي إلى حجبها عن نظره .



وغص عشه وانتفخ ، وضاق به ، فاتخذ من الشرفة مسكناً له ، حيث أقام حجازاً رقيقاً يفصل غرفة نومه القليلة الأثاث من حجرة عمله وهي أضأل أثاثاً . ويعرف عنه أنه أكثر أهل حيدر باد كداً ، فهو ينهض في الفجر ويستقبل اليوم باحتساء القهوة ثم يشرع في القراءة والكتابة ، ويفطر في الساعة التاسعة على الشاي والبسكويت دون أن يقطع عمله ، ويُطعَم ماعزه في الوقت نفسه تحت إشرافه . ومتى بدأ العمل في مكاتب القصر ، أخذ الرسل في أزياء رثة

يروحون ويجيئون بين الشرفة الملكية ومكاتب القصر .

وحوالى الساعة العاشرة يقبل أول القادمين للمقابلة ، وبينهم مدير البوليس ، وطبيان أو ثلاثة يرفعون إليه أنباء الحالة الصحية فى الحريم .

ثم ينظر فى شئون حيدر باد على النحو التالى الظريف :

ينهض عثمان عن كرسيه ، ويستقر على درجات السلم ويحيط به وزراؤه ورجال بلاطه على هيئة نصف دائرة ، فإذا فرغوا من ذلك بعد ساعتين فإنه لا يكون قد بقى من أمور حيدرباد شىء لم يفحص أتم فحص ، فإن عثمان يعنى عناية شديدة بكل ما يجرى وراء أسوار القصور ، وأبواب الأكواخ ، من الحوادث الغرامية إلى المنازعات على التركات .

ومن عادة عثمان أن يرسل نماذج من طعام غذائه إلى كبار رجال بلاطه ، فيتخير قطعاً من الفاكهة ، ومن الخبز والقشدة توضع فى طبق وترسل بالسيارة فيغتبطون بهذه الالتفاتة اللطيفة منه ، ويبعثون إليه عادة بقطع قليلة من النقود فى مقابلة ذلك .

وبعد الظهر يدرس عثمان بعناية الوثائق المعروضة عليه للتوقيع ، وقد يعيدها أحياناً وعليها حاشية على الهامش تنبه الوزراء إلى ما أغفلوه . وما من مشروع يصبح قانوناً فى حيدر باد بدون إقراره .

وكان عثمان عميق الحب والوفاء لأمه ، وهو يزور قبرها كل يوم بعد العصر ، فيطلق الشرط صفاراتهم ، ويقف المارة ، ويسود المدينة الصاخبة سكون مفاجىء حين يجتازها عظمته — ذلك الرجل الحزين المستفرد الوَحَد — فى سيارة فورد قديمة .

وفى المساء يطالع كتب الأدب الفارسى ، والقرآن ، وينظم الشعر ، ويكتب مقالا يملأ نهراً من صحيفة . وفى هذه المقالات يتناول موضوعات شتى مدهشة من البرتقال إلى الطلاق ، وقد قصر هذا النهر كله أخيراً على شرح عبارة « شهر العسل » الإنجليزية ، ولا يتلقى أجراً على جهوده الأدبية .

وحيدرباد أوثق الولايات الهندية صلة بالعرش البريطانى ، وقد ظلت على مودتها له منذ ذهب الإنجليز إلى الهند قبل قرنين تقريباً ، وبذلت معونتها فى الحربين الماضية والحاضرة بالسلاح والمال . وتوجد الآن كتيبتان من حيدرباد تعملان فى الخارج ، وثلاثة أسراب جوية فى السلاح الجوى البريطانى ينفق عليها من أموال حيدر باد . وتقوم مصانع حيدرباد بإنتاج ما يطلب منها للحرب ، وتتولى حكومة النظام تدريب الطيارين والميكانيكيين للأعمال الحربية .

وبعد الوفاق الذى لم يعكر صفوه شىء قط بين والى الهند ونظام حيدرباد ، حقيقة سياسية فى المكان الأول من خطر الشأن ، فإن عثمان أكثر من رئيس مدنى لولاية هندية . وقد صارت حيدر باد قبلة تسعين مليوناً من مسلمى الهند يرون فى شخص حاكمها رمزاً لقوة الإسلام ، فهو يمثل فى نظرهم ثقافة الإسلام وتقاليده ، والوارث الشرعى لدولة المغول الكبرى التى كانت تبسط ظلها على رقعة الهند الواسعة ، وشخصه مقدس وقد ذهب مرة ليصلى فى مشهد دلهى الشهير فاحتاج الأمر إلى وضع ثلثمئة من الرجال فى ثياب مدنية بين المصلين ، لمنع الجمهور من التحاشد عليه لفرط لهفتهم على الفوز بالبركة منه شخصيا بلمس جسمه . وكل ما يقوله يستمع إليه ويؤمن عليه المسلمون من ممر خيبر إلى رأس كومورين .

وقد زاد مقام عثمان فى العالم الإسلامى رفعة ومجداً بزواج ولديه من بنت سلطان تركيا السابق وبنت أخيه ، وقد تم الزواج فى سنة ١٩٣١ بمدينة نيس . وكان حادثاً اجتماعيا من الطبقة الأولى ، وقد اغتبط أهل حيدر باد بذلك لأنها كانت أول مرة يتزوج فيها واحد من بيت الحاكم من الخارج — فما خرج « نظام » قبله من بلاده — ولأن العروسين كانتا على جانب عظيم من الجمال والفتنة . واليوم بعد ثلاثة عشر عاماً من الزواج ، صارت الأميرتان مدار جدل حام بين الذين يقولون إنهما خير ما فى حيدر باد ، والذين يقولون إنهما الشىء الوحيد الحسن فى حيدر باد .

أما الزوجان ، ولى العهد وأخوه الأصغر الأمير معظم ، فيعترفان صراحة أنهما مدينان لزوجتيهما بما تعلما . والأميرة دُرّو شهوار كبرى الاثنتين ، ذكية قوية الإرادة ، ومن دعاة التقدم ، وثم من الأسباب ما يبعث على الاعتقاد بأنه ستكون لها يد قوية فى إدارة الأمور حين يخلف زوجها أباه على المقعد الذهبى ، فإن أكثر ما يعنيه الآن هو سباق الخيل . أما بنت عمها الأميرة نيلوفر فمن أجمل النساء ، وهى قوية الأنوثة ، قريبة إلى القلب وظريفة .

وأكبر ما يحزن عثمان أنه هو وإخوانه المسلمون اليوم ، بعد سبعة قرون من الحكم الإسلامى فى الدكن ، لا يزالون غرباء فى بلادهم . وأهل حيدر باد منهم ٨٥ فى المئة من الهندوس ، والمسلمون أقلية لا تتجاوز ١١ ٪ على أنه لا شك أن المسلمين أقلية قوية ، وفى أيديهم كل الوظائف الحكومية العالية ، وهم يملكون كذلك معظم الضياع الكبيرة .

ولست تجد فى العالم أرضاً بقى فيها النظام

الإقطاعى صرفاً غير مشوب ، كما بقى فى حيدر باد ، ولكن إلى أن يؤتى أهل حيدر باد ، وأهل الهند عامة ، الإرادة والقوة للفوز بما هو خير من ذلك ، فإن عثمان يحكم بلاده حكما استبداديا صالحاً . ولم يخفق فى ذلك . وقد قيل إن المعدة الممتلئة هى مقياس الحكم الصالح ، وأهل حيدر باد لا يموتون جوعا ، كما يموت سواهم بالآلاف فى جهات أخرى من الهند .

وإذا كان يبدو مما سلف عليه القول أن عثمان رجل حريص فاتر النفس ، فإن مثل هذا الظن يكون خطأً محضاً . فإن أبعث ما يبعث على الدهشة من أمره أنه « إنسانى » جدا ، ففيه فكاهة ، وهو يضحك من أعماق قلبه لأوهى الأسباب ، ويعرف معظم النكات المتداولة عنه فى العاصمة ، ويضحك منها ملء شدقيه . وقد استظرف على الخصوص نكتة حديثة فى حوار مزعوم بين اثنين من رجال بلاطه .

قال أحدهما : « كان علىّ أن أقدم تقريراً مستعجلا إلى عظمته ، ولكنه كان نائماً ولم أجترئ على إيقاظه » .

فقال الآخر : « لو كنت ضربت قطعة من النقود بأخرى لأيقظه ذلك على الفور » .



العناية تولت الطير

التفت لورد منتو ، حاكم الهند الأسبق ، إلى خادمه الذى تولى رعاية ضيف أمريكى ممتاز ، وقال : هل أصاب ضيفنا الأمريكى الكبير صيداً حسناً ؟

فقال الخادم الهندى : أوه . إن الصاحب الشاب أحكم الرماية أيما إحكام ، ولكن العناية تولت الطير برحمتها !

[مجلة كابر الأسبوعية]

أيهما تختار

مضى أحد الشبان من سكان الجبال فى مصادقة فتاة ، إلى أن استوقفه والدها وقال : مضت سنة تقريباً وأنت تخطب ود نلى ، فما تريد ؟ أشريفة نيتك أم غير شريفة ؟ .

فقال الشاب الدهش : أتعنى أن لى أن أختار ؟

[هارى هيرشفيلد فى مجلة « باريد »]

كينا من صنع البشر ...

لا من لحاء الشجر!

"وفق عالمان شابان – بتشجيع رجل من رجال الصناعة ليست الكينا من مستلزمات صناعته – الى تحضير هذا العقار الذى قد ينقذ حياة الملايين

هارلند منشستر + + + ملخصة عن مجلة "سينس نيوز لبيتر":

منذ ثمان وثمانين سنة أمضى شاب يدعى وليم بركين عطلة عيد الفصح فى معمله فى سطح منزل بلندن ، وهو يحاول تحضير الكينا فى أنبوبة اختبار . وكانت الملاريا يومئذ تجتاح العالم كما تفعل اليوم ، وكانت الكينا المستعملة فى علاجها قليلة الوجود . وقبل أن تشرف عطلته على غايتها اكتشف العالم البالغ من العمر ١٨ عاماً ، أول صبغة من أصباغ القطران ، وكذلك وضع أساس الكيمياء العضوية فى عالم الصناعة ، وأصبح سير وليم بركين ، ولكنه لم يفلح قط فى تحضير الكينا .

وفى عامنا هذا ، قضى الفتيان روبرت ب. ودوارد ووليم ا. دورنج عطلة عيد الفصح فى معمل ، ونجحا أخيراً فيما أخفق فيه بركين وكثيرون سواه من نوابغ العلماء . وقد بدآ بحثهما بمواد كيميائية يمكن استخلاصها من الفحم أو البترول ، ثم تدرجا إلى تقليد تركيب جزىء الكينا المعقد ، وخرجا من المعمعة بقارورة صغيرة ملأى بالعقار الثمين . وليس ما خرجا به بديلا من الكينا ، ولا هو عقار مقارب لها ، ولكنه الكينا ذاتها .

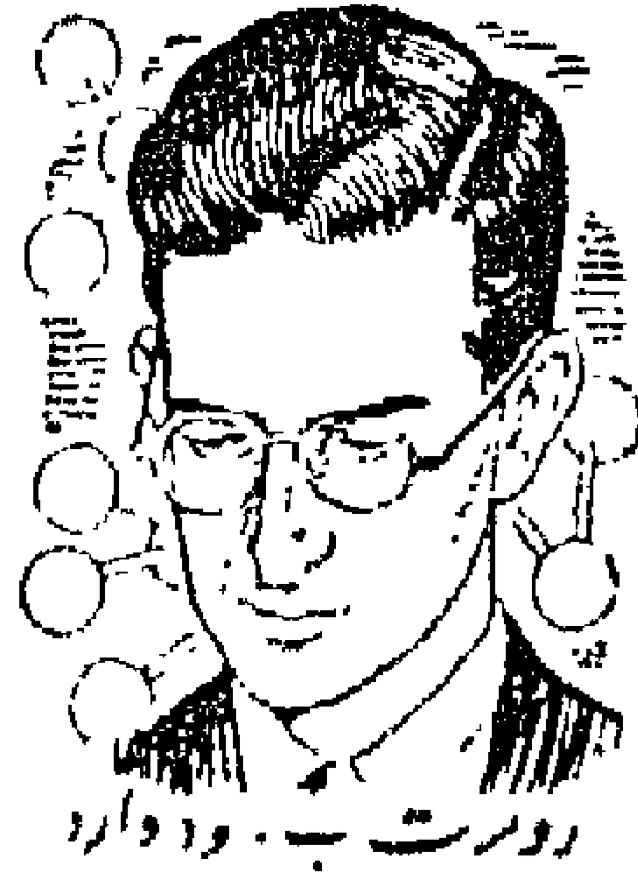
ولم يجىء قط اكتشاف ما فى أوان الحاجة إليه كما جاء هذا الاكتشاف . فقد كانت الملاريا حتى قبل الحرب تقضى على ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ شخص فى كل عام ، وهى اليوم تزداد انتشاراً بازدياد الهجرة فى أثناء الحرب ، حتى ليتوقع خبراء الصحة أن تعود إلى تهديد مناطق خضعت فيها قبل لسيطرة العلم . وتلك حقول السنكونا (الشجرة التى تتخذ الكينا من لحائها) فى جاوة التى كانت تمد العالم بما يكاد يكون كل ما يحتاج إليه من الكينا ، واقعة فى قبضة اليابانيين . وسيستغرق مشروع استنبات السنكونا فى نصف الكرة الغربى أعواماً ، والرأى الغالب أن الأتبرين وسائر أبدال الكينا لا يمكن أن تحل محلها .

كان بركين شابا حين حاول ما حاول ، وجميع المتصلين بهذا الظفر الجديد شبان أيضاً . فودوارد فى السابعة والعشرين ، ودورنج فى السادسة والعشرين ، وأدوين ه . لاند

رجل الصناعة العالم الذى ظاهر المشروع ، فى الخامسة والثلاثين . وتبدأ قصة هذا الكشف فى الواقع منذ عشرة أعوام ، يوم اخترع لاند طريقة لنظم بلورات الكينا واليود حتى يتألف منها لوح متماسك شفاف من العجائن الكيميائية . ولهذه المادة الرخيصة من القدرة على استقطاب الضوء (تقسيمه) ما لبلورات «الكالسيت» الغالية الثمن ، التى كانت تؤدى هذا الغرض من قبل . وألف لاند « شركة المستقطبات » ، وتكشفت ألواحه القادرة على وقاية العين من وهج الضوء ، والمتصفة بخواص بصرية أخرى ، عن منافع شتى ، تتدرج من استعمالها فى النظارات الواقية من الشمس ، إلى الآلات المستعملة فى الأسطول . وسرعان ما أصبح لاند فى أمريكا أحد كبار مستعملى الكينا من غير الأطباء .

وقد أدرك لاند الخطر الذى يهدد وارد الكينا منذ سنة ١٩٣١ يوم غزا اليابانيون منشوريا ، فبدأ يجرب مستقطبات جديدة للضوء ، لا تدخل الكينا فى تركيبها ، وفى النهاية عثر على مادة للاستقطاب تحل محل الكينا ، بل تفوق الألواح المصنوعة من بلوراتها .

وللأبحاث العلمية دور هام ، فى عمل لاند ، ومن أجل ذلك اتفق مع عدد من الكيميائيين من الكليات القريبة ، يستشيرهم حين الحاجة إليهم ، فإذا كان لأحدهم مشروع يبدو مبشراً بالنجاح سمح له لاند أحياناً أن يمضى فيه على حساب الشركة . وقد كان الدكتور ودوارد أحد هؤلاء المستشارين ، وكان له ضلع فى اختراع ذلك المستقطب الخالى من الكينا .


روبرت ب . ودوارد

وحاول ودوارد أن ينصى عن باله فكرة تحضير الكينا المصنوعة فلم يستطع ، وكان يقول للاند : « إنى واثق أن الكينا يمكن تحضيرها ، وأعتقد أنى قادر عليه » .

كان ودوارد نحيلا مرهف الذكاء ، لا يعرف الزهو والخيلاء ، وكان له من مزايا ماضيه العديدة ما جعل لاند يؤمن بما يقول ، وكان له منذ حداثته معمل يعمل فيه . وبعد أن قضى عاماً فى معهد ماساشوسيتس التكنولوجى ، حيث كان يستعين على دفع نفقاته بالقيام ببعض الأعمال ، منح زمالة المعهد ومعملا خاصاً به ، وأتيحت له الحرية التامة فى الدرس والعمل كما يشاء . وبعد ثلاثة أعوام أصبح دكتورا فى الفلسفة وهو فى العشرين ، وذلك ما لم

يسمع به من قبل فى هـذا المعهد . وبعد ذلك زاول بحثاً فى جامعة هارفرد ثم التحق بهيئة أساتذتها .

لم يطلب ودوارد من لاند إلا أمراً واحداً ، وهو أن يشد أزره بيل دورنج أحد أصدقائه فى جامعة هارفرد . ففى المعمل يفكر دورنج على نمط تفكير ودوارد ، ولكن وجه الشبه ينقطع هنا . فدورنج شاب من ولاية تكساس ، شديد التوفز والتوثب ، فكأنه يتمم خلق صاحبه الرصين .

وأخذ الرجلان يعملان معاً منذ أول فبراير سنة ١٩٤٣ ، وكان أمامهما نموذج مكبر من خشب لجزىء الكينا الشديد التعقيد الذى اعتزما أن ينسخاه . وكان هذا النموذج مؤلفاً من اثنتين وخمسين كرة مختلفة الألوان تمثل ذرات الكربون والإيدروجين والنتروجين والأكسجين ، يصل بعضها ببعض عصيات نظمت على نسق غريب . وهذا النموذج الذى يبلغ طوله قدمين هو صورة مكبرة ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ضعف لما يزعمه العلماء من تركيب جزىء الكينا ، اعتماداً على خواصه فى مختلف الاختبارات . فإذا أخرجت واحدة من هذه الكرات الاثنتين والخمسين عن موضعها فالمادة التى أمامك ليست مادة الكينا .

وبدأ ودوارد ودورنج بمادة كيميائية تسمى هيدروكسى — إيزو — كينولين وهى تستمد من الطولون (أساس المادة المتفجرة ت . ن . ت) وغاز الأسيتيلين ، وكلاهما مشتق من الفحم أو البترول . فهذه المادة تتكون من نفس أنواع اللبنات الذرية التى تتكون منها الكينا ، ولكن جزيئها يختلف تماماً عن جزىء الكينا . وكانت غايتهما أن يأخذا ذلك الجزىء فيحتالا على تنسيق الكرات والعصيات فيه حتى تتخذ نظام ترتيبها فى جزىء الكينا .

وانصرمت الشهور فى إنشاء ما كان دورنج يسميه « بالهيكل العظمى للجزىء » على أن يضيف إليه بعد ذلك ما هو ضرورى من الذرات . ونظراً لانشغال ودوارد بعمله فى جامعة هارفرد ، لم يسعه أن يعمل فى هذا البحث إلا لماماً ، ولكن دورنج ، وقد فرغ من قضاء مهمة حربية سرية ، كان فارغاً للعمل ليل نهار .

استهلا التجارب بخمسة أرطال من تلك المادة ذات الاسم الطويل ، فعالجاها خمسة عشر علاجاً معقداً ، فعرّضاها للضغط العالى والحرارة المرتفعة ، ليتمكنا من دسّ ذرات جديدة فيها . وفى أكتوبر عين دورنج فى منصب من مناصب التعلم فى جامعة كولومبيا ، وأصبح على الشريكين أن يتعاونا على البعد بالتلفون . ولكن ما إن أشرفت

عطلة عيد الفصح حتى لحق دورنج بودوارد في كامبردج ، وبدأ كلاهما يجاهد جهاداً لا هوادة فيه .

لقد أدركا أنهما حين يتاح لهما الحصول على «الكينوتوكسين» ذى الآصرة القريبة بالكينا ، فقد أشرفا على الغاية ، لأن لويس باستير استطاع في سنة ١٨٥٣ أن يحوّل الكينا النباتية إلى هذه المادة ، ثم تبعه عالم آخر فأعادها إلى كينا . وفى الهزيع الأخير من ليلة آخر أيام العطلة استحالت المادة التى ظلا يعالجانها أكثر من عام إلى زيت قذر أسمر ، وكان هذا الزيت مزيجاً من نوعين من أنواع الكينوتوكسين تتخلف الكينا عن أحدها . وكان فصل أحد الزيتين عن الآخر عملا دقيقاً ، فأقاما على التمهيد لذلك طويلا ، ثم حاولا هذا الفصل بحامض كان باستير استعمله فى عمل مشابه ، فلم يأت بشىء .



ثم كأن هاتفاً هتف بهما ، فاستعملا حامضاً آخر ، فكانا كمن يحاول تسديد سهم فى الظلام ، فأصابا الهدف ، وأخذ يتكشف أمامهما رويداً رويداً منظر خلاب يتكون من إبر دقيقة صفر متشابكة ، هى بلورات الكينوتوكسين ، جرثومة أول كينا صنعها الإنسان . لقد أصبحت الكينا الآن فى قبضة أيديهما وليس عليهما للحصول عليها إلا أن يسيرا على نهج معروف .

وعلى أن ودوارد ودورنج قد وصلا إلى اكتشاف كيميائى على أعظم درجة من خطر الشأن ، فإنهما سارعا إلى التصريح بأنه إذا أريدت الكينا التى ابتكراها على نطاق واسع للاستعمال الطبى ، فإن العمل لم يزل فى بادئه .

وذلك أن الجرعة الواحدة من هذه الكينا قد تتكلف آلافاً من الدولارات إن هى صنعت على طريقتهما فى تحضيرها فى المعمل . فالخطوة التالية إذن أن تراض الطرق العملية ذات النفقات الباهظة على مماشاة مقتضيات الإنتاج التجارى الواسع النطاق ، وهذا من عمل المهندسين الكيميائين .

وقد أنتج ودوارد ودورنج خلال تجاربهما مادة الكينيدين كذلك ، وهى عقار هام فى علاج بعض أمراض القلب ، وقد كان من الندرة بحيث لم يكن لدى القوات المسلحة نفسها منه إلا قليل ، ولم يكن يوزع على المدنيين إلا بمقدار ، وإلا إذا كان الأمر أمر موت أو حياة . ويستخرج الكينيدين اليوم من الكينا النباتية بطريقة بطيئة باهظة التكاليف ، فإذا وفقا اكتشاف

ودوارد ودورنج إلى مسايرة الإنتـاج التجارى، فإن الكينيدين المحضر قد يصبح له من النفع العاجل ما للكينا نفسها .

ومنذ اكتشاف الكينا المحضرة ، لجت الهيئات الحكومية الأمريكية ، وشركات صناعة العقاقير فى تقصيها ، وإعداد الخطط لصنعها . على أن طريقة تحضيره ملك «لشركة المستقطبات» ، ولكن رئيسها لاند وجميع المتصلين بهذا الاكتشاف ، قد عقـدوا العزم على أن يكون استعمالها فى سبيل المصلحة العامة ، فقد تلقى العالم درساً قاسـياً من السماح لهولاندا باحتكار الكينا والسيطرة على إنتاجها وأسعارها ، وهى عقار يحتاج إليه مئات الملايين من الناس حاجة ملحة. ويقترح لاند أن يرخص لمنشآت صناعة العقاقير التى تقررها الحكومة ترخيصاً مؤقتاً بصنعها ، على أن يستغل الدخل الناتج من هذا الترخيص فى تشجيع الاستمرار فى مثل هذه الأبحاث.



النظر مباح ، الضحك ممنوع

ما كين جزيرة مرجانية فى المحيط الهادى نزلت فيها القوات الأمريكية ، وفى أحد الأيام أقبل ملكها الطيب السمين ، على الكولونيل الأمريكى ليبلغه شكواه ، وكان أحد التراجمة واسطة الحديث ، فقال : هل يعلم الكولونيل أن فتيات ما كين يغتسلن عراة فى البحيرة ؟ فقال الكولونيل إنه يعـلم . فقال : هل يعلم الكولونيل أن الجنود الأمريكيين يتجمعون حول البحيرة فيحرجون الفتيات بمزاحهم وضحكهم ؟ ففكر الكولونيل قليلا ثم اقترح أن يقام سياج عال حول البحـيرة ويغطى بقماش الخيام ، فتحجب الفتيات عن الأنظار .

فتدفق الملك فى قوله ، وترجم الترجمان ما قال : يقول الملك إن الكولونيل أساء فهمه . يقول الملك إن النظر مستحسن ولكن الضحك مستهجن ، فكل ما يريده هو أن يمتنع الجنود عن الضحك .

وصدر الأمر إلى جميع الأمريكيين فى ما كين . وأصبحت ساعة الاستحمام فى البحيرة تميزها الآن ثلاثة أشياء : بوليس حربى متجهم يحرس الشاطئ ، وجنود أمريكيون يحدقون كالأصنام ، وغوان سمر ينعمن بماء البحيرة .

[روبرت ترنبول فى مجلة « تايم »]

الغارة على سان نازير



لماذا لم تستطع البارجة « تربتز » قط
أن تمثل بالبواخر الحليفة فى المحيط الأطلسى

الملازم س. و. تشانت وفردريك سوندرز
ملخصة عن صحيفة "ستردای نایت"

لم يكن فى منظرنا ما يريب حين بلغ أسطولنا الصغير مصب نهر لوار فى ضوء القمر الوضاح ، إذ استطاعت السفينة القديمة الخالية من كل صفة مميزة ، وهى فى طليعة القافلة ، أن تخدع حراس الشاطئ الألمان ، فلم يدركوا إلا بعد فوات الفرصة أنها سفينة بريطانية لسد الموانى ، ترافقها قوارب بحارية وزوارق طربيد محملة بالجنود الفدائيين . ولم تنقض بضع ساعات ، نشب خلالها قتال مستعر دام ، حتى كان كل إنجليزى وطئت قدمه الشاطئ قد قتل أو أسر . ولكن حوض السفن فى سان نازير — أمنع معاقل النازى البحرية على الساحل الأطلسى وأقواها حراسة — كان قد أصيب

الملازم تشانت من آلاى « جوردن هايلندرز » أحد الفدائيين القلائل الذين عادوا إلى انجلترا من الغارة العظيمة على سان نازير فى سنة ١٩٤٢ بعد أن ظل أسيراً فى أيدى الألمان ثمانية عشر شهراً .

بتلف كاف لتحويل مجرى معركة المحيط الأطلسى .

كان فبراير ١٩٤٢ شهراً أسود على إمارة البحر البريطانية ، فإن فصائل الغواصات استطاعت أن تزيد فى إصاباتها إلى رقم هائل ، وكان أسطول البحر الأبيض المتوسط فى حاجة ماسة إلى التعزيز ، وثالثة الأثافى أن البارجة تربتز كانت تتأهب لمغادرة قاعدتها فى النرويج لتغير فى مسارب المحيط الأطلسى . وكان وجود هذه السفينة ، ولها من قوة النار ما يفوق كثيراً سفن حراسة القوافل البحرية ، خليقاً أن يبعث الاضطراب فى نظام القوافل كله ، ويضطر إمارة البحر إلى مطاردتها بالبوارج الكبيرة التى تمس إليها الحاجة فى أماكن أخرى . فلم يكن ثمة سوى طريق واحد لصد البارجة تربتز .

فى سان نازير ، دار الصنعة الفرنسية الكبيرة ، يوجد الحوض الجاف الوحيد الذى يتسع لتربتز على ساحل أوربا الأطلسى ، فإذا

تيسر تدميره لم تجد البارجة الألمانية قاعدة لإصلاحها أقرب إلى منطقة عملها من موانئ الريخ فى بحر الشمال — وبينها وبين تلك الموانئ أسطول الجزائر البريطانية ، وحقول الألغام فى بحرى الشمال والمانش ، وسلاح الطيران البريطانى . ولن يقدم أمراء البحر فى برلين على المجازفة بآخر بوارجهم الكبرى وتعريضها لكل هذه المخاطر .

فكانت سان نازير مفتاح مشكلتنا ، وقد حاول سلاح الطيران البريطانى أن يدكها دكا فلم ينجح ، وأصبحت المهمة موكولة إلى الأسطول والفدائيين .

وقد قضينا أسابيع نتدرب تدرباً خاصا لهذه المهمة ، ودرسنا الصور الجوية ونماذج دقيقة لأحواض سان نازير حتى استظهرنا أهدافنا استظهاراً . فكان علينا أن ننسف بوابات الحوض الجاف ، ومحطة المضخات ، وما جاورها من منشآت الحوض ، وأن ندمر أكبر عدد من حظائر الغواصات . وظللنا نتمرن بقذائف التدمير حتى صرنا نستطيع أن ندسها بأعين معصوبة ، وحذقنا قتال الشوارع حتى أصبحت أحدث الحركات متأصلة فى طبيعتنا ، فلم يكن بد من الإتقان ، وكنا ندرك ذلك .

حتى إذا كان صباح صافٍ من شهر مارس بدأنا رحلتنا ، مزودين ببنادق « برن » و« تومى » ، ومسدسات « كولت » الأوتوماتيكية ، وبالمدى ، وقنابل اليد ، وقذائف التدمير . وقد تزود كل منا بالمعدات التى تلزمه لأغراضه ، لأن مهمة كل منا كانت خاصة به .

وكان من دواعى الارتياح أن تبدأ الرحلة ، وإن يكن كل منا ، على ما أعتقد ، كان يدرك أن احتمال العودة لرؤية الأرض التى خلفناها وراءنا ، احتمال يسير .

وكانت الوحدة التى أنتسب إليها على ظهر سفينة سدّ الموانى ، وهى المدمرة الأمريكية القديمة « بوكانان » ، وقد سميت باسم جديد هو « كامبلتاون » ، وكان عليها أن تنطح بمقدمها بوابات الحوض وتغرق نفسها هناك ، على أن تنفجر الأطنان الخمسة التى تحملها من المفرقعات بواسطة فتيل يؤخر انفجارها إلى أن يهبط رجالها الشاطئ . وعهد إلى مدمرتين من حارسات القوافل بحمايتنا فى سان نازير من أى تدخل يأتى من المؤخرة ، وتولى نقل الفريق الأكبر من الفدائيين قارب بخارى من قوارب المدفعية ، وزورق طربيد ، و ١٦ من القوارب البخارية . وكان عليها كذلك أن تعود بنا .

وكأنما كان عبور البحر أمراً لا ينتهي ، إذ بقينا ٣٣ ساعة نسير فى طريق متعرجة ملتوية ، لكى نتفادى أى مستطلع ألمانى

يمكن أن يلمحنا . ثم وجدنا أنفسنا على حين غرة أمام مصب اللوار ، وكانت الأميال الستة الأخيرة طويلة جدا .

ولكى نجتنب القناة الرئيسية وما فيها من سفن الحراسة ، دخلنا النهر بعد عبور حاجز رملى . وقد خفف حمل السفينة « كامبلتاون » لتجوز الحاجز ، وليس بينه وبين قعرها إلا ست بوصات ، ولكنها كانت مهمة دقيقة فى الظلام . فلما مست الرمل وأحسسنا بهزة خفيفة حبسنا أنفاسنا بحكم الغريزة ، فشعرنا بأن حبس الأنفاس يخفف حمل السفينة ، وقد حدث ذلك مرتين . وتسللنا فى هدوء لنعود فنمسك أنفاسنا ، إذ رأينا سفينة ألمانية للحراسة عامدة إلى سفينتنا ، ولكن لم يتحرك أحد . وسمعنا فوق رؤوسنا صوتاً رحبنا به — هو هدير طائرات سلاح الطيران البريطانى التى ندبت لضرب سان نازير قبيل وصولنا ، فتشغل بذلك بطاريات الأنوار الكاشفة . وأخيراً شاهدنا أمامنا الحوض الجاف على مسافة ميلين فى ضوء القمر .

واتخذت جماعات الهجوم والتدمير والدفاع أماكنها على ظهور السفن ، وأنزلت أعلام الصليب المعقوف التى كانت رفعت للخديعة ورفعت مكانها أعلامنا ، واستلقينا على ظهر السفينة « كامبلتاون » جاعلين أقدامنا إلى أمام لنحمى رؤوسنا من أثر الصدمة حين نقتحم البوابات . وكنت مستلقياً فى مؤخرة السفينة وراء المدخنة حيث استطعت أن أشاهد البحارة على مصاطب المدافع يتأهبون للقتال ، وكانت المدافع مسددة إلى السماء للإيهام بأنها سفينة ألمانية تستعد لإطلاق النار على قاذفات القنابل المحلقة فوق رؤوسنا ، ولكن كانت هذه آخر حيلة يمكن أن تجوز .

ذلك أن نوراً كشافاً على الساحل وقع علينا ، وراح شعاعه يزحف زحفاً رهيباً بوصة بعد بوصة ، متسلقاً الصارى حتى اكتشف علمنا . ولم تنقض لحظة حتى جدّ الجد ، وانقضت علينا طائفة من الأنوار الكاشفة الكبيرة ، وفتحت المدافع الألمانية من كل طراز أفواهها هادرة مدوية ، وانطلقت القذائف إلى برج القيادة ، وحصد رصاص المدافع الرشاشة ظهر السفينة حصداً فى أنين متقطع ، وأصيب الرجال فى كل ناحية ، وأحسست أن شيئاً لطمنى ، ولكنى لم أتبينه لفرط انفعالى . . وكانت السفينة العتيقة « كامبلتاون » تهتز من تحتنا بآخر فيض من القوة ، ثم طاحت بمقدمها فى الهواء صدمة مدوية حين ارتطمت بباب الحوض مندفعة بسرعة ١٨ عقدة .

ولما استجمعنا شتات أنفسنا تبينت أن

شظايا القنابل أصابت ذراعى وساقى اليمنى ، وأن ثلاثة أرباع رفاقى جرحوا . وكان ذلك شراً يهدد عملنا بالإبطاء ، ولكن معظمنا استطاع أن يهبط السلالم إلى قمة البوابة المصابة ، على حين صب النازيون نارهم الحامية علينا تحت ضوء القمر المتلألئ .

وكانت مهمتى فى محطة مضخات الحوض الجاف — وهى بناء ضخم متين على سطحه مدافع قوية . وكان من حسن حظى وحظ رجالى الأربعة أن فصيلة الهجوم كانت قد فاجأت جنود المدفعية بالهجوم ، وكانت تحطم المدافع حين وصلنا . ومرت بنا لحظات عصيبة حين وجدنا باب المحطة الصلب الضخم موصداً ولا بد من نسفه ، فإن ذلك لفت إلينا أنظار كل نازى فى المنطقة .

ولم يطل ارتياحنا لوصولنا إلى غرفة المضخات على عمق ٤٠ قدماً ، فلم نكد ندس قنابل التدمير فى المضخات حتى بدأت فصيلة الهجوم على السطح تنسف المدافع الألمانية ، فخيل إلينا أن السطح لا شك منهدم على رؤوسنا . ونظراً لما بنا من جراح ، كان تساق السلالم الناعمة الملمس للخروج من غرفة المضخات بطيئاً بطئاً يثير الأعصاب . وكان فتيل القنابل التى وضعناها قصيراً ، فلم نكد نفرغ من التسلق ونهرول خارج المبنى ونستلقى على الأرض ، حتى بدأت السماء تمطر كتلا من الأبرق الأصم .

كانت جهنم ، خلال ذلك ، قد فتحت أبوابها فى سان نازير ، وراحت تتجاوب من كل ناحيـــة أصداء قذائف التـدمير المتفجرة ، وتوهجت حلقة من النيران المندلعة حيث أنجزت فصائل إشعال النار ما عليها . وكانت جماعتان أخريان من السفينة « كامبلتاون » قد حطمتا جهاز الدوران الذى يحرك البوابات التى صدمناها ، ونسفت فصيلتان أخريان تلك البوابات من الطرف الآخر للحوض الجاف . وتوجه الملازم ميكى وين بزورق الطربيد إلى حظائر الغواصات ، وأطلق على بوابات الحوض هنالك طربيدين بطيئى الإنفجار . فكاد التوقيت يكون تام الإحكام ، فقد كان مقرراً أن تصيب « كامبلتاون » هدفها فى الساعة ٣٠ : ١ فأصابته فى الساعة ٣٤ : ١ . وسارت بقية الخطة دقيقة كالساعة .

ولم يكن من اليسير أن نصل إلى مكان اللقاء للعودة ، فإن الألمان ، فى اضطرابهم ، راحوا يطلقون النار جزافاً على كل شىء يتحرك . وكان علينا أن نعبر جسراً حديديا يحميه مدفع رشاش فى بناء مجاور ، فأدركت أنه سيحصدنا حصداً إذا ظهرنا ، وطلبت من الجنود أن يعبروا تحت سقف الجسر متعلقين بقضبانه قبضة بعد قبضة . وكان علىَّ

أن أعبر متعلقاً بمعصمى لأن الشظايا قد مزقت يدى ، وكان فى ذلك عناء شديد . ولكنا وصلنا آخر الأمر إلى المستودعات القائمة عند الرصيف القديم ، فلم يبق الآن سوى الزورق — ثم إلى الوطن .

وهنا وقعت الضربة الأليمة ، إذ قال الكولونيل نيومان قائد فصيلتنا : « آسف ، فهذا هو المكان الذى ينبغي أن نسير منه إلى الوطن ، لأن الزوارق كلها قد نسفت أو أرغمت على الخروج إلى البحر » .

فنظر كل منا إلى الآخر نظرة المشدوه ، وقد كنا نحواً من سبعين رجلا — وهم كل من بقى من الفصيلة . ثم بحثنا فى هدوء غريب رزين احتمال العودة إلى المدينة ، والخروج منها إلى الريف ، والهرب إلى إسبانيا على مسافة ٣٠٠ ميل ، فرأى الكولونيل أن نجرّب .

ومضينا نقاتل فى طريق متلو خلال المدينه. وقتال الشوارع كريه مرير ، فإنك لا يمكن أن تدرى ماذا يصيبك وأنت تنتقل من عتبة دار إلى عمود مصباح لتحتمى من القذائف المدوية الموجهة إليك من النوافذ والأركان. وكان التفاؤل قد أخذ يسرى إلىّ ، حين شعرت بصدمة فى ركبتى، إذ أصابتنى رصاصة طائشة ، وكتب علىّ أن أعجز عن السير ، فأعطيت ما بقى من ذخيرتى للآخرين ، واستلقيت على أرض مخزن قديم . وسرعان ما لحق بى جندى جريح من فصيلة الهجوم ، ولم ينقض علينا عشرون دقيقة حتى رأينا ثلاثة من جنود العاصفة الألمان مقبلين نحونا وقد بدت عليهم علائم الاضطراب ، فلم أرتح لطريقتهم فى تسديد المسدسات الرشاشة إلينا. ومن دواعى الرهبة على كل حال أن ترى عدوّك وجهاً لوجه ، بمثل هذا القرب للمرة الأولى .

صاح أحدهم : « خروجاً ! خروجاً ! » فوقف الجندى رافعاً يديه . وإذا بالنازيين الثلاثة من مسافة ياردة يضغطون زناد بنادقهم دفعة واحدة، فشطروه شطرين . ثم استداروا إلىّ ، ومن حسن حظي أننى لم أكن أقوى على الحركة ، فقال أحدهم شيئاً يفيد أننى جريح . وبعد لحظة من التردد جرونى إلى قهوة مجاورة ، وتركونى مع بضعة نفر آخرين من جرحى الفدائيين ، تحت الحراسة .

كنا جميعاً نفكر فى شيء واحد ، إذ كنا نعلم أن الأطنان الخمسة من شحنة المفرقعات التى تحملها « كامبلتاون » أعدت لتنفجر فى الصباح، وكانت تبعد عنا مئتى ياردة لا تزيد. ولم نشأ أن نوجه أنظار الألمان إليها ، بطلب نقلنا من هذا المكان ، فكانت فترة مروّعة تلك التى قضيناها حتى نقلنا إلى محطة تضميد

أعدت على عجل فى مكان آخر من المدينة .
ولما انفجر مقـدم كامبلتاون وقع من الضرر فوق ما كنا نتوقع ، فقـد كان على ظهرها جماعة تفتيش مؤلفة من نحو أربعين ضابطاً كبيراً — بينهم قائد المنطقـة — يبحثون عن وسيلة لإبعادها ، ووقف من حولهم نحو ٤٠٠ ضابط وجنـدى آخرين كأنهم أصنام ، فنسفوا جميعاً وتطايروا إرْباً إرْباً . وكان عمـال الإنقاذ بعد مضى يومين لايزالون يجمعون الأشـلاء الآدمية المتناثرة فى الحوض .

ولكن لم تكن هـذه هى الخاتمة ، بل حدث فى ساعة متأخرة بعد ظهر اليوم التالى أن انفجرت الطرابيد البطيئة التى كان الملازم وين قد أطلقها على أبواب حظيرة الغواصات ، فكان ذلك إيذاناً بانطلاق الفوضى الصاخبة من عقالها ، إذ أن الحراس الألمان راحوا يطلقون النار بلا تمييز على العمال الفرنسيين الذين كانوا يحاولون الخروج من المنطقة ، وعلى عمال منشآت «تود» الألمانية أنفسهم ، لأن ملابسهم « الكاكى » جعلتهم يبـدون كالفدائيين البريطانيين . ولما أرخى الليـل سـدوله ازدادت الفوضى وعم الذعر .

وراح الجنود الألمان يطلقون الرصاص بعضهم على بعض ، فكلفهم ذلك نحواً من ثلاثمئة أو أربعمئة رجل آخرين .

وأسـفر النهار فتبينا مدى الضرر الذى صنعناه . نعم ، إننا وقعنا فى الأسر وأحسسنا بالشقاء ، ولكن الحوض الجاف سوف يظل معطلا أشهراً كثيرة . وحين أخذت صورته الشمسية من الجوّ بعـد عام أو نحوه كان لم يزل معطلا .

وفى محطة التضميد أقبلت ألوان شتى من الضباط وموظفى الحزب والمصورين ، يريد كل منهم أن يرانا ، ويلقى علينا سيلا من الأسئلة ، وقد سألنى ضابط ألمانى :

« تبًّا لكم كيف استطعتم أن تصلوا وتدخلوا سان نازير ؟ » فأجبته : « أوه ! لقد وصلنا والسلام ! » . فقال وهو يتنهد من أعماق قلبـه : « إننـا لفى حيرة كيف استطعتم ذلك . . »

وكان مما يعزينا خلال الأيام السـود التالية فى المستشفى والمعتقل ، ان نتـذكر منظر وجهه !



● السياسة هى فن الظفر بالمال من الأغنياء ، والتأييد من الفقراء ، بحجة حماية أحدهما من الآخر .

[أوسكار أميرنجر فى مجلة « ذى فورم »]

من الذي قاده + قصة حقيقية

احمد عبد الله + + ملخصة عن مجلة " نيوز ويك

في أوائل المساء اتصلت الممرضة تلفونيا بالكولونيل رتجرز بيكمان — ويكاد هذا يكون اسمه الحقيقي — وأبلغته أن ابنه قد أبل إبلالا حسناً، وستجرى له جراحة في الحال .

كان الأب والابن فى إنجلترا ، الأول فى هيئة أركان حرب الجنرال أيزنهاور ، وأما الشاب ، وهو ضابط بالبحرية ، فقد نقلته طائرة أثناء النهار إلى المستشفى مصاباً بجرح بليغ .

ولما طلب الكولونيل أن يسمح له برؤية ابنه قيل له إن هذا طلب لا يمكن تحقيقه ، بل لن يسمح له حتى بالدخول فى المستشفى ، لأن زيارته تهيج ابنه .

فقال الكولونيل : « ولكن لا داعى لإخباره » .

فأجابته الممرضة : « إنه سيشعر بقربك . وسندعوك بعد إجراء الجراحة مباشرة » .

وهكذا ظل الكولونيل بيكمان منتظراً فى مسكنه الصغير وهو يروح ويغدو من غرفة إلى أخرى ، ثم دق جرس التلفون أخيراً . لقد انتهت الجراحة ، فهل يتفضل الكولونيل بالحضور ؟

أسرع يهبط الدرج ، فلما وصل إلى الطريق وجد أن جو لندن قد تغشاه ضباب ثقيل أغبر ، لا بأس! فالمستشفى قريب وليس بينه وبينه إلا بضعة منازل ، غير أنه ضل طريقه بين هذه المنازل القليلة . وطمس الضباب ، الذى زاده إطفاء الأنوار ظلمة ، معالم الطرق والمنازل ، وأخفى الأفراد القلائل الذين لا يكاد يراهم بل يسمع ركزهم وهم يتحسسون الطريق بأيديهم وأرجلهم .

فصاح من جوف الظلام : « أنا ضابط أمريكى وابنى فى مستشفى سان جريجورى .. ألا مَنْ . . . ؟ »

فامتدت إليه يد وأمسكت بساعده وبلغ أذنه صوت يقول : « هيا بنا ياسيدى » .

ومشى به الرجل الغريب شمالا ثم يميناً ثم شمالا حول ركن من الأركان ، فلاح له مبنى ضخم خلال الظلام ، ثم بلغ الصوت أذنه قائلا : « ها هو المستشفى ياسيدى »

فشكر الكولونيل بيكمان لهذا الرجل الكريم فعله . وما كاديهم بصعود الدرج القائم أمام باب المستشفى حتى صاح قائلا : « ولكن ألا تخبرنى كيف اهتديت إلى الطريق ؟ »

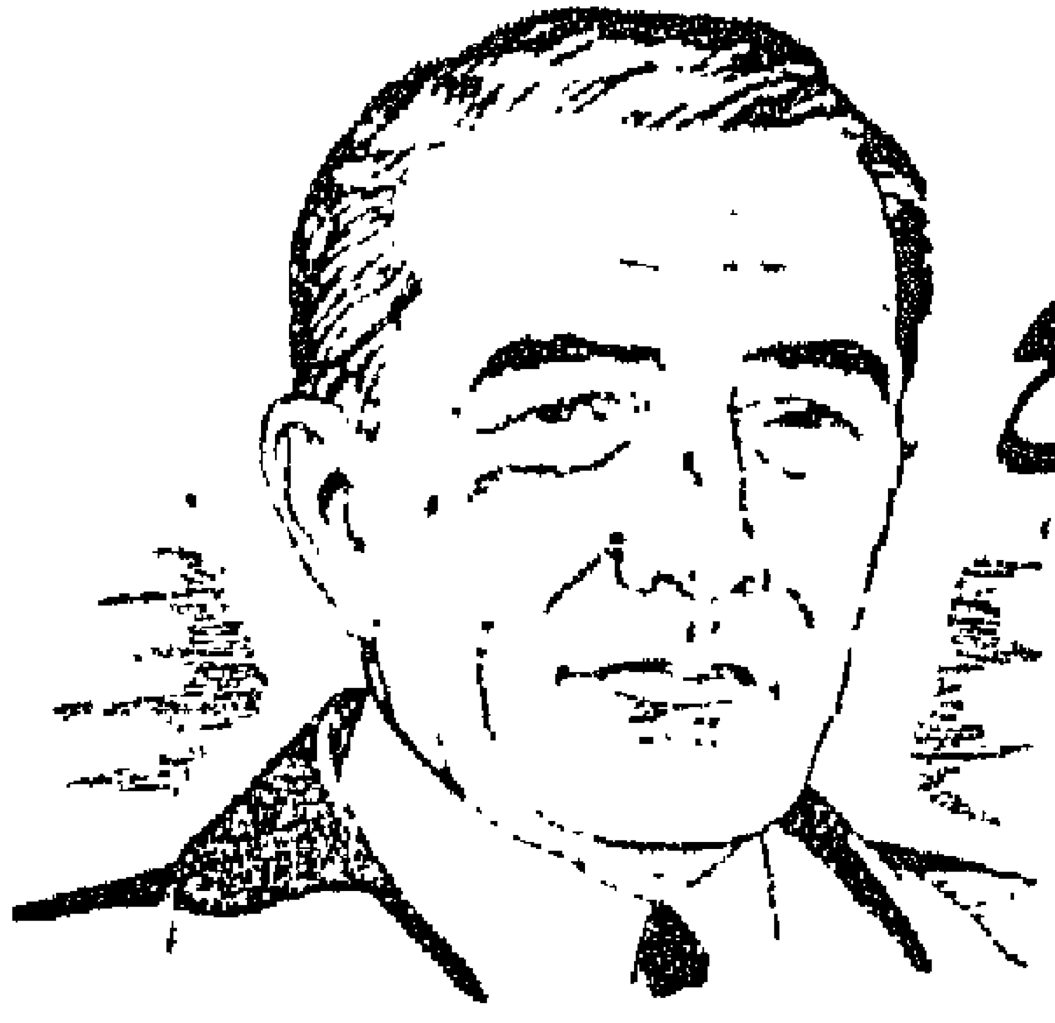
فكان الجواب : « شيء هين ! فأنا أعمى وقد أصيبت عيناى فى معركة دنكرك ياسيدى »

وسار الغريب وهو يتحسس الطريق بقدميه

أدهش هذا الرجل الناس طوال حياته بانتفاعه بالتجارب الجديدة

جين ماكدونالد الذي لا يُكبح

ولیام ف . ماكدرموت — ملخصة عن مجلة «فوربز»



يحب أوجين ماكدونالد أن يجلس متكئاً في مكتبه الواسع في شيكاغو ويسخر من القاعدة المتبعة التي تقول : إن السبيل إلى النجاح هو أن يكدح الإنسان في عمل واحد . فقد كان ماكدونالد مستكشفاً ، وصنو لهو ومغامرة ، وقد أنشأ عملا بعد آخر، وجاب الجزر الاستوائية باحثاً عن الكنوز الدفينة ، وأضاف إلى علم الراديو مخترعات كثيرة عظيمة .

ومما يدل على مغامرته أنه قاد سيارته مرة وهو ذاهل ، فسقطت به من جبل « لوكاوت » . ويدل على خلقه أيضاً أنه انتفع بما حدث له ، فقد أصيب من جراء ذلك بصمم في إحدى أذنيه ، فحمله هذا الصمم على أن يهتم بالأجهزة التي تمكن الصم من سماع الأصوات . ولقد أتقن من عهد قريب صنع أحد هذه الأجهزة وعرضه في السوق بسعر أثار الدهش برخصه .

عاش مكدونالد يتلقى التجارب الجديدة وينتفع بها ٥٤ سنة ملؤها المرح والعمل ، فكان أول عمل قام به عمل ميكانيكي في مصنع فرانكلين للسيارات في مدينة بولاية نيويورك . تقاضى عليه ستة دولارات في الأسبوع ، ثم ارتقى سريعاً إلى منصب مدير للبيع . وكانت السيارات في ذلك الوقت تباع بالنقد فقط ، فبدا هذا لماكدونالد وضعاً مختلا ، ولذلك ترك عمله في سنة ١٩١٠ وأنشأ أول شركة لتمويل بيع السيارات بالنسيئة ، فازدهر عمله وأصاب منه الغنى .

وعقب الحرب العالمية الأولى بقليل — وكان في أثنائها في قسم المخابرات البحرية — كان يتجول يوماً في «جاراج» فوجد الميكانيكيين حول آلة راديو يستمعون لإحدى الإذاعات الأولى ، فبدأ جين لفوره يفكر في المنافع التجارية لذلك المخترع الجديد . ولقد وجد شابين حوّلا مطبخهما إلى معمل فيصنعان آلة استقبال لاسلكية كل يوم ، كما يديران محطة إذاعة للهواة ذات موجة قصيرة . فاشترك ماكدونالد مع هذين الشابين ببعض المال ، وأسس الثلاثة شركة أصبح رأس مالها اليوم ثلاثة وثلاثين مليوناً من الدولارات ، وهي تستخدم خمسة آلاف عامل ، يعملون جميعاً لأغراض الحرب الآن ، فهي من أكبر الشركات

التي تصنع أجهزة الراديو فى العالم . وقد كان لها قبل الحرب عشرون ألف معامل فى ٩٧ قطراً .

وما كدونالد أشد فخراً بما نفعت به الشركة صناعة الراديو منه بنجاحها المالى ، فهو ورجاله يزعمون أنهم سبقوا سواهم إلى مبتكرات كثيرة فى الراديو فهم : أول من صنع من المعدن هيكلا كاملا لجهاز راديو ، وأول من صنع على وجه تجارى جهازاً متنقلا ، وجهازاً منزليًّا للاستقبال على الموجة القصيرة ، وجهازاً يعمل على قطار متحرك ، وطريقة آلية لضبط الموجة بالضغط على زرّ .

وقد كان استخدام الموجة القصيرة من أهم ما يعنى به ما كدونالد دائماً ، فقد اعتزم منذ سنة ١٩٢٥ أن يقنع رجال البحرية باستعمال الموجة القصيرة للمخاطبات البعيدة المدى ، ولكن الضباط الكبار لم يحفلوا به . وفى ذلك العام تولى ما كدونالد — المستكشف والبحار الهاوى الممتاز — قيادة الباخرة « بيرى » التى كانت تقصد إلى البحار المتجمدة الشمالية ، مقلة بعثة ما كميلان الموفدة من الجمعية الجغرافية الأهلية للبحث فى الأصقاع القطبية .

وأرست الباخرة « بيرى » فى ميناء « جودهافن » بجزيرة « ديسكو » ، إحدى الممتلكات الدنماركية ، لتتزود من الوقود ، ولكن الموظف المسؤول اعتذر قائلا : « لا بد من إذن الوزير الدنماركى بوشنطون ». فقال ما كدونالد : «سأحصل عليه ». ثم اتصل بسرعة عن طريق جهازه ذى الموجة القصيرة بأحد هواة راديو الموجة القصيرة فى وشنطون ، وطلب إليه أن يهرع إلى مقر الوزير الدنماركى ليحصل على موافقته على تزويد الباخرة بالفحم ، فجاءت الموافقة فى خلال ساعة ، فقال الدنماركيون : « إن ذلك من المعجزات » .

وأبحر ما كدونالد إلى « إيتاه » فى شمال « جرينلند » ليؤسس مقرا شتويا لقيادة البعثة ، فكان فى طريقه يوزع مجاناً أجهزة راديو على الموظفين والمرسلين الذين قابلهم . وفى إيتاه أتمّ تنفيذ خطة كان قد وضعها قبل أن تغادر البعثة الولايات المتحدة بشهور .

كان قد أقنع الأميرال « ريدلى ما كلين » مدير المخاطبات البحرية ، أن يرقى « فرد شنيل » ، وهو شاب من هواة الراديو ، إلى درجة ضابط ، وأن يلحقه بالسفينة الحربية « سيتل » ، وهى سفينة القيادة فى أسطول المحيط الهادى . وكان الأسطول يمخر عباب المحيط الهادى الجنوبى ، وكان من المنتظر أن يصل إلى أقصى نقطة جنوبية فى سياحته عندما يصل ما كدونالد إلى بلدة إيتاه .

وفى إيتاه قام جين بعرض رائع ليدل على قيمة الموجة القصيرة ، فقد اتصل بشنيل على ظهر السفينة « سيتل » ، وهى على مسافة ١٢٫٠٠٠ ميل وطلب شنيل إلى الأميرال « كونتز » أن يستمع . وعند ذاك أومأ ماكدونالد إلى رجال فرقته ، فانطلق ستة من الإسكيمو يغنون أغانى الإسكيمو ، والأميرال لا يكاد يصدق ما يسمع بأذنيه . وهكذا أرسل الصوت الإنسانى فطاف حول نصف كرة الأرض ، فاقتنع رجال الأسطول .

وأسفرت رحلة ماكدونالد إلى المناطق المتجمدة الشمالية عن نتائج أخرى ، فحين عاد إلى شيكاجو أخذ يتسلم من أهل جرينلند ، الذين أهدى إليهم أجهزة الراديو ، رسائل يسألونه فيها أن يبعث إليهم بطائفة أخرى من البطاريات ، أو أن يدلهم على وسيلة لتوليد القوة المحركة لآلاتهم . فأخذ مكدونالد يفكر فيما عسى أن يكون هناك من احتمالات لتوليد القوة المحركة مستعيناً برياح المناطق الشمالية الشديدة .

وسمع عن شابين من المزارعين فى ولاية « أيوا » كانا يضعان جهازاً يمكن طاحونة هواء صغيرة من أن تدير مولداً كهربائياً قديماً من صنع « فورد » ، فتمتلىء البطاريات الفارغة . وذهب ماكدونالد إلى أيوا ليقابلهما ، فاشترى ٥١ فى المئة من رأس مالهما ، وأوصى على ٥٠٫٠٠٠ جهاز لشحن البطاريات بطواحين الهواء ، وخفض سعر البيع بالتجزئة من ٤٠ دولاراً إلى ١٥ . وتستخدم هذه الشركة الآن ١٦٠٠ عامل ، وقد أمدت الفلاحين والحطابين ورجال الحدود بأكثر من نصف مليون من هذه الآلات — كما أمدت بها منذ عهد قريب المواقع العسكرية فى المناطق النائية لجزائر ألوشيان . ولا يزال الشابان من ولاية أيوا يعملان مع ماكدونالد .

خلال السنوات التى ظل ماكدونالد فيها يوسع عملا جديداً بعد آخر ، كان مسكنه الوحيد يخته « ميزباه » ، وقيمته مليون من الدولارات . وكان هذا اليخت من مشاهد شيكاجو البارزة ، حين كان يرسو عند جسر شارع مشيجن فى الفترات الفاصلة بين رحلاته . وكان ماكدونالد فى حله وترحاله فى البحار دائم الاتصال بمكتبه عن طريق الموجة القصيرة ، وكان وقته يتسع دائماً لإقامة الحفلات الفخمة التى اشتهر بها .

ويشتد ماكدونالد فى تقريع نفسه عندما يتذكر أنه استعمل مرة مبدأ « رادار » يوم كان يبحث عن ذهب القرصان ، وأنه لم يفطن إلى خطره العظيم ، فقد ذهب يبحث عن كنز فى جزيرة « كوكوس »

فى المحيط الهادى ، والتى تبعد مسافة ٨٥٠ ميلا عن بناما ، وكان قد حصل من قسيس فى نيوفوندلند على رسوم ورثها عن أسلافه جوّابى البحار ، وكانت تخالجه ثقة الأغرار بأنه سيظفر بتعيين مكان الذهب .

وبينما كان فى طريقه إلى الجنوب أخذ يجرب مع كبير مهندسيه وسيلة لاستكشاف مكان المعدن ، فوجدا أنهما يستطيعان أن يكشفا مواقع السفن خلال الضباب والظلام وأن يعينا اتجاهها . وقبل أن يفطنا إلى شأن ما وقعا عليه ، وصلا إلى المياه الاستوائية حيث أشبعت الرطوبة الشديدة لفائف الأسلاك الكهربائية فبطل عمل الجهاز . لم يجدا ذهباً دفيناً ، وضيعا فرصة الكشف عن « رادار » — ولكنهما توصلا إلى ابتكار طريقة لحماية لفائف الأسلاك الكهربائية من الرطوبة الشديدة ، لم تزل تستعمل استعمالا واسع النطاق .

وأخيراً تزوّج هذا الشاب الذى يملأ الأفواه والأسماع ، فى سنة ١٩٣١ . ومنذ سبع سنوات اخترع ماكدونالد ، وقد أصبح أباً تعنيه شئون أسرته ، الآلة المعروفة باسم « المربية اللاسلكية » — وهى ميكروفون يوضع بالقرب من مهد إبنته الصغيرة ، ويتصل بمكبر للصوت يمكن أن ينقل إلى أى مكان من اليخت ، فيستطيع كل إنسان ، حتى هو نفسه بأذنه الصماء ، أن يسمع كل نبأة تصدر عن الطفلة .

وكان الانتقال من « المربية اللاسلكية » إلى الجهاز الجديد الذى يسمع الصم به خطوة منطقية ، فسأل نفسه : إذا كان الناس يستطيعون أن يشتروا بعشرين دولارا جهاز راديو يلتقط الموسيقى المذاعة من ألفى ميل ، فلماذا يجب أن يدفع الصم ثمانية أمثال هذا المبلغ نظير أداة مشابهة له ، تمكنهم من سماع إنسان آخر فى نفس الحجرة ؟ واستقر عزمه على أن يستخدم أساليب الإنتاج الواسع النطاق التى خفضت ثمن أجهزة الراديو فى عشر سنوات من ١٧٥ دولاراً إلى ٣٩ . وكان يعرف أن بعض ضروب الصمم لا تجدى فيها الأجهزة ولكن فى الولايات المتحدة ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ يحتاجون إلى هذه الأجهزة ، وسيشترونها إذا كان فى طاقتهم أن يدفعوا ثمنها .

وبعد خمس سنوات من التجريب طلع مهندسو شركة « زينيث » على الناس فى أواخر سنة ١٩٤٣ بالجهاز الحديث المساعد على السماع ، وفيه آلة لضبط ارتفاع الصوت وميكروفون بلورى ، ومنظم أتوماتيكى للاستقبال ، ومصابيح لاسلكية صغيرة ، ودائرة كهربائية أدخلت عليها تحسينات لتطيل أمد بقاء البطاريات . وهذا الجهاز

يسهل ضبطه وتثبيته على الأذن . وقد صنع الجـزء الذى يثبت على الأذن ، من مادة شفافة فى لون البشرة ، معرضاً عن اللون الأسود الذى يشى بأن صاحبه أصم يستعين بآلة على السماع .

وحين عرض الجهاز الجديد فى شيكاجو فى يوم أحد ممطر ، عجز خمسة عشر عارضاً بائعاً عن أن يجيبوا طلبات جميع الطالبين . ولقد جربت أم شابة أحد هذه الأجهزة ثم انفجرت باكية ، إذ استطاعت أن تسمع لأول مرة ثرثرة طفلها . وجلس شاب إلى جانب جهاز للراديو فى دكان ، وأبى أن يغادره قبل أن تنتهى إذاعة إحدى السيمفونيات . ولم يزل إقبال المشترين الذين استطاعوا للمرة الأولى أن يدفعوا ثمن جهاز السماع ، عظيما لا ينقص .

وقد اتبعت زينيث طرائق مستحدثة فى البيع ، فقلبت بيع أجهزة السماع رأساً على عقب ، وهى تتفق وأساليب مكدونالد فى إقدامه إقداماً لا يدخر فيه وسعاً على كل شىء يتولاه . وقد وجهت إعلاناته البارعة عناية القوم إلى مشكلات الصم ، وكان من جراء حمله الجمهور على إدراك المشاق التى يعانيها الصم أن أضفى على الحاجة إلى أجهزة الاستماع سمة الاحترام ، فدنا الناس من الوقت الذى لا يحدث فيه جهاز السماع من الفضول أكثر مما تحدث النظارات الآن .

ويشعر ماكدونالد أن التأهب لمساعدة الصم هو اليوم أعظم شأناً مما كان فى كل زمن سابق . فالأذن الإنسانيـة لم تخلق قادرة على احتمال ضجـة الحرب الحديثـة وقعقعتها ، ولذلك تراه يضع الخطط لإنتاج مقادير كبيرة من السماعات الرخيصة ، لتكون متاحـة للمقاتلين العائدين من الحرب . وحين بدأ ماكدونالد يجمع العمال لصنعها ، استأجر بضع مئات من الصم ، رجالا ونساء ، وأعطى لكل منهم جهازاً منها . وكان كثيرون منهم بلا عمل منذ عدة سنوات بسبب الصمم ، فأصبح فى استطاعتهم الآن أن يقوموا بكل عمل تقريبا .

إن أفكار مكدونالد كانت عوناً لملايين الناس . وعماله مفتونون بحبه من أجل طريقته فى مقاسمتهم الأرباح ، ومكافآته السخية ، ولكنه لا يرضيه أن يوصف بأنه رجل محسن ، فهو رجل عمل ، ومغامر ولوع بالحياة ، لا ينضب اهتمامه بكل جديد ، ولا تنتهى حماسته لرفع مستوى الحياة . وقد كان طوال حياته يدهش الناس ، وإنه لينوى أن يظل كذلك .

★ ★ ★ ★ ★ ★

أحد قواد الطائرات المقاتلة يصف الإحساسات الغريبة في معركة جوية



ثوان عشر كأنها الأبد

كابتن دون س. جنتيل — ملخصة عن

أحاديثه مع إيرا ولفرت + رسالة إلى "اتحاد امريكا الشمالية الصحفي"

أسلوب الطراد بين طائرتين مقاتلين أسلوب بسيط : ترى العدو فتطبق على ذيله ولا تدعه يفلت ، وتسدد مدافعك إلى مؤخرته وتضغط الزناد ، ولكن حين تحاول أنت أن تطبق على ذيله يحاول هو أن يطبق على ذيلك . فإذا أطبقت أنت ، استدار لينفلت منك وليتخذ مكاناً يمكنه من الإطباق عليك ، فتعمد أنت إلى الدوران حتى تتمكن منه . وتتوالى هذه الحركات وقتاً طويلا قد يبلغ عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة — أى إلى أن يتمكن أحدكما من الإطباق على الآخر إطباقاً محكما ، فيبدأ الآخر يحتضر .

والطراد على هذا النحو سلسلة متوالية من الحركات السريعة، فليس ثمة وقت للتفكير والتروى . فإذ استبحت لنفسك بعض الوقت للتروى ، لم ينفسح لك الوقت للعمل . وإن العقل ليعمل فى أثناء القتال أعمالا كثيرة — فهو يرى ، ويقدر ، ويحدس ، ويتذكر ، ويدخل هذا الأمر أو ذاك فى الحساب، ويهمل رأياً ويأخذ بآخر ، ولكنها جميعاً أعمال تبدو بعيدة عن نطاق التفكير والتروى .

وفى وسعك ، بعد أن ينتهى القتال ، أن تستذكر كل ما قمت به أو أغفلته ، فتتبين سبب كل حركة ، أما فى أثناء القتال فإن العقل يبدو خاوياً كأن مادته النخاعية كتلة ترتجف . ففى اليوم الثامن من ابريل ، حين صرعت ثلاثة ألمان فى الجو ، لم يستغرق ذلك منى أكثر من عشر ثوان ، ولكن ما كان أطولها من ثوان !

وإذا أطبقت على ذيل العدو وأوسعته ضرباً ، خيل إليك كأنه لن يموت . ولا تشعر أن كل جزء من كل ثانية قطعة من الزمان ، بل تشعر بها شديدة البطء لا نهاية لها . وتصيب عدوك القذائف المحرقة التى

الكابتن دون سلفاتور جنتيل ، طيار فى الثالثة والعشرين ، وقد عاد أخيراً فى أجازة إلى أمريكا بعد أن دمر ثلاثين طائرة نازية . وقد وصفه الجنرال أيزنهاور بقوله : « القوة الجوية التى قوامها فرد واحد » .

تخترق الدروع فتلفحه وتلسعه كأنها مثات من ألسنة صغيرة حمر من أفاع سامة . ويستمر ذلك ويطول ، واللسعة الواحدة تمرق كومضة البرق ، ولكنها فى مجموعها شديدة البطء ، لا نهاية لها .

ثم يتصاعد شيئاً فشيئاً من الطائرة دخان أسود ، ويتحلب الجليكول كأنما تعتصره منه عصراً . والجليكول هو ذلك السائل المستعمل فى تبريد المحرك ، وبدونه تعجز عن الطيران أكثر من دقيقة أو نحوها ، ثم تراه يتصاعد فى الجو أبيض اللون ، فإذا رأيته يسيل غزيراً فقد دنت النهاية . إنه تيار الموت ينزف حياته من الثقوب التى أحدثتها به . وهو ، فى أول الأمر ، أشبه ما يكون بأنفاس رقيقة كالضباب ، ثم يعظم ويعظم ولكن الحركة لا تنفك بطيئة لا تنتهى .

وبعد أن تطبق عليه تماماً وتصكه صكا ، ترى أحياناً أجزاء قد بدأت تتناثر منه ، وهى مسامير وصواميل أول الأمر ثم تصبح أشياء أضخم وأكبر ، وكأنك قد مزقت أوصاله فهى تطيح ، وتمر تلك الأوصال الممزقة من فوق أكتافك فى تيار بطىء لا ينتهى .

فإن رددت النظر إلى تلك المعركة بعد انتهائها ، أو راقبتها عن بعد ، بدت كأنها خطف البرق ، وإذا بك قد صرعت عدوك ! على أنها لا تبدو لك كذلك وأنت تخوضها .

فإن كان العدو هو الذى أطبق عليك فأوسعك ضرباً ، وجدت المعركة تسير سيراً بطيئا ، وتشعر بالرصاص كأنه عيدان من الثقاب تحك على المواد النخاعية المتجمعة فى رأسك ، وتحس كأن مخك يذوب تحت تأثير الألم . إنك تكافح فى سبيل الاحتفاظ بعقلك لا يطير ، وكأنك تحاول أن تمسكه بيديك كلتيهما ، باذلاً كل ما فى أصابعك من قوة للاحتفاظ به ، وحينئذ يبدو لك الزمن مقعداً لا يتحرك ، والنهاية بعيدة بعيدة .

وقد لقيت رجلين نازيين فى قتال من هذا القبيل فتعلمت ما لم أكن أعلم . لقد كان كلاهما شجاعاً واسع الحيلة ، وظننت أن أحدهما سيستعصى علىّ أمره ، وأن الآخر سيفلت ليحارب مرة أخرى .

ثم طرأ فجأة على عقلهما طارىء أمكن تبينه بوضوح ، إذ انحل مخهما تحت تأثير الخوف فأصبح كالماء الآسن فى رأسهما ، فجمدت أيديهما على عجلات القيادة ، واعتدلا فى مقعديهما ثم سارا إلى حتفهما كرجال أصابهم العمى فجأة فعدوْا يصرخون ثم هَووْا من جرفٍ هارٍ .

ومن يومئذ كلما أطبق نازى على ذيلى تذكرت أمر هذين الرجلين . وأنت ترى الطيار الألمانى — وقد ارتدى قناع الأكسجين ،

وهو لا يبدى حياة أو حراكا — كأنما هو جهاز مركب فى طائرة ، وليس بشراً على الإطلاق ، أما هذان الطياران فقد كانا النازيين الوحيدين اللذين عددتهما من البشر . وقد وجدت فى ذلك عوناً كبيراً ، وقد ردتنى ذكراها مراراً أن أفعل مافعلاه: فأعمى وأضلّ ، ثم أعدو وأصرخ حتى أهوى من جُرُفٍ هارٍ .



فرنسا إلى الأبد

كتب الكولونيل ستيفن بونسال كتاباً عن مؤتمر فرساى عنوانه « عمل لم يتم » ، وقد روى فيه كيف عمد مأفون يدعى كوتان ، إلى محاولة اغتيال كليمنصو ، فلما اجتمعت هيئة المحكمة لمحاكمة كوتان سأل القاضى كليمنصو عما يقترحه من عقاب للمجرم .

فقال السياسى الجريح : «أحمد الله على أننى لست القاضى . وحين أفكر فى الرجال الذين لا يفتأون يرموننى غدراً ، أميل إلى القول بأن هذا الفتى الشجاع ، الذى لم يقدم على مواجهة عصاى إلا بمسدس رشاش ، يستحق وساماً من أوسمة البسالة . ولكن ينبغى أن أتجنب التسرع ، فالنساء والأطفال وجميع المتفرجين الأبرياء الذين تعرضوا للأذى ، حين كان يسدد رميته إلى بنيانى المتهدم ، يجب أن يحسب لهم حساب .

«ثم يجب أن نقيم وزناً لسوء رمايته . فقد ظفرنا فى أروع حرب فى التاريخ ولما نكد ، ومع ذلك فهذا فرنسى يخطىء هدفه ست مرات أو سبعاً ، على قصر المسافة . طبعاً يجب أن يعاقب ، لأنه أساء استعمال سلاح خطر ، ولأنه لم يحسن الرماية . فأقترح أن يحبس ثمانى سنوات ، على أن يدرب على الرماية تدريباً محكماً ! » .

وإن أمة تنجب رجلا له مثل هذه البديهة وهذه السماحة والسخرية والإنسانية — لأمة لها مستقبل .

[مجلة « سترادي إيفننج بوست »]

الطلاب يستجيبون للاتجاهات الجديدة فى التربية ، وينشئون لأنفسهم دوراً للسينما ، ومطاعم ، ومحطات للاذاعة ، ويتولون إدارتها جميعاً . . .

أنظر إلى المدارس الثانوية الأمريكية

دان ستيلز *

مدرس وصحفى سابقا وهو محاضر الآن فى مئات *
المدارس الثانوية كل عام

ملخصة عن مجلة "هاربر"

كانت المدرسة الثانوية التى درَّستُ فيها منذ ١٥ عاماً تشغل سبعة فصول فى الطابق الثانى من بناء المدرسة الابتدائية ، أما اليوم فإن لهذه المدرسة ذاتها مبناها الخاص ، ولها مدرج للمحاضرات العامة ، وبناء للرياضة البدنية ، ومكتبة ، ومعهد للفن وآخر للاقتصاد المنزلى ، ومصانع ميكانيكية ، وأبهاء للموسيقى ، وحجرة مظلمة للتصوير الشمسى ، وهلم جرا . وقد بلغت نفقات إنشائها ٤٠٠٠٠٠٠ دولار .

فإذا ضربت هذا المثال فى عدة مئات ، وأضفت إليها مدارس كثيرة تجاوزت تكاليف كل منها مليون دولار ، استطعت أن تدرك — على وجه التقريب — مدى النمو المادى ، الذى بلغته المدارس الأمريكية الثانوية فى العشرين عاما الأخيرة . وقد صاحب هذا النمو المادى ، اتساع كبير يعادله ، فى المناهج وفى النشاط المدرسى ، إلى جانب التجارب العديدة المبتكرة فى أساليب التربية.

فهل الأولاد والبنات الذين يتخرجون من هذه المعاهد الفخمة ، أرقى تربية من الأجيال التى سبقتهم ؟ وهل هم أحسن إعداداً لمعالجة مشاكل المجتمع الذى سيخرجون إليه ؟

يرى كثير من كبار رجال التربية أن أعظم تطور فى التربية الحديثة فى المدارس الثانوية ، هو امتداد سلطان المدرسة ، وسيطرتها المتزايدة على الطلبة فى ساعات اليقظة ، وذلك بإضافة دروس فى العمل والصناعة ، وفى نواح متعددة من النشاط الخارج عن المنهج المدرسى . فهنالك مدارس لا ينقطع العمل فيها كل ليلة ، ولا يستثنى من ذلك مساء السبت . وإذا ذكرنا أن الدافع الأكبر لهذا المنهج المتسع ، مصدره الطلاب انفسهم فإن هذا شهادة لا تجحد بأن لهم شغفاً بهذا التوسع .

ومجال النشاط الجديد يشمل نواحى عديدة ، ليست كلها ألعاباً . فالأمهات والآباء الذين كانوا بالأمس يضطرون لإظهار الشدة لكى يحملوا « جونى » على فتح

حشائش الحديقة ، أو « مارى » على إصلاح غرفتها ، يدهشهم اليوم أن يروا أبناءهم وبناتهم يكدحون ليصدروا جريدة المدرسة فى موعدها ، أو لينجزوا بعض المعدات اللازمة للمدرسة .

ولهذا البرنامج المتسع قيمة سلبية ، وهى أنه ينقص من الوقت الذى يقضيه الطالب بنفسه ، وكثيراً ما كان يقضى ذلك الوقت فى بيئات لا تبعث على الرضى .

وكان المفروض — من الناحية النظرية — أن المنزل يجب أن يحتمل شطراً من التبعة فى شغل وقت الطالب ، ولكن الواقع أن الشبان دون العشرين يتركون لأنفسهم خارج المدرسة . ومن التبذير الإجرامى أن تصرف ساعات الفراغ هذه فى التافه غير المجدى من الأمور ، وهذا واضح كل الوضوح من منظر مئات الشبان فى طرقات كل مدينة أمريكية بعد الغروب . والإحصائيات القطيعة عن التشرد وإجرام الأحداث ، تدل دلالة كافية على أن كثيراً منهم يسلك سبيل الضلال .

وللبرنامج المتسع فى المدارس الثانوية ، فوق ذلك ، قيمة إيجابية ، لأنه يزيد زيادة هائلة فى إعداد الطالب بصفة عامة لمواجهة الحياة بعد التخرج .

ويتصور بعض رجال التربية نظاماً للمدرسة ، يتضمن عملا لا ينقطع ليلا ونهاراً ، صيفاً وشتاء ، ويشتمل على برنامج مستمر من الدراسة والعمل والرياضة . وقد انتشرت أندية السينما فى المدارس ، وبعضها عنده العدة الكاملة لتسجيل مشاهد نشاط المدرسة طول العام ، ولإخراج بعض القطع السينمائية أيضاً . وفى كثير من المدارس الكبيرة نظم الطلاب محطات للإذاعة ، تتولى الإذاعة فى نطاق نظام الإذاعة الموضوع للمدارس . وفى مدارس الولايات الشرقية أندية لألعاب الشتاء ، وفى مدارس الولايات الغربية تعقد حفلات رياضة الخيل . وفى بعض المدارس تحولت قطعة التمثيل التقليدية إلى برنامج للتسلية لا ينقطع طول السنة ، يديره الطلاب أنفسهم . وفى إحدى المدارس بولاية ويسكونسن فرقة موسيقية تعزف كل مساء فى أحد الموانئ للعمال الذين يشتغلون أثناء الليل . ويرى دعاة البرنامج المدرسى المتسع أن من الواجب تقصير العطلات المدرسية ، وأن تكون الإجازات الطويلة فى زمن الزراعة أو الحصاد أو أية ضرورة من الضرورات الأساسية للمجتمع .

وهناك اتجاه آخر ذو مغزى فى التربية بالمدارس الثانوية ، وهو إدراك الأساتذة المتزايد لقيمة هذا النشاط الخارج عن المناهج ، كوسيلة من وسائل التعليم .

ففى بعض المدارس يستخدم برنامج النشاط المدرسى الآن لتعليم التربية الوطنية والشعور الاجتماعى ، ومعاشرة الناس ، ومبادئ المعاملات التجارية ، وضروب أخرى من المهارة ومن الصفات التى لا يمكن اكتسابها بأية طريقة أخرى . وهذا معناه تحول واضح عن الاهتمام بالأمور التى تدرس فى الكتب إلى العناية بتنمية الخلق ، وإعداد الشباب للاضطلاع بالمشاكل العامة لحياة الرجولة . ولما كانت الكثرة العظمى من الشبان فى أمريكا لا تلحق بالجامعات ، فإن هذه الناحية من التعليم الثانوى تصبح ذات خطر لا يستهان به .

ولعل اشتراك الطلبة فى حكم المدرسة هو خير مثال يبين الاتجاهات الحديثة فى التعليم الثانوى ، فقد كان المقصود به وقت إنشائه أن يكون عملا إضافيا إلى جانب الدراسة الرسمية ، ولكن اليقظين من رجال التربية لم يلبثوا أن أدركوا أنه وسيلة من الطراز الأول لتعليمهم الحكم الديمقراطى . وقد قال واحد منهم : « ما فائدة تكليف الطلبة أن يتعلموا النظم الديمقراطية من بعض الكتب ، مع إخضاعهم لحكم مدرسى يقوم فى الغالب على الاستبداد المطلق ؟ » .

وحين ينشأ نظام الحكم المدرسى على هذا النمط ، تلقى التبعات على أكتاف الطلبة شيئاً فشيئاً . ومجلس الطلبة فى كثير من المدارس يتولى جميع المسائل المالية الخاصة بالنشاط الخارج عن البرنامج ، وهى قد تبلغ بضعة آلاف من الدولارات . وفى مدرسة روتشستر الثانوية بولاية منيسوتا لجنة للأخلاق ، تتألف من مجموعة من الطلاب يجتهدون بالإقناع والسنة الصالحة ، أن يقوّموا ما يبدو من الاعوجاج فى بعض الطلبة الذين تبدو عليهم نزعات ضارة بالمجتمع .

وهنالك ضروب أخرى من النشاط تقوم المدارس بتحويلها من أعمال لقتل الوقت ، إلى وسائل فعالة لتربية الطلاب . ويبدو أن ليس هنالك مانع يحول دون تعليم مبادئ الأعمال الاقتصادية تعليما عمليا فى المدرسة . ففى مدينة ملواكى كان الطلبة فى الشتاء الماضى يديرون برنامجاً للسينما بانتظام ساعة الظهر من كل يوم ، والدخول بالأجر . وفى كثير من المدارس تعقد سلسلة اجتماعات خاصة بالصناعات والأعمال على هذا الأساس . وقد نشرت جريدة نيويورك تيمس منذ وقت قريب مقالا وصفت فيه عدداً من الملاهى الراقصة يديرها شبان دون العشرين فى جهات مختلفة من البلاد ، لأن هؤلاء الأحداث كانوا غير راضين عن الملاهى المألوفة . ولا شك أن كثيراً من المشرفين على مدارسنا يروعهم أن يتصوروا ملهى يديره

الطلاب فى داخل مدرسة ثانوية ، ولكن لاشك فى أن مثل هذا الملهى أسلم جانباً من الأماكن التى يرتادها الطلاب فى الوقت الحاضر.

ومطعم المدرسة الذى يديره الطلبة — وهم أيضاً الذين يهيئون الوجبات ويقدمونها، ويجنون ربحها — يفى تماماً بنفس الأغراض التى يؤديها مطعم يديره المحترفون ، ثم هو يتيح فرصة للمرانة على العمل . وفى بلدة فونيكس بولاية أريزونا لم يقتصر عمل الطلاب على إدارة مطعمهم ، بل أنشأوه إنشاء من أساسه ، بناءه ومعداته جميعاً . وفى نيوهامشير مدرسة ثانوية رأت أن تدير معمل إصلاح السيارات الملحق بالمدرسة على أساس تجارى ، فينجز ما يطلبه الجمهور ويوفر للطلبة المران العملى . وقد كف أصحاب الجراجات المجاورة عن الاعتراض ، وبالعكس أصبحوا يلجأون إلى المدرسة كلما احتاجوا إلى صانع ميكانيكى لتزويدهم بعامل قد تدرب التدرب الكافى .

ولا يزال الطالب يرى أن درساً فى الطبخ أو فى الميكانيكا لم يخرج عن كونه درساً ، أما إدارة مطعم أو معمل فإنها ضرب من التسلية اللذيذة . وبعض رجال التربية يرى أن برنامج النشاط المدرسى سيحل — على مدى الزمن — محل الدراسات الرسمية، ويصبح هو الأساس لجميع المناهج المدرسية .

وهنالك تطور آخر فى التعليم الثانوى يبشر بمستقبل حسن ، وهو النقد الموجه إلى الأساليب الرسمية المملة ، التى اتصفت بها طرق التعليم المتبعة القائمة على المحاضرة وإلقاء المحفوظات . واليوم نجد الفصول — حتى فى المعاهد التى تجنح إلى المحافظة — قد تحولت إلى اجتماعات ، وأن العمل يخصص بحسب الموضوع ، لا بعدد من الصفحات فى بعض الكتب . كذلك يستخدم الأسلوب التمثيلى والسينما ، ويستدعى الخطباء من الخارج ، وتنظم الرحلات لشهود الوقائع والأماكن التاريخية ، وذلك أملا فى أن يحتفظ الطالب بمقدار أكبر من المعلومات .

وإذا تحدث إليك أحد الآباء عن التربية ، فإنه سيعرب لك إعراباً ما عن الفكرة الآتية : وهى أن كثيراً مما يدرس فى المدارس الثانوية لا يمت بصلة إلى حياة الطالب ، أو إلى الأمور التى تهمه . وقد قال أحد أصحاب المصارف فى بلدة صغيرة : « إن ابنى ربما سهر نصف الليل يطالع كتاباً عن الراديو، لأنه يريد أن يصنع بنفسه جهازاً للإذاعة ، ولكنه لن يدرس التاريخ أو الجبر لأنه لا يجد فائدة لتلك المعلومات » . ومن المشاهد أن الدروس التى يشتد الإقبال عليها فى المدارس الثانوية هى درس التدبير المنزلى للبنات ، وأعمال الصانع للأولاد . فالطلبة يكبون

على هذه الدروس، لأنهم يستطيعون أن يروا قيمتها. ولو تبينوا فى الدروس الأخرى تلك القيمة، لأقبلوا عليها بنفس الجد والنشاط. فالواجب الأول على المدرسة هو أن ترشد الطلبة إلى إدراك تلك القيم، بدلا من بذل الجهود فى ابتكار الوسائل التى تجعلهم يستذكرون أشياء لا يجدون فيها لذة.

وقد اتبعت المدارس حتى الآن فى معالجة هذه المشكلة الوسائل السلبية، مثل استبعاد الدروس التى يبدو أنها قليلة الفائدة العاجلة، أى التى تقل رغبة الطلاب فيها لهذا السبب، ولكن هذا العلاج يخطىء الهدف الحقيقى. فإن إسقاط مادة كاللغة اللاتينية من المنهج يجب أن لا يحدث إلا إذا اتفق رجال التربية والآباء على أنها أقل فائدة من مادة أخرى تحل محلها، لا لأن الطلبة لا يرون لها قيمة. وإذا كان موضوع من المواضيع له قيمة فى نظر السالفين، فإن واجب المدرسة أن تجعل هذه القيمة واضحة كل الوضوح، فإذا تحقق ذلك لم يلبث الطلبة حتى يتحرك اهتمامهم بذلك الموضوع فيقبلوا على دراسته.

إن كل مدرس ذكى للتاريخ بدأ دروسه فى الخريف الماضى، لا بد أن أدركه اليأس، عندما حاول أن يثير اهتمام الطلبة بحديث جماعات من المستكشفين منذ ٤٠٠ من السنين، على حين أن إخوانهم وأصدقاءهم اليوم يكتبون التاريخ بأحرف من نار فى جميع ميادين الحرب. وأكبر الظن أن أول مدرس يحاول أن يعلم التاريخ «بالعكس» مبتدئاً من العصر الحاضر، ثم متمشياً إلى الوراء بالتدريج، سيكون جزاؤه الطرد، ولكن المعلم الذى يليه فى هذه المحاولة سيعترف له بأنه من الروّاد النوابغ. ومع ذلك فإن هذه الطريقة ما هى إلا تطبيق لقانون من قوانين التربية يعرفه الجميع ويتناساه الكثيرون، ومؤداه أنك يجب أن تبدأ كل موضوع من النقطة الشديدة الاتصال بما يهتم به الطالب.

وكثير من المدرسين اليقظين يستغلون اليوم اهتمام الطالب بالأدب المعاصر، لكى يرشدوه بالتدريج إلى تقدير الأدب الذى يدعى «القديم». وهذا بلا شك أدنى إلى العقل من تكليف الطلبة أن يطالعوا صفحة صفحة، قصصاً قد مضى عليها قرن من الزمان.

وتدريس الجغرافيا، إن هى درست فى المدارس الثانوية على الإطلاق، تعانى انفصام الصلة بينها وبين الأمور التى يهتم بها الطلاب. ونظراً لأن ٩٩ طالبا من كل ١٠٠ طالب فى المدارس الثانوية يقضون حياتهم فى المنطقة التى نشأوا فيها، فالإلمام إلماماً جيداً بجغرافية إقليمهم عظيم الجدوى عليهم، ومن الطبيعى أن ينتقلوا من دراسة الإقليم الذى يعيشون فيه إلى دراسة قطر أعظم وأوسع.

ويبدو أن هذه التجارب المختلفة فى المناهج وطرق التدريس ، تدل على أن المدارس الثانوية الأمريكية تعمل بجد ومثابرة — على غير خطة موضوعة — لإنشاء برنامج سيكون فى النهاية مسوّغاً للأبنية المادية الفخمة التى تضم تلك المعاهد. والمرجو أن تكون المدرسة الثانوية فى المستقبل قادرة على أن تعد لطلابها برنامجاً مستمراً لا ينقطع ، يشتمل على عمل ودراسة ورياضة ، ويعتنى فيه بتدريب النشء على واجباتهم القومية ، وبتنمية أخلاقهم ، بنفس التحمس الذى يبذل فى إعدادهم للجامعة . وتكون من المرونة فى نظمها الإدارية ، بحيث تيسر لكل طالب أن يتعلم جميع المواد التى يستطيع أن يستوعبها ، وتدير دفتها هيئة تعرف كيف تنظم البرامج ، التى تستمد قوتها ونجاحها من اهتمام الطلبة أنفسهم ، وتعنى عناية خاصة بتربية الشخصية فى الطالب ، ولكنها فى الوقت نفسه تعلمه فضيلة التعاون .

ولست أظن أن من الإسراف فى التفاؤل أن نتوقع أن تدرك المدارس الثانوية الأمريكية — البالغ عددها ٢٥٠٠٠ — هذا المثل الأعلى ، يوماً ما .

★ ★ ★ ★ ★ ★

مناصفة

كان بين خدمنا امرأة زنجية ، وكان زوجها رجلا يترك الأمور للمقادير ، وبرغم ما يتحلى به من صفات تحببه إلى الناس ، كان عاجزاً عن الاحتفاظ بعمل ما ، وكان ذلك لا يعنيه على الإطلاق . فسألتُ زوجته فى أحد الأيام : كيف ترضى بذلك ؟ فردت على الفور : « المسألة بسيطة ياسيدتى ، إننى أكسب العيش ، وهو يجعل للعيش قيمة » . [ألفادا بوب]

● ما أعظم الخير الذى يمكن صنعه فى العالم ، لو رغب كل قادر على الخير عن إسناد الفضل إلى نفسه . [شعار جزويتى]

● ليست الحياة إلا حصر الفكر فى ما تريدها أن تكون . فأنت ما تشتهى أن تكون . إنك ابن الأشياء التى تقولها ، والكتب التى تقرؤها ، والأفكار التى ترخى لها العنان ، والأصدقاء الذين تعاشرهم ، والأغراض التى تطلبها .

مجلة « فوربز »

حكمة الحيوان

٣
مختارات من رسائل القراء
اختارها للنشر آلن ديفو

يقترح المختار على قرائه ، أن يوافوه بنوادر لباب « حكمة الحيوان » وكل نادرة ينشرها يدفع لصاحبها جنيهين مصريين ، ويجب أن تكون مما لم ينشر قبلا وأن يراعى فيها الإيجاز والوضوح والدقة العلميـة . وأن ترسل بعنوان المختار باب : « حكمة الحيوان » . وجميع النوادر التي تنشر تصبح ملكا له .

تعاون ثعالب الكيوت



كنت أرقب قطيعاً من الكراكى القواطع فى سهول مكسيكو الجديدة ، وكانت تشخص بأبصارها إلى سفح تل قريب حيث كان كيوت يفعل أفعالا غريبة : يعدو صاعداً نازلا ، ويقفز ، ويدور ، ويرقص ، ويفعل الأضاحيك كحيوان جن جنونه . سحر الكراكى هذا المنظر فراحت ترقبه فى دهشة وذهول . ثم شاهدت كيوتاً آخر يتسلل خلف الطيور فى حذر شديد ، ثم اقترب منها شيئاً فشيئاً ، وزميله يمارس بهلوانياته فى حمية ليجذب إليه أنظار الطيور . وأخيراً بدا للكيوت المتسلل أنه اقترب قرباً كافياً من الطيور ، فعدا وقفز بين الكراكى واقتنص واحدة منها . وطارت بقية الكراكى وقعد الذئبان الماكران يقتسمان الصَّيد الذى يسَّره لهما تعاونهما . [بوب بفرلى]

السنجاب وتدبير المنزل



اقتنيت سنجابين أحمرين فى قفص واسع به شجرة مصغرة وصندوق لمأواهما ، فيه بعض قطع من القماش لنومهما . وقد لاحظت أنهما يخرجان هذه القطع فى الأيام المشمسة من عشهما ، يحملانها بأفواههما وينشرانها على فروع الشجرة لتهويتها . فإذا دنا مغرب الشمس جمعاها بعناية وعادا بها إلى عشهما .

وقد طفقت أراقب خطتى السنجابين عدة فصول من السنة حتى أقطع الشك باليقين فى أن عملهما لم يكن اتفاقاً محضاً . وقد راعنى خاصة أنهما لم يخرجا فراشهما فى أيام الغيم . [هيوبر وطسن]



انتصار الأرنب

مرق أرنب من كومة الحطب التي كنت أجمعها ، وعدا مسرعاً في الحقل ، فخف خلفه كلب صيدٍ لي ، وكان سريعاً ، وأخذ يقترب في سرعة من فريسته ، حتى خيل إليّ أن الطراد سينتهي في أية لحظة بقتل الأرنب . بيد أن الأرنب لجأ إلى حيلة كانت أعجب ما رأيت في حياة الحيوان ، فقد قفز قفزتين : كانت الأولى إلى جنب ، حتى يتقدم عليه الكلب ، وكانت الثانية قفزة هائلة امتطى بها ظهر الكلب . وتعلق الأرنب بمكانه وركب الكلب كما يركب القرد الفرس الصغير في ألعاب السرك . فلما دنا الكلب من جانب كثيف من الشجيرات ، وهو يعدو بكل ما أوتي من قوة ، قفز الأرنب واختفى في الأغصان الملتفة . ودار الكلب لحظة وقد غشيته الدهشة ، ثم جاء إليّ يمشي على مهل وذيله من الخزي بين رجليه ، وعلى وجهه مسحة من الذلة . [روبين نايت]



الانذار الخفي

ما كدت أصل بسيارتي إلى فناء المزرعة حتى وردت إشارة بالتلفون تقول : إن ثمة فيضاناً جارفاً في نهر ديموين على مسافة ١٥ ميلاً منا . فهرعت إلى الوهاد المنخفضة وساعدت المزارع في جمع الماشية والخنازير ، ولاحظت عند ذاك أنثى الأبسوم (وهو حيوان صغير من ذوات الجيب) تحمل صغارها فوق ظهرها وتصعد بهم نشزاً من الأرض . وبعد دقائق صادفنا طيراً أخضر من قوارض الخشب ميمماً نحو الأيفاع العالية ، وبعد مسافة قصيرة شاهدنا أنثى ظربان تبتعد بصغارها عن شاطئ النهر . ثم شاهدنا بعد ذلك أرنباً ، ولم يكن كالهارب من الصيادين ، بل كان يصعد إلى التل عامداً مريداً . وبعد دقيقة أو دقيقتين شاهدنا راكوناً (حيوان أمريكي من اللواحم) بديناً يتخذ طريقه متثاقلا إلى النجود المرتفعة . وقال المزارع إنه لم ير في عمره الذي قضاه في تلك البقعة مثل هذه الحركة بين الحيوانات البرية ، وجميعها ميممة جهة واحدة بعيدة عن النهر . ولعلها بطريقة ما ، ولا تسأل كيف ، أنذرت بما سيحدث ، فلقد استشعرت — على حين لا يستشعر غيرها من الدواجن المستأنسة — بقرب وقوع الكارثة .

[ا . هـ كروذر]

في هناءى رجل عظيم

ولتر ب. بتكين

أخطأني الموت ثلاث مرات ببضع ثوان: ففي مرة شخصت ببصري فإذا طبقة من الجمد سمكها قدم، والمنقذون من فوق يحطمونها — وكنت ذات مرة على باخرة تحترق، وإذا أنا على جليد طاف يهيم بي طوال ليلة من ليالي الشتاء — ومرة أخرى أقعيت مختبئاً وراء عمود في حين كانت لصوص العصابات يتقاذفون بالنار.

ولكن أمثال هذه المغامرات تبدو ضئيلة إذا قيست بتجربة لي عصر يوم قضيته منذ سنوات خلت مع حذّائي في دكانه الذي تسطع منه رائحة الجلد في أحد الأزقة

وكان يتكلم وهو يعرض عليّ بضاعته. فألقيت عليه أسئلة، ولم يحدث غير ذلك، ولكن هذه الساعات القليلة كانت أغرب

[بعد أن تخرج ولتر ب. بتكين في جامعة مشيجن سنة ١٩٠٠ درس علم النفس في أوربا، ثم صار مدرساً له في جامعة كولمبيا، وهو مؤلف عشرات من الكتب من أشهرها كتاب « الحياة تبدأ في سن الأربعين ». وقد أصبح من أنشط شراح العوامل النفسانية للنجاح. وهو يدرس أيضاً الصحافة في جامعة كولمبيا، وميادين نشاطه عديدة منوعة، ومن بينها البحث العلمي، والزراعة، والكتابة والنشر].

ما مر بي في حياتي. والذي حدث ما كان يمكن أن يحدث لسواي — وفي مرة فقط من آلاف الملايين.

وليس في مقدورك أن تفهم ما جرى في ذلك العصر إلا إذا وقفت على شيء من ماضيّ.

لما تولى ودرو ولسون رياسة جامعة برنستون، جمع ٥٠ من المعلمين الشبان لينهج نهجاً جديداً في التعليم، واستقدم كثيرين من جامعة كولمبيا فراحت هذا تنشد معلمين جديدين. وكانت تطلب شاباً يسير الأجر لتدريس علم النفس. وكنت حينئذ رخيصاً زهيد المرتب.

ودفعتني السكلية إلى لعب الجولف والتنس وأردت أن أكون مهذباً وأن أجامل القوم، فجاهدت لإتقان هاتين اللعبتين. وانقضت سنوات قبل أن أستطيع إلقاء الكرة في الحفر الثاني عشر في شوط واحد من الجولف. وكنت إذا بلغت الحفرة الثامنة أو التاسعة، تخذلني رجلاي، ويغشى الوجع ساقيّ. ويرتقي الألم إلى عنقي، وأضعف حتى أعجز عن رفع المضرب.

وكنت لا أستطيع أن ألعب التنس أكثر من نصف ساعة. وأقبلت ذات مرة

كرة عالية حامية ، فوثبتُ ، وضربتها ، وعدت إلى الأرض، فأحسست بجمرة كاوية تحت قدمى ـ كلا ، بل كانت الجمرة فيها . فتهافت على الأرض مغشيا علىّ .

وقال طبيب الجامعة : « انكسر عسيب قدمه (ظاهر القدم) عرضاً » .

وكنت فى العامين اللذين قضيتهما فى جبر ظاهر القدم أدرس تأثير هذا الكسر ، وكانت صلة الحرق بالألم ، والألم بالضعف ، والضعف بسوء الخلق ، بينة. وكنت إذا طال وقوفى على قدمى ، أو أتعبت نفسى ، أشعر بمثل لسع النار تحت الأصبع الوسطى . وسرعان ما يصبح هذا ألماً حاداً كأنه وخز الابرة ، ثم يعرونى الفتور ويشيع فى بدنى كله ، وبعد دقائق يسوء خلقى ، وكنت لا أستطيع أن أغالب ذلك كأنه العطاس ، فأتقى الناس ، فإذا اضطررت إلى الكلام ، تمتمت بقليل من العبارات الجافية .

ولم أجد شيئاً يذكر فى المكتبات الطبية عن التأثير النفسانى لأوجاع القدم ، وقد سألت عن ذلك، الثقاة المشهورين، فقالوا لى : « إن التأثير يرجع على الأكثر إلى شخصية المريض ، ولم يقم أحد إلى الآن بتحليل هذا على وجه كاف . ورد الفعل النفسى للمرض يجىء تبعاً للطباع » . وقد أغرانى هذا بمعالجة مسائل الشخصية ، فشرعت فيما صار أهم جانب من جوانب عملى فى حياتى .

وكنت أذهب إلى برنستون وأحادث أصدقائى فى منهاج برنستون الجديد ، وكانت كل رحلة جديدة أدعى إلى الغم من سابقتها . وكانت الحرب قائمة بين ولسون والنظام القديم ، وكنت أعرف رجالا فى كلا المعسكرين ، فكان التناقض الصريح يحيرنى .

« ولسون مجنون » .

« إنه أعظم قوة فى ميدان التربية الأمريكية » .

« إنه يفقد أصدقاءه بأسرع مما يكسبهم » .

« إن سلوكه مع الناس حقير » .

« إنه خير من رأيت دماثة خلق وأدب نفس » .

وروى لى أكثر من عشرة أشخاص قصصاً كهذه : « كنت على موعد مع ولسون فلما دخلت عليه أحدّ النظر إلى ولم يقل شيئاً ، فأفضيت إليه بما أردت وانتظرت رأيه ، فنظر إلى شزراً وهو صامت ، ثم تمتم ببضع كلمات وخرج . ولست أدرى بماذا أغضبته ؟ فقد كان من الجلى أنه غضبان » .

وحدثنى جار لى قال : « كنت ماراً بدار ولسون وهو خارج منه ، فسرنا معاً نتحدث فى غير شىء معين ، وكان ظريفاً

ساحراً كالعادة ، فلما بلغنا مفرق طرق ، عبس فجأة واندفع داخلا فى شارع جانبى دون أن يلمس قبعته ، أو يعتذر ، أو يقول شيئاً » .

وفى سنة ١٩١٩ شرعت أعمل مع ضباط الجيش الذين أصيبوا بصدمة عصبية من القنابل ، وكانوا يعانون مشقة فى العودة إلى عالم الأعمال . فهذا واحد انكسرت كل عظمة فى بدنه تقريباً ، وقد عاش واستأنف عمله القديم دون ان تتأثر أعصابه أو يضطرب عقله ، وهذا اخر كان ما أصيب به هيناً تافهاً ، وكان فى وسعه إذا حمل عصا أن يمضى إلى حيث يشاء بسهولة ولكنه كان يمقت العصى ، وكان كأنما يعد حمل العصى اعترافاً علنيا بالضعف ، فكان لا يزال يحاول أن يستغنى عنها ، وشر من ذلك أنه كان يحاول دون أن يعرج ، فكان المجهود الذى يتجشمه فظيعاً ، وكان يصر على القول بإن حياة الأعرج فارغة ولا خير فيها ، فلم يمض عامان حتى انتحر .

وقد وصلت إلى نتيجتين : إن كثيرين من الناس يكونون أطيب عيشاً إذا عظمت المشقة ، منهم إذاهانت ، لأن العوائق الكبيرة تطلق نشاطاً فياضاً ، أما التوافه فإنها أضعف من أن تفتح بوابات القوة العصبية والعقلية . ثم إن الناس كثيراً ما يحاولون أن يستروا مواطن الضعف الهينة ، فيفضى ذلك إلى تعقيدات فى الشخصية .

ودرس الشخصية يؤدى بطبيعته إلى درس عادات الناس فى حياتهم . وقد قدمت إلىّ ، فى مكتبى ، ذات يوم الدكتورة لينا منيز وهى طبيبة موكلة بإنفاق هبة صغيرة لروكفلر ، من المؤسسة الصحية للنساء ، وقالت : « أريد منك أن تبحث مسألة أحذية النساء ، فإنا نتلقى من الشكاوى فى هذا الباب أكثر مما نتلقاه من كل الأبواب الأخرى مجتمعة » .

وقد تصفحت أكواماً من الرسائل الشاكية — من زوجات الفلاحين ، ومن الفتيات العاملات ، ومن معلمات المدارس ، وكلهن يسألن أين يجدن أحذية لاتعذبهن .

وعقدنا اجتماعات مع رجال الصناعة وباعة التجزئة ، والأطباء . وقال معظم الخبراء إن هناك كثيراً من النماذج الحسنة ، وأن المرأة تشكو من حذائها على حين ينبغى أن تشكو من إهمال العناية بقدمها . وقال تاجر : « إن النساء فى سبيل المظهر مستعدات أن يحتملن عذاب الجحيم » . والعادات السيئة فى الوقوف والمشى ، وقلة العناية عند اختيار الأحذية المريحة ، تورث الصداع وسوء الهضم وتلف الأعصاب . وقالوا إن تجار الأحذية ورجال الصحة العامة ينبغى أن يجتمعوا ويفتحوا عيادات لطب الأقدام .

واقترحت الدكتورة منيز أن أتحدث في هذا الاقتراح مع الآخرين ، وأرسلتني إلى إخصائي في صناعة الأحذية هو خير زملائه.

فلما دخلت مكتبه ملأت خياشيمي رائحة هي مزيج من الجلد والزيت والشمع والأثاث القديم ، وكان الرجل في الداخل يحاول أن يلبس صبياً أعرج حذاء .

وانصرف الصبي فحدثته عن الاقتراح ، فهز رأسه وقال : « طبعاً ينبغي أن تكون هناك عيادات كهذه ، وإنها لخليقة أن تعفي الناس من عذاب لا داعي له » .

« أترى أن كثيراً من هذه المتاعب لا داعي لها ؟ » .

« أكثرها . نصف المتاعب مرده إلى الجهل ، والنصف الآخر سببه الشعور السخيف بالكرامة » .

« ونستطيع أن نعلم الجهلة ، أليس كذلك ؟ ولكن لعلنا نضطر أن نسلم الآخرين إلى حظهم ! » .

واتسعت عيناه وهو يقول : « نعم ، نعم ، نكلهم إلى حظهم ! » وكان كأنما يرى شيئاً بعيداً وهو يقول : « لعنة المحافظة على المظاهر ! إنها أفظع في الرجل منها في المرأة ، ولاسيما الرجل الذي له قوة عظيمة ، وقد رأيت كيف تعيث ... » .

ومضى إلى خزانة عالية وتناول من رف قدماً من الجص معفرة .

ودفعها إليّ ، وذهب بي إلى النافذة وسألني : « ما رأيك في هذه ؟ » .

وبدت لي كأنها نموذج عادي ، ولكني وأنا أتأملها لمحت شيئاً من سوء التناسب والعيب في تكوينها ، وأراني الرجل صورة كبيرة مأخوذة بأشعة إكس وقال : « ادرسها فإنها صورة القدم نفسها » .

وكانت العيوب هنا أوضح .

ثم قال وأشرق وجهه : « والآن تأمل هذا » وناولني حذاء قديماً ، فتحسست باطنه بأصابعي فألفيته ألين وأنعم من القطن المندوف ، ورأيت هنا وههنا ، في مواضع شتى ، تعديلات بارعة لا تكاد تلحظ . فبهرني هذا الفن .

وقلت : « إنه لايمكن أن يفطن إلى ذلك واحد في الألف ، وقدم لابسها فيها » .

فقال الرجل « ولكن لابسها كان لا يكف عن ملاحظتها ، وقد ظل ساخطاً محنقاً طول حياته ، وكانت كبرياؤه فظيعة ، ولشد ما كان يأنف أن يبدو على خلاف ما يبدو الناس غيره ! وما أعظم ما كان كفاحه للاحتفاظ بالمظاهر ! وكان إلى أن أقعدته الشيخوخة والمرض عن العناية بأمر نفسه ، لايدع أحداً حتى من أسرته يدخل غرفته وأنا معه لألطف آلامه وأسكنها .

وكان لا يسمح لى بأن أدخــل البيت من الباب الـكبير الأمامى ، فكنت أقصد إلى الباب الخلفى ، ولم أكن أذكر صــناعتى ، فكنت أكتفى بذكر اسمى .

« وكان يتجهم لى كأنما كنت أنا الملوم على ما يعانيه ، وقد أوجعته مرة فركلنى ، غير أنى لم أغضب ، فإنى أعرف أن بعض الناس يعيبهم أن يملكوا زمام أعصابهم إذا برح بهم الألم . وكنت أحياناً أقضى ساعات وأنا أعالج حذاء جديداً ، وهو يطوى أصابعه فى راحته ويقبض حتى تبيض عُـقُمـُها ، ثم يتهافت وينطرح على سريره ، فأضع الأحذية الأخرى فى الحقيبة وأتسلل خارجاً من الباب الخلفى كلا ، يا دكتور ، لم يكن يسمح لى أن ألف عليها ورقة ، أو أحملها فى صندوق أحذية ، فكنت أدسها فى حقيبة حتى لا تطلع عين إنسان على ما فيها » .

وبكى الرجل — بكى حقاً . ومضى إلى مكتبه القديم ودفع يده فى درج وأخرج حزمة من الرسائل القديمة .

« وكان بعد أن يسوء خلقه معى ، يبعث إلىّ برسالة . وقد احتفظت بها جميعاً ، فقد جعلت لى حياة جديرة بأن أحياها » .

وناولنى الرسائل ، فخرت بين الدهشة لدموع الإخلاص ، والذهول من فعل الكبرياء الحمقاء . وحللت عقدة الرباط ، فدارت بى الأرض ، وغامت المرئيات . وما زلت أرى هذه الرسائل بعين خيالى . وكانت الأولى :

البيت الأبيض « لا تاريخ »

« إنى آسف لأنى كنت أمس شكساً سيء الخلق ، ولكنك تفهم . وقد ساعدتنى كثيراً وأنا شاكر لك ، وأرى أن هذا الحذاء الأخير سيكون صالحاً »

المخلص
ودرو ولسون

والرسالة الثانية :

« أرجو أن تحضر غداً الساعة الخامسة تماماً فإن الحــذاء يورثنى تعباً شديداً ، ولا بد من تغييره فوراً » .

المخلص
ودرو ولسون

والثالثة :

لا يسعنى إلا أن أؤكد لك أن شراستى أمس لا تعنى شيئاً ، وكنت أنت أكثر من عطوف . وإنى لمدرك لمبلغ ما أسديته إلىّ » .

المخلص
ودرو ولسون

وعشرون رسالة أخرى ، بخط يعرفه الملايين من الناس ، وهى كلها مكتوبة على أوراق البيت الأبيض ، وظروفها معنونة بخط ولسون نفسه .

وقد فطنت إلى ما أبكى الحذّاء ، ولكنه هو لم يفطن إلى ما دار فى نفسى وتمثل لعينى ، فقد تمثل لى رجل يســير فى طريق الكلية ، ويقف من الألم ، ثم ينقلب بسرعة مرتدا إلى بيته ليبقى فيــه حتى يستطيع أن يمشى مرة أخرى وهو مستريح .

وتمثل لي رجل ــ عابس مكفهر الوجه ، ينتفض خارجاً من اجتماعات اللجان ، فيذهل الذين لا يعرفون ، كما أعرف أنا ، مبلغ الاضطراب الذي يحدثه للعقل الإنساني تعب الأعصاب المكدودة وأنسجة العضلات المرهقة.

وتمثل لي رجل يحاول أن يصارع لويد جورج وكليمنصو في فرساي، وهو لا يدري أن فتى ويلز عرف كيف يتغلب عليه بسهولة ، بأن يرهقه في يومه حتى يبلغ به من الإعياء مبلغاً لا يدع له قدرة على التفكير أو الكلام .

نعم ــ رأيت التاريخ مسطوراً في هذه الرسائل .



هي الطبيعة البشرية

حين كنت مديراً للصحة العامة في الفيلبين ، كان في طليعة همومي ، أن أضمن نقاء ماء الشرب في مانيلا . وأعلنا في أحد الأيام أننا سنبدأ يوم ١٠ يونيو في استعمال أسلوب جديد لتطهير الماء بالكلور . فما طلع يوم ١١ يونيو حتى بدأ مجلس الصحة يتلقى شكاوى مؤداها « أن الماء لا يصلح للشرب » . وردّدت الصحف صدى هذه الشكاوى .

وظللنا عشرة أيام لم نذكر شيئاً عن الحادث الذي أرغمنا على إرجاء استعمال الكلور ثم أذعنا الحقيقة ، حين تهيأ لنا استعمال الجهاز الجديد .

فسكنت الأصوات المرتفعة بالشكوى . [فيكتور هيزر في كتابه «أنت الطبيب»]

قال صحفي في ذات صباح لسيدة الدار التي يسكنها : أظن أن محصول البطاطس سيكون في هذه السنة محصولا كبيراً ، فخالفته في الرأي وقالت في حزم : بل سيكون محصولا ضعيفاً .

فلما وصل إلى مكتبه أعدّ الكلمة التالية للنشر : « من المتوقع أن يكون محصول البطاطس كبيراً هذا الخريف » .

وإذا السيدة تعتذر في المساء ــ وهو يكاتم ضحكه : « لقد أخطأت في موضوع محصول البطاطس . فقد قرأت في الجريدة أن المحصول سيكون ممتازاً » . [ا . د . سميث]

أى ناس هؤلاء ؟



صورة تؤثر : من حياة الصين

لييلاند ستو

مقتبسة عن كتاب « لن ينسوا »

بيت شيالنج وكر طائر مجسم ، يقوم على نجد من أوعر النجود المحيطة كالسياج بشونكنج ، وتستطيع من شرفاته الخارجية أن تصوب عينك رأساً إلى نهر يانجتسى الأكدر على أكثر من ٤٠٠ قدم تحتك ، وترى النهر راكداً ، وعلى صفحة مجراه العريض المتعرج تروح وتجىء الزوارق والقوارب ، وتثير خلفها خطوطاً متموجة قليلا . وهنا تسير الصين بخطوات أورثتها قرونها الطويلات الحقب البطء والكلال .

وفيما وراء الفندق يتلوى الطريق الرئيسى صاعداً حول النجود حتى يبلغ ذروة اليفاع ، وكذلك يتعرج هابطاً وينعطف بشدة ، وتدور ثنياته راجعة حول التلال ، وتجتاز سككه أحياء العمل فى شونكنج حتى يصل إلى أول شارع على رأس ٣٠٧ درجة من الحجر تهبط على معبر نهر اليانجتسى . وقد كنت أنحدر كل يوم على هذا الطريق ، وكنت ألتقى كل يوم بالصينيين يصعدون فيه غير عابئين بالمطر أو بعمق زحاليق النز .

وقد اتفق فى أول صباح لى فى شونكنج أن كانوا محجوبين وراء منعطف ، فسمعتهم قبل أن أراهم :

« هاى تو ... هاى تا ... هاى تو ... هاى تا ... هاى تو ... » .

وكان ذلك إيقاعاً متساويا ، أو على الأصح سلسلة شهقات ذات صوتين — وكأنه حكاية لتطريب النواتى على نهر الفولجا سوى أنه أقل حلاوة وأكثر شجى وإملالا . وانعطفت مع الطريق ، فرأيتهم قبل أن أكون فكرة عن هؤلاء المرجّعين ، وإذا بهم ثلاثة رجال وصبيان صغيران . وأحياناً لا يكون منهم هناك سوى ثلاثة ، وقد تبلغ عدتهم ستة ، ولكنهم فيما عدا ذلك لا تختلف حالهم ، كما لم يختلف قط فيما أظن منذ مئات أو آلاف من السنين .

وهم مشدودون إلى مركبة ضخمة ذات عجلتين ، وكانت المركبة فى هذا الصباح ملأى بسلال من القضض والحصى الصغار . ومكان الرئيس بين ذراعى المركبة ، والحبل ملقى على إحدى كتفيه وملتف بصدره ، ثم يرتد طرفه إلى حيث شد الطرف الآخر إلى المركبة ، ويشد الرجلان الآخران والصبيان على جانبى المركبة على هذا النحو أيضاً .

وترى آثار الحبال عميقة على أكتافهم البارزة العظام وصدورهم الضيقة .

والصبي يبلغ من الطول مبلغ الغلام الأمريكي في العاشرة من عمره ، ولكنه أضأل جسما ، والرجال أيضاً دقاق الأجسام مهازيل ، وقد لا يزن الواحد منهم أكثر من ١١٥ رطلاً . وما هم إلا خيل آدمية . فهل رأيت قط خيلا آدمية ؟ هل تحب أن تكون حصاناً آدمياً من سن العاشرة أو الثانية عشرة إلى أن يوافيك الأجل .

« هاي تو ... هاي تو ... هاي تو ... هاي تو ... » .

والصوت يندّ عن حلوقهم خارجاً من أحشائهم وفيه أحيح التمزيق ، ولا بد أن يكون وزن المركبة وحمولتها نصف طن ، وعسى أن يكون أثقل ، وهو حمل قاسي الثقل ، والطريق وعر المرتقى حتى ليضطر الرجال والصبيان أن يميلوا وينثنوا إلى الأمام جداً فترى ظهورهم المحنية تكاد تحاذي أرض الطريق . ينثنون إلى الأمام ويغرزون أصابع أرجلهم في الوحل ، ويتشددون حتى تبرز عضلاتهم وتختلج من الجهد على سيقانهم النحيلة وأكتافهم المجهودة . وهم عارون إلى الوسط ، وجلدهم الأصحم مشدود على ضلوعهم ، والحبال تحز في عظام أكتافهم ، وليس في وسعهم أن يحركوا المركبة إلا إذا جروها جميعاً معاً بكل ذرة من القوة في أبدانهم الوهنانة الممزقة .

ومن أجل هذا يشدون ، وينشدون — « هاي تو ... هاي تا ... » — فتدور عجلات المركبة الكبيرة ، وتنا تكد ، وتصعد بما تحمل ، ببطء ومشقة لم تر لها مثيلا في حياتك .

وأراقبهم وقد تنبضت أمعائي وتلوت ، وهم يزحفون مصعدين في هذا الشعب القاتل الموحل ، ولا أدري كيف يسعهم أن يديروا العجلات ، ويجروا المركبة فوق الأخاديد والصخور ، والعرق المتصبب على وجوههم كالفصوص يكاد يعميهم ، ويسيل كالجداول على أبدانهم العجيبة المبنية من الحديد والعظم . وكل منهم يحمل خرقة قذرة في إحدى يديه ، ويميل ويغرز أصابع قدميه في الزحلوقة ويمسح العرق من عينيه مرة بعد مرة ، ولكن شهقات تنفسهم المنتظم تستمر بلا انقطاع ، فإنه لحن متصل يوماً بعد يوم ، وعاماً بعد عام ، وقرناً بعد قرن .

« هاي تو ... هاي تو ... » كأنما يقولون « ... ممكن .. ممكن .. لنعيش .. لنعيش » فهو صوت بعضه أنين ، وبعضه تحدّ ، ونصفه دعوة إلى الشجاعة ، والنصف صرخة يأس . ويبدأ اللحن في مطلع الصبح

ويظل يتردد وتتجاوب بأصدائه مخارم الجبل حتى يسبل الليل سدوله الرحيمة .

فياليت شعرى ما أثر هذا الكدح المبرح فى نفوس الرجال ؟ وأى قوة إرادة هذه التى تستقطر آخر ذرة من القوة من أجسام خرعة ؟ وماذا ترانا نعرف عن روح الإنسان التى لاتقهر ؟ آه ! هؤلاء هم مئات الملايين من الأمة الصينية . وهؤلاء هم أخطر أهل الصين شأناً .

أتراك أنت أيضاً تعجبت لقوة الصين ؟ إنها تزحف كل يوم حول نجود شونكنج وعلى ثنياتهـا ، وهى فى آلاف من مدن وبلدان صغيرة مجهولة، وبين أذرع المركبات، وفى قلوب الملايين من عمال الصين .



أيها الرواد !

فى يوم من أيام سبتمبر سنة ١٨٦٧ كانت مسز هنرى ستيفنز ، وهى زوجة فلاح من الرواد فى برارى أريزونا ، تطل من نافذة دارها ، فرأت فى العشب ما رابها ، فلم تتردد لحظة ، فنحّت العجين الذى بين يديها ، ومدت ذراعها إلى بندقية الرش .

وارتجّت الدار حين انطلقت البندقية وسقط لص ميتا فى الخارج ، وكأن دوى بندقيتها كان إشارة لجماعة اللصوص بالهجوم ، وكانوا خمسين من الهنود الحمر ، ولم يكن فى الدار سوى المرأة وصغارها وشيخ يعاونها فى أعمال المزرعة .

فوقف الشيخ للدفاع فى مقدم الدار ، ووقفت هى فى المؤخرة ، وظلاّ كلاهما ست ساعات يردّان الهجوم . وسمعت جماعة من الرعاة صوت النار فامتطوا جيادهم وأقبلوا يبذلون معونتهم للمرأة ، ففر اللصوص . فلما انتهت الموقعة دنا مقدّم الرعاة من السيدة وسألها : أين زوجك يا سيدتى ؟ فقالت : ذهب إلى المدينة فى عمل . فقال : سأذهب إلى المدينة أنبئه بما حدث ، فاكتبى الرسالة التى تريدين ، فأحملها إليه رأساً .

وفى تلك الليلة تلقى الزوج من زوجته الرسالة التالية :

«عزيزى هنرى : جاء اللصوص . وقد كاد رشّى أن ينفد ، فأرسل إلى مقداراً آخر منه .

زوجتك المحبة »

[إورين أرنولد فى كتاب : « طريق أريزونا »]

هل يمكن إطالة الشباب ؟

بول دى كروف

« ثبت بالتجربة أن «هرمون» الذكر المحضر يمد الرجال بمدد جديد من النشاط حين تكون أعباء الحياة عليهم أثقل ما تكون »

يعتار الرجال فى كهولتهم فزع من ضعف خفىّ يسلّ قواهم ، وقد يبدأ لهم أن يكونوا فى ذروة الشباب والعمل. على أن بعضهم يتخطى هذه المحنة ويستعيد قواه (شأنهم فى ذلك إلى حدّ ما شأن النساء بلغن سن اليأس وجاوزنه بسلام) ، فى حين يتهادى الآخرون إلى الشيخوخة المبكرة تحت حمل من العلل الغامضة . ولكن الكشف الحديث عن هرمون التستوستيرون المحضر يدل على إمكان بعث عدد كبير من أولئك الرجال المحطمين ، فيما بين سن الخمسين والخامسة والسبعين ، هذا إذا قرر أطباؤهم أنهم يعانون نقصاً فى « هرمون » الذكور .

لقد طالما أنكر الأطباء على أى عقار كيميائى قدرته على صد شبح الشيخوخة الزاحف ، وعدوا ذلك وهماً من الأوهام . وهذا براون سيكار الفرنسى ، مؤسس علم الهرمونات ، قد حقن نفسه فى السبعين من عمره بخلاصة الغدة الجنسية ، وزعم أنه خلق خلقاً جديداً ، ولكنه ما لبث أن مات . وفى العقد الثانى من هذا القرن أحدث التطعيم بغدد القرود ثورة علمية سرعان ما تكشفت عن خرافة كخرافة ينبوع شباب بونس ده ليون المستكشف الأسبانى . وقام علم التشريح المرضى ينذر أنصار الهرمون المتلئين بالرجاء بأن الفرار من الشيخوخة محال .

وعلى الرغم من هذه النبوءات الحافلة بالتشاؤم دأب علماء الكيمياء الحيوية على أبحاثهم آبين أن يعترفوا بالمستحيل . وفى العقد الثالث جدّ هؤلاء العلماء فى البحث عن إكسير الشباب مدركين أن النشاط الجنسى مرتبط بالحيوية العامة فى الإنسان والحيوان . واستطاع العالم الهولاندى أرنست لاكير سنة ١٩٣٣ أن يفصل هرمون الذكر بادئ ذى بدء من الغدد الجنسية فى الثيران . وحضّر روزيكا الكيميائى السويسرى هذا الهرمون فى المعمل بعد سنة . واليوم أصبح لهرمون الذكر معين لا ينضب من مادة الكولسترول التى توجد فى مخ الأنعام ونخاعها الشوكى ،

إذ يمكن إحالة هـذه المادة كيميائيا إلى هرمون الذكر المحضر – أي التستوستيرون . ويرى أنصار الهرمون اليوم أكثر من بارقة أمل في نضالهم من أجل إطالة الشباب .

ولقـد أجريت مئات من التجارب في الحيوان قبـل تجربة العقار الجـديد في الإنسان ، فإذا الأثر الحيوى للتستوستيرون لم يقتصر فعله على الجهاز الجنسى ، فالديوك الخصيّة الوديعة ظفرت بعد تكرار حقنها به بأعراف حُمْر لطيفة ، ونُفخت فيها روح جديدة للنضال . كما خلق في إناث الخنازير الغينية عضـلات قوية كعضلات الذكور . وكل ما حقن به من حيوان بدا عليه نزوع جديد إلى القوة ، وأعين على الاحتفـاظ بالأزوت والأملاح المعـدنية والماء ، وهى العناصر التى ينذر فقدانها نذير الشيخوخة .

وأعجب من هـذا ما لوحظ من أثر هرمون الذكر المحضر في نشاط الرجال الذين فقـدوا غددهم الجنسية من جروح الحرب أو الأمراض . وفقدان النشاط الجنسى في أمثال هؤلاء ليس أكثر من مأساة واحدة في حيـاة مهيضة ، هى كالموت في رأى الأكثرين . فما يكاد أحدهم يبدأ عمله اليومى حتى يحس في عضلاته دبيب الكلال ، وإن جلودهم لترق وتتغضن وتنطفئ نضرتهـا . يحاولون التفكير فيضلون في تيه من الأحلام لا هدف لهم فيـه ، وإن آمالهم في الغد لتستحيل إلى يأس لا تغنى عنه دموع الأسى ولا كآبة التندم .

لقد استطاعت حقن هرمون الذكر الجـديد أن تبعث في هؤلاء الرجال المحطمين خلقاً جديداً في العقول والأبدان . وكان الدكتور ج . ل . فوس من برستول في إنجلترا أوّل من كشف عن أثر هـذا الهرمون في أمثال هؤلاء الرجال ، فقـد حقن طبيباً بيطريا أفقـده غدده الجنسية جرح أصابه في الحرب العالمية الماضية ، فاستعاد المريض قواه الجنسية التى افتقدها ١٨ عاماً ، بعـد الحقنة الأولى بثلاثة أيام ، بل فار شبابه فورة لم يخفف من غلوائهـا إلا خفض جرعة الهرمون .

وسرعان ما تحققت هذه المعجزة في كثير من عيـادات أمريكا ومستشفياتها ، فقـد أظهر الدكتور ا . ب . ماك كولاخ من كليفلاند قوة التستوستيرون المنشطة في ١٢ من أمثال أولئك الرجال المحطمين . وأجرى الأطبـاء أرنست سيمنسـون ، وولتر م . كينز ونوربرت أنزر من ميلووكى ، تجارب بهذا الهرمون ، فوجدوا له تنشيطاً هائلا لقوة العضلات والأعصاب . وأيد الدكتور س . و . دن من فيلادلفيا والدكتور هـ . هـ ترنر من مدينة أوكلاهوما ، تطور أمثال

أولئك الرجال من شيوخ بكّر إليهم الكبر إلى رجال ملء قلوبهم البهجة والنشاط .

وأثبت هرمون الذكر قوته الخارقة فى ميدان آخر ، فقد أحدث تبدلا فى الأشخاص الذين لم تنم أعضاؤهم الجنسية نموا طبيعيا وقت البلوغ ، ويعرف هؤلاء « بالمخنثين » ، وهم أشباه رجال ، لهم صوت رقيق النبرات ، وهم مُرْد لا ينبت الشعر على لحاهم ولا على أجسادهم ، ولهم عضلات واهنة ، ويعانون ما يعانى الشيوخ من ضنى العقل والجسد .

وكان الدكتور ج . ب . هاملتون الذى يعمل الآن بمدرسة الطب فى جامعة ييل أول رجل فى الولايات المتحدة سجل السرعة التى يستطيع بها التستوسترون أن يبعث الحياة فى هؤلاء الأشخاص الجديرين بالشفقة . وأثبت الأطباء ج . ا . هوارد وس . ا . فست من جامعة جون هوبكنز ، أن ٢٢ من أشباه الرجال ، قد أيقظ هرمون الذكر قواهم الجنسية ، وغلظ أصواتهم ، وشدّ من عضلاتهم ، وجمع المبعثر من مواهبهم .

ويواجه أنصار هذا الهرمون اليوم مشكلا مهمًّا من مشاكل الطب الحديث ، وذلك أنه إذا كان نقص هرمون الذكر يؤدى إلى سلّ قوى الرجال الحيوية جميعاً ، فهل يقتصر هذا الأثر على أولئك الأشقياء الذين فقدوا غددهم الجنسية أو ظلت هذه الغدد فيهم ضعيفة النمو ؟... كلا ، ولا ريب ، فقد أثبتت التجارب المؤكدة أن الإنتاج الطبيعى لهذه المادة الحيوية يتناقص كلما دنت الشيخوخة ، أفلا يكون هذا التناقص سبباً فى بعض العلل المبهمة التى تنتاب القلب والمخ فى الكهول والشيوخ ؟

فى سنة ١٩٣٨ أرسل الدكتور هاينز أرنت من كونجسبرج بألمانيا شعاعاً لماحاً على تلك المجاهل الطبية ، فقد جمع ١٧ رجلا بلغوا أرذل العمر ، وأصبحوا عالة على الحياة ، واستعصى انحلالهم العصبى وآلامهم الممضة التى يحسونها حول القلب ، على كل علاج ، فانجلى حقنهم بالتستوسترون عن شفاء سريع . ثم أسدلت الحرب ستاراً على العلم فى ألمانيا ، ولكن فى الأعوام الأربعة الماضية سجل عدد يتزايد من أطباء عيادات الولايات المتحدة ومستشفياتها لهرمون الذكر قدرة على علاج إحدى هذه العلل وهى الذبحة الصدرية .

والذبحة الصدرية هى استغاثة القلب حين تحرم عضلاته الدماء . وقد عالج الدكتور موريس ا . ليسر من بوسطن بالتستوسترون ٤٦ ضحية من ضحايا الذبحة الصدرية الشديدة المزمنة ، فأخذت آلام القلب المروعة تتناقص بالتدريج فى عددها وشدتها ومدتها .

واستطاع كثير من المرضى أن يزيدوا من نشاطهم إلى حد كبير دون أن يحسوا لذعة من لذعات الألم السابق . وأتيح لبعضهم الشفاء (ومنهم صانع غلايات) وعادوا إلى عملهم القديم . وأيد هذه النتائج أطباء آخرون فى بوسطن ونيويورك وكولومبس أوهايو وبومون تكساس حيث وجدوا جميعاً أن العلاج الطويل المستمر ضرورى للحصول على هذا الأثر النافع الذى قد يطيل الحياة .

لكن الأطباء طالبوا — ولهم الحق — ببرهان وثيق على أن التستوسترون له أثر واضح ممكن التقدير فى تقوية العضلات والمخ والأعصاب ، إذا ما دب فيها الكلال والإعياء . ثم قالوا لعل الآثار الطبية التى انجلى عنها التستوسترون هى فى أكثر الأمر توهم ، أو نتيجة لما يسميه الأطباء «بالإيحاء» . وأجاب أنصار الهرمون على هذا الإشكال جواباً علميا بالاختبار العلاجى الذى يتألف من إعطاء عدد من المرضى حبوباً أو حقناً زائفة لا تحتوى على شىء من هذا العقار المهم . وقد لا يستجيب لها المريض البتة ، فإن استجاب لها بتحسن ظاهر فى قواه العقلية والبدنية كان مرجع هذا التحسن هو الإيحاء بلا ريب ، وكانت آثاره خلاصاً مؤقتاً من الأعراض السيئة لا يلبث أن يزول . ثم يتلو ذلك علاج المريض بهرمون الذكر ، فإذا تكشف عن نتيجة طبية دائمة ، كان فى ذلك الدليل الكافى على صلاح الدواء .

ففى سنة ١٩٤١ أصاب الدكتور والترم . كيرنز شكوك الأطباء فى التستوسترون بصدمة عنيفة ، واستغل فى تجربته الحقيقة المعروفة : أن جياد السباق — بين أعضاء المملكة الحيوانية جميعاً — هى أدق ميزان للقوة والاحتمال ، حيث يمكن أن تقاس سرعتها فى سباق الميل بالثوانى وأجزائها .

اصطفى الدكتور كيرنز لتجربته الجواد الخصىّ هولوواى البالغ من العمر ١٩ عاماً ، وعلى أن هولوواى كان يوماً ما من الطراز الأول بين جياد السباق ، فإنه كان قد شاخ يومئذ ، وأعيي ، وتهيأ عظمه الفانى لمصانع الغراء . وحقنه الطبيب الباحث ب $\frac{1}{٦٠}$ من الأوقية من التستوسترون ، وفى خلال ٤٨ ساعة أخذ يبدو على هولوواى تطور عجيب نحو الحميّة والهمة ، وأخذ يتوثب كالجواد الشاب . ولما لم يكنْ سوى جواد أعجم فقد انتفى تعليل هذا التطور بما يسميه الأطباء بالإيحاء . وقد أخذ شعره يكثف ، وطفقت فروته ترق وتلمع ، وبدأت عضلاته تقوى وتشتد ، ومن ثم أعيدت رياضته على الركض الخبب . وفى سباق الصيف الماضى استطاع هذا السابق القديم ، وهو فى

التاسعة عشرة من عمره ، أن يكون سابقاً في خمسة أشواط ، ومصلياً في خمسة وتالياً في ثلاثة ، وبتعبير آخر — كما يقول كيرنز « عاد هولوواى الشيخ إلى صباه » .

ولا يزعم أنصار الهرمون أنه قادر على أن يرد البطولات الغابرة على الرياضيين الكهول المتقاعدين فى سباق المئة ياردة ، بل هم يحذرون من دعوى المشعوذين أن الحياة يمكن أن تبدأ بعد الخمسين أو الستين أو الخامسة والسبعين ، ولكنهم يحتكمون فى مزايا التستوسترون إلى التقارير العامية لكثير من المستشفيات والعيادات التى تشهد له بتجديد قوى الرجال الذين ثبت أنهم حرموا هرمون الذكور .

إن كثيراً من الكهول الذين يشغلون مناصب مهمة أدركوها بجهد العقل والبدن عدة أعوام ، يفقدون الحيوية التى يعود إليها فضل ما لاقوا من نجاح ، وقد يحسون إذ ذاك توتراً غريباً فى الأعصاب ، وإذا أصابهم مس تافه من السوء استعانوا عليه بالمشعوذين . ولقد يأخذهم النعاس عقب الرقاد مباشرة ، ولكنهم لا يلبثون أن يفيقوا ليقضوا معظم الليل فى هموم سخيفة . ولقد تتتابهم موجات خاطفة من الحرارة يتلوها عرق غزير ، وقد تسدل على عقولهم غشاوة فلا يستطيعون أن يحزموا أمرهم على قرار ، وما أكثر ما يفلت الزمام من أيديهم .

وقد استعمل الدكتور ه . ر . دونالد ، من مانشستر بإنجلترا ، التستوسترون لإنقاذ ٥٠ من أمثال هؤلاء الرجال ، فجرب فيهم أولا حقناً زائفة ليس فيها شىء من هرمون الذكر ثم حقنهم بالتستوسترون ، فكان له فى حيويتهم العامة أثر مجيد ، إذ عاد إليهم النوم الهنىء ، واختفى ما كان ينتابهم من موجات الحرارة والعرق الغزير ، واشتدت قوتهم العضلية ، وقلما كانوا يشعرون به من إعياء .

وفحص الدكتور ا . ا . وارنر من سانت لويس أثر التستوسترون فى ٣٩ رجلا أشرفوا على انطفاء جمرة الحياة ، ثم سجل ، فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية وفى مجلة المباحث البولية ، فعل العقار الجديد فى تجديد القوى . وأصاب مثل هذا النجاح الدكتور روبرت ج . دوجلاس من موسكيجون بولاية مشيجن فى ٥٨ رجلا . ولاحظ الدكتور س . و . دن من فيلادلفيا أن مجموعة من الرجال الذين علاهم الكبر ، عددها ٣٩ رجلا ، تجددت قواهم العقلية والجسدية بالتستوسترون . وثمت تقارير علمية عديدة تتناول أكثر من ٦٠٠ حالة وتثبت قدرة هرمون الذكور على زيادة النشاط فى الكهول الذين جاوزوا الخمسين .

والعلاج بهرمون الذكور — كما تملى

علينا الحكمة — يجب أن يوكل دائماً إلى طبيب ماهر ، فإن المرء قد يعانى مرضاً ما لا علاقة له بنقص هـذا الهرمون ، فإذا تعاطى التستوستيرون من تلقاء نفسه فقـد يدفعه الإحساس بالعافية إلى تأجيل الاستعانة الضرورية بالطبيب . ثم إن قوة هذا العقار الحيـوى كذلك قد تشعر الشـيوخ بأنهم عادوا إلى شرخ الشباب ، بل لقد تسوقهم الجرع الكبيرة منـه إلى إرهاق أنفسهم بالرياضة أو العمل ، ثم إلى ما يؤدى إليـه هـذا الإرهاق من آثار سيئة فى القلب والشرايين .

وهناك نذير أهم يتنادى به الأطباء الذين أصابوا خير النتائج من علاجهم تضخم البروستاتا بالتستوستيرون ، فى بعض الأحيان قد يختفى السرطان وراء هـذا التضخم ، ومثل هـذا الورم السرطانى قد يصبح أشد فتكا باستعمال هرمون الذكور . ومن أجل ذلك تتضح ضرورة قصر العـلاج بالتستوستيرون على الأطبـاء خشية تفاقم السرطان .

ويمكن تعـاطى التستوستيرون أقراصاً بالفم أو حقناً تحت الجلد . وقد كان غلوه الفاحش إلى عهـد قريب أحد الموانع التى حالت دون انتشار العلاج بهذا العقار ، فقد كان تداوى الرجل الذى ينقصه الهرمون يكلفه فى المتوسـط ريالا ونصفاً فى اليوم مدى شهر ، ثم يكفيه بعد ذلك ما يقـارب ثمنه ربع ريال ليحفظ عليه مستواه ، لكن ما حدث للأنسولين والفيتامين ب ١ ، بعد وفرة الإنتاج وعبقرية الكيميائيين ، خليق أن يتكرر على مر الزمن فى هذا الهرمون ، فينخفض سعره حتى يصبح فى متناول كل محتاج إليه .



● إن تاريخ النساء هو تاريخ أسوإ ضروب الاستبداد فى التاريخ — استبداد الضعيف بالقوى ، وهو الاستبداد الوحيد الذى يدوم . [أوسكار وايلد]

● وضعيفة ، فإذا أصابت فرصـة قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء
[أبو تمام]

● بعد ركوب سـيارة « جيب » مسافة مئة وخمسين ميـلا لابد لك من أربع وعشرين ساعة قبل أن يكف جسمك عن الاهتزاز .
[المراسل الحربى إرني بايل]

عمر برادلي

فردريك إبنتون

مقتبسة عن مجلة « ذي أمريكان ليجيون »

أحد قواد الغزو



قائد الميدان للقوات الأمريكية البرية في أوربا، ساكن الروع، قوى البطش، رجاله يقسمون بحياته .

في تونس، في شهر مارس عام ١٩٤٣ قائد أمريكي برتبة ماجور جنرال، يدعى عمر نلسون برادلي، وكان حديث عهد بها وبتوليه مهام نائب قائد للفيلق الأمريكي الثاني، فقال لي أحد معاونيه من الضباط : « لن ينقضي عام حتى ترى برادلي قائداً ذا ثلاثة نجوم ومتولياً قيادة عالية في الميدان » .

وماذا تتوقع سوى أن ينظر كل ياور إلى قائده نظرة إعجاب ؟ فلم أزد على أن ابتسمت . ثم لقيت برادلي في ذلك اليوم، وكانت نيران العدو تنهال عليه في طريق مكناسة، فرأيت رجلا يكاد يكون طوله ست أقدام، نحيلا طويل الساقين، يحتذي حذاء الميدان، ويرتدي سراويل ومعطفاً عسكريا قديماً . ولم أرَ ما يدل على رتبته العسكرية إلا نجمان على خوذته التي عانت ما عانت من تقلب الجو . وكان وجهه مجعداً بارز التقاطيع، وعليه سمة البساطة، وكانت عيناه الرماديتان الثابتتان، تطلان في رفق من وراء نظارتيه، وفي صوته العالي كسائر أهل ميزوري، لهجة رقيقة تنفي عنك أن تتوهم في صاحبها ذلك الحزم الجبار الذي تنتحله .

وكان رأيي في برادلي حينئذ أنه رجل ظريف، ولكن تعوزه « الصفة » العسكرية التي يفرض وجودها في كبار القواد .

على أن الغريب في هذا القائد الساكن الروع، الذي يشبه مدرساً في مدرسة، هو أنه أعجب شأناً من مونتجمري البريطاني الذائع الصيت، في قدرته على أساليب القتال في الميدان، فلم يكد ينتصف شهر أبريل حتى كان عمر برادلي قائداً للفيلق الأمريكي الثاني، ثم رقي في يوليو إلى رتبة لفتنانت جنرال، وفي أغسطس كانت براعته في حركات الميدان قد أصبحت أسطورة ذائعة، وصار ألوف من الضباط والجنود يتغنون بالثناء عليه . وأخيراً عينه الجنرال

أيزنهاور كبير قادة الجيوش البرية الأمريكية، فى حملة الغزو الوشيكة .

ولد برادلى فى سنة ١٨٩٣ بمدينة كلارك بولاية ميزورى ، وكان والده أستاذاً فى مدرسة ، وقد نفخ فى ولده حب السير على الأقدام، وكلبه وراءه وبندقيته بيده . ومات الوالد عنه وهو فى الثالثة عشرة ، فأشار أحد الأصدقاء بأن خير فرصة تتاح لفتى فقير يطمح إلى التعلم هو أن يلتحق بمدرسة «ويست بوينت» العسكرية ،فتخرج برادلى فى سنة ١٩١٥ وكان ترتيبه الرابع والأربعين فى فرقة مجموع تلاميذها مئة وأربعة وستون ومن هؤلاء ثلاثون أصبحوا فيما بعد قواداً (جنرالات) . ومنهم دوايت أيزنهاور، وكان ترتيبه الحادى والستين .

وكان برادلى من نوابغ فرقة لاعبى الكرة (بيس بول) التى بلغ ثمانية من أعضائها رتبة جنرال . ولا يزال إلى هذا اليوم يشارك الجنود حماستهم لهذه اللعبة ، ولا يتخلف عنها إلا لعذر قاهر ، على أنه أعرب عن اغتباطه بانتهاء سلسلة المباريات للبطولة الأميريكية فى هذه اللعبة سنة ١٩٤٣ قبل ميعاد انتهائها المألوف ، فتسنى للجنود الأمريكيين أن يوجهوا كل قواهم للحرب . وإلى هذا يرجع الفضل — على زعمه — فى تمكن الجنود من أن ينهوا الحرب فى صقلية بمثل تلك السرعة ، أكثر من رجوعه إلى حسن القيادة .

وقد قال أحد زملائه فى مدرسة ويست بوينت : « إن من أبرز صفات برادلى قدرته على إدراك ما يريد » . وانضم برادلى إلى سلاح المشاة ، وهو الآن « مدرك ما يريد » ، ولكن ذلك اقتضاه ربع قرن من الجهاد . وهو يقول : « قمت بكل عمل من أعمال الجيش ، وأنفقت خمساً وعشرين سنة أحاول أن أعلل لماذا لم أغادر سواحل الولايات المتحدة فى الحرب الماضية . والحمد لله على أننى لن احتاج إلى مثل ذلك هذه المرة » . ولما نشبت الحرب الحاضرة لم يكن برادلى قد سمع بعدُ طلقة رصاصة واحدة أطلقت فى موقعة حربية . وكان هناك ضباط كثيرون قد تمرسوا بالقتال ، فكان المنتظر أن يقدموا عليه .

والواقع أن عمر برادلى كان رجلا ممتازاً، وقد أظهر نبوغاً فى الفنون العسكرية الاستراتيجية والتكتيكية ، فلم يكن بد من وصوله إلى قيادة عالية . وفى سنة ١٩٤١ رقاه الجنرال مرشال إلى رتبة « بريجادير جنرال » ، وعهد إليه أن يوسّع مدرسة فورت بنج للمشاة حتى تصبح معهداً كبيراً يكفى لتدريب أربعة عشر ألف ضابط مرة واحدة . فنجح برادلى نجاحاً باهراً ،

وأصاب أيضاً متعة عظيمة ، لوفرة فرص الصيد الحسن ، وكثيراً ما كان يرافقه فى الصيد أحد المجندين .

وأخذ رجال الجيش يلاحظون أن برادلى يتحلى بالصفات اللازمة لقيادة الجيوش ، ففى شهر فبراير من عام ١٩٤٢ رقى إلى رتبة ماجور جنرال ، وعهد إليه فى تنظيم أول فرقة من الجيش تنقل بطريق الجو ، وهى الفرقة الثانية والثمانون .

وقع عليه الخيار ، دون عشرات من الضباط كانوا أعلى رتبة منه . فأرسل فى شهر فبراير سنة ١٩٤٣ إلى شمال إفريقية ، وكيلا للجنرال باتون . وفى شهر مايو من ذلك العام خلف رئيسه ، وقد أظهر من البراعة فى أساليب القتال وإحكام مواعيد الكر والفر فى ظروف عصيبة ما أدهش الألمان وأفضى إلى هزيمتهم . ومن أقواله المشهورة : « اضرب عدوك مرتين ــ المرة الأولى لترى ما عنده ، والمرة الثانية لتنتزع منه ما عنده » .

وتقرر ، فى شهر أبريل من ذلك العام ، نقل الفيلق الثانى الذى يقوده ، من جنوب تونس إلى مسافة مئتى ميل شمالا للقيام بهجوم مفاجئ على الألمان . وإن نقل خمسين ألف جندى ، وعشرة آلاف مركبة ومقادير عظيمة من العتاد ، مشكلة معقدة حتى فى زمن السلم . أما الآن فيجب نقل الفيلق ليلا لكيلا تراه طائرات الأعداء ، ومع ذلك فهو معرض للانكشاف على ضوء المشاعل التى يلقيها الألمان . وكانت الطرق التى يتعين على برادلى أن يسير فيها ، تقطع طرق تموين الجيش البريطانى الأول الممتدة من الشرق إلى الغرب ، وكان الجيش الأول حينئذ ، ملتحماً بجيش الجنرال فون أرنيم ، فلو سدت مركبات الجنرال برادلى تلك الطرق ولو بضع ساعات لكانت العاقبة وبالا .

ولكن برادلى نظم حركة نقل الجيش تنظيما دقيقاً روعيت فيه الثوانى ، فلم يدر العدو بشىء ، ولا انقطع نقل العتاد إلى الجيش البريطانى . وقبل البدء بتلك الحركة ، شوهد برادلى مراراً وهو يشرح خطته لصغار الضباط والجنود ، فكان يرسم خططه على الرمل بعيدان الشجر ، فبرادلى يرى أنه يجب أن يكون أكبر عدد من الأفراد فى كل جيش ملمين بما هو جار حولهم .

وحين شن هجومه المفاجئ على الألمان من موقعه الجديد ، لم يراع فى خطته الأساليب المتبعة المألوفة ، فبدلا من أن يشق طريقه فى الأودية حيث الطرق الممهدة (والجيوش الألمانية أيضاً) ، سار بجيشه على المرتفعات . وكان السير عظيم المشقة ، فلم يخطر للألمان أن أحداً يقدم عليه ،

ففجأهم مرة أخرى . وقد قال الجنرال برادلى فى تقريره الرسمى إلى الجنرال مارشال : « إن الهجوم على محاذاة المرتفعات كان ينطوى على صعاب هائلة فى التموين ، إلا أنه خفض عدد الإصابات ، ثم ثبت أنه أسرع طريق للالتفاف حول العدو » . ولم تكد تنقضى ستة أسابيع حتى هزّ برادلى الألمان هزة أخرى ، ذلك بأن مفتاح الحصون الألمانية فى بنزرت كان هو التل الصخرى الوعر المعروف برقم ٦٠٩ وهو أكمة يبلغ ارتفاعها ألفى قدم ، وتشرف على الأرض المحيطة بها فى مدى أميال كثيرة . وكانت حاميتها صفوة من فرقة هرمان جورنج ، وعهد فى حماية جناحها إلى آلاى من جنود الهابطات (آلاى بارنتين) ، وقد استبسل هؤلاء فى الدفاع حتى لم يبق منهم سوى اثنين.

وحاولت الفرقة الرابعة والثلاثون أن تكتسح التل رقم ٦٠٩ فردّت ، وقد حاولت الفرقة الأولى من قبل أن تهجم على ذلك التل من الجهة اليمنى فصدّت . وكانت الفرقة الأولى المدرعة مرابطة فى الوادى ، ولا تستطيع التقدم إلا إذا تمّ الاستيلاء على قمة التل ، فركب برادلى سيارة « جيب » وتفقد الموقف ، ثم قضى بضع ساعات يدرس الخرائط .

كان يعلم أن الألمان قد سحبوا معظم المدافع المقاومة للدبابات جنوباً لمواجهة البريطانيين الذين يتهددونهم ، ولم تكن طبيعة الأرض تصلح لسير الدبابات ، ومع ذلك أرسل الجنرال برادلى عشر دبابات أمريكية من طراز شيرمان إلى ما وراء التل ٦٠٩ لإرهاق خطوط تموين الحماة ، وجعل إرسال هذه الدبابات فى نفس الوقت الذى تهجم فيه الفرقة الرابعة والثلاثون . واستعر القتال ، إلا أن التل سقط فى يد الأمريكيين ، ثم اندفعت الفرقة المدرعة . وبعد سبعة أيام تضعضع الجيش الألمانى كله ، واستسلمت جموع منه ، كانت خطة الجنرال برادلى قد فصلتها بعضها عن بعض . وسقط فى الفخ الذى نصبه لهم سبعة وثلاثون ألف أسير .

وأصدر الجنرال يومئذ أمراً عسكريا لم يزد فيه على أن قال : « هذه هى خاتمة الأعمال الحربية فى شمال إفريقية للفيلق الثانى الأمريكى » . أما رؤساء الجنرال فقد أشاروا فى التقارير التى أرسلوها إلى بعد نظره وفطنته ، وسلامة حكمه على الأمور ، وتفوق خططه الفنية ، وشجاعته المقرونة برباطة الجأش . وجاء فى الختام قولهم : « إن نجاح خطته نجاحاً بارزاً يعود على الأكثر إلى شخصيته وجهوده » . ومنح وسام الخدمة الممتازة .

وقلما أتيح لقادة الجيوش مثل هـذا الانتصار العظيم بمثل هذه الخسارة القليلة (٣٥١ أمريكيا) و (٧٠ فرنسـيا) ، وهذا هو السبب الذى من أجله سمى الجنرال برادلى « قائد المشـاة » . أما سـبب قلة الوفيات بين جنوده ، فلأنه فعل ما لم يفعله قائد من قبل ، وذلك أنه جعل المستشفيات وجماعات الإسعاف أقرب إلى ساحة القتال . ولم ينقذ هذا حياة الـكثيرين وحسب ، بل عزز القوة المعنوية أيضاً .

قال أحد القواد الألمان الذين وقعوا فى الأسر فى معارك شمال إفريقيـة للجـنرال برادلى : « إن من يحاربكم أيها الأمريكيون يحارب رجالا كراما » ، إلا أن الجنرال برادلى لم يبادله هذا الثناء . وقد روى وهو محنق كيف بث الألمـان ألغـاماً فى أماكن لا يمكن أن يتنقل فيها إلا المدنيون كما نصبوا فخاخاً بين جثث القتلى من الأمريكيين . ومما قاله : « ليس الألمـان أعداء كراما لأنهم أهل مكر وغدر » . ومن المشاهد المألوفة ، فى الأماكن التى يشتد فيها ضرب النار ، « جيب » الجنرال برادلى حاملا ثلاثة نجوم على عارضته الأمامية . ويقول رجاله عنه : « إنه يكون دائماً فى المقـدمة » . ومقر قيادته (وهو خيمة أو مركبة مقطورة) أقرب إلى خط النار مما يجوز فى الحرب .

وقد نجا هذا القائد مراراً ولما يكد ، ففى إفريقية قتل مرة « ياوره » وكان واقفاً بجانبه ، وأطارت الشظايا البندقية التى كان يحملها الجنرال نفسه . وحـدث مرة أنه تقدم إلى الأمام أكثر مما تقضى به الحكمة فأطلق الرصاص عليه أحد القناصة ، فوقف سائق السيارة فجأة ، وأخذ الجنرال برادلى يترصد القناص « ببندقية » . لقد نجا القناص ، ولـكن القصة انتشرت بين الجنود الأمريكيين بأن الجنرال أخفق فى الفرصة الوحيدة التى أتيحت له لقتل ألمانى . وهم يتندّرون بها لأن برادلى يفاخر بأنه رام ماهر ، وقد كان فى أيام إقامته « بفورت بنج » يذهب فى صباح كل يوم قبل الإفطار ليتمرن على إطلاق النار برمى رؤوس الحيات المائية فى مستنقع مجاور .

وقد اشتهر الجنرال برادلى بدماثة الأخلاق والإنصاف . قال مرة : « لا أعرف رجلا على شىء من القوة يرى ضرورة فى رفع صوته » . وهو القائد الوحيد الذى سمعته يقول لأنباشى : « عفواً » . على أن أحدهم سمعه يحتدّ مرة وكان يستجوب ضابطاً أسيراً ألمانيا ، وإذا برصاصة تنطلق عفواً من بندقية ياور فمرت على مقربة من أذنه ، فصاح برادلى محنقاً : « كن حذراً فى استعمال هذه اللعبة اللعينة ، من فضلك » .

وطلب ليلة ، وهو فى الميدان ، مجرفة ليسوى الأرض ويقيم عليها سريره ، فتقدم المياور ليقوم بذلك العمل فقال له الجنرال : « إن الذى سينام هنا هو أنا لا أنت » . ثم مضى فى عمله بالمجرفة . وكلما هم أحد صغار الضباط بحمل كيسه يقول له : « دع عنك هذا ، إننى أحمل هذا الكيس منذ سنوات » .

والجنرال برادلى يعمل فى صمت تام . ذهب إليه ذات يوم جندى برتبة « أنباشى » واشتكى إليه أنه لم يرقَّ بعد إلى رتبة « شاويش » ، مع أن ميعاد ترقيته قد فات . فطرح عليه الجنرال عدة أسئلة فى قوانين الجيش ، فلم يستطع الجندى أن يجيب . فاستدعى الجنرال « شاويشاً » وألقى عليه تلك الأسئلة عينها ، فأجاب « الشاويش » عنها أجوبة صحيحة . فانصرف « الأنباشى » وقد أدرك لماذا لم يرقَّ إلى رتبة « شاويش » .

وللجنرال برادلى شهوتان : إدمانه مشروب الكوكا كولا (وهو من المرطبات الأمريكية المنعشة) ، وحبه للمثلوجات (الجيلاتة) ، وهو يستنفد منها ما يعجز عن استنفاده أى رجل فى الجيش . أما لعبة « البوكر » و « البريدج » فليستا من نقائصه ، بل هما من مزاياه كما علم أعداؤه .

قال له « إرنى بايل » مرة : إنه لا يستطيع أن يكون قائداً يصدر قرارات يرسل بها الجنود إلى حتف محتوم . فصمت الجنرال برادلى هنيهة ثم قال : « صحيح إنك لا تستطيع أن تنام نوماً هنيئاً على إثر قرار كهذا ، ولعله أشد وقعاً فى نفوس صغار الضباط منه فى نفسى . ولكنى منذ خمس وعشرين سنة وأنا أعوِّد نفسى إرسال الجنود إلى حتوفهم دون أن أجنّ » .

والجنود يعلمون أنه إذا أرسلهم إلى حتوفهم فلأن الضرورة تدعو إلى ذلك . وهم يقسمون بحياته ، ويقولون إنه أمين مخلص لعمله ، لا يأوى إلى سريره إلا ويفكر كيف يستطيع تسهيل مهمتهم .

وقد ثبت لهم منذ زمن بعيد ، أنه متصف بكل ما تقتضيه الحرب .



● جلس عمر بن عبد العزيز (أمير المؤمنين) ليلة وعنده قوم فى بعض ما يحتاج إليه من شؤون الخلافة ، فغشى سراجُه ، فقام إليه فأصلحه . فقيل له : يا أمير المؤمنين ! ألا نكفيك ! فقال : ما ضرَّنى ؟ قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

مكاتب أمريكي يطرح على مواطنيه هذا السؤال :

ما مستقبل أمريكا في آسيا ؟

ملخصة عن مجلة " ستردای إيفننج بوست "

ديمارى بيس

مراسلها في الصين لمدة عشر سنوات ومؤلف « البحث عن ذهب السوفييت » بالاشتراك مع جون د . ليتلبيج

لعل مستقبل المحيط الهادى ومنطقته أهم للولايات المتحدة مباشرة مما عسى أن يحدث بعد الحرب فى بولندا أو يوغوسلافيا ، أو فرنسا أو اليونان .

وسيدبر الأوربيون أمورهم بمعونة أو بغير معونة منا بعد الحرب . وقد أوضح ذلك فى الشهور الأخيرة، الروسيون والفرنسيون والبريطانيون والهولنديون والبلجيكيون وبقية الآخرين . وأكبر حلفائنا — وهم البريطانيون والروس — معنيون مباشرة بمستقبل أوربا أكثر من الأمريكيين ، ومن أجل هذا ارتبطوا فى أوربا بما لا نزال نتردد فيه .

ولكن الأمر على خلاف ذلك فى المحيط الهادى ، فقد أخذت أمريكا فيه على عاتقها عهودا جسيمة دائمة . وقد تقبلنا المسئولية عن إقامة نظام بعد الحرب فى آسيا بعد أن يزول اليابان كدولة عسكرية .

وقد حاول مؤتمر القاهرة أن يجلو الأمر لنا فى هذه النقطة ، فنص على أن اليابانيين سيجردون من كل الممتلكات الإمبراطورية ، ويُردون إلى جزرهم المزدحمة — وعددهم فيها ٧٣,٠٠٠,٠٠٠ — وأن تنال كوريا الاستقلال ، والمفهوم أن الصين لن تبقى كما هى فقط بل تتسع رقعتها أيضاً .

ولكن من الذى سيلزم اليابانيين أن يبقوا فى جزرهم ؟ ومن الذى سيضمن استقلال كوريا ، بينما يعد الكوريون الضعاف القليلو الخبرة أنفسهم للحكم الذاتى ؟ ومن سيستوثق من المحافظة على كيان الأرض الصينية ؟

لقد بنى مؤتمر القاهرة مشروعه كله فى الشرق الأقصى على افتراض أن الصين إحدى دول العالم الأربع الكبرى . وقد عشت فى الصين عشر سنين ، وأنا أعلم أن الشعب الصينى شعب عظيم ، ولكنى أعلم أيضاً أن

الأمة الصينية ليس لها من خصائص الدولة الكبرى إلا القليل ، إذا كان لها شئ من ذلك . وليس بالصين جيش حديث ولا أسطول ولا سلاح جوى ، وليس عندها صناعات ثقيلة ، وصناعاتها الخفيفة قليلة ، ويظهر أنه ينقصها كثير من الموارد الطبيعية مثل الفحم والحديد والزيت ، وهى لازمة لإقامة دولة صناعية حديثة ، أما مواردها المحتملة فى وجوه أخرى فمبالغ فيها .

وأقل من عشرة فى المئة من أهل الصين يقرءون ويكتبون ، وزراعتها بدائية ، ولا يكاد يكون فيها غابات ، أو قوة مائية مستثمرة ، وضبطها لفيضان أنهرها غير واف بالحاجة ، حتى إن الفيضانات تحدث مجاعات فى مناطق واسعة كل بضعة أعوام ، وطرقها وسككها الحديدية قليلة ومتباعدة.

يضاف إلى ذلك أن الأمة الصينية غير متحدة إلا على مقاومتها لليابان . وقد استطاع شيانج كاى شيك أن يوجد هدنة قلقة مع الشيوعيين الصينيين ، ولكنه ليس ثم مايكفل أن لا تتجدد الحروب الأهلية متى زال الضغط اليابانى .

وقد كتب حديثاً ، أرنست لندلى ، وهو صحفى فى وشنطون على اتصال وثيق بالبيت الأبيض يقول : « لقد كان المستر روزفلت دائماً يذهب إلى (١) وجوب معاملة الصين كدولة من الطبقة الأولى لمنع الحرب فى منطقة المحيط الهادى من التطور إلى حرب بين البيض والشعوب الملونة و(٢) أن الصين ستكون فى مدى جيل أو جيلين دولة من الطبقة الأولى . وهذه سياسة بعيدة النظر».

وأنا أجترئ على القول بأن النظر فى هذه السياسة أبعد مما ينبغى أن يكون ، إذ ماذا ترى سيحدث فى هذا « الجيل أو الجيلين » قبل أن تستطيع الصين أن تبلغ مرتبة دولة من الطبقة الأولى ؟ إن من الخطأ الشديد ستر الحقائق الحالية عن الصين ، لأن ذلك يوهم الأمريكيين أن كل ما علينا فى الشرق الأقصى هو أن نهزم اليابان ، فيسعنا حينئذ أن ننفض يدنا من الأمر كله وندعه لأصدقائنا الصينيين . وهذا خطأ ، لأنه لايساعدنا على أن ندرك الكنْهَ الصحيح لتعهداتنا التى ارتبطنا بها فى آسيا ، ومؤدى ذلك أن نعجز عن النهوض بهذه التبعات .

إن التبعات التى توليناها فى منطقة المحيط الهادى ضرب من التدابير السياسية القائمة على القوة ، لأن نظام ما بعد الحرب الذى وضع مشروعه فى مؤتمر القاهرة قائم على هذا . وقد تعهدت الولايات المتحدة والإمبراطورية البريطانية بأن تكفلا مستقبل الأمم الأسيوية العزلاء نسبيا ، وهو تعهد منوط فى الوقت الحاضر بالقوة الحربية

الأمريكية والبريطانية فقط ، وقد أرجأت روسيا بيان موقفها فى آسيا إلى أن تنتهى الحرب فى أوربا .

ونحن نأمل أن نرى روسيا السوفيتية والإمبراطورية البريطانية تتعاونان تعاوناً قلبيا صادقاً معنا على احترام كيان الصين وإلزام اليابانيين البقاء فى جزرهم ، والأخذ بيد كوريا فى فترة من الوصاية تنتهى بالاستقلال ، ولكنه يحسن أن نتذكر أننا كنا أيضاً فى سنة ١٩٢٢ نرجو أن نكون قد أقررنا أمور الشرق الأقصى فى مؤتمر وشنطون على قاعدة ثابتة حين أقنعنا اليابان بالانضمام إلى معاهدة الدول التسع ، وأن لاتنتهك حرمة الأرض الصينية. وقد أخطأنا يومئذ فى اعتقادنا أن هذا الاتفاق لا يحوج إلى استعمال القوة الحربية الأمريكية ، بل لقد خفضنا قوتنا الحربية فى المحيط الهادئ على الرغم من أنها لم تكن كافية .

ولن يكون غيرنا جديراً باللوم إذا وقعنا فى هذا الخطأ مرة أخرى ، فإن اليابانيين — مهما تهزمهم أو تجردهم من السلاح — أمة حربية ، وأبرع فى فن الحرب من الصينيين . ولما كانت الصين ستخرج من الحرب الحالية مهدودة لاقدرة لها على دفاع ، فإن مشروع نظامنا بعد الحرب لا يمكن تحقيقه إلا باتفاق وثيق بين الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية، والإمبراطورية البريطانية وهذا النظام ، آخر الأمر ، لا يمكن أن يكفل إلا إذا كان الشعب الأمريكى مستعدا أن يؤيد بقاء وحدات عسكرية وبحرية قوية فى المحيط الهادى إلى أجل غير مسمى .

وهذه المواثيق الأسيوية التى أخذنا على عاتقنا إمضاءها، ليست حديثة كما يتوهم بعض الأمريكيين ، وتاريخها لا يرجع إلى مؤتمر القاهرة بل إلى بداية هذا القرن حين سبقت الولايات المتحدة الأمم الأخرى إلى انتهاج سياسة الباب المفتوح فى الصين ، واقتنعت الأمم الأوربية الاستعمارية بإقرار هذه السياسة ، وموافقتنا على وجوب احترام كيان الأرض الصينية .

ولكنا تعلمنا حينئذ أن مثل هذه الاتفاقات لا يمكن أن بنفذ إلا بالقوة العسكرية ، وهو ما كانت الأمة الأمريكية غير مستعدة له . وفى خلال فتنة « البوكسر » فى سنة ١٩٠٠ احتلت عدة أمم رقعاً شتى من الصين ، ثم أهملت روسيا القيصرية تعهدها بالانسحاب من منشوريا ، وزادت فضغطت الحكومة الصينية الضعيفة ونالت منها امتيازات إضافية. ولما تهربت روسيا من احتجاجات الرئيس تيودور روزفلت القوية، قال وزير خارجيتنا — جون هيز — بلهجة الأسف : « أحسب أن روسيا تعرف أننا لن نحاربها

من أجل منشــوريا لسبب بسـيط هو أن هذا ليس فى مقدورنا » .

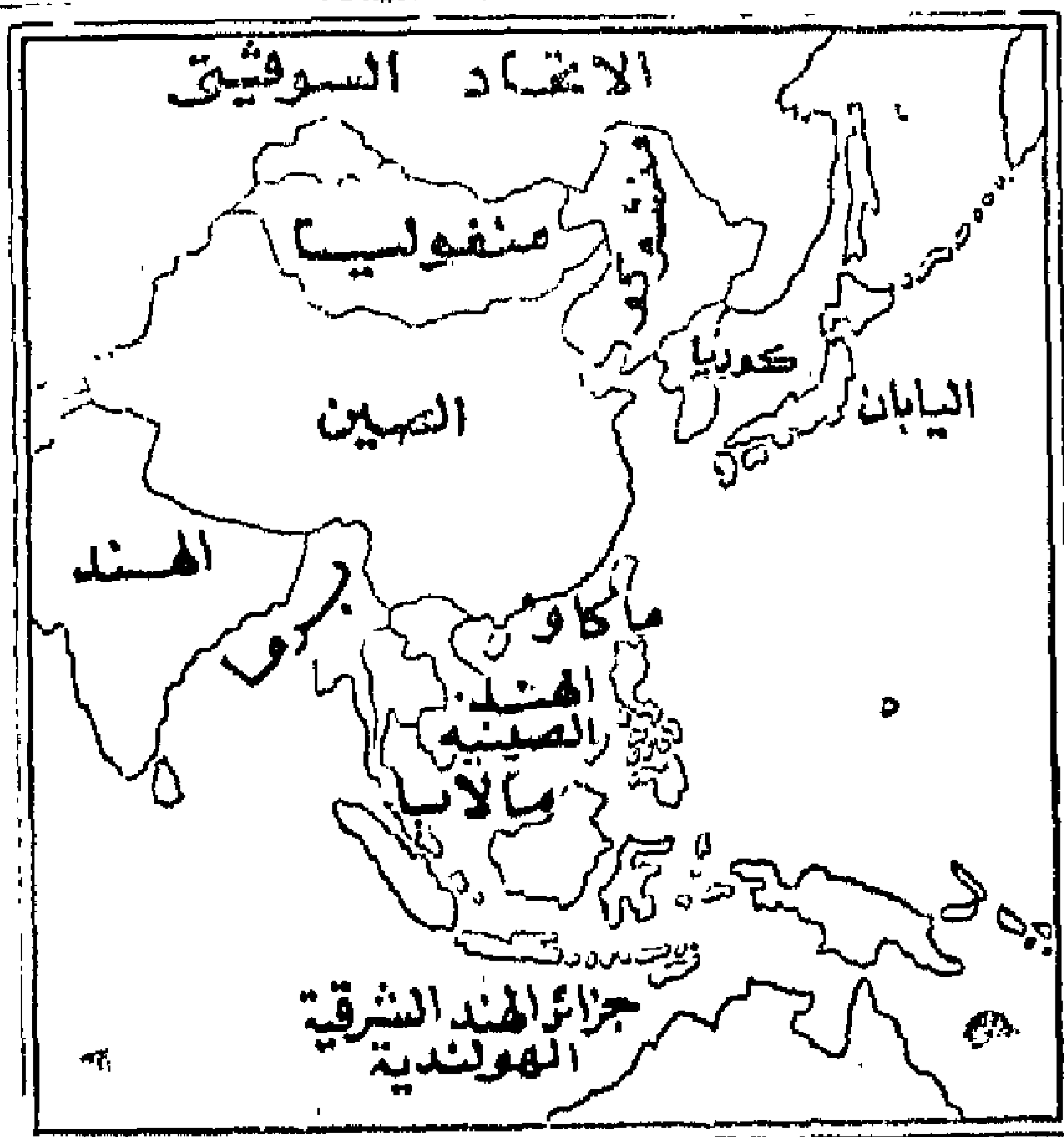
على أن دولة واحدة كانت مستعدة أن تحارب روسيا من أجل منشوريا ، وهـذه الدولة هى اليابان فى سنة ١٩٠٤ ، غـير أن انتصار اليابان لم يزد على أن أحلّ العدوان اليابانى محل العدوان الروسى ، وبعـد ٢٧ عاماً ضم اليـابانيون منشــوريا فى الواقع ، واقتصرت حكومة الولايات المتحـــدة على الاحتجاج ورفض الاعتراف بمملكة منشوكو الصورية، لأن الشعب الأمريكى لم يكن أكثر اسـتعداداً لمحاربة اليابان فى سنة ١٩٣١ مما كان لمحاربة روسيا لنفس السبب فى سنة ١٩٠٢ ، ولقد تعهدنا بأن نؤيد ونكفل كيان الصين، ولـكنا أبينا أن نزود أنفسنا بالقوة العسكرية التى صار تعهدنا بدونها لا معنى له .

ولو كانت الصين أمة متحدة حقا فى سنة ١٩٣١ لـكان الصينيون قد نبذوا كل شىء آخر ليتسنى لهم أن يقـاوموا العدوان اليابانى ، ولـكنهم بدلا من ذلك بددوا قوتهم فى حروب أهلية عقيمة بين شيانج كاى شيك والشيوعيين الصينيين .

وهذا كله ماء فوق الخزان ، ولولا أن له أثراً مباشراً فى المستقبل القريب لما كان فى ذكـره فائدة ، والشعب الصينى العظيم يطرق الآن ببطء على سندان الحرب لتكون منه أمة ، غير أنه لا ينبغى أن يعمينا العطف على الصينيين — بالغاً ما بلغ — عن الحقيقة الواقعة وهى أن الصين ليست دولة كبرى ، وأنها لا يمكن أن تصبح كذلك قبل « جيل أو جيلين » على الأقل . وفى خلال ذلك يكون على الشعب الأمريكى بمقتضى تعهده ، سواء أكان يدرك ذلك أم لا يدركه ، أن يكفل كيان الأراضى الصينية ويدفع عنها كل عدوان.

وهكذا صرنا عاملا كبيراً فى سـياسة التوازن فى الشرق الأقصى، وذلك بالمحافظة على الصين كورقة كبرى . وليس فى وسعنا أن نضطلع بما تعهدنا به فى ظل السلام إلا بالاحتفاظ بعلاقات دقيقة جداً مع الاستعماريين الأوربيين وبروسيا السوفيتية القوية وبالأمة الصينية .

ولروسيا منطقة نفوذ طبيعية فى كل هذه الأقاليم الأسيوية الواسعة التى تتاخمها — كوريا



ومنشوريا ومنغوليا والتركستان الصينية ، ومعروف أن الحكومة الصينية الحالية لم تستطع قط أن تسيطر سيطرة تامة على هذه الأقاليم ، التى كان يتحكم فيها فى السنوات الأخيرة روسيا أو اليابان . فهزيمة اليابان يكون معناها أن كثيراً من هذه الأقاليم الواسعة الغنية تصبح « فراغاً سياسياً » ، ومن المحقق أن الروسيين سيستخدمون نفوذهم بالقدر اللازم للمحافظة على مصالحهم .

وللإمبراطورية البريطانية أيضاً مصالح فى آسيا أوضح من مصالحنا ، وستسيطر بعد هذه الحرب ، كما فعلت من قبل ، على موارد الهند وبرما وملايا الغنية ، وستؤيدها بطبيعة الحال الدول الأوربية الأخرى ذات الممتلكات فى الشرق الأقصى — هولندا فى جزر الهند الشرقية ، وفرنسا فى الصين الهندية ، والبرتغال فى مكاو .

فهل الشعب الأمريكى مستعد أن يدفع الثمن الذى تتطلبه تعهداتنا وارتباطاتنا ؟ كلا ، على التحقيق ، إذا ظللنا نجهل هذا الثمن ما هو ، وكلا على التحقيق إذا تركنا سياستنا فى المحيط الهادى تنقلب كرة فى ميدان السياسة الداخلية ، فتدفعها إلى هذه الناحية أو تلك طوائف تصدر عن وحى العاطفة ، وليس لها رأى جلى فى أهدافنا الرئيسية ، أو فى حدود طاقتنا نحن .

مثال ذلك أنه ليس لنا أن نتوقع أن تقوم الدول الأوربية عنا بدورنا ، إذا جعلنا همنا أن نضعف قبضتها على ممتلكاتها فى الشرق الأقصى . وليس فى وسعنا أن نتكفل بتحرير الهند من البريطانيين ، وجزر الهند الشرقية من الهولنديين ، وأن ننتظر مع ذلك من البريطانيين والهولنديين أن يعاونونا على الاحتفاظ بالتوازن الدولى فى آسيا . وكذلك ليس لنا أن ننتظر من روسيا أن تؤيد نظاماً فى الصين يشن حرباً على الشيوعيين الصينيين ، كما فعل نظام شيانج كاى شيك فى الماضى ، وكما ينذر بأن يفعل فى المستقبل .

إن السلم فى المحيط الهادى بعد هزيمة اليابان ستكون سلماً قلقة جدًّا ، ولا سبيل إلى الاحتفاظ بالسلام إلا بأدق فهم وأعظم حلم وصبر من جميع من يعنيهم الأمر ، وسيتطلب نصيب أمريكا من هذا السلام مستوى عالياً من الاقتدار السياسى ، واحتفاظاً بقوة أمريكية عسكرية وبحرية إلى أجل غير مسمى .



ليس فى الدنيا أشياء لاتستحق المبالاة ، إنما هناك أناس كثيرون لا يبالون .

[ج . ك . تشسترتون]

علموا أولادكم الحياة

خيارة فى زجاجة

عند ما كنت فى العاشرة من عمرى أرانى والدى خيارة فى زجاجة . وكان عنق الزجاجة من الضيق بحيث لا يمكن أن تنفذ منه خيارة بهذا الحجم الكبير . وسألت والدى : كيف نفذت إلى جوف الزجاجة ! فتناول والدى زجاجة وقادنى إلى الحديقة ، فرأيته ، وأنا شديد التطلع ، يدخل خيارة صغيرة عالقة بفرعها فى جوف الزجاجة . وعندئذ فهمت أن الخيارة نمت وهى فى جوف الزجاجة .

والتفت والدى إلى وقال : « كثيراً ما أرى يا بنى من عادات الناس ما يجعلنى أعجب كيف يطيق شخص عاقل أن يعتادها ، وأغلب ظنى أن هذه العادات تنمو فيهم كما تنمو الخيارة فى جوف الزجاجة فلا يستطيعون الخلاص منها ، فاحذر يا بنى مثل هذه العادات » .

ولم أنس إلى اليوم تلك الكلمات .

[س . و . بولوك]

بعد دقيقة

كنت فى طفولتى أتلكأ فى إجابة والدتى إذا نادتنى وأنا ألعب أو أقرأ ، وكنت أجيب : « بعد دقيقة » ولكن الدقيقة كانت تطول إلى دقائق .

وذات يوم علقت والدتى وجه ساعة من الورق المقوى على الحائط ، وكان له عقرب واحد جعلته والدتى يشير إلى الساعة الثانية عشرة ، وقالت لى إنها ستحرك العقرب إلى الأمام بقدر عدد الدقائق التى أتلكأ إذا ما نادتنى . وفى المساء كانت ترى مجموع هذه الدقائق وتستقطعها من وقتى ليلا ، فكان لزاماً على أن أذهب إلى مخدعى مبكراً بقدر عدد هذه الدقائق .

وقد أسقطت من كلامى عبارة « بعد دقيقة » بعد أن اضطررت عدة مرات إلى أن أترك اجتماع الأسرة بعد العشاء ، وأن أذهب إلى مخدعى . وتعلمت المبادرة .

[ألن بتنام]

وفاء الجميل

كان أخى وزوجته ينفحان ولديهما بشئ من النقود إذا قاما لهما بعمل . وأخذ الولدان مع الزمن ينتظران أن يدفع لهما شئ عن كل ما يعملانه . وفى صبيحة يوم أحد وجد الوالد فى طبق فطوره قائمتين جاء فى الأولى :

الوالد مدين لهبرن

لكنس مماشى الحديقة ...	١٠	سنتات
للتمرين الموسيقى	٣٥	سنتاً
لنقل رسالة لوالدتى	١٠	سنتات
لتنظيف أسنانى	٢٥	سنتاً
لحصولى على علامة جيد + فى الحساب	٢٥	سنتاً
	١٫٠٥	

وأنا فى حاجة إلى بطارية . «هبرن»

وجاء فى الثانية :

الوالد مدين لوالت

لمسح حذاء الوالد	١٥	سنتاً
لمسح حذائى	١٥	سنتاً
لأكلى الجزر	٢٥	سنتاً
لتلقى دروس القيثارة ...	٥٠	سنتاً
لتنظيف أظافرى	١٥	سنتاً
	١٫٢٠	

وأريد مبراة . « والت »

فلم يقل أخى ولا زوجه شيئاً . وفى اليوم التالى ساعة العشاء وجد الولدان النقود المطلوبة مطوية بعناية فى قائمتى الحساب ، ومعهما ورقة أخرى جاء فيها :

هبرن ووالت مدينان للوالد والوالدة :

للعطف والرعاية والبيت ... ... لا شئ

للطعام واللباس ... ... لا شئ

للمدرسة والكتب ودروس الموسيقى لا شئ

لمخيمات الكشافة واللعب ... ... لا شئ

للدراجات ومشاهدة الصور المتحركة لا شئ

إننا نعطى لأننا نحبكم

« والداكم »

ولأول مرة فهم هبرن ووالت معنى كلمتى « الشكر » و « التعاون » .

[ب . إ . سميث]

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

● أصيبت سيدة بشلل الأطفال فى حداثتها إصابة شديدة ، فقال لها صديق يعطف عليها ويحاول أن يلطف كربها : « إن المحنة تلوّن الحياة » . فردت على الفور « وأنا أنوى أن أختار اللون » . [هارى إمرسون فزديك]

● كانت العبارة التالية شعار الكاتب جون جالزورذى ومبدأ حياته ، وقد كتبها على لوحة أقامها أمامه على مكتبه : سأسلك طريق هذه الدنيا مرة واحدة ، فكل خير أستطيع أن أصنعه ، وكل يد أستطيع أن أسديها لإنسان أو لحيوان أبكم ، فلأصنعه الآن ، ولأمتنع عن إرجائه أو إهماله ، لأننى لن أسلك هذا الطريق إلا مرة واحدة . [كتاب « رجال يستحقون الذكر »]

مولود مشوّه ... أمر موته أو حياته بيد الطبيب ...

لمن الحكم ؟

فردريك لويس
الدكتور في الطب وطبيب أمراض النساء والولادة المعروف

ملخصة عن كتاب "كونسلتيشن روم"

مهما يكن شعور الأطباء في بعض الأحوال حيال المحاولة الدائبة لجعلهم قضاة الموت والحياة ، فهم ولهم العذر يستنكرون هذه المحاولة ويتقونها . إن عبء التبعات الملقاة على كواهلنا ثقيل لا يحتمل هذه الزيادة ، وأنا نفسي أرى من واجبي أن أصون الحياة ، وأن أدرأ الموت عن المريض بكل ما أستطيع من قوة ، واضعاً نصب عيني دائماً أنه لا مجال لليأس مادامت الحياة . ولكني لم أنج كسائر الأطباء من هذا المشكل ولا من هذا الإغراء .

وفدت عليّ في عيادتي ذات يوم شابة نحيلة تتوقع ميلاد طفلها البكر ، ولم يكن تاريخ حالتها النفسية باعثاً على الرضا ، وإن كانت متحدرة من أسرة طيبة ، فقوّيت من عزيمتها ما استطعت ، ولم أتمالك على مر الزمن عن الإعجاب بالجهد الذي بذلته لتروض نفسها على الصبر والطمأنينة ، وتسيطر على نزوات أعصابها .

وانجلى فحصها الدوري قبيل موعد ولادتها بشهر عن أن الجنين سينزل منكوساً (برجليه قبل رأسه) . والعادة أن يثوى رأس الجنين في الجزء الأسفل من الرحم قبل مولده بعدة شهور ، والطفل الذي يلفى منكوساً في شهر الحمل الأخير — وهو نادر — كثيراً ما يستعيد وضعه الطبيعي بحيث يتجه الرأس إلى أسفل عند ما يتهيأ الجنين للميلاد . وكذلك نجد من بين كل ٢٥ ولادة جنيناً واحداً يولد منكوساً .

ومن حسن الحظ أنه كذلك ، فمعدل الوفيات في الأجنة المتحدرين بالأعجاز أعلى منه في الأجنة المنحدرين بالرؤوس ، ومردّ ذلك إلى الصعوبة التي تعاني في إخراج الرأس المتخلف ، والحاجة الماسة إلى إخراجه بسرعة عقب خروج الجسد ، إذ يحشر الحبل السري في هذه اللحظة بين رأس الجنين الصلب والحوض العظمي للأم ، فإذا ما انقطع معين الأكسجين عن دم الجنين مات حتماً في بضع دقائق ، فإذا كان بكر أمه كان الحرج أبلغ .

وفى حالة هذه الوالدة الشابة كان «حتما» أن ينزل الجنين منكوساً ، فقد كانت سيقانه وأقدامه مطوية تحته كالجالس القرفصاء .

وأقسى ما يعانيه الطبيب فى إخراج الجنين المنكوس هو تنحية يديه عن العمل حتى تنتهى قوى الميلاد الطبيعية من إتمام توسيع أنسجة الأم المنقبضة التى تعوق الولادة . ولقد صبرت غاية ما وسعنى الصبر ، وأنا أبعث برسائل متوالية إلى الأسرة القلقة التى تنتظر بالباب .

وأخيراً آن الأوان فجذبت إحدى القدمين جذباً رفيقاً ، ثم جذبت الأخرى ولكنها لسبب لم أتبينه لم تهبط إلى مستوى أختها ، فأعدت جذبها بلطف ، واستعنت بالممرضة تضغط ضغطاً هيناً على بطن الأم . فهبط جسم الجنين قليلا ، وهالنى أن هذه القدم لن تكون فى مستوى أختها أبداً ، فقد كان الفخذ كله من الحوض إلى الركبة معدوماً . فهذه القدم لن تصل حتى إلى مستوى الركبة المقابلة . وكان على هذه الأنثى الوليد أن تعانى طول حياتها هذه الآفة التى لم يعرض لى مثلها من قبل ولا من بعد .

وتلا ذلك أقسى ما قام بينى وبين نفسى من نضال ، فقد أدركت أى أثر مروّع سوف يتركه الأمر فى أعصاب الأم المتداعية ، وشعرت عن يقين أن الأسرة سوف تفنى أموالها فى زيارة كل طبيب معروف من أطباء العظام يستطيع أن يمد لها شعاعاً من الأمل .

وخيل إلى أنى أرى فوق كل شيء هذه المولودة وقد شبت بنية تجلس وحيدة محزونة ، على حين يكون لداتها مستسلمات للضحك ، والرقص ، والركض ، واللعب . فأدركت بغتة أن ثمة شيئاً يستطيع أن يمحو كل هذه الكروب إلا واحداً ، وأنى على هذا الشيء قدير .

من كل عشرة أجنة تولد منكوسة يموت واحد أثناء الميلاد ، لأنه لا يولد بالسرعة الكافية . والآن — ماذا يضير لو تمهلت فحسب ! لو رضت يدى على البطء ، لو أرغمت نفسى فأطلت تلك اللحظات القصار ؟ إنها لن تكون ولادة سهلة على أية حال ، ولن يعرف مخلوق ما صنعت ، ولعل الأم يسرها ، بعد انقضاء صدمة الحزن الأولى ، أنها فقدت طفلا مشوها هذا التشويه المحزن .

وهمس لى من ضميرى هامس : «لا تسلط عليهم هذا العذاب . . . إن هذه المولودة لم تتنفس نفساً واحداً ، فلا تدعها تفعل . . . وكأنى بك لن تستطيع أن تخرجها فى الوقت المناسب على أية حال . . فلا تتعجل!»

وأومأت إلى الممرضة أن تحضر الفوطة المعقمة الدافئة التى تجهز لى عادة فى كل ولادة منكوسة ، فالصقتها جسد الجنين ،

حتى لا يحدث مسّ الهواء البارد تنبيهاً له يتفتح له صـدره فجأة ، فيستنشق النخط (ماء المشيمة) أو المخاط ، وأحـدهما أو كلاهما ربما يقضى عليه .

ولـكن لم يكن للفوطة عمل فى هـذه المرة إلا أن تخفى ما رأته عيناى دون أعين الناس ، فقد كنت حزمت أمرى على قرار.

نظرت إلى الساعة فإذا ثلاث من الدقائق السبع أو الثمانى المقررة قد بقيت ، وكل عين فى الغرفة شاخصة إلىّ . لقـد شهدنى أولئك الممرضات أولد عشرات من الأطفال الذين يولدون أنكاسا بنجاح . أجل ، وقد شهدننى أخفق كذلك ، وسيرينني أخفق الآن كرة أخرى . ولأول مرة فى حياتى الطبية رأيتنى أتنكب ما تعلمت أنه حق ، لأفعل ما أيقنت أنه من الخير أن يكون .

ودسست يدى تحت الفوطة أجس نبض الجنين فى حبله السرى ، وهو الدليل الوثيق على حاله ، فأدركت أن دقيقتين أو ثلاثاً فيها الكفاية . ولـكى أبدو كأننى أعمل عملا ما ، جذبت الطفل قليلا أحاول أن أبسط ذراعيه ، وهى الخطوة التالية فى مثل هذه الولادة . وعندئذ تحركت القـدم السليمة الوردية فخرجت من الفوطة الواقيـة ، فمست بقوة يدى التى اؤتمنت على حياة الأم وحياة الجنين . ثم اختلج الجسد فجأة ، اختلاجة الإحساس بالقوة والحياة .

وكبر على الأمر فلم أقوَ عليه ، فتقبّلت الطفلة ذات الساق القصيرة الباعثة على الشفقة ، ثم أنبأت الأسرة نبأها ، وفى اليوم التالى أخبرت الأم وصوتى يتهدج .

وكان كل ما خفت أن يكون ، فقد بقيت الأم عليلة فى أحد المستشفيات شهوراً ، وهزلت حتى أصبحت كالشبح ، وبعد ذلك أخذت أسمع عن الأسرة من طريق غير مباشر بين الحين والحين ، فقـد ذهبوا بالطفلة إلى روشستر بمينيسوتا ، وذهبوا بها إلى شيكاجو وبوسطن ، ثم فقدت آثارهم فى النهاية .

وطفقت على الأيام ألوم نفسى لوماً قاسياً على أنى لم أكن من القوة بحيث أستسلم لما كان يغريني .

* * *

كان من عادة المستشفى الذى أعمل فيه أن يحتفل بعيد الميلاد احتفالا رائعاً يدعى إليه جميع موظفيه وممرضاته وأطبائه ، وكان حفل العام الماضى بديعاً بنوع خاص .

وحين بدأ الأرغن يعزف الأنغام الأولى لأنشودة قـديمة ، تهـادى إلى حجرة الاحتفال عشرون ممرضة يرتدين كامل كساهن ، وكل منهن رافعة بيدها شمعة موقدة ، وترتل أنشودة معروفة من

أناشيد عيد الميلاد بصوت رخيم .

ثم هبط على المسرح ضوء غامر أزرق أخذ يغشى شجرة الميلاد المفضضة فيضفي عليها بهاء يزداد لألاؤه ، حتى بدت كل حلية عليها كأنها تتوهج . وارتفع ستار فى الجانب الآخر من المسرح فإذا ثلاث موسيقيات فاتنات يتألقن فى ثيابهن البيض ، ويعزفن مع الأرغن ، إحداهن على قيثارة ، والثانية على « تشلو » والثالثة على كمان ، وإنى لواثق أنى لم أكن يومئذ الوحيد الذى اغرورقت عيناه بالدموع .

لقد كنت دائماً أحب القيثارة ، وأحب أن أرقب رشاقة العازف الماهر عليها ، ولكنى فتنت فتنة بهذه الصبية تعزف على قيثارتها ، فقد بلغ عزفها من الجودة مبلغاً عظيما ، فكأنها كانت تعشقها ، وكانت أناملها الرقيقة تنساب انسياباً على الأوتار .

وبينا كان الممرضات يغنين كان وجهها الذى نضرت جماله هالة من الشعر العسلى ، يولى شطر السماء ، كأنما الدنيا فى هذه الساعة مكان قدسى بديع .

وبقيت بعد انتهاء العرض القصير لأهنئ رئيسة الممرضات بنجاح الاحتفال . وبينا كنت جالساً وحدى ، رأيت امرأة لا أعرفها مقبلة تهرول وتبسط يديها إلىّ صائحة : « ولى . . . لقد رأيتها ، ولا بد أنك عرفت فيها الطفلة التى أخرجتها بيديك . إن هذه العازفة على القيثارة هى ابنتى ، وقد رأيتك تطيل النظر إليها . . . ألا تذكرنى ؟ ألا تذكر طفلة ولدت بساق سليمة واحدة منذ سبعة عشر عاما ؟ لقد اتخذت الآن ساقاً صناعية . حاولنا كل شىء فى البداية ، ولكنك لا تستطيع أن تتبين الساق الصناعية . . . أليس كذلك ؟.. إنها تمشى بها وتعوم ، بل تستطيع أن ترقص أيضاً .

« ولكن خيراً من هذا كله أنها تعلمت خلال هذه السنوات ، أيام كانت عاجزة عن القيام بشىء من هذا ، أن تستعمل أناملها هذا الاستعمال البديع ، وستصبح عازفة عظيمة على القيثارة ، وستدخل الجامعة هذا العام عند ما تكمل السابعة عشرة . إنها حياتى كلها الآن ، وإنها لسعيدة ، وتلك هى » .

وبينا نحن نتكلم أقبلت الصبية الحسناء تتهادى وعيناها تتألقان .

قالت أمها بصوت مضطرب : « هذا أول أطبائك يا عزيزتى ... هذا طبيبنا » . ورأيتها تطوى مثلى سنين الأسى طيًّا لتعود إلى ذلك اليوم الذى أنذرتها فيه بما ستواجه من المحن .

واندفعت اندفاعاً فاحتضنت الطفلة ، ومن فوق كتفها الصغيرة الدافئة خيل إلى أنى أرى ساعة غرفة الولادة تزحف عقاربها

منذ سبعة عشر عاما ، وأني أرجع القهقرى فأحيي تلك الدقائق المروّعة التي كانت حياتها فيها بين يدى ، والتي اعتزمت فيها قتلها عامدا . ونحيتها وأنا لا أزال ممسكا بها ، وتطلعت إليها وأنا أقول :

« لن تعلمي أيتها العزيزة ، ولن يعلم مخلوق ما أجد في نفسي هذه الليلة . تكرمي فعودي إلى قيثارتك لحظة ، واعزفي لي وحدي ، فإني أحمل عبئاً لم يحمله قط إنسان ، عبئاً أنت وحدك القادرة على أن ترفعيه عن كاهلي » .

وجلست أمها بجواري ، ووضعت يدها على يدي بهدوء ، وابنتها تعزف ، ولعلها أدركت ما كان يجول بخاطري ، فلما أشرف اللحن على نهايته خيل إلى أني وجدت الجواب على سؤالي : « لمن الحكم ؟ » ووجدت الراحة كذلك ، الجواب والراحة اللذين افتقدتهما هذا الأمد الطويل .



الفرق عظيم

فتح ضابط بريطاني في القاهرة برقية تلقاها من إنجلترا ، فجحظت عيناه فزعاً إذ قرأ : « ولد لك ولد » . وبعد بحث ملحّ في مكتب البرقيات تبين له أنه تلقى فعلا البرقية المرقومة ٨٥ — ومؤداها « تصلني أخبارك أحياناً » — فأرسل إليه خطأً نص البرقية المرقومة ١٨٥ — ومؤداها « ولد لك ولد » . فسرّي عن الضابط حين تبين ذلك ، لأنه لم ير زوجته منذ سنتين . [مجلة تايم]

في المكان المناسب

قرر قائد فصيلة بحرية أمريكية في إحدى جزائر المحيط الهادي المتوسط أن عادة فتيات الجزيرة في الاستغناء عن كل ملبس غير إزار من العشب ، ليس من شأنه أن يعزز الروح المعنوية في رجال فصيلته . فأهدى إلى كل فتاة قميصاً تحتيًّا من القطن من قمصان رجال البحرية التي لا يزيد طول أكمامها على بوصتين أو ثلاث . ففرحت الفتيات أيما فرح ، وطلبت كل منهن قميصين .

ولعلك تستطيع أن تتصور دهشة القائد حين رأى طائفة من الفتيات في اليوم التالي وقد خطرت كل منهن في قميص جديد نظيف ، بعد أن قصت فتحتين مستديرتين في المكان المناسب ! [الملازم و . ثم ولش]

قال سام — ذكر البط — مسلاة لبيت ، حتى استجاب إلى دعاء الغاب

وداعاً ياسام



بول كرانستون

محرر باب المقالات

في صحيفة "فلادلفيا ايفننج بولتين"

ملخصة عن مجلة كورونت

جاءنا سام ، ولم يجاوز الشهر الثالث من عمره ، وكان هدية الزفاف من موظفي المكتب . وقد ألبسوه لهذه المناسبة ثوب سهرة صغيراً أفصّل على قد علجوم (ذكر البط) وأحيطت رقبته بنيقة من الورق المقوى ، وربطة كالأنشوطة ، ووضعت على رأسه قبعة عالية سوداء مائلة إلى جانب إحدى عينيه .

وقالت زوجتي : « لقد سمعت ببعض هدايا زفاف تنم على الخبل ، ولكني لم أسمع قط ببطة كهدية زفاف ! » .

فسألتها : « ولكنك ستستبقينه بلا شك ، أليس كذلك ؟ »

فنظر إليها سام في هذه اللحظة ، فكانت نظرته فصل المقال .

وبدا لنا أن من الطبيعي أن نسميه «سام» والظاهر أن الاسم أعجبه ، وكنا ندعوه باسمه من أية ناحية من نواحي البيت فلا يفوته أن يحيينا ببطبطة .

وجعلنا له بيتاً صغيراً في المطبخ ، وكان يقضي نهاره في حديقة الدار ، كأنه مالك يرقب ما يملك . فإذا أقبل الليل وكان الغسق ، ظهر عند الباب الخلفي وجعل ينقر الحجاز طالباً الدخول .

وكان سام لا يعبأ بمقتضيات الحياة في الريف ، فكان ينام إلى الثامنة صباحاً ، وبعد ١٥ دقيقة يطلب طعامه ، فإذا لم يطعم في الساعة الثامنة والربع هبط إلى أسفل درجات السلم وبطبط معرباً عن استيائه .

وكان لا يصبر على الكلاب الأخرى أو يطيقها ، ولكنه صادق «ماك» كلبنا الصغير ، فكان يسند جنبه إلى أذن ماك الملساء وينام في القيلولة ، فإذا جاء كلب آخر من كلاب الجيران ، هجم عليه ، فيلوذ الكلب المروّع بالفرار .

وكانت روح الممثل في سام بارزة جداً . وقد اعتاد أن يتبع زوجتي في حيثما تكون من أرض البيت ، فإذا جاء أصدقاؤنا ورأى نفسه مهملاً ، أطرق يفكر ، أما إذا التفت إليه فإنه يستطيع أن يسليك طول النهار .

ولما أتم السنة الثانية من عمره ، رأت زوجتي أن الأوان قد آن لتزويجه، فلم أقتنع، فإن المرء ، حتى لو كان سعيداً في زواجه ، يحترم نعمة العزوبة التي يفوز بها الذكر ، بطة كان أو إنساناً ، ولكن النساء كلهن بغاة تزويج . وقد عدت ذات ليلة فألفيته يلعب على أرض الحديقة مع بطة بيضاء صغيرة

وقالت زوجتي : « اسمها جيرت . وقد حملت سام إلى ضيعة جونسون ، فأهمل كل البطات الأخرى ، ومضى لوقته إلى هذه » .

وكان سام ثرثارةً مسلياً ، أما جيرت فكانت هادئة حييّة ، وكان يشركها في طعامه ويؤثرها على نفسه بخير المواضع الظليلة في الفناء . وكان بيته أصغر من أن يتسع لزوجين ، فأقمنا لهما بيتاً جديداً عند السقيفة الخلفية .

وكان زواجهما موفقاً ، وقد بقيا طول ذلك الشتاء قريبين من البيت ، حتى إذا جاء الربيع لاحظنا تغيراً في سام ، فقد دعته أنشودة الجدول فلباها ، على الرغم من العزلة التي عاش فيها .

ولما مضى سام بزوجته الصغيرة إلى الغابة أول مرة أدركنا أن الطبيعة غلبته ، وأن قلبه لن يعود كما كان أبداً . وكانا كل يوم يزدادان إيغالا ، وترف جيرت بجانب سام على نحو ما تفعل النساء حين يردن الاحتجاج على ضرب بعولتهن في فجاج الأرض .

ثم كانت ليلة لم يعد فيها سام وجيرت ، فذهبنا ومعنا الكلب ماك نبحث في الغابة المحيطة وعند الجداول ، وندعو سام باسمه ونحن نمشي . واهتدى ماك إلى الأثرمرتين ، ثم فقده ، وكان مما يعصر قلوبنا أن نتصور سام وجيرت وحدهما في حيث تكثر الثعالب والظرابين ، والنمّوس ، فلم نتم إلا غراراً في تلك الليلة .

وكان الفجر حين سمعنا بطبطة سام ، وكان صوته شجيا ، غير مألوف ، وجعل يعاو ويزداد إلحاحاً . لقد عاد سام وحده ، وجعل يخبط حول الدار بأسرع ما تستطيع رجلاه.

وفتحنا الباب فأسرع إلينا وجعل ينقر أقدامنا ، وتبعناه من السقيفة فجعل يحرك ذنبه كأنما يريد أن يشكرنا ، واجتاز بنا المرج ودخل بنا الغابة إلى الجدول ، وأدار نظره إلينا كأنما يريد أن يستوثق أننا ما زلنا معه ، ثم نزل إلى الماء وسبح مع التيار ، فسرنا على الشط ، فلما بلغ منعطفاً في مجرى الجدول خرج سام إلى الشط ، فإذا هناك جثمان جيرت البيضاء الصغيرة .

ولم نجد من آثار العنف إلا نقرة صغيرة في العنق ، فالظاهر أن عرساً أصابتها هنا . وحملنا جيرت ودفناها في قبر صغير على مقربة من البيت .

وحزن سام أياماً ، وأبى أن يأكل حتى ما كان يستطيب ، وحاولنا أن نحجزه فلا يشرد ، ظنا منا أنه خليق أن ينسى وأن يعود إلى حياته القديمة ، وإلى سيرة المالك الذى يتعهد ما يملك ، ولكن سام جاهد ليتحرر ، ولا يكاد يخرج حتى يمضى إلى حيث ماتت جيرت ، وهناك يقضى الساعة بعد الساعة ، ولا يفارق البقعة إلا إذا حملناه عنها وعدنا به . ونحل صدره الخشن ، وصارت رجلاه لا تكادان تقويان على حمله .

وفى أوليات سبتمبر هبطت بطتان بريتان كانتا متجهتين إلى الجنوب ، فى بركة صغيرة على مسافة ميل منا فى الوادى ، ودَفُؤ الجو فتلكأتا أسبوعين تقريباً ، وكنت تراهما كل يوم تسبحان فى البركة ، وإذا بالعلجوم الكبير يختفى ذات صباح ، فقد أصابه أحد أبناء الفلاحين ولم يستطع أن يقاوم رغبته فى تجربة براعته فى الرماية .

وجعلت البطة البرية تبطبط حزناً على إلفها وتبحث عن هاجرها ، وكان سام على مسافة ميل ، فى حيث ماتت جيرت ، فسمع وفهم ، والتقيا فى مكان ما ، وسط الطريق — سام الأبيض الريش ، المنطرح فى حركته ، الذى أبت عليه الطبيعة أن يطير ، والبطة البرية السمراء الهيفاء الثوية الجناحين ، ولكنهما وجدا فى الجدول القريب الغور حلبة مشتركة . فلم يعد سام إلى البيت بعدها أبداً .

وكنا كثيراً ما نراهما ونحن نمر بسيارتنا بتلك الناحية . ولا شك أن ظرفه قد حببه إلى قلب البطة البرية كما حببه إلى قلوب الآدميين ، فقد بقيت مع سام فى الوادى زمناً طويلا بعد أن عبرت بها الأسراب المقبلة من الشمال .

وصح بدن سام ، وامتلأ ، وكثر الريش على ذيله ، وازداد نعومة وأناقة . وكثيراً ما كنا نذهب إلى الجدول لنحييه فيهز ذيله مغتبطاً ، ولكنه كان يقف بيننا وبين إلفه ، فقد اختار ، وليس لنا أن نجتذبه إلى عالم كان يدرك أن بطته لا يسعها إلا أن تشعر دائماً أنها غريبة فيه .

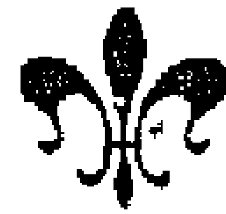
وقلت رؤيتنا لهما مع اشتداد البرد ، ثم أخذت عيوننا ذات صباح منظراً لا يكاد يصدقه العقل ، فقد أقبل موكب غريب فوق المرج على رأسه سام رافعاً رأسه زهواً ووراءه زوجته البطة البرية ، ومن خلفهما خمسة أفراخ من أجمل مارأت العين . اثنان منها من فصيلة البكين — أرجلهما صفراء وكذلك منقارهما ، وواحد برى بلا شك ، والآخران هجينان نصفهما من فصيلة البكين والنصف برى .

فلما اقتربنا من هذا الموكب تردد سام

لحظة كأنما عاودته ذكرى الماضى ، ثم بطبط على سبيل التحية المألوفة ودفع بأسرته إلى الجدول .

واضطرب جناحا « السيدة » سام على سطح الماء ، وبدت كأنما لا يصدّها عن الطيران الذى هو فيها طباع ، إلا عاطفة الأمومة ، وسبح سام فى دائرة حول أسرته ، ولم ينظر إلينا سوى مرة واحدة وهو يجمعها معاً . ثم كأنما تلقى إشارة سحرية ، فمضى السبعة مصعدين فى النهر .

وأحسب أن سام كان يدرك أنه لايستطيع أن يخاطر بمفارقة أسرته العجيبة، التى نصفها من بنات الأرض ونصفها من بنات الجو . وما لبثوا أن داروا مع منعطف فى الجدول فغابوا عن النظر . وإنى لأرجو أن يكونوا قد وجدوا أرضاً سعيدة . نعم أرجو لك ذلك يا سام — ولو إلى مدى قصير .



ترويض الأسد

دعيت الأديبة فرانسيس ماينيل ، مؤسسة « مطبعة نُنستش » إلى إلقاء خطبة بعد العشاء فى إحدى المآدب فروت القصة التالية :

كان الرومانيون فى عهد نيرون يزدحمون فى الكوليزيوم لمشاهدة النصارى يلقى بهم إلى الأسود . وكان نيرون قد أعدّ أحد عشر أسداً ضارياً حرمت الأكل أسبوعاً كاملاً ، لافتراس أحد هؤلاء .

فلما هجم الأسد الأول على النصرانى تطلع إليه الحاضرون ، ولكن الرجل انحنى فى هدوء وتؤدة وهمس شيئاً فى أذن الأسد ، فانثنى من الساحة وذيله بين فخذيه . وعلى هذا المنوال هجم على النصرانى ستة من ملوك الغاب الضوارى ، ثم انثنت ، والجمهور المحتشد يصيح مطالبا برد ماله .

فاستدعى نيرون الرجل وقال : إذا قلت لى كيف تستطيع أن تحمل هذه الأسود على أن تفعل ما فعلت ، عفوت عنك عفواً تاما .

فقال : المسألة غاية فى البساطة . يامولاى إننى أهمس فى أذن الأسد : إعلم أنه ينتظر منك أن تلقى خطبة بعد الطعام ! [بنيت سيرف فى « مجلة سترادى الأدبية »]

الملاكم الأعمى

برترام ب. فاولر. وآل لانى

+

ملخصة عن صحيفة "ذى بالتيمور سنداى صن"



لم يزل سام لنجفورد العجوز، فتى بوسطن الزنجى، ملاكم الأمس الممتاز، يجد المتعة فى الحياة.

كان قد مضى عليه أعوام، حين وجدناه جالساً يستمع إلى الراديو فى حجرة نوم صغيرة بهارلم، حى الزنوج فى نيويورك، فشق علينا أن نصدق أن هذا هو سام لنجفورد، الذى غدا ذكره أسطورة من الأساطير، والذى شقت له قبضتا يديه فى تاريخ الرياضة سيرة من أعجب السير — الرجل الذى لم يهزم بالضربة القاضية إلا مرة واحدة فى ٦٤٠ مباراة. لقد كان بطل جيل من عشاق الرياضة من بوسطن إلى بناما، أما الآن فهو كفيف فقير، يعيش بما يعان به من مال، منسىّ حتى من بنى جنسه.

وتوقعنا أن نقابل رجلا عجوزاً ناقماً على الحياة، قد ذهبت بعقله ثلاث وعشرون سنة أنفقها فى الملاكمة، ولكن وجدنا رجلا يتصف بذاكرة تكاد تكون خارقة، مرهف العقل كعهديه حين كان يبذّ أحسن الملاكمين بسرعة الخاطر والمهارة فى النزال.

وتألق وجهه بابتسامته المشهورة وقال: « ليس بأحد حاجة إلى أن يرثى لحال سام العجوز، فقد مرت بى أوقات سعيدة، ووجدت فى الملاكمة بهجة عظيمة. ولو كان فى جيبى قليل من المال لعشت اليوم فى نعمة ».

عسى أن لا يكون سام لنجفورد أعظم ملاكم ظهر، إلا أن ذوى الذاكرة القوية من الكتاب الرياضيين أجمعوا على أن يضعوه فى مرتبة خاصة، لأن قيوداً ثقيلة كانت ترهقه فى كل نزال. فقد ضعف بصره على أثر حادث وقع له فى صباه، وكان طوله خمس أقدام وست بوصات لا غير، ولم يزد وزنه قط عن ١٦٠ رطلا، مع أن أغلب مبارياته كانت مع ملاكمين من الوزنين الخفيف الثقيل والثقيل، لأن الرجال الذين يماثلونه وزناً كانوا يرهبون لقاءه، فكان ينازل رجالا يفوقونه ٤٠ أو ٥٠ رطلا فى الوزن ويفرعونه طولا. ولكنه كان ضخم الكتفين مديد الذراعين، فائق المهارة فى تحريك قدميه، وقد قال كاتب رياضى إن « حركاته تسبق الزمن ». وقليل من كان يستطيع أن يحتمل إحدى لكماته الصواعق ولا يخرّ.

ولد، كما يقول، منذ ٥٨ سنة فى مدينة ويموث من مقاطعة نوفاسكوشيا (كندا)

وماتت عنه أمه وهو فى التاسعة ، وأساء أبوه معاملته ، فأخذ الصبى الصغير مصطاف رقيق القلب إلى منزله ببوسطن .

وفى الخامسة عشرة كان سام يقوم بأعمال شتى فى إحدى الحانات . وفى يوم من الأيام دخل رجل ضخم فجرع ثلاث كؤوس من الجعة فى غيبة صاحب الحانة ، وهم بالخروج دون أن يؤدى ثمنها . وعاد صاحب المحـل حين كان سام يرفع عقيرته مطالباً بقروشه الثلاثة ، فقال له صاحب المحل : « لم أناوله شيئاً يا سام ، فعليك أنت التحصيل » .

ومع أن وزن سام لم يزد على ١٢٠ رطلا فقـد انتهت المعركة بسـقوط الرجل الضخم مصروعاً على الأرض أمام الحـاضرين المحملقين دهشاً . وشـجعه رئيسه على أن يتخذ الملاكمة حرفة . وطمح سام ، أيام كان يلاكم مقابل خمسة ريالات أو عشرة ، أن يرتقى إلى حيث يكتسب من المال ما يشبع شهوته إلى شرائح اللحم المشوى والبفتيك ، إذ لم يكن دخله فى أغلب الأحيان يتيح له إلا شراء اللوبيا أو اللحم المسـلوق والحساء أحياناً . بل لقـد دخل الحلقة فى إحـدى ملاكماته الأولى العنيفة ، وقد جلد على وجبة قوامها ست فطائر صغيرة وكوب من الماء .

ولما كان فى السابعة عشرة ، وكان من ملاكمى الوزن الخفيف ، انتصر على جو جانس أشهر الملاكمين فى ذلك العهد . ثم لاكم وهو فى العشرين ، ووزنه ١٤٨ رطلا جاك جونسون ، البالغ وزنه ١٩٤ رطلا ، وكان جونسـون حينئذ فى أوج قوته ، ثم ظفر بعيد ذلك ببطولة العالم فى الوزن الثقيل . وألقى جونسون بسام على الأرض فى الجولة السادسة ، ولكن سام طرح غريمه فى الجولة التاسعة وفى نهاية الجولات الخمس عشرة ، ارتاح جاك إلى الخروج من الحلقـة ، وقد فاز ولما يكد .

ولم يكن سام قد درس المـلاكمة قط ، فأخـذ بيـده بعـد تلك المباراة مدرب مشهور ولقنـه دقائق تلك الرياضة . ومن يومئـذ خابت جميع وسائل الإغراء ، من مال وغيره ، فى أن تحمل جاك جونسون على أن يبارى سام مرة أخرى . وقصـة مطاردته جونسون فى كل مكان من الأرض جزء من الأسطورة التى حيكت حول سام لنجفورد ، فكان يجـد لذة فى أن يتعقب جونسون إلى المطاعم والحانات فيتحداه للنزال فى أى مكان وأى زمان بأى شرط كان ، فإن لم يكن ذلك النزال للمال ، فليكن رغبة فى القتال ، فى أى زقاق أو فى الحانة نفسها . على أن جونسون آثر أن يحتمـل غمزات سام وسخريته على أن يلاكمه .

فى تاريخ الملاكمة ملاكمون خلطوا الهزل

بالجد ، أما سام فكان فى الملاكمة كالشعراء الطوافين فى القرن الثالث عشر ، فمضى فى طريقه حراً لا يبالى ، يلاكم كل من يرضى ملاكمته دون أن يهتم بوزن الملاكم أو أحوال الملاكمة ، فاشترك فى ٦٤٠ مباراة خلال ٢٣ عاماً . أما اليوم فإن الملاكم الذى يشترك فى ٣٠٠ مباراة يعد معجزة .

وفى سنة ١٩١٧ ، أجهزت لكمة خفيفة من فرد فولتون ، وهو ملاكم بين بين من الوزن الثقيل ، على عصب البصر فى عين سام اليسرى ، وأقنع الطبيب سام بأن يحتفظ بذلك الأمر سراً ، واستمر يلاكم ، مع أن عينه الأخرى كانت قد بدأت تعشى .

وفى سنة ١٩١٨ ، خط سام فى تاريخ الملاكمة فصلا من أشد الفصول وقعا فى النفس ، وكان قد عمى حينئذ أو كاد ، وكان يرى الأشياء ليلا كأنها أشباح ، ولكنه كان عاجزاً عن أن يبصر فى ضوء الشمس شيئاً يبعد عنه قدماً واحدة . وأمضى عقداً بملاكمة باتلنج سافيدج ، بطل المكسيك ، على أن تكون ليلا فى حلقة مصارعة الثيران ، ولكن سرّه انفضح ، وتمكن معضدو سافيدج من تحويل وقت المباراة إلى العصر .

وقاده مساعده إلى الحلقة فى وهج الشمس وكان عمره يومئذ ٣٢ سنة ، وهى سن متقدمة حتى على ملاكم يتمتع بجميع قواه . فلما أذاع الحكم تعليماته على الملاكمين ، وردّ كلا منهما إلى ركنه انتظاراً للجرس ، بقى لنجفورد وسط الحلقة . ويفسر سام ذلك فيقول : « عجزت عن تبين طريقى إلى ركنى » .

وحين دق الجرس شب سافيدج إلى الأمام ، ودار حول لنجفورد ، يزنه بنظره ليعاجله بضربة قاضية . ودار سام متهادياً فى خفة ، وقد دفع برأسه إلى الأمام ، وهو مازال يحاول أن يبصر ولو خيالا مطموساً ، واقترب سافيدج وهو يخطر فصوب لكمتين مستقيمتين بيسراه ، وأطلق سام مع الضربة الثانية يمينا مقاطعة ، فهوت كالصاعقة . وسقط سافيدج كأنما صرعته هراوة .

ويكتم سام ضحكه وهو يقول : « لا أعرف أين لكمته ، فكل ما أعلمه أنه أصابنى مرتين ثم أصبحت بطل المكسيك » .

ولم يكن سام يعدّ الملاكمة حرفة قط ، بل مسرة وغبطة ، وكان يجد المتعة فى الطعام الجيد والعشرة الطيبة والمضاحكة البهيجة ، وكان يقهقه فى ضحكه فلقب « بهوهو » ، ولكن كان عنده للهزل حد لا يتعداه .

وقد تعاقد مرة على منازلة ملاكم أبيض مشهور من الوزن الثقيل ، ولكن جعله لم يكن قد حدد كتابة . وأخبره منظم المباراة قبيلها أن عدد الحاضرين خيّب

الآمال ، فليس ثمة سوى ٢٨٠٠ ريال هى نصيب الملاكمين . ولما كان جعل الملاكم الأبيض مضموناً بعقد ، فلن يكون نصيب سام إلا الباقى وهو ٣٠٠ دولار . وقال منظم الحفلة : « اجعلها مباراة شائقة ياسام» .

فأجابه سام فى جد : « أيها الرئيس ، ستكون أقصر مباراة رأيتها فى حياتك » .

وحين دق الجرس خرج سام من ركنه ، كأنما هو نمر أسود ، وصرع غريمه بضربة واحدة .

ومن خصائصه أمر آخر عجيب ، فقد كان يتنبأ بإصاباته مما لم يفعله قط أى ملاكم سواه . ففى بدء الجولة الخامسة من مباراته مع جاك لستر ، وكان من أحسن ملاكمى وزن خفيف الثقيل ، تقدم سام من ركنه ماداً يديه ليصافح غريمه ، فنظر إليه لستر دهشاً وقال : « ما وراءك ؟ ليست هذه بالجولة الأخيرة ! » .

فابتسم سام وقال : « هكذا تظن يا ولدى ! » وانتهت المباراة بعد دقيقة ، وقد خرّ لستر صريعاً على بساط الحلقة .

وحين لاكم جيم فلين ، وكان من أحسن ملاكمى الوزن الثقيل فى زمانه ، أخبره المصور السينمائى أن معه شريطاً يكفى لتصوير ثمانى جولات فقط .

وطمأنه سام قائلا : « لا تحفل بذلك ، فستحصل على صورك حتما ، وستكون كاملة » .

واندفع المصور القلق ، فيما بين الجولتين السابعة والثامنة ، إلى ركن سام وهو يلوّح حانقاً ، فاكتفى سام بالابتسام وقال : « استمر فى إدارة آلتك واطرح الهم جانباً » ثم اندفع إلى الأمام ، وحام حول فلين حتى دفعه إلى موضع يقابل المكان الذى جلس فيه مديره ، وخطا إلى الخلف وهو يقول : « أيها الرئيس هذا هو بطلك » . ومال ثم أطلق يمينه ، فارتفع فلين مقدار نصف ياردة كاملة فوق بساط الحلقة مدفوعا من خلال الحبال ، وسقط فى حجر مديره .

أما المرة الوحيدة التى هزم فيها سام بالضربة القاضية ، فكانت فى بناما وهو يلاكم هارى ويلز . وكان ويلز فى أوجه ، ويزن ٢١٥ رطلا ، سريع الحركة ، ذا يمين قاتلة . ويقول سام إنه « تهاون فغفل عن أن يتجنب اللكمة بإحناء رأسه » . على أن سام محا هذا العار بعد ذلك، بانتصاره مرتين على ويلز بالضربة القاضية .

ودافع لنجفورد عن بطولة المكسيك حيال جميع من تحدوه أربع سنوات ، بعد ظفره بها وهو على حافة العمى ، وكان يمكنه أن يصر على أن تقام المباريات ليلا لأنه كان البطل . ولما نضب معين المباريات فى

المكسيك عاد إلى الولايات المتحدة ، وقد أخذت الغشاوة تنسدل على عينيه ، وقد ترهل وتقدمت به السن .

وفى سنة ١٩٢٤ نازل أدى ترمبلى فى مدينة فنيس من أعمال كاليفورنيا . وجلس مكاتب رياضى ، كان قد سمع بضعف بصره ، بالقرب من الحلقة ومعه طبيب . وألقى سام بغريمه أرضاً ثم لم يتبين مكان سقوطه ، ودار ببطء يحاول العثور عليه . فاقتنع الطبيب بهذا ، وعدّ سام كفيفاً أو يكاد . فكانت الخاتمة المحزنة لحياته العجيبة .

وأما سام فلم تطوَ على حزن جوانحه ، فهذا ضحكه ينطلق من أعماق صدره ، وإنك لتكاد تقسم بأنك تلمح عينيه الكفيفتين تتألقان وهو يقول : « لقد غررت بهم حتما ، فلا كمت سبع سنوات قبل أن يكشفوا عجزى عن الإبصار » .

وأخيراً ، غاص سام فى زوايا النسيان حتى تقصينا آثاره إلى تلك الحجرة الصغيرة . ثم كتب عنه أل لانى مقالا فى صفحة الرياضة من جريدة نيويورك هيرالد تربيون ، فكان له صدى عجيب . وتدفقت الرسائل من عشاق الرياضة يذكرونه ، ومن أناس لم يروه قط . واحتوى كل خطاب تقريباً على شيك أو بعض النقود ، وجمع مبلغ ليوقف عليه فيغنيه عن الإعانات — ويمكنه من التمتع بشرائح اللحم المشوى التى كان يستطيبها دائماً .

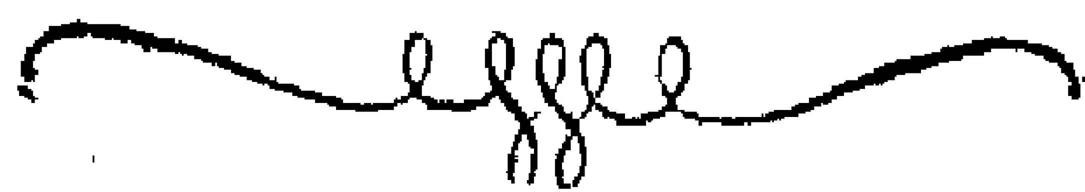
وقد سيطرت على حياة سام جميعها تلك البسالة التى تحركه اليوم . وقد تجلت فى الاجتماع الذى سبق مباراته فى لندن مع بطل إنجلترا ، تايجر سميث . وكان لورد لونزديل يرأس الاجتماع . واحتدمت المناقشة حول من يعين حكما فى المباراة ، وجلس سام منزوياً فى ركن طوال المناقشة غير مهتم بها .

والتفت لورد لونزديل إليه أخيراً وسأله فى أدب : « وأنت يا مستر لنجفورد ، ما هو رأيك فى الحكم المرشح ؟ » .

وابتسم سام ابتسامة عريضة وقال : « أيها الرئيس ، فلتختاروا أى حكم تريدون ، فأنا لا أبالى ، لأنى أحمل معى دائماً حكمى الخاص أينما ذهبت » .

وهتف لورد لونزديل : « حكمك الخاص ! ما ذا تعنى ؟ » .

فرفع سام قبضته اليمنى وقال : « أيها الرئيس ، هذا هو حكمى ؛ فإذا ما حكم فقد بطل كل جدل » .



"كيف ندخل البلاد"

« أول يوم من أيام أحد ضباط حكومة الحلفاء الحربيـة بمدينة من مدن صقلية »

* * *

ولـيم ل . هوايت
مؤلف كتاب " الملكات بمتغن كريمات " وغيرها

ملخصة عن مجلة " ذى اميريكان ليجيون "

حدثنا ضابط(*) فى حكومة الحلفـاء الحربية قال :

« دخلنا تلك المدينة عند تبلج الفجر ، وقد تبينا ، حتى قبل أن نبلغها فى سيارة « جيب » ، ما ينتظرنا من المتاعب ، فقد استطعنا أن نحصى عشر حرائق مشبوبة اللظى على سطح دورها ، وفيما عدا ذلك كانت المدينـة مثل سائر المدن فى جزيرة صقلية التى بها ثلاثون ألف نسمة ، صفر الوجوه غبر شعث ، يجلسون فى وسط سهل مترب خلفه جبال يضرب لونها إلى الزرقة ، وكان جيش الجنرال منتجمرى قد مر بها فى الليـلة السالفة ، وكان قصف المـدافع الضخمة لا يزال يسمع عن بعد .

« وكان معى الضابط أندرو مالتستـا ، وهو من مدينة سيراكوز بولاية نيويورك ، وهو ممثلى ضابط للشئون المدنية، وكان أندرو يتكلم لغة القوم كأحد أبنائها ، ويفهم الأهالى ويعطف عليهم ، وكان علينا نحن الاثنين أن نقضى يوماً فى المدينـة لتنظيم الأحوال ، ثم نشـد الرحال ونترك أحد ضـباط حكومة الحلفاء الحربية ليأخذ بزمام الأمور .

« بدت لنـا المدينـة كالمهجورة ونحن نسـير فى شوارعها الضيقة ، لولا قليل من الناس كانوا يحثون فى أطلال المنازل التى ضربت بالقنابل ، أو يقفون إلى جانب جثة قد سحبوها إلى الشوارع من تحت الأنقاض. ومع ذلك فقد وجدنا ، عندما بلغنا ميدان دار البـلدية ، مئات من النـاس يروحون ويجيئون أمام البلدية ، حيث أقام بعض البوليس الحـربى البريطانى الذى خلفـه منتجمرى ، مقراً مؤقتاً فى الثكنـات التى تركها بوليس الحـكومة الإيطاليـة ، وقد أخبرنا البوليس الحربى أن العمدة قد هرب مع الألمـان ، وأنهم قد ألقوا القبض على أحد موظفى البوليس، وهم الآن ينظرون فى أمره.

« وكان الموقف لا يسر ، فهناك هـذه الحرائق العشر الملتهبة، ومئة وخمس وعشرون

(*) أحد ضباط حكومة الحلفـاء الحربية فى البـلاد المحتلة ، وكان قبل ذلك من الصحفيين الأمريكيين المعروفين ، وقد طلب إغفال اسمه .

جثة قد بدأت تتعفن تحت الأنقاض فى جو يوليو الحار ، ومثلنا جريح من المدنيين يقيمون فى بنــــاء مدرسة قد حولت إلى مستشفى ، وبدلا من أن يخف الإيطاليون إلى العمل فى تطهير المدينة،أخذوا يسألوننا : « ماذا تريدوننا أن نفعل ؟ » فقد كانوا ذاهلين مضطربين ، وفيهم آثار من صدمة القنابل ، فهم ينتظرون منا أن نأمرهم بترميم محطة توليد الكهرباء ونظام توزيع الماء .

« وكان الجيش الإيطالى قد ترك إحدى وحداته الطبية فى بناء المدرسة ، ولكن لم يكن لدى الأطباء شىء من المعدات الطبية حتى ولا ضمادات الجروح . وكان أكثر المصابين رقوداً على الأرض أوفوق المكاتب . وكانت هناك فتاة صغيرة قد نسف أنفها ، وغلام لا يتجاوز الخامسة (فى مثل سن ولدى) قد أصيب بعشرين جرحاً من شظايا القنابل ، وكانت قشور الجروح قد أخذت تجف ، فكان الطبيب الإيطالى ينتزعها حتى لا يدب تحتها التعفن ، ولم يكن هناك مخدر ، فخطر لى أنه لو أعطى شيئاً ليمضغه فعسى أن ينقطع صياحه ، فبادرت إلى السيارة وأحضرت معى علبة من البسكوت فاختطف واحدة وحشا بها فمه ، وبسط يده يبغى أخرى ، فساءلت نفسى : ترى متى كان آخر عهدهم بالطعام ؟

« وقد اتخذ الأطباء من مكتب المدرس منضدة لإجراء الجراحات،وكان أحد الجنود الإيطاليين منطرحاً عليها وهو يصرخ ، والطبيب يريغ مكمن قطعة من الصلب قد استقرت عند الكليتين . وعلى مائدة أخرى سيدة مصابة بجرح بليغ فى صدرها ، وكان حولها أطفالها الستة الصغار يبكون خوفاً وجوعاً ، وقد استعمل الأطباء ملاءة قديمة فى تضميد المكان الذى انتزع منه ثدياها .

« وقال رئيس الأطباء ، وهو يمسح يديه فى خرقة ملوثة بالدماء ، إن رجاله يكادون يسقطون من الإعياء ، فهم لم يذوقوا النوم منذ يومين ، ولا الطعام منذ ثلاثة ، وليس فى وسعهم أن يبذلوا عوناً لهؤلاء الناس بلا أدوية ، ولاضمادات ، ولا أثير ، فلماذا لا يذهبون إلى مستشفى كاتانيا ؟

« ووعدنا بتقديم ما يلزمهم من المعدات الطبية ، وأفهمه أندرو بأن يقول لمعاونيه إن هذا هو مكانهم ، فإذا برحوه عرضوا أنفسهم للعقاب .

« وعدنا إلى البلدية ، فوجدنا رجال البوليس الإيطالى قد أحضروا نائب العمدة وبعد مناقشة طويلة اتفقنا على أنه يصلح ، وهو وإن كان عضواً فى الحزب إلا أنك تستطيع أن تلمس حبه لبلدته ، وكان يعرف خفايا الأمور . وقلنا له :

« إن أول ما يجب عليــه هو إرسـال الطعام إلى الأطباء .

« فقال متسائلا : « من أين ؟ »

« فقـال له أندرو : « لا أين ! من المخزون عنــدك أو عند أى شخص آخر ، هاته ، وهاته الآن » ، فقد عرفنا بالتجربة أن جميع كبار الفاشيين قد اختزنوا الأغذية فهذا الرجل يعلم أين هى وأسرع مبادراً .

«وأحضر رجال البوليس الإيطالى رئيس المطافئ ، وأمرناه بإطفاء الحرائق العشر . ولما شكا إلينا أنه لا يجد من يعينه أعطيناه شارة لوضـعها على ساعده مكتوب عليهـا « بوليس الشئون المدنيــة » ، فسره ذلك فغدا من أعواننا ، وأصبح الناس يطيعونه . وأمرناه بأن يجمع جماعة لمكافحة النيران ، وإذا امتنع أحد فليلقه فى السجن لننظر فى شأنه بعد ذلك .

« وانقضى شطر من الصباح فأخذ الناس يعودون من التلال ، وازدحم فى ميــدان المدينة خمسة آلاف نسمة أو نحوهم ، وكنت ترى امرأة ، وأبناؤها متشبثون بأذيالهـا ، والجميع يتجمعون أمام منزل مهــدم ، ثم لا تنقضى دقائق حتى يترك الأطفـال أمهم ويبدأون يتسلقون الأنقـاض لعباً مرحاً .

« وبدأ السلب والنهب ، وكان للسلابين حيل كثيرة ، فجماعة منهم تومئ إلى البوليس الحربى وتشـير إلى باب مقفل من أبواب المخازن وتقول « فاشستى تيدسكى » أى إن فى هـذا المكان رجالا من الفاشيين أو الألمـان ، فيقتحم البوليس الحربى البـاب ، وينفضّ المكان ولا يجــد أحداً ، وبعــد انصرافهم تبدأ الجماعة فى نهب ماعلى الرفوف.

« وبادرنا إلى إذاعة منشوراتنا وأعطيناها للبوليس الإيطـالى ليلصقها على كل الجدران التى لاتزال قائمة ، وبينا فيها أننا إنما جئنا لنرد إلى الناس حريتهم ، ولنحررهم من الفاشية . ثم شرحنا قواعدنا المرعية ، وأخبرناهم أنهم أحرار فى أن يقولوا ما يشاءون ، وأن يستمعوا إلى الإذاعة الفاشـية من روما إذا شاءوا ، ولـكن عليهم أن يسلموا أسلحتهم وأجهزة الإرسال اللاسلـكية بإلقائها فى دار البلدية . وكل من يضبط وهو يباشر السلب والنهب يعدم رمياً بالرصاص . ووضعنا قائمة لتحويل نقودنا إلى ليرات ، وعينا الساعات التى يجب أن يأوى فيهـا الناس إلى بيوتهم من مغرب الشمس إلى مطلعها .

« ولمـا كنا نعلم أن من يعرف القراءة يبلغ نصف السكان وحسب ، أرسلنا من يذيع البيان الذى أصدرناه فى الشــوارع ، وطلبنـا إلى القسيس أن يقرأه فى الـكنيسة يوم الأحد التالى .

« ثم شرعنا فى إصــلاح الأمور ورتق

الفتوق ، وكانت المدينة بلا ماء ولا كهرباء ، ولكن الجثث المطمورة تحت الأنقاض متقدمة على سواها ، وحفر القبور يستلزم عمالا كثيرين . ولما جعلنا نفكر في تدبير ذلك . أقبل علينا رجلان مفوّهان وقالا إن متاعبنا قد انتهت ، وأنهما زعما الحركة المحلية لمقاومة الفاشية ، وأنهما شقيا عشرين عاماً تحت الحكم الفاشي ، ولكن أتباعهما في المدينة كثيرون ، وما علينا إلا أن ننقل زمام الأمر إليهما وهما يكفياننا كل مشقة .

«وأخبرهما أندى أن أيام محنتهما قد انتهت ، وأننا غرباء هنا ، وأن علينا أن نستقصى الأمر ، وذكرنا لهما أمر الجثث ، وطلبنا إليهما أن يذهبا ويجمعا بضع مئات من أصدقائهما الذين يعدون بالآلاف ، وأن ينظموهم جماعات لجمع تلك الأجساد قبل أن يتفشى الوباء ، وقلنا إن السرعة والإتقان في القيام بهذا العمل سيبينان لنا منزلتهما عند أنصارهما .

« وانصرف الرجلان وملء قلوبهما الحماسة ، وكان هذا آخر عهدنا بهما ، إلا أن ضابط حكومة الحلفاء الحربية الذي عهدنا إليه في الإشراف على المدينة ، أنبأنا بعد أسبوعين أنه فاجأ هذين المفوهين يصيحان في صدر أحد الاجتماعات : «لتسقط الفاشية ، ولتعش الدمقراطية » ، ولا شك في أنهما كانا أصلح لهذا منهما للبحث عن الجثث في يوم شديد الحر .

« ومهما يكن من أمر فإن القائم بأعمال العمدة جمع لنا بضع جماعات للقيام بهذا العمل ، وساعد القسيس على التعرف على أصحاب الجثث ، وحصلنا على إذن منه بإحراقها ، لأنه رأى بعينه أنه ليس هناك من يقوم بحفر القبور ، ولا هناك متسع من الوقت لحفرها ، وبعد موافقته رضى الناس بذلك . فشئ كهذا لا يمكن تأجيله في إبان الصيف .

«وكانت المسألة العويصة الأخرى هي مسألة الطعام ، فطلبنا إلى القائم بعمل العمدة أن يرسل عربات تجرها البغال ، وعربات تدفع باليد ، إلى القرى لشراء الفواكه والخضر . ولحسن الحظ كان الجيش الإيطالي قبل أن يولى الأدبار مع الألمان ، قد خزن في سجن المدينة من الدقيق ما يكفي يومين ، فأمرنا القائم بأعمال العمدة أن يأمر المخابز بالعمل ، وإذا احتاجت إلى الوقود فليستعملوا كتل الأخشاب من أنقاض المنازل التي هدمتها القنابل . ولكنه تلكأ وأخيراً سألنا محيراً : « من الذي يتولى الإنفاق على ذلك ؟ » فبينا له ذلك ، وأظهرنا له حزم الأوراق المالية التي أحضرناها ، فانطلق إلى عمله . وعبء هذه النفقة يقع في آخر الأمر على كاهل السكان ، لأن مثل هذه النفقات ستحسب على البلدة ، وتستقطع من الضرائب المحلية .

« وبعد هذا استطعنا أن ننظر فى تدبير أمر ضابط يمثل حكومة الحلفاء الحربية . كان ألزم ما يلزم له مترجم ، وكان هنــاك كثيرون من المتطوعين ، لأن الكثيرين من هؤلاء الناس كانوا يتكلمون الإنجليـزية ، ولـكننا عرفنا بالتجربة أن معظم أهل صقلية لا يستريحون إلى هؤلاء الذين قضوا عشر سنين فى أمريكا ، ثم عادوا إلى بلادهم يفخرون بما فى جيوبهم من أوراق مالية ، ويخبرون قومهم أن كل شئ فى نيويورك أحسن مما هو فى بلادهم . وفضلا عن ذلك فإن المترجم اللئيم الطبع سيناصر أصدقاءه ، ويحاول الإساءة إلى أعـدائه ، وسرعان ما يحاول أن يملى رأيه فى تدبيرشئون البلدة ، ولـكن أندى اهتدى فى النهاية إلى مترجم يجيـد الإنجليزية ، وليس له على ما يظهــر مطامع سياسية .

« أما وقـد نظمنا كل شئ فإن ضابط حكومة الحلفـاء الحربية الدائم يستطيع أن ينهض وحده بالعبء ، وكان شابا كدوداً تولى حيناً ما منصب عمدة لبلدة صغيرة فى أواسط الولايات المتحدة ، ولا بد أنه أحسن القيام بعمله ، فقد سمعنا أن الإيطاليين أحبوه حتى نادوه يوم سـقوط موسـولينى ، ليشرف عليهم من شرفة منزله ، ويتلقى تحيتهم ، وقد احتفلوا يومئذ احتفالا كبيراً .

« وركبنا سيارتنا وقصدنا المدينة التالية ، وهى على بعد كيلو مترات قليـلة فى الطريق الذى سلكه جيشنا ، وهناك اكتشفنا مخبأ سريا من مخابئ الجيش الإيطـالى ، به مطهرات ومقـادير من الأتبرين واليـود ، والمورفين والأثير والضمادات ، فجمعنا ذلك كله فى سيارتنا ، وقصدنا إلى أحد مراكز التموين الأمريكية ، وحملنا مقادير أخرى من جرايات الطعـام ، وعـدنا إلى الأطبـاء الإيطاليين الجياع ، فسروا برؤيتنا سرورا عظيما !

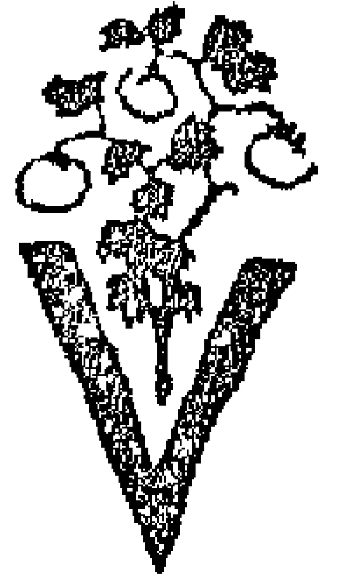
« وهكذا انتهى عملنا فى اليوم الأول . وعلى هـذا الغرار تعمـل حكومة الحلفـاء الحربية فى كل مدينة أجنبية تدخلها وراء جيوشنا المتقدمة » .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

أتسألينى . . ؟

فى أحد مقاصف الجنود بهوليوود شكا أحد البحارة البريطانيين التهاباً خفيفاً فى الحلق ، فسألته سـيدة شغلها أمره : أجربت الغرغرة بالماء الملح ؟ فقـال : أتسألينى ذلك ؟ فمن ذا الذى أصاب الطربيد سفينته ثلاث مرات ؟ !

[هدا هوبر]



تغل مزارع ميادين القتال بالمحيط الهادى
١٥٠٫٠٠٠ طناً من الخضر قيمتها ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ ريالا

الزراعة فى الميدان

سبيشت جورج دوينج + + ملخصة عن مجلة "ذى ليدر نيك"

في يوم عيد الميلاد الماضى وقف جندى من البحارة الأمريكيين فى أحد الخطوط الأمامية بالمحيط الهادى ، وجعل يقرص نفسه ليستيقن أنه فى يقظة ، فقد رأى بعيني رأسه رجال غرفة الطعام يقدمون الخضر للجنود ، وكانت هذه أول خضر رطبة رآها الجندى منذ غادر أمريكا .

وفى ذلك اليوم أكل جميع أفراد القوة فى تلك القاعدة من الخضر الغضة ، فقد استصلح ما يزيد على ٥٠٠ فدان من أراضى الغابات بين وادى الكنار وبوجنفيل . وكثيراً ما كان الجنود الزراع يعملون على مرمى المدافع ، على حين كان الرجال الذين قاموا بحراثة الأرض لأول مرة يضعون بنادقهم على مقربة منهم خشية أن يلاقوا بعض القناصة اليابانيين التائهين .

وتغل مزارع ميادين القتال هذه جميع أنواع الخضر التى تزرع فى حدائق المنازل بأمريكا . ويحصد الزراع من تلك التربة البركانية الخصبة أربعة محاصيل فى العام ، وينتظر أن يربى محصول هذه السنة على ١٥٠٫٠٠٠ طن تزيد قيمتها على ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .

فى خريف عام ١٩٤٢ خطر لاثنين من ضباط البحرية ، أثناء معالجتهما المسائل المتضاربة المتعلقة بالاقتصاد فى أمكنة النقل بالسفن وتحسين الغذاء للجنود ، أن تزرع تلك الأراضى الخصبة . فقد كان من غير الممكن نقل الخس والبطيخ إلى الجنود إلا بمقادير محدودة فى السفن المجهزة بصناديق التبريد على حين كان من الممكن نقل البذور والمحاريث .

كان الجنود أثناء تنوير أول محصول من القرع والبطيخ يدأبون جيئة وذهاباً فى خطوط الزراعة الطويلة ويلقحون كل زهرة بأيديهم إذ ليس فى وادي الكنار نحل يقوم بذلك ، وقد التهمت الطيور كثيراً من خلايا النحل التى استوردت . واكتشف الزراع ، عندما بدأت تظهر براعم ثمر البطيخ الذى لم يتم تلقيحه باليد ، أن النمل المنتشر فى تلك البقاع قد أفاد فى ذلك . ويقوم النمل الآن بجميع ما يقتضيه التلقيح .

ويتطلع البحارة والجنود المرابطون فى وادى الكنار إلى ذلك اليوم حين يقدم لهم الموز مع الحبوب المطهية التى يتناولونها فى الإفطار ، وقد قاموا بتجربة زراعة فروع من أشجار الموز ، وزرعوا نصف فدان من الأناناس فإذا نجحت التجربة ظفروا بأول محصول من الموز قبل انتهاء هذه السنة .

ويمارس اليابانيون أيضاً هذه الزراعة ولكنهم لا يغلون منها محصولا وفيراً . فقد زرعوا مساحات واسعة من الخضر — بعد أن قطعت عنهم السفن وامتنع إرسال الأغذية إليهم بالهابطات — وأقاموا حولها مدافع ثقيلة من المدافع المضادة للطائرات .

ويترك الأمريكيون العدو يزرع أراضيه حتى يحين حصاد المحصول فيلقون عليها قنابل مملوءة بزيت الآلات والبنزين تتناثر فى طول الزراعة وعرضها ، فإذا سلمت الأشجار من الحرق لم تسلم من رشاش الزيت الذى يفسدها وهكذا يجوع اليابانيون ويعيدون الزراعة كرة أخرى .

معجزات الدم يرفع عنها الستار

[أصبحت هبات الدم ، مع التقدم الحديث الهائل فى الأبحاث ، أشد ما كانت نفعاً ، لا في إنقاذ حياة الجرحى فحسب ، بل فى مكافحة كثير من الأمراض] .

لويس ماتوكس ميلر
ومساعدها فى الابحاث شيودور إروين

ملخصة عن مجلة " هايجيا "

كلنا يعلم كيف خفضت هبات مصل الدم عدد الوفيات من المحاربين ، لكن ما لا يعرفه إلا القلائل : أن عباقرة العلماء ، ضناً بأن تضيع أى أثارة مما جاد به الواهبون ، قد صنعوا المعجزات من منتجات الدم التى كانت تنبذ فى الماضى على أنها لقىً لا خير فيه ، بعد أن يفصل عنها المصل المطلوب .

فى أحد مستشفيات ديترويت فى العام الماضى كان الموت يرفرف على عجوز فى الستين من عمرها تعانى فقراً خبيثاً فى الدم مضاعفاً بالتهاب رئوى . ولكل من المرضين خطره ، وكان أحدهما فى الماضى خليقاً أن يكون فيه حتفها . ومع ذلك فإن هذا التحالف المميت بين المرضين لم يقلق طبيبها ، فقد صد زحف الإلتهاب الرئوى بعقاقير السلفا ، ثم عالج فقر الدم بحقنها بكرات دموية حمر ، وهى واحدة من المشتقات المحيية للدم الموهوب . وكان تقريره عن الحالة غاية فى الإيجاز : « سير مطرد نحو الشفاء » .

ويجوب أنحاء نيو إنجلند اليوم قرابة ٢٥ شخصاً استبدل لهم غشاء المخ الذى يلى الجمجمة (الأم الجافية) خلال جراحة مخية ، بغشاء صناعى له رقة « النيلون » مستمد من الفيبرونجين وهو أحد المفردات التى يتألف منها الدم .

وتزخر الصحف الطبية اليوم بتقارير إكلينيكية عن الخدمات التى تسديها مفردات الدم لإبراء الجروح وشفاء الأمراض ، والتى لم تخطر قط على بال . وإزاء السخاء المنقطع النظير فى الجود بالدماء ، لا يفتأ العلماء دائبين على اشتقاق عناصر الدم منه ، حتى ليبدو أن كلا منها يهب شفاء من علة كانت قبل مستعصية على الشفاء . وإن كل غاية جديدة تنال ، هى معجزة من معجزات الدم التى لا يزال كل يوم يرفع فيها الستار عن جديد .

ظل الأطباء يحاولون عدة قرون بنقل الدم من الأجسام السليمة القوية إلى أوردة المرضى والمحتضرين ، ولكن كل محاولاتهم باءت بإخفاق ذريع . وظل سر هذا الإخفاق مجهولا حتى كانت سنة ١٩٠١ ، إذ قام العالم النمسوى كارل لاند شتينر (الذى اشتغل فيما بعد بمؤسسة روكفلر فى نيويورك عدة سنين) فكشف عن سبب من أسبابه

المهمة ، وهو أن الدم البشرى ينقسم إلى أربعة أنواع واضحة الحدود ، إذا حقن نوع منها فى وريد شخص ينتمى دمه إلى نوع آخر ، قضى عليه .

وظل نقل الدم مباشرة من شخص إلى آخر — حتى بعد أن عرف الأطباء كيف يميزون نوع الدم المطلوب — عملا شاقاً مؤلماً محفوفاً بالأخطار . يضاف إلى ذلك أن الدم لا يكاد يفارق صاحبه حتى يتخثر (يجمد) فيما بين دقيقتين وعشر دقائق .

وفى سنة ١٩١٤ بدأ الدكتور لويس آجوت من الأرجنتين يبحث عن مادة مانعة للخثورة ، وفى نهاية ستة أشهر أخفقت كل المواد التى جربها . ثم مرّ ذات يوم بمطعم ، وكانت نافذة المطعم ممتلئة بالبيض ، فهفا بعقله خاطر ، فصاح : « إن زلال البيض تقيه سترات الصودا من التجمد ، والزلال واحد من مفردات الدم . فلنجرب سترات الصودا » وعاد الدكتور آجوت إلى المستشفى بهرول ، فاستوقفه أحد الأتباع قائلا له إن مريضاً فى أمس الحاجة إلى فصد الدم ينتظره .

قال آجوت : « سأفصده بنفسى » ، ووضع مقداراً قليلا من سترات الصودا فى قارورة واستنزف فيها ما أراد من دم المريض . وبعد عشرة أيام وجد الدم لا يزال سائلا ، وما من أثر فيه للخثورة . وظل ممعناً فى تجاربه ستة شهور محاولا أن يقرر بدقة أقل مقدار من سترات الصودا يمنع الخثورة

وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٤ استطاع الدكتور آجوت أن يعلن للملأ أن جزءين من عشرة أجزاء من واحد فى المئة من سترات الصودا فى الدم البشرى يقيانه التخثر . وأدى ذلك إلى أن يصبح نقل الدم من الواهب إلى الموهوب له عن طريق غير مباشر أمراً ميسوراً مأموناً ، ولكن لم يكن حفظ الدم مستطاعاً أكثر من أسبوع . وفى باكورة العقد الرابع من هذا القرن أجرى الدكتور يودين من موسكو تجارب واسعة النطاق ، أعلن فى نهايتها عن توفيقه إلى طريقة لحفظ الدم واختزانه ٣٥ يوماً .

وبعد اختبار طريقة يودين أسس مستشفى إقليم كوك بشيكاجو سنة ١٩٣٧ أول مصرف حقيقى للدم ، تتبع فيه الأنظمة المصرفية المحض ، فإذا ما استدعت حالة مريض أن يحقن بالدم صرفت له حاجته منه ، ثم يتطوع أصدقاؤه أو أقاربه لسد العجز فى الرصيد بما يجودون به من دمائهم . وكذلك أصبح الدم على كافة أنواعه قريب المنال فى الحال ، ولم تعد هناك ضرورة للعجلة فى استدعاء الواهبين للدماء .

وكان أول نجاح شامل للدم المختزن ، بعد علاجه بسترات الصودا ، فى أثناء الحرب

هذا العمل الدقيق لنقل الدم عند الملمات ، من اليسر بحيث يمكن أن توكل بلا خوف إلى مساعدى الأطباء .

وفى سنة ١٩٣٦ سجل الدكتور جون إليوت من سالسبرى بكارولينا الشمالية نجاح استعمال مصل الدم السائل فى العلاج . ويمكن الحصول على هذا المصل بوضع قوارير الدم فى جهاز للتركيز يدور بها حتى ترسب كتل كثيفة من كرات الدم الحمر والبيض ، ومن ثم يؤخذ المصل الجنطى اللون من فوقها . وفى سنة ١٩٤٠ كشف الدكتور ماكس م . ستروميا من مستشفى برين مور عن طريقة استعمال المصل المجفف الذى يجعله التجفيف من يسر المنال كزجاجة الأسبرين .

وخلال ضرب لندن بالقنابل من الجو منذ أربعة أعوام ، أسس الصليب الأحمر الأمريكى أول مشروع لمصل الدم على نطاق واسع . فلما زاد عدد المصابين فى الغارات وأرهقت الأمداد الطبية إلى حد لا يتصور التجأ الإنجليز إلى الولايات المتحدة لإمدادهم بالمصل السائل والمصل المجفف . وفى أوائل سنة ١٩٤١ ازداد الطلب عليهما من الجيش الأمريكى ، ومن يومئذ بلغ الموهوب منهما نيفاً و ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ لتر .

ولكن المصل ليس إلا لمحة واحدة من صورة ضخمة لمعجزات الدم الكبرى ، قد انجاب عنها الستار . ففى سنة ١٩٤٠ أناط مجلس الأبحاث الوطنى والصليب الأحمر الأمريكى بالدكتور أدوين ج . كون من رجال جامعة هارفرد وأحد نوابغ علماء أمريكا فى الطبيعة والكيمياء ، رياسة مشروع للبحث واسع النطاق ، فوجه الدكتور كون ومعاونوه جل اهتمامهم إلى تحليل مصل الحياة إلى عناصره ، واكتشاف المزايا الطبية لكل منها على حدة .

وكان زلال المصل أول ظفر دنت لهم قطوفه ، وهو بديل جديد مركز ، يعمل عمل المصل فى علاج الغشية الناشئة من الجروح ، وله على المصل مزية كبرى ، وذلك أن ما يلزم منه للجريح خمس ما يلزم من المصل الكامل . وتوجد اليوم سبعة مصانع تخرج كل يوم آلافاً من وحدات الزلال . وقد صرح الدكتور روس ت . ماكنتير كبير أطباء البحرية الأمريكية حديثاً أن زلال المصل يصنع فى جرحى معركة الباسيفيكى ما يصنع السحر ، وهو رحمة أرسلها الله للغزاة من الفدائيين الخفيفى الأحمال ، وللجنود الذين ينقلون من مكان إلى مكان على متن الهواء .

وبعد ذلك أخذ بحاث جامعة هارفرد يعالجون جاوبيولينات المصل (مواد زلالية) ، وهى مفردات الدم التى تنطوى فيها الأجسام المضادة للميكروبات والأمراض ، فإن أغلب

الواهبين للدم يختزنون عادة في دمائهم خليطاً من هذه الأجسام الواقية ، اكتسبوه خلال النضال الموفق ضد الأمراض على طول السنين . فلم لا تحرر هذه الأجسام الواقية وتطلق لتعمل ؟ .

وكانت المحاولة الأولى موفقة ، فهذا جاوبيولين الحصبة ، الذى تتركز فيه الأجسام المضادة للمرض ، قد قضى بلا ضجة على ثلاثة أوبئة في الشتاء الماضى . وتحضر منه الآن مقادير ضخمة لوقاية من لم يصابوا بالمرض من جنود الولايات المتحدة المحاربين . ولا تزال الأبحاث الخاصة بالجاوبيولين تشق طريقها للوقاية من بعض الأمراض المعدية الأخرى كالنكاف ، والحمى القرمزية ، والدفتريا ، والسعال الديكى ، ويبدو أن الاحتمالات المتوقعة للانتفاع بها فوق الإحصاء .

وفى أثناء ذلك أتاحت عناصر المصل الخاصة بتخثر الدم — وهى الثرومبين (خميرة التخثر) والفيبرينوجين — أشياء تدعو للذهول ، فمن مزجهما سائلين يتكون الفيبرين المتجمد . فبدأ العلماء ينشئون من هاتين المادتين أفوافاً (اغشية رقيقة) ورغاوى ، وعجائن قابلة للتشكل ، وأنواعاً من الغراء يمكن استعمالها جميعاً فى أدق الجراحات .

ومن هذا الفيبرين تصنع تلك الأغشية التى تحل محل الأم الجافية للمخ إذا أصابها تلف أو عطب من جراح الرأس . وقد اتخذ جراحو مستشفى بيتر بنت بريام ، ومستشفى الأطفال ببوسطن ، من الفيبرين أفوافاً تقى نسيج المخ العارى السريع العطب ، فتغمر هذه الأفواف الناعمة القوية المرنة فى الماء ، وبذلك يتيسر إسدالها على المخ . وتدل التجارب على أن الجسم يبنى عليها غشاء زائفاً يحل محلها على مر الزمن .

وقد برهنت رغاوى الفيبرين على أنها مخثر عجيب للدم ، ففى الجراحات العصبية الدقيقة — حيث يستمر النزف من نقط لا عداد لها ، هى من الضآلة بحيث يستحيل وقف النزف منها بكلابات الشرايين — يمكن سد هذه النقط المتحلبة برغاوى الفيبرين الإسفنجية ، فينقطع النزف فى الحال .

ويستعمل الدكتور تراسى بتنام ، جراح الأعصاب بمؤسسة الأمراض العصبية بنيويورك ، قطناً خاصاً جديداً مصنوعاً من السليولوز المؤكسد مشبعاً بالثرومبين . وهذا القطن يمكن تركه فى الجهاز العصبى بعد الجراحة ، فتمتصه خلايا الجسم الأكالة ، شأنه فى ذلك شأن أفواف الفيبرين .

أما غراء الفيبرين فنعمة أتيحت لتطعيم الجلد ، فقد كان جل اعتماد الأطباء فى الزمن الماضى على خياطة الطعم الدخيل فيما حوله من الجلد الأصيل ، ثم صيانة الطعم فى

مكانه بالضمائد الضاغطة بل بالجبس أيضاً فى بعض الأحيان . وطالما عانوا عسراً مذكوراً فى رمّ الأجزاء ذات الحنايا من الجسد ، كالأنف والأذن التى تستلزم الضرورة تطعيمها بجلد جديد .

وليس على أطباء الجيش والبحرية اليوم سوى أن يرشّوا رزاذ الثرومبين على الأعضاء المحرقة أو الجريحة ، ثم يغمسوا الطعم الجلدى فى سائل الفيبرين ويضعوه مكانه ، دون أن يخيطوه البتة فى بعض الأحوال ، فتستقر الطعوم فى مواضعها على عجل ، وينقطع النزف ، ويسهل التضميد . وحتى فى تلك المواضع المتعبة ، كالأغشية التى بين أصابع الأيدى والأقدام ، يمكن أن يلصق الجلد الجديد .

وآخر ما استغل من مشتقات الدم هو الكرات الحمر التى تؤلف حوالى ٤٦ فى المئة من الدم الكامل . ولما كانت هذه الخلايا الرقيقة سريعة العطب ، صارت تنبذ نبذ اللقى لا خير فيه .

وأدرك الدكتور وارن ب . كوكسى من ديترويت أن كثيراً من المحتاجين إلى مصل الدم لا ينالونه ، على حين تضيع كل يوم مقادير ضخمة من خلايا الدم الحمر . فأخذ يبحث عن طريقة لحفظ هذه الخلايا حيّة ، فحاول أن يصونها فى محلول ملحى بسيط . فاستطاع هذا المحلول الملحى العادى أن يصونها حوالى خمسة أيام .

وجرب الدكتور كوكسى حقن هذه الخلايا فى ٢٠٠ مريض بفقر الدم ، فثبت له أنهم ينالون من الفائدة من هذه الخلايا الحمر مثل ما ينالونه من الدم الكامل . ومن أجل ذلك عمدت ، فى العام الماضى ، هيئة الجود بالدم فى الصليب الأحمر بديترويت ، إلى ملء قوارير من هذه الخلايا الحمر المعلقة فى محلولها الملحى الجديد ، وإرسالها إلى مستشفيات الإقليم .

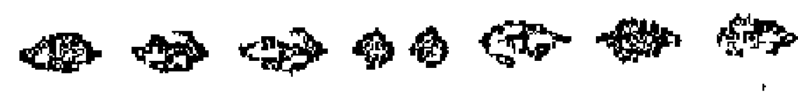
وستنشر طريقة ديترويت هذه قريباً حتى تعم الأمة . وإن هذه الخلايا الحمر لتستعمل اليوم فى كفاح قائمة من الأمراض تبدأ بالرثية (التهاب المفاصل الحاد) ، وتنتهى بالدرن

لكن قصة الخلايا الحمر لا تنتهى عند نقلها من شخص إلى آخر ، فإن الطبيبين جورج مورهيد وليسترج أنجر من نيويورك ، قد اكتشفا أن هذه الخلايا المنبوذة ذات قيمة لا تضارع فى علاج الجروح الملوثة والحروق والقروح ، فأخذا يعالجان بؤر المرض الفاغرة بهذه الصبغة من الخلايا الحمر ، ووجدا أن الصديد يختفى ، وأن الألم يزول بأعجوبة ، ويسرع إليه الالتئام .

ولما كانت حياة الخلايا الحمر ، فى محلول كوكسى وصبغة مورهيد وأنجر ، حياة محدودة ، فقد ابتدع أطباء عيادة مايو

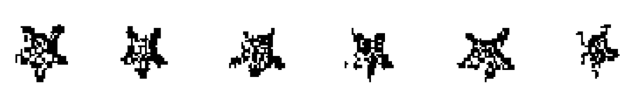
برشستر فى مينيسوتا مسحوقاً من الخلايا الحمر لا يتلف أبداً . وذرّ أطباء هذه العيادة ذرور هذا المسحوق يومياً على قرحة متسعة نشأت عن دوال (انتفاخ الأوردة وتعرجها) ، واستعصت على كل علاج آخر ثمانى سنوات ، فالتأمت القرحة كل الإلتئام فى ثمانية أسابيع . وقد وصلوا إلى نتائج طيبة كذلك من ذرّ المسحوق على جذور الجوارح المبتورة ، وعلى جروح الصدر وغيرها من الحالات التى لم تتخذ سبيلها الطبيعى للالتئام ، فنجحت هذه الخلايا الحمر .

وإذا قدر لهذا الينبوع من الدم الموهوب أن يدوم تدفقه بعد الحرب ، فقد يصبح الدم شفاء من كل داء .



هذه هى سيماء الحرب

لم تحاول قيادة القاذفات الأمريكية فى بريطانيا ، أن تستخف يوماً ما بالطيارين الألمان وطائراتهم. فلما أعدت إحدى الشركات فى أمريكا إعلاناً ظهر فيه طيار أمريكى ، يضحك ساخراً ويسأل : « من ذا الذى يخشى طائرة فوك ولف الجديدة ؟ » قصّ أحد رجال القيادة فى بريطانيا هذا الإعلان وعلقه على لوحة النشرات فى مقرها ، وكتب تحته « وقّع هنا » ، فوقّعه جميع ضباط القتال فى الجماعة وكان قائدهم فى الطليعة [كتاب : «الهدف ألمانيا»]



سئم ضباط القاذفات الأمريكية فى بريطانيا ، الوتيرة الواحدة فى البلاغات الألمانية عن غاراتهم ، فلفقوا البلاغ التالى على لسان الدكتور جوبلز .

« أقبلت أسراب كبيرة من القاذفات الأمريكية والبريطانية ، حازمة أمرها على مألوف عادتها ، على تدمير المستشفيات والكنائس ، فتصدّى لها عدد يسير من المطاردات الألمانية ، ودمرها تدميراً ، وقد هب رجال سلاح الطيران الألمانى للدفاع عن المدنيين العزل ، فأسقطوا أكثر من ٣٠٠ طائرة ضخمة ، وتركوا الخمسين الأخرى مصابة إصابة بالغة ، تتعذر معها عودتها إلى قواعدها .

« ولم نفقد أحداً من الطيارين الألمان البسّل ، ولا طائرة من طائراتنا ، « وفقدنا إحدى مدننا » [فرانك شوت]



يعرف كيف يستأثر باهتمام الناس

« جيمى چميل » المصور المنقب أشد الناس فضولا فى أمريكا ، يستطلع بغير خجل حياة الناس الخاصة . والناس يستحسنون ذلك

مورت وايزنجر - ملخصة عن مجلة « ليبرتى »

هو أعظم الناس فضولا فى العالم ، فحين سأل ربة بيت نيويوركية عن زوجها : أهو عاشق مشبوب العاطفة ؟ صفعته . وقد سأل مرة فتاة : « لماذا تصبغين شعرك » فلكمه خطيبها على ذقنه ، وحبس . وقد قضى ليلة فى مستشفى للأمراض العقلية فى مدينة جيرسى لأنه سأل امرأة نصفا : « هل تتذكرين القبلة الأولى ، وكيف نعمت بها ؟ »

وجيمى جميل « المصور المنقب » لصحيفة ديلى نيوز النيويوركية ، يوجه آلته المصورة كل يوم إلى الغنى والفقير والشحاذ واللص ، ويحادثهم على قارعة الطريق ، لينقل صورهم وأحاديثهم إلى ستة ملايين قارئ من قراء الصحف . وقد وجه جميل أسئلته وسدد آلته المصورة ، إلى « رجل الشارع » مئتى ألف مرة خلال الثلاث والعشرين سنة الأخيرة ، ونشر من صوره فى صفحة المقالات الرئيسية من صحيفته أكثر من ستين ألف صورة ، كل ستة منها فى عمود ، وتحتها عبارة مؤلفة من خمسين كلمة ، تنطوى على الحكمة العملية التى يستخلصها من أحاديث الجماهير .

« أيجب على الزوجة أن تصدق ما يقوله زوجها فى نومه ؟ » ، « ما أكبر كذبة كذبتها ؟ »

هذا الفضول فى مصور النيوز ، زحم خطوطها التلفونية بالرسائل ، وكثير منها من قراء محنقين ، ودفع بالمحامين إلى الإكباب على كتب القانون ينقبون فيها . ولكن حين استفتت النيوز خمسة وعشرين ألف نيويوركى ، فى المقال اليومى الذى يفضلونه ، ظفر مقال المصور المنقب بالمقام الأول غير منازع .

وقد اعترف كل فرع تقريباً من فروع وزارة الحربية الأمريكية بأن جميل مكتب نشر قائم بذاته . فحين أراد الأسطول مجندين « لكتيبة البناء » ، عمد جميل إلى سؤال ستة من البحارة القدماء : « لماذا التحقتم بعمل مرهق خطر كالعمل فى فيلق البناء ؟ » فلم تكد الأجوبة الموجزة تظهر فى الصحيفة ، حتى غمر المتطوعون مكتب التجنيد .

وقد وجه جميل عدسته منذ عهد قريب

إلى ست والدات التحقت بناتهن بالأسطول وسأل كلا منهن : « كيف انتفعت ابنتك بالعمل فى الأسطول ؟ » فكانت الأجوبة الصادرة عن إخلاص من الأمهات ، باعثاً على زيادة تطوع الفتيات للأسطول زيادة سريعة كبيرة .

وقد أتقن جميل منذ سنين هذا الأسلوب البارع فى توجيه الأسئلة التى تخدم غرضاً اجتماعيا نافعاً . فحين كانت هيئة البوليس النيويوركى تجأر بالمطالبة برفع مرتبات البوليس ، انطلق جميل يسأل : « أترضى أن تكون رجل بوليس إن قضيت خمس سنوات قبل أن تبلغ مرتباً قدره ٢٥٠٠ ريال فى السنة ؟ » فكان جواب الستة الذين نشر صورهم : لا ! وانهالت الخطابات من القراء فعاونت هيئة البوليس على تحقيق طلبها .

« كيف تستوحى أغانيك ؟ » سؤال وجهه جميل إلى منشئى الأغانى ، فى شارع نيويورك المشهور باسم « زقاق بان » . فذهب « بلى هيل » بالمصور المنقب إلى داره ، وكانت مسز هيل حاملا متيماً ، وكان الغاز قد قطع عن الدار لأن هيل لم يوف ما عليه وهو ٣٦ ريالا . فقال بلى لجميل : « هذا هو الملهم الصادق : الحاجة إلى المال » ولم تكد تنقضى ساعات ثلاث حتى كان هيل قد لحن ثلاث أغان ، وذهب مع جميل إلى شركة تسجيل حيث عرض بيع الأغانى الثلاث بستة وثلاثين ريالا ، فسخروا بهما ، ولكن هيل باعها بعد ذلك إلى ناشر موسيقى صادق الفراسة ، وقد ذاعت أغنيتان منهما ذيوعاً عظيما

ولد جيمى فى بيروت ، وذهب إلى أمريكا وهو صغير ، وكان فى الحرب العالمية الأولى ضابطاً فى الأسطول الأمريكى .

وفى سنة ١٩٢١ بدأ يعمل فى إدارة « النيوز » لنسخ الرسائل وكنس الأرض أيام الأحد ، ولكن « فل باين » محرر أخبار المدينة ، عهد إليه فى الأحد الأول ، بعمل الصور المستطلع .

ويقول جيمى : كان هذا العمل أبغض الأعمال وأحقرها ، وكان جون تشابمان — محرر المسرح بالصحيفة الآن — قد هدد بالاستقالة إن لم يعف منه . وقد نهى باين بقوله : « إنه لعمل بغيض ، فقد يجدع أنفك ، وقد يقبض عليك ، أو قد تكتف فى قميص المجانين » . وقد تحققت جميع نبوءات باين .

وكان جيمى يضع أسئلته بنفسه أول الأمر ولكن الصحيفة تطلب إلى قرائها الآن أن يوافوها بالأسئلة ، وتدفع خمسة ريالات لقاء كل سؤال تقبله ، ويتلقى محرر هذا الباب ألفاً وستمائة سؤال كل يوم .

ويراجع جميل بنفسه الأسئلة التى ترد

كل يوم . وقد قال فى ذلك : آخر مرة استعنت فيها بمساعد ، اختار لى أسئلة فى كل سؤال منها فخ منصوب . وراجعت الأسئلة التى نبــذها فوجدت السؤال التـالى ، وقد طلب صاحبــه أن يوجه إلى بائع أحــذية : « حين يأتى الناس لشراء أحــذية ، فماذا يعتذرون حين ترى ثقباً فى جورب أحدهم؟ » وقد يبدو سؤال كهذا هذياناً ، ولـكنه النوع الذى أطلبه ، فهو ينطوى على السمة الإنسانية ويتيح فرصة للمزاح ، ثم إنه أمر قد يحدث لـكل إنسان .

وقد جعل جيمى من مقاله ركناً أصيلا من أركان الصحافة . وفى كل مدينة كبيرة من مدن أمريكا تجد اليوم صحيفــة واحدة على الأقل فيهـا مقال من هــذا النوع ، وكذلك تســع صحف من كل عشر صحف تصدر فى معسكرات الجيش .

ويتسع هذا المقال دائماً لباب « المفقود » و« الموجود » من الناحية الإنسانية . فحين سأل جميل امرأة : « ما أعظم أمنية لك فى الحياة ؟ » ردت : « ولدى الوحيــد البالغ ١٦ سنة ، وقد فر ليلتحق بالجيش الـكندى » وقرأ ضابط الوحدة هذا البيان ، فعزم على ردّه إليها ، ولم يكد ينقضى أســبوع حتى كانت الوالدة تقــدم لابنهـا طبقاً شهياً من الفراخ المقلية .

وقد سأل جيمى ، منــذ عهد قريب ، امرأة جالسة على مقعد فى حديقة : « أيهما تؤثرين ، أن تنامى مع زوجك فى سرير واحد ، أو أن يكون لـكل منكما سرير على حدة ؟ »

ولـكنها لم تصفعــه ولم تناد البــوليس ، وكأنها عرفت المصور المنقب ، ولعلها قالت لنفسها : « كنت أتمنى أن أقع فى شركك يوماً ما » ثم سمحت له بتصويرها ، وسجلت على نفسها ، للصحافة والتاريخ ، أنها تؤثر أن تنام فى سريرها على حدة .

حين زار أندريه موروا ، الـكاتب الفرنسى المشهور ، الولايات المتحدة الأمريكية من ســنوات ، ألقى سلسلة من المحاضرات باللغة الفرنسية فى أحد أندية النساء ، وقد اغتبط اغتباطاً عظيماً بمـا لقيه من إقبال السيدات على محاضراته ، وانتظام حضورهن ، وعنايتهن بتسجيل مذكرات ضافية فى دفاترهن .

وذات صباح ، أقبلت السـيدات على حجرة المحاضرة فى الموعد المألوف ، متأبطات دفاترهن وأقلامهن ، فدهشن حين لم يجدن موروا ، ولبثن ساعة ينتظرنه ، وأخــيراً اتصلن بسكرتيره .

فقال السكرتير الذاهل : إن مســيو موروا لن يحاضر اليوم ، وقد وضح ذلك فى محاضرته الأخيرة ! [إ . إ . إدجار]

إنه لبحار قدير حقاً ، هذا الذى تغلب على محنة لا تكاد تصدق !

سيد مصيره



أربعة أيام وليال قضتها سفينة الشحن « بورتو ريكان » تكافح عاصفة قطبية ، وهى الآن على مسافة من ساحل أيسلندة ، ولكن تهب عاصفة ثلجية فتحول دون الرؤية، وتكسو ظهر السفينة وصواريها معطفاً من الجليد .

كارل ب . وال
ملخصة عن مجلة « لبرتى »

أصابها الطربيد فى الساعة العاشرة مساء فلما استيقظ البحار « اوجست والنهاوبت » أدرك على الفور ما ينبغى أن يصنع ، فقد ألف مثل ذلك من قبل .

وكان أول ما صنع أن ركع بجوار سريره ودعا دعاء قصيراً ، وكان يعتقد أن دعاءه على قصره خليق أن يقيه عاديات الفزع . ثم لبس جورباً وصداراً من الصوف ، وبنطلوناً بحرياً ومعطفاً واقياً ، ومن فوقها جميعاً كسوة النجاة، وهى ثقيلة مصنوعة من المطاط ذات سدادات لا ينفذ منها الماء . وأخيراً ارتدى معطفاً بحرياً سميكا من الصوف يصل إلى الركبتين وله طرطور يمكن أن يجذب فوق الرأس ، ووضع فى يديه قفازين من الفراء .

كان البحارة على ظهر السفينة يتصايحون باللعنات فى الظلام ، وهم يحاولون تخليص زوارق النجاة التى التصقت بالثلج المتجمد حولها ، وانطلقوا ينشدون بصوت واحد : « واحد — اثنان — ثلاثة » ويقذفون بأنفسهم كالمنجنيقات على تلك الكتلة الثقيلة ، فكانوا كأنما يضربون بأكتافهم بناء أحد الحصون . وبعد عدة محاولات عنيدة نزع الزورق من مكانه .

وقد وصل إلى الماء يحمل عشرين رجلا أو ثلاثين ، ثم أدرك والنهاوبت أن السفينة تغوص ، وخشى أن ينقلب زورق النجاة لأن الثلج جعل فك الحبال مستحيلا .

ورمى بنفسه إلى الخلف قافزاً من زورق النجاة فى اللحظة التى غاصت فيها السفينة ، ونظر فرأى على مسافة أقدام مشعل الطوارىء مضيئاً من طوف صغير فتسلق حافته . وأحس للمرة الأولى أن يديه متخدرتان ، فقد فقد قفازى الفراء السميكين . ولاحظ

أن فى تلك الأطواف نوعاً من الخشب المشبك فى الوسط ينفذ خلاله ماء البحر . ودنا أحد عمال التشحيم من جانب الطوف فجذبه والنهاوبت إليه ، ولم يكن يرتدى سوى بنطلون قصير وقميص خفيف ، فكان يرتجف من البرد .

وفى خلال الدقائق العشر التالية استطاع ستة رجال آخرون أن يصلوا إلى الطوف بعد مشقة وجهد ، وكانوا جميعاً يرتدون معاطف البحارة الثقيلة ولا شىء سواها ، أو معها قدر من الملابس قليل . وكان والنهاوبت وحده يرتدى كسوة البحارة التى لا ينفذ إليها الماء ، ولكن أيديهم كانت قد بدأت تتجمد .

وأقبل نحوهم طوف خشبى كبير حتى أصبح فى متناولهم ، فأمسك به والنهاوبت وجعل من نفسه جسراً يصل بين الطوفين ، فلما عبر فوقه خمسة من الرجال زاحفين ، نظر خلفه فإذا عامل التشحيم ومعه آخر جالسان بلا حراك . وتولى أحد الرجال إمساك الطوف ، على حين راح والنهاوبت يصفعهما ويحاول عبثا أن يرفعهما على أقدامهما ولكنهما كانا قد فقدا الوعى ، وإن كانت عيونهما لم تزل مفتوحة .

وحاول والنهاوبت أن يتسلق من الطوف الصغير إلى الطوف الكبير ، ولكنه تبين أنه فقد كل سيطرة على ساقيه من أعلى إلى أسفل فساعده الآخرون على الصعود . وكان عددهم الآن ستة تجمعوا طلباً للدفء فى وسط الطوف الكبير ، وقد نسج عليهم رذاذ البحر المتلاطم كساء من الثلج . واختفى بعد ذلك مشعل الطوارىء الذى كان يعلو الطوف الصغير .

وحاولوا أن يحركوا أرجلهم بين الفينة والفينة لكى يظل الدم جارياً فى العروق ، ولكن الجهد كان فوق ما يحتملون . وطار عقل أحدهم — وكان إنجليزياً — فظل يتمتم قائلا لوانهاوبت : « ساعدنى يا أوجى ، ساعدنى » وحاولوا أن يجأروا بالدعاء ، « ولكن الأمواج كانت تملأ أفواهنا ، وكنا عاجزين عن أن نسمع على كل حال » ولهذا آثروا أن يهمسوا بالدعاء همساً

وكانت إحدى الموجات العاتية لا تزال تجتاحهم كل بضع دقائق فتلقى بهم كومة واحدة ، وهم متشبثون بالحبال أو يمسكون بعضهم ببعض فى الظلام . وعلى إثر إحدى تلك الموجات لاحظ والنهاوبت أن الإنجليزى قد طاح .

وفى بعض ساعات الليل ، بين فترات متقطعة من النوم ، ترددت فى سمع والنهاوبت كلمتان : « أوجى ، أيها الفتى » . وكانت هاتان الكلمتان ترددان فى مثل الهمس

من وقت إلى آخر . وقد تبين والنهاوبت فيهما صوت أصدق أصدقائه على السفينة — وهو مدفعي في الأسطول كان ينام في سرير تحت سريره . فأجاب صائحاً : « جون ، أيها الفتى » ، ولكنه لم يتلق جواباً ، حتى إذا لاح الفجر تبين أن صديقه قد ذهب وأنه كان يناديه وهو يهوى في اليم .

وبعد ذلك بأمد قصير طاحت موجة كبيرة برجل آخر فتعلق بالحبال الجانبية ، وحاول والنهاوبت أن يمسك بملابسه ولكن يديه المتجمدتين كانتا قد فقدتا قوة الإطباق ، فتشابكا بالسواعد . وحاول والنهاوبت أن يجذبه ، ولكنه كان أضعف من أن يستطيع ذلك .

وظلا كذلك متشابكين نحو خمس دقائق ، « وعيناه لا تبعدان عن عيني سوى عشر بوصات ، وظل كل منا يحدق في وجه صاحبه ، ثم قال : « أي ، أوجي ، ألا تستطيع أن تساعدني » . فقلت : « إني آسف ، فلست أستطيع شيئاً . ثم خارت قواه وهوى » .

وعندئذ احس والنهاوبت بالدفء والتراخي يسريان في جسده دون أن يحس ألماً ووجد نفسه عاجزاً عن تحريك قدميه أو الإحساس بأي جزء من جسمه . وكان يستطيع تحريك ذراعيه عند الكوع ، ولكن يديه جمدتا غير مبسوطتين كل البسط .

وأدرك فيما بعد أن الموج جرف رجلا آخر ، وأنه لم يبق معه على الطوف سوى رجل واحد كان مستلقياً على بطنه عاري الرأس يغشى الثلج شعره . فناداه ، ثم زحف إليه ولكم رأسه بكوعه ، فلم يستطع أن يحركه ، لأن جسم الرجل كله كان قد جمد ملتصقاً بقعر الطوف .

لم يكن والنهاوبت خلال الساعات الست والثلاثين قد فكر في طعام أو شراب ، بيد أنه أحس بالعطش الآن وقد أصبح وحده مع الميت .

ولما وجد الماء في الإناء جامداً صلباً أطفأ ظمأه بعض الشيء بتحطيم الثلج المتساقط على الطوف أكواماً صغيرة ، ولحسه بلسانه .

وظل الطوف يضرب في البحر الهائج ، وسط ريح كالإعصار شديدة البرد ، ولكي يقي نفسه وطأتها تمدد إلى جانب الميت مستدرياً به « ولم أكن أعده رجلا ميتاً ، بل شيئاً جامداً ، كقطعة من الأرض ، وكانت تغطيه طبقة من الجليد سمكها قدم » .

وكان والنهاوبت يستسلم للنوم بين الحين والحين ، غير محتفل بأن يبلله ماء البحر . وكان يخيل إليه أنه يحلم دائماً حتى في يقظته —

وكانت معظم أحلامه تدور حول حوادث الطفولة .

وقبيل فجر اليوم الثالث سمع أصواتاً ، ولم يستطع أن يستجلى شيئاً فى الظلام ، فاعتقد أنه يهذى من غير شك ، ولكن الأصوات كانت تروح وتجىء كأنها أصوات تحملها الريح مجتازة بحيرة من البحيرات . وخشى أن يكون ذلك إيذاناً بذهاب عقله ، فأزعجه ذلك أكثر من التفكير فى الموت ، وعندئذ دفن رأسه فى معطفه وجعل يجأر فى دعائه ليطمس تلك الأصوات .

ثم عادت الأصوات أقوى مما كانت ، فاستطاع أن يستبين عبارات كاملة : «هالو ، يا من هناك ! هالو ، يا من هناك ! » فأمعن فى دفن رأسه تحت غطاء الرأس المتصل بمعطفه ، واشتد يجأر بالدعاء .

وما زال حتى أحس بصدمة عنيفة صدمت طوفه ، فرفع بصره فرأى الجانب الأربد القاتم من إحدى المدمرات البريطانية . فلم يكد يحرك رأسه حتى انفجر الذين على ظهرها مهللين ، ثم ربطوا حبل التسلق تحت ذراعيه وجذبوه فى رفق وهدوء . وسأله أحد الضباط : «من أى سفينة أنت ؟» فلما أجاب والنهاوبت ، حملق فيه الضابط ، ثم أشاح بوجهه . وعندئذ تخاذل والنهاوبت وأخذ يبكى بكاء شديداً . وقد عرف فيما بعد أن المدمرة كانت قد سمعت نداء الاستغاثة من السفينة « بورتوريكان » ، وراحت تفتش عنها ، ثم يئست وعادت إلى الميناء حين لم يبق لديها من الوقود سوى ما يكفى للعودة ، وكان هو الوحيد الذى بقى من رجال السفينة على قيد الحياة .

أعطوه شراباً ساخناً وقدراً من المورفين ، ولفوا يديه وقدميه فى منشفتين باردتين كالثلج . وكانت يداه قد ورمتا حتى صارتا فى نحو ثلاثة أمثال حجمها .

واستدعى قسيس السفينة ثم صليا معاً صلاة شكر ، ثم استغرق فى نوم عميق .

فلما أفاق بدأ الألم يتجدد ، وكان ألماً ممضاً ، وراح العرق يتصبب منه مدراراً حتى بلل الفراش ، فأعطوه قدراً آخر من المورفين .

وبعد ثمانى عشرة ساعة أنزل إلى البر فى أحد موانى أيسلندة ، فلما أدخل المستشفى لفوا قدميه فى لفافات من القطن ورفعوهما على رافعة حتى لا تشتد سرعة الدورة الدموية فيهما ، وراحوا يغذونه بحقن مستمرة من الدم والغذاء ، ويعطونه المورفين كل أربع ساعات . وقد بلغ من شدة ألمه أن ظل يصرخ غير منقطع ، رغم ما بذل من جهد فى أن يملك نفسه .

وأصيب بذات الرئة وذات الجنب ،

فوضع في صندوق أكسجين ، ووضعت ساقاه في صندوقين من الثلج بعد لفهما بلفافات من المطاط تفصل بين اللحم والثلج ، ورفع الجهاز كله فوق مستوى رأسه .

ولما أخرج من صندوق الأكسجين كانت تبدو عليه آيات الانشراح ، وسرعان ما كسب صداقة عدد كبير من المرضى ، وكان الألم قد بدأ يخف قليلا فيما عدا فترات تغيير الثلج .

حتى إذا كان أحد الأيام في الأسبوع التالي قال له الطبيب : « والآن ، يا والى ، سنبترها غداً » .

وكان يعلم أن ذلك أمر لابد منه ، بعد أن رأى لون ساقيه ، ولكنه كان يرجو أن لا تبتر يداه أيضاً .

وأعطوه مخدراً ، ولكنه كان يحس باهتزاز المنشار الكهربائي قبل أن يستغرق في غيبوبته ، فلما استيقظ كانت ساقاه قد بترتا ، وكذلك أصابعه حتى المفاصل إلا إبهام يمناه وإصبعين من يسراه . وقد قضى الأسابيع الأربعة التالية مستلقياً على ظهره .

ثم أنبأوه بأنه سيعود بالطائرة إلى أمريكا . ولما وزنوه كان ٨٧ رطلا بدلا من وزنه الذي كان مئة وسبعين .

وكان في وداعه جمع غفير من الممرضات والأطباء « وقد كنت في نظرهم أعجوبة . وكانوا يشعرون بشيء من الفخر بي ، فقد كانوا على يقين من أنني سأموت ، ولكنهم حفظوا علىّ حياتي » .

وقضى والنهاوبت الأشهر الثمانية التالية في مستشفى البحرية في جزيرة ستيتن بنيويورك ، حتى إذا جاءت ليلة عيد الميلاد أهدى إليه الاتحاد البحري المحلي ساقين ميكانيكيتين مصنوعتين من الألمنيوم ، وهو يمشي بها الآن في شيء من السهولة مستعيناً بعصاه .

ويعدو النهاوبت في المستشفى نوعاً من رجال الأساطير ، فقد أشاع بينهم المرح خلال الشهور الطويلة التي قضاها في فراشه .

وهو الآن في السابعة والعشرين ، يدرس أصول التجارة ، لأن شركة البواخر التي تستخدمه وعدته بعمل كتابي فيها . وهو يدرس كذلك الروسية والإسبانية ، ويحب الحفلات . وقد تعلم أن يكتب خطاً واضحاً مستعملا الإبهام وبُرْجمة سبابته . وقد تقدم في الخط خلال الأشهر القلائل الماضية حتى طلب إليه البنك تغيير توقيعه المسجل .

وهو يمقت أن يرثي له أحد ، ولا يطيق أحداً من الذين يأوون له شفقة على ما أصابه ، لأنه هو لم ييأس على شيء مما نزل به .



الحياة في الولايات المتحدة

كنت مسافرة بالقطار منذ زمن قريب إلى جوارى سيدة ، فذكرت لها أنى أرى أن الحرب تجعلنا أكثر اهتماماً بالغير ، فأومأت برأسها وقالت : « منذ ثلاثة أسابيع مضت أنبأتنى إدارة الجيش أن ابنى مصاب بذات الرئة ، وكان ابنى الأصغر أيضاً راقداً فى البيت وقد اشتد به المرض . وفى وسعك أن تتصورى ما كان يساورنى من الهم والقلق . ثم تسلمت هذا » وأخرجت من حقيبة يدها خطاباً قرىء كثيراً . فقرأت فيه : « سيدتى العزيزة ! إن حالى لا تساعدنى على كتابة الرسائل ، غير أننى أرى ابنك يوميا ، فأنا خادم بهذا المستشفى . وقد أخبرنى بمرض أخيه الأصغر ، وأن هذا المرض حال بينك وبين زيارته لترفهى عنه . فقدرت فى نفسى أنى لو أخبرتك بأنه يتقدم تقدماً حثيثاً إلى الشفاء ، وأنه دائم المرح ، وأنه مكب على القراءة ، وأنه يمزح مع الآخرين لاطمأن قلبك . حقا إن ابنك فتى ظريف دمث الأخلاق رقيق القلب . وأعتقد أنك فخورة به . وسأكلؤه بعين رعايتى إلى أن تحضرى لزيارته . المخلصة : أنا أوتو »

[مارى كارتر]

اضطرت أختى ، وهى تؤدى مهمة فى منطقة جبلية بولاية كنتكى ، أن تمضى الليل فى أحد منازلها . وبينما كانت تهيىء لنفسها مضجعاً فى غرفة الاستقبال أطلت صاحبة المنزل بوجهها الهزيل من الباب وقالت : « إذا احتجت إلى شىء لا يوجد معك . فما عليك إلا أن تطلبيه ، وسنريك نحن كيف تصيرين فى غنى عنه » .

[مسز كراوفورد]

فى يوم من أيام الأحد المشرقة كنت فى ولاية داكوتا الجنوبية أساعد فلاحاً فى جمع حصاده ، فمر بنا القسيس وسأل الفلاح أهو ذاهب إلى الكنيسة أم لا . فتردد الفلاح لحظة ثم قال : « أتريد الحق ؟ إننى أفضل أن أجلس على كومة التبن وأفكر فى الكنيسة على أن أجلس فى الكنيسة وأفكر فى التبن » .

[لودفيج كوشان]

كنت ذات يوم أقوم برحلة فى شرق ولاية كولورادو فرأيت صبية تدفع عربة طفل صغير ، فيها طفل فى الرابعة من عمره ، وكان شاحباً ذا ساقين هزيلتين لا خير فيهما . وجرت الفتاة العربة على الرمل إلى ركن من أركان السور الذى يفصل الطريق العام عن شريط السكة الحديد .

راقبتها وهى تسند العربة إلى السور ثم

تتسلق أسلاكه وتطيل النظر بلهفة فى الأفق، ولما سألتها علمت أن الصبى أصيب أخيراً بشلل الأطفال، وأن أخته، وهى فى السادسة تنقله كل يوم بعد الظهر إلى هذا المكان ليشاهد مرور القطار المشيق: ستى أوف دنفر

وعندئذ سمعنا صفير القطار الأجش، فهبت الفتاة بنشاط، وقفزت إلى مؤخرة العربة وحملت الطفل العاجز وجعلته فى موقف يسمح له بأن يتعلق بآخر حاجز السور. ثم جثت خلفه وطأطأت رأسها وألصقتها بظهره، وهى ممسكة بالسور الذى أمامها. فنظر الصبى إلى القطار حتى غاب عن بصره ثم أرخى قبضته، فحملته أخته برفق إلى العربة. وعندئذ صحت متعجباً: «ولكنك يا عزيزتى لم تتمكنى أنت من مشاهدة القطار!» فرمقتنى بتلك النظرة التى يختص بها الأطفال الناضجون من يكبرهم سناً وقالت فى هدوء: «لقد رأيته قبل أن يمرض». [كارى دونيج]

كانت سيدة من لوس أنجيلس تنتظر صديقة لها فى محطة السكة الحديدية، وقد جلس خلفها شاب يافع يرتدى ملابس البحرية الأمريكية. فرق قلبها لنظراته الساهمة وشبابه الغض. فسألته: أما من شىء تستطيع أن تصنعه له؟ فقال لها: كلا، وشكر لها عطفها، وقال لها إنه أحوج ما يكون إلى الاستحمام، فقدمت له مفتاح مسكنها من فورها وقالت له: دبر أمرك بنفسك. وبعد ذلك ساورها القلق فيما صنعت، وتساءلت: أتراها تجد شيئاً فى منزلها متى عادت إليه؟ ثم دخلت فى المساء مسكنها بحذر، فوجدته أحسن حالا وأنظف مما تركته، كما وجدت صفا من مناشف الحمام المبللة معلقة لتجف. لقد استحم فى منزلها خمسة عشر شابا، وترك لها كل منهم كلمة شكر رقيقة! [جان بيجى]

بينا كنت أسوق سيارتى بصحبة صديق فى طريق ريفى بألاباما أذهلنى أن أطل صديقى برأسه من النافذة وصاح: «عشرة وثلاثة أرباع».

فاستوضحته الأمر فأشار إلى قبر منفرد مسور على حافة حقول القطن وقال: إن أحد زراع القطن ممن كان دأبهم السؤال عن آخر أسعار القطن مدفون فيه. وقد أصبح هذا السؤال عادة لازمة له حتى أن أصحابه قالوا له مازحين إنهم يعتزمون عند موته أن يدفنوه إلى جانب الطريق فإذا مروا به أبلغوه الأسعار. وراقت الفكرة للزارع فأوصى بأن يدفن فى حقله حتى يستطيع أصحابه أن يفعلوا ذلك.

[س. ت. هنتر]

من صميم الحياة

ا. ج. كرونين

أعرف هنرى أدامز من سنوات عدة ، ويحسن بى أن أبادر فأقول إنه رجل عادى جدا . وهو فى الخامسة والأربعين من عمره ، وقد أخذ شعره ينحسر عن فرعه وناصيته ، وعلى عينيه الفاحصتين الزرقاوين نظارة بغير إطار تجسّمها ، وهو محتسب فى شركة مقاولات كهربائية ، ومسكنه فى ضاحية أهلها من الطبقة الوسطى ، سأسميها « إلمثيل » ، وله زوجة وبنتان فى الخامسة عشرة والثالثة عشرة ، وصبى صغير عمره ست سنوات .

وليس بيته الذى اشتراه بالتقسيط المرهق ، بالقصر المنيف ، ولكنه فخور به ، ومن هو على الخصوص بحديقته الخلفية — وتبلغ مساحتها نصف فدان — حيث يرتدى القديم من ثيابه ويعمل عصر السبت ويوم الأحد ، ويساعده ابنه الصغير « سامى » — وهو ينقده من الأجر سنتاً فى الساعة ، على خلاف ما تقضى به قوانين اتحاد العمال ! — وقد كاد يظفر بالجائزة من معرض إلمثيل لفلاحة البساتين . وكنت منذ سنتين أزوره عصراً فى الخريف ، فأرى هذين الزميلين اللذين لا يفترقان ــ الرجل النحيف والصبى القوى المتين ــ منحنيين معاً على نبات السياج ، أو واقفين رافعين رأسيهما زهواً بعملهما ، يحرقان كوماً من الأوراق الجافة . وكان سامى شغوفاً بأبيه ، وهنرى يحب سامى .

ولما نشرت الحرب أهوالها المخربة فى أوربا ، اشتركت هذه البلدة فى حركة لكفالة الأطفال فى الأراضى التى حاق بها الدمار ، وكانت السيدة أدامز بطبيعة الحال فى طليعة القوم ، واقترحت على زوجها هنرى أن يكفلا فى بيتهما أحد الأطفال اللاجئين طول مدة الحرب ، فلم يرتح هنرى فى أول الأمر إلى هذا الاقتراح ، ولكنه لم يلبث أن فطن إلى جانبه الإنسانى فوافق فى النهاية وهو مغتبط .

وبعد أن تمت الإجراءات الرسمية ، تلقت أسرة أدامز بأن طفلا من أبناء سيليزيا سيكون من نصيبهم ، فرافقت هنرى إلى نيويورك لنجىء بالغلام وكان اسمه پول ، أما لقبه أو اسم أسرته فكان من التعقيد بحيث لم يحاول أحد أن ينطق به بعد المرة الأولى .

ولن أنسى قط أول ما وقع فى نفسى من

منظر هـذا الغلام الذى هو ثمرة الفزع والجوع ، وهو فى التاسعة من عمره ، وكان قاعداً على كرسى عال فخيل إلىّ أنه جمرى على شوكة ، وكان حائل اللون كالحليب المثلوج ، وساقاه وذراعاه كأنهما قصبات ، ورأسه حليق ، وعيناه سوداوان واسعتان ناطقتان بالخوف ، ولكنهما عميقتان . وكان لا يعرف الإنجليزية ، فإذا كلمته أمال وجهه ، وصعد عينيه المائلتين إلى قمة قبعتك . وكان هذا أول لقائى مع هذا الغلام الصغير الغريب — بول بييتروستانالسكي أو لا أدرى ما لقبه على التحقيق .

وعدنا به إلى المقيل حيث أعد له استقبال جدير بملك ، وقابلتنا لويز ، وبيتى ، وسامى ، عند الباب بلهفة ، وأقبلت السيدة أدامز تعدو من المطبخ ، وكانت النار موقدة فى حجرة الجلوس ، وعلى المنضدة شموع مضاءة ، والبيت دافىء ، ورائحة الديك الرومى المحمر تفوح فيه . وجلسنا إلى المائدة نتعشى ، وراح الجميع يجاهدون أن يشعروا الغلام أنه فى داره ، حتى لقد ترقرق الدمع فى عينى — فإنى عاطفى سخيف — ولان ، على الطعام ، ما كان جامداً من الغلام ، وجعل يرنو إلى سامى قبالته بشدة عجيبة ، ولم يلق باله إلى البنتين الجميلتين اللتين كانتا ترأمانه ، وقصر همه كله على سامى . وأخيراً انفجر ضاحكا ضحكة عالية ، ودفع يده فتناول يد سامى ، وكانت تلك منه حركة مضحكة ولكنها مؤثرة ، أضحكتنا جميعاً ، وخيل إلينا أنه خير ما حدث فى تلك الليلة الحميدة .

وقد كان ينبغى أن تكون هذه النغمة المبشرة بالخير ختام قصتى ، ولكن الحق لا يخضع لقاعدة ، وقد أخذت الأسابيع تمر ، بعضها فى إثر بعض ، فجعلت خيبة الأمل تحل محل ذلك الاستبشار الذى تفتحت به النفوس لمقدم هذا الضيف الصغير . ولم يكن ثم شىء على وجه الخصوص تستطيع أن تضع يدك عليه وتقول إنه السبب ، ولكن هذا ما كان . . . وعسى أن يكون الأمر راجعاً إلى محنة الحرمان ، أو أهوال الحرب التى كابدها . على أن المهم هو أن بول لم يكن طبيعيا ، وإنما كان مخلوقاً غريباً منطوياً على نفسه لا يبالى أن لا يطيع ، ولا قدر للشعور الأدبى عنده ، فكانت قطع النقود الصغيرة التى تترك فى البيت تغيب فى جيوبه ، ولما تعلم اللغة الإنجليزية — وقد تلقفها بمثل سرعة القرد — أظهر قدرة مدهشة على المغالطة . وكان فى المدرسة يسلى التلاميذ بقصص خيالية عن أعماله ، ويروى لهم وهو جادٌّ ممتقع اللون ، كيف أخضع الأسود وقتل أشرار الرجال بيديه ، وكانت أكاذيب أخرى ، دون هذه إمتاعاً ، تصل إلى الأسرة بطرق غير سارة .

وكان پول إذا عوتب فى أمر ساء فيــه سلوكه ، يحدق فى الفضاء بعينين زائغتين ووجه مسيح ، وكان من المستحيل أن تقسو عليه ، فقد كان مجرد ذكر التأديب يورثه أرقاً ، وتعتريه نوبات من الصياح والصراخ تتركه منهوكا ، وتترك أهل البيت جميعاً مهدودى القوى . وكان جحوداً غير شكور إلا من ناحية واحدة ، فقد كان موقفه سلبيا من البنتين بيتى ولويز ، وكان يتقبل هنرى ويبدى له رقة ولطفاً ، ويتقى السيدة أدامز ويجتنبها — فقد كانت تعنف به أحياناً — غير أنه كان يبدى لسامى ولاء كولاء الكلب لصاحبه ، فكان يتبعه كظله على نحو يربك ويحير ، فقد أحبه من اللحظة الأولى وصار لا يقوى على فراقه لحظة .

كانت هذه هى الحالة حين دخلت أمريكا الحرب ، وصار عمل هنرى أشق ، والوقت الذى يقضيه فيه أطول ، ومرتبه لا يفى بالحاجة كلها ، وأصبح الجو فى بيت أدامز يذهب بالنفس . على أن القوم اجتازوا فترة الشتاء بسلام . وجاء الربيع فانشرحت الصدور .

ثم حدث فى يوم حار من أيام يونية أن أصيب پول بوجع فى الحلق ، فأرقد فى غرفته دون أن يساور أحداً قلق عليــه ، ولكن المرض ثقل عليــه فى صباح اليوم التالى ، فدعت السيدة أدامز طبيب الأسرة لعيادته ، فلما جاء ، بعد أن قضى وقتاً طويلا فى الصعود إليه ، تغير وجه الأمر كله من جراء ما قال ، فقد تبين أن پول خالف ما كان قد نهى عنه فذهب يسبح فى خور قريب محظور على الأطفال أن يسبحوا فيه ، فأصيب حلقــه ، ومرض مرضاً شديداً وسيزداد سوءاً على التحقيق .

وظل البيت أسبوعاً فى غم واكتئاب ، وكان كل من فيــه يمشى على أطراف أصابعه ، وپول فى غرفته يتقلب ويهذى من الحمى . وكان الطبيب ضعيف الأمل ، فقد كانت الإصابة وبيلة ، والمريض لا يبدى مقاومة ، ومع ذلك شاء القدر الذى لا اطراد لما يقضى به أن ينجو . وبعد عشرة أيام من اليأس ، جاوز مرحلة الخطر ، وطلب بصوت وهنان أن يرى سامى المحبوب . وكان هذا مستحيلا مخافة العدوى ، وبعث إليه الأطفال بالتحيات والفاكهة ، وعاد البشر إلى البيت وتنفس أهله الصعداء .

ثم حدث فى يوم سبت — بعد ذلك بيومين — أن دخل هنرى أدامز على سامى ليدعوه إلى طعام الإفطار ، فكاد يسقط على الأرض من هول ما رأى ، فقد وجد پول راقداً مع سامى على سريره ، وذراعه على عنقــه ، وفمه قريب من فمه ، وكان قد تسلل إليه دون أن يوقظه ، قانعاً بأن يكون

إلى جانبه مكتفياً بهذا القرب مرضاة لحبه . ونظر إلى هنرى أدامز وابتسم . أما سامى فمرض عصر ذلك اليوم ، ولم يشف قط ، وإن كانوا قد فعلوا كل ما يدخل فى الوسع ، فمات من العدوى بعد أربعة أيام .

وكنت بعيداً فى ذلك الوقت ، ولا بد أن رسالة التعزية التى بعثت بها إلى هنرى ، على كل ما فيها من العطف القلبى ، بدت لهذا الوالد الثاكل تافهة جوفاء ، فقد كنت أعرف مبلغ حب هذا الرجل الصامت لابنه . وكان سامى قرة عينه ، وكان علمى هذا هو الذى أثار نفسى وألهب غيظى فكتبت إليه أدعوه أن يتخلص من هذا الكابوس الذى لا يطاق — هذا الغلام الذي قام له بكل شىء ، فكان جزاؤه منه هذه النكبة . وهناك ملاجئ لأمثاله من الأطفال الشاذين ، وفى إحداها يجد بول التعس كل ما يحتاج إليه ، وناشدت هنرى ملحا أن يضع عبئه عن كاهله .

وكان الخريف قد انقضى وأقبل الشتاء حين عدت إلى المقيل ، فأسرعت إلى هنرى أدامز ، ولما درت بطوار الطريق ودنوت من البيت المنكوب ، وقفت وبى شكة ألم ، وتولانى الذهول والإنكار ، فقد رأيت هنرى — وقد ازداد نحولا وأفرسه البرد — فى ثيابه القديمة المعهودة ، واقفاً يعمل فى حديقته التى لا زهر فيها ولا نضرة ، يساعده بالجاروف والعجلة ، غلام صغير ، فأحسست أن قلبى قد انقلب فى جوفى ، وخيل إلىّ أنى أرى شبحاً — ثم تبينت بول .

ودلفت إليهما على مهل وقلت بعد تبادل التحيات : « ألا يزال معك ؟ »

فقال وهو يتقى النظر إلىّ : « نعم ، لقد تحسن كثيراً فى المدة الأخيرة ! وصار أهدأ وأذكى . . . أظن ذلك راجعاً إلى أقراص يعطونه إياها . — فيها خلاصة غدد » .

وطال الصمت ونحن ننظر إلى الغلام وهو يحمل الدريس من العجلة ، فلما دنا منا اضطرم وجهه من نظرة العداء التى رميته بها ، وكان خجله أول مظهر إنسانى رأيته فيه ، ولكنه لم يكن يكفى لإزالة موجدتى عليه ، وغلبنى الشعور بمرارة الثلم فصحت : « كل ماأستطيع أن أقوله هو أنه ذو حظ عظيم . . . هذا الهول بيوتروستانالسكى أو لا أدرى ما اسمه المشئوم »

فأحاط هنرى بذراعه كتف الغلام ، والتفت إلىّ ، وأولانى ابتسامته الهادئة التى لا تخلو من خجل وقال : « لن يتعبك اسمه بعد اليوم ، فإنه الآن بول أدامز ، نعم فقد تبنيناه ! »



[مصادفات التاريخ ، طموح نابليون إلى غزو العالم ، جرأة سياسي تكون ثمرتها الإمبراطورية الأمريكية في الغرب]

قصة شراء لويزيانا

إدوين مولر

كان شراء الولايات المتحدة لصقع لويزيانا المترامي الأطراف سبباً في أن جعل من أمة مجاهدة من أمم الطبقة الثالثة دولة واسعة عظيمة ، على أن ذلك لم يكن ثمرة خطة مدبرة أو سياسة بعيدة النظر ، وإنما كان فرصة سعيدة غير منتظرة ، اغتنمها وبت فيها برأي قاطع رجل كاد ينساه التاريخ . لم يكن يخطر ببال أحد أن روبرت لفنجستون رجل يصلح للأعمال التي تحتاج إلى جرأة وإقدام ، فقد كان من الطراز الذي يلتزم الحذر ويتحري التدقيق ، وكان عمله في الكونجرس الأمريكي ينم على المثابرة والأمانة ، ولكنه لا يسترعي الأنظار .

ففي سنة ١٨٠١ عينه توماس جفرسون سفيراً في فرنسا ، وكانت مهمته الأولى أن يستوفي بعض الحساب ، وذلك أن الفرنسيين في حروب نابليون هاجموا السفن الأمريكية وصادروا شحنها ، ولكن العلاقات تحسنت وبدا أنه من المحتمل أن تستطيع أمريكا استرداد بعض الخسائر التي احتملها أصحاب السفن الأمريكية ، وكانت هذه هي مهمة لفنجستون .

فأقام في شقة متواضعة من منزل يشرف على حديقة في شارع شوسيه دانتان ليمضي في عمله ، وكان عليه أن يفاوض تاليران وزير خارجية نابليون الداهية القلب ، ولم يستطع هذا الأمريكي المستقيم أن ينال شيئاً من ذلك الرجل المراوغ ، وكلما حاول أن يقيده بوعد راغ منه . وكان يضعف قوة لفنجستون أنه لا يجيد الفرنسية ، ومرت الشهور ولم تتقدم المفاوضات ، فدبّ اليأس في نفس لفنجستون وكتب إلى جفرسون : « لا أرى فائدة ترجى من وجود وزير هنا » .

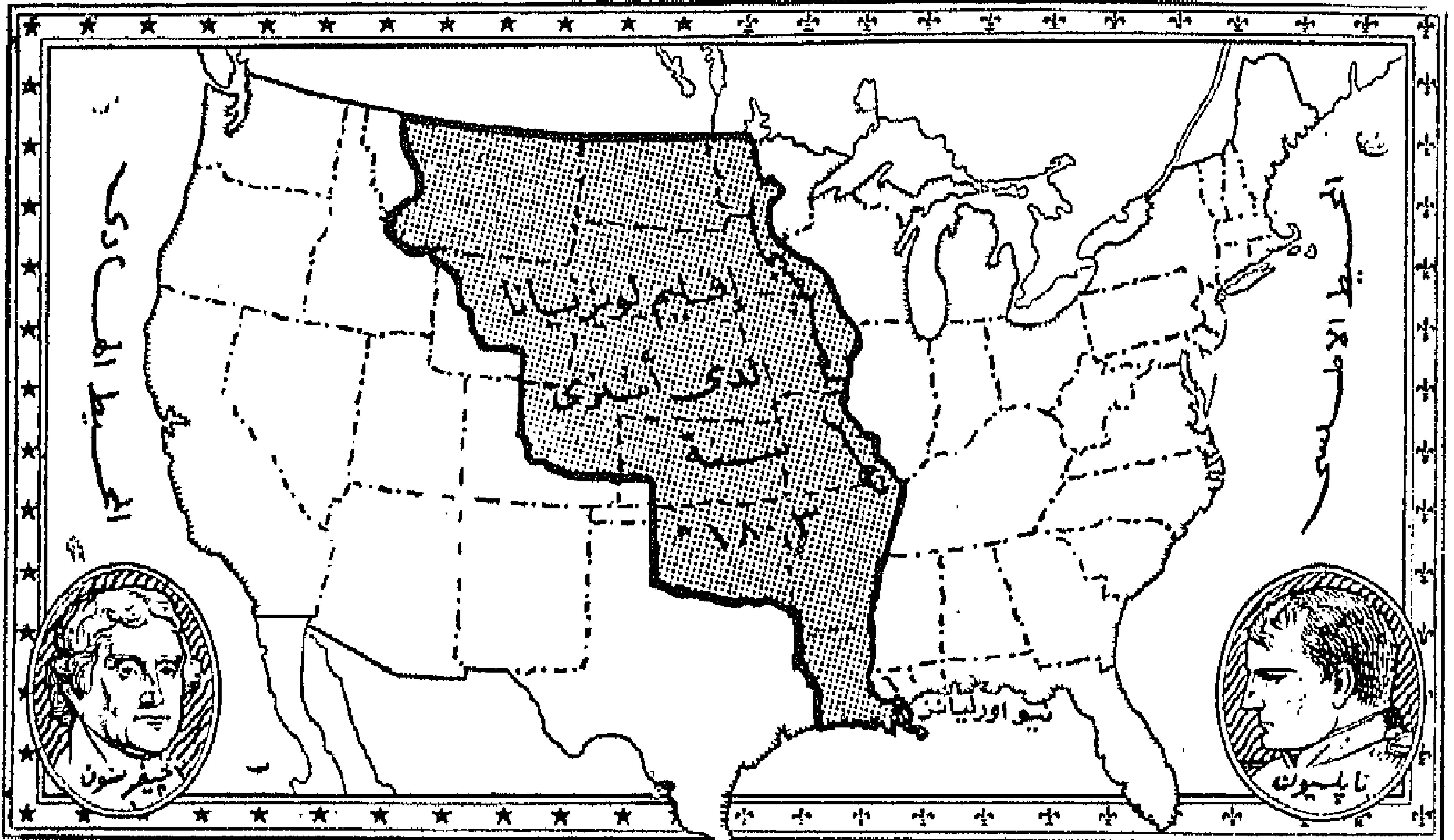
ولكن سرعان ما جدّ موقف أعظم شأناً من جمع المال المستحق ، ولكي نفهمه لا بد لنا أن نتحول من باريس إلى غابات أمريكا الشمالية .

ففي ذلك الحين كان يقيم نصف مليون أمريكي في غرب جبال « أليجاني » من أعلى وادي نهر المسيسبي إلى أسفله ، وكانوا يعيشون جماعات مستقرة ، ويعتمدون في حياتهم على التجارة مع سائر وطنهم وباقي

العالم ، ولم تكن الطرق البرية قد مهدت بعد ، ولكن الطبيعة قدأعدت خير طريق للتجارة وهو نهر الأوهايو العكر ، ونهر السيسبي المتسع ، وكان هذا النهر هو شريان الحياة فى الغرب .

وكانت الإقامة إلى جانبه مباحة حاشا مصبه ، فقد كانت أسبانيا لا تملك قطر لويزيانا الواسع الواقع وراء النهر فحسب ، بل كانت تملك أيضاً جانبي مصبه عند نيو أورليانز .

وكان دون كارلوس الرابع الإسبانى المستضعف يحكم ، اسما لا فعلا ، أقوى إمبراطوريات الأرض — ولكن أحداً لم يكن يحفل به . ولم يجد سكان الشقة الغربية مشقة فى الاتفاق معه على مصب المسيسبى ، واكتسبوا فى نيو أورليانز ما يسمى « حق الإيداع » ، فالبضائع الواردة من طريق النهر تفرغ من



[مقامرة لفنجستون بمبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ ريال أمريكى جعلت الولايات المتحدة تملك مساحة من الأرض تعادل أربعة أضعاف مساحة فرنسا ، ويعيش فيها الآن ٠٠٠ر٠٠٠ر١٨ أمريكى . وهذا الإقليم الرحب ينتج سنويا ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ بالة من القطن ، وبليوناً ونصف بشلا من القمح والغلال ، و ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠٠ برميلا من الزيت ، ومن المعادن ما يعادل ٠٠٠ر٠٠٠ر٨٤ ريالا أمريكيا ، وماشيته وخنازيره قيمتها تعادل ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢ ، وعاصمته سنت لويس ، وهى تصنع منتجات تساوى ٠٠٠ر٠٠٠ر١ ريال أمريكى سنويا] .

القوارب النهرية وتحفظ فى المخازن حتى يتسنى شحنها فى السفن التى تمخر المحيط .

وفى أواخر القرن الثامن عشر اطرد نمو التجارة ، وكانت تتجمع هناك براميل الدقيق وبالات القطن ، والطباق ، ولحم الخنزير المملح ، والرصاص ، وعجلات عربات النقل ، واللحم البقرى ، والفراء ، والجلود ، وأكثر ذلك كان يعد للإصدار .

وهكذا رغدت عيشة الغرب ونمت ثروته ، وكان يمكن أن تطرد هذه الزيادة لولا رجل واحد .

فعند نهاية القرن سيطر نابليون على أوروبا بجيوشه ، وكانت إنجلترا وحدها تتحداه ، وكان قد صمم على أن يحدث تحولا كبيراً فى خطته التى ترمى إلى غزو العالم ، فعقد هدنة مع إنجلترا ، وحول اهتمامه إلى العالم الجديد ، وأرغم دون كارلوس فى بادىء الأمر على أن ينزل له عن إقليم لويزيانا جميعه ، واختار مستعمرة سانتو دومنجو الفرنسية لتكون قاعدة لأعماله ضد العالم الجديد . وكانت ثورة العبد الأسود توسان لوفرتير قد أضعفت نفوذ الفرنسيين هناك ، فأرسل نابليون الجنرال ليكليرك لكى يعيد النظام فى الجزيرة .

ثم أرسل رسله إلى نيو أورليانز لتأليب القبائل الهندية على المقيمين فى الإقليم الأمريكي الغربى ، ونظم حملة حربية للإبحار إلى دلتا المسيسبى ، فإذا استطاع أن يستولى على مصب النهر وأن يسده فى وجه التجارة ، سقط الغرب كله فى يده . وقال لأخيه يوسف مختالا فخوراً : « فى مدى سنتين سنكون سادة العالم » .

وأخذت الأنباء تسرى فى تلك الأنحاء ، وعرف هذه الحركات كل من هب ودب فى كنتكى وأوهايو ، وأدرك الناس مغزاها ، ولم يكن فى نيتهم الصبر عليها . وبدأ المحامون عن الذمار يمارسون التدريب الحربى ، وكانت حملة من كنتكى على أهبة الزحف إلى نيو أورليانز حتى قبل أن يُعلم ما تنوى أن تعمله حكومة الاتحاد الأمريكي .

وكان الرئيس جفرسون فى حيرة من أمره ، فقد كان رجل سلم ، وقد قاوم طلب إسكندر هاملتون إذ طلب أن يستولى على نيو أورليانز عنوة ، فهو الآن يحاول أن يكبح الغربيين عن استعمال الشدة .

ولم ير جفرسون سوى فرصة واحدة قليلة الرجاء لتجنب الحرب ، فربما اكتفى نابليون بباقى إقليم لويزيانا الشاسع الأرجاء ، وسمح لنا بشراء نيو أورليانز . وكانت المسألة تستحق المحاولة ، فظفر من الكونجرس بتخصيص مبلغ ضخم هو ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وأرسل رسالة مستعجلة إلى لفنجستون فى

باريس : « اشتر سو أورليانز وغرب فلوريدا أيضاً إذا استطعت » .

فعرض لفنجستون الأمر على تاليران ، وحاول بكل ما فى طاقته من قدرة على الإغراء ، أن ينتقص من قيمة نيوأورليانز : « إنها مدينة لا خطر لها ، قائمة فى البرارى ، ليست سوى رملة قفر ومستنقعات غائرة ، بلدة صغيرة مبنية بالأخشاب . . . ليس بها سوى سبعة آلاف نسمة » .

واكتفى تاليران بأن ينظر إليه وأساريره لا تنم على شىء . وعندئذ وردت أنباء تنذر بالسوء من الغرب ، فحق الإيداع فى نيوأورليانز قد الغى ، وتكدست البضائع على الأرصفة ، وبادر الغربيون إلى التأهب لخوض غمار الحرب .

وكان ذلك فى ربيع سنة ١٨٠٣ ، وقد أخذت تعود إلى حديقة شارع شوسيه دانتان نضرتها وخضرتها ، ولكن لفنجستون لم يحفل بذلك ، ولم ير أمامه سوى الحرب والخراب .

وفى ١١ أبريل قابل تاليران وأعاد على سمعه حججه القديمة ، وأصغى إليه تاليران مرة أخرى صامتاً ، ثم التفت إليه تاليران بغتة ونظر فى عينيه : « ماذا تدفعون فى مقابل لويزيانا برمتها ؟ » .

فذهل الأمريكى وأمسك عن الجواب ، فقد أوفد ليشترى مدينة صغيرة وساحلا ضيقاً ، والآن يعرض عليه نصف قارة ، وقد فوض إليه الكونجرس أن ينفق ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، وهو الآن لا يستطيع أن يقدر المبلغ الذى يقتضيه هذا العرض إلا تخميناً .

وكان على لفنجستون أن يبت فى الأمر بنفسه ، إذ كانت استشارة الرئيس تستغرق أسابيع وثاب إليه جأشه ، فإذا هو أحد تجار الخيل فى السوق ، كما وصف نفسه ، وقال : « إخالنا لا نعارض فى دفع مبلغ عشرين مليوناً من الفرنكات » وهذا المبلغ يعادل بالعملة الأمريكية ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال أمريكى .

وطبعاً اعترض تاليران بأن هذا المبلغ جد قليل ، ولكن حين افترقا كانت مسألة الشراء قد بت فيها ، ولم يبق إلا المساومة على المبلغ . فلماذا عرض نابليون هذا العرض؟ لقد كان ذلك من أحاجى التاريخ ، ولكن ربما كان سبب ذلك أن خطته فى غزو العالم الجديد كانت جميعها معرضة للخطر .

فالحملة الفرنسية تحت قيادة ليكليرك قد هزمت السود فى سانتو دومنجو فى الحرب ، ووقع زعيمهم توسان فى قبضتهم مغدوراً به ، ولكن هذا لم يخمد الثورة . وجاءت رسائل من ليكليرك عن حرب العصابات وعن

كثرة الوفيات فى الجيش الفرنسى بالحمى الصفراء تثير القلق ، ثم جاءت رسالة يناير سنة ١٨٠٣ عن موت ليكليرك وساءت الروح المعنوية فى جيوشه وكادت تبيد .

فتبين لنابليون أنه قد خسر سانتو دومنجو ، فصمم على الإقلاع عن مغامرته الغربية وعلى مهاجمة إنجلترا ، وأن ينفق فى سبيل الحملة الجديدة هذا المال الذى حازه ثمناً للويزيانا . وهذا هو سبب عرض لويزيانا على لفنجستون الذاهل المتعجب .

ووصل جيمس منرو رسول جفرسون إلى باريس ، وقد أرسله ليساعد لفنجستون فى حماية المصالح الأمريكية بعد سحب حق الإيداع . وتنفس لفنجستون الصعداء ، واطمأنت نفسه لما أقره منرو على الرأى الذى قطع به ، وتعاونا فى المساومة التى تلت ذلك .

وكان الطرفان كلاهما فى موقف غير قانونى ، فلم يكن عند الأمريكيين تفويض من الكونجرس بشراء لويزيانا ، وتاليران ونابليون (ولم يكن نابليون قد ثبت سلطته الديكتاتورية بعد) لم يكن لهما حق يخول لهما بيعها .

وبرغم ذلك سارت المساومة فى طريقها ، ومثل تاليران رئيسه فى صورة غير المكترث للبيع . والواقع أن تاليران لح إلى أن نابليون قد بدأ يعيد النظر فى العرض ، وكان فى هذا القول من الحق ما كفى لجعل أواخر أيام أبريل شديدة الحرج على الولايات المتحدة . فنابليون كان يهم بأن يجعل نفسه إمبراطوراً ، على أنه كان حريصاً فى نفس الوقت على أن لا تحمّل مكانته فى نفوس الناس عبئاً كبيراً ، فكيف يحتملون ضياع سانتو دومنجو ولويزيانا معاً ؟ .

واعتزم أخواه جوزيف ولوسيان على أن يثنياه عن بيع لويزيانا ، فحضرا لمقابلته ذات صباح ، وقد بكرا فى الحضور . وكان لا يزال فى الحمام ، وكانت الحجرة ملأى بالبخار والعطر ، وكان الوقت غير ملائم للمداولة فى الأعمال .

على أن جوزيف ولوسيان أحسنا إقامة الحجة ، ولو تم ذلك فى حال أخرى ، فربما كانا أصابا التوفيق ، ولكن نابليون كان فى حالة من الحالات التى تعظم فيها ثقة الإنسان بنفسه . ففى الليلة السالفة كان قد ذهب إلى الكوميدى فرانسيز ، وهناك قوبل بترحيب عظيم ، فهو فى هذا الصباح وهو ينعم بحمامه الساخن ، واثق بأنه يستطيع أن يصنع ما يشاء بالناس والنظم .

وأخيراً اشتد غضب جوزيف ، فتقدم من حوض الماء مهدداً : « سأضع نفسى على رأس المعارضة إذا اقتضى الأمر » ،

فضحك منه نابليون . فصاح جوزيف وقد احمر وجهه من الغضب : « اضحك اضحك ، إذن فسأبرّ بوعدى » .

فثار غضب نابليون وصاح به : « أنت وقح » وقام من حمامه وهو ينتفض غضباً ، ثم عاد وألقى بنفسه فيه ، فغمرت المياه الساخنة المعطرة جوزيف . ولم يستطع أحد بعد ذلك أن يعارض بنجاح عزمه على بيع لويزيانا .

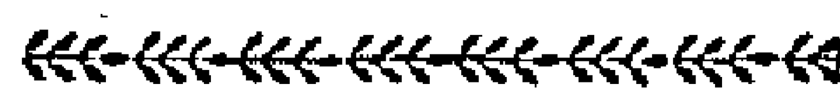
وبعد مساومة طويلة تم الاتفاق على أن يكون الثمن ١٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، ووقع لفنجستون ومنرو المعاهدة ، ولا بد أن رجفة عرتهما وهما يفعلان ذلك ، فقد وضعا توقيعهما على مبلغ أعظم من الدخل السنوى للولايات المتحدة بأسره .

ولم يكن هناك ما يدعو إلى تعنية نفسهما ، فقد أقر الرئيس والمجلس الشراء بحماسة . نعم إن جفرسون كان قد أقلقه الأمر لأنه لم يستطع أن يجد له سنداً من الدستور ، ولكنه وافق بعد تردد نزولا على رأى مستشاريه و « اعتماداً على حسن إدراك الشعب » .

وهتفت الجموع الحاشدة فى نيو أورليانز حينما شاهدت رفع العلم الأمريكى على الكابلدو ، وعادت الزوارق النهرية العريضة تتزاحم عند مصب النهر على متن فيضان الربيع .

وأنفق نابليون كل ريال تسلمه فى إعداد الحملة ضد إنجلترا ، ولم تسفر المسألة عن شيء ، فإن فيالقه لم تعبر المانش ، وظلت صنادل غزوه على رمال الساحل فى بولونى حتى عاث فيها البلى .

وبدأت الولايات المتحدة تعرف فى السنوات التالية أي قطر رحب غنى قد مكنها لفنجستون من الظفر به . وأرسل لفنجستون الرواد لويس وكلارك إلى الشمال الغربى ، وزبولون وبايك إلى الجنوب الغربى ، ووضعت تقاريرهم أساس الهجرة العظيمة إلى ما وراء المسيسبى ، فمهّدت لقيام ملك عظيم فى الغرب . وهكذا استطاع لفنجستون باستفادته من فرصة سعيدة سنحت ، أن يظفر بما سماه هنرى أدمز : أعظم نجاح سياسى فى التاريخ الأمريكى .



العلاقات المتوترة

ظفرت سيدة من محكمة فى شيكاجو بحكم طلاق حين أنبأت المحكمة أن زوجها من عشاق روايات الجرائم ، وأنه يشغل معظم السهرات بإلقائها على الأرض كأنها « جثة » ، ليتمكن من تصور الأحوال التى حدثت فيها الجريمة التى يطالع قصتها .

[مجلة تايم]

ألا تؤمن بالصلاة والدعاء ؟

برسي واكسمان + + + ملخصة عن مجلة « كوزموبوليتان »

« هناك فى ظلام الأدغال ، حيث تومض النجوم وتتلامح يستطيع ذوو الشجاعة من الناس أن يناجوا ربهم فيسمع نجواهم » .

حاول الدكتور لفنجستون مرة أن يصف الثلج لأحد شيوخ القبائل الإفريقية ، فانفجر هذا ضاحكا ساخراً . ولما كان هذا الإفريقى لم ير الثلج قط ، فقد أبى أن يصدق كلمة مما كان لفنجستون يقول. والدنيا غاصة بمن لا يؤمنون بالصلاة والدعاء ويأبون ، كهذا الإفريقى المستوحش ، أن يؤمنوا بحقيقة شىء ما يتجاوز ما تتناوله حواسهم الخمس .

وكان أحد العلماء النفسانيين يتكلم فى « معجزات » الحرب التى كثرت الكتابة عنها ، فصور الأمر على النحو الآتى، قال: «يمكن أن نشبه رحمة الله بمولد كهربائى، وفى وسعنا أن نستمد قوة هذا المولد إذا وصلنا أنفسنا به بدعاء الله ، أو نستطيع أن نثبت أنه لا أثر له فى حياتنا بأن نرفض أن نصل أنفسنا به بالدعاء ، فنحن وما نختار » .

وسئل عالم طبيعى مشهور : إذا رأيت قضيباً من الصلب سابحاً فى الجو فكيف تفسر هذه الظاهرة ؟ فقال: « إذا اتفق أن أرى شيئاً ، كهذا فإن معناه عندى يكون أن قانوناً من قوانين الطبيعة قد تعطل إلى حين » .

ولكن توماس هكسلى وهو من مشاهير علماء الحياة لما ألقى عليه هذا السؤال كان جوابه: « إذا رأيت الصلب يسبح فى الجو فإنى خليق أن أعرف أن هذا يثبت وجود قانون للطبيعة أنا به جاهل » .

واليوم تتدفق الأدلة التى لا تنقض من كل ناحية على فضل الدعاء وقوته . وليس مما يدهش أن يتوجه الناس فى ساعة الشدة والحاجة إلى قوة خارجية ، والشىء الوحيد المدهش فى هذا هو أن نراه مدهشاً . وما يصنع هؤلاء المصلون من الجنود والبحارة والطيارين إلا كما صنع لنكولن الذى قال فى أحلك أيام الحرب الأهلية: « بغير معونة الله الذى هو معى لا أستطيع أن أنجح ، وبهذه المعونة لا يمكن أن أخفق» . ولا يكاد يوجد فوق الأرض مخلوق لا ينطوى على شىء من الشوق الروحانى ، أو هو شعر

باطن منهم بأن هنــاك قوة يتوجــه إليها بفطرته .

حدث لما اضطر الماجور ألن لندبرج — من وستفيلد بولاية نيوجرسى — وهو يقود إحدى القلاع الطائرة ، إلى النزول فى البحر فى طريقه إلى أستراليا ، أن ساد الاعتقاد بأنه هو والتسعة الذين معه فقدوا.

وفى هذا يقول الماجور لندبرج: «تمكنا من الخروج على طوفين من المطاط ، وكدنا لا نفعل ، ولم تكن معنا كسرة من خبز أو قطرة من ماء ، وكان رجال الطائرة كلهم قلقين — كلهم إلا الشاويش ألبرت هرناندز المدفعى الخلفى ، وقد عكف من فوره على الدعاء والابتهال، وسرعان ماراعنا بقوله إنه يعرف أن الله قد استمع إليه وأنه سيساعدنا » .

وظلوا يهيمون تحت شمس محــرقة ، وقد تشــققت شـفاههم وورمت ألسنتهم فعجزوا عن مجـاراة هرناندز فى التهليل والتسبيح ، ولكنهم كانوا يدعون مع ذلك. وبعد ثلاثة أيام ، وقبل دخول الليل لمحوا معالم جزيرة صغيرة ، وما لبثوا أن شاهدوا ما لم يكن يجرى لهم فى خلد ، فأقبلت عليهم ثلاثة زوارق فيها رجال عراة الأجساد ، واتضح أن منقــذيهم من أهل أستراليا الأصليين — وهم صيادون سود الأجسام منفوشو الرءوس ، وقد جاءوا من داخل البلاد على مسافة مئات من الأميال ، وقالوا للندبرج إنهم كانوا يهمون فى اليوم السابق بالرجوع بصـيدهم إلى محلتهم ، ولـكنهم أحسوا بدافع غريب إلى تغيــير اتجاههم، فجاءوا بزوارقهم إلى هذا الشاطىء المرجانى المهجور الذى لا قيمــة له ، وهناك لمحوا لندبرج وزملاءه .

« الشدائد والكرب طريق لرحمة الله» فى هذه العبارة لخص جون فليقل الأمر فى القرن السابع عشر . وهــذه الحقيقــة الروحانية لا يزال يهتدى إليها كثيرون لم يعتادوا الدعاء ، غير أنهم فى ساعة الضيق وجدوا أن يد الله تمتد إليهم . ومهما تكن الأخطار التى تواجه الإنسانية فإن الإيمان بقوة علوية خارجـة عن أنفسنا ، يمحو الخوف والشك من العقل ، وقد قال كاريل مرة : « إن الصلاة والدعاء ، وهما أعمق موارد قوتنا وكمالنا ، قد أهمل صلاحهما إهمالا شائناً » .

★ ★ ★ ★ ★ ★

● كل امرىء جاهل ، ولـكن موضوعات الجهل تختلف . [ول روجرز]

● إن ما تحتاج إليه البلاد هو أيد قذرة وعقول نقية . [ول روجرز]

مشكلة زوجات المجندين

زوجات المجندين يرسلن إلى هذا القسم الخاص من وزارة الحربية مليون خطاب كل شهر

جستا بالمسر ✦ ✦ ملخصة عن مجلة "ذى وماننز برس"

إن أضخم مبلغ يقوم بصرفه رجل واحد هو ذلك الذى يصرفه البريجادير ه . ن . جيلبرت ، مدير إدارة الإعانات العائلية ، فقد صرفت إدارته حتى الآن إلى أسر جنود الولايات المتحدة مبلغ ٣٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار . ومن مكاتبه الرئيسية فى نيوارك بنيوجرسى يخرج ٥٫٢٥٠٫٠٠٠ شيك فى الشهر ، تبلغ قيمتها ٢٧٣ مليون دولار .

والجنرال جيلبرت ضابط فى الجيش العامل ، ويعتقد زملاؤه الضباط أنه يشرف على أحفل إدارات الحرب بالجهد والنصب ، فإن خمسة آلاف شخص ممن يعولهم الجيش يسافرون يوميا ، ولا يترك بعضهم عناوينهم ، وقد تغير الشيكات التى تصرف شهريا بسبب المواليد والوفيات فى آلاف من الأسر .

ومتى تزوج جندى أمريكى فى أية بقعة على سطح الأرض ، فإن أول من يعلم هى إدارة الإعانات العائلية . فترى زوجات الجنود فى ٥٠ أمة يطلبن المعونة والنقود بسبع وثلاثين لغة ، منها لغة ويلز ، وروتينيا ، والإسكيمو ، والساوفاك ، والصين . وكثير من العرائس يطلبن إلى هذه الإدارة أن تهيئ لهن أسباب الانتقال إلي الولايات المتحدة لكى يعشن مع أسر أزواجهن ، كما يستنجد بها غيرهن من المفلسات فى البلاد التى لا يمكن أن ترسل إليها النقود أثناء الحرب . ويصل إلى إنجلترا من إدارة الإعانات ١٧٠٠٠٠ شيك وإلى أستراليا ١٠٠٠٠ ، وإلى أيسلندة ٨٠٠

وبريد هذه الإدارة من التعقيد بحيث يحتاج فرزه إلى ٢٤٠ قارئاً هيئوا لهذا العمل . وتتراوح الإعانات بين ١١ دولاراً ، وهو ما يصرف لأخ يعوله الجندى فضلا عما يصرف لوالديه ، و ٣٤٠ دولاراً ، وهو ما يصرف لزوجة لها ١٤ طفلا . وقليل من مرسلى الخطابات من يفرق بين المبالغ التى يتنازل عنها الجنود من مرتباتهم لذويهم ، وإعانات الأسرة التى تدفع إجباريا ويضم إليها شئ من الخزانة العامة لمن يعولهم المجندون . وتتسلم الإدارة آلاف المكاتبات التى تشكك فى شرعية بعض عقود الزواج ، وتحول هذه الرسائل إلى قسم الشئون القانونية .

وأما المكاتبات التى تدل على اضطراب عقل أصحابها فتعرض على متخصص فى الأمراض

العقلية، وأما أعسر المسائل فتحول إلى الجنرال.

ومن ذلك أن أحد الجنود متزوج باثنتين منذ ١٥ سنة، وله بيتان فى مدينتين، فهل يهتك الجيش سره؟ ويقول الجنرال إن الجيش يصرف للزوجة الأولى، ومتى طلبت الزوجة الثانية الإعانة أحيلت على الجندى ليفسر لها الأمر كما يشاء.

وقانون قبائل الغجر يلزم الرجل بأن يعول اليتامى من أبناء أخيه وأخته، فهل يعولهم الجيش إذا كان المجندون من الغجر؟ أجل.

وهل يعترف الجيش بزواج يعقد تلفونيا بين جندى فى هاواى وفتاة فى كاليفورنيا؟ كلا، لأن قوانين كاليفورنيا لا تسمح بذلك، أما إذا تحدثت بالتلفون من ولاية قوانينها أكثر حرية، فإن الجيش يعترف بهذا الزواج.

وهذه فتاة تزوجت من ثلاثة عشر جنديا، ولم تطلق أحداً منهم، فهل يعولها أحدهم؟ نعم، وهو الأول.

وليس هناك أى قانون يلزم الضابط بأن يدفع لزوجه من ماله، لأن نظام إعانة الأسرة يسرى على الجنود وحسب. وقد رفض بعض الضباط أن يخصص شيئاً لزوجه، فتصله من الجنرال رسالة شديدة اللهجة تذكره عما ينبغى من «السلوك اللائق بالرجل المهذب»، وغالباً ما تؤدى هذه الرسالة إلى نتائج حسنة.

ومن بين مشاكل الزوجات التى تعرض على إدارة الإعانات أمثال هذه الأسئلة: «هل تنصحوننى بشراء سيارة نزهة للأسرة؟» «وما هى السبيل التى أسلكها لرهن منزلى؟» «وما السبيل إلى شراء بستان برتقال؟» «وكيف أدير الزراعة على أساس المناوبة فى المحاصيل؟» «وأين أحصل على ثمن معقول للبيض؟».

وتنشأ عن الأسماء المتشابهة صعوبات جمة، فمن بين المجندين ٦٨٫٠٠٠ رجل لقبهم سميث، منهم ٣٤٥٠ اسمهم جون، وكذلك ٤٦٫٠٠٠ رجل لقبهم جونسون، منهم ٢٥٧٠ اسمهم وليم. وقد فحصت الإدارة أخيراً أمراً غريباً، فإن أحد سعاة البريد كان يسلم شهريا شيكين متماثلين فى منزل واحد، وقد وجد المحققون أن هناك فتاتين اسمهما «جرترود» متزوجتين من رجلين اسمهما «جون جونز» تقطنان فى هذا المنزل، وكانا لهما الحق فى الإعانة.

وتجد فى ملفات الإدارة رسائل كثيرة كالرسالة الآتية، يرفض فيها أقارب الجنود الإعانات التى يستحقونها. فقد كتبت سيدة من أوهايو تقول: «أرجو قطع إعانتى حالا، فقد حصلت على وظيفة لا بأس بها.

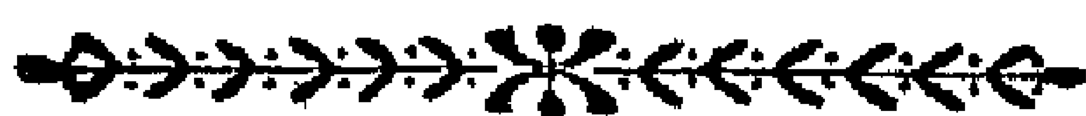
أرسلوها إلى حماتى ، ولكن لا تخبروها أنها منى » . وقد ختمت أسرة أحد الجنود فى أوريجون بيانها عن ميزانيتها بقولها : « أظن أننا نستطيع أن ندبر حياتنا بغير معونة . ومن يدري فعسى أن تكون هذه المعونة هى الضّغث الحاسم الذى يقصم ظهور اليابانيين » .

وتصل الإدارة فضلا عن ذلك رسائل تنقد الجيش نقداً شديداً لعدم إرسال النقود ، فتوجد بعد ذلك منسية فى مكان خفى . وتتلقى الإدارة بالتفصيل مصير بعض الشيكات التى ترسلها : « كنت أحلب البقرة فطار الشيك فمضغته البقرة » ، « لقد غسل الشيك وغلى مع الملابس » ، « ها هو الشيك قد غدا رماداً ، فأرسلوا شيكا آخر بدلا من الذى احترق » ، فإذا أمكن تمييز بقايا الشيك ، كتبت صورة أخرى منه ، وإلا فيجب على المستحق أن يرسل وصلا حتى يدفع له مرة أخرى ،

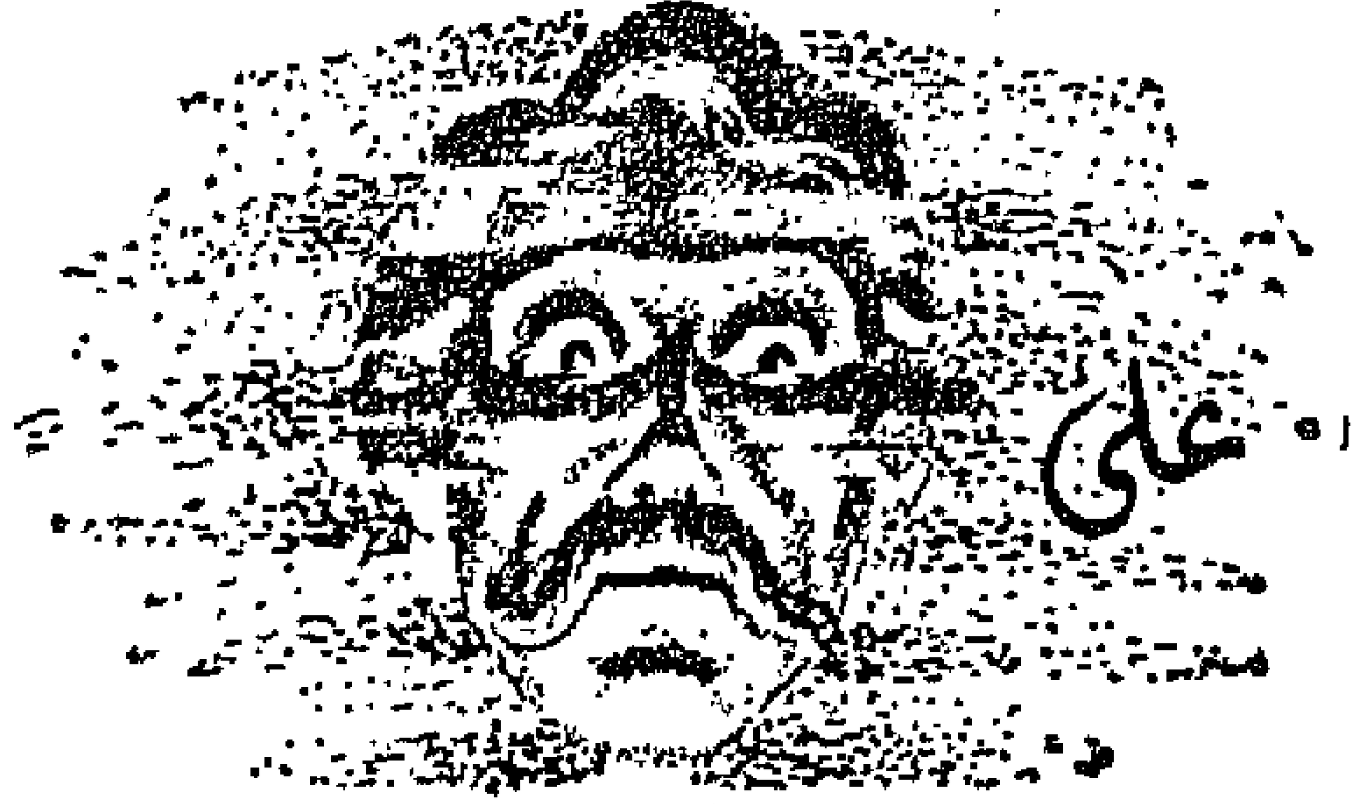
ولا تقف مشاكل إدارة الإعانات عند البريد الذى يصلها يوميا ويبلغ ٥٠ ألف رسالة ، فهناك مشاكل تردبالتلفون من بلادنائية يجب أن تحل ، وهناك زوجات الجنود اللائى يحضرن شخصيا لعرض مشاكلهن . وقد حضر فى يوم من الأيام المرهقة ٢٨١٣ شخصا ، إلا أن المعتاد أن يحضر نحو ٥٠٠ زائر .

وتعرض أعوص المشاكل على الجنرال . وقد حضرت امرأة ومعها طفلاها ، وأبلغت الجنرال جيلبرت أنها طردت من مسكنها لأنها مفلسة ، ولم تصل إليها الشيكات لخطأ فى العنوان . فاستدعى الجنرال صاحب المنزل وقرأ عليه القانون الذى يقضى بعدم إخلاء مساكن أسر الجنود فى مثل هذه الأحوال ، ثم اتصل بشركة نقل الأثاث وأمرها أن تنقل المتاع الذى كان ملقى على قارعة الطريق . ومثل هذه الأعمال الطارئة بعيدة كل البعد عن واجب الجنرال كما هو محدد فى اللوائح والتعليمات .

ولا تصل الشيكات فى الغالب إلى أصحابها لأنهم يغيرون محال إقامتهم ، فهناك ١٥٠ ألف شخص يغيرون عنوانهم كل شهر ، وهناك ٢٥٠ ألف زوجة بالتقريب ، يتنقلن وراء أزواجهن . وثمة زوجة بلغت الغاية فى التنقل ، فانتقلت ١٣ مرة فى بحر شهرين ، وعادت تسأل وهى حانقة ، لماذا تأخرت شيكاتها . ويرسل بعض الزوجات أمثال هذه الألغاز : « انتقلت إلى ألتون بولاية إلينوى لارتفاع الماء فى المنزل . أرسلوا الشيك على العنوان القديم متى هبط الفيضان » .



الدنيا تقبل



على ساحر

سيرة دانيال هوم
أشهر وسيط روحاني

خلاصة كتاب جين بارتون

« ليس في تاريخ الوسطاء الروحانيين مثيل لدانيال هوم ، فقد فاتهم جميعاً بحياته المليئة بالفواجع تتخللها المهازل ، وبفنه الخلاب ومقدرته البارعة فى أداء تجاربه الروحانية .

وقد أثارت جلساته المخيفة ، وشخصيته الظريفة ، ضجة كبرى فى أمريكا وأوربا ، وأخذت تنهال عليه الدعوات وهدايا الحلىّ من نابوليون الثالث إمبراطور فرنسا ، وإسكندر الثاني قيصر الروسيا ، ومن نبلاء كثيرين .

وراجعت جين بارتون فى كتابة سيرته كثيراً من المذكرات والرسائل والمؤلفات التى سطرها من شهد جلساته من فضلاء القارئين ، فجاء كتابها موفقا في رسم صورة حية مسلية لشخصية تعتبر من الظواهر الاجتماعية الفريدة .

ويقول المشتغلون بالسحر فى الجيل الحاضر أنهم قادرون على تفسير خوارق هوم ، ويرونها من قبيل الحيل الممكنة ، ولكن لا جدال في أنه حير مشاهير عصره حيره تامة ، ولم يكتشف قط فى جلساته ما يدل على الغش » .



الدنيا تقبل على ساحر

زارت مساء فى شهر يناير سنة ١٨٦٣ ، اجتمع فى باريس ، فى غرفة الاستقبال بدار السيدة جوفان دى أتانفيل نفر من الأعيان ، خليط من رجال ونساء ، ينتظرون وصول « ضيف الشرف » ، المستر دانيال دانجلاس هوم ، القادم حديثاً من الولايات المتحدة .

ومنذ ست سنوات أو تزيد ، زار باريس أول مرة هذا الوسيط الروحانى الشهير الذى يزعم بأنه من صفوة الوسطاء ، ورأى الباريسيون أنه حقاً من الصفوة ولكن على وجه آخر : فالمستر هوم يصر على أن يستقبل استقبال الأكفاء ، والحذر كل الحذر من أن ينسى مخاطبه نفسه ويعرض عليه نقوداً ، إنه يقبل الهدايا من الحلى والملابس ومعاطف الفراء ، ولا يرد مضيفاً يرافقه إلى مدن المياه الشافية التى تقصدها الطبقات الراقية ، أما النقود — فلا ! وهو فوق ذلك لا يأبه لدعوة إلا إذا جاءته ممن يعرفه حق المعرفة .

أما واسطة دعوته تلك الليلة فهو الأمير جواكيم مورا ، الذى قابله من قبل فى إحدى الجلسات التى كان يعقدها فى جناح الإمبراطورة أوجينى فى قصر التويلرى . وكانت الأميرة بولين مترنخ ، وزوجها السفير النمساوى ، بين الضيوف الكرام الذين خفوا إلى تحية هوم عند مقدمه .

وبعد حديث قصير مهذب دار بين الحاضرين (وهوم يتكلم الفرنسية بطلاقة) جلس الجميع حول مائدة كبيرة . وكانت الغرفة تتوهج بنور الشمعدانات والثريات البلورية ، واختار هوم مقعداً يبعد عن حلقة المجتمعين بما يقرب من أربع ياردات ، ثم نبههم كى يعرفوا أن المائدة أبعد مما تنال يداه ، وأنذرهم — كدأبه دائماً — قائلا : إنهم — أى الأرواح — قد لا يأتون أبداً . ثم مال واستند إلى ظهر مقعده ، وشوهد وجهه يزداد شحوباً ، وما من أحد فى تلك الغرفة الدافئة الصامتة المتلألئة بالأنوار إلا وعلق على الوسيط عينه .

وما هو إلا أن أخذت الشمعدانات تتحرك ، وأقبل من آخر الغرفة مقعد خال يسعى كأنما تدفعه قوة لا تغالب . وفجأة صاح هوم : « هم هنا — هم حولنا من كل جانب ! » .

وفى اللحظة ذاتها صرخت الأميرة مترنخ وقالت ، وهى تلتمس لنفسها عذراً ، إن يداً خفية صلبة كالحديد قبضت على أصابعها . واعترف الآخرون ، وهم مضطربون ، أنهم أحسوا أيضاً بضغط تلك الأصابع الجافية .

وحينئذ شرع مفرش المائدة — وهو من الحرير المزركش — يرتفع قليلا قليلا ،

وبدا من تحته شيء ، لعله يد خفية ، وأخذت تقترب منهم ، واندفع الأمير مترنخ هو وبعض الحاضرين ليمسكوا بهذا الشيء المتحرك ، ولكنهم آبوا بالخيبة ، إذ أجمعوا على أنهم ما كادوا يمسكون بها حتى اختفت . واقتض رجل على المفرش ومزقه ، وارتمى غيره تحت المائدة ، ولكنهم لم يجدوا شيئاً . ولما عادوا إلى مقاعدهم انبعثت من المائدة ، نقرات متلاحقة كأنها تسخر بهم ، وجعلت المائدة تميل ميلا كبيراً وترتفع عن الأرض عدة بوصات .

كان هوم حينئذ فى غيبوبة لا حراك به ، ووجهه أبيض كالشمع ، ورأسه مائل إلى الوراء ثم تكلم وسأل : « هل فى الدار أكورديون ؟ (موسيقى اليد) ، فإن جو الجلسة يبشر بالنجاح ، فربما قبلوا « هم » رجاءه وعزفوا عليه . فتطوع اثنان من الحاضرين بأن ينطلقا لشراء أكورديون من متجر قريب للآلات الموسيقية .

وبعد قليل عادا ومعهما أكورديون جديد مجلوّ ، فطلب هوم من الأميرة مترنخ أن تحمل الأكورديون بيد واحدة وترفعه فوق رأسها ، وهى واقفة بمفردها فى وسط الغرفة . فأطاعت الأميرة مترنخ ، وشعرت مبدأ الأمر بجذبة ، ثم بعد لحظة : « عقدت الدهشة لسانى حينما سمعت فجأة — كما سمع كل الحاضرين — صوت عزف بارع يعزف ألحاناً سماوية .

وحينئذ بلغ انبهار الحاضرين ذروته » .

وكان هذا إيذاناً بانتهاء الجلسة ، فانطلقوا جميعاً يتناقشون فى حدة ، ويدلى كل منهم برأيه فى تعليل ما رآه . هل مُوَّه عليهم بشىء مصنوع على هيئة اليد ؟ هل هى خيالات الهذيان ؟ أو هل هو التنويم المغناطيسى الذى يؤثر فى الجماعات تأثيره فى الأفراد ؟ وانبرت الأميرة مترنخ تفند الرأى الأخير وقالت : « ليس من المستحيل أن يكون هوم منوماً مغناطيسيا لا مثيل له ، ولكنه لم يلجأ معنا إلى وسيلة واحدة من الوسائل المعروفة للتنويم المغناطيسى » . وقالت أيضاً إن الغرفة لم تطفأ أنوارها لحظة واحدة طول الجلسة ، وإن هوم لم يدخل هذه الدار قط قبل ذلك المساء فليس فى مقدوره أن يخفى فيه قبل الجلسة أدوات حرفته

أما الذى حيّرها فظاهرة تبلبلت لها أفكار من هم أكثر تبحراً منها فى العلم ، وذلك أن المائدة حينما مالت فى حضور الوسيط ، ظل ما فوقها من الاشياء لاصقاً بسطحها لا يتحول عن مكانه ، وضاع سدى كل جهد يراد به تحريكها . وفوق ذلك أن لهيب الشموع بدلا من أن يستمر صاعداً مستقيما أخذ يميل بميل الشمعدان والمائدة .

هذه الحوادث أنموذج لما كان يفعله هوم كل مرة فى جلساته . وظل أيام شبابه —

وكان وقتئذ فى الثلاثين من عمره — يعقد مئات من هذه الجلسات كل سنة . ولم يكن من غير المألوف لديه أن يعقد خمس جلسات فى يوم واحد . وأخذت الشخصيات البارزة فى القارتين تتنافس فى شرف دعوته إلى دورها ، بل أصبح لزاماً فى أكثر من بلاط واحد . فأى شهرة نالها ، وأى شوط قطعه هذا الصبى الأسكتلندى المهاجر بفضل مواهبه الروحانية !

ولد دانيال دانجلاس هوم بأسكتلندة سنة ١٨٣٣ ، وأبوه ولد سفاح لنبيل هو الإرل العاشر من سلالة هوم ، وعُرفت أمه بأنها من أهل الكشف . وربى الصبى فى كنف عمته مارى مالك نيل كوك التى سافرت به إلى أمريكا وهو فى التاسعة من عمره . وقد تجلت قدرته على الكشف وهو فى سن الثالثة عشرة ، إذ أخبر عن وفاة صديق ناء ، فصدق كل ما قاله . ومرت سنوات ، فإذا مسكن كوك قد أخذت تشيع فيه الدمار حوادثُ لا يمكن تعليلها ، تتوالى واحدة فى إثر أخرى ، فقد دأب الأثاث على التنقل فى المسكن بهدوء من تلقاء نفسه ، وجعلت تتردد فيه ضجة نكراء مشئومة ، وجلس ذات صباح إلى طعام إفطاره ، فإذا بنقرات واضحة تسمع من جوانب المائدة كلها .

بلغ القنوط بالعمة الفزعة أن دعت القسيس ليبتهل إلى الله أن يرفع هذه المحنة ، فلما جعل القسيس يدعو ويبتهل سمع نقراً خفيفاً على كرسيه ، فإذا لج فى طلب الغوث والمدد ، لجت النقرات وعلت .

استطارت هذه الحوادث بين الجيران ، فأحاطوا بالدار ، فإذا الصبى هوم ينبئهم عن مقر ذوى قرباهم الغائبين منذ أمد بعيد ، وعن مكان مستنداتهم وحليهم الضائعة . وأخيراً ضاقت العمة ذرعا بهذا الأمر كله وطردت دانيال من الدار ، وهو إذ ذاك فى السابعة عشرة من عمره .

وهكذا ولج دانيال ميداناً كان قد أصبح مزدحماً بالمتنافسين يتناحرون فيه . جرى هذا فى سنة ١٨٥٠ أى بعد سنتين من قيام وسيطات مشهورات باسم الأخوات فوكس ، بكشف الستار أول مرة عن مذهب تحضير الأرواح فى صورته الحديثة ، وذلك بظهور هذه النقرات ذاتها فى تجاربهن . ثم أخذ الوسطاء الروحانيون ، ومنهم الهواة والمحترفون ، يتكاثرون من كل جانب ، ويستحضرون هالات من النور تتجلى فيها وجوه وأيد بشرية ، وموسيقى ولوحات تعزفها وترسمها الأرواح ، وأصوات وأنوار وتيارات من هواء بارد كالثلج . ومضت بضع سنوات ركبها الهذيان ، فكان عدد أنصار هذا المذهب قد أربى على الملايين .

ولم يحدث في أرجاء الدنيا قاطبة منذ العصور الوسطى أن بلغ ميل الجماهير إلى الإيمان بالروحانيات ما بلغه في مقاطعات الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

وهوم، وإن كان يعدّ نفسه طريداً لا صديق له، لم يكن يعدم حمى يأوى إليه. وجعل من دأبه، طوال حياته، إذا نزل بلداً أن يحوم — تقوده في ذلك بصيرة لا تخطئ — حول قادة الرأي فيه. ففي أمريكا يقع على أثرياء التجار والأطباء ومحرري الصحف وأصحاب الفكر الحرّ من رجال الدين ومن شاكلهم، وفي باريس يتطلع إلى الإمبراطور والإمبراطورة. فمبدؤه كان واحداً وحيثما حلّ تلقاه الناس بالحفاوة.

قيل في وصفه إنه واسع الحيلة، يميل إلى الإفاضة في التعبير عن شكره، وكان قادراً على أن يلبس لكل حالة لبوسها، فإن لقي أطفالا سارع إلى مساعدتهم في دروسهم أو إلى الإعجاب بألعابهم. وخلاصة القول هو أن الطبيعة حبته بكل الصفات التي تجعل منه أمثل ضيف وأحب جليس. وأعانه سقمه (فهو مصدور منذ صباه) على أن يصبح موضع اهتمام الناس ومثار عطفهم. لم يشق هوم يوماً في طلب الرزق، فقد تيسر له بكل بساطة أن يقضي حياته ضيفاً مكرماً يحتفل به الأثرياء في مختلف الممالك أبهى احتفال.

والذين احتفلوا به من أهل الوقار والرزانة، يشهدون مؤكدين بأن ما يحدث عادة هو هذا:

فهو إذا ما ولج الباب، كثيراً ما ترتج قطع الأثاث ارتجاجاً طفيفاً، وكذلك المائدة التي يجلس حولها المجتمعون وقد تلاصقت أيديهم، تطفر وترتج. وقد تزداد تلك الظاهرة قوة فيتصل تأثيرها بالأرض والجدران حتى ليهتز كيان الغرفة كله اهتزازاً. وتسمع نقرات تنبعث من كل جانب، ويهب على الغرفة نسيم بارد يرتجف له أطوع الموجودين للاستهواء. وكل شيء خليق بعد ذلك أن يحدث: إما سحب مضيئة تتجسم منها أيد بشرية، وإما أجراس تدق دون أن يمسها أحد، وإما مناديل تعقد بمهارة في أنشوطة أمام أعين أصحابها، وإما أن تطارد البيانُ عجائزَ المدعوات — حتى تحبسهن في أركان الغرفة. وإما أن تدق الساعة دقا مثيراً للخوف إجابة على أسئلته، وقد تأخذ الآلات الموسيقية كالجيتار والأكورديون وغيرها في العزف وحدها، سواء أكانت في يد هوم أم في يد غيره، بل قد تعزف أيضاً وحدها دون أن يتناولها أحد، وتتنقل فوق ذلك من جالس إلى جالس وهي تعزف بقوة بالغة. وكان الذين من دأبهم الشك والارتياب، يحضرون معهم آلاتهم الموسيقية، أو

يفككون الآلات التي تعزف فلا يجدون شيئاً .

وبذّ هوم كل منافسيه بمقـدرته على الارتفاع بجسمه عن الأرض ، وأول مرة حقق فيها تلك الظاهرة العجيبة ترجع إلى سنة ١٨٥٢ حينما كتب ف . ل . بور محرر صحيفة هارتفورد تيمس يقول : « وفجأة ارتفع هوم إلى سقف الشقة العالى حتى لمسه برأسه ويده برفق ، وحينئذ تبينت أن شيئاً من الخوف أخذ يتملكه » .

وفى السنة نفسها استقبل هوم أربعة أساتذة أوفدتهم إليه جامعة هارفرد الشهيرة ، وبعد إنتهاء الجلسة وقعوا جميعاً على كتاب يشهدون فيه بأن من بين الظواهر التى رأوها أن واحداً منهم جلس فوق المائدة فاهتزت بعنف شديد ، وأخيراً مالت واستقرت على قائمتين ، واستمرت على هذا الوضع ، حتى بعد أن انضم اثنان من الأساتذة إلى زميلهما وجلسا معه فوقها .

وقرروا كذلك : « أن هوم ألحّ علينا مراراً أن نشد يديه ورجليه ، وكانت الغرفة جيدة الإضاءة ، ولقينا كل عون وتيسير للقيام بما أردناه من فحص دقيق . والثابت لدينا أنه لم يحتل علينا ولم يخدعنا » .

ويرجع التأثير الذى تتركه أعمال هوم فى النفوس إلى ميزتين جعلتاه صاحب طريقة انفرد بها وحده . فهو يجلس مع الموجودين كأحـدهم ، ويباشر عمله فى وضح النور . وكم سخر من عجزة المشتغلين بتحضير الأرواح الذين لا يعملون إلا فى الظـلام ، أو وهم مختبئون فى كِنّ من حوله الأستار يسمونه « الكنّ الروحانى » وهو يقول : « إذا وجد الظلام ، سهل الخـداع » ، فلا عجب أنْ لم يفز هوم قط بحب زملائه الوسطاء .

لم يكن هوم فى كل جلسة من جلساته يلجأ إلى الاستغراق فى غيبوبة روحانيـة ، وسواء بدت عليه تلك الغيبوبة أو لم تبد ، فإن الظواهر الطبيعية التى تحدث فى جلسته كانت لا تفترق كثيراً فى إحدى الحالتين عن الأخرى . وكان إذا دخل فى غيبوبة ، ووضح أن روحاً زائراً قد استولى على حركاته وكلماته ، تسلطت عليه أحياناً كآبة مرهقة ، فيصف مناظر مرعبـة تتراءى له ، ويبكى ويرتجف . وقد يحدث أن يتصلب ساعداه وينطبق فكاه ، ثم إذا أخبر بما حدث له « أثناء غيبوبته » أجاب أحياناً ببرود أنه لا يصدق كلمة واحدة مما يقال .

سافر هوم إلى إنجلترا فى نهاية سنة ١٨٥٤ وقد سبقه إليها صيت خوارقه ، مثال ذلك أن المؤلف الإنجليزى الكبير ثاكرى كان يقوم بجولة فى الولايات المتحـدة لإلقاء محاضرات ، فكتب إلى وطنه يصف تلك الخوارق بأنها « مدهشة حقاً » .

ويذكر هوم بتأثر أنه حينما دنت سفينته من الشواطىء الإنجليزية : « وقفتُ عليها وحيداً ، قد ضعْضعت العلة قواى ، وما من صديق يفتح لى ذراعيه عند وصولى » ولكنه لم ينفك يؤمن إيماناً ساذجاً بأنه أينما ذهب فلابد ملاقيه شخص يمهد له الطريق . وقد صدق إيمانه ، وكان هذا حاله فى الواقع طول حياته .

حمل هوم معه خطاب توصية إلى المستر وليم كوكس ، صاحب فندق كوكس فى شارع جريمى ، إذ كان ترحيب المستر كوكس بالوسطاء الروحانيين قد استفاض خبره فى أمريكا وإنجلترا . ويقول هوم : « ما كاد الرجل يعلم من أنا حتى رحب بى ترحيب الأب بابنه » ، وبعبارة أخرى أكثر صراحة : لم يتقاض الرجل منه أجراً .

حل هوم بلندن فتنافست الأسر النبيلة فى استضافته ، حتى تعذر عليه أن يلبى دعواتها جميعاً . ودعاه السير بلوار — ليتون الكاتب الشهير وصاحب القصص البارعة عن عالم الأرواح ، فعقد جلساته فى داره الفخمة بحى بارك لين ، وظل يدعوه ويحتفى به بين الحين والحين طوال السنوات العشر التالية .

ولم يكن قد مضى عليه وقت طويل فى لندن يوم حصلت إليزابيث باريت براونج ، التى أصبحت فيما بعد من أكبر المؤيدين له مدى الحياة ، على بطاقة دعوة لتشهد بها جلسة من جلساته . ومرت ساعة تتوالى فيها العجائب وشاعرة إنجلترا الأولى تجلس مشدوهة تتقد عيناها السوداوان فى وجهها الصغير المرمرى الشاحب . وكان زوجها الأنيق النابه روبرت الشاعر من بين الموجودين أيضاً ، ودل وجهه المقطب على أنه يمقت ما يراه من الإسفاف العقلى .

ثم جاء دور تجربة شهيرة تسمى « تجربة إكليل الزهور » وكتبت مسز براونج تقول : « لبّت اليد طلب الوسيط وأخذت من المائدة إكليلا من الزهور ووضعته فوق رأسى ، وكانت اليد قريبة منى قرب يدى هذه التى أكتب بها وواضحة وضوحها »

ولم يتحول براونج عن إنكاره لمقدرة هوم ، وأخذ يلقبه بالوغد ، ويعلل ظهور اليد الروحانية بأنها «قدمه العارية أو شىء ما متصل بها» . وكتب قصيدة عنوانها « المستر سليدج الوسيط » وكلها سخرية هدامة . ولم يخف المعنىّ بها على أحد فى إنجلترا اللهم إلا على المستر هوم نفسه الذى احتج وهو يبتسم بقوله : « ما من أحد يعرفنى ولو معرفة ظاهرة إلا رأى أنه ليس بينى وبين المستر سليدج أقل شبه ! ! » .

وعلى النقيض من أمر براونج ، وجد هوم فى جون رسكن ، كاتب المقالات الشهير ، مسارعاً إلى تصديقه . وراسكن هذا كان

قد أعلن من قبل أنه يكفر بالديانات المنزلة جميعاً ، فإذا به يشترك في جلسات هوم ويصبح من غلاة المؤمنين بالروحانيات . أما شارلز ديكنز فقد خص هوم بمقته الشديد وشهر به ووصفه بأنه دجال . ولكن نشر هذه الآراء المختلفة زادت من شهرة هوم وراح يقول : « إن الصحافة تخدمني بتلك المطاعن التي تجود بها عليّ كل يوم » .

وأخذ ذكر هوم يفوز في مراسلات مسز براونبج بحيز لم يحظ به أحد من مشاهير معارفها ، فكتبت لأختها تقول : « سمعت أقوالا كثيرة عن هوم ، وكلها تؤكد صدقه . وقد زار روبرت صديقاً له من المرتابين ، وكثيراً ما حدثه عن سخف أولئك الذين يقيمون إيمانهم على دعائم من الوهم والخداع ، ولشد ما عجب إذ رأى صديقه وأهله جميعاً قد تخلوا عن ريبهم وآمنوا ، فقد اتخذوا مع هوم كل مايلزم من الحيطة ، فأوثقوا منه اليدين والقدمين ، فإذا باليد الروحانية تجيء وتفك الوثاق أمام أعينهم . واهتزت الغرفة كلها ، كأنما لحقها زلزال قد بلغ من شدته أن أصاب الدوار كل من كان فيها . فهذه وقائع تجعل الشك مستحيلا »

لم يحدث في مكان ما أن أثارت نقرات الأرواح ضجة مثل التي أثارتها بين الجالية الأمريكية الإنجليزية في فلورنسا ، حين قصدها هوم سنة ١٨٥٥ ، ونزل ضيفاً على توماس أدولف ترولوب شقيق الكاتب الشهير أنطوني ترولوب . ورحبت به جماعة هؤلاء النزلاء المعروفين بالظرف والمرح ، وأخذ بعضهم ينافس بعضاً في دعوته وتكريمه . حتى إن الكاتب الأمريكي ناتانيال هوذورن ، حينما زار فلورنسا بعد ذلك بثلاث سنين ، وجدهم لا يزالون مشغولين بذكر هوم ، فأخذ يجمع الحكايات المحيرة التي تروى عن براعته.

ففي يوم من الأيام تناول هوم الشاي مع حيرام باورز ، الحجة في علم التشريح ، وقد جعل الأيدي الروحانية التي يظهرها هوم موضع دراسته وبحثه الدقيق . ومما سجله عن بعض الظواهر التي شهدها قوله : ظهر شيء في شكل يدين على حافة المائدة ، وتناولتا مروحة ، وأخذتا تروحان بها . ولما سأل باورز عن نوع آخر هدية قدمها إلى ولد له قد مات ، شعر هو وزوجه فجأة بوخز في الركب كوخز آلة حادة ، إذ كانت الهدية مبراة !

وذكر هوذورن ، وهو من أكثر الناس اتزاناً ، أنه روى له أيضاً أعاجيب أخرى مماثلة جديرة بأن تدون على أنها وقائع ثابتة ، شأنها في ذلك شأن كل حادثة تثبت للناس بشهادة الشهود .

ولجأ المستر ترولوب ، مضيف هوم في

فلورنسا ، إلى ساحر شيخ مجرب يدعى بارتولوميو بوسكو ليسأله رأيه فى الوسيط ، فأكد له أن ما يفعله هوم تعجز عنه كل حيل خفة اليد المعروفة .

ولما ذاع خبر هوم فى أرجاء فلورنسا اضطربت نفوس أهلها ، وأخذوا يتهامسون بأنه يقيم الحفلات الدينية للشكالى ، وأنه يبعث الموتى برقاه . ووصلته خطابات غفل من الإمضاء تهدده بأفظع انتقام إذا هو لم يغادر البلد من فوره . ومن حسن حظ هوم أن وافته حينئذ رسالة من الكونت برانيكا — من أحفاد إخوة النبيل الروسى بوتمكين — يدعوه فيها أن يعود إلى باريس .

ولكن طرأ طارىء غير منتظر ، فقد أعلن هوم أن الأرواح أبلغته فى العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٥٦ أن قدرته ستفارقه سنة كاملة .

ولم يبق أحد فى باريس فى السنة التالية إلا وهو يعلم بالتحديد اليوم الذى سجل فيه موعد رجوع القدرة إلى هوم .

لم يثر بين أهل باريس جدل عن عودة مغن محبوب إلى الأوبرا ، أو مصارع شهير إلى حلقة النزال ، مثل ما ثار من جدل عنيف حول موعد هوم .. ولا شك أن هذا الاعتكاف سنة كاملة كان مثلا بارعاً للحكمة والسياسة فى الدعاية .

وفى صباح اليوم الحادى عشر من شهر فبراير سنة ١٨٥٧ كان الماركيز دى بلمونت رسول الإمبراطور نابليون الثالث واقفاً بباب هوم ليسأله ، هل عادت إليه قدرته . فأجابه هوم : لقد عادت ، وكانت عودتها فى تمام منتصف الليل بظهور يد روحانية استقرت على جبينه .

فبادر المركيز ودعا هوم للشخوص إلى قصر التويلرى ساعة يحدد له موعد .

وكانت أول مرة مثل فيها هوم بين يدى الإمبراطور نابليون الثالث والإمبراطورة أوجينى فى يوم الجمعة ١٣ فبراير سنة ١٨٥٧ ، وطوال تلك الجلسة الافتتاحية ظل الإمبراطور ودلائل التفكير العميق تبدو على عينيه الفاحصتين . وكان هو نفسه من هواة السحر ، وموفقاً فيه بعض التوفيق ، ومع ذلك أجابته النقرات على أسئلة أضمرها ولم ينطق بها .

تسلط هوم على الإمبراطورة أوجينى فخضعت له خضوعاً سريعاً كاملا . سألها أن تمد يدها تحت المائدة وقال لها همساً : « إنها إذا أحست بيد أخرى تتناول يدها حيث هى فلتعلم أنها يد مسالمة لا تخيفها » . ولبث الحاضرون ينتظرون ، وبعد هنيهة تمتمت الإمبراطورة ، وهى لا تصدق : « إنها يد أبى ! » ولمسها الأمبراطور أيضاً .

وكلاهما عرفها من نقص فى خلقتها انفردت به.
ثم حدثت واقعة كانت أكثر ما أثار الدهشة فى الجلسة، فقد تجمع ضباب مضىء، وتجسمت منه يد رجل تناولت قلماً وكتبت به « نابليون » . وقد صرح الإمبراطور بأنه لا مجال لأقل شك فى أنها إمضاء نابليون الأول . واستأذنت الإمبراطورة أوجينى فى تقبيل يد هذا الذى هم جميعاً مدينون له بجميل أىّ جميل ، فارتفعت اليد إلى شفتيها قبل أن تختفى .

وأرسل الإمبراطور يدعو إليه عاجلا بعض الأساتذة من السوربون ، وهو يرجو فى قرارة نفسه أن يفسروا له ما رآه بأنه من الظواهر الكهربائية ، إذ كانت الكهرباء يومئذ أعجوبة غامضة لا تتعدى المعامل العامية، ولكنها أقل غموضاً من ظاهرة الأكتوبلازم وهى المادة السيالة التى تتجسم منها الأشباح الروحانية . وحكم الأساتذة بأنه من المستحيل أن يكون الإمبراطور قد رأى ما روى لهم أنه رآه رأى العين .

أصبح هوم بعدئذ يتناول عشاءه أسبوعاً إثر أسبوع مع الإمبراطور والإمبراطورة فى جلسة يرفع فيها التكاف كأنهم أفراد أسرة واحدة . وصار يقوم بتجاربه أمام زوّار الإمبراطور من عظماء الأجانب. وأسر هوم أفراد الحاشية فأخذوا يتغنون بمديحه ، وهم يرومون من وراء هذا كله أن ينتشى هوم ويملأه الزهو والخيلاء ، — ولكنه ظل محاذراً رزيناً ، يجول بين نساء حاشية نابليون الثالث ، المتألقات جمالا ، المزدهيات بفاخر الثياب والحلىّ ، وهو شاحب الوجه ، مستغلق السر . وأخذ جمهور الشعب يسىء الظن بسيطرة هوم على البلاط الفرنسى ، فكتبت مجلة هاربر الأسبوعية تقول : « إن الإمبراطورة تستبقيه معظم الوقت فى جناحها الخاص ، وتوطدت بينهما الألفة حتى أن الألسن الخبيثة فى باريس أخذت توسوس بالفضيحة » . بل تضمنت تقارير كافة الممثلين السياسيين إلى بلادهم إشارات أشد تجريحاً ، فقد كتب اللورد كراولى سفير إنجلترا فى بريده السرى يقول : « إن هوم مسيطر تمام السيطرة على الإمبراطور والإمبراطورة ، وقد أفزع هذا رجال الشرطة » . وهاجمه الكونت والوسكى (ابن نابليون من حبيبته البولونية ماريا والوسكا) واتهمه بأنه جاسوس أجنبى . قد سخر المستر هوم مما نسب إليه من دسائس ومكايد ، ولكنه أزعجته بعد ذلك فكرة خطيرة جالت فجأة فى ذهنه إذ قال : « أىّ غنم يغلته رجل ذو هوى له مثل مواهبى ! »

* * *

ما لبثت الطبقة الراقية كلها أن حاطت

دانيال برعايتها ، وأخذ يتردد فى باريس على موائد الأمراء ، والكونتات ، والدوقات . وكثيراً ما شوهد فى صحبة ألكسندر دوماس فى المسارح والمقاهى ، ودعاه شيلى الشاعر الإنجليزى الشهير وزوجه لقضاء أسبوعين معهما . ثم تحوّل إلى هولندة ليعقد جلساته للملكة صوفيا فى لاهاى . وزار فى ولاية بادن بادن حاكمها الدوق الكبير حيث عقد فى بلاطه جلسات حضرها ملك ورتنبرج ، وولى عهد بروسيا . واستقبله البابا بيوس التاسع (وكان هوم منذ أن اشتهر قد اعتنق الكثلكة) وسأله عدة أسئلة وشيعه ببركته .

والتقى وهو فى روما فى إحدى الحفلات بالحسناء الروسية النبيلة الآنسة ساشا دى كرول ، وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، وبعد اثنى عشر يوماً أعلنت خطبتهما .

وعقد العقد فى الروسيا ، وكان ألكسندر دوماس شاهد الزوج ، ولم يتردد القيصر إسكندر الثانى فى الموافقة على الزواج إذ كان لا يعقد للنبلاء إلا بإذنه . وأصبح القيصر خير صديق مخلص لهوم ، وأهداه قبل الزواج بثلاثة أيام خاتماً ثميناً رمزاً للصداقة التى تربطهما . فلما رزق دانيال وزوجه ساشا بعد سنة من الزواج بغلام كان أشبينه فى حفلة التعميد هو عاهل روسيا العظيم نفسه .

وفى العيد السنوى الأول للزواج وصلت إلى إنجلترا أسرة هوم ومعها ابنها جريشا ومربيته ، ونزلوا فى جناح خاص بفندق كوكس « فمن سجية هوم الوفاء لأصدقائه الأقدمين » وزينوا غرفهم بصور فوتوغرافية لكثير من النبلاء وأصحاب التيجان من أوربا ، وقد وقع عليها بالإهداء من أصحابها ، ثم فتحوا أبوابهم فتدفق عليهم سيل من الزوار يتزاحمون من غير حياء ليظفروا بنظرة منهم إلى الوسيط الشهير وعروسه الشابة .

ولما أوفى العقد السادس من القرن التاسع عشر على الانتهاء كان لم يبق أحد من ذوى الخطر ، رجلا كان أو امرأة ، دون أن يشهد عجائب جلساته . وبالجملة بلغ هوم من الشهرة قمة لم يبلغها أحد .

ويمكن أن نقول إن هوم فاز من الحياة بأوفى نصيب فى قدرتها أن تجود به : بنبلاء معجبين يحيطون به ، وزوج حسناء غريرة ، وولد ، ومواهب روحانية تدر عليه الأموال ، ولكن سحابة واحدة كانت تعكر سماءه الصافية ، فما من روح طيبة واحدة رضيت أن تنذر ساشا بأن السل مرض وبىء ، وأنها تذوى يوماً بعد يوم .

قصة مرض ساشا وموتها كحوادث قصة مسرحية تشهدها إنجلترا جميعاً . وما من شئ كان ينقص تلك المسرحية : أم فتية حسناء يضنى المرض جسدها الغض ، وزوج تفترسه

الأحزان ، ووليد يسعى إلى أمه يربّت على خدها ويناجيها : « ماما أطيب من أن تمرض » .

وأدت ساشا فى موتها أكبر خدمة إلى مذهب زوجها ، إذ برهنت على فرق ما بين الطمأنينة التى يستمدها المحتضر من إيمانه بالروح ، والرعب الذى يأخذ غير المؤمن وهو على فراش الموت . فقد ظلت وقتاً طويلا وهى متصلة بأرواح أصدقائها الراحلين ، وشعرت بأن الحياة الجديدة التى تتفتح لها ذات جمال يفوق كل جمال . وكان الناس فى ذلك العصر قد طبعوا على إجلال كل « موت جميل » : وهكذا وفقت ساشا بموتها فى الترويج للمذهب الروحانى بين المستمسكين بدينهم توفيقاً لا تصيبه أى محاولة أخرى .

ظل هوم مخلصاً لزوجه الأجنبية الحسناء ، ولكن هذا الصفاء شابه كدر طارئ ، إذ ما كادت تموت حتى تورّط فى نزاع قام على ميراثها ، فقد استولى أقاربها ، وفى مقدمتهم الكونتس بوشكين ، على كل أملاكها ، وانقطع عنه دخله انتظاراً لصدور الحكم . ولكنه فى سنة ١٨٦٧ وضع يده فى ظروف عجيبة على أم وثروة ولقب جديد ، وأصبح يلقب بـ « ليون » أما صاحبة اللقب فهى المسز جين ليون ، وكانت عجوزاً إنجليزية تبلغ من العمر ٧٥ سنة ، ولا ولد لها ، وتملك مبلغاً خلابا يبلغ ١٤٠ ألفاً من الجنيهات . ولما كانت من المؤمنات بالمذهب الروحانى ، فقد حاولت الاتصال بزوجها المتوفى ، ثم أشير عليها بأن تجرب هوم ، فدعته إليها ، فذهب .

توطدت صداقتهما ، وما لبثت أن فاتحته أنها تريد أن تتبناه ، وقالت له : « لا شىء يغيظ أسرة زوجى غيظاً أشد من هذا . سننثر المال نثراً ، وسأتمتع بأيامى الباقية »

ذكر هوم فيما بعد أنه أبدى لها اعتراضه قال : « وأفهمتها أننى رجل يعرفه أغلب الناس ، فلن تحجم الألسن عن أن تلوك سيرتها » . فأجابته بحماسة :

« حبذا لو فعلوا ! »

ثم أخبرته (وكل هذا من رواية هوم طبعا) أنها قد اعتزمت — سواء قبل أن تتبناه أو لم يقبل — أن تخصص له مورداً ثابتاً يغنيه طول حياته ، وسارعت إلى إثبات قولها فكتبت له الوثيقة التالية :

« عزيزى المستر هوم

يسرنى كل السرور أن أقدم إليك الآن هدية خالصة منى مبلغ ٢٤ ألف جنيه .

وتفضل بقبول فائق احترامى .

[جين ليون]

قبل هوم هذه الهدية الكريمة بعد أن فكر فى الأمر — وإن كان تفكيره لم يطل كثيراً . ثم لم يصبح فى مقدوره ، بعد أن قبل هدية

المسز ليون ، أن يعصى رغبتها فى تبنيه ، فصدر إشهاد شرعى بتغيير اسمه إلى دانيال هوم ليون ، واحتفلت المسز ليون بمناسبة صدور الإشهاد ومنحته ٦ آلاف جنيه أخرى . ثم أمطرته بعد ذلك بوابل من هدايا شتى .

باعته ورهنت له عقارات ، وتنازلت له عن أسهم وسندات . وأقسمت المسز ليون فى شهادتها التى أدلت بها فيما بعد ، أنها فعلت كل ذلك طاعة لرسائل جاءتها على يد هوم من روح زوجها المتوفى .

وسرعان ما ندم كل من « الأم » و « الابن » على العهد الذى ارتبطا به ، فلم يمض أسبوع حتى قال عنها إنه : « ينقصها الصدق نقصاً مريعاً ، ومن سجيتها ، فوق ذلك ، الانتقام » . وكذلك لقى من مسلكها فى الجلسات ما يؤذيه إذ تدلك كفيها مسرورة وتقول : « فلنقلع إلى موطن الأرواح » . فإذا قام بما يجب لها عليه واستصحبها لزيارة أصدقائه ، أظهرت له أمامهم من علائم التحبب والهيام ما يربكه ويندى له جبينه . فكان يكتم فى قلبه عذاباً شديداً ، وبدأ الناس يتغامزون بهما ، والخلاصة أنها استرقته ، ففر منها إلى مدينة بريتون .

وفى شهر مايو رفعت عليه مسز ليون دعوى لاسترداد مالها ، وادعت أنها إنما دفعته له بالإكراه . واستمرت قضية « ليون ضد هوم » عشرة أيام ، وكان فى شهادة الطرفين من النوادر ما لم يدع للكتاب الفكاهيين مجالا للزيادة عليها بدعاباتهم .

وشهد هوم بأن المسز ليون رغبت إليه أن تقوم بينهما علاقة أدنى إلى القلب من علاقة الأم بمتبناها ، وأنه صد عنها ، وهذا هو سبب انقلابها عليه . استوفت هذه القضية خير النوادر التى تعشقها الجماهير وتخوض فيها ، فقد ظهر بين الشهود فيها وسطاء آخرون يجرح بعضهم بعضاً . وأماثل تبين أنهم استرقوا السمع من وراء الأبواب ، وسيدات من علية القوم يقفن والخادمات أمام المحكمة جنباً إلى جنب . وجلست المسز ليون وسط قاعة الجلسة كثيرة الثرثرة ، سليطة اللسان لا يردعها ما اصطلح عليه الناس من حياء كاذب . فكان إذا قيل عنها تلميحاً إنها مصابة بنقص فى عقلها أقرت وهى جذلة متهللة : « لاشك أن عقلى كان قد طار ، فإننى كنت خاضعة لسلطانه الروحانى كما ترون » . ولما انتهت المرافعة صدر حكم ابتدائى فى مصاريف الدعوى ، يقضى على المسز ليون بأن تدفع إلى هوم ما تحمله فيها وأن تغرم هى ما صرفته . وانتهز رئيس الجلسة فرصة النطق بأن الحكم يصدر بعد المداولة وقال : لا جرم أن الفوضى تعم لو سمح للمتبرعين للجمعيات

الدينية أو الخيرية بأن يغيروا رأيهم ، ويعدلوا عن التبرعات التي تبرعوا بها فعلا .

ولكن الحكم النهائي هاجم المذهب الروحاني ووصفه بأنه « خطة مرسومة لخداع المغرورين والضعفاء والحمقى والمؤمنين بالخرافات » . واستردت المسز ليون نقودها ، كما استرد هوم اسمه القديم ، وقد ناله من هذه المحنة ما ناله من خدش وتجريح .

لم يزل مقدراً لهوم حينئذ أن يقضى فى حرفته بضع سنوات ، وبدأ فى ذلك الوقت يضيف إلى برنامجه المعهود تجربتين جديدتين : أما الأولى فظاهرة مخيفة أسماها « إطالة القامة » ، وأما الثانية فظاهرة لمس النار .

ولما استحدث هوم ظاهرة إطالة القامة أخضعها الفاحصون لامتحان دقيق ، فكانوا يوقفون هوم (وهو فى غيبوبته) إلى جدار ويرصدون رجلا منهم يمسك بقدميه ، وآخر يراقب وسطه ، وثالثاً يقف بجانبه وفى يده قلم يبين به على الجدار مقدار ما بلغه نموه . وذات ليلة ، وكان هوم فى دار صامويل كارترهول (من أدباء لندن) ، جرى امتحانه على صورة جديدة من باب التنوع . فرقد دانيال على الأرض ، وجلس عند قدميه سيد من الأشراف يدعى لندساى ، وعند رأسه نبيل إيرلندى شاب يدعى لورد آدير ، فقرر أن قامة هوم بدا منها أنها تطول من طرفيها ، وأنها أزاحت الرجلين عن موضعهما . وأقبل هول مسرعاً وفى يده شريط قياس ، ولشد ما كانت دهشته إذ وجد بين الشاهدين مسافة طولها سبع أقدام .

أما ظاهرة لمس النار فكانت تملأ قلوب الناظرين رعباً ، واعتبرها الكثيرون برهاناً قاطعاً على أن هوم مؤاخ للشياطين . وكان الظاهر أن هوم يستطيع نقل مناعته إلى الآخرين بل إلى الزهور فى بعض الأحيان ، فهو يدنى الزهرة من لهيب النار ، ثم يدور بها على الحاضرين فيرونها ندية سليمة . وشهدت اللادى جوم أنه ناولها فحمة متقدة فحملتها فى يدها دون أن تضرها ، ثم ما كادت تضعها على ورقة بجانبها حتى أسرع فيها اللهيب من فوره .

وارتاع رجال أشداء وامتقعت وجوههم يوم رأوه يسير — وهو فى غيبوبة — إلى الموقد ، ويحرك بيده الجمر حتى يرتفع لهيبه ، ثم « يركع ويدس وجهه بين قطع الفحم المتقدة ، ويحركه يمنة ويسرة كأنما يغسله فى الماء » ، دون أن تحترق شعرة واحدة فى رأسه ، ثم رأوه يلتقط جذوة مشتعلة ويدور بها على الحاضرين ، فكانوا لا يطيقون لهيبها وهم على بعد قليل منها .

ولم تسلم صحبة هوم ، فى الإقامة أو فى السفر ، من أغرب الحوادث . نزل مرة ضيفاً — فى زيارة قصيرة — على المستر جون

أمور جونز فى مقاطعة نوروود ، فوافاه اللورد آدير ، الذى أصبح رفيقه الذى لا يفارقه ، ليشهد جلساته ، وفاته بسبب ذلك آخر قطار إلى لندن ، فدعاه صاحب الدار المضياف الكريم أن يقضى الليلة عنده ، وحملت أريكته إلى غرفة هوم فى الطابق الأعلى لينام الضيف الجديد عليها . أطفىء النور ، ولكن الغرفة كان لا يزال يصلها بصيص من مصابيح الطريق ، وأخذ الرجلان يتجاذبان أطراف الحديث والنعاس يغالبهما ، وإذا بالغرفة قد أخذت تهتز ، وغطاء الفراش ينجذب وينحسر ، ثم سمعت ألحان موسيقية . فناديا جونز ، فأقبل مهرولا وسألاه هل فى الدار أحد يعزف على الهارمونى . فنفى ذلك ومكث معهما ليرى ما يحدث .

حينئذ وصل إلى سمع آدير صوت تقليب نظارته وحق سعوطه على المقعد الذى تركهما عليه من قبل ، وارتفعت المائدة التى ألقى عليها ملابسه وأخذ ينبعث منها ضوء ضئيل ، وتساقطت نقوده واندلقت على البساط . وكان آخر ما سمعه تلك الليلة صلصلة قطع النقود وهى تلتقطها أرواح حريصة على أناقة الغرفة ، وتعيدها إلى حيث كانت فى ملابسه.

واختتم هوم سنة ١٨٦٨ بخارقة تعد أروع الخوارق فى حياته كلها ، وأكثرها استطارة فى الشهرة ، إذ جمع بين الارتفاع بجسمه فى الجو ، والتنقل من غرفة إلى غرفة من نوافذ مطلة على الطريق من الطابق الثالث . جرى هذا فى مسكن هول ، وشهده آدير ولندساى والكابتن شارلز وين ابن عم آدير . وكتب كل من آدير ولندساى وصفاً مستقلا بما حدث . دخل هوم فى غيبوبته واستمر زمناً ، ثم أخذ يسير بمشقة ، وأخيراً قادته قدماه إلى غرفة مجاورة فولجها وغاب ، وحينئذ سمع لندساى صوتاً يهمس له فى أذنه : « سيبرح الغرفة من النافذة ، ويدخل إليكم غرفتكم من النافذة أيضاً » ، ولم يكد يجد من الوقت ما يذيع فيه هذا النبأ حتى « سمعنا صوت رفع النافذة فى الغرفة المجاورة ، وتلا ذلك أن رأينا هوم يطفو بجسمه فى الهواء خارج نافذتنا . واستمر فى ذلك الوضع بضع ثوان ، ثم رفع زجاج نافذتنا وانحدر إلى الغرفة تسبقه قدماه ، ثم جلس .

« ثم ذهب اللورد آدير إلى الغرفة المجاورة ليفحص نافذتها ، فوجد زجاجها لم يرتفع عن قاعدته إلا مقدار ١٨ بوصة ، فأعرب عن دهشته كيف أمكن مرور المستر هوم من تلك الفُرجة الضيقة ، فأجابه هوم (وكان لا يزال فى غيبوبته) : سأريك ، وكانت النافذة خلفه ، ثم مال بظهره واندفع من الفُرجة تسبقه رأسه ، وقد تصلب جسده ، ثم عاد بهدوء » .

ولما أفاق هوم كان في اضطراب بالغ ، وقال إنه يشعر كأنما مر من خطر جسيم ، وأن رغبة مخيفة تجيش في صدره وتحثه على أن يلقي بنفسه من النافذة .

* * *

وفي أوائل سنة ١٨٧١ ، ولأول مرة منذ ست سنوات ، عاد هوم إلى روسيا بدعوة من الكونت مايندورف ، واستدعاه القيصر لمقابلته في قصر الشتاء .

وفي زيارته تلك لروسيا قابل هوم جولي دي جالوملين الحسناء ، وهي من أقارب كل من إسكندر . ف . أسكاسوف ، المستشار الإمبراطوري ، والدكتور ا . فون بوتلرو أستاذ الكيمياء في جامعة سان بطرسبرج .

وجدت جولي من هوم رجلا رقيقاً ودوداً ، وسمعت صوتاً لا تدري من أين يجيئها يقول لها : « هذا هو زوجك » وسرعان ما انعقدت خطبتهما ، ولكن عقد الزواج أجّل لاضطرار هوم إلى العودة إلى إنجلترا في شهر مارس لارتباطه بموعد .

وكان الأستاذ وليم كروكس الشاب النابه الطموح ، والعالم التخصص في الطبيعة والكيمياء ، (والذي منح لقب سير فيما بعد) مهتما بأمر هوم أكبر اهتمام ، ويتحرق شوقاً لامتحان تجاربه في معمله — وكان يقول : « إن المعتنقين للمذهب الروحاني يروون أن غرفاً ومنازل تهتز بفعل قوة فوق قوة البشر ، وكل ما يريده الرجل العالم أن يحدث أمامه هو تحريك رقاص ساعة جدار موضوعة في قالب زجاجي » وأضاف « إنه لا يعقل أن ينجح هوم في تنويم آلة جامدة تنويماً مغناطيسيا » . وأعد له في معمله أيضاً أكورديوناً داخل قفص محزوم بأسلاك من النحاس ، وظلت يدا هوم مقيدتين طول التجربة ، ومع ذلك شوهد الأكورديون يطفو في الهواء داخل القفص ، وتصدر منه أنغام تتحول إلى لحن حلو شجي .

وبعد أن شاهد كروكس ظاهرة ارتفاع هوم بجسمه في الجو ، وأخذه النار بيده ، وغيرها من تجاربه الخارقة ، كتب تقريراً للمجلة العلمية « كوارترلي جورنال أوف ساينس » حكم فيه حكما قاطعاً ، بوجود قوة جديدة تكمن في الكائن البشري ، على صورة مجهولة ، ويمكن تسميتها من باب التيسير في التعريف : بالقوة الروحانية ، وأن هوم أكثر أصحاب هذه القوة إثارة للدهشة .

« فكل ما رأيته منه جرى في النور ، ولا أتأخر عن الشهادة بأن الظواهر التي شاهدتها تناقض تمام التناقض المبادئ العلمية المقررة ، كقوة الجاذبية ، في تأثيرها المطلق الدائم . وإن في رأسي نزاعاً بين عقلي الذي يحكم بأن هذه الظواهر مستحيلة الوقوع

من الوجهة العامية ، وشعورى بأن ما رأيته بعينى ولمسته بيدى لم يكن كذباً باطلا » .
وكتب بعد ذلك بعشرين سنة يقول إنه لم يتسن له أن يكتشف ثلمة فى التجارب التى أقيمت ، ولا فى النتائج التى استخلصها منها .

تقاعد هوم عن العمل بعد زواجه الثانى وهو فى سن الثامنة والثلاثين ، وكان قد صدر له حكم فى النزاع الذى قام حول ميراث ساشا ، فلما تحسنت شؤونه وثروته ، أصبح هوم مثال الشخصية العالمية ، ينعم بحياة هادئة ناعمة ، ويقضى معظم وقته فى الرحلات . ولكن صحته كانت قد ساءت وامتد السل إلى رئتيه معاً ، وأصيب بداء النقرس فأصبح لا يسير إلا متوكئاً على عصا .

وكان الاهتمام يثور بين نزلاء مدن الاستشفاء بالمياه ، كلما ظهرت بينهم تلك الشخصية الأسطورية ، ورأوا ذلك الساحر المتقاعد يحف به أمناء سره ، وجماعة المعجبين به ، وزوجه الرشيقة الجميلة ترفرف حواليه . أما هو فكان يتوهج ، كأنه شجرة عيد الميلاد ، بحلى جميلة نالها على مر السنين من هدايا أصحاب التيجان تقديراً له منهم . فالخواتم تغطى أصابع يديه ، وكان يروى قصة هذه الخواتم ببراعة لمن يسأله عنها . فهذا الخاتم جاءه من إمبراطور فرنسا ، وهذا من صوفيا ملكة هولندة ، وهذه الفصوص من الماس والزمرد والياقوت من قيصر روسيا ، أما اللؤلؤة فمن وليم الأول عاهل ألمانيا .

واحتفل هوم بعيد ميلاده الخمسينى فى نيس ، واجتمعت الجالية الأجنبية هناك للاحتفال به ، وقدمت إليه طاقات الزهور ، وألقيت خطب المديح ، ومات بعد ثلاث سنوات من ربيع سنة ١٨٨٦ ، ودفن بالمقبرة الروسية فى مدينة سان جرمان دى لاى .

لقد أثارت حياته ومغامراته أوربا كلها ، ولا تزال خوارقه لغزاً معمى ، فلم تنفرج شفتاه طول حياته بكلمة واحدة تكشف الستار عنها . ولما أهيل عليه التراب كان قد جر معه سره إلى القبر . ولكن مما لا يشك فيه أن هوم نجح فى تجاربه نجاحاً باهراً متألقاً متصلا .

ظل هوم إلى أن مات يقظاً لا يغفل ، ولا شك أنه أمضى حياته فى حذر دائم منهك ، يسابق بذكائه الفواجع فينجاب عنه غبارها . وكانت مآسى حياته تتمثل فى انتزاعه للفوز من بين براثن اليأس ، ولا يجاريه فى هذا الفوز أحد من الناس .

وقال عنه ج . ك شسترتون الكاتب الإنجليزى الشهير :

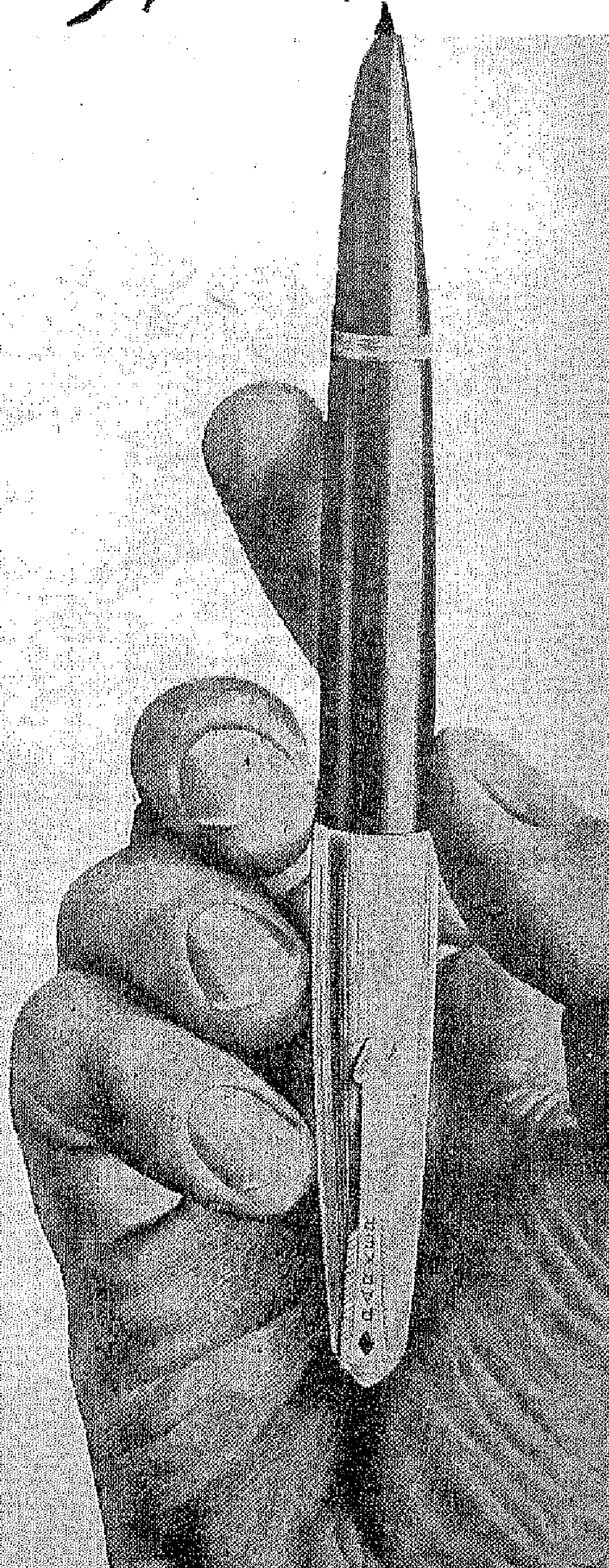
« أشقى التوابغ ، ولا جرم ، من كان نابغة دجالا فذاً فى الخداع — إنه سلطان قاهر ، ولكن فى جزيرة جرداء موحشة ! » .

"يجف مداده حال كتابته !"

أشهر قلم خلال ٥٠ عاماً!

پاركر "٥١"

PARKER "51"



• رشيق . . رزين . . متحفز . . هذا قلم باركر ٥١ الذى تتجسم فيه روح الكتابة .

حرك طرفه الفريد الذى يشبه الطربيد على الورق . فيكتب فى الحال ، كتابة ناعمة حتى ليخيل لك أنك تكتب على وسادة فى الهواء .

ثم يأتى السحر المتوج ! فإن هذا القلم وحده قد صمم ليكتب بالحبر الجديد العجيب « ٥١ » الذى يجف وأنت تكتب فلا تحتاج إلى النشاف .

ومع ذلك فإن قلم باركر « ٥١ » يصلح لأى نوع آخر من المداد .

وطبيعى أن يكثر الطلب على قلم ممتاز كهذا القلم ، فإن لم يكن لدى موردك قلم باركر « ٥١ » ، فسجل طلبك عنده ، فسيظفر قريبا بعدد وافر منه .

الألوان : أسود ، أزرق قاتم ، بنى .

والماسة الزرقاء على مشبكه معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة

شركة أقلام باركر

جانزڤيل ، ويسكونسن ، الولايات المتحدة

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U. S. A.

كتب دراسية للميكانيكا

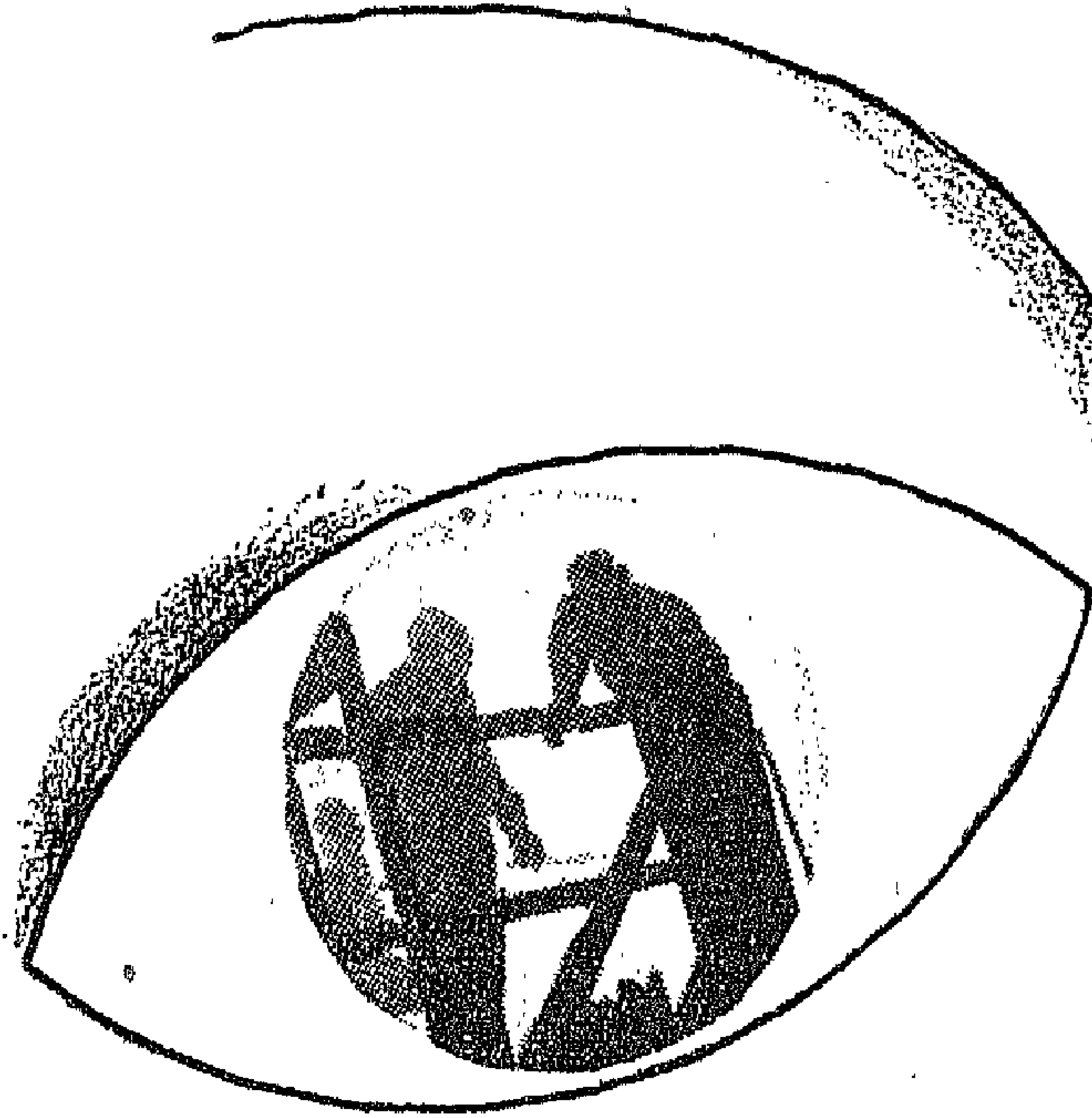
فى مدارس لوكهيد ، يستخدم خط الإنتاج الحقيقى لطائرات لايتننج P-38 ، وطائرات فنتورا فى منزلة كتب دراسية فى الميكانيكا للقوات الجوية الأمريكية . وهذه الطائرات القليلة لن تستعمل فى القتال ، ولكن بفضلها سيتاح لطائرات لوكهيد الأخرى أن تزيد أمد قدرتها على الطيران ومداه .

وفى المدارس التى تديرها لوكهيد ، يصير رجال المطارات التابعة للجيش أو الأسطول اخصائيين — اخصائيين فى درايتهم بطائرات الجيش القاتلة لايتننج P - 38 ، أو طائرات الأسطول القوية PV - 1 فنتورا . وبإشراف مدرسى الشركة ، يتعلمون ميكانيكا الصيانة والإصلاح والترميم وكذلك الحيل الخاصة بحفظ طائرات لوكهيد فى حالة جيدة للقتال .

وفى كل شهر ، يترك ٤٠٠ اخصائى جديد مدارس لوكهيد ليذهبوا إلى القواعد الجوية المتقدمة . وإن الدروس التى تلقوها على الطائرات نفسها ، وهى كتب الدراسة ، تطبق الآن على الطائرات الحربية الجبارة فى ساحات القتال الفعال . وإنهم يعملون اليوم للنصر — غير أن تدريبهم لذو فائدة دائمة . ففى نهاية الحرب سيحتلون مكانهم فى عصر الطيران المقبل . فلن تكتفى لوكهيد حينئذ ، كما لا تكتفى الآن ببناء الطائرات وحسب بل تعنى بإعدادها للطيران ، ولحفظها طائرة كذلك .

تذكر أن **Lockheed** رمز للسبق والتفوق

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U. S. A



انك لمدرك أن جودة الصنف بين يديك

والزيادة في ثمن إطارات "چنرال"

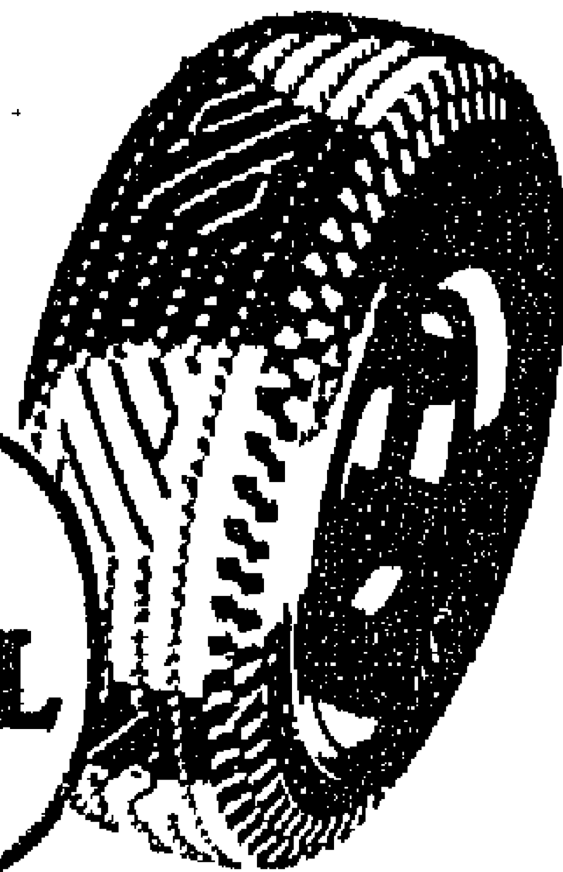
قد ردت على أصحاب السيارات دائماً

أكثر مما ينفقون

شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت

أكرون، اوهايو، الولايات المتحدة
تلغرافيا: چنتيروكو اكرونوهايو

مصانع في الولايات المتحدة، وكندا
ومكسيكو، وڤنزويلا، وشيلي، والبرتغال



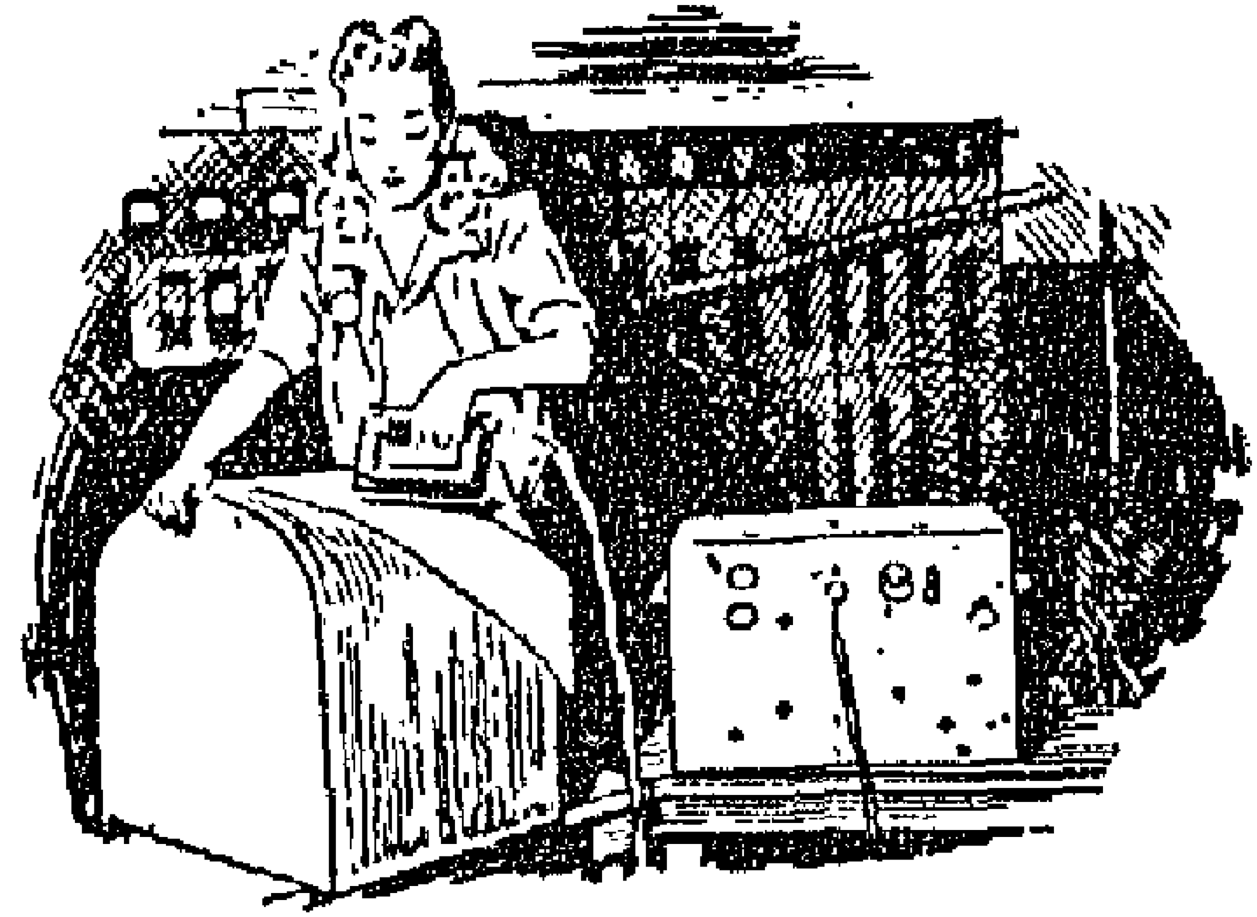


RCA تقـدم

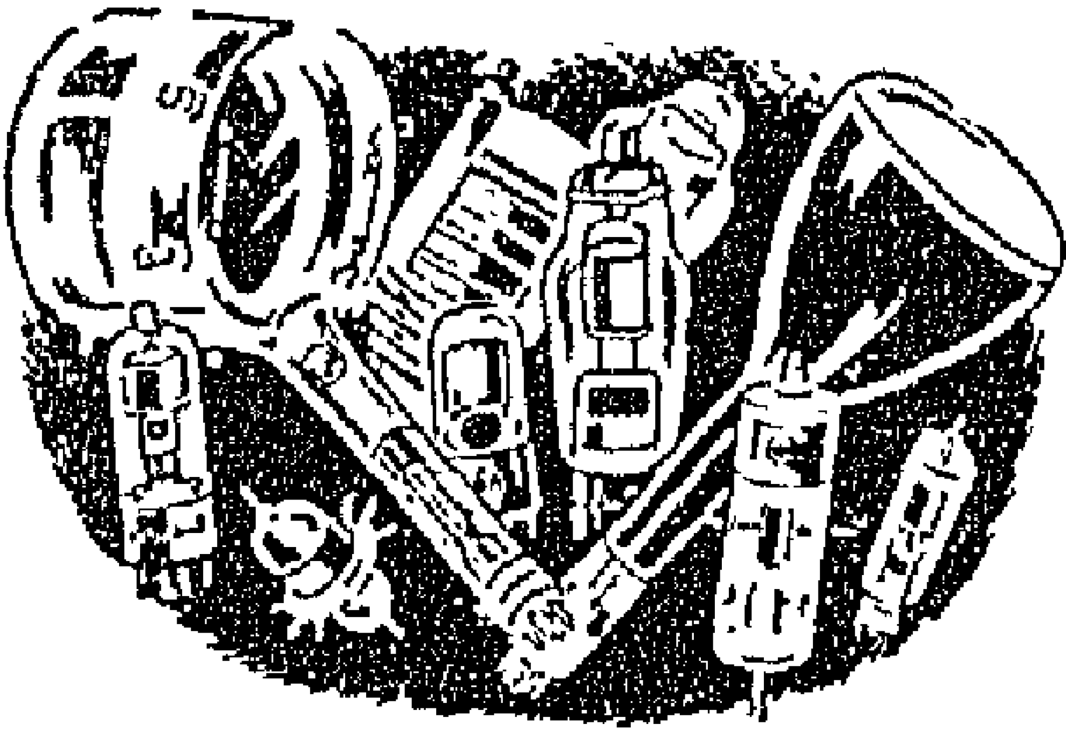
أحدث مبتكراتها



الحياكة بدون إبرة ولا فتلة :
إن هـذه الحائكة الاليكترونية الجديدة التى انتجتها RCA تستخدم الذبذبة اللاسلكية الفائقة الارتفاع لكى تدمج سويا العجائن المرنة التى تكيف بالحرارة والتى تدخـل فى صناعة معاطف الشتاء والبراشوت وبالونات الارصاد الجوية والغلافات اللازمة لرزم بعض انواع الطعام وحفظ الزيوت وشركة RCA المنقطعة الآن لخدمة أغراض الأمم المتحدة الحربية تباشر الابحاث للوصول إلى منتجات أكمل تفي بحاجات ما بعد الحرب



مكواة اليكترونية ؟— لا بل لاصق اليكتروني!
أنتجته RCA يدفع الطاقة الاليكترونية بين طبقات « الابلكاج » فيحمى الغراء ويربط طبقات الابلكاج بعضها ببعض وهو يساعد على بناء الطائرات المصنوعة من الخشب على جناح السرعة ويهيىء شتى التسهيلات لصناعة الخشب وسائر الصناعات المتصلة بها ·



معجزات السرعة والحساب : تقوم بها أنابيب RCA الاليكترونية التى تستطيع ان ترى وتسمع وتشم وتحسب وتلمس وتذوق وتتكلم وتتذكر . . . إن هـذه الأنابيب قد أحدثت انقلابا حقيقياً فى الانتاج الصناعى وهناك أنبوبة اليكترونية RCA لكل غرض !



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION · CAMDEN, N. J.

تتقدم القافلة فى الراديو .. تليفزيون .. صمامات .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات

الآلات القوية التي تقلب التربة

لو كان في المستطاع أن يشاد بذكر الآلات لبسالتها في القتال، لظفرت الجرارة بمهدة الأرض بذلك الذكر الممتاز مراراً كثيرة. فقد أنقذت هذه الآلات حياة كثيرين من جنود الأمم المتحدة، وذلك لأنها لم تتعثر مطلقاً في أداء عملها في المهام الحربية الحيوية وقد كسبت معارك برمتها من جراء سرعتها وتفانيها في شق الطرق للمدافع الضخمة... في دفع جبال إلى البحر... في إنشاء المطارات للقاذفات... في بناء مدارج للطائرات في حقول بث فيها العدو القنابل، وفي تحطيم أوكار العدو. وما هذا إلا قليل من التجارب التي أسرت الخيال، وظفرت بإعجاب الجميع.

إن من يصمم الطرق للمستقبل، يرى في هذا العمل الذي امتحنته الحرب مجالا أوسع لاستعمال ممهدة الأرض في أعمال البناء بعد الحرب. فقد أثبتت هذه الآلة أوفى إثبات صدق الاعتماد عليها، وتعدد نواحي فائدتها، وقدرتها على أداء أشق الأعمال المطلوبة من آلة. وستكون مستعدة لأعمال السلام الإنشائية التي تنتظرها

زحافات أليس تشالمرز تنقل أثقالا أكبر، بسرعة أعظم، ونفقة أقل

محرك ديزل ثنائي الأشواط:
شوط شغل لكل حركة من المكبس إلى أسفل اقتصادية، فيها تنقل القوة بسهولة.

القدرة:
قوة ١٣٢ حصاناً جراراً، تدير جنزيراً قويا يقبض بشدة على أي نوع من التربة.

عجلات الجنزير ذات الغطاء المحكم:
تحتاج العجلات الدائرة (السفلية) والثابتة (العلوية) إلى التزييت كل ٢٠٠ ساعة فقط. وفر كبير في ساعات العمل ووقت العامل وفي زيت التزييت

سهولة الإدارة:
إن أدواتها تجعل الإدارة سهلة حتى للعامل غير المتمرن.

أليس تشالمرز

ALLIS-CHALMERS

TRACTOR DIVISION, MILWAUKEE, U. S. A.

منتجو الآلات مضمونة منذ عام ١٨٤٦



آلة حرب من الدرجة الأولى

إنّ الرجال المحاربين الذين يعودون من ميادين الحرب يتحدثون عن معدات « كاتربيلار » ديزل بحرارة وإعجاب . فهناك « عندما يحتاجون إلى القوة العاملة يجعلون اعتمادهم على آلات « كاتربيلار » ديزل . وقد جسمت الحرب وأبرزت صفة الاعتماد على هذه الآلة المتينة القوية لتوليد القوة ، لأن فشلا واحداً في توليد القوة قد يزهق أرواحاً .

فعلى الطرق العامة في أثناء السلام ، وفي أعمال البناء ، وفي مخيمات قطع الأخشاب ، وحقول الزيت والمزارع ، امتحنت قدرة آلات ديزل كاتربيلار وصدق الاعتماد عليها بأشق الأعمال الممكنة .

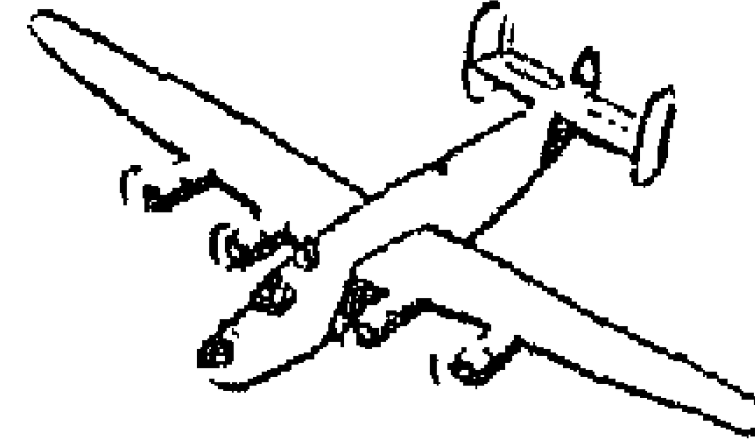
وحينما بحثت القوات المسلحة للأمم المتحدة عن مصدر مضمون للقوة كان علينا أن نسرع في إنتاج نفس الآلات التي امتحنت وأثبتت كفاءتها منذ سنين كثيرة .

وبعد الحرب ، سيكون أكبر إنتاج لجرارات كاتربيلار ديزل والممهدات الآلية والآلات والأجهزة الكهربائية ، في التاريخ كله مستعدا لمعالجة مهام لا تحصى ستجيء في أثر السلام . أما الآن ، فإن موردي « كاتربيلار » في كل مكان ، قد جهزوا ليقدموا الخدمة الفعالة لحفظ معدات « كاتربيلار » الحالية قائمة بعملها .

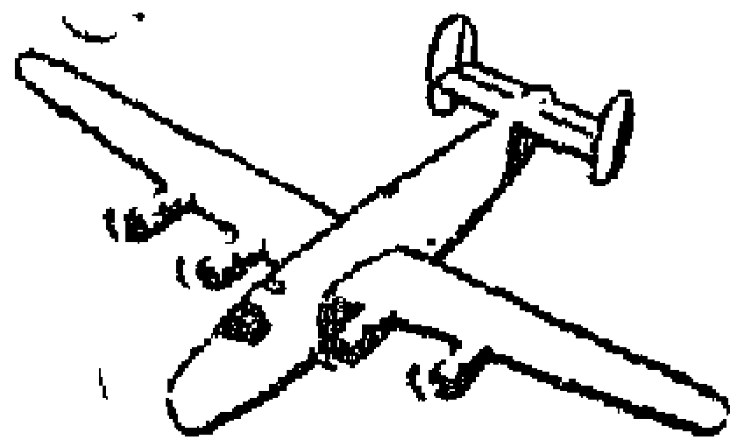
CATERPILLAR *DIESEL*

شركة جرارات كاتربيلار — بيوريا ، الينوى

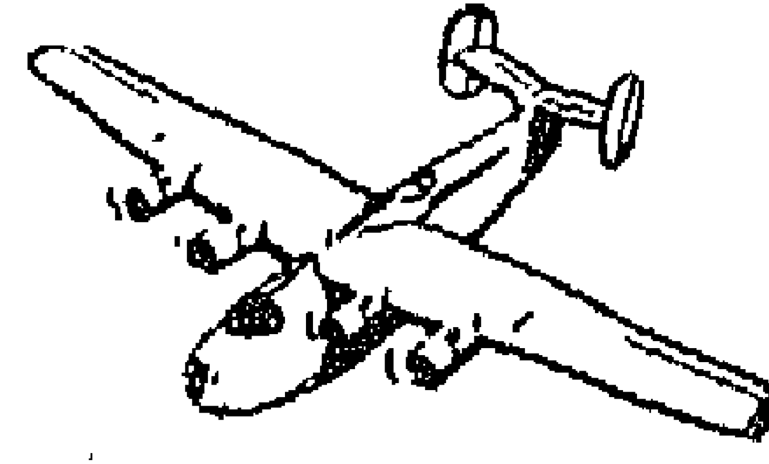
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



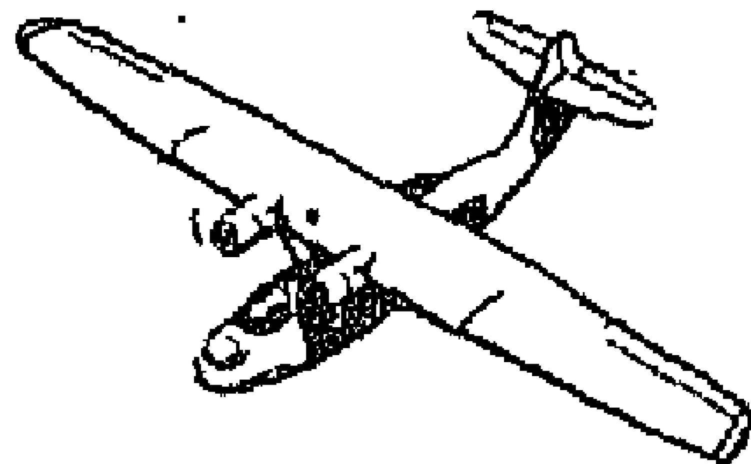
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



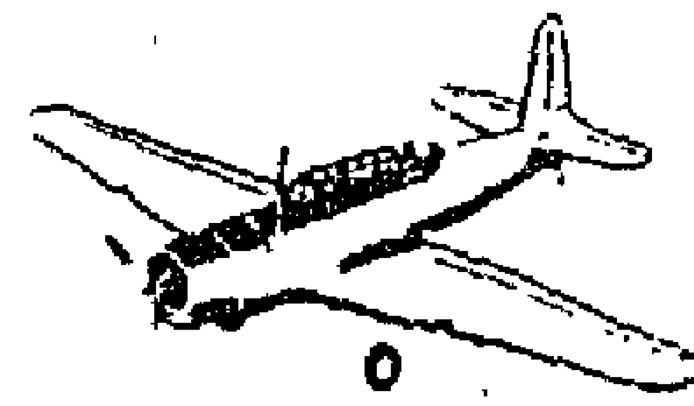
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



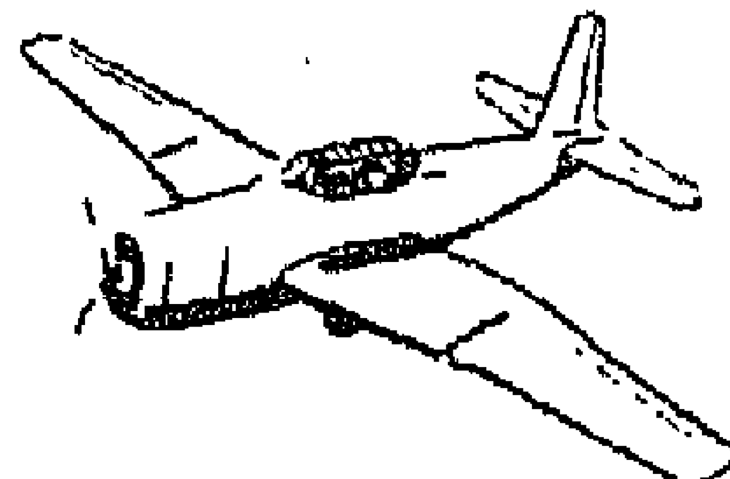
كورونادو — قاذفة داوريه



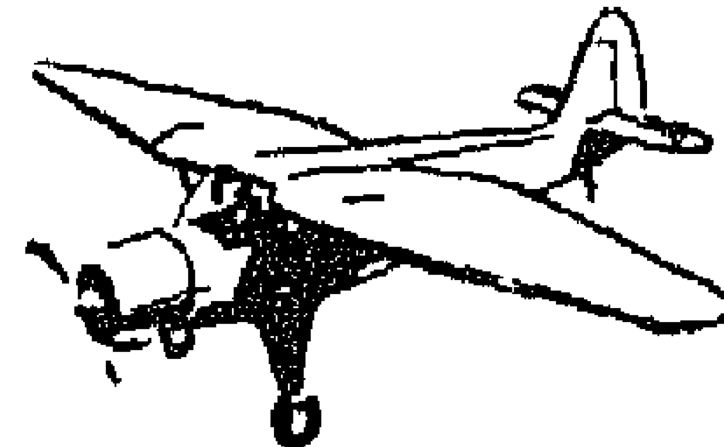
كاتالينا — قاذفة دورية



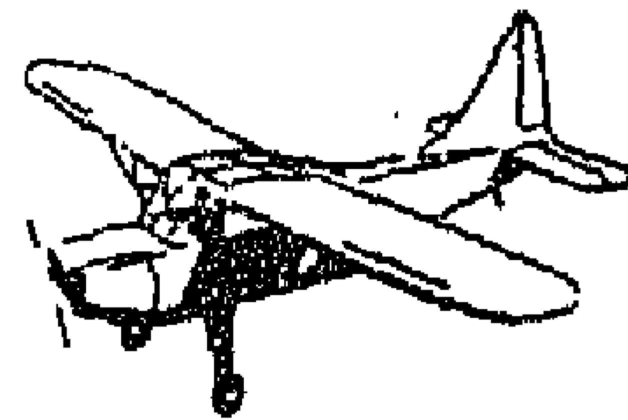
فاليانت — طائرة تدريب أساسيه



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



ستنيل — « الجيب » الطائر

حين نحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.

Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.

Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.

Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

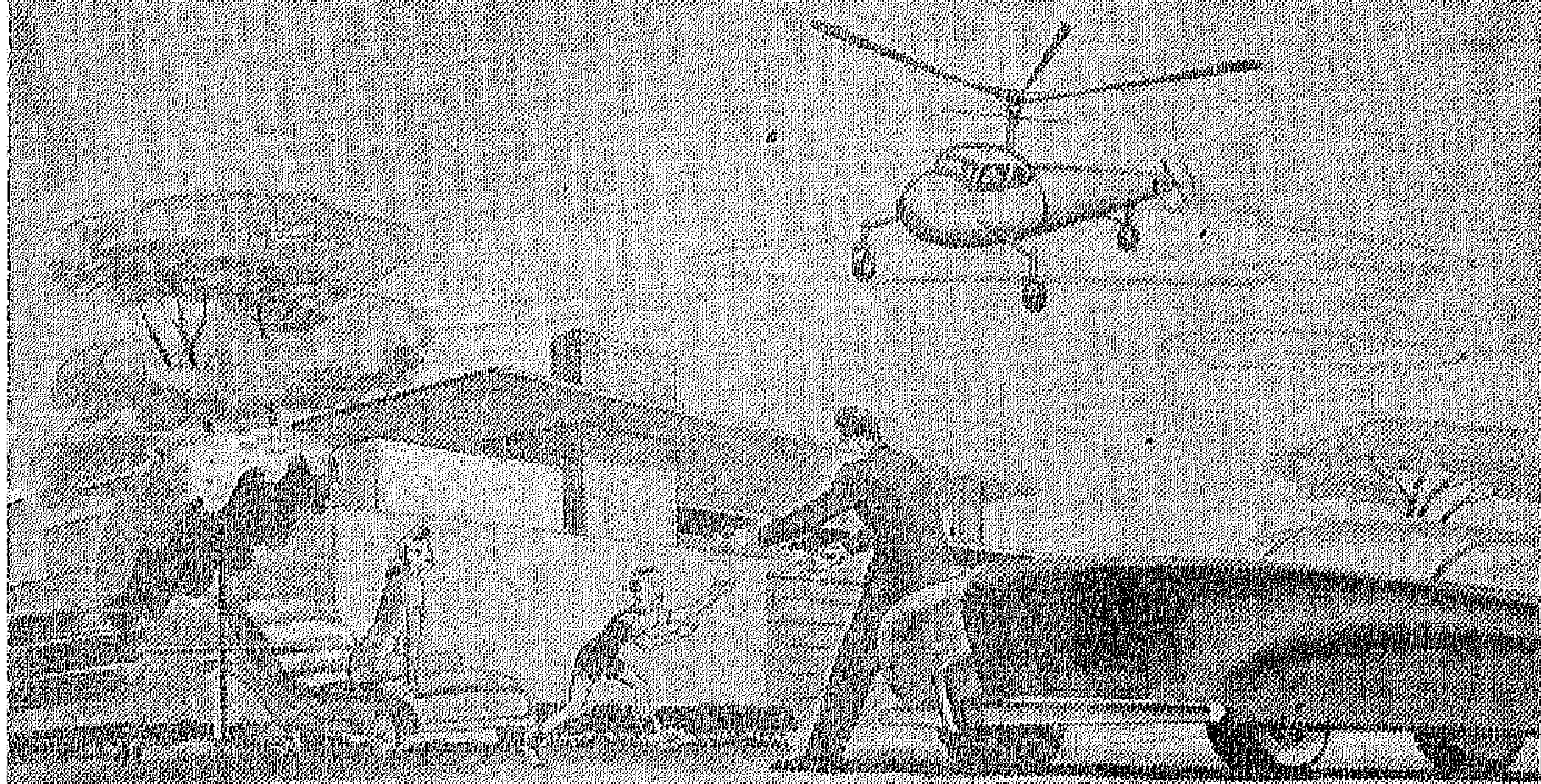
عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية

تطلع إلى

Firestone

فايرستون

في عالم ما بعد الحرب



لأجل منتجات تجعل

العيش أرغد وأسعد

فالحرب حمّى ، ولكنها — ككل الحمّيات — دليل على أن الجسم المحموم جسم حي يعمل بكل قواه ، وبحرارة فائقة ، لاستعادة توازنه بالتغلب على ما فيه من سموم وجراثيم خبيثة . أما أن الإنسان ، رغم كل ماخبره من ألم ، ما يزال عرضة لشتى الحمّيات — وأفظعها حمّى الحرب — فذلك لأن التوازن الدائم هو الكمال ، والكمال بعيد المنال ، ولكنه ليس بمستحيل على الإنسان .

وها هي إنسانية اليوم بعضها يشوى بحمّى الحرب ، في حين يعمل بعضها الآخر على نسج خلايا جديدة تقوم مقام التي التهمتها الحرب . فالهدم والبناء يسيران جنباً إلى جنب ، وحمّى السلم في العالم لا تقل حرارة عن حمّى الحرب .

أما تشعر ، وأنت تقلب صفحات هذه المجلة المتزنة، بأن حياة العالم الفكرية والقلبية والعملية تنساب من سطورها جداول وأنهاراً بين يديك ؟ فلا أنت بالغريب عن أحد في العالم ، ولا شيء في العالم بغريب عنك ، بل أنت واحد من أسرة كبيرة تدعى الإنسانية . وإذ ذاك ففي استطاعتك أن تفكر تفكيراً عالمياً ، وأن تشعر شعوراً عالمياً ، وأن تعمل لذاتك كما لو كنت تعمل للناس أجمعين . وهذه خطوة واسعة نحو التوازن العالمي الذي نمشي إليه بخطى ثابتة ، وإن كانت وئيدة ، وسندركه ولو استغرق السير الدهر كله . أو ليس الدهر كله للإنسان ؟

[بسكنتا — لبنان]

ميخائيل نعيمه

الحرب حمّى

ميخائيل نعيمة

مؤلف : « المراحل » ، « زاد المعاد » ، « جبران خليل جبران » وغيرها

الحمّى ليست داء ولكنها النذير بوجود الداء . وما من داء أصاب يوماً إنساناً إلا كان نتيجة لمخالفة بدرت منه — عن وعى أو عن غير وعى — لقانون التوازن الذى منه تتفرع وإليه تعود كل القوانين المنسوبة خطأً إلى الطبيعة .

وأما التوازن فهو السر كل السر فى الحياة ، والهدف الأبعد والأسمى للإنسان من وجوده . ومن صفاته أنه يتمم ذاته بذاته ، فما حاد عنه كائن حى إلا رده إليه . ودواؤه فى ذلك هو الألم الذى لولاه لما عرف الإنسان يوماً أن توازنه قد اختلّ .

فالأمراض بأنواعها ، من جسدية ونفسية ، ليست سوى الخلل الطارىء على التوازن فى أجساد الناس ونفوسهم . وللأمراض أعراض جمّة أبرزها الحمّى . فكما يصاب الجسم بحمّى التيفوئيد تصاب النفس بحمّى الغضب ، والبغض ، والحسد ، والولوع بالشهرة والجاه والسلطان ، وكل ما فى قلب الإنسان من شهوات وميول ، وفى فكره من وساوس وهواجس . وهذه الحمّيات ترتفع وتهبط على قدر ما يكون الخلل فادحاً أو طفيفاً . فإذا بلغ حدّ الخطر فى جسم الإنسانية ارتفعت الحمّى إلى درجة الحرب .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٣ قروش

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

نوفمبر ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع في خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع في ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية في أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع في البرازيل والبرتغال . والسويدية في السويد . وهذا هو العددُ الخامس عشر (الثالث من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزِّعت نسخهُ في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار من ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز، باقية الأثر
السنة الثانية نوفمبر ١٩٤٤ المجلد ٣ العدد ١٥

هل ضللنا الطريق إلى السلام؟

سياسة القوة — اتحاد عالمي

وليم هارد

لست دون أحد حرارةَ رغبةٍ في جهد دولي منظم نشيط يبذل في سبيل سلم دائمة، ولا أنا دون أحد اعترافاً بإخلاص من يتولون أمر السياسة الخارجية الأمريكية وصدق سريرتهم، أو احتراماً لهم، غير أني مع هذا بدأت أتساءل أتراهم أخطأوا الطريق إلى غايتهم السامية؟

إنه طريق «الدولة العظمى»، وقد قُطع من قبل مراراً، وأنا أذهب إلى أنه يبدأ في الأغلب بفكرة «مثالية»، ولكنه ينتهي دائماً بمعارك دموية. وسأصف مراحل ذلك — أصفها كما تبدت في الماضي الحديث، وكما بدأت تتبدى في الحاضر الذي يتكشف لعيوننا، وهي فيما أرى تفضي إلى خيبات جديدة، وإلى يأس جديد.

المرحلة الأولى
الدول العظمى تتولى أمر العالم «بتحالف سلمي» فيما بينها

يتجلى من تصريح الرئيس روزفلت في ١٥ من يونيه من هذا العام أنه في سعيه للسلام ينوي أن يعتمد في المحل الأول على القوة المادية المنظمة «لمجلس عالمي» تسيطر عليه «الدول العظمى»، والمفروض أنها بريطانيا، والاتحاد السوفييتي، والصين، والولايات المتحدة. ويزداد هذا وضوحاً من مقالين موعز بهما من مقر الرياسة بقلم فورست ديفيس وقد نشرتهما جريدة ستردای إيفننج بوست في عدديها الصادرين في ١٣ و ٣٠ مايو.

وفي هذين المقالين توصف «الدول

وليم هارد، كاتب سياسي، نشرت ترجمة حياته في المختار: عدد مارس ١٩٤٤ صفحة ٢

العظمى » بأنها « لجنة تنفيذية » يوكل إليها قمع كل « ما ينجم من نذر الحرب » وتكون بمثابة « بوليس السلام » . ويقول المستر ديفيس أن الرئيس « يؤثر هذا الوصف » ، أما سائر أمم العالم — وهى نحو ستين — فهى « الجمهور » ، وتكون « الدول العظمى » الأربع التى عينت نفسها هى هذا « الشرطى » .

وهكذا يولد هذا التحالف الرباعى فى القرن العشرين ، وما هو إلا صورة من التحالف الرباعى فى القرن التاسع عشر .

ففى سنة ١٨١٤ كانت الدول الكبرى المتحالفة ضد نابليون على وشك الانتصار على الدولة التى ظلت خمسة وعشرين عاماً خطراً عسكريا عضالا يهدد العالم — أى فرنسا — وعلى هذا اجتمعت هذه الدول فى شومون فى مؤتمر سلام ، وكانت تعرف كل ما نعرف من العواطف المخلصة والعبارات السامية ، وقالت إنها تنوى « أن توثق الأواصر التى تربط الحلفاء » و « أن تمنع الغزو الذى جر الخراب على العالم عدة سنوات » و « أن تحتفظ ، فى وجه كل عدوان ، بالنظام الذى سيكون النتيجة السعيدة لجهودها » .

وهكذا ولد — لحياة مقررة لعشرين عاماً مع النص على تجديدها فيما بعد — تحالف القرن التاسع عشر الرباعى السلمى المؤلف من روسيا ، وبروسيا ، والنمسا وبريطانيا ، (كانت بروسيا فى ذلك الوقت فى فريق المنتصرين فكانت تعد رسمياً « أمة محبة للسلام ») .

وفى سنة ١٨١٤ احتج كثير من الدول الصغرى — ولاسيما السويد — على إقصائها عن الاحتكار الذى تولته الدول العظمى ، وكذلك اليوم يبدى كثير من الدول الصغرى — فى كل من أوربا وأمريكا اللاتينية — امتعاضاً عميقاً مما ينتوى الهبوط بها إليه من مراتب الضعف والعجز بإنشاء «مجلس الحرب » الذى يقترحه الرئيس . بل لقد أذاع وزير الخارجية فى الحكومة الهولندية بياناً على الجمهور بذلك ، وبعث وزير خارجية البرازيل ببرقية حادة فى هذا الموضوع إلى وزارة خارجية الولايات المتحدة . وهكذا تبدو — دائماً — تلك الهوة بين الأمم التى يؤدى إليها لا محالة « مبدأ الدول العظمى » .

والدول العظمى تحاول دائماً أن تلقى جسراً على تلك الهوة لاجتيازها وذلك بالإيماءة .

ففى سنة ١٨١٥ كانت الإيماءة هى « الحلف المقدس » ، وكان قيصر روسيا ألكسندر ، هو الذى ابتدع وثيقة الحلف

المقدس ، فوقعتها كل دولة فى قارة أوربا ما عدا البابا والسلطان (تركيا) . وقد تعهد بمقتضاها الموقعون عليها بأن «يكون رائدهم الوحيد مبادىء الدين : العدل والإحسان والسلام » ، حتى لقد كتب كثيرون من الأمريكيين « المثاليين » إلى عاهل روسيا يمجدونه ويحيونه ويصفونه بأنه منقذ العالم.

على أن هذا الحلف المقدس لم يجتمع قط لأى عمل ، وظلت الدول العظمى تباشر العمل بنفسها كما كان الحال من قبل .

وفى سنة ١٩١٩ لما ألفت عصبة الأمم كانت الإيماءة هى جمعية العصبة . وإذا كانت الدول العظمى قد سيطرت على مجلس العصبة ، فإن كل دولة صغيرة كانت تستطيع فى جمعية العصبة أن تتكلم كما تشاء فى أية مسألة عالمية أو فى كل مسألة عالمية ، مرة واحدة كل سنة على الأقل ، فى المقر الدائم للعصبة بجنيف بسويسرا .

والإيماءة فى الوقت الحاضر هى « الأمم المتحدة» ، وأظن أن من الإنصاف أن أقول إن الرئيس ينوى أن يمنح الأمم المتحدة سلطة أقل من السلطة التى خولتها جمعية العصبة . فقد روى المستر ديفيس فى جريدة ستردای إيفننج بوست أن الرئيس لا يرى أن يكون للأمم المتحدة أى مقر دائم فى أى مكان، ولا يعتقد أن من الضرورى أن تكون لها دورات انعقاد منتظمة ، ولها أن تجتمع فى فترات غير معروفة أو منتظمة ، وفى اثناء ذلك تظل الدول العظمى — بقواتها البرية والبحرية والجوية المشتركة — هى «الشرطى» . ويقول المستر ديفيس إن الرئيس هو «اللسان المعبر عن نظرية الدول العظمى الواقعية »

وهكذا نهمل ١٣٠ سنة من التجارب المريرة ، ونبدأ مرة أخرى من حيث بدأنا فى سنة ١٨١٤ ، « بنظرية الدول العظمى » مستقرة على السرج وأمامها الطريق تختاره . أما المرحلة الثانية من الطريق فتأتى تلو الأولى فوراً .

المرحلة الثانية
تحالف الدول العظمى ينتهى "بمناطق نفوذ"

كان فرانك نوكس وزير البحرية السابق فى حكومة الولايات المتحدة قد اقترح فى العام الماضى أن تقتسم بريطانيا والولايات المتحدة بحار العالم ، فيتولى الأسطول البريطانى حراسة المحيط الهندى والبحر الأبيض المتوسط والمنطقة الشرقية من المحيط الأطلسى ، ويتولى الأسطول الأمريكى حراسة المنطقة الغربية من المحيط الأطلسى والمحيط الهادى كله ، وبذلك يكون لكل من الدولتين « منطقتها »

ويروى فورست ديفيس أن الرئيس اقترح

وهو فى طهران أن تكون قناة كيل فى ألمانيا بين البلطيق وبحر الشمال « ولاية حرة » تدير سياستها الخارجية الأمم المتحدة أو إحدى الدول العظمى . وهذه الدولة هى الاتحاد السوفييتى ، فإنها هى الدولة العظمى الوحيدة فى البلطيق . ويقول المستر ديفيس إن ستالين عدّها فكرة حسنة جداً

وقد وسع هذه الفكرة إرنست لندلى — وهو صحفى حسن الاطلاع ووثيق الصلة بالرئيس — فقال إن قيام الروس بحراسة بحر البلطيق كله « خليق أن يكون متسقاً تماماً مع نظام الحراسة البوليسية الأمريكى الإنجليزى » .

وبولندة والسويد من دول البلطيق ، فإذا تحولت المحالفة إلى مناطق ، كان مؤدى ذلك عندها أن شواطئهما تكون تحت حراسة الاتحاد السوفييتى وحده ، أى أنهما تكونان داخلتين فى منطقة اتحاد السوفييت .

وما زال ولتر ليبمان أكبر داعية صحفى فى أمريكا إلى تحالف الدول العظمى ، فهو لهذا ، فى كتابه الجديد القيم(*) ، أكبر داعية صحفى فى أمريكا « لمناطق النفوذ » أو « مناطق السلامة » . وقد قسم المستر ليبمان العـــالم إلى « جماعة الأطلسى » « والمدار الروسى » و« النظام الاستراتيجى الصينى » ، وقد اضطر إلى التصرف فى الدول الصغيرة بغير احتفال شأن كل مبتكر للمناطق والمدارات .

فأما سويسرا فهو يقذف بها على « جماعة الأطلسى » وإن كان محور السياسة السويسرية هو « الحياد » والوقوف بمعزل عن كل الجماعات الدولية الخاصة . وأما المجر فيهبها للمدار الروسى « وإن كان كل عنصر له قيمة وأثر فى المجر يرتد فزعاً من روسيا . وأما سيام فيسلمها إلى « المنطقة الاستراتيجية الصينية » والسياميون يمقتون الصينيين الذين كانوا فيما مضى سادتهم السياسيين ، والذين كانوا حديثاً — على ما يرى السياميون — يستغلونهم اقتصاديا . فالمراد بسيام أن تكون مجرد لبنة فى جدار « السلامة » حول الصين لأن الصين دولة عظمى .

وليس المستر ليبمان وحده على هذا الرأى ، فإن كثيرين غيره من الكتاب والسياسيين يذهبون مذهبه فى معاملة الدول الصغرى على هذا النحو .

على أن الدول المقصية عن التحالف الرباعى الجديد هى الكثرة الغالبة من الجنس الإنسانى ، فهل يكون إخضاعها

(*) انظر خلاصة « الولايات المتحدة وغاياتها من الحرب » بقلم ولتر ليبمان فى باب الكتب فى هذا العدد صفحة ١٠٥

— جملة — بسيطرة حلف من الدول العظمى متمشياً مع روح أمريكا ؟ ثم أليس أبعد من هذا عن روح أمريكا، إخضاع هذه الدول — فرادى — لسيطرة دولة كبرى معينة ؟ أليس هذا هو الذى أنكرته أمريكا على نفسها وأبته فى نصف القارة الغربى ؟ ألا تكون الولايات المتحدة الآن مشتركة فى نصف القارة الشرقى ، فى الإغضاء عن الاستعمارية التى استنكرتها وأبتها فى النصف الغربى ؟

ذلك ما سنراه فى المرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة
كل دولة كبرى تشرع فى الأخذ بأساليب القوة فى منطقتها

يقول المستر ديفيس إن الرئيس ينشد « قرنا من السلم » جديداً كالقرن التاسع عشر ، ولكن هل كان هذا سلماً ؟ كلا ، لم يكن .

إن الحلف السلمى الذى تألف من الدول المنتصرة على نابليون فى سنة ١٨١٤ سرعان ما ضم إليه فرنسا . وكانت فرنسا دولة عظمى ، وما لبثت كل دولة عظمى أن صارت لها منطقتها .

فكانت إيطاليا داخلة فى منطقة النمسا ، وفى سنة ١٨٢١ غزت النمسا إيطاليا وأقامت فيها بالقوة نظام حكم على هواها .

وكانت إسبانيا داخلة فى منطقة فرنسا ، وفى سنة ١٨٢٣ غزت فرنسا اسبانيا وقضت بالقوة على نظام حكم لم تكن راضية عنه ، وأحلت محله نظاما يرضيها .

وهكذا بدأ قرن « السلام » ، وأرى قرننا الجديد من السلام يبدأ بداية مشابهة لتلك فى منطقة الاتحاد السوفييتى ، ولا أريد أن أقول شيئاً فى بولندة وولايات البلطيق أو رومانيا ، فإن فنلندة تكفى .

إن الحرب الحالية بين الاتحاد السوفييتى وفنلندة ليست إلا استمراراً للحرب التى قامت فى سنة ١٩٣٩ حين هاجم الاتحاد السوفييتى فنلندة منتهكا حرمة المعاهدات والعهود المتكررة ، ولهذا طرد من عصبة الأمم .

فماذا كانت سياسة أمريكا يومئذ ؟ لقد أعلنها الرئيس فقال إن فنلندة « ديمقراطية حرة تتطلع إلى المستقبل » ، وقال إن الاتحاد السوفييتى « هو دكتاتورية مطلقة كأى دكتاتورية أخرى فى العالم » ، وقال إن « العطف الأمريكى يبلغ ٩٨ فى المئة على الفنلنديين فى مجهودهم لمقاومة الغزو » .

ولكن ماذا يقول الآن ؟ إن المستر ديفيس يحدثنا رسميا فيقول .

« لو كان المستر روزفلت رئيس جمهورية فنلندة لنصح للشعب الفنلندى أن

يصالح روسيا على شروطها وأن يسرح قواته المسلحة وأن يعتمد على اعتدال موسكو »

فى سنة ١٩٤٠ يستنكر الرئيس عدوان روسـيا ، وكان لايزال يعمل فى نطاق مبادىء النظام الأمريكى ، وفى سنة ١٩٤٤ علق جناحه بمبـادىء نظام « التحالف » و « المناطق » ، فتطوع لقبول العـدوان الروسى الذى يخففـه — إذا كان شىء يخففه — حسن نية المعتدى .

لم يكن من عادة الجمهورية الأمريكيـة أن تنصب نفسها فى العالم لمجاهدة المعتدين ، ولا كانت عادتها ، من ناحيـة أخرى أن تمنح المعتدين بركتها الرسمية، فإن هذا جديد، وهو النتيجة المباشرة لنظرية الدول العظمى. وقد شرعنا الآن نتحـدث « بلسان دولة عظمى إلى الدول الأخرى» ورحنا نفرض، بل نقول ، إن العالم خليق أن يفوز بسلام عالمى إذا حرصنا على تأييد كل دولة عظمى فى تقرير السلام ولو بالحرب فى منطقتها الخاصة .

ولكننا ونحن على طريق الدول العظمى لا نلبث الآن أن نصل إلى .

المرحلة الرابعة
المناطق تتنازع وتتصادم

من ترى سـيضع خطوط الحدود بين مناطق الدول العظمى ؟ لقـد حاول المستر ليمان ذلك ، وأنا أعود إلى النقل عنه لأنه يحـاول فى صراحة وإخلاص أن يفعـل ما يحاول كثيرون من ساسة وشنطون أن يفعلوه خفية ومن طريق غير مباشر .

والمستر ليمان أمريكى ، فهو يضم معظم العـالم إلى « جماعة الأطلسى » التى تسيطر عليها الشعوب الإنجليزية اللغة ، بل إنه ليضم اليونان إلى هذه « الجماعة » .

ولشد ما أتمنى أن أسـتمع إلى حديث بين المستر ليمان وستالين يحاول فيه المستر ليمان أن يقنع المستر سـتالين بأن اليونان التى تبعد عن روسيا ٣٠٠ ميل وعن المحيط الأطلسى ١٥٠٠ ميـل ينبغى أن تكون داخلة فى « جماعة الأطلسى » لا فى « المدار الروسى » .

ويقترح المسـتر ليمان أيضاً أن تضاف ألمـانيا إلى « جماعة الأطلسى » بعـد أن تكف عن حروب العدوان . وليس مما يعقل أو يصدق أن يوافق أى حاكم روسى فى سلام على أن يسلم ألمانيا إلى منطقة يقع مركزها خارج القـارة الأوربية ، سواء أكان هذا المركز وشنطون أم لندن .

وعلة العلل هى فكـرة « المناطق » وقد كان تصادم السـلطات بين المناطق ، وما تبذله كل منطقـة من الجهود « للتوسع » هو الذى جعل القرن التاسع عشر يحفـل

بالحروب ، حتى صار فى النهاية أكبر قرن استعمارى فى التاريخ .

وسأكتفى بذكر طائفة قليلة من الرءوس فى « عصر الهدوء » ، فى القرن التاسع عشر الذى يشيد به كثيرون من الكتاب ويعجبون « بالواقعية » فى التسوية التى عقدتها الدول الكبرى فى شومون وفينا بعد سقوط نابليون .

فقد خاضت روسيا ثلاث حروب مع تركيا للتوسع . ورأت بريطانيا وفرنسا أن روسياتسرف فى التوسع فخاضتا حرب القرم من سنة ١٨٥٤ إلى ١٨٥٦ لوقف زحف روسيا ، فاتجهت روسيا إلى آسيا وشنت ثلاث حروب على إيران للتوسع ، وفتحت كل الإمارات الإسلامية القديمة الغاصة فى آسيا الوسطى « قلب العالم » ، ومدت حدودها إلى ماوراء ذلك شرقا عبر سيبريا . وتغلبت آخر الأمر على مقاومة الصين واستقرت فى فلاديفوستك حيث لا يفصلها إلا بحر ضيق عن اليابان التى كانت لا تزال راقدة .

وخاضت بريطانيا عدة حروب فى إفريقية من بينها أربع حروب شنتها على أشانتى على الساحل الذهبى ، وفتحت واحتلت جمهوريات البوير ومناطق إفريقية أخرى كثيرة ، وحاربت فى آسيا إيران مرة وأفغانستان مرتين ، واشتبكت فى حروب عدة ضد الإمارات الوطنية فى الهند ، وفى ثلاث حروب ضد بورما ، وحربين ضد الصين ، فى إحداهما كانت حليفة لفرنسا ، وفى الأخرى كانت وحدها . وأخيراً رسخت قدمها فى شنجهاى حيث أكرر أنه لم يكن يفصلها سوى بحر ضيق عن اليابان التى كانت يومئذ نائمة .

واستيقظت اليابان متأخرة وتنبهت إلى رسالة الدولة العظمى ، ومرت عشرات من السنين وهى ترى وكأنها فى حلم ، الروسيين والبريطانيين والفرنسيين على الشواطئ الصينية ، ثم قامت هى أيضاً فى ١٨٩٤ تهاجم الصين وتسلبها أرضها .

واستولت فرنسا بين سنتى ١٨١٤ و ١٩١٤ على الجزائر ومراكش وتونس ورقعة كبيرة من إفريقية الغربية وكثيراً من إفريقية الاستوائية ، والهند الصينية — استولت عليها كلها حرباً التماساً لمنطقة لها .

وفى أوربا رأت فرنسا أن للنمسا منطقة تتجاوز ما ينبغى أن يكون لها فى إيطاليا ، فجعلت ضلعها مع الإيطاليين وساعدتهم فى عدة معارك على طرد النمسويين من الأرض الإيطالية .

وبعد أن نال الإيطاليون حريتهم ، هاجموا الحبشة (قبل عهد موسولينى بزمان

طويل) وأخذوا أرتريا ، وهاجموا الترك وأخذوا طرابلس ، فليست الفاشية هى التى ابتدعت فلسفة الدولة العظمى ، وإنما استمدت منها وأخذت عنها ، وكانت حجة موسولينى الكبرى لدى الإيطاليين أنه سيجعل منهم دولة عظمى حقا .

ورأت بروسيا أن للنمسا منطقة أكبر مما ينبغى فى ألمانيا فطردت النمسا من ألمانيا حرباً فى سنة ١٨٦٦

وحينئذ رأت فرنسا أن لبروسيا منطقة تجاوز الحد اللازم فى ألمانيا فحاورت بروسيا وداورتها واستطاعت بروسيا فى سنة ١٨٧٠ أن تبذها فى المناورة حتى أغرت فرنسا بإعلان الحرب عليها ، وانتصرت بروسيا وانتزعت الألزاس واللورين ، ثم شرعت تستحوذ على المستعمرات فى إفريقية وتنال امتيازات استعمارية فى الصين ، وقد استيقظت بروسيا ، كاليابان ، متأخرة ولكنها تتلهب جوعاً .

ولحقت أكبر خسارة صافية بالنمسا ، ففقدت منطقتها القديمة فى إيطاليا وفى ألمانيا فالتمست لها منطقة جديدة فى الجنوب ، فى البلقان فى اتجاه تركيا . وفى سنة ١٩٠٨ ضمت ولايتى البوسنه والهرسك التركيتين ، وفى سنة ١٩١٤ أشعلت عود الثقاب فيما نسميه الآن الحرب العالمية الأولى بأن هاجمت الصرب التى كانت ولاية تركية فيما مضى ، ومن البدائه المقررة فى العقول أن الحرب العالمية الثانية ليست إلا استئنافاً للحرب العالمية الأولى .

المرحلة الخامسة
تصادم المناطق التالى

يعد سمنر ولز من أعظم الساسة المطلعين الذين أنجبتهم الولايات المتحدة ، وهو يقول: « ما من محالفة عسكرية تدوم ، فإن كل فريق فيها لا يلبث أنه يحاور الفريق الآخر فى سبيل الأهداف الفردية الخاصة » .

ومن بين الدول العظمى الأربع فى الوقت الحاضر واحدة هى الصين وهى أسيوية صرفاً ، وثانية هى روسيا وشطر عظيم منها أسيوى ، وثمان من الجمهوريات التى يتألف منها الاتحاد السوفييتى تقع فى آسيا كلها ، وتاسعة معظمها فى أسيا .

والأوربيون فى الاتحاد السوفييتى هم الأوربيون الوحيدون الذين يرحبون بالأسيويين ويعدونهم أنداداً مساوين لهم تماماً اجتماعياً وثقافياً وسياسياً ، والمادة الأولى فى تصريحات ستالين عن غايات الحرب هى « إلغاء عدم المساواة بين الأجناس » .

وفى ٣١ أكتوبر ١٩٣٩ ألقى مولوتوف وزير خارجية ستالين ، خطبة ، وكان ذلك فى أيام تحالف ستالين مع هتلر .

وقد قال مولوتوف إن بريطانيا وفرنسا دبرتا الحرب وأثارتاها على هتلر مخافة أن تفقدا مستعمراتهما ، وقال إن الحرب إنما أثارها فى الحقيقة توسيع مناطق بريطانيا وفرنسا إلى إفريقية وآسيا .

وطالما أبدأ وأعاد الناطقون بلسان الصين فى تحرير الأسيويين جميعاً من الحكم الأوربى وهذا طلب ضد بريطانيا وفرنسا ، ولكنه ليس فى الحقيقة ضد الاتحاد السوفييتى فإن الحكم السوفييتى ليس حكما أوربياً وإنما هو حكم تشترك فيه الأجناس كلها على قدم المساواه ، فالمنطقة الأسيوية السوفيتية ، تعد أسيوية الصبغة .

ثم ماذا ؟ إذا ظل نظام المناطق يدور كما هو دائر الآن فإن النتيجة تكون :

أن تحاول المنطقة الصينية الأسيوية والمنطقة السوفيتية الأسيوية أن تطردا المنطقتين البريطانية والفرنسية من آسيا ، وستبدآن أولا بالإقناع ثم بالتهديد ، ثم بالأعمال . وستنسى المحالفات التى أثمرتها هذه الحرب كل النسيان ، كما نسيت المحالفات التى استدعتها الحرب ضد نابليون ، وسيقضى على الاستعمار البريطانى والفرنسى فى آسيا لا تدريجياً ، ولا على وجه إنشائى ، ولا بوسيلة إنسانية ، بل فجأة ، وبأسلوب هدام وحشى فى أثناء أهوال حرب عالمية ثالثة .

ولما كان نظام المناطق لا يزال مستمراً فإنه سيحدث بعد ذلك أن تصطدم المنطقتان الأسيويتان الصينية والروسية ، وتمزقا آسيا المحررة إربا إربا .

والعياذ بالله ! أليس ثم وسيلة خير من هذه ليحيا الناس على الأرض .

هل ثم بديل من طريق الدول العظمى ؟

أنا أرى أن هناك بديلا ، وأن على الولايات المتحدة أن تسلكه وتمضى فيه بقوة .

وأنا أرى أن وصف السياسة التقليدية للولايات المتحدة بأنها « سياسة عزلة » يمسخ حقيقتها مسخاً ، فقد جرت تقاليدنا — باستثناءات حديثة سيئة — بأن نقيم العلاقات السياسية والتجارية مع كل دولة على ظهر الكرة وجرت تقاليدنا — دائماً تقريباً — بأن نتبع مبدأ وشنطون وجفرسون بأن تكون صداقتنا على استواء مع كل الدول كبراها وصغراها وبعيدها والقريب ، ومشبهنا منها وغير المشبه ، وكانت الكلمات الأساسية فى هذا المبدأ هى « الصداقة مع التكافؤ » و « جميع الدول » .

ولم يكن من الانتهاك لسياستنا التقليدية ، بل من الحرص عليها والتوخى لها ، أننا فى مؤتمرات اتحاد الجامعة الأمريكية فى النصف

الغربى من الـكرة ، وفى مؤتمرات مكتب العمل الدولى العالمى امتزجنا واتصلنا على قدم المساواة الودية بأمم ديموقراطية وأمم ديكتاتورية ، وأمم ضخمة الشأن وأخرى ضئيلته ، وأمم من البيض والسمر والسود ، من غير أن يكون هناك مجلس أعلى للقـلة ذات البأس ، ومجلس أدنى للـكثرة التى لا حول لها ولا قوة .

وأنا أذهب إلى أن غريزتنا الأمريكية صادقة ، فإن الجنس الإنسانى يكون أنانياً صارخ الأنانيـة إذا انقسم إلى مناطق ، أو مدارات ، أو تمزق فرقاً ، ولـكنه يحلق فوق الأنانية ، ويستطيع أن يتجرد عنها حين يحشد بجملته .

ولهـذا أرى أن الغاية الأولى للولايات المتحدة ينبغى أن تكون السعى لإقامة اتحاد عالمى من جميع الأمم ، دورته دائمة فى كل وقت ، لدرس مسائل العـالم من سياسية واقتصادية ومالية وعسكرية ، وأنا مقتنع بأن مثل هذا الاتحاد الذى ينظم لإبداء الرأى العالمى فى الطوارىء العالمية ، ويستمد القوة والهمة من واجباته اليومية فى خدمة العالم ، يستطيع أن يكون أقوى حصن يمكن بناؤه ضـد الحرب ، وسأحاول أن أصف ما ينبغى أن يُخوَّل من سلطات ، وما يرجى أن يكون له من ثمرات فى مقال تال .

وقد أسلفت أن الغاية الأولى ينبغى أن تـكون إقامة اتحاد عالمى من الأمم جمعاء ، ولـكنى لا أحب أن يظن بى أنى أذهب إلى أن القوة ، كقوة ، يمكن أن تلغى ، فلا شك أن الأمم القوية ستسلك — ولا بد أن تسلك — طرقاً خاصـة ، وتعقد اتفاقات خاصة ، ولـكن هذا الاستعمال لقوة الدول العظمى ينبغى أن لا يكون له إلا المحـل الثانى فى أذهاننا ، فإن تاريخ العالم فى المئة والثلاثين سنة الأخيرة يعلمنا أنه متى صارت قوة الدول العظمى فى المحل الأول ، وأصبحت هى العماد الرئيسى الوحيد للسلم ، فإن العـالم يغرق فى بحر من الدماء .

والخلاصة :

لقد أخذ العـالم بنظرية الدول العظمى « الواقعية » ، فأفضت به إلى خراب « واقعى » ، أفليس واجبنا الآن أن نحاول جهد الطاقة أن نقيم البديل الوحيد الذى يمكن تصوره ؟



أحترم الإيمان ، ولـكن الشك هو طريق التربية . [ولسون مزنر]

الشك أول مراتب اليقين . [حكمة سائرة]

صفحات من مذكرات الأطباء

الخيال أندر العقاقير

[دعت مجلة ريدرز دايجست الأطباء — عن طريق المجلات الطبية — أن يكتبوا إليها بما جربوا من تأثير الخيال وفهم الطبيعة الإنسانية، وقد ظهرت المختارات الأولى من مئات الأجوبة التي وردت في عدد المختار أغسطس ١٩٤٤]

كان بين مرضى المرحوم الدكتور موريس روبل سيدة بارعة الجمال إلا أنها مدللة، وكان يعتريها صداع دوري يجهدها وينهكها فتعتكف في حجرتها حيث يظل زوجها يحوم حولها وهو قلق جزع. ولما عجز الفحص الدقيق الشامل عن الكشف عن أي سبب جثماني لهذا الصداع، اقتنع الدكتور روبل بأن رغبة المريضة في أن ترى زوجها لا يشغل إلا بها هي السبب الأكبر، فأشار عليها بالراحة شهراً، واختار لها أفتن ممرضة يعرفها.

وقال الدكتور روبل للزوجة بأنه لما كانت الأجهزة العصبية الدقيقة المرهفة أقدر على استعادة الصلاح والصحة مع السكون التام، فإن الممرضة ستكون معظم الوقت خارج الحجرة، وأقصى الزوج عن الغرفة أيضاً، ثم اقترح أن تلعب الممرضة الورق مع الزوج لتسليته ونفي الضجر الخليق أن يعتريه إذا هو قضى الليل وحده. وسرعان ما تبينت الزوجة وهي في حجرتها أن زوجها يستمتع بهذا اللعب، فتحسنت حالتها بسرعة لم يسبق لها نظير، وأصرت على أنها بخير ولا حاجة بها إلى ممرضة، ولكن الطبيب أصر على ما أشار به من الراحة شهراً، وفي ختامه نهضت مشرقة الديباجة واثقة أنها لن تحتاج مرة أخرى إلى ممرضة، ولم يعاودها الصداع بعد ذلك.

[شيكاجو — ولاية إلينوى]

وصف أحد مساعدي الدكتور تشارلز مايو ما يشير به لعلاج الحالات الميؤوس منها فقال: « ينبغي أن يكون العلاج بسيطاً مأنوساً يفهمه المريض أتم فهم، وأن يؤوب المريض إلى بيته ببارقة من الأمل في قلبه. فالمريض الذي يقبل على الطبيب في يناير فيجد أن داءه عضال لا برء منه، وأنه سيقضي نحبه على التحقيق في الربيع، يقول له الدكتور تشارلز مايو: إن البطيخ الذي ينضج في أخريات الصيف سينفعه جداً،

وبهذا يتيح للمريض أن يتطلع إلى المقبل من أيامه وأن يجد سعادة فى أيامه الأخيرة

[روتشستر — ولاية مينسوتا]

لما كنت طبيباً حديثاً أعمل مع المرحوم الدكتور جورج وشنطون هوبى طبيب الأمراض العصبية المشهور ، دخل المستشفى رجل من كبار رجال الأعمال لفحصه فحصاً كاملا دقيقاً ، وقد دل الفحص على أنه ليس ثم مرض عضوى ، وأن كل ما هنالك أنه على حافة الانهيار العصبى لشدة وطأة عمله.

وقد طلب بعد الفحص علاجاً يمكنه من استئناف عمله الخاطف، فما راعه إلا أن الدكتور هوبى أشار عليه بأن يقيم فى مكتبه الخاص متحفاً للأحياء المائية الاستوائية ، وأن يفرد لها كل يوم ساعة يتأملها فيها فى سكون ، ويجعل باله إلى حركاتها وما فيها من سمت ورشاقة .

وقد عمل الرجل بما وصف له الطبيب ، على الرغم من عظم دهشته ، وبلغ من نجاح العلاج أنه قبل أن يدور العام تلقى المستشفى منه هبة كبيرة لقسم الخدمة الاجتماعية فيه . على سبيل الإقرار بالفضل والشكر للشفاء .

[شيكاجو — ولاية إلينوى]

كثيراً ما يكون الخوف من الألم ، ولا سيما عند الصغار ، شراً من معاناته .

وقد دلتنى تجارب قمت بها فى نفسى منذ عدة سنوات ، على أن هناك حداً معيناً لمقدار الألم الذى يستطيع أن يحتمله عرق ما ، فلا شئ إذن يمكن أن يجعل الألم أشد .

فإذا وجدت أن من اللازم أن أحدث ألما لمريض ، فإنى أبين له أنه إذا تشدد وتجلد لاحتمال الألم إلى حد ما ، فإن الألم لن يزيد بعد ذلك . وهذا النفى — بطريقة نفسانية — للخوف من الألم المتزايد باطراد يعين المريض على احتمال فترة قصيرة من الوجع .

[لوس انجلوس — ولاية كاليفورنيا]

مضى أكثر من عشرين عاماً على نصيحة أسداها إلى فرقتنا ، وكنا ندرس أمراض الأطفال، الدكتور نورثروب المرم، ولكن ما نبهنا إليه لا يزال ماثلا فى أذهاننا قال :

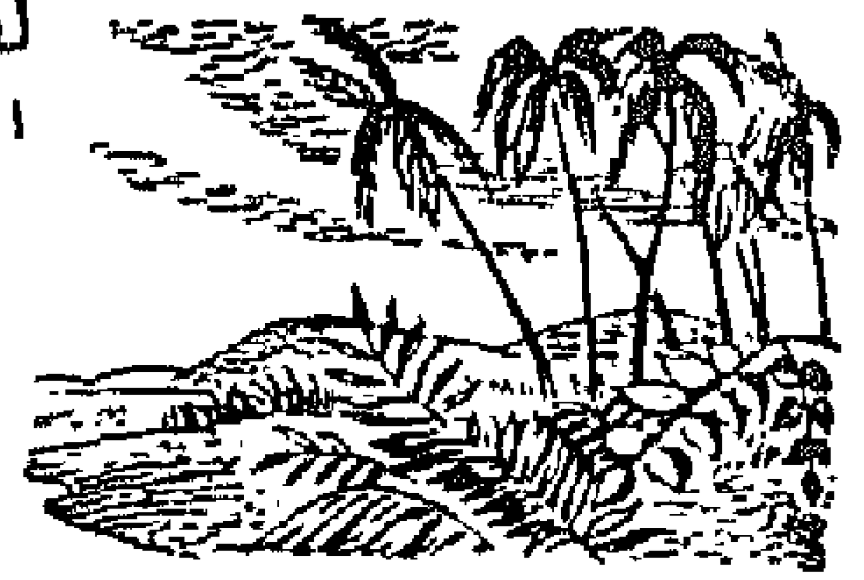
« إذا زرتم طفلا مريضاً ، فقد تجدون أحياناً أن الأم القلقة أحوج إلى عنايتكم من المريض وإنكم لتعلمون أن الطفل سيشفى ولكن عليكم أن تجدوا الوسيلة لصرف الأم عن القلق ، فى مثل هذه الحالة أرى أن تعطوا الأم عقاراً لا ضير منه . وتأمروها بأن تعطى الطفل ثمانى عشرة قطرة كل تسع عشرة دقيقة ، فإنها خليقة أن تشغل بذلك شغلا لا يدع لها وقتاً للقلق .

[مدينة نيويورك — ولاية نيويورك]



لقد تجلت فى إحدى قواعد زوارق الطربيد روعة الصراع فى سبيل البقاء

فى سبيل البقاء



جون هيرسى

مراسل مجلتى "تايم" و"لايف" ومؤلف "الحب قلب الوادى"

ملخصة عن مجلة "نيويوركر"

ذات يوم من أغسطس الماضى كتب ضابط فى إحدى فرق دوريات زوارق الطربيد فى جزائر سليمان هذه الكلمات إلى أمريكا :

« فى الليلة الماضية لقى جورج روس حتفه فى سبيل قضية كان هو أشدنا بها إيمانا فقد كان مثاليا صادقا . وكان جاك كندى ، ابن سفير أمريكا السابق فى إنجلترا ، فى القارب نفسه وقد لقى حتفه أيضا . فمن قال إن خلاصة أمة قد فنيت فى الحرب ، لا يمكن اتهامه بالمغالاة فى تقرير حقيقة مؤلمة أشد الألم » .

وبعد ذلك بيومين أقامت الفرقة الصلاة على كندى وروس والأحد عشر رجلا الآخرين من بحارة زورق الطربيد ١٠٩

ولكن الأسى فى قاعدة زوارق الطربيد كان قد سبق الأوان ، فإليك بيان ما حدث كما حدث ، وإنه ليدل على أن فظائع حرب المحيط الهادى لا تخلو من أمر يدعو إلى العجب : ألا وهو عزيمة الإنسان فى سبيل البقاء .

ذات ليلة غابت نجومها خرج زورق الطربيد ١٠٩ يقوده الملازم جون . ف . كندى يجوب مضيق بلاكيت بجزائر سليمان الوسطى . وحوالى الساعة الثانية والنصف صباحاً كان كندى على عجلة القيادة ، وأبصر جورج روس فى مقدم الزورق وهو يتطلع بمنظار مكبر ، ثم يلتفت ويشير إلى الظلام الذى يشقونه ، وصرخ البحار القائم فى برج المدفع الأمامى قائلا : « سفينة أمامنا بانحراف درجتين » .

وأبصر كندى شبحاً ، فأدار عجلة القيادة ليهاجمه ويضربه بطربيده ، ولكن محرك الزورق لم يستجب إلا ببطء ، إذ كان يدور بآلة واحدة من آلاته الثلاث لكى لا يشى بالزورق أثر مجره على الماء ، وحتى لا تفطن له طائرات الاعداء . وتجسم الشبح فإذا هو مدمرة يابانية تشق ظلام الليل بسرعة ٤٠ عقدة مندفعة نحو الزورق ١٠٩ . وكان كل من فى الزورق قد نشط إلى موقفه فى القتال وقد شدت منهم الأعصاب شداً ، وانقضت المدمرة على زورق الطربيد فشطرته نصفين ، وناجى كندى نفسه قائلا : « هكذا يكون

شعور المقتول بالموت ! » وفى غمضة عين ألفى نفسه مطروحاً على ظهره فوق السطح ناظراً إلى المدمرة وهى تشق قلب زورقه .

لم يكن فى قعر الزورق سوى ما كماهون المهنـدس ، وقد قذف قذفة مؤلمة على حافة الحاجز ، وامتد إليه لهب هائل من انفجار بعض خزانات الوقود . فغطى وجهه بيديه وضم إليه ساقيه ولبث ينتظر الموت ، ولكنه شعر بالماء ينصب عليه فى إثر اللهب ، ثم غاص فى اليم وقد غرق نصف الزورق . فأخذ يجاهد فى الصعود إلى سطح البحر ، وأبصر من فوق رأسه موجة صفراء هى زيت يحترق ، ولما صعد إلى سطح البحر ألفى نفسه وسط النار ، فأخذ يضرب الماء بيديه بشدة لكى يجمع حوله نطاقاً ضيقاً من الماء .

أما جونستون ، وهو مهندس آخر ، فقد كان نائماً على السطح فألقته الصدمة من على الزورق ، وجذبه مسحب الزورق فى اليم إلى أسـفل ، وظلت تقلبه وتهز منه الضلوع ، حتى أصبح جسده فى اليوم التالى أسود أزرق .

ولم تحطم الصدمة الحواجز المقامة فى مقدمة الزورق لتقيه من تسرب الماء ، فساعدت على إبقاء نصف زورق كندى عائماً ، وابتعدت المدمرة يلفها الظلام ، وخلفت سكوناً مخيفاً لا يسمع فيه سوى حسيس الزيت المحترق .

وصرخ كندى : « من على السطح ؟ » فبلغته ردود ضعيفة من ثلاثة بحارة : ماك جوير ، وماور ، وألبرت ، ومن ضابط واحد هو توم .

ثم لبى الناجون نداء كندى على التتابع : روس الضابط الثالث ، والبحارة هاريس ، وماك ماهون ، وجونسـتون ، وزنسر ، وستاركى ، ولم يلب النداء اثنان من البحارة هما كيركس ومارتى .

وصرخ هاريس من جوف الظلام : « يا مستر كندى ! يا مستر كندى ! إن ماك ماهون مصاب إصابة خطيرة » .

فغطس كندى فى المـاء ، وقد كان منذ خمس سنوات على رأس فريق السباحة بجامعة هارفرد . ثم سبح إلى حيث ماك ماهون وهاريس حتى بَعُدَ مئة ياردة . وقطر ماك ماهون وعم به شطر زورق الطريد .

وقد هبت نسمة لطيفة لا تفتأ تبـاعد الزورق عن جماعة السابحين ، فكان عليهم أن يجاهدوا ٤٥ دقيقة ليقطعوا مسـافة حسبوها تكون ١٠٠ ياردة هينة عليهم . وفى الطريق قال هاريس الذى كانت قد أصيبت رجله : « لا طاقة لى على المضى » فقال كندى — ابن آل كندى ببوسطون — لهاريس وهو من أبنـاء المدينة نفسها : « ما أروع المثل الذى تضربه هنا يا هاريس

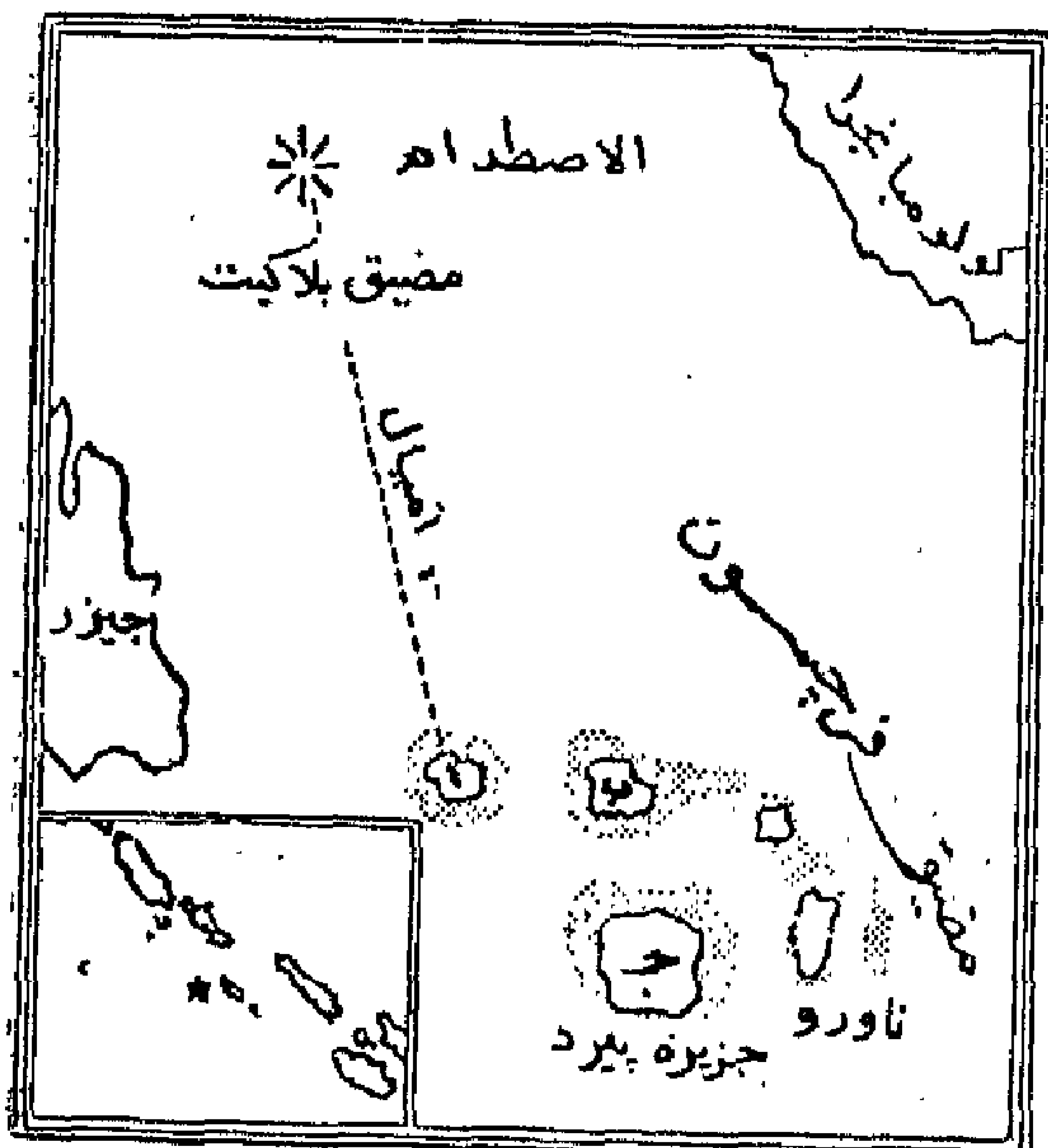
لفتى من فتيان بوسطن» . فلم ينبس هاريس بعدها بشكاة ، واستطاع أن يصل إلى الحطام . وبعد ذلك شرع كندى يسبح من رجل إلى آخر ليرى كيف حالهم ، فكانوا جميعاً متمنطقين بمناطق النجاة ، وكان لابد للقادرين على السباحة من جر العاجزين عنها إلى الحطام . واستغرق نقلهم جميعاً إلى السطح ثلاث ساعات .

انطرح الرجال فوق السطح المائل ، وانهار بعضهم في نوم عميق، وأخذ الآخرون يتحدثون عما يجد الناجي من طيب طعم الحياة.

ولما أسفر الصبح رأى الرجال على بعد ثلاثة أميال من الجهة البحرية الشرقية جزيرة كولومبانجرا وهى تنبت من البحر كعلم شاهق مخروط ، وكانوا يعلمون أن بها حشداً من ١٠٫٠٠٠ يابانى ، وإلى الغرب على مسافة خمسة أميال رأوا « فيلا لا فيلا » فيها ما هو أكثر من ذلك من اليابانيين . وإلى الجنوب على بعد ميل أو نحوه رأوا رأى العين معسكراً يابانيا فى جيزو . فأمر كندى رجاله بأن يبقوا منبطحين لئلا تبدو ظلالهم على الأفق إذا تحركوا ، وكان حطام الزورق المائل قد غمره الماء ، وراح يغوص رويداً رويداً .

وكان لابد من توفير مكان يستلقى فيه ماك ماهون المصاب بحروق شديدة ، وجونستون الذى لا ينقطع عن السعال لما دخل رئتيه من دخان الزيت المحترق ، فأمر كندى رجاله بالنزول إلى الماء ، ونزل إليه هو أيضاً ، وظلوا متشبثين طول الصباح بحافة الحطام ، وأخذوا يلعنون الحرب عامة ودوريات زوارق الطربيد خاصة . وحوالى الساعة العاشرة انبعثت من الحطام أنة يكتمها الماء ، وانكفأ ، فكان على ماك ماهون وجونستون أن يتعلقا به ما استطاعا .

وكان من الواضح أن بقايا الحطام على وشك الغرق ، وقال كندى : « سنسبح إلى هذه الجزيرة الصغيرة » مشيراً إلى إحدى مجموعة جزر على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب الشرقى وأضاف : « قد يكون بلوغنا هذه الجزيرة أقل احتمالا من بلوغنا



غيرها ، ولكن وجود اليابانيين فيها أقل احتمالا كذلك ! » فتجمع الذين لايستطيعون السباحة حول قطعة طويلة من الخشب ، فصلتها الصدمة ، وربطوا بها بضعة أزواج من النعال ، كما ربطوا مصباح الزورق ملفوفاً فى منطقة نجاة لكى يظل عائماً .

أطبق كندى بأسنانه على شريط من أشرطة منطقة نجاة ماك ماهون ، وأخذ يسبح على صدره جاراً معه الرجل العاجز ، وكان الماء الملح يضرب فى فمه من خلال أسنانه المطبقة فابتلع منه قدراً كبيراً .

واستغرقوا خمس ساعات حتى بلغوا الجزيرة ، فوجدوها صغيرة المساحة ، لايزيد قطرها عن مئة ياردة . وانطرح كندى منهوك القوى، فقد ظل فى الماء ١٥ ½ ساعة ، اللهم إلا الفترات التى كان فيها فوق الحطام . وكان جوفه مثقلا بما بلعه من ماء مالح ، ولكنه ظل يفكر فى أن زوارق الطربيد تجتاز كل ليلة مضيق فرجسون فى طريقها إلى مواقع القتال ، ومضيق فرجسون يقع من وراء تلك الجزيرة الصغيرة ، فمن يدرى ؟ ربما . . .

وهب قائماً، وأخذ زوجاً من النعال ولف وسطه بحزام مطاط من أحزمة الإنقاذ ، وعلق حول عنقه مسدساً من عيار ٣٨ر. مدلى بحبل ، وخلع سراويله ، وحمل مصباح الزورق وهو فى مثل البطارية الثقيلة وزناً ، ومن حوله غلاف حريرى يقيه البلل . وقال: إن وجدت زورقاً سأومض لكم بالمصباح ومضتين ، ولتكن كلمة الأمان « روجرز » وليكن جوابها « ويلكو » .

وأمضى نصف ساعة فى السباحة إلى الصخور حول الجزيرة التالية ، وكان الظلام قد خيم على الكون ، فظل — وهو مغمور فى الماء إلى وسطه — يهيم فوق أرض وعرة متعثر الخطى كالسكير متأبطاً مصباحه، وقد جرحته شعب المرجان الحادة فى ذقنه وركبتيه . وفى الساعة التاسعة وصل إلى نهاية الشاطىء المحاذى لمضيق فرجسون ، وخلع نعليه وربطهما فى منطقة النجاة ، ثم نزل البحر وسبح ساعة حتى شعر أنه بلغ طريق مرور زوارق الطربيد. فظل مكانه يغالب الأمواج، وأخذ ، وهو يجاهد البرد وثقل المصباح ، ينصت لعله يسمع الهدير الخافت الذى يدل على مرور زوارق الطربيد .

والتفت إلى الغرب فأبصر من وراء جيزو وميض نيران القتال تحسبها العين مهرجاناً، فأدرك أن زوارق الطربيد اختارت لأول ليلة من ليال عديدة ، أن تمر حول جيزو بدلا من أن تعبر مضيق فرجسون ، فلم يبق له أمل . . .

وهمّ كندى بأن يعود أدراجه ، ولكن

السباحة هذه المرة ليست كسابقتها ، فقد كان خائر القوى ، وكان التيار سريعاً يدفعه نحو اليمين . وأدرك أنه لن يستطيع بلوغ الجزيرة ، فأومض المصباح مرة وهو يصيح « روجر » « روجر » ليعرّف نفسه .

أبصر الرجال الضوء وسمعوا الصيحة ، فخطر لهم أن كندى لقى زورق طريد ، فمشوا إلى الشعب وانتظروا وطال انتظارهم ، ولكنهم لم يروا شيئا سوى ما يبعثه البحر من أضواء كبريتية ، ولم يسمعوا شيئاً سوى هدير الأمواج ، فعادوا أدراجهم قانطين . وقال أحدهم يائساً : « مصيرنا الموت ! » فقال جونستون : « أقصرْ ! فأنت بمنجى من أن تموت ، فإن الموت لا يعجل إلا على الصالحين » .

وكان كندى قد أوشك أن يقترب من الجزيرة الصغيرة ، ولكن التيار ساقه بعيداً عنها ، وأخذ يناجى نفسه ويقول : إنه لم ينزل به في حياته كرب كهذا الكرب الذى يعانيه ، ولكن ما فعله بعد ذلك يدل على أنه في قرارة نفسه — ودون أن يشعر — لم يكن قد فقد كل أمل .

تخلى عن نعليه ، واستمسك بالمصباح الثقيل ، إذ كانت تتمثل فيه الرابطة الوحيدة بينه وبين زملائه ، وعدل عن محاولة السباحة ، وبدا كأنه لم يعد يبالى بشئ

وظل جسمه ساعات طويلة طافياً فوق التيار ، وقد تجمد دمه من شدة البرد ، ولم يبق في رأسه ذهن يفكر ، بل حل محله شعور مبهم بأنه غريق في أحضان الزمن ولجة الظلام . ومرت فترة طويلة وهو لا يدرى أنامَ ، أم جُنَّ ، أم هو يطفو في ذهول من شدة الصقيع ؟ !

إن تيار البحر عند مضايق جزر سليمان ، في مدّه وجزره ، يتشكل في دورته أشكالا عجيبة . فلما ألقى جاك كندى للتيار قياده ، ساقه أمامه ودار به حول محيط دائرة هائلة ، تمر غرب جيزو ثم تأخذه شمالا وشرقاً ماراً بكولومبانجرا ، ثم تعيده إلى الجنوب . ولما أضاء عمود الصبح ، وكانت الساعة قد بلغت السادسة ، وجد كندى نفسه في مضيق فرجسون أى حيث كان في الليلة السابقة حينما رأى الأضواء فيما وراء جيزو .

وللمرة الثانية شرع كندى يسبح ليعود إلى زملائه ، وقد خيل إليه في لحظة من اللحظات أنه فقد صوابه ، وأن من محض الوهم أن يعود فيكرر محاولة الوصول إلى الجزيرة — ولكن برد الماء يلذع جسمه بدد وهمه ، وقوّى عزمه ، ورأى أنه يتقدم في السباحة تقدماً محسوساً .

وأفلح هذه المرة فوصل إلى الجزيرة

ودبّ إلى الشاطئ ، فلما أدركه زملاؤه وجدوه يعانى نوبة من القيء . . . وقال : «النوبة نوبتك فى هذه الليلة ياروس »
ثم أغمى عليه .

وخرج روس عصر اليوم وسبح إلى جزيرة (ب) ، وأخذ معه مسدساً للاشارة بطلقاته ، وقضى الليل فى مضيق فرجسون ، ولكنه لم يلق زورقاً .

وطلع الصبح على رجال قد غلبهم اليأس جميعاً ، وأخذ بعضهم يتوجه إلى الله بدعائه وصلاته فقال جونستون : « لشد ما آسف لكم أيها الرفاق ! تمر السنوات الطوال وأنتم لا تدخلون الكنائس ، ولا تتصدّقون لها بدانق ، فلما مسكم الضر إذا أنتم تؤمنون ! » .

ولما قفل روس عائداً قرر كندى أن يتحول الجميع إلى جزيرة أكبر مساحة تقع فى الجنوب الشرقى ، لينتفعوا بوفرة ما بها من أشجار جوز الهند ، وليكونوا أقرب إلى مضيق فرجسون . وللمرة الثانية قطر كندى فرجسون كما فعل أول مرة ، وتجمع الرجال التسعة الباقون على طوف من خشب وبلغوا الجزيرة بعد سباحة دامت ثلاث ساعات .

وكان الظمأ أشدما آذاهم ، فأقبلوا على ثمر جوز الهند الملقى على الأرض وأخذوا يكرعون من لبنه بشراهة .

وكان كندى وفرجسون أسبق الجميع إلى الإكثار منه ، فما هو إلا أن ظهرت عليهما أعراض التأذى بهذا الشراب وساءت حالهما ، فاقتصد الباقون فى تناوله . وانهمر المطر ليلا ، فاقترح أحدهم أن يندسوا تحت فروع الأشجار الملتفة ويلعقوا ما يتخلف على الأوراق من ماء المطر . وفى الصباح رأوا هذه الأوراق جميعها مغطاة بزبل الطيور فسموا المكان من حنقهم « جزيرة الطيور » .

وحل اليوم الرابع وقد بلغ منهم اليأس كل مبلغ ، حتى جونستون لم يشذ عنهم . وكان لماك جوير مسبحة ، فقال له جونستون : «ماذا عليك لو جربتها ساعة ! »
فأجابه ماك جوير بهدوء .
« نعم . سأدعو لكم جميعاً » .

أبى كندى أن يقرر بأن كل أمل قد ضاع ، وسأل روس : أقادر هو على السباحة معه إلى جزيرة تدعى ناورو تقع إلى الجنوب الشرقىّ ؟ وكان الضعف قد بلغ منهما كل مبلغ ، ولكنهما بعد أن سبحا زهاء ساعة تمكنا من الوصول إلى الشاطئ .

وقطعا الجزيرة بخطى أجهدها الإعياء حتى بلغا جانبها المشرف على مضيق فرجسون ، فوجدا على الشاطئ قدراً من الماء وخبزا

جافاً من مخلفات اليابانيين ، وقارباً لا يتسع إلا لشخص واحد . فجعلا يأكلان وعيونهما لا تغفل حذراً . ولما دجا الليل خرج كندى بالقارب إلى مضيق فرجسون ومعه صفيحة ملأها من ماء القدر ، ولكن لم يمر به زورق واحد من زوارق الطربيد ، فأعمل مجذافيه إلى جزيرة الطيور حيث فرق ما معه من الماء والخبز ، فأصاب كل رجل حصة يسيرة .

وقبل طلوع الفجر انطلق كندى بقاربه عائداً إلى روس ، ولكن الريح لم تلبث أن علت وعصفت بقاربه فانقلب ، وإذا به يشاهد من حيث لا يدرى قارباً متجهاً إليه وفيه نفر من أهالى تلك المنطقة فأنقذوه وأخذوه إلى جزيرة ناورو ، ودلّوه على موضع خبّأ فيه اليابانيون قارباً يتسع لشخصين . وتخير كندى ثمرة من جوز الهند ذات قشرة ملساء وحفر عليها بمبراته الرسالة التالية : « نجا أحد عشر . الأهالى يعلمون مكاننا ، وأسلم طرق الملاحة للوصول إلينا جزيرة ناورو . كندى » ثم هتف بالأهالى يقول : « رندوفا رندوفا » إذ كان هذا اسم الجزيرة التى يقوم فيها مركز قيادة زوارق الطربيد .

وبدا على وجوه القوم أنهم فهموا ، فأخذوا الرسالة وانطلقوا بقاربهم مسرعين. ومرّ النهار كله وكندى وروس منطرحان في إغماء وضنىً ، ولما خيم الظلام ثاب إلى كندى رشده ، وأقنع روس بالخروج معه إلى مضيق فرجسون فى القارب إذ يتسع لشخصين ، وأخذ روس يجادله ويبدى اعتراضه ، وكندى يلح عليه حتى قبل أخيراً وانطلقا معاً . فلما بلغا المضيق اشتدت الريح وعلت الأمواج حتى بلغ ارتفاعها خمس أقدام أو ستّا ، فانقلب بهما القارب ، وتشبث به الرجلان وتعلق كندى بالمقدمة وروس بالمؤخرة وبدأ التيار يدفعهما إلى مجاهل المحيط ، فأخذا يحتالان بالقارب جذبا ودفعاً ليسدداه نحو الجزيرة ، ولبثا ساعتين فى هذا النصب المتواصل .

وزاد الجو عبوساً ، وانهمر المطر ، وتعذرت الرؤية ، وصاح كندى : « آسف يا بارنى لأننى رميت بك فى هذا المأزق » ، فصاح به زميله : « هذا أنسب وقت أقول لك فيه ، لقد نصحتك من قبل ! ولكنى لن أفعل ! » .

ورأيا حيالهما خطاً من الزبد وسمعا دويّا مخيفاً ، فعلما أنها هى الأمواج تتكسر على أحد الشعاب ، فكانت مفاجأة لم تدع لهما وقتاً ليتدبرا أمرها ، ولم يبق لهما إلا أن يظلا متشبثين بالقارب ينتظران مصيرهما .

وأقبلت موجة عالية فاقتلعت قبضة كندى عن القارب وباعدت به ، وهو يتقلب فى

أحشائها ظهراً لبطن . أصمّ رعد الأمواج أذنيه ، وزاغ بصره ، وظن لثالث مرة منذ اصطدم القارب بالشعب أنه يعانى سكرات الموت ، ولكن لسبب ما لم يقذف به على الشعب ، بل وجد نفسه يطفو فوق قمة موجة ، وأحس فجأة بالشعب تحت قدميه وأخذ يصيح : « بارنى! بارنى! » فلم يظفر بجواب . وذكر كندى إصراره على الخروج بالقارب فعاد يصرخ من جديد « بارنى ! بارنى ! » فلم يذهب نداؤه هذه المرة سدى ، ورد عليه روس نداءه ، وكان قد قذف به على الشعب وتمزق لحم كتفه اليمنى وذراعها ، أما قدماه المشققتان من جراح قديمة فقد زادتا سوءاً .

وجاهدا بغيان الشاطئ ، فلما بلغاه انطرحا وناما . وفى الصباح استيقظا على ضجة ، وأبصرا أربعة رجال أشداء من أهالى المنطقة ، وقال أحدهم بلغة إنجليزية فصحى بنطق سليم : « عندى رسالة لك ياسيدى ! »

أسرع كندى وفضّ الرسالة فإذا هى :

« باسم حكومة جلالة الملك إلى الضابط الأعلى ، بجزيرة ناورو .

« علمت الآن بوجودكم فى جزيرة ناورو . وإننى رئيس دورية نيوزيلاندية من المشاة تعمل فى جورجيا الجديدة . وأشير عليك بإلحاح أن تقدم إليّ فى صحبة هذا النفر من الأهالى ، وسأتصل فى الوقت ذاته عن طريق الراديو برؤسائكم فى رندوفا ، وسأضع لهم الخطة اللازمة لإنقاذ باقى جماعتكم .
الملازم وينكوت » .

وتصافحوا جميعاً ، وحمل القوم كلا من كندى وروس إلى قاربهم الذى يخرجون فيه عادة للقتال ، وعبروا بهما إلى جزيرة بيرد ليحملوا البشرى إلى زملائهم الآخرين . وهناك أعد هؤلاء الأهالى مضجعاً من الأغصان للمسترماك ماهون ، وكانت جراحه قد بدأت تتقيح ، وكذلك صنعوا مضجعاً آخر لزميله روس ، وكانت ذراعاه قد ورمتا وأصبحتا فى حجم الفخذين . ثم وضعوا كندى فى قعر قاربهم وستروه بأغطية من الفراء وسعف النخل ، خشية أن تستكشفه طائرات اليابانيين . وبدأوا رحلتهم الطويلة إلى نيوجورجيا ، وأسرع الملازم وينكوت إلى الشاطئ لاستقبالهم وهو يقول ملتزماً الأصول المتواضع عليها بين السادة من الإنجليز عند أول تعارف : « كيف حالكم ! أنا الملازم وينكوت » فأجابه كندى ببساطة الأمريكيين : « هللو — أنا كندى »

وأضاف وينكوت : « تفضل إلى خيمتى لتشرب قدحاً من الشاى » .

واستقر كندى تلك الليلة فى القارب ينتظر الموعد الذى ضرب له بالراديو زملاؤه

من مقر زوارق الطربيد . وغاب القمر الساعة الحادية عشر وثلثاً فما عتم كندى أن سمع العلامة المتفق عليها ، وهى أربع طلقات، فأجابها بمثلها . وبلغه صوت ينادى :

« أىْ جاك ! » .

فأجابه كندى :

« أين كنتم ؟ أفى جهنم الحمراء ؟ »

واقترب زورق طربيد فقفز إليه كندى، وأقبل على رجاله يعانقهم .

وجمعت الزوارق من بقى فى جزيرة بيرد وعادت مسرعة إلى قاعدتها . وكان طبيب القاعدة قد بعث مقداراً من الخمر لينعش به الضعفاء من الرجال ، فأصاب منه جونستون وهو يقول : إنه فى حاجة إلى أقل جرعة لتنعشه قليلا ، . . ولا تسَلْ بعد ذلك عما شرب ، فلما ارتوى رقد وهو يطوق بذراعيه غانيتين من فتيات المنطقة . وطفق الجميع ، ونسيم البحر العليل يرطب وجوههم ، ينشدون أغنية تعبر عن الحمد والفرح بالنجاة .



مشيئة الحياة

بعد غارة جوّية فى الحرب العالمية الأولى، روى جراح السرب للقسيس أن ثمة جريح لا أمل فى حياته . فانحنى القسيس فوقه وقال : يا صديقى العزيز ، إن جرحك بالغ ، فهل لك ما تقوله ، أو هل ثمة رسالة تريدنا أن نبعث بها إلى أسرتك ؟

فقال وهو ثقيل النفَس : جيب معطفى .

فمدّ القسيس يده إلى الجيب وأخرج حافظة النقود وقال : أهذا ما تريد ؟

فقال : نعم إفتحها .

ففتحها وأخرج منها ورقة نقد بعشرة ريالات وقال . أهى ما تريد ؟

فقال الجندى همساً : نعم . أراهنك أننى لن أموت .

ولم يمت . [فرانك تشيلى فى « مشيئة الظفر »]



سرّ النكد أن يتاح لك فراغ من الوقت لتفكر : أأنت سعيد أم لا .

[برنارد شو]

الإغفاء مجلبة للنشاط

رای جيلز + ملخصة عن مجلة "بتر هومز أند جاردنز"

اليوم ، وقد بلغ الإرهاق كل مبلغ بالأجسام والعقول والأرواح ، آن الأوان لإعادة النظر فى خطة بسيطة تزيدنا مقدرة على العمل وشعوراً بالراحة ، وتلك هى العادة القديمة الحكيمة : أن يغفو الإنسان كل يوم غفوة .

قد تقول إن وقتك يضيق عن هذه الغفوة ، وهذا لغو ، فإن ونستون تشرشل ، وثيودور روزفلت ، ونابليون ، وبنيامين فرانكلين هم قليل من كثير ينوءون بأعبائهم ، ويجدون فى سنة من نوم النهار مجلبة عظمى للنشاط .

لقد اتفق الأطباء على أن هذه الغفوات تدفع الكلال ، وتخفض ضغط الدم ١٥ــ٣٠ مليمتراً ، وترفع حملا عن قلبك المتعب ، إلى غير ذلك من المزايا ، وأن الإغفاء قبل القيام بأى مجهود بدنى أو عقلى أو بعده يصنع العجائب ، زيادة فى إنتاجك اليومى ، ومضاءً فى إقبالك على الحياة .

وإليك ـــ أيها الدائم الإحساس بأنك لست من المضاء والقوة بحيث تريد أن تكون ـــ نبذة من حياة العالم النفسانى الذائع الصيت كارل ا . سيشور ، فقد كان

« وسيلة بسيطة لدفع الكلال وشحذ القوى »

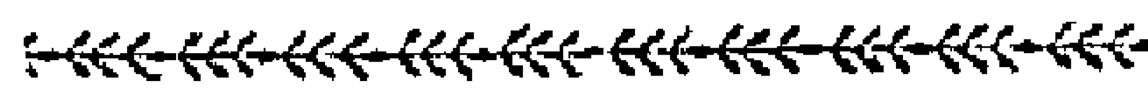
وهو طالب فى جامعة ييل ، يعانى من غلبة الكلال عليه أثناء النهار ، فسأل مدير التربية البدنية فى الجامعة كيف يتقيه . قال له : « عليك فى الظهر بسنة من النوم ، فكذلك يفعل الفتيان » فراض نفسه عليها فسرّه ما لقى منها من توثب فى النشاط ، وتدفق فى القوى ، واعتدال فى المزاج . واستنتج الأستاذ سيشور من تجربته الذاتية ، ومن اهتمامه الدائم بهذه الطريقة عدة سنين ، أن الإغفاء بعد العمل المضنى وقبيل وجبة الطعام الرئيسية ١٥ دقيقة أجدى على قوة المرء من أن يتأخر فى نومه وينام نوماً خفيفاً فى الصباح خمسة أضعاف هذا الزمن .

إن كبرى مزايا الإغفاء أنه واق من الكلال . ولقد سئل شونسى م . ديبو عضو مجلس الشيوخ الأمريكى والخطيب الشهير : كيف يستطيع أن يتكلم ليالى عدة فى الأسبوع ، ويقوم مع ذلك بعمله المرهق فى مكتبه أثناء النهار ؟ فأجاب « إنى أعامل مصرفاً للنوم ، ما أسحب من رصيدى فيه شيئاً بالسهر إلا أودعت فى نفس اليوم وديعة

أخرى، فيظل رصيدى تام التوازن على الدوام».

إن هذه « النسيئة » من الإغفاء أجزل ما تكون نفعاً لذلك الرجل الذى يبلغ به التعب حتى يعاف الخروج فى المساء . وخير نصيحة تقدم لزوجة مثل هذا الرجل المتعب أن : « أجّلى موعد العشاء نصف ساعة ، وأرقدى هذا الزوج الفظ فى السرير ، فيستيقظ وله شهية للطعام أشد ، ورغبة أعظم لسهرة المساء » .

والدربة هى الوسيلة إلى الكمال ، والإغفاء فى ذلك كغيره من الفنون ، فلقد تبدأ أولا بمجرد الاستلقاء فى الفراش وإغماض عينيك هنيهة ، فإن آنست مشقة فى جلب النعاس ، فحاول أن تتذكر ظرفاً مبهجاً من ظروف حياتك . وثم مخدر نافع آخر أن تحلم مستيقظاً فى حديقتك ، أو تفكر فيما تهوى من صغائر الفلسفة أو الشعر . واسترخ كما يسترخى الأطفال وأجراء الكلاب والقطط ، فإنك إن حذوت حذوها تعلمت كيف تستجلب النعاس .



إضواد فى السلاح

● وقف ضابط فى الجيش برتبة كابتن ، وولده الصغير البالغ خمس سنوات من العمر ، وكان لابساً حلة عسكرية تشبه حلة والده ، أمام شباك التذاكر بدار السينما .

فقالت بائعة التذاكر : « أتريد تذكرة لجند وأخرى لولد ؟ » فتردد الضابط قليلا ثم قال : مستجيباً لوخز ولده : « كلا يا سيدتى أريد تذكرتين لمجنّدين » .

● لقى صبى فى الثامنة يرتدى حلة طالب فى الأكاديمية الحربية ، ثلاثة ضباط فى أحد شوارع هوليوود ، فحياهم التحية العسكرية ، فلم يردوا عليه التحية بمثلها لدهشتهم ، ومضى الصبى على وجهه كآبة وحيرة . ولكن الضباط لم يلبثوا حتى ارتدوا على أعقابهم وساروا مسرعين حتى سبقوا الصبى ثم وقفوا ينتظرون ، حتى إذا مر بهم رفعوا فى وقار أيديهم بالتحية إلى جباههم . [مجلة ذس ويك]



ليس الحزن إلا صدأ يغشى النفس ، فالنشاط ينقيها ويصقلها .

[صموئيل جونسون]

كل يوم نزداد علماً عن الألم

لقد وجد العلم أن كثيراً من العذاب يمكن الخلاص منه بتحديد مسالك الألم فى الجسم

ألبرت ك ميزل • ملخصة عن مجلة "كوزموبوليتان"

كنت فى مستشفى من مستشفيات القاعدة البحرية الجنوبية فى المحيط الهادى ، فسمعت بحاراً مبتور الذراع يشكو إلى جرّاح ما يحسه من ألم بعد اندمال الجرح بزمن طويل ، ويصف آلاما فى المعصم واليد والأصابع التى لم يعد لها وجود !

فلما ذهب البحار التفت إلىّ الجراح قائلا : « إن هذا الفتى يشعر شعوراً حقاً بوجود ذراعه المبتورة ، ونحن نقول : إن عذابه ليس إلا تخيلا ، ولكن ألمه مع ذلك حقيقى وقطيع » .

وبعد ظهر ذلك اليوم أخذت أرقب الجراح وهو يحقن محلول النوفوكين فى الأعصاب التى كانت تغذى يوماً ما الذراع التى بترت ، فرأيت وجه الفتى يسترخى بعد توتر . وخلال بضعة أيام تلت كانت راحته تطّرد ، وإحساسه بوجود الذراع المتوهمة لايبرح ، ولكن الألم كان قد زال.

ولم أجد لدى الجراح تعليلا حاضراً لهذا اللغز، ولكنه يظن أن الناس الذين يفقدون ذراعاً أو ساقاً يحتفظون بصورتها الفطرية فى عقولهم ، ولا تفتأ الأعصاب الضريرة فى جذر الجارحة المبتورة ترسل رسائل الألم إلى المخ ، فيترجمها فى حدود تلك الصورة الذهنية الباقية .

وتحدث حقن النوفوكين فى الأعصاب المقطوعة راحة طويلة من الألم ، كثيراً ما تدوم ، ولكن الطبيب عاجز عن تعليلها تعليلا كاملا ، على أن هذا العلاج لا ينجع دائماً فإن نجع بدت نتيجته كأنها معجزة .

إن ما عرفه أطباء الأعصاب وجراحوها وعلماء وظائف الأعضاء ، عن الألم وطرق السيطرة عليه فى السنوات القلائل الماضية ، يفوق كلّ ما عرفوه عن ذلك من قبل ، وقد نشأ أكثر هذه المعرفة الجديدة عن دراسة الآلام التى أحدثها الباحثون فى أنفسهم .

عاد ألبرت ك ميزل منذ بضعة أشهر من المحيط الهادي الجنوبى حيث عاين الأعمال الطبية فى مسالك الأدغال وعلى ظهور سفن المستشفيات. وهو الآن فى انجلترا يكتب أخبار الجبهة الطبية فى ميادين الغزو . وقد ألف قبل كتابى « معجزات الطب الحربى » و « الجرحى يعودون » .

فى مقدمة الإنجليز الباحثين فى الآلام الدكتور دافيد ووترستون الذى كشط عدة طبقات من جلده ، تختلف كل منها فى العمق عن سواها ، كى يستطيع قياس الألم الحادث من كشط كل طبقة . وكان هذا العقاب الذى أوقعه بنفسه هو الوسيلة الوحيدة التى تمكنه من أن يستوثق من أن الطبقات السطحية للجلد تشتمل على أعضاء اللمس ، على حين تشتمل الطبقات العميقة على أعصاب الألم .

وقد أحدث الليفتنانت كوماندور جيمس د. هاردى والكابتن ستيوارت ج . وولف بمعهد رسل سيج لعلم الأمراض فى نيويورك مثل هذه التجربة الغريبة فى نفسيهما . فكان أحدهما يرقد كل يوم فى سرير ، وبجواره قدر من الفخار مملوءة بالماء البارد المثلوج ، فيضع ذراعه فى الماء الذى يوشك أن يجمد ، ويمسكها حيث هى حتى يكاد لا يطيق الألم ، وحتى يتفصد عرقاً برغم البرد ، ثم يأخذ الآخر فى تسجيل ما يجده زميله ، وقياس آثار الألم فى ضغط الدم والنبض والذراع نفسها .

ثم شرعا يقيسان فعل العقاقير فى إحساس الألم ، فوجدا العقاقير التى توسع الأوعية الدموية لا أثر لها فى الألم الحادث من البرد ، والعقاقير التى تضيقها تزيد الألم بما يقرب من ٥٠ فى المئة فى شدته ومدته .

وفى النهاية استطاعا أن يحددا على وجه الدقة أى الألياف العصبية تحمل ألم البرد ، وقد أعانت هذه المعرفة أطباء الجيش والبحرية فى الولايات المتحدة اليوم على وقاية الرجال الذين تغرق سفنهم فى بحر شديد البرد ، أو تسقط طائراتهم فى جرينلند أو ألاسكا — على توقى أضرار التعرض للبرد ، وتلطيف ما يحسونه من الآلام جهد المستطاع .

وثمة جهاز يستعمله الدكتور هارولد ج . وولف فى مستشفى نيويورك لقياس « عتبة الألم » ، أى مقدار الأذى الذى عنده يبدأ أول الإحساس بالألم . وفى هذا الجهاز يضع المرء جبينه على ثقب فى حاجز صغير ، وعلى الصفحة الأخرى من الحاجز يسدد ضوء مصباح قوته ألف شمعة تتجمع أشعته على الثقب ، وتقع الحرارة الناشئة منه على جلد الجبين ثلاث ثوان خلال محبس يسيطر على مقدار الضوء والحرارة . وتبدأ التجربة بضوء شديد الضعف ، ثم تعاد مرة فى كل دقيقة إلى أن يذكر المرء أنه بدأ لتوه يحس الألم .

ويمكن تقدير ما لهذه المقاييس من شأن حين ندرك أن الفعل الأول الذى تحدثه الأدوية المزيلة للآلام أو جلها هو رفع « العتبة » التى يبدأ عندها الشعور بالألم .

وقد استعملنا المورفين والكحول والأسبرين لهذه الغاية أجيالا ، ولكن استعمالنا إياها كاد يكون خبط عشواء ، فتمكن الآن وولف وهاردى وهيلين جوديل الباحثة فى مستشفى نيويورك أن يقيسوا بدقة بالغة ما لشتى العقاقير من أثر فى تخفيف الألم . ووجدوا أن المورفين يرفع عتبة الإحساس بالألم إلى ضعف مستواها ، وأن الكودايين يرفعها ٥٠ فى المئة فوق هذا المستوى فحسب ، والكحول ٤٥ فى المئة والأسبرين بمقدار ٣٣ فى المئة .

وقد استطاعوا كذلك أن يبينوا أن تعاطى مثل هذه العقاقير يحدث الفعل المراد منه بجرعة معينة ، فإن زادت هذه الجرعة فلا أثر لهذه الزيادة فى تخفيف الألم . وأن استعمال عقارين معاً لا يرفع عتبة الإحساس بالألم فوق ما يرفعها أقواهما وحده . ولكنهم وجدوا أن استعمال عقارين معاً مرغوب فيه حين يكون لأحد العقاقير فعل سريع فى إزالة الألم ، وللآخر أثر أبقى من أثر الأول . وبرهن هؤلاء الباحثون كذلك على أن التسلية والإيحاء الذاتى والإيحاء المغناطيسى ترفع هذه العتبة إلى حد ملحوظ .

وقد فسرت هذه الأبحاث الحديثة اشياء ظل الأطباء زمنا طويلا يؤمنون بصحتها على علاتها ، ولكنهم يعرفون الآن أنها صحيحة ، ويستطيعون أن يقيسوها ويحللوها بدقة عظيمة . وأصبح فى قدرة أطباء الأعصاب الآن أن يرسموا رسوماً مفصلة أدق تفصيل للمسالك العصبية ، شبيهة بتركيب الأسلاك فى مركز تلفونى ، تنتهى فيها الخطوط الفردية إلى الاجتماع فى حبال تصعد فى النخاع الشوكى إلى المخ . ولم يوفق الأطباء إلى البرهنة على أن الرسائل العصبية تشبه الرسائل البرقية فحسب ، بل نجحوا أيضاً فى قياس مقدار الكهرباء الذى ينشأ من كل هزة عصبية ، والسرعة التى تسرى بها إلى المخ .

وقد استطاع الدكتور هـ . س . جاسر باستعمال جهاز كهربائى يعرف « برسّام الاهتزازات ذى الشعاع السالب » أن يوضح كيف تسرى المؤثرات الكهربائية فى الأعصاب سرياناً متباين السرعة . فكلما كانت ألياف الأعصاب أدق كان سريان الرسائل أبطأ بمعدل متر أو مترين فى الثانية ، أى ما يساوى معدل المشى السريع . أما أسرع المؤثرات العصبية فتسرى بمعدل ١٢٠ متراً فى الثانية ، أى بسرعة الطائرات المنقضة .

ولو عدت بالذاكرة إلى اليوم الذى اصطدم فيه إبهام قدمك بجذر شجرة لتذكرت أنك أحسست فى البداية ومضة من الألم البين فى مكان الصدمة . وتسرى

هذه الومضة من الألم السريع خلال الأعصاب السميكة الألياف، أو ما يسميه علماء وظائف الأعضاء بالمجموعة (ا) ، ثم إنك تشعر بعد ثوان بلون آخر من الألم يدق وينبض فى الإبهام كله ، ويسرى هذا الألم البطىء فى الألياف العصبية (ج) فتصل رسالته إلى المخ « متهادية » .

واستطاع الأطباء أن يخترعوا طائفة كبيرة من الجراحات لإزالة الآلام ، مبنية على جغرافية الجهاز العصبي ، فإذا كان مصدر الألم عصباً واحداً تمكنوا من إزالة الألم بجذّ هذا العصب الواحد ، وأحياناً بقطع الجذور الخلفية حيث يندمج هذا العصب فى النخاع الشوكى ، أو يقومون أحياناً أخرى بجراحة تسمى « ثلم النخاع » يقطعون فيها مسار الألياف المهدية الشوكية — وهى خصلة من الألياف العصبية تجرى بين مهد المخ والنخاع الشوكى ، وتنتقل فيها أحاسيس الألم. ومعرفة جغرافية الجهاز العصبى لها فى هذا الشأن خطر أيما خطر ، إذ أن الغلائل الخارجية لهذه الخصلة من الألياف تمد الأجزاء السفلى من البدن ، وكذلك يستطيع جراحو الأعصاب أن يجعلوا الثلمة من العمق بحيث لا يجاوز الخدر منشأ الألم، فإذا أجريت هذه الجراحة بمهارة ، فلن تحدث أى ضياع لحواس اللمس أو الاتزان ، وإنما تقضى على كل شعور بالألم والحرارة من منشأ الألم فأسفل.

على أن جراحى الأعصاب يتحامون السكين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ومع أنهم يصيبون نجاحاً ظاهراً فى بعض جراحاتهم، فإن هذه الوسائل العتيقة لا تؤدى إلا إلى البرء المؤقت على الأكثر ، إذ أن للجهاز العصبي طريقته فى إحداث مسالك جديدة للشعور بالألم تتخطى بها العقبة التى أحدثها الجراح . على أن غزو الألم بالجراحة قد يكون نعمة لا تقدر لضحايا السرطان ، إذ يهب لهم الراحة والرفاهة فى الأشهر الباقية لهم من الحياة ، ولكن الأطباء يفضلون فى أكثر الحالات الأخرى استعمال العقاقير ، وقد زاد العلم عدد هذه العقاقير فى العشرين عاماً الماضية .

ومن أفعل هذه العقاقير ذلك المخدر الجديد « بنتوثول الصوديوم » الذى برهن على نفعه فى الحرب بنوع خاص . فعلى النقيض من المركبات الطيارة والغازية المعقدة والقابلة للالتهاب ، يمكن إعطاء البنتوثول بسرعة وبلا حاجة إلى أجهزة أكثر من المحقن الزجاجى المعروف .

وإنى لأتذكر حالة فتى فى كتيبة الإنشاء البحرية أصيب بكسور مركبة فى كلتا ساقيه من قنبلة يابانية ، فحدث الجراح الأكبر

الفتى برهة ، سائلا إياه أن يعد الأرقام ببطء ، وأخذ مساعده خلال ذلك يحقن المحلول قطرة قطرة فى أحد أوردة ساعد المصاب . فظل يعد بصوت ثابت واضح ، وما إن وصل إلى « الثلاثة عشرة » حتى بدأ يتلعثم ، وخرجت منه « الخمسة عشرة » همساً ، وبدأ ينطق الستة عشرة ولكنها لم تفارق شفتيه ، فأخذ الجراح يعمل جراحته.

وسألت الغلام بعد عن مدى تذكره للجراحة فعلمت منه أنه يذكر العد ذكرى مبهمة ، ويظن أنه وقف عند الثمانية أو العشرة . وأهم من ذلك أنه لا يتذكر أنه أحس بالألم أقل إحساس .

يصادف الأطباء كل عام ألوفاً من الحالات تقتضيهم أن يعالجوا آلاماً ملحة مزمنة يصعب تحديد موضعها وتحليلها ، وذلك أن الجهاز العصبى كسائر الأجهزة الكهربائية تماس فيه الأسلاك وقد ينتشر الألم الذى يكون قد بدأ من إيذاء عصب واحد ، فيحدث مايسمى «بالآلام المحوّلة» — التى تظهر فى غير موضع الأذى ، فتخفى مصدره الأصيل .

وفى مثل هذه الأحوال يعود الأطباء إلى استعمال المخدرات الموضعية ليشلوا جهاز الإحساس بالألم كله شللا مؤقتاً . وثمة ظاهرة عجيبة لايدرك الأطباء أنفسهم كنهها إدراكا تاما ، وهى أن هذا المخدر الموضعى المؤقت إذا حقن فى عصب أو عضل فيه ألم فإنه كثيراً ما يحدث برءاً دائماً من الألم . وهناك (مناطق) يعرف المهرة من جراحى الأعصاب كيف يجدونها ، يبدو أن فى استطاعتها أن تطلق سلسلة معقدة من مؤثرات الألم ، وكثيراً ما وجدوا أن حقن النوفوكين فى مثل هذه (المناطق) ينقذ المريض من آلامه تارة مدى شهور وتارة أخرى إلى الأبد .

لقد استعمل أطباء الجيش والبحرية حقن النوفوكين فى محو آلام التواء المفاصل ، وبدلا من ربط الكعب الملتوى بأربطة ثقيلة تقوّمه وتعوق المريض قليلا أو كثيراً ، فإن هذه الطريقة قد مكنت أولئك المصابين من العودة إلى تأدية واجباتهم فى الحال ، ومع ذلك لم يعد الألم ، حتى بعد أن انتهى فعل المخدر .

وعلى أن جراحى الأعصاب قد أصابوا من النجاح فى إزالة الألم ماكان يستحيل تصديقه حتى منذ خمسة أعوام ، فإنهم يدركون أن على الأفق بوارق تبشر بأساليب عديدة فى هذا الصدد ، وعساها تكون أبعث على العجب .

لهذا هو الخشب الممتاز

مادة جديدة ضاعفت موارد الخشب الامريكية المتضائلة

هارلند مانشستر

ملخصة عن مجلة «اميريكان فورستس»

لم تكد تشتد حاجة أمريكا إلى الخشب لكثرة ما تستنفده الحرب منه على نطاق لا يجاريه نمو الغابات الجديدة ، حتى حدث ما زاد موارد الولايات المتحدة من الخشب أضعافاً مضاعفة . فالأخشاب اللينة كخشب أشجار الصنوبر السريعة النمو ، التي تغطى ١٨٠ مليون فدان فى الولايات الجنوبية ، وخشب الأشجار البواسق فى كاليفورنيا مثل الردوود والحور وغيرها ، كانت تنبذ جميعا لأنها عديمة الفائدة ، أما الآن فقد أمكنت تقويته حتى يصبح ممتازاً يحل محل خشب القيقب والسنديان والجوز وغيرها من أخشاب الأثاث . ففي غابات الولايات المتحدة ألف صنف من الأشجار ، ولكن لم يكن يستغل منها استغلالا تجارياً سوى ٥٠ صنفاً . أما الآن فقد غدا خشبها جميعاً ، على وجه التقريب ، صالحاً للاستعمال.

ومن الممكن أن نقول إن الخشب الممتاز الجديد ليس خشباً على الإطلاق ، فهو مادة جديدة كل الجدة . وقد صنعه فريق من الكيميائيين فى شركة دوبون وعلى رأسهم الدكتور برلينر ، ولكنهم يعترفون بدينهم العظيم للبحوث التى أجراها علماء الحكومة الأمريكية فى « معمل منتجات الغابات » .

يشبع الخشب تحت الضغط بمركب كيميائى رخيص لا لون له ، فيتحد بعناصر أحماض الخشب ، فيتألف عجين صمغي يتغلغل فى نسيجه. والمادة الجديدة تشبه الخشب الحر ، إلا أن لونها أميل إلى الكدرة قليلا .

ومهما يكن الخشب صلباً ، فإن معالجته بالأسلوب الجديد تجعله أصلب ، فخشب القيقب اللين يصبح أصلب من القيقب الصلب بطبيعته. والقيقب الصلب يصبح أصلب من الأبنوس. ولو عرّض هذا الخشب الصلب للهيب لاشتعل فى آخر الأمر ولكنه لا يبقى مشتعلا بعد إبعاد اللهيب عنه . وقد عولج الخشب من قبل بمواد كيميائية لكيلا يقبل الاشتعال ، ولكن هذه المواد تتسرب بطبيعتها فيعود الخشب قابلا للاشتعال . أما هذا الخشب الممتاز فيمتنع على النار زمناً طويلا .

والمادة الكيميائية التى تفعل هذا الفعل هى مسحوق أبيض يدعى « مثيلول يوريا »

وقد كانت مادة اليوريا ترد إلى أمريكا من ألمانيا حتى سنة ١٩٢٠ ، وكان ثمن الرطل يبلغ ١٤ قرشاً . أما الآن فإن أحد مصانع دوبون يحضر مقادير كبيرة منها ، من ثانى أكسيد الكربون والأمونيا ، ويبيع الرطل بأقل من قرش .

وقد وجد رجال البحث فى « معمل منتجات الغابات » أن ذرّ بلورات اليوريا على الخشب الأخضر، يمنع تكسره وتشققه، ثم كشفوا أنهم يستطيعون أن يفرغوه فى أى قالب يريدون ، إن هم أشبعوه بمحلول اليوريا وأحموه ، ثم أضافوا مادة «الفورمالدهايد» لتجميده فى القالب . وكذلك ظفروا بطريقة جديدة تتيح لهم الحصول على قوالب من الخشب لهياكل السفن أو لأجسام السابحات (الطائرات الشراعية) .

ولما كان صمغ اليوريا شديد القبول للأصباغ ، ففى الوسع أن يلون هذا الخشب، الذى لا يتسخ ولا ينفذ فيه الماء ، تلويناً دائماً بأى لون تشاء ، فيستعمل لأثاث الدور ومعدات الحانات وموائد المطاعم ولعب الصغار وأزرار الملابس . فإذا وقع اليوم شئ على مائدة الطعام ، أو إذا انقلب وعاء المادة المزيلة لدهان تطريف الأظافر على مائدة الزينة كلف صقل الخشب فى الحالين نفقة كبيرة، ولكن إذا حدث مثل هذا غداً فإن قطعة صغيرة من السَّفن (الصنفرة)، وقليلا من شمع التلميع كافيان لإعادة الحالة إلى ما كانت عليه . وذلك بفضل هذا الخشب المحول .

إن المادة المصنوعة من الخشب المحول ، لا يقتصر صقلها على طبقة رقيقة مبسوطة على سطحها بل هو متغلغل فى الخشب كله . فاندلاق القهوة ، أو وضع الصحون الساخنة عليه ، أو حدوث الخدوش ، كل ذلك لا يضيره . والأثاث المصنوع منه يحتمل كل عبث تقريباً ، فلك أن تنقعه فى الماء ثم لا يعوجّ . وهو على متانته ، جميل مصقول كالحرير يجلو تجازيع الخشب أحسن جلاء .

وثمة الآن ثمانية مصانع أمريكية ، تستعمل أو تتأهب لاستعمال ، هذا الأسلوب الجديد الذى يقلب صناعة الخشب رأساً على عقب ، وهو غير محتكر لأحد . فالأساليب الأصلية التى سجلها معمل منتجات الغابات ، مباحة بغير مقابل . ولما كانت شركة دوبون هى وحدها التى تصنع اليوريا المحضرة فى أمريكا ، كان كل ما تستفيده هو أن يزداد بيع ما تصنعه منها . وقد مضت سنون وأصحاب مصانع التجارة يتوقعون أن يأتى يوم تتضاءل موارد الخشب بين أيديهم ، على حين أخذت المواد المصنوعة من الفلزات أو العجائن تغزو أسواقهم . أما الآن فقد تيسر الخشب الممتاز ، وهو مصدر ثروة مضمونة .

مكافحة الأمية :

[إن طريقة الدكتور لوباك قد فتحت مسالك التعليم للملايين من الأميين فى جميع أنحاء العالم]

ليعلم كل امرئ منكم أخاه

ج . پ . ماك ايقوى

من المحتمل أنك لم تسمع بالدكتور فرانك لوباك ، ومع ذلك فاسمه معروف مشهور بين الملايين من عارفى فضله فى جميع أنحاء العالم . فإن هذا المبشر الأمريكى العبقرى ، ذا الصوت الهادئ الوديع ، قد ابتكر أبسط الوسائل وأنجعها لتعليم الأميين القراءة (وهم يزيدون على نصف سكان الأرض) ، وقد أمكنه أن يستخدم طريقته بنجاح فى ٨٤ لغة مختلفة .

ولوباك يعترف ، متواضعاً ، بأنه هو نفسه من الأميين فى هذه اللغات جميعاً .

ولقد يعجب المرء كيف استطاع رجل يجهل الإسبانية مثلا أن يقف محاضراً أمام جماهير كبيرة من الأميين فى أمريكا اللاتينية ، ويعلمهم كيف يقرأون ٢٤ كلمة إسبانية فى خمس دقائق . وأنا نفسى لم أكن أصدق هذا الأمر حتى رأيته بعينى فى هافانا منذ عهد قريب ، فكانت طريقته أن بدأ ببعض عبارات موضحة يقوم بترجمتها للجمهور أحد رجال الدين ، ثم طلب من بين الحضور متطوعاً . فنهضت امرأة عجوز من أهل كوبا ، وتقدمت إلى المسرح ، فأجلسها الدكتور بين يديه وظهرها للنظارة ، وأخذ يشير إلى صور مرسومة فى لوحة . ويطلب منها أن تقرأ الاسم الدال على كل صورة مقطعاً مقطعاً .


الدكتور فرانك لوباك

وعند ما تسنى لها فى آخر الدرس أن تقرأ فى شئ من التردد جميع الكلمات المنقوشة على اللوحة دون أن تخطئ ، هتف لها الحاضرون . وكان منظرها ، وقد التفتت إلى الناس وآيات الرضى والفخر مرسومة على وجهها المجعد ، منظراً يثير الإعجاب .

فقال لها الدكتور لوباك : « فى وسعك الآن أن تقرئى أية كلمة مؤلفة من نفس تلك الأجزاء الصغيرة (المقاطع) . ولكن لا بدّ لك قبل أن تحضرى الدرس الثانى مساء غد أن تبحثى عن شخص آخر لا يعرف القراءة وتعلميه الدرس الذى تعلمته الآن : « ليعلم كل امرئ منكم أخاه » . وبهذه الوسيلة تمنحين غيرك تلك السعادة التى تحسّينها الآن . ومن المستحيل عليك فى هذه الحالة أن تنسى دروسك ، لأن أفضل الوسائل لتعلم شئ هى أن تعلمه غيرك » .

« ليعلم كل امرئ منكم أخاه ! » —

هــذا هو المبدأ الذى يسير عليه الدكتور لوباك ، وهو سر نجاحه الباهر . وهذا المبدأ قد تعلمه هو أيضاً من رجل آخر من الأميين ، وهو أحــد رؤساء قبائل المورو فى جزر الفلبين ، وقد ذهب لوباك إلى هناك فى عام ١٩١٥ لكى يكون عميــدا لمعهد يونيون كولدج فى مانيلا ، وبعد أن شغل هذا المنصب خمس سنين ألفى نفسه فى مجاهل جزيرة مندناو يعلم قبائل المورو القراءة .

ويقول الدكتور لوباك : « عندماذكرت لأحــد رؤساء المورو أنى مضطر إلى أن أكفّ عن تعليم الأميين صاح بى الرئيس : إن هذه الحملة لن تقف بسبب قلة المال . وعلى كل امرئ تعلم أن يتولى تعليم رجل آخر . وإلا فالويل له منى !

«وهكذا ابتكر لنا هذا الزعيم المتوقد الذهن والعينين ، فى أحلك الساعات ، مبدأ: « ليعلم كل امرئ منكم أخاه ». ومنذ ذلك الحين طاف هذا المبدأحول الأرض» .

ويحق لنا أن نسأل كيف استطاع لوباك، وهو يجهل لغــة المورو ، أن يضع الطريقة التى يسرت لآلاف من رجال القبائل أن يتعلموا القراءة .

قال لوباك : « بدأت أتودّد إليهم أولا فهم قوم مسلمون وأنا رجل مسيحىّ ، فكان لا بد لى من أن أوقر دينهم ليوقروا دينى ، فقلت لبعض أهل العلم فيهم : إنى أريد أن أدرس القرآن الكريم . فلم يأت اليوم التالى حتى أقبلوا علىّ فى كوخى، وهم حريصون على تلقينى مبادىء الإسلام » .

وقد علم لوباك أن لغة المورو لم يكتب منها لفظ واحد من قبل . وقد أمكنه بمساعدة

a la	a	
ma no	ma	
sa po	sa	
la piz	la	
pa to	pa	
va ca	va	
ca sa	ca	

هذه قطعة من إحدى لوحات الدكتور لوباك ، التى يستعين بها على تعليم الأميين قراءة الإسبانية . وهو يبدأ بالإشارة إلى صورة الجناح : ويسأل ما هــذا ؟ فيجيب الطالب a - la أى جناح ، عند ذلك يريه لوباك كلمة a - la على اللوحة ، ويلفت نظره إلى أن أولها حرف a المكتوب فى الخانة اليمنى . ثم يسأله : ما الصوت الأول فى كلمة ma - no فيجيب الطالب ma فيقول الدكتور لوباك : وها هى ma الخانةاليمنى . وهكذا يتمكن الطالب من ربط بعض المقاطع بالصور التى على اللوحة .

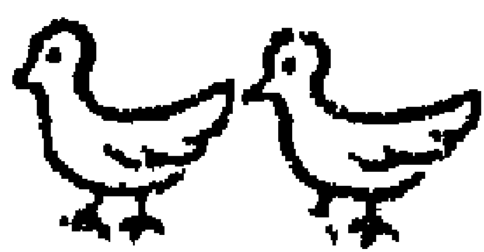
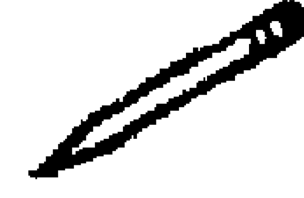
أحد المعلمين من أهل الفلبين أن يلائم بين ألفاظها وبين الحروف اللاتينية ، فجعل لكل صوت حرفاً واحداً ، ولكل حرف صوتاً واحداً لا غير ، فوجد أن من الممكن أن تكتب لغة المورو باستخدام الحروف الأربعة اللينة و ١٢ من الحروف الساكنة .

ولكن كيف يتسنى للمورو أن يتعلموا قراءتها ؟ بحث الدكتور لوباك طويلا حتى عثر على ثلاث كلمات تشتمل ، مجتمعة ، على جميع الحروف الساكنة الاثنى عشر * . وقال الدكتور لوباك : « إنى اتخذت هذه الكلمات الثلاث بمثابة هيكل أبنى عليه . فاصطنعت لوحات خُطت عليها الحروف — كل حرف ارتفاعه بوصة — وجعلت من كل كلمة درساً قائماً بذاته » .

فكان مثلا يطلب من أحدهم أن يحفظ صورة MA ثم ينقله إلى جزء آخر من اللوحة حيث توجد كلمة MA MA . فإذا استطاع قراءتها ، فقد قرأ كلمة رجل بلغة المورو .

ويقول لوباك : « فلما أجاد الطالب قراءة اللوحات صار يسيراً عليه أن يعلم نفسه بالمطالعة . وكانت أول قطعة مطالعة عرضتها عليه أنشودة يتغنى بها المورو منذ الطفولة . فاليوم ، للمرة الأولى ، أصبح يقرأ ما كان يغنيه ، ويغنّى وهو يقرأ . وقد بلغت الدهشة بأحد الطلبة أن وقف وصاح وهو يحملق بعينيه : « إن هذا سحر ! » » .

ويقدر لوباك أن ٧٠ ٪ من المورو فى جزيرة مندناو قد تعلموا القراءة عن

pa pa va a la ca sa

والخطوة التالية هى أن يسأل التلميذ أن يقرأ جهراً جملا بسيطة مؤلفة من المقاطع التى تعلمها ، على أن يكون كل مقطع مصحوباً بصورته التى تدل عليه ، فيستطيع التلميذ أن يربط الصور والحروف والصوت بعضها ببعض . فيجد من السهل أن يقرأ مثلا papa va a la casa (الأب يذهب إلى المنزل) . ثم لا يلبث بعد ذلك أن يقرأ المقاطع من غير استعانة بالصور ، وبذلك يكون قادراً على القراءة .

---

* هذه الكلمات هى Ma la ba nga وهى بلدة فى جزر الفلبين
Ka ra ta sa ومعناها ورقة أو قرطاس
Pa ga na da « يدرس أو يحفظ

لوحاته . ولكن فى الفلبين ١٧ لساناً مهماً ، وقد أعد لوباك الدروس اللازمة لكل منها ، متخذاً نفس هــذه الطريقة أساساً . وقد كان الأميون وهم يتعلمون القراءة يعلمون لوباك نفسه وسائل أحسن وأسرع لتعليمهم .

ويقول لوباك : « ومما يساعدنى فى عملى أننى أنا أيضاً أمى فى لغتهم ، فأستطيع أن أدرك المشاكل التى يواجهونها ، وأشاركهم شعورهم . فالأمى هو خير من يحكم : أنجح التعليم أم لم ينجح . فإذا استطاع أن يقرأ كان التعليم صحيحاً ، وإذا لم يستطع فلابد أن يكون هنالك نقص فى المعلم أو فى الدروس .

« ولم أر قط رجلا بلغ من العمر مبلغاً يعجزه عن تعلم القراءة ، فالرأى الشائع أن الصغار أسرع إلى التعلم من الكبار ، رأى فاسد » .

فى سنة ١٩٣٥ تخلف الدكتور لوباك فى سنغافورة زمناً قصيراً ، وأعد اللوحات الصوتية اللازمة لتعليم لغة الملايو . ثم سافر إلى الهند ، حيث أخذ يعالج اللسان المسمى « هندى » ، فجمع الحروف المتشابهة الصورة فى مجموعة واحدة ، فكان عــدد المجموعات ١٣ ، وبنى على هــذا التقسيم دروسه . ثم ذهب بها إلى المهاتما غاندى لكى يمنحها بركته ، فكان تأثيرها فى غاندى خلاف المنتظر ، فقد دفع اللوحات بيده وقال : « لست أظن أن تعليم الأميين هو أكبر مشاكل الهند ، بل المشكلة الاقتصادية هى التى تتطلب الحل السريع . ولقد يكون ضرر التعليم أكثر من نفعه ، لأن كثيراً من العقول تستغنى بالقراءة عن التفكير ، بل إن أعظم الذين أحسنوا إلى النوع البشرى كانوا من الأميين ، وحسبك مثالا محمد » .

قال الدكتور لوباك : « ظللت لحظة لا أحير جواباً ، ثم خطر لى رد كأنه نزل علىّ من السماء . فقلت : « صدقت يا مستر غاندى ، ومع ذلك لو أنك لم تؤلف كتباً ، ولو أننا لم نتعلم كيف نطالعها لما تسنى للملايين من المعجبين بك اليوم أن يسمعوا بك» . فقال فى خشوع : « هذا صحيح » . وبعد أربع سنوات جاءنى منه خطاب يقول فيه : «إننى اسلم الآن برأيك ، فلا بد لنا من تعليم القراءة من أجل النظام النيابى . ولو استطاع كل امرىء منا أن يعلم أحد الأميين ، لتعلم سكان الهند القراءة فى زمن وجيز » .

ولكن المشكلة فى الهند مشكلة ضخمة ، فإن فيها من الأميين بحسب تقدير الدكتور لوباك ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (أى ثلث الأميين فى العالم) ، ولكنه مع ذلك أخذ يهاجم المشكلة بروح خارقة من التفاؤل . فقد قطع

فى تجواله بالهند ١٦٠٠٠ ميل ، وعقد ٤٠ اجتماعاً إقليمياً ، من أجل رسم اللوحات الصوتية ووضع طريقة التعليم ، وفى عشرة أسابيع أمكنه وأعوانه أن يعدوا الدروس التجريبية فى اللسان الهندى ، والمهراتى ، والتليجو ، والتامل ، والأوردو . وهذه الخمسة من أهم لغات الهند التى يبلغ عددها ٢٢٥ . ثم ترك لطائفة من المعلمين ، درّبهم تدريباً خاصا لهذا العمل ، أن يقوموا بتجربة هذه الدروس وتحسينها . واليوم نرى الحملة على الأمية قائمة فى الهند على قدم وساق بالرغم من الحرب .

ثم جاءت بعد ذلك بعض الأقطار العربية مثل سوريا وفلسطين ، فقررت الجامعة الأمريكية ببيروت أن يكون تعليم الأميين من الأعمال الأساسية فى مشروع إنهاض القرى الذى تقوم به .

وفى تركيا خصصت الحكومة ستة من كبار رجال التعليم لمساعدة الدكتور لوباك فى إعداد دروسه ، ثم تسلمتها الحكومة بعد ذلك ، وأخذت فى نشرها وتعليمها .

ودعت عصبة الأمم الدكتور لوباك ليقوم بحملته هذه فى إفريقية ، فلم تفلّ من عزمه ضخامة المشكلة ، لأن فى تلك القارة ما لا يقل عن ٣٠٠ لغة ولهجة مختلفة . وبادر فألف لجنة من الخبراء فى اللغات الإفريقية الرئيسية ، ثم أخذ يعد لوحات دروسه .

وقد لقيت حملته الإفريقية نجاحاً رائعاً ، وكان الدكتور لوباك نفسه أول من دهش لتقدم الإفريقيين — وعلى الأخص النساء ، وهو يقول : « إننى لم أشهد — حتى ولا فى جزر الفلبين — مثل هذا الشغف والحرص على التعلم ، وهذا التقدم السريع . وفى مساء السبت من كل أسبوع عند ما يجىء موعد إغلاق المدرسة ، كان أولئك النسوة يلتمسنَ منا أن نستمر فى التدريس » . وقد قال له أحد الموظفين من الوطنيين : « لقد راقبتك يوماً بعد يوم وأنت تعلم أبناء وطنى ، وقد أصبحت مؤمناً بأن هذا العمل هو أزهى الآمال التى جاءت إلى إفريقية منذ عهد لفنجستون » .

فى العامين الأخيرين خص الدكتور لوباك بجهوده أمريكا اللاتينية ، وذلك بناء على طلب لجنة مكافحة الأمية فى مؤتمر التبشير الخارجى ، وقد أقرت تسع حكومات طريقة الدكتور لوباك رسميا ، وعند ما رجع إلى بيرو منذ بضعة أشهر وجد ١٤٠٠٠ من المدرسين الموظفين ، وآلافاً لا تحصى من المتطوعين — طبقاً لمبدأ « ليعلم كل امرئ منكم أخاه » — وكلهم يعلم الأميين بطريقته التصويرية . وتشتمل طريقته على ١٦ درساً

صوتياً (للاسبانية أو البرتغالية) ويستطيع كل أمِّـى بالغ أن يتعلم واحداً منها فى مدة تتراوح بين خمس دقائق ونصف ساعة . وبعـد ذلك يمكنه أن يقرأ جهراً جميع الكلمات التى يعرفها ، ثم يصبح قادراً على أن يعلم نفسه كيف يقرأ كل شىء يدخل فى نطاق المفردات التى يتعلمها .

ويفضل الدكتور لوباك أن يعلم البالغين كل فرد على حدة ، أو فى مجموعات صغيرة ، حتى لا يعروهم الخجل من النـاس ، ومن أجل ذلك قلما يسمح للمتعلمين أن يحضروا دروسه . وقد أدلى بكثير من الحكم البالغة فى هذا المعنى ، فقال : « اذكر أنهم ليسوا أطفالا ، فلا نستطيع أن نرغمهم على الذهاب إلى المدرسة ، والطريقة الوحيدة لاجتذابهم هى التشويق . والطالب الذى يحصل مقداراً وافراً من التعليم فى اليوم الأول لن يعود فى اليوم التالى ، فابذل له الثناء والتشجيع بسخاء ، وربت على ظهره وقل له : لله درك ما أذكاك ! ثم انظر كيف يستوى فى مجلسه ويرتفع رأسه ويشرق وجهه . وهناك يحس سعادة لم يحس مثلها من قبل . وأنت كذلك ستحس سعادة لم تشعر بمثلها من قبل » .

تخرج الدكتور لوباك من جامعة برنستون حيث تخصص فى علم الاجتماع . وقد جعل موضوع بحثه للدكتوراه فى الفلسفة ، دراسة الأطفال المشردين فى مدينة نيويورك . ثم التحق بالمعهد الدينى الملحق بجامعة كولومبيا ، واشتغل بالخدمة الاجتماعية فترة من الزمن ، ثم عين قسيساً بمدينة ناساو ، وأخيراً ذهب إلى الفلبين ، ونزل أولا فى مانيلا ، ثم فى جزيرة مندناو ، ثم فى أرض المورو .

ويرى الدكتور لوباك أن أعظم مرحلة فى حملته الأخيرة فى أمريكا اللاتينية ، هى التى قام بها فى جزر هايتى ، حيث استطاع أن يعلم ٧٠٫٠٠٠ من السكان كيف يقرأون ويكتبون لغة إنجليزية سهلة ، ومن غرائب المتناقضات أن هـذا الرجل الأمريكى يرى أن تعليم الإنجليزية على طريقته أصعب مشكلة صادفها .

ويقـول الدكتور لوباك : « لقد شنت حرب على الأميـة لم تزل منذ ربع قرن ، وأصابت نجاحاً باهراً . ففى روسـيا أمكن تعليم ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ القراءة والكتابة ، وفى الصين — بفضل ما قام به جيمى ين (*) من تعليم الجماهير — أمكن محو الأمية عن ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ وفى الهنـد أمكن تعليم ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ وكذلك ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فى جهات أخرى ، ولكن لا يزال أمامنا أن نعلم ما يزيد على نصف سكان الأرض » .

(*) « جيمى ين معلم الصين » المختار عدد فبراير ١٩٤٤ ص ٣٠

ولقد يحدث للدكتور لوباك وهو يطوف بالعالم في جد وحماسة ، ينشر التعليم ، ويمحو الأمية ، على الرغم من أنه نيف على الستين أن يعارضه أحد الناس ، ويذكر له البيت المعروف للشاعر الإنجليزي ألكسندر پوب إذ يقول : « إن القليل من المعرفة شيء عظيم الخطر » فعند ذلك تبرق عينا لوباك ويصيح بمحدثه : « إن كل تعليم خطر إذا كان القلب وحشيا شرساً . انظر إلى السموات اليوم وقد امتلأت بأحدث المخترعات العامية للتخريب والتدمير ، ترى أن العلم الكثير أعظم خطراً من العلم القليل ، وذلك لنفس السبب الذي من أجله كانت قاذفة القنابل أشد خطراً من القوس والسهم » .

وفي النهاية يقول لنا الدكتور لوباك : « إن الحملة على الأمية تعترضها نفس المشاكل التي تعترض التربية والتعليم دائما ، ألا وهي : كيف نستطيع أن نرقى بالقلوب ، ونحن نرقى بالعقول . فالحياة النبيلة لا يمكن أن تحفظ عن ظهر قلب كما تحفظ دروس التاريخ ، بل لا بد لها أن تنمى بالتربية وأن يتعودها المرء في الفكر والعمل . وقد أقنعتني تجاربي في تربية البالغين ، في كثير من الأقطار وبكثير من اللغات ، أن أفضل الوسائل التي تكفل بذل المعروف وعمله بين الناس — وهو ما يعوز العالم اليوم — إنما يجيء عن طريق هذه الحملات على الأمية ، لأن التطوع للتعليم سرعان ما ينمي روح الحب والتعاون . وبعبارة أخرى إن في مبدأ : « ليعلم كل امرئ منكم أخاه » غذاء للروح ورياضة للقلب والعقل على السواء .



شاهد أحد الزوار في مستشفى عسكري ، جنديا من إحدى الكتائب الإرلندية وكان مصاباً بجراح بالغة فقال :

— متى ينتظر أن تعيدوه إلى أهله ؟ فقال الممرض :

— لا ينوي أن يعود إلى أهله . بل سيعود إلى ميدان القتال . فقال الزائر :

— إلى الميدان ! ولكن حالته تدعو إلى الرثاء .

فقال الممرض :

— نعم ، ولكنه إرلندي ويظن انه يعرف من جرحه .

[صحيفة معسكر لفنجستون]


الصين


فى نظر مجلة لايف

أحد مراسليها يوافيها – من خلال الحصار – بهذا التقرير بعد أن شاهد بنفسه أحوال الصين

تيودور هـ. هوايت + ملخصة عن مجلة "لايف"

الفكرة الشائعة عن الصين فى أمريكا اليوم مكونة من ثلاث أساطير متمكنة : الأولى مصدرها هؤلاء التجار الذين كانوا يغشون شواطىء الصين لكسب المال ، وفحوى هذه الأسطورة أن الصينيين جميعهم خبثاء خداعون لا يطمأن إليهم ولا يوثق بهم ، وأنهم جبناء قذرون ، ولا معدى لنا عن أن نعاملهم معاملة الشعوب الوضيعة المتخلفة ، تخضعها السفن الحربية الصغيرة والأسلحة ، فالشرق والغرب فى هذا الرأى لن يلتقيا ، ولله الحمد على ذلك .

والأسطورة الثانية أسطورة مدام شيانج كاى شك ، ولا شىء أبلغ فى الدلالة على عبقرية هذه المرأة الألمعية من البراعة التى استطاعت بها أن تسربل الصين جميعها بضياء شخصيتها المشرقة ، والصينيون جميعهم بمقتضى هذه الأسطورة نبلاء النفوس يحكمهم ساسة مهذبون من طراز مدام شيانج كاى شك ، يوحى إليهم ويسيطر على نفوسهم مزيج فلسفى من الكونفوشيوسية والمسيحية يفيض جمالا وروعة ، وليس هناك فساد ولا انقسام ، والجيوش الصينية تحبط أعمال اليابانيين غير معتمدة على شىء سوى المهارة والجرأة والشجاعة الأدبية المتفوقة ، فالصين تسيل جراحاتها وليس هناك من يضمدها .

والأسطورة الثالثة وتتقاسمها جماعات مختلفة مثل الحزب الشيوعى وموظفو وزارة الخارجية الذين خابت آمالهم ، ومضمونها أن عصبة الحكومة فى شنكنج فاشية خالصة ، وأنها تتقنع بقناع الدمقراطية ، وأن شنكنج راغبة عن قتال اليابانيين ، وأن الشيوعيين فى الشمال هم الذين صدوا الغزو اليابانى .

ولا حقيقة لشىء من هذه الأساطير .

تيودور هـ . هوايت وعمره ٢٨ سنة كان مراسل تايم ولايف في الشرق الأقصى خمس سنوات ، وفى هذه المدة تنقل في مقاطعات الصين الحرة وأمعن فيها إمعانا لم يتيسر لغيره من مراسلى الصحف . وقد شاهد عن قرب حرب الصين وسياستها فى شنكنج وفى الميدان ، وقد عاد حديثا إلي أمريكا .



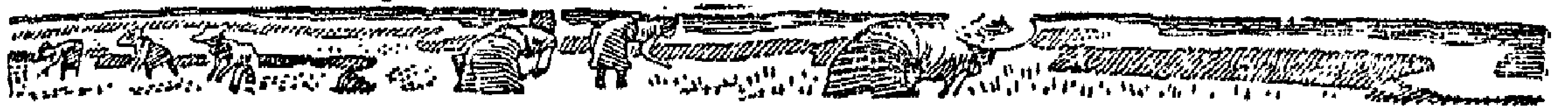
وأهم حقيقة عن الصين هى أنها أرض مزارعين ، أرض رجال ونساء غلاظ الأكف سمر الأجسام يكدحون من الصباح إلى المساء فى الحقول، ويحبون الأرض. والرابطة التى تربط هؤلاء الناس ليست اللغة المشتركة أو التقاليد الثقافية فحسب بل أيضاً خضوعهم جميعهم لسلطان الفقر والجهالة اللذين لا نظير لهما فى العالم الغربى ، وهذا التشوُّر اللافح من الفقر المدقع ينبعث منه جهاد الصينيين اليائس فى سبيل العيش .

وقد أخرجت الحضارة الصينية القديمة شريعة للأخلاق والفكر تضم العامل الأجير والسيد الحاكم ، وهى أنموذج فى التهذيب والتسامح لم يرتفع الغرب إلى مستواه إلا نادراً ، والصينيون يعتزون بطريقتهم فى الحياة ،وفى قلوبهم يقين قوى بعظمة الصين.

وإذا حللت تاريخ الصين المعقد المتشابك منذ سقوط أسرة المانشو الذى مضى عليه ثلاثون عاماً ، وجدت ثلاثة عناصر لا تزال تعمل عملها : الأول ظهور سادة الحرب ، وهم قوم غلاظ مفترسون عاثوا فى الأرض فساداً ، تاركين وراءهم الوباء والخراب، وقد مزقوا أوصال الصين وقسموها إلى إقطاعات تقسيما متعسفاً ، وفى كل قسم يحكم أحد هؤلاء حكماً مطلقاً ، ويشترى ولاءه بالمال .

وظهر بعد ذلك العنصر الثانى ، وهو جماعة القوميين ، وهم لم يشذوا عن تقاليد الصين ، فبعد كل انهيار فى حكومة الصين كانت تظهر قوة لكى تعيد إلى البلاد وحدتها ، ولم يكن القوميون قوة موحدة فحسب ، بل كانوا أيضاً ثمرة من ثمرات التأثر العام بالثقافة الغربية ، فقد تبع ازدياد المدارس وإنشاء السكك الحديدية وبناء المصانع ، قيام المدن الضخمة ينشأ فى كنفها جماعات كبيرة من العمال والكتبة والتجار والصيرفيين والمدرسين ، ولم تكن رغبتهم مقصورة على أن يردوا إلى بلادهم وحدتها كما كانت ، بل أدركوا أيضاً أنه لا بد من تحقيق ذلك بوسائل غربية .

ومع ذلك فإننا نخطىء إذا ما فرضنا أن القوميين كانوا يقبلون الحضارة الغربية قبولا تاماً ، ولا يستطيع أحد أن يفهم الصين اليوم إذا هو لم يعرف العداوة والحقد الذى يضمره الصينى المستنير لرجال الأعمال الأجانب الذين عاملوه فى بلاده معاملة العامل الأجير . ففى بعض المدن كان الأجنبى يوصد الحدائق العامة فى وجه الصينيين ، وفى بعض البواخر كان لا يسمح لهم بأن يركبوا فى الدرجة الأولى . وهذا الإذلال، وما خلفه من الانقسام والتفكك وإراقة الدماء ،



يفسر لنا لماذا تشغل مسألة الوحدة المكان الأول فى عقول كثير من الصينيين .

والقوة الثالثة العظيمة فى الصين هى قوة الحزب الشيوعى ، وقد كان ظهورها على مسرح الحوادث متأخراً ، ومن الصعب تقدير مدى تأثيرها ، وهى مثل الحزب القومى ترى أن الصين محتاجة إلى الوحدة والأخذ بالأساليب الحديثة ، ولكنها تذهب إلى أبعد من ذلك وتتساءل : من الذى ينظم الصين ؟ ولمصلحة من تنظم ؟ وهل ينظمها الأغنياء والمتعلمون أو المزارعون وطبقة العمال ؟

وفى الصين اليوم وحدة من هذه القوى الثلاث مفككة الروابط ، وهى تعمل على مقاومة الغزو اليابانى . وسادة الحرب والقوميون فى الحكومة المركزية والشيوعيون ، جميعهم متفقون إلى حد ما على مجاهدة الأعداء . وقد استمرت هذه الحرب سبع سنوات ، ومع أنها حين بدأت كان الاتحاد وثيقاً بين الأحزاب الثلاثة ، إلا أن اتفاقها اليوم على الغاية المشتركة ، قد طرأ عليه تغيير محزن .

وتقع على عاتق أمريكا تبعة عظيمة فى هذا التدهور الذى أصاب الصين . لقد قدمت أمريكا الوعود لحكومة الصين ، ولكنها لم تف بها كاملة . لقد ضحى كثير من الجنود الأمريكيين بحياتهم فى محاولة جريئة لتمكين الصين من الاستمرار فى الجهاد ومدّها بالذخائر ، ولكن أمريكا قد عدت رفع الحصار عن الصين أمراً ثانوياً بل أهون شأناً .

وصورة الصين الشاملة كما تبدو اليوم مكونة من ثلاث مشكلات متداخلة : هى الحصار ، والتضخم المالى ، وتعقد الموقف السياسى من جراء تصادم المصالح .

لم تحاصر بلاد فى العصور الحديثة كما حوصرت الصين الآن ، فمنذ سد طريق بورما فى ربيع سنة ١٩٤٢ ، عاش الصينيون تقريباً على ما عندهم ، وقد كان هناك خمس عشرة ألف سيارة نقل تعمل فى طرق الصين ، أما اليوم فربما كان لا يوجد سوى خمسة آلاف ، والباقى قد أبلاه الاستعمال . والفرق بين هذين الرقمين يدل على مبلغ المأساة ، ومعناه أنه عندما يكون هناك مجاعة كالمجاعة التى حدثت فى هونان أو كوانجتنج ، لا يكون هناك من السيارات ما يكفى لنقل المؤن إليها أو حمل الناس منها ، ويموت الناس من جراء ذلك فى الطرق ، وتأكلهم الكلاب ، وتصبح القرى خاوية على عروشها . ومعناه أنه لا يوجد طريق ميسور لحمل المواد الخام إلى المصانع ، ومعناه أن السلطة المركزية على المقاطعات تتقلص ظلالها ، ومعناه أن



نظام التبادل الاقتصادى الداخلى جميعه يتدهور وتشل حركته . فهذا أكثر طرق الصين حركة بلغ المرور فيه خلال الصيف الأخير فى مدة شهر معدلا يوميا مقداره ١٢٥ عربة من عربات النقل من جميع الأصناف ما بين رائحة وغادية .

والجيوش الصينية تسير على الأقدام ، وتطوى فرقها ١٥٠٠ ميل على القدم ، ولا يعرف معنى البؤس إلا من شاهد هؤلاء الجنود الحفاة العجاف فى أسمالهم وهم يضربون فى طرق الجبال . ولا توجد موارد للطعام فى بعض الطرق التى يسلكونها ، وفى بعض الأوقات ينقضى اليوم دون أن يطعم الجنود شيئاً . ويبيع الجنود أغطيتهم ليشتروا بثمنها طعاماً من القرويين ، أما فى الليل فينامون فى الجبال ، وقد لبد بعضهم فى بعض ليتقوا صولة البرد . وأعرف وحدة مات ٣٠ ٪ من جنودها فى خلال مسير خمسمائة ميل ، والباقون فحصهم طبيب أمريكى فكان منهم ١٥ ٪ مصابون بالسل .

وهذا الحصار لا يمكن الصين من أن تنتج المواد اللازمة للحرب بالمقادير المطلوبة ، وإنتاج الرصاص والقنابل للبنادق والمدافع من القلة بحيث لا يمكن هيئة أركان حرب غربية عاقلة أن تفكر فى إرسال جيوش إلى الحرب بمثل هذه الذخيرة القليلة . ونتيجة هذا النقص الفاحش ظاهرة فى تلك الرغبة التى كادت تصبح عادة ، وهى الرغبة فى تجنب الاشتباك فى معركة مهما كانت الظروف . وإن الأسلحة والذخائر لأهم من الأرض .

وفى مثل هذه الأحوال قد يخطر للغربى بحق أن يتساءل : كيف استطاعت الصين أن تظل محاربة ؟ إن زعامة شيانج كاى شيك هى التى جعلت الصين تواصل الحرب ، وهذه القيادة تقاوم اليابان فى غير تردد ولا إحجام ، على أنها كانت تكون عقيمة لو لم تكن معتمدة على ثبات الصين الذى تستمده من مزارعها ، والمزارع ينتج شيئين : الطعام والأبناء ، وهو المادة العظيمة الخام للحرب فى الصين .

والمشكلة الثانية العظيمة فى الصين هى مشكلة التضخم المالى ، فلم تبق موارد حقيقية من الإيرادات ، ولا دخل من الضرائب ، ولا صناعة لاستدرار الربح . والصين تدبر المال لجيشها بطبع أوراق مالية ، ففى العام الماضى بلغت الأوراق المالية التى أخرجت ٤٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال صينى ، أما فى هذا العام فسيكون العدد أكبر .

وهذا التضخم ينطوى على خطر عظيم للمقاومة القومية ، لما تجره من ضعف أخلاقى .



فالرشوة متفشية سواء فى الأعمال الحكومية أو فى الأعمال الخاصة ، ولما صارت النقود قليلة القيمة قل قدرها عند الناس ، وقل تقديرهم للطرق التى تجمع بها ، وتستطيع أن تنال غرضك أينما وكيفما استطعت ، فالرشوة شائعة فى جمع ضريبة الحبوب من المزارع ، وفى طلب أولاده للجهاد ، فإذا عرفت من بيدهم الأمر أمكنك أن تتجنب الالتحاق بالجيش المحارب .

ومن هذا الموقف نشأت أغرب وأعجب جبهة وجدت بين أمتين متحاربتين ، فبين خطوط القتال غير المستقرة تجرى المتاجرة بين الفريقين ، وهى تجارة سليمة فى أساسها، توافيهم بالأدوية والأقمشة وغيرها من الضروريات، ولكن تأثيرها فى ضباط الجيش الذين يربحون من ورائها سىء ، إذ يسوءهم أن يروا تقطع هذه الصلات التجارية .

والحرب هى المسؤولة عن الحصار وعن التضخم المالى ، ولكنها ليست هى السبب فى الجمود السياسى الناشىء من تصادم المصالح فى شنكنج .ولا بد لك من أن تعيش فى شنكنج حتى تشعر بأثر الحزب القومى فى حياة الناس الخاصة ، فالرقابة مفروضة على كل من له مشاركة فى التعبير عن الرأى العام ، والجرائد تعيش على الإشاعات . وجميع المشكلات العظيمة ، مثل مشكلة المجاعة أو التضخم المالى أو الحصار أو العلاقات الأجنبية أو الشخصيات العامة ، لا يمكن بحثها بأمانة على مرأى ومسمع من الرأى العام .

وهناك فريقان من الشرطة السريين لا فريق واحد : فريق يعمل للمجلس القومى الحربى ، وفريق يعمل للحزب نفسه ، وعيونهم وعمالهم منتشرون فى كل مكان . نعم ، إن إلقاء القبض على الأفراد لم يعم ويكثر، ولكن وجود هذه السلطة فى يد رجال الشرطة السرية يغل ولا شك حرية المفكرين

ويسيطر اليوم على الحزب القومى أخوان هما : شن لى فو وشن كيوفو ، وهما يوجهان تفكير الأمة الصينية مستعينين على ذلك بالمكافآت ، وبالشرطة السرية ، وبالتجسس والسلطة الإدارية .

وشن كيوفو هو رئيس إدارة المستخدمين فى مقر حكومة شيانج كاى شك ، وفى يده بحكم وظيفته أمر الدخول إلى الحضرة السامية. وأخوه الأصغر شن لى فو أعظم مكانة من ذلك ، فهو وزير المعارف ، وقد خلق جواً من الإرهاب الفكرى لا يوجد له نظير إلا فى حكومات الطغيان الأخرى الكبيرة .

وترتبط القائد الأعلى بهذين الرجلين علاقات وثيقة ، ولكن فى داخل الحزب بغض



شديد لنفوذ عصبة شن وتوزيعها المكافآت، ورفضها السخيف أن تعالج مشكلات الصين الكبرى بطريقة تطابق الواقع .

وإذا نظرت إلى وضع الحزب القومي في السياسة والقيادة ، علمت أن الحرب الداخلية بينه وبين الحزب الشيوعي واقعة لا محالة ، فإذا هزمت اليابان غداً فمن المحتمل أن تسحق جيوش شيانج كاي شك الجيوش الشيوعية في مدى ستة أشهر ، ولكن الحرب طويلة الأمد ، وقد ازداد نفوذ الشيوعيين وتأثيرهم ، فمن الصعب أن تقطع رأي في تقدير قوة الفريقين ، وأثقب العارفين نظراً يرون أن الجفوة بين الحزبين لن تقع إلا بعد هزيمة اليابانيين .

ويريد القوميون قبل كل شيء أن يظهروا الصين للعالم بمظهر الأمة المتحدة ، فبهذا يقوى ساعدهم في الاجتماعات الدولية ، ولذلك كانت سياستهم في الرقابة على الأخبار ترمى إلى منع أى إشارة إلى مجهودات جيوش الشيوعيين في الشمال ، أو ما يفهم منه وجود معارضة داخلية خطيرة لحكمهم .

ومهما يكن من أمر ، فالواقع أن الشيوعيين الصينيين يبسطون حكمهم المستقل على أقاليم مترامية الأطراف آهلة بالسكان في شمال الصين . وبالرغم من أن عبء الحرب العظيم قد وقع على كاهل جيوش الحكومة المحلية ، فإن جيوش الشيوعيين تحارب اليابانيين في المقاطعات المهمة : شانتنج ، وهوبيه ، وشانسى ، وكيانجسو الشمالية . وقد استطاعوا ، مع انقطاع الاتصال بينهم وبين الحكومة المركزية ، أن ينسجوا شبكة من المقاومة الأهلية حول الحرس اليابانى والسكك الحديدية ، وأسلحتهم مأخوذة من اليابانيين أو مصنوعة في البلاد الصينية ، ويبلغ عددهم ما بين ٢٠٠,٠٠٠ و ٣٠٠,٠٠٠ رجل ، وهم يرغمون اليابانيين على تعطيل جيوش تبلغ ٢٠٠,٠٠٠

وتقف بالمرصاد في مؤخرة الشيوعيين عشر فرق من خيرة جيوش الحكومة المركزية ، لمنع الاتصال بينهم وبين المدد الخارجي ، وكان يمكن الانتفاع بهذه الفرق في محاربة اليابانيين . وحتى الأدوية التي ترسل لجيوش الشيوعيين تستولى عليها الحكومة المحلية .

وموضوع الخلاف بين القوميين والشيوعيين واضح لا خفاء فيه ، فهم يزعمون أن الوحدة مقدمة على غيرها ، وأن الأمة لا تكون قوية إذا كان لها حكومتان مستقلتان ، وجيشان تتولاهما قيادتان مختلفتان ، ويزعمون أن الحزب الشيوعي



الصينى ، مثله كمثل الأحزاب الشيوعية فى كل مكان ، صنيعة لدولة ثالثة ، ولا تستطيع دولة أن تصبر على حزب يتخذ سياسة مخالفة لسياستها.

ومن ناحية أخرى يقول الشيوعيون إنهم لا يقدمون ولاءهم للحكومة المركزية ما داموا لا يتلقون منها أى مدد ، وهم يزعمون أنهم لا يستطيعون أن يتنازلوا عن استقلالهم فى العمل ، إلا إذا سمحت لهم الحكومة القومية بحرية الكلام وحرية الاجتماع وحرية النشر . ولو أسلموا جيوشهم وأعطوا الطاعة للحكومة الحاضرة ، لزالوا من الوجود كحزب سياسى ، ولفقد الكثير منهم حياتهم . ومشكلة الشيوعيين هى أشد مشكلات الصين السياسية الداخلية تعقيداً .

ويلوح فوق صورة الصين برمتها ، شيانج كاى شك مفكراً متأملا . وشيانج على ما به من قصور ، وبرغم ما قد يلم به من اختلاف المزاج وتغير الحالات النفسية ، هو رمز الصين المجاهدة ، وهو الرجل الذى يعده ، حتى الشيوعيون ، الزعيم الوحيد الذى تقبل زعامته . وبالرغم من أنه محوط بحاشية من المنافقين المتملقين ، إلا أنه مع ذلك رجل موفور الحظ من الذكاء ، وفهمه للصين لا يبارى . وكل إنسان فى شنكنج يعرف أن شيانج كاى شك قد شغلت باله حالة جيشه ، وأهمه إغفال حلفائه لشأنه ، وكثرة ما ينتاب البلاد من المجاعات ، وعناه أمر الشيوعيين ، وأهم ما يقلقه مسألة التضخم المالى . وشيانج يحمل على عاتقيه عبئاً ثقيلا من الأعمال ، وهو يزداد شعوراً بأنه هو الشخص الوحيد الذى يمكن أن يوثق به فى البلاد جميعها ، ولذلك يتجه نشاطه دائماً إلى الأعمال الإدارية القليلة الشأن .

وهناك ضيق خفى بالولاء والإخلاص لهذا النظام ، وقد قام المزارعون بثورات محدودة المدى ولكنها عنيفة ، وكان سببها ضريبة الحبوب ، وما تفشى من العجز والفساد فى تزويد الجيش بالرجال . وتنم هذه الثورات على استياء القوم من نظام ليست فيه منافذ دمقراطية تبيح المناقشة أو التعبير عن السخط.

واليابانيون ، بالرغم من قوة سلطانهم فى الوقت الحاضر ، ليس لهم شأن يذكر فى التاريخ الشرقى ، وقد ظلوا محبوسين فى جزائرهم الصخرية ، وليس لهم تراث من الثقافة والمبادىء سوى اليسير ، وعملهم المرعب الذى يتومون به الآن من المظاهر السريعة الزوال . أما قوة الشرق الحقيقية فهى مستقرة فى الصين ، فهى الأمة التى أسبغت على الشرق حضارتها أكثر من ألفى عام ، وستعود إلى القيام بذلك مرة ثانية .

حكمة الحيوان

مختارات من رسائل القراء

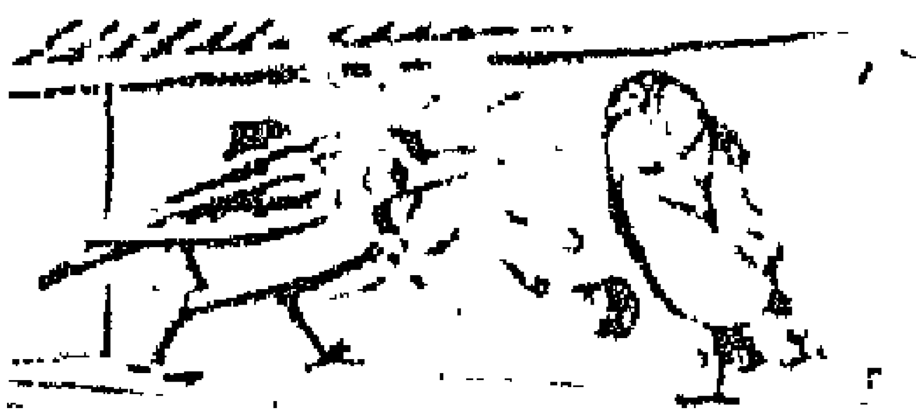
اختارها للنشر ألن ديفو

— ٤ —

حيل العصافير

انتقل زوجان من العصافير إلى عشين متقابلين فى طرفى منزلنا الريفى ، ولاحظت يوماً والعصفور الذكر يتسكع خارج مدخل عشه ، أن جاء العصفور الآخر يحمل فى منقاره ريشة ناعمة من دجاجة بيضاء ، وضعها مزهواً فى عشه ، ووقف برهة يزقزق ثم طار . وما إن غاب عن الأنظار حتى هرع العصفور الأول إلى عش الآخر وسرق تلك الريشة وطار بها إلى كومة من الحطب وأخفاها تحت قطعة صغيرة من الخشب ، ثم عاد إلى مكانه كأنْ لم يحدث شىء .

وبعد برهة عاد العصفور الثانى إلى عشه ، ولم يلبث أن خرج وهو يرعد ويبرق ، واندفع إلى عش العصفور الأول حيث تركه صاحبه يبحث كما يريد ، ولما تحقق أن العصفور الأول لم يكن له ضلع فى السرقة طار فى سبيله .



ولم يكد يغيب عن النظر حتى رفرف العصفور الأول فى هدوء إلى كومة الحطب واستخرج الريشة من مخبئها وعاد بها إلى عشه. [أرثر تومى]

خطط الذئاب

بإزاء المخيم الذى أقمناه لقطع الأخشاب فى مينسوتا الشمالية أرض فضاء واسعة كانت الذئاب تتخذ طرفها النائى طريقاً لمرورها لبعده عن مرمى البنادق .

وأخذ كلبنا الكبير سبايك ، وهو كلب خلاسى قوىّ ، على عاتقه أن يطرد أى ذئب وحيد يمر بتلك الأرض . واستمرت الحال على ذلك حتى لجأت الذئاب إلى مكرها المعروف لوضع الأمور فى نصابها .

وفى ذات مساء رأيت سبايك ينتفض ويندفع كالبرق الخاطف ، فقد رأى

ذئباً يمر بتلك الأرض . ووقف الذئب حتى اقترب منه سبايك ثم أخذ يعدو والكلب فى أثره . ولشد ما فزعت عندما رأيت ذئبين آخرين يخرجان من أشجار الصفصاف الواقعة خلف سبايك ويعدوان بسرعة فى أثره . وفى الوقت نفسه استدار الذئب الهارب ووقف مواجهاً سبايك الذى وقع فى فخ محكم التدبير وقضى على سبايك فى ثوان معدودة . وكان من المحزن الفاجع أن أراه يقتل ، ولكن الحادث أظهر لى نوعاً من مكر الحيوان وخداعه [ألن كامبل]



اخوان فى الأشواك

كنت أعمل مراقباً للحرائق فى منطقة جبال أديرونداك ، وأتيحت لى فرصة أن أرقب عن كثب حركات ثلاثة قنافذ كانت تأتى كل مساء إلى قطعة مغطاة بالحشائش الغضة فى الفضاء أمام كوخى ، وسرعان ما اكتشفت أن أحدها ، وهو قنفذ كبير السن ، كان أعمى .

والمعروف أن القنافذ لا تأتلف ، ولكن يبدو أن رفيقى هذا القنفذ العجوز الفضى الشوك أحسا أن ذلك الأعمى قد يموت جوعاً إذا ترك وشأنه ، فكانا يصحبانه فى كل مساء حوالى الساعة السادسة إلى الأرض المعشبة ، قد اكتنفا جانبيه يدفعانه ويقودانه حتى إذا ما بلغاها تركاه يرعى العشب واختفيا فى الغابة ، فإذا انقضت بضع ساعات عادا وقاداه إلى مأواه .



وقد فعلا ذلك أكثر من سنتين ، ولم تنفصم عرى ذلك الاتحاد حتى قتل القنفذ الأعمى .

[جورج لافاسير]

حيل المراسلين الحربيين

اجتمع فريق من الضباط والمراسلين الحربيين للاحتفال بعيد ما ، ولم يكن عندهم إلا زجاجة واحدة من مشروب فاخر ، فواجهوا مشكلة كبيرة ، ذلك بأنهم إذا رشف كل منهم قطرة واحدة فلن يبقى للقلائل الأخيرين إلا أن يكتفوا باسترواح الزجاجة ، فحلوا ، هذه المشكلة أخيراً بأن جاؤا برشاشة مما يستعمل لرش السوائل المبيدة للحشرات ، وملأوها ، ثم رشوا بها حلق كل منهم .

الطبيب الذى أنقذ البرازيل



« أوزوالدو كروز الطبيب العظيم الذى تولى ، وهو فتى ناشىء مجهول ، كفاح الطاعون الدملى والحمى الصفراء وإبادتهما من موانئ بلاده » .

لويس ماتوكس ميلر

ملخصة عن

مجلة "ذى أمريكان"

فى سنة ١٨٩٥ أعلنت شركات النقل البحرى الأوروبية « أن سفنها تبحر رأساً إلى نهر بلاتا دون أن تعرج على موانئ البرازيل » . وأعلنت السفن القادمة من الأرجنتين « أنها لم ترس على ريو دى جانيرو أو أى ميناء برازيلى آخر » ، ولو لم تفعل لأقلعت وأرست وهى فارغة ، إذ جرى على الألسنة فى كل مكان : « البرازيل موبوءة ! البرازيل مباءة يغمرها الموت ! » .

وكانت الحقائق مروعة ، فقد أرست سفينة حربية إيطالية على مسافة ميل من ميناء ريو دى جانيرو ، فلم تكد تنقضى خمسة أيام حتى كانت جثث ربانها و ٢٣٥ من بحارتها قد دفنت فى اليم ، وكان البلاء الذى قضى عليهم هو الحمى الصفراء .

وكان البرازيليون القاطنون فى المدن الداخلية يتجنبون مدن الساحل إلا حين تدعو الضرورة القصوى ، وعندئذ يأبون أن يبيتوا ليلهم فيها . وهجر ممثلو الدول الأجنبية عاصمة البلاد لاجئين إلى مدينة بتروبوليس الجبلية ، وأخذ من استطاع من سكان ريو دى جانيرو يفرون إلى هذا المصيف ، كلما بدت طلائع الصيف ، وهو موسم الوباء .

انسلت الحمى الصفراء إلى البرازيل فى سنة ١٨٤٩ يوم رست سفينة شراعية أمريكية فى ميناء باهيا وعليها مريض بهذه الحمى ، فانتقل المرض تواً إلى السكان ، وطفق ينتشر عاماً بعد عام . وبين سنتى ١٨٩١ و ١٨٩٤ حدثت ١٥,٠٠٠ وفاة من المرض فى ريو وحدها ، وحتى فى سنة ١٩٠١ بلغ عدد الوفيات ٣٠٠٠ . وخلال هذه الأعوام الخمسين المحفوفة بالرعب والفزع ، كانت السلطات الصحية فى البرازيل تستصرخ العالم كله فى طلب المشورة الطبية ، ولكن كل محاولة بذلت للسيطرة على الوباء ذهبت أدراج الرياح ، وأصبح الناجون الذين هد المرض قواهم مشكلة قومية من مشاكل الصحة ، وبارت التجارة ، وباتت الخسارة فى الصناعات والممتلكات فوق التقدير .

وفى سنة ١٩٠٢ انتخب رودريجس ألفيس

رئيساً لجمهورية البرازيل ، فأشار بتعيين وزير للصحة العامة يستطيع أن يستأصل الحمى الصفراء ، فاقترح أحدهم عليه تعيين الدكتور أوزوالدو كروز .

وسأل الرئيس نجله وكان طالب طب : « ترى من أوزوالدو كروز هذا ! » فبرقت عينا الفتى وهو يقول لأبيه : إن الدكتور أوزوالدو كروز هو الطبيب الشاب المجاهد الذى أنقذ سانتوس من الطاعون الدملى ، بأن أسس فيها هيئة مدهشة لصيد الجرذان . ومؤلفه عن المصل المضاد للطاعون قد ذاع صيته فى أرجاء أوربا .

ولد أوزوالدو جونسكالفيس كروز فى ساو لويز دوبارتينجا فى البرازيل الجنوبية من أب كان طبيباً فقيراً فى قرية . وكان طفلا شديد الحياء ، ومن أجل ذلك كانت الامتحانات الشفوية محنة هائلة فى نظره ، حين تخرج فى مدرسة الطب وهو فى التاسعة عشرة . ولكن حياءه لم يبلغ به هذا المبلغ فى غير هذه الناحية ، فقد تزوج فى العشرين من عمره من الثرية الفاتنة إميليا دى فونسيكا ، وتلقى هدية العرس من حميه ما يكفى من المال لإنشاء معمل بحث إكلينيكى لأوزوالدو فى الطابق السفلى من منزله . فكان أول معمل من نوعه فى ريو .

وفى سنة ١٨٩٦ سافر الدكتور كروز الشاب إلى باريس ليدرس علم الجراثيم والصحة العامة فى معهد باستير ، وهناك صادفت تجارب كارلوس فنلى (*) ونظريته الخاصة بأن البعوض هو ناقل الحمى الصفراء ، هوى فى فؤاده .

وما كاد يعود إلى ريو حتى وقعت كارثة قومية هيأت له فرصته الأولى ، فقد اندلع وباء رهيب من الطاعون الدملى فى سانتوس ، وانتشر منها إلى سواها من المدن ، فأبرق مدير الصحة العامة إلى معهد باستير يلتمس إيفاد إخصائى فرنسى إلى ريو فى الحال ، وبأى أجر كان ، ليكافح الطاعون . فرفض العلماء الفرنسيون هذا العرض بجفاء ، لأن زيارة البرازيل كانت يومئذ بمنزلة الانتحار . وأبرقوا إلى البرازيل قائلين : « لم لا تكلون هذا العمل إلى مواطنكم أوزوالدو كروز ، وهو أقدر من يتولاه » .

وأسند هـذا العمل إلى كروز . فأنشأ معملا صغيراً فى مزرعة قديمة بمانجوينهوس إحدى ضواحى ريو لتحضير الأمصال ، وحتى الحقن الزجاجية اللازمة له كان يصنعها بنفسه ، إذ تعلم صناعتها فى مصنع زجاج بباريس كان يعمل به ليلا ، وأسس مدرسة لتمرين الطلاب والأطباء . وفى نهاية سنة ١٩٠٠

(*) انظر « كارلوس فنلى ، باستير أمريكا المنسى » ، المختار سبتمبر ١٩٤٤ صفحة ١

فدم للعالم أول ما أنتجته البرازيل من الأمصال والطعوم .

وحين أخفق كروز فى الظفر بمعاونة المجلس البلدى على تنفيذ مشروعه لصيد الجرذان ، أعلن أنه يدفع ثمن كل جرذ يجلب إليه ، فأخذت أطنان من الجرذان تنهال عليه ، وكان بعضها يهرّب من غير الولاية الموبوءة . وفى وقت قصير تمت له السيطرة على الطاعون الدملى .

وكانت الأعوام الثلاثة التى قضاها كروز فى تحضير أمصال الطاعون الدملى ، مراناً عظما له على المحنة الشديدة التى كانت تنتظره .

وقبل أن يقبل على عمله الجديد فى إبادة الحمى الصفراء ، انتزع من الرئيس وعداً بأن تكون له السلطة المطلقة فى استعمال أية وسيلة يراها ضرورية ، وأن يوفر له المال اللازم كلما طلبه ، وفى مقابل ذلك عاهد الرئيس عهداً لا يمكن تصديقه ، ولكنه عهد مشهور الآن : « أتعهد بأن أطهر ريو من الحمى الصفراء فى ثلاثة أعوام إذا أعطيت ما طلبت » .

وكانت أعوام كفاح ، فلم يكن عليه أن يجاهد البعوضة الرقطاء ناقلة المرض وحسب ، بل يحارب أيضاً سواها من الأعداء الأشداء . وذعرت الدوائر الطبية المحافظة من أن يعهد فى إنقاذ البرازيل من الأوبئة إلى طبيب ناشىء مجهول ، وأخذت الصحف والساسة يمطرون الرئيس وكروز وابلا من السخرية والتشهير .

وألّب كروز عدداً من طلاب المدارس لتوزيع منشور يحوى دستوراً صحياً على كل باب فى ريو ، ووضح للسكان فى هذا الدستور أن الأساليب العتيقة لتطهير ملابس المرضى وأسرّتهم لا قيمة لها فى كفاح الحمى الصفراء ، وخير منها أن يبيدوا البعوض ومحاضنه . فلم يجد منهم معونة ، وقضى الرئيس ألفيس عاماً حتى استصدر من الكنجرس قانوناً برصد المال اللازم للعمل .

ولم تبدأ حرب التحسين الصحى فى ريو إلا فى مارس سنة ١٩٠٤ ، يوم ألف كروز كتيبته المشهورة لمكافحة البعوض ، وكان قد وجّه نداء طلب فيه ١٢٠٠ عضو ، فلم يلبه إلا ٨٥ أولا و ٢٣٥ أخيراً ، فلقيت هذه الكتيبة الكاكية الكسى ، المسلحة بالمكانس والكيروسين والرشاشات ، معارضة عنيفة .

وفى خلال السنوات الثلاث التالية قامت الفرقة ب ٥١٢,٠٠٠ زيارة لمنازل ريو التى يبلغ عددها ٦٥,٠٠٠ ، وطهرت مليوناً ونصفاً من مستودعات الماء والبواطى والحفر ومجامع الماء الآسن — وتركتها خالية من البعوض . وأمرت بإخلاء نحو ٣٠٠٠ بناء ، ونسفت من المدينة ربوع بأكملها .

وكان على كروز أن يستعمل الدهاء والحكمة فى كل خطوة يخطوها لتنفيذ وسائل

الإنقاذ التي يتطلبها القانون في الظروف العادية ، ومن ذلك أن طبيباً في كتيبة مكافحة البعوض أبلغ ذات مرة عن منزل معين في بقعة ملوثة ، يجب هدمه لكي يمكن تطهير الحي كله . فرفض المالك أن يعمل شيئاً ، وأبرز مستنداً موقعاً عليه من قاض يثبت ملكيته للمنزل ، فنظر كروز إلى المستند وقال : « إن هذا المستند لا ينص على حقك في سقف المنزل . فليقوض السقف إذن ! » .

وقوض السقف ، وهطل المطر ، فرحل المالك . وثار سكان ريو ، وحاصر الغوغاء الساخطون بيت كروز ، فاضطر أن يفر منه التماساً للنجاة . وعصف السخط بالكنجرس ، وأخذت الصحف تكتب افتتاحيات من نار في هذا الموضوع . وفي النهاية عرض كروز استقالته إنقاذاً للحكومة من موقف لا يمكن الصبر عليه . فكان جواب الرئيس : « ابق ، فإن سقطنا فلنسقط معاً »

ووسع كروز من نطاق حربه حتى شملت كفاح الجدري ، فلما طالب بأن يكون التطعيم في كفاح المرض إجباريا ، أشرف بالبلاد على شفا الثورة ، حتى قال أحد أعضاء مجلس الشيوخ — وكان في الوقت نفسه أستاذاً بمدرسة الطب — إن أولئك الموظفين الصحيين المتكالبين على التطعيم لن يدخلوا بيته إلا على جثته . ونشرت مجلة يصدرها حزب سياسي : « أن ألفيس وكروز أعداء للجمهورية ، وأنهما يجعلان من الجمهور خنازير غينية للتجارب ، بتحريض المشعوذين الأنانيين » ووزعت منشورات تدعو إلى الثورة ، وطولب كروز بالاستقالة .

فكان جواب الرئيس : « إن رجلا مثل كروز لا يمكن الاستغناء عنه » .

وهاجم طلبة المدرسة الحربية المسلحون قصر الرياسة تحت قيادة جنرال وعضو من أعضاء مجلس الشيوخ ، وعضوين من أعضاء مجلس النواب ، فنازلتهم قوات الحكومة وانتصرت عليهم .

وخلال ذلك كانت وفيات المدينة من الحمى الصفراء قد هبطت في عام واحد من ٥٨٤ إلى ٤٨ ، فلما تجلت نتائج الوسائل العنيفة التي اتبعها كروز بدأ الرأي العام يتغير . وفي فبراير سنة ١٩٠٧ أي قبل أن تنصرم السنوات الثلاث الموعودة بشهر واحد تماماً ، أبلغ الدكتور كروز الرئيس أنه لم يعد في ريو دي جانيرو أثر للحمى الصفراء .

وقبل أن يستقيل أوزوالدو كروز من منصبه في إدارة الصحة العامة سنة ١٩٠٩ وسع مدى نشاطه حتى شمل جميع أنحاء البرازيل . فقد بدأ العمل الذي هبط بوفيات الملاريا في حوضي نهري ماديرا وماموري من ١٢٠٠ في سنة ١٩٠٢ إلى ١٧٦ في

سنة ١٩١١ ، وانتشر وباء شديد من أوبئة الجدرى فى سنة ١٩٠٨ فأدرك الشعب قيمة مناهجه التعليمى ، وتهيأت أمة عارفة بالجميل للموافقة على كل ما يراه أوزوالدو كروز ضروريا .

وسأله الرئيس أن يتمنى فيكون له مايشاء ، فلم يسأله الدكتور كروز سوى توسيع معهده الصغير فى المزرعة العتيقة بمانجوينهوس ، فنهضت مؤسسة أوزوالدو كروز لعلم الأمراض التجريبى ، والعلاج بالأمصال ، والمهيأة للقيام بالبحث العلمى فى أسمى مراتبه ، وعلا بنيانها فى المكان الذى كان مديرها العام منذ سبعة أعوام ينفخ فيه بنفسه أنابيب حقنه الزجاجية فى كوخ متداع صغير ، وأصبح من كان أبغض الناس إلى الناس فى ريو وهو أشرفهم ذكراً .

واليوم يشتمل هذا المعهد دون معامله ، على مستشفى لدرس أمراض المناطق الحارة . وقد صدر عنه ٢٠٠٠ مؤلف ، وقد اخترع وحضّر أكثر من ٢٠ مستحضراً من بينها الأمصال المكافحة للتتانوس والدفتريا والدوسنطاريا ، وهو يتلقى التمجيد بعضه فوق بعض من كبريات المؤسسات الطبية فى العالم . ويقوم فيه اليوم بعمل الدكتور كروز الباهر نجلاه : فأولهما ، أوزوالدو كروز الأصغر ، أستاذ لعلم الجراثيم ، والثانى ولتر أوزوالدو كروز أستاذاً لأمراض الدم .

وقد تداعت صحة الدكتور كروز فى سنة ١٩١٥ ، فقد عمى أو كاد ، وجهده مرض القلب ، وعجز عن المسير إلا بمشقة ، ثم أدركته المنية فى ١١ فبراير سنة ١٩١٧ بالغاً من العمر ٤٤ سنة ، فأحدّت عليه مدينة ريو مختارة ، وهرعت أمريكا الجنوبية كلها تحيى النعش الذى ضم جثمان أبسل مكافح للأمراض فى تاريخ الطب .



أتستطيع أن تحل هذا السؤال ؟ (الجواب فى صفحة ١٠٠)

تصور أن أمامك فرخا من الورق لا يزيد سمكه على سمك ورق السجاير ، أو جزء من ألف جزء من البوصة ، أما حجم الورق فلا يهم . ثم اقطع الفرخ قطعتين وضع إحداهما على الأخرى ، ثم اقطع القطعتين أربع قطع وضعها بعضها فوق بعض ، ثم اقطع هذه وارصف القطع الثمان بعضها فوق بعض ، وامض فى هذا العمل حتى تعمل عملية القطع والرصف خمسين مرة . فما يكون ارتفاع كومة الورق التى تتجمع بين يديك ؟ وقبل أن تطلع على الجواب الصحيح صفحة ١٠٠ جرب أن تجيب ، واسأل أهلك وصحبك وسجل الأرقام للمقابلة .

أرجل أنت أم مدخنة ؟

اعترافات مدخن قهر طاغية النيكوتين

ج . پ . ماك ايفوى

ملخصة عن مجلة "يور لايف"

قرأت يوماً قصة صغيرة عن إيمون ديڤاليرا حين قبض عليه لاشتراكه فى ثورة عيد الفصح واقتاده الجند البريطانيون إلى السجن قال: «تريثوا دقيقة» وانتزع غليونه الحبيب من فمه وقذف به على الرصيف فتحطم. ولما سئل : « لم فعلت ذلك ؟ » أجاب : « حتى لا أشفى غليلكم بحرمانى التدخين فى السجن . فلقد أقلعت عنه منذ الساعة » .

ففكرت وقلت: « وددت لو استطعت أن أفعل ما فعل » فقد كنت أسير عادة التدخين سنين ، وكنت أدخن لفافة كل عشر دقائق كأنى أدق بها مسماراً فى نعشى . أما نفقة ذلك فحدث عنها ولا حرج ، فلقد حاولت مرة أن أحصى ما أنفقه على التدخين فكان المبلغ خيالياً لم أستطع تصديقه .

وفى ذات يوم أخذت نفسى بحزم وقلت : « ترى أرجل أنت أم مدخنة ؟ إن ديڤاليرا استطاع أن يقلع عن التدخين فلم لا تستطيعه أنت ؟ » وأقلعت عن التدخين ! هذا ما حدث ، وسمع أصحابى بعزمى العتيد ، فهرعوا إلىَّ يحذروننى مغبة عملى وقال أحدهم : « إن الصدمة المفاجئة قد تقتلك ، لم لا تقلع عنه بالتدريج ؟ » .

بيد أنى كنت قد رأيت كثيراً ممن تهدمت أعصابهم من جراء قصر أنفسهم على لفافة واحدة بعد كل وجبة أو سيجار واحد بعد العشاء ، وقلت : « إذا فرض أنى أقلعت عنه بالتدريج ووصلت فى النهاية إلى التدخين مرة واحدة فى اليوم ، فسآخذ أفكر فى تلك اللفافة التى أدخنها بعد العشاء ولن أستطيع أن أنجز عملا ما ، بل سأكون إذا أتى المساء فى حالة تقرب من الانهيار . لا ! إن ما فعله ديڤاليرا هو السبيل الوحيد إلى ذلك »

ورغبة فى تدعيم ما أقول ذكرت لصاحبى قصة ذلك السيد العجوز الرقيق الشعور الذى خطر له أنه يستطيع أن يخفف عن كلبه لوعات الألم إذا هو قطع ذنبه على مرات بدلا من مرة واحدة !

تقضت على ذلك ثلاث سنين لم أقرب التدخين منذ عزمت تلك العزيمة . وكنت فى الأشهر الأولى شديد المضايقة للمدخنين ، كنت كالمدمن الذى تاب عن الخمر فجعل يطوف بالشاربين ويطيح بالكؤوس من أيديهم . فكنت أقول : « فى وسعك أن تقلع عن التدخين » ثم أزيد على ذلك فى تواضع مصطنع « أنت الآخر ! » وإنى على

يقين أن نبرات صوتي كانت تنم على : « هيهات لك أيها الرخو الضعيف الإرادة ، يا أسير غرائزك الدنيئة » .

وانصرمت الشهور وأصبحت أكثر تسامحاً من قبل . وكنت إذا سألني أصحابي في عطف : « هل تألمت كثيراً ؟ » أنهار وأقول كما قال صديقي أدولف منجو في شأن العملية التي أجريت له : « لقد تحملت اقسى الآلام التي يعرفها علم الطب » .

على أني أستطيع اليوم بعد انقضاء ثلاث سنين أن أقول الحق غير مشوب ، فلم يكن ثمة أي ألم ، ولم يقتض الإقلاع عن التدخين قوة إرادة خارقة . وفي وسع أي إنسان أن يفعل ذلك، وأقول جازماً : « إن في وسعك الإقلاع عن التدخين إذا أنت أردت ذلك حقا » .

وأول شيء هو أن تقنع نفسك بأن أجدى الأمرين عليك أن لا تشتهي التدخين، وهذا نوع من أنواع تنويم النفس تنويماً مغنطيسياً . فتقول لنفسك : « إني أريد أن أقلع عن التدخين فإنه مضايقة ثقيلة ، إنه يلوث أصابعي ويحرق ثقوباً في ملابسي ، ويجعلني أنسى أين وضعت لفافاتي المشعلة فتحرق الأثاث ، وتقاضيني صاحبات المنازل باستمرار . هذا إلى أنه ليس من الخير لي فها أنذا مصاب بألم الحلقوم ، وبسعال جاف متقطع . ألا ترى إلى من كانوا يدمنون التدخين ثم انقطعوا عنه ، إنهم لا يفتأون يذكرون لك ما يشعرون به من تحسن كبير في صحتهم ، وكيف أنهم ينامون ملء جفونهم ، وكيف زالت عنهم آلام جيوب الأنف ، وكيف أصبحت عيونهم صافية ورائحة أفواههم طيبة ، وكيف ازدادت محبة زوجاتهم لهم ، لانهم لا يعفرون البساط بالرماد ولا يلوثون الستائر بالدخان » .

وقد تقول : « لا أستطيع الإقلاع عنه ، فإن العادة قد استبدت بي » أو « أن جسمي ينشد النيكوتين فهو الشيء الوحيد الذي يهدىء أعصابي » . لا تستمع إلى هذه الترهات الخاسرة ، فإن جسمك لا ينشد النيكوتين ، وليس التدخين شهوة لا تقاوم (كشهوة المخدرات مثلا) أو ظمأ لا ينطفىء أواره (كالظمأ إلى الخمر مثلا) ، وليس جسمك عبداً لمخدر ، ولكنك عبد لعادة ، عادة كبيرة مكونة من سلسلة من عادات صغيرة.

والتدخين مثل من أمثلة الأفعال الآلية أشبه شيء بقيادة سيارة ، فأنت تدفع بقابض الحركة وتحول ناقل التروس وتضغط بقدمك على موصل البنزين . وكل حركة من هذه الحركات تؤدي إلى الحركة التي تليها ، ثم تتحرك السيارة . وعادة التدخين مكونة من مثل هذه السلسلة من الحركات . ويسميها هنري لنك العالم النفساني : « سلسلة من

الأعمال العصبية العضلية تبدأ برفع صندوق اللفافات ، ثم استخراج لفافة منه ، ثم وضعها بين شفتيك ، ثم إشعال ثقاب ، وتنفس الدخان الخ. حتى تلقى بعقب اللفافة في المنفضة ».

والمهم الآن أن تحول دون البدء في هذه السلسلة . ولعل خير سبيل إلى ذلك هو أن تلقى بجميع أدوات التدخين من غلايين ولفافات في صندوق الفضلات حتى لا تسترعى انتباهك في كل لفتة . ثم تستعيض عن عادة التدخين بعادة عدم التدخين . وقد بدأتُ بمضغ اللبان كلما فكرت في التدخين ، ولكن عضلات فكى قويت من جراء ذلك ، فطالما اضطررت إلى أن آوى إلى فراشى مبكراً لأريح فكى الأسفل مما أصابه من الإعياء . ونصحنى صديق أن أستعيض عن التدخين بقطعة من الحلوى ، وكنت دائماً مولعاً بها ، ولم أكن أجد مسوغاً مقبولا لالتهام كل ما أريد منها . فشريت صندوقاً من الشكولاتة ، ولاحظت في جزع أن في وسعى أن ألتهم رطلا برمته منها في جلسة واحدة . ولما لمت صديقى على نصيحته قال لى : « نسيت أن أحذرك من الحلوى الطرية » ، فكنت بعد ذلك أملأ جيوبى بحلوى الليمون وأتناول واحدة منها كلما فكرت في التدخين ، وكان هذا يحدث كل دقيقة أو تكاد في الأيام الأولى من انقطاعى عن التدخين .

ولعل أخطر شىء في عادة التدخين هى أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجميع عاداتك الأخرى . هل تجد نفسك منساقاً إلى إشعال لفافة بعد الإفطار ؟ لقد مهدت لمتعة الإفطار والتدخين أن تمتزج إحداهما بالأخرى حتى إنك لا تستطيع أن تفكر في إحداهما دون الأخرى . وهكذا ترى أن المدخنين قد ربطوا التدخين بكل أعمال يقظتهم ، بل إن كثيراً منهم ربط تلك العادة بالنوم ، حتى إنهم ليصابون بالأرق إذا هم لم يستطيعوا التدخين في فراشهم ، وقد تعلق بهم النار من جراء ذلك . فإذا ما تبينت طبيعة تلك الروابط الخاسرة على حقيقتها فقد دنا وقت الخلاص من ربقة هذه العادة .

ومن الطبيعى أن تجد صنوفاً من الإغراء في سبيلك ، لا من الشخص الذى يقدم لك اللفافة عرضاً ، أو ممن يجهد أن يضيع عليك غرضك بشىء من المعاكسة ، فإن في وسعك أن تنبذه جانباً ، كلا بل الخطر الحقيقى هو ما ينسجه خيالك من أحلام عن متع التدخين ، فتتمثل أمام ناظريك سراباً من تلك السحب اللطيفة الزرقاء التى اعتدت أن تنفثها من غليونك الملىء بالطباق الغض الرطيب ، وتلك اللفافات اللذيذة التى تدخنها بعد العشاء من سيجار الكابانا والهافانا في غلافاتها الناعمة ، ودعْ شعور السرور الذى

بشيع في نفسك بتدخين اللفافات الندية من أصناف الطباق الثلاثة المشهورة .

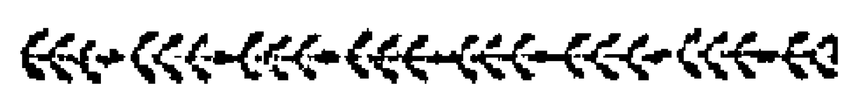
أوهام كلها ! والشيء الوحيد الذي ينبغي لك أن تفعله في هذه الحال أن تذكر السنين التي انقضت حين كانت رائحة فمك كريهة كشعر حارق الجير، وحين كانت جيوب أنفك تنبض بالألم الشديد من جراء تدخين علبتين من اللفافات كل يوم . ويؤيد ريموند بيرل العالم المشهور ضرر ذلك بأرقام تدل على أن مدمني التدخين إنما يقصرون حياتهم بإدمانهم .

أوَ لا ترى نظرة الانتظار السعيدة في عيني زوجك إذا ما أقبلت عليها تقبلها وأنفاسك طيبة النشر كنفح الأزاهير ؟ لا إن للذكرى وجهين وليس الوجه المعفر بالطباق خير الوجهين .

وإن أنس لا أنس شعور الدهشة والغبطة الذي انتابني حين ألفيتني ذات مساء لم أفكر في التدخين طوال يومي ، وسرعان ما تطاولت الأيام إلى أسابيع ، ورأيت الناس يدخنون من حولي وأشعلت لفافات عديدة لغيري، وامتنعت عن تدخين ما يقدم إلى مما يتهادون أن أكترث .

وانصرمت الشهور ، وأخذت الشهية تتفتح للطعام ، فجعلت أتناول طعامي في لذة المتذوق الخبير ، وامتنع اضطراب أعصابي ، وهدأت ضربات قلبي واستقامت ، وانتفى عني الأرق ، وشعرت كأن روحاً جديدة من الخفة والمرح تستحثني في عملي .

وإني لأجد اليوم أن الفوائد المادية التي عادت علي من الامتناع عن التدخين لا تنكر، على أن السمو الفكري والنشوة الأدبية التي تغمرني لقهري تلك العادة العاتية تزيد في شعور الرضى العظيم الذي لا يعدله شعور في العالم.



لمحات كاريكاتورية

● قالت والدة فخور بطفلها : إنه لا ينوى أن يصبح رئيساً للجمهورية لأنه راض تمام الرضى عن روزفلت .

● أسرّت صبية في أذن صاحبتها : إننا ننوي أن نتزوج . . أي حالما يفصح عن رغبته في الزواج .

● قال أونباشي لزميله في الثكنة : ولنفرض أنك بذلت غاية الجهد وترقيت حتى صرت قائداً برتبة جنرال ، ثم ماذا ؟ بعدها تقف .

● قالت فتاة لأخرى : لا مانع عندي من قبوله زوجاً لي ، لو كان غنيا ، أو أطول قامة، أو أبهى طلعة . . . أو لو طلب يدي .

الأيقتاً الحلفاء يحاربون الألمان واليابانيين
بنفس أسلحتهم بعد تحسينها

ما تعلمه من أسلحة الأعداء

توماس جونسون

ملخصة عن مجلة " ذي أميركان ميركيوري "

نزل جنود الحلفاء يوم الغزو إلى البر الفرنسي من زوارق بنيت خاصة للغزو ، وهي اختراع أخذه الحلفاء عن الألمان ، وانقض آخرون وراء خطوط الأعداء بسابحات (طائرات شراعية) شبيهة من وجوه كثيرة بطائرات ألمانية غنمت في إفريقية . وقبل بدء الغزو بثلاثة أيام ظلت غواصات صغيرة الحجم تمخر البحر دون أن تنكشف للأعداء وتضع على الشاطئ علامات ترشد جنود الغزو ، وهي فكرة أخذت عن اليابانيين يوم هاجموا « بيرل هاربور » ولقينا منها الجهد .

إن الحلفاء يستعملون اليوم في فرنسا أسلحة سرية جديدة قد حرصوا على اختزانها ليفاجئوا بها الألمان . ومن المعقول أن نفرض أن عند الألمان أيضاً أسلحة سيفاجئون بها الحلفاء ، ولذلك أوفد الحلفاء مع طلائع الغزاة جماعات من جنود وضباط مدربين تنحصر مهمتهم في اختطاف ما يتيسر من أسلحة العدو وعتاده لدرسه .

إن كشافي السلاح من الحلفاء يتقدمون اليوم الصفوف في ميادين القتال في إيطاليا وفرنسا وجزائر المحيط الهادي . وتفكيك قنبلة مدفع لم تنفجر أو قنبلة طائرة من طراز جديد ، جانب من عملهم كل يوم . وترسل أنواع أخرى من أسلحة الأعداء بالطائرات إلى المعامل حيث يتم فحصها وتجربتها على وجه دقيق . وفي مختبرات أبردين بولاية ماريلاند الأمريكية ، أكثر من ست مئة ألف صنف من مهمات المحور الحربية .

أما الأسلحة الإيطالية فمعظمها مجموعة غير متجانسة ، وأما الذخائر الإيطالية فخطرة ، حتى لقد صدرت الأوامر بنسفها لكيلا يخاطر جنود الحلفاء فيستعملوها كما يستعملون الذخائر الألمانية ، إلا أن الحلفاء أخذوا عن الإيطاليين أحذية الجبال ، فنعالها من المطاط فلا تقدح شرراً يشي بمنتعلها إذا صدمت في الليل صخراً .

والعتاد اليابانى جيد أحياناً ، وقد اقتبس الطيارون الأمريكيون من طائرة يابانية ما مكنهم من تحسين أعقد الأجهزة الجوية الفنيــة ، وهو المعروف باسم « الطيــار الأتوماتيكى » . والمخترعات اليابانية التى يمكن أخذها عنهم يغلب أن تكون أشتاتاً ملفقة ، فقد عمدوا إلى فرقعة الأسهم النارية لتقليد صوت المدافع الرشاشة تضليلا لجنود أعدائهم، على أن العلماء الأمريكيين صنعوا حبات متفجرة أجودَ من أسهم اليابانيين وأصغر حجماً . واستعمل اليابانيون عرائش فسفورية تبين طرق الأدغال فى الليــل ، فصنع الأمريكيون دهانا يتألق فى الظلام يفوق العرائش .

وفى جزائر ألوشيان يلبس جنود الولايات المتحدة طبقات كثيرة من الثياب الداخلية الخفيفة، بدلا من لبس عدد قليل من الثياب الثقيلة ، وهذه الفكرة وصلت إلى الأمريكيين من الفنلنديين عن طريق الروس ، واقتبسها الألمان أيضاً عن الروس ولكنهم تأخروا فى اقتباسها . ولو كانوا استعملوها فى شتاء سنة ١٩٤١ — ١٩٤٢ لتجنبوا خسارة كثيرين من جنودهم .

أما العتاد الألمانى فجيد ، وجانب كبير منه يدل على طول العناية وإتقان الصنعة . نعم إن سيارة « فولكس فاجن » الألمانية بطيئة

زران الشأن

فى مكتب المباحث التابع لمهمات الجيش بمدينة أبردين بولاية ماريلاند الامريكية يشاهد المرء ضابطا برتبة لفتنانت كولونيل ، أصهب الشعر وعلى عينيه نظارتان .

وهــذا الضابط إذا ما نظر إلى شظية قنبلة اســتطاع أن يقول من فوره : أى نوع من المدافع أطلق تلك القنبلة ، وما هى أوصاف ذلك المدفع ، وأين صنع ، ومن صنعه وفى أية سنة صنع . وقد تولى هذا الضابط (واسمه اللفتنانت كولونيل جورج برلنج جاريت) إطلاق أنواع من المدافع أكثر من اى إنسان آخر فى العالم ، ويعلم عن عــدة الألمان وأسلحتهم أكثر مما يعلمه الجنرال الألمانى على وجه العموم .

لما نشبت الحرب الماضيــة كان فى السادسة عشرة من عمره ، فأرسل إليه أحدهم زراً من معطف جندى ألمانى فى فردان ، وزرا آخر من معطف جندى فرنسى . ومنذ ذلك اليوم أخذ ذلك الفتى يجمع ما يتيسر له من المواد العسكرية حتى أصبح لديه منها أربعة آلاف صنف فضلا عن ٦٠٠ كتاب،وألوف من الصور الشمسية . وازدادت مجموعته وأصبحت ذات قيمة حتى صار الناس يقبلون على مشاهدتها فى مدينة « اتلانتك ستى » ، ويدفعون أجرة ذلك . وحين نشبت الحرب الحاضرة انضم الكولونيل جاريت إلى الجيش العامل ، ثم أوفدته حكومته إلى الجيش الثامن البريطانى ليمارس ما يهواه . وقد أرسل من القاهرة مجموعة كبيرة من المواد التى يستعملها الأعداء ، ثم عاد إلى أمريكا حيث عين مـديراً لفرع « المواد الحربية الأجنبية » بمدينة أبردين وكل ذلك بسبب زرين اثنين .

(ألفريد هـ . سنكس فى مجلة « العلم العام »)

إذا هي قيست بسيارة «جيب» الأمريكية ، ولكن الألمان متفوقون في صنع المركبات المتوسطة بين السيارات والجرارات .

وإليك مثلا عن هذه الحرب المستعرة في نطاق الحرب العالمية .

في الحرب الجوية الخاطفة التي شنها الألمان على بريطانيا سنة ١٩٤٠ كان البريطانيون يطلقون على الطائرات الألمانية صواريخ مما يستعمل في حراسة الشواطئ ، فأخذ الألمان هذه الفكرة واستنبطوا الصواريخ الصارخة وهي مجموعة من أسطوانات قصيرة تطلق صواريخ من البارود الأسود إلى مسافة ٧٨٠٠ ياردة فتسقط كيفما اتفق وتحدث رجة عنيفة .

وسقطت في يد البريطانيين إحدى دبابات الأعداء الجديدة فأخذها أحد ضباط مصلحة الاستخبارات وعاد بها إلى المؤخرة ، وتعقبته لطائرات الألمانية وهي تمطره قذائف لتدمير الدبابة قبل أن يتمكن من معرفة أسرارها ، ثم حاول الألمان إغراق السفينة التي وضعت عليها الدبابة في ميناء السويس . واتضح فيما بعد أن دروع الدبابة أقوى من أن تؤثر فيها المدافع المعروفة التي يستعملها المشاة لمقاومة الدبابات ، فأحيل أمرها على المصانع الأمريكية فتذكر بعضهم الصواريخ الصارخة فقال : لم لا نصنع مدفعاً صاروخياً على أن يكون من خفة الوزن بحيث يستطيع أي جندي من المشاة أن يحمله ؟ إن قوة انفجار الصواريخ هائلة جداً ، ولكنها لا تحدث هزة حين انطلاقها فأبدعت « البازوكا »(*) ولم يلبث أن بدئ بصنعها . وبعد سبعة أيام من إخراج أول مقدار منها ، كان الحلفاء يستعملونها في إفريقية ، وبعد ذلك بقليل استعملت في روسيا .

وكان هذا السلاح مدمراً هائلا ، فبذل الألمان غاية الجهد للاستيلاء على نموذج منه ، وتسنى لهم ذلك ، فلم تنقض ستة أشهر حتى استنبطوا طرازاً أقوى من البازوكا ، ولا يزالون يستعملونه في محاربة دبابات الحلفاء . على أن الشرر الذي يخرج من مؤخرة الصاروخ الألماني شديد جداً ، بحيث أن حياة الجندي الذي يطلق ذلك الصاروخ تتوقف على ثوب يلبسه من حجر الفتيلة الذي لا يحترق . ولما وقعت البازوكا الألمانية في يد الحلفاء حسنوها تحسيناً كبيراً آخر .

وشرع الألمان في إطلاق الصواريخ من الطائرات ، ووقع بعضها في أيدي الحلفاء ، فدرسوها واستنبطوا وسائل جديدة لمقاومتها ، وجهزوا طائراتهم بصواريخ ، وتوسعوا بعد ذلك في استعمالها فجهزوا بها السفن والزوارق التي استعملوها في غزو السواحل الأوربية .

(*) أنظر مقالة : « الرصاصة التي تدفع نفسها » المختار مارس سنة ١٩٤٤ صفحة ٢٨ .

والأرجح أن أحد الفريقين المتحاربين لم يبلغ بعد منتهى الطاقة فى تحسين سلاح استعمل أول مرة فى الحرب البريطانية سنة ١٨١٢

وقد وقع أخيراً حادث مدهش مما يحلم به كل ضابط من ضباط مصلحة الاستخبارات، وذلك أن طياراً ألمانيا ممن قد سئموا الحرب هبط فى أحد مطارات الحلفاء بطائرته ، وهى قاذفة متوسطة ذات محركين عظيمة القدرة على التحليق ، ومن طراز يونكر رقم ٨٨ . وما كادت تلك الطائرة تستقر على الأرض حتى طار بها الطيارون الأمريكيون إلى أمريكا حيث شرع القوم فى درسها بالتدقيق . وكان يحيرهم أن كل طائرة وقعت فى أيدى الحلفاء من ذلك الطراز كانت بلا ذيل ، فعلموا الآن أن السر فى ذلك أن تلك الطائرات تحمل فى الذيل مواد متفجرة ينسفها الطيار حتى لا تقع غنيمة سليمة فى يد العدو . وقد وجد فيها المهندسون الأمريكيون أنابيب تنقل غاز العادم الساخن إلى جناحى الطائرة فيذيب الجليد الذى قد يكسوهما ، فأخذ الأمريكيون تلك الفكرة عن الألمان .

وفى « مطار رايت » التابع لجيش الولايات المتحدة نحو عشرين طرازاً من طائرات الأعداء يقوم الأمريكيون بتجربتها . فهنالك طائرة من طائرات مسر شميت تألب عليها طيارو الحلفاء فهبطت سليمة على الأرض ، وهنالك طائرة يابانية أعيد تركيبها من أجزاء خمس طائرات من طرازها . ولما فحص الميكانيكيون فى « مطار رايت » أول طائرة ألمانية وقعت فى أيديهم وجدوا أن فى وسعهم فك محرك الطائرة فى وقت يقل اثنتين وعشرين دقيقة عن الوقت الذى يستغرقه فك محرك أية طائرة أمريكية ، فلم يلبث المهندسون الأمريكيون أن اقتبسوا طريقة تركيب المحرك الألمانى .

إن هندسة الطائرات الألمانية ، والطائرات اليابانية أيضاً ، فى تحسن لا فى تأخر . أما مناظير التسديد الألمانية ففى منزلة مناظير الحلفاء من الطبقة الثانية . وإذا كان الأعداء برغم احتياط الحلفاء ، قد تمكنوا من الاستيلاء على منظار سليم من مناظير نوردن الشهيرة ، فإنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يقلدوها ، والأرجح أنهم لن يستطيعوا ذلك قبل زمن ، فذلك المنظار مؤلف من نحو ألف جزء .

للأسلحة اليابانية الخفيفة مزية فى حرب الغابات ، أما فى السهول المكشوفة فالأسلحة الثقيلة خير منها ، وهذا يضاعف مشكلة الإنتاج وتدريب الجنود . وقد احتفظ الأمريكيون بسلاحهم الثقيل القوى ، واضطر اليابانيون أخيراً أن يقلدوهم وأن يصنعوا بنادق لجنودهم بطول قامة الإنسان ،

إلا أن هـذه البندقية أبطأ حركة وأقصر مـدى وأقل إحكاماً من بندقيـة الجيش الأمريكي المعروفة بطراز « جاراند » . وكان جنـود المظلات الألمان الذين دافعوا عن كاسينو دفاعاً عنيداً ، أول من استعمل البندقية الألمانية التي قُلدت بها بندقية جاراند، إلا أن التقليد ليس متقناً، والأرجح أن الحرب ستنتهي قبـل أن يتمكنوا من إنتاج هذا الطراز إنتاجاً واسع النطاق .

أما الجهاز الذي يلقيه ركاب الطائرات والمراكب في البحر لطلب الغوث بطريقة أتوماتيكية ، فمقتبس عن اختراع ألماني . والطراز الأمريكي من هـذا الجهاز ينقذ اليوم حيـاة كثيرين من جنود الحلفاء في البحار السبعة .

وقد ألقت الطائرات الألمانية ألغاماً على مدينـة كوفنتري فأحدثت خراباً لم يعهد له مثيل من قبـل ، وقد كانت مقادير المواد المتفجرة كبيرة ، وكانت تنفجر حين تمس جسما ما فتحدث دويًّا راعداً من فورها— لا بعد أن تخـترق الأرض وتنفجر وعندئذ تكون أضعف صوتاً . ويظهر أن مظلة واقية كانت تجعل سقوط اللغم بطيئاً وتتيح للطائرة وقتاً حتى تبتعد عن صدمة الانفجار . وقد أوحت هذه الفكرة للبريطانيين باستنباط القنابل المعروفة بناسفات الربوع .

إن فحص عتـاد العدو ومهماته يكشف النقاب عن حقائق كان يود العدو أن يكتمها ، فمواد الوقود في الطائرات الألمانية التي تسقط في أيدي الحلفاء تفحص فحصاً دقيقاً لمعرفة نسبة البنزين الصنـاعي والبنزين المستخرج من رومانيا ، وهما الصنفان المسـتعملان في الطائرات الألمانية . ونتيجة ذلك الفحص تشف عن مدى نجاح الحلفاء في نسف موارد الزيت التي لدى ألمانيا . وتدل الاختبارات الحديثة على أن موارد الأعـداء قد شحت إلى حد بعيد .

ويدل فحص كرات المحاور المستعملة في دبابات الألمان وطائراتهم على أنه كلما دمر الحلفاء مصنعاً من مصانع تلك الكرات استعاض الألمان عن النقص الذي ينتج بزيادة ما يستوردونه من الكرات المصـنوعة في السويد ، وهـذا يعلل تشديد الحلفاء على السويد لوقف إصـدارها . ثم إنّ اختبار قطع الصلب الألماني التي تقع في أيدي الحلفاء تدل على شدة حاجة الألمان إلى مادة المنجنيس ، وهو السبب الذي من أجله استعاضوا عن تلك المادة بمادة الكروم . وهـذا حدا بالحلفاء إلى الإلحاح على تركيا لوقف إصدار الكروم إلى ألمانيا .

وكان الألمـان في أول الأمر يصـنعون غلف القنابل من النحاس الأصفر ، ثم من

الصلب المصفح بالنحاس ، ثم من الصلب القوي ، أما الآن فإنهم يصنعون تلك الغلف من الحديد . وكبسولات القنابل الألمانية رديئة ، ويقول الخبراء إن عشرين في المئة منها لا تنفجر . ويظن أن سبب ذلك أعمال الإتلاف التي يقوم بها العمال المسخرون ، وأعمال الغش التي يلجأ إليها أصحاب المصانع من الألمان أنفسهم .

والخبراء الذين فحصوا صهاريج البنزين في الطائرات الألمانية التي غنمها الحلفاء ، دهشوا إذ وجدوا أن تلك الصهاريج لا ترشح ، لا بفضل استعمال المطاط الصناعي (كما كانت الحالة في الصهاريج القديمة) بل بفضل استعمال المطاط الطبيعي . ثم غنم الحلفاء بعض العتاد الياباني فتبينوا فيها أثر الصناعة الألمانية . ترى أكان اليابانيون يقايضون المطاط الطبيعي بالمخترعات الألمانية ؟ فشددت السفن الحربية البريطانية والأمريكية مراقبة البحار ، فاتضح لها أن المراكب الألمانية كانت تمخر البحار بين « بوردو » وسواحل الشرق الأقصى رافعة رايات دول شتى ، وكانت تلك المراكب في اتجاهها إلى الشرق الأقصى تحمل المواد المصنوعة من الصلب ومختلف الآلات ، ونماذج الأسلحة الألمانية الجديدة ، ومحركات الطائرات ، وأدوات النقل ليقلدها اليابانيون ، وكانت عند عودتها إلى الغرب تجلب الزيوت النباتية والقصدير والمطاط . وكانت هذه السفن التي تحاول اقتحام الحصر البحري ، تحمل أيضاً نواتي من رجال المدفعية البحرية من الألمان ، فأغرق الحلفاء أو استولوا على خمس وعشرين سفينة للأعداء من تلك السفن ، ومنها بعض الغواصات ، وتبينوا من فحص مشحوناتها ما هي المواد التي يحتاج إليها الأعداء .

لقد سبق المحور الحلفاء عشرين سنة في صناعة معدات الحرب . وكان في وسع أي إنسان قبل سنة ١٩٣٩ أن يحصل على المخترعات الأمريكية المسجلة ، وكان الألمان واليابانيون يشترون أسرار المخترعات العسكرية من مطبعة الحكومة الأمريكية أو من مكتب تسجيل المخترعات بنحو قرشين ونصف قرش . فطائرات الانقضاض والمظلات الواقية وسلاسل الدبابات والمدافع المتحركة — جميع هذه هي من بنات أفكار الأمريكيين وقد اقتبسها الألمان ، ولم تلحقهم أمريكا في صناعتها إلا الآن .

* * * * * *

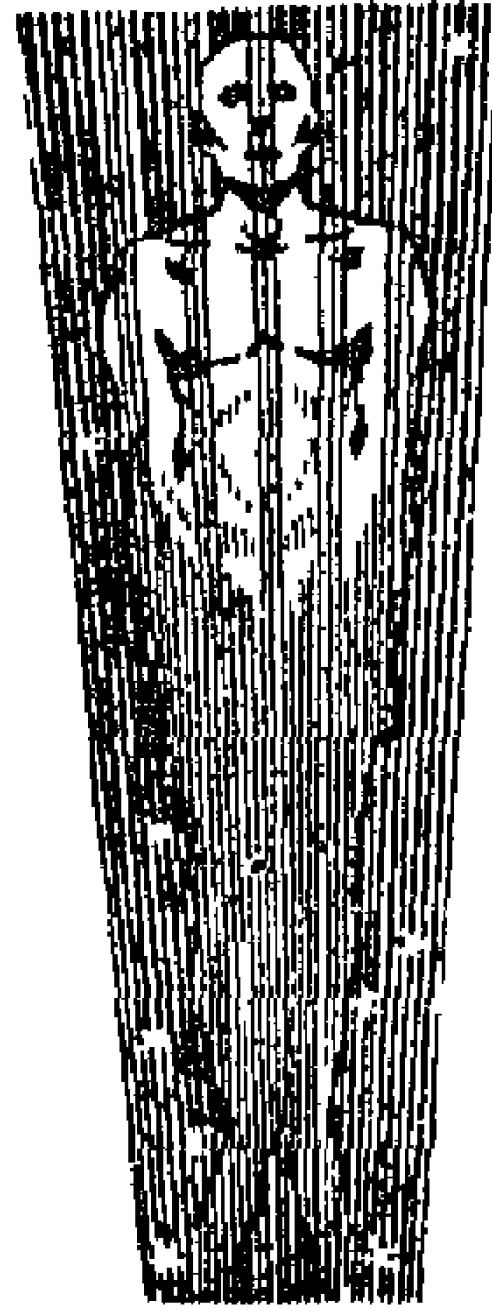
ليس للمرء في صراع الواقع إلا سلاح واحد — هو الخيال .

[جول دي جولتييه]

سجين الليل

قصة حقيقية

جون نسبيت
ملخصة عن برنامج
"الموكب سير" الذى تذيعه
شركة كولومبيا للإذاعة



ذات صباح من سنة ۱۸۸۸ روّعت سان أدريس — المصيف البحرى الصغير فى فرنسا — جناية قتل غامضة مثيرة.

كان من نزلائه رجل من أرباب الأعمال يدعى أندريه بونيه، وفد إليه هو وزوجه لقضاء إجازة الصيف، وفى المساء غادر الرجل فندقه لينعم بالسباحة قليلا من قبل أن يأوى إلى فراشه. وجاء موزع الخبز الصبى يسير على الشاطئ فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى، فعثر بمونيه راقداً على الرمل فى موضع جاف لا يصل إليه أعلى مدّ للبحر، وقد خرقت رصاصة رأسه، وكان جسده عاريا، وملابسه مطوية بعناية إلى جانبه.

ولما طير الخبر إلى رياسة الأمن العام فى باريس — ولعيونها شهرة مستفيضة فى فرنسا — سارعت بالإبراق إلى أقدر رجالها روربرت ليه درو، ليذهب إلى سان أدريس ويتولى تحقيق الجريمة. وكان ليه درو — هذا المخبر الذى يتغنى ببطولته كل صبى فى فرنسا — يقيم حينئذ فى مدينة الهافر على بعد ميلين من سان أدريس.

وبالرغم من أن ليه درو أصغر مخبر فى إدارة الأمن العام عمراً، إلا أنه كان قد نال أكبر المكافآت بفضل توفيقاته الباهرة. ويقولون عنه إن نظرة واحدة منه لأثر قدم تكفيه ليصف على الفور صاحبها كأنما يراه، وأنه إذا شمّ رماد طباق عرف نوع السيجارة.

ولكن ليه درو نفسه كان الوحيد الذى يعلم أنه ليس على شئ من البراعة إطلاقاً، وكل ما فى الأمر أنه متريث، صاحب خطة، صبور. فكان إذا ندب لتحقيق حادثة فحص الأرض عندها شبراً شبراً، غرفة غرفة، إلى أن يطوف على منزل بأكمله، ويلتقط كل ما يعثر عليه ولو كان دبوساً أو طرفاً من خيط. لا ينكص عن مهمة بدعوى أنها لا تستحق ما يبذله فيها من جهد عظيم، أو ما ينفقه من وقت طويل، وإنه ليقضى الساعات فى تتبع صاحب زر عثر عليه بالقرب من مكان الجريمة، وكان

جزاء صبره أنه وفق توفيقاً باهراً فى كشف بعض جنايات قتل ، وأصبح نجاحه فيها مضرب المثل .

ولم يخف عليه أن شهرته تخبو لا محالة لو عرف رؤساؤه بطأه وثقل خطاه ، فكان يرسل إليهم تقارير حشوها المبالغة ، وبدلا من أن يعترف بأنه مكث خمس ساعات يتتبع من حامت حوله الشبهة ، إذا به يقرر أنه حدس من فوره فأصاب المكان الذى سينتهى إليه مطاف الرجل . فكانت تقاريره تبدو على الورق أعجوبة من الأعاجيب ، فى حين أن ليه درو المسكين ، كان لا مفر له من أجل الاحتفاظ بشهرته من أن يسهر الليل مكباً على عمله ، وقد تتوالى عليه أيام لا يذوق فيها النوم كل ليلة سوى ثلاث ساعات . وقد اعترف مرة أنه لم ينم فى أسبوع كامل سوى ست ساعات .

فكان من أثر هذا الإجهاد أن تضعضعت أعصابه ، واعتلت صحته ، وكثيراً ما كان يهب من نومه فى منتصف الليل وهو يصرخ فزعا من كابوس يرى فيه أنه يرتكب جريمة القتل ، ولكنه لم يعبأ بطبيبه وهو ينصحه بأن يخفف من جهده قليلا .

* * *

لما وصل ليه درو إلى سان أدريس سقط فى يده لأول مرة . فهذه محفظة نقود القتيل وبها عدة مئات من الفرنكات ، لا تزال فى جيبه ، وذلت التحريات على أنه رجل لا يعاديه أحد ، وأنه لا يعد من الأثرياء ، وليس له وارث سوى زوجه . وقد تبين أن مدام لونيه لبثت ترقب عودة زوجها فى ردهة الفندق إلى الساعة الثانية والنصف صباحاً ، على حين أنه ثبت من التحقيق أن القتل وقع فى الساعة الثانية صباحا . فكان لا مفر من صرف النظر عن اتهام الزوجة .

وأخيراً ، وبعد أن تبين له أن مجهوداته فى كشف الجريمة لم تثمر أقل ثمرة ، لجأ ليه درو إلى خطته المعهودة المستندة على على الصبر والتؤدة ، فأقام على الشاطىء سياجاً من الحبال على مسافة ٥٠ قدماً حول الوضع الذى يرقد فيه القتيل ، وأخذ ينقب فى الرمال شبراً شبراً لعله يعثر على دليل .

وخيم الليل ، ومضى منه وقت طويل ، وليه درو لا يزال ينقب مستعيناً بمصباح ، وفجأة عثر على ما كان يبحث عنه وأخذ يحدق فيه وقد غلبته الدهشة وركبه الوجوم .

وقضى ما بقى من الليل وهو يذرع شوارع سان أدريس ، وفى الصباح قصد مركز البوليس وقال بصوت هالك النبرات :

« أيها السادة ! لقد وفقت إلى كشف سر هذه الجريمة . فهذا قالب من الجص لأثر قدم خلفه القاتل وهو يدب فى إثر

فريسته محاذراً ، وترون منه أنه خلع نعليه وأبقى جوربه لكى لا يسمع لخطواته صوت . وحبـذا لو انتبهتم إلى ظاهرة عجيبة فى أثر هـذه القـدم . أنظروا إلى القدم اليسرى تجدوا أن سلامية الإبهام — ألا ترون ؟ — مقطوعة . وليس هنـاك أقل شك فى أن ما أمامكم هو أثر قدم قاتل أندريه مونيه » .

ثم انحنى ليه درو وخلع النعل عن قدمه هو — قدمه اليسرى ! — وقال : « أنا القاتل أيها السادة ! » .

وكان ليه درو فى صباه قد بترت سلامية قدمه اليسرى ، فانطبقت قدمه على الأثر المتروك فى الرمال تمام الانطباق .

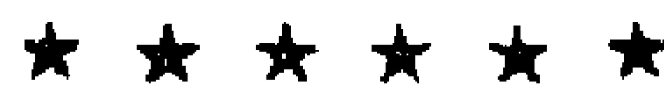
وهكذا انقلب الكابوس الذى رأى فيه أنه يرتكب القتل ، وأصبح حقيقة واقعة !

قبض عليه ، وقدم لمحكمة الجنايات ، ودافع عنه محاموه بمرافعة تعـد من أبلغ الخطب التى دوّت فى قاعات محاكم الجنايات فى فرنسا . وأثبت المحامى بأدلة طبية لا تنقض أن ليه درو لا يخشى خطره إلا ليلا فحسب . حين تسيطر عليه علته العقلية العجيبة ، أما بالنهار فهو متزن تمام الاتزان كأى إنسان آخر . وقال المحامى فى مرافعته :

أما وقد ثبت لكم أن ليه درو لا يخشى خطره إلا بالليـل وهو نائم ، فبالله عليكم لماذا تحكمون بالإعدام على هذا الآخر الذى يعيش سلماً مادام النهار ؟ » .

حكم على ليه درو بالسجن المؤبد ، ولكن كان يوقف تنفيذ هذه العقوبة كل صباح إلى أن يحين الليـل . فكان ليه درو من مطلع الشمس إلى مغربها مطلق السراح يذهب حيثما شاء ، ويفعل ما بدا له ، ولكنه مكلف بأن يؤوب إلى السجن عند الغروب ليمكث بين جدرانه إلى الصباح التالى .

وظل ليه درو وهـذه العقوبة العجيبة تطبق عليه ، وأخيراً أريح منها فى سنة ١٩٣٩ — أى قبل سقوط فرنسا — إذ وجدوه ذات ليلة فى حجرة سجنه ، وقد أسلم الروح ..



● لن تطيق أن تمنع نزول الشدائد ، ولكن لا ينبغى لك أن تهيء لها فى نفسك منزلا . [مثل قديم]

● اتباع التقاليد لا يعنى أن الأحياء أموات ، بل أن الأموات أحياء .

[ج . ك . تشسترتون]

● أولى بك أن تحسن قليلا معاملة أصدقائك ، من أن تحب أعداءك .

[إدوارد هو]

جهاز من أدق ما فى العالم من الأجهزة وأعجبه .

جلدك جدير بأن تعرفه وترعاه

بسمى ماك كورميك

مقتبسة من حديث مع الدكتور فرانك ك. كومز مدير قسم الأمراض الجلدية بمستشفى "بلفيو" بنيويورك

ملخصة عن مجلة «كوليير»

يقوم بينك وبين العالم الزاخر بالجراثيم حاجز وحيد يتكون من قرابة ٢٠ قدماً مربعة من الجلد ، يتراوح سمكه بين عشر السنتيمتر فى أجفان العين ، ونصفه فى باطن القدم .

وهذا الجلد أسمى بكثير من أن يكون مجرد معطف واق للجسد ، إنه عضو له من الكفاية حظ عظيم ، فهو يحفظ حرارة أجسامنا عند مستوى ثابت ، وينذرنا بالحر والبرد والملامسة والأذى بواسطة حراس من الأعصاب فيه . وهو ينبت الشعر والأظافر ، وينفض الفضول ، ويصنع الصبغة التى تدرأ الشمس عنا ، ولا يزال يجدد البشرة الهالكة .

وأهم الوظائف الحيوية للجلد هى حفظ الجسم عند مستوى ثابت من الحرارة ، وذلك أن أعصاب الأوعية الدموية لها القدرة على بسط هذه الأوعية أو قبضها ، فى حين تسيطر أعصاب الإفراز على مليونى غدة من غدد العرق فى الجلد . فإذا اشتد حر الجو تمددت أوعية الجلد الدموية كى تهىء للحرارة أن تشع منه ، وأفرزت غدد العرق ما يربى

«مقتبسة من حديث مع الدكتور فرانك ك. كومز مدير قسم الأمراض الجلدية بمستشفى « بلفيو » بنيويورك »

على لتر من الماء فى اليوم فتشعرك بالراحة ، فإذا ما برد الجو نقص العرق وانقبضت الأوعية الدموية . وهذا الجهاز من الدقة بحيث تظل حرارة الإنسان فى صحته ثابتة عند درجة ٣٧ ، سواء أكان عاملا من عمال تفريغ السفن فى جنوبى المحيط الهادى أم رائداً فى المنطقة المتجمدة الشمالية .

والجلد درع مكونة من قشر متراص متراكب كسفط السمك ، ولم يستطع أحد قط أن يخترع معطفاً واقياً من المطر خيراً منه . ويخترق الجلد ملايين من الثقوب الدقيقة — المسام . ومع ذلك ففى قدرتك بمعونة غدده الدهنية وتركيبه العجيب أن تمكث مغموراً فى الماء حتى العنق أجلا غير مسمى دون أن تشرق أحشاؤك بالماء .

وثمة كذلك وظيفة صنع الشعر الذى يكاد يجلل الجسد كله ، مع أنه كثيراً ما يدق حتى لا تراه العيون ولكل شعرة عرق صغير يغذيها ، وأكياس دهنية كثيرة تزيتها ،

وعصب ينذر الجسم إذا اقتلعت ، وعضـــلة دقيقة تقيمها إذا برد المرء أو فزع . ويوم كان الناس أكثر شـعراً مما هم الآن كان قفوف الشعر يعينهم دون ريب على وقاية أجسامهم من البرد ، أما اليوم فلا أثر لهذه العضلات إلا فى تغضين الجلد حتى يبدو كجلد الأوز ، وقفوف شعر الرأس الذى يصاحب الفزع فى بعض الأحيان . .

ويحتوى الجـلد كذلك على قريب من مليونين من الغـدد الدهنية الدقيقة تصون البشرة القرنية من الجفاف ، وعلى كثير من الألياف المرنة تجعله تام الانسجام على الجسد ، وتتراكم تحته وسائد من الدهن تعزله عنه ، وحين تدنو الشيخوخة تأخذ هذه الوسائد فى الضمور ، وهـذا ما يعلل بعض التعليل برم الشيوخ بالبرد .

ثم إن الجلد وثيق الصلة بالعواطف ، وهى حقيقة يعرفها كل إنسان انتابته يوما حمرة من الضيق أو صمرة من الجزع . وكثير من علل الجلد الطفيفة يزول أحياناً زوالا يدعو إلى الدهش إذا ما نجا المريض من حب تعس أو أصاب عملا يرضيه . فحالة الجلد متينة الصلة بالسعادة الشخصية — فى الزواج ، وفى العلاقات الاجتماعية ، وفى عمل الإنسان . فكيف نمنحه إذن ما هو أهله من العناية ؟

ليس فى الوسع علاج الجلد المتجعد علاجاً مجديا فى رأى الدكتور كومز ، فحين تتقدم السن يزول الدهن من تحت الجلد ، وتفقد الألياف المرنة مرونتها فتصبح من الوهن كخيوط النطاق العتيق ، ولا يمنع بشرة الوجه من التهدل مرهم أو تدليك أو غسول .

من حسن الحظ أن هناك سبلا يقى بها المرء نفسه من الظهور بمظهر الشيخوخة قبل الأوان . أتدرى أسرع وسيلة تبلغ بها وجهك مبلغ الهرم ؟ ما عليك إلا أن تتركه لشمس الصيف تلفحه ، فتجفف دهنه الطبيعى ، وتمهد للتجاعيد فيه ، وتقصر من عمر خلاياه ، وبذلك يسرع الجلد إلى الشيخوخة ولعل الجـدة العجوز تثير السخرية تحت مظلتها ، ولـكنها تأتى عملا علميا تخدع به مر السنين . فإن كان لا بد لك أن تجلس عارى الرأس على شاطىء البحر فى ضوء الشمس اللافح فعليك أن تقى وجهك باستعمال مظلة كيميائية — مركب ما يمتص أشعة الشمس المؤذية .

وإنك لتصاب كذلك بالتجاعيـد التى لا داعى لهـا بقضاء الشتاء فى بيت شديد الدفء شـديد الجفاف ، وبإزالة الدهن الطبيعى بالإسراف فى استعمال الصابون ومقويات الجلد ، وباعتياد الظهور بمظهر النكد والقلق . وإذا جاوزت الأربعين

دارجا نحو الخمسين فكافح التجاعيد الآخذة في الظهور بالإقلال من تعاطى ملح الطعام ، فإن الناس إذا ما أشرفوا على الكهولة بدأ يشق على أجسادهم أن تفرز ما تجمع فيها من الملح فتؤدى بقاياه إلى مط الجلد ، وينتهى ذلك على مر الزمن بظهور التجاعيد .

إن المراهم الدهنية (كولد كريم) تقى الجلد من الأقذار وتحفظه من الجفاف ، ولكن المراهم لاتستطيع أن تغذى جلدك ، والطريقة المثلى الوحيدة لهذه التغذية هى الجهاز الهضمى . ولا يوجد على سطح البسيطة مرهم فى قدرته أن يضيق المسام الواسعة فى وجهك ، فإن هذه المسام مخارج للغدد الدهنية ، وهى تتسع كلما تقدم العمر .

وكثيراً ما تنشط غدد تزييت الشعر فى المراهقة ، فيؤدى الدهن الزائد إلى ظهور نقط سود على الجلد ، فإذا تلوثت بالجراثيم نشأ منها عدد من البثور الملتهبة ، فيدرك المصابين بها من الصبيان والفتيات قلق مؤلم على أن هذا النوع من حب الشباب يمكن السيطرة عليه عادة بسهولة . والعادة أن ينصح ضحاياه بغسل وجوههم بالصابون أربع مرات أو خمساً فى اليوم ، وتعريض أنفسهم لأشعة الشمس باعتدال ، والإكثار من أكل الفواكه والخضروات ، والامتناع عن المثلجات والشكولاتة وأمثالها من المغريات .

وإن عضواً معقد التركيب كالجلد قمين أن يصاب بالأمراض ، والسرطان من أخطر هذه الأمراض ، إذ يقتل أكثر من ٣٠٠٠ أمريكى كل عام ، ومع ذلك فإن علماء أمراض الجلد يقولون إن كل وفاة من هذه الوفيات بوجه عام كان يمكن توقيها ، فإن سرطان الجلد يكون باديا للعين ، ويمكن معرفته فى بواكيره ، واستئصاله ممكن بالجراحة أو الراديوم أو الأشعة السينية .

ولعل الإسراف فى التعرض للشمس ، هو أفعل الأسباب التى تستثير سرطان الجلد ، وأكثر حدوثه فى الأشخاص الذين يعملون فى الخلاء ، وأولئك الذين يتشمسون التماساً لتلويح جلودهم . وهو يصيب من الشقر حوالى تسعة أضعاف من يصيب من السمر ، وقد يكون فى التعرض المعتدل للشمس خير ، ولكن إياك أن تكون من أنصار لفح الجلد الشنيع على شواطىء البحار .

وثمة نصيحة أخرى : راقب بمنتهى الحذر الخيلان والثآليل (السنط) ، إن الشخص العادى يكون به قرابة ٤٠ خالا ، وأكثر هذه النقط السود لا خطر له إطلاقاً ، ولكن الخال الرمادىّ أو الأزرق القاتم والذى يغلب ظهوره على الرأس أو الأقدام ، يربدّ أحياناً أو يخشوشن أو يأخذ فى التضخم ، فإن حدث لك شىء من هذا فبادر إلى الطبيب .

ولا داعي للقلق من الثآليل التي تظهر في أول الشباب ، فهي لا تعهد للسرطان أبداً ، ويمكن استئصالها بالأشعة السينية ، أو المس بثاني أكسيد الكربون المثلوج. ولدى علماء أمراض الجلد أدلة على إمكان إزالتها بالإيحاء — وهو شيء يعرفه الأطفال في علاجهم الارتجالي لأنفسهم من قديم الزمان. وكثيراً ما نجح الأطباء في إزالة عدد كبير من الثآليل بمسها بماء ملون ، كما أن ثآليل أخرى اختفت إثر علاج متوهم بالأشعة السينية ، لم تصنع فيه آلة الأشعة أكثر من أن تحدث ضوضاء . أما لماذا اختفت فلا أحد يعرف سبباً معقولا لهذا الاختفاء ؟

والاضطرابات العاطفية من أهم أسباب الإكزيما والشرى ، وهو طفح فجائي يظهر على الجلد . فإن لم تكن في مقام يساعدك على التعبير عن أفكارك فإن جلدك يقوم عنك أحياناً بهذا التعبير . وربما يصاب الأطفال الذين تشقيهم المدرسة بإكزيما الأيام المدرسية التي سرعان ما تتحسن في نهاية الأسبوع . وثمة امرأة ظلت تصاب كل ليلة حوالى الساعة الثامنة بشرى طوال عامين ، ثم أخبرت طبيبها في النهاية أنها كانت تكره زيارات شقيق زوجها في هذه الساعة ، وحين بدأ الزائر يقضي لياليه في مكان آخر، اختفى الشرى .

والشرى والإكزيما يحدثهما كذلك الاستهداف (شدة الإحساس) ، وقد يكون مرجعه إلى الطعام أو أية مادة أخرى تمس الجسم من مسحوق الطلق إلى حلي الثياب. والطريقة العادية لاكتشاف الطعام المؤذي هي قصر طعام المصاب على عصير فول الصويا أو سواه من الأطعمة البسيطة المماثلة ، ثم إضافة الأطعمة الأخرى واحداً واحداً حتى يبرز الجاني منها إلى النور . أما الاستهداف الناشيء من الملامسة فيمكن الكشف عنه بتجربة البقعة الحمراء ، فيؤخذ نموذج من كل مادة تلامس جسد المصاب ، وتلصق على جلده بقطعة من الشريط اللصاق ، ثم تترك حيث هي ٢٤ ساعة . وفي نهاية هذا الوقت تكون المادة المؤذية قد تركت في الجلد بقعة حمراء .

وإن شئت أن تصون أديمك وتحفظه في أصح حالة ، فعليك باتباع عدد قليل من القواعد البسيطة : تعاط كثيراً من الفيتامينات وبالأخص فيتامين ا ، واهتم بالنظافة البدنية ، واعبد الشمس ولكن بحماسة معتدلة ، ورض نفسك على اعتدال المزاج ، وإياك والسهر الطويل أو الإسراف في العبث . وقد لا تحصل بهذه الطريقة على كثير من اللهو ، ولكنك ستحصل على جلد سليم .

مستقبل القنبلة الطائرة

ميجور الكسندر پ. سفرسكي

ملخصة عن مجلة « ذى أميريكان ميركيوري »

ليست الطائرة الآلية أو القنبلة الطائرة التي تقذف على إنجلترا جهازاً جديداً ، ولا هي الآن سلاح قاهر يستطيع أن يحسم الحرب.

وسيزداد حجم هذا السلاح ، دون شك ، ويمتد مداه ، وتشتد طاقته المدمرة ، ويعلو شأنه في هذه الحرب ومن بعدها ، فجدير بنا أن نعرف كنه هذا السلاح .

لم تكن تلك الآلة الألمانية مفاجأة للعسكريين أو لمهندسي الطيران ، فقد أجرى لورنس سبري تجارب تبعث على الرضى ، على طائرة آلية في بلبورت بمنطقة لونج أيلند سنة ١٩١٨ ، وكانت طائرة ذات سطحين مجهزة بمحرك قوته ٩٠ حصاناً . وكان مداها الأقصى نحو ٤٠٠ ميل وهي غير محملة ، وسرعتها نحو ١٠٠ ميل في الساعة . وكان قد استنبط لها خاصة دوامة (جهاز جيروسكوبي) تحفظ توازنها وتوجهها . وكان فعل هذا الجهاز يعادل تقريباً فعل الجهاز الذي يستعمله الألمان الآن .

أما ما جعل استعمال القنبلة الطائرة مجدياً ، فهو تقدم المحركات الصاروخية والمحركات النفاثة ، فهي التي توفر ما يلزمها من السرعة والمدى والقدرة على العمل .

ولقد كان الصاروخ الروسي المضاد للطائرات و «البازوكا» الأمريكية المضادة للدبابات ، والطرابيد الجوية النازية ، هي الخطوات المتتالية التي مهدت لظهور القنابل الطائرة .

إن موجة المخاوف والظنون التي أحدثتها تلك الآلة الجوية الألمانية ، تشبه الهزة التي أحدثها ظهور الطربيد المائي الحديث . فقد قيل إنه سيقضي على السفن التي تسير على سطح البحر ، إذ تمضي طوائف الطرابيد الموجهة باللاسلكي ، باحثة في الماء عن السفن المعادية فتدمرها ، ولكن لم يتحقق شيء من ذلك . إن الطربيد لمهم ، ولكنه نزل من الحرب منزلة أي سلاح متفجر آخر .

وإن الموازنة بينهما لتامة ، فما الطربيد المائي إلا غواصة آلية ، والطربيد الهوائي طائرة آلية ، وكلاهما يحمل في جوفه مصدر قوته الدافعة ، وكلاهما يتبع طريقاً رسم له من قبل وهو خاضع للتوجيه الجيروسكوبي ، أو هما قابلان لأن يدارا بالأمواج اللاسلكية .

تطلق القنبلة الطائرة الآن من مواقع ثابتة ، وهذا يحد من فائدتها ، فلو حصر استعمال الطربيد المائي المألوف في الدفاع الساحلي وحسب ، حين إطلاقه على السفن ،

لأصبحت فائدته محدودة النطاق جداً ، وإذا كان الهدف بعيداً كان تسديده غير محكم ، أما إذا اقتربت به من الهدف سفينة سريعة فإن فعله يتضاعف مراراً . وما حدث فى البحر سيحدث فى الجو ، فمن المحقق أننا سنشهد مدمرات جوية وحاملات للطربيد تطلق القنابل الطائرة كما تفعل المدمرات البحرية وزوارق الطربيد فى الماء . وهذا فى رأيى قد يكون نفعه الحربى الأعظم .

إن ازدياد سرعة الطائرات وقوتها الرافعة سيمكنها من حمل طرابيد جوية زنة الواحد منها طنان أو أربعة — أو ربما عشرة أطنان ، ثم إطلاقها . ومثل هذه القنابل الطائرة المدفوعة بقوة محركات صاروخية أو نفاثة ، يمكنها ، إذا ركبت فى غلاف من الصلب يخترق الدروع ، أن تشق طريقها غير مدافعة إلى قلب هيكل أية بارجة أو أى جسم آخر على الأرض . وستطلق القنابل الطائرة من مسافة مأمونة خارج نطاق المدافع المضادة للطائرات ، وستكون دقتها فى الإصابة مهلكة ، لأن سرعتها الفائقة تجعل أى سفينة بالقياس إليها ، هدفاً ثابتاً . ولن يستطيع أى شئ على البر أو فى البحر أن يحتمل فعلها المدمر ، فمكافحتها مستحيلة إلا على القوة الجوية المعادية .

ولهذا السلاح الجديد عوامل تحد من قوة أثره ، فدقته فى الإصابة تتناقص قسراً بتزايد المسافة ، ولما كانت قذيفة مطلقة الحركة ، فيمكنه ولاريب أن يصيب الأهداف الضخمة كمدينة لندن . ولكن خطأ يسيراً فى نقطة الابتداء يصبح ، على المسافات البعيدة ، انحرافاً كبيراً عند نهاية المطاف . ومهما يكن الإحكام العامى فى رسم مساره فلا بد لتقلب الجو من أن يحرفه .

وقد تذلل تلك الصعوبة بأن توجه القنبلة الطائرة توجيهاً لاسلكياً ، ولكن العدو يسهل عليه أن يتغلب عليها باستعمال أجهزته الكهيربية . وقد بذلت فى هذه الحرب مساع كثيرة لاستخدام دبابات أو سفن آلية توجه بالراديو ولكنها أخفقت جميعاً ، إذ أن موطن الضعف فى جميع هذه الأجهزة ، هو أن السيطرة الكهيربية تتضاءل قوتها وفقاً لمربع المسافة تقريباً . وحين تقترب القذيفة من الهدف تحتاج إلى قوة هائلة لكى تلزم اتجاهها ، ثم إنها تنحرف حين يعترضها أقل عائق . والعثور على السلاح المضاد لتلك الأسلحة التى تدار من مكان قصى ، ثم تحسينه ، لا بد أن يكون أمراً ميسوراً .

وقد أثبت تاريخ الأجهزة ذات التوجيه الآلى حتى الآن أن ليس للعقل البشرى بديل يقوم مقامه ، فحين يتبارى جهاز تسيطر عليه الآلة مع آخر خاضع لسيطرة

الإنسان ، فالنصر حليف الأخير آخر الأمر. وما علينا ، إلا أن نقارن بين القذائف الآلية التي تضرب لندن ضرب عشواء وقذف برلين قذفاً محكماً ، فنتبين الفرق العظيم .

إن الطائرة الآلية ظفر للعلم الألمانى ولكنها مظهر لقصر النظر الحربى ، إنها أحدثت خسائر جسيمة وقد يستفحل أذاها، ولكنها لن تحرف خطة الحلفاء الحربية عن طريقها المرسوم ، ولن تؤثر كثيراً فى قوة الحلفاء الحربية . وقد لجأت ألمانيا إلى هذا السلاح الجديد لتستعيض به عن القوة الجوية ، ولكنه فى الحقيقة ليس إلا جزءاً لا يتجزأ من القوة الجوية ، ولا يكون تأثيره حاسماً إلا إذا استخدم على هذا الأساس.

وليست القنبلة الطائرة الآن إلا نوعاً آخر من المدفعية ، ففى الحرب الماضية تمكن المدفع الضخم « برتا الكبيرة » — وكان مداه ٧٦ ميلا — من أن يصب النار على باريس من خلف خطوط الألمان . وفى هذه الحرب ظلت المدافع ترمى ساحل دوفر بالنيران من ساحل المانش الفرنسى ، ثم أصبحت لندن فى خط النار بظهور القنبلة الآلية ، التى يبلغ مداها ١٧٥ ميلا . إلا أن امتداد مدى المدفعية لا يغير صورة الحرب الأساسية. والطريقة الوحيدة لمعالجة مدفع ضخم هى تحطيمه، أو منع الذخيرة عنه بتقطيع خطوط المواصلات التى تغذيه ، أو الالتفاف بمؤخرة العدو وتحطيم مصانع الأسلحة ، وهذه هى الطريقة المثلى . والطائرة هى خير وسيلة لتحقيق هذه الأمور ، أى أن القوة الجوية الساحقة هى الجواب على القنبلة الآلية الطائرة فى هذه الحرب أو فى كل حرب تالية.

إن الرجال فى الطائرات ، لا الأجهزة الآلية ، هم الذين سيكسبون الحرب، وستظل هذه الحقيقة قائمة إلى أن يستنبط مبدأ جديد يمكن المحارب من قذف الموت والدمار خلال الفضاء — مثل « شعاع الموت » .

وليس هناك ما يحول دون اضطلاع الطائرة الآلية بحمل البريد والبضائع بدلا من حمل الموت والدمار ، فستتمكن هذه الطائرات من الانتقال انتقالا سريعاً ومحكما فى مسار شعاع لاسلكى بين أماكن يطرد بعد بعضها عن بعض . والاعتماد على التوجيه اللاسلكى من مكان ناء مستطاع ، إذا لم يكن هناك عدو يتدخل فيه ليحبطه ، وإذا ما ساد التعاون بين محطتى القيام والنزول ، فتقاد الطائرة الآلية إلى حظيرتها عند وصولها قيادة دقيقة بالأشعة، ثم تقفها برفق أجهزة كالتى تستخدمها حاملات الطائرات لتقليل سرعة الطائرات الهابطة عليها . وإنى لأنتظر واثقاً أن تصل الطائرة الآلية التى أنشئت لأغراض الحرب، إلى أعظم درجة من التطور فى زمن السلم .

أحبّ أن أذكر هذا الرجل

ونفرد لويل فشان أنتا

كان جورج سكستون فى الرابعة والأربعين من عمره سنة اصطحبناه فى رحلة لصيد السمك فى ولاية مينسوتا الشمالية. وكان رجلا قصيراً، رقيق الشمائل، خجولا. وقد ظلّ حياته أعزب، وهو من أولئك المتوحدين الذين اتخذوا فى الفنادق سكناً يأوون إليه ينتظرون الشيخوخة وحلول الأجل. ولقد تدرّج من ساع للمراسلات إلى رئيس للحسابات، وكان كل من فى مكتبنا يحبه. ومع ذلك كانت حياته مغسولة لا لون لها. لقد ظهرت ذات يوم فى حياته امرأة، ولكنه كانت له أيضاً فى الوقت نفسه أمّ أرملة وأخت صغيرة. وهو الآن مفرد وحيد.

وقد اشتغلنا أنا وكارل دانفورث تحت رياسته كاتبين فى دفاتر القيد والتسجيل، وكنا يومئذ فى سن العشرين، ولا عهد لنا بشيكاغو قبل ذلك. وكنا أصحاب لهو ومتاع وكثيراً ما ألفينا أنفسنا مفلسين قبل يوم صرف المرتبات، فكان جورج يهتم بنا اهتمام الوالد، ويقبل علينا بالقطعة من النقود فى وقت حاجتنا إليها. ولقد دعوناه إلى رحلتنا هذه لصيد السمك معنا لأننا كنا نأنس به، بل أكثر من ذلك – من أجل سيارته.

ركبنا معاً إلى بحيرة أوتر على مسافة ٣٠٠ ميل فى الشمال من منيابولس. وأرشدنا كارل إلى مخيم كان قد نزل به مرة، ولكن كانت الجواسق (الكابينات) كلها مؤجرة. فلما أن هممنا بالانصراف قال صاحب المخيم: «قد يكون روكى دنكان أتم بناء جوسقه الجديد. امضوا فى هذا الطريق».

وانتهى الطريق إلى مجاز للعربات فى غابة كثيفة، فمضينا فيه حتى تأدى إلى فضاء على الشاطىء، رأينا عنده جوسقاً كبيراً من كتل الخشب، وإلى جانبه جوسق جديد أصغر منه.

وطلع يستقبلنا كلب كبير من كلاب الصيد الإرلندية، ووراءه فتى لوحت وجهه الشمس وهو فى لباس السباحة، فقلنا له: إننا نبحث عن رجل يدعى روكى دنكان،

فقال الفتى فى هدوء : « أنا روكي دنكان »

وذكر لنا أن الجوسق الجديد لم ينته هيئة داخله تماماً ، وأنه غير مجهز بعد بالفرن اللازم للطهى ، على أنه مع ذلك صالح للمبيت ، وأننا نستطيع جميعاً أن نجهز طعامنا ونأكل معاً فى جوسقه الكبير. وأبدى استعداده لتأجير الجوسق بعشرين ريالا فى عشرة أيام ، وبذلك يحصل على ما يفى بشراء فرن صغير للطهى يرسل فى طلبه بالبريد مع بعض أشياء أخرى يحتاج إليها .

وكان الجوسق يشتمل على غرفتين ، وبه مائدة وبعض المقاعد من صنع صاحبه ، وأسرّة خشبية هى جزء من الجوسق مثبتة فيه ، وثمة أيضاً مدفأة وشرفة تطل على البحيرة . والجوسق والأثاث جميعاً من بناء الفتى وصنع يده ، ولو هو استطاع تأجيره الموسم كله ، فقد يكون فى إمكانه — على حد قوله — تدبير المال الكافى لبناء بيت آخر .

وجعل جورج يتطلع إلى الفتى ، والإعجاب ظاهر فى عينيه . ثم سأله : « كم سنك يا بنىّ ؟ » .

فأجاب روكى : « سبع عشر سنة » .

فأخرج جورج من محفظة نقوده أربع ورقات من فئة العشرة الريالات ، وقال : « سنقيم هنا يا بنىّ . كلا ، بل احفظ المبلغ كله لك . لقد كنا على نية دفع أربعين ريالا حين غادرنا شيكاغو » .

وأشرقت أسارير الفتى ، وأخذنا إلى جوسقه الكبير ، وسرعان ما كانت القهوة تغلى ، والسمك يقلى ، وكشف عن صندوق الثلج — وهو أيضاً من صنعه — وأخرج منه برمة كبيرة فيها « فرولة » غضة .

وكانت بحيرة أوتر تبلغ عشرة أميال طولا ، وحولها أشجار الصنوبر والبلسان والبتولا حتى حافة الماء . ولبثنا ثلاثة أيام نصيد السمك ، ونأخذ غاية مطلبنا من سمك الكراكى الكبير ومن القاروس الأسود ، ثم لا عمل لنا بعدها إلا النوم والأكل والسباحة وارتياد المجاهل التى حولنا . ولا غرو ، فإن ناساً مثلنا سئموا الحياة فى المنخفضات الرطبة فى مدينة كبيرة مزدحمة ، يجدون أنفسهم هنا ولا شك فى مثل جنة الفردوس .

وقضى جورج ساعات طوالا يحدث روكى ، حتى صار على علم بخبره كله : لقد كان والد الفتى من قدماء الجند فى الحرب العظمى الأولى ، ثم عاد إلى الغابات بعد تسريحه ، فكان معوّلا على معاشه ، وعلى ما يستطيع كسبه من تأجير عشته ، وقيامه بعمل الدليل المرشد . وماتت والدة روكى ، ثم أبوه ، وبقى الفتى هنا فى العام الماضى وحيداً . فكان يطهى بنفسه الطعام ، ويغسل

ثيابه . وقد مدّ في الشتاء حبائل الصيد ، وباع الفرو . وكانت الظباء موفورة حوله فلا يخلو يوم من اللحم الغريض . وكان لا يزال يوافيه نصيب صغير كل شهر من المعاش الذى كان لأبيه ، فاجتمع له منه ومن كسبه من القنص ما هيأ له أن يعيش ، وأن يبنى الجوسق الجديد . وكانت هذه البقعة التي يملكها حسنة الموقع ، وقد أفضى الفتى إلى جورج بأنه يطمع أن يجعلها أحسن مخيم في الإقليم لصيد البر والبحر .

وفى عصر يوم ما ، كان جورج وروكى يصطادان السمك فى زورق من زوارق التجفيف قريباً من الشاطىء ، وكنت وكارل على الشاطىء نتشمس ، وكانت تطرق أسماعنا كل كلمة مما يقولان ، فإذا جورج يحدّث الفتى عن شيكاغو .

قال له : إنه يرى هذه العزلة فى الغابات أبعد من أن تناسب فتى فى مثل سنه ، فلماذا لا ينحدر إلى شيكاغو وينتظم فى مدرسة ثانوية ؟ ثم إن جورج عنده فى مسكنه بالفندق سرير زائد عن حاجته ، وفى استطاعة الفتى أن يحصل على عمل فى مطعم يكفل له الأكل ، حتى إذا أتم الدراسة الثانوية دخل الكلية . ولا شك فى أن فتى مثل روكى له هذا الذكاء وهذه الشجاعة ، قادر على أن يبلغ كل ما يتطلع إليه ويعقد عليه عزمه .

ثم كانت ليلة سفرنا ، وكنا جلوساً نصطلى ناراً يئز حطبها أزيزاً ، فأفضى إلينا جورج بأن روكى قد صحت نيته على السفر معنا . ثم قال إن هذا الفتى يستحق أن يتخذ وجهة أخرى ، وأنه ــ أى جورج ــ لن يتكلف الكثير فى تيسير أسباب الخير والتوفيق له .

وفى اليوم التالى لعودتنا إلى شيكاغو ، انحدر جورج ومعه روكى إلى المدينة ، فاشترى له حلتين جديدتين وتوابعهما . والتحق روكى بمدرسة ثانوية هى مدرسة جون مارشال .

ولقد لاحظ جميع من فى المكتب ما طرأ على جورج من تغير ، فقد أخذ يعمل بنشاط مجدّد وحمية ظاهرة ، وكان يباهى بالفتى كما لم يباه قط والد بولده . ولقد صحبه إلى كل مكان فى المدينة ــ إلى متاحفها ، وإلى حديقة الحيوانات فى حىّ روكفيلد ، وإلى دور السينما وألعاب الكرة .

وظلّ روكى على حاله التى عهدناها هادئاً مؤدباً ، غير أنه مع تفهّمه للعالم الذى يعيش فيه جورج ، ومع صدق رغبته فى إرضائه ، كان يبدو لى أن شيئاً ما يزعجه ، ولم أوفق إلى معرفة هذا الشىء ، حتى كان يوم السبت إذ ذهبنا إلى الرصيف المعروف

رصيف البحارة على بحيرة مشيجن ، فقد ظهرت على وجه روكى أيما ظهور أمارات الانتعاش وهزة الارتياح ، وكان يتشمم الهواء ويحدق النظر فى البحيرة . ولم يلبث أن قال : « لو كان هنا أشجار من الصنوبر والبلسان بدلا من هذه المنصات لبيع الذرة المشوية والفول السودانى ، لكان المنظر أشبه ما يكون بموطنى » .

وحدث فى بعض الليالى بعد ذلك أن تخلف الفتى عن العودة إلى مسكن جورج ، فلما كانت الساعة العاشرة أرسل جورج فى طلبى ، فألفيته يذرع الردهة جيئة وذهاباً ووجهه ساهمٌ مهموم .

فقلتُ له مطمئناً : « إن روكى لا يمكن أن يرحل دون أن يخبرك يا جورج ، ولا ريب أنه خرج مع بعض الشبان ، فدعك من عواطف الأمهات هذه » .

وانتظرنا حتى صارت الساعة الحادية عشرة ، وعند ذلك تذكرت كيف كانت سيماء الفتى يوم كنا عند البحيرة ، فقلت : « يا جورج هيىء سيارتك . نفسى تحدثنى أننا واجدوه فى رصيف البحارة » .

ولقد وجدناه هنالك جالساً على دكة ، محدقاً بصره فى الماء .

وسأله جورج فى رفق : « ماذا دهاك يا بنىّ ؟ لقد شغلتَ بالى » .

فأشاح الفتى بوجهه على الفور ، وأخيراً أدار وجهه ونظر فى عينى جورج ، وقال : « إذا ـ إذا كان الأمر يستوى عندك يا جورج ، فإنى أوثر العودة إلى مينسوتا ؛ وليس معنى هذا أنى لا أقدر كل ما أسديته إلىّ ، ولكن ـ أجل لستُ أجدنى هنا فى مكانى » . وجلس جورج إلى جانبه وتركه يتكلم ، وفاض كلٌّ ما كان فى نفس الفتى على لسانه . فمضى يقول إنه فى موطنه ـ فى هذه الآونة ـ يُقبل البط من كندا ، وتظهر ضروب السمك من أغوار الماء ، وإنه مشتاق إلى رائحة الغابات ، وإلى ذلك الشعور الذى يملؤه حين كان يقف على حافة البحيرة يرقب الشفق الشمالى . ثم هو مشتاق إلى كلبه ، وإلى الهواء الطلق النقى . وأما المدينة فكل ما فيها قذر مزدحم ، والناس فيها غير متحابين ، ثم إنك تحس فى تلك البرارى بالحرية .

وكان جورج حين دخل المكتب فى اليوم التالى متجهماً متوتر الأعصاب ، وظلت هذه الكآبة غالبة عليه حتى يوم الجمعة ، وفى ذلك اليوم دعانى إليه وقال إنه قد فكر وأطال التفكير ، فصحّ عنده أنه لو ذهب مع روكى بضعة أشهر فإنه سيقنع الفتى بالمضى فى الدراسة ، وهو على يقين أن روكى من معدن يؤهله للفوز فى الحياة .

فقلت له : « ولـكن ماذا تستطيع أن تفعل ؟ إن الفتى يأبى البقاء فى شيكاغو » .

فقال جورج فى هدوء : « لقد استقلت ، وأنا ذاهب معه إلى مينسوتا . إنى سائر إلى الشيخوخة ، وكل ما بذلت حياتى من أجله هو بضعة آلاف من الريالات فى البنك ومبلغ التأمين ، وليس فى الدنيا من يهتم حق الاهتمام إن كنت أحيى أو أقضى نحبى . وأنا أريد أن أكون عوناً لهذا الفتى »

وفى ذلك الخريف غادر جورج وروكى مدينة شيكاغو ، ولم أرهما إلا بعد خمس سنوات حين ذهبت أنا وكارل إلى بحيرة أوتر مرة أخرى .

لقد أقمنا فى هذه المرة فى أبدع مسكن لطلاب الصيد فى البر والبحر فى ولاية مينسوتا ، وكان جوسقنا يشتمل على ثلاث غرف ، وهو مبنى من ألواح شجر السدر مطلية ومدهونة ، ومزودة بالأثاث المريح ، وفيه الماء الجارى ساخناً وبارداً . وكان كراؤه فى العادة خمسين ريالا فى الأسبوع ، غير أنا كنا هنا ضيوف المدير ـ وهو رجل فى التاسعة والأربعين من عمره ، وإن كان يبدو أصغر من سنه بعشرة أعوام . وذلك أن صاحبنا جورج سكستون قد أصبح اليوم أسمر البشرة جم النشاط ، وزال انتفاخ جانبيه ، وهو اليوم خبير بتركيب البكرة فى الصنارة ، ويحسن إطلاق البندقيـة ، ويعرف كيف يصلح من المركب محركها .

وكان هنا أربعة عشر جوسقاً مثـل جوسقنا ، وكلها مؤجرة . وقد أخبرنا جورج أن روكى موجـود الآن فى جامعة مينسوتا يدرس الطب .

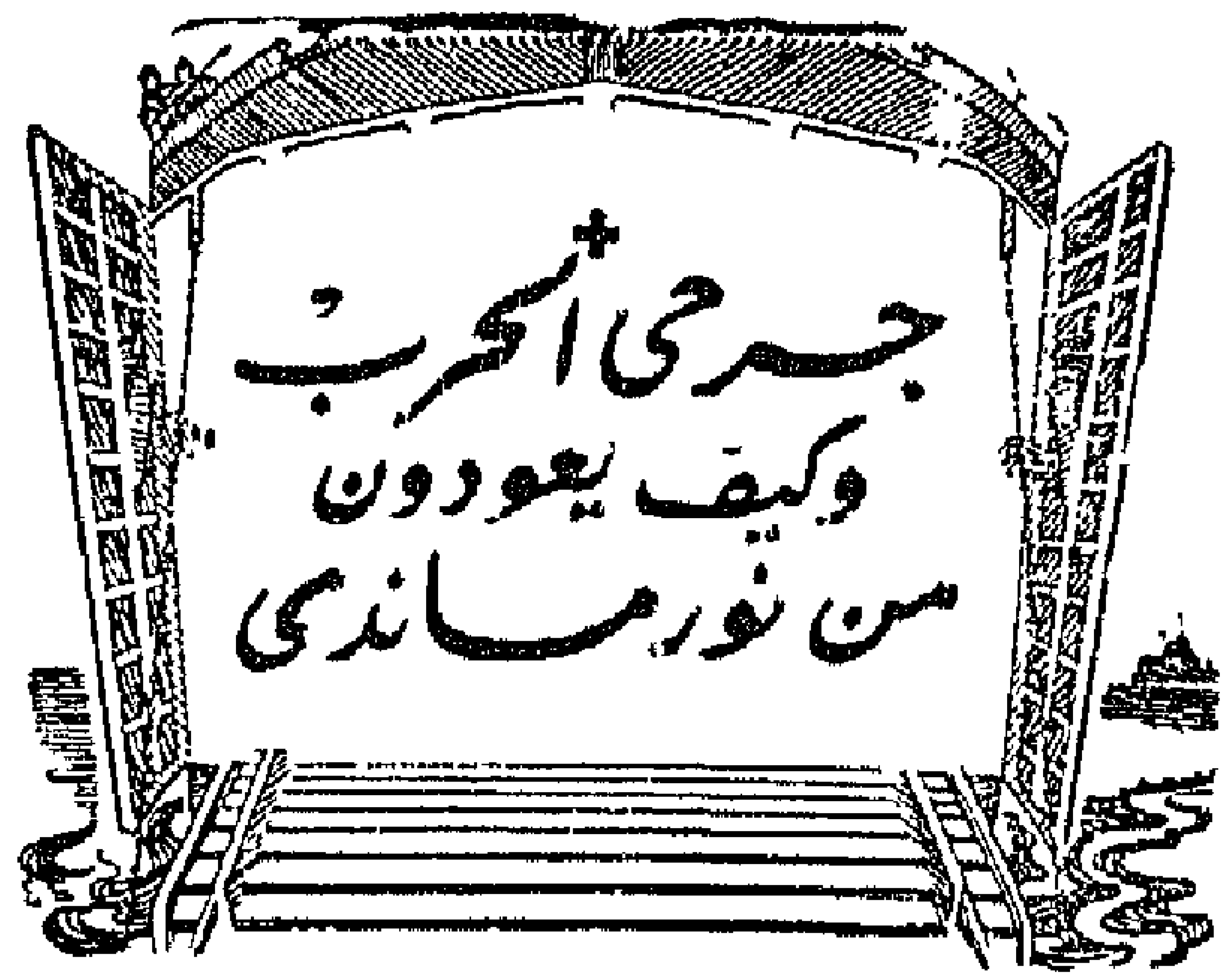
وجاء روكى ونحن فى آخر يوم من إجازتنا . إنه الآن شاب وسيم تبدو عليه الرزانة والثقة . لقد حقق ظن جورج فيه. وهو فى وقتنا هذا ملازم أول يعمل فى أحد مستشفيات الميدان فى إيطاليا .

وكلما ذكرتهما اليوم ، يطيب لى أن أتمثل صورة رجل ضئيل الجسم ، كانت له الشجاعة فى الاستجابة لداعى قلبه العطوف الكريم ، على ما كان يبدو فى الأمر من تضحية بمستقبله ، وكيف وفق هـذا الرجل فيما أراده للفتى ، وكيف ظفر وكوفئ بحياة أرغد وأغنى وأسعد مما عرفه طول عمره .

* * * * * *

حكمة القاضى

دعى قاض ليفصل فى نزاع بين شقيقين على ميراث قطعة من الأرض فقال : ليتول أحدهما قسمة الأرض ، وليكن للثانى الحق الأول فى اختيار أحد القسمين [جاى موريسون]



كاتب يتتبع أحد المصابين ، من ميدان القتال إلى أن يتم شفاؤه

روبرت ليبتل

ملخصة عن مجلة « نيوزويك »

أردت أن أقف على ما يحدث لجندى جريح من بعد أن يحمل إلى مركز الإسعاف التابع لكتيبته وراء خطوط القتال إلى أن ينقل إلى مستشفى عام فى بريطانيا فقصدت إلى نورمندى أولا .

وزرت ثلاثة مراكز للاسعاف ، ولم أستطع أن أصل إلى المركز الرابع لأن مدافع الألمان من عيار ٨٨ شرعت تضرب الطريق المؤدى إليه ، ولما رأيت الضابط الموكل بى يثب إلى حفرة ، اقتديت به شاكراً — واستقر عزمى على العدول عن زيارة المركز الرابع .

ومركز الإسعاف للكتيبة هو عبارة عما يأتى : فى ذرى سياج عال من الشجر ترى لفيفاً من الضباط والمجندين المتعبين يحملون شارة الصليب الأحمر على أذرعهم ، وقد تركوا لحاهم ثلاثة أيام دون أن يحلقوها ، وعلى محاذاة السياج وبمقربة من حده حفرت الخنادق . وأنت هناك على مرمى المدافع الألمانية ، وأصواتها فى أذنيك ، وهناك حفر أحدثتها القنابل فى الأرض على كثب من المركز .

ويؤتى بجندى مصاب بجرح رغيب فى قدمه ، محمول على محفة ، وهو يحاول أن يدخن سيجارة بيد مرتعشة ، فينحنى رجال الإسعاف عليه ويضمدون لهقدمه ، ويثبتون له يده ليتسنى له أن يضع السيجارة فى فمه .

وقد قضى هؤلاء الرجال أياماً هنا ، داخل الحفر وخارجها ، ولا ينفكون يروحون إلى الجبهة ويجيئون منها ، على بضعة آلاف من الأقدام ، ولا ينامون إلا غراراً ، ولكنهم يواصلون العمل . وقد قتل أحد حملة المحفات منذ ساعة ، وفقدوا رجلا آخر أمس ، فأنا أدرك الآن لماذا يطلب منى كثير من الجرحى الذين حادثتهم أن أكتب على الوحدات الطبية .

وزرت أخيراً مستشفى أقيم فوق عدة حقول تحت خيام رسمت عليها علامات الصليب الأحمر ، وإليه يحمل الجرحى فى السيارات لإجراء الجراحات الاولى لهم ،

فيلقون من العناية الفنية مثـل ما يمكن أن يلقوا فى مستشفى من الطبقة الأولى فى بلادهم على أن هـذا المستشفى حين دقت أوتاده فى الأرض منذ أسبوع ، كان قد سبق على مدفعية فرقته ، فظل أياماً ترجّه انفجارات القنابل المنطلقة من المدافع الضخمة .

وفيه رأيت أبدع آلة للتصوير بأشعة إكس يمكن أن تشترى بمال ، وإن كانت الصور السلبية تعلق على حبال الخيام لتجف. ورأيت هنـا فرقاً من الجراحين يقومون بجراحات طويلة دقيقة فى المخ . وفيه رأيت، على أسرة من نسيج القاوع صفوفاً طويلة من النـاقهين من جروح ما كان كثيرون منهم ليشفى منها فى الحرب العالمية الأولى . منهم من غارت صـدورهم من الإصابات ، ومنهم من مزقت الشظايا أمعاءهم، ومنهم من ذهبت الرصاصات تجوس خلال أبدانهم .

وقال لى طبيب أحد الأقسام : « يؤتى إلينا بأسوأ الحالات ، غير أنا لم نفقد سوى اثنين من أول ثمـانين حملوا إلينا » .

وشرح الأميرالاى الموكل بالمسـتشفى ما يبدو كأنه من المعجزات فقال : « أولا كان هؤلاء الفتيان فى أحسن صحة حين أصيبوا ، وثانياً أن فساد الجروح نادر بفضل عقارى السلفوناميد والبنسلين وقطع اللحم الميت ، ولكن أهم سبب هو التعجيل بنقل البلازما، والدم ، والمبـادرة إلى إجراء الجراحة .

« وكثيرون جـداً من الرجال ينقلون إلى هنا بعـد ساعة أو ساعتين ليس إلا من إصابتهم ، والأبطـال الحقيقيون فى هـذه المعارك هم رجال الإسـعاف ، ويوجد منهم ثلاثة مع كل سرية : يذهبون بمعداتهم إلى المعركة ، ويقدمـون الإسعاف اللازم ، ويدونون ما قاموا به من العـلاج فى رقعة يضعونها على صـدر المصاب ، ويجعـلون له علامة يهتدى بها إليه حملة المحفات، هى بندقية يقلبونهـا ويغرزون سنكيها فى الأرض . وهؤلاء الفتيان من رجال الإسعاف شديدو الجلد ، وتسـتطيع أن تراهم منطرحين على بطونهم تحت نار مدافع المورتر ، وهم يكتبون الرقع ليعلقوها على الجرحى .

« ثم يجىء حمـلة المحفات ، ويبلغ من خفتهم وسرعتهم أنهم كثيراً ما يحملون جرحى الألمان قبل أن يصل إليهم أحد من قومهم .

« وقد حدث ذات يوم أن أصابت قنبلة مدفع مركز إسعاف غـير بعيد من هنا ، فقضت على كثير من رجاله ، وجىء إلى هنا بضابط طبيب أصيب فى مرفقه ، وكان يريد أن يعود على الفور ويقول : « إن لى ذراعاً سليمة . وبعض الأصابع فى الذراع الأخرى ، فلماذا لا أواصـل العمل ؟ » .

ومتى أصبح الجرحى الذين يعالجون فى

مستشفى الميدان فى حالة تسمح بنقلهم، فإنهم يحملون بالسيارات إلى الشاطئ ،فأما الذين تكون إصاباتهم هينة ، فقد يذهبون إلى معسكرات الناقهين فى فرنسا ، ومن هناك يعودون إلى وحدات القتال ، وأما الذين تكون إصاباتهم جسيمة فتحملهم الطائرات من أقرب المهابط .

على أن معظم الجرحى يعبرون المانش بالسفن ، وقد قصدت إلى ميناء إنجليزى لأرى مبلغ العناية بهم بعد ذلك ، فوقفت أرقب سفينة جرحى تدخل ، وكان معى لفيف من أطباء الجيش الأمريكى بينهم الماجور جنرال بول . رهولى كبير الجراحين فى ميدان الأعمال الأوربية ، وهو رجل كبير القلب جم النشاط ، وإليه يرجع أكبر الفضل فى تنظيم مستشفيات الغزو وإبلاغها هذا الحد المدهش من الكفاية ، وقد أذن لى فى تتبع مراحل جندى جريح فى ما يسمى « سلسلة الإجلاء » .

وكانت سفينة الإنزال تبدو كأنها حوت ميكانيكى عجيب ، فلمست الشاطئ ، وفتحت شدقيها العظيمين ، وألقت لوحاً كأنه لسان عظيم من حديد ، وقد دخلنا مكان الدبابات من السطح فألفينا أكثر من مئة جريح راقدين على المحفات ، وعليهم البطاطين وقد غطيت رءوسهم كأنهم أطفال صغار نيام ، وبعض هذه الرءوس ساكن سكوناً مخيفاً ، وعيونها وحدها هى التى تتحرك وتتبع الأطباء وهم ينتقلون من محفة إلى أخرى ، ويسألون الجرحى برقة ، ويفحصون الجروح ، وينظرون إلى باطن الجفون والشفاه باحثين عن علامات الصدمة .

ويحمل الجرحى إلى صف من السيارات ، يحملهم إليها جنود زنوج كأن عضلاتهم من الحرير لفرط رقتهم وتلطفهم ، وقد قال لى ضابط : « إن هؤلاء الشبان آية . وهم أكفاء لهذه المهمة » .

وترى على الشاطئ سيارات نقل غاصة بالجنود على رؤوسهم الخوذات ومعهم معداتهم وبنادقهم ، وهم ينتظرون ليستقلوا سفينة الإنزال متى أفرغت حمولتها من الألم والشجاعة . وينظر الذين هم فى طريقهم إلى فرنسا فى صمت إلى الذين عادوا منها .

وعلى بعض المحفات خوذات أو أحذية أو حزم صغيرة من الأمتعة الخاصة . وقد التقطت رقعة سقطت من إحداها فإذا هى رسالة فى ذيلها هذا التوقيع : « تمنياتى لك بحسن الحظ ، وحبى لك — أبوك » .

وركبت سيارة مع أحد الجرحى إلى أول مستشفى يدخله فى إنجلترا ، وقد أخبرنى أن اسمه جورج وقد حطمت ساقه ، ولكن لما كان الجرح غير خطر فقد تخطوا به

المستشفيات الصغيرة تحت الخيام على مقربة من الميناء ، وحملوه إلى قرية من الخيام منظمة كأنها رقعة شطرنج ، بين صف من الخضرة اليانعة وبستان ، ورقد فى كوخ من الخمسة عشر كوخا التى أقيمت على أرضية من الأسمنت ، وفيه موقد للتدفئة ، وعلى المنضدة أزهار مونقة .

وبعض لحظة أقبل اثنان من الأطباء وفحصاه، وسرعان ما رسمت له صورة بالأشعة تمثل ركناً صغيراً مما يجرى فى معركة فرنسا : ساقه اليمنى تهشمت عظمها الصغرى، وأحاطت بهذا الموضع نقط بيضاء صغيرة هى شظايا مما أطلق الألمان عليه .

وبعد ذلك ، فى خيمة أخرى ، نزعت يدا الجراح السريعتان وآلاته اللامعة الضماد القديم ، وكشفت عن فجوة من اللحم الأحمر فقال الجراح : « إن بعضهم فى فرنسا قد أحسن العلاج ،فإن هذا الجرح نظيف » ، ووضعت على الساق جبائر جديدة مع رسم ووصف للجرح ينتفع بهما من يعنى به بعدها.

ولما عادت إلى جورج نفسه أرانى ترقوة آخر دجاجة أكلها قبل يوم الغزو ثم قال لى : « توغلنا فى فرنسا مسافة أحد عشر ميلا ، وكنا نتسلل فى طريق مرتفع الجانبين ، فرأيت ألمانيا يفرق النبات بيديه، ثم وميض مدفع رشاش ، فلما أصبت انطرحت على النجيل وكان عالياً حتى اهتدى إلى الأطباء .

« وعالجنى طبيب فى بيت بمزرعة ، وأعطانى بلازما،وسقانى جرعةمن«الجن»، وقد رأيت ثلاثة فيران تأكل الدم ، وبعد ساعة ونصف نقلت إلى الشاطىء حيث حقنونى وعالجوا الجرح ، ولما ركبت السفينة وضع لى ضابط بحرى جبيرة » .

ويتدلى من عشة جورج حق بن فيه رقاع ، وهى سجل بعضه مكتوب بخط ينم على المتاعب المبرحة التى يلقاها الرجال على الشاطىء ، وقد دون فيها كل ما عولج به جورج — حقن ضد التيتانوس ، ومورفين وبلازما ، وبنسلين ، فتقع من نفسك هذه العناية الدقيقة به من رجال لا شك أنهم لا يغمض لهم جفن ، وكثيراً ما يكونون تحت النار .

وفى هذه السلسلة من حلقات الإجلاء ، يوضع جورج فى الحلقة رقم ٥ — وهى عبارة عن مستشفى يعترض طريق الجرحى ويستبقيهم حتى يستطيعوا الانتقال إلى غيره، ثم يذهب إلى الحلقة رقم ٦ ، وكانت فى الأصل ضيعة عظيمة ، ولكن مروجها انتثرت فيها الآن الطرق المرصوفة والخيام المضروبة والمدهونة بلون القار ، وبينها دهاليز مسقوفة ، والمرء يرى الممرضات والمرضى على الكراسى المتحركة ، والضباط والأطباء

على الدراجات ، والخدم فى ثياب بيض يدفعون محفات ذات عجلات من المطاط . وهذا مستشفى للترحيل يستقبل وينقل من المرضى القادرين على السفر ملء قطار كل دفعة.

وغرفة جورج طويلة رحيبة ، وأشعة الشمس الوضاءة تنفذ إليها من نوافذ عريضة ، وفيها حوامل تتدلى منها زجاجات البلازما أو الجلوكوز والسوائل المنعشة ، والمغذية للأجسام المنهوكة ، ويفحصه طبيب ، ويرفع الصورة المأخوذة بالأشعة قبالة الضوء ، ويقرأ ما كتب باللون الأزرق على الجبائر ، وترسل قطرات من دمه إلى المعمل فيتضح أن دمه دون المعدل فينقل إليه الدم .

وننظر إلى السائل المنقذ وهو يقطر فى فى أنبوبة المطاط ، ويرقد على سرير فى الطرف الآخر من الحجرة أحد مجندى المستشفى ، وهو يستريح بعد أن وهب من دمه قدراً يجرى الآن فى عروق جورج ، وكثير من الدم الذى ينقل يؤخذ من رجال المستشفى أنفسهم . وهناك أيضاً ذخيرة من الدم يُستمد منها ، وقد جمعت فى معمل طبى مركزى من متطوعين أمريكيين فى إنجلترا .

ويبدو على جورج فى هذه الليلة أنه مرتاح ، فإنه يقرأ مقتطفات فكاهية .

وعلى مقربة منه رجل عاد الآن من غرفة العمليات ، ولا يزال تحت تأثير البنج ، وهو يفحفح ويحرك رأسه يمنة ويسرة ، وإذا بالممرضة تلطم رأسه فجأة ثم تدعو الطبيب ، وما هى إلا ثوان حتى يتوالى الضغط على ظهر الرجل بانتظام ، وبعد لحظة يحرك رأسه ويفحفح مرة أخرى ، فيقول لى الطبيب : « لقد نجا الرجل ولما يكد ، وجاءت دعوتى فى أوانها ، فإنه كان قد كف عن التنفس » .

وظللت يومين أراقب رجال المستشفى المكدودين المخلصين يعملون لإنقاذ الأرواح ، ورأيت الابتسامات التى كانت أسئلتهم الرقيقة تشيعها فى وجوه الشبان الأمريكيين على المخدات ، وأدركت ما يعانى هؤلاء الأطباء من الجهد والبرح لما سمعتهم يتجادلون فى يومهم أى يوم هو من الأسبوع !

ومن مظاهر العناية الأخرى بجورج ، أن الدم نقل إليه ثلاث مرات ، وأنه كان يعطى قرصاً من السلفاديازين كل أربع ساعات — وهو يشكو من هذا ويتذمر ، وتلك آية التحسن — ويقول : « إبر وأقراص طول الوقت ، فلشد ما أتمنى أن أعطى الممرضة قرصاً ينيمها ! » .

فتقول الممرضة بغير ابتسام : « هاته ! » .

ويتماثل غيره أيضاً إلى الشفاء فى هذا الجناح . قالت لى متطوعة حمراء الشعر ، فى الصليب الأحمر : « إننا نسأل الجرحى عما

يريدون منا أن نصنعه لهم فيقول كثيرون منهم: « اخرجونى من هنا وأعطونى بذلتى ! » ونحن مضطرون أن نغلق الخزانة على ثياب الجرحى الذين يستطيعون المشى، وإلا تسلل بعضهم وحاول أن يرجع إلى نورمندى » .

وذات صباح وضع جورج ومئات غيره فى قطار مستشفى ، وفى إحـدى المركبات المجهزة بالمقاعد يجلس الذين يسـتطيعون المشى مرتدين ثياب الميـدان المهلهلة التى هاجموا بهـا واقتحموا الشاطئ ، فخورين بما يلبسون ، ووراء هـذه مركبات فيها صـيدلية ، وغرفة عمليات ، ومطبخ يعد مئات من الشطائر ، وتلى ذلك مركبات طويلة نظيفة يرقد فيها الجرحى على سرر من ثلاثة صفوف على الجانبين .

ويطوف الضابط الموكل بالقطار ، ويقف ليسأل كل واحد من هؤلاء المئات : « كيف حالك يا صاحبى ؟ من أى بلد أنت ؟ هل تريد شيئاً ؟ » .

وكل ولايات الولايات المتحدة ـــ ما عدا واحدة أو اثنتين ـــ ممثلة فى هذا القطار ، وهم صفوة أمريكا الفتاة فكهون لا يشكون ولا يتذمرون ، ويمزحون ويتقبلون المزح ـــ ومعظمهم ليس لهم إلا مطلب واحد ـــ الطعام . فيسرع الخدم فى ثيابهم البيض ويدورون به عليهم ، ويفوز جورج بالقهوة وعصـير الفاكهة واثنتين من أكبر الشطائر . وبعضهم يقرأ ولكن الكتب والمجلات قليلة لا تفى بالحاجة .

ولما سأل الطبيب رجلا ضخماً روسى المولد عما يريد ، كان الجواب الذى علا به صوته وأضحك كل من فى المركبة : « أريد أن أسكر » !

وينطلق القطار وئيـداً ، والطريق طويل ، وتدور الألسـنة ويتصل الحديث من سرير إلى سرير ، ويجد بعضهم أنهم من ولاية واحـدة أو من فرقة واحـدة « خـير ولاية فى العالم ، وخير فرقة فى الدنيا » .

وفى المسـاء يبلغ الجرحى آخر حلقة فى سلسلة حلقات الشـفاء ـــ على الأقل فى إنجلترا . فههنـا فى الفضاء الرحيب تقـوم عشرات من البُنَى الصغيرة ، وهى واحدة من عشرات المصحات العامة فى المنطقة ، وهى ، معـاً ، تكوّن مركزاً يحتشد فيه نُطُس الأطباء من الجامعات والمستشفيات الكبيرة ، ويعالجون كل جريح علاجاً يعز نظيره فى أى مستشفى مدنى .

وأنا أوافق الكولونيـل الطبيب الذى قال لى : « إن الجندى الجريح يلقى من العناية فوق ما يلقاه المدنى العادى الذى تصـدمه سيارة فى الولايات المتحدة » .

صور لفظية

* بدأ النسيم يهب بنفس وان ، ودبت الحياة فى الوادى فكأن ورق الشجر فى مؤتمر .
[جون ديكسون كار]

* كانت اليراعات (الفراشات المضيئة) كأنها آلاف من المصابيح الصغيرة أعدت لتصوير الليل . . . وكان كل شيء ساكناً إلى أقصى مدى السمع . [جوزيف كونراد]

* صوت لين كضوء شموع المذبح .
[ه . ف . مورتن]

* فتاة طويلة ممشوقة تمشى كأنها العلم .
[فيث بولدوين]

* لف نفسه فى ثوب محبوك من الرضى عن النفس لا ينفذ منه شيء . [إيلكا تشيز]

* ما درى عقلها قط بما يوشك أن يجرى به لسانها . [روبرت ب كيهون]

* صارت مسألة التخلف والغياب فى ألمانيا حادة ، ففى كل يوم تتخلف بضعة مصانع أخرى عن الظهور للعمل .
[جريدة شيكاجو ديلى نيوز]

* كان طيار يحلق وحده فى المحيط الهادى الجنوبى فالتقى بسرب من طائرات العدو فبعث برسالة لاسلكية يقول فيها : « عجلوا بالصعود إلى هنا فقد ضيقت الخناق على عشرين طائرة يابانية من طراز زيرو » .

* إن الميثرة (الثوب تجلل به الثياب لتصونها) تعيب الاسطول أشبه شيء بالبلاغات الرسمية تغطى الموقف كله ، ولا تكشف عن شيء يحرك النفس . [بوب هوب]

* يرقصان خداً إلى خد ، من الفرع إلى القدم . [فرجينيا كوران]

* يقال إن الزمن يطير ، ولكن حين تفرقنا النوى أراه يطير بجناح مهيض .
[ادنا سانت فنسنت ميلاى]

* غيوم صغيرة بيض ، شعثها الريح .
[ميخائيل سولوكوف]

* كان أستاذنا دائم الانقباض ، يخنط الموضوع ويدعنا نشاهد جثمانه .
[فرانسيز فتزباتريك رايت]

* سلت عيونهما سيوفاً . [سوزان كوبر]

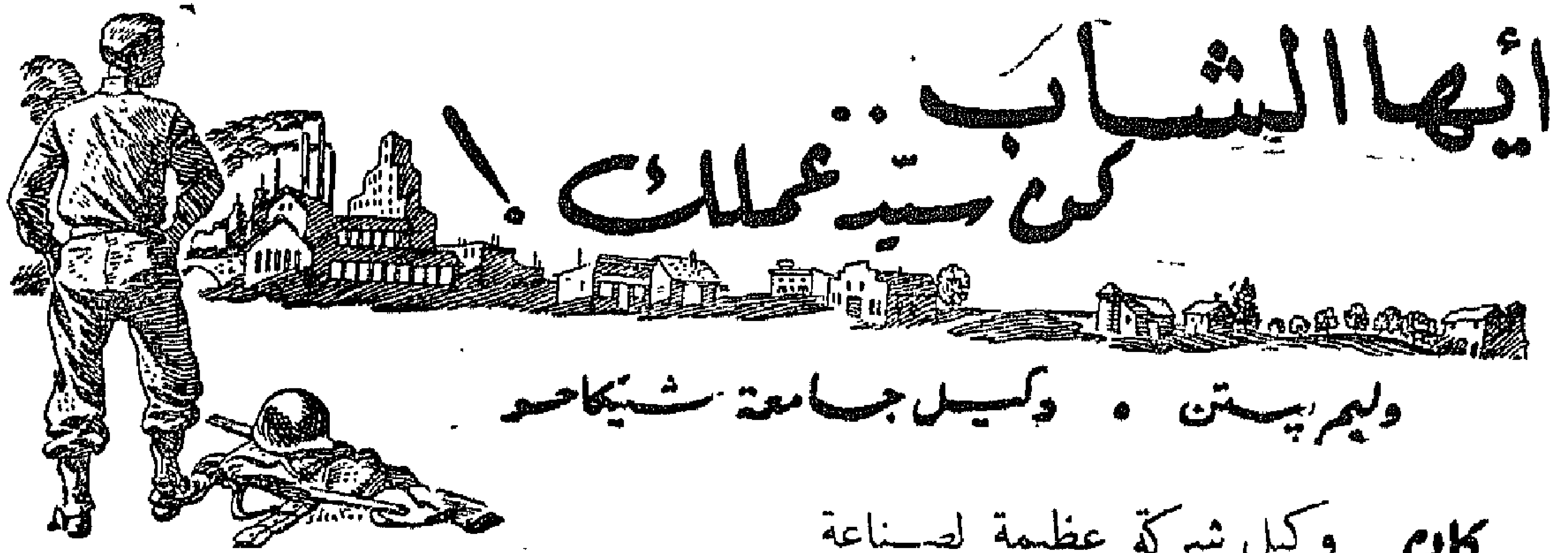
* كان الصغار فى الخارج يعتصرون من نهارهم آخر قطرة من اللعب . [أليس ماكاي]

* تحدث فى حذر كأنه يتلمس مواقع الأقدام.
[جوان أوزبون]

* إنها ترتدى ثوباً يبعث الحرارة فى كل امرئ ، ما عداها . [دروثى كيلجالين]

* كلماته كحمام الزاجل لا يطلقها إلا فرادى إذا دعا داع . [مريل كرويل]

* هو ثقيل الظل يلزمنا اليوم ولا يعفينا غدا.
[بنى بارتر]



أيها الشباب.. كن سيد عملك!

وليم بنتن • وكيل جامعة شيكاغو

كان وكيل شركة عظيمة لصناعة الفولاذ، يحدثني عما جرى بينه وبين ستة من خيرة الطلاب وأنجبهم فى السنة النهائية بإحدى جامعاتنا الشهيرة، فقال: «لقد تبين لى أنهم، على شدة رغبتهم فى أن يشتغلوا عندنا، ليس لهم شغف خاص بصناعة الفولاذ، بل كان همهم كله منصرفاً إلى الظفر بوظيفة ثابتة فى شركة مضمونة، ولم يجدوا بأساً فى أن يبدأوا من أسفل السلم، على شرط أن يمسك السلم شخص آخر».

إن هذا الحرص الشديد على الظفر بوظيفة مضمونة، ربما كان ألدّ عدو تواجهه أمريكا اليوم. ما الذى كان يفعله خيرة شبابنا قبل أن تسحرهم الشركات العظيمة بالوظائف المضمونة؟ كانوا يشتغلون لحساب غيرهم فترة من الزمن، حتى يجمعوا من المال ما يكفى، أو ما يكاد يكفى لإنشاء عمل خاص بهم، ثم يخرجون إلى العالم، ويبدأون عملهم الجديد، صغيراً متواضعاً أول الأمر، ولكنهم على أية حال كانوا يشتغلون لأنفسهم.

ومن الطبيعى أن كثيراً من الشبان يؤثر أن يندمج فى أحد الأعمال العظيمة على أن يبدأ عملا صغيراً. وذلك، أولا: لأن الشركات الكبيرة لها شهرة واسعة ومكانة محترمة بين الناس، وثانياً: لأن هذا هو الطريق الذى يسلكه الجميع، فينساق نحوه الشباب من غير جهد أو تفكير، وثالثاً: — وربما كان هذا أهم شىء عند كثيرين — لأن الوظيفة مضمونة، ففى الشركات الكبيرة هنالك احتمال كبير أنك لن تفقد منصبك.

غير أن ثروة الولايات المتحدة لم تبنها الشركات الضخمة، بل بناها أفراد يتصفون بالإقدام والكدح وحب النضال. هؤلاء الأفراد أنشأوا شركات صغيرة مستقلة متنافسة، وسيظل أمثال هؤلاء الرجال والشركات التى ينشئونها، هى الأسس التى تبنى عليها الدولة، إذا كان مقدراً لها أن تبنى.

والمهاجرون إلى الولايات المتحدة، كثيراً ما يظهرون إخلاصاً أكثر مما يظهره أبناؤها لفضائل الرجولة والإقدام التى خلقت هذه

البلاد الأمريكية من العدم وجعلتها غنية وعظيمة. هؤلاء المهاجرون لا يستطيعون أن يظفروا بتلك الوظائف الإدارية في الشركات العظيمة، ولذلك تراهم يخرجون إلى العالم يناضلون بملأ قلوبهم الأمل، ويبتسمون للشدائد، ويضحكون من العوائق التي تعترض سبيلهم، ويعملون كأنهم شياطين لا تهدأ ولا تسكن. فحين وصل صمويل زيموراى إلى الولايات المتحدة، مهاجراً من رومانيا، وهو فتى معدم غير متعلم، لم يخطر له أن يسأل: «ما الفرص المتاحة لي؟»، بل نظر إلى السفن التي تحمل الموز راسية على أرصفة نيو أورليانز. فقال لنفسه: «سأفعل ما فعله غيري من قبل». ثم أخذ يبيع الموز على عربة يطوف بها في الطرقات كما فعل غيره من قبل. وفي سنة ١٩٣٠ باع سفن الموز والشركة التي أنشأها إلى «شركة الفواكه المتحدة» في مقابل ٣٠٠٫٠٠٠ سند من سندات تلك الشركة، وها هو اليوم قد أصبح المدير العام لشركة الفواكه المتحدة!

وقد نظر جولد بلات وإخوته إلى المخازن العظيمة التي أنشأها مارشال فيلد في شيكاغو، فلم يقولوا لأنفسهم: «هيهات لمثلنا أن ينشئ مثل هذه المؤسسة الضخمة» واقتنعوا بوظيفة صغيرة يلزمونها مدى الحياة، بل الأرجح أنهم قالوا لأنفسهم: «إن آل جولد بلات يستطيعون أن يعملوا ما عمله فيلد!» ولذلك لم تمض بضع سنوات على ابتدائهم في العمل حتى اشتروا مخزن ديفس الكبير من مارشال فيلد، ثم أنشأوا سلسلة من أسرع المخازن الأمريكية نمواً وانتشاراً.

ولقد لاحظت قبل هذه الحرب، وبعد إثنى عشر عاماً من الكساد، أن شبان أمريكا في حالة من الانقباض، لو أصيب أجدادهم بمثلها لفقدوا هذه البلاد ولانتزعها منهم الهنود الحمر منذ مئة وخمسين عاماً. وقد تحدثت إلى مئات من هؤلاء الشبان، فكلهم تقريباً سلم بأن أعظم رجال الأمة نجاحاً هم الذين بدأوا العمل لحسابهم الخاص، غير أن كثيراً منهم قال لي وهو مكتئب: «ولكن كم من الناس من يستطيع أن يعمل هذا؟» وليس لهذا السؤال سوى جواب واحد، وهو: ماذا يكون مصير كل من أنشأ عملا ناجحاً، لو سأل نفسه مثل هذا السؤال، وسمح له أن يعوقه عن المضي في عمله؟

إن أكثر الشبان الذين يلتمسون عملا في شركة معروفة لا يتطلعون إلى ما كان يتطلع إليه الرجل الذى أسسها، وهو فرصة النمو والتوسع. وأكثر الشبان اليوم إذا خطر له أن ينشئ لنفسه عملا خاصاً أخذ

يتساءل : « هل أستطيع أن أحصل بعملى الخاص على المال والجاه والضمان الذى أظفر به إذا اشتغلت فى إحدى الشركات الكبيرة ؟ » ولو كان أعقل وأحزم لكان الأولى به أن يسأل : « أيهما أجدر برجل مثلى، أن يعمل لنفسه أو لشخص آخر؟ » .

وأغلب شبابنا الأذكياء يلتهب حماسة وأملا حين يلتحق بإحدى الشركات الكبيرة ، فلا تمضى بضع سنوات حتى ترى أكثرهم قد انطفأت جذوته واعتراه جمود المنصب ، فيصبح ما توهمه فرصة ذهبية ، إنما هو وظيفة لا أكثر ، والمؤسسة العظيمة التى كان متلهفاً على الإلتحاق بها ليست سوى ديوان من دواوين الموظفين .

والنظام القائم فى الشركات العظيمة ليس من شأنه فى الغالب أن يواتى الشاب الموهوب الكدود المبتكر ، وعلى قدر ما يزدحم مكان ما بالناس يشق على الفرد أن يبرز فيه ويظهر . وفى الشركات الكبيرة قلما يعبأ الرؤساء بآراء الشباب الناشئ ، لأن أكثر مايشغلهم ، هو اهتمامهم بترقية أنفسهم أو الاحتفاظ بمناصبهم ، وكل همهم أن يسير الفرع الذى يديرونه على النمط الذى كان يدور عليه من قبل . فالشعار السائد فى نفوس كثير من أقطاب الأعمال الكبيرة هو : « دع الزورق لا ترجه » .

والغالب أن الشركات الضخمة سرعان ما تصاب بداء الضخامة ، فتصبح محافظة ، ويغلب أن تكون مفرطة فى محافظتها . ومن الصعب ، بل من المستحيل أحياناً، أن يكون هنالك اتصال منتظم بين المالكين والمديرين ، أو بين المالكين والعمال والجمهور ، وليس هنالك أثر للمرونة أو الخيال .

هنالك بالطبع أمثلة تشذ عن هذا ، وبوجه عام نرى الشركات الشديدة المنافسة والمكافحة هى التى تشجع الابتكار والتفنن ، أما فى شركات السكك الحديدية ، والبنوك ، والمنافع العامة ، فلا بدّ للشاب الذى يلتحق بخدمتها من أن ينتظر دوره ، بالغاً من الذكاء والمقدرة ما بلغ .

وعلى قدر ما يصيبه الشاب من النجاح فى خدمته لشخص آخر ، تقوى الحجة على تركه ، وما دام قادراً على كسب المال لرجل آخر، فالأرجح أنه أقدر على كسب مبلغ أكبر لنفسه . ومع التسليم بأن حين يشتغل لنفسه يضطر إلى المجازفة ، فإنه فى مقابل ذلك تتاح له جميع الفرص التى يجنيها أصحاب الأعمال .

إن الرجل الذى يدير أعماله الخاصة بنفسه ، لا بد له قبل كل شىء أن يقف جهوده على ترقية أعماله ، ولا حاجة إلى صرف أقل جزء من مجهوده فى تعزيز منزلته . والذى يعمل لنفسه يبذل مجهوداً

أعظم ممن يعمل لغيره . وقد لا يقدّر الرؤساء في الشركات من يبذل من وقته أكثر مما يطلب منه ، بل قد يعد هذا مخالفاً للقانون. أما الشاب الذى ينشىء عملا لنفسه ، فإنه يود لو كان فى يومه ثلاثون ساعة ، وفى أسبوعه عشرة أيام ، لأن عمله لنفسه يبعث فيه الحماسة والجد والنشاط ، ويدفعه إلى بذل أكبر مجهود يطيقه .

وهنالك فرصة نادرة ستتاح لمن يريدون أن يعملوا لأنفسهم ، وكأنها قد هيئت لأجلهم خاصة ، ألا وهى الفترة التى تلى الحرب مباشرة . وحسبك أن تذكر رغبة الناس المكتومة فى البضائع التى يستهلكها المدنيون ، والأموال الضخمة التى ادخرها الناس فى هذه الأعوام .

ثم اذكر الميادين الجديدة التى تتيحها المخترعات والمبتكرات الفنية التى تمت أثناء الحرب ، وفكر فى الأسواق الخارجية إذ تكتسح الصناعة جميع أنحاء العالم . ولئن لم تكن هنالك أرض تمنح للمرء فى زماننا هذا من غير مقابل ، فإن هنالك فرصاً فى جميع أنحاء البلاد لمن يريد أن يبحث عنها ويكافح فى سبيلها .

فيا أيها الشاب لا تنصت إلى ما يقوله كبار السن من أن الميدان قد أغلق ، لقد كان الميدان مغلقاً دائماً أمام الشاب الخائف المتردد .

وسيلاقى الشاب الذى يشغل منصباً ، مهما كان متواضعاً ، مشاق كبيرة حين يريد أن يهجر تلك الوظيفة المضمونة ، فرئيسه يقول له إنه مخطىء ، وأبوه معجب به وهو فى عمله هذا ، ويشير عليه بالامتناع عن المغامرة ، وخطيبته تخشى أن لا يتم زواجهما إذا امتنع عنهما ذلك المرتب الشهرى المضمون .

وهو نفسه يجهل مقدار كفايته ، ويخشى أن يقوم بأول محاولة يتبين بها تلك الكفاية ، وهو يشفق على نفسه من أن يلحقها عار الخيبة . ومع ذلك فجدير به أن يعرف أن الإخفاق مرة أو مرتين فيه تعزيز للمواهب وصقل للملكات ، وإعداد للنجاح فى المستقبل .

لى صديق ، أخفق فى عمله أربع مرات قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين ، وفى المرة الخامسة انتفع بتجاربه الماضية ، فأنشأ عملا جعله اليوم ، بعد ٢٥ عاماً ، من أعظم رجال الأعمال المستقلين فى أمريكا نجاحاً . وقد تعلم صديقي من الإخفاق كيف يبلغ ذروة النجاح .

وقد يعزم عدد كبير من الشبان على الامتناع عن الانتظام فى سلك رجال الأعمال مؤثرين صناعة الطب أو خدمة الدولة . وفى ميدان البحث العلمى مكافآت عديمة النظير ،

وإن لم تكن مكافآت ماليـة . أما الذين يريدون أن يدخلوا ميـدان الأعمال الاقتصادية ، فإنى أرجو أن لا يمنعهم الخوف أو الكبرياء من أن يعملوا لأنفسهم ، وإذا كانوا من ذوى المقدرة فى ميدان العمل ، فها هى ذى فرصتهم التى لا تفوَّت .

وأجدر الرجال بالفخر من يعمل لنفسه ، ولا تنزعج إذا كان العمل الذى اخـترته متواضعاً ، فإن الموظف البسيط فى إحدى الشركات لا يستطيع أن يفخر بوظيفته كما يفخر البقال بمحله الذى أنشأه على ناصـية الشارع ، وتعهده ونماه بنفسه .



الإهانة العظمى !

بينا كان بحارة سـفينة ألمانية غارقة ينقلون إلى سفينة بريطانية ، ذكر قائد السفينة البريطانية ضباطه بمعاملة الأسرى الألمان معاملة كرام الرجال .

وفى اليوم التالى ظهر أحد الضباط الألمان وفى عينه أثر لـكمة شديدة ، فأثار ذلك غضب القائد البريطانى وسأل الضابط : « من فعل بك ذلك ! » .

واستدعى القائد من فوره الضابط البريطانى الشاب الذى أسماه وجعل ينحى عليه باللائمة ويقول له : « إنك معرة لبحرية جلالة الملك ! هل لديك ما تقوله دفاعاً عن نفسك ؟ » .

فأجاب الضابط : « لما صعدت إلى ظهر المركب فى الصباح تطاول هذا النازى على مقام جلالة الملك ، فتمالـكت نفسى ولم أقل شيئاً ، ثم جعل يتطاول على مقام الملـكة وكان هذا مما لا يمكن الصبر عليه ، بيد أنى تذكرت أنى ضابط بريطـانى وكظمت غيظى ، ولـكنه أمعن فى السخرية ونظر إلىّ محتقراً وبصق على « مياه محيطنا » ، فلم أطق يا سـيدى على ذلك صـبراً وثارت ثائرتى عليه .

[تشارلس دريكوت]

جان لافيت

القرصان الوطني

دونالد كيلروس بيتي



خمسمئة ريال
+ مكافأة +

تدفع لأي شخص يسلم جون لافيت المذكور إلى العمدة حتى يمكن تقديم جون لافيت المذكور إلى المحاكمة . صدر هذا ممهوراً بإمضائي في نيو أورليانز يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٨١٣

(الحاكم : وليم . س. س. كليبورن)

ولا بد من أن مئات من أهل نيو أورليانز قد عرفوا أن هذا الذي وقف يقرأ الإعلان وقد علت محياه ابتسامة هازئة إنما هو جان لافيت ، ولكن لم يحاول أحد القبض عليه لأن هذا القرصان الشاب الوسيم كان شخصية محبوبة في هذه المدينة المرحة .

وبعد ثلاثة أيام وقف كليبورن يحملق في المكان الذي علق فيه إعلانه ، وقد احمر وجهه من الغضب ، فقد كتب فوق مكافأة القبض على لافيت مكافأة يعرضها لافيت نفسه قدرها ١٥٠٠ دولار — أي ثلاثة أمثالها — للقبض على المدعو وليم كليبورن وتسليمه في جزيرة جراند مأوى القرصان ، وقد ضجت نيو أورليانز بالضحك من هذا التحدي الوقح !

وكانت جزيرة جراند على مدخل خليج باراتاريا على مسافة خمسين ميلا جنوب شرق نيو أورليانز ، وكان القرصان يسوقون إليها السفن التي استولوا عليها وهي سفن إسبانية وبريطانية وقليل من السفن الأمريكية . وكان لافيت يصر على أن رجاله لا يعدّون من القرصان ، بل هم جماعة مرخص لها بالعمل في البحر من جمهورية قرطاجنة (وقد صارت بعد جزءاً من كولومبيا) التي كانت تجاهد لتستقل عن إسبانيا . وكان يزعم أن رجاله لا يهاجمون إلا السفن الإسبانية ، أما الخطأ بين الحين والحين في معرفة حقيقة السفينة وجنسيتها ، فربما كان مردّه إلى التهوّر في المغامرة .

وكان من السهل الانسلال بالبضائع المهربة من جزيرة جراند إلى نيو أورليانز ، وقد أنشأ جان لافيت حانوتاً لبيع الطرف الثمينة في أرقى شوارع المدينة . وقد نظم هو وأخوه الأصغر بيير هذه السوق السوداء ، وقد أقبل عليها سكان المدينة الغاليون ورضوا عنها . وقلما كان أهل لويزيانا(*) — بعد عشر

(*) « قصة شراء لويزيانا » المختار أكتوبر سنة ١٩٤٤ صفحة ١٠٤

سنوات من شرائها — ينظرون إلى أنفسهم وأمورهم على أنهم أمريكيون ، وكذلك كان شعورهم بالولاء لوشنطن النائية ضعيفاً ، ولكي يتجنبوا تعريفة الولايات المتحدة المكروهة رحبوا بمعاملة لافيت وشركائه ، وهم لا يسألون عن مصدر ما عندهم من الحرائر والقطيفة والأنبذة والخمور وأواني الفضة والجواهر .

وفضلا عن ذلك فإن لافيت وأتباعه قد ساعدوا على تفريج أزمة نقص الأيدي العاملة في لويزيانا منذ سنة ١٨٠٨ حين منعت الحكومة الأمريكية جلب العبيد من إفريقية . فقد أخذ جان وبيير يتجران في العبيد الإفريقيين ، وكانا يسطوان على السفن الإسبانية التي تتجر في الرقيق ، ويبيعانهم الرطل بريال كما تباع الأنعام ، فلماذا يدفع السكان في شراء العبد مبلغاً يتراوح بين ٦٠٠ ريال و ١٠٠٠ ريال في حين أن لافيت يبيعه بمبلغ ٢٠٠ ريال ؟

ولافيت مجهول الأصل والنشأة ، وقد ولد بفرنسا في سنة ١٧٨٠ وقد راجت إشاعة زائفة تزعم أنه ابن أحد النبلاء ، وقد فر إلى البحر في الخامسة عشرة من عمره ، وبعد سنوات قلائل ظهر في البحر الكاريبي رباناً في سفينة من السفن الخاصة ، وكان عملا مثمراً في ذلك العصر ، إذ كان الخلاف بين إسبانيا وفرنسا وإنجلترا على أشده ، ويستطيع ربان مثل هذه السفن أن يظفر برخص من أي دولة منها ويهاجم تجارة الأخرى .

وكان جان لافيت الحاكم المطلق في إقليم باراتاريا الذي يعنو له ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ من طريدي القانون ، وأكثرهم من الصيادين الذين احترفوا تهريب البضائع ، والسادة الذين مالوا إلى القرصنة ، والهاربين من العدالة أو من الملل والضيق . وفي مقره هذا كان يصرّف أعمال مساعديه في البحر ثم يتولى هو الناحية المالية في هذه الأعمال فكان هو القيم على المال ، وهو الذي يدفع الأجر للمحامين عندما تدعو الحاجة ، وهو الذي يقابل العملاء ، فكان العملاء يعودون من مقره وألسنتهم تلهج بالثناء على شخصيته الجذابة المحببة . وكان يعيش عيشة ناعمة أنيقة في وسط مستنقعات باراتاريا ، وكان كلفاً بأن يثير دهشة زائريه بتقديم مائدة تتلألأ فوقها الخمور المعتقة وتتألق أواني الفضة ، وقد قبض مرات عديدة على ضباط الخراج الذي أرسلتهم الحكومة لإلقاء القبض عليه وردهم مثقلين بالهدايا .

ولكن الزمن كان سائراً في سبيل التغير والتبدل حتى في أحوال هذه العصابة الخارجة على القانون ، والتي تعيش عيشة البذخ ، فقد كانت أمريكا مشتبكة في حرب — حرب سنة ١٨١٢ — ولم تكن أحوال

الحرب سائرة على ما يرام : ففى سبتمبر سنة ١٨١٤ أصبح حصار البريطانيين لثغور الولايات المتحدة الشرقية آخذاً بمخنقها ، ولم يكن هنـاك ثغر أعظم خطراً من نيو أورليانز ، تلك المدينة النامية البالغ عـدد سكانها ٣٠،٠٠٠ ، والتى هى المدخل إلى وادى المسيسبى برمته . ومهما يكن من الأمر فإن البريطانيين لم يكونوا قد ظهروا هناك بعـد ، وكان أهل نيو أورليـانز يرون الحرب بعيدة عنهم ، وأن لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، فظلوا كديدنهم يحتسون قهوتهم ناعمين ، ويرقصون فى المراقص التى يغشاها الخلاسـيات والخلاسيون ، ويترددون على الأوبرا ، فلا عجب إن استشاط الحـاكم كليبورن غضباً .

وفى ساعة العشرة هـذه ، حين كانت الجيوش البريطانيـة تعد العدة لمهاجمـة نيوأورليانز ، قدم إلى جزيرة جراند زوار يزورون جان لافيت ، فقـد ألقت سفينة صاحب الجلالة البريطانية «صوفيا» مراسيها عند المدخل ، وجاء إلى البر الضابط لوكيير والضابط ماك وليمز من ضـباط الجيش البريطانى ، وعرضا على زعيم القرصان عرضاً مغرياً ، فإذا هو انضم إلى القوات البريطانية فى هجومها الخاطف على نيو أورليانز ، فإن الملك سيجزل له العطاء ويمنحه تفويضاً ملكياً باعتباره ضابطاً ، بأن يباشر النهب والسلب ، ويمنح رجاله أرضاً واسعة فى لويزيانا . فأما إذا رفض لافيت هـذا العرض فإن مدافع السفينة صوفيا ستضرب الباراتاريين وتخرجهم من معقلهم المنيع . فقـدم لافيت لضيوفه كؤوساً من النبيذ والتمس منهم فى رفق ولين أن يمهلوه حتى يتدبر موقفه .

فوافق البريطانيون على أن يمهـلوه أسبوعين ، وعاد الضابطان أدراجهما إلى السفينة صوفيا ، فبادر جان إلى إرسـال المستندات التى تكشف عن خطة البريطانيين فى الهجوم على لويزيانا إلى كليبورن ، ووعد بأن ينضم إلى صفوف الأمريكيين إذا وافقوا على إصـدار عفو عام عن أهل باراتاريا ، وردوا إليهم حقوقهم فى الجنسية الأمريكية كاملة موفورة ، وظل بعد ذلك ينتظر رد كليبورن يوماً بعد يوم .

وأخيراً جاء الرد — أسطول من سفن الولايات المتحدة الحربية الصغيرة يشق الخليج ، ويستولى على السفن المستأسرة الراسية هناك ، ويضع يده على الكثير من بضـائع لافيت ، ويطلق النيران على مدينته ، ويدفع برجاله إلى مخابىء المستنقعات الداخلية ، فالولايات المتحـدة كما قال كليبورن لا تتعاقد مع الخارجين على القـانون . وأسرع الجنرال اندرو جاكسون من موبيل ليتولى مهمة

الدفاع عن نيوأورليانز ، وقد أخبر كليبورن أنه كان على حق في معاقبة تلك العصابة الفاجرة ، وكتب جاكسون يقول مباهياً : « الواضع اسمه أدناه لا يستصرخ القرصان واللصوص ليشدوا أزره في جهاده من أجل قضية سامية » .

ولكن لما وصل القائد إلى نيوأورليانز لم يجد سوى سبعمئة من الجنود النظاميين تحت إمرته ، ومعهم قليل من الذخائر وعدد أقل من المدافع ، وكانت المدينة عندئذ قد استولى عليها الرعب ، وكانت المصارف مقفلة والأعمال موقوفة معطلة ، وعرف أهل لويزيانا فجأة وأخيراً : أن السير إدوارد باكنهام ، ومعه ٩٠٠٠ من الجنود المدربة تحت إشراف دوق ولنجتون ، قد هم بالاستيلاء على مدينتهم المحبوبة .

وتطوع الناس من مختلف الطبقات ، وعرض الكثيرون من الزنوج الأحرار خدماتهم في الحرب ، وجاء الهنود الحمر من المستنقعات متلهفين على الإنجليز ، وفي الوقت المناسب وصل ٢٠٠٠ من الجنود الذين يحسنون الرماية قادمين من تنيسي وكنتكي ، وعلى رؤوسهم أغطية مصنوعة من جلد الدب الأمريكي (راكون) وقد قدموا بعد أن شقوا طريقهم طويلا في الجبال وخلال المستنقعات ، ولكن جاكسون كان لا يزال تنقصه الذخائر وجنود المدافع والسفن التي تتكفل بحراسة المدينة من أطرافها البحرية.

وكان الموقف سيئاً لا يبعث على الأمل ، عند ما ظهر في يوم من أيام ديسمبر بباب القائد رجل مهيب الطلعة . وكان هذا الرجل متين البناء قوي الأسر يبلغ طوله ست أقدام ، ويرتدي حلة خضراء ، وعلى رأسه قبعة صغيرة من جلد القندس ، وكان محياه ينم على الصداقة الساخرة ، وفي جفن إحدى عينيه ارتخاء يدل على الحساب والتدبير المشوب بالفكاهة والمرح . وكان هذا الرجل هو جان لافيت الذي أعلن الحاكم عن مكافأة لمن يأتي برأسه ، وقد جاء ليضع نفسه تحت تصرف الرجل الذي وصفه بأنه «لص فاجر» .

« إني أضع تحت طلبك رجالي جميعهم وسفني وذخائري » ، ولم يقل كلمة واحدة عن وفاء الدين أو طلب العفو ، فقد بذل كل ما عنده لقضية أمريكا .

فهز القائد العجوز كتفيه العاليتين تحت الأشرطة البارزة وبت في الموضوع لساعته وأجاب قائلا : « لقد جئت في الوقت المناسب والولايات المتحدة شاكرة لك » .

وأصدر الحاكم كليبورن إعلاناً جديداً مضمونه أن بعض أفراد من أهل باراتاريا قد أظهروا رغبة في خدمة قضية أمريكا ، وأن هؤلاء يقبلون على أنهم مواطنون إذا صدقت حميتهم ، وأوسعت نيوأورليانز

عينيها لتبصر القرصان وهم يخطرون فى المدينة فخورين مختالين ، ويتقدمون مع سائر الجيش الأمريكى المكون من أجناس مختلفة للقاء البريطانيين فى اليوم المشهود يوم ٨ يناير سنة ١٨١٥!

كان باكنهام ينتظر نصراً هيناً لأن عدد رجاله كان ضعف عدد الحماة المدافعين ، فأمر بالهجوم على الأمريكيين الجاثين وراء استحكاماتهم المتخذة من بالات القطن ، فابتلعت البالات ما أطلقه الإنجليز من الرصاص ، وأخذ رصاص المدفعية والقرصان من صفوف المقدمة يحصد الجموع الزاخرة الهاجمة من الإنجليز ، وكان رجال لافيت قد أحضروا معهم مدافع سفنهم ، وكانوا يطلقون على الإنجليز المدفع تلو المدفع وقام الإنجليز ثلاث مرات بهجوم مستبسل وأظهروا شجاعة خارقة ، وكانوا كل مرة يُرَدّون على أعقابهم بخسائر فادحة . وفى النهاية تركوا فى الميدان ٢٠٣٧ ما بين قتيل وجريح ، بينهم السير إدوارد ، ولم يقتل من الأمريكيين سوى ٧١

وكتب جاكسون فى تقريره الرسمى : « لا يستطيع القائد إلا أن يبدى إعجابه العظيم بموقف هؤلاء السادة (لافيت ورجاله) وبالشجاعة التى أبدوها فى الدفاع عن البلاد » .

وفى ٢٣ يناير أقيمت حفلة راقصة احتفالا بالنصر رقص فيها أهل المدينة اثنين اثنين ورقص الجنرال جاكسون ، وفى تلك الليلة بلغ جان لافيت قمة المجد ، فقد قبلته أخيراً أرقى طبقات المجتمع ، ورقص مع أجمل سيدات البلاد ، واحتسى الشراب مع كليبورن الذى كان يعامله معاملة صديق قديم من عهد الدراسة ، وشرب نخب الضباط الأمريكيين .

وفى أوائل مارس أرسل الرئيس ماديسون عفواً كاملا عن الباراتاريين جميعهم مقدراً جميلهم ، وقد كانت تنتهى قصة المخاطرة عندئذ انتهاء يسر بأن يغمد جان سيفه ، ويستقر فى العاصمة الزاهرة مواطنا محترماً .

ولكن لافيت لم يخلق لمثل هذه الحياة ، فبعد شهر كانت سفنه تعسّ فى البحر باحثة عن فريسة ، وكان التجار الأمناء يفقدون بضائعهم ، والمواطنون الصالحون يفقدون حياتهم ، وأخيراً اتفقت إنجلترا وأسبانيا وأمريكا على قطع دابر القرصان ، حتى اضطر الباراتاريون إلى مبارحة خلجانهم ومآويهم ، ولم يخلفوا وراءهم سوى أسطورة لا تزال باقية عن الكنز الدفين .

ولما عاد اسم جان لافيت إلى مسامع أهل نيو أورليانز مرة أخرى ، كان قد

أسس مستعمرة جديدة اسمها كامبيش فى جزيرة جالفستن ، فقصده ألوف من الرجال ذوى الجرأة والإقدام ، وكثير من السيدات المرحات، وحسنت أحوالهم حيناً من الزمن، ولكن أصبح بعد ذلك من الصعب السطو على السفن ، لأن الإسبانيين أخذوا يرسلون سفناً حربية لحماية أسطولهم التجارى، وأخذ القرصان يهاجمون السفن الأمريكية متحدّين أوامر لافيت .

وعبثاً أمر لافيت بشنق أحد الجناة الممعنين فى الإجرام ، وأسلم أربعة غيره إلى يد العدالة الأمريكية وكان قد فقد السيطرة على رجاله ، وفى سنة ١٨٢١ ظهرت السفينة الأمريكية ذات الصاريين « انتربريز » فى جالفستن ، ونزل منها إلى البر الملازم كيرنى . ليخبر لافيت بأن عليه أن يخلى جزيرته فى الحال بأمر حكومة الولايات المتحدة ، فوافق لافيت .

وربما كان الرجل الذى لم يستشعر الخوف من إسبانيا أو إنجلترا قد أدرك قوة الولايات المتحدة النامية ، وعرف أنه لا فائدة من المقاومة والجهاد ، وربما كان الأمر كما قال هو ، وهو أنه لن يحمل السلاح لمحاربة بلاده . ومهما كانت الأسباب فقد بادر إلى تنفيذ الأمر ، وقسّم الذهب وغيره من الأسلاب بين أفراد المستعمرة ، وأبحر بعد ذلك مصحوباً بعدد قليل من أصدقائه المخلصين .

ولا يعرف أحد على وجه التحقيق ما كان من أمر جان لافيت السيد اللص والوطنى القرصان ، فقد اختفى من عالم الحوادث الأمريكيـة فى غموض وخفاء كما ظهر فى غموض وخفاء ، ولكن لا يزال فى أحد متاحف نيو أورليانز سيفه القديم يلمع ببريق الشر ، ذلك السيف الذى جرده جان لافيت فى الدفاع عن وطنه .



أديب حتى النفس الأخير

طلب مارسل بروست الكاتب الفرنسى إلى خادمه قبيل وفاته بساعات ، أن يأتيه بصفحة من إحدى مخطوطاته ، جاء فيها وصف ما يعانيه أحد أشخاص روايته من آلام النزع ، قال : إنى أريد أن أنقحها وأعدلها إذ أجد نفسى الآن فى نفس موقفه » . ثم أخذ فى الكتابة كأن به مساً من الجنون حتى وافته منيته .



أُحصِ بَطَّك !

إديسون مارشال

منذ بضعة أشهر مضت حدث لى ما يحدث لأكثر لداتى : فحص لى الطبيب ضغط الدم ، وجس نبضى ، وسمع دقات قلبى ، ثم أخبرنى أن ثمة خطراً يبدو فى أفق حياتى ، وأنه ينبغى علىّ أن أكفكف من غربى .

فقلت له وجلا : « هل تقصد أن أهمل أعمالى ؟ » .

فقال : « أجل اللهم! إلا أن يكون فى استطاعتك أن لا تعنى نفسك بها ، فليس العمل هو الذى يضنى الرجال وهم فى زهرة حياتهم ، بل هو القلق . فينبغى لك أن تتخلص من هذا التوتر العصبى . فهل تستطيع ؟ » .

لا أدرى !

غير أننى بعد بضعة أيام سافرت إلى فلوريدا فى عملى ، وعزمت على أن أخرج لصيد البط لأستريح . فهكذا عللت نفسى ، فقد كنت ولوعاً بصيد البط ، ولكننى فى الواقع كنت أرهق نفسى به كأنما هو عمل مهم.

وفى يومين متواليين اصطدت عشر بطات وهى الحد المصرح به ، وفى اليوم الثالث اصطدت حتى الساعة الرابعة مساء ثمانى بطات وحسب . فحرصت كل الحرص على أن أظفر بالبطتين الباقيتين ليعجب بى زملائى الذين ينتظروننى فى الزورق الراسى على الشاطىء ، حتى إننى أخذت أرمى البط بطلقات طائشة ، وسرعان ما ثارت ثائرتى ، وصرت عاجزاً حتى عن إصابة نعامة .

وعلى حين غرة تغيرت حالتى تغيراً تاماً ، وقلت لنفسى : « لماذا أيها المجنون ! ها أنت تفقد صوابك لأنك لم تظفر ببطتين تافهتين! لقد صدت ثمانى بطات . فما أنت ؟ أطماع جشع ؟ » .

وحينئذ لمحت مطوّقتين تطيران فوق الشرك بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة ، فسددت إليهما العيار الأيمن والأيسر ، فاسترحت .

فلما أويت إلى فراشى فى ذلك المساء ، تمثلت هذا الحادث واستخلصت نتيجة غريبة ، فقد كان لى فى الحياة أيضاً ثمانى بطات ! كنت فى التاسعة والأربعين من عمرى ، قاب قوسين أو أدنى من مطامح الإنسان المشروعة ، وأحصيت هذه المطامح على هذا النحو .

الأول : زوجة جميلة .

الثانى : أولاد نفخر بهم .

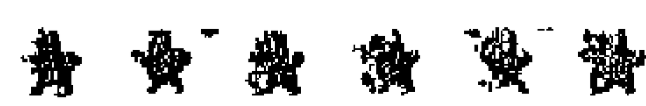
الثـالث : الصحة والعافية .
الرابع : الأصــــدقاء .
الخامس : أسباب الرزق .
السادس : نصيب طيب من الاحـترام والتقدير .
السـابع : مـلاه كثيرة (وعنـد ما ينتهى عهد صيد البطّ فلن يحل بى السأم)
الثـامن : نظرة متفـائلة إلى الحيـاة — أمل فى السلام وفى عالم أحسن من هذا العالم — وفى حياة مقبلة ، وفى الخير الإلهى والبشرى ، وفى كل ما هو عزيز على قلب الإنسان .

وكانت البطتان الوحيدتان اللتان لم أحصل عليهما هما: سعة الثروة ونباهة الذكر، اللتان لم يكن حظى منهما مثل حظ غيرى من الناس ، فهل أعجل بهلاك نفسى لأجلهما . لن أفعل ولا ريب .

وبدا لى أن أغلب لداتى ظفروا بما يقرب من ثمانى بطات . فمعظمنا له زوجة طيبة أو زوج طيب ، وأطفال لا يعابون ، ونصيب وافر من التبجيل، سواء أكان فى البيت أم فى النشاط الاجتماعى والعمل اليومى ، كما تتوفر له أسباب الرزق . وهذه هى المطامح المألوفة لا الشاذة التى يتطلع إليها المرء فى بلد ديمقراطى حيث لا يستأثر بنعم الحياة طائفة من النهمين .

والآن كلما ثارت ثائرتى تذكرت البطات الثمان ، وفى الأسبوع الماضى حين فحصنى الطبيب مرة ثانية ، كان ضغط دمى قد عاد إلى الاعتدال ، كما اختفى الخطر الذى كان يلوح فى أفق حياتى .

فلتحص بطك معتـداً بنفسك ، وخذ نصيبك من الحياة !



مشقة الإيجاز

سئل الرئيس ودرو ولسون مرة ما المدة التى يستغرقها فى إعداد خطبة مدتها عشر دقائق فقال .
— أسبوعين .
وخطبة مدتها ساعة
— أسبوعاً واحداً .
وخطبة مدتها ساعتان
— أنا مستعدّ الآن

[كتاب « كنز الخطيب »]

● الحبُّ الحقيقى هو الصداقة شبّت فيها النار . [مثل قديم]

[جواب زوجة عن السؤال : هل الأزواج ضروريون ؟]

مولد طفل في الغابة

لويز ديكنسون ريتش

ملخصة عن كتاب « ذهبنا إلى الغابات »

[منذ تسعة أعوام كانت لويز ديكنسون تقضى أجازتها مع لفيف من الأصدقاء فى غابات ولاية مين ، فاتفق لهم وهم يجتازون الطرف الشمالى الغربى من الإقليم فى الحوض الذى فيه بحيرات رانجلى ، أن وجدوا بيتاً قائماً على حافة نهر رابيد على مسافة أميال عدة من أية رقعة مأهولة . وكان رب البيت « رالف ريتش » وهو من أهالى شيكاجو وقد آثر المعيشة هنا فى الغابة ، فدعاهم إلى العشاء . وقد أدى هذا اللقاء مصادفة إلى الصداقة ثم إلى الزواج ، وتعيش أسرة ريتش الآن فى هذا المنزل الخلوى النائى مع ولديهما وكلب وقط . وفى الفصل التالى المأخوذ من كتاب الزوجة وصف لبعض تجاربها الحية التى لا تنسى وعليها طابع حياتها فى الغابة] .

للحياة بعيداً عن الطريق المألوف متاعبها وعيوبها ، ولكن هناك شيئاً يعوّض ذلك وزيادة ، فإذا استطاعت المرأة أن تحتمل هذه الحياة فإن زواجها يكون أقرب إلى النجاح وأخلق به ، مما يكون فى أى مكان آخر .

فمثلا إذا أقبل علىّ رجل حسن الهندام رغيد العيش راض عن الحياة ، وقال لى — كما يمكن أن يقول أى رجل لأية فتاة : « إن بى حاجة إليك » ، فإنى لا أكاد أصدق ذلك على فرط رغبتى فى التصديق . وما أحلى ذلك فى السمع ، ولكن ما أسخفه .

ولكن رالف حين يدخل البيت والدم يقطر من جرح فى ذراعه ، ويصيح بأعلى صوته : « تبًّا لك ! أين أنت ؟ إن بى حاجة إليك ! » فإن من الجلى أنه يقول الحق ، فإن به حاجة حقيقية إلىّ ، فى هذه اللحظة ، وأنا لازمة له ولا غنى به عنى ، وكذلك هو لازم لى ولا غنى بى عنه .

مثال ذلك :

كان المفروض أن أذهب « إلى الخارج » ، إلى المستشفى لأضع « روفوس » ، ولم يكن المفروض أن يولد روفوس إلا فى أول العام . ففى أثناء الانتظار واصلت تنفيذ برنامجى وهو « العمل كالعادة » ، وكان العمل العادى فى يوم جميل ، كما اتفق أن يكون يوم ١٧ ديسمبر ، هو الزحلقة فوق البركة . وكان النهار مشمساً ، والأرض مكسوة بزغب خفيف من الثلج يبدو أزرق فى الظل ،

وذهبيا فى وهج الشمس، ووورديا وأرجوانيا على التلال البعيدة . وكان الثلج على البركة قد صار كسفاً من الجمد متماسكة بيضاء — كما هو المفروض أن يكون — يحيط بها الثلج الساطع الذى يعكس زرقة السماء العميقة . وقد صحبنا كلبنا كوكى ، فكان يجرى ويسابقنا وينبح ويقع وينهض . وقد وقعنا جميعاً عشرات من المرات ، ولعل لهذا علاقة بمولد روفوس قبل الأوان .

فقد استيقظت فى منتصف ليلة ١٨ ديسمبر على مغص ، ولكنه لم يكن مغصاً وإنما كان مخاضاً .

ولن أنسى تلك الليلة . وما أظن رالف إلا أنه لن ينساها أيضاً ، وكان رالف من ذلك الضرب من الناس الذى إذا سمع أن امرأة صديق له ستضع طفلا بعد ثمانية أشهر ، فإنه يحرص على أن يعبر الطريق حين يلقاها ويمضى إلى الرصيف الآخر ، ويرفع لها قبعته على سبيل التحية ، من بعيد ، حذراً من أن يضطر إلى ركوب تاكسى معها إلى المستشفى . غير أنه فى تلك الليلة التى ولد فيها روفوس لم يتسع وقته للتفكير فيما عسى أن يحدث فى التاكسى ، فقد شغل عن ذلك بمعالجة ما هو حاصل ، وحده ، وكان يتفصد عرقاً ، وإن كانت درجة الحرارة ١٠ فوق الصفر . وإنى لأراه الآن وقد شد قلنسوته الصوفية فغطى بها أذنيه ، ورفع بنيقة معطفه ليستر رقبته ، ولبس قفازيه وجلس يقرأ على ضوء المصباح فى كتاب « إذا جاء الطفل قبل الطبيب » فقد كان يعرف أن الطبيب لن يستطيع الحضور قبل عشر ساعات .

ولست أريد أن أوهم القارىء أنى كنت ساكنة هادئة ، فما كنت كذلك ، ولكن اضطراب رالف وجزعه كانا عشرة أضعاف فزعى ، ولم أكن قد رأيته جزعاً من قبل ، فكان اضطرابه خير ما كان يمكن أن يحدث ، وشعرت فجأة بالشجاعة والثقة .

وقلت : « يحسن أن تسخن ماءاً كثيراً » ولم أكن أدرى على وجه جلى فيم يستخدم الماء ، ولكنى تذكرت أن الكتب تقول إن الناس يسخنون الماء فى مثل هذه الأحوال .

فمضى ، وكنت أسمع حركته فى المطبخ ، ثم عاد وقال إنه يريد بطانية يدفئها على الموقد قبل أن يضعها فى سلة الغسيل ، إذ « يجب أن نمد للطفل مكاناً نضعه فيه » فكففت عن التملق والإشفاق عليه ، فقد كان من الواضح أنه استعاد قدرته على التصرف ، فعرفته مكان البطانية ، بين آلام المخاض ، فمضى عنى ، فلما عاد بعد خمس دقائق كان قد صار أبا .

والعادة أن لا تتكون على الوالد واجبات وتبعات مباشرة حيال وليده عند وضعه ،

ولكن واجبات رالف كانت سريعة ومليحة ، فقد كان هناك أولا ذلك الحبل السرى الذى يجب أن يقطع ويربط .

وسألته : « ألا يُغسل الطفل الوليد ؟ » .

« كلا ، بل يدهن بالزيت » ولست أدرى من أين جاء بهذا العلم ، ولكنه كان مصيباً ، فلف على ابنه فوطة وحمله معه ، وبقيت أنا راقدة قلقة ، إذ ماذا يعرف عن دهن المواليد وربط الحبال السرية . وكان الطفل يصيح أيضاً ، صياحاً خافتاً ولكنه قوى . فماذا تراه يصنع به ؟ وسرعان ما أقبل رالف .

فسألته بلهجة واشية بالقلق : « هل دهنته بالزيت ؟ » .

فبدا عليه الاستياء وقال : « على التحقيق . وأظن أنى بعد كل الكباسات التى زيتها فى حياتى . . . . » .

« كباسات ؟ أى زيت تراك استعملت ؟ زيت محركات ؟ » .

« زيت زيتون بالطبع » .

« ولكن ليس عندنا زيت زيتون » .

« عندى علبة منه وأنا استعمله فى صنع مادة للقضاء على الذباب » ومضى فى كلامه فقال : « إنه بخير ، وهذا هو كله ، بأظافر يديه وأظافر رجليه ، وشعره ، وكل شىء . ولقد دهنت كل موضع فيه بعناية ، وتالله ما أطيبه ! » وأبرز صدره « فى حياتى ما أحببت رجلا قسما وسيما . ولكن هذا يقبض كفه قبضة المصارع ، وكوكى يحبه ، فالحياة ستطيب له فيما أظن . . . واسمعى . . . ماذا ترى ينبغى أن أصنع بكل هذا الماء الساخن ؟ » .

آه ، صحيح . الماء السخن ! « أ . . . أ . . . لماذا لا تصنع قهوة ؟ » وشعرت فجأة أنى أتضور جوعاً ، « واصنع لى سندوتشاً أيضا . . . سندوتشاً بلحم الخنزير وضع فيه كثيراً من الخردل » .

* * *

وفى الصباح جاءت جارتنا ـ أليس ميللر ـ من « ميديل دام » وكنت أسمع ضحكها وهى تصعد فى السلم ، وسألت : « هل تعرفين بأى شىء ربط رالف الحبل السرى ؟ بحبل ! يا للطفل المسكين ! ان العقدة أكبر منه ! » .

وكثيراً ما قرأت فى المجلات :

« هل تعرف :

« أن عدداً كبيراً من البيوت فى أمريكا ليس فيه ماء حار ؟ وأن عدداً كبيراً منها ليس فيه حمامات ؟ وأن عدداً كبيراً من أطفالنا يولدون بغير معونة الطبيب ؟ وأن هذه الأرقام المفزعة تدل على أن هذا الجيش الجرار من المحرومين من المزايا . . . » .

فتمطقت بلسانى ، وقد ارتعت لحظة . « يا إلهى ! » فكرت ، فارتعت . « نحن

مَن هؤلاء الذين يتحدثون عنهم ! نحن المحرومون من مزايا العيش ! » .

ولكن أصحيح هذا ؟ لست من السخافة بحيث أجحد أن يولد الأطفال وليس هناك غير آبائهم، ولكنى أقول: إن روفوس فاز بميزة خاصة ، لا لأن أباه تناوله من رجليه ودهنه بالزيت على نحو ما تدهن الكباسات ، بل لأن أباه من تلك اللحظة صار ينطوى له على شعور خاص . وكل أب يحب بنيه ويشعر بأن عليه لهم تبعات ، ولكنى لا أظن أنى عاطفية حين أقول إن هذه التبعة المبكرة التى حملها رالف لروفوس تركت أثرها ، فرالف لا يعد نفسه الرجل الذى يبتاع طعام روفوس وثيابه ويضربه أحياناً عقاباً له ، فحسب ، وإنما هو قبل كل شىء وعلى الدوام ذلك الرجل الذى ربط له الحبل السرى وزيّته حين لم يكن هناك أحد سواه يمكن أن يقوم بذلك ، وهذا شىء لا أرضى أن يكون روفوس قد حرمه ، أو أن أعتاض أنا منه كل عناية المستشفيات .

ولست أستطيع أن أقنع نفسى بأن أطفالنا محرومون تعساء من أجل أنهم يغتسلون فى طشت أمام المطبخ ، ويقرأون على ضوء مصباح البترول، وينامون فى غرف ليس فيها وسائل تدفئة ، ولن تشقيهم المتاعب البدنية . ولعل خير ما نعينهم عليه ونكسبهم إياه فى عالم تزداد فيه صعوبة الحصول على المناعم المادية ، هو أن يكونوا أشداء ذوى صلابة ، وأن لا يبالوا المتاعب والخشونة وأن لا يشتهوا الحياة اللينة الناعمة .



الجواب الصحيح

[السؤال صفحة ٥١]

قد يقول بعضهم : إن ارتفاع الكومة قد يبلغ قدماً ، أو مئة قدم . وقد يجرؤ أحدهم فيبالغ فيقول إنه ميل . ولكن الجواب الصحيح هو ١٧ مليون ميل تقريباً . فبعد القطع الأول يكون بين يديك قطعتان من الورق . وبعد القطع الثانى يكون بين يديك أربع قطع أو تربيع الأول . فبعد القطع الخمسين يكون عدد القطع ٢ أسّ ٥٠ (2^{50}) أو نحو ١٫١٢٦٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ؛ ولما كان سمك ألف ورقة موضوعة بعضها فوق بعض يبلغ بوصة واحدة فارتفاع هذه القطع جميعاً يبلغ ١١٢٫٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ بوصة ، وهو أكثر من ١٧ مليون ميل .

سأكون رجلاً آخر

ستيفن ليكوك + ملخصة عن مجلة « جون أو لندنز ويكلي »

أحد الفصول الأخيرة التي كتبها الكاتب الفكاهي الاقتصادى المشهور قبل وفاته

يتناول العالم اليوم فكرة التعمير بعد الحرب ، وإعادة إنشاء الطرق الحديدية ، وتخطيط الطرق الجوية وإزالة أنقاض المدن المخربة . وأرى أن أول حاجة للعالم بعد الحرب هي أن تعمر نفسك بعض الشيء : اجمع جل أنقاض نفسك المتداعية ، وألق بها جانباً ، ثم اعمل معولك فيها وأبدأ بناءها من جديد . وعليك أن تنبذ تلك الأحقاد والعداوات الشخصية التي أظهر ضوء الحرب الشديد تفاهتها

ما أتفه تلك الأشياء التي اعتدنا أن نهتم بها ونجعل لها شأناً ! لقد عرفت أستاذين للغة اليونانية تقاطعا بسبب اختلاف رأيهما في مسألة نحوية . ورأيت صديقين تدب بينهما الجفوة من جراء لعبة الجولف ، لأن أحدهما كان يجيد اللعب ولكن الآخر كان يكسب الشوط في النهاية

وأذكر قصة رجلين مسنين فرق بينهما الخلاف الحزبي الشديد ، فلم يكلم آرشي العجوز سدني العجوز عشر سنين ، فقد كان آرشي من الأحرار ، وسدني من غلاة المحافظين . وقد لا تدرك معنى ذلك ، ولكن هما أيضاً لم يدركاه . كانا يجلسان كل صباح في الخان الريفي يقرآن صحيفتيهما ، ويأخذ كل منهما يسخر من صاحبه موجهاً كلامه إلى من بالغرفة ، ولكن إياك أعني واسمعي يا جارة ، فيقول « وأرى أن أحد المغفلين من المحافظين . . . الخ » ويرد الآخر بالمثل واستمرت الحال على هذا المنوال سنين ، ثم مات سدني ، ورأيت آرشي في جنازة سدني صامتاً منكمشاً يهز رأسه أسفاً من جانب إلى جانب . وقد قيل لي إنه عندما حلت الانتخابات التالية (وكانت آخر انتخابات اشترك فيها آرشي) أعطى صوته للمحافظين .

فلندرك ، وفي حياتنا بعد فسحة من الوقت ، تفاهة تلك الحزازات وحقارتها ، وأننا جميعاً طيبو القلب كرام الأخلاق . وإني لأذكر في هذا الصدد أغنية مسرحية إنجليزية تقول : « إنه طيب إذا عرفته ، ولكن عليك أن تعرفه أولا » . وكلنا هذا الرجل ، وإني على يقين أني أنا وأنت كذلك قد يكون مظهرك الخارجي فيه شدة وجفاء ، ولكن ليس لك حيلة في ذلك ، وقد أعطيت

وجهاً جهماً . وما عليك إلا أن تجعل الناس يدركون أن وراء هذا الوجه نفساً كريمة طيبة.

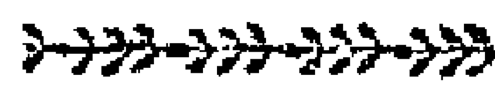
وفي وسعنا أن نفعل ذلك إذا أردنا . في وسعنا أن نتكلف طيبة النفس وكرم الأخلاق . حتى نجد العالم أجمع أبهى وأجمل بهذا التكلف والتصنع .

أفلا ترى أن الوهم هو بعينه الحقيقة الواقعة أو كما يقول شكسبير « العالم مسرح » أو الأقل إنه يمكن أن يكون مسرحاً إذا أردنا ذلك ، فليلعب كل منا دوره كما ينبغي له أن يلعبه على سجيته .

وسأذكر لك لم أرياء هذا التعمير النفسي :

إني أعتقد أننا لا نستطيع إصلاح عالمنا المتصدع بدونه . إن المعاهدات والاتفاقات والتشريع والمواثيق لا قيمة لها إذا لم تدعمها عقيدة الناس وروحهم ، فإن الروح هي التي توجه العالم إلى الخير على تطاول الزمن.

وسأبدأ بنفسي على أي حال ، وأتظاهر بأني أطيب وأصدق مخلوق دبّ على ظهر البسيطة ، وستلحظ ذلك بمجرد أن تقع عيناك عليّ . ولتبدأ بنفسك أنت أيضاً ، لا تنتظر إعادة إنشاء الطرق الحديدية أو تخطيط الطرق الجوية أو إعادة العلاقات التجارية مع أمريكا الجنوبية إلخ بل عليك أن تبدأ أنت بالتعمير .



خطط حربية جهنمية

كشف هنيبال ، القائد القرطجني المشهور ، حين انسدل ستار الظلام ، أن عدوّه معسكر في واد عميق ونيرانه موقدة . فعلم أن هذا العدو لا يخشى هجوماً عليه في الليل ، إذ ليس ثمة قائد – ولا هنيبال المتهوّر نفسه – يعلن قصداً عن مكانه الخفي في الليل .

فأمر هنيبال رجاله بأن يجمعوا مئتي ثور على قمة الأكمة، وأن يربطوا بقرونها مشاعل من الخشب الراتنجي سريع الالتهاب . وحين أعطى هنيبال إشارة متفقاً عليها ، أوقد الرجال النار في الخشب ، ودفعوا الثيران إلى الوادي وخزاً وركلاً ، فانطلقت قد جن جنونها بأربعمئة مشعل ملتهب ، وشقت طريقها على غير هدى خلال المعسكر تبث الذعر وتنشر الخراب وتشعل المنطقة كلها . ثم هجم هنيبال وهزم عدوّاً دب في صفوفه دبيب الفوضى .

[هارولد وستن في « ستردای ایفننج بوست »]

علموا أولادكم الحياة

"لن يسقط بعد اليوم عصفور.."

كنت فى الحادية عشرة من عمرى حين أعطانى والدى بندقية تنطلق بضغط الهواء، وكان أول صيدى عصفوراً صغيراً. وأذكر أننى أحسست بشعور الآثم المذنب حين سقط، على الرغم من سرورى بإحكام الرماية.

وألفيت والدى بعد هذا الحادث يستخلص الذباب والحشرات من خيط عنكبوت ويضعها فى صندوق ثقاب.

فسألته: «ماذا تفعل يا أبتاه؟».

فأجابنى: «تعال معى وانظر».

وقادنى إلى الحديقة، حتى إذا أتى إلى شجيرة أزاح أغصانها الملتفة، وأرانى عشاً فيه أربعة من صغار العصافير، وفتح والدى صندوق الثقاب فى تؤدة ووضع الحشرات فى الأفواه المفتوحة. وعرفت لساعتى لماذا يطعمها والدى، بيد أنى لم أستطع إلا أن أقول: «أو يمكننى أن أعينك؟».

فقال لى: «بلى يا ولدى يمكنك أن تعيننى، ولكنه عمل شاق».

وجهدت طوال بعد ظهر ذلك اليوم فى البحث عن الحشرات واستخراج الدود من باطن الأرض، وأحاط والدى العصافير فى تلك الليلة بقطع من القطن المندوف.

وفى صبيحة اليوم التالى جاءنى والدى فى غرفتى وأنا أرتدى ملابسى وعلى كفه جثمان أحد هذه العصافير. وقال: «لقد مات أثناء الليل، وعلينا أن نضاعف من جهدنا لنحفظ على البقية حياتها».

وبعد العشاء ذهبنا إلى العش فألفينا عصفوراً آخر قد فارق الحياة.

وبعد أيام جاء والدى فى وقت الإفطار وفى راحته جثمان عصفور ثالث.

وقال والدى: «يبدو أن العصفور الباقى قوى البنية، ويخيل إلىّ أنه قد يجرب جناحيه فى العاجل القريب». ثم أردف إن هذا اليتيم الصغير سيجد أمامه عملا شاقاً، فليس ثمة من يعلمه أسرار الطيران، وقد يكون ضعيفاً لأنه لم يكن فى طاقتنا أن نطعمه باستمرار كما ينبغى أن تطعم صغار العصافير.

وفى ذات يوم ألفيناه يترجح على فنن من أفنان الشجيرة، وبدا لى حينئذ أن أهم شىء فى الحياة هو أن يقوى هذا العصفور على الطيران. ورفرفت أجنحته الصغيرة وطار عن الفنن ولطم جناحاه الهواء برهة قصيرة على غير طائل ثم هوى إلى الحضيض،

وفحص برجليه مرة واحدة ثم مات .

وقال والدى : « مسكين أيها العصفور الصغير ، لم يتح لك حظك من الحياة ! » .

وصحت فى ثورة من النـدم والحسرة : « إنه ذنبى أنا يا أبتاه ، فقد قتلت أمه » .

فقال والدى : « أعلم ذلك يا بنى ، فقد رأيتك تفعل فعلتك ، ولـكن لا تأس على ما فعلت ، فإن هـذا شىء يرتـكبه معظم الأولاد ، ولـكنى أريدك أن تفهم يا بنى أنه من المستحيل أن تؤذى شيئاً أو شخصاً دون أن تؤذى آخرين — وقد يكون من تؤذيهم هم من يمحضونك الحب ، وكثيراً ما تـكون أنت نفسك أكثر الناس نصيباً من الأذى » . [أوبرى تيدى]

الغـرض الذى تريده ؟

كان صاحبي برت قد وعـد بالحضور فى الساعة التاسـعة من صـباح يوم السبت ليساعدنى فى صنع عجلة انزلاق خشبية نلهو بهـا ، وقد أعددت جميع الأدوات منذ منتصف السـاعة الثامنة وجعلت أنتظر ، فدقت الساعة التاسعة ثم العاشرة ، ولـكن برت لم يحضر .

وأخذت أرغى وأزبد ودلفت إلى التلفون وكنت عزمت على أن أقول لبرت رأيى فيه وفى وعوده .

وقال جدى فى هدوء : « إنى لا ألومك يا هوارس على غضبك ، ولـكن عليك قبل أن تكلم برت فى التلفون أن تسأل نفسك سؤالين على أعظم جانب من الخطر : « ما هو الغرض الذى تريده ؟ » و « ما هو خير الطرق للوصول إليه ؟ » فإذا كان أعظم ما تريد هو أن تشفى غليلك بتعنيف برت وتقريعه وإثارة حفيظته عليك مدة أسبوع فافعل ، وقل له ما ترى فيـه ، وإن كان أعظم ما تريد هو أن يساعدك فى صنع عجلة انزلاق ، أفلا ترى أن خير ما قد يؤدى إلى ذلك هو أن تخاطبه هادئاً وتسأله إذا كان فى وسعه أن يحضر بعـد ظهر اليوم بدلا من الصباح ؟ » .

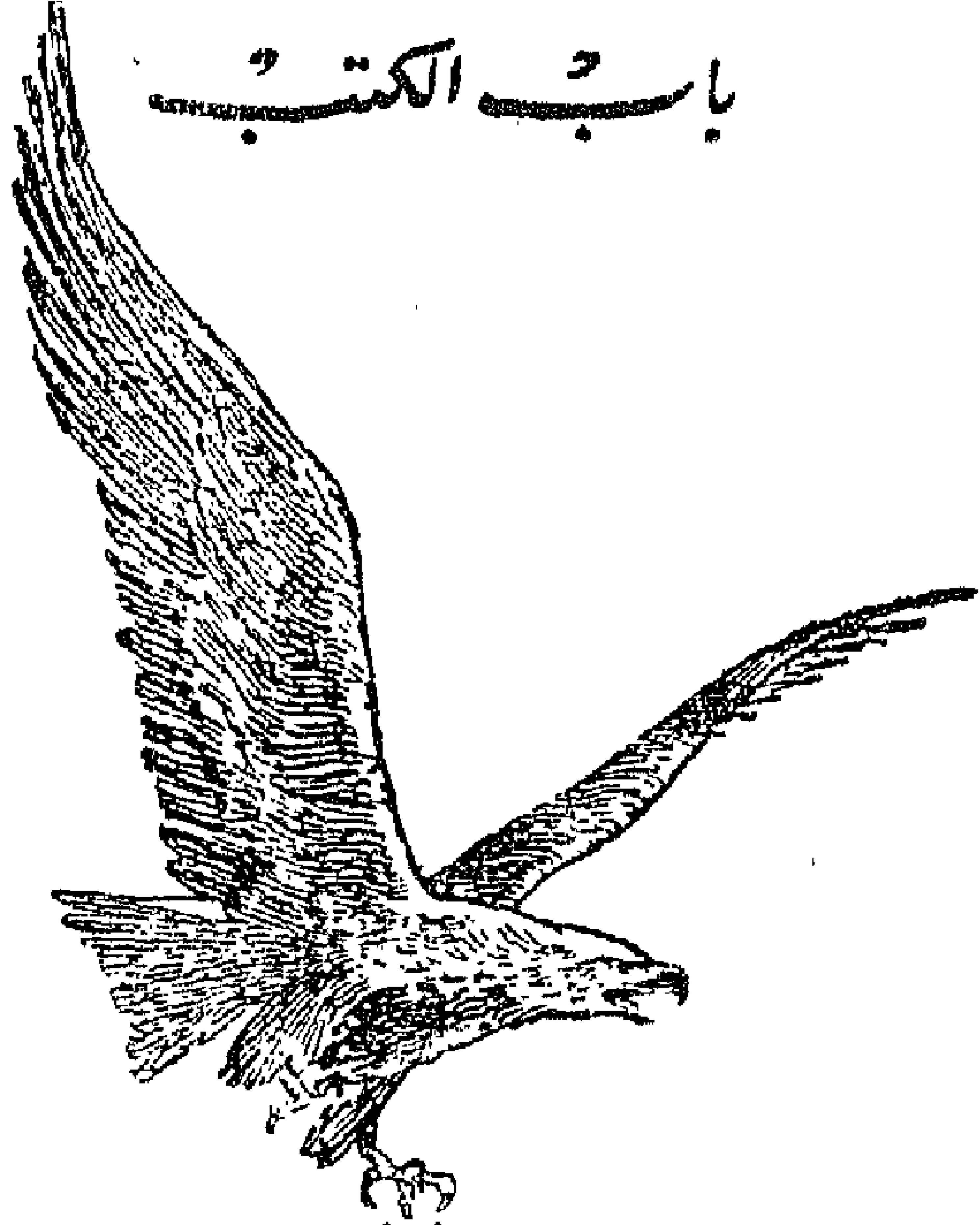
وكان للطريقة التى ألقى بها قوله ، متأملا معتبراً غير واعظ ، أثر بالغ فى نفسى . وكنت بعد ذلك إذا وقعت فى مثل هـذا الحرج أخلص من مآزق شديدة عند غضبى بتوجيه هذين السؤالين إلى نفسى : « ما هو الغرض الذى تريده ؟ » و « ما هو خير الطرق للوصول إليه ؟ » .

[هوارس وليام أوتيس] .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

قليل منا من يحسن احتمال إقبال الدنيا ، أعنى إقبال الدنيا على غيره من الناس .

[مارك تواين]



الولايات المتحدة
وغاياتها من الحرب
تلخيص كامل لكتاب
والتر ليبمان

مؤلف "الرأى العام" و"سياسة الولايات المتحدة".. الخ

« عززوا النظام الدولى الذى سبكناه خلال الحرب فنستطيع أن نظفر بسلام دائم » — هكذا يقول أكبر كتاب أمريكا السياسيين .

وليس ثمة بحث أنفذ رأياً ، وأصدق ، وأبعث على الرجاء فى تنظيم العالم بعد الحرب ، من هذا الكتاب الجديد بقلم ولتر ليبمان . إن صفحاته المنيرة تتحدّى القارئ وتعينه على مراقبة تطور الشعوب العالمية ، بعناية أعظم وفهم أدق .

الولايات المتحدة وغاياتها من الحرب

آن لأمريكا أن تعين غاياتها من الحرب ، واستبان الطريق أمامها ، وما كان فى وسعنا أن نفعل ذلك فى العام الماضى ، وكنا أقل قدرة على هذا لما أعلنت الحرب ، لأن استقرار العزم على المقاومة عند حصول التحدى ليس مما يصفه أحد بأنه غرض من أغراض الحرب . وكنا فى ديسمبر ١٩٤١ لا ندرى أنستطيع أن نحتفظ بهواى ، وألاسكا وأستراليا أم لا نستطيع ؟ ولا كنا ندرى أنستطيع أن نصل إلى الصين أو كيف نصل إليها قبل أن يتم قهرها وفتحها ؟ وحتى فى سنة ١٩٤٢ كان أكبر ظننا أن تخترق ألمانيا الشرق الأوسط ، وتنفذ اليابان إلى الهند ، وتتلاقى أيديهما فى المحيط الهندى ، ولم نكن نعلم أن روسيا تستطيع أن تصد الغزو الألمانى .

والآن ، فى سنة ١٩٤٤ — وإن كانت اعظم المعارك لعلها باقية أمامنا — نستطيع أن نستشف نتيجة الحرب بجلاء يسمح لنا بأن نعيّن غاياتنا الحقيقية من الحرب . والواقع أنى لا أظن أننا نغالط أنفسنا أو نخدعها الآن إذا اعتقدنا أن عهد سلام طويل عظيم أصبح فى متناولنا .

غير أنه ما من أحد يستطيع أن يجلس فى غرفة مكتبه أو إلى مائدة مؤتمر ويخترع مشروعاً عملياً للسلام . وما من أحد يستطيع أن يخترع شجرة ، وإنما يستطيع أن يربيها ، ويقلمها ويشذبها ، ويحميها من الآفات التى تتلفها وتعصف بها ، ويقويها على احتمال الزوابع . ولن يُصنع السلام بعد أن تقف أرحاء القتال ، فإنه يصنع الآن ، والسلام الوحيد الذى نستطيع أن نناله هو هذا الذى يصاغ الآن بإدارة الحرب ، وإنا لنكون مخدوعين إذا ظننا أنه يسعنا إغفال هذا السلام والحصول على سلام آخر غيره .

ومتى ألقى أعداؤنا السلاح فسيكون معنا صورة السلام ومبناه ، ولن نحتاج إلى بنائه لأنه يكون قد بُنى بفضل أعمال البطولة والكد الشديد ، وعلينا أن نحرص على أن لا نقوضه ، ثم علينا أن نجعله أقوى وأمتن ، ثم علينا أيضاً أن نشرع فى تحسينه وتهذيبه ، وإذا أدرك الناجون قيمة ما تم فعله ، فإنهم سيجدون أنهم يرثون سلاماً عظيما أقامه الرجال بدمائهم وعرقهم ودموعهم ، وأن هذا السلام يستطيع البقاء اذا أخلصنا لجوهره ولما يعد به .

ونحن نحتاج أن نعرف أولا لماذا نحارب ، فإذا عرفنا لماذا نقاتل ، وماذا كسبنا حقاً ،

فإننا خلقاء أن نعرف كيف نعين غاياتنا من الحرب .

الحرب مع اليابان

نبدأ بأن نسأل كيف اتفق أن نكون فى حرب مع اليابان ؟ وصحيح أن اليابان هاجمت ميناء بيرل فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ وأنه لم يبق لنا حينئذ خيار فى الأمر ، ولكن اليابان ما كانت لتهاجمنا لولا أننا اعترضنا طريقها فى أمور كانت مصممة على القيام بها .

وليست هذه الأمور بسر ، فقد تورطت اليابان فى فتح الصين ، وكانت تستعد أيضاً لفتح جزر الهند الشرقية ، والفليبين ، والملايا ، والهند الصينية ، وكان من المحقق أنها تنوى الهجوم على الاتحاد السوفيتى ، ولكن العزم الذى لا تحوّلَ عنه هو فتح الصين ، فلما أبت الولايات المتحدة أن تكف عن مقاومة اليابان فى الصين ، لجأت اليابان إلى الحرب .

والسؤال ، إذن ، هو لماذا وكيف آثرت الولايات المتحدة أن تقبل التحدى اليابانى وأبت أن توافق على فتح الصين ؟

وكان أول رئيس اتخذ موقف معارضة لتجزئة الصين وتمزيقها هو ماكنلى ، ففى سنة ١٩٠٠ صرح وزير خارجيته — المستر جون هاى — بأن « سياسة حكومة الولايات المتحدة هى ... المحافظة على كيان الصين » .

ولما استطاعت الأحزاب فى الصين فى سنة ١٩٣٧ أن تتحد على مقاومة اليابان بعد زمن طويل من الحرب الأهلية ، كان علينا أن نقبل أخطار الحرب ، لأن الصينيين كانوا يريقون دماءهم فى سبيل مبدأ ظللنا نجهر به أربعين سنة ، فكان الشرف والحكمة لا يسمحان لنا بالوقوف جانباً .

ولهذا بدأت الولايات المتحدة ، بعد سلسلة من الاحتجاجات الدبلوماسية ، تتخذ تدابير «دون الحرب» . وفى ٢٦ يوليه سنة ١٩٤١ جمدت الولايات المتحدة الأموال اليابانية فى الولايات المتحدة ، وكان هذا بمثابة إعلان لحرب اقتصادية ، فصارت المسألة الوحيدة بعد هذا هى : متى وأين تضرب اليابان ضربتها ؟

وفى هذه الظروف دارت المفاوضات الأخيرة مع كوروزو المبعوث اليابانى ، وكان الثمن الذى حدده كوروزو هو أن نكف عن مساعدة الصين ، وأن نوافق على الفتح اليابانى . وكان هذا هو الشىء الوحيد الذى لا نستطيعه .

إن عدّة الصين ومواردها الهائلة ، إذا نظمتها وقادتها اليابان ، تستطيع أن تغذى وتمد قوة مشتركة براً وبحراً فى منطقة المحيط الهادى لا يسعنا أن ننظر إليها إلا بجزع

عميق . وفى نوفمبر سـنة ١٩٤١ كان علينا أن نبت فى الأمر نهائياً فإما أن نخضع وندع هذه الإمبراطورية الأسيوية تقوم ، وإما أن نقاوم ونحارب . فإذا آثرنا تهدئة اليابان ومراضاتها بعدم التمسك بكل ما ظللنا نقوله عن الصين مدة أربعين عاماً ، فإننا نواجه احتمالا قويا هو أن تتألف حكومة صينية تصالح اليابان ، وحينئذ تتوطد أقدام اليابان فى الصين وتتعزز بها ، فتضربنا ضربتها على كل حال ، بعـد أن صارت لهـا قوات احتياطية أعظم جداً مما كان لها . ولهذا رأت الولايات المتحدة آخر الأمر أن عليها أن تقبل المخاطرة بحرب عاجلة مع اليابان ، وأن هـذا خير من المخاطرة بتسلم الصين وما يتبع ذلك من معاونتها لإمبراطورية أسيوية تحت الزعامة اليابانية .

التحدى الألمانى

يدل تقويم الحوادث التى أفضت مرتين إلى الحرب مع ألمانيا، على أن غريزة المحافظة على الذات القومية يثيرها ويبتعثها فى هـذه البلاد (الولايات المتحدة) العدوان الناجح على بلدان واقعة على الشواطىء الأخرى للبحار التى تحيط بنا .

ومهما يكن ما يقوله بعضنا أو كثيرون منا ، فإن هذا هو الخطر الذى يحدث رد الفعل فى الأمـة ، وقد يصف رجال منا أنفسهم بأنهم من أنصار العزلة أو من أنصار التدخل ، وقـد يؤيدون قوانين الحياد أو السلامة الكليـة ، فإن جميع الحجج والأقوال تفتر حين ترى الأمة نفسها أمام قوة فاتحة وراء حدودها البحرية . والواقع أننا إذا درسنا ما يقال من الآراء والمذاهب درساً دقيقاً ، اتضح لنـا أنها ناشئة على الأكثر عن اختلاف التقدير العملى لاستطاعة المعتدى أن يفتح بلاد أحـد جيراننا ، أما إذا زال الشك فى هذه الاستطاعة ، فإن الشعب الأمريكى يجمع إجماعا باهراً .

قام النظام النازى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ وسرعان ما تبدت روحه بالقضاء على الحريات الألمانية ، وبتمجيد الحرب ، وتهديد الجيران الأوربيين الضعفاء . وقد أثار كل هـذا احتجاجاً ، ولـكن العدوان النـازى بدأ فى أول الأمر كأنه موجه إلى الشرق — إلى النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندا — بعيداً عن عالم المحيطات . وكان النازيون محل الاستهجان على العموم فى الولايات المتحدة ، ولـكنه لم يدع إلى اتخاذ تدابير عملية ضد هتلر سوى الذين اعتقدوا أنه سيتحول إلى الغرب يوما ما . وكل ما طالبوا به ودعوا إليه فى البـداية هو رفع الحظر عن بيع الأسلحة لبريطانيا وفرنسا .

ولم يقترح أحد برنامجاً جديا للتسلح فى هذه البلاد حتى بعد أن بدأت الحرب فى أوربا : « لما شبت الحرب الاوربية أصدر الرئيس إعلان حالة طوارئ محدودة أدت فيه بزيادة الجيش العامل من ٢١٠٫٠٠٠ إلى ٢٢٧٫٠٠٠ رجل وزيادة الحرس الوطنى إلى ٢٣٥٫٠٠٠ رجل ... وفى مارس سنة ١٩٤٠ خفض مجلس النواب اعتمادات وزارة الحربية الخاصة بعدد قليل من الطائرات المراد بها الحلول محل المستهلك ، إلى ٥٧ طائرة » *

وهكذا ، لما كانت القوة البرية لألمانيا واقفة وراء حاجز الأسلحة البريطانية الفرنسية ، لم يكن العدوان الألمانى يعد تهديداً حقيقياً لسلامة الولايات المتحدة . حتى إن الولايات المتحدة لم تعن بالاستعداد للحرب لما كان هذا الحاجز الغربى سليما .

ولكن لما اخترقت ألمانيا هذا الحاجز الغربى ، أدركت أمريكا من توّها وبما يشبه الإجماع أنها مهددة .

اقتحم الخط الفرنسى عند سيدان فى ١٤ مايو . وفى ١٦ مايو طلب الرئيس من الكنجرس اعتمادات إضافية للدفاع مقدارها ٨٩٦ مليون ريال وإنتاج ٥٠٫٠٠٠ طائرة حربية .

وما كان الذى استدعى برنامج الدفاع الجديد سوى اقتحام الحاجز الأوربى الغربى . ويدل سجل الحوادث على أن سوء صبغة النازى وروحه الشريرة لم يكن هو السبب الأول فى الصراع بين ألمانيا والولايات المتحدة ، فقد كان النظام النازى سيئاً وشرير الروح من يناير سنة ١٩٣٣ إلى مايو سنة ١٩٤٠ كما كان بعد ذلك ، ولكن لما وصلت ألمانيا إلى شاطئ الأطلسى لم يبق رجل مسئول يجرؤ على المخاطرة بإهمال زيادة قواتنا المسلحة زيادة عظيمة .

وقد كان رد الفعل فى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٤١ كما كان فى سنة ١٩١٧ . فالرأى الأمريكي ، كما بدا فى حربين مع ألمانيا وحرب مع اليابان ، هو أن الشر الذى يجب أن يقاوم هو فتح بلاد جيراننا على الناحية الأخرى من البحار المحيطة بنا .

الخطر الذى انسقنا إليه

إن الشعب الامريكى — بمقاومته العميقة لفتح بلاد جيراننا على الناحية الأخرى من البحار المحيطة بنا ، إنما يصدر عن إدراك صحيح لمصالحه الحيوية ، فقد أظهرت الحرب أن الدولة التى تقدر على الفتح فى أى جزء

* من تقرير رئيس هيئة أركان حرب جيش الولايات المتحدة عن العامين : أول يوليه سنة ١٩٣٩ — ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٠

كبير من هذه المنطقة لا تلبث أن تهـدد السلامة المباشرة للولايات المتحـدة . وقد نظمت اليابان وأعدت قوة قادرة على فتح الفلبين ، والفوز بعوطن قدم لها فى مشارف ألاسكا، وتهديد هواى ، بل شاطىء المحيط الهادى . وأعدت ألمانيا ونظمت قوة كانت على وشـك النزول فى أمريكا الجنوبيـة ومشارف قناة بناما .

ويدل نوع الحرب التى اضطررنا إلى خوضها على أن تقديرنا الأساسى كان صحيحاً ، وأننا بإهمالنا ما يتطلبه هـذا التقدير من خطة سياسية محكمة ، وسياسة حربية دقيقة الإعداد ، وقفنا على شفا كارثة قومية لا نجاة منها .

ولا يتسنى لنـا الانتفاع بهـذه التجربة إلا إذا اسـتطعنا أن نستخدم النصر الذى سنفوز به استخداماً حكيما . ولـكى يتيسر الاسـتخدام الحـكيم للنصر يجب أن نعين غاياتنا من الحرب ، بحيث تتاح لنا فى آخر هذه الحرب الوسائل الكفيلة بالاحتفاظ بمصالحنا الحيوية على مقتضى سياسة قومية مستقرة .

وقد اضطرت الولايات المتحدة أن تشرع فى خوض الحرب بعـد أن فتح أعداؤنا كثيراً من البلاد وقهروا شعوب إمبراطورياتهم الجديدة . وهكذا احتجنا أن نعبر المحيطات ونهاجم السواحل على الحوافى الخارجيـة للبلاد التى سيطروا عليها ، أى أنه كان علينا أن ننقض ما عجزنا عن منعه .

ونحن فى الشرق الأقصى نقاتل لنستعيد كل ما اعترضـنا على أخذ اليـابان له من ١٩٣١ إلى ١٩٤١ ، فإذا لم نسـتعده فإن القوة اليابانية التى فتحت الفلبين ، وهددت ألاسـكا ، وهواى ، وساحلنا على المحيـط الهادى ، تظل سليمة . وأخلق باليابان إذا اسـتغلت القوة الإنسانية الهائلة فى آسـيا الشرقية ، وكنوز جزر الهند ، أن تصبح دولة عسكرية أعظم وأقوى من دولتنـا . وإنا لندرك الآن بجلاء ، ما كنا نلمحه ونفطن إليه على نحو غامض : وهو أن تحرير الصين والبلاد المفتوحة جزء لا يتجزأ من الدفاع عن الولايات المتحدة ، ولولا ذلك لما كان علينا أن نحررها لنهزم اليابان .

أما فى المسرح الأوربى فإن الموقف يختلف ، لأن قتال ألمانيا بدأ وما زالت فى أيدينا السيادة البحرية ، ولأن القاعدة العظيمة وراء المحيط بقيت سليمة وهى إنجلترا . ولـكى ندرك ما كان لهذا من مؤدى ، يحسن بنا أن نتخيل الاحتمالات التى كانت خليقة أن تـكون ، فى المحيط الهادى ، لو كان لنا فيه حليف فى مثـل قوة بريطانيا على مسافة عشرين ميلا من الجيش اليابانى ، وفى نطاق مدى القاذفات المغيرة على طوكيو بيننا وبين اليابان .

على أنه كان من الممكن أن نعزل فى المحيط الأطلسى كما عزلنا فى المحيط الهادى ، فقد أتيحت فرصة حسنة لألمانيا بعد سقوط فرنسا فى سنة ١٩٤٠ لإخضاع الجزر البريطانية ، ولو أن الألمان كسبوا معركة بريطانيا لما كانت ثم قوة أخرى تستطيع أن تردهم ولو إلى حين عن مشارف النصف الغربى من الكرة الأرضية .

بل الواقع أنه فى سنة ١٩٤٠ لم تكن الولايات المتحدة تملك القوة لاعتراض غزو بحرى برى لأمريكا الجنوبية ، وصده ، فقد كان مالنا من قوة — على عدم كفايتها — مشغولة فى المحيط الهادى ضد اليابان ، فلو أن بريطانيا سقطت لباتت أبواب أمريكا الجنوبية مفتوحة .

ومتى استقر الألمانيون فى البرازيل والأرجنتين فما من شىء يستطيع أن يمنعهم من إنشاء قوة برية وجوية للزحف إلى قناة بناما وعلى مواصلاتنا فى البحر الكريبى ، وبعد ذلك يصبح الدفاع عن الولايات المتحدة غاية فى الصعوبة . فلو أن بريطانيا سقطت وبقينا نقاتل وحدنا ألمانيا واليابان مجتمعتين ، أترانا كنا نطمع فى أحسن من أن نطلب هدنة خطرة ، أو أن نمضى فى حرب دفاع مرهق لا آخر له ؟

وقا، وقينا هذه النتائج السيئة ، ولكنه لاشك فى أنها كان من الممكن أن تكون ، وإنما صرف عنا هذا الخطر الوبيل لأن بريطانيا التى يقودها تشرتشل استطاعت، فى أحرج الشهور فى تاريخنا، أن ترد الألمانيين عنها فى أوربا بنجاح ، ولأن الأمريكيين الذين ناصروا روزفلت وويلكى وتبعوهما ، تغلبوا ، وأنجدت الولايات المتحدة بريطانيا العظمى فى الوقت المناسب ، ولما تكد .

وقد ظلت هذه البلاد من صيف ١٩٤٠ إلى صيف ١٩٤٢ معرضة لأعظم خطر حاق بها فى تاريخها من أقوى أعداء لها . ولن نستطيع أن نحدد غاياتنا من الحرب إلا إذا قسنا هذا الخطر قياساً صحيحاً : وفطنا إلى أسبابه . لأن غاياتنا من الحرب تكون غير ذات معنى إلا إذا وسعنا أن نقى هذه البلاد شر الانسياق مرة أخرى إلى مثل هذا الموقف الفظيع .

* * *

رأينا الخطر الذى ألفت الولايات المتحدة نفسها فيه لما كادت ألمانيا تقهر أمم أوربا الغربية قاطبة، غير أن مما له مثل هذه القيمة هو أن نؤكد الحقيقة التالية : وهى أن أوربا الغربية كلها كادت تقهر لما كانت الولايات المتحدة على الحياد . وقد صارت الولايات المتحدة الآن القلعة الداخلية ، وفيها دور الصنعة الرئيسية ، والاحتياطيات

الاستراتيجية للدفاع عن منطقـة الأطلسى كله . وقد رأينا فى ربع قرن كيف أن أوربا الغربية لم يتسن الدفاع الناجح عنها بغير معونة من الولايات المتحدة . فهاتان الحربان تعلماننا أن أوربا الغربية ، وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، تعد كلها من وجهـة السلامة والدفاع وحدة استراتيجية لا تتجزأ

وينتج من هذا أنه لا يمكن إقامة نظام دولى إلا بعمل منسق من « جماعات » من الدول . وأنا أسمى إحدى هـذه الجماعات « جماعة الأطلسى » ، ولما كنا داخلين فيها وتابعين لها ، فإنها بطبيعة الحال أول همنا ، وأنا أسميها جماعـة الأطلسى وإن كانت تمتد وتذهب إلى مدى بعيد فى المحيط الهادى ، لأن قوة هذه الجماعة من الأمم وبأسها وسطوتها فى المحيطين ، وأثرها فى المدنيـة السائدة على طول الطريق إلى أسـتراليا ونيوزيلند — كل ذلك ينبوعه الرئيسى فى منطقة المحيط الأطلسى .

إن التسويات مع اليابان وألمانيا لا يمكن أن تتم بنجاح بواسطة أية واحدة من الدول الأربع الكبرى على حدة ، وليس فى وسع هذه الدول الأربع معاً أن توجد سلماً وطيد الأركان إذا هى أهملت جاراتها من الدول . فإقامة النظـام تتطلب الشروع فى التحديد والتوطيد لمواطن الدفاع الاستراتيجية والعلاقات الخارجية بين كل الدول فى نطاق نظام استراتيجى واحد .

وجماعة الأطلسى وحدة فى هذا النظام ، ومن الجلى أن روسـيا محور وحدة ثانية ، وستكون الصين قاب وحدة أخرى . ومن المرجح على الأيام أن تتألف « منظومة » أو أكثر غير هذه فى عالمى الهند والإسلام ؛ ولكن هذا أوانه أبعد ، وإنما الذى نستطيع أن نتبينه بالتفصيل حتى فى يومنا الحاضر هو حشد جماعة الأطلسى من ناحيته ، وتخطيط المدار الروسى من ناحية أخرى . وستكون التسوية مع ألمانيا قوامها هاتان الجماعتان ، والتسوية مع اليـابان قوامها هاتان أيضاً مضافاً إليهما الصين .

جمـاعة الأطلسى

وفى وسـعنا أن نعرف على وجه اليقين الأمم التى لا غنى عنها فى هذه الجماعة ، فهى بريطانيا العظمى وفرنسا فى أوربا الغربية ، والولايات المتحدة وكندا فى أمريكا الشمالية . وقد تظن هذه الأمم فى وقت السلم أن فى مقدورها أن تذهب كل منها مذهبها الخاص المستقل ، ولكنها فى الحرب يحتاج بعضها إلى بعض ، وتستهدف لخطر ماحق إذا لم تتضافر قواها . وسنرى كم أمة أخرى تنضم إلى هذه الوحدة .

وقد ظهرت حاجة فرنسا وبريطانيا وأمريكا الشمالية ، بعضها إلى بعض فى حربين عظيمتين ، فما تستطيع فرنسا أن تثبت بغير معونة بريطانيا ، ولما سقطت فرنسا حاق ببريطانيا خطر وبيل ، وليس فى وسع بريطانيا أن تصمد بغير أمريكا الشمالية ، ولو أن بريطانيا سقطت لكان باب النصف الغربى من الكرة قد فتح على مصراعيه .

والدفاع عن كل واحدة من أمم الأطلسى الأربع لا ينفصل من الدفاع المشترك عنها جميعاً . وليس المقياس الصحيح ما كان الناس يرون ويقولون قبل الحرب ، بل ما وقع ، ففى الحربين اللتين قامتا فى هذا القرن اضطرب هذه الأمم الأربع الواقعة على جانبى الأطلسى أن تحارب تحت قيادة موحدة .

وليست جماعة الأطلسى من تلفيقات الخيال فإنها حقيقة، وقد أغفلناها وأهملناها فكان ذلك شراً علينا، واضطررنا أن نعيدها بثمن باهظ . وفى هذه الحرب تعمل الجماعة كوحدة استراتيجية وتموينية تحت قيادة رياسات أركان الحرب المشتركة ، وتمتد القيادة المشتركة إلى آخر حدود المسئوليات والمصالح الحيوية لهذه الجماعة .

وهى لهذا لا تمتد إلى روسيا أو إلى الصين ، فإن هاتين الدولتين حليفتان فى ائتلاف عالمى، ولكنهما يديران الحرب تحت قيادتهما، وهما فى الواقع وحدتان عسكريتان منفصلتان وإن كانتا متصلتين ومنسقتين . وفى وسعنا أن نصل إلى اتفاق حسن وطيد مع الصين وروسيا إذا أدركنا هذه الحقيقة — وهى أنهما فى السلم كما فى هذه الحرب وحدتان منفصلتان وإن كانتا على اتصال .

* * *

ولما كانت منطقة الأطلسى وحدة دفاعية قائمة بذاتها فإن أول قاعدة يفرضها العقل علينا هى أن الحرب فى عالم الأطلسى محرمة ، وليس تحريم الحرب فى نطاق جماعة الأطلسى بأمنية لفظية ، بل سياسة عملية . ولو كنا أخذنا بها فى أيام مؤتمر وشنطون الذى عقد فى سنة ١٩٢٢ لكان مما يعنينا أن نحرص على أن تكون بريطانيا وفرنسا قويتين إلى الحد الكافى ، لا أن نرى إلى حد نستطيع إضعافهما .

وعلى مقتضى هذا المبدأ يجب أن ينظم تسليح أمم الأطلسى فى المستقبل ، وبدلا من أن نفرض على أنفسنا وعلى حلفائنا حدا أعلى للتسليح ، سنحتاج أن نقرر حداً أدنى لنا جميعاً ، لأن كلا منا ستكون عليه واجباته وتبعاته ، وسيكون مما يعنى الجميع أن نكون جميعاً قادرين على النهوض بهذه التبعات .

ولما كانت قواتنا ستعمل حتما كقوة متحدة فإنها لا تستطيع أن تكون مجدية فى الحرب إلا إذا نظمت لهذا الغرض ، ولهذا لابد من ضمانات تكفل أن تجند وتجهز كل أمة ذلك النوع من القوة الذى يوائم كفايتها، ويلائم الخطة الاستراتيجية العامة للأمن المشترك . وسيكون من الضرورى فى سبيل هذه الغاية الاحتفاظ بهيئات مشتركة لأركان الحرب ، والاستخبارات ، ولوضع الخطط العسكرية .

فإذا سلمنا بهذه المبادىء فإن الرؤساء العسكريين والحكومات المدنية تتاح لهم قاعدة لتقدير القوة اللازمة ونوعها فى البحر والبر والجو . وإلا فكيف تستطيع وزارة البحرية الأمريكية مثلا أن تبين للرئيس أو للكنجرس لماذا تحتاج إلى اعتماد معين للبحرية لا إلى ضعفه أو نصفه ؟ ذلك أنه لا سبيل إلى تقدير شىء فيما يتعلق بأسطول الولايات المتحدة إلا إذا عرفنا ما عليه الأسطول البريطانى ، ولا سبيل إلى تقدير شىء فيما يتعلق بجيشنا مالم نعرف مبلغ القوة البرية التى نستطيع أن نعتمد عليها فى الخارج .

وإنما يستطاع وضع سياسة عسكرية رشيدة للولايات المتحدة على أساس تفاهم سياسى وطيد، مؤداه أن الحرب فى منطقة الأطلسى ليست مما يتصور وقوعه ، وأن الحرب فيما وراء هذه المنطقة لابد أن تكون عملا مشتركا .

* * *

إن جماعة الأطلسى وحدة أوقيانوسية ، وقد يؤثر بعضهم أن يسميها جماعة الأوقيانوس ، والدول العسكرية الكبرى الداخلة فى نطاقها يفصلها البحر ، وهى جزائر إذا اعتبرنا موقع بعضها حيال بعض ، ومعنى هذا أن الجماعة لا يمكن أن تكون إمبراطورية عسكرية واحدة تحكم من عاصمة واحدة ، وإنما تكون جماعة من الأمم الحرة يؤلف بينها إدراكها لمصالحها المشتركة وتعمل معاً بالاتفاق .

ولابد أن تقف المملكة المتحدة وفرنسا معاً ، ولكن إحداها لا تستطيع أن ترغم الأخرى على الوقوف معها ، وليس فى وسع إحداها أن تحتل الأخرى وتسيطر عليها ، غير أن كلا منهما يجب أن تدافع عن الأخرى ، وليس فى مقدور الولايات المتحدة — حتى لو بلغ من سخافتها أن ترغب فى ذلك — أن تحتل البرازيل والأرجنتين لترغمهما على العمل معها . ومع أن الدفاع المشترك عن أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية أمر محتم ، إلا أنه لا يتسنى بغير الاتفاق، وما من سبيل إلى الإكراه على الاتفاق ، فإنه

لا يكون إلا بدافع من المزايا المتبادلة ومن نشوء الولاء المشترك .

وهكذا نرى أن حقائق الحياة الدولية فى عالم الأطلسى تطابق روح ميثاق الأطلسى . ومنطقة الأطلسى هى تلك الرقعة من العالم التى فيها حقوق الدول الصغيرة أعظم ماتكون أمناً ، بل هى فى الواقع الرقعة التى فيها معظم الدول الصغيرة التى توطدت دعائم وجودها(*) .

إن استقلال الدول الصغيرة فى عالم الأطلسى ، ولا سيما التى فى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، قد ظل منذ زمان طويل قائماً على قاعدة مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التى احتفظت فيما مضى بالدول الصغيرة فى أوربا . ذلك أن علاقة نشأت فى العالم الجديد بين الدول الكبرى والأمم الصغيرة تدل عليها أطيب دلالة وأدقها عبارة «سياسة الجوار الحسن» . أما فى أوربا وإلى أن شبت هذه الحرب ، فقد كانت الأمم الصغيرة تعول فى استقلالها على الاحتفاظ بتوازن القوى بين الدول الكبرى .

مثال ذلك أن سياسة بولندا أو فنلندا لم تكن سياسة حياد بالمعنى الذى يفهمه الأمريكيون ، وإنما كانتا ترجوان النجاة بالاتكاء على ألمانيا ضد روسيا ، وعلى روسيا ضد ألمانيا ، وكانتا تكرهان وتخافان جارتيهما القويتين ، فحاولتا أن تقفا بينهما دون أن تكونا مع إحداهما على وجه حاسم نهائى .

أما علاقة الجوار الحسن فهى على العكس علاقة تكون بمقتضاها الكبرى والصغرى من الأمم الواقعة فى منطقة واحدة من السلامة الاستراتيجية ، حلفاء وأعواناً فى السلم والحرب جميعاً . وتقدم الدول الكبرى الحماية التى لا تستطيع الدولة الصغيرة أن تكفلها لنفسها — بسبب الخصائص الفنية للحرب الحديثة — وتقدم الدولة الصغيرة مايسعها — التسهيلات الاستراتيجية اللازمة للدفاع المشترك ، وتستخدم حقوق سيادتها لحماية جارتها الكبرى من الدسائس

(*) تدخل الدول الآتية فى نطاق جماعة الأطلسى فضلا عن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وهى دول عسكرية كبرى :

الأرجنتين ، أستراليا ، بلجيكا ، بوليفيا ، برازيل ، كندا ، شيلى ، كولمبيا ، كوستاريكا ، كوبا ، الدانمرك ، جمهورية دومنيكان ، اكوادور ، إرلندا الحرة ، جواتيمالا ، هايتى ، هندوراس ، ليبريا ، لكسمبورغ ، المكسيك ، البلاد الواطئة (هولندا) نيوزيلند ، نيكاراجوا ، النرويج ، بناما ، باراجوى ، بيرو ، البرتغال ، اتحاد إفريقية الجنوبية ، أسبانيا ، أورجوى ، فنزويلا .

وينبغى أن يكون فى هذا النطاق أيضاً السويد وإيطاليا ، واليونان وسويسرا ، وهى كلها مرتبطة ارتباطاً حيويا بجماعة الأطلسى .

والجاسوسية ووكلاء الأعداء .

لقد اهتدت الأمم الأمريكية إلى هـذه السياسة وثبتت فائدتها ، وإن كانت لم تبلغ بعد مرتبة الكمال . وفى وسع الأمريكيين أن يعرضوا هذه السياسة على سبيل المساهمة الإنشائية فى سلام الجنس البشرى وحرياته . ومما يسر لنا تقديم هذه المساهمة أنه لم يكن فى النصف الغربى من الكرة شىء يسمى توازن القوى ، وقد كان من الممكن أن يفضى هذا ، طبقاً لتجارب أوربا ، إلى قيام إمبراطورية أمريكية ، غير أنه أفضى بدلا من ذلك إلى بدعة فى الشئون الإنسانية ، وإلى البديل الصحيح الوحيد من الإمبراطورية وهو ما نسميه سياسة الجوار الحسن .

ولما كانت الأمم المستقلة كثيرة ، فإنه ما من واحـدة من أمم الأطلسى فيما عدا الولايات المتحدة إلى حـد ما ، ذات كفاية ذاتية . ومن هنـا كانت منطقة الأطلسى هى المركز التاريخى للتبادل الاقتصادى الدولى ، وقد تركت الحاجـة إلى التجارة الدولية طابعها الخاص على شئونها الاقتصادية الداخلية ، وقد أدى هذا إلى تشجيع التجارة الفردية والخاصة والمغامرة الفردية أيضاً .

المدار الروسى

قامت الحرب مرتين فى هذا القرن بين ألمانيا وروسيا ، وقد أقنعت الحربان روسيا بأن الأمم الغربية عاجزة عن منع ألمانيا من غزو أوربا الشرقية وروسيا ، ومن أجل هذا لا يسع الروسيين إلا أن يعـدوا المنطقة الواقعـة شرقى ألمانيا وحـدة استراتيجية للسلامة قائمة بذاتها .

ومهما يكن عظم تقديرنا للمعونة التى قدمتها بريطانيا وأمريكا لروسـيا فى هذه الحرب ، فإن الحقيقة الجليـة هى أن طرد الجيوش الألمانية من الأراضى الروسـية يتوقف إلى أكبر حد على الجيش الأحمر وجهود الشعب الروسى ، فمن الواضح إذن أن روسـيا قائمة فى نطاق من السلامة الاستراتيجية منفصل عن نطاق جماعـة الأطلسى .

وليس معنى هذا أن المنطقتين الروسية والأطلسـية ليست بهما حاجة إلى التبادل والتعاون ، فما بإحداهما غنى عن الأخرى ، ومن البديهى أن روسـيا وحدها ما كانت تستطيع أن تهزم ألمانيا ، وكانت أخلق بأن تكون أعجز عن ذلك لو كانت اليابان فى حرب معها أيضاً ، ومن البديهى أيضاً أنه لو كانت الأمم الغربية غير متحالفة مع روسيا لضعف أملها فى الانتصار على ألمانيا واليابان معاً ، وهـذه هى القاعدة التى يقوم عليها تحالف الأمم الغربية مع الاتحاد السوفييتى ،

فإن لنا جميعاً نفس الأعـداء ، وليس فى وسعنا أن نهزمهم بغير المعونة المتبادلة .

فالسلم بعد هـذه الحرب سيكون مناطه الاحتفاظ بالتحالف بين المـدار الروسى وجماعـة الأطلسى ، ويتوقف قيام حرب عالمية ثالثة أو عـدم قيامها فى القرن العشرين على استقرار الروسيين فى مدارهم ، ودول الأطلسى فى مدارها ، وعلى توحيد السياستين من الجانبين حيال المانيا واليابان .

المنطقة الصينية

للصين جارتان كبريان هما اليابان وروسـيا ، وإذا نحينا جانباً خرائط عصر السفن الشراعية ، وتأملنا الكرة الأرضية ، فإننـا لا نلبث أن ندرك أن الطرق الجوية المباشرة إلى قلب الصين من الولايات المتحدة تمر فوق الأراضى الروسـية ، وأنه حتى الطرق البحرية تجتاز المياه الروسية واليابانية .

وقد بين مجرى هـذه الحرب أثر ذلك فى مركز الصين فى العالم ، فقد استطاعت اليابان أن تقطع مواصلات الصين البحرية مع الولايات المتحدة ، ومع ذلك استطاع قلب الصين العميق بمعونة ضئيلة منـا أن يقاوم الغزو اليـابانى زمناً طويلا ، وإذا صح ما يذهب إليه أوين لاتيمور ، وهو صديق للصين مخلص ، من أن الصين الجديدة فى المستقبل لن تـكون على الشاطئ وعلى نهر يانج تسى بل فى المنطقة الداخلية العميقة ، وأن تحول الصين إلى بلاد صناعية « سـيكون وطيداً فى قلب تلك المنطقة » ، فإن مؤدى ذلك أن الصين بعـد تحررها من اليابان ستصبح مستقلة عنا من الوجهة الاستراتيجية ، وتـكون علاقاتها الحيوية فى الشئون الخارجية مع جيرانها على حدودها البرية — مع روسيا وعلى الأيام مع الهند .

وستتكون وحدة إقليمية أخرى حول الصين ، ومتى حققت الصين الاتحاد السياسى الداخلى ونموها الصناعى ، فإنها تصبح دولة كبرى قادرة على تدبير أمر سلامتها الإقليمية بين الأمم الصغرى مثل الهنـد الصينية وبورما ، وتايلاند ، والملايا .

التسوية مع اليابان

إن التسوية التى ستعقد مع المهزومين ستكون رهناً بتنظيم أمور المنتصرين ، فإذا سأل سائل : أى مكان يعد لليابان وألمانيا ؟ قلنا : إن الجواب لا يتيسر إلا إذا كان هناك اتفاق سابق على نظام العالم بعد الحرب .

وقد ارتبطت الولايات المتحدة والصين وبريطانيـا العظمى ، فى التصريح الذى أصدرته فى القاهرة ، بشروط معينة تضع حدوداً جـديدة لليابان ، وسترغم على أن

ترد إلى الصين كل الأراضى الصينية وفى جملتها منشوريا ، « وستنزع منها كل الجزر التى فى المحيط الهادى » والتى احتلتها فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وستطرد من كل الأراضى التى سيطرت عليها أو احتلتها منذ صيف سنة ١٩٤٠

وإذا أخذت هذه الشروط جملة كان مؤداها أن اليابان ستطرد من أرض القارة الأسيوية وستفقد قوتها البحرية فى المحيط الهادى ، وتعود اليابان مرة أخرى أمة فى جزيرة فى محيط لغيرها فيه السيادة .

ولن يكون هنـاك معنى لفرض هـذه الشروط الآن إلا إذا أدمجناها فى تسوية خليقة بالدوام. ويجب أن تبدأ التسوية بأن تكون مما لا يسع اليابان نقضه ، ثم يجب أن تصبح تسوية تقبلها وترتضيها الأمة اليابانية فى النهاية .

وهذه هى الغاية العامة لأية تسوية دائمة لحرب عدوانيـة : إخماد جماعة الحرب ، وحماية أنصار السلم بأن تكون الهزيمة تامة لا تنقض ، والسلم مما يقبل .

ومتى أقصيت اليابان عن أرض القارة فإنها لا تستطيع أن تعود بغير موافقة روسيا والصين ، ومتى أخرجت من جزر المحيط الهادى فإنها لا تستطيع أن تعود إليها إذا صممت الولايات المتحـدة على منعها ، وعلى هذا فإن الشروط التى تضمنها تصريح القاهرة تبقى نافذة إذا أيدتها روسـيا والصين والولايات المتحدة .

أما إذا وقع نزاع جدى بين هذه الدول الثلاث ، فإن اليابان تجد ما يغريها بالسعى مرة أخرى لاسترداد ما فقدت ، لأنه إذا قام خلاف بين هـذه الدول الثلاث فإنه بعضها ، والأرجح أنها جميعاً ، ستحاول على التحقيق أن تفوز بتأييد اليابانيين .

فالتسوية مع اليـابان مقعد ذو ثلاث أرجل فهو لا يستطيع أن يظل قائما إذا غيرت إحدى الدول الثلاث سياستها حيال اليابان .

وينبغى فى معاملتنا السياسية للأمة اليابانية أن نتبع زعامة الصين ، وهذه هى الطريقة الوحيـدة لاتقاء الخطر العظيم الذى ينشأ من أن تصبح اليابان فى نظر العالم الشرقى كله أمة شرقية يضطهدها الغربيون .

وينبغى أن نفرض أن الصينيين أقدر مما نطمع نحن أن نكون على رسم الخط الفاصل بين العدل الذى تعده آسيا عدلا ، والانتقام الذى تنفر منه آسيا على اعتبار أنه مظهر لتحكم الرجل الأبيض . وأخلق بأن تبلغ أمريكا غايتها إذا أصبحت اليابان عاجزة عن استعادة قوتها الحربية للضرب مرة أخرى ، أما إصلاح اليابان وإعادة إنشائها

فأمر فوق متناولنا ، وإنا لنكون حكماء إذا نحن وثقنا علاقتنا بالصين بأن نصبح معها فى هذه الشئون فى المحل الثانى منها .

وإنا لنرجو أن تكون الإصلاحات بعيدة المدى، وأن تحدث انقلابا فى النظام الاجتماعى والثقافى اليابانى الإقطاعى الإمبراطورى . وينبغى أن لا يختلط علينا الأمر مرة أخرى بدعاية العدوان ، القائلة إن اليابان لا بد أن تتسع بالفتح لأنها أمة لا تملك شيئاً ، فإن اليابان ، كما يقول أوين لاتيمور « لم تكن قط أمة محرومة بقدر ما كانت أمة مسالمة منظمة كالسويد اليوم » .

ولكنا لا نستطيع أن نعالج ثورة يابانية، وأقصى ما يدخل فى طاقتنا هو أن نجعل الثورة محققة بأن نجعل الهزيمة تامة ساحقة.

التسوية مع ألمانيا

وشأن ألمانيا كشأن اليابان ، وليس فى وسع الحلفاء أن يهتدوا إلى أى حل حتى يوطدوا علاقاتهم فيما بينهم ، والتسوية مع ألمانيا تدوم ما دامت العلاقات بين جماعة الأطلسى والمدار الروسى .

ومن المتفق عليه أن ألمانيا يجب أن ينزع سلاحها نزعاً تاماً ، والمسألة هى من الذى سيقوم بالحراسة؟ وإلى متى ؟ ويذهب البعض إلى أن ألمانيا ينبغى أن تسلخ منها أرض لبولندا . فإذا كان هذا هكذا فالمسألة هى كيف تدافع بولندا عن هذه الأرض ؟ ويطلب بعضهم تمزيق ألمانيا لتصبح دولتين أو ثلاثا ، والمسألة التى يثيرها هذا التمزيق هى كيف تمنع الأجزاء من الاتحاد مرة أخرى؟ ويقول بعضهم إن بين الألمان أخياراً وأشراراً ، ويدعون إلى تأييد الألمان الديمقراطيين ، على حين يشير غيرهم إلى التاريخ ويذهب إلى أن الألمان الديمقراطيين قد تبعوا دائماً الألمان العسكريين .

وليس لكل هذه الأسئلة جواب إلا إذا استطعنا أن نقول بلهجة اليقين : إن الأمم المحيطة بألمانيا ستنظم تنظيما متيناً ، بحيث تكون كل أمة منها موثوقاً بقيامها بنصيبها من التسوية الألمانية ، فى نطاق وحدتها الاستراتيجية ، فإن هذه هى المقدمة الكبرى التى لا غنى عنها فى كل مشروع مما ذكرنا .

فإذا استطاعت ألمانيا أن تفصل أية واحدة من جاراتها وتجتذبها إلى نطاق ألمانى فإنه ما من مشروع بالغاً ما بلغ من الشدة أو اللين ، يمكن أن ينفذ ، وكل مشروع لنزع السلاح أو الضم ، أو التقسيم أو المحافظة على كيان ألمانيا كدولة ديمقراطية مع إيتائها المساواة فى الفرص الاقتصادية — كل مشروع يحبط إذا استطاعت ألمانيا أن تنزع فرنسا مثلا من جماعة الأطلسى أو

بولندا من النطاق الروسى .

فالمسألة الكبرى إذن هى مبلغ دوام الإطار الاستراتيجى والسياسى الذى توضع فيه التسوية مع ألمانيا .

ولا خير فى أن تتصور أن أى نظام خاص داخل ألمانيا يمكن أن يبقى إلى الأبد ، ورأيى المبنى على الدلائل المستفادة من الحروب الماضية هو أن الأزمة ستنشأ بعد نحو ١٥ سنة على وجه التقريب بعد الهدنة، فإذا عقدت الهدنة فى سنة ١٩٤٥ فإن ألمانيا فى سنة ١٩٦٠ تقريبا ستتجه إما للاستعداد لحرب جديدة ، وإما إلى الإخلاد إلى سلم حقيق ، وسيكون مدار الأزمة: هل يقطع الجيل الجديد ما بينه وبين القدماء من حزب الحرب أو يتبعهم كما تبع النازى رجال الجامعة الألمانية القدماء ؟

وقد تسنى — بثمن فادح وخطر جسيم — الحيلولة بين ألمانيا وبين النصر بقيام التحالف الذى كان يستطيع أن يمنع الحرب لو أنه كان قائماً قبلها ، فبعد خمسة عشر عاماً من اليوم يجب أن يكون هذا التحالف الذى نشأ فى زمن الحرب ، قائماً وطيدا وإلا استطاع حزب الحرب الألمانى أن يقنع الجيل الجديد بأن محاولة جديدة خالية من أخطاء هتلر ، هى فرصة ذهبية .

وستكون الحياة قاسية فى ألمانيا المقهورة، وأخلق بالأمل فى النجاة — وهو ما ينشئه إحباط التحالف — أن يجعل أعمال التجديد والإنشاء مرهقة مضنية لا تطاق . وإذا اعتقد الألمان أنهم يستطيعون أن ينقضوا ذلك الإطار، فإن حزب الحرب سيعد الهزيمة العسكرية صدمة وقتية ، وإذا اعتقدوا أن هذا ليس فى وسعهم فإن الديمقراطية الألمانية المسالمة قد تستطيع أن تخضع حزب الحرب وأن تصفيه فى النهاية .

ولا شك أن شروط الصلح الخاصة بالأراضى والتعويضات وعقاب مجرمى الحرب على جانب عظيم من الأهمية ، ولكنى أذهب إلى أنه فيما يتعلق بهذه الشروط ، قياساً على ما أسلفت فيما يتعلق بمعاملة اليابان سياسياً ، ينبغى أن تتقى الولايات المتحدة أن يكون لها مقام الزعامة . وكما أن الخير أن ندع للصين الزعامة السياسية فى معاملة اليابان كذلك من الحكمة أن ندع للشعوب الأوربية التى هى ضحايا ألمانيا وفريستها ، أن تسوى الحساب الأدبى والسياسى ، فإن الذى يعنينا فوق غيره هو أن تكون التسوية دائمة، وهل يبقى أو لا يبقى حزب الحرب فى ألمانيا ؟

ذلك أن الهدنة لن تقضى على حزب الحرب لأنه يستطيع أن يختفى تحت الأرض بضع سنوات ، وسيحاول أن يدفع ألمانيا إلى مركز تستطيع فيه أن تحتفظ بالتوازن

بين روسيا والعالم الغربى . وسيناشد جماعة الأطلسى أن تأذن فى رد قوة ألمانيا لتوازن بأس روسيا ولتصد الشيوعية عن الانتشار . وكل نجاح يحرزه الألمان بفضل هذا النداء فى باريس ولندن ووشنطون ، سيبادر ساستهم إلى إعلانه فى موسكو لإثارة مخاوف السوفيت القديمة ، وظنهم السابق أن العالم كله متألب عليهم كما كان فى ١٩١٩–١٩٣١ ، وستحاول ألمانيا بضرب هذا الفريق بذاك أن تحرر من قيود التسوية وتشرع فى بناء قوتها الحربية مرة أخرى .

وعلى هذا يجب أن تكون غايتنا الأولى من الحرب غير قابلة للتغيير ، وهى أن نجعل من المستحيل على ألمانيا أن تقف موقفاً تمسك فيه ميزان القوة بيننا وبين روسيا .

ويبدو لى أن ألمانيا المنزوعة السلاح تستطيع فى النهاية أن تستقر فى أمان داخل نطاق التبادل الاقتصادى الدولى لجماعة الأطلسى ، ولكنها لا يمكن أن تقبل فى هذا المحل إلا بالموافقة المخلصة من الاتحاد السوفيتى ، ولهذا ينبغى أن لا تدخل ألمانيا فى النظام العسكرى لأمم الأطلسى ، فإن جعل ألمانيا المنزوعة السلاح متوقفة فى حياتها على التجارة المحمولة بحراً هو خير ضمان للقضاء على التوسع الألمانى القديم العهد ، شرقاً .

ولتمام القضاء على هذا التوسع إلى الأبد ، ينبغى أن تعزز السلامة الاستراتيجية للمنطقة الروسية بمحالفات متينة بين روسيا والأمم الشرقية الأخرى المجاورة لألمانيا .

ولا سبيل إلى عزل ألمانيا عزلا دائماً ، فإن أمم العالم لن تقبل أن تقضى سنوات طويلة عديدة تراقب ألمانيا فى مدرسة إصلاحية ، ولا بد أن تأخذ ألمانيا على الأيام مكاناً معترفاً به لها فى العالم ، وأمامها إحدى منطقتين — جماعة الأطلسى أو النطاق الروسى ولا ثالث لهما .

ولكن النطاق الروسى ليس فيه مكان لألمانيا يكون محتملا ومأموناً من الأمم الشرقية أو الغربية ، فإن ألمانيا الداخلة فى النطاق الروسى تكون عدواً داخلياً خطراً يهدد اتحاد السوفييت ، ولما كان إدخال ألمانيا فى المدار الروسى يبلغها شواطئ الأطلسى ، فإن هذا الحل يكون مما لا يحتمله العالم الغربى .

ولكن إذا صارت ألمانيا أمة تجارية عزلاء فى نطاق جماعة الأطلسى ، فإنها تصبح آمن ما يمكن على أوربا وعلى العالم .

الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة

إننا بالانتفاع الحكيم بانتصارنا نستطيع أن ننهى سلسلة الحروب التى خربت العالم

مدى خمسين عاماً ، فيتيسر لنا أن نفوز بأكثر من هدنة لا تبقى إلا ما بقيت الأمم أشد كلالا وإعياءاً من أن تقاتل ، ونظفر بسلم طويل لم يعرفه رجل متوسط العمر فى عصرنا ، ويجىء زمن لا تكون فيه الحروب وإشاعات الحروب شاغلنا الدائم الرهيب .

ويتوقف المستقبل على العلاقات بين اتحاد السوفيت والولايات المتحدة أكثر مما يتوقف على غيرها ، فإن كلا منهما الآن مركز الثقل فى مناطق شاسعة من الأرض ، وفى وسعهما أن يمنعا نشوب حرب عالمية ثالثة ، فإذا اقتتلتا فإنها تكون أفظع حرب شهدها العالم .

ولم يسبق قط فى العصور الحديثة أن اتفق مثل هذا التوزيع للقوة الحربية كما سيحدث بعد أن نكسب هذه الحرب ، فإن أقوى دولتين فى العالم سيكون بينهما من البعد أطول ما يمكن ، ذلك أن قلب القوة السوفيتية فى الأورال — فى جوف القارة الأوربية الأسيوية ، والقوة الأمريكية فى وادى المسيسبى فى قلب قارة أمريكا الشمالية ، ولم يسبق منذ أكثر من ألف سنة أن نشأ مثل هذا الأمل فى سلم مستقر ، فقد عدنا إلى عصر فيه دولتان عظيمتان قادرتان على شن حرب شعواء ولكن كل واحدة منهما ممتنعة على الأخرى .

فنى الغرب لا تستطيع الدولتان أن تشتبكا إلا بعبور أوربا وقد تشنان حرب حدود فى حيث تلتقى أو تتدانى سيبيريا وألاسكا ، ولكن الأمريكيين لا يستطيعون أن يغزو ويحتلوا الأورال عن طريق ألاسكا ، ولا الروسيون يسعهم أن يغزو ويحتلوا وادى الميسيسبى عن طريق سيبيريا . فشبوب حرب تدار مباشرة بين روسيا والولايات المتحدة تبدو لنا على قدر ما نستشف من حجب المستقبل مستحيلة كاستحالة قتال بين فيل وحوت .

ولكن الحرب ممكنة إذا كانت عامة تشترك فيها الأمم الأخرى ، وهذه هى الحقيقة التى يجب أن نعنى بها ، فروسيا والولايات المتحدة تستطيعان أن تقتتلا فى الشرق إذا هيأت لهما اليابان والصين مواطن الضرب ، وفى وسعهما أن تتحاربا فى الغرب إذا دخلت فى الحرب أولا أوربا كلها وبريطانيا العظمى ، فهما لا تستطيعان أن تتماسكا وتتصارعا إلا بواسطة الحلفاء .

وهكذا صارت روسيا وأمريكا فى مركز يتوقف فيه أمر السلم والحرب بينهما على السياسة التى ينتهجانها فيما يتعلق بمحالفاتهما ، وفى وسعهما أن تنعما بالسلام إذا استخدمتا محالفاتهما لتوطيد سياسة حلفائهما الخارجية . وهما خليقتان أن تشقيا بالحرب إذا حاولت

احداها أن تحالف أمـــة داخلة فى نطاق الأخرى ، أو إذا حاولت أن تضم ألمانيا أو اليابان إلى وحدتها الاستراتيجية الخاصة . وأخلق بالعالم كله أن يدرك على الفور أن بوادر حرب عالمية ثالثة قـد ظهرت إذا تحالف اتحاد السوفييت مع ألمانيا أو اليابان، وكذلك إذا عقدت أمة من جماعة الأطلسى — كبريطانيا أو فرنسا مثـلا — محالفة ليست مفتوحة للاتحاد السوفيتى أو بغير موافقتها — مع ألمانيا أو مع أية دولة داخلة فى النطاق الروسى مثل بولنـدا — فإن حادثاً كهذا يكون علامة لا شك فيها منذرة بتصدع بناء السلم .

ونحن متى أخذنا بمبدأ الجماعات الإقليمية نستطيع أن نصل إلى قاعدة عملية نستشف بها نية العدوان ، فإنه إذا أريد منع الحرب ، يجب أن يحال دون العدوان قبل أن يعبر المعتدى الحدود بزمن طويل ، لأن الانتظار إلى أن يقع العدوان فعلا مؤداه أن يكتسب المعتدى كل مزايا البدء بالعمـل ، والوقت الذى يمكن أن تمنع فيه الحرب هو قبل أن يصبح المعتدى قادراً على الضرب ، وهـذا الوقت هو الذى يسعى فيه سـعيه السياسى لعزل الضحية .

وبمقتضى المبدأ الإقليمى الذى اشير به ، يكون من أعمال العدوان الصريح أن تحاول أية دولة أن تجاوز مدارها الاسـتراتيجى لمحالفة دولة أخرى فى مدار آخر . ولا بأس بالمحالفات داخل نطاق جوار اسـتراتيجى واحد ، فإن الجيران ينبغى ان يتحـدوا ويتعاونوا لخيرهم جميعاً ، ولـكن المحالفات تنقلب شراً إذا جـدت دولة غريبة وزجت بها فى جيرة خاصة . وما من أحد يعترض على محالفتنا لكندا والمكسيك ، ولـكن إذا عقدت المكسيك محالفة مع اتحاد السوفييت ، فإن كل امرىء يعرف على الفور أن السلام تعكر صفوه ، وإذا عقـدنا نحن محالفة مع إيران أو رومانيا ، فإن العالم كله يكون محقاً فى إساءة الظن بنياتنا .

ما بين اتحاد السوفييت والولايات المتحدة

لما كانت علاقاتنا مع اتحاد السوفييت هى التى يرتهن بها قيام حرب عالمية ثالثة أو عدم قيامها ، فإنه ليس فى وسعنا أن نجعل علاقاتنا حسنة إلا بالصراحة التامة ، ولا يجوز أن تـكون سياستنا حيال روسيا وقتية أو ليوم من أيام الصيف فقط ، بل ينبغى أن تـكون من المتانة والقوة بحيث يسعها أن تحتمل أعاصير الشـتاء ، ومع ذلك فإن علاقاتنا المتبادلة محوطة بمتناقضات عميقة تحول دون التعاون القائم على الثقة .

وأول ما نواجهه من هـذه المتناقضات

أن الصلات الدبلوماسية ليست قائمة على قاعدة المساواة والتبادل ، فحكومة السوفييت تحتفظ بنوع من « الحجر » على الاتصال الحر بنا ، والرسائل الخارجية من روسيا بعد مراقبتها لا تسمح لنا بأن نعرف عن روسيا إلا ما ترى الحكومة أن نعرفه ، والرسائل الواردة على روسيا تراقب فلا تسمح للشعب الروسي بأن يعرف عنا بل حتى عن أعمالنا الرسمية — إلا ما ترى الحكومة أن يعرفه .

ومؤدى هذا الحجر السوفييتي ، أن الحكومة السوفييتية ، تستطيع — في الشئون الخارجية — أن تستخدم التكتم والمفاجأة في مناورات تقوم بها على نحو لا تستطيعه الحكومات الديمقراطية ، فإن نظمنا لا تجعل في وسعنا — إلا إذا هدمناها — أن نعاملها بالمثل فنقيم نحن أيضاً حجراً ، ونحن على خلاف السوفييت لا نستطيع أن نرسم سياساتنا إلا بعد بحث ومناقشة فيتنبه العالم كله .

بعد هذه الصعوبة الأولى ، تجيء صعوبة أخرى ، ذلك أنه في سنة ١٩٤١ ألغت السياسة الخارجية السوفييتية مشروع الثورة الشيوعية الدولية ، وأعلنت تأييدها التام للنظم والمبادئ الديمقراطية في الخارج . والدستور السوفييتي المعلن في سنة ١٩٣٦ ديمقراطي الصبغة والروح وهو يشمل بياناً بالحقوق المدنيــة ويتضمن النص على نظام انتخابي قائم «على حق التصويت العام المباشر والمساواة فيه » ، ولكن هذه الأحكام الديمقراطية التي اشتمل عليها الدستور لم تطبق قط في روسيا السوفييتية ، فلا مفر للعالم من ان يتساءل عن التصريحات الديمقراطية الجديدة التي أعلنتها السياسة الخارجية السوفييتية هل ستصبح في الواقع نافذة ؟ وليس في وسعنا أن نغضي عن هذا الأمر إذا كان مبتغانا التفاهم التام مع روسيا السوفييتية ، ولا بد لنا من تناول هذه الشوكة بقوة وإن آذتنا وأوجعتنا ، فإن نظام العالم في الجيل المقبل سيقوم على قاعدتي جماعة الأطلسي والاتحاد السوفييتي ، وهو لا يستطيع أن يظفر بثقة الأمم وتأييدها وولائها ما لم يسو هذا النزاع المبدئي على حقوق الإنسان المدنية .

ولكن قبل أن نبحث هذا الموضوع بإخلاص وضمير نقي ، يحسن بنا أن نذكر أنفسنا بالوجه الآخر ، فما نسيت روسيا أن حلفاءها السابقين في الحرب العالمية الماضية سيروا عليها جيوشاً اشتركت في الحرب الأهلية على الرغم مما أعلنوه من مبدأ عدم التدخل ، وهذه الاسترابة من جانب روسيا في نيات

الدول الغربية — وهى تقابل استرابة الدول الغربية فيها — يمكن محوها نهائياً بتأييدنا لتسوية تقضى قضاء مبرماً على التهديد الألمانى واليابانى لسلامتها . وعلى هذه القاعدة نستطيع أن ننشد بجرأة التفاهم الدائم مع اتحاد السوفييت .

أما النزاع على الحقوق المدنية الأولية — وهى أصل الصعوبات — فيمكن تسويته، ومن حقنا أن نطمع فى ذلك ونتطلع إليه ، فمنذ صرنا حلفاء فى الحرب ازداد اتحاد السوفييت فى سياسته الخارجية أخذاً بالمبادىء الديمقراطية دون الكآبة ، ولما كان السوفييت أنفسهم قد أعلنوا أخذهم بالمبادىء الديمقراطية فى بلادهم بدستور سنة ١٩٣٦، فإن الخلاف على المبادىء الإنسانية الأولية لا وجود له من الوجهة النظرية ، بل الواقع أنه غير موجود إطلاقاً لأن الدستور السوفييتى لم يصبح قط نافذاً تنفيذاً كاملا.

ولهذا بقي العالم يتساءل: لماذا ظل الاتحاد السوفيتى على الرغم من دستوره دولة كلية النظام تحت دكتاتورية الحزب الشيوعى ؟ ويستطيع الذين يميلون إلى روسيا أن يقولوا كما قال سوروكين أن « النظام الصارم » السائد الآن لم يعد تلك الدكتاتورية المطلقة التى كانت قائمة فى العهد الأول من الثورة ، وإنما هو « نظام حكم عرفى » ناشىء عن « الضرورات القومية » التى أثارها « العدوان النازى » . أما الذين يسيئون الظن فسيقولون إن حكومة السوفييت ، بإعلانها الأخذ بالمبادىء الديمقراطية ، مع مزاولة الحكم الدكتاتورى إنما تعمل بسوء نية لتخدع الإنسانية وتحكمها

وليس الجدل فى أى هذين التفسيرين هو الصحيح ، بقادر على أن يحسن العلاقات ويقيمها على الثقة ، وإنما يقدر على حسم الخلاف السوفيت أنفسهم ، لا المراقبون الأجانب ، وذلك بما يفعلون بعد الحرب ، بل حتى فى أثناء الحرب ، لتنفيذ دستورهم .

ونحن نفهم أن الحروب العظيمة الخطر لا يمكن خوضها بنجاح فى ظل الحرية الديمقراطية ، وقد جاءت الحرية الديمقراطية فى روسيا بدعة وانقلاباً ، فلم يكن يسعها أن تخاطر بالتعرض للاضطراب والارتباك فى وقت كانت فيه على وشك أن تهاجم مهاجمة وحشية ، ولكن بعد إنزال الهزيمة التامة بألمانيا واليابان — وهما عدوا روسيا الوحيدان — يزول الداعى إلى الاحتفاظ بالدكتاتورية والحكم العرفى ، أما إذا بقيتا فكيف يمكن تفسيرهما وتعليلهما؟ إن الروسيين لا يستطيعون أن يتوقعوا فى العالم أن يثق عبادئهم الديمقراطية فى سياستهم الخارجية إذا هم لم يطبقوا هذه المبادىء فى بلادهم

بيان الحقوق

أعتقد أنه ينبغي عند وضع دستور النظام العالمي أن نقترح تضمينه بياناً بحقوق الأمم التي هي أعضاء فيه ، وهي الحقوق المدنية التي اشتمل عليها الدستور السوفييتي ودساتير الدول الغربيــة جميعاً ، ومتى ضمنا الميثاق الدستوري للعالم هــذه الحقوق ، فإن ذلك يجعله عهداً بأن تكون أحكامه نافذة ، ويصبح اتحــاد السوفييت ملزماً بتنفيــذ دستوره ، وتكون الديمقراطيات الغربية ملزمة بالاحتفاظ بنظمها الدستورية ضــد الحركات الكلية من فاشية أو شيوعية .

وهكذا يجب علينا أن نذهب إلى روسيا، فإن مفتاح البــاب في يدها ، ولا بد لنا أن نخاطبهم بصراحة كحلفاء ينوون أن يكونوا أصدقاء ، وأن نطالبهم بأن يعاونوا على كفالة مستقبل العــالم في ظل الحرية الديمقراطية .

ولنا أن نرجو وأن نعتقد أنهم لن يرفضوا ، أما الدليل على قبولهم ، فهم وحدهم الذين يستطيعون أن يقدموه بالتــدابير التي يتخذونها بعد انتهاء الحرب لإنجاز وعودهم الدستورية ، ولجعل تبادل الأنباء والآراء بين شعبهم وبين حلفائهم الحاليين حراً ، وعلى قدم المساواة وقاعدة التبادل .

فإذا رفضوا فإنه يظل في وسعنا أن نبذل قصارى جهدنا للسير معهم ، وأن نواصل بذل الجهود بالطرق الدبلوماسية العادية لمنع قيام حرب عالمية ثالثــة ، ولــكنه يحسن بنا إذا رفضوا أن لا نخــدع أنفسنا أو نغالطها بالاســتنامة إلى ما ليس له حقيقــة ، وهو مظهر جماعة عالمية للاحتفاظ بالسلم .

غايات الحرب

وأنا أرى أن الغايات التي سأجملها فيما يلي جلية ، وهي التي يجب على الأمــة أن تقرر ما ترى فيها ، أما عــدا ذلك فعبارة عن مفاوضة وتشريع وإدارة ، وليس في وسع الحكومة أو الــكنجرس أن يتبين أهداف المفاوضة في علاقاتنا الدولية بعد الحرب إلا إذا حددت العلاقات الأساسية تحديداً صحيحاً دقيقاً .

وغاياتنا من الحرب إجمالا ، هي أنه يجب على الولايات المتحدة :

١ — أن تعمل على توطيد العــلاقات الاستراتيجية والدبلوماسية القائمة الآن ، بين جماعة الأطلسي : أي مع جماعــة الأمم البريطانية وإمبراطوريتها ، ومع الجامعــة الأمريكية ، ومع فرنسا وإمبراطوريتها ، وبلجيكا والبــلاد الواطئة (هولنــدة) ومستعمراتها ، ولــكسمبورج ، والنرويج والدانمارك ، وإيسلاند ، وأن تحاول توسيع

نطاقها بحيث تشمل البرتغال ، وإسبانيا ، وإيطاليا ، واليونان ، وإرلندة الحرة ، والسويد .

٢ — أن تعترف للنظام الاستراتيجى للوحدة الروسية بصحتها وشرعيتها ، وبأنها تشمل الأمم الواقعة شرقى ألمانيا وغربى اتحاد السوفييت ، وعليها بعدئذ أن تبلغ حكومة السوفييت رأيها أن التعاون فى نظام عالمى عام يكون حقيقياً وحراً ، أو مقيداً ومشكوكا فيه ، بحسب ما تتوقاه الدول — ولا سيما أقواهن — فى بلادها من الاحتفاظ بالحريات الديمقراطية التى ترغب فى تعزيزها فى الخارج .

٣ — أن تعترف بأن الصين ستكون مركزاً لوحدة استراتيجية ثالثة يقدر لها أن تشمل جميع أراضى القارة الأسيوية الشرقية بين حدود الاتحاد السوفيتى والهند

٤ — أن تعترف بأن الأمم الإسلامية ، والهندية — فى إفريقية الشمالية والشرق الأوسط ، وجنوبى آسيا ، ستؤلف فى الوقت المناسب وحدات أقليمية خاصة بها .

٥ — أن تجعل المبدأ الأساسى للتسوية فى الشرق الأقصى أن اليابان لا تستطيع أن تحتفظ بتوازن القوى فى الشرق الأقصى بين الصين واتحاد السوفييت والولايات المتحدة ، وأن تجعل الغاية الأولى الأساسية للتسوية الألمانية أن ألمانيا لا تستطيع أن تحتفظ بالتوازن الدولى بين جماعة الأطلسى والوحدة الروسية .

٦ — أن تعترف بأن الغاية العامة لأية تسوية دائمة لحرب عدوان، هى إخماد حزب الحرب وحماية حزب السلم ، بأن تكون الهزيمة تامة ماحقة والسلم مقبولا مرضياً .

وأنا مقتنع أن الأمم باتباعها خطوط هذه السياسة تستطيع أن تخلد إلى سلام طويل . وليست هذه مجرد أداة دبلوماسية قائمة على خيالات قانونية ، وإنما هى نظام جلى لدول العالم اليوم ، وهو جلى لأنه يتطلب من الأمم أن تعين سياستها الخارجية مع جاراتها وتوطدها ، وهذه الأمم لا تنزل أو تتخلى عن سيادتها ، ولكنها تنزل عن حقها فى المناورات الدبلوماسية الذاتية فى المعاملات والعلاقات الدولية ، وأنا أزعم أنه لا يمكن إقامة جماعة عامة ناجحة إلا على القواعد الوطيدة لمثل هذا السلم المنظم .

غلطة ١٩١٩

وأنا أدرك أن هذا لم يكن الرأى الأمريكى السائد فى أيام الرئيس ولسون ، فقد كان يعتقد أن من الممكن أن يوكل إلى جماعة عامة كعصبة الأمم إيجاد السلام وحفظه ، وأنا فى هذا البحث أذهب إلى نقيض هذا

الرأى على خط مستقيم ، فإن الولايات المتحدة لا بد أن تعتمد أولا على قوتها المسلحة ومقدرتها القومية ، ثم على نظام عالمى عام .

إن الحرب لا يمكن أن تمنعها إجراءات جماعة عامة ، والنظام العالمى لا يمكن أن يحرسه الشرط ، فإذا كان هذا هو المنتظر منه أن يفعله فإنه لن يخفق فقط كما أخفقت العصبة ، بل إنه يثير على التحقيق خلافات ويقسم الأمم صفوفاً ويعجل بالفشل .

وكان هذا ، فى جوهره ، هو رأى فرنسا فى سنة ١٩١٩ ، وينبغى أن نعترف الآن بأن كليمنصو كان على حق ، وأن ولسون كان مخطئاً ، فقد كان الذى يفتقر إليه العالم فى سنة ١٩١٩ ، قبل كل شئ ، هو وضع تسوية دائمة مع ألمانيا ، تدابير مقنعة لإبقاء ألمانيا مسالمة حتى تعتاد الحكم الديمقراطى . ولكن إصرار ولسون على جعل التسوية مع ألمانيا فى المحل الثانى ، وجعل مشروع السلم العالمى فى المحل الأول ، حرم ألمانيا السلامة التى لا يكفلها لها إلا حلفاء يعول عليهم .

والواقع أن الرئيس ولسون بإيثاره السلام عامة على السلام خاصة ، نسى ألمانيا وذهل عنها ، وقد افترض أن الهدنة سوت المسألة الألمانية ، ثم قصد إلى باريس ليفرض سلماً ولسونياً على الحلفاء ، وعلى الرغم من تحذير رجال مثل تيودور روزفلت ، ولودج ، ونوكس ، وغيرهم حل ولسون الائتلاف الذى كسب الحرب والذى كان هو الوحيد الذى يستطيع أن يكفل دوام التسوية . فإن مسئولية النظام تقع لا محالة على عواتق الحكومات المنتصرة ، وليس فى وسعها أن تنيب جمعية عالمية لم تكن قد وجدت بعد ، ولم يكد القوم يفرغون من إعداد نظامها ، فى حمل هذه المسئولية .

وخطأ ولسون العظيم هو ظنه أن جمعية عالمية تستطيع أن تحل محل الإدارة العامة للحياة الدولية ، ولا يزال هذا الخطأ شائعاً فى مقامات عالية ذات نفوذ بين الجمهور ، وهو يهدد بإحباط تنظيم العالم ، لأن الجمعية العالمية وإن كانت تعزز السلامة القومية والإقليمية ، لا تصلح أن تكون بديلا من الحدود الثابتة . والقوة المسلحة الكافية المنظمة بحكمة ، والمراكز الاستراتيجية ، والتحالف بين الحلفاء الطبيعيين الذين لا غنى عنهم .

والولايات المتحدة لم تقصد قط ، ولا يمكن أن تقصد ، أن تتخلى عن الدفاع عن قناة بناما ، أو عن قاعدتنا البحرية فى جمهورية كوبا المستقلة ، أو عن كندا والمكسيك وأمم البحر الكريبى . ولم يخطر لنا قط أن نعترف « بحق » كوبا أوهايتى ، أو جمهورية

بناما — وكلها دول مستقلة ذات سيادة — في عقد محالفات تتعارض مع المصلحة المشتركة لمنطقة أمريكا الشمالية كلها .

وأخطأ ولسون أيضاً في اعتناقه مبدأ تقرير المصير ، ونسي إبراهام لنكولن ، ونسي أعظم نزاع دستوري في تاريخ الولايات المتحدة ، ولم يعن قط بالفرق بين حق تقرير المصير ، وحق الانفصال ، وفاته أن جعل حق تقرير المصير قانوناً في المكان الأسمى في الحياة الدولية مفض إلى الفوضى الصريحة .

ذلك أن هذا المبدأ يمكن استخدامه — وقد استخدم فعلا — في تمزيق أوصال كل دولة منظمة تقريباً . ولم يكن أحد أعرف بهذا وأشد فطنة له من أودلف هتلر نفسه ، فقد كان مبدأ تقرير المصير أقوى أداة في يده لتوسيع الريخ بالضم ، وللقضاء على الوحدة المدنية للدول التي اعتزم أن يغير عليها — من الداخل . وقد لجأ هتلر إلى هذا المبدأ حين ضم النمسا ، ومزق تشيكوسلوفاكيا ، وهاجم بولندا ، وائتمر بروسيا ودس لها في أوكرانيا ، ولعب بالبرازيل .

وهكذا يكون مبدأ تقرير المصير إذا اعتبرت شر آثاره ، ترخيصاً بالتدخل والعدوان ، وهو على الرغم من ديمقراطيته السطحية لا يعد بالمعنى الدقيق أمريكياً في روحه أو من عوامل المدنية ، لأنه يرفض فكرة الدولة التي يجد فيها شتى الأجناس العدل والحرية تحت قوانين واحدة بحيث يمكن أن تصبح جماعة من الأمم . ومبدأ تقرير المصير الذي لا شأن له ولا علاقة بالحكم الذاتي وإن كان قد اختلط به ، هو مبدأ بربري رجعي ، لأنه بإقراره الانفصال يدعو الأكثريات والأقليات إلى التعادي وعدم التوافق ، ولا آخر لتقسيمه الجماعة الإنسانية إلى ذرات ، فإن الأقليات التي انفصلت عن الأكثريات تظهر فيها أقليات أخرى ترغب هي أيضاً في الانفصال .

اشتراك جماعات كبيرة

إن الجمعية العالمية لا يمكن أن تكون إلا اشتراكا اختيارياً من دول ذات سيادة ، ولا يمكن أن تكون حكومة عالمية لأنه ليس ثم وسيلة يمكن تصورها الآن تستطيع بها هذه الحكومة أن تنال من ألفي مليون من سكان الأرض سلطة التشريع وتنفيذ القوانين ، ولا يمكن بطبيعة الحال أن يكون هناك حق ورأي في الحكم في حكومة عالمية ، ولا وسيلة هناك لانتخاب حكومة عالمية ، ولا يعقل أن يسلم شعب الولايات المتحدة مثلا حقوق السيادة إلى جمعية تشريعية عالمية تقوم على قاعدة صوت واحد لكل فرد في الانتخاب ، فيكون الشعب الأمريكي بالقياس

إلى سكان آسيا ، على نسبة واحد إلى عشرة ، ومع ذلك كيف يستطيع الأمريكيون أن يدّعوا — وإلى أى مبدأ يستندون إذا ادعوا — أن أصواتهم ينبغي أن تكون أعظم قيمة وأثقل وزناً من أصوات بقية الآدميين ؟

على أننا نستطيع أن نقيم مجلساً عالمياً ، لا حكومة عالمية تحكم العالم — مجلساً تتشاور فيه الحكومات وتحاول أن تتفق ، فإن المسائل التى تعدها الدول حيوية لا يمكن أن تتقرر بالتصويت .

فى سنة ١٩٣٧ كانت هناك ٧٣ دولة لها حق معترف به فى التمثيل المستقل فى هيئة عالمية ، ومن الجلى أنه إذا كان لكل الأعضاء أصوات ، وإذا كان يجب أن يتفقوا ، فإنه ما من خلاف جدى يمكن أن يفصل فيه بإحصاء الأصوات .

وما علينا إلا أن نتذكر الضجة التى قامت فى هذه البلاد لأن بريطانيا كان لها « ستة أصوات » يقابله صوتنا المفرد ، أو انتفاضة الخوف حين أعلن اتحاد السوفييت أنه أصبح الآن مؤلفاً من ١٦ جمهورية ذات ست عشرة وزارة للخارجية ، وقد راح الذين يظنون أن الشئون الدولية يمكن أن تدار بالآليات السياسية ، راحوا يتساءلون ألا ينبغى أن تطالب الولايات المتحدة لنفسها بثمانية وأربعين صوتاً بعدد ولاياتها ! وهكذا نرى أن فكرة إدارة شئون جمعية عالمية بإحصاء الأصوات تفضى إلى مثل هذه السخافات .

إن الآفة التى ينبغى أن ننشد لها علاجا هى المحالفات المتنقلة بين الدول الكبرى ، والعلاج لهذه المحالفات التى لا تزال تتحول هو تثبيتها وتوطيدها ، و « الأقليمية » هى السبيل إلى ذلك ، إذ تدرك كل دولة أنها تابعة لمنطقة استراتيجية واحدة ، ليس إلا ، من السلامة ، ويكون مكانها غير موضع للشك ، ولا يبقى موضوعاً للدس والمساومة.

واعتقادى هو أن واجبنا أن نعكس مبادىء ولسون ونقلبها ، وأن نحاول المحافظة على الدول السياسية الموجودة بدلا من أن نمزقها وفقاً لمبدأ تقرير المصير ، وأنه ينبغى أن نقر — لا أن نحظر — وأن نكمل — لا أن نفكك — الجماعات الإقليمية للقوميات الدولية ، وبذلك تكون العناصر المكونة للجمعية العالمية ٧٣ ذرة سياسية من المحتمل أن تتجزأ إلى ذرات أخرى لا يدرى عددها أحد ، وإنما تصبح الجمعية العالمية حشداً من الجماعات الإنسانية الكبرى .

وقد سميت إحداها — وهى جماعتنا — جماعة الأطلسى ، وهى موجودة الآن وقائمة لا لأن رجلا نظرياً اخترعها ، بل لأن ضرورات حرب البقاء أحوجت إلى تنظيمها.

ولا سبيل إلى القضاء على خطر حرب

ألمانية عدوانية أخرى فى أقل من جيل — أى إلى أن يفنى حزب الحرب غير معقب ذرية — وفى هذه الفترة يكون على جماعة الأطلسى والمدار الروسى أن ينظما شئونهما العسكرية ، وأن ينسقا سياستيهما الخارجية لمنع ألمانيا خاصة من استعادة قوتها الحربية بالاحتفاظ بالتوازن الدولى بين الاتحاد السوفيتى والعالم الغربى .

وبهذا ينتفى التعارض الفظيع بين القومية والدولية ، لأنه ما من أحد مطالب بأن ينقل ولاءه من وطنه إلى وطن دولى جديد ، بل يظل وطنياً مخلصاً ، وجاراً حميداً ، ولما كان جاراً حميداً فهو مخلص لقوانين الجمعية العالمية وعاداتها ومطالبها .

وليس فى وسعنا — كما حاول ولسون — أن نشيد الجمعية العالمية مبتدئين بالسطح ومنتهين بالقاعدة ، بل يجب علينا أن نبنيها من تحت إلى فوق ، وأن نجعل مادة البناء الدول الموجودة والجماعات التاريخية ، وهذا فيما أرى هو الذى ينبغى أن نتعلمه من تجربة عصبة الأمم ومن إخفاقها ، وعلينا فى رأيى أن نحذق الدرس لأننا لن نحتمل الإخفاق مرة أخرى .

مصير أمريكا

كلما حاولت أن أقارن أمريكا التى نشأت بها بأمريكا الحاضرة ، أدهشنى أنى كنت فى شبابى لا أجعل بالى إلى المسائل العويصة التى هى موضوع التاريخ ، فما فكرت حينئذ فى سلامة الجمهورية ، وكيف يكون الدفاع عنها ، وكنت فى غرارة تلك السن أظن أن تنازع البقاء قد انتهى من زمان طويل .

وقد ظلت الولايات المتحدة زمناً طويلا — إلى عهد حديث جداً — وليس لها أعداء ، وكانت الأمة تنعم بمناعة تامة من الهجوم ، حتى لكان يسعها أن تستغنى استغناء يكاد يكون تاما عن متاعب التسلح والتدابير الاستراتيجية الاحتياطية والمحالفات ، وتكاليفها ، وكنا نعلل هذا الأمن الذى لا يكلف جهداً بخرافة شائعة هى أن المحيط الأطلسى وسع جداً من أن يستطيع عدو لنا عبوره ، فالذى يجرى فيما وراء البحار لن يقلقنا ما دمنا لا نحشر أنفسنا فيه ، فليس بالولايات المتحدة إذن حاجة إلى اتخاذ تدابير تكفل لها السلامة ، وكل ما نحتاج إليه هو أن نحاذر التورط فيما يجرى وراء البحار . ولم يفتح شعبنا عيونه إلا فى الحرب الكبرى الثانية فى هذا القرن على الحقيقة : وهى أن عصر السلامة الفريدة والأمن الذى لا يكلف جهداً قد مضى وانقضى ، وأن الولايات المتحدة تحتاج الآن إلى الدفاع عنها شأنها فى هذا شأن الدول الكبرى الأخرى

فى التاريخ — بالدبلوماسـية ، والسياسة ، وبالسلاح .

فإذا سـأل أحد : هل تنهض الأمـة الأمريكية لحمل العبء ، وتـكون كفؤاً لما هو مقدور لها ؟ فإن هـذا يكون بمثابة التساؤل هل أوتى الأمريكيون إرادة الحياة .

ولا داعى للشك السقيم فى هذا ، فإن الذى يعكر صفو حياتنا القومية — نزوعنـا إلى الانسياق مع التيار ، وقلة مبالاتنا كأفراد بالواجب العام ، وعدم وجود سياسة إيجابية لنا فى الداخل أو الخارج — ليس نتيجة لمحاولة القيام بالعظائم والإخفاق فيها ، بل لطول اعتيادنا أن لا نضطر إلى القيام بعظائم الأمور . وما استثارت المسائل الداخلية التافهة الروح النبيلة فى أمة ما ، قط ، وإنما تبذل الأمة غاية جهدها وهى مؤمنة بنفسها وبعصيرها ، حين يبلغ التحدى أقصاه فيحرك أعماق نفوسها .

وقد واجه الشعب الأمريكى الآن من التحدى مالم يسبق له بمثله عهد ، وهو يبذل من الجهد ما لم يسبق له بذل نظيره ، ومتى عرف واجبه فهو يخف إليه ، لا مستكرهاً ، بل مغتبطاً ، لأن ذلك يرد إلى حيـاته الشخصية معنى كان يفتقده ، ويخطئه ، ويفيض على أمريكيته مجداً وسنًى مستفادين من فـكرة خالدة .

وقد شاءت الأقدار أن تـكون أمريكا فى مركز الحضارة الأوربية لا على حافتها ، وفى هـذا يتجلى مصيرنا . وفى وسعنا أن نرفضه ، فإذا نحن فعلنا فإن الحضارة الغربية التى هى مفخرة عالمنا تصبح حاشية مضمحلة مفككة للاتحاد السوفييتى وأمم آسيا الناهضة .

ولـكنا نصبح كفؤا لمصيرنا إذا أدركناه حق إدراكه ، وليست تنقصنا البصيرة ، فلا داعى لأن تبيد أمتنا . ولقد دعيت الآن أمريكا إلى النهوض بما كان المؤسسون والرواد يعتقدون دائماً أنه مهمة أمريكا : أى أن تجعل العالم الجديد مكانا يزدهر فيه الإيمان القديم ، فيتحقق الوعد الأبدى آخر الأمر .



حين نستشعر الغضب ، فى نقاش ما ، فعندئذ نكف عن الـكدح فى سبيل الحقيقة ، لـكى نكدح فى سبيل تأييد الذات . [توماس كارليل]

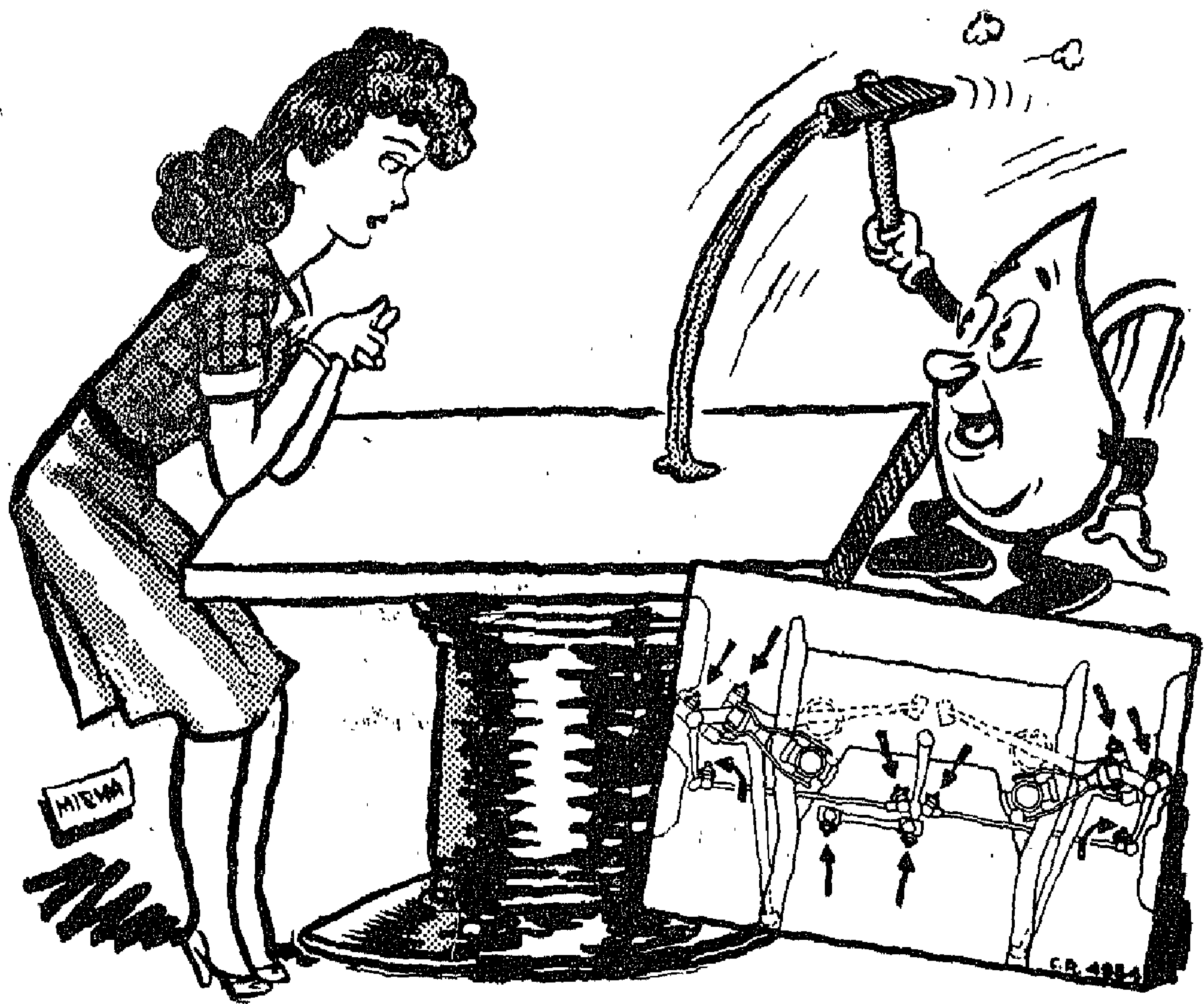

Ford
المتعهدون المعتمدون فى مصر
شركة الأنجلو إجيبشيان موتورز
القاهرة
أ. إيكونوماكيس . السويس
كانوروس إخوان . بورسعيد
شركة أوتوموبيلات الغربية . طنطا
شركة الدلتا التجارية . المنصورة
شركة أسيوط موتورز . أسيوط
شركة منيا موتور كومبانى . المنيا
داوود مالح وشركاه . دمنهور
د. هساقاداس . الزقازيق
حكيم اسكندر . قنا

سواء أكان محورينا تيل من النوع المعروف ـ بالركب ـ (التعليق المستقل) أو كان ثابتاً، فقد وضع تصميم لهذا الجهاز بحيث يمكن وقايته من التآكل بواسطة غشاء رقيق من الشحم فان الطرق الوعرة والحرارة المرتفعة تتطلب شحماً يتحمل الصدمات التي تصيب المحور والتي تشبه حركة المطرقة ـ أي شحماً لا يتطاير من لهذا الجهاز الحيوي بفعل صدمات الطريق.

وشحم موبيلجريس نمرة ٣ لهو ذلك الشحم الممتاز الذي تتوفر فيه صفتا اللزوجة والالتصاق اللتان تجعلانه بحق الشحم الملائم للأعمال المرهقة. وان عملية تشحيم موبيل بواسطة شحومات موبيلجريس من النوع المناسب تكفل قيادة سهلة وتساعد على منع الصرصرة والخشخشة.

المطلب ـــــــ دائماً الأفضل ـ تشحيم موبيل

لهذه الخدمة الممتازة تقدم في جميع محطات بنزين ـــــــ شركة سوكوني ـ فاكوم أويل



تفوق تشحيم "موبيل" على غيره

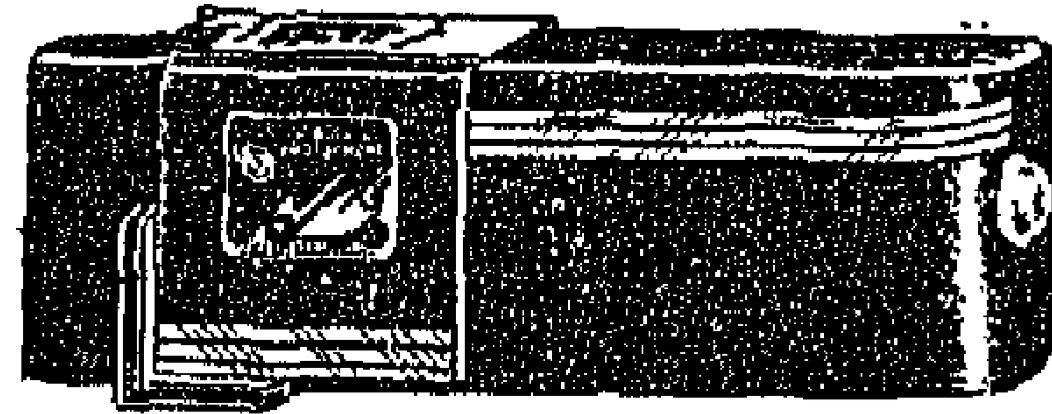
سوكوني | فاكوم

RCA تقدم

أحدث مبتكراتها



نجوم جديدة ، أفلام جديدة : تسجل فى جميع أنحاء العالم بفضل معدات فوتوفون تسجل الصوت على الأفلام وهى التى تنتجها RCA وتستخدم فى كل استديو حيث يتم إخراج الأفلام المتفوقة



معيد الصوت RCA : الذى يقوم عليه جهاز فوتوفون ، وهو يعيد الأصوات المسجلة لنجومك المفضلة فى مسرحك المفضل .



استمعن للموسيقى ، وأنتن تعملن : كثير من الشركات التى تنتج معدات للحرب قد لاحظت أنها باستعمال مكبرات الصوت ومعدات RCA الصوتية تساعد على زيادة الإنتاج وحفظ العاملات فى أحسن حالة معنوية .



العقل السحرى للراديو : هو صمام RCA الأليكترونى وهذا الصمام هو ثمرة خبرة RCA ونتيجة لأبحاثها العديدة فى تحسين وسائل التسجيل والإعادة والإذاعة وغيرها من مستحدثات RCA .

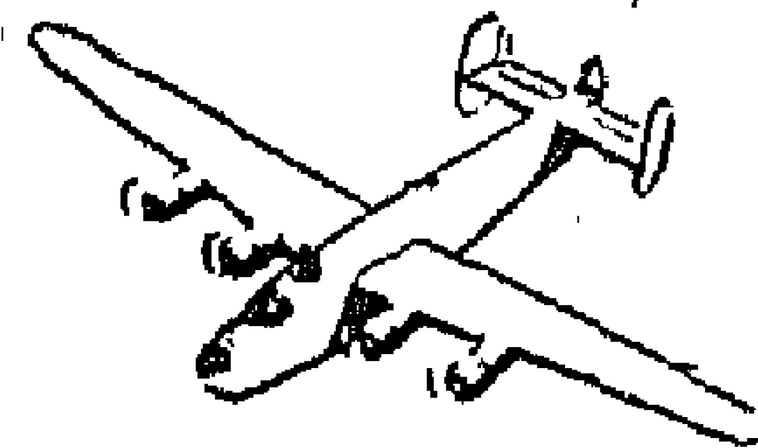


RADIO CORPORATION OF AMERICA

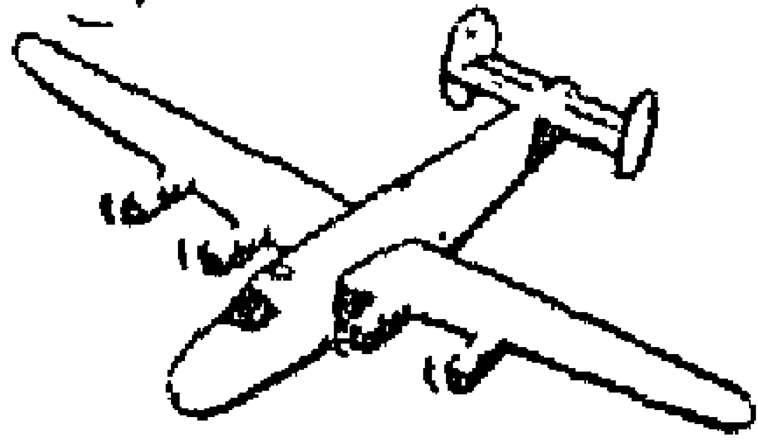
RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

(تتقدم القافلة فى الراديو .. تليفزيون .. صمامات .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات

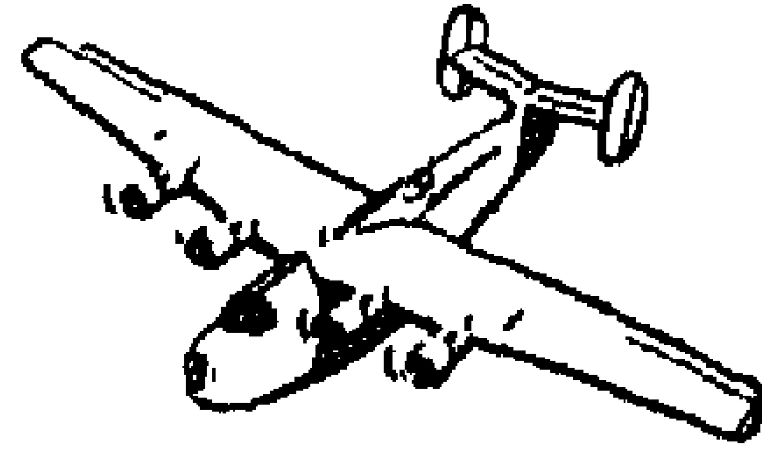
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



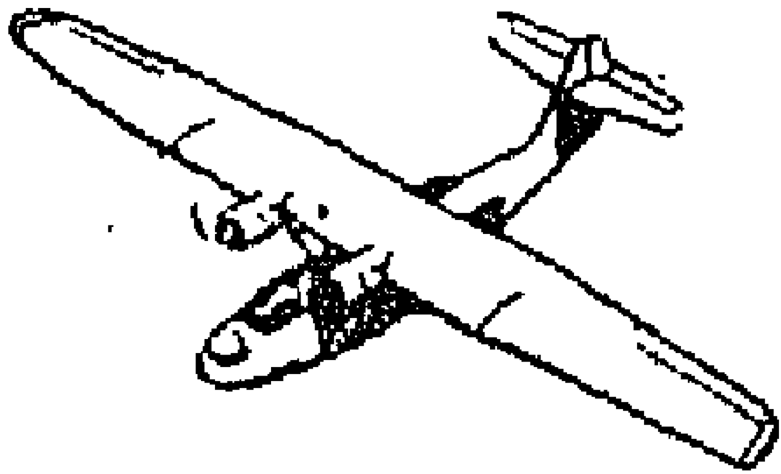
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



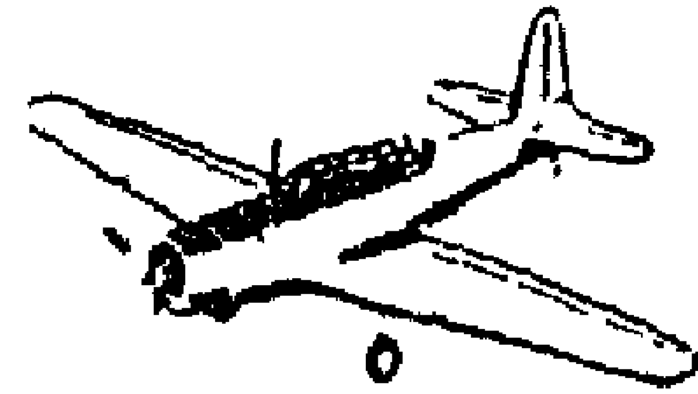
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



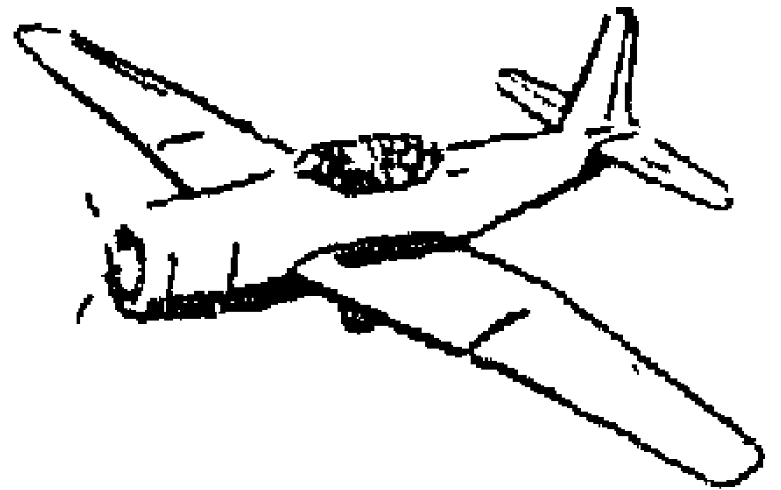
كورونادو — قاذفة داوريه



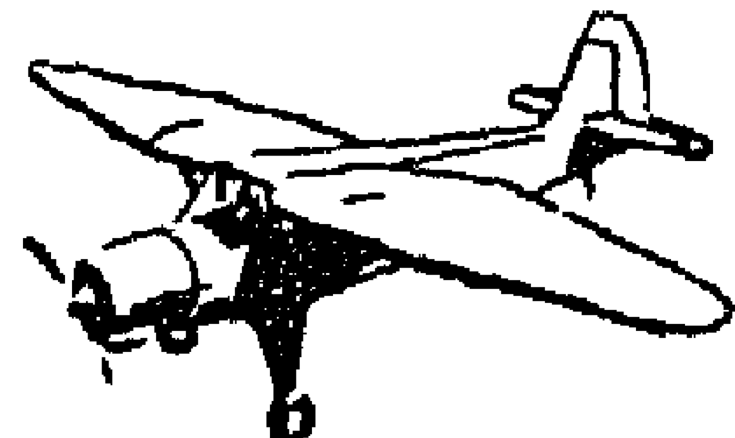
كاتالينا — قاذفة دوريه



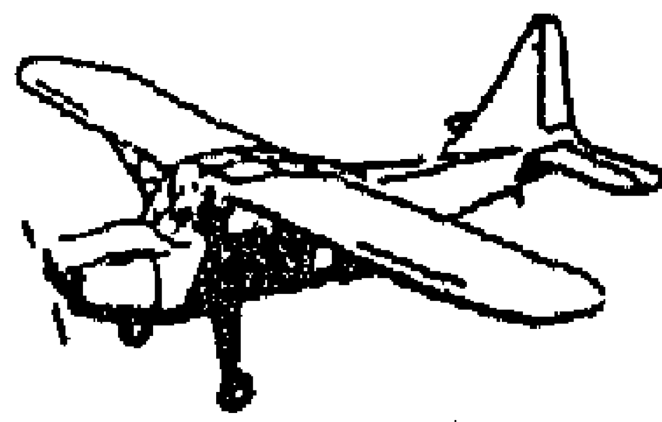
فاليانت — طائرة تدريب أساسيه



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحه



سنتينل — « الجيب » الطائر

حين تحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.

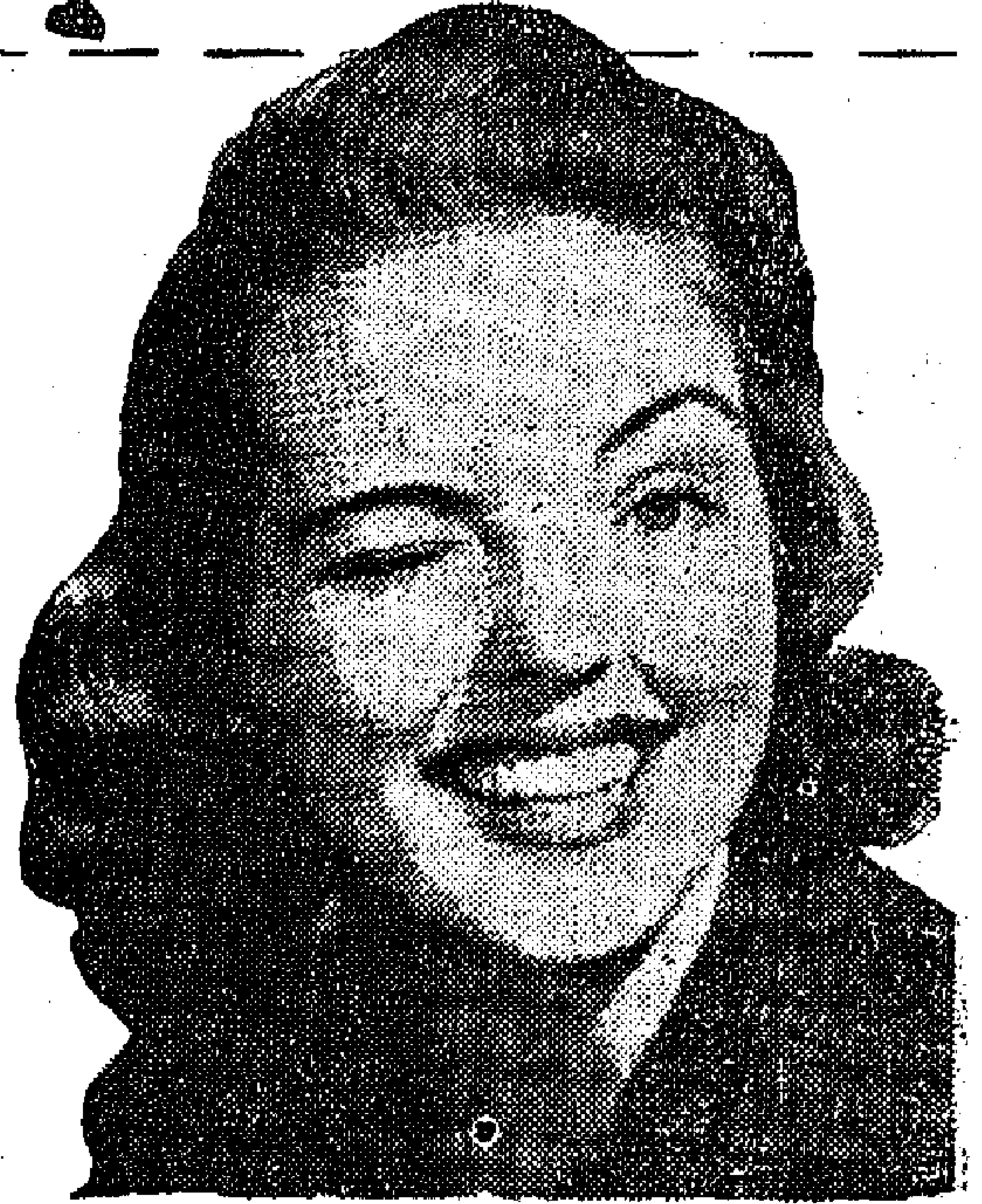
Fort Worth, Texas
New Orleans, La
Louisville, Ky

Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.

Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية

إستعمل هذه الوصفة لأسنانك



١ كيفية الاستعمال

استعمل معجون الأسنان ليسترين مرتين يومياً على الأقل ، تنظف به الأسنان بتحريك الفرشاة حركة سريعة إلى أعلى وأسفل على ميناء الأسنان .

إن هذه « الوصفة لأسنانك » مركبة من ١٤ عنصراً مختلفاً منتقاة وموزونة لتنظف الأسنان وتصقلها صقلاً ممتازاً — دون أن تضر ميناء الأسنان الثمين .

٢ ماذا تنتظر

تنظيف فائق : يشمل فعل التنظيف جميع التلم الدقيقة على سطح الميناء ، يساعد على أن يرد للاسنان بريقها الطبيعي .

مذاق منعش : ينعش الفم ويبث فيه شعوراً قوياً بأنه نظيف .

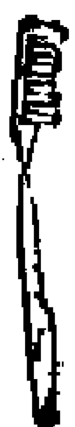
إقتصاد أيضاً : لست تحتاج إلا إلى قدر قليل من معجون أسنان ليسترين لتظفر بالنتائج المطلوبة

معجون الأسنان ليسترين



فرشة الأسنان
برو - فى - لاك - تيك

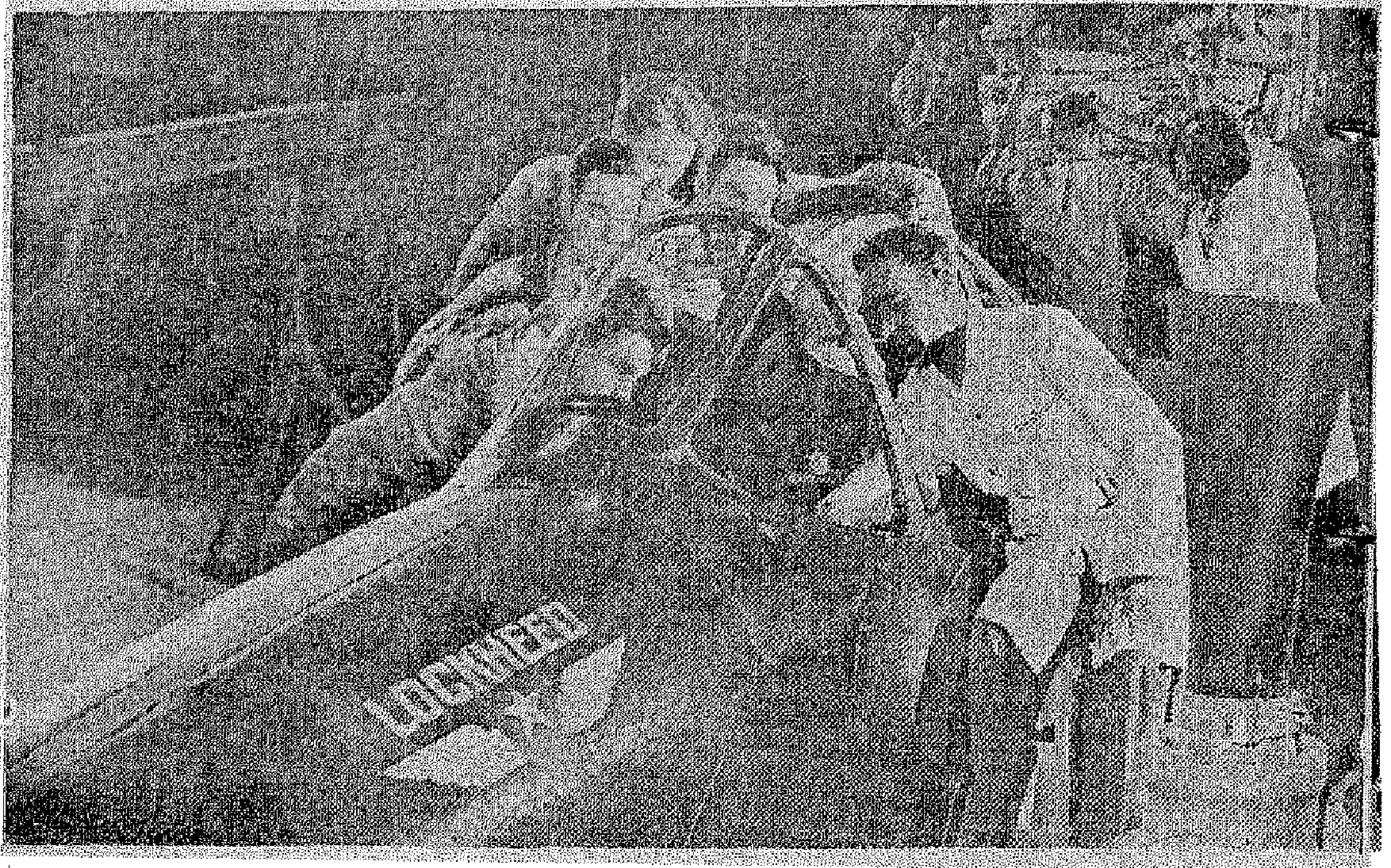
ان اطرافها المسواة وشعرها الطويل الذى يعيش طويلاً جعلها اجود فرشاه لتنظيف جميع الاسنان ظاهرها وباطنها





مطهر ليسترين :

المطهر المأمون - للغرغرة ضد نزلات البرد وآلام الحلق . وكذلك للاسعافات ضد العدوى فى الجروح والكدمات



مقعد للقيادة بدون أجنحة

في حظيرة التدريب الكبيرة ، القائمة في مدرسة لوكهيد لخدمة الطائرات ، مقعد للقيادة بغير أجنحة — وهو مثال دقيق لمقعد القيادة في الطائرة لايتننج P-38 وهو مزود بجميع العدد والمقاييس وآلات الضبط اللازمة للطيران ، وكل منها في مكانه تماماً .

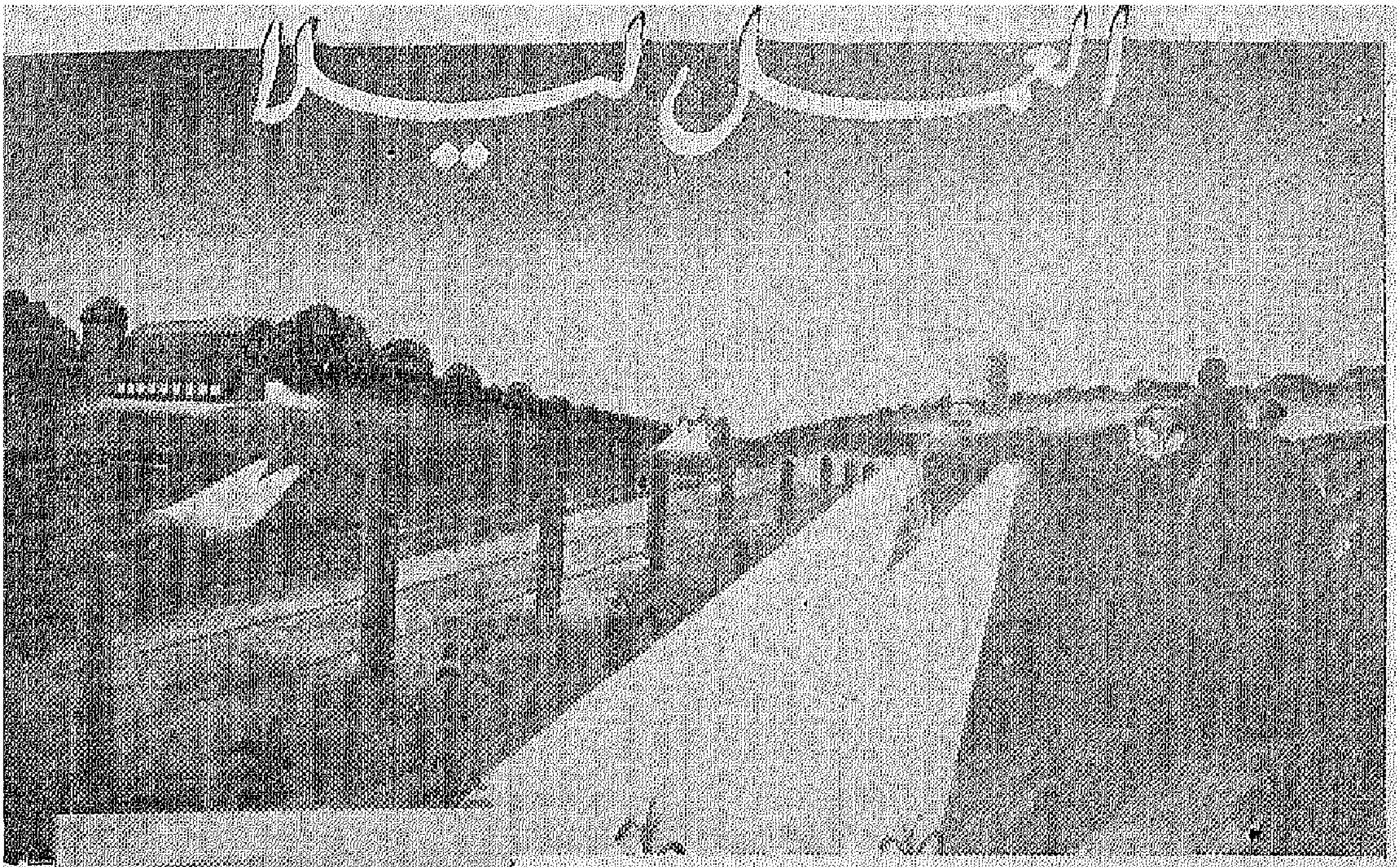
فهذا المقعد كتاب دراسي يبين لطلبة الميكانيكا الحربية ، خصائص إدارة وصيانة هذه الطائرة المقاتلة الأمريكية التي لا تجارى في تنوع أبواب قدرتها .

إن هذا المقعد الذي لا أجنحة له لا يغادر الأرض مطلقاً ، ولكن إدارته تمثل تماماً نوع التدريب العملي الذي يلقنه مدرسو لوكهيد في المصنع المدرسي . وكل رجل من رجال المطارات الذين يتأهبون للمستقبل يقضي وقتاً في مقعد القيادة ليدرس أدوات الطيران . وهذا هو جزء من التدريب الذي يناله فإذا أتم هذه الدراسة التي تستغرق ٣٠ يوماً بعد التخرج ، أصبح ميكانيكياً خبيراً — مستعداً لأن يتتبع طائرات الحرب في قتالها — حيثما تقاتل .

وسيظل لوكهيد ينتج الطائرات الحربية ويدرب الرجال على صيانتها مادامت هناك حاجة إلى ذلك . فإن النصر يجب أن يتم قبل أن يتاح لعصر الطيران في زمن السلم ، أن يبدأ ، ولكن حينما يبدأ فإن لوكهيد سيكون جزءاً منه — يبني الطائرات ويعدها للطيران ، ويحفظها طائرة

تذكر أن Lockheed رمز للسبق والتفوق

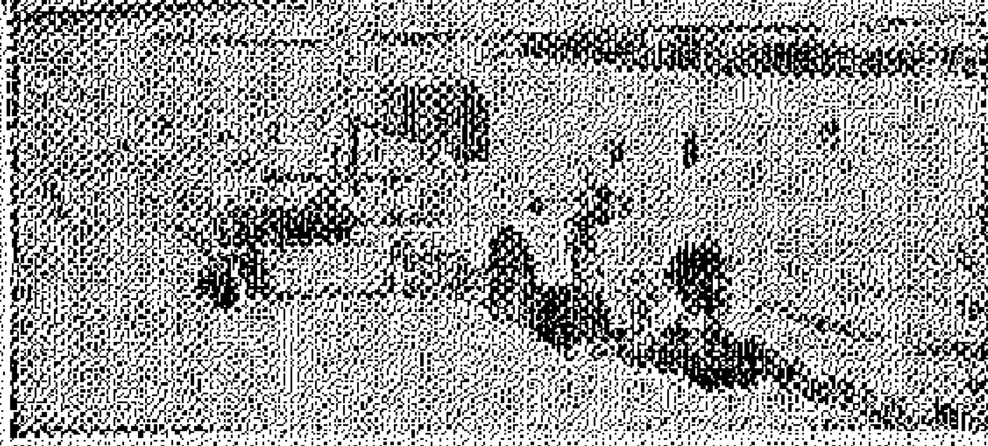
LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA, U. S. A.



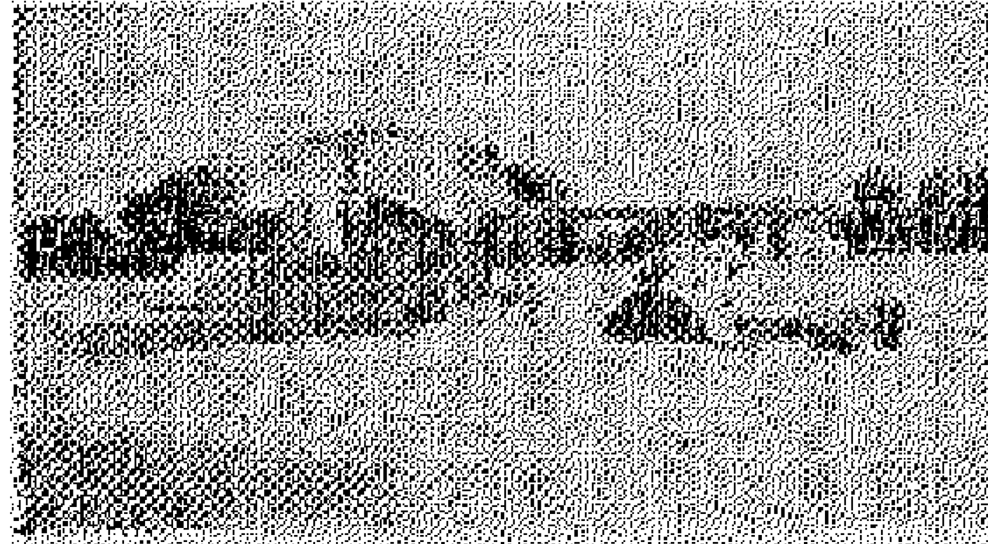
إن فلاح العالم يصل يوماً عملها طويلا شاقاً . وكذلك جزء من الليل ، فى وقت الحرب الآن . وعليه أن ينفق ساعات أكثر فى الحقل ليعوض نقص المعاونين والآلات ، إذا كان يريد أن يبلغ أهدافه فى إنتاج الطعام للحرية . وعلى ذلك فى كثير من الفصول ، تجد الهدوء الذى يعم الأراضى الزراعية ليلا ، يطير شعاعاً من جراء جلبة الجرارات التى فى العمل . وتخترق الظلام فى كل مكان أزواج من أشعة الضوء ، على حين يقوم الفلاح بأكبر عمل أتى إليه .

هذه الجرارات التى لا تهبط درجة حرارتها من جراء العمل ليل نهار والتى تجمع سنوات عديدة من الخدمة فى سنة واحدة ، كثير منها من صنع مينيا بوليس مولين وذلك لأن شركة مينيا بوليس هى الأولى التى وضعت المصابيح الأمامية على الجرارات وبذلك جعلت العمل الليلى فى حيز المستطاع . وهذا التحسين الذى ينظر إلى المستقبل ، نتج من تقدير مهندسى شركة مينيابوليس مولين ، أن الجرار يجب أن يستخدم عدداً معيناً من الساعات كل سنة لكى يستغل استغلالا مجدياً . ثم نظرت إلى زيادة نفعه فكانت مينيابوليس مولين هى الأولى أيضاً التى جهزت الجرار بعربة مقفلة حتى يمكن استعماله فى كل حالة جوية .

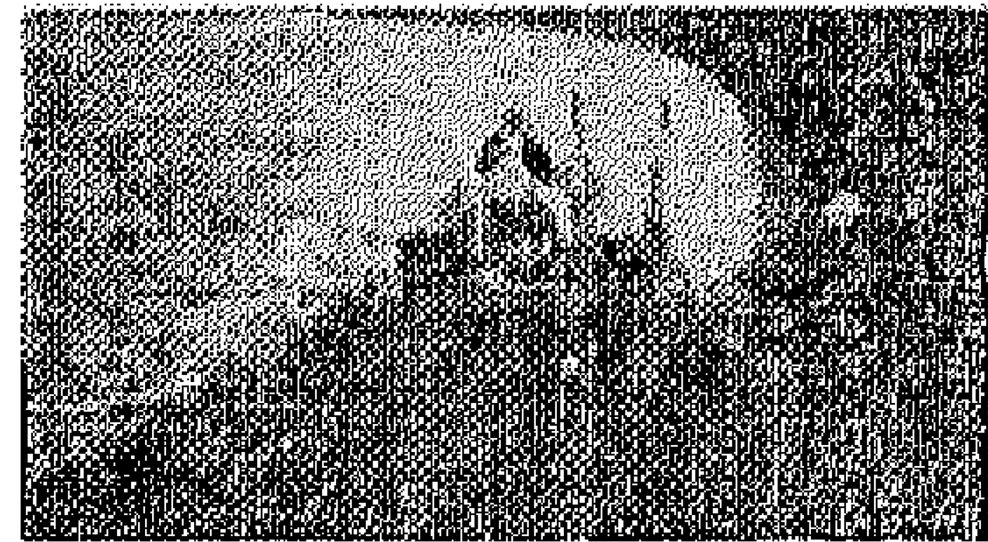
وهذان هما إثنان فقط من التحسينات الحديثة العديدة التى مكنت مينيابوليس مولين من أن تقدم أعظم خدمة لإنتاج الطعام خلال الأزمة الحالية .



١ — يحارب الطعام أيضاً من أجل الحرية فى أرض الوطن وكذلك فى ساحات القتال .



٢ — فى ساحة الحقل يكون المحصول هو النصر الذى يتوج جميع أعمالنا



٣ — إن آلات مينيابوليس تتركز فيها المتانة وجدة التصميم فتؤدى العمل الدائم مدة طويلة .



MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER EQUIPMENT COMPANY
MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U. S. A.





"يجف مداده حال كتابته !"

ما أكثر الناس الذين يريدون هذا القلم ! فلا بد من أن تنتظر ، ولكنه جدير بأن تنتظره !

إن تصميمه لتصميم جريء ، ولكنه رشيق فى بساطته ، وإن المرء ليفخر بحمل قلم پاركر « ٥١ » ويلازمه السرور والرضى حين يستعمله

إن طرفه الفريد الذى يشبه الطربيد يبدأ الكتابة فى الحال . . . ويتيح للكتابة انطلاقاً جديداً لا جهد فيه ... فضلا عن مزايا أخر .

وذلك لأن قلم پاركر « ٥١ » وحده يمكنه استعمال حبر پاركر « ٥١ » . . . الذى يجف وأنت تكتب ، فلا يضايقك النشاف . وطبعاً يمكن إستعمال أى حبر آخر فى قلم پاركر « ٥١ »

فإذا لم يكن لدى موردك قلم پاركر « ٥١ » سجل طلبك عنده فسيظفر بعدد وافر منه قريباً .

الألوان : اسود ، أزرق قاتم ، رمادى ، بنى ، والماسة الزرقاء على مشبكة هى ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .

شركة أقلام پاركر
چانزڤيل ، ويسكونسن ، الولايات المتحدة

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U. S. A.

PARKER "51"

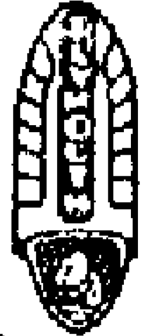


CHRYSLER



كريزلر

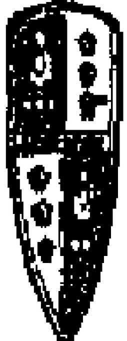
انّ قوة هذه الأسماء ، التى ذاعت شهرتها فى ميدان هندسة السيارات واللوريات ، مركزة الآن على إنتاج المواد اللازمة لكسب الحرب . وبعد أن نكسب الحرب ، ستعود هذه الأسماء منقوشة على منتجات أجود ، فتنهض بكل ما تحتاج إليه فى شئون النقل



بليموث



دودج



دى سوتو



كريزلر



فارجو

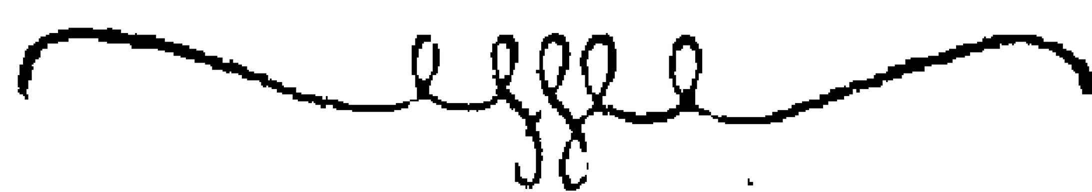
CHRYSLER CORPORATION, EXPORT DIVISION, DETROIT MICHIGAN, U.S.A.

وعلى سبيل الاستيثاق أعطيت نصاً كاملا مؤلفاً من ٤٥٣٢ كلمة لفئة « ب » ومختصر الدايجست المؤلف من ١٠٧٧ كلمة لفئة « ا » .

ففي هذه المرة كان قراء نص الدايجست أكثر تذكراً في الدقيقة الواحدة بمقدار ٣ر٧ من قراء النص الأصلي .

وقد دلت نتيجة هذه التجربة على أن كثيراً مما ينشر يحتوي على قدر ميت من ألفاظ لا حاجة إليها ، والتلخيص يبرز الوجوه الجوهرية فيستطيع القارئ أن يدركها بسرعة ، وتكون النتيجة أن التلقف يصبح ممتعاً كل الإمتاع ، لأن الخوالج المتصلة به تكون سارة ، وتعود القراءة ذات إغراء بدلا من أن تكون مبعث ضجر ، ويتسنى استخدام الوقت المقتصد وهو غير قليل ، والانتفاع به في تتبع شتى المسائل التي تخلقها القراءة بفهم .

وخير معلم هو الذي لا يفسد كلامه بما لا لزوم له ، ومجلة الريدرز دايجست معلم من أعظم معلمي جيلنا ، فغير عجيب أن يستطيع الطلبة أن يضاعفوا انتفاعهم بعملهم — سواء أكان ذلك في المدرسة أم في تلك المدرسة التي هي أصرم والتي لا بد أن ندخلها متى غادرنا جدران الفصل — حين يتاح لهم ذلك الضرب من التلخيص الحكيم الذي تقدمه مجلة ريدرز دايجست على وجه يدعو إلى الإعجاب .



معلم من أكبر معلمي الجيل

هوارد ى. مكلوسكى
مدير لجنة الشباب الأميركي، أستاذ سيكولوجيا التربية
في جامعة مشيجن

إن ازدياد المطبوعات يضع عبئاً باهظاً على كاهل القارئ الحديث، فإذا لم يكن حكيا في الانتفاع بتلخيص المؤلفات الأصلية، فلن يستطيع أن يواصل الاطلاع على سيل المطبوعات .

وقد فكرت، بوصفي معلماً لطلبة الكلية في مبلغ قدرتهم على استيعاب المادة الملخصة، وهل ثم خوف من أن يفوتهم بعض الغذاء العقلي الذي في الأصل .

وأردت أن أحسم الأمر بالتجربة، فقسمت الفرقة التحضيرية في سيكولوجيا التربيــة إلى طائفتين متعادلتين، وكلفت طائفة « ا » أن تقرأ مقالا على أصله وهو مؤلف من ٣٣٩٣ كلمة، وطائفـة « ب » مختصره الذي ظهر في مجلة ريدرز دايجست وهو مؤلف من ١١١٠ كلمة، ثم اختبرت الفئتين لأرى أي النصين كان أعمق أثراً .

استطاع قراء مختصر الدايجست أن يستوعبوا في كل دقيقة أكثر مما استوعب قراء النص الكامل بمقدار ضعفين ونصف ضعف .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٣ قروش

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

ديسمبر ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العدد السادس عشر (الرابع من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان باويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة »

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار
من ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

ديسمبر ١٩٤٤

أمن الممكن مراقبة ألمانيا لتظل مسالمة؟

عرض لكتاب مهم بعنوان
"مراقبة ألمانيا واليابان"

هارولد ج. مولتون و لويس مارليو

أضيف كتاب، على أعظم جانب من خطر الشأن، إلى البحث العالمي فيما يصنع بألمانيا عند ما يدخل الحلفاء برلين — وتلك أهم وأصعب مسألة دولية بمفردها — واسم هذا الكتاب «مراقبة ألمانيا واليابان»، ألفه هارولد ج . مولتون ولويس مارليو . والأول رئيس معهد بروكينز وهو هيئة اشتهرت بالأبحاث الاقتصادية والسياسية ، والثاني اقتصادي فرنسي، ومهندس ، ورجل صناعة تولى إدارة عدة أعمال صناعية في أوربا .

والرجلان معاً ينطقان بقوة مجتمعة عظيمة ، وأجوبتهما عن المسائل الألمانية أعظم ما ظهر إلى الآن إحاطة وشمولا وتفصيلا ، تؤيدها دراسة دقيقة ، وشيء آخر يعد خيراً من الدراسة : القدرة النادرة على التمييز بين ما لعلنا نحب أن نصنعه بألمانيا ، وبين ما قد نجد أن الحكمة تقضي به ، وأنه يدخل في الوسع . وقد يكون لهذا الكتاب أثر قوي في مصير ألمانيا ، وليست الدراسات والمقترحات الخاصة باليابان أقل شأناً ، ولكنا لا نحتاج إلى الآن لسوء الحظ أن نبحث في مسألة تجريد اليابان من السلاح .

والدكتور مولتون والمستر ماrليو يحللان بعناية، ثم يرفضان، طائفة من التدابير المقترحة

ضد ألمانيا ، وهما يرفضان كل الرفض تقسيم ألمانيا إلى دولتين ، وحجتهما كما يأتى :

بعد الحرب العالمية الأولى قسمنا النمسا والمجر إلى دول صغيرة ، فسرعان ما ظهر أن هذه الدول الصغيرة لا تستطيع أن تنجح وتوسر كوحدات اقتصادية منفصلة . وخليق بتقسيم ألمانيا إلى وحدات منفصلة أن تكون له نفس النتائج ، فتبيت ألمانيا المقسمة فى ضنك مستمر . ولكن لماذا نعبأ بذلك أو نباليه ؟ إن هناك سبباً أنانيا قوياً يدعونا إلى المبالاة ، فقد أثبتت التجربة منذ الحرب العالمية الأولى أن البلاد المحيطة بألمانيا تصير إلى الضنك أيضاً ، وإذا قسمت ألمانيا كان مؤدى ذلك إفقارها ، وألمانيا الفقيرة معناها أوربا الفقيرة ، وأوربا الفقيرة لابد أن تردنا مباشرة إلى الاضطراب والاصطدام .

فإذا نحن شاورنا مصلحتنا الذاتية الخاصة ، فإنه يحسن بنا أن لا نمس كيان ألمانيا الأرضى أو المادى .

ويرفض الدكتور مولتون والمستر مارليو ، أيضاً فكرة القضاء الدائم على جميع الصناعات الألمانية الثقيلة وتحويل ألمانيا إلى أمة من الزراع ، وهما يقولان إنه لاشك فى أن ألمانيا لاتستطيع أن تثير حرباً من غير أن تكون عندها صناعات ثقيلة — مثل الحديد والصلب والمواد الكيميائية — ولكنهما يقولان بعد ذلك :

« إذا هبطت ألمانيا إلى مرتبة دولة زراعية فإن الأرجح أن لا تستطيع أن تعول إلا أقل من نصف سكانها الحاليين ، فماذا يكون مآل الباقين ؟ إن مثل هذا الخنق الواسع النطاق للحياة الاقتصادية فى رقعة ألمانيا ، لايمكن أن يعدم أن يكون له رد فعل مشئوم فى الأحوال الاقتصادية فى البلدان التى لألمانيا بها علاقات استيراد وإصدار طبيعية . وإذا رُدَّت دولة صناعية كبرى إلى منزلة زراعية ، كان من أثر ذلك أن تتفكك وتتقبض التجارة الدولية فى وقت يكون فيه اتساع نطاق الاقتصاد العالمى على أعظم جانب من الأهمية للأمم جميعاً ، وأخلق بذلك أن يسىء مباشرة إلى المصلحة الذاتية الاقتصادية للبلدان المهيمنة على ألمانيا » .

وبعبارة أخرى ، يكون من خطل الرأى أن نضر الألمان على نحو يلحق بنا نفس الضرر .

وقد كان مما اقترح أن تُعطى ألمانيا المعادن اللازمة للحرب بمقادير كافية للسلم ، ولكنها دون الكفاية للحرب ، والجدول الذى يشتمل على هذه المعادن طويل — الأنتيمون ، والبكسيت ، والكروم ، والنحاس ، والحديد الخام ، والرصاص ، والمنجنيس ، والزئبق ، والميكا ، والمولبدينوم ، والنيكل ، والبترول ،

والبلاتين ، والكبريت ، والقصدير ، والتنجستن ، والفناديوم ، والزنك . وقد يبدو أن قصر واردات ألمانيا من هذه المواد على مطالب أيام السلم يحل المسألة ، غير أن الدكتور مولتون والمستر مارليو ريان أن هناك أربع عقبات :

١ — يكاد يكون من المستحيل وضع تقدير مضبوط لما تحتاج إليه أية دولة من المعادن فى وقت السلم ، فإن الحاجة إلى كل معدن تتفاوت تبعاً لأحوال اقتصادية وفنية لا تفتأ تتغير ، ومن الممكن أن نقدر حاجات ألمانيا بما هو دون الكفاية ، وفى هذه الحالة نسئ إلى حياة ألمانيا الاقتصادية — وإلى أوربا . وقد نبالغ فى تقدير حاجاتها ، وفى هذه الحالة نكون قد أتحنا لها فرصة لتكديس أكوام من المعادن لأغراض حربية .

٢ — إن فن الاهتداء إلى بديل من المعدن الطبيعى يتقدم بسرعة يوماً فيوماً ، فإذا أعوز البكسيت الألمان لإنتاج الألومنيوم بتكاليف هينة ، فإن فى وسعهم أن ينتجوه ، بتكاليف أكبر ، من الصلصال أو اللابرادوريت أو اللوسيت ، أو الألينيت ، أو يستطيعون أن يهملوا الألومنيوم كل الإهمال لبعض الأغراض ، ويستعملوا الخشب أو المواد العجينية ، وقد تؤدى قلة المعادن فى ألمانيا إلى جعلها تسبق العالم فى إحلال المركبات الصناعية محل الطبيعية من كل نوع .

٣ — إن حدود ألمانيا كأنما رسمت لتكون صالحة للتهريب ، والطرق والخطوط الحديدية تخترقها فى مئات ومئات من المواضع ، ومراقبة جميع هذه المواضع ليلا ونهاراً تتطلب جيشاً كاملا من الحراس والعيون والمفتشين .

٤ — إن المعادن الحربية الأساسية تجئ من كل أنحاء العالم ، ومن المستحيل إقناع الدول جميعاً بأن تعمل متفقة ضد ألمانيا سنة بعد سنة ، وعقداً بعد عقد . وأخلق بمن ينتج أى معدن ، ويواجه الإفلاس ، أن لا يستطيع أن يقاوم ما يغريه بالبيع لألمانيا . ولن يكفى أن نراقب الصادرات إلى ألمانيا من البلاد المنتجة ، بل يكون علينا أيضاً أن نراقب المنشآت والمصانع الخاصة فى البلاد الأخرى ، لنمنع أن تبيع ألمانيا شيئاً . وسيكون من الواجب أيضا مراقبة سوق «الخردة» من الفلزات فى جميع أنحاء العالم.

وإذا كان المنتجون سيفقدون سوقهم كلها أو بعضها فى ألمانيا ، فأين يجدون أسواقا أخرى فى غيرها ؟ وأى البلدان ستتقدم لاستهلاك قصدير بوليفيا ، ونحاس شيلى ، ومطاط الهولنديين ، وحديد السويد ، وكروم تركيا ، ورصاص يوغوسلافيا ، والميكا البرازيلية ، ونيكل كندا إذا حرمته ألمانيا ؟

ويقول المؤلفان : « يبدو أنه لا مفر من أن ننتهى إلى أن الخطط التى يراد بها منع ألمانيا من العود إلى التسلح بمراقبة الواردات من المعادن الأساسية، لا يمكن التعويل عليها» .

والآن فلننتقل إلى النتائج الإيجابية .

يذهب الدكتور مولتون والمستر مارليو إلى أن من الممكن إلغاء بضع صناعات ألمانية إلغاء تاما ، فيستفيد العالم فائدة كبيرة ، ولا نصاب ألمانيا بخسارة تورثها هبوطا اقتصاديا ، ولا تخسر أوربا أيضا ، مثال ذلك :

يحظر على ألمانيا صنع سبائك من الألومنيوم ، وكذلك البترول الصناعى ، وهاتان الصناعتان لا يشتغل فيهما إلا عدد قليل نسبيا ، ولكن إنتاجهما نافع جداً للحرب ، فإذا حظرناه عليها ضعفت قدرتها على إثارة الحرب . يضاف إلى ذلك أن الحظر ميسور عمليا ، لأن الأفران اللازمة لصهر الألومنيوم ومنشآت الزيت الصناعى لا يمكن أن تكون إلا ضخمة هائلة ، فلا يسهل إخفاؤها أو بعثرة أقسام صغيرة منها وتمويهها ، وادعاء أنها لصنع أشياء أخرى .

ويرى الدكتور مولتون والمستر مارليو أن يلغى إلغاء تاما الطيران الألمانى كله ، لا الحربى وحده بل المدنى أيضا .

ويقولان : « وسيكون من الضرورى أن يحظر على ألمانيا صنع الطائرات وإنشاء شركات النقل الجوى ، والسبب الذى يوجب أن يمنع إنشاء شركات النقل الجوى هو أن من الوجوه الجوهرية للرقابة أن يحال دون تدريب طيارين ألمانيين . فإذا أعوزها الطيارون المدربون فى الحياة المدنية تعذر عليها الاستعداد السريع للحرب . ومن الممكن أن تُزَوَّد ألمانيا بكل التسهيلات الجوية التجارية الضرورية بإنشاء شركة أوربية تجارية على مثال شركة مركبات النوم الدولية التى تزود أوربا كلها بمركبات النوم . والشرط الجوهرى للأمن هو أنه لا تكون الطائرات ألمانية ولا الطيارون من الألمان » .

ويقترح الدكتور مولتون والمستر مارليو أيضا محو جانب كبير من صناعة توليد الكهرباء الألمانية ، ويريان أن تمنع ألمانيا من تجديد محطات القوى الكهربائية التى دمرتها الحرب أو إنشاء أية محطة جديدة من هذا النوع . وعندهما أن ألمانيا يمكن أن تُمد بالقوة الكهربائية بواسطة شركة دولية تبتاع القوة الكهربائية فى فرنسا وبلجيكا والنرويج وإيطاليا والنمسا ، وتبيعها لألمانيا بواسطة شركات للتوزيع .

وللسيطرة على القوى الكهربائية هذه المزايا :

١ — تحول بين ألمانيا وبين إلغاء أحكام نزع السلاح التي تحظر عليها صناعة الألومنيوم والزيت الصناعي .

٢ — تقيد في زمن السلم المنتجات المعدنية الكهربائية، والكيميائية الكهربائية مثل الإيدروجين والنتروجين ، وهما يستخدمان في نطاق واسع لأغراض الحرب.

٣ — تؤدي إلى الاهتداء إلى أماكن كل منشأة صناعية كبيرة في ألمانيا .

٤ — ولما كانت هذه السيطرة غير ظاهرة للعيان ، فإنها لا تؤدي إلى استفزاز الشعب الألماني كل يوم .

٥ — وفي حالة التهديد بالعدوان يكون من الميسور قطع القوة الكهربائية الأجنبية، وبهذا يصبح برنامج الإنتاج الحربي كله محدوداً .

ويتضح من هذا أن التدابير الاقتصادية التي يقترحها هذان الاقتصاديان الكبيران ضد ألمانيا قليلة، وأنها — بالقياس إلى جملة قوة ألمانيا الاقتصادية — تافهة . والواقع أن أكبر درس يعلمنا إياه هذا الكتاب ، هو أن من الخطأ أن نظن أن استعدادات ألمانيا للحرب يمكن أن تكبح على وجه مرضٍ بالوسائل الاقتصادية وحدها . وهما يريان فضلا عن ذلك أننا إذا حاولنا إيقاع الضغط الاقتصادي على ألمانيا في نطاق واسع شامل ، فإننا نهدم نظامنا الاقتصادي القائم على حرية السعي . وكلامهما في هذه النقطة جدير بالذكر :

« إن وضع نظام عام للرقابة الاقتصادية (على ألمانيا) يؤدي إلى العمل ضد المساعي الفردية . وإدارة تدابير هذه الرقابة تتطلب حتما إنشاء وكالات إدارية تتجاوز النطاق القومي ، . . . وقد يحدث في بعض الميادين أن يتطلب الأمر إنشاء هيئات للتبادل الدولي تسيطر عليها الحكومات ، فلا تدع سوى مجال ضيق للمساعي الخاصة .

« وعلى كل حال فإنه إذا أريد تنفيذ التعهدات الدولية التي ترتبط بها أمة ما ، فيما يتعلق ببرنامج الرقابة ، فإنه لا بد من الحصول على تراخيص حكومية لإصدار المواد الأساسية ولمد الاعتمادات الدولية . . ولا بد كذلك ، في كل أمة من الأمم ، من تقييد المساعي الخاصة ، لأن كل حكومة ، في نطاق حصتها من الصادرات المسموح بها ، تضطر إلى توزيع الجملة على المنتجين المختلفين في بلادها .

« وهكذا تؤدي تعقيدات نظام الرقابة الاقتصادية الدولية ، لا محالة ، إلى تقوية السيطرة الحكومية على الأعمال التجارية في الميدانين الداخلي والدولي جميعاً » .

وهكذا ينتسخ ، فيما يرى الدكتور

مولتون والمستر ماريليو ، حلم منع الحرب بالتدابير الاقتصادية السلمية وحدها . وهما يقرران بلهجة الجزم : « إن تدابير الرقابة الاقتصادية مشكوك فى إمكان الاعتماد عليها ، وهى فضلا عن ذلك تحول دون الاستقرار الاقتصادى فى العالم ، ثم إنها على أية حال لا يمكن تنفيذها إلا إذا ظاهرتها قوة حربية كافية . فنحن مضطران إلى القول بأن القوة الحربية وحدها هى التى يعوّل عليها للتوقى من الأمم المصرة على العدوان » .

وهكذا ينزل الاقتصاديون عن عرشهم للجنود ، ولكنهم كمواطنين يعرضون اقتراحات معينة على الجنود . ولابد من القول بأن هذه الاقتراحات دقيقة محكمة ، وأنها فى النهاية غاية فى الجرأة .

ويرى الدكتور مولتون والمستر ماريليو أولا : أن ينزع سلاح ألمانيا نزعاً دقيقاً ، وأن تدمر كل السفن الحربية الألمانية وكل الطائرات الحربية والبحرية ، وكل سلاح برى ألمانى ، من الدبابات والمدافع إلى البنادق والمسدسات ، وكل مصانع الذخيرة الألمانية ، وأن تسرح كل القوات المسلحة الألمانية وكل الهيئات الألمانية القائمة على تنظيم القوات المسلحة .

ويريان بعد ذلك الامتناع بتاتاً عن أى احتلال عسكرى دائم لألمانيا .

وفى هذا يقولان : « إن مثل هذه الرقابة العسكرية تتطلب عدداً كبيراً من الجند ، وتكون باهظة التكاليف . يضاف إلى هذا أنها تكون مبعث احتكاك مستمر يؤدى إلى اضطراب سياسى واجتماعى لا ينتطع » .

ومن هنا ينتهيان إلى اقتراحهما الأخير وهو : إنشاء « مجلس لكشف العود إلى التسلح ومنعه » قوامه خمسة أشخاص لا أكثر ، يساعدهم عدد صغير نسبيا من الأعوان . وفى وسع هذا المكتب أن يهتدى بسهولة إلى أية حركة ألمانية فى سبيل التسلح ، مثل إنتاج الذخائر ، أو استيراد ما يزيد على الحاجة من المواد الأساسية ، أو إعادة بناء مصانع الألومنيوم أو الزيت الصناعى أو الطائرات ، أو تدريب رجال الطيران فى الداخل أو فى الخارج أو إعادة نظام التدريب العسكرى تحت ستار التدريب الرياضى .

ومتى وقف المجلس على حركة من هذه الحركات ، فإنه ينذر الحكومة الألمانية ويطلب منها الكف عنها .

فإذا لم تكف الحكومة الألمانية فإن المجلس يكرهها على ذلك بالمبادرة إلى استخدام « القوة العسكرية اللازمة » . وتكون هذه « القوة العسكرية اللازمة » فى كل وقت رهن أمر المجلس وتصرفه .

ولا ينبغى أن يحتاج المجلس إلى طابها من الحكومات التى عينت أعضاءه ، بل يجب أن تكون هذه « القوة العسكرية اللازمة » هى جيش المجلس .

ويقول الدكتور مولتون والمستر مارليو : « ويجب أن يخول المجلس سلطة العمل المستقل . وبهذه الوسيلة وحدها ــ وهى أن تكل الحكومات الأمر إلى مجلس تنفيذى له قوات عسكرية تحت تصرفه المباشر ــ نستطيع أن نتفادى الموانع السياسية ، والتصادم والنزاع والتلكؤ ، وما إلى ذلك مما لا بد منه ، إذا وجب الحصول على الموافقة من هيئات برلمانية . وقد يكون من الوبيل أن يحتاج الأمر إلى انتظار المداولات البطيئة لعدة حكومات » .

ومؤدى هذا هو أن المجلس عبارة عن حكومة دولية لها قوة بوليس دولى خاصة ، لغرض واحد ليس إلا ، هو منع عود ألمانيا إلى التسلح .

وقد ينتهى القارىء من هذا الكتاب فيقول لنفسه : إن معظم الناس لا يريدون أية حكومة دولية تسيطر على العالم كله على نحو غامض . ولكن هل يمكن أن تكون هناك عدة حكومات دولية ، لكل منها مهمة محدودة جلية المعالم ، يستطيع معظم الناس أن يفهموها وأن يقروها سلفاً ؟

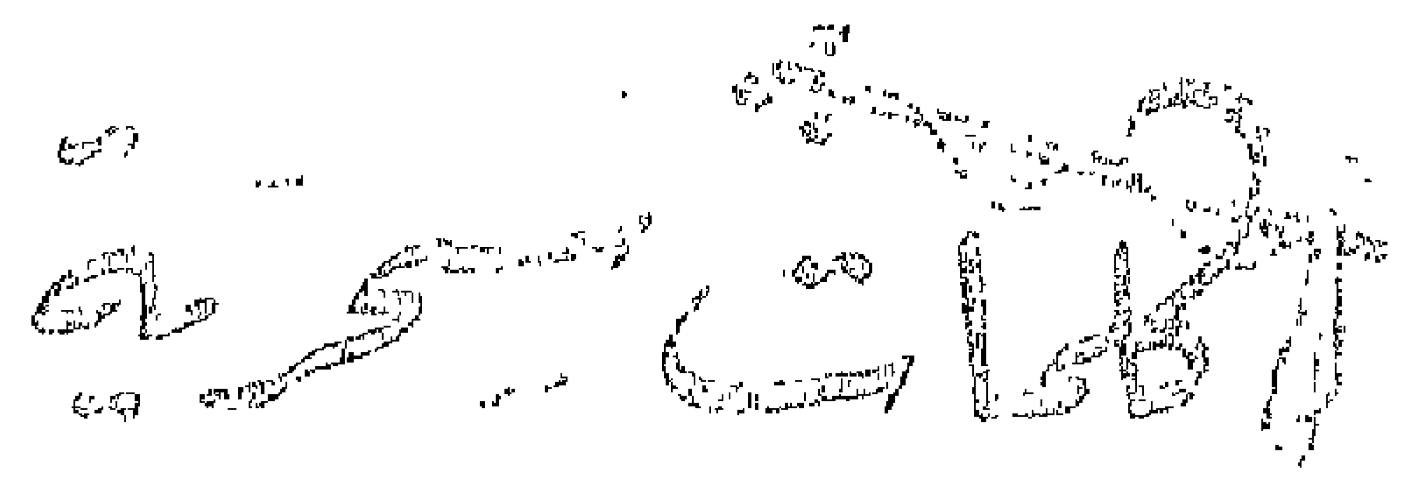
إن الدكتور مولتون والمستر مارليو ، على كل حال ، وبعد كل أبحاثهما الاقتصادية ، يقولان فى النهاية :

« فلنطرح جانباً كل مراوغة وكل تملص ضعيف ، فإن الرد الأخير المجدى على القوة هو القوة » .



أحسبنى هزمت ، وأعترف بالهزيمة ، حين ألقى من الناس مَنْ لا يسعنى أن أتعلم منه شيئاً ما . [جورج هربرت بالمر]

الجميلات الجميلات ، والقبيحات القبيحات يجب أن تطرى فيهن مزايا الفهم والعطف ــ أما المتوسطات فأطرِ جمالهن . [لورد تشستر فيلد]



تشارلز بولوك

ملخصة عن مجلة « ذس ويك »

منذ عهد قريب كان صديق القديم ، الشاعر والمحرّر تشارلز هانسون تاون ، يمشي في « الشارع الخامس » بنيويورك ، فوقع نظره على امرأة رائعة الحسن في منعطف الطريق . ولقد حدثني عنها فقال : « هي امرأة نَصَف ، ولا شك في أنها غريبة ، ولكني — بعد أن ترددتُ قليلا — قلت لها : لا تؤاخذيني ، إني رجل كهل ، ولا مراء في حسن نيتي ، فلعلك لا تجدين بأساً في أن أقول لك إنك من أجمل من رأت عيناي من النساء » .

فضحكتُ وقلت : « ما من شك في أنها حسبتك مجنوناً ! »

فقال شارلي : « بل أنا نفسي حسبتُني كذلك ، ولكنني لم ألبث أن قرّ رأيي على أني ما فعلت في حياتي شيئاً أحكم من هذا . لقد أشرق وجهها سروراً ، فهي قد بلغت تلك المرحلة من الحياة التي نحتاج فيها جميعاً إلى بعض ما يشدّ أزرنا . فنحن يومئذ نبدأ نرتاب في استطابة الناس لعشرتنا وميلهم إلينا ، ومن الخير أن نجد من يقوّي ثقتنا بأنفسنا . غير أن الأكثرين من الناس يضنون بهذه الفيتامينات التي تنعش النفس » .

ولا جدال في أن شارلي كان مصيباً ، فإن أشدنا تواضعاً ليحسّ بالغبطة حين يسمع كلمة تقدير ، وأكبر الظن أنه يضاعف جهده ليكون لها أهلا . وليس يخلو أحد منا من تلك الفترات الأليمة التي يسائل فيها نفسه : « أتراني حقا قد أجدت العمل ؟ » « أوَ قد استطابت الجماعة هذه الليلة مجلسي ؟ » وفي مثل هذه اللحظات يكون وضع يد على كتفك تشجيعاً أي تشجيع .

وليس فيمن يؤبه له من الرجال من يطلب مدحاً لم يكسبه بعمله ، أو ملقاً لا يخفي كذبه . وليس من هذا الباب التفاتنا إلى أحسن ما في صديقنا ، وتنويهنا بمواضع الإحسان فيه دون مواضع الإساءة .

فإذا ما قلت لزوجتي إن لها وجه الزُّهرة ربة الجمال وقوامها ، فإني أكون كذاباً وتعلم هي أني أكذب ، وأما إذا قلت لها إنها جميلة في عيني ، فإنها تعلم صدق هذا القول . ولعلها تقول كالمعترضة : « عجباً ، ما أنا إلا عجوز كرشاء مكتنزة » . ولكنها مع هذا عليمة كل العلم بأن الحب — وليس هو بالأعمى كما يقولون — يرى من المحاسن ما قد يخفى على غير المحب .

وإني لأفهم وأعطف على زوجة الفلاح التي يحكى أنها قضت سنوات قائمة على الطهي والخدمة في البيت فلم تسمع كلمة ثناء واحدة ،

غداة يوم قدمت إليهم الغـداء من علف الماشية ، فلما احتج القوم كان جوابها لهم : « ما سمعت منكم قط كلمة أفهم منها أنكم تعلمون فرق ما بين هذا وذاك » .

وليس المرء كما يتصور نفســه فحسب ، بل هو كما يتصوره الناس أيضاً . وقد جاء في لوحة معلقة على بعض المخازن في بوسطن : « موظفونا جميعاً مؤدبون ومقتدرون » . فمن ذا تراه من هؤلاء الموظفين يرضى لنفسه أن يخرج على هـذه الـكلمة الطيبة ويثبت على نفسه كذبها ؟

ويوم كنت في وشـنطن ناقداً مسرحياً ناشئاً ، بلغني أنه يحتمل أن تشهد مدينتنا بعـــد أشهر قلائل أول عرض في أمريكا لمسرحيــة روستان الشهيرة « سـيرانو دي برجراك » ، وذاك خبر مسرحي على أعظم جانب من الخطر ، فعمـدت إلى ما كنت ادخرته من كسبي فأنفقتــه جميعاً في رحلة إلى باريس لأشهد الممثل العظيم كوكلان في دور « سيرانو » ، ثم قضيت معظم فراغي بعد ذلك في التحضير والاستعداد . وفي ليلة التمثيـل الأولى في وشنطن ـــ وكانت من أروع الليالي ـــ أكببت على تدبيج مقالتي .

كنت على يقين بأني أديت عملي أحسن الأداء ، فلما لم ينوه به أحد من رؤسائي انفثأت كبريائي وتبددت سعادتي ، لولا أن جاءني بعد الظهر كتاب حار اللهجة ظاهر الحماسة من رئيس التحرير ، وهو معلق على الحائط أمامي وأنا أكتب هذه الـكلمة . ولا يستطيع أحد أن يتصور ما أفادنيه هذا الـكتاب من عزيمة وإيمان بالجهد المبذول ، مدى خمسة وأربعين عاماً .

كلنا محتاج أن يشعر بحاجة الناس إليه ، وكلنا يحب أن يحبَّ ويودّ . وأكثرنا لا يألو جهداً في إتقان عمله ، ولـكن كيف نوقن بأننا مقتدرون ، محبوبون ، وأننا من خيرة العاملين ، إذا لم يقل ذلك لنا أحد ؟

إنه لينذر بين الناس من لا يأسف على كلمة جارحة قالها ، ولـكنني لا أعرف أحداً لم يرض عن تصريحه بالحب أو الإعجاب . ولعـل أصدق ما يقال في هـذا المقام كلمة صديق لي صبي حييته بكلمة طيبة ، فعقب عليهـا بقوله : « إن الأزهار تترك بعض شذاها في اليد التي تهديها » .



لا يهرم المرء حتى يحل الأسف على ما مضى محل الأحلام .

[جون باريمور]

ماتبغيه روسيا

لإنشاء قاعدة للصداقة بين شعبي روسيا والولايات المتحدة يجب أن يفهم الأمريكيون . .

ملخصة عن كتاب "وقت الحسم"

لمؤلفه سمنر ولز

وكيل خارجية الولايات المتحدة سابقاً

في السنوات الأولى التي تلي الحرب، ستكون كبرى الدول العظمى من الوجهتين المادية والعسكرية، هما الولايات المتحدة واتحاد جمهوريات السوفيت الاشتراكية. وسيتوقف الاحتفاظ بالسلام العالمي وتقدم الإنسانية على رغبة هاتين الأمتين في العمل معاً، وقدرتهما على ذلك.

وقد كانت العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا في ربع القرن الماضي مطبوعة بطابع الاسترابة المتعصبة والعداء العميق الجذور من الجانبين، وكان الرأي العام في أمريكا مفرغاً في قالب من المقت الإجماعي تقريباً للشيوعية بجميع وجوهها، وخاصة مبدأها الذي يرمي إلى الثورة العالمية، وأعمال الحكومة السوفيتية المتطرفة الدموية، ومحاولتها عبثاً القضاء على الدين. وقد رأى الشعب الروسي، من جانبه، أن الولايات المتحدة والدول الأخرى الرأسمالية، كما تسمى، قد أقامت ضده سوراً من العداء السياسي، ورأى الدول الغربية توفق على نقل أرض ظلت سنين عديدة جزءاً لا يتجزأ من روسيا الكبرى، إلى شعوب أخرى.

وكان عنده من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد منذ عهد غير بعيد، أن الدول الغربية، رغبة منها في صرف الدول المتلصصة عن حوزتها، مستعدة للموافقة على الخطة الخبيثة التي وضعتها هيئة أركان الحرب العامة الألمانية لتقسيم أسلاب أخرى تنتزع من روسيا، بين ألمانيا واليابان.

ويمكن أن نقول بإيجاز إن السجل ليس بذي جانب واحد، فإذا لم تقم الحكومتان والأمتان بمحاولة صادقة لإيجاد قاعدة جديدة للعلاقات بين الدولتين، فإن حجر الزاوية في أي نظام دولي في المستقبل سيكون معدوما.

وخليق بهذا الجهد أن يكون أسهل على الأمريكيين إذا هم تذكروا دائماً عوامل معينة بارزة في تاريخ الشعب الروسي. ففي خلال الخمسة عشر عاماً الماضية كانت الأهداف العالية التي تنشدها روسيا تماثل إلى حد مدهش، الأهداف التي كانت تنشدها الحكومات الروسية في القرنين الماضيين.

وقد أحدث بطرس الأكبر أول تغيير مهم في تاريخ روسيا ، وذلك أنه بانتزاع الولايات البلطيقية من السويد ، حصل لروسيا على « نوافذ إلى الغرب » أي المنفذ الحيوي إلى بحر البلطيق ، ولولاه لما استطاعت أن تصبح دولة أوربية ، وانتزعت كاترين وبوتمكين من تركيا سيادة البحر الأسود ، وبذلك بدء ذلك النضال الطويل مع بريطانيا العظمى للسيطرة على الدردنيل . ولو كان في أيدي الروسيين ، لصارت روسيا من دول البحر الأبيض المتوسط . وكانت كاترين أيضاً هي التي تواطأت مع بروسيا والنمسا على اقتسام أرض بولندة في ثلاثة اعتداءات متتابعة حتى كانت سنة ١٧٩٥ فامّحت بولندة من الوجود .

ومن سنة ١٦٨٩ إلى سنة ١٨٦٩ كان كل قيصر يعمل على التوسع المطرد لرقعة روسيا مجتازاً سباسب سيبيريا إلى المحيط الهادي . وقد انتهى هذا بأن توطدت قدم روسيا ، كدولة من دول المحيط الهادي تمتد سيطرتها التامة جنوباً إلى نهر أمور .

وقد دار كثير من تاريخ أوربا على هذه السياسات الروسية في الماضي ، ومن رأيي أن مثل هذه السياسات سيكون لها قريباً دور مهم آخر .

ولما كانت سنة ١٩١٧ وأسقط الشعب الروسي القياصرة عن عرشهم ، كانت روسيا قد تمثلت ما استولت عليه من الأرض ، وكانت فضلا عن ذلك قد تلقت عهداً من الحكومات المتحالفة بأنها ستمنح ، في نهاية الحرب ، السيطرة على الدردنيل . ولكن بعد أن أرغمت الحكومة البلشفية على عقد معاهدة برست - ليتوفسك مع ألمانيا التي كانت تبدو منتصرة في سنة ١٩١٨ ، نزعت منها في أوربا الوسطى والشرقية كل الأراضي التي كانت قد ربحتها منذ أيام بطرس الأكبر . وبعد ذلك مباشرة كسبت فنلندة بقوة السلاح استقلالها عن روسيا ، ونالت لاتفيا وأستونيا أيضاً على البلطيق حريتهما ، ومنحت لتوانيا استقلالها بمقتضى معاهدة فرساي . وهكذا أغلق مدخل روسيا إلى البلطيق .

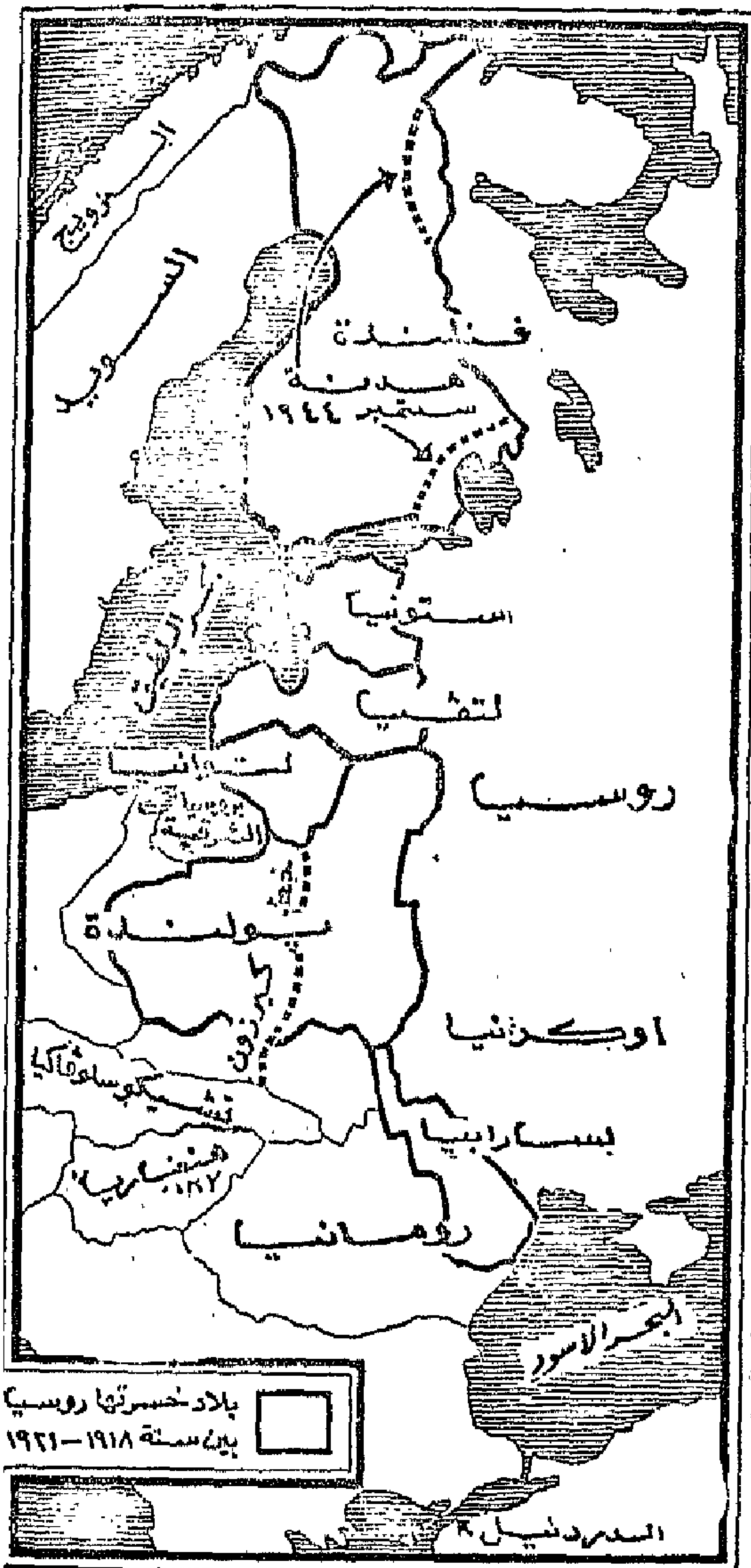
وفي سنة ١٩٢١ بعد أن هزمت الجيوش البولندية بمساعدة الفرنسيين الجنود الروسيين عند أبواب وارسو ، حرمت روسيا رقعاً واسعة أخرى ، فيها جانب كبير من أوكرانيا . وكانت ولاية بسارابيا ، بمقتضى معاهدة فرساي قد ضمت إلى رومانيا الجديدة . وهكذا بدأت روسيا العهد التالي للحرب وهي مجردة من أقاليم واسعة مترامية في أوربا الشرقية ، تعدها حيوية لأمنها وسلامتها .

وفى الوقت نفسه كانت أقاليم سيبريا الروسية تغزوها اليابان والدول المتحالفة الأخرى المصممة على مساعدة العناصر الرجعية فى داخل روسيا على قلب الحكومة الثورية ، وإبدالها بحكومة محافظة مسخرة لأهواء العالم الغربى . فليس مما يدهش أن يكون الشعب الروسى تربة خصيبة للدعاية ضد « الأمم الرأسمالية النهابة » وفى جملتها الولايات المتحدة . ولم يكن من شأن الزهد الطويل من جانب الولايات المتحدة فى الدخول فى علاقات رسمية مع حكومة السوفييت ، أن يبدد الشكوك والريب العميقة الجذور من الجانبين .

على أن الواقع أنه ليس ثم أسباب تقليدية أو مادية للعداء بين الولايات المتحدة وروسيا ، فما اصطدمت بها المصالح الأمريكية إلا نادراً . والولايات المتحدة هى الدولة العظمى الوحيدة التى ينبغى ، من وجهة النظر الروسية ، أن يتيسر بسهولة كبرى إنشاء صداقة دائمة معها . غير أنه لم يحصل إلا تقدم حقيقى يسير فى هذه الناحية ، فيما عدا المساعدة الحربية العظيمة القيمة التى قدمتها أمريكا .

وينبغى أن تكون الخطوة الأولى هى التفكير النزيه فى هذا السؤال : ماذا تبغى روسيا ؟ وعلى الجواب تتوقف قدرة الأمم المتحدة على إقامة نظام دولى يستطيع المحافظة على السلام فى العالم . ويبدو ، على قدر ما يستطيع المرء أن يتبين ، أن حكومة السوفييت عادت إلى اعتناق الفكرة التاريخية عن مصالح روسيا العالمية .

ويبدو لى أنه فى الشمال الشرقى من آسيا ، ستحاول حكومة السوفيت عند



انتهاء الحرب مع ألمانيا أن ترد اليابان ، إلى مركز يتركها عاجزة عن تهديد السيادة الروسية . وقد ينضم اتحاد جمهوريات السوفيت فعلا إلى الحرب ضد اليابان ، أو يساعد الحلفاء على إنزال الهزيمة بها .

ومتى أقصيت اليابان عن أرض القارة الأسيوية فإنه يكون من المعقول أن يطلب الاتحاد السوفيتي الرجوع بروسيا إلى المركز الذى كانت فيه قبل سنة ١٩٠٦ — أى السيادة على كل جزيرة سخالين ، وتثبيت مركزها الحالى فى سنكيانج ومنغوليا الخارجية ، وحماية مصالحها المالية والتجارية حماية تامة فى منغوليا الداخلية .

وفى الشرق الأدنى ، يبدو أن تصريح طهران الذى يؤيد استقلال إيران ، دليل مقنع على أن اتحاد السوفيت لا يبغى إلا الحماية ، على قدم المساواة مع الدول الأخرى ، لتجارته المشروعة فى المناطق الواقعة شمال الخليج الفارسى . على أن التكهن بالسياسة الروسية فى أوربا الشرقية والبلقان ، أصعب . ففى آخر سنة ١٩١٦ طلبت الحكومة القيصرية الروسية جزءاً من بروسيا الشرقية ، وأن تكون حدودها الغربية فى الكربات ، وأن تكون لها السيطرة على الدردنيل . وكانت الفرص التى كان يبدو أنها تنشدها يومئذ فى البلقان ، خليقة أن تكفل لها « منطقة نفوذ » سياسية من غير استيلاء على أرض ما ، داخل تلك المنطقة .

ويستفاد من الدلائل الحاضرة أن أطماع حكومة السوفييت ليست مختلفة عن تلك فى أية حال ، فهى تأبى البحث فى موضوع إعادة جمهوريات البلطيق الثلاث إلى الاتحاد السوفيتى . أما فيما يتعلق ببولندة فقد أظهرت حكومة السوفييت بجلاء أنها تصر على أن تجرى حدود بولندة الشرقية على ما يسمى خط كيرزون الذى رسم سنة ١٩١٩ ، تقريباً .

وهذا الخط الذى رسمه مؤتمر فرساى كان فى بداية الأمر موضوع احتجاج بولندة بحجة أن الحدود البولندية سنة ١٧٧٢ ؛ وهى التى خطتها أمواج الفتح غير الثابتة ، يجب أن تعاد . فلما أبت حكومات الحلفاء أن تغير قرارها الذى يقضى بأن لا تضم إلى جمهورية بولندة الجديدة إلا الأرض التى لا نزاع فى أن أهلها بولنديون ، حاول المارشال بلسودسكى أن يرضى آمال البولنديين بالقوة المسلحة ، وبعد أن انهزمت روسيا دخل فى الحدود البولندية أقوام من الروسيين ، والروسيين البيض ، والأكرانيين يبلغ عددهم عدة أضعاف البولنديين الأصليين فى تلك المناطق .

ليس ثم شىء قدسى فيما تعلق بالحدود البولندية الشرقية كما خطت حينئذ ، وحرى

بخط كرزون الذى لا يدخل فى بولندة إلا المناطق التى فيها كثرة بولندية ، أن يقيم حدوداً أكثر انطباقاً على مبدأ تقرير المصير ، وأن يكون من أجل ذلك أكفل للاستقرار فى هذه الناحية المرزوءة من شرقى أوربا .

وقد أعلنت حكومة السوفيت مراراً أن روسيا تريد استقلال فنلندا والنمسا والمجر ورومانيا وبقية ولايات البلقان ، وستسترد حكومة السوفيت — وينبغى أن تسترد — إقليم بسارابيا الذى انتزعته منها رومانيا فى سنة ١٩١٩

أما الدردنيل الذى ظل عدة أجيال عاملا مسيطراً على السياسة الخارجية الروسية ، فإن تقدم الطيران قلل كثيرا من قيمته الاستراتيجية لروسيا وأمنها وسلامتها ، وليس ثم ما يجعل مسألة المضايق التاريخية مثاراً لمتاعب إلا إذا لم تكن هناك هيئة عالمية يشترك فيها اتحاد السوفيت ، وكانت السياسة التركية تهدد مصالح روسيا الحيوية .

ولحكومة السوفيت حق مشروع يخولها أن تشجع قيام نظام إقليمى فى أوربا الشرقية قوامه حكومات مستقلة متعاونة حسنة النية ، فى البلاد المجاورة لروسيا كحق الولايات المتحدة ، الذى يسوغ تشجيعها نظاماً أمريكيا مؤلفاً من إحدى وعشرين جمهورية أمريكية ذات سيادة ، فى النصف الغربى من الكرة الأرضية . ولا شك أنه إذا حاول اتحاد السوفيت أن يستخدم مثل هذا النظام الإقليمى للسيطرة على الشئون الداخلية لدول مستقلة تمهيداً لضمها فيما بعد إلى الاتحاد السوفيتى نفسه ، فإن أمم العالم الأخرى لا يسعها حينئذ أن تعد ذلك دليلا على أن روسيا قد شرعت فى اتباع سياسة ترمى إلى التوسع . ولكن ، من جهة أخرى ، إذا كان مثل هذا النظام قائماً على مثل القواعد العامة التى يقوم عليها النظام الأمريكى الذى يكفل لكل دولة استقلالها وسيادتها ، فإنه خليق أن يصبح أحد الأركان فى نظام عالمى وطيد .

وينبغى أن تؤيد السياسة الخارجية للولايات المتحدة هذه المبادئ :

١ — من حق حكومة السوفيت أن تعين حدودها بحيث تكفل لها الأمن والسلامة ، مع مراعاة حق الشعوب التى تقطن الأقاليم التى يعنيها الأمر ، فى تقرير مصيرها ، على أنه يجب الاعتراف بأن الطريقة التى جرى عليها اتحاد السوفيت فى الاستفتاءات التى حدثت فى عام ١٩٣٩ ، جعلت هذه الاستفتاءات لا أكثر ولا أقل من وسيلة لستر الاحتلال العسكرى . فإذا أريد الاستيثاق من أن حدود روسيا فى المستقبل لا تلحق بها إلا مواطنين راغبين لا زاهدين ،

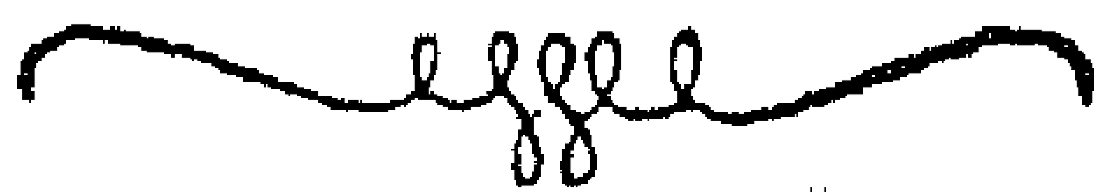
فإنه يحسن بحكومة السوفيت أن تجرى استفتاء علنيا فى كل حالة تدعو إلى الشك فى إرادة الأكثرية ، وأن تسمح لكل الأفراد الذين لا يرغبون أن يكونوا مواطنين فى الاتحاد السوفيتى أن يرحلوا بما يملكون، وأن تعوضهم تعويضاً كافياً عما يضطرون إلى تركه والتخلى عنه من أملاكهم .

٢ — ولحكومة السوفيت الحق فى أن تتخذ من الخطوات ما تراه واجباً لإنشاء نظام إقليمى فى أوربا الشرقيـة . وليس للولايات المتحدة ما يخولها فى رأيى أن تعترض إلا إذا تدخلت حكومة السوفيت فى الشئون الداخلية للأمم الأخرى ، لأن هذا التدخل يقضى على قاعدة أى نظام دولى صالح ، فتصبح الدول الأخرى مضطرة أن تتخذ التدابير التى تكفل لها سلامتها وأمنها .

على أنى أعتقد أن روسيا ستعمل وفق المبدأ القائل بأن رخاءها وأمنها لا يكفلهما إلا نظام دولى قادر على الاحتفاظ بالسلام فى العالم ، فإذا انتهجت هذه السبيل فإن ثم عدة طرق تستطيع بها الولايات المتحدة أن تساعد الشعب الروسى فى مهمة التجديد والتحول الصناعى .

وستكون حاجة روسيا عظيمة فيما بعد الحرب مباشرة، إلى الاعتمادات المالية، وإلى خبرة الاخصائيين، وإلى الآلات والمعدات من كل نوع . وتكاد الفرص التى يتيحها هذا الوقت للنشاط الأمريكى ولتجارة الصادرات الأمريكية ، تكون بغير حصر . والتجارة المتبادلة وسيلة فعالة لإيجاد علاقة وثيقة محمودة بين الدولتين ، ومن شأن ذلك أن يفيدها معاً سياسيا ومادياً إلى مدى بعيد .

وثم من الاحتمالات ما يجعل روسيا أعظم دولة فى العالم ، وفى وسعها أن تصبح أعظم خطر هدد العالم إلى الآن ، وفى مقدورها كذلك أن تكون أكبر قوة تعمل للسلام وللتطور والتقدم فى العالم . وليس من المبالغة فيما أرى أن أقول إن منهج روسيا فى المستقبل يتوقف إلى حد كبير على إمكان إقناع الشعب الروسى وحكومتـه بأن مصلحتهما الحقيقية الدائمة هى فى التعاون مع الولايات المتحدة على إنشاء نظام عالمى ديمقراطى فعال والاحتفاظ به .



ليس فى الحياة ما هو حقيق بأن يُرْهب ، بل إنه لحقيق بأن يُفهم .

[مدى كورى]

الطبيب الفنان

جوزيف اوسلاندر

لما تبين تونى ، بائع الثلج ، فى وجهى دلائل السقم ، يومئذ عرفت طبيبى هذا. ومن كان مثلى شاعراً ناشئاً قليل المال فإنه يتناول طعامه حيثما استطاع ، فلا غرو إذا كان أكثر ذهابى فى تلك الأيام إلى مطعم رخيص كان تونى أيضاً من مرتاديه .

وفى إحدى هذه المرات قال لى تونى بلهجة أهل نابولى ، وقد شابت رائحة الثوم أنفاسه : « إنه رجل ذو مروءة ، وهو بسيط مثلنا . ثم هو ردء السقيم سلما . ستلقى من يديه العون » .

فمضيت إلى ذلك الشارع الرث من شوارع نيويورك الجانبية حيث يقيم الطبيب ، فراعتنى منه لأول وهلة عيناه ، لقد كانتا عجيبتين فى لطفهما وصراحتهما كأنهما عينا طفل ، فإذا ضحك — وكثيراً ما كان يضحك — تحددت أساريره حتى صدغيه .

ولقد كنت خائفاً على مصير العشرين ريالا التى كانت معى وعليها معوّلى بقية الشهر . فما أتم الطبيب كشفه علىّ ، حتى سألته عن الأجر . « أجر ؟ » وضحك كأنها نكتة سمعها : « أنت غير مريض — إنما هو الكد والعمل المرهق . أتأجرنى لأنى أخبرتك بذلك ؟ ثم ، أنت شاعر ، وأنا أحب الشعر . أنشدنى قصيدةً تكن قد أدّيت إلى حسابى كله » .

وهبطت درج السلم المتهدم وبى خفة ونشاط عجيب . ولم أكن أدرى أن طبيبى كان يستطيع ، لو شاء ، أن يكون مستشاراً ضخم المرتب فى أى مستشفى فى المدينة من المستشفيات الراقية الزاهرة الأنيقة ، فقد كان الرجل مشهوراً بحذقه العجيب المنفرد ، ولكنه ردّ كل عرض من هذا القبيل . إن رثاثة الحال والفقر اللذين كابدهما حتى نال شهادة الطب ، قد أورثاه هذه الرحمة المشرقة النادرة المثال ، فأيقن من نفسه أنه باق على الدوام طبيباً للحىّ الذى هو فيه ، يخدم الناس الذين أحبهم وفهمهم فى هذا الجانب المتهدم الذى يستدبر البحر من نيويورك . ولقد كان الرجل سعيداً بهذا الذى أيقنه من نفسه .

وأصبحنا فى الأعوام التالية أصدقاء تربط بيننا صداقة وثيقة ، وجعلت شيئاً فشيئاً

جوزيف أوسلاندر شاعر من أعلام الشعراء الأمريكيين ، وكان محاضراً فى جامعتى هارفرد وكولومبيا سنوات عدة ، وكان إلى عهد قريب مستشاراً فيما يتعلق بالشعر فى مكتبة الكونجرس فى وشنطن . وهو الآن فى إجازة طويلة يقف ـه كله على الكتابة والتأليف .

أضم شتات هذه المعلومات التي جعلت منه عندي شخصية لا تنسى .

كان أبواه من المهاجرين ، وكان طبيبي رضيعاً حين مات أبوه . وقد حدثني كيف كانت توقظه في الساعة الرابعة صباحاً ، وهو غلام صغير ، جلبةُ آلة الخياطة التي تشتغل عليها أمه . وكأنما كانت في جلبتها تردد : « كركر ! كركر ! كركر ! سبعة أفواه لا بد من إطعامها . كركر ! كركر ! كركر ! سبعة أفواه لا بد من إطعامها » ، فقد كانت أمه إحدى أولئك النسوة المساكين اللواتي استغلهن نظام فاسد امحى اليوم وعفا أثره : كانت تصنع الجوارب في البيت تلقاء أجر زهيد على آلة خياطة وبخيط تمدها الشركة به .

وظلت آلة الخياطة دائرة صاخبة ، حتى كبر الأطفال الستة وبلغوا سن العمل . وذهب طبيبي وهو حدث يعمل في مصنع للعلب ، وكان يقوم من فراشه في الساعة الخامسة ، ويمشي على قدميه أربعة أميال ليقتصد أجرة الركوب ، ويظل واقفاً اثنتي عشرة ساعة يكوّم العلب بعضها فوق بعض ، ولا تدفئة في الشتاء ، ولا نوافذ للتهوية في الصيف ، طعامه كسرة خبز أو شريحة صغيرة من اللحم المجفف في الغداء ، ولكنه كان بعد هذا الكد المتصل المضني يذهب إلى مدرسة ليلية ، فإذا رجع إلى الدار كانت كلها حالكة الظلمة — إذ كان صاحب الدار يطفىء نور الغاز في الساعة العاشرة ، فكان يأخذ شمعة إلى غرفة دورة المياه في السطح (حتى لا يوقظ النور سائر أهله) وينكب على الدرس هنالك في البرد .

وفي ذات يوم تقدم إلى رئيس العمل ، فحدد بصره إليه وصاح في وجهه : « لا زيادة في الأجر » .

فأجاب الفتى في هدوء : « هذا أمر لا شأن له بالزيادة ، بل أنا ذاهب إلى الكلية » .

وذهب الفتى إلى الكلية ، وظل سنوات يكافح من ألوان الصد والخيبة مالا حاجة هنا إلى ذكره .

وأصبح طبيباً ، فكان مرضاه كأنهم أولاده . كان أباً رفيقاً وإن يكن غير مصقول الحواشي ، فلم يكن يعرف المناغاة ولا المداهنة الناعمة ، وإنما هو فيض متدفق يغمرك . وإذا هو فحصك ، مرت أنامله على بدنك كأنما يمر بها على معزف يختبر كل وتر فيه فلا يخطىء الملمس . إنه لحاذق بارع ، له يد فنان وقلب طفل . وهذا الحب الذي في قلبه هو الذي يشفي المرضى بقدر ما تشفيهم أدويته على السواء . وكان يعد كل حالة يعالجها لغزاً إنسانياً يرتاد مجاهله .

وإني لأذكر المعجزة التي أتى بها حين

وقعت أمه فانكسر عظم وركيها وهي في الثمانين من عمرها ، فقد كان مما لا يتصوره الوهم أن تستطيع المشي ثانية — بل لم يكن يتصور أحد أنها تعيش بعد هذه الصدمة ، ولكن طبيبي أنقذها وجبر كسرها على رغم ذلك كله . ولما كان جسمها أضعف بنياناً من أن يحتمل القوالب ويطيق الشدّ ، فقد جعل من أصابع كفيه الحساسة القوية مهداً تستقر عليه هذه العظام المهيضة طوال الخمسة الأيام والليالي الأولى ، حتى بدأت العظام تلتئم . ولم يتخلل هذا السهر المتصل إلا فترات للراحة قصيرة قليلة . وحين رأيتها آخر مرة كانت تذهب وتجيء منهمكة في أعمال البيت .

فإذا ما عرضت حالة لا تسير كما يشتهي رجع على نفسه باللائمة ، فيقول لي : « يا جوزيف ، لا شك أن هنالك شيئاً كان يجب أن أفعله ، أو أن هنالك شيئاً فعلته وكان يجب أن لا أفعله . لعلي لم أتوجه إلى الله كما ينبغي ، أو لعلي غضبت لشيء من الأشياء فأخرجني غضبي عن رعاية مريضي هذا حق الرعاية » .

ولقد علمت أنه كثيراً ما يجود بالمال على الفقراء من مرضاه . وكان يقول لي : « أتدري ، كان في جيبي هذا الصباح أربعون ريالا ، وأنا الآن مفلس ! » . ثم يخبط على جيوبه بشدة : « ماذا عساك فعلت بهذا المال ؟ مهلا إن مسز مارجوليز العجوز أخذت خمسة ريالات ، وأما الباقي ... حسناً ، لقد كان في عيادتي اليوم عدد كبير من الفقراء ! » .

وفي الكثير من الأحيان كان من يعجز من النساء عن دفع أجره الطفيف يحمل إليه كعكة أو رغيفاً طازجاً ، وكانت لديه خزانة مشحونة بالهدايا من المرضى الشاكرين له فضله وحسن صنيعه رجالا ونساء — كدُرّاعات من الصوف ، وشيلان ، وقفازات من الصوف ، وأكداس من الجوارب (معظمها من قياس لا يناسبه) وكلها مما حاكته له نساء الحي ، أو مساند الكتب من صنع التلاميذ في تمرينهم على الأعمال اليدوية ، أو مطارح الجلد التي توضع على المائدة تحت الصحون ، أو مظلات للمصابيح من الودع والخرز . وفي الحين بعد الحين كان يرسل هذه الأشياء المتجمعة إلى حيث يستفاد منها .

وكان يستصرخ بي في بعض الأيام بالتلفون « لقد هدني التعب . وإذا كنت لا تستطيع الحضور من فورك فأنشدني الآن بعض الشعر في التلفون ، فإنه يزيل هذا الذي يأخذ بخناقي » . وأظن أن الشعر كان أحب شيء في الدنيا إليه خلا صناعته وأسرته .

وقد أطلعني على استحياء مرة أو مرتين، على بعض أبيات نظمها، وهي على سوء نظمها موفورة القوة والجمال.

ولطبيبي شغف بالغ بالأزهار والمروج الخضر واختلاف ألوان الفصول، ولكنه مع ذلك قلما ابتعد عن أرصفة نيويورك إلا في نزهة في الزورق على نهر الهدسون. وأبعد مرة فذهب إلى فلوريدا ليقضي شهراً مع زوجته وأولاده، فلم يمض أسبوع حتى رجع، لانشغال باله بما عساه يحدث لو عاود ورم الثدي فلانة، أو لو جاء فلانةَ المخاضُ بالولد الخامس قبل الموعد بأسبوع.

بل كأنما تحالفت الأيام على أن لا تسمح له بالراحة. فقد اتفق، بعد أكثر من سنتين لم يسترح فيهما يوماً واحداً، أن ذهب مع أسرته ليقضي أسبوعين في أحد المصايف ولكنه لم يكد يستقر حتى تفشى وباء في بعض المصايف المجاورة بين غير ذوي المناعة من الصغار. فلما تبين أنه شلل الأطفال، انتقل إلى ذلك المصيف وجعل يعمل ليل نهار من غير ملل، يعزل ذوي الحالات المشتبه فيها، ويتخذ التدابير الصحية، ويتعهد المرضى، فبرىء برءاً كاملا ستة أطفال من سبعة أصيبوا إصابة بالغة، وخرج السابع الباقي يظلع ظلعاً خفيفاً، ولكن لم يستبد بساقيه العجز.

وذات مرة ظل مشتاقاً أسابيع يرقب ليلة عرس. وهو عرس اثنين من أعز زبائنه عنده: فتاة إرلندية حسناء، وشاب إيطالي جميل. وكان مولدهما على يديه، وقد وعد أن يخلو من العمل اليوم كله، وأن يرتدي أحسن ملابسه، وأن يأتي مبكراً وينصرف متأخراً. فهو في هذه المرة قد عقد عزمه على أن يأكل، ويشرب، ويغني، ويرقص.

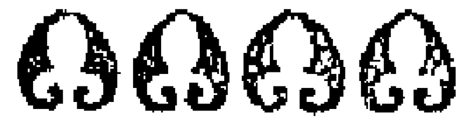
فلما وصل متأخراً لحالة مستعجلة عاقته أجلسوه في الصدر وأمامه قدح من النبيذ الأحمر وصحفة من الفراريج المشوية. فإذا عظمة قد نشبت في حلق أم العروس، وما كاد يفرغ من إخراجها حتى سنحت منه التفاتة إلى أخيه الأصغر وقد حشا جوفه بالكعك والحلوى، فإذا به قد انتشرت على إهابه — انتشار النغم في سنفونية صاخبة — نقط حمراء قرمزية، هي الحصبة! ثم بعد أن أرقدوه في فراشه، إذا بإحدى العمات يأخذها المخاض، ووافى المولود قبل أن يتسع الوقت لحمل المرأة في سيارة إلى عيادة الطبيب. على أنها لم تكن المرة الأولى التي تولى التوليد فيها على مائدة مطبخ، ولكنها كانت أول مرة قام فيها بالتوليد في ليلة عرس.

وفي ساعة متأخرة من هذه الليلة، كلمني بالتلفون، وقال في لهجة المهموم:

« يا جوزيف ، أرى أن فى الأمر قدراً معاكساً . لقد أردت مرة بعد حين من الدهر أن أقضى يوماً فى لهو وطرب ، وصرفت عن ذهنى كل شىء سوى ذلك ، فإذا بهذه الأشياء تحدث . لقد عملت فى هذه الحفلة أكثر من عمل يوم كامل فى عيادتى ! » ثم تنهد وقال : « لعل هــذه هى أوقات السعادة التى خصصت بها وخلقت لها ! »

كان هــذا منذ عشر سنوات مضت ، وبالأمس فقط بلغنى أن طبيبي قد وافاه الأجل . لقد مات فقيراً ، وكانت جنازته بسيطة ، نبيلة ، قصيرة التشييع ، ولكن ماخلفه من الذكريات الغالية التى لا تقدر ، ومن عبرات أبناء الحي ودعواتهم من كل جنس وكل ملة — هى أثره الدائم وتمثاله القائم .

أيها الطبيب والصديق تحيةً ووداعاً !



نفسية الصغير

عرضت والدتى أن تعنى بابنة صديقة لها ، حين اضطرت للسفر ، وكانت الفتاة فى العاشرة .

دخلت دوروثى فى الصباح الأول حجرة الطعام ولكنها لم تأكل شيئاً ، فسألتها والدتى : ما بالك يا دوروثى ألا تحبين شيئاً مما نقدمه للفطور ؟

فقالت دوروثى : لا

فقالت والدتى : ماذا تقدم والدتك للفطور ؟

فأجابت دوروثى تقدم دائماً « فطيراً » ساخناً . وظنت والدتى أن بالفتاة حنيناً إلى بيتها ، فرغبت فى الترويح عنها ، فهرعت إلى المطبخ وعادت بعد غياب طويل ، بصحن ملىء بالفطير الأسمر الساخن وقدمته لضيفتها الصغيرة ، فقالت دوروثى : « شكراً ، لا » .

فدهشت والدتى وقالت متعجبة : ولكننى ظننت يا دوروثى أنك قلت إن والدتك تقدم فطيراً ساخناً للفطور .

فقالت دوروثى فى هدوء : « أى نعم إنها تقدمه ، ولكننى لا آكله » .

[ماى آن ريام]

أربعون دقيقة غيرت وجه الحرب



هذا حين إماطة اللثام عن غارة حاسمة شنها سلاح الطيران البريطاني فأرجأت إنتاج القنابل الطائرة الألمانية .

ألان ميكى
ملخصة عن مجلة "ستردای نایت"

في أصيل اليوم السابع عشر من أغسطس سنة ١٩٤٣ اجتازت البحر الشمالي أسراب هادرة مؤلفة من ٦٠٠ قاذفة ليلية ضخمة ، وفي اليوم التالي ورد في بلاغ وزارة الطيران البريطانية أن غارة شنت على مركز البحث والتحسين في بيناموندى .

وهذه الكلمات الغامضة قصداً في البلاغ تنطوى على قصة من أروع قصص الحرب . وقلّ من علم حينئذ أن قيادة القاذفات البريطانية ، كسبت معركة جوية كانت نقطة تحول في الحرب . وقد ظل ذلك سراً مكتوماً مدى سنة تقريباً ، إلى أن بدأت القنابل الطائرة الأولى تسقط على لندن .

كان الهجوم الجوى البريطاني ، قد أحدث حتى ربيع سنة ١٩٤٣ جراحاً بالغة في وجه ألمانيا ، فلم يكن للنازيين بدّ من أن يحصروا إنتاجهم في الطائرات المقاتلة ، ليصدّوا قاذفات الحلفاء .

ولم يلبث سلاح الطيران الألماني ، بعد هبوط قوته القاذفة إلى بضع مئات من الطائرات العتيقة ، أن غدا عاجزاً عن اختراق الدفاع البريطاني ، إذا استثنينا غارات صغيرة تأثيرها كوخز الإبر . ولكن لم تزل هناك القنابل الطائرة والصواريخ بعيدة المدى ، لإرضاء ما يطالب به الشعب الألماني من الردّ على قذائف الحلفاء بمثلها . فإذا كان في الوسع صنع هذين السلاحين صنعاً واسع النطاق ، فإنهما يمكنان الألمان من الانقلاب إلى الهجوم الجوى بدون أن يستعملوا قاذفاتهم العزيزة وطياريهم .

واتخذ القرار ، وأصدر هتلر أمره بإنجاز تجارب القنابل الطائرة والصواريخ ، واستعجال صنع مقادير وافرة منها .

وكان المركز الأول لتحسين صناعة هذه الأسلحة ، معهد البحث التابع لسلاح الطيران الألماني في بيناموندى ، الذى أخفى بدهاء في غابة تلى ساحل بحر بلطيق ، على ٦٠ ميلا إلى الشمال الشرقي من مدينة شتتين ، وعلى ٧٠٠ ميل من إنجلترا ، وكان قد أقيم له حاجز من الأسلاك المكهربة لردّ كل فضولى مستطلع .

حشـد الألمـان فى بينامونـدى أبرع الفنيين وأعلى الباحثين مقاماً فى علوم الهندسة والطيران ، وعهد برئاسته إلى العالم الممرس الميجر جنرال ولفغانغ فون شامبيه جلينز تسنسكى ، البالغ من العمر تسعا وأربعين سنة . وانضوى إليه بضع آلاف من الأساتذة والمهندسين والخـبراء فى المحركات النفاثة والقذائف الصاروخية ، وأمروا أن يصلوا فى بحثهم ، أثناء الليل بأطراف النهار ، لأن هتلر عقـد رجاءه على أن يطلق أسلحته السرية فى شتاء ١٩٤٣ — ١٩٤٤

كان المتحمسون يعتقدون أن الأسلحة السرية تسـتطيع أن تحسم الحرب فى ٢٤ ساعة . أما الألمـان الذين كانوا أدنى إلى تقدير الحقائق ، فكانوا يرجون أن تعزق الإنتاج الحربى البريطـانى وترجىء الغزو ، أو أن تحمل الحلفاء على التعجيل بغزو ساحل كاليه المحصن أحكم تحصين ، حيث ينوى الألمـان أن ينشئوا القواعد لإطلاق الأسلحة الجديدة . وحتى إذا ثبت أن هذه الأسلحة غير حاسمـة ، فالرد على القذف البريطانى بمثله يعزز الروح المعنوية الألمانية ، ويصلح فيما بعد للمساومة فى عقد الصلح .

فى يوليو سنة ١٩٤٣ كانت تقارير قسم المخابرات البريطانية قد حددت أن بينامونـدى هى المحضن الأول للقنابل الطائرة والصواريخ

وأعد ملف يحتوى على تقارير وصـور صورتها المستكشفات الجوية ، وأعطى للجنة خاصة من لجان الوزارة البريطانية فاقترحت أن يجعل سـلاح الطيران البريطـانى ، بينامونـدى فى طليعة الأهداف التى يعالجها . وقرر الإرتشيف مارشال هارس أن يشن غارة مفاجئة ، فى الليالى المقمرة التالية .

كان الألمان قد أهملوا الاحتياط الدقيق فى بينامونـدى ، فكانت القاذفات البريطانية تمر فوقها ليلة بعد أخرى فى طريقها إلى شتتين أو برلين ، وكان الألمان الذين فى بينامونـدى يراقبونها عابرة فوقهم ، آمنين مؤمنين أن البريطانيين لم يتبينوا قيمة بينامونـدى .

وأخذت صور استكشاف خاصة لهذه الغارة ، وكان لابد من دقة الاحتياط فى أخذها لـكى لا ينـذر الألمان بأن سلاح الطيران البريطانى مهتم بهذا المـكان . وقد اخذت خـلال غارة استكشاف عادية فوق موانىء بحر بلطيق ، وهو عمل ألفه الألمان ولم يبالوه ، ولـكنها مكنت منظمى الغارة من أن يتبينوا ويختاروا الأهداف الثلاثة ، حيث يبلغ الأذى أعظمه ، إن دمرت .

كان الهدف الأول مسكن العلماء والفنيين والثانى حظائر القنابل والصواريخ التجريبية ومصانعها ، والثالث مبانى الإدارة وهى تحتوى على رسوم التصميم والتفاصيل الفنية .

واختير ليل ١٧ أغسطس إذ يكاد القمر يومئذ يكون بدراً .

لم تقل القيادة لرجال القاذفات أكثر من أن بينامُوندى مركز تجربة الجهاز « رادار » وأنهم سيجدون فيها طائفة من العلماء الألمان ، وأن مهمتهم أن يقتلوا منهم أكبر عدد مستطاع . وبعد ذلك قرئت جهراً مذكرة خاصة أعدها أركان حرب قيادة القاذفات :

« يجب أن يدرك رجال جميع الطائرات ما يعلق بهذا الهدف من شأن عظيم وضرورة تدميره في هجوم واحد . فإذا أخفق الهجوم في تحقيق الغرض ، وجب أن يكرر في الليالي التالية بصرف النظر عن الخسارة — في حدود الطاقة » .

فأقلع نحو ست مئة قاذفة ضخمة من ذوات المحركات الأربعة ، وانطلقت مدمدمة نحو بينامُوندى من طريق غير مباشر . ويلوح أن حماة بينامُوندى اعتقدوا أن القاذفات متجهة إما إلى شتتين وإما إلى برلين ، فأخذوا على غرة . وأقدمت الطائرات كاشفة الطريق أولا ، وانقضت دانية من نطاق الهدف وألقت مشاعلها الملونة حول الأهداف المختارة . وتلتها القاذفات ، وفيها مناظير جديدة محكمة لتسديد القنابل ، ولم تحفل بدفاع المدافع المضادة ، وكان ضئيلا ، فأقبلت موجة بعد موجة تلقى قنابلها الشديدة التفجر والمحرقة ، من ارتفاع بضع آلاف من الأقدام ، على الأهداف الثلاثة البينة . فلم تنقض أربعون دقيقة حتى كانت المنطقة كلها شعلة متوهجة .

وحين استدبرت الموجة الأخيرة من القاذفات بينامُوندى واتجهت إلى قواعدها لحقت بها المقاتلات الليلية الألمانية التي ظلت تنتظرها عبثاً حول برلين ، ففقدت ٤١ قاذفة بريطانية ، وهو ثمن يسير لانتصار من أعظم الانتصارات الجوية في هذه الحرب .

وذهبت طائرة مستكشفة من طراز سبتفاير ، في الصباح التالي لتصوير ما لحق المركز من الدمار ، فإذا نصف مساكن العلماء وعددها ٥٤ قد محيت ، وأصيبت البقية بضرر فادح ، وإذا أربعون مبنى بينها مباني تجميع الآلات ومعامل البحث قد دمرت تدميراً تاماً وخمسون مبنى قد أعطبت .

وبعد أيام بدأت تتسرب أخبار عن عواقب أخرى أبعث على الرضى . فمن سبعة آلاف عالم ألماني ، كانوا مقيمين في بينامُوندى قتل أو فقد خمسة آلاف . ذلك بأن القنابل البريطانية من « ناسفات الربوع » اقترنت في ذيول الغارة بالمواد المتفجرة الألمانية المخزونة هناك ، فأحدثت انفجاراً عظيما قتل أناساً كانوا يسكنون على بعد ثلاثة أميال .

وقد مات العالم الألماني الأول فون شاميه جليزتسنسكي في أثناء الغارة ، وتسربت

روايات من ألمانيا ، بأن رجال الجستابو قتلوه رمياً بالرصاص . وبعد انقضاء يومين على الغارة ، أعلن الألمان وفاة الجنرال جشونك الشاب رئيس هيئة أركان الحرب في سلاح الطيران الألماني ، وأحد المقربين إلى هتلر ، وكان في تلك الليلة زائراً في بينامونْدى . ثم اعترف الألمان بأن الجنرال أرنست أوديت الطيار القديم في الحرب العالمية الأولى ، والمنظم الأول لسلاح الطيران النازى ، لقى حتفه في أحوال غامضة . ويحتمل أن يكون أوديت ، وهو رئيس الإدارة الفنية في وزارة الطيران الألمانية ، كان حينئذ في بينامونْدى .

وقعت الغارة في نفوس النازى وقعاً عظيما . فبدأ رجال الجستابو يستجوبون الأحياء ويبحثون في البلاد المجاورة بحثاً دقيقاً عن خونة نقلوا إلى سلاح الطيران البريطاني طرفاً من أخبار بينامونْدى . وقلد الجنرال والتر شريكنباك ، أحد رجال المخابرات السرية في كتائب القمصان السود قيادة المنطقة وصدر إليه الأمر بأن يستأنف العمل في القنابل الطائرة والصواريخ .

ولكن لم يكن بدّ من إفراغ الخطة الألمانية في قالب جديد . فتدمير نصف بينامونْدى وتعرضها للهجوم فيما بعد ، أوحيا أن تبنى المختبرات في جوف الأرض (روت مصادر الأنباء السويدية أنها بنيت على جزائر في بحر بلطيق) . وقتل خيرة العلماء والخبراء المتخصصين اقتضى بحثاً عن آخرين لمواصلة العمل .

وكان من عواقب هذا التأخير أن عجز النازيون عن الشروع في استعمال سلاحهم السرى في الشتاء الماضى ، وقد عانوا مشقة عظيمة في مداراة الحالة المعنوية الألمانية . خلال غارات الحلفاء المستمرّة .

ثم إن استعمال الأسلحة السرية الألمانية تأخر كذلك من جراء الغارات الجوية على قواعد إطلاق القنابل الطائرة والصواريخ في منطقة با دى كاليه ، وعلى المصانع ، التى تصنع أجزاء هذه الأسلحة . وكذلك قيل للشعب الألمانى ، إن الأسلحة السرية إنما صنعت لمقاومة الغزو ، وانها تدخر لنسف الحلفاء في الموانىء وعلى السواحل . ومع ذلك فقد أخذ الألمان على غرة بيوم الغزو فلم تسقط القنبلة الطائرة الأولى على لندن ، إلا بعد انقضاء سبعة أيام .

ولو لم تنسف بينامونْدى يوم نسفت ، لبدأت غارات القنابل الطائرة على لندن قبل ذلك بستة أشهر ، ولكانت أمر وأشد ، ولأصيبت مواصلات لندن ، وهى جماع الحركة في تنظيم الغزو والتأهب له ، إصابة شديدة ، ولربما أرجأت الغزو نفسه .

أب يتذكر

فيما بعد

قصة قصيرة

ميخائيل فوستر

ملخصة عن مجلة "كوزموبوليتان".

يا للعجب لهذه الأشياء التي أنت ذاكرها إذا ما انهارت الحياة فجأة من حواليك وخلفتك قائماً ثمة وحيداً. وليست هي المطالب العظيمة المهمة، ولا هي الخطط التي رسمتها للمستقبل، ولا الآمال التي كدحت من أجلها كدحاً طويلا، بل هي أشياء هينة لم تلق بالا إليها وقت حدوثها: كلمسة يد وأنت في أمر يشغلك عنها، أو صوت ترف فيه بارقة خفية من الأمل، وأنت لا تحفل بالإصغاء إليه.

هذا ما فطن إليه جون كارموني وهو واقف ينظر من نافذة غرفة الجلوس إلى الطريق يعج تحته بحياة مرحة. لقد ظل يحاول تذكر المطالب العظيمة المهمة ولكنه عجز عن أن يتمثلها واضحة في ذهنه. وكل ما يذكره الآن هو شيء قالته له ابنته الصغيرة ذات مساء، منذ ثلاثة أسابيع تقريباً.

ففي ذلك المساء، حمل معه من المكتب إلى الدار النص النهائي للتقرير السنوى المقدم لجمعية أصحاب الأسهم، ولم يكن يجهل أن لهذا التقرير ــ والأحوال كما يعهدها ــ أثر كبير في مستقبله، بل في مستقبل زوجه وابنته الصغيرة، فجلس ليعيد قراءته قبل العشاء إذ ينبغي له أن يستوثق من دقة هذا التقرير، فقد يكون مصيره معلقاً به.

لم يكد يقلب الصفحة حتى جاءته مارج ابنته الصغيرة وقالت: « انظر يا أبتاه ! ».

فرفع رأسه ونظر إليه وقال:

« كتاب جديد ؟ هذا جميل ».

« نعم يا أبتاه. فهل لك أن تقرأ لى قصة منه ؟ ».

فقال: « لا يا عزيزتى، فيما بعد ».

كل ما فعلته مارج أن ظلت واقفة بجانبه، وأخذ هو يقرأ فقرة تنبيء حملة الأسهم عن ضرورة استهلاك آلات المصنع، وإذا بمارج تقول بصوت رقيق كله حياء وأمل: « ولكن ماما قالت إنك ستفعل الآن يا أبتا ».

فرفع بصره إلى أعلى الصفحة وقال: « آسف يا مارج، ولعل ماما تقرأها لك. فإننى مشغول الآن يا عزيزتى ».

فقالت مارج بأدب: « إن ماما منهمكة الآن في عملها. فهلا قرأت لى أنت هذه

القصة الصغيرة وحسب ، انظر أليس فيها صورة جميلة يا أبتاه ! » .

فقال : « نعم نعم ، إنها صورة جميلة ، ولكن علىّ عمل ينبغى أن أعمله هذه الليلة ، فلنؤجل القراءة إلى وقت آخر » .

ظلت مارج واقفة والكتاب مفتوح عند الصورة ، ومر وقت طويل قبل أن تقول شيئاً آخر . أما هو فقد قطع فى قراءة التقرير صفحتين تبينان بالتفصيل تقلب أسعار السوق فى السنة الماضية والخطة التى ارتآها قسم المبيعات لمعالجة هذه المشكلات ، والبرنامج الذى وضعه قسم الإعلانات لترويج منتجات الشركة .

وقالت مارج : « ولكنها صورة جميلة يا أبتاه ، ويبدو أن القصة رائعة جداً » .

فقال : « أعلم ذلك ، ولكن لتقرأها فى وقت آخر ، أما الآن فانصرفى عنى » .

« ولكن هل تقرؤها لى حقاً فى وقت آخر يا أبتاه » .

« كونى واثقة » .

وضعت الكتاب على المسند عند قدميه وقالت : « ها هى فاقرأها لنفسك متى فرغت لها ، ولكن إذا فعلت فارفع صوتك حتى أسمعها أنا أيضاً » .

« فليكن . . ولكن فيما بعد . . » .

هذا ما كان يذكره ساعتئذ جون كارمونى: كيف لمست يده باستحياء صبية صغيرة مؤدبة وقالت : « ارفع صوتك حتى أسمعها أنا أيضاً » . ومن أجل هذا يضع الآن يده على الكتاب ويتناوله من على المائدة ، حيث كوّموا عليها لعب مارج ، وقد التقطوها واحدة واحدة من على الأرض حيث تركتها . وفتح الكتاب عند الصورة الجميلة ، فلما أخذ يقرأ تلك القصة ، كان الأسى يكاد يقبض شفتيه أن تنطقا . لم يحاول أن يستمر فى الذكرى ، ولقد مرت عليه برهة نسى فيها ما يملأ قلبه من حقد بغيض مرير على هذا السائق الثمل الذى قطع الشارع نهباً بسيارة قديمة تتعرج ذات اليمين وذات الشمال ، وهو يثوى الآن فى السجن بتهمة قتل إنسان خطأ ، بل إنه لم ير زوجه شاحبة صامتة ، وهى فى ثياب الحداد متأهبة لتشيّع جنازة مارج ، فإنها واقفة بالباب تحاول أن تقول بهدوء : « لقد تهيأت يا عزيزى ، ويجب أن نخرج الآن » .

ذلك أن جون كارمونى كان يقرأ : « ذات مرة كانت فتاة صغيرة تعيش فى كوخ حطاب بالغابة السوداء ، وبلغ من جمالها أن الطيور كانت تنسى غناءها من فوق الغصون وتتطلع إليها . ثم جاء يوم حدث فيه . . . » .

كان يقرأ القصة لنفسه ، وقد رفع صوته حتى تسمعها هى أيضاً . . ولعلها تسمع .

أرى بعيني كلب

هكتور شفيني • ملخصة عن مجلة "سيرفى مد منثلى"
(مع إضافات من المؤلف)

لقيت «عينيَّ» منذ بضعة أسابيع حيث تعارفنا فى مؤسسة العين المبصرة فى موريستون بنيوجرسى ، حيث قدمت لأتدرب شهراً على استخدام كلب يكون دليلى فى حلى وترحالى . وأجاب الكلب على هذا التعريف بنفخة من فمه ولمسة من أنفه العريض البارد ، ولما قيل لى أن اسمه « ويزارد » أى « ساحر » قلت : « أرجو أن يكون له من اسمه نصيب » .

كان نظرى من أربعة شهور أصح نظر ، ثم أخذت الشبكيتان على حين فجأة تنفصلان عن موضعيهما ، وبذل الجراحون ما فى وسعهم بيد أنى خرجت بعد ثلاثة أشهر ضريراً لا أرى شيئاً .

كنت مريضاً صعب المراس . يقول لك أصدقاؤك وهم يحاولون الترفيه عنك إن كل شئ سيكون على ما يرام ، ولكنك تعلم أن كل شئ لن يكون على ما يرام ، إذا أنت لم تفعل شيئاً لتحقق ذلك .

كنت أسعد من غيرى حظاً فى محنتى ، فقد كانت الكتابة عملى منذ خمس عشرة سنة ، وهو عمل لا يعتمد كل الاعتماد على البصر ، ومن أجل ذلك لم أفقد مهارتى أو علمى ، ويستطيع سكرتير مدرب أن يكون صلة بينى وبين الورق . يبقى بعد ذلك مشكلة التنقل ، ولعل أثقل عبء على الضرير هو اعتماده كل الاعتماد فى التنقل على معونة غيره .

لذلك لم أحتج إلى من يغرينى بالتفكير فى الحصول على كلب يكون دليلى ، وأرسلت قبل مغادرتى المستشفى طلباً إلى مؤسسة العين المبصرة ، فجاء مندوبهم يزورنى . بيد أن ذلك لا يعنى أنى كنت مرتاحاً كل الارتياح إلى كفاية الكلب فى حل مشكلتى ، فقد كان مما لا يصدق أن يجرؤ إنسان على أن يعبر شارع لكسنجتن المزدحم بمدينة نيويورك وقت الظهيرة لا يصحبه سوى حيوان صغير يدله على الطريق .

وكنت أعلم شيئاً عن قصة مؤسسة العين المبصرة التى بدأت منذ نحو عشرين سنة فى أملاك مسز دوروثى يوستس فى سويسرا وعن مجهودها فى الولايات المتحدة فى السنوات الست عشرة الأخيرة . وكنت على استعداد

أن أصـدق أن الكلب أقرب بديل من النظر ، ولكن المشكلة هى أنى سمعت الشيء الكثير عن مقدرة الكلاب ، فإن كل ما يتصل بها يثير المبالغة والتهويل ، ولذلك احتفظت بحكمى إلى يوم أحاول أنا وكلبى عبـور شارع لكسنجتن لأول مرة . ولقد اقتنيت كلاباً فى الماضى وأحببتها ، ولكنى أعجز حتى عن أن أدرك كيف تقصر الكلاب عن مطاردة السـيارات أو عن أن ندربه على إحضار شيء غير الصحيفة اليومية من بائع الصحف .

على أنى لم أكن على حق فى هـــذا التشكك ، فمع أن « ساحراً » له أيامه التى يؤثر فيها أن يركب الأوتوبيس على أن يسير فى المطر ، ويشعرنى بذلك بطريقة واضحة ، فهو يقـودنى فى الغالب إلى حيث أريد ، فأسير آمناً من منزلى إلى ففث أفنيو مجتازاً شوارع مزدحمة كما لو كنت مبصراً . وقد أكثرت من الخروج لأن « ويزارد » يريد الرياضـة . وثمة تشريع خاص فى ولاية نيـويورك يسمح لأمثالنا بالركوب معاً فى جميع وسائل النقل . ويعتقد الناس اعتقاداً راسخاً أنه لابد من أن أقع يوماً فى مكروه أثناء خروجى أو دخولى من أبواب المركبات ، ولطالما رأيتنى أبين للكثيرين أن شيئاً من ذلك لن يحدث لى وفى صحبتى كلبى «ويزارد» .

ولقد كنا نغشى معاً المطاعم للغـداء أو العشاء ، فإذا جلست أقعى «ويزارد» خاشعاً خاضعا عند قدمىّ . وبعض رؤساء الخدم فى المطاعم يضيق صدراً إذا رأوا كلباً ، ولـكننا لا نحفل بأن نشرح لهم أن مؤسسة العين المبصرة قد علمتنا كيف يكون سلوكنا على المائدة ، ولن نناقش أحداً فى هـذا فإن مطاعم أخرى يسرها أن نكون من بين روّادها .

ويسـترعى منظرنا الكثير من انتباه النـاس ، على أن ذلك يروق « ويزارد » ويروقنى . وتبلغ زنة « ويزارد » نيفاً وسـتين رطلا ، وله جـلد أرقط — على ما سمعت — ووجه أسود مجعد ، ومن عادته أن يدلى بلسانه ويكشر عن أنيابه بشكل يضمن سرعة إخلاء الطريق لنا .

على أن مظهره الشرس لا يدل بحال على حقيقة مخبره ، فلم أسمعه مرة ينبح على أحد . وهو مخـلوق مرهف الحس يحس حالات النفس من فرح وحزن . وأجد لزاماً علىّ أن أكون معه مرحاً منشرح الصدر ، وإلا انقلب مهموما كئيبا من أجلى . ولعلنا فى ذلك صنوان ، فإنه إذا غشيته الكآبة همنى من أمره ما يهمه . ولهم فى مؤسسة العين المبصرة كلمة جميـلة فى ذلك وهى : « ليس الكلب ملك يديك بل أنت ملك يده » .

ولا يكفى أن تدرب الكلاب على أن

تخدم العميان ، بل يجب أن تُعرّى بذلك وأن تظل تجد هذا الإغراء .

كان الثلج يكسو الأرض فى ذلك اليوم من شهر فبراير يوم التحقت أنا وخمسة عشر ضريراً من جميع أنحاء الولايات المتحدة بمؤسسة العين المبصرة : أربعة من الزنوج ، وواحد من أمريكا الجنوبيـة ، واثنان من قدامى المحاربين ، وأربع نسوة ، وثلاثة ماتت كلابهم فعادوا بعد سنين للحصول على كلب ثان أو ثالث . وقد شطرونا إلى جماعتين لكلٍّ منها مدربها الخاص .

وقادونى إلى غرفة مريحة فى الطابق الثانى يشاركنى فيها زميـل من العميان ، وأخبرونى أين أعلق ملابسى ، ودلونى على دورة المياه ، وعلى غرفة الألعاب ، وعلى الطريق إلى حجرة الطعام . وكان علىَّ بعد ذلك أن أجد حاجاتى بنفسى ، فإذا فقدت جوربا أو حذاء فلك أن تسأل من يساعدك على العثور عليه ، ولكن عليك أن تبحث أنت عنه أولا . وعليك أنت تدهن عيشك بالزبد ، وتقطع اللحم الذى يقدم إليك ، فإذا شكوت وقلت إنك لم تعتد ذلك من قبل ، قيـل لك : إن الوقت قد آن لتفعل ذلك بنفسك .

لن يستطيع أحد أن يمنح الاستقلال والاعتماد على النفس لإنسان آخر، بل عليه أن يناله بنفسه ، وهـذا شطر من فلسفة مؤسسة العين المبصرة ، فإن كل موظف من موظفى هـذه المؤسسة قضى شهراً على الأقل يعيش عيشة الضرير ، وقد حُجب بصره بقناع أسود محكم لا يسمح له بالرؤية ، حتى يحس هو أيضا إحساس من لا يبصر . فالعطف إذن مطلوب ، ولكن إظهـار الشفقة غير مرغوب فيه .

وألفينا هـذا الجو الجديد جوًّا ينعش النفس ، فقـد كان الموظفون يعاملوننا على قدم المساواة ، وكنا نرحب بهـذه المعاملة كل الترحيب ، بعد الذى كنا نلقاه من مواساة الأقارب والأصدقاء . وكنت أظن أن أمر المؤسسة بأن تقتصر زيارة الزوار على ساعتين فقط كل يوم سبت وأحد ، أمر خطأ ، فلم يكن يجول لى بخاطر أن أعتزل العالم ، بيد أنه رؤى أن يجنب المرضى حماقة الجماهير التى كثيراً ما تقضى على ثقة الضرير بنفسه ، ولذلك صارت مؤسسة العين المبصرة لا تقتصر على تدريب الكلاب فحسب ، بل تدرب الناس أيضاً .

وتعالج المؤسسة مجموعة كبيرة من العادات الجسمانية السيئة فيمن يفدون عليها ، فلا يعلمون كيف يمشون على ثقة مع الكلب فحسب ، بل كيف يمشون بحرية وسرعة وقوة . ويحتاج صوت الطالب أحياناً إلى

التدريب ، فهو واسطة الاتصال بين الكلب وصاحبه . وكذلك الخشونة الطبيعية وتغير حالات النفس كما تبدو فى الصوت ، يجب أن تعالج وتصلح .

وقضيت اليوم الأول فى سماع محاضرة لكبير المدربين وليام ديبيتاز، وهو آخر من بقى من الذين قاموا على إنشاء المشروع فى سويسرا . وفى اليوم التالى قابلت «ويزارد»، أما زملائى السبعة فقد كان لكل منهم كلبه ، أربعة منها كلاب رعاة ألمانية ، وكلبان من كلاب الصيد ، وكلبان من كلاب البوكسر ، أحدهما كلبى « ويزارد » .

وقضينا يومين فى التعرف إلى كلابنا ، واختلف أثرها فينا باختلاف أخلاقنا وتجاربنا السابقة ، ولم يكن لأربعة من الطلبة عهد بالكلاب، ولذلك لم يكونوا على ثقة بأنفسهم، ولكن الباقين كانوا يبالغون فى تدليل كلابهم والثناء عليها ، واعتقد كل منا أن كلبه هو خير كلاب الفصل .

كان « ويزارد » والكلاب الأخرى قد قضت فى تدريبها ثلاثة أشهر تحت إشراف مدربنا ، فتعلم كيف يسير فى السرج الخفيف ذى القبض المعقوف ، وكيف يتمهل عند المنعطفات، وكيف يقف حتى تمضى السيارات المارة ، وكيف لا يعبأ بأعمدة المصابيح ، ولكنه تعلم أيضا أن يحمل لمدربه حبا جما .

وفى اليوم الرابع حين قمنا بأول تجربة للسير مع كلابنا فى شوارع موريستون ، سار « ويزارد » إلى جانبى يستجيب طائعا إلى كلمات الأوامر العشر التى ألقيها عليه ، ولكن سرعان ما تبينت أنه يلبى ما أقول لأن المدرب أمره بذلك . وتبين لى أن علىّ — إلى ما علىّ من أعباء — أن أعلم هذا الكلب أنى أنا سيده ، وأنى أولى بحبه وطاعته من المدرب ، ولكن لم يكف فى صرفه عن مدربه الأول ، أنى أنا الذى أطعمه وأسقيه .

وأكد لى المدرب أنه سيأتى يوم موعود يظهر فيه « ويزارد » أنه أصبح كلبى ، وسيعرف المدرب تلك اللحظة التى يهبنى الكلب فيها كل نفسه ، حين لا يأتى من الأعمال ما حفظه بالتدريب عن ظهر قلب ، وحين لا يفتر يحافظ فى اهتمام على سلامتى ، ويجنبنى العثرات وبرك المطر ، ويقينى الاصطدام بأعمدة المصابيح وصناديق البريد . وتستغرق هذه المواءمة بين الطالب والكلب نحو ثلاثة أسابيع عادة ، وقد يحدث أحيانا أن تتعذر هذه المواءمة ، وعندئذ يكون الطالب قد أخفق .

والحياة فى مؤسسة العين المبصرة شاقة مجهدة، فنحن نقوم فى الساعه ٥ ٤ : ٥ صباحاً لنخرج الكلاب للرياضة ، ثم نقبل بقلوبنا

على الفطور الذى يقدم فى الساعة السابعة ، وفى الساعة الثامنة ننتشر فى شوارع المدينة للتمرين ، ويصحبنا المدرب أزواجا مع كلابنا إلى أن يحين موعد الغداء . وكنا دائما نصحب كلابنا معنا إلى مائدة الطعام للتدريب . والمفروض طبعا أن تظل ساكنة لا تتحرك ، ولكن كان لابد من وقوع بعض ثورات مفاجئة فى غرفة طعام بها ١٦ كلبا . وفى الساعة الواحدة نعود إلى الشوارع ، وينتهى اليوم فى الساعة الثامنة بعد أن نخرج بالكلاب مرة أخرى للرياضة .

ولما كانت هذه الكلاب تظل مربوطة إلى أسرّتنا ، كان لابد من أن تقع حوادث أثناء الليل ، فقد اعتقد اثنان منها أنهما يقومان بواجب الديدبان ، فكانا ينبحان فى سكون الليل كلما تحرك منا أحد . وكان المدرب أقلنا نوماً ، إذ كان الطلبة لايفترون عن إيقاظه ، إما لأن السلسلة المقيدبها الكلب إلى السرير قد فصمت وليس للكلب أثر ، وإما لأن الكلب قدا عتلى السرير ولا يسمح لأحد بمشاركته ، وإما أن يكون لأحدهم حاجة من الحاجات .

ولن يسعنى أن أقول ، بعد أن قضيت شهراً كاملا فى مؤسسة العين المبصرة ، أن الكلاب لا تفكر ، إذا كان معنى التفكير أن تحكم على الأشياء ، وأن تحتفظ بالذكريات ، بل إن الكلاب تشعر بالتبعة وتجعل هذا الشعور أساساً لتفكيرها .

على أن ثمة أنواعاً خاصة من الكلاب — مع استثناء أفراد قلائل منها — لا يمكن أن تدرب على أعمال المؤسسة ، والنوع المسمى «پودل» هو أحد هذه الأنواع ، فمن المستطاع تعليمه كل شىء يستطيع الكلب الدليل أن يتعلمه ، إلا شيئاً واحداً هو العناية بصاحبه . فإذا ما قاد صاحبه الضرير مثلا إلى حافة مصعد جانبى مفتوح فإنه لايعصى أمر السير إلى الأمام ، ولا يحاول أن يدور بصاحبه متجنباً مكان الخطر ، ولكنه يطيع الأمر كما أمر ، ويهوى وإياه فى الهاوية .

ولا تشترط مؤسسة العين المبصرة أن تكون الكلاب الأدلاء خالصة الدم ، فإن كثيراً من الكلاب التى ليس لها جد معروف تصلح لهذا العمل ، إلا أن للذكاء المقام الأول بين المؤهلات المطلوبة . ومن العجيب أن بعض الكلاب على درجة فائقة من الذكاء ، فإنك تجد بعد أسبوع أو أسبوعين من التدريب أن أحدها قد قرر فى نفسه فيما يبدو أن مهمته أشبه بأن تكون عملا وواجباً ، فيقضى الكثير من وقته فى اختراع الأساليب التى تعفيه من عمله لا فى القيام به . أما الكلاب التى تبلغ أعلى مراتب الكفاية ،

فهى التى تمتاز بذكاء يشوبه ما نسميه بالشعور الاجتماعى .

وكثيراً ما يتساءل الناس عما إذا كانت كلاب مؤسسة العين المبصرة تدرك فعلا أن أصحابها لا يبصرون؟ ويعرف موظفو المؤسسة تمام المعرفة أن الكلاب تميز الأعمى من البصير ، فإنها لا تغير مكانها وهى راقدة فى غرفة الألعاب إذا مر بها شخص مبصر ، ولكن إذا اقترب منها شخص أعمى فإنها تتنحى عن طريقه ، أو تبتغى فى سكون مكاناً آخر فى الغرفة .

ولما اكتشف « ويزارد » أنى لا أبصر، كان طبيعيًّا أن يتلعب بى كل ضروب الألاعيب ، فقد لاحظ أنى لا أعرف أنى بلغت نهاية الشارع حتى ألمس المنحنى بقدمى ، فيحولنى برشاقة عند زاوية قبل المنحنى ، ويوجهنى بذلك إلى محطة الأوتوبيس الدافئة أو نحو السيارة التى نقلتنا من المدرسة ، ويوفر على نفسه بذلك المزيد من التدريب .

ولقد كان لألاعيب « ويزارد » أثر كبير فى تدريبى ، فقد كان موقفه حيالى حتى تلك اللحظة موقف قلة الاكتراث . وبدأ زملائى فى الفصل يلقون نفس المتاعب من كلابهم ، فسرى بيننا شعور بالحزن وخيبة الرجاء . وكان المدرب يعلم بما نلاقيه ، فلقد حان الوقت الذى يجب فيه أخذ هذه الكلاب بحزم وشدة . لم يكن يسمح لنا حتى هـــذا الوقت إلاّ بتعنيف خفيف شفوى للكلاب ، على حين ينتظر منا أن نثنى عليها ثناءً عالياً إذا قامت بما تؤمر به على الوجه الصحيح . فعلمونا الآن الكلمة المستعملة فى تدريب الكلاب فى جميع أنحاء العالم للتعبير عن عدم الرضا وهى كلمة « فيو » الألمانية تنطق بقوة ، وتدعم قوتها بجذب المقود جذبة خاصة ، وليس هذا عقابا فإن الكلاب لا تعاقب بل تصلح أخطاؤها . ويجب أن يأتى الإصلاح ساعة يشعر صاحب الكلب بأن كلبه قد أخطأ ، فإذا فعل الكلب ما يؤمر به على الوجه الصحيح فينبغى أن يبذل له الثناء على شكل واضح لا لبس فيه .

أما ما يجعل الكلب يأخذ على عاتقه حمل التبعة بتمامها ، فهو شىء لا يستطيع العقل البشرى أن يحيط به ، فقد يرقد الكلب ليلة تحت سرير صاحبه فى مؤسسة العين المبصرة وهو لا يشعر بهذه التبعة ، ويصحو فى صباح اليوم التالى وهو شديد الشعور بها . وفى هذه اللحظة يضمن صاحب الكلب سلامته ، ويستطيع أن يجتاز أى شارع أو يسير على أشدّ الأرصفة زحاماً وهو واثق من نفسه . وتنتهى بذلك مدة تدريبه إلا فيما يتعلق ببعض إرشاد فنى قليل ،

فإذا ما أحاط به علماً غادر المؤسسة إلى بيته .

والتخرج من مؤسسة العين المبصرة لا كلفة فيه ، فليس ثمة شهادات تمنح ، وما علينا إلا أن نذهب إلى مكتب المؤسسة لتسديد ما علينا ، وعندئذ نرى مظهراً أخيراً من مظاهر فلسفة المؤسسة التى قامت عليها من « عطف دون شفقة » ، فإن كلابنا تكاد تعطى لنا دون مقابل . والفرق عظيم بين ثمن هذه الكلاب وما سندفعه ، فإن الثمن الحقيقى ستة أضعاف ما يدفع أو سبعة أضعافه ، ولكنهم لايطلبون إلا ١٥٠ ريالا . أما من يأتون للحصول على كلبهم الثانى أو الثالث فيدفعون خمسين ريالا فقط ، وأما ثمنه لقدامى المحاربين فريال واحد لاغير .

و « ويزارد » الآن كلبى ، أو بالأحرى أنا رجل «ويزارد» ، على أنه لا يسعنى أن أقول إنه يهابنى ويوقرنى ، فهو يصر على أوقات منتظمة للأكل ، وإذا أطلت المكث فى زيارة من الزيارات فإنه لا يتردد فى أن يعرفنى أن علينا أن نعود . فإذا تملكتنى سورة من الغضب لم يرد عليها بأكثر من أن يقعد على مقعدتيه العريضتين حتى تهدأ . وهو لسبب لا يدركه كنهه جد مغرم بالحانات ، ولا أراه يعمل على المحافظة على سمعتى بدخوله أحياناً إحدى هذه الحانات من غير ما أمر منى .

كنت فى أحد الأيام فى مكتب الإعلانات أبحث مسألة إعلان خاص للإذاعة ، وكان المشروع كالمتعارف عليه فى التجارة مشروعاً تجارياً رابحاً . ورقد « ويزارد » إلى جوارى هادئاً على الأرض ، كما عُلّم أن يفعل ، أطول مدة استطاعها ، ثم قام وتمطى ومشى إلى أحد أركان الغرفة ونفض عن نفسه الغبار . وكان منظره يدل على أنه بالرغم من أنه مسؤول عني ، فليس لزاماً عليه أن يستطيب ما أجنيه من ربح من تلك الصفقة .

ولا يزال الناس يقبلون علينا ليساعدونا على اجتياز الشارع فلا يسعنا إلا أن نشكرهم ، على أننى لم أعد فى حاجة إلى مساعدتهم ، فقد أعاد لى « ويزارد » أعظم ما كنت أقدر فى هذه الحياة وهو استقلالى بأمر نفسى .

ولعل أثقل عبء نلقاه أنا و « ويزارد » هو أن الناس ينتظرون منا أن نقوم ببعض الألاعيب ، فالمفروض أنى تعلمت الكثير عن ترويض الكلاب ، فلمَ لا أدرب « ويزارد » على أن يمشى معتدلا على قدميه ويصافح الناس بيده ؟ وهى فيما قيل لى فكرة بسيطة ترتكز على تفوق العقل البشرى على الحيوان . وقد جهدت أن أطبق هذه الفكرة ، بيد أنى لم أوفق فى تدريب « ويزارد » على القيام بأى ضرب من الألاعيب !



يتطلع هارى فرجسون إلى ان يريح المزارع من الكدح المرهق وقد خطا بتضامنه مع هنرى فورد الخطوة الأولى التى حركت عناية المهتمين بالآلات الزراعية.

أتستطيع المزارع أن تلحق بعصر الآلة ؟

لويس برومفيلد



هارى فرجسون

لقد مضت عشرون سنة وهارى فرجسون ، أحد مواليد إرلندة الشمالية ، مكب على التدبير والاختراع والعمل ليحدث فى عالم الآلات الزراعية ما أحدثه هنرى فورد شريكه اليوم فى عالم السيارات . ولقد ظل فرجسون يتوق إلى صنع آلات زراعية قليلة الثمن تتاح لجميع المزارع تقريباً مهما صغرت ، فتمكن المزارعين من إنتاج محاصيل أوفر فى أراض مساحتها أصغر ، بمجهود أقل ، وتكاليف أخف .

فهو يود أن يزيل من المزارع ذلك الكدح الذى يلجىء عدداً كبيراً من أذكى الشبان والشابات أن يفارقوا الحقول إلى المدن ، ويأمل فى أن يهيىء للمزارعين وقت الفراغ الذى يحظى به رجل المدينة فينفقه فى التثقيف والترويح عن النفس . والاهتمام بما ينفع المزارعين فى حياتهم ويجلب لهم مغانم اقتصادية بعيدة المدى ، هو من صميم مشروع فرجسون كالآلات الزراعية نفسها .

أما مشروعه فلم يعد خيالا ، إذ لا ينقطع تدفق جرارات « فورد — فرجسون » من المصانع فى مدينة ديترويت بولاية مشيجن . وهناك مصانع أخرى تخرج المحاريث ، وآلات اقتلاع الحشائش ، والمسالف الأسطوانية ومجموعة كبيرة من العدد التى وضع فرجسون تصميمها . وقد أخذت مئات آلاف المزارع فى استخدامها فعلا ، ولولا قيود مجلس الإنتاج الحربى الأمريكى لما كان لبيعها حدود .

يراعى فى تصميم آلات « مشروع فرجسون » سهولة استعمالها وسهولة الانتقال بها من عمل إلى آخر ، وأن تصلح للقيام بكل عمل يضطلع به المزارعون الآن بجرارة ثقيلة باهظة الثمن ، يبلغ وزنها ضعف وزن جرارة فورد أو ثلاثة أضعافه . وفى مزارعى أنا نفسى أنواع مختلفة من الأدوات الزراعية ، إلا أننا نخصص آلات فرجسون لمكافأة المحسنين من العمال ، والجميع يميلون إلى

استخدامهـا . وتدور تصميمات فرجسون على تطبيق مبدأين هندسيين ، لا أقول إن استعمالهما فى الجرارات الزراعية كان تجديداً تاما ، ولـكن على الأقل ، لم ينتفع بهمـا من قبل إلى أقصى حدود الانتفاع .

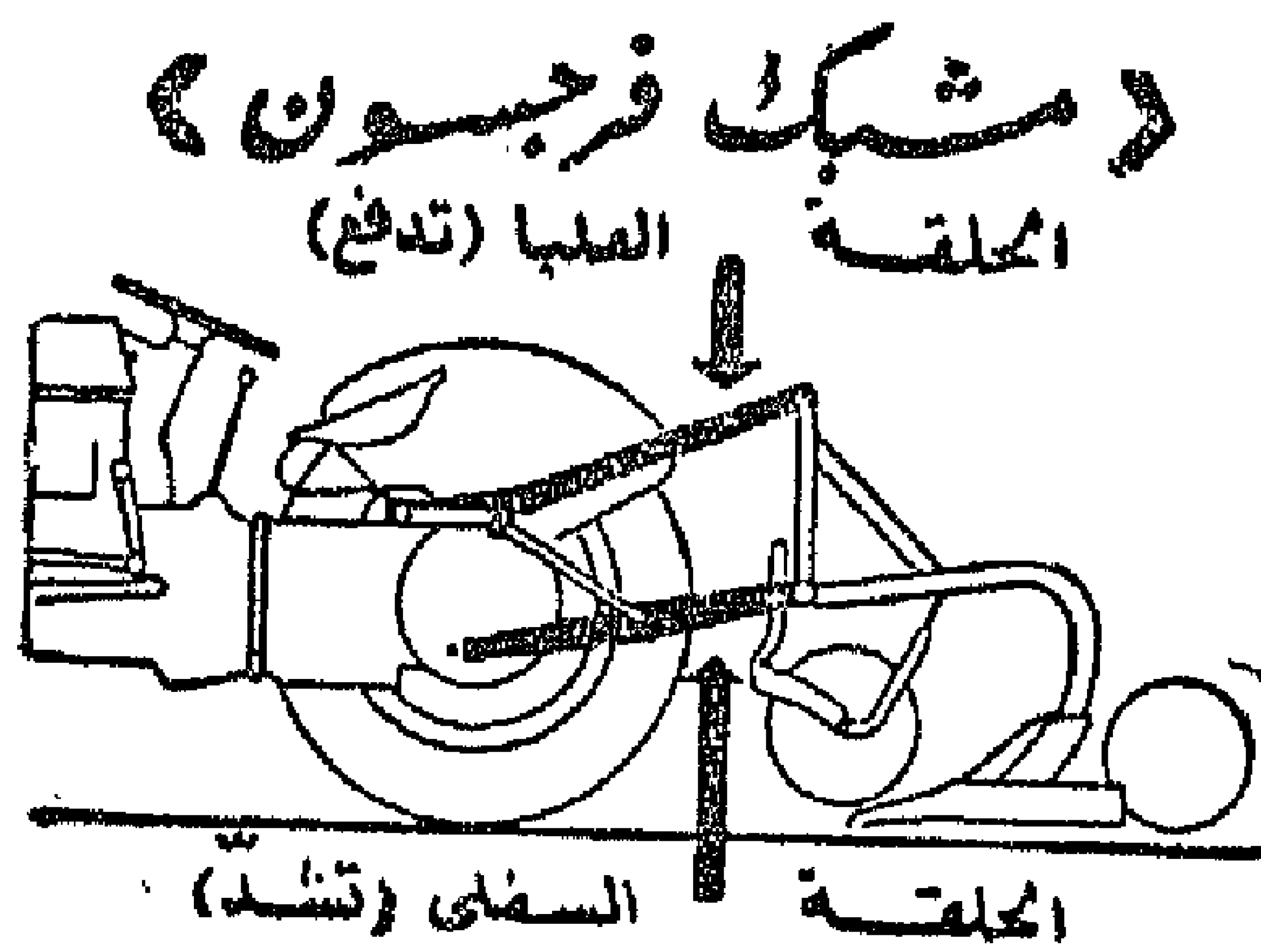
كان وزن الجرارة فى الماضى يطرد وفقاً لضخامة العمل ، وكلما زاد وزنها زاد ثمنها. أما إذا استعملت جرارة خفيفة لجر حمل يزيد عن طاقتهـا ، أو إذا اصطدم المحراث الذى تجره بصخرة خفية ، فإن عجلها الأمامى يرتفـع عن الأرض ، وكثيراً ما تنقلب فيقتل السائق .

وبعـد تجارب دامت سنوات اخترع فرجسون ومعاونوه « مشبك فرجسون » فيه تتحول قوة الجذب أو الجر إلى العجلتين الأماميتين فتدفعهما وتثبتهما فى الأرض . فإذا اصطدمت الجرارة بجسم ثابت ، ارتفعت عن الأرض العجلتان الخلفيتان الـكبيرتان اللتان تؤثر فيهمـا قوة المحرك الدافعـة ، ودارتا فى الهواء ، فلا يصاب المحرك بضرر من هذا الوقوف المفاجئ .

أما المبـدأ الهندسى الآخر الذى انتفع فرجسون بمزاياه انتفاعاً كاملا ، فهو تثبيت الأدوات فى الجرارة تثبيتاً محكما ، فتصبح الأداة والجرارة آلة واحدة بدلا من جزئين مختلفين ، كما هى الحال فى عربة يجرها حصان ، بل تصبح الجرارة والأداة التابعة بمثابة عربة نقل ذات عجلات ست قد وزع عليها الثقل توزيعاً متساوياً . وهناك وصلات خاصة تهيئ لها مرونة لا تستمتع بها سيارة النقل العـادية ، فتسير الآلة فى الأرض الوعرة أو تجوز الحفر هابطة صاعدة وهى تحمل ما زنته ستة أطنان .

وتدار الآلات فترفع أو تخفض بضغط مادة سائلة ، فتحركهـا ذراع صغيرة يمكن تحريكها بإصبع واحدة .

ولقد رأيت صغاراً فى العاشرة يربطون بالجرارة ، أو يفصلون عنها ، آلات اقتلاع الحشائش والسالف والمحـاريث وأدوات أخرى ، فى أقل من ٣٠ ثانية . وتيسر هذه المزية للمزارعين أن يضـطلعوا بضروب عديدة من أعمال صغيرة فى نفس اليوم ، وكان لا يتأتى لهم بدونها القيام بها ، لما يقتضيه ربط الأدوات وفكها من وقت .



وتبـاع جرارة فورد — فرجسون بمبلغ ٨٢٨ر٢١ ريال تضاف إليها نفقات الشحن. وأسعار المعدات المختلفة الملحقة بها توافق هذا السعر العام. وتزن هذه الجرارة الصغيرة القوية المتقـدرة ٢٢٩٠ رطل. وحين تنتهى الحرب وتتوفر أصناف المواد الأولية، يرجو فرجسون أن يخفض ثمنها إلى الثلثين بالالتجاء إلى الإنتاج الواسـع النطاق، ويرجو أن يخفض من وزنهـا حوالى ٥٠٠ رطل، باستخدام مقادير وافرة من الألمنيوم فى صنعها.

ويعترف أغلب المزارعين بأن ارتقـاء الآلات الزراعية قد تخلف عن ارتقاء الآلات الصناعية. وقد كانت الآلات الزراعية غالباً ثقيلة ومصنوعة من مواد بخسة الثمن رديئـة — من الحديد المصبوب وحسب أحيـاناً. ولم يكن المزارع المشترى ينتفع برخص أسعار المواد الأولية عند دفع الثمن، فلقد اتفق لى أن رأيت آلة حاصدة تكلفت ٢٠٠ ريال فبيعت بـ ٦٠٠ ريال. وكان على المزارعين أن يتقبلوا ما يعرض عليهم راضين به.

حقا إن الآلات الزراعية اقتصدت من الأيدى العاملة، ولـكنها لم تقتصد ما كان يجب، ثم إنها كانت دائمة التعطل. وكل مزارع يعلم أن ثمن القطعة الجديدة هو أتفه ما يتكلفه عنـد التعطل، أما الـكلفة الباهظة حقا فهى خسارة الوقت — الوقت الذى ينفق فى الانتقال إلى المدينـة أو فى انتظار إرسال قطعة من المصنع، وقد يعنى كل هذا تلف المحصول.

أراد هارى فرجسون أن يظفر بآلات لا تضطر المزارع إلى مغادرة مقعـده فى الجرارة أثنـاء تأديتها العمـل، أى أراد معدات يستطيع الطفل أو الشيخ فى الثمانين أن يستخدمها.

وقد أراد فرجسون أن يصـنع آلة تكون أجدى من الدواب فى الزراعة، فوفق إلى صنع آلات تستطيع أن تحرث حديقة صـغيرة أو أن تدخل بيوت الخضر أو الزهور. وفى وسـع آلات فرجسون الآن أن تحفر الحفر لتثبيت العمد، أو قطع الأخشاب، أو نقل منشآت المزارع، أو إدارة أدوات قشر الذرة أو المطاحن أو معبئات الصوامع. وفى وسعها أيضاً إدارة مجرفة أو رفش صغير، قابلين للخلع أو التركيب خلال ثوان قليلة.

ولقد وضع فرجسون ومعاونوه نصب أعينهم ضرورة المحافظة على التربة، وتلبية مطالب الزراعة الأمريكية الحديثة، فصنعوا عدداً من المعدات تصلح خاصة للأساليب الحديثة المتبعة فى الزراعة الأمريكية. وإن

الجرارة الخفيفة نفسها لتفى تماماً بمقتضيات العمل فى الأراضى الوعرة أو الجبلية حيث تكون المحافظة على التربة ذات قيمة حيوية.

أما فرجسون ، وهو الآن فى العقد السادس من عمره ، فهو رجل صغير الجسم ذو عينين براقتين ونشاط لا ينضب معينه ، ويتلهب إيماناً بما يحاول أن يحققه .

كان فى صباه فى إرلندة يصنع الموتوسيكلات والسيارات ، ثم صنع طائرات ونافس بها غيره من الطيارين ، فسقط مرة وأصيب إصابة بالغة ، ثم عهدت إليه حكومته ، إبان الحرب الماضية ، بأن يبذل وسعه فى العناية بآلات إرلندة الزراعية القليلة ، وأن يحفظها أقدر ما تكون فى كفاحها فى سبيل الحصول على الطعام. وقد راعه وهو ميكانيكى مطبوع ، ما رآه من سوء صنع هذه الآلات ، وضعف كفايتها ، وغلاء ثمنها الأصلى ، وتكاليف صيانتها . فلما أنجز مهمته الحربية وجه اهتمامه كله إلى مشكلة الآلات الزراعية ، وإلى إتقان المشروع الذى عرف باسمه . ومن يومئذ ، أى منذ أكثر من عشرين عاما ، لم يحد فرجسون قيد شعرة عن هذا الطريق .

وقد أدرك فرجسون منذ اليوم الأول أنه يحب أن يعمل مع هنرى فورد ، فذهب إلى أمريكا أولا فى العقد الثالث من هذا القرن ليبحث آراءه مع فورد . فاهتم فورد بها ، ولكنه أشار عليه بأن يعود إليه حين يقطع مرحلة أخرى فى تصميماته . وعاد فرجسون ثانية سنة ١٩٣٨ وعرض مشروعه على فورد ، فلم ينتظر فورد حتى يتم العرض بل قال : « لقد فهمت ، وإنى معك إلى نهاية المطاف » .

ولا يعرف سواهما ما بينهما من اتفاق مكتوب أو شفوى ، ولكن مصنعاً من أكبر مصانع فورد مخصص الآن لصنع جرارات فرجسون . وبين الرجلين صفات مشتركة كثيرة ، ويكادان يسلكان طريقاً واحداً فى التفكير ، وقد كان اهتمامهما منصرفاً دائماً إلى آفاق أوسع ، وإلى معرفة ما لمخترعاتهما ومنتجاتهما من أثر اجتماعى واقتصادى فى الأمة والعالم .

ويشارك فرجسون فورد فيما يراه من ضرورة توزيع الصناعة ، لأسباب اجتماعية واقتصادية . وهو يؤمن إيماناً بقيمة ملازمة العامل للأرض ، فكان من أكبر الحوافز إلى مشروعه أن يكون صالحاً للمزارع أو العقارات الصغيرة التى يملكها رجال يعملون فى المصانع ويقطنون الريف .

وفرجسون كفورد ، لا يقصر ما يرتجى من مشروعه على الولايات المتحدة وحدها ، فهو يقول إن الآلات تستخدم فى أراض

لاتبلغ مساحتها ٢ فى المئة من مزارع العالم، وأن نصف سكان العالم، على الأقل ، يقاسون نقص الغذاء من جراء نقص الإنتاج الغذائى ، أو لأن الغـذاء فى بعض المناطق الواسعة لا يوزع توزيعاً صحيحاً وافياً . وهو يتوقع عواقب عظيمة يوم يعم استعمال الآلات الزراعية فى الهند والصين .

ويعتقد فرجسون أن أسعار الأغذية قد تستقر إذا أمدت المزارع بالوسائل الآلية ، فلا يطرد ارتفاع الأسـعار للمستهلك هذا الارتفـاع الذى يستتبع ارتفاع تـكاليف الإنتاج والصناعة .

وسواء أصحت نظريات فرجسون المتعلقة بآفاق الاقتصـــاد والاجتماع أم لم تصح ، فإن مشروعه قد نجح نجاحاً كبيراً ينفى الـكدح عن الزراعة ، وبذلك يغرى الناس بالإقبال عليها . ولا شك فى أن رجال صناعة آخرين سينافسون فرجسون فيصلوا إلى نتائج تضارع ما أنجزه أو تفوقه ، وهذا التحدى وهذه المنافسة ليعودان بالنفع على المزارع . ومهما يكن ، فقد كان مشروع فرجسون دافعاً كبيراً رفع الآلات الزراعية إلى المستوى الذى يليق بالتقدم الذى أحرزه عصرنا الآلى ، وهذا وحده عمل عظيم .



● كان تفكيرها فى سواها هو الذى يحملك على التفكير فيها .

[إليزابث باريت براننج]

☆☆☆☆☆☆

الدليل المادى

فى كل ساحة من ساحات القتال فى المحيط الهادى ، حيث اشتبكت القوات الأمريكية مع اليابانيين ، رويت روايات عن أن الجنود اليابانيين كانوا يصطحبون يابانيات إلى معسكراتهم ، ولـكن لم يقم دليل على صحة معظم هـذه الروايات . على أن الـكوماندر جرايبل روى أن أحد شـيوخ جزائر سليمان قال له فى لهجة الواثق : إن اليابانيين اصطحبوا امرأة واحدة على الأقل إلى المعسكر المجاور لقريته .

قال جرايبل : ولـكن كيف تستطيع أن تثق بصحـة ما تقوله ؟ فقـال الشيخ : « لقد أكلتها » .

[مجلة «تايم»]

منذ عهد بعيد ، حين كان طبيب يدعى الدكتور بانكروفت يمارس صناعة الطب فى بلدة إفرجرين بولاية كولورادو ، كان المرضى يجيئون إليه أحياناً من قرى بعيدة ويتجشمون مشاق عظيمة ، وكان أحدهم من الرعاة ، وقد وصل يوماً وهو فاقد الرشد محمولا على جواد .

فقال صاحبه : إنه وقع عن صهوة جواده فانكسرت ساقه .

فنظر إليه الطبيب وبدأ يتأهب لبتر الساق ، على حين جلس صاحبه والعرق يتصبب منه ، ثم قال وصوته يتهدج : « إذا مات هذا الرجل فستلحق به » .

والتفت بانكروفت فرآه قد وضع مسدساً على المائدة .

ونظر الطبيب إلى المسدس ثم خرج من الحجرة ، وحين عاد كان يحمل طبقاً عليه أدوات الجراحة ، وبينها مسدّس كبير . ثم قال :

« يا صاحبى ، إنْ قدّر لهذا الرجل أن يموت ، فسأعرف ذلك قبل أن تعرفه أنت بخمس ثوان » .

ثم مضى فى جراحته الموفقة .

[والترب . بتكين]

كانت الأم وليامز تدير نُزُلا صغيراً للسائحين فى جبال كولورادو ، وكانت متزوجة برجل قليل الكلام قليل الفعال ، يجلس اليوم بعد اليوم يقرأ صحيفته ، ولا يهتم بالحديث مع أحد من النازلين ، على حين كانت زوجه لا تنى عن العمل والعناية بغرفهم .

وقابلتها ذات يوم فى حانوت البدال فقالت : « إن زوجى لم يتناول حبوبه المطهية هذا الصباح ، وإنى لأحاول أن أغير له أصناف الطعام قبل أن يملها » . ثم أضافت : « إن فى ذلك شيئاً من الصعوبة ، فليس زوجى ممن يفصحون عما يريدون » . فقلت لها : « حقاً إنه قليل الكلام ، أليس كذلك ؟ » فأجابت : « بلى » وأردفت فى عطف : « ولكنه شىء حى فى أرجاء المنزل » .

[إيفلن مولينا كس]

بينما كنا نتناول جبناً وبسكوتاً فى حانوت للأغذية فى إحدى قرى فرمونت ، شاهدنا جماعة من الناس قد جلسوا حول موقد كبير فى وسط الغرفة . وكان يحدث بين الفينة والفينة أن يقرب أحدهم كرسيه من الموقد ، أو يعيد إشعال غليونه ، بيد أن أحداً منهم لم ينبس ببنت شفة .

وأخيراً وقف عجوز وخطه الشيب ، ومد

يده إلى معطفه ، وخرج أحد الجماعة عن الصمت بقوله : « أذاهب أنت يا جف ؟ »

فأجاب جف : « نعم ، أنا ذاهب إلى البيت » .

« ولكنك مبكر فى العودة هذا المساء ؟ »

فأجاب: « نعم ، إنى مبكر عن عمد ، فإذا لم يكن العشاء مُعداً فسأثير صخباً يرتفع إلى عنان السماء ! وإذا وجدته مُعداً فسأمتنع عن تناوله » . وتسلل خارجاً من الحانوت .

[دون وين]

حدثنى صديق عن والديه ، وهما فلاحان نحيلان قليلا الكلام ، لهما مزرعة فى أعالى ولاية نيويورك فقال : « كنت فى صغرى آرى أن والدىّ يختلفان اختلافاً عظيما عن الأزواج الذين نقرأ أخبارهم فى القصص . فما كان أحدهما يداعب الآخر ولا يلاطفه ، ولم أر أحدهما يقبّل الآخر مرة واحدة . وكان ذلك يكربنى ، إلى أن كان يوم من أيام الربيع ، فتحطم السدّ وغمر السيل وادينا .

« كانت ليلة منكرة ، فقد وضعونى تحت سقف الدار لأكون بمنجى من السيل ، فاستلقيت فى الظلام وأنا أرتعد برداً ، على حين كان المطر يهطل على السقف ، والسيل المتلاطم يصخب حول الدار . وأخيراً اشتد على الشعور بالوحدة واستبدّ بى الخوف ، فكان لابد لى من أن أطل من النافذة على البحيرة الضحلة التى كانت فناء زريبتنا ، فلم أتمكن من أن أرى شيئاً إلى أن شق البرق الظلام .

« رأيت والدى ووالدتى يخوضان فى الماء الصاخب إلى ما فوق الركب ، ويسيران كتفاً إلى كتف ، وكانت والدتى تحمل جماعة من الأفراخ المذعورة وقد أنقذتها من بيت الدجاج ، وكان والدى يضم بين ذراعيه حملا وليداً . تلك هى الصورة التى لمحتها فى عشر ثانية — ولكنها كانت كافية .

« فلم يقلقنى بعد ذلك أن لا يكون هذا الرجل وهذه المرأة يتصرفان كما يتصرف الزوجان فى شىء ، إذ أدركت أن ما بينهما أقوى وأعمق من كل هذا » .

[دنيس پليمر]

أشار فلاح من نيويورك إلى سفح الأكمة وأثنى ثناءً طيباً على زراعة ذرة فى حقل فلاح من نيو إنجلند .

قال الأول : كيف تحرث هذا الحقل ؟ إنه يبدو شديد الإنحدار . فقال الثانى : لا أحرثه ، فحين يذوب الثلج فى الربيع ، تتدحرج الصخور فتشق الأرض . فقال الأول : هو هذا ! وكيف تزرعه ؟ فقال الثانى : لا أزرعه حقيقة ، بل أكتفى بالوقوف فى بابى الخلفى وأقذف البذر ببندقية الرش . فقال الأول أهى الحقيقة ؟ فقال الثانى : لا ، إنما هو الحديث !!



الموت الأحمر فى هنكلى

ستيوارت هولبروك

مؤلف كتاب "لا أحد أشجع منهم"

ملخصة عن كتاب "احتراق امبراطورية"

كانت السماء غائمة فى صباح أول سبتمبر سنة ١٨٩٤ فى غابات مينسوتا الشرقية ، وقد انطلقت الصفارة من مصنع الخشب الكبير فى هنكلى — أكبر بلدة فى هذه المنطقة — إيذاناً بأن الساعة بلغت السابعة ، ولكنه ما من شىء آخر كان يدل على أن النهار قد طلع ، فقد انبسطت سحب من الدخان الأسود ، وغلظت فى الهواء الرقيق الجاف ، وحجبت الشمس .

ولم ينزعج أهل هنكلى الألف والمئتان فما كان هذا عندهم سوى يوم أدخن آخر . وكان شهرا يوليه وأغسطس قد جاوز الجفاف فيهما المألوف ، وبقيت آلاف من أجذال شجر الصنوبر ملقاة تحترق ولا يعنى بها فى حيث قطعت فى الأرض المحيطة بالبلدة . ثم بدأت حركة المناشير كالعادة .

ولكن سحب الدخان فى خلال ذلك الصباح جعلت تسفُّ وتتدانى من الأرض ، فقلق بعض الأهالى . ولما أشارت ساعة المصنع إلى الظهر احتاج كاتب الحسابات إلى ضوء يشعله ليرى أرقامه ، وجفف الرمادُ المتساقط الحبرَ على صفحات دفتره .

وفى المزارع زحفت النار قريباً من حقول اللفت ، واستطارت حول الحواجز . ولم يطمئن جوستاف ونز إلى الحالة ، فوضع أسرته فى مركبته ومضى بها إلى هنكلى ، وأغراه ما رأى فى الطريق من الأجذال المضطرمة ، بالعود ليجىء بأسرة جار له إلى البلدة .

وبعد الساعة الأولى بقليل هبت ريح شديدة من الجنوب الغربى ، فدعى رجال الإطفاء المتطوعون من أهل هنكلى إلى طرف المدينة حيث شبت عدة نيران وشرعت تمتد إلى القرية ، ولكنهم سرعان ما تبينوا أنه لا الماء يجدى ولا التراب ، وحملت الريح معها جمرات من الفحم جعلت تتلظى وتخبو فى حيث سقطت من الشوارع التى كان فيها من النشارة فوق ما فيها من التراب ،

وتعرضت فى الأفق إلى الجنـوب سحابة كالليل كثافة وضخامة وسواداً ، وتأدّى من بعيد زئير كأنه صوت شلال عظيم .

وأقبل الأب لولو يعـدو فى الشارع الأكبر ، وهو قسيس كاثوليكى كان يعمل مع رجال الإطفاء ، وجعل يصيح: « التمسوا النجاة ! اهربوا ! اهربوا إلى حفر الحصى ! اهربوا إلى النهر ! أنقذوا أنفسكم ! » .

ثم اندفعت الجحيم نفسها إلى هنكلى ، تزأر أمواج نيرانهـا المتسعرة بعضها فوق بعض ، على متن عاصفة هوجاء متداركة .

وضاق الوقت عن إنقاذ شىء ما ، وصارت الأمهات يخطفن أطفالهن ويهربن، وأصبح الشارع الأكبر فجأة صفين من منازل ملتهبة ، وخف كثيرون إلى مخزن السكة الحـديدية فى مينسوتا الشرقية حيث شدت ثلاث مركبات شحن وخمس مركبات ركاب وقاطرتان بعضها إلى بعض، بسرعة ، ودقت النواقيس لاستعجال الفارين . وما لبث المخزن نفسه أن اشتعلت فيه النار ، ولـكن الأهـالى ظلوا يفدون — رجالا ونساء وأطفالا — ويجرون إلى القطـار وهم يصرخون .

وصار دهان المركبات يغلى ويترك سلوعاً على هيا كلها ، ورأى المهندسان أنه سيكون عليهما أن يجتـازا جسراً خشبيا على النهر ليخرجا من البلدة إلى الشمال ، فأطلقا صفاراتهما ، وبدأ يخرجان بالقطار . وبينما كانا خارجين هبت عاصفة شديدة اختلطت فيها الريح بالنار ، ورأيا رجالا ونساء وخيلا وأبقاراً تتطرح فى الشـارع وتسقط ولا تقوم . أما البيوت فـكانت تبـدو « كأنها تذوب » .

وصار القطار يجرى فى ظلام الدخان الحالك ، وكانت القـاطرة التى فى المقدمة تسير القهقرى ، ولم يكن لها ضوء خلفى على صهريجها ، فصب اثنان من عمالها الماء على بدنيهما وتعلقا بالصهريج من جانبيه و . يد كل منهما مصباح. وبعد أن اجتازا جسر « جرايند ستون ريفر » سمعا صياحاً وصراخاً فى الدخان ، فأشارا إلى القطـار فوقف ، فصعد إليه نحو أربعين آخرين فبلغ بهم عدد الركاب جميعاً نحو خمسمئة .

ولما اقترب القطار من نهر « كيتل » على مسافة عشرة أميال من هنكلى شمالا كان الجسر قد شبت فيه النـار ، فترجل العاملان ليستطلعا ، فألفيا جثة حارس الجسر فحمة إلى جانب الخط ، وكانت النار مشتعلة فى الجسر من أوله إلى آخره تقريباً ، ولـكنهما رأيا أنه يستطيع مع ذلك احتمال العبء ، فبدأ القطـار يسير ببطء وحذر فوق النهر على جسر من النـار ، على حين

كانت النساء فيه يصرخن كلما وثبت ألسنة النيران إلى النوافذ المحطمة ، وبعد دقيقتين اثنتين من بلوغ الشاطىء الآخر والوصول إلى بر السلامة تداعى الجسر .

وأما فى هنكلى المضطرمة فقد كان الموت يطارد معظم الأهالى ، وقد لجأ مئة وعشرون منهم إلى أرض سَبِخة على خط مينسوتا الشرقية فاحترقوا جميعاً واستحالوا هشيما أو رماداً . وكان ألن فريزر بحيث يسمعهم وهم يموتون ، فقال : « لما أقبلت موجه النار على هذه الأرض ارتفعت صرخة ألم واحدة ، ثم ساد السكون فيما عدا عواء الرياح » .

وقد نجا فريزر وزوجته وإبناهما بأعجوبة ، ذلك أنهم حين كانوا يفرون فى الطريق ، أقبلت عليهم مركبة يجرها جوادان بغير سائق أو حوذى ، فركبوا ووجدوا أربعة براميل ملأى بالماء ، فخرجوا من الجحيم فى هذه البراميل .

وكانت البقعة المأمونة الوحيدة فى هنكلى فى ذلك اليوم غوراً مساحته نحو فدانين وفيه ماء راكد أنقذ أكثر من مئة نفس وأنعاماً كثيرة ، فقد كانت الخيل والأبقار والكلاب والقطط تدفعها الغريزة وتهديها فتعوذ بالمكان الوحيد الذى يستطاع فيه المحافظة على الحياة .

أما الذين لم يرحلوا على قطار مينسوتا الشرقية أو يلجأوا إلى الغور ، فقد ذهبوا طعمة للنار ، وقد خرج نحو مئتين فارّين شمالا على خط سنت بول ودلوث الحديدى ، فكانت عوارض الخشب يخرج منها الدخان وتشتعل تحت أقدامهم ، وكانت ألسنة النار كل بضع خطوات ، ترتفع وتدرك واحداً ثم اثنين ثم عشرة ، حتى سقط ٣٣ على القضبان وماتوا .

ومضى الناجون شمالا ، ثم ما لبثوا أن شعروا بالقضبان ترجف ، فنظروا فإذا ضوء يدنو منهم فى الظلام ، وكان هذا هو القطار السريع إلى سنت بول ، ولكنه لم يبلغ غايته ، فقد أبصر جيم روت الذى كان فى القاطرة ، هذا الجيش من اللاجئين يعدون نحوه ، ورأى وراءهم سحابة من الدخان تحجب كل شىء ، فوقف القطار فصعد إليه أطفال صفر الوجوه ونساء شاطت شعورهن ، ورجال لم تعد لهم حواجب .

وكان أقرب موضع فيه ماء هو المستنقع الذى يسمى بحيرة « سكنك » على مسافة ستة أميال إلى الوراء ، فعكس روت اتجاه القاطرة وفتح صمامها ، ومضى بها بأسرع ما تستطيع ، وفى هذه اللحظة اندلعت النار فى الأخشاب حول المكان ، وكان لاندلاعها

انفجار فظيع حطم زجاج القاطرة فتطايرت شظاياه ، وأصيب روت بجروح عميقة في عنقه وجبينه ، حتى لقد اضطر أن يظل يمسح الدم من عينيه .

وكانت النار كأنها في سباق مع القطار ، فكانت على جانبيه وقدامه ، وكانت أربطة القضبان متقدة ، وكذلك أجزاء من المركبات ، وكان الدهان يسيل من جدران المركبات داخلها ، وكانت المصابيح قد أضيئت ولكن الانفجارات حطمتها وأطفأتها وهشمت كل نافذة في القطار كذلك ، فبلغ ذعر الركاب منتهاه .

وكان الحر في القاطرة قل من يستطيع احتماله ويعيش ، وكانت ألسنة من النار تنتشر على الجوانب الخشبية كأنما تتحسسها وتجسها ثم تستعر وتتوهج ، وذاب القصدير من مصباح القاطرة وتساقط قطرات ، واشتعلت النار في المقابض الخشبية للآلات ، وأغمى على روت أكثر من مرة ، غير أن ماك جوان الوقاد أنعشه ورد إليه نفسه بصب الماء عليه ، فبقي يعمل .

حتى الفحم المعد لتغذية القاطرة اتقد كأنه في موقد حين وصل القطار إلى بحيرة سكنك وحبس روت البخار ، وما كاد القطار يقف حتى صارت شعلة ساطعة ذات معمعة وفرقعة ، وتناول ماك جوان وعاء وراح يصب الماء منه على سلاليم المركبات ومقاعدها ليتسنى للركاب أن يخرجوا ، فخرجوا يتعثرون إلى الماء الضحل ودخلوا فيه إلى آباطهم وغطوا رءوسهم بثياب مبلولة ، وأدركتهم في هذه البركة موجات من النار وقد نجا المهندس روت ونحو ٣٠٠ ممن لاذوا ببحيرة سكنك .

ولما خمدت النار ، كانت أرض الصنوبر قد صارت زماداً ، وامحت قرى الحطابين وبيوتهم ، وكان الموتى على الطريق إلى مسافة عشرين ميلا إلى الشمال والجنوب من هنكلى ، وبلغت جملة ما أحصى رسمياً من الموتى ٤١٨ من بينهم كثيرون لم يستطع أحد معرفتهم .

أمنية

في ردهة المسرح المصرى في هوليوود « بئر للتمنى » يلقى الناس فيها دريهماتهم ويتمنون أمنية ما . ومنذ عهد قريب خرج رجل من المسرح وألقى درهمه في البئر وقال : « يا ليتني لم أجئ لمشاهدة هذا الفلم » .

[سدنى سكولسكى]

رسول الرحمة

أوحت إحدى المعارك الدامية إلى هنرى دونان بأن يؤسس أعظم جمعية عالمية لخدمة البشر .



ملخصة عن مجلة "ذى روتيريان"

هولسان هارنى وادوارد بسينج

لقد كان يومئذ قدراً مقدوراً فى تاريخ البشر ، حين نزل رجل أنيق فى بزة بيضاء من مركبته فى سنة ١٨٥٩ فألفى نفسه فى وسط معمعة سولفرينو . كان اسم الرجل هنرى دونان ، ولقد كابد فى تلك المذبحة التاريخية ساعات غيرت سيرة حياته ، فانقلب الشاب المالى الموفق رسولا من رسل الرحمة.

وقد أتى على إثر ذلك نصف قرن واسم دونان يردد فى جميع أنحاء أوربا ، ذلك بأنه قد كتب له أن ينشىء جمعية الصليب الأحمر الدولية ، ثم يهوى إلى حضيض الخزى والمسكنة ، ثم يستخفى سنوات حتى يظن أنه قد مات ، ثم يعثر عليه ويكرَّم بأن ينال جائزة نوبل للسلام .

سافر دونان ذات يوم عجلاً يريد مقابلة نابليون الثالث إمبراطور فرنسا ، الذى كان على رأس جيش فرنسى يحارب فى شمال إيطاليا ، فلحق به فى سولفرينو .

وفى ذلك اليوم كانت الدماء تسيل مسفوحة على سبعين ميلا مربعاً من سهول لومبارديا فى مجزرة من أفظع مجازر التاريخ . وكان الملك فكتور عمانوئيل الثانى على رأس جيش مؤلف من خمسين ألف مقاتل من أهالى بيدمونت ، وقد أقسم أن يطرد النمسويين من إيطاليا ، وكان لويس نابليون قد خرج لنجدته بمئة ألف مقاتل من الفرنسيين . أما النمسويون فكان عددهم مئة وستين ألفاً بقيادة الإمبراطور الشاب فرنسوا جوزيف، وهو فى التاسعة والعشرين من عمره .

فلما حط دونان رحاله ببلدة كستليونى وراء الخطوط الفرنسية، ظل يراقب الجرحى يعودون صفوفاً طويلة فى مركبات من الخشب ترتج ارتجاجاً مؤلماً على الطريق المرصوف بكتل الحجارة . وفى الموقعة التى استمرت ١٥ ساعة سقط ٤٥ ألف قتيل ، وظل معظمهم حيث سقط لا يعنى به أحد .

وعجز رجال الخدمة الطبية فى جيش الفريقين عن العمل ، لأنها لم تكن متأهبة لمثل هذا العدد الكبير من المصابين . فصار كل بيت فى بلدة كستيلونى مستشفى ، وحشر خمسمئة رجل بين جريح ومحتضر

فى كنيسة صغيرة . وتفشت الأكلة (الغرغرينة) والكزاز (التتانوس) بينهم تفشياً عظيما .

ولم يطق دونان أن يظل معتزلا جانباً ، فنسى المهمة التى قدم من أجلها . فأنشأ هذا المالى البالغ من العمر ٣١ سنة ، كتيبة قوامها ٣٠٠ رجل من الجنود والأهالى لإنقاذ الجرحى والعناية بهم وتولى هو قيادتها .

جعل العدو والصديق سواء فى رعايته . واتفق أن دخل دونان الكنيسة ورأى الجنود الإيطاليين يحاولون إخراج رجلين من جرحى النمسويين ، فحال دون ذلك ، وصاح بهم : « إنما نحن وهم إخوة ! » فسرت تلك الصيحة فى المدينة كلها ، وقدر لها أن تسرى فيما بعد فى العالم كله .

وظل دونان يرعى الجرحى شهراً كاملا ، حتى إذا ثارت فرنسا كلها وصارت الإعانات تتدفق عليه ، تسلل وتوارى عن العيان .

كان دونان سليل أسرة سويسرية ممتازة من أوساط الشعب ، اشتهرت منذ زمن بأعمال البر والإحسان ، وبعد أن تلقى العلم فى خير المدارس السويسرية ، دخل فى خدمة شركة من أكبر شركات المصارف المالية فى سويسرا .

ولما انقضت مدة تمرينه أسس شركة رأس مالها مليون فرنك لإنشاء أربعة مطاحن للدقيق فى بلاد الجزائر ، وأيده الكثيرون من أصدقائه باكتتابهم بمبالغ كبيرة . إلا أن دونان أهمل فلم يحصل على امتياز القوى المائية لتلك المطاحن ، فسعى لمقابلة الإمبراطور لويس نابليون فى سولفرينو ليحصل على ذلك الامتياز ، ولكنه لم يوفق .

فلما عاد إلى جنيف كتب يصف عاقبة موقعة سولفرينو الفاجعة ، واقترح خطة لإنشاء جمعيات من المتطوعين للإسعاف فى جميع الأمم . وقد نشرت هذه الرسالة المؤلفة من ثلاثين ألف كلمة فى سنة ١٨٦٢ فأثارت أوربا كلها . فعرض جوستاف موينيه ، رئيس جمعية النفع العام بجنيف ، أن يؤلف لجنة لتنفيذ ما دعا إليه دونان ، إلى أن تنشئ جميع الأمم المتمدنة جمعيات للإسعاف تعنى فى زمن الحرب بجرحى الجنود ، بصرف النظر عن جنسياتهم .

وقبل دونان ما عرضه موينيه ، ودعى ثلاثة رجال آخرين من كبار أهل سويسرا لينضموا إليهما ، وأنشئت لجنة سميت « لجنة الخمسة الدولية » ، وهى أصل لجنة الصليب الأحمر الدولية الحاضرة .

كان بسمارك إذ ذاك يرسم خطط سلسلة الحروب التى اجتاحت أوربا فى السنوات السبع التالية ، فلما شعر دونان بالخطر المقبل أقدم وعزم على توسيع نطاق مشروعه

ما دام لديه متسع من الوقت . فاستدعت « لجنة الخمسة » مندوبين عن جميع الدول للاجتماع بمدينة جنيف . كان ذلك جرأة بالغة ، إلا أن دونان لم يلبث أن انطلق فى سنة ١٨٦٣ ليطوف بجميع عواصم أوربا ، ولم تنقض ثلاثة أشهر حتى تمكن من إقناع ست عشرة أمة بإرسال مندوبين إلى جنيف ، واجتمعوا فى شهر أكتوبر من تلك السنة ، وتمت الموافقة على المبادىء التى تقوم عليها جمعية الصليب الأحمر اليوم .

وكان مما طلبه دونان أن الجندى إذا ما وقع جريحاً فى المعركة فينبغى أن يظل فى منعة لا يلحقه أذى ما لم يقاوم ، وأن يغيثه من لقيه من عدو أو صديق ، وأن يكون جميع أطباء الجيش والمتطوعين للخدمة الطبية بمنجاة من كل اعتداء . واقترح دونان ، فى مقابل ذلك ، أن لا يحمل سلاحاً أى طبيب أو أية ممرضة ، وأن يلبس جميع الذين يعنون بخدمة الجرحى شارات مميزة على أذرعهم . واتخذ العلم السويسرى ، بعد عكس ألوانه ، رمزاً دولياً اعترافاً بفضل سويسرا . ذلك هو أصل رسم الصليب الأحمر على رقعة بيضاء ، وذلك هو مولد أعظم عمل إنسانى منظم فى ساحات القتال .

وبعد عشرة أشهر تم توقيع ميثاق جنيف فى اجتماع رسمى عقدته الحكومة السويسرية ، وبلغ عدد الدول التى وقعت ذلك الميثاق اثنتى عشرة دولة . وكان جواب « أبراهام لنكن » رئيس الولايات المتحدة على رسالة دونان ، أن أوفد اثنين من الأمركيين لحضور الاجتماع . ولما كان من دأب أمريكا أن تخشى التورط فى عقد المحالفات ، لم توقع ميثاق جنيف إلا بعد ذلك بثمانية عشر عاماً .

أما اليوم فإن ذلك الميثاق يحمل توقيع كل دولة متمدنة فى العالم ، ويفرض عليها أن تعامل الجرحى والأسرى معاملة إنسانية ، ويضع الأصول العامة التى تسير عليها جمعيات الصليب الأحمر المستقلة فى جميع أنحاء العالم . أما المهيمن على ميثاق جنيف فهو لجنة الصليب الأحمر الدولية ، ومقرها مدينة جنيف ، وجميع عمالها وموظفيها سويسريون محايدون . وعن يد هذه اللجنة الدولية يتلقى أسرى الحرب الهدايا والرسائل من أهلهم ، وهى التى تضمن لهم حسن المعاملة والرعاية .

وفى خلال ذلك كانت شؤون مطاحن دونان فى الجزائر تسير من سىء إلى أسوأ ، فقد قضى مديرها دونان زمناً طويلا وهو مشتت الجهد بين مشروعين كبيرين . أما الآن وقد تم مشروع جنيف ، فقد أصبح نجاحه متوقفاً على إنشاء جمعية قوية للصليب الأحمر فى كل قطر . وكان ميثاق جنيف لم يزل خاليا من نص على معاملة الأسرى معاملة

إنسانية،فأهمل دونان مطاحنه وانطلق يسعى في تأسيس الصليب الأحمر الفرسى ، وفى إنشاء لجنة تعالج مشكلة أسرى الحرب .

ثم أخـذ دونان يكافح ثلاث سـنوات يتنازعه ما يجب عليه لشركائه ، وما يتوق إليه من نجاح العمل الذى أنشأه ووقف عليه حياته ، فجاهد ليرضيهما كليهما . فلما آلت المطاحن فى سنة ١٨٦٧ إلى الخراب ، حكم على هنرى دونان بالإفلاس ، وكان عمره يومئذ أربعين سنة .

ونكب أصدقاؤه ومعارفه فى جميع أنحاء أوربا بنكبته. وكان من مروءة لويس نابليون أن عرض عليه أن يحتمل نصف ديونه ، ولكن لم يتقدم أحد لدفع النصف الثانى .

فلما أصبح ضارعاً معدماً فرَّ واستتر فى أحياء باريس القذرة المظلمة . وقد ظل برهة يتلقى مبالغ زهيدة من أصدقائه ، ولكنها انقطعت عنه بعد قليل . ولما بلى معطفه الأنيق الأسود أخذ يصبغه بالحبر . وكثيراً ما كان باب غرفته يوصد فى وجهه فينام على المقاعد فى الحدائق . فلما تمت عليه ثلاث سنوات وهو منفى شريد ، فقد أصدقاؤه ومعاصروه كل أثر له .

وفى سـنة ١٨٧٠ خمدت نار الحرب الفرنسية البروسية ودخل البروسيون المنتصرون باريس ، ثم حدثت أهوال « مجلس باريس » ، وأخذ الفرنسيون يقتل بعضهم بعضاً من وراء المتاريس على مرأى من الجنود الألمان الدهشين .

وإذ ذاك صحا دونان رسول الرحمة مما غشيه من سبات الفقر والمسكنة ، وفعل ما فعله فى كستيلونى إذ تولى القيادة بنفسه فى وسط الآلام والفتن المهلكة ، بغير سلطان يخوله ذلك ، وعاد المتطوعون فاتبعوه ، وعادوا يجولون غير وجلين بين الخطوط ، يسعفون الجرحى ويطلبون العون الإنسانى باسم الصليب الأحمر ، لا يتعرض لهم أحد من رجال الجيش .

ولما استتب الهدوء فى فرنسا مرة أخرى عزم دونان على أن يبذل جهده ليكون أسرى الحرب — كالجرحى — تحت حماية ميثاق جنيف . فذهب فى سنة ١٨٧١ إلى إنجلترا ليقوم بحملته الجديدة .

وفى لنـدن ، قابلته فلورنس نايتنجيل بترحاب عظيم ، وهى السيدة الإنجليزية التى ذهبت على رأس فئـة من الممرضات إلى ميادين حرب القرم ، والتى أصبحت بعـد ذلك مؤسسة الصليب الأحمر البريطانى . ورحبت إنجلترا كلها بدونان ، فثارت حماسته القديمة ، ووجه الدعوة إلى مؤتمر دولى آخر عقـد فى بروكسل سنة ١٨٧٤ تحت رعاية قيصر روسيا .

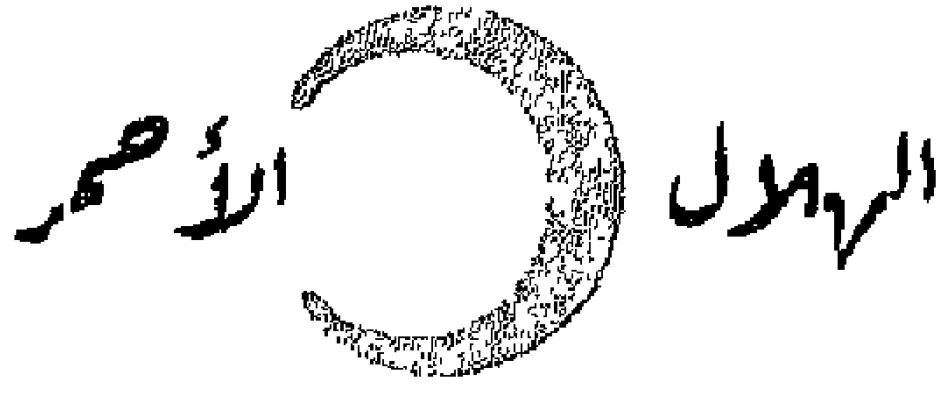
انفض هذا المؤتمر ولم يصنع شيئاً ، فإن الأمم لم تكن مستعدة بعد للاتفاق على مسئلة أسرى الحرب . والواقع أن هذه المسئلة لم يتفق عليها إلا بعد خمس وخمسين سنة أخرى ، حتى كانت سنة ١٩٢٩ فأبرمت النصوص النهائية لميثاق جنيف .

وانقلب دونان قانطاً حزيناً ، ولكن أخذت تختمر فى ذهنه فكرة أخرى ، ولربما استطاع أن يثير حماسة الناس فى سبيلها : وذلك أن لا يقتصر عمل الصليب الأحمر على زمن الحرب وحسب ، بل يشمل جميع المصائب والكوارث التى تحدث فى زمن السلم أيضا ، كالزلازل والفيضان والحرائق والمجاعات . وهذا المشروع الذى تمت الموافقة عليه فيما بعد أنقذ حياة الملايين من الناس فى جميع أنحاء العالم ، إلا أن لجنة جنيف رفضته يومئذ . وعاد دونان فى سنة ١٨٧٥ فتوارى مرة أخرى عن الأنظار .

ولم يعلم أحد أين ذهب أو كيف عاش فى هذه الفترة ، وكل ما يعرف عنه أنه اختفى خمس عشرة سنة ، ويظن أنه عاش يومئذ باسم مستعار . ولقد نشرت بعض صحف جنيف أن هنرى دونان قضى نحبه .

وذات يوم من سنة ١٨٩٠ روى بعض أبناء قرية هيدن (من قرى جبال الألب) لمعلم مدرسة القرية أنهم رأوا شيخاً هرماً على رأسه كمة سوداء وله لحية بيضاء إلى ركبتيه ، وأنه كان يراقبهم وهم يلعبون ويخاطبهم بكل حنان . فأخذ المعلم الشاب ، وليم سوندريجر ، يبحث عن سر الرجل ، ودعاه إلى منزله ، وما كان أشد ذهوله إذ اتضح له أن ضيفه هو هنرى دونان .

ولم يمض قليل حتى عقد مؤتمر دولى



أنشئت جمعية الهلال الأحمر فى سنة ١٩١٠ خلال الحرب الطرابلسية ، وكان رئيسها حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على توفيق . واشتركت فى الحرب البلقانية فى معاونة الجيش العثمانى فأرسلت بعثات مختلفة إلى ساحات هذه الحرب . وكان من رؤسائها الدكتور سليم الموصلى باشا والدكتور على ابراهيم بك (باشا) والدكتور محجوب ثابت . ومضت بعد ذلك تقوم بأعمال الإغاثة فى الحوادث الداخلية والخارجية . وقد اهتم بها المغفور له الملك فؤاد الأول فسجلت فى عهده فى عصبة الأمم بنفس النظام المتبع فى جمعيات الصليب الأحمر المستقلة .

لجمعية الصليب الأحمر فى روما ، فبعث وليم سوندريجر برسالة إلى المؤتمر لتقرأ على المندوبين : « مؤسس الصليب الأحمر لم يمت ، وهو فى عوز شديد » .

وعاد اسم دونان يسرى فى أوربا مرة أخرى ، وأخذت الهبات ترد على قرية هيدن من جميع أنحاء العالم ، وقرر مجلس النواب السويسرى منح الرجل مساعدة ، وضربت نقود باسمه ، وقررت إمبراطورة روسيا الوالدة منحه معاشاً مدى الحياة ، ومنحته روسيا نوط التاج ، ومنحته البرتغال نوط المسيح ، ومنحته فرنسا صليب اللجيون دونور . وفى سنة ١٩٠١ ، وعمره يومئذ ثلاث وسبعون سنة ، نال دونان جائزة نوبل للسلام .

وانتعش مرة أخرى ، إلا أن المال لم تعد له قيمة فى نظره حينئذ . فبعد أن وفى الديون التى كانت عليه لبعض الدائنين ممن علم مقرهم ، أعطى ما بقى للجمعيات الخيرية ، وظل يعيش بخمسة فرنكات يوميا فى غرفته النظيفة المشرقة بمستشفى الفقراء فى هيدن . ومات سنة ١٩١٠ عن اثنين وثمانين عاماً ، وشيعت جنازته بلا احتفال كما أوصى ، ودفن فى مدينة زوريخ حيث يتولى أبناء وطنه السويسريون العناية بقبره ، ويزورونه فى الفترات ، ليكرّموا ذكرى مواطنهم العظيم — ذلك الرجل الخيّر الذى لكل العالمين فيه نصيب.

☆☆☆☆☆☆☆☆

هندسة العناكب

كنت ذات يوم جالساً إلى جانب جدول ، فاسترعى نظرى عنكبوت يتسلق إلى طرف عود من الحشائش يبلغ ارتفاعه ١٥ بوصة ، وسبح فى الفضاء أمام عينىّ المسحورتين خيط دقيق حمله النسيم إلى شجيرة على الجانب الآخر من الجدول . ثم سار العنكبوت على ذلك الجسر الرقيق من الخيط ، فلما بلغ منتصف الطريق أحنى ثقله عود الحشيش واسترخى الخيط ، حتى جعل ينذر بأن يغمره الماء . وعاد العنكبوت إلى عود الحشيش ، وفى نحو الثلث منه عقد عقدة ثم نزل إلى الأرض وسار متجهاً فى خلاف اتجاه الريح نحو عشر بوصات . وهناك إلى عود آخر من الحشيش عقد نهاية خيطه وجعله بذلك دعامة قوية تشد أزر العود الأول فلا ينثنى . ونزل العنكبوت وعاود رحلته الأولى على الجسر فبلغ الجانب الآخر فى أمن وسلام ، وهو عمل هندسى عجيب يقوم به مخلوق من أدنأ مخلوقات الله .

من عبث الأطفال الشيطاني

النافذة المفتوحة

ساكي
(هـ . هـ . مونرو)

قالت صبية شيطانة فى الخامسة عشرة من عمرها : «ستنزل عمتى حالا يا مستر ناتل فعليك أن تحتملنى » .

واجتهد فرامتون ناتل أن يلاطف الفتاة بما لا يسىء إلى عمتها . وساوره شك لم يعهده من قبل فيما إذا كانت هذه الزيارات العابرة لمن لا يعرفهم مطلقاً قد تعينه على علاج أعصابه الذى قضى عليه أن يكابده فى هذه العزلة الريفية .

وتذكر قول أخته : « سأعطيك رسائل إلى كل من أعرفهم هناك ، وإلا فإنك ستقبر نفسك ولا تكلم أحدا ، وتزداد أعصابك اضطراباً بانقباضك وكآبتك » .

ولما شعرت الفتاة بأن مجلسهما قد خيم عليه من الصمت ما فيه الكفاية ، سألته : « هل تعرف كثيرين فى هذه الناحية ؟ » .

« أكاد لا أعرف أحدا . وقد حضرت أختى هنا منذ أربعة أعوام ، وأعطتنى رسائل لتقدمنى لبعض الناس » .

فأردفت الفتاة الشيطانة قائلة : « إذن أنت لا تعرف شيئاً عن عمتى ؟ » .

فأجابها الزائر : « اسمها وعنوانها فقط » .

فقالت الفتاة : « لقد نزلت بها مصيبتها الكبرى منذ ثلاثة أعوام تماماً حينما كانت أختك هنا على ما أظن » .

فسألها فرامتون : « مصيبتها ؟ » وخيل إليه أن المصائب بعيدة عن هذا المكان الهادئ . فقالت له الفتاة ، وهى تشير إلى نافذة كبيرة على الطراز الفرنسى تطل على حديقة المنزل : « لعلك تتساءل لماذا ندع هذه النافذة مفتوحة وقد أطل الشتاء ؟ ففى مثل هذا اليوم منذ ثلاثة أعوام ، خرج من هذه النافذة زوج عمتى وشقيقاها الشابان طلباً للصيد ، وأثناء عبورهم أرضاً موحلة ساخوا فى ورطة من وحل خدعت أبصارهم ولم تنتشل جثثهم منها حتى اليوم » .

وحينئذ اضطرب صوت الفتاة ثم قالت : « إن عمتى المسكينة تظن دائماً أنهم سيعودون فى يوم من الأيام ، هم والجرو الأسود الذى فقد بفقدهم ، وأنهم سيدخلون من هذه النافذة . وهذا هو سبب تركها مفتوحة كل مساء إلى أن يهبط الظلام . وطالما قصت علىّ كيف خرجوا ، وهذا زوجها قد خرج وعلى كتفيه معطفه الأبيض . وإنه ليحدث أحياناً فى مثل هذه الليلة الساكنة أن تنتابنى فكرة يقشعر لها بدنى . وهى أنهم سيعودون جميعاً من هذه النافذة » .

هكتور هيو مونرو ، معروف بأقاصيصه وفكاهته ولد فى بورما وقضى أكثر عمره فى انجلترا وقتل فى فرنسا سنة ١٩١٥

وقطعت حديثها وقد سرت فى بدنها رعدة خفيفة ثم هدأت نفس فرامتون حين دخلت العمـة تلقى فى الحجرة سيلا من الأعذار لتأخرها .

وقالت : « أرجو ألا تضايقك النافذة المفتوحة ، إن زوجى وشقيقى سيعودان من فورهما من الصيد ، وهم يأتون دائماً من هذا الطريق » .

ثم استرسلت فى الحديث عن لذة صيد البط فى الشتاء ، وقد حاول فرامتون دون جدوى أن يحول الحديث إلى موضوع أقل إفزاعاً ، لا سيما وقد لاحظ أن مضيفته ظلت تحملق خلال النافذة المفتوحة . حقا كانت زيارته فى يوم هذه الذكرى الأليمة ، مصادفة سيئة .

فراح فرامتون يقول لها : « أمرنى الأطباء أن أتجنب كل انفعال عصبى وعمل بدنى » يدفعه إلى ما قال ذلك الوهم السائد أن الغريب عن المرء يتوق إلى معرفة تفاصيل علله وأمراضه .

فقالت مسز سابلتون بفتور : « آه » . ثم هبت فجأة مشرقة الوجه يقظة وانتباهاً ، ولكنها لم تعر ما يقوله فرامتون اهتماماً .

وصاحت : « ها هم أخيراً قد أقبلوا فى ميعاد الشاى ، وقد غمرهم الوحل » .

فارتعد فرامتون قليلا والتفت إلى الصبية وحدجها بنظرة تنم على فهمه الذى يشوبه العطف ، وكانت الفتاة تحدق فى النافذة وفى عينيها جنون الفزع . فاستدار ونظر فى نفس الاتجاه .

وفى ظلام الغسق ظهر ثلاثة أشخاص يسيرون فى الحديقة صامتين ، وعلى أعقابهم جرو أسود منهوك القوى . وكانوا جميعاً يحملون بنادقهم ، وقد وضع أحدهم على كتفيه معطفاً أبيض .

اختطف فرامتون عصاه ولم يكد يتبين فى فراره الطائش باب الغرفة أو الطريق المرصوف بالحصباء .

وقال صاحب المعطف الأبيض : « هانحن يا عزيزتى ، من ذلك الذى لاذ بالفرار عند قدومنا ؟ » .

فقالت مسز سابلتون : « رجل شاذ اسمه ناتل لا يتكلم إلا عن مرضه . وقد فر عند وصولكم بلا استئذان ، كأنه رأى شبحاً » .

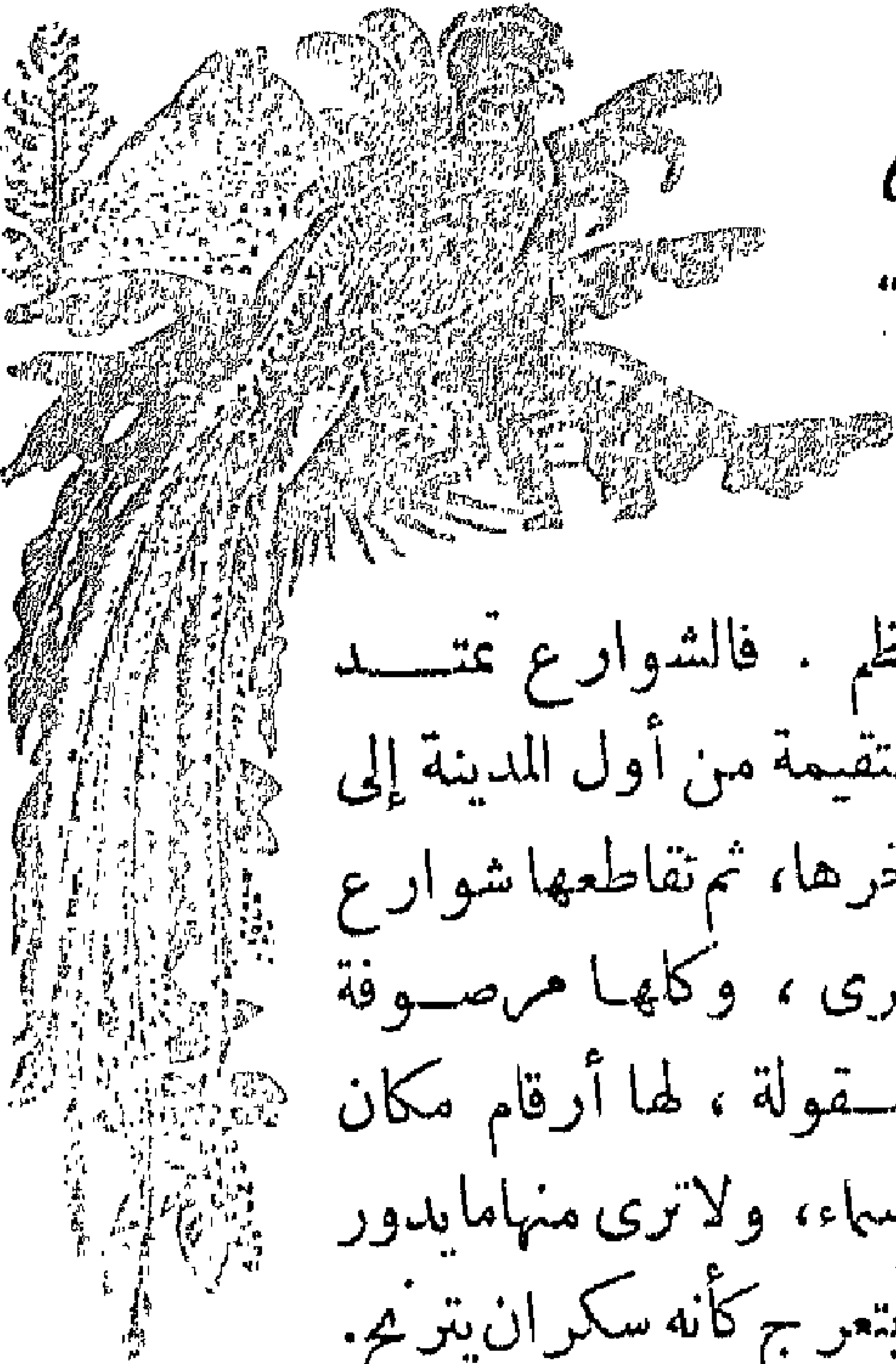
فقالت الفتاة بهدوء : « إنه الجرو فيما أظن ، فقد أخبرنى أنه يفزع من الكلاب . إذ طارده قطيع من الكلاب الهائمة بين مقابر على ضفاف نهر الكنج ، وقضى عليه أن يمضى ليلة فى قبر حديث الحفر ، والكلاب تعوى وتنبح فوق رأسه . وما من امرئ يلقى ما لقى إلا طار عقله وصوابه » .

تفرّج على الفردوس

"المكان الذى تحلم بقضاء عطلة طويلة بعد الحرب"

ماكس ايستمان

ملخصة عن مجلة "ترافل"



جاء خمسة من أصدقائى فأبلغونى على التتابع أن جواتيمالا فردوس صغير ، فعزمت على القيام بجولة فى ربوعها قالوا لى : « إن فيها ٢٤ بركاناً ، وبحيرة تفوق بحيرة لوسرن حسناً وجمالا ، ثم إنها لا تبعد عن نيو أورليانز أكثر من ألف ميل فى خط مستقيم كما يطير الغراب ، وكذلك تفعل الطائرة » .

ولكن الطائرة التى أقلتنى خالفت الغراب فطارت بنا فى منتصف الليل ووصلت مع الفجر ، فنزلنا فى ضياء شمس الربيع الوهاج ، وفى هواء منعش بليل ، وقد فاح عبير شجر الفتنة من حولنا . وعلى درج الطائرة قامت فتاة هندية حسناء جاءت تستقبلنا ، وعلى الأفق الممتد أمام أعيننا بركان .

وكنت أعلم أن الفردوس سيدهشنى ، ولكنى لم أكن أتوقع تلك الهزة التى اعترتنى عند ما رأيت مدينة جواتيمالا ، فلقد كنت أتوقع أن أرى قرية جبلية قد نمت واتسعت ، فإذا بى أمام مدينة شيدت على أحدث طراز فى العالم ، ونسقت أبدع التنسيق . فلا ترى فيها شجرة واحدة تخل بتخطيطها الهندسى المنظم . فالشوارع تمتد مستقيمة من أول المدينة إلى آخرها ، ثم تقاطعها شوارع أخرى ، وكلها مرصوفة مصقولة ، لها أرقام مكان الأسماء ، ولا ترى منها ما يدور أو يتعرج كأنه سكران يترنح .

وفى كل تقاطع هام ، يقف جندى مرور ضئيل الجسم فوق منصة خضراء ، وقد لبس بدلة نظيفة لونها مزيج من الكاكي والأحمر القرمزى ، وفى يده عصا تنتهى بزر أحمر ، وفوق رأسه مظلة صفراء ، تحسبه حين تراه دمية من الدمى ، وذلك لضآلته ، ولأنه يدير مرور الدراجات والمركبات التى تجرها الثيران ، بإشارات آلية جامدة .

كل شىء ضئيل الجسم فى هذا الفردوس ، فمتوسط طول المرأة خمس أقدام ، والرجل خمس أقدام وبوصتان ، ولا بد لى أن أنحنى حين أمر تحت المظلات المقامة أمام الدكاكين فى الشارع الرئيسى . وكذلك الكلاب والخيل كلها من سلالات ضئيلة الحجم ، والمنازل

والمتاجر أكثرها قليل الارتفاع ، لأن سكان جواتيمالا يؤثرون أن يكون البناء طابقاً واحداً يوم ينقض على رؤوسهم ، فتاريخهم حافل بالزلازل ، كما أن جغرافيتهم ملأى بالبراكين ، والواقع أن طبيعة عاصمتهم وموقعها الحالى ، هما ثمرة سلسلة من الكوارث التى توالت عليهم .

فالغزاة الإسبان بنوا عاصمتهم فى عام ١٥٢٤ على ارتفاع ١٠٫٠٠٠ قدم ، وسط حقل عظيم من الذرة اغتصبوه من جماعات المايا ، غير أن الرياح الباردة اضطرتهم إلى أن يهبطوا فى عام ١٥٢٧ ، وأن يبنوا من جديد حيث الدفء على منحدر أحد البراكين ، وكان ذلك البركان لا ينفك يقذف باللهب . ولكى يثبت لهم حقيقة أمره بالحجة الدامغة ، قذف من فوهته ببحيرة ضخمة فى عام ١٥٤١ فأغرقت مدينتهم ودفنتها تحت الطين ، وبقى من المدينة « برج » ظاهر فوق الطين فأطلقوا عليه اسم « المدينة القديمة » . ثم ارتحلوا مسافة سبعة أميال ، وبنوا مدينتهم مرة أخرى ، فى واد بديع كأنه جنة عدن . وقد اتفقت الروايات على أنها كانت أنبل وأفخم عاصمة فى أمريكا كلها .



ثم حدث زلزال فى عام ١٧٧٣ فدمر المدينة برمتها ، فأطلقوا على خرائبها اسم « أنتجوا » أى القديمة وأجلوا مرة أخرى إلى مكان جديد ، واختاروا هذه المرة وادياً أوسع وأكثر برداً من الأول ، ويبعد عنه عشرين ميلا نحو الجنوب الغربى . غير أن الزلازل لازمتهم ، ففى عام ١٩١٧ خربت المدينة تمام التخريب .

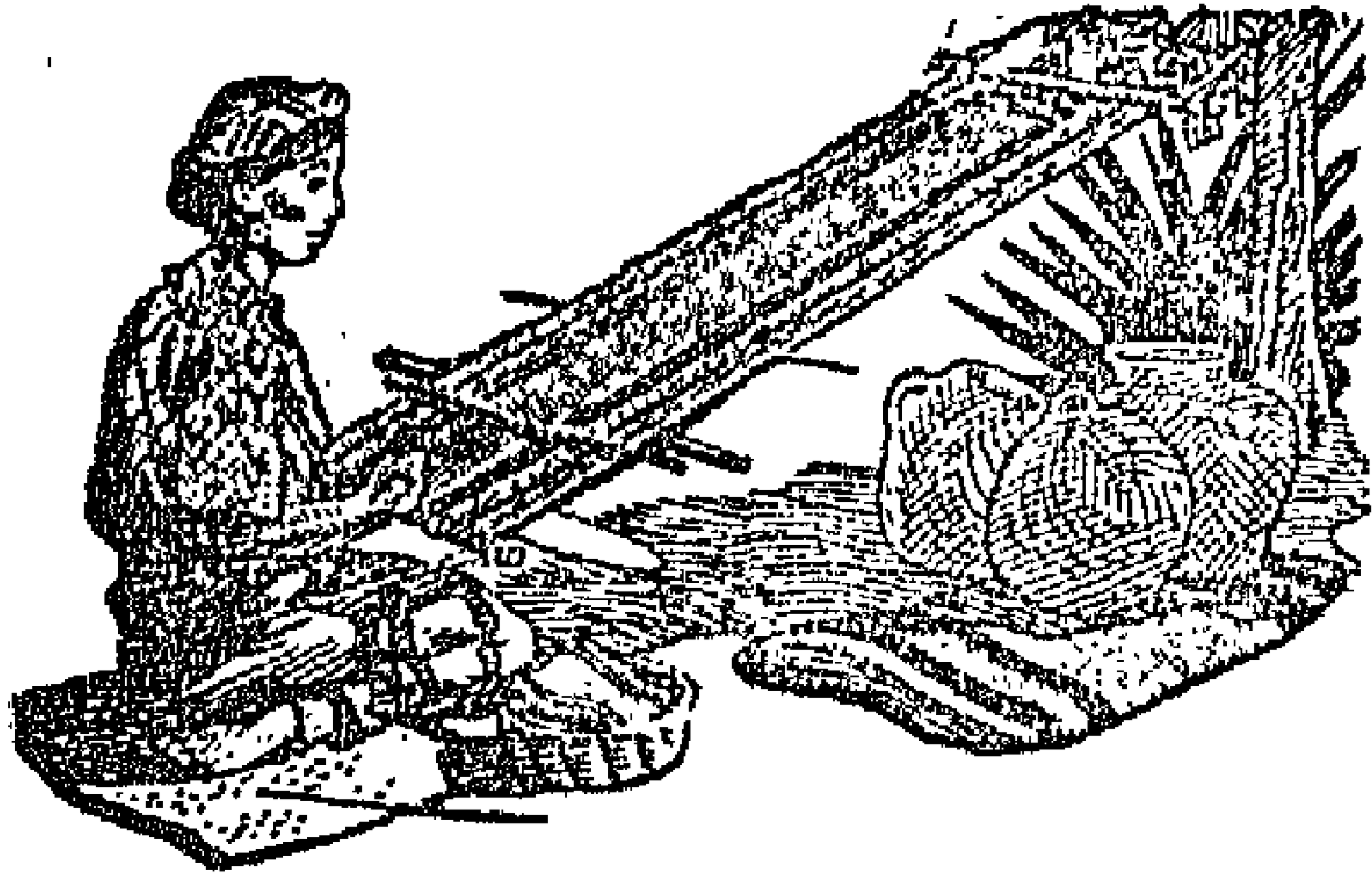
وكذلك بنى الجواتيماليون عاصمتهم مرة خامسة ، وأدخلوا فيها جميع تحسينات القرن العشرين ، ولهذا كانت أحسن رصفاً ونظاماً ونظافة ، وانسجاماً هندسياً ، وأخشى أن تكون أيضاً أنبل عواصم الأرض أخلاقاً . أما ما كان فى المدينة من شعر ، وسحر ، وتقاليد ، وقدم ، وغرابة ، وخشونة ، فإنه محفوظ فى ذلك الوادى الجميل المكسال ، ذى الهواء المعتدل ، على مسافة عشرين ميلا ، حيث العاصمة القديمة أنتجوا .

ولهذا كان أول شىء تفعله ، بعد أن تفيق من هزة المناظر الحديثة فى العاصمة الجديدة ، هو أن تطير فوراً إلى أنتجوا ، لكى تذوق لذة الشعر والأحلام . ولن تكون هناك فى عزلة ، بل ستجد

هناك مدينة ملأى بقوم يعيشون بين الخرائب ، وهم سلالة مختارة من الناس ، من نسل أولئك الذين كانوا أقوى مراساً وأكثر ميلا للشعر والخيال ، من أن يهربوا من جنة عدن خوفاً من الزلزال .

فى أنتجوا يدب إلى القلب هدوء ساحر مبهم توحى به عزلة المكان ، واتساع الفضاء من حوله ، فالبركان الذى يطل على المدينة أصبح اليوم هادئاً لا ينذر الناس بشىء يروعهم سوى مر الزمان الأبدى . وأما الجو فعليل منعش ، وأما الشوارع فيغشاها سكون غامض عجيب ، كأنها لبست حلة من الرزانة والجلال ، وقد أحدقت بها الكثبان الخضر الناضرة وحملتها برفق ، كأنها قدح يحتوى شيئاً غالياً ثميناً .

وللنساء فى كل قرية من قرى جواتيمالا زى ممتاز ، يتخذنه من قماش نسجنه بأيديهن على منسج يدوى لا تستخدم القدم فى تحريكه . وليس فيما يصنعه أهل الريف فى أى قطر من الأقطار ما يضاهى هذا النسيج جمالا ووشياً . ومن أجمل هذه الأقمشة ما يلبسه نساء بلدة سان سباستيان فى السهل الساحلى الحار على المحيط الهادى . والثوب عبارة عن قطعة عظيمة من القماش المطرز — تخيل إليك أنها غطاء مائدة — تلف بأدب وحشمة حول النصف الأسفل من



الجسم . وليس من فوقها شىء ، اللهم إلا ذلك البدن القوى الملىء الذى خص به نساء المايا . وقد أضطر نساء سباستيان ، من جراء فضول الناس ، إلى ترك هذا الزى العريق فى القدم حين يخرجن إلى الطرقات ، وأصبح زيهن كيساً أبيض مستطيلا يؤذى جلودهن .

ولم يكن بد — فى إقليم مرتفع مثل جواتيمالا — من أن تكون العواطف حادة ، وأن تكون العاطفة الدينية بالغة منتهى القوة . فالصلوات تقام فى كل وقت دون حياء أو خجل ، وترى الميادين والشوارع والطرق ، بل حقول الذرة أيضاً ، حافلة بالمواكب الدينية ، والناس يحملون تماثيل للقديسين غير متقنة الصنع ، وهم يبتهلون إلى الله بنغمات على ألحان مزامير من خشب الصفصاف ، يصحبها رقص فى ثياب مزركشة ، وألعاب نارية وصواريخ وطبول . وأحببت أن أتبع أحد هذه المواكب إلى حقل الذرة العام حيث تقام الصلوات ،

ولـكن إمام الجماعة ردنى عما أحببت .

فقلت له : « إنى أرجو أن تخبرنى بالضبط ماذا تفعلون هناك ؟ ولماذا تفعلونه ؟ »

قال : « سـأشرح لك الأمر ، لقـد أصيبت زراعتنا فى الأسبوع الماضى بصقيع فظيع ، ونريد أن نشـكو إلى الله هـذا الصقيع الذى أهلك الذرة المزروعة حديثاً . واليوم ، وقد زرعنا من جديد ، نريد أن نذهب فنسأله أن لا يرسل علينا صقيعاً آخر » .

كان يتكلم بلهجة الرجل الخبير الذى يوشك أن يعمل عملا خطيراً ، لا بلهجة صوفى يتحدث حديثاً دينياً . فلما سألته : ما فائدة الصواريخ النارية ، أجاب : « إن الله يسمع ضوضاءنا ، ونريد أن تطمئن قلوبنا إلى أنه يسمع ما نبثه من شكوانا » .

وفى جواتيمالا بلدة تدعى تشيشيكاستنانجو ، وهى منها بمثابة المركز والروح ، وليس فى العالم بلدة تضارعها فى حرارة العاطفة الدينية . وقد جعـل يوم الأحد فيها يوم السوق ، فيؤمها الهنود فى ذلك اليوم من الجهات المجاورة إلى مسافة خمسين ميلا ، من أجل التجارة والعبادة فى وقت واحد .

وعلى جانبى الميدان الفسيح الذى تقام فيه السوق كنيستان لونهما أبيض ناصع . ولـكل منهما سلالم ذات ارتفاع شاهق تذكرنا بهيا كل المايا القديمة . وفى أسفل السلم الأكبر — بالقرب من مكان البيع والشراء — مذبح يحرق الهنود عليه البخور تقرباً للمعبودات القـديمة مثل كاكاكان وبوكوجيلا .

فإذا ما دخلوا الـكنيسة ركعوا فى أى مكان ، ثم نثروا ورق الصـنوبر والورد الذى جاءوا به ، ويضع كل منهم بين يديه شمعة مضاءة . ولا يلبث صحن الـكنيسة المعتم على سعته ، العَطِر بما فيه من البخور ، أن يمتلئ بجماعات صغيرة من قوم سمر الجلود ، يصلون ويبتهلون ، ويلوحون بأيديهم وأذرعهم ، فتنعكس ظلال أجسامهم وصور حركاتهم على جدران الـكنيسة تحت أشعة الشموع الموقدة ، فيكون لها منظر رهيب ، وترتفع صلواتهم ودعواتهم الحارة ، فتتجاوب بها أرجاء المعبد ، فيمتلئ طنيناً وضجيجاً كأنه خلية نحل هائلة .

ولست أعلم لهذا المنظر شبيهاً فى العالم كله ، وهو فى نظرى منظر يبعث الحزن



والرثاء . ولما خرجت من الهيكل إلى ضياء الشمس اللامع أحسست كأنى كنت أبكى ، فانطلقت فى السوق المزدحمة ، بروائحها المنبعثة من الجلود والفواكه ، وبأصواتها المتنافرة ، وبضوضائها وجدالها ، وألوانها الزاهية ، فشعرت كأن عبئاً سقط عنى .

كم ذا تفقد الحياة من حسنها وبهجتها حينما تتحول « الأسواق » من مكان يحتشد فيه الناس ويجتمعون ، إلى مجرد مبادلة سلع ، قوامها الطلبات بالبريد ، والحوالات على البنوك ، والقوائم ، والسندات ، والكمبيالات ! إن معنى هذا التحول هو أن إشارات على الورق قد حلت محل الاختلاط بالناس والنشاط الاجتماعى أثناء البيع والشراء ، وما يصحب ذلك من الفكاهات ، وما يدور من النزاع والخصام والضحك ، والمساومة من أجل شراء آنية من الخزف أو خنزير أرقط .

يجب على كل امرىء أن يرحل إلى قطر من الأقطار التى لا يزال أهلها يعيشون عيشة العهد السابق لعهد الصناعة ، لكى يعرف ما هى الحياة البشرية على حقيقتها ، والأفضل أن تذهب إلى بلد حار ، حيث الحياة لا تحتاج لأن تحاط بسياج أو جدار ليحفظها ويحوطها . اذهب إلى بلدة فى المنطقة الحارة ذات ارتفاع ، لكى يكون الهواء معتدلا . وبالاختصار اذهب إلى تشيشيكا ستنانجو !... إن يوماً واحداً تقضيه فى هذا المكان ، حيث تلتقى التجارة والعبادة فى صعيد واحد ، سيكسبك إحساساً وفهماً للتاريخ البشرى أكثر مما تجنيه من مطالعة مئة مجلد فى علم حياة الإنسان .

فى هذا الفردوس يعيش شعبان جنباً إلى جنب : اللادينو وهم بيض البشرة ، أو قريبون من البياض — إذ ليس بينهم سوى بضعة آلاف لم يختلطوا بالدم الهندى — وهم يتكلمون الإسبانية ، وزيهم لا يختلف عن زى سكان أمريكا الشمالية ، ويعيشون عيشة ، تعدُّ وسائل الراحة فيها من الضرورات . والشعب الآخر هو الهنود ، ولونهم أسمر مشرب بالحمرة ، وثيابهم مزيج من زى المتوحشين وزى الإسبان فى العصور الوسطى ، ويتكلم أكثرهم لغة المايا ، ويعيشون كما كان يعيش الإنسان قبل أن تخطر له فكرة الراحة ببال .

وعلى أن الفروق بين الشعبين قوية واضحة ، فإن القانون لا يعترف بها . فضريبة الطرق ، مثلا ، وقدرها ريالان ، تجبى من جميع الذكور البالغين من سن ١٨ إلى ٦٠ ، ولكل امرىء الخيار أن يدفعها مالاً أو عمل أسبوعين مكان المال . وهذا المبلغ يعد فى نظر اللادينو شيئاً تافهاً ،

ولـكن من النادر جداً أن نجد هنـدياً يسـتطيع أن يقتصد ريالين على نفقـات طعامه . وإذا ذكرنا أن متوسـط الدخل السنوى لجميع السكان — بما فى ذلك أصحاب الملايين — لا يتجاوز ٣٢ ريالا للفرد ، أمكننا أن نتصور مقدار ما يكسبه الهندى الفقير .

وليس المال هو العامل الوحيد الذى يفصل بين الشعبين ، مثال ذلك أننا نجد فى بلدة أنتجوا صـالتين للرقص ، ورسم الدخول فى كل منهما خمسة سنتات ، ولـكن أحـد المرقصين كوخ له سقف منخفض محمول على أعمدة من الخشب ، وقد جلست فرقة العـازفين — وهى فى ثياب العمل اليومى — على مسرح من ألواح الخشب ، تعزف ألحانها على آلات موسيقية بعضها مصنوع من القرع الجاف . وستحس أنك غريب فى هـذا المرقص ، لأن رواده جميعاً من الهنود .

أما المرقص الآخر فبناء فخم ، يكون حيناً داراً للسـينما ، وفيه تجلس الفرقة العازفة على المسرح فى زى أبيض ، وتعزف على آلات يبلغ ثمن بعضها ٢٠٠٠ ريال ، وروادها من البيض . وقد يقصدها بعض الهنود من أجل موسيقاها المفضلة ، ولـكنه لا يشترك فى الرقص . وقد أكد لى أحد الهنود أنه لا بأس فى أن يشترك هندى فى الرقص إذا شـاء ، كما أن الناس لا يرون بأساً فى أن يشتغل الهندىّ بالطب أو المحاماة ، أو أن يتقلد منصباً رئيسياً . ولـكن الهنود عامة يعيشون فى عزلة ، وهم يقابلون السياح بشىء من التجهم ، كأنهم يقولون فى ضميرهم: « لقد فاتنا أن نطرد هؤلاء الدخلاء منذ ٤٠٠ سنة ، واليوم — مع الأسف — قد ضاعت الفرصة » .

وهكذا نجد أن الحياة فى هذا الفردوس مشرقة من جانب ومظلمة من جانب . والواقع أن المرء يحس — وهو فى الطريق إلى بحيرة أتيتلان — كأنه يسعى بين الأرواح المفقودة فى جحيم دانتى . تعترض الطريق هضبة عالية موحشة ، تحيط بها البراكين من كل جانب ، وتشقها المخارم المائلة ، والأودية العميقة التى يوشـك عمقها أن يصل إلى باطن الأرض . وجميع الطرق فى جوانبها لا تعلو وتهبط ، وتلتوى خلفاً وأماماً ، وعلى هـذه الطرق ينقل الهنود غلاتهم محمولة على ظهورهم .

وقد ترى أحد هؤلاء المايا — على ضآلة جسمه — يحمل فوق ظهره من البضائع ما زنته ١٠٠ أو ١٥٠ رطلا ، وهو يكدس حمله هذا على صندوق من الخشب ، مربوط إلى طاقية من جلد البقر مثبتة على رأسه .

كأنها الجمل الذى يوضع تحت السرج ، ويسير منخنياً ، لكى يكون بعض الحمل على ظهره ، وسائره مشدوداً إلى رأسه ، وفى يده عصا طولها سبع أقدام . فإذا جلس على الأرض ليستريح ، أمكنه أن يستعين بها على النهوض بحمله . وكثيراً ما يستأصل الشعر تحت تلك الطاقية المثبتة على الرأس . وإذا كان الطريق الذى يمشى فيه سهلا ، لم يبد على وجهه سوى أمارات الحزن والأسف ، أما إذا كان يصعد طريقاً شاقاً وعراً ، إلى جانبه هوّة بعيدة الغور ، فإن منظره ينم عن الألم البالغ منتهى الشدة.

فإذا وجهت إليه سؤالا وقف لحظة وأجابك على ما سألت ، وهو ينظر إليك متألماً من تحت العبء الذى يحمله ، ولكنه لا يلقى حمله على الأرض . وربما عرفت أنه سيقطع ١٨٠ ميلا ، بمعدل عشرين ميلا فى كل يوم ، ثم يقضى خمسة أيام فى سوق بعيدة لكى يبيع السلع التى أنتجها فى شهرين ، ثم يعود إلى داره بدخل قدره أربعة ريالات أو سبعة . وربما يتيسر للرجل الذى يحمل على ظهره خنزيراً صغيراً وزنه ٧٥ رطلا أن يعود ومعه ٢٠ ريالا ولكن حتى هذا الإنسان ليس حظه مما يغبط عليه .



هنالك تحدثك نفسك بأن جواتمالا ليست فردوساً كما نزعم ، ولكن فى تلك اللحظة تزحف بك السيارة إلى حافة المخرم ، فتلفى نفسك مطلا على عمق قدره ٣٠٠٠ قدم ، حيث توجد بحيرة أتيتلان ، بمياهها ذات الزرقة العجيبة ، ومن حولها البراكين الشاهقة ذات اللون الأرجوانى تشوبه الخضرة القاتمة ، ومن فوقها سماء ضاحكة تسبح فيها السحب كأنها سمك براق فى بحر بعيد الغور . فإذا لم تكن هذه جنة ، فهى منظر ليس له فى الأرض شبيه ولا نظير . فهنا الجلال والجمال الخالص يتدفقان فى الروح بنظرة واحدة ، ثم لا تلبث حتى ترتفع إلى آفاق بعيدة عن هذا العالم حيث لا تعبأ بشىء من هموم هذا الناس ، فقد سموت على الخير والشر ، وأصبحت رفيقاً لسابحات الكواكب .

وحينما توجهت بعد هذا المنظر ، هبط بك الطريق ، ولكن سطح البحيرة ليس بعيداً . ولئن كان المنظر فى الهبوط يزيد جماله على جلاله ، فلن يضيرك هذا ، وستبتهج على كل حال حين ينتهى بك السير إلى فندق جميل ، معتدل الأجر . وهناك ستسمع بأذنيك صوت الشحارير وهى

تغرد فوق الكثيب القائم وراء الكوخ المغطى بالكروم ، وهو الذى خصصوه لإقامتك ، وسموه حجرتك . ولا بد لك أن تبتسم لذلك الطائر الغرد ، الذى يدعونه « حارس النهر » وهو يغنى ، كأنه قبّرة ذات ثلاث حناجر ، على أغصان الكرم المتدلية فوق بحر من الزهر يمتد حتى يصل إلى عتبة دارك . ولك فوق ذلك أن تسبح إذا شئت فى ماء البحيرة المعتدل الحرارة ، أو أن تجدف فيها بزورق زاهى اللون ، أو تطوف حولها فى سفينة صنعتها أيدى المايا.

* * *

وبعد ، فإنى أرجو أن لا تذهب إلى جواتيمالا باحثاً عن الفردوس ، من أجل أنى ذكرت لك ذلك وحسب ، فإنه لن يجد هذا الفردوس إلا من كان صدره رحباً واسعاً ، وهؤلاء سيجدون الفردوس ماثلا أمام أعينهم كلما رفعوا أبصارهم إلى بحيرة أتيتلان .



لله درك يا شو

فاخر برنارد شو مرة بقوله : « لقد عنيت دائماً بأن لا أتلطف فى مخاطبة الأمريكيين ، وقد وصفتهم بأنهم أمة من القرويين ، وعرّفت الأمريكى الحق بأنه تسع وتسعون فى المئة أبله . وهم يهيمون بحبى » .

******

حين افتتحت كورنيليا أوتيس سكنر تجديد تمثيل رواية شو « كانديدا » أبرق إليها شو : « ممتازة ، متفوقة » فغمرها هذا الثناء بفيضه فردت عليه : « غير جديرة بثناء كهذا » . فرد شو : « عنيت الرواية » . فردت سكنر حانقة : « وأنا عنيتها » .

******

حضر شو العرض الأول لفلم مسرحيته « بيجماليون » ووقع فى مرح دفاتر الذين يعنون بجمع توقيعات العظماء كأحد نجوم هوليوود ، بل رضى أن يظهر على المسرح حين تم العرض ، وحينئذ صاح أحد النظارة : « إخ إخ » فحرك شو يديه وقال : « إننى أوافقك يا صاحبى ، ولكن أين نحن الإثنين من هذا الجمع الغفير » .

ماذا وجدت عيادات السرطان فى نساء لم يكن يحسبن أنهن مصابات بالمرض ؟

درهم وقاية : هو علاج السرطان اليوم

برنادين بيلى
ملخصة عن مجلة "هايجيا"

كل شيء طيب » كذلك قال الطبيب واثقاً ، ثم أضاف : « ولكن لاتنسى أن تعودى فى بحر ستة أشهر » .

ونزلت مسز « و » عن منضدة الفحص فرحة ، وكانت امرأة فاتنة فى أواخر العقد الثالث من عمرها ، تراها مثال الصحة والعافية وإن كانت أم ولدين — نعم وقد عزمت على أن تظل كذلك ، فكانت تذهب إلى عيادة الوقاية من السرطان للفحص مرتين كل عام ، وكانت تلك زيارتها العاشرة ، وقد ماتت أمها وجدتها لأمها بالسرطان ، وتأبى مسز « و » أن يصيبها ما أصابهما .

إنها واحدة من حوالى ألف امرأة فى فيلادلفيا أتممن حديثاً برنامج السنوات الخمس الخاص بالفحص الطبي كل نصف سنة . وهذا البرنامج العملى للوقاية من السرطان تديره النساء للنساء . وقد أنشأت هذه العيادة الدكتورة كاتارين ماكفرلين من فيلادلفيا ، ودعت إليها المتطوعات .

وكانت أعمار المتطوعات تتراوح بين الثلاثين والثمانين . منهن العوانس ، ومنهن المتزوجات ، وفيهن الأغنياء وفيهن الفقراء : إحداهن امرأة مدير مصرف ، وأخرى فى سجل المتعطلات . وقد ذكر بعضهن أن للسرطان سابقة فى ذوى قرباهن ، وكثيرات منهن كانت أسرهن بريئة منه . وكان شيء واحد يربط بينهن جميعاً ، وهو أن كل امرأة ذهبت إلى الفحص لم تشك من أعراض السرطان أقل شكاة . وكان هدف هذه التجربة التى استغرقت خمسة أعوام ، أن يتبين الأطباء : أتظهر دلائل السرطان على امرأة من هؤلاء النساء الصحيحات السليمات خلال مدة المراقبة ؟

وتلقت كل متطوعة منهن منشوراً ينص على أن الطبيبات اللائى يقمن بالفحص لا يأخذن أجراً ، وأنهن إذا اكتشفن وجود المرض فى إحداهن أحلن المريضة إلى طبيبها الخاص ، مصحوبة بتقرير واف عن حالتها يشمل ما يرينه من مقترحات للعلاج .

وكانت الفحوص تجرى فى مستشفى كلية الطب النسائية بفيلادلفيا ، ويقوم بها الطبيبات ماكفرلين ، ومارجريت س . سترجيس ،

وفيث س. فترمان . وقد تلقت العيادة للنفقات الطارئة هبات من الجمعية الطبية الأمريكية ، ومؤسسة أبحاث السرطان الدولية ، والجيش النسائى العامل للجمعية الأمريكية لمكافحة السرطان . وكانت كل امرأة تتمتع بالستر الكامل فى خلع ملابسها وارتدائها ، واعد لكل منهن خدر محجب من كل نواحيه تستتر فيه عند فحصها .

ووجد بين هؤلاء الألف فى الفحص الأول ثلاث مصابات بالسرطان فى عنق الرحم . وكذلك قام الدليل من بداية الأمر على أن السرطان فى أدواره الأولى لا يصحبه فى العادة ما ينم عليه . وقد أدى اكتشاف المرض فى أوله إلى علاج هذه الحالات الثلاث توا بالراديوم والأشعة السينية ، وهؤلاء النسوة الثلاث هن اليوم فى تمام العافية .

واكتشفت فى الفحص العاشر حالة سرطان أخرى فى عنق رحم امرأة فى السادسة والستين من عمرها ، وعولجت هى الأخرى بالراديوم والأشعة ، وتم لها الشفاء على الرغم من أن ضغط دمها المرتفع ومرض قلبها وكلاهما قد عاقا علاجها .

يضاف إلى ذلك أن سلسلة الفحوص قد انجلت عن ٤٤٢ علة التهابية فى عنق الرحم ، ومثل هذه الالتهابات المزمنة يكون مكاناً ملائماً لنشوء السرطان . ومن أجل ذلك نصح هؤلاء المرضى أن يعالجن هذه العلل .

ولما فحصت ثُديّ ٢١٠٥ امرأة فحصها الأول ، وجدت بينهن خمس مصابات بالسرطان ، فعولجن بالجراحة لساعتهن ، وانتهى العلاج إلى شفاء تام سريع .

ويوم بدأت الدكتورة ماكفرلين تجاربها، افتتحت طبيبة أخرى، هى الدكتورة إليز لاسبرانس ، عيادة للوقاية من السرطان فى مدينة نيويورك . وكانت العيادة فى أول أمرها أسبوعية فى مستشفى نيويورك للنساء والأطفال ، ولكن الاهتمام بالمشروع بلغ من الرواج بحيث اضطرت الدكتورة لاسبرانس أن تجعل العيادة مرتين فى الأسبوع فى عامها الثانى . وفى نهاية ثلاثة أعوام زادوا فى سعة المشروع بافتتاح عيادة سترانج للوقاية من السرطان فى المستشفى التذكارى .

وقد وجد أربع نسوة مصابات بالسرطان بين ٢٦٣ امرأة فحصن أول فحص فى عيادة نيويورك ، وما شكت قط واحدة منهن أى عرض من أعراض السرطان ، ووجد خمسون مصابات بأورام (قد تتحول إلى سرطان على مر الزمن وقد لا تتحول) ، و ١٥ مصابات بعلل أخرى . وكان مجموع اللائى فحصن فى السنتين الأوليين ٦٥٤ ، وقد وجد ٤٩ منهن مصابات بالسرطان ، و ١٦٢ بأورام غير سرطانية . وقد زاد

عدد النساء اللائى فحصن إلى الآن فى عيادة ستراتج على ٢٠٠٠ امرأة.

وفى مايو سنة ١٩٤٣ أنشأت شيكاغو عيادة للوقاية من السرطان على غرار عيادة نيويورك فى مستشفى النساء والأطفال تحت إدارة طبيبة يساعدها ٢٠ طبيبة أخرى وهيئة من الممرضات وعمال المعامل الفنيين.

وقد كنت أنا المريضة رقم ٢٤٦ ، وقد اقتضتنى العيادة ثلاث زيارات ليلية . ففى الزيارة الأولى سجلت إحدى الممرضات تاريخ المرض ، وتاريخ حياتى فى أسرتى ومعيشتى ومعاشرتى وتعليمى ، ثم فحصتنى متخصصة فى أمراض النساء فحصاً شاملا .

وفى الزيارة الثانية فحص قلبي ورئتاى بالفلوروسكوب ، واختبرت عيناى وأذناى. وكانت الزيارة الثالثة فحصاً خاصاً تولته إحدى الطبيبات، أخبرتنى فيه بنتيجة الفحوص كلها. وخرجت من العيادة شاعرة بأن كل فحوص الطب الحديث تدل على أنى فى أتم صحة وعافية ، وهو شعور لا يعدله شعور آخر .

وقد فحص ، خلال الشهور السبعة الأولى فى عيادة شيكاغو ، ٢٧٥ امرأة وجد بينهن ١١ مصابات بالسرطان ، و ١٥ مشتبه فى إصابتهن به ، و ٣٩ مصابات بأورام غير سرطانية . ومع ذلك فكل امرأة من أولئك النساء كانت تشعر بأنها فى أكمل صحة .

ولكى تيسر هذه الفحوص للنساء ذوات الدخل القليل ، جعل أجر هذه العيادات الوقائية مبلغاً زهيداً ، فلا تدفع المريضة سوى خمسة ريالات للفحص الكامل الأول، ثم تكون الفحوص التالية بأجر أقل .

ولاريب فى أن النساء اللائى يقصدن هذه العيادات قد استشرن أطباءهن بطبيعة الحال، ولكنى وجدت أكثرهن قد لقين ما لقيت. فيوم ذهبت إلى طبيبي ، بعد عام من جراحة بسيطة أجراها لى فى عنق الرحم ليستوثق من أعقابها ، اكتفى الطبيب بجس الحوض بكفه ليرى أفيه ورم غير طبيعى ، فلما لم يجد شيئاً نفض يده من أمرى على عجل ، ولكن الفحص الدقيق الوافى لا يغنى غناءه شىء .

إن السرطان اليوم فى طليعة أسباب موت النساء ، فكل خمس يمتن بين الخامسة والثلاثين والخامسة والستين من أعمارهن، بينهن واحدة قد قضى عليها السرطان .

وإذا اكتشف السرطان فى أدواره الأولى تيسر نظريا أن تشفى المصابة به شفاء تاما ، ولكن الجمهور يجب أن يدرك بعض الحقائق فى هذا الموضوع . ومن أخطر هذه الحقائق أن السرطان لا يكاد يصحبه قط ألم ، إلا يوم يبلغ مبلغا يصعب فيه شفاؤه التام .

فعنق الرحم مثلا لا تكاد تكون فيه أعصاب تحس الألم، وكذلك الفحص والعلاج

لا يصحبهما أى ألم فيه . وسرطان الرحم إذا اكتشف فى بدايته أمكن شفاؤه شفاء تاما ، وعلى الرغم من ذلك فإن ٦٧٠٤ امرأة متن بهذا النوع من السرطان فى ولاية بنسلفانيا فى الأعوام الخمسة الواقعة بين ١٩٣٦و ١٩٤٠

وليس كل ورم فى الشدى سرطانا بالضرورة ، والواقع أن نصف هذه الأورام لا يكون كذلك، ولكن استئصال هذه الأورام عاجلا هو أدنى وسائل السلامة . وينبغى أن يفحص الورم بالمجهر والمريض على منضدة الجراحة ، فإن لم يكن الورم سرطاناً رتق الثدى بعناية حتى لا تحدث عاهة أو تشويه ، فإن كان سرطاناً استؤصل الثدى كله، وهذه أضمن وسيلة لتوقى الموت من سرطان الثدى.

ويمكن تعريف السرطان بأنه: «نمو خارق فى أنسجة الفرد ذاته » وما هو إلا خلايا المرء نفسها ضلت السبيل . وليس السرطان معدياً بالملامسة أو سواها ولا يمكن أن يصيب الإنسان إذا لمست يده أنسجة مصابة به ، كلا ولا تستطيع لكمة واحدة أو أذى فردٌ أن يجلب السرطان فى أعقابه .

وهناك ثلاث طرق معترف بها لعلاج السرطان لا غير — الاستئصال بالجراحة ، والأشعة ، والراديوم ، وكل ما عداها من المراهم والأدهنة بنوع خاص إنما هو باطل محض .

والسرطان محتمل الحدوث فى كل سن ، ولو أن سن الأربعين هى السن التى تتوقع عندها طلائع السرطان فى النساء . وينصح الأطباء للنساء اللائى تتراوح أعمارهن بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين أن يعرضن أنفسهن للفحص الطبى الدقيق الوافى مرة على الأقل فى كل عام . وليكن الفحص بعد الخامسة والأربعين كل ستة أشهر ، أما من هن دون ذلك من ١٦ إلى ٣٥ فيجب أن يفحصن مرة كل سنتين .

وعلى الرجال والنساء جميعاً أن يعرفن أعراض السرطان الأولى . فالأعراض الآتية يجب أن يفتح كل امرئ عليها عينه : (١) أى ورم أو تكاثف فى الأنسجة يطول أمره (٢) أى نزف أو إفراز متردد بغير انتظام من أى منافذ الجسم (٣) أى عسر هضم يستعصى على العلاج ولا يعرف منشؤه (٤) أية قرحة لا تندمل اندمالا طبيعيا ، وبخاصة فى اللسان (٥) أى تغير مفاجئ فى شكل خال أو ثؤلول أو سرعة نموه .

إن الإهمال والجهل والخوف هى فى الواقع أسباب أكثر وفيات السرطان اليوم ، فإذا ما قهرناها جميعا كسبنا المعركة الحاسمة فى حرب هذا المرض المخيف . وعندما نتحرى الأمور من أصولها نجد أن هذه الحرب هى حرب كل إنسان ، فأنت ، وأنت وحدك ، تستطيع أن تهزم السرطان .

جسر السفن إلى فرنسا

فردريك سوندرن

لا الغواصات ولا زوارق الطربيد، ولا الطرابيد ولا القنابل ، حتى ولا هوج العواصف التي لم يعهد مثلها منذ عشرين عاما — استطاعت أن تحول بين أساطيل الحلفاء وإنزال الجنود ومقادير عظيمة من المدافع والمؤن على سواحل نورمندى — وهو عمل من أعظم الأعمال البحرية .

استطاعت السفن البريطانية والأمريكية أن تنقل سيلا دافقاً من الرجال والعتاد يجتاز بحر المانش إلى نورمندى رغم ألغام الألمان وطرابيدهم وطائراتهم . وقد فعلت ذلك ولا موانىء ترسو إليها ، وتحت أعنف عواصف هبت فى الصيف منذ ٢٠ عاماً ، وإن هذا لنجاح بحرى عظيم .

وتقلع الآن مئات من سفن الحلفاء كل يوم من اثنتى عشرة ميناء بريطانية فتجتاز بحر المانش طبقاً لنظام دقيق الإحكام يشمل كل شىء ، من كتائب الجند إلى عمد الأسلاك البرقية . وإن الطوارىء لتتوالى واحداً إثر واحد ، ولكن الشحنات كلها تقريباً تصل إلى مكانها فى الموعد المضروب ، وهذه معجزة من معجزات التنظيم .

تدار هذه الحركة كلها من كهوف فى جوف أكمة على الساحل الإنجليزى . فهناك بعد اجتياز مدخل منقور فى جرف عال ، تقوم عليه بوابات ضخمة من الصلب ، ويتولى حراسته جنود مزودون بمدافع (تومى) ، تجد سلماً منحوتاً فى الصخر الأصم يؤدى إلى مكان سحيق فى جوف الأرض . فإذا اجتزت الأروقة الفسيحة طالعتك عشرات من الحجرات الطويلة منتشرة على اليمين وعلى اليسار كأنها سراديب فى وكر الأرانب . هذه الحجرات تلقى عليها أنابيب « نيون » ضوءاً صناعياً كضوء النهار ، وهواؤها منعش بارد يأتى من جهاز لا ينفذ خلاله الغاز ، ومن كوى لا تؤثر فيها القنابل . وفى غرف الاتصال الفسيحة صفت آلات الكتابة البرقية وأجهزة الراديو — وتتولى أعمالها فتيات الأسطول البريطانى الأنيقات الذكيات — وبهذه الآلات والأجهزة تتصل غرف الرقابة والتخطيط بكل مركز عصبى من مراكز الجيش والأسطول فى المملكة المتحدة وفى عرض المانش . فهذا هو « مقر قيادة الحشد والتموين » بشطريه « الحركة » و « التوجيه » .

فى حجرة التخطيط المركزية وقف الكولونيل، وعلى عينيه نظارته ، أمام خريطة ضخمة على جدار ، حددت عليها فى وضوح مواقع قواتنا . وقال الكولونيل وهو ينظر

فى برقيــة وصلت الساعة من فرنسا منقولة بالآلة الـكاتبة الـكهربائية : « لقــد صدر الأمر بتغيير وجهة الفرقة ب » . وانتقل إلى خريطة أخرى ، وثبت عليها دبابيس ملونة تبين أن فرقة ب ماضـية فى طريقها نحو المرفأ البريطانى الذى وقع عليه الاختيار بادىء الأمر . ثم قال : « بدّلوا أوامرهم على الفور ، وأخطروا قسمي التوجيه والحركة » .

وسرت فى قسم التوجيــه موجة من الاضطراب اليسير حين وصلت رســالة الـكولونيل ، فإن الفرقة وحدة كبيرة يشقّ تحريكها جملة . على أن ضابطاً بحريا بريطانيا نظر إلى لوحة العمليات ، حيث وضعت بطاقات صـغيرة فيها اسم كل سفينة صالحة للاستعمال فى كل مرفأ ، ويذكر فيها أيضاً نوعها ، وحمولتهـا وسرعتها ، ثم قال : « ليس لدينا فى ميناء س ما يكفى من السفن لحملهم ، أرسلوا إلى ميناء « و » فى طلب سفن الإنزال إلى البر . عندنا سفينتان نستطيع استخدامهما . ولتحشد جميع السفن فى ميناء س صباح الغــد ، ومن المستطاع أن تشحن وتبحر مع قافلة المساء . وأخبروا قسم الخطط البحرية بذلك » . وسرعان ما بدأت إحدى الفتيات تبدّل البطاقات على اللوحة ، وانصرفت أخرى إلى التلفون ومعها كشف بالسفن المطلوبة ، ومضت ثالثـة لتتولى إخطار قسم الخطط البحرية .

إن حجرة التخطيط البحرى تحاذى قسم التوجيه . وفيها تولى أحد الضباط البحريين دراسة الرسالة ثم قال : « فرقة ب من ميناء س ، حسن ، سنزيد عــدد المدمرات » ثم التفت إلى ضابط الطيران قائلا : « فرقة مهمة تبحر غداً فى الليل ، فلعلكم تعززون دورياتكم » فأومأ ضابط الطيران برأســه ودوّن ذلك فى مذكرته .

إن مراقبة حجرة التخطيط تأخذ بمجامع النفس ، فهناك مائدة طولهــا ٣٠ قدماً وعرضها ٣٠ ، رسمت عليهــا خريطة بحر المانش ، وقد جلس من حولها عشرات من فتيات الأسطول وفتيات ســلاح الطيران البريطانى ، وقد وضعن سماعات التلفون على آذانهن . فإذا ما تحركت فى المـانش قافلة أو سفينة حربية عمدت إحدى الفتيات إلى تحريك مؤشر على الخريطة . على حين ينظر إلى الخريطة من منصة مرتفعة عــدد من ضباط الأسطول وسلاح الطيران والجيش . وبينا أنا أنظر وضعت إحدى فتيات الأسطول على الخريطة علامة حمراء للدلالة على وجود سفينة ألمـانية . فلم يلبث أن تناول التلفون ضـابط بحرى وآخر من ضباط الطيران ، وفى بضع دقائق كانت ثلاث قوافل بحرية قد غيرت خط سـيرها ، فى حين أطبقت

المدمرات والطائرات البحرية على العدو المغير . وفى الوقت عينه ترجمت إحدى فتيات الطيران الرسالة الواردة من إحدى الطلائع الجوية بأن وضعت علامة صفراء للدلالة على وجود ألغام بثها العدو فى المربع المرقوم ت — ١٧ . وقال أحد الضباط البحريين فى تعليل ذلك ، وهو يفحص الخريطة باحثاً عن أقرب كاسحة للألغام « لعل الطائرات ألقتها فى الليل الماضى » .

وبعد ساعات قابلنا جانباً من فرقة ب ، وقد امتدت دباباتها وسياراتها فى الطريق على مدى البصر .. وعندئذ كاشفنى جندى حانق بآرائه فى الحرب قائلا : « هل تتصور ذلك ! إننا نقطع النهار كله فى طريق معين ، أرأيت ؟ ثم ندور على أعقابنا ونعود فنقطع الطريق كله راجعين ! إننى أسألك : هل ترى وجهاً للمنطق فى ذلك ؟ ولكنها أفاعيل أولئك الضباط الكبار ... !! » .

بعد ظهر اليوم التالى كنت واقفاً على مرقب سفينة لإنزال الجنود ، وقد شدت إلى رصيف منحدر مشيد بالإسمنت ، وقد أخذت دبابات فرقة ب تنزلق وتقعقع فى طريقها إلى جوف السفينة . فقال ربان السفينة مدمدماً : « ظننت أننى سأظفر ببعض الراحة ، ولكن لم أزل أقوم بمهمة النقل ذهاباً وجيئة منذ يوم الغزو . وها هم أولاء يجيئون بى الآن من مرفأ «و» لنقل عدد من الدبابات اللعينة التى تلطخ سفينتى بالزيت » .

واتخذنا طريقنا إلى « منطقة الإبحار » حيث ينتظم عقد القوافل البحرية . وكان القبطان على حالة من التبرم ، فقال وهو حانق ساخر : « تلقيت خطابا من زوجتى ، وهى تقول إنه ما دام يوم الغزو قد انقضى بسلام ، فليس هنالك ما يدعونى إلى القلق » . ثم عض على سيجاره وصاح : « ها ! ها ! إنها لنكتة بديعة ! إن لم تصطدم بلغم أو لم تصبك إحدى سفن العدو بطربيد ، أو لم يقذفك أحد الطيارين بقنابله وأنت جالس على الشاطىء كالبطة ، فليس هنالك شىء يدعو إلى القلق ! وإذا . . . الدفة إلى أقصى اليمين ! » .

خرجت الكلمات رنانة من بين شفتيه حين لمح زورقاً من زوارق السواحل عليه علم يدل على أنه يحمل شحنة من المتفجرات ، قد غير طريقه فجأة ومضى يقطع خط سيرنا ، وهو قريب من مقدم سفينتنا قرباً ينذر بالخطر . وقال الربان وهو يتنفس تنفساً ثقيلا . « أرأيت ماذا أعنى ؟ » ، ولقد رأيت .

كان يحيط بنا من كل جانب عدد لا يحصى من السفن — مئات من السفن — سفن صيد ، وسفن الحرية (المجهزة للغزو) وبواخر الركاب المحولة لأعمال النقل ،

والبوارج ، وكلها غادية رائحة . وثمة برج متصل بالحصن الذى فى جوف الأرض، يتولى تسييرها بإشارات لا تنفك تضىء وتنطفىء .

ومن هذا البرج صدرت إلينا الإشارات الضوئية بتحديد مكاننا من سائر السفن التى تضمها القافلة . وحين خرجنا إلى عرض البحر اتخذت المدمرات أماكنها على جوانب القافلة لحراستنا ، وانسابت فى الجو أولى طلائع المقاتلات التى عهد إليها بحمايتنا طول الطريق . وعندئذ قال الربان : « إننى لا أستطيع أن أغادر مركز القيادة على ظهر السفينة ، فإن الحوادث تتوالى ولا تنقطع . إننى لم أجتز فى حياتى ماء كهذا الماء فى شدة ازدحامه » .

والواقع أن معابر القوافل ضيقة ، لأن طائرات الألمان تبث الألغام كل ليلة ، وأقل انحراف عن الطرق المطهرة من الألغام فى هذا الماء معناه الخطر العاجل القاتل . وقد كانت إحدى جماعات الكاسحات تشق طريقها نحونا ، وتجر خلفها أسلاكها المشدودة ، وإذا انفجارات ثلاثة مكتومة تتوالى فجأة ، وتبعث إلى عنان السماء بنافورات ضخمة من الماء تنصب أمامنا . فقال الربان : « أرأيت ما أعنى ! إن الطريق لا يكاد يتسع لأقل حركة هنا أو هناك » . وكانت تطفو على سطح الماء بين حين وآخر بقايا سفن أقل منا حظا . فمن طوف فارغ ، إلى جثة منتفخة ، إلى منطقة للنجاة مثقلة بالماء . وكانت تمر بنا من الطريق المقابل سفن عائدة لا يكاد حبلها ينقطع . وكان يشاركنا طريقنا قوافل أخرى تسبقنا أو تلاحقنا . ولم يخل الأفق قط من سفائن الحلفاء .

ثم لاح ساحل فرنسا ، ولم يكن شبيه فى شىء بالساحل الذى رأيته يوم الغزو . فعلى مقربة من الشاطىء تماما ، رأيت غابة من صوارى السفن ومداخنها ، وقد أحصيت أكثر من مئتى سفينة فى مرسانا وحده . ولما أرسلت إلينا « سفينة الإدارة » إشارتها الضوئية ، أن « أرسو فى نقطة ك » زمجر القبطان : « تبًّا لها ! هى الصخور ، سنرسى عندها مرة أخرى ! » .

والحق أن إرساء سفينة الإنزال على ساحل نورمندى ، عمل يخالف المألوف مخالفة عجيبة . فإن عليك أن تنتظر حتى يبلغ المد غاية ارتفاعه ، فتندفع بسفينتك حتى ترتطم بالرمل ، ثم تنتظر حتى يتركك الماء المنحسر فى مكان مرتفع جاف ، وعندئذ تفتح فى مقدمة السفينة بعض الأبواب ، ثم يمد جسر النزول ، ثم تنحدر من فوقه الدبابات إلى الأرض اليابسة . حتى إذا عاد المد إلى ارتفاعه تعود السفينة محمولة على متن الماء مستعينة بآلة تشدّ سلسلة المرساة

الثقيلة المثبتة فى قعر الماء من مؤخر السفينة .

وبينا تنتظر سفننا حتى يفرغ شحنها تتخذ قرارات هامة يتولاها رجال لا يعرفون معنى التعب ، يقيمون فى بناء اخترقته القنابل ، وهو البناء الذى يضم مكتبى الضابط المشرف على الساحل والضابط البحرى . وبين يدى هذا الأخير مجموعة من قوائم البضاعة المشحونة والرسائل .

فهذه فرقة ب يجب أن ترسل من فورها إلى الميدان ، وهذه صنوف شتى من البضاعة المشحونة أولى بالتقديم على سواها ، وهذا سلاح الإشارة فى شربورج فى حاجة ماسة إلى أعمدة تلفونية مشحونة على ظهر السفينة رقم ٣٤٧ ، وهذه المدافع المضادة للطيران فى قطاع ف تلح فى طلب ذخيرة مشحونة على سفينة فى المرسى ، وهذا الجنرال ج يطلب قذائف قطرها ١٠٥ مليمترات استعداداً لهجوم داخل شبه الجزيرة ، والقذائف مشحونة فى « سفينة الحرية » رقم ٣٧ ، وهكذا يجتمع الأسطول والجيش — فى شخص القائد والكولونيل — عشرات المرات كل يوم ليتدبرا الأمور .

وتخرج سيارات برية مائية معروفة باسم (البط) من حظيرة واسعة أجيد إخفاؤها ، فتدلف إلى الشاطىء ثم تسبح فى الماء حتى تصل إلى « سفينة الحرية » لتحمل القذائف التى يتعجلها الجنرال ج ، ثم تعود بها إلى سيارات النقل المنتظرة على الشاطىء .

ويجرى هذا العمل طيلة اليوم على طول خمسة عشر ميلا من الشاطىء ، ثم يستأنف فى الليل على ضوء الأنوار الكهربائية المعكوسة . ويتولى ضباط الشواطىء ، بأجهزة الإشارات الضوئية ومكبرات الصوت ، تنظيم حركة النقل فى البر والبحر . وإن قوائم الشحنات وحدها لتعلم الإنسان كثيراً مما يجهل عن حاجات الجيش الحديث ، فالأدوات الطبية ، والمؤونة والذخيرة تعد من مألوف حاجتها . ولكن هناك غيرها كمسامير الإسكاف ، وكراسى علاج الأسنان ، وبطاريات الأنوار الكاشفة ، وصمامات اللوحات التلفونية ، وأقفاص من الغاب لحمام الزاجل ! وقد شكا لى أحد ضباط الجبهة من كثرة هذه الحاجات قائلا : « إن تفريغ شحنة أخرى كفيل بأن يبهظ شبه الجزيرة الملعونة حتى توشك أن تنشق من جوانبها ! » .

وتحلق طائرات الاستكشاف الألمانية فوق المكان كل ليلة تقريباً ، ولكن غارات القاذفات قليلة ومتباعدة . وقد كانت العاصفة شراً من الألمان ، وإن ضباط « التوجيه » وقواد السفن وضباط السواحل ليرتعدون حينما يقصون أنباء العاصفة .

وقد حدث فى فجر يوم ١٩ يونيو — بعد يوم الغزو بثلاثة عشر يوماً — أن مالت الرياح فى بحر المانش فجأة إلى شىء من الشدة، وتغيّر اتجاهها . وقال علماء الأرصاد إنه اضطراب لا يلبث بضع ساعات حتى يزول . وربما كان ذلك مبلغ ما كان عند موازينهم الجوية وخرائطهم ، ولكن الريح أخذت تشتد وتهب من أسوأ وجه ممكن ، حتى إذا كانت الساعة السادسة صباحاً بلغت مبلغ العواصف ، وراحت الأمواج العاتية الغاضبة تتلاحق تترى على الشاطىء .

ويقول أحد ضباط السواحل : « يا له من منظر رهيب ، لقد كانت الموجة تمسك بالسفينة وتقذفها على الشاطىء قذفاً ، ثم تتناول غيرها وترجم بها الأولى ! » .

وأما المراسى التى لم تخطر بأمر العاصفة فقد أخذت على غرة . وفى ذلك يقول الربان: « لقد اضطررت إلى الاحتفاظ بالمحركات دائرة بأقصى سرعتها حتى أظل مكانى . وفى تلك الليلة يا لله! ويا لها من ليلة ! كانت السفن والزوارق طافية من حولنا مفلتة الزمام . وقد خيل إلىّ على حين غرة أن جبلا يوشك أن يهبط علينا ، فكنت أنحرف إلى أقصى اليمين ثم إلى أقصى الشمال ، ولكن السفينة اللعينة ظلت تلاحقنى . وأخيراً صدمت سفينة إنزال لم تتمكن من مجانبتها ، فبسطتها كما تبسط المطرقة علبة من الصفيح » .

وظلت الريح صرصراً عاتيـة ثلاثة أيام وثلاث ليال سويا، حتى قرر رجال الأسطول، بعـد مباحثاتهم فى غرفة الاجتماع بالحصن المنحوت تحت الأرض ، أنه لا بد من إجراءات تقتضى شجاعة وبطولة : فلتقتحم السفن المشحونة أرض الشواطىء .

وفعل الربان ما أُمر أن يفعل، فاستقرت سفينته مقصومة الظهر على مكان يرتفع ٣٠٠ قدم عن مستوى المد العادى ، ولكن حيلة اليأس أفلحت ، ونال مونتجومرى وبرادلى حاجتهما من الذخيرة .

ولا تكاد توجد الآن علامة تدل على العاصفة، فأنت ترى حطام سفينتين أو ثلاث، أما معظم السفن الباقية فقد أصلح بعد أن حفر لها فى الرمل قنوات هبطت منها سابحة إلى البحر . ولم يكد ينقضى أسبوع حتى كانت بواخر النقل التى تجتاز المانش تنقل ضعف ما كان مقدراً لها كل يوم .

وأخيراً يقول الربان : « إننى أبرم بأشياء كثيرة ، ولكننى أنحنى أمام أولئك الذين وضعوا الخطة . فالمسألة مسألة فكر وتنظيم . ألا ترى ماذا أعنى ! » .

انتحار المدنيين فى سيبان

روبرت شيرود ❋ ملخصة عن مجلة "تايم"

فى أحد الأيام الأخيرة من أيام المعركة التى دارت للاستيلاء على جزيرة سيبان فى المحيط الهادى، قصدت إلى طرف الجزيرة الشمالى الذى يرتفع عن البحر والصخور المرجانية الناشزة بمقدار ٢٠٠ قدم، وسألت أحد الجنود البحريين الموكول إليهم دفن الموتى عن أمر القصص التى سمعتها عن انتحار المدنيين اليابانيين : أصحيحة هى ؟

فقال لى: « إنك لن تصدقها حتى تراها، وأمس وأول من أمس كان هنا فوق هذا الجرف مئات من اليابانيين المدنيين رجالا ونساء وأطفالا ، وكانوا يثبون من فوق الجرف أو ينزلون متسلقين الصخور ثم يهوون إلى جوف البحر ، ولقد رأيت أباً يقذف إلى البحر بأولاده الثلاثة ، ثم يقفز إلى البحر وراءهم » .

وأشار قائلا : « أنظر ، فهناك أحدهم يهم بأن يلقى بنفسه إلى اليم » ، فرأيت شاباً يابانياً لا يتجاوز الخامسة عشرة يجلس فوق صخرة ، والماء يداعب قدميه ، وأخيراً أسلم نفسه لغمرات الماء .

فصاح البحار: « لقد قذف بنفسه فى اليم » .

وحملت الشاب موجة قوية ، وكان فى بادئ الأمر مستلقياً على وجهه فى الماء بلا حراك ، وأخيراً على ما يظهر استولت عليه غريزة المحافظة على الحياة فأخذ يدفع الزبد بساعديه ، ولكن بعد فوات الأوان ، فإذا سرواله الأسود الذى امتلأ هواء قد أخذ يهتز فوق الماء عشر دقائق ثم اختفى .

ولما صوبت نظرى عددت أجساد سبعة آخرين من المدنيين قد انتحروا .

وقال لى الجندى : « هذا لا يعد شيئاً ، وعلى بعد ميل من هنا فى الجانب الغربى ترى مئات منهم » .

وأيد ذلك ما سمعته بعد من ضابط إحدى كاسحات الألغام التى كانت تعمل فى الجانب الغربى، فقد قال: « ان البحر طافح بالأجسام الطافية بحيث لا نستطيع أن نتجنبها، ولقد رأيت امرأة فى غلالة بيضاء موشّاة وشعرها الفاحم مرسلا على الماء ، وكلما رأيت مثل هذه الغلالة فكرت فى هذه المرأة . ولقد رأيت طفلا غريقاً فى الرابعة أو الخامسة وذراعه تطوّق عنق جندى . ولقد رأينا مئات ومئات من الجثث اليابانية » .

وقال لى الجنود البحريون إن بعض الآباء كانوا يذبحون أبناءهم قبل إلقائهم من فوق الجرف ، وإن غيرهم كانوا يجندلون أولادهم. وشاهد الجنود البحريون مرة وهم فى دهشة ثلاث نساء جالسات فوق الصخور وهن يسرّحن شعورهن الفاحمة الفينانة بعناية ، وأخيراً وضعت كل منهن يدها فى يد الأخرى ومشين الهوينا ، وهوين فى جوف البحر .

وأعجب ذلك ما كان من أمر مئة من المدنيين ، فقد انحنوا يحيون الجنودالبحريين الذين كانوا يرقبونهم من الجرف ، ثم تجردوا من ملابسهم واستحموا فى البحر . فلما انتعشوا ارتدوا ثياباً قشيبة ،ونشروا علماً يابانياً ضخماً فوق صخرة ناعمة ، ثم أخذ الرئيس يوزع قنابل يدوية ، ففجروها وقتلوا أنفسهم واحداً بعد آخر بنسف أحشائهم .

وذات يوم لاحظ الجنود البحريون حلقة فيها خمسون يابانيا بينهم عدة أطفال صغار ، وهم يتقاذفون فى سرور بالقنابل اليدوية كأنما هم لاعبو كرة يتدربون قبل الشروع فى اللعب . وفجأة أسرع ستة من الجنود اليابانيين فاندفعوا من كهف كانوا يطلقون منه الرصاص على الجنود البحريين ، ووقفوا فى كبرياء وشموخ أمام المدنيين ونسفوا أنفسهم وانتقلوا إلى العالم الآخر ، فخجل المدنيون وحذوا حذوهم .

فهل معنى هذا الانتحار أن اليابانيين فى جزيرة سيپان قد صدقوا الدعاية التى أخبرتهم أن الأمريكيين وحوش وأنهم سيقتلونهم ؟ كثيرون منهم كانوا يطلبون من الجنود الأمريكيين أن يقتلوهم مباشرة بدلا من تركهم يعانون العذاب الذى ينتظرهم ، ولكن الكثيرين ممن اختاروا الانتحار كانوا ينظرون غيرهم من اليابانيين المدنيين وهم يسيرون فى معسكرات اعتقالنا دون أن يصيبهم أذى ، وكانوا يستطيعون أن يسمعوا بعض الذين استسلموا وهم ينصحونهم بأن لا يزهقوا أرواحهم بأيديهم .

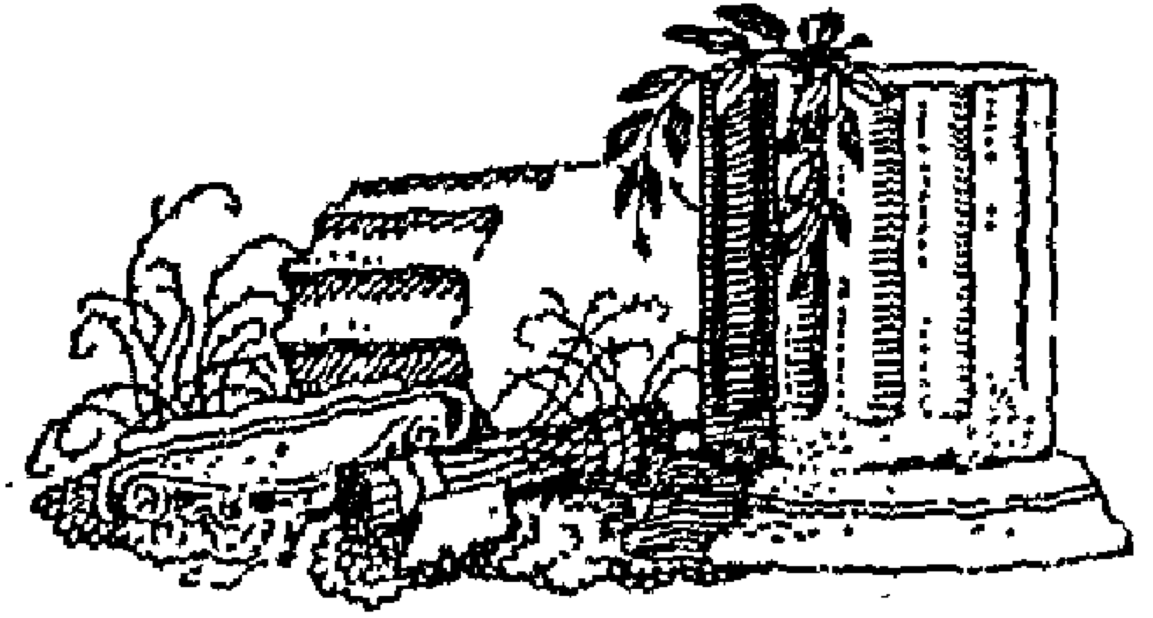
وقد أصبح الجنود البحريون ينتظرون من الجنود اليابانيين كل عجيب فى أساليب إهلاك أنفسهم ،ولكنهم لم يكونوا يتوقعون من المدنيين مثل هذه البطولة فى الانتحار . وقد قتل أكثر من رجل من رجال الولايات المتحدة المحاربين وهم يحاولون إنقاذ أحد اليابانيين من هذا الانتحار الطائش .

وسيپان هى أول ما غزى من الأرض اليابانية التى يسكنها عدد كبير من المدنيين اليابانيين — وكان هناك عشرون ألفاً ، فهل معنى انتحار سيپان أن الشعب اليابانى برمته سيختار الانتحار قبل التسليم ؟ ربما كان ذلك هو ما يريد اليابانيون ودعاتهم أن يدخلوه فى روعنا ويحملونا على تصديقه .

[صورة تاريخية مثيرة وموجزة لم تنشر قبل اليوم]

آخر أيام موسوليني

جورج كنت



(وقف على قصة سقوط موسوليني أحد محرري المختار الجوالين ، سمعها من دينو جراندى وغيره من أعضاء المجلس الفاشي الأعلى ، ومهما يكن الحكم الأخير على موقف جراندى ، فسيظل له شأن في التاريخ من أجل ما فعله في خلع الدكتاتور الإيطالي) .

سنروى اليوم ، لأول مرة ، قصة الأيام السبعة الأخيرة من حكم موسوليني دكتاتور الشعب الإيطالي ، وقد بدأت هذه الأيام — ما بين ١٩ و ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٣ — باجتماع هتلر والدوتشي في قرية من قرى الألب ، يوم كانت جيوش الحلفاء تتقدم تقدماً حثيثاً في صقلية ، وقد انتهت بانعقاد المجلس الفاشي الأعلى في حجرة الشرفة المشهورة بقصر البندقية في روما ، وكانت جلسة عنيفة استغرقت اثنتي عشرة ساعة .

ولما اجتمع موسوليني وهتلر في قرية فلتر في شمال إيطاليا في ١٩ يوليو ، وهو اليوم الذي بدأ فيه الحلفاء يضربون بالقنابل روما من الجو ، أوضح الزعيم الألماني للدوتشي أن أفراح النازية والفاشية قد انتهت ، وأن القيادة العليا الألمانية ستتولى زمام الأمور في إيطاليا اسماً وفعلا ، وصارح موسوليني بأنه إذا لم يتجلد ، ويستنهض همة شعبه ، ويجعله مقبلا على الحرب بقلبه كله فإنه سيعزله ويعين بدلا منه من يستطيع ذلك . فكان الحديث من أوله إلى آخره مكدّراً . ولما استقل القطار عائداً إلى روما من فلتر كان يحمل إلى قومه الذين يكرهون الألمان رسالة الخضوع التام لألمانيا ، وكان لا بد من دعاية تفوق المألوف لحملهم على قبول ذلك .

ولما لم يكن موسوليني يوماً ما رجلا قوي البنية ، فقد حمل القطار في عودته رجلا عليلا سقيما . وكل منا يتذكر تلك الصور التي كان يتراءى فيها موسوليني وهو في وقفة الرجل القوي العضلات الذي ينزلق على الثلج وينفض الثلج من فوق صدره العاري . والذي كنا نجهله أنه بعد انصراف المصور كان الدوتشي يظل طريح الفراش أربعاً وعشرين ساعة حتى يستفيق .

وهو يشكو قرحاً فى المعدة ، ويتحرى فى داره الاقتصار على اللبن والطعام المسلوق ، ويتحاشى الطباق والخمر ، ولكنه فى المناسبات العامة ، من أمثال هذا الاجتماع بهتلر ، يستر ضعفه ، ولا يتردد فى التهام كل ما يقدم له ، ويعانى بعد ذلك الآلام الشديدة . ولما كان القطار يخضه خضاً كان يتلوى من الألم فوق أرض القطار ، ويحاول من حين إلى حين أن يهدئ وقدة الألم بكل حيلة ما استطاع .

وفى يوم الأربعاء ٢١ يوليو ، بعد عودته إلى روما ، أدهش بطانته بطلب عقد المجلس الفاشى الأعلى يوم السبت التالى ، ولم يكن قد عقد مثل هذا الاجتماع منذ ثلاث سنوات ، ولكن عذر الدوتشى كان واضحاً ، فقد كان يحمل إلى إيطاليا جرعة غليظة ينبغى أن تتجرعها ، وهذه الجرعة هى ضياع السيادة الإيطالية ، فهو من ثم فى حاجة إلى كل مناصرة ممكنة .

وقد ظل دينو جراندى عامين يكربه التفكير فى النكبة التى ستحل ببلاده ، ولم يكن هناك سوى مخرج واحد ، وهو أنه يجب أن تخرج إيطاليا من هذه الورطة قبل أن تضيع الفرصة . ولكن إيطاليا لا تستطيع الخلاص ما دام موسولينى مستولياً على مقاليد الأمور ، فمن أجل ذلك ينبغى أن يزول موسولينى من الطريق .

ففى يوم الخميس ٢٢ يوليو عقد جراندى العزم على أن يفضى إلى موسولينى بأنه سيطلب من المجلس أن يخلعه ، ولا يعرف مقدار الشجاعة التى يقتضيها ذلك إلا من عاش سنوات تحت نير الحكم الفاشى . ومثل هذا الطلب من المجلس شىء ممكن ، ولكن تحذير الدوتشى قبل ذلك بيومين هو الانتحار . وقبل موسولينى أن يقابله وحدد له خمس عشرة دقيقة .

فبدأ جراندى ذو الصوت الناعم يذكر الدوتشى بما قاله هو ذات يوم : « لتهلك الأحزاب جميعها بما فيها حزبنا وغيره ، مادام فى ذلك سلامة البلاد » ، وأخبره جراندى أن البلاد فى خطر ، وأن واجب الدوتشى أن يعيد قيادة الجيوش إلى الملك حتى يتسنى عقد الصلح .

ومكث معه جراندى ساعة ونصف ساعة ، واربدّ وجه موسولينى ، وكان فى أثناء حديث زائره لا ينى يعبث بقلم ، وأخيراً نهض الدوتشى وقال : «سنرى» ، وانتهت المقابلة.

ولما صار جراندى فى منزله ردّد النظر فى قائمة أعضاء المجلس الأعلى ، ووضع علامة بإزاء ستة أسماء يستطيع أن يعتمد على صدق نية أصحابها فى تلك الأزمة . وفى مساء ذلك اليوم زارهم ، وقد أدرك أن هؤلاء الستة سيشدون أزره فى حملته على موسولينى ،

وقضوا ذلك المساء واليوم التالى فى التشاور، على حين كان جواسيس موسولينى ، يرقبونهم خفية ، وكانوا مهددين فى كل لحظة بأن يضع الرصاص حداً لحديثهم ، ولكنهم كانوا قد وصلوا إلى الحد الذى أصبح فيه شرفهم، من حيث هم وطنيون ، أعظم شأناً وأجل خطراً من حياتهم .

وفى الساعة الخامسة من عصر يوم السبت أخذت العربات التى تقل أعضاء المجلس الأعلى تكر أمام قصر البندقية ، وفى الساحة التى كانت خالية عادةً إلا من حارس أو حارسين، اصطفت كتيبة من رجال المليشيا الفاشية على رؤوسهم الخوذات وقد تسلحوا بالبنادق والمدافع — وهو تحذير رقيق .

وحجرة الشرفة فى القصر ملاصقة لمكتب موسولينى ، وكان يمر من خلالها إلى الشرفة فى كل مرة يلقى فيها خطبته على الجماهير المتجمعة فى روما ، وهى حجرة مستطيلة مزينة بالصور والرسوم، يضيئها شمعدان جميل الصنع يرجع إلى عهد النهضة ، وفى أحد طرفيها كرسىّ كالعرش وهو مجلس الدوتشى ، وأمامه نصف دائرة متسعة من الكراسى

وقبل جلوسهم رفعوا جميعهم أذرعهم بالتحية الفاشية، وانعقد المجلس الفاشى الأعلى. وبدأ موسولينى الكلام ، وظل حوالى ساعة يتكلم عن سير الحرب ، وألقى تبعة الهزيمة على عاتق القادة الحربيين ، وعارض فى ذلك المارشال الشيخ دى بونو الذى نزعت منه قيادته فى حرب الحبشة ، واستمرت المناقشة ساعة أخرى .

وبعد الساعة السابعة بقليل أبدى جراندي ملاحظة ، وذلك أن المجلس المنعقد مجلس مدنى ، وأنه ليس أهلا لأن يبحث المسائل الحربية، ثم اتجه إلى موسولينى وقال : « إنك تعرف ما سأقوله ، فقد أفضيت به إليك منذ يومين » فقطب الدوتشى ما بين عينيه واصفر وجهه ثم قعد صامتا وهو يعبث بقلمه ،وتكلم جراندى أكثر من ساعة محرّضاً يقول : إن موسولينى قد أصبح لا يرجى منه نفع ، وإن قيادة الجيوش يجب أن ترد إلى الملك .

ثم سحب من جيبه صورة اقتراح يرمى إلى إعادة الحكومة النيابية وينصح موسولينى بأن يلتمس من الملك أن يكون المرجع الأعلى فى الأمور كما تنص المادة الخامسة من الدستور.

وبعد أن قرأ جراندى الاقتراح نطق بكلمة تعد فى تلك القاعة كلمة ثورية وهى قوله : « ڤوتارى » (لنأخذ الأصوات) ، فمنذ نيف وعشرين سنة لم يؤخذ صوت أحد من الأعضاء فى اجتماعات المجلس الأعلى ، وأعاد جراندى كلمته وجلس .

وكان المجلس قد ظل منعقداً أربع ساعات، ولم يدخن أحد لأن موسولينى لا يدخن ،

ولم يذق أحد شراباً ولا طعاماً ، ولم يكن هناك ما يراخي من توتر المجلس. وكان موسوليني قد اعتمد على الخطب الهائجة الهادرة وعلى التهديد والوعيد ، ولكنه وجد أمامه وثيقة وطلباً بإجراء التصويت ، فأخذ يميل على جوانب مقعده وشفتاه ترتعشان ، وهو ينقّل قلمه في أنامله .

وفي الأبهاء الخارجيــة الصاقبة للحجرة مباشرة كان يقف نحو ستين رجلا يحملون الحراب ، وهؤلاء الرجال ، وهم من أشد رجال إيطاليا بأساً ، هم حرس الدوتشي ، وكانوا قد أقسموا على حمايته ومناصرته حتى الموت ، وكانوا لا يطيعون سواه ، وكلمة من هذا الرجل الجالس على العرش كانت كافية أن تخرس ألسنة جراندي وأنصاره إلى الأبد .

ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، ووازن فدرزوني — رئيس الأكاديمية الملكية — بين هذه الحرب والحرب السابقة ، مما أساء إلى موسوليني . وتحدث بوتاي الذي كان يشرف على اتحادات العمال ، عن تململ الصناع ، وهاجمه دي مارسيكو وزير العدل من وجهة النظر القانونية ، وجعل ستفاني وزير المالية السابق يذكر الخراب الاقتصادي الذي أحدثته الحرب .

وعضد الكونت شيانو صهر موسوليني جراندي بشجاعة، وكان من الأفراد القلائل الذين اطلعوا على خطط جراندي من قبل . وقد خاطب المجلس متهماً موسوليني بأن حبه الأعمى للمجد الحربي هو الذي جعله يقود إيطاليا إلى الحرب دون أن يستشير المجلس ، وبأنه خالف نصيحته ، هذا على ما كان معروفاً عن نقص الكثير من ضروب المعدات الحربية .

فصاح به موسوليني : «لقد دخلت الخيانة داري حين دخلتها أنت ! » ثم أخذ أنصار موسوليني يتحدثون ، واستمر الحديث أربع ساعات أخرى ، وأخيراً نهض موسوليني وقال : إنه لم يتم شيء ، وإن الليل قد أوغل بهم ، وأعلن أن الاجتماع قد فض .

فهب جراندي واقفاً وقال : « وماذا يضيرنا إذا تصرّم الوقت ؟ إن الجنود الإيطاليين في هذه اللحظة يحاربون ويقضون نحبهم في ساحات الحرب في صقلية ، فلماذا يزعجنا فقدان بضع ساعات ؟ ينبغي أن نجد حلا » .

وظل الاجتماع منعقداً ، وشرع موسوليني يتكلم ، وقد علت وجهه قترة ، وكان في صوته — كما وصفه أحد أعضاء المجلس — ضراوة الأسد الجريح ، وأخذ يدافع عن استئثاره بالحكم وعن ميثاق المحور ، وقال إن وقت النكوص والارتداد قد ولى ، وإن على إيطاليا أن تظل محاربة ، وإن ضميره

مرتاح ، وإن الناس على بكرة أبيهم معه .

فطلب إليه جراندى أن يخبرهم بما قاله هتلر ، فامتنع موسولينى ولكنه أكد للمجلس أنه لا بد من النصر .

فصاح جراندى قائلا : « كلام ، ولا شىء غير الكلام ! إننا نعلم أنك طلبت ثلاثة آلاف طائرة فلم يقدم لك سوى ثلثمائة » .

وتصدى فارنتشى ، الذى كان يوماً ما سكرتيراً للحزب الفاشى ، للدفاع عن موسولينى ، فخطب خطبة ضافية ، وامتدح هتلر وأثنى على ألمانيا ، وطلب إلى المجلس أن يعطى صوته موالياً موافقاً . وتقدم فى إثر ذلك سكورزا ، سكرتير الحزب ، باقتراح كان فى صميمه ثقة بموسولينى ، وكان هذا الاقتراح يعلن أن جميع الذين عارضوا الحكم المطلق والحرب هم أهلٌ للاتهام بالخيانة .

وصاح فارنتشى قائلا : « نعم إنها الخيانة » وطلب عقاب الذين أوتوا « عقلية دمقراطية » جميعاً ، وقال جالبياتى الذى كان رأس الميليشيا : « إن جيوشى ستعرف كيف تؤدبكم أنتم يا من رفعتم أصواتكم هذه الليلة » . وصاح ترنجارى كازانوفا المدعى العمومى قائلا : « تذكروا أنكم تخاطرون برقابكم » .

وكان الاجتماع الآن قد مال إلى جانب موسولينى ، ولكن لم يعرف الابتسام طريقاً إلى وجهه وهو لا ينفك يعبث بقلمه ، ووقف ثلاثة من الأعضاء الذين أيدوا جراندى من قبل ليقولوا إنهم كانوا على خطأ .

وكانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحاً ، وكانت الحجرة قد غمرتها أعظم مظاهر الحدة والفتك ، وكانت قعقعة البنادق التى يحملها جنود الحرس وهم يتبادلون النوبات تصل إليهم من الطابق الأول ، وكان كل شىء محتمل الحدوث .

وكان جراندى قد نال منه الكلال والإعياء ، ولكن رأسه ظل مرتفعاً مُنيفاً ، فنهض ووقف لحظة صامتاً ثم قال : « نحن لا نبالى بما يصيبنا ، إن واجبنا الخطير هو أن نرى هذا الاقتراح يعمل به — ڤوتارى — فهلموا إلى إعطاء أصواتكم ! » .

وأغمى على بارسكى وزير الزراعة ، واستفاق وهو يبكى ويقول : « هذه هجمات فظيعة على الدوتشى » ثم أعطى بعد ذلك صوته فى جانب جراندى — ولقد قتل .

وحملق موسولينى فى عينى جراندى وتكلم بصوت مهدد جاف جفاءً غريباً وقال : « إن الملك سيؤيدنى فى جميع ما فعلت ، وعند ما أخبره بما حدث الليلة سيقول : لقد خانوك » .

فوقف جراندى معانداً متحدياً مرة

أخرى وقال : « لنعط أصواتنا » .

فقال الدوتشى : « حسن جدا » .

وبدأ أخذ الأصوات ، ونهض كل رجل وأعطى صوته جهرا ، وكان أولهم سكورزا فقــال فى صوت بيّن : « لا » ثم جلس ، وأخذ يسجل بعـــد ذلك الأصوات بصفته سكرتيراً للحزب ، وكان الثانى رئيس السناتو فقــال : « أنا ممتنع » ، ووقف دى بونو الشيخ الذى يكره الدوتشى وقفة جافة وقال: « إنى أعطى صوتى قائلا : نعم » ، وتبعــه جراندى ، ووقف بوتاى لينطق « بنعم » أخرى .

ولم يشترك فى مناقشة المساء سوى اثنى عشر رجـلا ، وكان الآخرون يستمعون وهم صامتون ، وكانت أصـواتهم هى التى يترتب عليها الفصل فى الموضوع ، وقد ثقلت على الحجرة وطأة الانتظار والتوقع ، وقال لى أحد الحاضرين وهو يروى لى القصة : « لم أشعر فى تلك اللحظة بتعب ما ، وإنما كانت تشتعل فى نفسى حمى التلهف على معرفة ما يتمخض عنه ذلك كله » .

وأعطى معظم الأعضـاء الذين التزموا الصمت أصواتهم فى جانب اقتراح جراندى، وأخيراً قضى الأمر ، وكان عدد الأصوات ١٩ فى مقابل٧ ، وانتهى موسولينى، ونهض الدوتشى من على عرشه بطيئاً ،وسار بخطوات عنيفة إلى آخر الحجرة المستطيلة دون أن ينبس بكلمة أو أن يلقى نظرة ، وخرج وغاب عن الأنظار .

ولم يكن ذلك خاتمة الأمر ، فقد أحضر جراندى صورتين من اقتراحه وطلب إلى كل الذين أقروه أن يوقعوه ، وترك الصورة لموسولينى ودس الأصل فى جيبه ، وانتهت الجلسة . وكان المتبع فى الماضى عند انتهاء أمثال هذا الاجتماع أن يقف الأعضاء ويحيوا التحية الفاشية ، أما فى هذه المرة فلم يكن هناك تحية ، وخرج الرجال من الحجرة صامتين .

وتركهم حرس الدوتشى يمرون دون أن يتعرضوا لهم ، وكان صباح الأحد وكان أحـد الأجراس يقرع ، وكان الحرس يراقبونهم وهم يخرجون ، ولابد أن أعضاء المجلس قد عرتهم انتفاضـة عند ما أداروا ظهورهم وهم يركبون السيارات التى كانت تنتظرهم .

وقد كانت الكلمات التى ودع بها كازانوفا شيانو قوله : « أيها الزميل الشاب ستدفع من دمك ثمناً لما فعلته هذه الليلة » .

وذهب جراندى إلى رئيس القصر الملكى ليخبره بما حدث،وأعطاه صورة من الاقتراح المؤيد بالتوقيعات لتقديمها لجلالة الملك .

وبدأ موسولينى آخر يوم من أيامه فى

توزيع الجوائز فى حفلة إحدى المدارس الزراعية محاولا أن يوهم أن كل شىء كان يسير على ما يعهدون .

وانتظر الملك فى القصر أن يجىء موسولينى من تلقاء نفسه ، ولما صارت الساعة الخامسة ولم يحضر أرسل الملك فى طلبه ، وشرع موسولينى يتحدث عن الخطط التى يعدها للمستقبل ، فقال له الملك : « لقد اقترع المجلس ، فعدت ولا نصيب لك فى مستقبل إيطاليا ، وأنا أقبل استقالتك » فثار موسولينى وأرغى وأزبد ، وسأل أحد البوابين الواقفين : « أين عربتى ؟ » وفى تلك اللحظة جاءت نقالة وحملته ، وترك الدكتاتور الهاوى روما إلى الأبد .

إن عجز موسولينى عن أمر رجال حرسه بقتل جراندى والآخرين ، لمن الوقائع العجيبة التى تغير سير التاريخ . وتعليل ذلك هو ولا ريب أنه منذ سنوات يوم قتل صبيانه الأشداء ماتيوتى ، كان الدوتشى على شفا فقدان مكانته ، ومن يومئذ صار شديد العناية بأن يلبس جريمة القتل ثوباً من إجازة القانون ، وربما يكون قد اعتقد أن الملك الذى كان دائماً يناصره يهمل تصويت المجلس الفاشى . ولما تحقق موسولينى من خطئه بعد ذلك أصدرت محكمته الفاشية فى فرونا الحكم بالإعدام على ثمانية عشر عضواً من أعضاء المجلس ، وقضت بحبس أحد الأعضاء ثلاثين سنة .

وقد أعدم شيانو ودى بونو وبارسكى واثنان غيرهم ، والباقون ما بين هارب مختبىء فى الجزء الذى يحتله الألمان من إيطاليا ، أو فى البلاد المحايدة أو بلاد الحلفاء ، وكلهم مطاردون ، وراديو إيطاليا الشمالية لا ينفك يحذرهم كل أسبوع أنهم لن يفلتوا من انتقام الفاشيين . وقد حلق جراندى لحيته ، واتخذ له اسماً آخر ، فقد حاولوا الاعتداء على حياته أربع مرات ، وقد صودرت أملاكه وحبست عنه جميع موارد الدخل ، وهو الآن يعيش عيشة الفقر والكفاف ، وهو يقول : « إنى قانع بذلك ، ولقد كان اجتماع المجلس آخر عمل فى حياتى السياسية »

أما بقية القصة فقد ذكرتها الصحف ، فقد أخذ موسولينى ينقل من مكان إلى مكان حتى أنقذه الألمان ، وبدلا من أن يطلب المارشال بادوليو الصلح مباشرة أعلن « أن الحرب ستستمر » ، وقضى ستة أسابيع ثمينة فى المفاوضات ، وأعطى بذلك الفرصة للألمان حتى يجلبوا الإمدادات .

وهذا لا ينتقص من قيمة النضال فى هذا الاجتماع التاريخى الذى اجترأ فيه رجال على أن يوجهوا نظراتهم إلى عينى الحاكم المطلق ويأمروه بالتنحى عن عزه وسلطانه .

يدٌ على الرّتاج

حكاية قديمة لمارى شولومندلى
يرويها انتونى ابوت
مؤلف "قاتل جيرالدين فوستر" و "غادة النادى الليلى" الخ

كانت السيدة واقفة إلى النافذة تصغى ، وكانت وحدها فى بيتها الخشبى تنظر بعيون لا تكاد ترى ، إلى المروج الموحشة وتباشير ثلوج الشتاء .

ولم يكن يساورها شىء من الذعر حتى سمعت ذلك الصوت . وطالما تركها زوجها وحدها كما تركها اليوم بضعة أيام ، ولم تتغير صور الأشياء فى نظرها إلا الآن حين وثقت أنها تحمل فى أحشائها جنيناً . ولماذا لم تخبر زوجها بهذا النبأ قبل رحيله ؟

كان مضطرباً أشد الاضطراب ، ولو علم لما نأى عنها ، لكن حَسْبُهُ ما به من هم . وإنها لتتذكره وهو واقف بجوار هذه النافذة بعينها ، ويده على كتفها يحدثها عن المال . فهو محصل للضرائب فى منطقة الحدود ، وقد حمل إلى البيت كيساً كبيراً مملوءاً بالنقود ، ووضعه فى صفيحة بسكويت أخفاها تحت لوح من ألواح أرض المطبخ .

لماذا ؟

كانت الأخبار سيئة ، فإن صندوق توفيرهم الصغير فى قرية نائية كان مشرفاً على الإفلاس ، فوجب عليه أن يسرع لينقذ نقوده إن استطاع . ولم يجرؤ على السفر سفراً بعيداً وهو يحمل معه ضرائب المنطقة ، ولذلك دفنها فى المطبخ . وفى وسعه بعد أن يطمئن على نقوده المدخرة ، أن يذهب إلى المدينة ليودع أموال الناس هناك فى بنك الدولة .

قال لزوجته : « عاهدينى على أن لا تغادرى المنزل فى غيبتى ، وأنك لن تسمحى لكائن من كان أن يدخل مهما كانت حجته » .

فأجابته بقولها : « أعاهدك على ذلك » .

والآن مضى على رحيله ساعات ، والليل قد أقبل ، والثلج والظلام يغمران البيت المنعزل ، فإذا هى تسمع صوتاً . لم يكن صوت الريح لأنها تعرف صوتها حين تدفع الأبواب والنوافذ دفعة اللص . لا ، إن ما سمعته طرق خافت متلهف . ولما ألصقت خدها بحافة زجاج النافذة استطاعت أن ترى رجلا متكئاً على باب المنزل .

تراجعت على عجل عن النافذة ، وذهبت إلى متاع زوجها وتناولت منه مسدساً ،

وكان زوجها قد أخذ معه مسدسه الآخر ، ولسوء حظها نزع منه ذخيرته ، فهذا السدس الباقى لا فائدة منه ، ثم أسرعت إلى الباب المطروق ومعها المسدس الفارغ .

صاحت : « من الطارق ؟ »

« أنا جندى جريح ضللت الطريق ، ولن أستطيع أن أتحامل على نفسى أكثر من ذلك . فدعينى بربك أدخل » .

فقالت له بسذاجة وبراءة : « لقد عاهدت زوجى على أن لا أدع إنساناً يدخل فى غيبته » .

« سأموت إذن على عتبة بابك » .

وبعد لحظة أغراها قائلا : « افتحى الباب وانظرى إلىّ ، ترَىْ أننى لا أستطيع أن أوذيك » .

فقالت : « إن زوجى لن يغفر لى ذلك » ، ثم تأوهت ولكنها سمحت له بالدخول . فكان على غاية الإعياء : هو رجل طويل القامة يترنح فى مشيته ، وقد تراكم رذاذ الثلج على محياه الشاحب وذراعه المربوطة .

أجلسته على كرسى زوجها بجوار المدفأة وضمدت جرحه ولفته برباط جديد ، ووضعت بين يديه عشاءها الذى كانت أعدته لنفسها . ولما انتهى من أكله هيأت له فراشاً للنوم فى حجرة خلفية . وما كاد يرقد حتى لاح كأنه استغرق فى النوم .

ولكن أكان نائماً حقاً ؟ أم أنها وقعت فى الفخ ؟ أم هو يتربص حتى تذهب فتنام ؟

وجعلت تروح وتغدو فى غرفتها قلقة تتوقع كل سوء . وساد سكون الليل ، ولم يكن ينبعث سوى طقطقة خشب المدفأة الخامدة ثم – ثم صوت خافت دقيق شديد الحذر يعرف ما يريد ، لم يكن اقوى من صراخ الفأر . فمن أين ينبعث ؟ من غرفة الجندى الجريح ولا ريب !

حملت المصباح وتسللت فى الدهليز الضيق ووقفت تصغى . لا ريب ، كانت أنفاسه مرتفعة جداً ، ولكنه كان يتظاهر بذلك . فتحت الباب ودخلت الغرفة ومالت على الرجل النائم ، فلاح لها أنه نائم حقا .

ثم غادرت الغرفة ، فسمعت لتوّها الصوت ثانياً . فى هذه المرة أدركت ما هو : إن شخصاً يحاول أن يفتح رتاج الغرفة الأمامية ، فحملت من بين آلات زوجها خنجره الكبير ، وانسلت مرة ثانية إلى الرجل النائم وهزته من كتفه ففتح عينيه متأوهاً .

فهمست فى أذنه : « اسمع ، إن شخصاً يحاول أن يقتحم علىّ البيت ، فيجب عليك أن تساعدنى » .

فسألها مدهوشاً : « ولماذا يقتحم عليك ؟ ليس ثمة ما يستحق السرقة » .

« أجل هنا ما يستحق ، هنا مبلغ من

المال مدفون فى أرض المطبخ » ، وحينئذ ودّت لو أنها قطعت لسانها لأنها أخبرته

فقال لها: « خذى مسدسى، فأنا لا أستطيع أن أسدد إلا بيدى اليمنى ، فهو عديم الفائدة لى ، أعطنى خنجرك » .

فترددت هنيهة ، لكنها ما كادت تسمع الصوت مرة أخرى حتى بادلته ووضعت الخنجر فى يده السليمة .

وقال لها : « عليك أن تنتبهى لأول طارق ، قفى بجوار الباب وفى اللحظة التى يفتح فيها الباب أطلقى ، فى المسدس ست طلقات ، وتابعى الضرب إلى أن يسقط ويخر على الأرض ، وسأقف من ورائك بالخنجر فى يدى لأواجه المقتحم الثانى . ومتى وقفنا فى مواقفنا فأطفئى المصباح » .

كان الظلام يغمر كل شىء ، وانقطع نقر الباب ، ثم سمعت صرير الرتاج ، وإذا هو يتسنى ، ثم انسل رجل إلى الداخل .

وفى لحظة ميزت قامته بجلاء فأطلقت المسدس فسقط ، غير أنه زحف من فوره فأطلقت عليه مرة ثانية ، فسقط ثم جرجر نفسه على ركبتيه فأطلقت عليه مرة ثالثة ، فانكفأ بوجهه بطيئاً على الحائط ولم يتحرك .

وانحنى الجندى وهو يسب ثم صاح : « لم يكن هناك سوى شخص واحد ، أحسنت الرماية يا سيدتى » .

ثم قلب الجثة على ظهرها فرأيا الوجه ملثما بقناع ، ودنت المرأة ونظرت إلى القتيل حين نزع الجندى القناع عن وجهه .

فسألها : « هل تعرفينه ؟ » .

فهزت رأسها .

ثم أجابته : « إنه غريب عنى ! » ثم ظلت تحدق بنظرات ثابتة ملؤها الشجاعة. فى وجه الرجل الذى رجع ليسرق نفسه — فى وجه زوجها .



لم تزل الحجة الوحيدة المسوغة للزواج هى أنه خير طريقة للتعارف .

[هايوود براون فى كتاب « هكذا يبدو لى »]

☆☆☆☆☆☆☆☆

إن رجلا فى الثامنة والثمانين يستطيع أن يصرف زائراً بقوله : « إذهب الآن فإنى متأخر سنتين فى عملى » ، لهو قوة يجب أن يحسب لها حساب . فهذا هو ما قاله برنارد شو للمحامى موريس إرنست منذ أسابيع .



معلم بين النجوم



قصة غلام فلاح فقير، اصبح عالما ومكتشفا فلكيا مثل رائع على تعليم نفسك بنفسك

رالف ولاس
ملخصة عن
صحيفة «سانت لويس پوست ديسپاتش»

يخيل إلىّ أن ليس بين أولاد الفلاحين فى أمريكا، من استشعر من روعة الكون وسحره مثل ما استشعره كلايد تومبو، ابن بلدة برديت بولاية كنساس. فمنذ خمس عشرة سنة وحسب، كان كلايد سخرية القوم فى أرياف كنساس، ولكنه اليوم، وهو فى الثامنة والثلاثين، يعد فى طليعة علماء الفلك الممتازين.

كشف تومبو السيار التاسع، بلوتو، وهو أبعد السيارات عن الشمس، بعد أن أنكر معظم الفلكيين وجوده. فضاعف بكشفه الحجم المعروف للمجموعة الشمسية، وقد أنجز منذ عهد قريب مهمة من أشق المهمات وأعجبها فى تاريخ الفلك، وهى وضع خريطة شاملة للكون. فقد صوّر ستين مليوناً من النجوم، ثم راجع الصور وسجل خلال ذلك أكثر من ألف نجيمة، منها مئة نجيمة لم تعين مواقعها من قبل.

وقد وصف الثقاة عمل كلايد تومبو فى الكشف عن بلوتو بأنه أعظم حادث فلكى فى المئة الأخيرة. أما أنا فأجرؤ فأقول إن أعظم كشف كشفه كلايد هو كشف نفسه.

فقد كان ابن مزارع فقير وكان شديد الحياء، يسخر منه أقرانه وجيرانه سخراً مؤلماً، ولكنه جعل حياته مثلا يروى على تعلم نفسه بنفسه. ولذلك يرى جيرانى فى كنساس، أن كلايد تومبو أكبر من أن يكون فلكيا عظيما وحسب، إنه الدليل الحىّ على أن الإيمان والصبر على الشدائد يستطيعان أن يحققا الأحلام.

تبدأ قصة هذا الفلاح العالم فى ولاية إلينوى، فهناك كان والده وعمه يعنيان برصد السماء ودراسة الأزياج سنين كثيرة. ثم اشتريا عدسة رخيصة، وصنعا من بلورة مكبرة عدسة، ثم لفا قطعة من المشمع لتكون بمنزلة الأنبوب، وركبا من ذلك كله منظاراً (تلسكوبا). وكان كلايد فى الثانية عشرة، حين أطلّ من خلال هذا الجهاز الركيك على عجائب السموات، فوقعت فى نفسه أعظم وقع.

وقطع فى اليوم التالى عدة أميال من طريق تُرب سائراً على قدميه، حتى بلغ المكتبة فى بلدة ستريتر، فأنزل له وكيل المكتبة الذاهل الكتب الفلكية القليلة من

على الرف ، فالتهمها كلايد التهاماً . ونزل من ماله القليل عن ريال — وهو كل ما اقتصده في أثناء شهر كامل — ليشترى كتاب باين : « لباب الفلك » . وكان إذا أنجز أعماله في المساء ، يلتفت ليلا إلى القبة الزرقاء ، فتأخذه النشوة وهو يحاول أن يستبين صور النجوم .

والغالب أن معظم الوالدين من الفلاحين ينظرون شزراً إلى أعمال لا تجدى نفعاً عاجلا كأعمال كلايد ، ولكن من حسن حظه أن والده مورون تومبو ، كان يدرك معنى الشوق إلى المعرفة . وكان في صباه قد تمكن أن يكسب بالعمل نفقة الدراسة بجامعة إلينوى خلال نصف سنة ، ثم اضطر أن يترك الجامعة ، ولكنه مضى يدرس بالمراسلة .

وقتر مورون وشقيقه على نفسهما فجمعا مبلغ ٤٥ ريالا ، ليبتاعا منظاراً تام البناء . فوسع هذا المنظار آفاق الكون أمام كلايد ، مدى ملايين من سنى الضوء ، وأتيح له أن يشرع في رصد السماء رصداً منظما .

وبعد أن توالت النكبات على أسرة تومبو ، هاجرت في سنة ١٩٢٣ إلى ولاية أخرى ، واستأجرت مزرعة في المنطقة التي أقطنها . وحدث جفاف في تلك السنة ، قضى على القمح . أفلست الأسرة ولكنها تمكنت من أن تبعث كلايد إلى المدرسة . فوجده رفاقه صبيا شاذا ، وكانوا قد سمعوا أنه يتفرس في النجوم ، فلقبوه « المذنب كلايد » ورسموه رسوماً هزلية في صحيفة المدرسة . وكان كلايد مرهف الإحساس فكان ينصرف عن سخرية رفاقه إلى الدرس الدائب ورصد السماء ، فقد عزم على أن يصبح فلكيا بطريقة ما . وتخرج من المدرسة الثانوية ، ولكن الالتحاق بالكلية كان مما يخرج عن طوقه ، فليس في وسعه إلا أن يقرأ ويرصد — وهو وحده . وقرأ في مجلة علمية ، أن رجلا من ولاية تنيسى استطاع أن يصقل بنفسه عدسة لمنظاره العاكس ، فتجرأ على أن يكتب إليه يطلب الإرشاد . فتبين من الجواب أن لوحتين من الزجاج تتكلفان نحو أربعة ريالات ، وأن تغشية العدسة العاكسة بالفضة تتكلف أكثر من أربعة ريالات . وبعد ذلك فلا بد من صبر وكد لا ينفدان لإنجاز العدسة . وفي خريف تلك السنة اشتغل كلايد بتقشير كيزان الذرة لفلاح مجاور ، لقاء ريال في اليوم ، فما أقبل الربيع حتى كان قد اشترى البلور والكاربورندوم (مادة قاسية لصقل البلور) . وشرع في تفريغ كتلة من البلور ليصنع منها عدسة عاكسة ، وهو عمل غاية في الدقة .

وقد أثبت إحدى البلورتين في عمود بفناء الدار ، وأقام يوماً بعد يوم ، يدور بالأخرى حولها . وكان الجيران يمرون به

فيضحكون . وحتى أشقاؤه وشقيقاته سخروا منه ، ولكن الوالد أحسّ في ابنه التصميم الذى يتصف به العالم المطبوع ، فكان يتولى عن ولده القيام بأعماله ، كلما تسنى له ذلك.

وبعد شهور من الصقل الممل ، تم منظار كلايد . ولم يكن أسلوبه فى العمل متقناً كل الإتقان ، فكان المنظار غير محكم ولكنه حين نظر من خلاله إلى السماء بهره ما فعل ، فانتشى وانعقد لسانه وأقام طوال الليل مع منظاره ، ثم عزم على أن يصنع منظاراً أدق وأحكم .

زرت مزرعة تومبو بعد ذلك بنحو سنة ، لأكتب مقالا فى موضوع فلكى لصحيفة والدى . وكانت أسرة تومبو يومئذ أسعد حالا ، بفضل كدحها وإقبال المحاصيل سنين متوالية ، حتى استطاعت بعد قليل أن تشترى مزرعة خاصة . ولقينى كلايد وهو فتى نحيف أشقر ، فى عينيه الزرقاوين حياء كثير ، وعليهما نظارتان . وقد أشار إلى كهف وراء البيت ، طوله ٢٤ قدماً وعرضه ١٢ قدماً وعمقه ٧ أقدام ، وقال إنه تعلم أن التغيير اليسير فى الرطوبة قد يؤذى العدسة فى أثناء صقلها . فجعل الكهف ملاذه ، وقد حفره فى الصيف القائظ بيديه ، فى الفترات بين أعماله الأخرى مستعملا الفأس والمجرفة . ثم طلا أرضه وجدرانه وسقفه بالأسمنت ، ثم جعل يصقل عدسته فيه.

وأرانى كلايد ما صنعت يداه : منظارا ذا مرآة قطرها تسع بوصات ، وقد أقامه فى قطعة أرض قريبة مزروعة ، ولو أراد شراءه لكلفه ألف ريال ، ولكن ما أنفقه عليه لم يزد على ٣٦ ريالا ، كسبها من القيام بأعمال شتى لجيرانه الفلاحين . وكان قد ابتدع للمنظار كرسيا من جهاز كان يستعمل لفصل الزبد عن اللبن ، واتخذ له أجزاء أخرى من أدوات منبوذة . وقال لى إنه تمكن منذ أسابيع ، حين كان الهواء صافياً ساكناً وقلما يكون كذلك ، من أن يلمح لغزاً من أعظم ألغاز الكون — قنوات المريخ التى تشبه شبكة من الخطوط محكمة الهندسة . فرسمها فى الحال وأرسل الرسم مع خرائط أخرى معقدة للكواكب السيارة إلى مرصد لويل فى بلدة فلاجستاف فى أريزونا .

فدهش كلايد حين كتب إليه الدكتور سلايفر كبير الفلكيين فى فلاجستاف وعرض عليه عملا فى المرصد . وقال سلايفر إن الدكتور برسيفال لويل ، لاحظ فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، اضطراباً غريباً فى أفلاك السيارين أورانوس ونبتون ، وبعد خمس عشرة سنة من الحساب الرياضى الدقيق ، خلص إلى القول بأن جذب سيار مجهول يحدث هذا

الاضطراب ، وتنبأ بأن هذا السيار يجب أن يكون فى منطقة معينة من الفضاء ، ولكن موت لويل ونقص المعدات الكافية للمرصد ، قطعا البحث عن هذا السيار المفروض . على أن شقيق الدكتور لويل تبرع منذ عهد قريب بمال لصنع منظار خاص ، وهو يصنع الآن ، وقد يسمح لكلايد بأن يبحث عن السيار المجهول إذا جاء إلى المرصد وتعلم أساليب البحث . وقد يستغرق البحث عشر سنوات أو عشرين أو نصف قرن ، وقد لا ينجح مطلقاً ، ولكن إذا كان ذلك مما يهم كلايد ف . . .

وبعد أيام كان كلايد يتسلق « أكمة المريخ » إلى مرصد لويل . وكان عمله هناك مملا مرهقاً للأعصاب ، فعليه أن يضع ألواح التصوير كل ليلة فى إطاراتها ، ويركبها فى المنظار المصور . وكان عليه كذلك أن يوجه منظاراً بصرياً آخر ، قطر مرآته سبع بوصة — وهو ملحق بالمنظار المصور — إلى النجم الدليل ، ثم يكشف كل لوح من ألواح التصوير مدى ساعة . وكذلك يستطيع أن يمسح السماء بمنظاره ، درجة درجة ، وشهراً شهرا ، وسنة سنة .

وكان على كلايد أن يدرس هذه الألواح فى النهار بجهاز خاص توضع فيه لوحتان لرقعة واحدة من السماء صورتا فى ليلتين متباعدتين ، ثم تتم المقابلة بين الصورتين بتحريك ذراع . فإذا كانت الأجرام البادية فى الصورة نجوماً ثبتت فى مكانها ، وإذا كان ثمة جرم متحرك فهو إما مذنب ، وإما نجمة ، وإما سيار .

وبدأ كلايد بحثه فى سنة ١٩٢٩ ومضى الصيف متثاقلا إلى الخريف . وفى الشتاء هبطت الحرارة إلى الصفر أو دونه فى تلك القبة التى لادفء فيها على قمة جبل ، ولكن كلايد مضى فى مهمته بغير فتور .

وفى مساء أحد أيام فبراير سنة ١٩٣٠ لمح كلايد شيئاً جديداً فى صورة التوأمين ، فوثب قلبه . وأعاد النظر فى تلك البقعة الدقيقة المضيئة التى تحركت على اللوحة تحركا غريباً ، ثم توقف يمسح نظارتيه بيدين مرتجفتين . ثم استرق نظرة أخرى بعد لحظة . ها هى ذى مرة أخرى ، يحيط بها مثلث من النجوم — إنه جرم سماوى جديد يعبر السماء بسرعة ! أحس كلايد قشعريرة تسرى فى بدنه .

وعلى أن الرجاء ملأ سلايفر وسائر فلكيي مرصد لويل ، فإنهم أشاروا جميعاً بالحذر ، ولا بد من أسابيع متوالية من الرصد الدقيق ، وصورت صور جديدة وبحثت ، فأسفر ذلك عن تأييد الكشف . وفى يوم ١٣ مارس اهتزت أسلاك البرق بأنبائه .

إن كلايد تومبو البالغ ٢٤ سنة من العمر، هذا الصبي الفلاح من كنساس، قد وجد السيار المجهول الذى تنبأ به برسيفال لويل.

وفى جميع مراصد العالم، أشرعت المناظير الكبيرة موجهة إلى صورة التوأمين. إنها أروع قصص الفلك الحديث – هذا عالم جديد.

وما لبث مرصد بلجيكى حتى تبين السيار، ثم تبينه مرصد يركيز ثم مرصد هارفرد فمرصد بريرا فى ميلانو. لقد انقطع كل شك، لقد سقط القناع وأسفر للعيون ذلك السيار التاسع المختفى وراء أطباق الفضاء منذ الخليقة. وتوافد كتاب المجلات والصحف على فلاجستاف ليحادثوا كلايد. ما حقيقة هذا السيار المجهول؟ إنه أبعد السيارات عن الشمس، وهو لبعده لا يتم دورة كاملة فى فلكه العظيم إلا فى قرنين ونصف قرن. وأهم من هذا أن بعض الفلكيين ذهبوا إلى أن بعده العظيم، وهو أربعة بلايين من الأميال، يحتمل أن يهدم النظرية السديمية التى تقوم على أن السيارات إنما تكونت بتقلص حلقات من الغاز حول الشمس فى أثناء دورانها السريع على محورها، وقوّى الدليل على أن السيارات تكونت بفعل انفجار عظيم فى كتلة الشمس.

وانهالت البرقيات والرسائل من كبار العلماء فى جميع أنحاء الأرض، وأهدت الجمعية الملكية الفلكية إلى كلايد وسام جاكسون جويلت، أعلى الأوسمة الفلكية التى ينشدها العلماء، إلا أن المنحة التى كان لها أعظم مقام فى نفس كلايد كانت هى جائزة إدوين إمرى سلوسن العالمية التى تمنحها جامعة كنساس. فهذه الجائزة تعنى أنه يستطيع الآن أن يظفر بالدراسة الجامعية التى عجز عن الظفر بها لفقره — إنها فرصة تهيئ له التمكن من الرياضيات العليا، وهى الأداة اللازمة لكل فلكى. فمضى يدرس فى الجامعة شتاء، ويعمل فى المرصد صيفاً، فنال درجة بكلوريوس ثم درجة أستاذ.

وعزم على أن يكمل العمل الذى بدأه بالبحث عن السيار بلوتو، بتصوير كل جرم سماوى من القدر السابع عشر فما فوق، وأن يفحص هذه الصور. وهذا عمل يشمل ألفى صورة وستين مليون نجم. وقد أنجز هذا العمل الضخم فى الصيف الماضى، فأسفر عن كشف مذنب جديد، وعنقود كرى من النجوم، وخمسة عناقيد من المجرات. وقد أبانت الصور عن خمسة آلاف نجم متغير، وعشرين ألف سديم حلزونى، عشرات منها لم تكن معروفة.

وقد زرت كلايد فى فلاجستاف منذ عهد قريب، فلم أجده قد تغير تغيراً يذكر عما كان عليه حين رأيته فى مزرعة والده.

ومشروعاته كثيرة ، فهو يعتقــد أنه يجوز أن تكون هناك سيارات أخرى فى الفضاء المجهول وراء بلوتو . وقد يكون فى وسع نوع جديد من المناظير ، يصنع الآن ، أن يكشفها . وهل سمعت أن الأرصاد الحديثة تشير إلى وجود سـيارات غير منظورة ، كأرضنا ، تدورحول أحد النجوم القريبة ؟ قال : « إن شمسنا واحدة فى بلايين العوالم المماثلة له . فماذا يمنع أن تكون هناك حياة على كثير من هذه السيارات ؟ » .

وصعدنا فى تلك الليلة إلى المرصد ، ووجه منظاره الـكبير إلى قرص المريخ الأحمر ، وكان على مقربة منا رسم قد رسمــه كلايد سنة ١٩٤١ وبين فيه أربعين قناة وخمس عشرة واحــدة على سطح المريخ — وهو من أتم الرسوم التى من نوعه . ولا يزال كلايد يدرس المريخ ويرجو أن يتوسع فى بعض نظرياته عن الحياة على سطحه .

ولما حــدقت فى تلك الدائرة الحمـراء تملــكنى شعور الرهبة ، فقد وجــد كلايد عالما جديداً ، وهو الآن يرجو أن يثبت وجود الحيــاة على عالم آخر . لقــد أثبت ابن الفلاح الفقير أن الشجاعة والإخلاص للعمل يأتيان بالمعجزات .



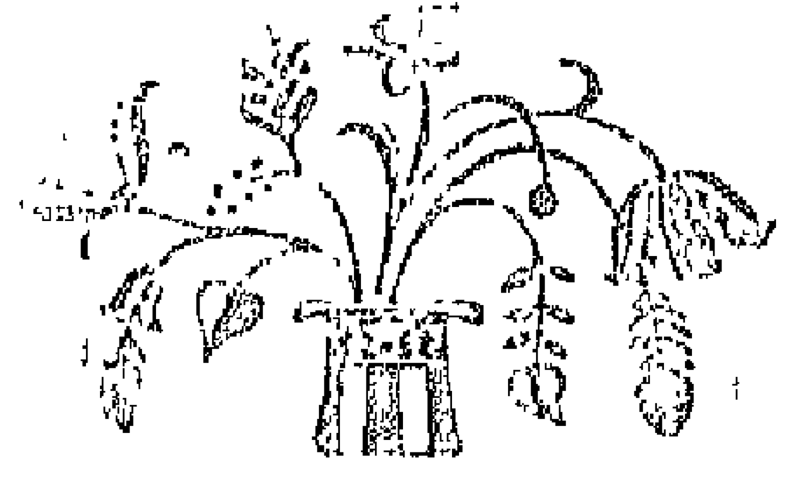
منطق النساء

مضت سنوات ونحن زوجان سعيدان ، لا نعانى مشكلات الخلاف والضجر التى يعانيها الزوجان عادة ، ولــكننى وجدت زوجتى ذات صباح مقطبة سريعة الفزز فقلت: «ما بالك ؟» . فأبت أولا أن تخبرنى ، ولــكنها التفتت إلى بعد حين وهى تنشج ، والدموع تنهمر مــن عينيها وقالت : « إذا رأيتك ثانية فى الحــلم تقبل امرأة أخرى فلن أكلمك مدى الحياة » . [دنفر بوست]



سـئلت فتاة جميلة فى امتحان تؤديه لمنصب عام : « إذا ابتاع رجل قبعة بـ ١٢ ريالا و ٢٥ مليما وباعها بـ ٩ ريالات و ٧٥ مليما ، أتكون صفقة خاسرة أم رابحة ؟ » ففكرت الفتاة الجميلة حيناً تفكيراً عميقاً ، ثم أجابت : «يربح فى الملاليم ويخسر فى الريالات » . [مجـلة « فاجابوند »]

أبطال الباحثين عن النبات



« سيظل الفلاح الأمريكي مديناً إلى الأبد لمكتشفي البذور من رجال وزارة الزراعة الأمريكية »

دونالد كالروس بيتي

ملخصة عن مجلة " بيل "

في سنة ١٨٧٠، عثر أحد رجال البعثة الدينية في « باهيا » بالبرازيل على نوع من البرتقال، كبير الحجم، غزير الماء، لا بزر له، فأرسل ست شجيرات إلى وزارة الزراعة بوشنطن. وقد أهديت اثنتان منها إلى زوجين من الفلاحين مهاجرين إلى ريفرسايد، في ولاية كاليفورنيا، فما هو إلا عشرون سنة حتى خفت كاليفورنيا مبتهجة تنبىء أمريكا أن هذا النوع الجديد من البرتقال «أبو سرة» قد أدر على خزانتها من الأموال ما يزيد على نفقات الوزارة منذ إنشائها.

وهذا العمل الموفق مهد الطريق لاجتلاب نباتات جديدة. فمن كان يخطر بباله يومئذ، أي ربح يحتمل أن تجنيه المزارع والبساتين، من نباتات نامية غير معروفة، في بلاد نائية؟

وفي أحد أيام العقد الأخير من القرن الماضي، دخل شاب من كانساس، هو الدكتور دافيد فيرتشايلد، مكتب جيمز ولسون وزير الزراعة، واقترح عليه أن ينشىء هيئة من النباتيين يجوبون أنحاء الأرض بحثاً عن محاصيل جديدة. فبدا هذا الاقتراح للوزير الشيخ المحنك ضرباً من الأحلام — وما أنفعه من حلم!

ولم يجد الوزير يومئذ من يرشحه إلا «ن. ا. هانسن» الدانماركي الأصل، أحد أبناء منطقة إنتاج القمح، وإلا أن يعرض على فيرتشايلد نفسه مكتبا صغيراً في سطح دار الوزارة المبنية بالآجر، واتخذوا جرناً مهجوراً جعلوه مخزناً للبزور وعُقَل النبات.

وهكذا كان بدء قسم هو أروع أقسام الوزارة أعمالا، أما الآن فإن قسم كشف النباتات واجتلابها قد طبقت شهرته الخافقين، من رأس الرجاء الصالح إلى لندن، ومن جاوة إلى ريو دي جانيرو.

وقد ظل هانسن سنين يجوب أرجاء روسيا وسيبريا وتركستان وفنلندة والقوقاز وماوراء القوقاز والصين واليابان ومنشوريا، فجمع الضرب الصمول (الذي لا يؤثر فيه البرد) من البرقوق والكمثرى والتفاح، الذي يصلح أن يزرع في الولايات الأمريكية الشمالية، ونوعاً من ذرة المكانس يصلح في "الولايات الجافة، وحفنة من بذور البرسيم الحجازي

التى أتى بها من القوقاز فانتشرت فى ولايات المراعى الفسيحة .

وقد طوّف الدكتور فيرتشايلد نفسه فى أنحاء المعمورة مرة بعد أخرى ، وإنه لإمام من أئمة البحث عن النبات ، على أن ميزته الكبرى كانت هى قدرته على اختيار الرجال . فإن أعلام الباحثين عن النبات أندر وجوداً من أى نبات نادر وجدوه ، فمثل هذا الرجل ينبغى أن يكون نباتيا خبيراً ، وزارعاً مجرّباً ، وقادراً على قطع البراعم التى تظل حية صالحة للزراعة ، وعلى تدبير حفظ البذور فلا تموت ولا تنبت خلال نقلها فى المناطق الباردة أو الحارة . وينبغى أن يكون ممن يحسن مقابلة الأمير والفلاح على السواء وأن يكون قويا ، والأفضل أن يكون شابا طيّع اللسان فى تعلم اللغات ، وينبغى أن يكون سريع الإدراك فيتبين فى ثمرة أو حبة أو شجرة ، نباتاً يضيف ثروة جديدة إلى الحقول والبساتين ، سواء أكان فى سهول الصين أم فى منحدرات الأند .

وقد عثر فيرتشايلد ، فى حديقة النبات بسانت لويس ، على رجل هولاندى ربعة جرىء القلب هو «فرانك ن. ماير» ، ولما كانت الحاجة ماسة يومئذ إلى محاصيل متنوعة للمنطقة الشمالية الغربية الجافة ، فقد بعث ماير إلى المناطق التى تماثلها إقليما وتربة فى الصين ومنغوليا ، وتركستان، ومنشوريا ، وقد استغرقت رحلاته الأربع ١١ عاماً .

وقد لقى ماير عنتا كبيراً من شغب الجماهير ، وقبض عليه ، وهاجمه قطاع الطرق وتخلى عنه أدلاؤه ، ومع ذلك فقد ظل تطوحه ظهور الإبل وترجّه زوارق الأنهار ، حتى استطاع أن يجلب من تلك البلاد إلى بلاده كنوزاً نامية من أمثال الكريز الذى يزهر مبكراً ، والورد الأصفر الصّمول ، والكرنب الذى لا رائحة له ، وأنواع الكمثرى والكستناء قليلة العطب . على أن أعظم هدية قدمها ماير إلى أمريكا ، هى أشجار الغرغار المنغولى التى تسبغ الآن ظلها الظليل على أفنية آلاف المنازل فى البرارى الأمريكية وتكسر حدة الرياح اللافحة فى السهول العارية حيث يقتل البرد غرغار نيو إنجلاند أو يذويه الجفاف . وستظل هذه الأشجار تذكاراً خالداً لماير الذى غرق فى نهر يانج تسى بالصين .

أما « مارك كارليتون » فقد قصد روسيا باحثا عن أنواع من الحبوب الصاملة ، فوجد فى سهول الكرج القمح الصلب الذى انتشر الآن فى المناطق القليلة الأمطار فى أمريكا . وقد أدرّ قمح كارليتون الملايين على الفلاحين الأمريكيين ، وأما هو فقد مات فقيراً معدما غريبا عن وطنه .

وقد عثر فيرتشايلد أيضا على « ولسون بوبينو » ولما يزل فى العشرين من عمره ، ومع ذلك فقد كان نباتيا بارعا ومستكشفا مجرّبا . وكانت ثمار « الزبدية » لا تكاد تجد إقبالا فى السوق ، وكان زارعوها فى حاجة إلى سلالات ممتازة منها ، فأرسل بوبينو إلى جواتيمالا والمكسيك حيث كان الهنود الأمريكيون يجتهدون فى تحسين سلالات الزبدية من قبل عهد كولمبس . فأجاد بوبينو لغاتهم ، وترفق معهم حتى أخذ عُقلا مختارة من أشجار ربّاها أصحابها الضنينون بها . فأفاد هذا الطعم الجديد ، إذ حسّن نكهة ثمار « الزبدية » فلما اضطر زراع هذه الفاكهة إلى أن يحرسوا بساتينهم من اللصوص ، عرفوا يومئذ أنهم بلغوا مدرجة النجاح .

فلما أرادت الوزارة أن تظفر بأنواع ممتازة من البلح قضى رجالها ثلاثين سنة يجوبون واحات الجزائر وتونس ومصر ومزارع البلح القديمة فى العراق والجزيرة العربية . وكانت العاقبة أن أصبحت الصحارى المحرقة بأريزونا وكاليفورنيا ناضرة بباسقات النخل التى تؤتى ثمارا كانت تحملها السفن إلى أمريكا فى سالف الأيام .

فلما كانت سنة ١٩٠٤ ، ورأى فيرتشايلد اهتمام رجال الصناعة الأمريكية بزيت التنج هبّ ليستورد بذور شجرته من الصين ، ولما كان هذا الزيت يستعمل فى تحضير أنواع الورنيش اليابس والمينا السريعة الجفاف ، ودهان السيارات والشمعات التى تبسط على الأرض ، فقد استوردت أمريكا ١٧٥,٠٠٠,٠٠٠ رطل فى سنة ١٩٣٧ ، تقدر قيمتها بمبلغ ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال . ثم أوصد اليابانيون موانئ الصين ، فامتنع ورود هذا الزيت إلى أمريكا ، ولكن بذور الدكتور فيرتشايلد كانت قد تحولت إلى مزارع عظيمة ، وأصبح زيت التنج محصولا رئيسيا فى الجنوب .

أما معجزة الزراعة الأمريكية فهو نبات فول الصويا ، الذى أصبح أحد المحاصيل الصناعية الرئيسية بفضل جهود هذا القسم ، فقد أرسل «ماير» النافذ البصر، أول بذوره الغنية بالزيت من الصين إلى أمريكا . ثم طاف « هوارد دورسيت » والدكتور «و. ج. مورس» أرجاء منشوريا ، وكانت الرحلة فيها يومئذ شديدة الخطر ، وأرسلا إلى أمريكا آلاف الشحن فى السفن من فول الصويا ، حتى باتت قيمة المحصول الأمريكى السنوى ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال .

ولما ذاعت شهرة هذا القسم لجأ اليه مربو النبات والفلاحون يطلبون المعونة فإذا ظهرت آفة بكتيرية تسبب ذبول البرسيم

الحجازى ، سارع الخبراء إلى تركستان ، وهى موطن البرسيم الحجازى البرى ، ليبحثوا عن سلالات جديدة سليمة . وإذا نزلت بالبصل حشرة ما ، جال رواد هذا القسم فى أنحاء آسيا الوسطى موطن البصل البرى للبحث عن أنواع قوية المناعة ، فأدركوا النجاح .

ولم تقتصر أعماله على المحاصيل الجديدة ، بل تعدتها إلى القديمة ، فقد انتشرت زراعة القطن فى الصحارى الجنوبية الغربية فى أمريكا ، بفضل جهود « توماس كيرنى » الذى اعتزل عمله أخيراً بعد خدمة دامت خمسين عاماً . وقد جلب فيرتشايلد نفسه من مصر قطناً طويل التيلة يلائم جو أريزونا وتربتها ، وقد حسّنه كيرنى بعد عشرات من السنين انقضت فى تجارب التوليد والكشف فى مصر . وقد أحضر رواد النبات قطن « أكالا » العجيب من المكسيك ، ذلك القطن الذى بلغ الغاية فى المحصول الذى يجنى من الفدان الواحد ، وقد جادت زراعته فى ٣٥٠,٠٠٠ فدان تزرع بالرى بكاليفورنيا ، ويرسل منه إلى الغزالين ٥٠٠,٠٠٠ بالة كل سنة . وقد أحضر « س . ا . ناب » سلالات من أرز الأراضى المرتفعة باليابان ، بعث حياة جديدة فى زراعة الأرز وصناعته فى أمريكا ، وقد قضت أمريكا ثلاثين سنة تحسن هذه السلالات حتى جاء يوم فكانت السفن اليابانية تمخر البحر إلى تكساس لتشترى الأرز من أمريكا .

إن النباتات الجديدة لا تجلب إلى أمريكا وحسب ، بل تصدر منها أيضاً مقادير كبيرة ، وقد لبت أمريكا طلب الدول الصديقة فأخذت تصدر البذور والعقل بلا قيد كما تستوردها .

ومن النادر أن تجد فى أمريكا محصولا لا يرجع الفضل فى تحسينه إلى اجتلاب ضروب النبات ، فبرسيم « لادينو » ، والخيزران الهندى ، والمانجو ، وعشب السيفون ، وعشب باهيا — كل هذه ليست إلا حفنة من ١٤٠,٠٠٠ صنف من النبات اجتلبها هذا القسم إلى الولايات المتحدة .

وللوزارة أربعة مراكز لتوطين النباتات الأجنبية ، يرسل منها القسم إلى أرجاء البلاد تلك النباتات التى نجح فى توطينها فى أمريكا . ومثل هذه النباتات التى بذل الجهد الجهيد فى استيرادها ، ثم زرعت وربيت تحت إشراف العلماء الدقيق ، ترسل أولا إلى خبراء حقول التجارب التى تديرها الولايات ، أو الهيئات التابعة لوزارة الزراعة . وبعد أن يختبر هذا النبات المهاجر ، وربما دخله التحسين ، يوزع على المزارعين .

ثم يعود القسم فيولى وجهه شطر البلاد الأجنبية ، باحثاً عن حبوب وخضر أصلح أو عن أشجار وثمار جديدة .



تسعة ملايين سيارة جديدة

ما هى أنواع السيارات التى ستقدمها الصناعة عند تحولها ، فتغذى بها السوق الرائجة بعد الحرب.

ملخصة عن مجلة "فورتشن"

ترقب الآن دوائر صناعة السيارات الأمريكية رواجاً لمصنوعاتها بعد الحرب لم يسبق له مثيل زمن السلم ، فقد احتشدت حاجة الناس إلى تسعة ملايين سيارة للركوب، يضاف إليها طلبات المستقبل. فحين وقف إنتاج السيارات فى أوائل سنة ١٩٤٢، كان فى الولايات المتحدة نحو ٢٦،٥٠٠،٠٠٠ سيارة للركوب . ورجال صناعة السيارات متفقون على أن ستة ملايين ونصف مليون من أصحاب هذه السيارات سيغدون فى أول يوليو ١٩٤٥ بغير سيارات ، وأن ثمانية ملايين آخرين سيغدون أصحاب سيارات عتيقة يزيد عمرها على ٧ سنوات ونصف . وقد أسفر البحث عن أن معظم هؤلاء سيقبل على شراء السيارات الجديدة يوم يتاح له ذلك ، ثم إن مليوناً ممن كان يستخدم سيارات النقل سيصبح مفتقراً إليها . ولا تنقضى سنة ١٩٤٤ حتى يكون المال الموفر قريباً من مئة ألف مليون ريال ، وسيكون فى أيدى أناس لم تركبهم الديون، وهم يريدون شراء سيارة قبل شراء أى شىء آخر .

ويكاد يتفق جميع المشتغلين بصناعة السيارات الأمريكية على أن أربعة ملايين ونصف مليون سيارة ستصنع فى السنة الاولى من الإنتاج الكامل . وهذا أقل عدد مرتقب ، وهو يعدل أقصى ما صنع قبل فى عام واحد ، أى فى سنة ١٩٢٩ . وحتى أولئك الذين يفخرون بأنهم يقدرون الأمور بميزان الحقيقة الواقعة ، يتوقعون أن يرتفع الإنتاج السنوى إلى ستة ملايين، ويرون أن صناعة السيارات تستقبل عهداً زاهراً فتنتج وتبيع أكثر من ٢٠ مليون سيارة ركوب فى السنوات الخمس التى تلى الحرب .

ولذلك تجد مشكلة تحويل المصانع من الإنتاج الحربى إلى إنتاج السلم مستأثراً باهتمام كبار المديرين فى مصانع السيارات ، فهم يحاولون أن يتجنبوا أن يفاجئهم زمن السلم غير متأهبين كما حدث بعد الحرب الماضية . ويقلق هؤلاء المديرين أن تبقى الكثرة من العمال الأصليين فى مصانع السيارات متعطلة مدة من الزمن فى مدينة متحفزة كديترويت أكثر مما يقلق النقابات أو العمال أنفسهم .

وترى دوائر صناعة السيارات أن فترة التحول ينبغى أن لا تستغرق أكثر من ستة أشهر ، ولكنها لا تغفل أن تقول دائماً : إن ذلك يتوقف على ما تفعله الحكومة

فى وشـنطن . على أن هنرى فورد وحده يخالفهم ، إذ قرر فى شىء من التفاؤل أنه سيتحول إلى إنتاج السيارات خلال شهر واحد بعد أن يؤذّن بانتهاء الحرب .

وتعمل جميع الشركات ، ما عدا «ناش» و « هدسون » و « ويليس » ، فى مصانع جديدة تملكها الحكومة ، وجميعها تقع فى مناطق مناسبة ، وتصلح لصنع السيارات . وطبيعى أن يؤثر الجميع العمل فى المصانع الجديدة على العمل فى القديمة . ويلوح أن صناعة السيارات ستظفر من الحرب بمصانع جديدة أفضل من مصانعها قبـل الحرب ، دون أن تقتضيها نفقة كبيرة ، وستظفر أيضاً بأكبر سوق لمصنوعاتها فى التاريخ .

فماذا أعدت لهذه السوق ؟

ستكون السيارات الأولى من طراز ١٩٤٢ بعـد أن تعدّل تعديلا بسيطاً ، إذ لن يتيسر لأحد من رجال الصناعة أن يعد القوالب والأدوات اللازمة لإنتاج طراز جديد فى حينه ، دون أن يفوته نيل نصيبه من المواد التى توزع يومئذ للإنتاج فى زمن السلم . ولذلك يلوح أن سـيارة المستقبل ستتدرج فى النمو تدرجاً بطيئاً .

إلا أنه سيكون هناك طراز جديد واحد هو سـيارة « الجيب » ، فبعد أن تجرد من كثير من مميزاتها العسكرية ، تصبح أخف وزناً ، ويستبدل جهاز آخر بجهاز توصـيل القوة المحـركة . وتعتقد شركة « ويليس أوفرلاند » ، التى صنعت أكثر من نصف سيارات الجيب المستعملة فى الحرب الآن والبـالغ عـددها ٤٠٠ ألف ، أن الراغبين فى استخدام سيارة نقل أو جرارة خفيفة أو سـيارة ركوب صغيرة أو جهاز لتوليد قوة محركة ، سيقتنون هذه السيارة المجهزة بمحرك ذى أربع أسـطوانات . أما شركة فورد ، التى صنعت جلّ العـدد الباقى ، فإنها تخرجها من حسابها ، وتزعم أن جهاز توصيل القوة المحركة فيها لن يحتمل الجهـد الذى يبذل فى حرث الأرض حرثاً شـديداً ، أكثر من خمس ساعات أو عشر ساعات دون أن يتلف .

وشركتا « ويليس » و « كروسـلى » - وحدهما تتعهدان فـكرة صنع سيارة أصغر حجما وأرخص ثمناً من سيارات «شيفروليه» و « فورد » و « بليموث » ، فتؤكدان أنه يمكن أن تـكون مربحة طيّعة ، ثم تصرّان على أن الفرصة ستتاح لها فى السوق خلال السنوات الأولى التالية للحرب ، حين تكون السيارات المستعملة المعروضة قليلة ، فالرجل الذى يدفعه الزهو عادة إلى تفضيل سيارة كبيرة مستعملة على أخرى صـغيرة جديدة مضطر حينئذ أن يشترى الصغيرة .

وقد أجمع المهندسون على أن السيارات الجديدة ستكون أخف وزناً ، وأن وزنها سيخف رويداً رويداً عاماً بعد عام . ويراد الآن صنع سيارة وزنها ٢٠٠٠ رطل ، بها فراغ يعادل الفراغ الذى فى الأصناف الثلاثة المفضلة من السيارات ، إن لم يزد عليه ، وقد نظفر بمثل هذه السيارات بعد ثلاث سنوات . ويراد كذلك صنع المحرك المرتفع الضغط الذى تجهز به ، فيزود بوقود عالى الطاقة (٩٠ أوكتين) فيوفر على صاحبها ، إذا لم يزد ثمنه ، من ٣٠ إلى ٢٥ فى المئة من نفقة الوقود . وجميع الشركات تتعهد الآن تحسين جهاز رخيص غير معقد لتغيير تروس السرعة تغييراً آليًّا .

وسينفسح مجال الرؤية أمام سائق هذه السيارة وركابها بأن يرفع مستوى المقعد ، ويقلل عرض الأعمدة التى يثبت فيها زجاج النوافذ ، ثم بتوسيع النافذة الخلفية . وستجهز السيارة على الأرجح ببايات من المطاط المنفوخ فى كل عجلة على حدة . وربما يصبح من الممكن نقل محل المحرك إلى مؤخر السيارة خلال خمس سنوات .

فإذا وضع المحرك فى مؤخر السيارة أصبح داخلها أفسح ، إذ يتسنى أن يكون سطحها عالياً ، لأن الاستغناء عن عامود نقل القوة المحركة يسمح بخفض مستوى المقاعد . ثم إن تقليل حجم الغطاء الأمامى للمحرك ، سيفسح من مجال الرؤية ، أما صوت المحرك والحرارة ورائحة الوقود فتنساب وراء الركاب مبتعدة عنهم . وستتنفس الشركات ارتياحاً إذا أبدى الجمهور رغبة فى اقتناء سيارات ذوات محركات خلفية ، إذ تصبح السيارات ذوات المحركات الأمامية فى طريق الزوال . وإن النشاط فى مصانع السيارات ليرتبط بالرغبة عن الأنواع الزائلة .

ويتوقع رجال صناعة السيارات ، إذا استثنينا فورد ، أن تكون الأثمان أعلى من أثمان سنة ١٩٤٢ بمقدار ١٥ إلى ٤٠ فى المئة ، فقد أعلنت مجلة « موتور » أن ثمن الجملة للسيارة من طراز شيفروليه أو بليموث أو فورد ربما كان ١٢٠٠ ريال . فإذا أضيفت إليها نفقات الشحن وعمولة التاجر البالغة ٢٥ ٪ ، بلغت الزيادة ٦٠ ٪ من أسعار التجزئة فى سنة ١٩٤٢

وترى دوائر الصناعة أن أسباب رفع الأثمان ، هى ارتفاع أجور العمال وما ينتظر من ارتفاع حادّ فى أسعار المواد الأولية حين تزول قيود التسعيرة . وهذا التعليل يزعج نقابة عمال مصانع السيارات التى لا تريد أن يُنحى باللائمة على العمال ، فهى تؤكد أن الزيادة فى أجور العمل الأساسية إنما هى ١٤ فى المئة لا غير ، وأن الزيادة فى

أثمان المواد لم تتعد ٦ فى المئة ، وأن تقدم الفن الصناعى ثم التحسين الذى طرأ على تصميمات المصانع كفيلان بتعويض هاتين الزيادتين .

ودوائر صناعة السيارات لا يفزعها ما يشاع عن احتمال تحول شركات الطيران أو هنرى كايزر إلى صناعة السيارات ، فهى تعلم أنه لا بد من ستة أشهر لوضع تصميم سيارة جديدة ، وستة أشهر أخرى لصنع بضع سيارات للتجربة ، ثم سنة كاملة للشروع فى إنتاجها . وإن هذه الدوائر لعلى ثقة بأن تقدمها سنتين على أى منافس جديد يسمح لها بالتفوق كل التفوق على أى مجهود يبذله .

أما أن تتأثر صناعة السيارات بمنافسة الطائرات الصغيرة أو الهليكوبترات ، فإن رجال السيارات يقولون إنهم لن يعيروا هذا الموضوع اهتماما ما قبل عشر سنين أو أكثر .



حراس الأغذية والأدوية

« لا ينى مفتشو الأغذية والأدوية فى الولايات المتحدة لحظة عن حماية القوم من المنتجات الخطرة والمنتجين المهملين »

بول و. كيرن — ملخصة عن مجلة « ذى بروجريسف »

هب أن محلولا من محاليل تجعيد الشعر ظهر فى السوق فآذى مستعمليه أذى شديداً او قتلهم ، أو أن صبغة لتزجيج الحواجب راجت فأعمت قوماً لم يخطر لهم ضررها على بال ، أو أن شحنة من طعام الأطفال تحوى فاكهة فاسدة ، أوعقاراً من عقاقير السلفا سىء الصنع تسرب إلى الناس فساق ١٠٥ من المساكين إلى موت أليم — فمن هم عمال الحكومة الذين يحمون الجمهور من هذه الشرور ؟

إنهم مفتشو إدارة الأغذية والعقاقير وعلماؤها الذين يكدحون . فقد فحص أولئك الرجال فى العام الماضى فوق ٥٦٫٠٠٠ نموذج من الأغذية والعقاقير ومواد التجميل ، وأدانوا ، أو منعوا من التداول ، أو صادروا منتجات أكثر من ٣٠٠٠ تاجر من تجار البضائع المغشوشة أو الضارة . وهم يضبطون فى الشهر العادى أكثر من مئة شحنة من الأطعمة الملوثة أو القذرة ، فيحيلونها إلى القضاء لمحاكمة أصحابها إذا

دعت الضرورة . وقد رفعوا ٥٦٠ دعوى في المحاكم في باب منتجات الحبوب وحدها خلال السنة المالية ١٩٤٢ — ١٩٤٣

وفي رقابة هؤلاء الحراس على الأطعمة والعقاقير تستوى الشركة الضخمة ، وربة البيت المتواضع التي تخبز في بيتها لتجمع القليل من المال . فقبيل عيد الميلاد في العام الماضي وفد على مقر الإدارة في وشنطن طبيب يحمل قطعة من الكعك المحشو بقطع الفاكهة أهدتها إليه مريضة من مرضاه آية على اعترافها بالجميل ، فكادت تقضى على زوجه وعلى اثنين من ضيوفه .

فلما حللت هذه القطعة وجد بها زرنيخ ، فاندفع المفتشون من فورهم إلى بيت هذه المرأة ، فقالت لهم : « أجل لقد صنعت هذه الفطيرة ، وخمساً أخرى بعتها للجيران . فاستعادوا بالتلفون أربعاً منها لم تمس ، ولكن الخامسة كانت قد باعتها إلى « المرأة التي تطوف بالحي تبيع خلاصة الفانيليا » وكانت تجهل اسمها ، فاستدلوا من الرقعة المكتوبة على قارورة الفانيليا على اسم الصانع وعنوانه .

وخوطب المصنع بالتلفون فاتضح أن الوكيل المحلي هو وحده الذي يعرف أسماء من استأجرهن للبيع من النساء ، وأن هذا الوكيل في طريقه ليقضي إجازته على بعد ٢٠٠٠ ميل . وأصبح لزاماً على المفتشين أن يطوفوا بالمنازل منزلا منزلا حتى عثروا بعميلة تذكرت أنها سمعت من البائعة الجوالة — التي لم يزل اسمها مجهولا — أن لها أخاً في بيلي كروس رودز بولاية فرجينيا .

وعادوا إلى الطواف بالمنازل واحداً بعد واحد في بيلي كروس رودز حتى وجدوا رجلا تبيع أخته خلاصة الفانيليا ، ولكن هذه الأخت قد سافرت في إجازتها . وأين الكعكة المحشوة بقطع الفاكهة ؟ .. أجل لقد أرسلتها إلى ابن أخت لها في كندا !

وكان لها في كندا على مايظهر ثلاثة أبناء أخوات لا يعلم أين يعيش أحد منهم ، ووجد المفتشون في المخلفات الشخصية للخالة رسائل من ثلاثة عناوين في كندا ، وفي مكان منها وجد مفتشو كندا الكعكة لا تزال كاملة .

وخلال هذا كان مفتشون آخرون يستجوبون أسرة صانعة الكعك ، فأقسموا جميعاً أن المنزل لم يدخله الزرنيخ قط ، ولكن عند ما اختبر الدقيق في المطبخ وجد به قدر وسط من الزرنيخ .

وحصوا الدقيق عند بائع الجملة الذي تشترى منه ، ثم عند بائع التجزئة ، ولكن دقيقهما كان فوق الظنون ، فعادوا حيارى إلى المنزل يقلبونه رأساً على عقب ، وكاد بحثهم يذهب سدى لولا أن وجد أحدهم وهو ينكت القمامة في ساحة المنزل ، ورقة

جافة بها آثار مسحوق يحتوى على الزرنيخ.
كان هـذا المسحوق ذروراً زرنيخياً قاتلا للحشرات اشترى جملة من الصيدلى المحلى ، وبقيت منه على ما يبدو بقية لم تستعمل فى الحديقة فرماها طفل فى قدر الدقيق. وبفضل هذا العمل الناصب السريع أنقذت اثنتا عشرة حياة كانت قمينة أن تموت .

ولعل أبرز مهمة أداها هـذا المكتب تلك التى اقترنت بمركب السلفانيلاميد الذى بلغت الوفيات المعروفة الناشئة منه ١٠٥ ، وقد وزعت منه ٦٣٣ شحنة تختلف زنة كل منها من ثمن جالون إلى جالون كامل ، وقد صدرت من أربعة فروع للمصنع ، وانتشرت من طرف الدولة إلى طرفها الآخر ، يضاف إليها ٦٧١ نموذجاً أرسلت إلى الأطباء فى حوالى ستة أسابيع .

وكان لزاماً أن يقتفى على عجل أثر كل هذا بين تجار الجملة ، وباعة التجزئة ، ومخازن الأدوية ، والأطباء ، والمرضى ، فاستجوب أكثر من ٢٠٠ بائع ، وأرسلت ١١٠٠ برقية أو تزيد ، وجردت قوة المفتشين العاملة كلها ، والمؤلفة من ٢٣٩ مفتشاً وكيميائياً ، تعمل ليل نهار وتستمد العون السخى من ألوف من حراس الأطعمة والعقاقير ورجال الصحة ، ومن النذر تنشرها الصحف ومحطات الإذاعة .

ووجد المفتشون فى مدينة واحدة ٤٩ وصفة طبية قد حضرت من إحدى شحنات الدواء المريب ، تحمل إحداها اسم ويلى سميث ، وما من دليل على إثبات شخصيته إلا ورود اسمه فى قائمة الذين تسعفهم الحكومة بالمال مع خمسة آخرين من أسرته فوجب تتبع كل منهم قبل استرداد الدواء الموصوف. وفى مدينـة أخرى اقتضى الأمر فحص ٢٠٫٠٠٠ صفقة فى مخزن من مخازن بيع العقاقير بالجملة لتقصى كل منها على حدة .

ولقـد تحسب أن مكتب التفتيش يظفر بالعون خالصاً من الأطباء وباعة العقاقير ، ولكن الأمر ليس كذلك على الدوام . ففى قضية السلفا قال أحـد أطباء كارولينا الجنوبية للمفتش إنه صرف الدواء لخمسة من المرضى لم يمت منهم أحـد ، فوجد المفتش بعد التحرى من مصادر أخرى أن أربعـة من هؤلاء المرضى قد ماتوا ، واتضح من البحث أن ثمة وفاة حديثـة متسمة بجميع سمات الموت بهـذا العقار . وكان المتوفى زنجياً ، فلما استجوب المفتش أسرته أنبأوه أن جميع الأدوية والأكواب والملاعق وسواها من أدوات المريض قد وضعت على قبره كما تقضى تقاليدهم ، وهناك ألفى المفتش قارورة بقيت فيها بقية من العقار وعلى القارورة بطاقة ما يزال اسم الطبيب ظاهراً عليها .

كلا ولا شركات العقاقير نفسها تبذل العون للمفتشين ، فإن إحدى هذه الشركات المعروفة فى كافة أنحاء البلاد ، والمتهمة ببيع آلاف من أقراص السلفاتيازول «المغشوش أو المدخول» تلكأت فى سحب العقار من السوق ، فاضطر المكتب أن يرفع أمرها للقضاء ، وأن يحصل على تأييد لتصرفاته ضد الشركة ، وحكم بتغريمها .

ولا يجد رجال المكتب ، وعددهم ٩٠٠ ، لحظة فراغ ، فإن لم يشغلهم شاغل له من الخطر ما «لشراب الزنجبيل» — الذى أحدث فى حوالى ١٥٫٠٠٠ شخص نوعاً من أنواع الشلل ، أو لذلك المجمّل المروع المسمى «بفتنة الأهداب» والذى أحال من استعمله من الفتيات الجميلات إلى عجائز عمياوات — شغلتهم شواغل ألطف منها «كالشاي الأخضر» المصنوع من قصاصات الحشيش ، أو «زيت الزيتون الطليانى النقى» المتخذ من أى نوع من ٢٠ نوعاً من الزيوت الدنيا ، أو «عصيدة الطماطم» المصنوعة من الفاكهة الفاسدة ، أو السمك الذى دب فيه التعفن ، أو حبوب الفيتامين التى يؤدى استعمالها إلى الإصابة السريعة بأمراض نقص الفيتامين ، أو الخبز المعزز بالفيتامين الذى لم يعزّز بشىء . وترتفع الغرامة فى مثل هذه الأحوال إلى ٥٠٠٠ ريال .

ولهذا يُمد المركز الرئيسى لأولئك الحراس فى وشنطن بما يساوى ١٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال من الأجهزة العلمية والآلات الفنية ، وتقوم عليه هيئة من الموظفين المجتهدين تتألف من علماء فى علوم الجراثيم ، والأقرباذين ، والكيمياء التحليلية ، والحياة ، وسواهم من المساعدين الفنيين المختصين ، وحين يقيمون الدليل على متهم يظل هذا الدليل قائماً لا ينهار !

وفى مقدمة مهامّ المكتب فحص كل عقار جديد يظهر فى السوق قبل التصريح بالاتجار فيه ، ويبلغ معدل ظهور هذه العقاقير ١٢٥ عقاراً كل شهر . وتلك يد بيضاء لقانون الأغذية والعقاقير الجديد الذى صدر متأخراً فى سنة ١٩٣٨ من جراء مأساة السلفانيلاميد .

وحراس الأطعمة والعقاقير هم كذلك أول من يلبى النداء فى حوادث الفيضان والحريق ، وسواها من الفواجع الكبرى التى قد ينشأ عنها تلويث الأطعمة . فالمجارى تطفح عادة فى زمن الفيضان ، فتصاب من ذلك مواد التموين فى الأفنية الجانبية بالمحطات وفى المخازن والمستودعات الأرضية . وقد اقتضى الأمر فى لويزفيل مصادرة ما تفوق قيمته مليون ريال من الطعام وإعدامه ، عقب الفيضان الكبير الذى حدث منذ بضع سنوات .

ووجـد المفتشون في مدينة سنسناتي عدة أحمـال من البن يغشاها الحمأ ، وصاحبها يحاول أن يستنقذها ويعدّها للبيع .

ويذهب صناع الأطعمة وباعتها إلى مدى بعيد في مكافحة مصادرة بضائعهم ، فذات مرة أعدمت شحنة من مربى التـين وجدت تزخر بيرقات الذباب ، فرفع صاحبها أمره إلى القضاء وخسر دعواه ، فقـال محاميه للقاضي عندئذ : « نحن على ثقة أن القانون يبيح لنا بيع هذه المربى لاستعماله في غير أغراض الغذاء ، فصناع طباق المضغ يستعملون مقادير كبيرة من هـذه المربى ، ومادام طباق المضغ لا يمكن تعريفه بأنه طعام ، فنلتمس الإذن بالإفراج عن هـذه الشحنة لاستعمالها في هذه التجارة » .

ونظر القاضي إليه شزراً وأطال ، ثم بصق بصقة قوية من عصير الطباق في مبصقته وقال : « الالتماس مرفوض ! » .

ظل والترج . كامبـل ٣٧ عاماً رئيساً نشيطاً لهذه المؤسسة التي تضرب بعنف على أيدي المخالفين . وقد انصرف عن مكتب المحاماة المدرّ ليشغل في هـذا المكتب « وظيفـة مؤقتة » ، ثم تقاعد في مايو الماضي ، فحل محله الدكتور بول دنبار الذي كان زميله الأكبر عهداً طويلا .

وقد جمع كامبل في هذه المؤسسة أحصف الإخصائيين الذين وصلت إليهم يده ، وهم رجال يرفضون كل عام عروضاً مغرية من المصانع الخاصـة ، ثم ألف منهم فرقة تعمل متعاونة ، ولها سلطان ضخم وتبجيل عظيم .

وهناك حالة تناولت معبئي الجـبري في العلب ، أولئك الذين ظلوا سنوات في نزاع دائم مع حراس الأطعمة والعقاقير . وبعد مئات من المصادرات والقضايا خسرها جميعاً أولئك المعبئون ، اتفق الفريقان في سنة ١٩٣٤ على أن تكون تعبئة الجمبري تحت إشراف دائم من مكتب التفتيش ، على أن يساهم المعبئون في نفقات هذا الإشراف ، وتحمل كل المنتجات التي تظفر بالموافقة الدمغة الرسمية لإدارة الأطعمة والعقاقير في الولايات المتحدة. وعلى أن المصانع حرة في قبول هذا الاتفاق أو رفضه ، فإن حوالى ٩٠ في المئة من الجمبري المحفوظ المتداول الآن في أسواق الولايات المتحدة يعبأ تحت هذا الإشراف .

أما العشرة في المئة الباقية من هؤلاء الصناع وسواهم ، فإن القـانون الأساسي ما زال باسطاً عليهم ظله ، وتستطيع أن تراهن بآخر ريال في يدك على أن حراس الأغذية والعقاقير ينفذون فيهم نصوص هذا القانون جهد المستطاع .



التعاون الجبار في ولاية أوهيو

بدأ هؤلاء الزراع تعاونهم بالأسمدة ثم لم يلبث المشروع أن تفرع إلى فروع عديدة

برترام ب. فاولر

ملخصة عن مجلة " بروجرسف "

فلما وُلد مارد جبّار في مثل هذا الهدوء. ففي عام ١٩٢١ كان كل شيء يبيعه المزارع الأمريكي يباع رخيصاً، وكل شيء يشتريه غالي الثمن، وعلى الأخص الأسمدة. فاجتمع في تلك السنة قليل من المزارعين لينظروا ماذا يستطيعون أن يعملوه، فإن أصحاب الأسمدة يؤلفون جماعة منظمة. ولذلك رأى المزارعون أنه لابد أيضا أن ينظموا أنفسهم، وبادروا بإنشاء الاتحاد التعاوني الزراعي لولاية أوهيو.

ومن المؤكد أنه لم يكن أحد من الذين شهدوا الاجتماع يتوقع أن سيبلغ الاتحاد ما بلغه من الضخامة اليوم، إذ أصبح يضم ٣٥,٠٠٠ أسرة، ويشتمل على مؤسسات عظيمة للتأمين والإنتاج والبيع بالجملة وبالتجزئة. ومن وراء هذا كله نظام خاص لتعليم البالغين ممارسة الحياة كما هي.

ولقد يكون في ولايات أخرى هيئات للتعاون أكبر من هذه، إذا كانت العبرة بمقدار المال المتداول في كل منها، ولكن الاتحاد التعاوني في أوهيو يعالج نواحي من النشاط أكثر عدداً مما نجده في أية ولاية.

ولما اتحد المزارعون في أوهيو لكي يشتروا أسمدتهم جملة واحدة، رفضت شركات الأسمدة أن تبيعهم منها شيئا، فاضطروا إلى أن يجلبوا الأسمدة على المركبات من الولايات الجنوبية. أما اليوم فإن مصانع الاتحاد تنتج ٧٠,٠٠٠ طن من الأسمدة، ويشترى المكتب من الشركات الأخرى ٤٥,٠٠٠ طن، وهذا المقدار يعادل ثُمن الأسمدة التي تستخدم في ولاية أوهيو كلها.

وفي أثناء المعركة التي دارت بين الاتحاد والشركات هبط سعر الطن من السماد من ٣٤ ريالا إلى ٢١ ريالا، ولكن عاد السعر بعد ذلك فارتفع إلى ٣٤,٥ ريالا. وأسعار الاتحاد التعاوني مساوية تماما، في كل رتبة من الرتب، لأسعار المصانع الأخرى، ولكن المزارع الذي ينتمي إليه يسترد جزءاً من ماله ربحاً على الأسهم التي اكتتب بها.

وليس من سياسة الاتحاد أن يحارب الشركات الخاصة بتخفيض السعر. « إننا لا نريد أن نرفع راية العدوان في وجه أصحاب الشركات! » هكذا قال مَرى لنكولن، وهو الرجل ذو العبقرية الهائلة، والقو

الدافعة التي تحرك هذا النشاط العظيم فى أوهيو.

ورجال الشركات اليوم لا يساورهم قلق فقد قال أحدهم مرة : « نعم ! إن الاتحاد التعاونى قد انتزع من أيدينا جزءاً من تجارتنا ، ولكن استخدام الأسمدة بالنسبة للفدان الواحد يزداد كل يوم . وقد تضاعف استهلاك أسمدة البوتاس فى الأعوام التسعة الأخيرة بحيث أصبح كل منا ينال قسطه من الأعمال التجارية » .

ولكن الاتحاد التعاونى ، الذى أنشأ فى أوهيو ١٦٨ فرعا فى ٨٥ من الثمانية والثمانين مقاطعة التى تشتمل عليها الولاية ، لا يزال دؤوبا فى التوسع والنشاط . وهو يملك اليوم مصنعين لإنتاج علف الماشية ، وقد ساهم فى مصنع ثالث ، ويبلغ ما ينتجه ٣٠٠ طن كل يوم . ولكثير من الفروع المحلية معاملها الخاصة لخلط العلف . وفوق ذلك فإن للاتحاد مصنعاً لطحن فول الصويا ، ومصنعاً لتجفيف البرسيم ، ومصنعين لمزج الزيوت ، ومعملا للتفريخ ، وآخر لتكرير البترول .

وقد بلغت قيمة بضائع الاتحاد الزراعى ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال فى العام الماضى ، ولكن ليس هذا سوى جزء من نشاط الاتحاد ، فإن لنكولن قد أصر ، منذ البداية ، على أنه يجب أن تكون للمزارعين هيئات مالية محترمة خاصة بهم ، وبناء على ذلك اكتتب الأعضاء بعشرة آلاف ريال من أجل إنشاء شركة للتأمين ، وسموها شركة التضامن للسيارات ، وقد اتسع نشاطها حتى عم ١٤ ولاية . وفى سنه ١٩٤٣ كانت تحتل المكان الرابع فى أعمال السيارات بين جميع شركات التأمين فى الولايات المتحدة . وقد استطاعت هذه الشركة أن تخصص المال اللازم لإنشاء شركة تأمين عن الحريق ، وأن تشترى شركة للتأمين على الحياة . وقد نمت العشرة آلاف ريال التى اكتتب بها عند الإنشاء حتى أصبحت اليوم مؤسسة عظيمة للتأمين مواردها تبلغ ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال .

ولقد كانت كل سيارة من سيارات المدارس تدفع فيما مضى تأميناً قدره ٦٠ ريالا ، فهبط إلى الخمسة . ومع أن الاتحاد التعاونى لا يدعى أن له كل الفضل فى هذا الهبوط ، فإن له دون شك نصيباً فيه .

ولم تكن أعمال التأمين هذه سوى بداية مشروعات مالية أوسع وأضخم . فالمزارعون فى حاجة إلى رهون زراعية رخيصة ، وإلى قروض قصيرة الأجل بفائدة قليلة . ولتحقيق هذا الغرض أنشئ بنك التسليف الزراعى ، وقد استطاع فى بحر ١٣ سنة أن يقدم ٣٥,٠٠٠ قرض مقدارها كلها ٧,٠٠٠,٠٠٠ ريال ، بخسارة تقل عن ٥٠٠ ريال .

أما النظام الدراسى الذى سنه الاتحاد فإنه يعدّ مثالا يحتذى ، فقد أنشىء فى الولاية ١١٠٠ لجنة ثقافية منتشرة فى ٥٥ مقاطعة ، وفى كل مقاطعة مرشد ثقافى يعمل طول الوقت ، ويتناول مرتباً منتظما . والإدارة العامة مركزها فى كولمبوس عاصمة الولاية ، وهى ترسل إلى كل مرشد سيلاً لا ينقطع من الموضوعات للدراسة والبحث . فتعقد الاجتماعات فى منازل الأعضاء ، ثم ترسل محاضر الجلسات إلى كولمبوس ، حيث تجمع وتلخص وتبوب ، ثم ترسل خلاصتها إلى كل هيئة من الهيئات التنفيذية التابعة للاتحاد .

وتشتمل موضوعات الدراسة على أمور خاصة بالسياسة الزراعية العامة ، أو على تفاصيل عملية دقيقة . مثال ذلك : شكا فرع البيع بالجملة أن من الإسراف تخزين أصناف عديدة من الأسلاك التى تستخدم فى عمل السياج . وقد دل البحث على أن أربعة أصناف منها تفى بجميع الأغراض ، وكذلك دل البحث على أن أربعة أنواع من أغذية الدواجن وافية بالغرض بدلا من ١٢ نوعاً

وفى العام الماضى سُئلت حلقات البحث: هل يحسن أن يقوم الاتحاد بمشروع لإنتاج البترول ؟ ودار البحث والحديث حول هذا الموضوع فى آلاف من منازل الزراع ، فقوبل بالاستحسان والموافقة . وفى خلال ثلاثة أسابيع استطاعت شركة الجملة أن تبيع سندات بمبلغ ٥٠٠،٠٠٠ ريال من أجل إنشاء معمل لتكرير البترول .

وقد أصبح اليوم فى وسع كل عضو فى الاتحاد أن يستثمر ماله فى أنواع مختلفة من المشروعات فى نطاق الفرع الذى ينتمى إليه، فإما أن يساهم فى شركة الجملة ، أو فى الفرع المحلى للتجزئة ، وإما يقتنى سندات فى شركة القرض الزراعى . وهناك عدد من سراة المزارعين قد ساهموا فى مشروعات الاتحاد بنحو ١٠،٠٠٠ إلى ١٥،٠٠٠ ريال .

وهناك فريق من أصحاب الأعمال يقول : « إن شركات التعاون لا تنافسنا منافسة عادلة ، لأنها لاتدفع ضرائب للدولة ، ولذلك أمكنها أن تجمع أموالا احتياطية، تستخدمها فى التوسع وفى منافسة أصحاب المتاجر الحرة ، الذين يطلب منهم أن يدفعوا جزءاً كبيراً من أرباحهم ضرائب للدولة » .

وقد رد لنكولن على هذا فقال : « إننا لا ندفع ضريبة عن أرباح ، إذ ليس لنا أرباح ، بل ترد جميع الأرباح على الأعضاء . ومع ذلك فلا حاجة بأصحاب الأعمال الحرة أن يخشوا جانب الاتحاد التعاونى ، ما داموا يقدمون للمستهلك السلعة التى يحتاج إليها بثمن يقرب إلى حد ما من تكاليف الإنتاج. هؤلاء ليس لهم أن يخشوا بأس الاتحاد ».



إن لغة الحيوان لا تدركها آذاننا
ومع ذلك فلها أثرها في نفوسنا

تعاون الحيوان

إيڤان ت. سندرسن ○ ملخصة عن مجلة "نيتشر"

كثيراً ما تبدي الحيوانات من مظاهر التعاون ما هو قريب الشبه جداً بأعمال الإنسان. ومن الواضح أن هذا التعاون لا يتطلب تفكيراً فحسب، بل يتطلب نقل الأفكار بطريقة من طرق الكلام أو الإدراك النفسي.

وحتى الزواحف، ومقدرتها العقلية ضئيلة، تأتي من أعمال التعاون ما يحتاج إلى التفكير. ولقد أدركت ذلك أثناء إقامتي في جزائر الهند الغربية، والذي جعلني أدركه ما قامت به عظايتان (سحليتان)، فقد وقع شيء من اللبن المحفوظ على جذع مقطوع خارج نافذتنا، واجتذب السائل الحلو الفراش إليه، ولم يمض طويل وقت حتى وقفت عظاية (سحلية) على حافة هذا الجذع المقطوع، وجعلت تجهد في قنص الفراش كلما نزلت فراشة على اللبن، ولكن الفراش كان يطير إذا ما هجمت عليه.

حدث ذلك أربع مرات، فنزلت العظاية عن الجذع وجعلت تعدو على جدار من الحجر تنظر ذات اليمين وذات اليسار، حتى وقع نظرها على إلف لها من نوعها. توقفت ورفعت رأسها، ونفخت جيب رقبتها الأصفر وأخذت تأتي بإيماءات وانحناءات. وما إن فرغت من ذلك حتى استدارت وعادت إلى قنصها، وتبعتها العظاية الأخرى، واتخذت مكانها في الجانب الآخر من الجذع.

وبدأ الآن هجوم فني منسق على فراشة، فزحفت العظاية الجديدة حول حافة الجذع حتى صارت تحت الفريسة. وفي الوقت نفسه تقدمت العظاية الأولى وهجمت على الفراشة فأفلتت الفراشة كسابق عهدها من قانصها، ولكنها وقعت هذه المرة بين فكي العظاية الأخرى. واستمرت العظايتان على اتباع هذه الخطة بنجاح مرة بعد مرة، حتى جف اللبن عن الجذع وانقطع الفراش.

لقيت مرة جماعة من القوطي" (كوتي)،

إيڤان ت سندرسن ولد في أسكتلندة، ولا يزال في أوائل العقد الرابع من عمره، وقد تولى رياسة سبعة بعوث لعلم الحيوان رحلت إلى جميع قارات الأرض ما عدا أستراليا. وهو مؤلف كتب عديدة زينها برسوم دقيقة من صنعه تدل على دقة ملاحظته.

وهى حيوانات من اللواحم طويلة الأنف تشبه ذئب الراكون وتكثر فى غابات جنوب أمريكا ، وكانت تبحث عن الحشرات وما هو أكبر منها من الحيوان . فاختبأت وجلست أرقب عن كثب .

واكتشف ذكر كبير من هذه الحيوانات مدخل جحر المدرّع (الأرماديلو) (وهو حيوان أمريكى صغير من ذوات الأربع تحمى جسمه كالدرع أطواق من عظم ، يأكل النمل) وجعل يتشمم بأنفه الطويل ، ثم عاد مسرعاً ونظر حواليه مهتاجاً ، وسرعان ما وجد جحراً آخر ، فإن المدرّع يتخذ لجحره مدخلين . وبدلا من أن يدخل الجحر هرع وهو يزأر ويصفر إلى باقى الجماعة ، وعاد ومعه اثنان من رفاقه إلى الجحر ، فأقام أحدهما على مدخل وأقام الثانى على الآخر ، ثم دخل هو إلى الجحر . وما هى إلا بضع دقائق حتى ساد الهرج والمرج فى الجحر واندفع المدرع خارجاً ، فانقض عليه الحارس انقضاض الصاعقة ، وانسل الحارس الآخر الواقف عند المدخل الثانى إلى داخل الجحر .

عند ذلك تدخلنا وسددنا المدخلين وحفرنا إلى أن بلغنا عش المدرع فوجدنا القوطيين وأنثى المدرع وبقايا صغارها ، ولو لم نتدخل لتمكنت هذه الحيوانات الثلاثة الماكرة بتعاونها من القضاء على الأسرة بأجمعها .

بعد هذه الدلائل على تعاون الحيوانات تابعت ملاحظة أمثلة أخرى من هذا النوع ، وسرعان ما اكتشفت أن هذا التعاون ليس بدعاً بين الحيوانات .

ضربنا خيامنا على شاطىء نهر من أنهار جنوب أمريكا فى طريق أجمة شجراء تأوى إليها القردة ، وكانت تمر بنا جماعات من القردة الصغيرة الغريرة فى الأيام بعد الأيام فى بحثها الدائم عن الفاكهة الناضجة .

ورأيت ذات يوم قرداً يذهب إلى شجرة منعزلة فذاق نوعاً من الفاكهة يبدو أنه كان الفاكهة المرجوة ، فقد جعل يقفز ويصوت فرحاً ، بيد أن باقى القردة كانت بمنأى عنه فلم تسمعه .

وبدلا من أن يلتهم بشراهة من تلك الفاكهة ، عاد القرد الصغير إلى جماعة القردة ، ورجع ومعه زميل ، فذاقها وكان أكبر جسما من الأول ، ثم صوت هو أيضاً فرحاً وعاد إلى الجماعة . ولم يمض طويل وقت حتى جاءت الجماعة فى صخب ولجب إلى الشجرة واشتركت فى الوليمة ، وقد استنتجنا أن القرد الكبير كان من القادة ، وكان عليه أن يتذوق الفاكهة قبل أن يأمر الآخرين بالأكل منها .

وفى غرب إفريقية حيوان غريب المنظر له ريش على أذنيه اسمه « خنزير النهر الأحمر » ، وقد رأينا مرة قائد جماعة من هذا الحيوان يدنو من كتلة من الخشب ملقاة فى مستنقع ، فشم تحتها ثم أسرع إلى الجانب الآخر وشم كذلك ، والظاهر أنه كان تحت هذه الكتلة شيء لذيذ المذاق فدعا بجماعة فنفرت إليه .

واصطفت الخنازير صفا واحدا، كتفاً إلى كتف، على أحد جانبي الكتلة ودفعت أنوفها المدببة فى الطين ، ودفع الجميع الكتلة دفعة واحدة حتى تدحرجت ، وعندئذ تزاحمت الخنازير بالمناكب على القواقع الكبيرة اللذيذة التي وصلت إليها بمجهودها المشترك .

كان والدى ، وهو ممن قضوا زمناً طويلا يرقب أعمال الحيوانات فى مزرعته بشرق إفريقية ، يقص علىّ أحد أساليب الأسود فى اقتناص فريستها : تكمن اللبؤات عند مغيب الشمس فى مسارب القنص المؤدية إلى عيون الماء ، وتحوم الأسود من بعيد وتدنو إلى عيون الماء من الجهة الأخرى ، منبئة عن قدومها بزئير قاصف يهز الغاب ، فيسرع الحيوان الظامىء إلى الشرب والهرب فى هذه المسارب مخافة الأسود ، فيقع بين براثن اللبؤات . وتكف الأسود عن زئيرها وتسرع إلى إناثها تشاركها وجبة المساء .

وليس الجوع وحده هو الذى يغرى الحيوان بالتعاون بل ثمة نوازع أخرى ، ومنها الرحمة والتعاطف . ويؤيد علماء التاريخ الطبيعى ذلك بأمر الفيلين اللذين يكتنفان فيلا جريحاً من القطيع ويساعدانه على الإفلات من الصائد .

قص علىّ رجل قضى نصف حياته فى غابات البنغال ، قصة غريبة حضر هو نفسه وقائعها : انتهى قنص موفق باصطياد أنثى من الفيلة تامة النمو وفيل صغير السن ، وترك الفيل الصغير دون أن يقيد فى الفناء ، على حين شدت الأنثى إلى عمود حظيرة كبيرة فى هذا الفناء . وفى الليل اقتحم الفيل الصغير سور الفناء وهرب .

وصحا أهل البيت القائم أمام الفناء بعد ليلتين على أصوات هرج فى الفناء ، فهرعوا إليه وألفوا الأنثى قد قطعت قيودها وهى تعدو نحو غابة مجاورة ، وإلى جانبيها فيلان كبيران ، ويتبعها الفيل الصغير من خلف ، أو هو فيل فى نفس حجم الفيل الهارب وشكله . ودل البحث على أن السلسلة الغليظة التى شدت إلى رجلى الأنثى الخلفيتين قد التوت وانفصمت .

ويدل كثير من أعمال التعاون بين الحيوان على أناة وتنسيق متصلين ، وتجد مثال ذلك بين الطير الإفريقي النسّاج ،

وهو طير صغير تتدلى أعشاشه الطويلة المعلقة من أشجار الغاب الباسقة .

وينشىء الطير النسّاج أعشاشه أزواجاً ، فيحمل خصلا طويلة من ألياف ويدلها من أحد الأغصان ، فإذا أتم وضع ما يكفيه من الخصل في مكانها ، أخذ يربط أطرافها المدلاة بعقد بارعة على غرار ما تفعل النساء في حبك الصوف ، ويتخذ الحبل المدلى شكل الناقوس ، ويحتاج الأمر في هذه اللحظة إلى تعاون وثيق .

يعمل أحد الطائرين المتعاونين من داخل الناقوس ، على حين يعمل الطائر الآخر من خارجه ، فتنفذ أطراف الألياف من النسيج بمناقيرها فيتلقاها من في الداخل . وقد يحدث بعض الأحيان أن لا يروق النسيج طيراً من هذه الطيور ، فيسل خصلة من الألياف ويطير بها إلى مكان آخر ، ويبدأ نسجها على ما يريد .

وتعمل الطيور معاً أياماً متوالية حتى يصير ما تعمله عشاً طويلا أجوف ، كالجورب شكلا ، ثم يوسع طرف الجورب حتى يصير كرة كبيرة لها فتحة صغيرة مستديرة في أسفلها . وفي داخل هذه الفتحة تبني الطيور قاعدة يقام عليها العش . وتكون النتيجة مثلا عجيباً من أمثلة الصناعة البارعة .

وهذه قصة عجيبة يقصها علينا شري كيرتون عالم التاريخ الطبيعي الإنجليزي ، الذي قضى سنة في جزيرة بجنوب المحيط الهندي حيث تلد البطاريق وتربى صغارها (البطريق من طير الماء قصير الجناحين سمين جداً)

كانت البطاريق تنزل كل صباح إلى البحر لتستحم ، وتترسم إليه مسالك وطأتها من قبل . وكثيراً ما كانت هذه المسالك تمر بأرض فضاء تستحيل إلى أرض زلقة بعد نزول المطر . ووجدت البطاريق أنه من المتعذر عليها أن تحسن المشي عليها . فأنفذت الطيور جماعات منها لتنقر الأرض بمناقيرها وتحيلها خشنة مشققة ، واستمرت على ذلك العمل الشاق ساعات حتى تحولت الأرض إلى طريق مخطط تخطيطاً بديعاً متساوياً تمشي فيه آلاف البطاريق دون أن تزل بها أقدامها .



تلقى قسم البوليس في بلدة بورتلند من عهد قريب المذكرة التالية : « إن الرجل الذي يقطن بيتاً في جواركم لص ، ويجب أن يحاكم ويحكم عليه بأقصى عقوبة يبيحها القانون ، فقد كسرت خزنته في الليل الماضي فوجدتها مليئة ببطاقات الجاز المعدة للسوق السوداء » . التوقيع « صديق »

[مجلة « باراد »]

نادى للباعة المتجولين

تجربة اجتماعية فريدة يفيد منها ٢٠٠٠٠ غلام
ممن يتكسبون في شوارع بوسطن

وب. والدرن + ملخصة عن مجلة «كريستيان سينس مونيتر»

ماذا أنت صانع الليلة فى نادى باروز ؟ » .

« سنشاهد الليلة عرضاً سينمائياً نجماً »

« وددت لو استطعت الذهاب ولكنه قاصر على باعة الصحف وماسحي الأحذية من الغلمان ، وأنا أبيع الخضر مع والدى »

« أنت تاجر متجول يا «دن» ، ونادى باروز مفتوح لكل فريق من الباعة المتجولين ، وفى وسعك أن تذهب فإن نادى باروز متعة حقيقية » ، ثم قال الغلام وقد انتفخت أوداجه :

« لقد تعلمت فيه كيف أرقع الأحذية وأصلح من شأنها لجميع أفراد الأسرة . وقد عالج لى أسنانى ــ انظر ! عشرة سنتات لكل مرة ، وفك أخى من عقال السجن وهو اليوم ضابط فى الحرب ! » .

وعلى هذا الغرار تسرى أنباء مؤسسة باروز لباعة الصحف فى بوسطن .

وفى كل ليلة يزخر النادى فى « بيكون هل » بالباعة المتجولين يعملون فى تحرير صحيفتهم ، ويديرون مطبعتها ، ويصنعون نماذج للطائرات ، ويحضرون المسرحيات ، ويدرسون التصوير الضوئى ، ويتلقون الإرشاد فى أعمالهم المدرسية . ويرتفع فيه أحياناً صخب شديد ، ولكن سرعان ما يتغضى عليه الأولاد أنفسهم .

وقد كان لنادي باروز فى مدى ست عشرة سنة أثر كبير فى حياة ٢٠٠٠٠ غلام من الباعة المتجولين فى بوسطن من ست وعشرين جنسية مختلفة ، نشاهد الكثيرين منهم يتجولون : من باعة فى الشوارع إلى رجال يعتمد عليهم ، وقد رد كثيرين ممن ضلوا سواء السبيل إلى صراط مستقيم ، وساعد مئات منهم على اجتياز العقبة المالية الأولى فى اللحاق بالكليات . وأصبح هؤلاء الغلمان أطباء ورجال أعمال ومحامين ومعلمين .

ويعمل الكثيرون منهم اليوم فى القوات المحاربة ، فقد شجعت المؤسسة فكرة العناية بالصحة بين روادها ، حتى أن نسبة المرفوضين من أولاد مؤسسة باروز الذين فحصوا طبياً

للخدمة العسكرية ، كانت أقل من اثنين في المئة ، يقابلها ٣٥ في المئة للبلاد جميعها.

وهاري باروز المؤسس رجل جدّ ، وهو في أوائل الخمسين من عمره ، وهذه المؤسسة صورة صادقة لجهاده وآماله وعقائده .

نزل باروز منذ أربعين سنة بوسطن وكان غلاماً مهاجراً من روسيا لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وحيداً مملقاً لا يعرف كلمة واحدة من الإنجليزية ، واشتغل بائع صحف يذود عن « موقفه » بما أوتى من قوة . وجاز بعد تسع سنين المدرسة الثانوية ، ونال جائزة دراسية مالية للدراسة بمدرسة الحقوق ، ونجح في امتحانها. وفي سن الخامسة والثلاثين كان قد أصاب نجاحاً عظيما ، وبلغ دخله مئة ألف ريال في السنة .

ولطالما شاهدت أمريكا تلك المعجزة من النجاح المادي تقوم على لا شيء ، ولكن المعجزة الكبرى هي أن ذلك الرجل تنحى وهو في ذروة مجده عن صناعته ، ووقف حياته منذ ذلك الحين على العمل لما فيه خير الشباب ، والباعة المتجولين خاصة .

كان قدامى إخوانه في الشوارع ، منذ أن اتخذ هاري باروز المحاماة صناعة ، يهرعون إليه في طلب المساعدة إذا وقعوا هم أو أقاربهم في مأزق ، فكان يمدهم بالمساعدة القانونية بلا لقاء ، ولكن ذلك لم يرضه ، فقد كانت تجول في خاطره فكرة إنشاء نادٍ لهؤلاء الغلمان .

كان باروز يعلم أن بائع الصحف يخفي تحت مظهر الواثق من نفسه مرارة الهزيمة في الحياة ، ومثل هذا الغلام مزيج غريب من الدراية بالحياة وعدم الثقة بالنفس . وبيته في العادة خلو من أسباب البهجة والراحة ، فيجنح إلى التسكع في الشوارع إذا ما انتهى من عمله .

وإن روح النضال التي مهدت أسباب النجاح للبائع المتجول ، كثيراً ما تدفع به إلى الاصطدام بالقانون . ورأى باروز آمال هؤلاء الباعة المهيضة لحرمانهم التعليم ، فإذا ما جاوزوا مهنة البيع في الشوارع ألفوا أنفسهم لا تتصل أسبابهم بشيء وأن حياتهم مضيعة فارغة .

وابتاع باروز بناء ذا ثلاث طبقات في قلب المدينة وأثثه ، وانصرف عن عمله القانوني وقام على إدارة المؤسسة بنفسه . وعندما أنفذ نداءه إلى الغلمان سعوا إليه زرافات ليروا ما هنالك .

وأراد باروز أن يشيع في نفوس هؤلاء الغلمان الشعور بأنهم أصحاب هذه المؤسسة ، ففرض رسماً اسمياً ، على أنه إذا لم يجد

أحدهم القدر اللازم ، يسّر له كسبه بأداء أى عمل للمؤسسة .

ومنذ قامت هذه المؤسسة أصبح التسامح بين الأجناس المتباينة شعاراً سامياً لها . وقام غلمان من جنسيات مختلفة ، بإيحاء من باروز ، بإعداد عرض مسرحى يبين ما أدّته كل بلد لأمريكا .

وحدث يوماً فى النادى أن ألقى هذا الدرس فى التسامح بطريقة جدية ، فقد سمح لجماعة من الغلمان الإيطاليين أن يهيئوا غرفة قذرة غير مستعملة فى الطابق الأسفل ويجعلوا منها منتدى بهيجاً ، فقاموا بذلك وأغلقوا بابها ، وقد ظنوها لهم دون غيرهم .

واستدعاهم باروز وقال لهم : « إنكم عصبة من الأجانب الحقراء ، أليس كذلك؟» فتميز الأولاد غيظاً فقال باروز : « ها أنتم أولاء لا تستمرئون أن توصفوا بذلك ، لقد هيأتم غرفة جميلة فى أسفل المنزل ، بيد أنكم عند ما تمنعون غيركم من الأولاد من دخولها تشجعونهم على أن يدعوكم أجانب حقراء ، أو ليس الأفضل أن تدعوا أمريكيين ؟ » .

فاعتذر أفراد الجماعة لرفقائهم عما بدر منهم ودعوهم جميعاً إلى مشاركتهم الغرفة .

ويفحص كل غلام فحصاً طبياً دقيقاً ، فإذا وجد الأطباء مصاباً بمرض الحلق أو سوء التغذية أو غيرها من الأمراض ، فإنهم يعالجونها أو يقومون بالجراحة اللازمة مجاناً . وقد نجح الدكتور لروى مينر عميد مدرسة طب الأسنان بجامعة هارفرد فى حمل أربعين طبيباً من أطباء الأسنان على التبرع بليلة كل أسبوع لعلاج أسنان أولاد المؤسسة . ويدفع الأولاد أجراً اسمياً قدره عشرة سنتات لكل مرة ، وتتبرع بعض المحلات التجارية بالأدوات والأدوية اللازمة . ولم يرفض واحد من أولاد المؤسسة المتقدمين للخدمة العسكرية بسبب مرض أسنانه .

قام باروز بمفرده بحمل عبء تلك المؤسسة ثلاث سنين كاملة ، وحلت الضائقة المالية وكان قد صرف جل ماله وواجهته الصعاب ، فنصحه هنرى ل . شاتك وهو أمين خزانة جامعة هارفرد ، أن « اطلب المساعدة فأنت قمين بها ، واكتبنى متبرعاً بخمسة آلاف ريال » ، وحذا حذوه فردريك ب . كابوت قاضى محكمة الأحداث ومد آخرون غيرهما يد المساعدة .

كان التعليم العالى يبدو فوق ما يطمح إليه باعة الصحف أو ماسحو الأحذية ، ولكن هارى باروز هيأ لهم الجوائز الدراسية المالية ، ولا تزيد الجائزة على مئتى ريال ، والمقصود منها أن يبدأ بها الغلام ،

وعليه إذا ما دخل الكلية أن يعمل على الحصول على إحدى جوائزها الدراسية ليتم دراسته .

ويمثل كل طالب أمام لجنة من ١١ رجلا ، ثلاثة منهم يندبهم محافظ ماساشوستس ، وثلاثة آخرون بينهم رئيس بلدية بوسطن ، وخمسة تندبهم المؤسسة .

ويشترط باروز لمنح الجائزة أن يحكم على الولد : بأخلاقه ، وحاجته ، ولياقته ، ومقدرته الدراسية ، على هذا الترتيب .

حدث ذات صباح منذ عشر سنين أن تقدم غلام نحيف رقيق الجسم من باعة الصحف إلى اللجنة ، وكان يريد أن يلتحق بجامعة هارفرد ، فقال أحد المحكمين : « لا أرى أن يستطيع هذا الغلام إتمام الدراسة بالكلية ، فليس له من القوة البدنية ما يعينه على ذلك . » ولكن باروز قال : « انظر إلى بريق عينيه ، إنه سوف ينجح . » ومنحه المحكمون فى شىء من التردد جائزة دراسية سدد بها أجر الدراسة فى النصف الأول من السنة ، وفاز بعد ذلك بجوائز دراسية أخرى من جامعة هارفرد أتم بها دراسته ، وتخرج وهو من المبرزين ، فمنح جائزة شلدون الدراسية الموموقة ، وقيمتها ١٥٠٠ ريال ويشترط فى الفائز بها أن يقضى سنة فى الخارج فى الدراسة والسياحة . وقد كان هذا الغلام الألمعى تد هوايت* مراسل مجلتى « تايم ولايف » فى الشرق .

ومن الذين فازوا بجائزة دراسية فى جامعة هارفرد سنة ١٩٣١ ، غلام من باعة الصحف اسمه روكو بافون ابن مهاجر إيطالى ، كان يمشى خمسة أميال ذهابا وإيابا بين منزله والكلية . وبعد انتهائه من هارفرد التحق بمدرسة تفتس الطبية ، وهو الآن طبيب ناجح يخصص جل وقته لعلاج الفقراء من أولاد المهاجرين الإيطاليين فى بوسطن .

ومن هؤلاء ليون رايت ماسح أحذية يتيم من السود ، منح جائزة دراسية والتحق بجامعة بوسطن ، وكان يشتغل فى نقل الفحم فى أوقات فراغه ، وهو الآن أستاذ فى كلية السود فى ماريلاند .

وثمة قصص كثيرة على غرار ذلك بين ثلثمئة من غلمان مؤسسة باروز ممن فازوا بجوائز دراسية .

ومنذ عدة سنين حقق باروز ، بمساعدة ماكسيمليان أجاسيز حفيد العالم الطبيعى الكبير ، حلماً آخر ، فقد ابتاع أرضاً بجوار بحيرة فى ولاية ماين ، ليقضى فيها أبناء مؤسسته زمن الصيف . وساعد الغلمان فى تمهيد الأرض ، وفى تحويل بناءين قديمين

* « الصين فى نظر مجلة لايف » المختار نوفمبر سنة ١٩٤٤ صفحة ٣٨ — ٤٤

إلى منزلين للإقامة ، وفى إنشاء الطرق وزراعة الحدائق ، وأضافوا إلى ذلك مرافق أخرى كل سنة ، حتى صارت قرية أجاسيز مجتمعاً فريداً يدير نفسه بنفسه . وللقادرين من الغلمان أن يدفعوا أجر إقامتهم أسبوعين ، أما غير القادرين فكان باروز لا يعدم وسيلة لإرسالهم إلى هذه المحلة .

وقد نقد المشتغلون بالخدمة الاجتماعية هذه المحلة من عدة نواح منها : وجود « أرجوحة دوّارة » فمن سمع بمثل ذلك فى مخيم لأولاد الشوارع ؟ وقد نشأت فكرة « الأرجوحة الدوّارة » فى طفولة هارى باروز فى روسيا ، فقد كان يتوق دائماً إلى ركوب تلك الأرجوحة ، ولكن كان يعوزه أجرها دائماً ، فيالها من سعادة أى سعادة أن يستطيع غلام أن يركب تلك الأرجوحة فى أى وقت شاء !

على أن أشد نقد وجهه المشتغلون بالخدمة الاجتماعية إلى المحلة هو أن باروز يجمع بين الخبيث والطيب من الأولاد ، فكثيراً ما كان يختار أولاداً ممن أوقع بهم سوء سلوكهم فى المتاعب ، ليرى ما قد يجدى عليهم الشعور بالتبعة فى مجتمع فى الخلاء . وقد قيل له إن الخبيث يفسد الطيب ، ولكنه أقام الحجة على أن العكس هو الصحيح ، وأن الطيب يضرب المثل الطيب للخبيث فيحتذيه .

لقد أتى باروز بالعجب العجاب فى تلك المحلة ، مما حدا بمحكمة الأمن فى بوسطن وبعض الهيئات الاجتماعية الأخرى ، إلى إنفاذ بعض سيىء السلوك من الأولاد إلى تلك القرية ليقضوا بها حقبة من الزمن .

سألت ذات ليلة فنسنت ترنجالى وهو شاب فى العشرين من عمره يدرس الرسم : « ما جاء بك هنا ؟ »

فقال : « عرفت شاباً أكبر منى سناً كان عضواً بالمؤسسة وكنت أعجب به ، وأود أن أحذو حذوه فى كل ما يفعل ، فقلت له ذات ليلة ، اصحبنى معك إلى نادى بارزو ، ففعل وأدخلنى النادى خلسة » .

فسألته : « من يكون ؟ »

فأجاب أن اسمه شارلى فيدالى ، التحق بالأسطول وارتقى إلى رتبة ملازم ، وغرق مع السفينة جونو فى جنوب المحيط الهادى . لقد كان رجلا عظيما » .

فقال باروز وكان واقفاً بالقرب منا : « أجل قد جاءنا صغيراً وأفلح كبيرا » ، وتلتمع عين باروز ببريق غريب عند ما يفلح أحد أبناء مؤسسته وإن أكثرهم ليفلحون .

* * * * * *

قد تبلغ المقادير في تقلبها مبلغاً عجيباً

حوادث أغرب من الخيال

مايرون ستيرنز + ملخصة عن مجلة "دى اميريكان ميركيورى"

تكشف السجلات المحفوظة فى مقر « المجلس الأمريكى للسلامة الأهلية» عن حوادث تخيل إليك أن المقادير تحتال بشق النفس حتى تضمن أن تكون حوادثها فذّة ، أو ملهية ، أو مستبشعة . فتأمل كيف تألبت الظروف التالية على نحو غريب .

كان أحد المتفرجين على لعبة الكرة « بايسبول » فى بلدة هاريسبرج ، ينظف أذنه بعود ثقاب ، فسقطت كرة شاردة عند مقعده تماماً فى المدرّج ، ثم أصابت يده فدفعت العود فى أذنه فثقب صماخها . وفقد الرجل سمع إحدى أذنيه .

وحدث فى فندق ريفى فى نيويورك ، أن هوى أحد الموظفين فى بئر المصعد من الدور الثالث فقتل . ولم يسبق أن حدث مثل هذا الحادث خلال سنين منذ أنشئت تلك البناية . وبعد انقضاء دقائق على سقوطه سقط موظف آخر فى البئر نفسها ، ولكنه وقع على الجسد الذى لم يزل دافئاً ، فلم يصب إلا إصابة يسيرة .

كانت سيارة مندفعة على جسر ممدود فوق خط سكة الحديد ، فحرفها صاحبها ليتقى خطر سيارة أخرى ، فصدم حاجز الجسر ونفذ منه . واتفق حينئذ مرور قطار سريع تحت الجسر ، فبدا أن لا مفر لسائق السيارة وخطيبته من أن يموتا شر ميتة ، ولكن السيارة حطت بعجلاتها الأربع على ظهر إحدى مركبات الركاب ، دون أن ينفجر إطار عجلة من عجلاتها ، وعكس اندفاع القطار قوة اندفاع السيارة فقفزت عن سطح القطار عائدة إلى الجسر ، ولم يصب أحد بأذى .

وقد تكون أحد سائقى السيارات الذين يعروهم الذعر حين يدخل السيارة زنبور ، إذن تصوّر ما وقع لفردريك ماج ، حين اصطدم تدرج (ديك برّى) طائر بلوح الزجاج أمام مقعد السائق وكسره ، فلما جعل ماج يحمد الله فى سره على أن المكروه لم يكن أعظم ، دخلت نحلة من خلال اللوح المكسور ، ولسعته ، وليس عجيباً أن يسقط فى خندق على جانب الطريق وتحطم سيارته .

وعلى مقربة من بلدة موراڤيا فى نيويورك قفز جرذ على كتف سائق كان يسوق سيارة نقل ، فضربه بيده فوقع على أرض السيارة ولكن الجرذ عدا متسلقاً ساق الرجل داخل

بنطلونه ، فحاول هذا جزعاً أن يخرجه ، ففقد سيطرته على زمام السيارة فاصطدم ببناية .

وحين يفجأ الناس بأشياء غير متوقعة ، تراهم يأتون كل ضرب من ضروب الحماقة . فقد كان أحد المجندين يحلق بموسى من الطراز القديم فى قاعدة طيران بأريزونا ، وكان الجو قائظاً ، وكان المجنـد عارياً ، فحطت ذبابة على كفله فضربها بالموسى دون تفكير أو وعى ، فاقتطع من نفسه قطعة اقتضت خياطتها جراحة . وكان جندى آخر يحفر خندقاً فى معسكر ، فالتفـّت حية على كعبه ، فضربها بالمجرفة فكسرت ساقه .

ويبدو أن المقادير ، تهوى أن تجمع بين الحوادث الشاذة ، فأسرة يوريا رتشردز تقطن ولاية وشنطن وهى مؤلفة من الوالدين وستة أولاد . ولو أخـذ بالفرض الرياضى ، لكان احتمال موت اثنين من هذه الأسرة فى حادثى اصطدام ، خلال فترة طولها أربع سـنوات ، لا يزيد على واحد فى مليون . ولـكن ثلاثة من الأولاد قتلوا فى حادث مزلقان . وبعد سنتين ، قتلت بقية الأسرة حين صـدم سيارتهم الزراعية قطار عند مزلقان .

وأمر المقادير قلب فى حوادث السقوط . وهى طائفة من الحوادث قتل بها فى السنة الماضية أكثر مما قتل بأية طائفة أخرى من الحوادث . ولقد بلغ عدد القتلى ٢٦ ألفاً .

فقد قتل شيخ فى الثالثة والستين بعد سقوطه من ارتفاع قدم ونصف قدم فجاء فى شهادة محقق الوفاة : « أخفق فى محاولته أن ينتحر ، ولـكنه مات وهو يحاول » . ذلك بأنه أخذ حبلا إلى الحجرة ، ووقف على صندوق ، وجرب أن يعقد الحبل بمسمار بارز من عارضـة السقف ، فزلّ ووقع فتحطمت جمجمته على بلاط الحجرة .

وحدث مرة أن أدار صاحب سيارة محرك سيارته وهو فى الحظيرة ، وبقى فيها حتى يدفأ المحرك بعد برد الصباح وغلب عليه غاز أول أكسيد الكربون فتهالك على عجلة القيادة . ولو انقضت عليه دقائق وهو كذلك لمات ، ولـكن صـدره ضغط زر بوق السيارة ، فسمعت أسرتهُ الصوت فوصلت إليه قبل فوات الوقت .

ويقول رجال مجلس السلامة القومية : إن الإحساس بالخطر يحملك على أن تكون أدنى إلى الحذر ، وأبعد عن المخاطرة فى غير اضطرار . وحتى رجال الـكتائب الفدائية ، يدربون على الحـذر وتوقى الحوادث . وهذا يجعلهم أقدر على أعمالهم وأحرى بأن تطول آجالهم . نعم قد يحدث الحادث حيث تكون ، أما أنا فسأكون أكثر حـذراً مما كنت ، وأنا أزل على هذه السلالم .

باب الكتب

استيقظ واستمتع بالحياة

ملخص كتاب

دوروثيا براند

مؤلفة "كيف تصير كاتباً" و"أجمل النساء" وغيرها

فى هـذا الكتاب « استيقظ واستمتع بالحياة » تهدى دوروثيا براند إلى قرائها « دستور النجاح » وهو كما تقول : « دستور قد بلغ من البساطة والوضوح ما ردّنى عاجزة عن أن أصدّق أنه كان سرّ العواقب العجيبة التى جنيتها حين طبقته بنفسى »

استيقظ ، واستمتع بالحياة

كنت إلى سنتين مضتا امرأة مخفقة ، ولكن لم يفطن لهذا أحد سواى ، وكيف وأنا أنعم بمقام كريم وحياة لا تنقصها البهجة ؟ ومع ذلك كنت ، أنا وحدى على الأقل ، أومن فى دخيلة نفسى بأنى أخفقت .

وُغمّت علىّ السبل ، فمع أنى كنت على بينة مما أريد أن أفعل ، وكنت متزوّدة بكل عدة للنجاح فى عملى ، رأيتنى أخبط فى الحياة خبط عشواء ولا أتقدم .

ثم إذا بى أظفر بالفكرة التى فضّت عنى قيودى ، ذلك أنى كنت أقرأ كتاب « الشخصية الإنسانية » من تأليف هـ . ى ميارز فوقعت على جملة بلغ من إشراقها أنى نحيت الكتاب جانباً لأتدبر كل المغانم المحتملة التى تشف عنها هذه الفكرة الواحدة . فلما أخذتُ الكتاب ثانية كنت قد أصبحت إنساناً آخر .

تغير كل شىء فى حياتى ، ولم أتبين هـذا التحوّل فى مبدأ الأمر ، ولكنى أدركت بيقين جعل يرسخ على مرّ الأيام ، أنى ظفرت أخيراً بتميمة تعالج الإخفاق وقعود الهمة ومثبّطاتها ، وكانت هذه التميمة دواءً ناجعاً صادق الأثر . فكل ما استطعت أن أكتبه فى السنوات العشرين السابقة لم يزد على سبع عشرة قصة صغيرة ، وعشرين رسالة فى نقد الكتب ، وعدة مقالات فى الصحف ، ومحاولة واحدة لتأليف قصة طويلة ، فكان معدل إنتاجى أقل من مقالتين فى السنة الواحدة ..

أما فى السنتين التاليتين لتلك اللحظة التى استنارت فيها بصيرتى ، فهاك بيان ما أنجزته : ثلاثة كتب (ولم تنقض السنة الأولى حتى كنت قد أتممت أولها وثانيها ، وكلاهما لقى نجاحاً) وأربع وعشرون مقالة ، وأربع قصص صغيرة ، واثنان وسبعون محاضرة ، وهيكل ثلاثة كتب أخرى ، ورسائل لا تحصى بعثت بها إلى من يطلب منى المشورة فى كافة أنحاء البلاد .

لم يكن هذا هو كل ما أفدته من هذه الوصفة ، كلا بل لقد زالت عنى علة التردد والخجل التى عرقلت نشاطى فى كل مجال من قبل . أما الأحاديث الصحفية والمحاضرات والاجتماعات التى اندفعت فيها وأنا منتصرة على الإحجام فى كل لحظة ، فقد أضحت مجلبة لسرورى .

وأخيراً أصبحتُ راضية عن نفسى ، ولم أعد أعاقبها واستحثها وأسوقها بلا رحمة ، وكذلك كففت عن شكوى السأم والإعياء يصيبانى بلا مسوغ .

وحدث قبل بضعة أشهر أن دعيت إلى إلقاء محاضرة على جماعة من أصحاب المكاتب ، فكان الموضوع الذى اخترته هو عرض خلاصة هذا الكتاب : وذلك أننا جميعاً ضحايا «إرادة الاخفاق »، وأننا إذا لم نفطن لهذا الأمر فى حينه ونعمل على مقاومتها ، انقضت حياتنا دون أن نحقق رغائبنا ، وأنّ هناك علاجاً لمكافحة هذه الإرادة ، وهو علاج له فعل السحر .

وكأن المستمعين كافة كانوا يشكون من الحال التى وصفتها ، وكأنهم كانوا جميعاً يتلمسون المعونة للخلاص منها ، فانهالت علىّ الرسائل والأسئلة بالبريد والتلفون ، وطلب الحديث منى كثيرون أدركوا أن حياتهم غارقة فى النكوص والتهيب والتردد . وأنا أريد أن يكون هذا البحث التالي مرشداً عملياً لأمثالهم ، ممن يستطيعون الخلاص من حياة عقيمة بغير جدوى ليبدأوا حياة سعيدة طيبة .



ربما نال المرء نجاحاً مؤكدا لو هو بذل فى سبيله ما يبذله من وقت وجهد فى سبيل جعل الإخفاق حقيقة مؤكدة .

ولنفرض أن رجلا كان على موعد يبعد عن بيته مئة ميل شمالا ، وهو على ثقة بأنه إذا لم يخلف هـذا الموعد ، فاز بالسعادة والرفاهية ، ولم يكن له من الوقت إلا ما يكفيه للوصول إلى موعده ، فخرج يقصده ، ولكنه يعدل ، ويرى أنه قد يظفر بقسط أوفر من متاع النفس إذا هو سار ٢٥ ميلا جنوبا قبل أن يبدأ سيره بجدّ .

هذه حماقة أليس كذلك ؟

ومع هـذا فحينما يكون علينا أن ننطلق رأساً إلى الموعد الذى واعدنا أنفسنا على الوفاء به لتحقيق آمالنا ، نجد أن مسلكنا جميعاً أشبه شىء بمسلك بطل تلك الحماقة البلهاء ، فنسير فى غير الوجه الذى ينبغى ، وكذلك نخفق حيث كنا أدنى إلى النجاح إذا ما بذلنا نفس المقدار من الجهد والوقت .

فالإخفاق يدل على أننا بذلنا الجهد باطلا فى غير وجهه ، وذلك أن الإخفاق يقتضى بذل جهد كبير .

وهـذا أمر قلما ندركه لأول وهلة ، ولو راجعت عالماً نفسانيا لعلمت أى جهـد عظيم يبذله من يقاوم رغبة التحرك والسعى ، إذ لابد من شنّ حرب ضروس تهزم قوى

الحياة من أجل أن نبقى ساكنين ، ولو أنها حرب خفية تدور رحاها فى أعماق أنفسنا بحيث لا نكاد نفطن لها إلا قليلا . ولا يغرنك همود الجسم ، فإنه لا يفيد إفادة قاطعة أن قوة الحياة قد انطفأت جمرتها .

فإذا كان مبعث الإخفاق هو وقف أثمن ساعات العمر على مطالب لا ينجم عنها إلا قتل الوقت ، تبين لنا جميعاً أن هـذا جهد قد حـوّل عن مجراه ، غـير أن هناك وسائل أخرى لقتل الوقت تقتضى عملا شاقا يبذله صاحبه عن علـم . ولن نصل إلى الاقتناع بأن جهدنا موقوف على طلب الإخفاق إلا بتدقيق النظر وإدراك أن ما نعمله يورثنـا الإعياء والسخط معاً .

ولـكن لماذا يكون ذلك كذلك ؟ ولماذا ونحن لو انتفعنا بهذا القدار ذاته من الجهد الذى لابد لنا من بذله فى حياتنا على أية حالة ، لـكان نجاحنا أمراً محتملا — لماذا قلما نظفر بالحيـاة التى تمنيناها وعقدنا العزم على أن نحياها ؟ ولماذا نسوغ إخفاقنا بتعليل النفس بأنها نالت حظا مرضيا من التفاسف ؟

ونحن لا نصدق عن يقين أن الإنسان ليس له إلا أن يختار إحدى اثنتين : إما النجاح وإما أن يحيي مستمتعاً بالحياة . ونحن نعـلم أن الذين يظفرون بالنجاح ليسوا أقل حظا من المخفقين ، فهم يرون من مغرب الشمس ما يراه المخفقون ، ويتنسمون من الهواء ما يتنسمون ، ويكون أحدهم محباً أو محبوباً كما يكونون ، كلا ، بل هم يظفرون فوق ذلك بشيء آخر : ألا وهو علمهم بأنهم تخيروا لأنفسهم طريق الحياة والنماء .

إذن فلماذا نخفق ؟ ولمـاذا — على وجه أخص — نـكدح فى طلب الإخفاق ؟

ذلك بأن الإنسان كما تسوقه إرادة الحياة وإرادة السيطرة ، تسوقه أيضاً إرادة أخرى هى إرادة الإخفاق .

وهذه فـكرة سيعدّها كثير من الناس رأياً جديداً ، ذلك أن علماء النفس قد أكثروا من الحديث عن إرادة السيطرة وأهملوا إرادة الإخفاق ، لأنها أشد غموضاً .

فإذا فطن المرء إلى هـذا التيار الذى يعوقنا ويبطل جهودنا ، خطا أول خطوة فى التحول عن طريق الإخفاق إلى طريق النجاح . فإذا شـد من عزمه لمغالبة ذلك التيار ، استطاع أن يثنى عنان جهده ويعدل به عن طلب الإخفاق ليوجهه فى طريق النجاح .

ضحايا إرادة الإخفـاق

قلما نتبين إبان شبابنا أعراض « إرادة الإخفاق » فى نفوسنا ، فنعلل الإحجام عن البدء فى ولوج معترك الحيـاة بأنه خجل

الناشئ الغرّ ، أو ترانا إذا لم نحاول قط بذل قصارى الجهد فى العمل ، نختلق لأنفسنا العذر بأن العمل الذى لم نهتد إلى سواه حين لم يكن لنا مناص من المبادرة إلى اكتساب الرزق — ليس هو العمل الذى كنا نصلح له كل الصلاح . ويتفاقم الحرج إذا تزوجنا وأصبحنا من أرباب الأسر ، فلربما كان مما لا يعجزنا أن نصبر على الضرّ والأذى بضع سنين ، ولكن أن تسأل عيالك أن يصبروا كما تصبر ، فذلك أمر يحتاج إلى شجاعة قد لا تتوفر لكثير منا .

وكثيراً ما نعقد العزم فى مبدأ الأمر على أن لا يغيب الهدف المقصود عن أبصارنا — ولكن عملنا المرهق يستأثر بمعظم ساعات النهار ، فلا جرم أن تكون القوة التى يتطلبها قوة تفوق طاقة البشر ، لكى يحتمل المرء رؤية نفسه وحيداً غارقاً فى العمل ، على حين يلهو سائر الناس ويلعب ، وحين لا تلوح لأعيننا أية بارقة تبشر بالنجاح إذا ثابرنا ، وهكذا نتخلف — ونحن لا نعى — عن موكب الحياة دون أن نشارك فيها بنصيب ، ودون أن تتكشف مواهبنا عما تطيق ، ودون أن نبذل ولو جزءاً يسيرا من مقدرتنا . ثم إذا نحن استطعنا أن ندبر لأنفسنا معيشة فيها بعض الدعة ، وأن نظفر بشىء من التوقير والإعجاب ، أو بنشوة سلطان نتذوقها ساعة ثم تنقضى وشيكا ، وأن ننعم بشىء من الحب ، حسبنا أننا فزنا من الحياة بصفقة رابحة ، بل قد يبلغ بنا الأمر أن نهنئ أنفسنا بحصافتها دون أن نرتاب فى أننا من المخدوعين .

من الحكم المأثورة عن ماركوس أورليوس ، الإمبراطور الرومانى الشهير ، قوله لنفسه وهو يحذرها : «لا يكن تصرفك كمن خال أنه سيعيش ألف سنة » ونحن أينما التفتنا رأينا نذراً سافرة قاسية تقول : « لقد فات الوقت وأنت غافل» . ومع هذا فإن جميع من يقع فى قبضة إرادة الإخفاق ، يصرف أثمن الساعات كأنّ له معيناً من الوقت لا ينضب . فهناك مثلا أناس ينفقون فى النوم ما بين ساعتين إلى ست ساعات فى اليوم ، زيادة على القدر الذى يكفل لهم تمام الصحة والعافية ، وهناك أناس لا تختلف يقظتهم عن السبات العميق ، فهم يتغرقون فى مطالب يتمثل فيها الكسل وقتل الوقت : كهذا الجيش العرمرم من أحلاس القهوات ينفقون أوقاتهم فى اللعب النرد والدومينو والتسلى باستعراض المارّة ، وفيهم من يجلس وحده ساهم النظرة ، يتثاءب أو يعبث ، وكأولئك المغرمين بحل الألغاز وأحاجى الكلمات المتقاطعة ، ومن عوّد نفسه أن

يقعد حبيساً فى داره ليقرأ كل ما تصل إلى يده على غير هدى ولا تمييز ، حتى أصبحت القراءة عنده داءً لا يرجى شفاؤه .

وهناك فرق واضح بين الترويح عن النفس ، وانقيادها انقياداً أعمى فى أمثال تلك المطالب ، وليس من العسير علينا رؤية هذا الفرق إذا نحن انتبهنا إلى وجوده .

ولا ننس أيضاً رواد المسارح ، وعشاق السينما وسباق الخيل ، والمغرمين بالتزاور والتحدث فى المجالس حديثاً كله ثرثرة ، وهؤلاء الذين إذا لم يدعوا إلى حفلة شاى ورقص حسبوا يومهم قد ضاع من عمرهم .

وتفترسنا إرادة الإخفاق بأساليب أخفى من هذه ، فتدبر مثلا أمر هذا العدد الجم من الناس الذين يرتضون لأنفسهم عن عمد عملا هيناً لا يقتضيهم إلا بذل قسط يسير من مقدرتهم ، ثم يخلقون له تفاصيل تافهة وينهمكون فيها إلى أن يبلغ منهم الإعياء . وتدبر أمر هؤلاء الذين لا ينفكون عن الشروع فى التحضير لشهادات عليا ، وتدبر أمر هؤلاء الأبناء والبنات والأمهات الذين يظنون أن من البر أن يفنوا حياتهم فى حياة من هم مثلهم فى النضج وبلوغ الرشد ، وغاب عنهم أن قعودهم عن استغلال كامن مواهبهم على خير وجه قد جعل ما يبذلونه لا يجدى شيئاً على من ضحّوا من أجله بالحياة ، وغاية ما تجديه أن توفر له نوعا من الرفاهية لا يؤبه له .

فهناك إذن هذه السبل كلها — وغيرها كثير — للخضوع لإرادة الإخفاق ، ولكن لا يغبْ عنك أن الجهود المبذولة إنما تبدو فى الظاهر وحسب باطلة لا هدف لها ، والحقيقة أن لكل منها غرضاً خفيّاً . فكل الذين يؤدون أعمالهم بجهد مبعثر ، والمتململون الساخطون ، والعابثون ، إنما يرومون من وراء مسلكهم هذا أن يخدعوا أنفسهم ، بأن يملأوا فراغ كل لحظة ودقيقة فى ساعات يقظتهم ملئاً تاماً ، فلا يبقى فيها أقل فرجة يتسرب منها إليهم الشعور بأن جهدهم هباء لا ثمرة له ، فإذا أدركهم الليل كانوا لا يزالون منصرفين إلى اللهو ، أو بلغ بهم الإعياء مبلغاً لا يستطيعون معه أن يتدبروا الأمور على حقيقتها .

وما أبشع منظرهم حينما تتجلى لأعيننا حقيقتهم سافرة ! فنراهم كالمجانين الذين ذهب الشحّ بألبابهم ، فإن حياتهم فى أيديهم كخزانة لا تقدر بمال ، ولن يظفروا ما عاشوا بسواها ، ومع ذلك فهم فى حمقهم يحشونها توافه خسيسة هينة القدر ، وتجارب غير نافعة ، وأهواءً مضللةً ، وشغفاً باطلاً وعواطف مزيفة .

ومن البين أن هذه الحالات كلها تخفى

غرضاً واحداً ، كثيراً ما يستقر في النفس وصاحبه لا يعي ، هو أن يملأ الحياة ملئاً تاماً بجهود ضئيلة ، أو بجهود مبذولة في غير ما ينبغي ، بحيث لا يبقى لنا وقت نقوم فيه بخير عمل نحن قادرون عليه .

والخلاصة أن الغرض هو طلب الإخفاق .

مغانم الإخفاق

إذا أردنا أن نفهم لماذا يتآمر الكثيرون منا — عن غير وعي — مع أنفسهم لإدراك الإخفاق ، فمن الضروري أن نفحص ما نسميه هنا بمغانم الإخفاق .

فقد عودنا علم النفس أن نسلم بالرأي القائل بأننا جميعاً — على درجة ما — نقضي معظم الوقت في شرود الذهن ، فنستغرق في الأحلام ، عن وعي أو عن غير وعي ، في اليقظة أو في المنام ، فنجد أنفسنا في حياة أسعد من حياتنا التي نحن فيها .

والمثابر على هذه الأحلام إنما يعمل ما يعمل فاتر النفس حتى يضمن قوت يومه ، فإذا انتهى عمل النهار عاد إلى أحلامه من جديد ، فهو لا ينجح إلا في تحقيق غاية واحدة ، هي أن يفسح لنفسه في زحمة الحياة حيزاً ضئيلا ، ويظفر كل يوم ببضع ساعات يفرغ فيها للدؤوب على تبديد حياته ، ولكنه سعيد مغتبط بأحلامه ، ولذلك فهو يداوم عليها .

ومن المهم أن لا يغيب عن بالنا أن مغانم الإخفاق هي في ذاتها مغانم حقيقية ، وإلا لكنا عقدنا العزم على مقاومتها مقاومة كافية . وللإخفاق مغانم أخرى غير هذه الأحلام .

فتدبر مثلا كيف إذا أنت لم تبذل إلا أيسر جهد يسوغ لك القول بأنك « حاولت » القيام بعمل ما ، اقتنعت بأن لا تثريب عليك إذا كففت يدك وركنت إلى الراحة بقية العمر ، بل قد تجعل نفسك من الهواة ذوي الخبرة الذين يباهون بأنهم وحدهم يعلمون حد الكمال ، وهيهات أن يبلغه من لا يزال يكابد هذا العمل ويتصبب فيه عرقاً ، وأنه كمال باهر مستحيل المنال .

فلا غرو إذا كان الإخفاق في الوصول إليه أشرف في رأيك من نجاح رجل آخر يناله اتفاقاً من غير جهد .

فأنت إذا لم تصل بعمل ما إلى غايته ، ظللت تحلم بهذا التصفيق الحار الذي كنت ستقابل به ، وهذه الصفقة المالية الرائعة التي كنت ستعقدها ، وهذا العمل الفني المنقطع النظير الذي كنت ستحققه ، وهذه الخيالات أهم عندك وأعز من كل نجاح لو كنت أصبته حقاً .

وتنبه كيف أنك في هذه الحالات كلها

قد غنمت من إخفاقك — على الأقل — هربك من الكفاح والألم والمذلة التي تصحب الجهد إذا بذل فعلا .

ولكن مغانم النجاح أولى بالنوال ، فإن لها قيمة لا تقدر ، فأقل واجب حين تنجزه على خير وجه ، أو أصغر شيء من صنع يديك حين تراه ماثلا أمامك في الدنيا وتعلم أنه لولا عملك لما كان ، يذيلك من لذة الرضى في لحظة واحدة ، ما لا تناله طول عمرك من الإخفاق . وعلمك بأنك جربت فانتصرت في عالم الحقيقة لا في عالم الخيال أشبه شيء بالرجل تتقاذفه الأمواج زمناً طويلا ثم يقرّ أخيراً على أرض صلبة يقف عليها .

جبن عقلنا الباطن

أما وقد فحصنا طبائعنا وتبينا تياراتها التي تؤدي بنا إلى قبول الإخفاق ، فلننظر الآن في العوامل المباشرة التي تمنعنا من بذل الجهود المباركة في سبيل النجاح .

وسنجد هنا شيئاً من العون إذا استرشدنا بحقائق التنويم المغناطيسي ، فإن بعض النتائج التي يصل إليها المنوم إذا كان متثبتاً في فنه ، وكان المنوم مُيسَّراً للاستهواء ـ لما يعجز عنه الطبع المألوف تمام العجز . فهذا رجل يصاب بالدوار إن هو ارتفع عن الأرض ولو قليلا ، يستطيع ـ إذا نوم ـ أن يسير مطمئناً على لوح ضيق من الخشب نصب على ارتفاع شاهق . وهذا رجل آخر ضئيل الجسم واهن القوى يستطيع أن يرفع حملا ثقيلا . وقد جاء ف . ى . هـ . مايرز بمثل رائع في الفصل الذي كتبه عن التنويم المغناطيسي ، فروى أن ممثلة ناشئة ، يعهد إليها بحفظ دور الممثلة الأولى لتحل محلها إذا غابت ، فوجئت بدعوتها للدخول إلى المسرح ، فوجمت وارتبكت من الخوف ورهبة الظهور أمام الجمهور ، فلما نوّمت تنويماً يسيرا أدت دورها بتوفيق باهر ، وقوبلت بتصفيق شديد .

وفي الفصل ذاته يذكر أن الخجل والتردد اللذين يركبان عادة من يقدم على عمل جديد لأول مرة ، يزولان عنه تماماً بالتنويم المغناطيسي ، فيؤديه بدقة وثقة .

وقال : « **إن فعل الإيحاء المغناطيسي في إزالة الخجل يأتي في الواقع من تطهير الحافظة ، بجمع ذكريات كل إخفاق سابق ، وإطلاق سراح فئات من المواهب المختبئة اللازمة للعمل الذي هو مقدم عليه** » .

وهذا هو سر الأمر ، فلم تكتب من قبل جملة فيها ما في هذه الجملة القصيرة من

معانٍ جليلة القدر ، لمن أراد حقا أن يعدل بحياته فيوجهها إلى النجاح .

والمألوف أننا نتعلم بأسلوب: «إذا أخطأت فحاول من جديد »، وربما أعدنا المحاولة عدة مرات حتى نظفر بالوسيلة المؤدية إلى النجاح.

ولكننا نكون فى هذه المحاولات قد ذقنا مرارة الإخفاق : فعضتنا الآلام الصادقة حيناً ، وسخر الناس منا حيناً ، واستهدفنا للمذلة الجارحة حيناً آخر ، حتى إن النجاح الذى نظفر به فى نهاية الأمر لا يمحو من عقلنا الباطن ذكريات الإخفاق والألم .

والعقل الباطن يرهب الألم والمذلة والتعب ، ويتحاماها دائماً جهد طاقته . وهذه الحقيقة هى علة ما يستحوذ علينا من السكون والخمود حين يكون من الخير لنا أن نبذل جهداً إيجابياً . فلئلا نواجه الألم ، وإن كانت مواجهته مجرد احتمال فحسب ، ولئلا نستعيد ذكريات الإخفاق السابقة ، نقرر ، بوحى من عقلنا الباطن ، أن نقعد عن العمل جملة واحدة ، أو أن نختار عملا أيسر علينا منه ، أو نبدأ منهجاً ونسير فيه قرب الموضع الذى أوذينا عنده من قبل ، ثم نختلق لأنفسنا عذراً وننكص على أعقابنا مهرولين ، وهكذا ينتصر العقل الباطن بهذا التصرف الصبيانى . فلكى نتفادى هما ضئيلا ، نعمد إلى جمع ذكريات الإخفاق التى لا بد من أن تؤذينا فى المستقبل ، وكذلك نضيع فرصة بعد فرصة قد لا تسنح لنا مرة أخرى .

تصحيح الاتجاه

إذا صدق كل ما قلناه من قبل ، وأيسر تحليل للنفس يثبت صدقه ، فكم يكون من المريح لكل منا أن يتأبط ذراع منوّم مغناطيسى أينما ذهب ليمده بعونه كلما وجب عليه أن يشرع فى عمل — ومع هذا فإن الحل الذى نعرضه عليك أهون من ذلك بكثير .

كل ما يطلب منك حتى تحطم قيود الخمود والشعور بالخيبة هو هذا :

كن فى تصرفك كأنما هو أمر مستحيل أنه تخفق .

فهذه هى التميمة ، وهذه هى الوصفة ، وهذه هى الصيحة التى تجعلك تدير وجهك من الإخفاق إلى النجاح .

وكل منا قد جرب بنفسه أو لاحظ تلك الحالة التى تسمى « شجاعة اليائس » . فإذا بلغ الحرج منتهاه تجيش هذه الشجاعة ، لأن نكبة ما ، أو سوء حظ متلاحق ، قد سدّ كل السبل إلا سبيل النجاح . ونحن نقول عمن كان فى مثل هذا الموقف :

« لم يكن لديه ما يخسره » . إذن فهو يعمل بسداد وشجاعة لم يكن يقدر عليهما عادة . وكثيراً ما يتوج هذا العمل بالنجاح ، حتى أصبح وقوعه مضرب الأمثال . فمن بلغ به الحرج مبلغاً لا يجسر معــه على الإخفاق يعمل دائماً ما ينبغي عليه أن يعمل ، أى يعمل عمل المؤمن بأن الإخفاق مستحيل .

وليس اليأس هو السلاح الوحيد الذى يقضى على احتمال الإخفاق ، فإن عمل المخيلة أمضى منه وأفضل ، فإذا استطعت أن تطبع فى مخيلتك هذا الوثوق الذى يملؤك لو علمت أنك ذاهب للقاء نجاح متيسر لك ولا بد منه ، وجدت أن أول ثمرة تنالها هى انبعاث نشاطك وتدفقه تدفقاً عظيما ، وتشعر كأنما عقلك قد تنفس الصعداء لخلاصه من الأسر ، وأنه قد عبّأ كل قواه . وليس سبب هذا أننا قد وُهبنا فجأة قوى جديدة عجيبة ، بل لأننا حينما أبينا الخضوع لسلطان الخوف الذى يردّ كل جهد نبذله عقيما ، اهتدينا إلى مواهب كامنة فينا أصلا ، لم تكن من قبل نبذل أى جهد لكي نعرفها ، فنتكشف فى أنفسنا قدرة أصيلة لم يكن يدور فى خلدنا أنها مستقرة فينا ، فإذا تبدت لنا شعرنا كأنها قد وهبت لنا لساعتها تلك .

ولكن كيف تطبع فى مخيلتك وثوق من يعمل وهو مؤمن باستحالة الإخفاق ؟

هذا أمر سهل ، فليس فينا أحد إلا وقد ذاق مرة لذة النجاح فى عمل ما ، وإن كان عملا هيناً . فارجع بذاكرتك إلى أمثال هــذا النجاح الذى لقيته ، حتى وإن كان نجاحاً يعود زمنه إلى أيام المدرسة ، وكل ما يطلب منك أن تطبعه فى مخيلتك هو الشعور بالثبات والوثوق اللذين كنت عليهما وقت النجاح .

واجعل انتباهك وقفاً على هذه الفكرة ، فإنها تحدد لك الوضع الذى يجب أن يكون عليه عقلك إذا أردت أن تعمل . وارفض دائما أن تبدأ العمل وعقلك لم يصل بعد إلى ذلك الوضع الذى ترومه . وعليك أن ترغم نفسك للوصول إليه بأسرع ما يمكنك . فإذا وصلت إليه ، ووثقت بأنه يملؤك من الشعور ما كان يملؤك وقت النجاح ، فاحتفظ به فى دخيلة نفسك قليلا من الوقت ، كأنما تنتظر أمراً يصــدر إليك بابتداء العمل . ولن تلبث حتى تشعر بقواك قد نشطت من عقالها ، إذ تكون نفسك قد أصدرت إليك أمرها فكان لك أن تبدأ العمل . وسترى أنك لست فى حاجة إلى أن تدفع نفسك دفعاً فى العمل ، فإن قواك الطليقة تعمل وحدها من تلقاء نفسها .

عشر قواعد للنجاح

ولكن بعد أن نصل إلى هذا الشعور الذى يهيئنا للنجاح ، يكون لا يزال من الضرورى أن تتوفر فينا أيضا صفتان عقليتان ، فيجب أن نجعل ذهننا أشد مضاء وأكثر لينا ، فنحن جميعا نميل إلى أن نوفق فى عملنا اليومى إلى نمط لا يتطلب منا إلا أقل جهد ، وهذه حقيقة ليست فى ذاتها سيئة الأثر لو أننا انتفعنا على خير وجه بالوقت الذى نوفره . ولكن الحقيقة المرة هى أن هذا الميل لبذل أقل جهد هو ديدننا فى حياتنا كلها . وكلما انقضى يوم نخلد فيه إلى تلك العادة ، أصبحت عقليتنا أكثر استرخاء وتهيبا ، وأقل تجربة ، إذ نكون قد استسلمنا إلى الضعف ، وتنازلنا عن براعتنا ، لكى نفرّ من حمل التبعات ما استطعنا ، حتى يبلغ بنا الأمر أن نمقت «النظام» لفظا ومعنى .

ومع ذلك فالنظام حتم لازم إن أردنا أن نربى فى أنفسنا تلك الصفات اللازمة لتمام انتفاعنا بالحياة ، فإن العقل يستفيد من النظام الذهنىّ ذلك الكمال الذى يستفيده الرياضى من نظامه فى تمريناته الجسمانية . فيجب أن نعنى أولا بمعرفة مقدرتنا العقلية ثم نستخدمها لما هى مهيئة له ، لنستطيع أن نستغلها أتم استغلال .

وسنورد هنا تمرينات ننصحك بها للوصول إلى هذا النظام الذهنى . وليست كلها متساوية النفع فى كل الحالات ، ولكن يطلب منك قبل أن ترفض أحدها أن تتفحص نفسك لترى أأنت إنما تطرحه جانباً لغير سبب إلا لأنه يفرض عليك شيئاً من النظام لا يروقك .

الأول : الزم الصمت كل يوم ساعة واحدة ، لا تتكلم فيها إلا لتجيب على أسئلة توجه إليك . ويجب أن يتم ذلك دون أن تجعل غيرك يظن أنك عابس متجهم ، أو أنك تشكو من صداع ، وحافظ ما استطعت على مظهرك المألوف ولكن بفارق واحد : هو امتناعك عن الكلام . واجعل إجابتك على قدر السؤال ، ولا تزد عليه ، ولا تحاول أبداً أن تفتح الباب لسؤال آخر . والغريب أن هذا التمرين يشق حتى على من كان يميل بطبعه إلى القصد فى الكلام . فمن عادتنا أن ننطلق فى التحدث إلى الآخرين كلما لقيناهم ، لا لشىء إلا لنثبت لهم أننا قوم لا ينقصهم الود والصداقة ولين الجانب .

وسرعان ما يتجلى لكثير ممن جربوا ما ذكرناه ، أننا نندفع عادة فى الحديث ، ونلمح على وجوه المستمعين أننا لم نفلح فى

الإبانة عما نريد أن نقوله ، وقد نهفو ونزل في الحديث بكلمة غير مناسبة ، فنعمد إلى الانتقال إلى حديث آخر ، فلا نكون فيه أحسن حالا ، ونتحول إلى غيره ، ثم نصمت لحظة نتدبر فيها الأمر ، ثم نقول بعدها كلاما نجعله محكماً ، ولكن المستمع وهو يستحضر في ذهنه إخفاقنا ثلاث مرات من قبل لا يقيم كبير وزن لما قلناه ، ويسلكنا بين الذين يهيمون بالكلام في غير طائل . وكل الذين مروا بهذه التجربة متفقون على أنهم حينما يصمتون يجدون في أنفسهم شعوراً لا يزال يزيد بأنهم قادرون على التحكم في الموقف ، فإذا عادوا للحديث فعلوا وهم شاعرون بأن حديثهم واضح ، وأن له هدفاً يرمى إليه .

الثاني : تعلم كيف تقضي نصف ساعة يوميا وقد حصرت تفكيرك في موضوع واحد . وهذا طلب قد يبدو في ظاهره يسيراً ، ولكنه في الواقع عسير . ويجب على المبتدىء أن يروض نفسه في أول الأمر على حصر تفكيره في موضوع واحد خمس دقائق فحسب ، ثم يزيدها تدريجاً كل يوم حتى يبلغ نصف ساعة . ويكون بدؤه باختيار موضوع مادي ، فيفكر مثلا في زهرة ما ، ويجب أن لا تكون هذه الزهرة بادية أمامك ، بل عليك أن تتخيلها في ذهنك وأنت تتمثلها ما استطعت بكل حواسك . فإذا فعلت ذلك ففكر في موطن هذه الزهرة ، وموسمها ، ومنافعها ، وما ترمز إليه من معان . فإذا جاوزت هذه الخطوة الأولى اليسيرة فانتقل من الماديات إلى المعنويات فتختار لنفسك موضوعاً يروقك .

فإذا مرنت على حصر تفكيرك فيما يروقك من المواضيع ، وتبينت أن ذهنك لا يسرح عنها ولو لحظة واحدة ، فابدأ باختيار موضوع جديد عليك ، كأن يكون أول سطر تقع عليه عيناك عرضاً إذا فتحت كتاباً أو مجلة ، واحصر تفكيرك في المعاني التي تتبادر إلى ذهنك من السطر الذي تقرأه .

ومما يسهل عليك القيام بهذا التمرين أن تستعين بقلم تخط به على ورقة خطا كلما شرد ذهنك ، وستجد ورقتك قد امتلأت بالخطوط في المرات الأولى ، إلا أن النجاح لحسن الحظ يطرد بعدئذ بسرعة ، فبعد الأسبوع الأول — وقد يمتد الأسبوع في بعض الحالات إلى شهر حين لا يكون الذهن مطاوعاً — تجد ورقتك تكاد تكون بيضاء بعد نهاية نصف الساعة . وفائدة هذا التمرين لا تخفى على من يريد الشروع في عمل يحتاج إلى الابتكار . ومن الحكمة أن تقوم بهذا التمرين في أول

الأمر وأنت فى خلوة منفرداً ، ثم يجب أن تكون بعد ذلك قادراً على القيام به إبان مشاغلك الأخرى ، كأن تقوم به وأنت فى الترام أو فى القطار فى ذهابك إلى عملك أو إيابك منه .

ولك أن تسمى هذا التمرين بكل بساطة « حصر الذهن » ، هذه الملكة التى طالما وصانا بها فى غير طائل أساتذة مدارسنا .

فإذا أصبحت قادراً على حصر ذهنك جنيت ثماراً لا تحصى ؛ فتستطيع أن تتعلم لغة أجنبية بكل سهولة وفى وقت قصير ، وقد تكون لهجتك سقيمة مضحكة ، لأنك لم تعتد النطق بتلك اللغة منذ صغرك ، ولكنك تستطيع قراءة ما يطبع بها من الكتب والمجلات . وتستطيع كذلك — إذا كنت من أصحاب ملكة حصر الذهن — أن تحفظ من ألفاظ لغة أجنبية فى شهر واحد ما يكفيك للتفاهم مع غيرك إذا أردت القيام بسياحة فى البلد الذى يتكلم أهله تلك اللغة .

وكذلك إذا عقد امتحان بين متسابقين فإن أسرعهم فى الوصول إلى جواب الأسئلة هم الذين مرنوا على التفكير الثابت المركز .

الثالث : اكتب رسالة لا تتضمن ضمير المتكلم فى كافة صوره . واجعلها رسالة أنيقة رشيقة ، فإذا بلغك أن المرسل إليه قد لاحظ أثر التعمل فى هذا الخطاب فاعلم أنك قد أخفقت فى التمرين .

وهذا التمرين يقطع انشغالنا بأنفسنا ، ويمكننا من الإفلات من قيد شخصياتنا ، حتى لكأننا نصبح نراها من بعيد ماثلة أمامنا .

فإذا أردت أن تنجح فى هذا التمرين وتكتب رسالة موفقة ، فلا بد لك من أن تحول ذهنك من الداخل إلى الخارج ، فإن الانقطاع — ولو برهة يسيرة — عن الانشغال بأمورنا يجعلنا ، إذا عدنا إلى هذا الانشغال من جديد ، أصفى ذهنا وأروق بالا .

الرابع : لا تذكر ضمير المتكلم فى حديثك مدة ١٥ دقيقة كل يوم .

الخامس : اكتب كتاباً تم روحه على النجاح والرضى . ويجب أن تلتزم فيه قول الصدق ، فلا تدع باطلا ولا تكذب ، بل تخير من تجاربك ما تعتقده حقاً جديراً بأن يذكر فى كتابك ، واقصر حديثك عليها ، واجعل أسلوبك ينم على أنك حين كتبته كنت لا تشعر بأقل يأس أو خيبة .

والغرض هنا هو أن تتحول من موقف سلبي حافل باليأس إلى موقف إيجابى فيه خيرك .

ومهما بدا لك فى مبدأ الأمر أن لا أمل فى العثور على مادة صالحة لكتابك هذا ، فإنك لن تلبث طويلا حتى ترى قلمك يجرى بسهولة فى ذكر واقعة بعد أخرى ، وأنك كنت تغمض الطرف عنها حينما ظللت حاصراً ذهنك فى اليأس والتندم . فإن النجاح لا يتأتى بلا ريب إلا بالتخلى تماماً عن التحسر والكآبة .

السادس : إذا صادفك إنسان لأول مرة وأخذ يحادثك ، فدعه يتحدث عن نفسه دون أن تشعره بما تفعل . فإذا سألك سؤالا بدافع من التأدب فى الحديث فجاوبه بسؤال من جنسه توجهه إليه ، دون أن يشعر من فعلك هذا بأنك صددته . فإن كنت كريم القلب ، واسع الذهن ، ملت إلى مخاطبك ميلا كبيراً ، وزال عنك آخر أثر لهذا الشعور المثبط الذى يسمى « الشعور بالنفس » ، وأقل ما تفوز به هو أن يتسع رأيك وتدرك كيف تبدو الدنيا لبعض الناس .

السابع :(وهو عكس سابقه، وأشق منه لمن يتعمده) « اجعل كلامك قاصراً على نفسك وما تهتم له ، دون أن تتشكى أو تتباهى ، ودون أن يشعر سامعك — إن أمكن — بالملل من حديثك » . بل اجعل شخصك وأعمالك تبدو له فى ثوب شائق يسترعى اهتمامه .

ومن غرائب المتناقضات أن يكون هذا التمرين خير ضابط لمن اعتاد الإسهاب فى التحدث عن نفسه ، فإننا نتحدث عادة — ونحن ساهون — عن أنفسنا وما نهتم له فلا نلتفت إلى ما يظهره المستمع من علامات الملل وقلة المبالاة والضيق ، والأغلب أن أقل هذه العلامات لن تخفى علينا إن نحن تحدثنا عن أنفسنا ونحن شاعرون بما نفعل . وسيتجلى لنا سريعا أن التحدث عن توافه الأمور وما ألفه الناس وتكرر وقوعه يبعث السأم فى النفوس فى حين أننا نظفر بإصغائهم لو أعانتنا فى الحديث تجارب مشوقة ، أو مواقف دالة على ذكائنا وحسن تصرفنا ، أو قيامنا بعمل جديد — والخلاصة أنه سيتبين لنا جليا أننا قد نغنم كثيراً لو عملنا على تزويد أنفسنا بثروة من التجارب والمغامرات ، وكنا فى تصريف حياتنا اليومية أكثر ذكاء وفهما .

الثامن : ضع خطة لساعتين من يومك والتزمها ، فترسم لنفسك فيهما مثلا برنامجا تتدرج فيه من قراءة المجلات إلى الرد على ما وصلك من رسائل ، وأخيراً إلى قراءة

كتاب معيّن . على أن يكون انتقالك من خطوة إلى خطوة فى تمام الوقت المحدد لها — لا قبل ولا بعد . فإذا لحقك الموعد وأنت مستغرق فى قراءة المجلة ، فهذا أمر قد يثير أسفك ، ولكن لا مفر لك من أن تتركها لتنتقل إلى الخطوة التالية ، وهكذا .

والغرض من هذا التمرين هو إظهار سوء تقديرنا لما يلزمنا من الوقت لإنجاز عمل معين ، فنحن نقرر — بغير اكتراث — أن نفرغ ساعتين بعد الغداء للقيام بعمل يحتاج فى الواقع إلى النهار بأكمله .

ومن الميسور أن نتعلم كيف نحسن استعمال الوقت إذا وضعنا فى مبدأ الأمر برنامجاً لساعتين من نهارنا ، ثم لثلاث ساعات ، ثم لأربع ، وهكذا حتى نصل إلى ثمانى ساعات ، يتمثل فيها الوقت الذى يجب أن نعمل ونحيى فيه خير حياة .

ووضع برنامج ثابت لا نحيد عنه لليوم كله ليس من المستطاع دائماً ولا هو من المرغوب فيه ، ولكن وضع خطة ليومنا ، والتزامها بين الحين والحين ، ينبهنا إلى قيمة الوقت ، ويعلمنا أننا نستطيع إنجاز ما نرجوه من العمل إذا نحن لم نضع وقتنا سرَفاً .

التاسع : (وهو أشق التمرينات كلها ، وسيرى الكثيرون من القراء أن ما يطلب منهم هو من باب التعسف فحسب ، فلا يقدمون على أداء هذا التمرين . نعم ، هو من باب التعسف فحسب ، بل إن التعسف هو قوام هذا التمرين) . دبر لنفسك مواقف لم تألفها ، ورُض نفسك عليها ، فليس من السهل أن نتخلص من جمود الحياة . ولكن المرونة شرط له من الخطر ما يجعله لازماً لحياتنا كل اللزوم . وقد يبدو لك أن المطالب التالية عبث وسخف ، ولكن ثق أن نتيجتها ستثبت لك قيمة هذا التمرين .

اكتب على قصاصات من الورق — وتكفى اثنتا عشرة قصاصة فى مبدأ الأمر — تعليمات من القبيل الآتى :

قم برحلة تقطع فيها عشرين ميلا مستعيناً بوسائل الانتقال المألوفة كقطر السكك الحديدية والترام . . . »

« صم عن الأكل ١٢ ساعة » .

« كل مرة فى مطعم لم يكن يخطر ببالك من قبل أن تقصده » .

« لا تتكلم طول يومك إلا رداً على سؤال » .

« اسهر الليل كله مقبلا على عملك » .

والمطلب الأخير هو أهم هذه المطالب كلها ، إذ يجب أن تهيء نفسك للعمل بثبات وبهدوء ، وتغالب كل ميل للاضطجاع ولو قليلا ، ولكن لك أن تسترخى

مقعدك كل ساعة أو نحوها ، ثم انشط إلى العمل من جديد إذا شعرت بأن الراحة قد تمادت بك فانقلبت كسلا . والساهرون بالليل فى عملهم هم وحدهم الذين يدركون ما فى عقولنا من كنوز مخبأة لم نبحث عنها من قبل . فقد اعتدنا أن نستسلم للتعب إذا هاجمنا أول مرة ، وأن لا نظل ساهرين إلا إذا وجدنا أمامنا ما يسلينا . اطو هذه القصاصات فى اثنتى عشر طرفاً ، واخلطها بعضها ببعض ، وضعها فى درج مكتبك . وعليك فى كل أسبوع مرة ، أو فى يوم معين من كل شهر ، أن تأخذ قصاصة وتفتحها ثم تقرأها وتنفذ ما فيها .

وقد يكون المطر منهمراً من مثل أفواه القرب ، أو تكون الشمس محرقة والرياح سموماً ، وأنت تجد فى القصاصة أمراً بأن تقطع مسافة عشرين ميلا . فيجب أن تطيع اللهم إلا إذا كنت مريضاً لا تقوى على الخروج . وكلما سارعت إلى أخذ نفسك بالحزم والعسف ، قويت إرادتك وصلب عودك . وشتان بين ما ننصح به لك هنا ، وبين ما نحذرك منه ، ألا وهو أن تنقلب رجلا قلقاً عنيداً يركب رأسه كل مركب .

ولك أن تضيف إلى هذه القصاصات أوامر بأعمال تشعر فى نفسك أنها تشق عليك ، وتعتقد فى الوقت ذاته أنه من الخير لك أن تقوم بها . وأنا أعرف شاباً يشكو الخجل والحياء قد راض نفسه على أن يبدأ الحديث يوميا مع ثلاثة من الغرباء . وليكن حكمك فى اختيار ما تريده من الأوامر ، أن تكون مقومة للاعوجاج ، وأن يكون مما لم تقم به من قبل ، لتهز مألوف حياتك هزاً .

العاشر : تخيرلك ، بين الحين والحين ، يوماً تقول فيه « نعم » إجابة لكل طلب تراه معقولا . وتزيد فائدة هذا التمرين بازدياد ميلك إلى العزلة عن المجتمعات ، إذ ستجد أناساً يدعونك إلى حفلة شاى ، وأناساً يدعونك إلى تغيير صناعتك أو عملك . أما الدعوة إلى حفلة الشاى فلا بد من قبولها مهما كرهت مخالطة الغرباء ، وأما تغيير الصناعة أو العمل فأمر لا يضيرك أن تبحثه وحدك على مهل ، فإنك لن تسترشد فيما تعزم عليه إلا بوحى العقل وحده . فإذا دعيت للشاى فاذهب ولا تخف ، فلن تأكلك السباع ذلك اليوم ، بل ستخرج بنتائج عظيمة الأثر ، فيها تهذيب لك أحياناً ، وفيها أكبر النفع أحياناً أخرى .

وفى أول مرة أديت فيها هذا التمرين سئلت أن ألقى فى إحدى كليات الآداب درساً عن الفن القصصى ، ولم يكن قد

سبق لى من قبل أن تلقيت مثل هذا الطلب . ومع كرهى للتدريس ، واعتقادى أن الفن القصصى موهبة لا تستفاد من معلم ، فقد قبلت ، تنفيذاً للتمرين . واستمعت إلى الأسئلة التى وجهها التلاميذ إلىّ ، فأدركت أن ما بين أيديهم من الكتب لا يجيب على تلك الأسئلة التى حيرتهم ، فاعتزمت أن أضع كتاباً يجدون فيه بغيتهم . أما الكتاب الذى تقرأون خلاصته اليوم فهو أيضاً نتيجة لقولى « نعم » فى يوم التزمت فيه أن أقولها .

فقد دعيت إلى إلقاء المحاضرة وأنا لا أجد فى وقتى فراغا يتسع لها ، وربما كنت رفضتها لولا تعليمات هذا التمرين .

ولا يفيد هذا أن كل يوم من هذا القبيل كان له من الأثر البالغ ما تركه يومى الذى ذكرته ، وإن كنت أقر بأن أيامى كلها ممتعة ، وهذا حسبها .

ولكن إياك أن تتسرع وتستخلص من ذلك أنه ما دام قد أثمر يوم من هذا القبيل هذه الثمرة ، فخليق بكل يوم أن يأتى بمثلها ، إذ أن الواقع على عكس ذلك ، فيجب — بين الحين والحين — أن تكف عن الجرى وراء هذه الدعوات . وأجدر الناس بالاستماع لتلك النصيحة هم الذين لا ينفكون عن التردد على حفلات الشاى والمسارح والسينما ، إذ يجب على أمثال هؤلاء أن يتعلموا رفض الكثير من هذه الدعوات ليفرغوا إلى تهذيب أنفسهم .

إذا راقتك هذه التمرينات فستجدها نافعة ومسلية معاً ، كبعض الألعاب التى تنازل فيها لاعبا آخر ، فإن هذه التمرينات التى تقتضيك حشد كل مقدرتك للتغلب على نفسك ، إنما تختار لك منازلا هو أمكر ممن تلاعبهم وأوسع حيلة . فإذا انتصرت عليه بذكائك حق لك أن تزهى بانتصارك وتطمئن إلى مقدرتك . وأخيراً ، فإنك تستطيع إذا مضيت فى هذه التمرينات أن تستعين ماشئت بكل مقدرة ذهنية تكون قد ظهرت أو نمت بفضل هذه التمرينات ، وستجدها تلبيك غير مبطئة .

لقد أردنا أن نتدبر فن النجاح وأصوله فى هذه الصفحات ، فذهب أكثرها من تحليل وتفصيل ، قد يخيل منها للقارىء أنه مدفوع به فى طريق طويل يقطعه بخطى متثاقلة . والحقيقة أن النجاح يسير بخطى أكثر سرعة ويسراً ومضاء — ولا يستطيع أى كتاب أن يظهرها بالتحليل ، فإن التوفيق فى العمل يبعث فى النفس إحساساً له لذة وبهجة . وقد قال حديثاً أحد نبغاء المصورين لبعض أصدقائه :

« إذا رأيتنى أعمل وأنا مسرع علمت

أنني على هدى . فإذا تراخت يدى وتباطأت ، أدركت أنني انحرفت عن الغاية ، وأنني لا أجيد رؤية ما أريد رسمه . فإذا رأيتني على هدى كان عملي هيناً كأنما هو لعب » .

هذا ، ومع أن العمل الذى يرمى إلى هدف قد يبدو لك أسرع وأمتع من سواه ، فلربما كنت تعمله فى الحقيقة بحركة أبطأ وعناية أشد مما ألفت واعتدت . فالمهم أن لا تخفى عليك الأغراض والعواقب ، وأن لا ينصرف جزء من ذهنك فى اللهو والعبث وأنت مقبل على عملك ، فهذه الصفات وحدها هى التى تنظم خطى السير فى طريق النجاح .

والرغبة فى الوصول إلى القصد والسداد فى العمل ، هى التى تدفعنا إلى أن نتدرب على ضبط النفس . والكياسة ، والمياسرة ، وأن نتعلم كيف نحيد بالمخيلة عن الخوف ونرمى بها فى طريق مبارك ، وأن نعتزم التصرف بحكمة فى الصغير من الشؤون ، لنجد فى أنفسنا ماينبغى من الشجاعة لمواجهة عظائم الأمور . والشجاعة شرط لا يتم بدونه النجاح .

ولن ندرك غاية جهدنا إلا إذا كنا نعمل بعزم الواثق بالنجاح ، المؤمن بأن الإخفاق مستحيل . وسيجد كل رجل سليم العقل أن « النجاح » و « إتقان العمل » اسمان على مسمى واحد .



اعمـل لدنياك كأنك تعيش أبداً
واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً

[على بن أبى طالب]

☆☆☆☆☆☆☆☆

احتمال

سألت مقاتلا فى إجازة ، رأيه فى سر قوة الجيش الأمريكى .

فقال : « التفاؤل . . . وإليك ما يحدث : يطلب الكابتن مئة متطوع . فتطوع . ثم يقول : « من واجبى أن أحذركم أنه يحتمل أن يقتل تسعة وتسعون منكم » . وتمر دقيقة نشعر خلالها بشىء من الرهبـة ، ثم يتنفس الصعداء كل واحد من هؤلاء المئة ، ويلتفت حواليـه ، ويقول فى ذات نفسه : « ليحزننى فقد الإخوان » .

[رتشرد كنى]

تمنيات طيبة

كنت أرقب جون العجوز يكنس أوراق الأشجار المتساقطة ، وكانت الحديقة واسعة الأرجاء ، ولا يدع جون ورقة واحدة تفلت من مكنسته .

فقلت لجون : «ألا تتمنى أن تصبح جميع هذه الأوراق كومة واحدة ؟»
فأجاب : « نعم ! وفى وسعى ذلك » .
فقلت متحدياً : « أرنى » .

فقال : « أيتها الأوراق ! تجمعى كومة واحدة » واستمر يكنس فى هدوء حتى تم جمع الكومة . ثم قال : « هذه هى الطريقة التى تحقق بها ما تتمنى ، وما عليك إلا أن تستمر فى العمل الذى تريد إتمامه » .

وظل هذا الحادث فى ذهنى ، ولقد وجدت فيما بعد عند دراستى حياة العلماء والمصلحين وغيرهم ممن أتوا بالمعجزات والعجائب ، أنهم هم أيضاً كانوا يعرفون طريقة جون هذه ، فإن أفعالهم العظيمة كانت عقبى تمنى شىء ما ، ثم العمل على تحقيقه عملا متواصلا لا ينقطع .

[إيزابل ب . مونكيور]

انتصار الصحراء

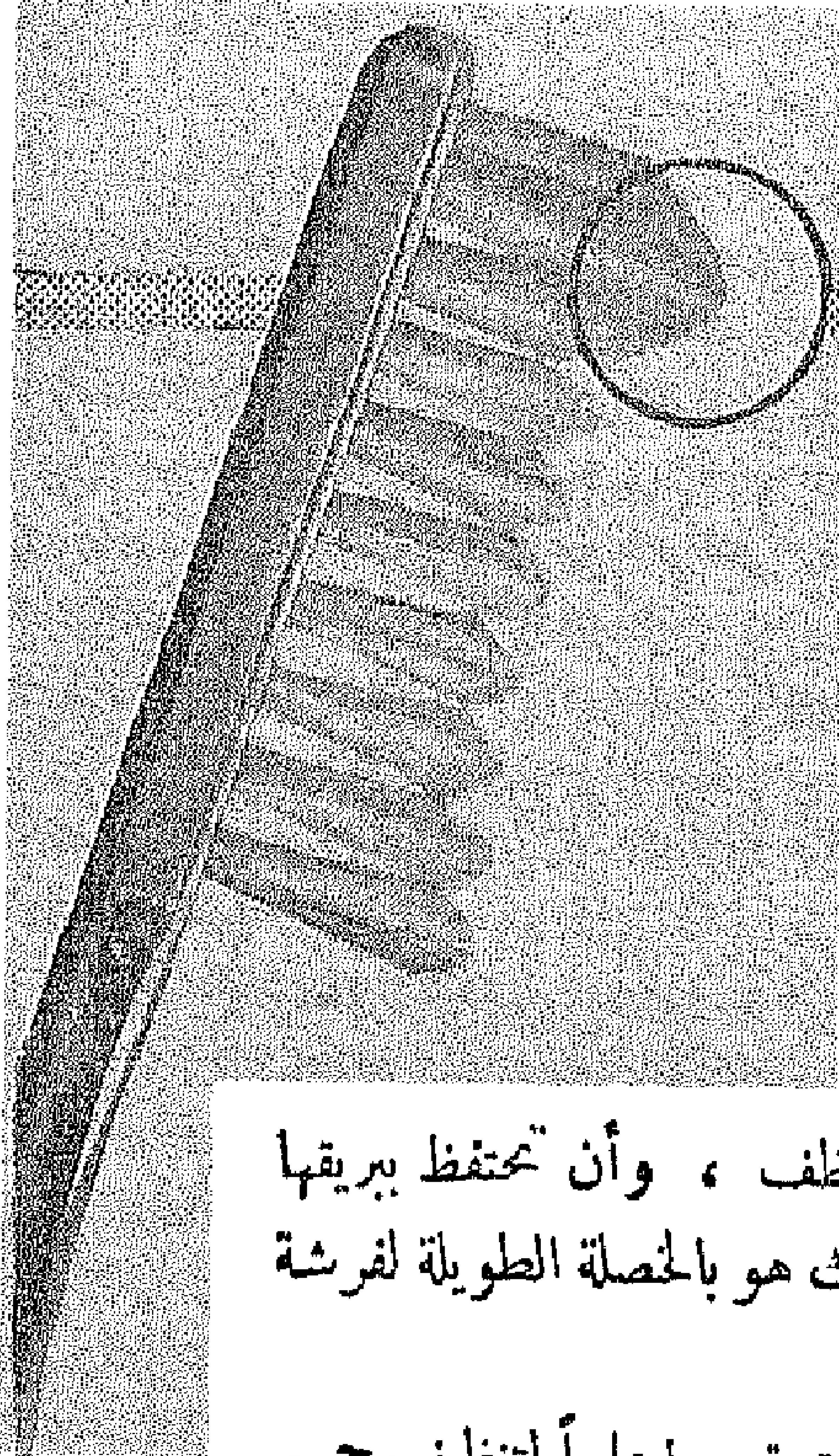
كانت سيارتنا الفورد القديمة تنفخ وتلهث فى صحراء سونورا وهى تسير وسط نباتات ذات حسك وأشواك . ورأينا على حين فجأة أرنباً برياً يمر مر الريح أمام سيارتنا وفى أثره كيوت ، وسرعان ما غابا عن أنظارنا .

وأتينا بعد مسافة قصيرة على منظر لن يزول أثره من مخيلتى . رأينا تحت شجرة كبيرة من الصبار بساطاً كثيفاً من الحسك والأشواك المتساقطة ، يحيط بها فى دائرة قطرها خمس عشرة قدماً ، ورأينا كيوتاً ثائراً يمد يده فى حذر بين الأشواك ثم ينثنى عنها متألماً وهو لا يستطيع أن يلج ، ورأينا الأرنب عند جذع الشجرة تحيط به الأشواك من كل جانب وقد جلس مستريحاً ينظر إلى الكيوت فى رقة وظرف وقد غضن له أنفه الدقيق ساخراً به .

[جون جاردنر]

طبيب أسنانك دون غيره هو وحده الذى يراها –

ولكن الأسنان الخلفية يجب أن تنظف كذلك





نعم أن الأسنان الخلفية يجب أن تنظف ، وأن تحتفظ ببريقها أيضاً . وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هو بالخصلة الطويلة لفرشة الأسنان پرو – فى – لاك – تيك .

إن فرشة پرو – فى – لاك – تيك قد صممت تصميماً علمياً لتنظيف جميع الأسنان . وإن خصلتها الطويلة تنظف الأسنان الخلفية تنظيفاً تاماً وشعرها الكث المسوّى يتخلل الأسنان الأمامية ويصقلها صقلاً فعالاً .

لا تهمل أى سن من أسنانك — نظفها جميعاً بواسطة فرشة الأسنان پرو – فى – لاك — تيك .

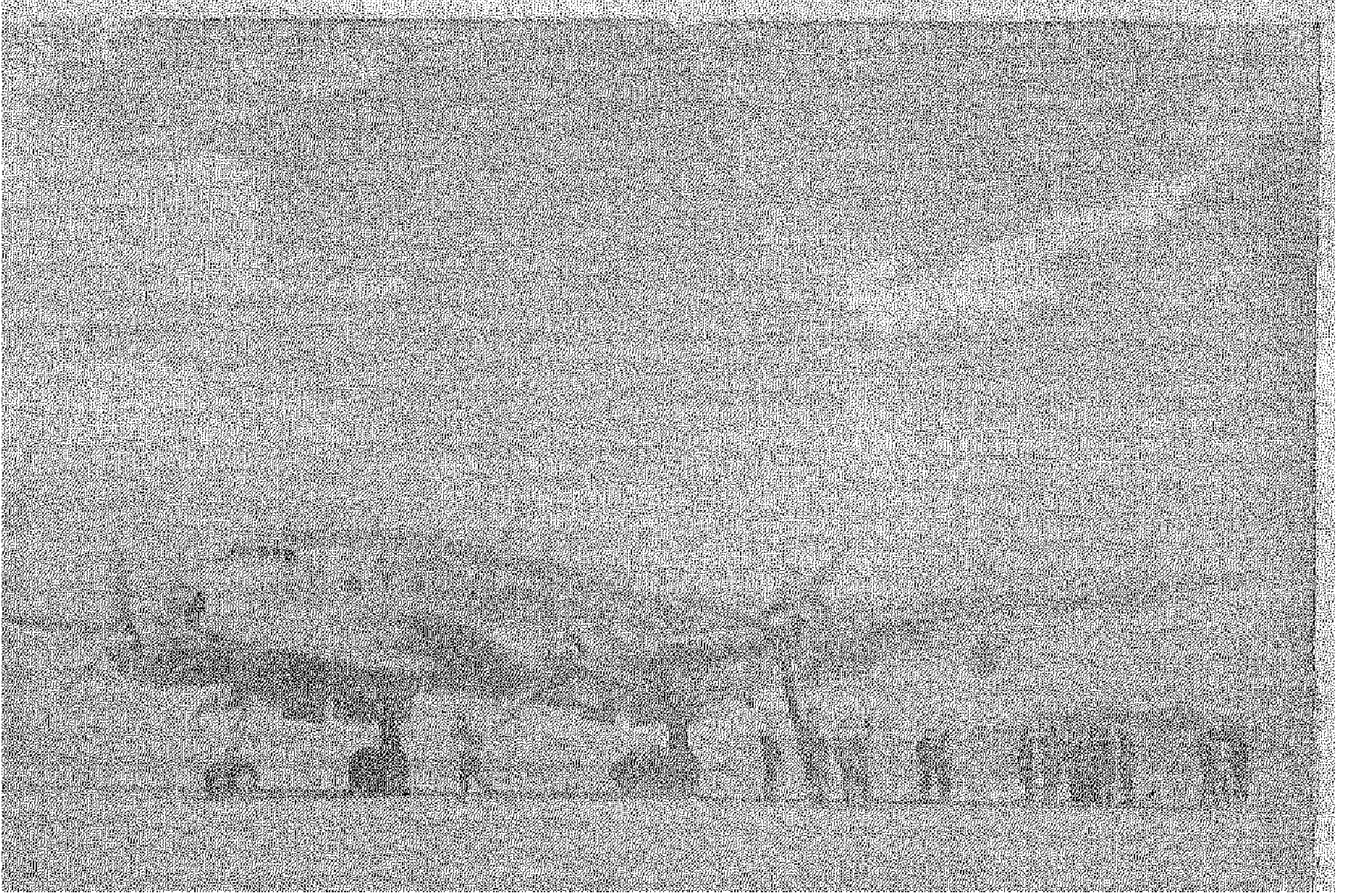
فرشة الأسنان پرو-فى-لاك-تيك

معجون الاسنان ليسترين –
سيعجبك مذاقه – وستعجبك الطريقة التى
ينعش بها فمك – وفوق كل هذا سيعجبك
كيف ينظف الاسنان ويجعلها بيضاء ناصعة



مطهر ليسترين – عند
ظهور اول اعراض البرد او التهاب الحلق
استعمل مطهر ليسترين للغرغرة،
وكذلك للاسعافات فانه مطهر مأمون





طائرة كونستليشن الضخمة

سرعتها أعظم من سرعة أى طائرة نقل

سرعتها العادية تزيد عن ٥٠٠ كيلو متر فى الساعة

وهى أطول مدى — تطير بدون توقف من ساحل أمريكا الغربى إلى ساحلها الشرقى

أكبر الطائرات مقدرة على الحمل — ٦٤ راكباً . يضاف إليهم رجال الطائرة والشحن

أسرعها ارتفاعاً — أكثر من نصف كيلو متر فى الدقيقة مدفوعة أربعة محركات

هذه العوامل المميزة جعلت من طائرة كونستليشن أضمن طائرات النقل وأعظمها أمناً

ارتقبوا من لوكهيد Lockheed كل ممتاز وجديد

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U. S. A.

عمل الجرار

إنّ أمماً كثيرة ، كشفت الآن أن قوة الجرّار تسدى يداً جليلة إلى الزراعة السليمة وشبكة واقية من الطرق – وهذه أحوال يرتبط بها ويتوقف عليها الرخاء الاقتصادى فى أية أمة .

وإن استعمال الجرار الحديث ليساعد على إقبال الزراعة ونجاحها وذلك لأنه يضمن حرث الأرض حرثاً أدق ، وزراعة النبات زراعة أحكم ، ومحصولا أكبر وربحاً أوفر . وجرار أليس شالمرز المتعدد المنافع المبين فى الشكل يتيح لرجل واحد أن يؤدى عمل رجال ، وهنا يزرع حقل كامل من القطن .



وإن بناء الطرق — وهى شرايين المواصلات — ليمكن تسهيله إلى حد كبير باستعمال المعدات الحديثة كممهد أليس شالمرز ديزل القوى المبين تحت هذا الكلام ، وهو يحل محل وسائل العمل اليدوى الشاق الضعيف الكفاية .

وفى فترة التوسع والتحسين التى تمتد أمامنا فى ميدانى الزراعة والصناعة ، سيكون للجرار شأن عظيم . ونحن ندعوك أن تتدبر كيف تستطيع أن تستعمل أنواع الجرارات المتعددة الأشكال والأحجام التى نصنعها لإنماء موارد الثروة فى الشرق الأوسط .

ALLIS-CHALMERS

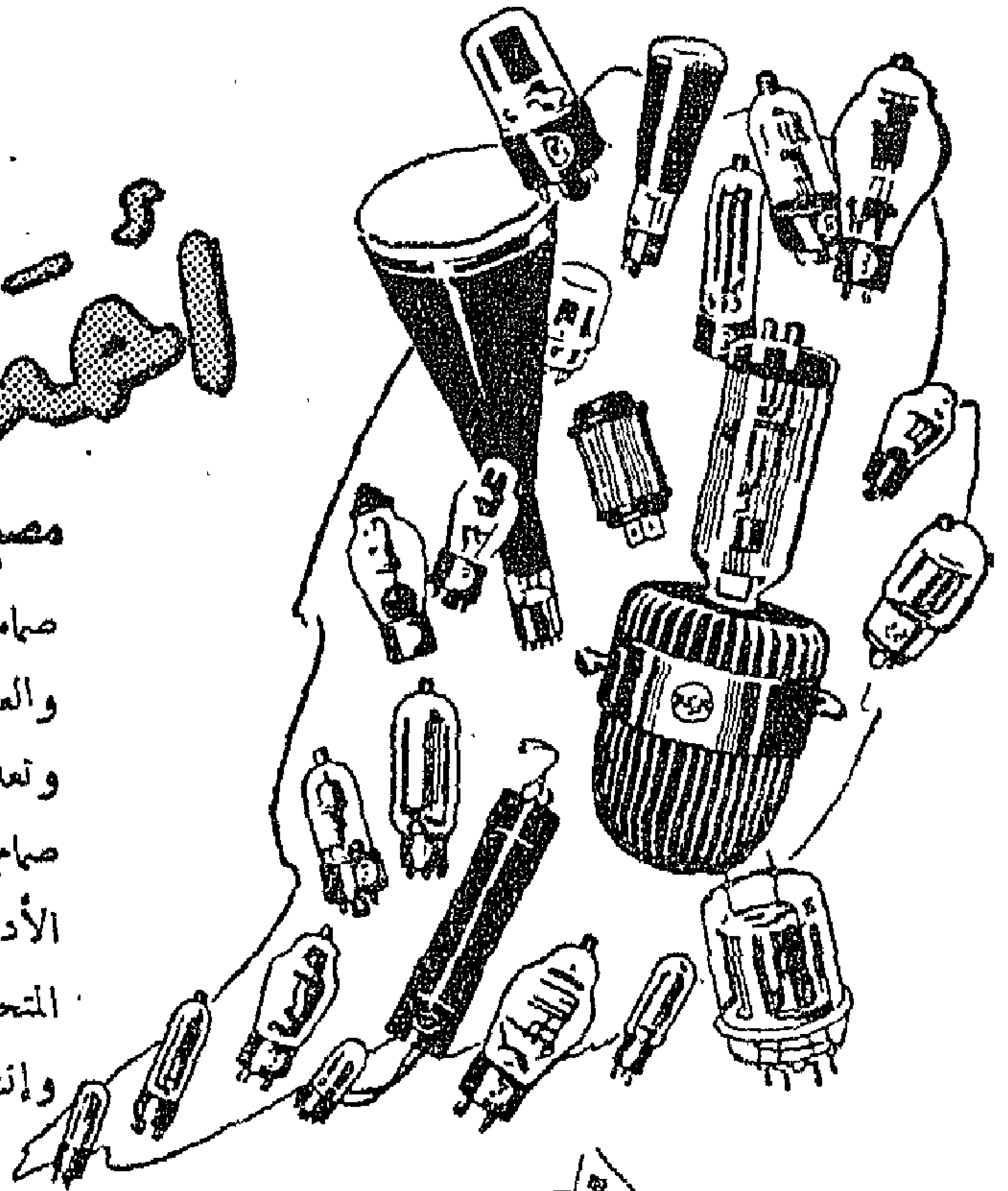
DEPARTMENT AR-D 1244

TRACTOR DIVISION, MILWAUKEE, 1, U.S.A.

منتجو آلات مضمونة منذ عام ١٨٤٦

RCA تقدم

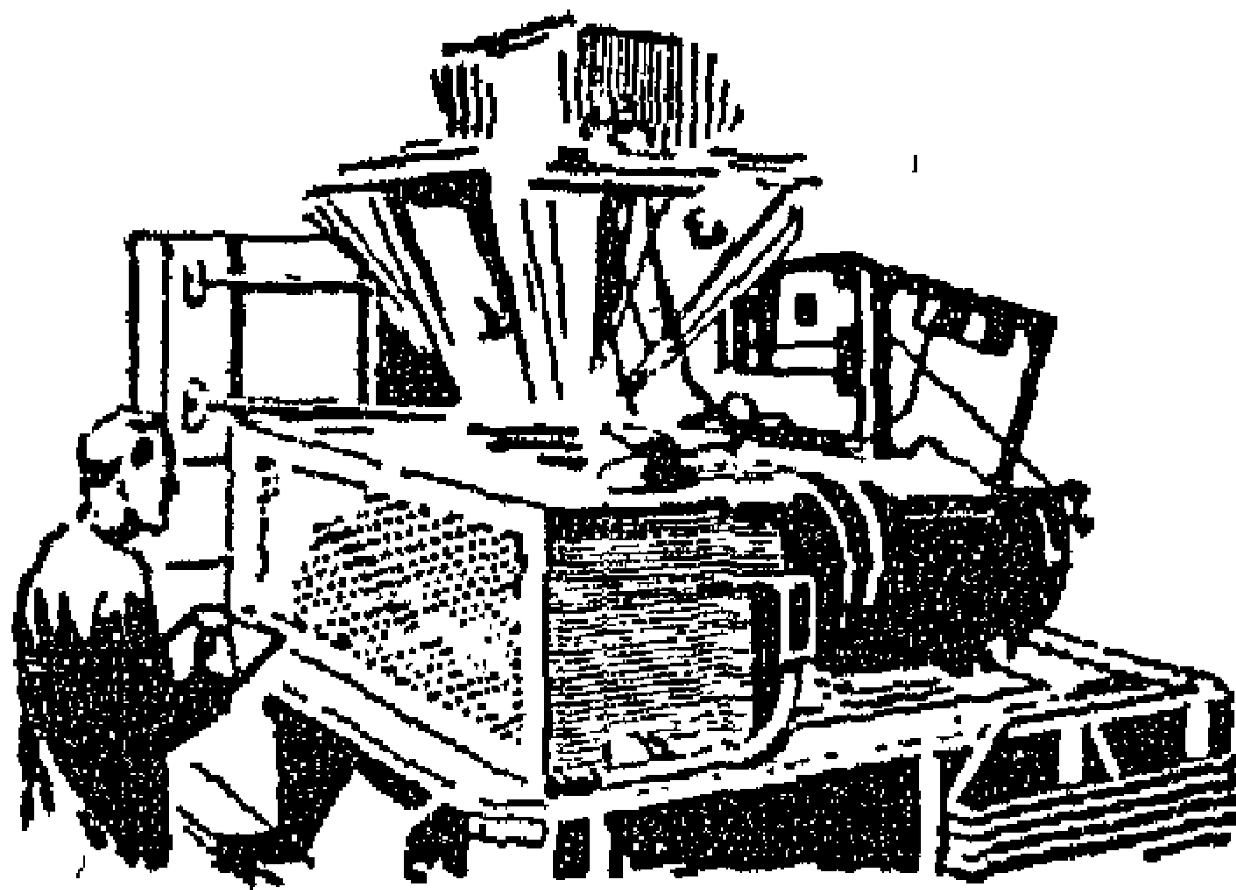
أحدث مبتكراتها



مصباح علاء الدين فى المستقبل القريب: تقوم صمامات RCA الاليكترونية بمعجزات فى الصناعة والعلم... إنها ترى، وتشعر، وتشم، وتذوق، وتعد، وتسمع، وتتذكر، وتتكلم. وهناك صمام RCA اليكترونى خاص لكل غرض. وهذه الأدوات تستعمل الآن لتأييد قضية الأمم المتحدة ولكنها ستشارك فى تأييد السلام وإنشاء عالم أفضل فى الغد القريب



الفتنة دائماً جديدة: فتنة دينا شور نجمة شركة وارنر السينمائية وكذلك الشخصيات المحبوبة الأخرى تسجل فى هوليود ثم تعرض فى مسرحك المفضل باستعمال أجهزة RCA فوتون. إن المهارة الهندسية التى أتقنت صمامات RCA الاليكترونية وسائر أجهزة الراديو الحديثة تطبق فى أساليب RCA لتسجيل الفلم والصوت بالمسرح.



يمكنها أن تهز منزلك: صنعت RCA أجهزة تهتز اهتزازاً قوياً، لتبين مواطن الضعف فى الأجهزة اللاسلكية للطائرات وتوقيها. فكذلك تستطيع شركة RCA أن تتقن الأجهزة اللاسلكية للطائرات قبل استعمالها. وهذه الأجهزة لها أعظم شأن فى توسيع آفاق المواصلات والمخاطبات.



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

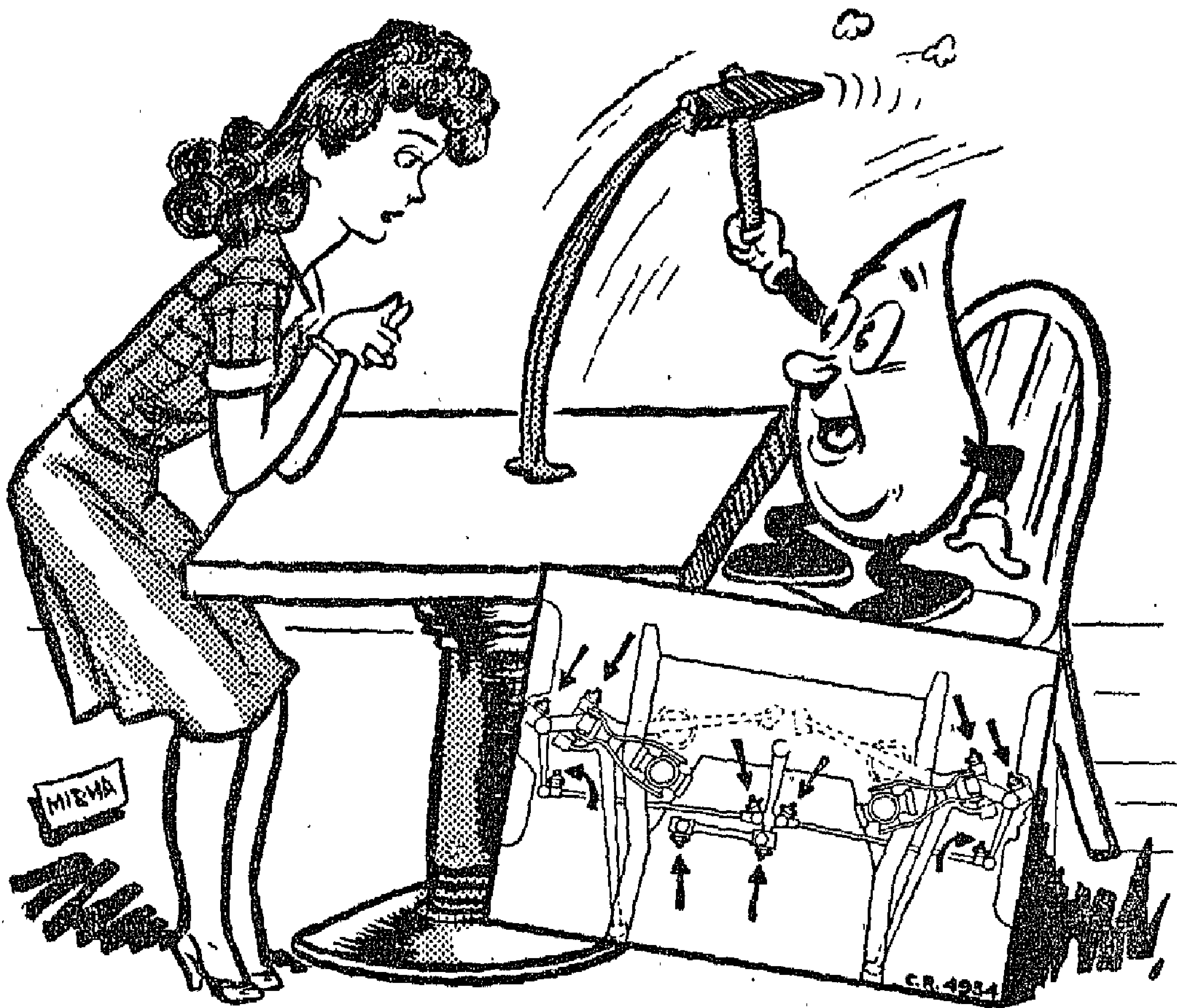
تتقدم القافلة فى الراديو.. تليفزيون .. صمامات.. فونوغرافات.. اسطوانات.. اليكترونات

سواء أكان محوريتاك من النوع المعروف "بالركب" (التعليق المستقل) أو كان ثابتاً، فقد وضع تصميم لهذا الجهاز بحيث يمكن وقايته من التآكل بواسطة غشاء رقيق من الشحم فإن الطرق الوعرة والحرارة المرتفعة تتطلب شحماً يتحمل الصدمات التي تصيب المحور والتي تشبه حركة المطرقة. أي شحماً لا ينطاير من هذا الجهاز الحيوي بفعل صدمات الطريق.

وشحم موبيلجريس نمرة ٣ لهو ذلك الشحم الممتاز الذي تتوفر فيه صفتا اللزوجة والالتصاق اللتان تجعلانه بحق الشحم الملائم للأعمال المرهقة. وإن عملية تشحيم موبيل بواسطة شحومات موبيلجريس من النوع المناسب تكفل قيادة سهلة وتساعد على منع الصرصرة والخشخشة.

اطلب دائماً الأفضل - تشحيم موبيل.

فهذه الخدمة الممتازة تقدم في جميع محطات بنزين شركة سوكوني - فاكوم أويل



تفوق تشحيم "موبيل" على غيره

سوكوني فاكوم

يقضي على كل منافسة

أحدث إطار في العالم
للمسافات الطويلة

شركة جنرال تير أند رابر اكسبورت

أكرون . أوهايو . الولايات المتحدة

تلغرافيا : جنتيروكو اكرونوهايو

مصانع في الولايات المتحدة ، وكندا
والمكسيك ، وفنزويلا ، وشيلي ، والبرتغال





هدية تدخر مدى الحياة !
... قلم پاركر "٥١" اللامع

● صنع دقيق ... محكم التناسب ... قلم پاركر «٥١» أنيق رشيق كطائرة فى الهواء .

حرك طرفه الأملس الذى يشبه الطريد على الورق تجده يكتب فى الحال فى يسر ودون مجهود تقريباً .

ثم يتجلى السحر ! فإن هذا القلم وحده يستعمل حبر پاركر «٥١» الجديد العجيب .. وهو يجف وأنت تكتب . ومع ذلك فإن قلم پاركر «٥١» يمكن أن يستعمل أى نوع آخر من الحبر .

وطبيعى أن قلما تشتد فيه رغبة الكثيرين قد يكون نادراً وعلى ذلك إذ لم يكن لدى موردك قلم پاركر «٥١» ، فسجل طلباً لديه فإنه سيتمكن من إمدادك بقلم قريباً .

الألوان : أسود ، أزرق قاتم ، رمادى ، بنى والماسة الزرقاء على مشبكة معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .

يجف مداده حال كتابته !

شركة أقلام پاركر
چانزفيل ، ويسكونسن ، الولايات المتحدة

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U.S.A.

پاركر "٥١"

PARKER "51"

منتجات شركة مونسانتو الكيميائية

لخدمة صناعة الصيدلة :

أســبنانيليد ، أسبرين ، حامض البنزويك ــ كلورامين ــ جليسروفوسفات ــ سليسلات المثيل ــ فينول فتالين ــ سليسلات ــ سالول ــ بنزوات الصوديوم ــ سلفانيلاميد وغيرها .

لخدمة صناعة المطاط :

عناصر مناعدة ــ مواد مضادة للأكســدة ــ مواد ملينة ــ مواد مذيبة .

لخدمة معالجة الماء المستعمل فى الصناعة :

سلفات الألومينيوم ــ ســلفات الحديد ــ هيبو كلوريد الصوديوم ــ فوسفات ــ سانتو بريت لمنع الحموضة والطحالب من ماء الصناعات .

لخدمة صناعة الورق :

سلفات الألومينيوم ــ أمونيا ــ أحماض ــ مواد نفاذة ــ فوسفات وغيرها .

لخدمة صناعة للمواد الغذائية :

جواهر لتعطى مواد الطعــام الرائحــة والطعم ــ فوسفات وغيرها .

لخدمة صناعة الحبر والطلاء :

ورنيش ــ مواد مذيبة ــ مواد معجنة ــ راتنج ــ مواد مذيبة ــ للروائح ــ مواد واقية من الفساد ــ مواد مضادة للأكسدة .

لخدمة صناعة العجائن :

عجائن ــ أسيتات السليولوز ــ نترات السليولوز ــ راتنجات ــ الفينول . مواد أولية : مثل أحماض ــ فينــول ــ مركبات الراتنج ــ مواد معجنة ــ مركبات الفيتاليت .

لخدمة الصناعات الكيميائية :

مواد أولية متنوعة ومركبات متوسطة .

لخدمة صناعات الروائح العطرية ومواد الزينة :

طلاء المانيكور والمادة المزيلة له ــ مواد مرطبة ــ مواد مثبتة ومواد مذيبة

لخدمة صناعة الدباغة

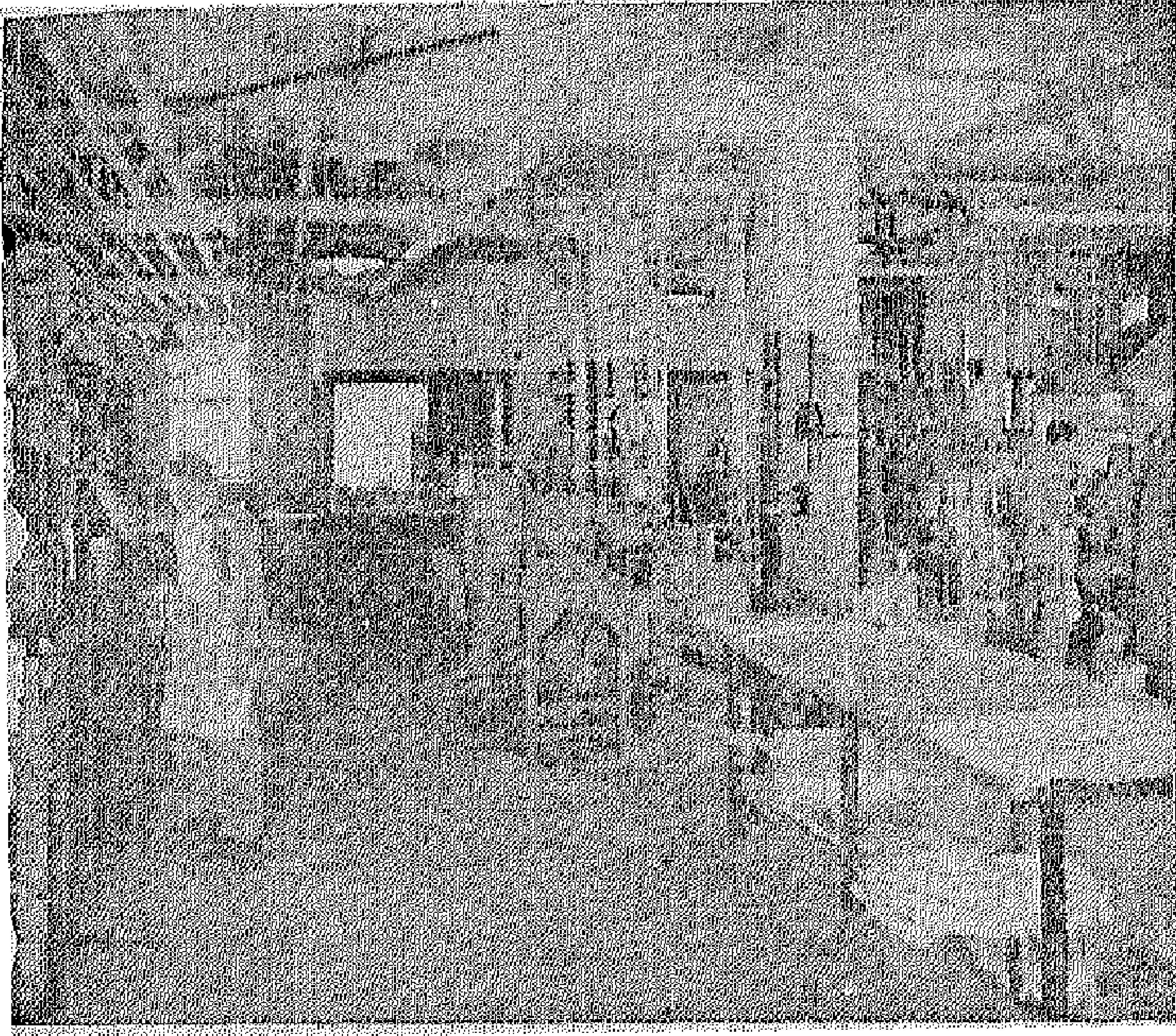
أحماض ــ شب الأمونيو[illegible]نول مواد نفاذة ــ « ميركلور » « ميرتا[illegible]وسفات .

لخدمة صناعة الحزم :

مادة « الفيوباك » الشفافة .

مونسانتو

فى الطليعة فى صناعة العجائن



لشركة مونسانتو الكيميائية تسعة عشر مصنعاً بينها مصنع كبير مخصص كل[ه] للبحث فى العجائن وصنعها ، وقائمة المواد التى يصنعها هذا المصنع تشم[ل] عجائن تصلح لكل غرض عملى . وفى معامل البحث تبشر التجارب بمبتكرات جديدة . وبعض العجائن والكيميائيات غير متاح بسبب الحرب والبعض الآخر يمكن تصديره وإن الأحوال لتتغير بسرعة ، فقد يندر اليوم صنف ما ثم قد يكون متوفراً غداً . ونحن نرحب باستعلامك عن العجائن والكيميائيات التى تحتاج إليها الآن وفى المستقبل

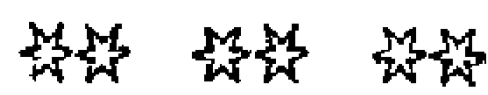
MONSANTO CHEMICAL COMPANY,
St. Louis, Missouri, U. S. A.

MONSANTO CHEMICALS Ltd.
Victoria Station, London S.W. 1. England



غير أن « الريدرز دايجست » تجيء الآن فتجعاني في طليعة ركب الزمن وتبرئ ذمتي ، فقد قام بالاختصار والحذف المحررون سلفاً — فهم دوني يبوءون بإثم ما بددوا من حبر الطابع وجهده ! والفصول من الوجازة والحبك بحيث أستطيع أن أقرأ ثلاثة أو أربعة منها في السيارة في طريقي إلى حفلة ، فأصل إليها وأنا أفيض معرفة وعلما .

وأعود بالذاكرة إلى تلك الأيام التي لم تكن قد ظهرت فيها مجلة « ريدرز دايجست » ، فيبدو لي أنه يشبه العود بالذاكرة إلى الأيام التي لم تكن قد عرفت تكييف الهواء ، فلا يسع المرء إلا أن يتساءل كيف كان يطيق ذلك — أو أنا على الأقل أتساءل عن هذا .



يسرنا أن يكون بين الأعلام الذين شاركوا في إعداد هذه المقالات الموجهة إلى الحياة الحافلة ، لغلاف المختار ، حضرات : الأستاذ محمود أبو الفتح (سبتمبر سنة ١٩٤٣) ، الدكتور حافظ عفيفي باشا (أكتوبر ١٩٤٣) ، الدكتور علي توفيق شوشه بك (ديسمبر ١٩٤٣) ، محمد علي علوبه باشا (يناير ١٩٤٤) ، الدكتور محمد حسين هيكل باشا (مارس ١٩٤٤) ، الأستاذ عباس محمود العقاد (مايو ١٩٤٤) ، فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي ، فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشاره الخوري ، الدكتور حسني سبح ، الأستاذ أحمد سامح الخالدي (سبتمبر ١٩٤٤) ، الأستاذ ميخائيل نعيمه (أكتوبر ١٩٤٤) .

ويتوجها جميعاً العطف الملكي السامي
المنشور في صدر مختار فبراير سنة ١٩٤٤

قارئة بطيئة

كورنيليا أوتيس سكينر

ظللت طول عمري ضحية لشعور سخيف خرافي بأني متى بدأت أقرأ شيئاً فلا بد أن أتمه بالمعنى الحرفي ، فلا سبيل إلى قلب صفحتين معاً ، ولا تطلع إلى الأمام لأرى هل الخاتمة سعيدة أو لا ، وعسى أن يكون ثم خوف كامن فيما وراء الوعى ، يوهمنى أنى إذا عبرت الكتاب المطبوع بخفة ، فقد يظهر لى شبح المؤلف ويلاحقنى ملاحقة مزعجة ، أو لعلّ الأمر مرجعه إلى شعور مسرف بالإثم ، كتأنيب الضمير الذى يعانيه المرء إذا غشّ وهو يلاعب نفسه .

وقد أورثتنى هذه الدقة والذمة عدة ساعات من السآمة ، ولم تفدنى إلا الارتياح المشكوك فى قيمته ، إذ أعرف أنى أؤدى واجباً نحو كاتب من الكتاب لا يعبأ شيئاً على الحالين . ذلك أنى بطيئة القراءة ، وقد أعيانى وأنا طفلة أن أتعلم الطريقة « الانسيابية » الحديثة التى يتسنى بها للمرء أن يستوعب فقرة برمتها بنظرة واحدة . وكان أبى هو معلمى ، وكنا نقرأ فى مجلد أصفر صغير اسمه « أرض الأغانى — الجزء الأول » فنكاد نتهجى ونحن مغتبطان ، كل جملة فيه ، وكل كلمة ، وكل مقطع . وما زلت إلى الآن أجدنى أردد بصوت جهير ألفاظاً ذات مقاطع تزيد على الثلاثة . وأحتاج إلى أسبوع لقراءة رواية ، وعشرة أيام لمطالعة كتاب من كتب التراجم المتوسطة الحجم ، ولولا أن ساقى هيضت لما فرغت من مطالعة رواية « ذهب مع الريح » . وهذا يضيّق بطبيعة الحال مجال الاختيار لمادة القراءة .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية